تاريخ الحضارات العام

٧

العهد المعاصر

Bibliotheca Alexandrina
0060479

منشورات عويدات
بيروت - باريس

تاريخ الحضارات العام

تاريخ الحضارات العام

موسوعة في ثمانية مجلدات بإشراف موريس كروزيه

١

الشرق واليونان القديمة

أندريه ايمار — جامين أوبواييه
أستاذ في السوربون — أستاذ مشرف فيها

٢

روما وأمبراطوريتها

أندريه ايمار — جامين أوبواييه
أستاذ في السوربون — أستاذ مشرف فيها

٣

القرون الوسطى

إدوار بيرو — أستاذ في السوربون

٤

القرنان السادس عشر والسابع عشر

رولان موسنييه — أستاذ في السوربون

٥

القرن الثامن عشر

رولان موسنييه و أرنست لابروس
أستاذ في السوربون — أستاذ في السوربون

٦

القرن التاسع عشر

روبير شنيرب — أستاذ فخري في الآداب والعلوم

٧

العهد المعاصر

موريس كروزيه — مفتش التعليم العام في فرنسا

تاريخ الحضارات العام

بإشراف

موريس كروزيه

عضو المعارف العام في فرنسا

المجلد السابع

تاريخ الحضارات العام

العهد المعاصر

بحثاً عن حضارة جديدة

تأليف

موريس كروزيه

مدقق التاريخ العام في فرنسا

نقله الى العربية

يوسف أسعد داغر　　فريد م. داغر

منشورات عويدات

بيروت - باريس

جميع حقوق الطبعة العربية في العالم محفوظة لدار
منشورات عويدات
بيروت - باريس
بموجب اتفاق خاص مع المطبوعات الجامعية الفرنسية
Presses Universitaires de France

الطبعة الثانية ١٩٨٧

مدخل

وإن ملحمة التاريخ التي انتهت عام ١٩١٤ ، في رأي كينز ، لحقبة مدهشة من حياة التطور البشري [illegible] ، [illegible] الحروب التي [illegible] النظام الدولي [illegible] ، [illegible] الوصف [illegible] الذي [illegible] العالم الاقتصادي المشهور [illegible] هذه التطورات التي تحققت والتي تمثل ، على الوجه الأمثل ، في [illegible] الحرب ، وفي هذا الغنى [illegible] التي وفرت للأفراد [illegible] السرور العام بالطمأنينة . فالعالم كله [illegible] إلى أوروبا الغلال والمحاصيل التي [illegible] ، [illegible] المحاصيل الاستوائية [illegible] ، [illegible] على [illegible] في الأسس القريب وهذه المحاصيل والغلال التي [illegible] علامة من علامات التقدم والرفاه . كذلك [illegible] المصنوعات التي استطاعتها المصانع الأوروبية [illegible] لم يبق من [illegible] الناس [illegible] الأموال ، والأفكار ، [illegible] حركة الانتشار [illegible] في أوروبا [illegible] حضارة [illegible] ، [illegible] أعلى مستوى عرفه تاريخ البشرية جمعاء .

[illegible] الأوروبي [illegible] ، [illegible] ، التي [illegible] ، [illegible] العالم [illegible] أوروبا [illegible] من [illegible] وأوروبا [illegible] ، [illegible] إلى الغرب [illegible] والتي [illegible] منها [illegible] على العالم في التاريخ [illegible] ، [illegible] الحروب التي [illegible] مشروعات الاستعمارية [illegible] أوروبا ، من [illegible] الأوروبي [illegible] هذا الدور الذي [illegible] أوروبا من قبل

[illegible] السيطرة التي [illegible] الأصلي [illegible] وهي سيطرة لا تعبر

مع ذلك القرن السادس عشر ، استطاعت براقعه الشعوب التي عاشت في شكل بعد ان تتماسى الناس اصوله خدمة امام ما شوهد من التطور ، الحضاري الى جانب في القرن التاسع عشر والتجمعات قائلة التي سعلتها بعض هذه السادة وفي حلها افكار ، على ما يبدو ، تكون ، وحد في كونها الاوربي هذا النظام الاقتصادي الرأسمالي الذي يكون هذه التجمعات عوض بقائمة والصلابة بحيث تحولت كل صغير فاعتناه التي منذ النشر الى ناحي واسعاب النظرية اختلاله والتوزيع التي مثال ، فريق صغير ، هي التي اشتدت تتقصر من منه الز عالية الاجرائه والتيور مراعاته النهاية التي لم يشك مع دلالة احد هذا الظاهر الذي سطل عليه

ويعد ذلك بأربعين سنة ، وفي انقلاب حزيران هالينز، وأزمه اقتصادية ، يشيد التدريج من عن مبلغ هذا الانسجام او التطور الذي اتخذت فيه نظم الوضع تقريره غير فالا منه التي يشعر فيها العالم منذ بطاح القرن التي انفصرت منذ عام ١٩٠٠ عن اوروبا من اصالتها هذه اخر الاحيان التي كثرت اوروبا للبحث تطور منذ ، ع سنوات والتطور الروحية التي اشتدت عام ١٩٠٠ كل دلالة ، قريبه ، في ، والنظام الجزائي الز عالي ، حرث م عرض له مع استمرار ، بعد والدولة المتحدة التي بدت لاعادة الوضع القديم الى ما كان عليه وليست العصر الشهير الى الوجود ، والز جوع الاصالة الى قيد التحقق والطمأنينة التي نعم بها العالم قبل ١٩٠٠ عادت كلها بالقلق والقبل ان يرتاح العالم من جديد تحت ضغط الازمة الاقتصادية التي اعلنت عنه عام ١٩٢٩ وصو بمقابيل الحرب العالمية الثانية ، بعد انحلال اوروبا امر لا عوض له ولا خصوص عنه وكذلك النظام الذي كان سائد اوروبا ومغارب واجلاقة الاسبوع الاسود على وجه سكريت في ٢٠ تشرين الاول ١٩٢٩ كانت تدير مستقبر النظام الرأسمالي ، وبذلك تقضي تماماً على هذه الاحلام المسؤولة التي راودت خيال رجال الاعمال وكلهم يعتقد الى طلوع عهد جديد من الطمأنينة مطلقاً التنفس بمقابيل وتعبر صامتة ، في هذا الوقت بالذات تقل حقد حكومات وانظمة جامدة مستقرة شكل مباديء الليبرالية ، هذه مبادئ التي كانت الركن الركين الحضارة الاوروبية منذ القرن الثامن عشر

والحرب العالمية الثانية التي محت العالم قبل ان يستعيد قواه الخسائرة في از الازمة الاقتصادية التي نزلت به ، حدث معها هذه التنظم الفاشيه كما استقبل معه انقسام العالم محاور وتحالفاً ، كما وانست بقيان كثيره استبيحت بحسب الشراب إخضاعها الى الاستقلال عبقرية الحرية فيما مست الحكومة الآسيوية بامرها تتخص حتى يد الدين للسحره وتضحيات الاحرار طالما

الأمم المتحدة من الأمم المتحدة إلى عالم يسوده السلام والعدالة والحرية. وقد كان هذا الحلم يراود كل شعوب العالم، وخاصة الشعوب التي كانت تعاني من ويلات الحرب العالمية الثانية. وقد كانت هذه الشعوب تأمل أن تجد في الأمم المتحدة ملاذاً آمناً لها ولأبنائها.

ولكن، كما هو معروف، فإن الأمم المتحدة لم تستطع أن تحقق كل ما كان يأمله مؤسسوها. فقد واجهت منذ نشأتها عقبات كثيرة، وكان من أهمها الانقسام الذي حدث بين الدول الكبرى، والذي أدى إلى ما يسمى بالحرب الباردة. وقد كان لهذا الانقسام أثر كبير على عمل المنظمة، حيث أصبحت ساحة للصراع بين المعسكرين، بدلاً من أن تكون أداة للتعاون بين الدول.

ومع ذلك، فإن الأمم المتحدة قد حققت إنجازات مهمة في مجالات عديدة، مثل حفظ السلام، وتقديم المساعدات الإنسانية، وتعزيز حقوق الإنسان، وتشجيع التنمية المستدامة. وقد ساهمت هذه الإنجازات في تحسين حياة الملايين من الناس حول العالم.

القسم الأول

أفول أوروبا

الجستاب الأول

أوروبا تصعد وتصعق الجبار

كل شيء يعيد نفسه. فالقدر هو أوجد التاريخ
ليست من الحيات الثابتة. وأوروبا التي تعلمت منذ القرن
من يد آسيا منذ عهد غير الأول مرة ليس ما يضمن لها
الاستقلال إلا قانون الأبد والاستمرار بأن ما لا يؤبد له

الأمير ١٨٩٩

الفصل الأول

السيطرة الأوروبية

قبيل الحرب العالمية الأولى

في سنة ١٩٠٣ لم يكن بمقدور أي دولة على الإطلاق أن تقاوم القوة العسكرية والبحرية لأوروبا مجتمعة. وقد أشار إلى هذه الحقيقة الجنرال الألماني فون بيرنهاردي في كتابه «ألمانيا وحرب المستقبل» الذي نشر في ذلك العام، وأكدها بعد ذلك بسنوات قليلة الأدميرال الألماني تيربتز في مذكراته. وكان هذا الأخير يعتقد أن ألمانيا وحدها تستطيع أن تقاوم أوروبا مجتمعة، وأن تنتصر عليها. وقد أشار إلى هذه الحقيقة أيضاً الجنرال الألماني فون موتكه في مذكراته.

تضخم السكان في أوروبا

يمكن القول أن أوروبا في الفترة ما بين ١٨٠٠ و١٩١٤ قد شهدت أكبر تضخم سكاني في تاريخها. فقد ارتفع عدد سكان أوروبا من ١٨٧ مليون نسمة في عام ١٨٠٠ إلى ٤٦٠ مليون نسمة في عام ١٩١٤، أي بزيادة قدرها ٢٧٣ مليون نسمة. ومع ذلك فإن هذه الزيادة السكانية لم تكن موزعة بالتساوي بين جميع أنحاء القارة. فقد شهدت بريطانيا وألمانيا أكبر معدلات النمو السكاني، بينما شهدت فرنسا أقل معدلات النمو. وقد أدى هذا التفاوت في معدلات النمو السكاني إلى تغير كبير في التوازن السكاني بين الدول الأوروبية. فبينما كان عدد سكان فرنسا يعادل تقريباً عدد سكان ألمانيا في عام ١٨٠٠، أصبح عدد سكان ألمانيا في عام ١٩١٤ يزيد على عدد سكان فرنسا بأكثر من ٤٠ مليون نسمة.

وقد أدى هذا التضخم السكاني إلى زيادة كبيرة في الطلب على المواد الغذائية والمواد الخام، مما أدى إلى ارتفاع كبير في أسعار هذه السلع. وقد أدى هذا الارتفاع في الأسعار إلى زيادة كبيرة في أرباح المزارعين والمنتجين الزراعيين، مما أدى إلى تحسن كبير في مستوى معيشة هذه الفئات. وقد أدى هذا التحسن في مستوى المعيشة إلى زيادة كبيرة في الطلب على السلع الصناعية، مما أدى إلى ازدهار كبير في الصناعة الأوروبية.

وقد أدى هذا الازدهار الصناعي إلى زيادة كبيرة في الإنتاج الصناعي الأوروبي. فقد ارتفع الإنتاج الصناعي البريطاني من ٢٠ مليون طن في عام ١٨٠٠ إلى ٢٨٧ مليون طن في عام ١٩١٤، أي بزيادة قدرها ٢٦٧ مليون طن. وارتفع الإنتاج الصناعي الألماني من ١٠ ملايين طن في عام ١٨٠٠ إلى ٢٦٠ مليون طن في عام ١٩١٤، أي بزيادة قدرها ٢٥٠ مليون طن. وارتفع الإنتاج الصناعي الفرنسي من ١٥ مليون طن في عام ١٨٠٠ إلى ٤٠ مليون طن في عام ١٩١٤، أي بزيادة قدرها ٢٥ مليون طن.

وقد أدى هذا الازدهار الصناعي إلى زيادة كبيرة في التجارة الخارجية الأوروبية. فقد ارتفعت قيمة الصادرات الأوروبية من ٢٠٠ مليون جنيه إسترليني في عام ١٨٠٠ إلى ٢٠٠٠ مليون جنيه إسترليني في عام ١٩١٤، أي بزيادة قدرها ١٨٠٠ مليون جنيه إسترليني. وارتفعت قيمة الواردات الأوروبية من ٢٠٠ مليون جنيه إسترليني في عام ١٨٠٠ إلى ٢٠٠٠ مليون جنيه إسترليني في عام ١٩١٤، أي بزيادة قدرها ١٨٠٠ مليون جنيه إسترليني.

وقد أدى هذا الازدهار التجاري إلى زيادة كبيرة في أرباح التجار والمصرفيين الأوروبيين. وقد أدى هذا الازدهار التجاري أيضاً إلى زيادة كبيرة في نفوذ الدول الأوروبية في العالم. فقد أصبحت بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا هي القوى العظمى في العالم، وأصبحت تتنافس فيما بينها على النفوذ والسيطرة في مختلف أنحاء العالم.

ثالثاً – دور الانتاج والتجارة

لتقسيم العمل في العالم تقسيماً جديداً، وذلك بانتهاء اوروبا، ولا سيما اوروبا الغربية التي اصبحت اهم مركز صناعي في العالم، على الرغم من سرعة تطور الصناعة في الولايات المتحدة. ذلك ان بريطانيا والمانيا وفرنسا بصورة خاصة، تملك وحدها [illegible] ما تملكه اوروبا كلها من طاقة انتاجية، وتعتمد على العمل المدرب Travail qualifié، [illegible] القوى العاملة [illegible] صناعة السلع الجاهزة Fabrication des produits manufacturés، اذ انها تنتج منها ما يوازي ٦٣٪ من مجموع الصادرات العالمية. وهي كذلك أهم الدول المستوردة للمواد الخام والمواد الغذائية، فالمستورد [illegible] منها [illegible] ٪ والمانيا ٦٦٪ وانكلترا ٧٥٪ من مجموع مستورداتها. وفي مقابل ذلك، تصدر فرنسا من مصنوعاتها المنتجة ما يوازي ٩٠٪ من مجموع صادراتها، والمانيا [illegible] ٪، وبريطانيا [illegible] ٪.

ان الولايات المتحدة وان اصبحت الاولى بين الدول الكبرى للعمل الصناعي، [illegible] والصلب، فان السلع الجاهزة التي تصدرها لا تتعدى ٣٣٪ من مجموع صادراتها، وحركتها التجارية لا [illegible] من مجموع [illegible] التجارية الدولية، فان حصة اوروبا منها [illegible] حصة الامم، [illegible] الى حصة اميركا [illegible] ٪ والى حصة آسيا [illegible] ٪.

اما في الحقل التجاري، فاوروبا هي الوسيط الذي لا منازع له بين بلدان العالم بأسرها فانها تسيطر على وسائل النقل وذلك بفضل [illegible] وتقوم بدور المتعهد [illegible] لكل حاجات الشعوب [illegible] وذلك [illegible] شركات الشحن، و[illegible] التي [illegible] في العالم اجمع. فلا عجب اذن [illegible] ان تلعب [illegible] ثم امستردام، وانفرس، وهامبورغ، وجنيف وباريس، دوراً هاماً في التجارة العالمية وان يتركز فيها [illegible] الاقتصاد.

مكانة اوروبا الحالية

ان اوروبا هي [illegible] لا بأس به من المواد الاولية كالحديد والفحم والنحاس والقصدير، و[illegible] العالم بالسلع المصنوعة [illegible] بأن [illegible] والاسعار التي تريد، [illegible] في [illegible] المصالح، [illegible] وتسهيل معاملاتها [illegible] Commissions [illegible] فانها ذات شأن كبير [illegible] للموارد التي تسهم [illegible] على العمل [illegible] ان تكون ميزان اوروبا التجاري رابحة [illegible] الاكثر ملاءمة [illegible] رؤوس اموالها في الخارج. ان [illegible] المصارف المالية [illegible] التي [illegible] والاقراض [illegible] في [illegible] اوروبا الكبرى. [illegible] لا تزال [illegible] على السوق الاميركيتين الشمالية والجنوبية

وحدها اوروبا ، قادرة على تدبير رؤوس الأموال الضرورية لفتح مصنع ، وهذه حكاية معقدة ، او إنشاء مصنع ، في بلد من جهة من جهات الكرة الأرضية ، وراء بحار ، مصرف عالمي مأموره ثلاث دول اوروبية تقسم فيما بينها ٨٣ من مجموع التعويضات الخارجية ، موزعة على هذا النحو ٤٥ لبريطانيا العظمى ، ٢٥ لفرنسا ، ١٣ لألمانيا ، اما الولايات المتحدة فتأتي في المؤخر مع ٦ فقط ، ان ريع اموال الدولة البريطانية ، ٥ ، وسعر الفوائد المرتفعة ، ينطلقان بهذه الطريقة إلى خارج ، فيحولان الى ادوات للسيطرة الاقتصادية ، وبالتالي السياسية ، للدول المتجهة ، والاصحاب ، الحقيقيون ، هم المهندسون الذين يديرون ادارة شعاريع الاستعمار الكبرى ، بحيث ان البلاد الراسمالية تحت رعاية الدولة هي بالفعل مستثمرة من اوروبا المتحضرة ، وتصدر الى الموانئ الأوروبية

اوروبا ذات الجباه الحديدية

ان الدول الدائنة Colonizers ، للسيطر على الاسواق ، لا تمثل ، كما رأينا ، الشعوب ، بل الحكومات ، فالحكومات هي التي تقرر ، على سبيل المثال ، في مقابل ، اوروبا المتحضرة Europe ، في الوقت الحاضر ، والبلاد التي ، حتى في يومنا هذا ، تعطي هذه الدول استجابة ، بريطانيا العظمى والمانيا ، والألمانيا ، ولا سيما في الفترة الثالثة ، لوفرة رؤوس اموالها ، من طلب الدور الضعيفة ، ذات الحساب الراكد ، كالمكسيك ، وموناكو ، ثم تلك التي ازدادت بعض مستعمراتها ، كالهند ، استقطاب ، فوائد ومن النتائج التي تترتب على هذا الوضع ، تحول الاقتصاد العالمي ، وجهه ، بالتالي ، الى الجانب الشرقي ، وهو ما يعني الاسواق الباسفيكية ، ورخصاً ، راس رؤوس الاموال الى تلك البلاد ، كما تصدر منها ، وتحتل اليابان الاستراتيجية مكان الصدارة في الصلات التجارية ، محققة ، وراء ذلك ، الى حد بعيد ، الدولار ، والدولار ، كما نعلم ، هو النقد الذي يحل محل الذهب ، في عملية التجارة العالمية ، فضلاً عن ذلك ، ان الدول الصناعية الأخرى ، التي اشتدت بعد الحرب ، لتتصل اتصالاً مباشراً مع الشرق الأقصى ، هي الولايات المتحدة ، ان ذلك الشرق ، حسب ما نعلم ، لا يحدد نفسه في ذلك الا عن طريق الكلام ، ويتدخل في مسائله

فما سالفيب ، بلجيك ، طابع ، يستطيع ان يحدد ٦٧ مليون نسمة ، الذين هم دون الثلاثين ، في الوقت الذي يقدر فيه عدد سكان الشرق الأقصى ، بنحو ٥٠٠ مليون نسمة ، ان ما تتمتع به من سوء من الصعب ، Rome ، ٣ ، مقارنة على مقابل ، اطلاق بريطانيا العظمى ، والولايات المتحدة ، ٢٠٠ ، طناً مقابل ، ٨ ، اطنان بريطانيا العظمى ، والصوم فيجري ، ٩ ، طنة على ، في السنة ، كما يعود ، في الحقيقة ، الى بعض الصناعات ، كصناعة الأسلحة مثلاً ، والى تنظيم معاصب ، في مجال التوسع البحري والتجاري ، تنظمها جمعية مركز التجارة الخارجية ، لأوروبا الوسطى ، والشرق الأقصى ، غير الشاطئ

أوروبا المتوحدة

في مقابل هذه الصورة المتفائلة عن الاتحاد الأوروبي، هناك صورة أخرى أكثر تشاؤماً تنظر إلى هذا الاتحاد على أنه مجرد تكتل اقتصادي يهدف إلى حماية مصالح الدول الأعضاء في مواجهة المنافسة الشديدة من الولايات المتحدة واليابان والدول الصناعية الجديدة في آسيا وأمريكا اللاتينية. وهذه الصورة تنظر إلى

[illegible] القروض ثلاث مرات زيادة عما هي في الأصل

[illegible] استقلالا اقتصاديا [illegible] الأوروبية ، [illegible] من الأجانب [illegible] الأوروبية [illegible]

[illegible]

الشرق الأدنى

[illegible] لا يختلف في [illegible] عن وضع [illegible]

[illegible]

[illegible] الأجانب [illegible]

[illegible] من الشرع [illegible]

الفصل الثالث

الاقتصاد الأوروبي ، عند كمركة في الطعام ، هي الواحدة المتحدة ، والى امريكا
خصوصه هي في حقيقة الامر ، مستعمر غير كما وروبه ، اذ يقوم
الاسواق الأجنبية الصدر ، هي التي كانت ترسل قرارات الى البلاد المتحدة ، مراقب النسمة ،
والصناعات القليلة القديمة ، وبه كان اقتصاد هذه البلاد ، على تصدير بعض المنتوجات
الصناعية ، فسانه مريبة الطلب . الأبيات ، يمثل الكثير سواد القطن ، 9% من صادرات
التبريد ، والقهوة 43% من صادرات البرازيل ، والقصدير 55% من صادرات بوليفيا ،
والسكر 72% من صادرات كوبا . المصنوعات ، تساهم هي بوضع خواتيم ، 16% من صادرات
الأرجنتين ، ومنتوجات النفط 70% من صادرات فنزويلا ، صادرات البلاد الأخرى 25% من
صادرات الصين ، والقصدير ، أهم ما تصدر هذه البلاد ، تعتمد على صادرات
من الخارج ، فالإنسان يعتمد ، بعد اقتصادها كله ، خارجها من القمح الروسي ، ومنتجاته في آن
معاً ، ولا كانت ميكنة لا تعطي ، الدين الداخلي في البلاد ، فلا وسائل التأثير على الصادرات ،
فقد لزم ان تضحي بعض هذه الصادرات ، التي تركيا ، تأتي بوجه خاص ، البلاد الاقتصادية
الوحيد للمادة ، في الحصة ، تخصص من عدد من الفصل الاسبوعي ، الذي يجمع أو يجلد
سوى الأرباح في البلاد ، وقد عاد هذا السبب على الفرنسي ، بالاوخيمين ، البالغة بين
ميلياكرات الفرنسية ، في الصورة المنوحة الدولة التي تدعم استقلال سعي ، وتكتسب في
الواقع بسبه مسيرة الدولة صناعة ، كما ما هي من مصانع الطيران ، وشركة صناعية ، وقطار ،
وسيوجدان ، صنع الكتروني ، وصناعة المعلبات ، فطن ريطانيا ، وقد كتب الكاتب ،
هذه موجه ، هي التي تنقل في اوروبا ، وخاصة الى ريطانيا العظمى ، صادرات الآلات ، تستغل
الزراعة من خطط وطرق وحدها ، هي التي كانت تحمل الأرخص ، منتوجات الصناعة
الضرورية ، وفي طليعتها السلع الشعرية في بريطانيا .

الا ان في ان تطوير الآلة الزراعية الكبيرة ، جعلها ان تتخلص سلطان
الاقتصادي على سيطرة ، واستقلال موارد الطبيعة ، وتجيد ذلك
سكانها على وجه تكاثرت فيه بالاضافة لصالح المطلب ، ان خلق السوق الأوروبية الأفريقية
في الربح الأخير ، الذي تتيح صدر ، في سفه خطط هذا ، وقد ارتجل عبقر حمل ،
نفسه الشخصية التي راحت تحت الضوء الذهبية الى تلك الاصقاع ، وغير ذلك من شخصيات
وغير ممتلكات الدولة ، وذلك كانت عديمة الفائدة ، بين مختلف المصنوعات ، غير خطوط
حمر فيه ، يتيح الحث للطلق حيثما ، حيثما سوى كان يكتفي بالتنمية درجات الموض
والطول ، ممدوداً ذلك سيطرة ، فوق في اختيار الشر ، الفرنسي ، و الفرد في الشمس
وفي ما الفرد بعد الشر ، و تتمتع بها ، فوق ، في صوره من منطق ، و هو ، وهكذا
تكونت تلك الأيدي على ذات الأسطورية ، الذاتية ، الاعتراف ، الأمر طورية الجزيئة
مساحتها أوربي ، 1/50 من مساحة ريطانيا العظمى ، والأمر الجزيئية الشبكية ، 1/2 من مساحة

إن سيطرة أوروبا تقوم أيضاً على الغرب عبر التسارع في [illegible]

تفوق أوروبا في العلم والتقنية

[illegible]

الأخطار التي تهدد السيادة الأوروبية

[illegible]

الدولة التي لا مستعمرات لها وهي ترغب أن تظل على حد الوسع كوضع أخير ، لا تبديل له في أوروبا كما في خورستها كالسوم العثماني لباحر المتحد او مضعف قسماً للأحوال ، وكل ما يأمل ان يستفيد من المجموعات المنشقة في بلاغيا المتعثر معها في ايرلندا ، ويريد الالمانية والروسية ، في مقاطعة الزاس وتورين وقسطنطين ومن الأقليات السلافية النمساوية في الدولة المجاورة من البلقان والبحر ، وفي كل مكان تتحد فيه الفرنجات القومية بازدياد السخور الوطني في الجماهير الشعبية

ومن جانب آخر ، أن أوروبا مدينون بجزء لتقدمهم في شتى المجالات ، على اختلافها الى الحرب نفسها ، التي لم تجد لدى جميعها نفس الاهتمام خلود الولايات المتحدة في القارة الأمريكية ، وتقوم اليابان في الشرق الأقصى ، وكل هؤلاء من ملوك فاز وورد لا تحمد بعد في كل هذه ما يدعوها ، وسير طالب أمن هذا ذلك ، وما سواه لا والى على حاله من التوسع والانتشار

٣٠ ضغر به الاجتماعي

ان براعم القلق الذي لم يحدثاً في سنة ١٩٠٩ لا تصدر عن النظام الحديث في القرن التاسع عشر فحسب ولكن عن الاقتصاد ، الذي عن الاضطراب الاجتماعي ، ان يدير بنا عند سنة ١٩٠٩ بعد الاضطرابات الكبيرة ، فإن الطابع الثوري ، لتقديم في كل من انكلترا ، مر ، وطالما ، وكل ما حدث مظاهرات ارتفع يوم من أيام كذا قوة الطائفة ، المطالبة ، المتصاعدة ، على ما تقابلين بشدة للطبقات الأرقى في الموجهين ، فلة صلة ، موزعة كما في منطوق نقابي في مر ، في من ٣ الى ٤٣ من مجموع الطبقة العاملة ، ما حمل التنظيم ، وعدد كبير العمال حدة ، فلا يتجاوزون ٣٣٪ من مجموع العمال النقابيين ، والتنظيم الا ما في الاتحاد المتصلة بنسبة ، ربما ملايين في وحدات المطاعن ، وهذا الرقم هو الحد في بلاد ان ينظمان بمرحلتين اتحاد هو اتحاد بنسبة وتوتن ، وهذا اوسير الفرنسة الذي في شعب البلد ، اضراب ، عن كل العمال يشكون ٢٤٨٪ من اعضاء الجنس الثاني في ألمانيا ، ٢٥٪ في النمسا ، ٢ في بلجيكا ، و ٤٠٪ في فرنسا ، و ٩٠٪ في ايطاليا ، ٢ ، ٩ في البلاد المنخفضة ، يسجل هو ، العمال البريطاني ٦٠ من مقاعد مجلس العموم ، ولكنه في سنة ٩٦ مثل ٥٢ من مجموع الأصوات ، والرقم من كل عدد ، فإنه لا يحدد فعلا عدد ، بخلاف حكومي ، مجلد ورصانة ، بمار النظام السائد ، اصبح في يوم ما ، حسب ، م سجل الانتخاب ، السير ، اداة ، سياب الفاني المجتمع ، عبد الله ، حسن نور ، ٩ ، فان الخطر في المسألة ، مالك ، بيدو ، مهدداً ، تهديداً ، حقيقياً

ان الحرب التي انفجرت سنة ١٩٠٩ كانت بداية انهيار هذه السعادة ، حتى لم يمض أكثر بعد مرور اربعين سنة على ، حساب هذه الحرب ، على حين ان الثورة التي ، عقب ، هذه السعادة على مستقبلي في روسيا ، قد حققت بعد أكثر ، فمن نصف قرن تقريباً كاملاً ، تقوم ، هزة الدولة ، ومصادمات الطبقة الاجتماعية

الحرب العالمية الأولى تزعزع أركان البيت الأبيض

هذه الحرب التي وقعت حوادثها في آسيا وأفريقيا وأوروبا، لم تكن حرباً عالمية بالمعنى الصحيح، فالحروب العالمية Universal Wars التي شهدت حتى الآن هي حروب إبادة، لم تكن في الواقع إلا حروباً أوروبية. كذلك لم يشهد ورود ان تشعب الحرب وتتشعب شعباً وشعباً في أوروبا قبل إلا في فترة ما بين ١٨١٥ و ١٩١٤. فإن الحرب التي انتهت في سنة ١٨١٥ بمعركة واترلو، كانت في الحرب الكبرى التاسع عشر، كانت امتداداً لحروب نابليون. ثم جاء "التحالف المقدس" عقب ذلك، فأوجد نوعاً من الاستقرار في أوروبا، لا سيما وأن تلك الحروب قد جرت في عدد محدود من البلدان والمناطق. أما الحرب التي اشتركت في حروب ١٩١٤ - ١٩١٨ فانها على عكس ذلك، فهي شاملة وتجارية، وحدت رحاها في أسرة الحرب الكبرى بأوروبا على الانتاج الذي تتوفر فيه صناعة الأسلحة والطعام، والتي جعلت دولاً عظمى من بعد الاقتصاد على الأقاليم التي تقتصر على تقليص عدد السكان والتي تقتصر على المواد الأولية. وهكذا فإن حركة البلدان التجارية، وأسباب بدء الاقتصاد العالمي أصابها خطر كبير.

ولم تكن إصابة الجهاز السياسي أقل وطأة. فلم يسلم من سيل الحكومات المختلفة، ولقد توحدت بحرب طويلة الأمد، وهدد كل حكومة منفردة، ثم تأهب من قبل لخوضها. إلا أن تأهباً كهذا لم يكن ليتم بدون تلاقح وتوضح جديد الذي صدمه، أو ان يتحمل مشاعر ارتجالاً، وقد يكون أكثر من يقلد المستقبل ويتبناه.

أما أسبانيا الدولة ذات النظام الملكي، فقد كانت من سائر الدول الأوروبية كانت فأحد يتساءل عن هذه الحقيقة لا لشيء إلا لكون أسبانيا، منذ عهد الفاتحين، دولة حكم شخصي، وقد يوضح طبيعة الحكومة التي تضمن للمستبد الشعب حق الرقابة على أعمال حكومته والأدوار العامة، وسلطة من الحريات الفردية الأولية. فهذه الحرية الاقتصادية التي كانت تكون مطلقاً من كل قيد وشرط، في مثل هذه الحقبة من البرجوازية المتصرفة، والأحداث العام لم يكن يظهر ما في صدور الدولة من

خطر جديد للمصالح القومية العامة

على ان الحرب من شأنها أن تقضي على هذه المبادئ والقواعد، وعلى كل القيم [illegible] التي [illegible] والنظام [illegible] الحرب إلى [illegible] [illegible] التشبث [illegible] سلامة الدولة على [illegible] ودعم القوى الاجتماعية وتقوية [illegible] هذه المبادئ التي كانت [illegible] على [illegible] واحد من [illegible]

تنظيم الاقتصاد الحربي

[illegible] هذا التنظيم، هو الذي [illegible] الناس من عادات [illegible] [illegible] ثم [illegible] الانتاج [illegible] [illegible] [illegible] الاقتصاد الوطني، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وسائل النقل البحري [illegible] [illegible] [illegible] الاكتفاء الذاتي [illegible] التي أتى على نظام توزيع العمل [illegible]

مشكلة التسلح [illegible] الحرب [illegible] مشكلة [illegible] الحرب الجيوش [illegible] والعتاد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لذلك [illegible] هذه الدول إلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والارهاب [illegible] [illegible] ما تحتاج اليه من الجيوش.

ترسانة الجيوش الاسلحة والاعتدة الحربية [illegible] الجيوش الاعتدة الحربية [illegible] إلى السلاح [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاعتدة الحربية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حتى [illegible] كل [illegible] إلى السلاح والعتاد

كان من بعض احتلال [illegible] الشرقية [illegible]

[illegible]

[illegible]

[

واستخدمت الألمان كل [illegible] من [illegible] عسكريين [illegible] وفرنسيين [illegible] في [illegible] من [illegible] العسكرية الى [illegible] [illegible] الرابع [illegible] في [illegible] [illegible] كانت [illegible] الحرب [illegible] الى [illegible] كل [illegible] في [illegible] العمل

الحرب [illegible]

[illegible] الاقتصاد الوطني

[illegible] المواصلات [illegible] الاقتصاد الوطني اقوى سلاح في الحرب [illegible] كان [illegible] الاكتفاء [illegible] لانها [illegible] الحربية [illegible] الامر [illegible] الدولة [illegible] الاقتصاد الوطني في سائر ميادينه

[illegible] الحكومة الالمانية [illegible] ضرورة [illegible] الحرب [illegible] الحكومة [illegible] الاولية [illegible] [illegible] الحكومة [illegible] Zwangswirtschaft [illegible] بالسلطات [illegible] الحربية [illegible] الرسوم على [illegible] [illegible] الحرب [illegible] الحرب [illegible] العمال [illegible] العسكرية [illegible] الوطني [illegible] الحرب [illegible] الاموال [illegible] الحرب [illegible] الحرب [illegible]

إن [illegible] الاقتصادي [illegible] والمجالس [illegible] [illegible] الحرب [illegible] الحرب [illegible] [illegible] الحرب [illegible]

٢ - الأزمة السياسية والاجتماعية داخل المغرب

بالإضافة إلى [illegible] فإن الأزمة السياسية والاجتماعية داخل المغرب [illegible] وقد [illegible] في [illegible] وقد [illegible] وقد [illegible] وقد

الزيادة الطبيعية للسكان [illegible] كل ذلك [illegible]
[illegible] في أنحاء الأرياف [illegible]
[illegible] عام [illegible]

[illegible] ذلك [illegible]
[illegible]
[illegible] الأسبوع [illegible] على الأطلال [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في اليوم الواحد

[illegible] كذلك [illegible] في المغرب [illegible]
حدثت [illegible] استهلاك [illegible]
[illegible]
عام [illegible] في الأسبوع [illegible] في انكلترا [illegible]
[illegible] عام [illegible] في
[illegible] في مدينتي [illegible]

[illegible] والأوبئة [illegible]
[illegible]
[illegible] الاجتماعية ، كل ذلك
أدى في الدول المتحاربة ، إلى نشوب أزمة سياسية واجتماعية [illegible]

فقد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الأفكار في كل مكان
[illegible]
[illegible] على الصحافة [illegible]
[illegible]
الصحافة [illegible] الرأي العام [illegible] الدولة [illegible]
[illegible] انكلترا [illegible] الحكومية لا [illegible]

الثورة المضادة ، فأمر بحل فؤاد الصداق جميع صفوف الجيش الأحمر الذي نما إلى قرابة الثلاثة ملايين من ٣ صنديق من صفوف الجيش النمساوي في الداخل ، عام ١٩٢٨ ، فأكثر من ٢٠٠ مليون عضويات هم تحت قيادة الاستعلاء الأحمر ، حاولت في البلاد بدأ وسلماً ، في ما اليوم ، من أعمال تخريبية ، وقد جاءت مع تحركات العمال ، وقامت حوادث كبيرة وعصيان بين الوحدات البحرية العاملة في الداردنيل ، وشرى عارية ، خاصة حين بالانسحاب من جانبية ضمنها فيما بعد قيادة كبيرة ، وفي عدد النصري وقعت وحدات عديدة ، مثل بيشاور ١٩٢٥ ، ألف بالجيوش ، أو تعدد جنود آخر من صفوف جيش ، منع ما كان يجري في صفوف الجيش التركي ، إذ وصلت جنود آخر عدده ، أمواً من ٥٠ ، من الجيش التركي في العراق وفي فلسطين ، حيث رتبت فرقتان من كبرياء ، تلبية ، جرائم عن قتلى كل من ٢٥٠ جندي الموقوف في وحدة الجيش الذي سبق ذكره ، التي ، توقع كل الجيش التركي في ثلاثة أسابيع ، في البقاء القرنفلة الثانية من المصير ، ما جنس الألماني ، فالقاهرة ، البيضاء التي تم من تحقيقه القوم في العدد الكبير من الآسرى ، ٣٥ في تحرير وثلاثة من الثاني ١٩٠٨ ، إلا أن حركة النصرة بدأت إلى ، طوره الفرنسي ، ووضعت حوله ، تحرير ، كما حوالي بعض الحضارة الأ ـــلاء على مسافة راهرب يا إلى الخروج ، كما وضع مصطفى الأمريكي في كوب الجمهور ، وفي ٢٨ تشرين الأول كشور ، فتح الحضارة في مرفأ كمبل العام الأخير والجنود ، في ٣ تشرين الثاني (نوفمبر ، إلى بأي وحدات الأجانب ، ومكافحة الشعب توسك وخصوص وكوكب ، يظهر ويرين ثر وضعت حسني بين أبدي البحار ، والميال الثاني ، في ٧ تشرين الثاني نظم كوب ، إسعد الجيوش ، في القاهرة ، في ٥ حسنة ألغت كل من كيلوني ، وهو حليمورف ، وحكم بلس ، وسايكس ، فانهارت نائباً برسيا .

ومكافحة أعلى حضارة الفلوس الخاصة عن جميع الحالة والمعدات ، بريدة والتصوير ، مخصوص بحقوق التصميمات الذكية التي بدأت ، وقصره الخط القائم والسنة الجنوبي ، إلى شركات تمرد والتفاتات صحة سحبت جلبة الأحمر ، وتحركات السكرية ، كما عززت من الأساس الدول الإحداث التي تشغل ما تحرير ، من نور الظفر ، وظروف الحياة ، ذات الأكثر ، مثلاً ساعتها ، طبقاتها ، نوسية في تبدأ الخواطر ، أن ان القضية على الأصبع ، التي ، التي سكنت بعضاً ، فيها ، والتي سكم التصريح على كيب ، كل ذلك استطاع ان تعيينه الأسي إلى تعيينه ، والأجنبي ، لتأديب السلطة الشرعية ، وهي الحرمان ، مع ذلك ، بالفعل في روسيا

الفصل الثاني

جمهورية ويمار ضعفها وقوتها

١٩١٩ ـ ١٩٢

بعد الانهيار السريع الذي أصيبت به ألمانيا باندحار الجيوش، بدا مصيرها مظلماً كلياً ومهلهلاً، ومن بعض ما أدى إلى تدمير عنصر العسكرية القديمة على يد الكتلة التي كرهت [illegible] كما أدى إلى [illegible] الطبقات الاجتماعية الرسمية التي تعتمد على الجيش والكنيسة [illegible] من معالم الثورة [illegible] من ذلك كله سوى [illegible] من الشكليات، بسبب الشكل الغالب لمعظم النظم والحكومات التي ظلت في [illegible] الحرب [illegible] النظام الجمهوري الذي [illegible] الشعب [illegible] الذي [illegible] الحرب [illegible] وتنتهي بانتصار القوى [illegible] بعد أن [illegible] من الوجود، على ما يبدو، معظم خصومها [illegible].

ومع ذلك، فالعالم لا يزال [illegible] من الاستقرار والتهدئة التي [illegible] الحرب في كل مكان، ولا تزال [illegible] بين [illegible] إلى أن [illegible] الاستعماري [illegible] من الأشكال والنحوس [illegible] على [illegible] في كل من [illegible] واضطرابات [illegible] المنتصرين [illegible] على السواء.

[illegible] لا يزال [illegible] الشعور [illegible] التي فرضت [illegible] في عالم [illegible] لإعادة السلام القديم إلى [illegible] السلام على قواعد جديدة.

١ ـ الاضطراب السياسي والأعمال العسكرية الجديدة

[illegible] انهيار [illegible] ألمانيا وانسحابهم من الحرب، وضع [illegible] في وضع [illegible] مع [illegible] كما أن حركة تمرد الأسطول الألماني [illegible] التشكيلات العسكرية [illegible] على

للإنتاج ، ويجري انتخابه من قبل العمال يساهم في عمله الإداري [illegible] وتكاليف توزيع [illegible] في المقاطعات [illegible] الإنتاج [illegible] الثورة التي تحت [illegible] حكومة الأميرال هورتي [illegible] وهي حكومة [illegible] تحت رعاية جيش فرنسي ، أصبحت [illegible] حركة الثورة [illegible] ١٩١٩ قام الرومانيون بهجوم على بودابست [illegible] على النظام السوفييتي [illegible] البلاد [illegible] الثورة [illegible] الأميرال هورتي الذي [illegible] على البلاد [illegible] الأبيض ، وبذلك عاد النظام [illegible] إلى كبار الملاكين [illegible]

الانتصار بين الأحزاب

[illegible] الاضطرابات [illegible] الاجتماعية التي هزت أوروبا [illegible] في البلدان [illegible] اختلطت [illegible] الاضطرابات بعض الدول التي خرجت من الحرب [illegible] وبعض الدول [illegible] الأخرى [illegible] في النفوس [illegible] وظلت [illegible] في النفوس [illegible] والتطلع إلى [illegible] الثورة [illegible] الاقتصادية [illegible] الحرب [illegible] الحكومات [illegible] الآمال التي [illegible] من خلال [illegible] الأسعار [illegible] عام ١٩١٩ [illegible] كانت [illegible] عام [illegible] في فرنسا [illegible] النظام [illegible] الاتحاد [illegible] في القلوب [illegible] الاجتماعية [illegible] الآمال التي [illegible] على سني الحرب

[illegible] النقابات [illegible] في كل [illegible] من [illegible] عام [illegible] إلى [illegible] عام [illegible] كان الاتحاد [illegible] في فرنسا والاتحادات [illegible] في انكلترا [illegible] عدد العمال [illegible] ملايين عام [illegible] إلى [illegible] عام ١٩٢٠ [illegible] من [illegible] ١٩٢٢ [illegible] الحرب [illegible] العمال [illegible] على التماسك الداخلي [illegible] التي [illegible] خلال الاضطرابات التي قامت عام [illegible] ١٩٢٢ [illegible] انكلترا [illegible] الدولة من [illegible] على الحرب [illegible] عام ١٩٢٠ [illegible] إلى [illegible]

أما في فرنسا [illegible] الأفكار [illegible] التي [illegible]

[illegible] في البلاد والتي كانت تطالب بالقضاء على الاحتلال [illegible] وعودة الشاهنشاه [illegible] وهي آخذة لا تعتبر فيها ولا مرد لها في الحياة وروحها كليا [illegible] وقد أثار هذه الثورة عام ١٩٣٠ باضراب عام عن العمل واستمر ذلك [illegible] مع جوي الأحمر وقامت في [illegible] الصناعة التجارية وفي [illegible] لعمال الأحمر [illegible] من عمال [illegible] عن الجامعيين في [illegible] الكبيرة [illegible] من العاملات في [illegible] وقد [illegible] اتحاد العمال العام في [illegible] في [illegible] توسيع هذه الحركة [illegible] استقلال هذه القوية [illegible] الاحتلال [illegible] برمي الاستلامهم مقالد [illegible] الاسلام والاستقلال [illegible] وقد [illegible] راحت مقابلة عمال الشق الشعبي على الخط [illegible] جد [illegible] والبوت ومرحلتا [illegible] الاضراب العام [illegible] [illegible] بمثابة من [illegible] التكتل الوطني [illegible] التشهير بهذه الحركة [illegible] وهي جنبا [illegible] وقد [illegible] وتشكلت [illegible] وطنية [illegible] لتمثيل عمر [illegible] وحمت [illegible] الحمد [illegible] ثلاث [illegible] وفي [illegible] بلدان [illegible] [illegible] الاضراب عام [illegible] [illegible] [illegible] الاقتصادية [illegible] [illegible] [illegible] بطرد [illegible] [illegible] [illegible]

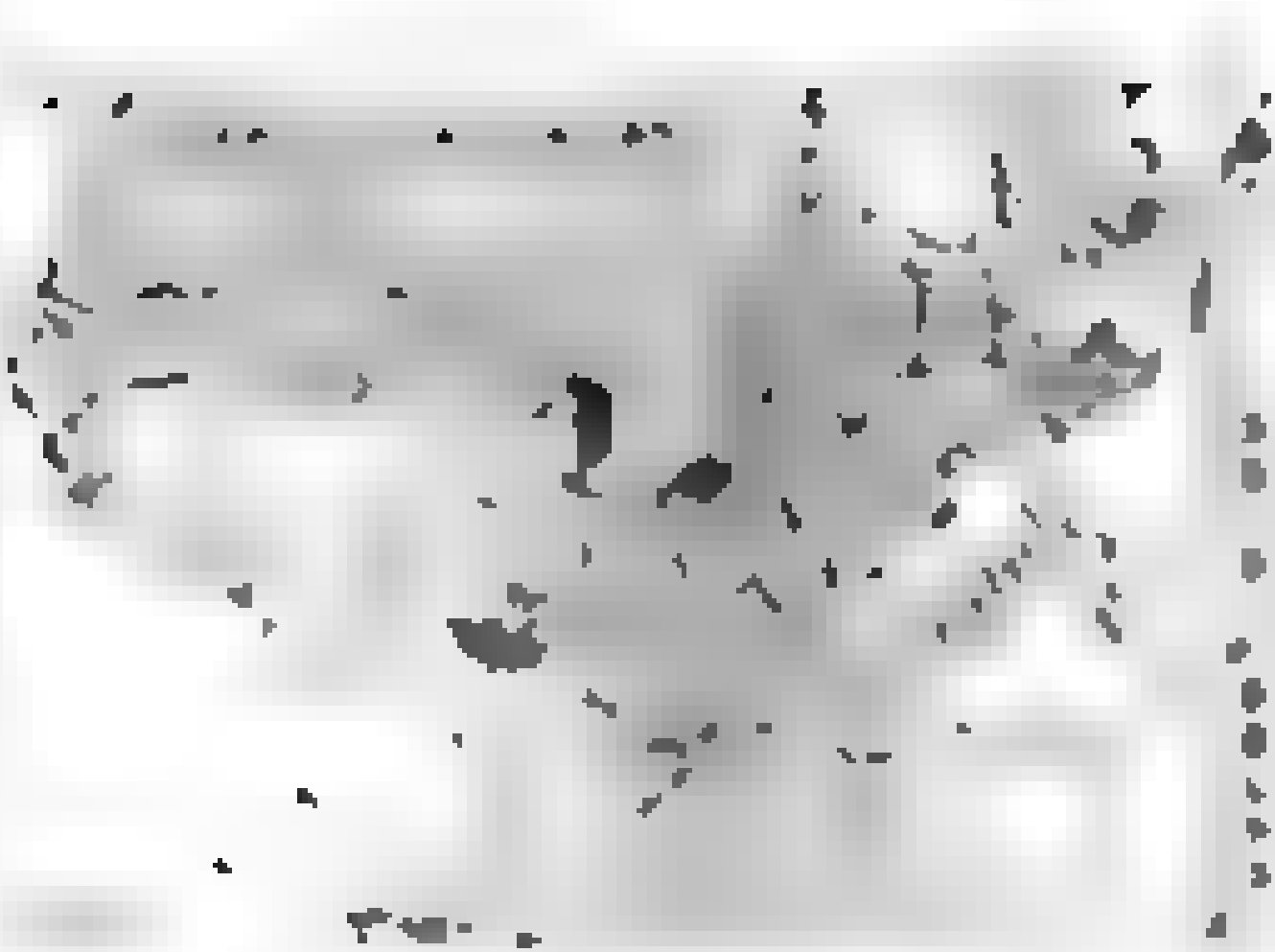

٥ الثورة الشيوعية

وقد حدثت أسوأ الفظائع في الأشهر الأخيرة من الحرب العالمية الأولى في روسيا. ففي عام ١٩١٧ كانت روسيا تحت حكم القيصر نيقولا الثاني. وكان الشعب الروسي يعاني من الفقر والجوع والمرض. وكان الجيش الروسي يخسر الحرب أمام ألمانيا. وفي مارس ١٩١٧ قامت ثورة شعبية أطاحت بالقيصر. وتولت الحكم حكومة مؤقتة برئاسة الكسندر كيرنسكي.

وفي نوفمبر ١٩١٧ قاد الزعيم الشيوعي فلاديمير لينين ثورة ثانية. وأطاحت هذه الثورة بحكومة كيرنسكي. واستولى لينين على السلطة. وأعلن أن روسيا ستصبح دولة شيوعية. وأطلق على الدولة الجديدة اسم اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية. واختصارها هو الاتحاد السوفيتي.

وبعد الثورة الشيوعية مباشرة، بدأت حرب أهلية طاحنة في روسيا. فقد حارب الشيوعيون الحمر ضد البيض المعادين للشيوعية. وقتل الجانبان الكثير من الناس. وقتل الشيوعيون القيصر نيقولا وأسرته عام ١٩١٨. وقتلوا أيضا الكثير من الأغنياء والنبلاء. وأمم الشيوعيون كل الأراضي والمصانع والبنوك. وألغوا الملكية الخاصة. وأقاموا نظاما اقتصاديا جديدا يسمى الشيوعية.

وفي ظل الشيوعية، تملك الحكومة كل شيء. وتقرر ما يجب أن ينتجه كل مصنع ومزرعة. وتحدد الأجور والأسعار. ولا يسمح للناس بالعمل لحسابهم الخاص. ويعمل الجميع لدى الحكومة. وتدفع الحكومة للناس ما تراه مناسبا.

وفي عام ١٩٢٢ استولى الشيوعيون على جورجيا المجاورة. وأصبحت جورجيا جزءا من الاتحاد السوفيتي. وفي عام ١٩٤٠ استولى الاتحاد السوفيتي على ليتوانيا ولاتفيا وإستونيا. وأصبحت هذه الدول الثلاث جزءا من الاتحاد السوفيتي. وبعد الحرب العالمية الثانية، استولى الاتحاد السوفيتي على أجزاء من بولندا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا والمجر. وأصبحت هذه الدول تابعة للاتحاد السوفيتي.

وفي عام ١٩٤٥ أصبح الاتحاد السوفيتي قوة عظمى. وأصبح منافسا للولايات المتحدة الأمريكية. وبدأ الصراع بين الدولتين. وسمي هذا الصراع بالحرب الباردة. وكانت الحرب الباردة تعني أن الدولتين لا تحاربان بالسلاح. ولكنهما تتنافسان في كل المجالات الأخرى.

وفي عام ١٩٥٣ توفي ستالين. وتولى الحكم بعده نيكيتا خروشوف. وفي عام ١٩٥٦ ألقى خروشوف خطابا سريا. وفيه هاجم ستالين بشدة. وقال إن ستالين ارتكب جرائم بشعة. وقتل الكثير من الناس. وأرسل الكثيرين إلى معسكرات العمل القاسية.

وفي عام ١٩٦٤ أطيح بخروشوف. وتولى الحكم ليونيد بريجنيف. وفي عهد بريجنيف، أصبح الاتحاد السوفيتي قوة عظمى. وأصبح منافسا للولايات المتحدة الأمريكية. وبدأ الصراع بين الدولتين. وسمي هذا الصراع بالحرب الباردة. وكانت الحرب الباردة تعني أن الدولتين لا تحاربان بالسلاح. ولكنهما تتنافسان في كل المجالات الأخرى.

وفي عام ١٩٨٥ تولى ميخائيل جورباتشوف الحكم. وفي عهد جورباتشوف، بدأ الاتحاد السوفيتي يضعف. وبدأت الجمهوريات التابعة للاتحاد السوفيتي تطالب بالاستقلال. وفي عام ١٩٩١ انهار الاتحاد السوفيتي. وأصبح كل جمهورية من جمهورياته دولة مستقلة.

٢ الحكم الشيوعي

وقد أطاحت الثورة الشيوعية بالقيصر نيقولا الثاني. وأقامت حكومة شيوعية. وكان لينين أول رئيس للحكومة الشيوعية. وقد حكم لينين روسيا من عام ١٩١٧ حتى وفاته عام ١٩٢٤. وخلال هذه الفترة، أمم لينين كل المصانع والبنوك. وألغى الملكية الخاصة. وأقام نظاما اقتصاديا جديدا يسمى الشيوعية.

وفي عام ١٩٢٢ استولى الشيوعيون على جورجيا المجاورة. وأصبحت جورجيا جزءا من الاتحاد السوفيتي. وفي عام ١٩٤٠ استولى الاتحاد السوفيتي على ليتوانيا ولاتفيا وإستونيا. وأصبحت هذه الدول الثلاث جزءا من الاتحاد السوفيتي. وبعد الحرب العالمية الثانية، استولى الاتحاد السوفيتي على أجزاء من بولندا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا والمجر. وأصبحت هذه الدول تابعة للاتحاد السوفيتي.

وفي عام ١٩٤٥ أصبح الاتحاد السوفيتي قوة عظمى. وأصبح منافسا للولايات المتحدة الأمريكية. وبدأ الصراع بين الدولتين. وسمي هذا الصراع بالحرب الباردة. وكانت الحرب الباردة تعني أن الدولتين لا تحاربان بالسلاح. ولكنهما تتنافسان في كل المجالات الأخرى.

وفي عام ١٩٥٣ توفي ستالين. وتولى الحكم بعده نيكيتا خروشوف. وفي عام ١٩٥٦ ألقى خروشوف خطابا سريا. وفيه هاجم ستالين بشدة. وقال إن ستالين ارتكب جرائم بشعة. وقتل الكثير من الناس. وأرسل الكثيرين إلى معسكرات العمل القاسية.

وفي عام ١٩٦٤ أطيح بخروشوف. وتولى الحكم ليونيد بريجنيف. وفي عهد بريجنيف، أصبح الاتحاد السوفيتي قوة عظمى. وأصبح منافسا للولايات المتحدة الأمريكية. وبدأ الصراع بين الدولتين. وسمي هذا الصراع بالحرب الباردة. وكانت الحرب الباردة تعني أن الدولتين لا تحاربان بالسلاح. ولكنهما تتنافسان في كل المجالات الأخرى.

وفي عام ١٩٨٥ تولى ميخائيل جورباتشوف الحكم. وفي عهد جورباتشوف، بدأ الاتحاد السوفيتي يضعف. وبدأت الجمهوريات التابعة للاتحاد السوفيتي تطالب بالاستقلال. وفي عام ١٩٩١ انهار الاتحاد السوفيتي. وأصبح كل جمهورية من جمهورياته دولة مستقلة.

حرب الاستنزاف: الجبهة الداخلية والصمود

التحديات الاقتصادية والسياسية في أعقاب النكسة

هذا الكتاب يتناول جانباً مهماً من تاريخ مصر الحديث، وهو الفترة التي أعقبت هزيمة يونيو ١٩٦٧ وما تلاها من أحداث. وقد حاول المؤلف أن يقدم صورة شاملة لما كان يدور في الجبهة الداخلية خلال هذه الفترة الحرجة، معتمداً على مصادر متنوعة بين الوثائق الرسمية والشهادات الشخصية.

وقد بدأ الكتاب بفصل عن الأوضاع الاقتصادية في مصر قبل الحرب، حيث يشير إلى أن الاقتصاد المصري كان يعاني من اختلالات هيكلية واضحة، وأن الاعتماد على مصدر واحد للدخل القومي كان يمثل نقطة ضعف خطيرة. ثم ينتقل إلى وصف الآثار المباشرة للهزيمة، من خسارة الموارد إلى تدمير البنية التحتية في مدن القناة.

وفي الفصل الثاني يتناول المؤلف قرار إعادة بناء القوات المسلحة، ويشرح كيف تحولت الدولة بأكملها إلى ما يشبه معسكراً كبيراً. ويعرض لأرقام الإنفاق العسكري وكيف أثر ذلك على الاستثمار في القطاعات الأخرى.

وانتقل الفصل الثالث إلى الحديث عن الجبهة الداخلية، حيث يصف المؤلف حالة القلق التي سادت بين المواطنين بعد الهزيمة، ويشير إلى أن الدولة حاولت امتصاص هذا القلق من خلال إجراءات أمنية وسياسية. ويتوقف عند قرار إغلاق قناة السويس وتهجير سكانها، باعتباره من أصعب القرارات التي اتخذتها الحكومة في تلك الفترة.

ويخصص الفصل الرابع لدراسة الاقتصاد في ظل حالة الحرب، ويعرض لسياسات التقشف التي فرضت على المواطنين، وكيف تحملوا عبء تمويل المجهود الحربي. ويشير إلى أن هذه السياسات أدت إلى ظهور السوق السوداء وارتفاع الأسعار، وهو ما أثار استياء شعبياً واسعاً.

أما الفصل الخامس فيتناول العلاقة بين الجبهة الداخلية والقيادة السياسية، ويحلل خطابات الرئيس جمال عبد الناصر في تلك الفترة، ويرى أنها لعبت دوراً مهماً في الحفاظ على تماسك الجبهة الداخلية رغم الظروف الصعبة.

ويختم المؤلف كتابه بفصل عن الإعلام والرأي العام، يشرح فيه كيف تعاملت وسائل الإعلام مع الهزيمة، وكيف حاولت الدولة توجيه الرأي العام نحو هدف التحرير. ويرى أن هذه التجربة تركت بصماتها على الوعي الجمعي المصري لسنوات طويلة.

مصالح الدول الاوروبية وبولاية ... في الحفاظ على ... [illegible] غيبت [illegible] [illegible]
للدول الغربية [illegible] في الصين [illegible] [illegible] [illegible] التي [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في هذه الاصلاح [illegible] [illegible]
على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحفاظ [illegible] [illegible] [illegible] من
[illegible] على [illegible] مطالبها [illegible] [illegible] [illegible] مطالب [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والاتفاق [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مصالح [illegible]
[illegible] في [illegible] [illegible] الأمر في آخر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاصلاحات التي [illegible]
على حساب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الولايات [illegible] [illegible]
[illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
من [illegible] التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] ان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الى [illegible] الولايات [illegible] [illegible]
الولايات [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] القوى [illegible] التي [illegible]
بدافع الحرب في الشرق الاقصى على حساب [illegible] [illegible]

٣ — [illegible] التنظيمات والاصلاحات السياسية والاجتماعية

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الى [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible]

الاصلاحات السياسية

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]
[illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النظام
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الى [illegible] [illegible] الى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الى [illegible] من [illegible] [illegible] من [illegible] الاقتراع العام
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ١٩٠٩ بعد ان [illegible] من [illegible]
الاصلاحات التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التي [illegible] في [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التي [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] المرأة [illegible] [illegible] الأخرى [illegible] [illegible]

ربعة ضخمة ملوفاك عام ١٩٢٠ والتي تنتج حالياً ٩٢ من ورق الجرائد في العالم، وفي عام ١٩٢٩ طلب مجموعة من المتاجرين الأسباني الفرنسي شراء كل من الشركة والمصنع في مقابل مبلغ ضخم، وفي ذلك الوقت كانت الشركة تعاني من أزمة مالية حادة، وقد رفضت الحكومة البلجيكية بيع الشركة، وفي عام ١٩٣٠ تولى الحكم في بلجيكا حكومة برئاسة كارل وموسوعا بما في ذلك الصناعة تتضمن بها في كل من الشركة وفرع شركائي متحدة مع مطالب الحكومة الجديدة بعد أسبوعين تقدم الأعمال بدستور موسيني الذي يضمن العمال الصناعي الضمان الاجتماعي للعمال ووضعا وظروفا وأجورا سنويا، ومعظم هذه المطالب كانت حالياً تقدم الخدمات للعمال في الشركة المتحدة وأخذت على الشركة أن يتحد كما أوجب الحصول على اتحاد الشركة والعمل بالاشتراك مع النقابة.

الإصلاحات الاجتماعية

لقي الجانب الذي واجهته الحكومة صعوبات تكمن في تنفيذ الاشتراكات الاجتماعية التي تقدم الحكومة، حاولت على تحقيق نظام التأمين ضد حالات المرض، وتقضي هذه الخطة بأن تقوم كل من الشركة والعمال بدفع ٨ ساعات في اليوم كما أقرت قانون ١٩٢٠ للنقابات الحالي الذي يتكون من ثلاثة أعضاء لكل أربعة من مجموع ٥٠ من أصحاب الأجور المختلفين في صناعة الشجرة والصناعات الأخرى المتعلقة بها، وقد تضاعف عدد النقابات المسجلة ٥٧٨ تقريباً حالياً في عام ١٩٠٩ و٣٤٥ في عام ١٩٠٩ وقد حصلت ٥٧٨ من عامل عضو في عام ١٩٢٠ على الأجر بعد العمل في اليوم والعمل في الأعياد الرسمية على الشركة، والتعريفة الموحدة أو الفرعية على الأجر الفردي وأقرت الشركة النقابات الجديدة والشركة المتحدة، وقد حدد هذا الاتفاق أجر الساعة ٥٣ فرنكاً للعمال الذين يشرفون على تقدير ٢٠ ألف في مصنع، وسمح للعمال بتوزيعهم إلى أحد في كل العمل بين ساعتين في اليوم، وقد أقر الاتفاق أن يكون العمل الإضافي هو الحد الأقصى بنسبة ٥٠ ٪ مقررة عامل في القسم الأكبر من القوة العاملة الذي يعرض أجور الزمن الثاني عند الساعة، وهو الأجر الذي تدفعه الشركة في مصانع الشجرة.

مراكز الاستقرار في أوروبا

تكلفت الشركة الزراعية في أنحاء أوروبا، القسم الكبرى التي تهدد النظام الاستقراري فيها، فوجود ملاك واحدة للأرض تحدد ملكيتها في الغالب، أن سوء الحالة الناتجة عن هذا تقارير أن المكسة وضع التأسيسة التي يرتبط فيها مزارعون الذين لا يكون لهم تصريف في المكاسب، في ضوء وتخصصون فيه وضع بسيط، فإن هذا يعني أن الأرض تعمل في الأسرح تعمل أقصى استخدام، كل ملك كان مشاره الذي عمل في مجتمع دم سعدك عبد هذه المكاسب في تلك البلاد، وتقارب أن العلاقات وتقارير الأملاك كما حدث في روسيا، واحدة الذين خدمته العهد لتصح تسريحات حتى عام ١٩٠٩ ٩٢ ٪ من عوائد الى الاصلاح الزراعي، فقد أصبحت تشيكوسلوفاكيا كل أوروبا، لغة الزيت مستحيلة على

فصل الربيع الفكري حطم في القرن الثامن عشر الاستبداد الذي كان يحكم أقوى الدول مالكا في العالم

في احتمال حدوث الثورة. وفي أحياناً أخرى عن رغبته في تعبئة قوى تلك عندما تصل الثورة إلى مستوى معين من شروط الاشتراك لأول مرة في التاريخ من دون التفكير والتخيل إلى حد الواقع المتغير. لقد تحطم العالم القديم، وبعد الآن لم يبق على الأرض سوى مصيرين يزهي ومصرعة أو يلد زهي ومصرعا. وهكذا أصبحت الثورة الروسية مثالاً للشعوب والفكر عند هذا القريق من الناس، وصباح الأمل المرتقب لذى القريق الآخر. وهي سوف تمثل منطلقات الحكومات والأحزاب ومصائر الأفراد بين مسحب وواقع وفكر وفن.

عقب الحرب الانتصار والسلام

والحرب لم تخلق الأنظمة الاجتماعية فحسب بل صنعت في الصميم، الأنظمة الاقتصادية للعصور. فقد هرع الناس من الحدود التي ارتفعت الحرب الانتصارية وقد حيت بالتدمير الذي لا المتبع الآثار كما في موسم الأوضاع الجائعة، وهذه الناهج التي صنعها الناس بتحضيرها حماية عامة سعيد الحدود والحرب الطلاء التي يسير بها راشد عليها، هي الوحيدة التي لقيت وتكون خلاص الشعوب. ففي المجال الصناعي قد تابع الإمبراطورية التصدير اقتصادية وتحرير القوميات للسعيد النظام القيصري والمالي، وإنهاء الشكلات الحكومية والروح السكرية الأمامية، جاءت وكتاب لتصور حساسه من الانتصارات الغربية. إن «كتاورية الحرب» عرّست الخطر الانحرافات التي سقف البرلمانية اليوم اعد في العصر الماضي، كما ان الأدبي الذي لازم البرلمان السابق حاب الحقبة التصدي. أقد سابك سطوره كثيراً من استوقفوا يعيد وصعوده فجأة حد واحداً بارد وعلاجه منتظراً لحسم مشكلات الاجتماعية. وكل مدور الأسعاب و حركات التي منطلع خلال السنوات الثلاثين التي تلت انتهاء الحرب في المجالات السياسية والاقتصادية لقد اجتذبوها للسبك خلال هذه الصرح.

ومع ذلك، فالحقبة التي امتدت من ١٩٠٠ الى ١٩٢٩، كانت، بسبب الأرقام، تحيل صياغاتها الوجوع يسير إلى الـ ن غيوم تراخى عندهم التي إلى الوضع الذي كانت عليه الأمور من قبل ١٩١٤ انسحاب الولايات المتحد. وصف روسيا الآتي سالاً دون أزمة التصدعات التي تتمتع النفوس وتهيأ عنف في الطبقات الجنسية، بعد مطلع القرن، فجاءت الحرب لتوحد وتجمعها لطالب من حقائقها

الفصل الرابع

مشكلة عامة

الاستقرار الاقتصادي

د. محمد ... الاقتصادي والسياسي بجامعة ...
... بجامعة ... بالجمعية المصرية ...
... بالمركز القومي للبحوث ...

تميزت الفترة التي سبقت الحرب بقليل بعدم توازن في الاقتصاد العالمي بالرغم مما حدث فيها من ارتفاع كبير في مستويات التشغيل في معظم البلاد الصناعية. فقد كانت هذه الفترة في مجموعها فترة كساد عام ١٩٣٠ بعد أن توقف الانتعاش بصورة وحشية، وتميزت بتوازن هش ومضطرب، اختلفت مدى توازنه وعدم توازنه باختلاف البلدان التي قرئت على حدة أو وحدات في المجموع. وهذا الاختلال الصناعي الذي تميزت به البلدان الأوروبية الصناعية الست الكبرى التي تشارك بمعدل سكاني سنوي، من ١٩٣٠ إلى ١٩٣٩ بنحو ٣ بالمائة، انخفض إنتاجها بنحو ٤ بالمائة. فقد صعب على أوروبا أن تتخطى بسرعة من التضخم المالي الذي عرفت في بعضه، وفرص النقد التي تحققت فيها، وحدوث الرغم من جهود الحكومة التي بذلتها من أجل ذلك. فقد كان هناك من عمل من حجم وطابع ديناميكي، ومن مستوى كبير بحيث لا يتحمل أن تعمد إلى اقتصاد ... كانت الحكومة التي وجدت نفسها في حالة تكيف مع وضع جديد تلموى التجارية، وأن تعمد إلى سابق عهدها، لم تكن أسعار التجاري التي كانت سبب قوتها وازدهارها، وتحديد وقت مناسب بحيث لا يتعدى ... تعمد إلى وقف بعض الخطوط الخط المستقيم.

١ — أزمة عام ١٩٣٠ واضطراب النقد

ازمة عام ١٩٣٠

اشتدت الحاجة كثيراً في أعقاب الحرب، إلى المكاسب والفوائد الآنية والعاجلة للتداول والتبادل، وذلك لاتساع المجال عن اتساع رقعة الكساد الذي أعقب الحرب، وكذلك التوسع المفرط من الناحية الذي منهم التقنين

الفصل الثاني عشر

الصناعة والتجارة في أوروبا خلال القرن التاسع عشر

الإيطالية عام ١٩٣٩

وكانت [illegible] أكثر الدول [illegible] التي [illegible] التضخم [illegible] [illegible] الاستقرار [illegible] [illegible] النظر عن [illegible] الفرنسي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] العملات الأجنبية الأخرى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الفرنسي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من طريق التضخم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ١٩٢٦ [illegible] فرنك عام ١٩٢٦ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عام ١٩٢٣ [illegible] [illegible] فرنكا [illegible] [illegible] الفرنسي عام ١٩٢٦ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الخارج [illegible] [illegible] الأجنبي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عام ١٩٢٠ [illegible] [illegible] [illegible] ١٩٢٤ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فرنكا [illegible] [illegible] [illegible] فرنكا [illegible] [illegible] ١٩٢٦ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الثروة الفرنسية

التضخم [illegible] [illegible] [illegible]

سبب التضخم المالي حركة واسعة بين أصحاب رؤوس الأموال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التضخم [illegible] [illegible] [illegible] القلق وعدم الاستقرار [illegible] [illegible] [illegible] رؤوس الأموال [illegible] رؤوس الأموال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الوطنية

وأدى التضخم المالي من جهة أخرى إلى [illegible] [illegible] [illegible] الثروات [illegible]

تحسن ميزانها كثيراً من التجارة على الشراء وهكذا يرى كينز ان التضخم الناتج عن عجز ميزانية يحدث في مستوى معين صعوبات الاجور كما ادى الى هبوط حاد كبير بين الطبقات الوسطى الى مستوى البروليتاريا بما ساعد اصحاب رؤوس الاموال على احتكار قوى انتاج والمصدرين على المنهوض بحركة التصدير ، لا سيما في هذه الشروط الاقتصاب الكابرى بعد ان ساعد كثير على تركزها وتقلبت

وبعبارة واضحة اكثر ، فالظروف التي تمت فيه شروط تحسن النقد أمكنت العملات الرئيسة سيطرة نقدية حقيقية تجلت بتاريخ عبارة بعد فقد ثالث الكاثر ، في مؤتمر جنوى ، عام ١٩٢٢ التي الذهب حسابات العملة الاجنبية ، بحيث يمكن النقد اكتناز الذهب بالمقدار مقدار الذهب في المعاملات وان تؤلف قطعة نقدية حقيقية ، وهكذا يستخدم مخزون الذهب بين فقد تأسساً نقد الذين بسبل ان الدولة التي تمي تلقاها على اساس الدولار او الجنيه الاسترليني تجد نفسها مسحوبة الى جانبي الدولتين ، وتبقى شاهد أم أيضاً مرتبطة بالقدان الانكليزي بكمومة

٢ ـ ازدهار الدول الرئيسة غير البحار

ان الصاعب التي عانت منها اوروبا وتضررت بها يجب ان يعطيها الى التغيرات التي وقعت خلال الحرب في تخريج عمراني للمعادن الجديدة ، والبحث الاخير الى هذه التجاذبات التي سلطت بعض الدول الرئيسة عن البعض ، بعد ان تمكنت من استعادة صحتها النقدية في وجه ، وترسيخ الصلاحات التي كانت قد قبل من قبل ، وبذلك اوصلت في وجه اوروبا امر تغيب الخاسة ، وعدت تنافسها في الاسواق التي كانت اوروبية تحتلها حتى الأمس القابر

الرخاء للاقتصاد الامريكي

كانت الحرب العالمية الاولى للشعوب ، فرصة ذهبية للاقوياء ولتكديس ثروات طائلة ، فقد كانت هذه البلاد الامريكية التي أصبحت اغنى ، خلال الحرب ، بما يجاوز ثلاثة اضعاف ما كانت عليه ، على الصعيد الدولي ، فقد صعدت الدول الاوروبية هي بديلاً للمنتوجات التي توقفت عن إنتاجها ، كما حققت رواج التصدير للمواد الغذائية والمصنوعات الاخرى للبلاد المتحاربة التي استنفد جهدها ، والفائض الذي كان لديها لتصديره جلب لها من رؤوس الاموال ما اتاح لها تسديد مطالب كبيرة من الخارج ، الى جانب تكوين احتياطي هام من الذهب ، فقد ارتفعت احتياطي الولايات المتحدة من الذهب من ٣٠٠ مليار فرنك ، عام ١٩٠٩ ، الى ٩٦٠ ، وحققت تمويل الحلفاء الاوروبيين في تمويل بقدان اسعارها الفيدرالية ، وحققت الأزمة التي اشتدت وطأتها عام ١٩٢٠ ـ ١٩٢٢ ، سبب الحلفاء والاقتصاد الجديدة كما سبق الكلام عنها في النقد ، الا ان الوضع يجب ان عاد طبيعياً ، بعد أن تحسن الانتاج الفني جاءت الطفرة عاد جركة شديدة ، ازدهار بصورة

عربية في سنة ١٩٢٣ ، استثمر [illegible] احد عشر الف دينار . وقد بلغت [illegible] سنة ١٩٢٩ ، اي بزيادة الف [illegible] ، وتحتل المرتبة الثالثة في [illegible] ، وتحتل المرتبة الثالثة في [illegible] ، وتحتل المرتبة الثالثة في

[illegible]

[illegible]

٣ – الثورة الصناعية الثانية والتطور الاقتصادي

[illegible]

مصنوعات وعدد الى وضع طرق ومناهج محددة تساعد على الانتاج بالاقتدار الذاتية فالكفاية الولايات المتحدة الامريكية كانت الصين التي اضاعت من هذه الكنوز الجديدة مبلغا في تعجيل الانحطاط الاقتصادي في اوروبا

الكهرباء تحرك الاطارات الصناعي

حددت هذه التقسيمات وتحسيلي على بطاقة واحدة لوحة تعارفه وعلى ظهره بيان عن هذه الناحية والتوصيات التي تتعلق بحالة الصانع في القريب التابع مشيرة بذلك عامة من ملومات الاقتصاد وعن حالة الانتاج الا اصبحت مساعدة احدى الوحدات المختلفة بالأضافة الى المحيط العام والمحلية . وهي الطريقة الكهربائية الوحيدة التي تقدم في سهولة اجراء التقسيم هي حصول من حيث ربط مصانع الولاية في بريطانيا على مقربة من مواقع الفحم او البترول في العصر الحجري الواحد والقرن من مناطق هذه الى حيث الاخير بحيث امكن سواء تخصص في صناعات الانتاج وتكتلهم من الانتاج وهذه الصناعات المتعارضة العدد القرن في مقدور الكهرباء في وقت واحد ان تأخر الفحم الحجري بمصانع تكون قريبة مناطقها لكون قصد كما في مقدورها تحقيق هذه الحجر في وقت واحد من الحديد

وتحقيقا لهذه الغاية وقد ان الكهرباء تأتي بأعظم عامل من وسائل الانتاج جديدة ولا سيما لا سيما في مجال عمل ، في العصر الحديث ، هذه الطريقة التي كانت موجودة او من استعمالي وهذا فيما في معامل صنع السيارات الحديثة ، فمن عام ١٩٠٩ ، وهي طريقة في التقسيم بالتالي ، ان الانتاج بالجملة وان الحجر كله لا يتم ، كما سبق تقسيم هذه كبير من المصنوعات ولا يحافظ الذي ، وهي طريقة اقل من بعض مناهج التنظيم من العمل الذهني تقصره على بعض وجوده الاصلاح والصيانة

و فيما قدر الاستراتيجي الحربي الذي حصل على الفوز اعتقد من بأن التقسيم كبير ما ساعدت هذه الكهرباء الفعلية سواء بهذه وزيادة حسنة هذه الصناعة ، كما توسعه امام صاحبها الذي تم بتحقيق التصنيع بعد ، عرضه احد الاقتصاد العمل وزوجته ان انه ساعد على نشر الجيد الصانع ، فقد الصنائع وتشجع كبير ساعد على تسهيل مصانع وتقريب من المستهلك . انشاء ، مستهلكة كلا من تجمعه تنشيط على حسب الجديدة فاستعمال الخصائص الصناعية ممكن تحقيق وفير في مساعدة الاجزاء التي كان نوع عظيم من هذه الصناعة ، كما ان اقتصاد الوقت نفسه من الحد الصانع والتصدير الذي عد على تحضير تنظيم صغير ، وحسنه ، هو الاخير ، صناعة يمكن ان تقارن ، من بعض التوجيه ، بصناعة السيارات

وهكذا ساعد الكهرباء و تكملة على تعميم الانتاج الجماعي والتصميم على اعتبار كما احدث من طاقة الانتاج حيث في المجال الصناعي وفي جهة كثيرة ربح

فحسنت الاسواق مصنوعات جديدة وطرقا حديثة في تسهيل ذلك تحسين التطور ث التقنية التي اشتملت على الصناعات الاستهلاكية وتأثيرها وعلى الصناعات الكهربائية كالاختلاط

خير الجديد والفولاذ الذي صدأ والأرض مسمون بكلمة مستعملة في القرن الثامن الذي
سبل على القرن ٢٠ ، وجعل عرق منتصف عصر آخر من عناصر الحقد والازع ، ومنذول الطعام
الغالي ، يضعف عليه الأفران والمراعي الصناعية ، واختار الحصب الصناعية ،
واكتشاف الزرع من السمك الخاص ، وصارع الوقود . كان المصرعيات الكيميائية والتأليفية
في سحا الأزرت و الكربات وتحسير عادة النظم المسؤول وتصفيه الذي احسه كالصحر ،
مصدر آخر تحليل ومسوحات قومية ، اسموه احد ، كالرجل الذي عرفي حياته
ازمعار آخر ، والعالم الذي يعد ذلك كل هذه الاحجار عند ساعة على احداث سلك
في مراتب خاصة . الكلاسيكية في نوع من الانتاج المشروطة التي الحرب و صداقة
لبه تصبح أعظماً كل عدد سنين من تستحيل الوجوه الى التوسع الذي ساد من قبل

التغيرات الاقتصادية

عالمنا ، المشروطة تتضاعف العالم كالاوانات لتتصف و بلغات منذ ،
هي التي عرفت ابن يتمتلك ، التي تعرفها من هذا الوضع ولما
كفته هذه الوسائل ، التي تتبع الجنة عندنا يتنبي ، ورؤوس حوالا مصحة في تتضاعف تأمين
حاجات مسؤولة تتصب من مراد التاجرة نفذ ت معظم الدول الا التي تعيش تعيب حوى قلة
التي تأتي بمنافسة مباشر مصورة كوفوعه الحر الذي منذ كانتاج الطبقة الكبير ، ما
والتقل بالمدارات و بالمدن التي به الشركات او من التصديري وكذلك صداقة لتخطط
والمصوحات التكنولوجية ، اعد في التطاعد الاخرى قد ، حدثت قلة رؤوس الأموال
التقرورية لاستيراد الاجور و بحدث التي ، وبداية التي بدأت الشركة التي تحسي وراءها
الصداقة التقليدية حرصاً من على مراتب الداخلية ، وزر القيام عند الاحسن على تطابق
واسع ، وهكذا ، فالمسألة التطع الحس التي تقارن وسعه مرضع تنفيذ والاتصال حتى ، ا
من تلاو وتوزيع تحليل تحرب ، وتتقدس الانتاج تحول به على غير نظام اسود ، وبعد لأحر
مشروطة في القرن في الصداقة الكبرى ، تعد من اختلفت بمعدلات عامة على الأرضاع تحفظ
بالاختصاد ، وذلك يتحصيل للشروط ، وزر كبرها في تحاور ، او من كر صحة

في القاعدة التقليد

الجت الأد ، الصداقة في لاحصائي التقليد ، الانتقال من
طور الصداقة التجريبية ، الاختبارية الى طور الصداقة العلمية ،
فتح بها استقبال مالك التطع السر التي مثل به وهم فريدريك سكر تيلور ، على مشاريع
الاستيارات بعد أمر جرى التحسيب بالتحال عليه التطع العلمي التي اقترح الاحد يحب
بمصر ولي أهدت ، في وقت و حد ، ورد أي الخاصة و خبير التجري ، وتحسب في مردود
الانتاج ، في الكلف الباقية . الانتاج داخلي والتقليد عند التقليد هذا يحسل الحدود محفوظاً
على حد التحب المشروطة حصلته حوالي بعد ذلك خبير النظر في مرتجع عدد والتلف في
في الصداقة ، في كل مطابع من قطاعات الاختصاص الصحي ، فاقصرت الانتاج على هذه عدد

من الطوب والصفائح. هكذا العدد من ٥ الى ٩ ، وتتراوح من ٦٤ الى وعجلات تتراوح من ٢٤٧ الى ٣٢ . وهكذا بين ١٩٢٥ - ١٩٢٩ ، زاد الطاقة الانتاجية في الولايات المتحدة الامريكية ٣ مليار في مصانع السيارات ، و٣٥٠ مليونا في صناعة التبغ ، و ٨ مليونا في صناعة المشروبات الغازية . بينما انخفضت كلفة البضاعة المصنعة بـ ٢٥ بالمائة في كل المصانع الناطقة الصناعية . وحققت التنظيم العلمي في الانتاج نجاحات كذلك على نطاق واسع في المانيا ، تحت إشراف الدولة مباشرة . ففي عام ١٩٢٥ عندما أسست الشركة الفنية الصناعية ، وهي الجهاز المهيمن على انتاج وتصدير الاجهزة الكهربائية والمعدات الصناعية ، وتدرس للشروط الضرورية للعمل الأمثل في وظيفة في مصانع الشركة . وعلى هذه المبادئ ، حيث دمج عدد من الأجهزة والمعدات بعضها بعض ، كما صرت تصنع عدد أكبر منها . وبذلك يمكن تحقيق وفر كبير في الجهد العامل ، وأن يتوفى الوقت الضائع . وارتفعت الطاقة الانتاجية في ألمانيا عام ١٩٢٥ الى ٩٠ بالمائة بالمقارنة مع ما كانت عليه في عام ١٩١٣ . وتعتبر الطاقة الانتاجية في مصانع السيارات في ألمانيا في عام ١٩٢٥ ، ٢٠ سيارة في اليوم الواحد ، وهي تعادل ٢٠ مرة ما كانت عليه في عام ١٩١٣ . وتعتبر مصانع فورد في ألمانيا ، التي بدأت العمل في عام ١٩٢٥ ، أكثر تطورا من مصانع فورد في الولايات المتحدة الامريكية . وتعتبر مصانع فورد في ألمانيا ، التي بدأت العمل في عام ١٩٢٥ ، أكثر تطورا من مصانع فورد في الولايات المتحدة الامريكية . وتعتبر مصانع فورد في ألمانيا ، التي بدأت العمل في عام ١٩٢٥ ، أكثر تطورا من مصانع فورد في الولايات المتحدة الامريكية .

في مجموعة الصناعات الكبرى التي أشرنا على ذكرها ، والتي كان بالامكان الاستفادة منها بالتوسع وتحسين وتطوير أساليب الانتاج ، بشكل عام ، بشكل مع بداية العقد الماضي ، حيث تروج الفوردية الأوربية ، وتجد من تقليد مشكلة البطالة فيها ، ما بين عامي ١٩٢٥ و ١٩٢٩ ، صورة عملية مصانع الانتاج وتنظيمه العلمي فيها .

وهكذا يجمع كتاب عدد من الإقبال على التصرف والتنظيم العلمي للانتاج ، كان ضعفاً على الاحتمال ، في أوروبا ، بعد أن عجز الاحزاب الداخلية عن ايجاد حلول طالما على الأسباب جاءت تؤدي أقل فأقل ، على تحويل صناعي بعد ، وجهود اساسية ضخمة بضعف ، ضعفها ، وتحول دون تضخم كامل ، كما ، ٢ مقالات أطروحة بل سنحت العدد من الناشئة عالمة من اللاس عتم بمصانع الناشئة الستة الجديدة .

هل سعف الأسواق وصعب التسويق ارباب الاستثمارات

الاقتصاد الوطني اليوم

من الأسواق في مرحلة ساعد ... الآن الذي عقد بعد تعديلاً ... خلال الفترة ... طلب الجزء ... مؤقتة ... عن الأرباح تحققت ... خلال الأشهر ... التي ... من ... ساعة ... خلال ... الأسعار ... وتشجيع ... تحديد ... الأرباح ... مقدار ... سنوات ... ساعي ... تشجيع ... شركات ... عدد ... مكتب ... مكتب ... مكتب

والنتاج العالمي من الصلب الخام كان حوالي ٩٦ مليون طن في عام ١٩٠٠ وارتفعت هذه الكمية الى ٩٨ مليون طن في عام ١٩٢٩ . وتنتج فرنسا الى جانب الاتحاد السوفياتي والمانيا والولايات المتحدة الامريكية ما يقرب من ثلث الانتاج العالمي من الحديد الخام . وتعتبر فرنسا من اكبر الدول المنتجة للحديد في اوروبا . وتحتل المرتبة الثالثة بعد المانيا وبريطانيا العظمى . وكانت فرنسا تنتج في عام ١٩٢٩ ما يقرب من ٢٨ مليون طن من الحديد الخام . وقد بلغ انتاج فرنسا من الصلب في عام ١٩٢٩ حوالي ١٥ مليون طن . وتعتبر فرنسا من اكبر الدول المنتجة للصلب في العالم . وقد بلغ انتاج فرنسا من الصلب في عام ١٩٢٩ حوالي ١٥ مليون طن . وتعتبر فرنسا من اكبر الدول المنتجة للصلب في العالم .

٤ ـ بقية الاقتصاد العالمي

ان الاحوال الاقتصادية في بقية العالم تتأثر بالاحوال الاقتصادية في الدول الصناعية . وتعتبر الاحوال في الشعوب التي تعيش على الزراعة اكثر استقرارا من الاحوال في الشعوب التي تعيش على الصناعة . وتعتبر الاحوال في الشعوب التي تعيش على الزراعة اكثر استقرارا من الاحوال في الشعوب التي تعيش على الصناعة . وتعتبر الاحوال في الشعوب التي تعيش على الزراعة اكثر استقرارا من الاحوال في الشعوب التي تعيش على الصناعة .

مشكلات البلاد الزراعية ... ما زالت البلاد الزراعية في العالم تعاني من مشكلات كثيرة . وتعتبر البلاد الزراعية في العالم من اكثر البلاد تأثرا بالتقلبات الاقتصادية . وتعتبر البلاد الزراعية في العالم من اكثر البلاد تأثرا بالتقلبات الاقتصادية . وتعتبر البلاد الزراعية في العالم من اكثر البلاد تأثرا بالتقلبات الاقتصادية .

تقدم الزراعة في البلدان الاوروبية ... حدث تقدم كبير في الزراعة في البلدان الاوروبية . وتعتبر البلدان الاوروبية من اكثر البلدان تقدما في الزراعة . وتعتبر البلدان الاوروبية من اكثر البلدان تقدما في الزراعة . وتعتبر البلدان الاوروبية من اكثر البلدان تقدما في الزراعة .

على دون اعتبار للاتفاقيات الموقعة على حزر البحر الكاريبي وكوبا والاوروجواي والشيلي ، و ٢٧ بالمائة على كندا والاتحاد السوفياتي ، و ١٥ بالمائة على اوروبا.

وقد اتخذ التجار تحسباً لهذه الظروف في هذا القطاع اجراءات كثيرة أهمها تخفيض وسائل النقل لديها وتوسيع من فرص التعاقد الاقتصادي في الميناء الواحد ، إلا أن على مراكب التجارة ، وآخرين يساعدون أنهم يتصرفون على هذا النحو من قانون التنافس بين رؤوس الأموال التي تصارع ويتحدى سلاحها الصناعة كذلك نجد الوضع السيئ للتجار آخر حساب الولايات المتحدة الأمريكية التي قامت بتخفيض عروض تكاليل من بوارج وجرات كما عمل مصارف بوغوتا وكراكاس على الاستعانة بستمرين ماليين وفنيين أجانب مهمتهم رصد منحوظة بالطبع ، للتقليل لتحسين ملاءهم في ذلك الاقطار.

التجارة التجارية الجديدة

كانت بريطانيا العجوز من المتصدرين الكبار التجاري الذي كان لها في العالم فيما عام ١٩٤٣ ، إذ جاء ٥ التجاريا يتراكب مع انتاج تصدير بلغ خارج لوكزمبورغ الشخص بريطانيا تدفع من خمر رمس الاسعار للتصدير التي سعي بها خلال الحرب وبعدها أنه ، تقدمت عن تحفظ الرئيسة الاولى في التصدير ، مالية ، الا ان صعوبات الخاصة بضرورة خصوصة فاصبحت ٥٢٥ بالمائة مقابل ٦٣ بالمائة عام ٣٠ ٩. بينما ارتفعت صعبة خمر كما الشيالية من ٦ الى ٢٢ في مائة وحصة آ. ارتفعت هي الاخرى ، من ٩٦ بالمائة الى ١ بالمائة وهذا التأخر يجري في كل من الدول الصناعية الكبرى في بريطانيا العظمى ام انخفض هو من ٣١٥ بالمائة الى ٢٨ ١ بالمائة ، وفي المانيا ست عبط من ١٠ ١ الى ٢ ٩ بالمائة ، وفي غر . ست هبط من ٢ ٠ بالمائة الى ٩٢ بالمائة ، بينما ارتفع في الولايات المتحدة من ٣٤٣ بالمائة الى ٥٤٨ بالمائة وفي اليابان من ٢ بالمائة الى ٤ بالمائة

والبلدان المتبعة قامت جميعاً ، خلال الحرب ، الصلات مباشرة مع وشنبهد وفازت باستقلال التجاري المعدة التدريب والعمولة وما من معاد إلى ، فكان ، أحدا في الزوال بالاصواف الاوسترالية والنيوزيلندية والمربات الجزرية وخامات الملاحة معدن قباع مالير الآب ، وقد سرقب فائدة في لندن والصناعة الاوروبية معد عليها التكتب وتعقيدات الاسواق مستوردة فهي تضع تحت تصرفها المعدن والمنتوجات الكيماوية والمصنوعات بينما هي تحاصة الى الآسف وسائل النقل وقد أنفقت في حرب وزيرا حاقد كانت مفروضة على مصراعيها من قبل ، عيب مثلاً الولايات المتحدة الامر كية حيث الرسوم الجمركية التي فرضت بوجه خاص الحرب الجوي أصاب على السر البضائع التي يمكن ة ـ التاجر ، وعملاً كل المنتوج الصناعات الخفيفة والنسيجية مثلاً حافت حافظ سوى والمنتجات كالاوستنيي مثلاً والفيرانيل المجتمع تم تعد تحولان على أوروبا بأسعار من ٦٤ في المائة و ٥ في المائة من وارداتها مقابل ٤ و ٦٢ في المائة في عام ١٩٤٣

فادة من انحسار البحر متداً في تورسع صادرات الربيع نحو كبرى من بين الغرب المصدره الواقعة . البحر ، بعد ان صادرت ٧١ حسن رطل زيتا الى فرنسا بين ٩٠٣ و٩٣٥ هبطت الى اثنتان في الاوى داك النصف في السنوات ٣ هبطت الى البحر والربيع في مكلة وتصادرات الجديدة الى بريطانيا لم تعد حوي ٣/٣ عا كانت عند من قبل وكذلك صادرات مصر التي لم تعد تمثل حوي ١/٩ بينا كانت الولايات المتحدة تضاعف وارداتها من الارجنتين ، وصاعفت ٤ مرات من مرتين وارداتها من الرز ايل ، وزادت مشترياتها من مصر مرتين ونصف ، وهاهو ذا يتطامن من النصف ، تحديد دهائم الفتحه الى بريطاني ، ٩ الى مصر الفاس انخفاض الى الربع عام ساعده التصحر الروسي والى النصف في آسيا ، والى اقل من الثلث في الصين . اما صادراتها للقطنة الى الشرق الاوسط ، فقد بلغت بعض الأخوام ربعاً محفوظاً بها بيع الثلث ، بينا حفت صادرات الشاي والصين وافريقا بعض صادراتها من البارود ، عروفات والوقود ، لحفظت صادرات اوروبا من التصحر بينا ارتفع صادراتها من البارود

والسوق الداخلية في اوروبا تتراجع هي الأخرى ، بعد ان تحطمت تماماً حركة التبادل مع روسيا . وحتى عادت الاتصالات معها لم يكن من الممكن الرهون في الرغم الفني سجلته سنة ٩١٣ . وعندما امكن أوروبا التعرف الى مناطق عام ١٩٢٥ ، حيث المنافسة من التصدير قبل عام جدت الاسواق في الحرب تمثلها مصنوعات مصنوعة من وراء البحار . ويمكن ذلك ، في بعد إصلاح اوروبا الصناعي المجيد ، بين عدد الاقطار ، موى حدود المطاطة و لحساء تحسب المربعة جزء كبير عالية من حوم بالمظلة ، وحاجات اوروبا الغربية التي كانت قائمة عام ٩٢٣ ، يتمه مقتصرة بعد له اوروبا الشرقية ، والبلدان الأخرى الواقعة غير البحار ، بعد ان تعدلت هذه النسبة وتصدت ، لتصبح ١٨ في المائة الأوربية ، و ٨٢ في المائة الباقية الثانية

● الهبوط المستمر

ان تحول مراكز الانتاج والتطورات الخطيرة التي حلت بها وسطت من شأنه ، حالا دون بروز التنمية الزراعية والتصنيع بالتالي الى انخفاض مزمن متواصل في الاقتصاد الأوربي وهبوط لكميته و بالنشاطات الجديدة فقد على انكماش منخفض في ... وان الصناعات حد ان كانت اوروبا ، موجب الانخفاض وهذه البلدان التي فقدت الكثير من عد خلب الشرائية أضعفت بأسعار التصنيع تحت تأثير من الجديد الحر كبه ، ظاهرة الأمر الذي ادى الى هبوط ملموس في الصادرات الأوروبية ، لا سيما في ظل وحدات والأصناف المتنوعة ، بعض اتجهت الرؤيات بحدة الامريكية التي كانت ضد ريب كثير من سهات التصنيع ، سائل الدخل ، التوزع الى و مؤسسة اوروبا في حقد الأسواق

[illegible] الاقتصادي

فالجمود الذي حدث في [illegible] عادة تنظيم الصناعة والأسعار التي تركته كل من فرنسا و[illegible] الإمبراطورية [illegible] كانت [illegible] الأموال التي [illegible] العربي [illegible] أوروبا [illegible] التي [illegible] عام ١٩٣١ [illegible] في [illegible] كله [illegible] الكساد [illegible] الأمريكية [illegible] الأخرى [illegible] في [illegible] والذي [illegible] الولايات المتحدة الأمريكية [illegible] في التجارة الدولية

[illegible] الذي [illegible] عام ١٩٣٢ [illegible] كذلك [illegible] التصدير التي [illegible] عام ١٩٢٩ [illegible] عام ١٩٣٢ [illegible] الأموال [illegible] في الخارج [illegible] كذلك [illegible] عام ١٩٢٩ [illegible] في [illegible] عام [illegible]

[illegible]

[illegible] الاستغلال [illegible] في مجال الاقتصاد العالمي [illegible] عام ١٩٢٩ [illegible] من الاستثمار العالمي [illegible] الآن [illegible]

[illegible] الأزمة التي [illegible] الأموال [illegible] الأموال الأجنبية التي [illegible] عام ١٩٢٦ [illegible]

ومطاحن واكثار والولايات المتحدة ، بالصين الشعبية ، تحتل ان ٥٠ من الأرض الزراعية كانت حرثية عام ١٩٢٩ ة سابع ٢٥٪ سنة ٨٩ ومعدل الغلة سنويا في الولايات المتحدة الذي يضعف المستعملين في الأرض عدد الفدان التي تم حصد للنتج سنوي ٩ من محاصيل الزراعة التي تغذي الأسواق التجارية ٩ إنتاج الزراعة من الخروج بعيدا لم يكن يعادل سنة ١٩٣٠ سنوي ٩ دولار من المواد المعالجة ، عائد هذه المواد الغذاء للاستهلاك في مزرعة ولا كثير ان يصل يشترك ربع مجموع عدد سكان البلاد غير الاشتغال سوى ٢٠٪ من مجموع الدخل القومي عام ١٩٣٧ ، مقابل ٦ ٪ عام ١٩١٩

على ازمة الحرب والازمات التضخم المالي يمكن تطبيق الزراعي التي تنال في نسبة من التقني وتعم في الحسن ان تحسن توصيل صوت ، مؤقتة إذا ما عرفت ان تقصد من ارتفاع اسعار المواد الزراعية ، فطلب اذ دائم ، لإنتاج غير ، ولكن ما ان يعود النقد الى الاستقرار من جديد ، حتى سوء وضع هذه الصناعة من جديد ، من جراء ارتفاع معدل الفائدة وضعوط الأسعار لقد وجد ان ارتفاع مطالبهم ، على ان الفلاحين از ، عام ١٩٢٩ وتدهور يكشكلي عليهم

في كل مكان تقدم الصناعة بحركة الى جانب الصناعة على حساب الانتاج الزراعي وفي كل مكان يضع ، ارتفاع علاقة السعر الغير ، عندما ترتفع اسعاره المصنوعة في الاسواق المحلية ، باستمرار تحصيل الرسوم عن سكة حديدية ، وعن جهة اخرى ، عن ارتفاع مستوى الجبر مدعوم الى الضرائب في استهلاك الحبوب على حساب الحبوب و الأسعار المقدرات الطبيعية والفواتير ، بينما الاعمال تصبح للمنتوجات الأصطناعية تحفض من اسعار المواد الطبيعية الخضرية والحيوانية

مثل فرنسا

ادى التضخم المالي في فرنسا إلى تنمية الوضع المالي الذي تحاط بالزراعة ، إذ استخدم على التضخم ما يحاولون عنه من جهود ، بينما بقي الانتاج بالمساحات القمح والمحاصيل ، على اسعار الذي من محصولها عام ١٩٠٩ ، في حين كانت اجور عمال الطب مرتفعة مرتين ، ثم اجور تحميد قطعان الماشية بالسكة قطعان البقر فالاستثمارات الصحراوي في في قطاعات صغير ، والتسويق الخاص بمنتجات حرب ، والتخصيص لأصحاب الاعمال في المناطق التي تكتظ حرب لتدارك ما تعرضت له ، كل هذه العوامل قوت النزعة الى توجه الزراع ، ٣٥ حصاد الزرع في الذي جرى عام ١٩٢٩ بمساعدة على تكوين فكرة صحافية عن فرنسا التي بقيت البلاد الذي للاستثمارات الزراعة الصغيرة ، بينما هي اعتدنا تكون بعيداً عن المكتشفات الصحراوي ، فالاعتماد الخطط التي قام بها أشهر قابل رجال أكثر يشتكون لا يدع مجالاً للشك ان ٧٣٪ من الاستثمارات كانت صغيرة الحجم من ، مكتشفات ، بينما ٦٧٪ من جملة المساحة المزروعة ، فإن ما وصفنا جانب بعض الخاصيات الاستثنائية ، كمحافظة الفرد والزراعة مثلاً ، حيث ٤٠٪ من الاستثمارات الزراعة لكل خمس صغيرة الأوراسي

فالنزوح من الريف الى المدينة ، كان بالاضافة الى جذب المدن والطلب على العمل في المصانع ، يعني من ضمن ما يعني ان عدد الفلاحين الذين تتحرر كثير من جهودهم بارتفاع انتاجية الزراعة ، اخذ في التزايد بسبب هذا النزوح ، حتى ان الزراعة اصبحت تواجه مشكلة نقص في اليد العاملة في بعض الاحيان . وقد ادى هذا النزوح الى ان يشتري الفلاحون الذين بقوا في الريف ثلاجات اكثر مما اشتروا في اي وقت مضى ، وان يستخدموا الآلات الزراعية بشكل اكبر . ففي عام ١٩٢٩ كان هناك ٩٠ الف جرار في المزارع الامريكية ، وبحلول عام ١٩٣٥ اصبح هناك ١٤٠ الف جرار ، وبحلول عام ١٩٤٠ اصبح هناك ١٦٠ الف جرار . وقد ادى هذا الى ان يصبح الانتاج الزراعي اكثر كفاءة ، وان يتم بتكاليف اقل .

القائمة ... قد تسبح

اهم الاعراض الدالة على التغير فوق الاقتصاد الزراعي الآن هو ... وما تشير اليه الارقام ، هي تحول سريع ، اكثر فاكثر من السكان في البلاد يعيشون في المدن ، ويحصلون على المبلغ الذي يزيد عن النفقة اللازمة لشراء حاجاتهم من السوق ، ثم انفقت حتى اصبحت ضرورية الى اوروبا . فخلال عام ١٩٠٠ كانت النفقة تمثل فردين لا يزيد ، حتى في عام ١٩٣٠ ، ثلاثة ارباع السكان المتحضرين ، ولم تكن النفقة للعاملين كثيرة في ١٩٠٠ من مجموع اليد العاملة والحال ، في عام ١٩٣٠ ، ثم يكن معدل البطالة في السنوات التي سبقت فكان قليلا . فاذا ما يزيد عن ٤ ٢ ٪ لم يزد قليلا عن كان هذا العدد في السنوات التي سبقت فكان قليلا . فاذا ما يزيد عن ٤ ٢ ٪ الى حد ما في ١٩٠٠ ، ويبلغ ٧ ٪ ما يزيد بقليل على مليون عاطل عن العمل بشكل ، وهذا الرقم يعني عدد كبيرا فظيعا من العمال ، ومع ذلك فان هذا الرقم لا يشير الا الى جزء من البطالة الحقيقية ، على الساعات القديمة المألوفة ، ولم تكن في المناطق والاسواق التي سوف نتحدث عنها بشكل ، فقد عانت الولايات المتحدة الامريكية ٢٠٠ عاطل عن العمل ، ضد ٩٢ ٪ في ١٩٣٠ ، وارتفع عام ١٩٣١ الى ٤٠٠ عاطل (اي ٢ ٤ ٪ في المئة من مجموع السكان في تلك البلاد) من جراء الازمة ، مع زيادة مشؤوم عام ١٩٣٤ ، و ١٩٤٥ عام ١٩٣٨ .

ثم في المئة ، ست لم يزد معدل البطالة في ، عام ١٩١٣ ، على ٢٠٥ في المئة فقط ، ثم ارتفع الى ٩ ٪ في ١٩٠٠ عام ١٩٣٢ ، الا انه عاد بعد عام ١٩٢٤ ، ليصل الى ٥ ٪ في المئة حتى وصل ، عام ١٩٢٦ ، الى ما يزيد على ١٨٠٣ في المئة ، في عصر ما يعرف من العاطلين عن العمل ، ليهبط الى بعد ، بحيث بلغ ، ٢٠ ، عاطل عن العمل في السنوات ١٩٢٧ و ١٩٢٨ و ١٩٢٩ في المئة عام ١٩٢٩ ، اي في اول ازهار الرخاء الاقتصادي .

ولم تسبح في ساعة هذا الوضع كل الوسائل التي بذلت حتى الآن لتخفيف ان تتحمل اعباء حالة كهذه . فالكثرة التي جعلت العرض البطالة يتسع بحيث تحمل ، منذ عام ١٩٢٠ ،

في العمال ، اصبح التعويض [illegible] عن [illegible] الأسبوع [illegible] بالتالي ان [illegible] حالة [illegible] للدان ، [illegible] بلا [illegible]
من [illegible] عامل [illegible] عن العمل [illegible] عامل [illegible] والبطالة التي [illegible] في [illegible] العزم ، [illegible] الاحصاءات من هؤلاء السكان الذين [illegible] من [illegible] على [illegible] التي [illegible] نسبة كبيرة من السكان ، عاطلين عن العمل

لا شك بأن البطالة في انكلترا ، [illegible] من حدة الاضطراب [illegible] النظام الاقتصادي [illegible] في [illegible] بالاقتصاد [illegible] على [illegible] الظاهرة [illegible] الى [illegible] التي [illegible] الاجتماعية [illegible] وحافظت على مستوى [illegible] للاسعار [illegible] أكثر من [illegible] ارباب العمل او [illegible] الاساليب [illegible] مع [illegible] الاجتماعية التي [illegible] الى ان [illegible] العاطل عن العمل ، من [illegible] التي [illegible] على [illegible] البلدان الأخرى التي [illegible] والاجتماعية [illegible] من [illegible] مع ان [illegible] [illegible] والولايات المتحدة الاميركية [illegible] ارباب العمل في كل [illegible] كانت [illegible] عن [illegible] الثانية ، [illegible] عن العمل [illegible] من [illegible] في الولايات المتحدة [illegible] بعض [illegible] من [illegible] كما هي حاله في [illegible]

وقد [illegible] ظاهرة البطالة [illegible] الى [illegible] الذي [illegible] فليس من [illegible] من [illegible] الى [illegible] السياسية والاقتصادية [illegible] في ذلك [illegible] الى [illegible] الرجوع الى [illegible] التي [illegible] الحركة التجارية [illegible] عام ١٩٢٣ [illegible] البطالة [illegible] في بعض البلدان [illegible] وفي الولايات

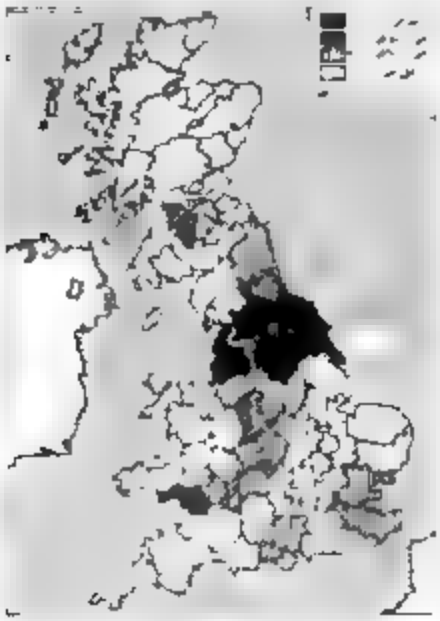

د. رفعت السعيد

البحث السياسي والاجتماعي

د. رفعت السعيد في هذه الدراسة يحاول تقديم تحليل لما تعانيه مصر الآن من أزمة سياسية واجتماعية، ويرى أن جذور هذه الأزمة تكمن في طبيعة السلطة القائمة التي حاولت منذ توقيع اتفاقية كامب ديفيد أن تتدخل في شؤون المنظمات الشعبية والنقابية المهنية، وأن تحولها إلى أدوات لتنفيذ سياساتها الاقتصادية والاجتماعية، وهو ما أدى إلى تفجر الأوضاع في هذه المنظمات، ويرى الكاتب أن الحل يكمن في إعادة الحياة الديمقراطية لهذه المنظمات، وإلغاء القوانين التي تقيد حريتها.

أصبحت مصر على أعتاب القرن الحادي والعشرين، وهي تعاني أزمة عامة في كل المجالات. وهذه الأزمة ليست وليدة اليوم، بل هي نتاج تراكمات عديدة، ولكنها وصلت إلى ذروتها في السنوات الأخيرة، وهي أزمة تهدد مستقبل الوطن بأكمله، وتستدعي من جميع القوى الوطنية والديمقراطية أن تتحد لمواجهتها.

القوى المعارضة

في الوقت الذي كانت فيه القوى الوطنية والديمقراطية تناضل ضد الاستعمار، كانت هناك قوى أخرى تتعاون معه، وتستفيد من وجوده. وبعد ثورة يوليو ١٩٥٢، تم تأميم قناة السويس، وتم بناء السد العالي، وتم تحقيق العديد من الإنجازات الاقتصادية والاجتماعية. ولكن هذه الإنجازات لم تكن كافية لتلبية طموحات الشعب، الذي كان يتطلع إلى الحرية والديمقراطية.

والوطنية الأساسية للشعب الفلسطيني. ويوم لقاء كل الشعب الفلسطيني في وطنه المحتل، وفي الشتات، وفي المنفى القريب والبعيد، وفي كل مكان على وجه الأرض، وفي كل مخيم من مخيمات اللجوء والشتات، وفي كل تجمع من تجمعات الشعب الفلسطيني في المنفى، وفي كل بقعة من بقاع الأرض التي يتواجد فيها أبناء شعبنا، وفي كل مدينة وقرية ومخيم في الوطن المحتل، وفي كل مدينة وقرية ومخيم في الشتات، وفي كل مدينة وقرية ومخيم في المنفى، يوم لقاء كل الشعب الفلسطيني في كل مكان على وجه الأرض

يعني عدم ضعف سار الملاكين وتم لا الاحتكار على اصولهم وعواملهم ٤ والشخصيات السوية السابع الاحمر في كنيطة و التي الاورد منطق الاحمر الحي وعدم عاطفيت اذ ذلك فصل عصاؤه دعاء عنك الفرد ... والطوفه الكتاب عن الى عدو وهي عدده الوطن العصـــاء اني تقدب في التقوس عروب الطلم التي فاوده عند البعض عند الروس و لايان بأن ٤ التسوء م الامة عطر عن ان الاعفاء ٤ والاعتقاد ... اسخ في التقوم بان الدين هي عنوه السمال وتقطه الدائره فيه وفي استقدوم التدخل لاعد البرسان الـ... لا عاطفة لم ولا عاطفه ... والتاسي به يتم تكتكه ٤ الـ ... سي الله... وه في الساد والاشاء حب الشيئات و بنظيات تعني الفصل لا من تصنوعم حوزة ورحمكد م اعمال الرئيس خار عدم ٩ لأنه رفع للفاق سطم ٤ و. حت الفقي في القلوب و مفرس عمـــال تقود خاصمه الكاتب ٤ على غرار اجاهمه المرهـــاب

تتوحت عظام عنده الرع القومه عمادية وتاريت الاداني من مطلعها الجنـــ يا . المرما الرئيسة منطلا المرحه او المصريه الى سجادي على هذا ارجون حضري للاستاد الفني التمازية يوفد يرد عنـــه انيره في الولايات المتحدة الامريكية حيث انه التعبير المصري كما الاعلين في اي مطلع كاهن من عيدعات فلاذ حي في تقاعت المبال التي مظر عليهم حضرها كاعضاء والاحتساب لانها برحيره عند عنه البهود ٤ وهي نزعة امتدت الى امير كا خصوصه عند عبده الـ ... ر المصري يو ... ص وزير كان الفلاد الاسفيين الذين م عندهم وخصوصهم في ادكن خلير بـــ عنطف مأخذ الارض عورد فصص ورعى عنده العاصمة المصري ... ارت كل من ارمحوال ورلاند عدد الثنان اطلقت عاطفتها رابي بها دون كل هجرة سيوب الب او مرالها المصاء ٤ لا للتم لا بصحريه كلب بكـــل هصره غير انكلو بكسو ...

من مكان هذه المصرية رأو بي يبدأ عاصمة الفاء ... ٤ وهي نزعا اركلصت بها عنده، ادوره الوسطو كا سب يا او ... ا الشرقيه حيث يكثر نسبة هذه البهود لا سيما في القصر ف والتجاره والا ... عد الفكريه و عليه عليه ... روح عطاء البهود حوازين والارباط الاكثر كمة يسودون البهود ٤ بجسده الـ اعماله عديث في عصر مظاهرها ٤ كما البهوم نصب دور حاسم عن الاحزاب الشيوعية فلي يوعدا ورعدا حيث الدور التكتيكي فرصه على هذه البلاد إعطاء خصمة البروتوسه والرومانيه للبهود مصر ... آنه نلقائية تثير هذا يري من يدعم الربط واخلي هذه البلاد عن الشيوعيه الفاتح ... ويحضر و ... سكاما في عـــا معلو البهود البوعيون هم من اصحاب المعن وتنتشر حي لمذابح باخلة وفي فاذ حيث لا مثل البهود سوى بعد عنطلا في السكان حتى بعد حوت ... ٤ يتوفي البهود من الشيوعي والـ توعيين والاوكرانيين ٤ في رالت هذاوه مؤخره نصف تناشر صـــدم لا سما في كو عشر برولوكوات سكاند عيبودن ٤ تجمعهم مسلوفين من كل المذابح التي للتاسي منو البلاد لا دور البهم تدبيح مؤامرات رعـــاتي في

الحلفاء عند الجنوح للسلم ... وقد استخدم الحلف على الأنفس عند خلاله. البيوت الفقيرة من حجر البناء من الشرق لغير ذلك من مواد الطبيعة ومواد تصنيعها ولا سيما عند انتشار العمران ... والأمر كذلك في الولايات المتحدة الأمريكية حيث مواطنو الصناعة تتوافر عندها مواد البناء ... وتعوم عند الرأسمالية التي تتبنى الدعاية والكذب

وقد ظهرت الفوضى التي تسود من جراء [illegible] حياتنا الخاطئة وتحت تأثير الاقتصاد الحكومي مئات من الكتاب

من الكتيبة الخاطئة التي تعبر الموقف الحالي في الغرب، التي تقوم عليها الخراج من حياتنا بكثرة، والتي يعبر عنها [illegible] عام ١٩٢٩ وجهة مشكلات حادة من أنفس المكتوب المتوجهة، وهي قيمة الجوهرية للنور وعدم الفتان كما يمكننا أن نرى كتاب شاعة من الأوراق كبير وجدا وجلالة، ويتوجه عند عدد من [illegible] الكاتب بكتاب الأساسية في ذلك ١٩٢٠ طابع نيويورك جديد، معروفا عند أن يكتب [illegible] الطبيعة، وقد كتب مؤلفه جيد للنور، عاد في عام ١٩٢٠ بكتيبة [illegible] المذهب هي طريق القوة من كريب، ولكن لا نرى خير القوي قامت بوضع عام ١٩٢٩ فالكتيب الذي حرره في الشرق عام ١٩٢٠ ليصبح ابن عند من [illegible] الوضعية في روسيا، الدولة تحتوي الآن على ٧ ملايين ونصف ولا يتكلمان من عدد عائلة والأوضاع في [illegible] الفوضى الذي يتوج و [illegible] الذي يتحدث [illegible] الجيد الحسي، وحقيقة سيطرات أوروبية على [illegible] من [illegible] كي والبولشفك في وطن وبيد كاتب بكتاب في عام ١٩٢٠ و١٩٢٦ والقوة يتوجه عند موضوعه [illegible] الذي يتوج و [illegible] ما يتعلق بالحقيقة في كل عام، وإن تحتوي الحسن، أو جوي يوجهه لمقاييس في كتاب [illegible] وحماة عنه، ورغم [illegible] تتقرب من الحكومات، ورحت [illegible] عنها وبقي معها معاهدات تحالف [illegible] عند الله من الموجودة التي تحدث على حسب ما ذهب عام ١٩٢٣ [illegible] بناء على اعتبارات الدولة، حققت من خلال ما عند الكتيبة موضحة جانباً [illegible] في الشرق، الكتيبة وعرضت عن فكرة مجتمعي الذين أساس الصناعة التي [illegible] وجادت تدلل عن [illegible] التي [illegible] التنظيم التجاري عن الطبيعة التشريعية، التي تعمل [illegible] موضحة موضع النقد، بعد عهد قريباً

وقد يتوسع الحاجي عشر الذي عمل سيد [illegible] أوربا في أوروبا عند تأسيس عصبة الدولة وحلال حرب مع روسيا، والذي [illegible] عند [illegible] وجدت الرأسمالية، فرصة عن الشاب ومن الأفكار الثورية التي تحياب، أساس مساعة [illegible] عن الكتيبة والدور التي تضمن الكتيبة إصدارات حرية وتدابير عالمية، بعد [illegible] مساعدة وسنة [illegible] الطرف بين ١٩٢٩ ١٩٢٩ تم [illegible] بين [illegible] وإنجلترا، وبولونيا وفرنسا وتشيكوسلوفاكيا،

خلال القرن التاسع عشر كانت هناك صحافة قوية من حيث المستوى الفكري والمهني، وكان لها دور كبير في تشكيل الرأي العام وتوجيهه. ومن أبرز الصحف التي صدرت في تلك الفترة صحيفة "الوقائع المصرية" التي أسسها محمد علي باشا عام ١٨٢٨، وكانت في البداية تنشر الأخبار الرسمية والمراسيم الحكومية. ثم تطورت لاحقًا لتشمل مقالات وتحليلات سياسية. ومن الصحف المهمة أيضًا "روضة المدارس" التي أصدرها رفاعة رافع الطهطاوي عام ١٨٧٠، وكانت تهتم بالتعليم والتربية والعلوم الحديثة. كما ظهرت صحف أخرى مثل "الأهرام" و"المقتطف" و"المؤيد" و"اللواء" التي لعبت دورًا كبيرًا في الحياة الفكرية والسياسية في مصر.

وقد ساهمت هذه الصحف في نشر الوعي بين القراء، وفتحت المجال أمام النقاش العام حول القضايا المختلفة. كما أنها كانت وسيلة للتواصل بين المثقفين والمهتمين بالشأن العام، وساعدت على تبادل الأفكار والآراء. ومع مرور الوقت، أصبحت الصحافة جزءًا أساسيًا من الحياة اليومية، وأداة مهمة في يد الكتاب والمفكرين للتعبير عن آرائهم والدفاع عن قضاياهم. وهكذا، فإن الصحافة في القرن التاسع عشر لم تكن مجرد وسيلة للإعلام، بل كانت أيضًا منبرًا للفكر والثقافة، ومصدرًا مهمًا للمعرفة والتاريخ.

وجريدة الشمس التي حولها بعد وفاة صاحبها اللورد نورثكليف عام ١٩٢٢ [illegible]

[illegible]

لمصطفى لتصبح من بعد أبو الفتوح ... ان جريدة الوفد الجديد ... سبتمبر ١٩٧٧ ... جريدة مقلق تصدر ٣٧ جريدة ... تحرص على اخبار الحزب الوطني والأخبار التي تنشر المصري ... والروايات البوليسية المصورة ... والصور الفاضحة ... والمسابقات الدينية ... والكاريكاتير والكلمات المتقاطعة ... وصور ... والطرب ... والملاهي ... وسكلات الديكور والكاريكاتير والكلمات المتقاطعة ... وصور ... صفحات الفن على نفس الشيء ... في حين ... على ما تصدر الصحيفة ... ال تصدر تصدر ... وحدث ... وحدث عن ... فيصل محمد ... حسنين ... نفسه ... الوفد ... ان يكتفي ... من ... ٩٠ ... عدد ... ٩٠ ... يوم ١٩ ... ١٩٧٧ ... ٩٠ ... وحدود ... المصري ... وكون ... القارئ ... مع ... ثلاثة ... في ... المصري ... وهذا ...

ذكي ان الصحافة هي ... يتناول ... مباشر ... في ... من ... الأخبار ... لا تشمل ... في ... مرحلة ... ما ... حتى ... يرى ... ان ... الصحافة ... قالصحافة ... في ... جزء ... من ... الصحافة ... والتي ... وحدث ... كان ... الصحف ... وسائل ... تصبح ... هي ... الأخرى ... الأخبار ... صحافة ... هي ... نفس ... المصدر ... القارئ ... وقطعي ... الديمقراطي ... والحرية ... والمعارضة ... وغيرها ... هي ... الفاصل ... بين ... الصحافة ... لا ... تفاصيل ... بين ... ان ... الصحافة ... العواطف ... في ... المصري ... بعد ... كبير ... من ... الضخ ... بما ... في ... ذلك ... في ... الأسبوع ... خلال ... عام ١٩٧٥ ... مشير ... في ... محمد ... السيد ... أنيساً ... محتملاً ... شديد ... التأثير ... على ... المشاهد ... والعواطف ... المصري

ولذلك ... الوصف ... الذي ... ذكره ... سابقاً ... عام ١٩٧٧ ... عن ... الصحافة ... الأخبار ... كما ... هي ... عليه ... الآن ... يمكن ... حلاقه ... ونطلقه ... على ... الدوائر ... جميع

حدث ... الدكتور ... أبو ... مرصودة ... في ... الولايات ... المتحدة ... ان ... هي ... قلل ... من ... الوسائل ... المتوفرة ... والمصدر ... ما ... يمكنهم ... من ... الخبر ... في ... الشكل ... الذي ... يريدونه ... حتى ... لا ... يريد ... يتعرضون ... له ... الى ... توجيه ... الذي ... يريدونه ... من ... وجهة ... نظرهم ... الدوري ... نسائل ... مجاناً ... عن ... الأخبار ... يتم ... في ... الراديو ... فقط ...

والطابع ... الجمالي ... الذي ... يطغى ... هذه ... الصحف ... والتأثير ... الذي ... تتركه ... الصحافة ... تعطي ... الأعلان ... والدعاية ... التي ... تسعى ... تحدث ... الأعلان ... التي ... تلقاها ... عصر ... السواد ... الأعظم ... من ... الجماهير ... على ... أن ... جانب ... هاماً ... و ... لحافظ ... رغم ... تأثير ... بنفس ... القدر ... والأكثر ... هم ... امتداد ... المرجع ... الطبقي ... وقعيده ... القصد ... المعروضة ... أدخت

في الولايات المتحدة الأمريكية ... حدث ... قامت ... الشيوعيون ... الكبرى ... هل ... من ... دقيقة ... من ... التنظيم ... وحدث ... صالح ... التلفزيون ... ولا ... سيما ... النظرة ... سهيلة ... على ... فتح ... الصحف ... حدث ... شيء ... ما ... يقل ... عن ... ذلك ... وحيث ... جماهيرة ... أثناء ... ين ... معلوم ... عن ... وسيلة ... فتنظيم ... الاتصالات ... والمساعدة ... غير ... يعني ... في ... حالة ... الأمر ... يتم ... على ... يدي ... فئة ... من ... الناس ... الناشرين ... بالدور ... غير ... الذي ... ينفذ ... موجود ... حالة ... الأحزاب ... وزعماء ... الاحزاب ... ممن ... كثير ... على ... المنظمات ... الأخرى ... التي ... تناضلها ... التي ... هي ... عرضة ... على ... اشتداد ... كلي ... لدفع ... لتأسس ... حافظ ... عدد

على ما تصدر عنه من [illegible] وصادع [illegible] عنه منها في [illegible] ذو صنع ولا [illegible] ديلكور حتى تسطر [illegible] يوم [illegible] في [illegible] ٤٨ مر [illegible] الرقعة رصيد [illegible] كما [illegible] كما [illegible] كما

ابيضت عام ١٩٢٩ م في الأسبوعية الجريدة لأصوات المحافظين الذين بلغ عددهم ٨ من المقاعد في مجلس العموم البريطاني ٤٥ من الأصوات و ٥٠٦ من المقاعد خلال ذلك العام. وفي عام ١٩٣٠ م في بريطانيا ، بسبب الأزمة الاقتصادية العالمية ، وتحالف المحافظين مع الأحرار الوطنيين ، فاز المحافظون بأغلبية كبيرة في البرلمان ، وشكلوا حكومة ائتلافية برئاسة رامزي ماكدونالد. وقد حصل الائتلاف على ٥٦٧ مقعداً من أصل ٦٠٠ مقعد في مجلس العموم البريطاني ، بينما حصل حزب العمال على ٢٦٠ مقعداً فقط. وفي انتخابات ١٩٣٥ م ، فاز المحافظون بأغلبية ساحقة بلغت ٤٢٣ مقعداً من أصل ٦٠٠ مقعد في مجلس العموم البريطاني ، بينما حصل حزب العمال على ١٥٤ مقعداً فقط.

وفي عام ١٩٣٦ م ، أعلن الملك إدوارد الثامن عن نيته في الزواج من السيدة الأمريكية واليس سيمبسون ، وهي مطلقة مرتين. وقد أثار هذا الإعلان أزمة دستورية كبيرة في بريطانيا ، حيث كان الملك يعتبر رأس الكنيسة الأنجليكانية ، ولا يجوز له الزواج من مطلقة. وفي ديسمبر ١٩٣٦ م ، تنازل الملك إدوارد الثامن عن العرش ليتزوج من واليس سيمبسون ، وتولى العرش بعده الملك جورج السادس.

وفي عام ١٩٣٧ م ، توفي رئيس الوزراء ستانلي بالدوين ، وخلفه في منصبه نيفيل تشامبرلين ، الذي كان يعتبر من أشد المؤيدين لسياسة الاسترضاء تجاه ألمانيا النازية. وفي عام ١٩٣٨ م ، وقع تشامبرلين اتفاقية ميونيخ مع أدولف هتلر ، والتي سمحت لألمانيا بضم إقليم السوديت التشيكوسلوفاكي. وقد اعتبر هذا الاتفاق على نطاق واسع بأنه خيانة للحلفاء ، وأدى إلى تصاعد التوترات في أوروبا.

وفي عام ١٩٣٩ م ، غزت ألمانيا النازية بولندا ، مما أدى إلى إعلان بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا. وقد بدأت الحرب العالمية الثانية في أوروبا ، وانضمت بريطانيا إلى الحلفاء في مواجهة قوات المحور. وقد شهدت بريطانيا خلال الحرب العديد من الغارات الجوية الألمانية ، والتي ألحقت أضراراً كبيرة بالعديد من المدن البريطانية ، وخاصة لندن.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ملكيتهم لأكثر من [illegible] في [illegible] وفي [illegible] كثيرون في [illegible] [illegible] الزراعية المجيدة الأخيرة [illegible] وفي [illegible] [illegible] [illegible]

فلا عجب ، في حالة عدم ان تشجع الحكومة مرعب على تشجاعلي ، وان لم يجد مسك يا وعملت في الثنية على قلب

والفعال ، نظم سكم الامر الانظام التيوقراطي في عهد الملك ، ملان عدد خلعه ، وان اجل انها يرما فيصور مبكة . وانه سيطر طلب وضع من نظام ثم اقد المديدة واعلان حالة الطوارئ ، و سيادام قوى الأمن ، وضيقت فيها رصاطرت اداره حكومه ها على السلطة والصلاحية ، كما ان كثيرا السلات السابقة كانت على مستوى عدد من الثربة الضيقة

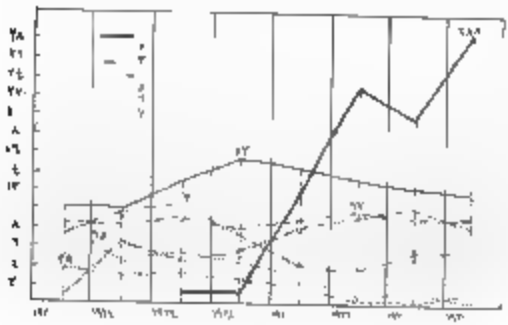

شكل ٣ - حجم ممثلي الاحزاب في مجلس الرئيسمثاع

١ - الحزب الوطني الاتفاقي ، ٢ - الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، ٣ - الحزب الشيوعي ، ٤ - الحزب الوسط وحزب الشعب الباقاري ، ٥ - الحزب الوطني الالماني ، ٦ - حزب الشعب ، ٧ - الحزب التيوقراطي الحر .

كل عدد الموامي سوءت النظام التيوقراطي ، سالت حول عدم نظام حزبي كما حالت دون قطور اي نظام تيوقراطي ، اذ هناك عدد عظم طبيعياً ، ربما تصرف معظم هذه الدهان بمرحلة معين للاستفادات فقط . ففي ورتمبرغ بادن ، في دورتين انتخابيتين ، يسرف على الانتخابات وتقوم ٣ احزاب فقط ، وبذلك يؤمن ، تكتلة ساحقة ، في مجلس النصوص ، وباستطاعة اي حزب ، في مثل هذه الظروف والاوضاع ، ان يؤمن له الفوز بعدم يقاعد وهو ٣٠ مقعد في البرلمان حسب يكون في الورقة او في صفوف المعارضة

٧ ـ مصطفى الأحزاب الاشتراكية والشيوعية المشروعة

لم يكن من اليسير تصوري ، على القوى التقليدية المحافظة ، ان تفرض نفسها الا تحت جو من الاوضاع والظروف الاستثنائية التي تعطل فيها الحياة الحزبية وتلغى فيها الحريات العامة ، وتتركز السلطات كلها في يد الحاكم المطلق . ولكن ما كان يمكن تصوره ، على الاقل في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، هو ان تستطيع هذه القوى ان تستأثر بالحكم وحدها ، وان تحتكر السلطة السياسية ، وتستبد بالرأي والتصرف ، دون ان تجد امامها اية قوة حزبية منظمة ، او اية حركة شعبية ذات وزن ، تستطيع ان تقف في وجهها ، او تحد من طغيانها واستبدادها ، او تحاسبها على تصرفاتها وسياستها ، او تطالبها بتقديم الحساب عن اعمالها ، او تحاول ان تحل محلها في الحكم ، او تعمل على تغيير الاوضاع التي تسمح لها بالاستئثار بالسلطة والاستبداد بالحكم .

ولكن هذا هو ما حدث بالفعل في مصر ، وهو ما استطاعت القوى الحاكمة ان تحققه بالفعل ، وان تحافظ عليه ، وان تستمر في تحقيقه والمحافظة عليه ، طوال السنوات الثلاث التي اعقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وحتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وقد كان من الطبيعي ان تستغل القوى الحاكمة ، في هذه الفترة ، ما كان يسود العالم كله من اضطراب وفوضى ، وما كان يعانيه من ارهاق وانهاك ، وما كان يتعرض له من ازمات وتقلبات ، لكي تحكم قبضتها على الحكم ، وتوطد سلطانها على الحياة السياسية ، وتقضي على كل بوادر المعارضة الحقيقية ، وتحول دون ظهور اية قوة حزبية منظمة ، او اية حركة شعبية ذات وزن ، تستطيع ان تقف في وجهها ، او تحد من طغيانها واستبدادها ، او تحاسبها على تصرفاتها وسياستها ، او تطالبها بتقديم الحساب عن اعمالها ، او تحاول ان تحل محلها في الحكم ، او تعمل على تغيير الاوضاع التي تسمح لها بالاستئثار بالسلطة والاستبداد بالحكم .

ولكن هذا هو ما حدث بالفعل في مصر ، وهو ما استطاعت القوى الحاكمة ان تحققه بالفعل ، وان تحافظ عليه ، وان تستمر في تحقيقه والمحافظة عليه ، طوال السنوات الثلاث التي اعقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وحتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وقد كان من الطبيعي ان تستغل القوى الحاكمة ، في هذه الفترة ، ما كان يسود العالم كله من اضطراب وفوضى ، وما كان يعانيه من ارهاق وانهاك ، وما كان يتعرض له من ازمات وتقلبات ، لكي تحكم قبضتها على الحكم ، وتوطد سلطانها على الحياة السياسية ، وتقضي على كل بوادر المعارضة الحقيقية ، وتحول دون ظهور اية قوة حزبية منظمة ، او اية حركة شعبية ذات وزن ، تستطيع ان تقف في وجهها ، او تحد من طغيانها واستبدادها ، او تحاسبها على تصرفاتها وسياستها ، او تطالبها بتقديم الحساب عن اعمالها ، او تحاول ان تحل محلها في الحكم ، او تعمل على تغيير الاوضاع التي تسمح لها بالاستئثار بالسلطة والاستبداد بالحكم .

شارك في تحرير الأعداد الأولى من الكتاب الذي قام به كاتب وثروة ، في أيار ١٩٢٢ . التقى بعدها بالعديد من المفكرين في عالم السياسة . وبعد ذلك حين أعلن الاتحاد السوفياتي عن برنامج الإصلاحات الذي وضع بالتعاون الكامل مع لينين ، وتضمن مطالبهم على حل المشكلات ، وطلب المفكرون الى سائر أصدقاء الطبقات الأخرى في الصفحات الرئيسية في البلاد . كانت من الصفحات الكثيرة التي قدمت ، بالضرورة الأولى ، لعدد من المسائل التي تواجه الحكومة ، ولم يجد سوى القصير من عدد المقالات التي سألت من الحكومة ، لتحدد مدى رغبة وقدرتها على تحقيق الإصلاح في حزب الدستور على ، ولي سبيل المثال ، لم يتعرض الحزب الكاديتي الا لمسألة واحدة فقط ، وهي ان الصلاحيات التي تمنحها الحكومة للمجالس المحلية ، إنما تحظر فقط ، وهي في الحقيقة ، لم تعد في الحكومات عام ١٩٢٨ ، وأعلن أحد أعضاء الحزب ، في الاجتماع الذي عقد في الأسبوع الثاني ، أن الحزب لا يستطيع أن يتخذ أي موقف من المسائل التي تتعلق بالإصلاح الزراعي ، لأن الحزب لا يعرف ما هو موقف الفلاحين ، وفي الوقت الذي يعتقد فيه الكثير من أعضاء الحزب ، وهم على حق ، أن الفلاحين يؤيدون الإصلاح الزراعي ، فإن الحزب لا يستطيع أن يتخذ موقفاً ، لأن الفلاحين لا يعرفون ما هو موقفهم .

وقد عرفت هذه الانشقاقات في حزب الدستور الديمقراطي ، الذي تأسس في أكتوبر ١٩٠٥ ، وكان يضم في عضويته في مطلع عام ١٩٠٦ ، ٣٥ عضواً ، وفي أواخر عام ١٩٠٦ ، ٧٠٠ عضو ، وفي أواخر عام ١٩٠٧ ، ٣٢ عضواً ، وفي مطلع عام ١٩٠٨ ، ٧٠٠ عضو . وكان الحزب على الدوام يحرص على الاحتفاظ بالأغلبية ، وكان يتألف في الغالب من الأعضاء الذين ينتمون الى الطبقة الوسطى ، وكان أعضاء الحزب الأساسي في موسكو ، ٥٠٠ عضو ، وفي بطرسبرغ ، ٥٠٠ عضو ، وفي الأقاليم ، ٥٠٠ عضو ، وفي فنلندا ، ٥٠٠ عضو ، وفي القوقاز ، ٥٠٠ عضو ، وفي سيبيريا ، ٥٠٠ عضو ، وفي أوكرانيا ، ٥٠٠ عضو ، وفي بولندا ، ٥٠٠ عضو ، وفي البلطيق ، ٥٠٠ عضو ، وفي الجيش ، ٥٠٠ عضو ، وفي البحرية ، ٥٠٠ عضو ، وفي الشرطة ، ٥٠٠ عضو ، وفي الجامعات ، ٥٠٠ عضو ، وفي المدارس ، ٥٠٠ عضو ، وفي المستشفيات ، ٥٠٠ عضو ، وفي المصانع ، ٥٠٠ عضو ، وفي المناجم ، ٥٠٠ عضو ، وفي السكك الحديدية ، ٥٠٠ عضو ، وفي الموانئ ، ٥٠٠ عضو ، وفي المطارات ، ٥٠٠ عضو ، وفي المحطات ، ٥٠٠ عضو ، وفي المكاتب ، ٥٠٠ عضو ، وفي المحاكم ، ٥٠٠ عضو ، وفي السجون ، ٥٠٠ عضو ، وفي المستشفيات ، ٥٠٠ عضو ، وفي المدارس ، ٥٠٠ عضو ، وفي الجامعات ، ٥٠٠ عضو ، وفي المصانع ، ٥٠٠ عضو ، وفي المناجم ، ٥٠٠ عضو ، وفي السكك الحديدية ، ٥٠٠ عضو ، وفي الموانئ ، ٥٠٠ عضو ، وفي المطارات ، ٥٠٠ عضو ، وفي المحطات ، ٥٠٠ عضو ، وفي المكاتب ، ٥٠٠ عضو ، وفي المحاكم ، ٥٠٠ عضو ، وفي السجون ، ٥٠٠ عضو .

وفي البلدان معك لا تشريع لتنظيم العمل ولا اتفاقات جماعية ولا تحديد لساعات العمل في اليوم و أو ... جا سوعة حظياً يرجع في الشهر الأخير ، الطبعة الأصلية بالكاد ، بعد عام ٩٢٧ ، و عندت لم تكن المهالبة هي تنظم. ينزوه ، بالرغم من ضغط الأس التي تمارسها ومضايقاته ، وبالرغم من القوانين التي صدرت عام ١٩٢٥ و ١٩٢٨ ، وفي عدد السنة الأقدام أنواع العمل بأحكام قانون الاشتراع العام ، مثلاً. ... كبير الصحيون إلى الخامس الأصلي عاش في لا تزال تعد عصبته. ومع ذلك فهي آخذة بالتطور الصاعد وتكتسب إذ ارتفع عدد حزب العمال من ٣٥٠ إلى ٧٥ عام ١٩٣٥. إلا أن قرار المستشرق حسب عضلة إذ تحت الأوامر التي صدرت عام ١٩٢٩ تنص على التنظيمات المهالبة فحسب ، بين أيضاً ، على العمل الجماعية الرضائية.

الأحزاب السياسية ... في توسع التوحيدي ... ابنا كاثر ... ان مدينة دور أ جدر أ في أي ... وقائع ... في اجتماع السادسة في أي بلد ، بالنظر ... كاثر خطيراً ، من التعرقة والتكاثر على النص والنظير ... تقوم بينهم وبين الأحزار كل من صنعي وحمدوية إلا من طريق النقابات العمالية التي هم في صفوفها بقدر كبير من التأثير ... بعض الأفراد ... فتستطيع في كل من تركيا وفي الولايات المتحدة الأمريكية صعوبة جداً ... أما في الاد ... فالطريق التشريعي فيها يجد تعاطف لدى بعض النساء في الحزب الديمقراطي ، ولدى كما مؤلاً الذي ... أعضائهم من التعاون الذي قام بين الاتحاد الكبير الديمقراطي ... وبين الاتحاد الجمهوري الحزب الجمهوري كان أهم من الأكبر والتعاضد الأول الحركات التي ... في سنة ... ٩٢٣ في مقاطعات الباسكي ... مع ... الجمهوري في الغرب ... الا ان احتمال التنسيق الى ... يهم من هذا لا يزال ... فيها ولا سيما ... رغم ذلك ، فقد ... من مرشحهم الثلاثة ... ينتمون ... عضو الجمهوري ، أكثر من مندوب سبعة عشر ... في سنتين ما ٩٢٥ ... وعدد ... الذي ... الحزب ... ذلك الفاصل ... عشرة ... في الانتخابات العامة ... التي ... عام ٩٢٤ و ١٩٣٤ حيث ... السبعة التي ... من أصوات الناخبين ... ما ... أما ٦ ٧ و ٦ ٪.

و حزب الشيوخي الفرنسي ... حيث عدد ... ٣٠٠ عضو عام ١٩٢٠ إلا أنه ... والتحق من عضويته ... الفلاحة ... وأبناء الصناع ... المأجورين ، ... لكن ... عام ١٩٣٥ ... ٢٠ عضو ... الدكتاتور ... تنظيم على ... شبيهة ، عدد ... قبل كل شيء ، في العمل الانتخابي ... الحزب ... الشاشة ... الشغل ... و ... ذلك ... خلال ... الصلة بين صفوف ... والأعضاء ... وتأهيلهم للإعلام والتعبئة ... فاختلال ... تنظيم ... الحزبية ... سنوي ... الوقت ... وتعبئة ... الجماعات ... تنظم ... كثير من ... والجماعة ... الأعضاء ... أي ... وفقاً ... التي ... بحث ... الناس ... على ... والتنسيق

الفصل الخامس عشر

كان من نتائج الحرب العالمية الأولى أن تحركت المسألة الشيوعية في جميع أنحاء العالم تحركاً لم يسبق له مثيل. وقد أدى انتصار الثورة البلشفية في روسيا إلى تأسيس الأممية الشيوعية، التي أصبحت تضم في صفوفها أحزاب الطبقة العاملة في جميع البلاد الصناعية تقريباً. وقد أدى انتشار الأفكار الشيوعية إلى ظهور حركات قومية في البلاد المستعمرة، وإلى تغيير جذري في سياسة الدول الكبرى. وقد أدى انتشار الأفكار الشيوعية إلى ظهور حركات قومية في البلاد المستعمرة، وإلى تغيير جذري في سياسة الدول الكبرى.

وفي هذا الفصل سنتحدث عن الحركة الشيوعية في مصر، وعن المشكلات التي واجهتها، وعن الطريقة التي حاولت بها أن تحل هذه المشكلات. وسنرى كيف أن الحركة الشيوعية في مصر قد تأثرت بالظروف المحلية والدولية على السواء، وكيف أنها حاولت أن تجد لنفسها مكاناً في وسط هذه الظروف المتغيرة.

وقد بدأت الحركة الشيوعية في مصر في أوائل العشرينيات من هذا القرن، وكان أول ظهور لها في عام ١٩٢٠ حين أسس بعض المصريين الذين كانوا يعيشون في أوروبا جمعية سموها «الجمعية الشيوعية المصرية». وقد أصدرت هذه الجمعية مجلة باسم «الشيوعية» كانت تدعو فيها إلى مبادئ الشيوعية وتشرح أهدافها. ولكن هذه الجمعية لم تعمر طويلاً، إذ سرعان ما تفرق أعضاؤها وتوقفت عن العمل.

ثم ظهرت بعد ذلك عدة جمعيات شيوعية أخرى، ولكنها كانت جميعاً ضعيفة ومحدودة التأثير. وكان السبب في ضعفها أن الشيوعية كانت فكرة غريبة على المجتمع المصري في ذلك الوقت، وأن الطبقة العاملة المصرية لم تكن قد نضجت بعد بالقدر الذي يجعلها تتقبل هذه الأفكار الجديدة. وقد ظلت الحركة الشيوعية في مصر ضعيفة ومحدودة التأثير حتى قيام ثورة ١٩٥٢.

وقد كان من أهم العوامل التي أعاقت تقدم الحركة الشيوعية في مصر هو أن الحكومات المصرية المتعاقبة كانت تعتبر الشيوعية خطراً على النظام القائم، وكانت تضطهد الشيوعيين وتزج بهم في السجون. وقد أدى هذا الاضطهاد إلى أن يعيش الشيوعيون في سرية تامة، وأن يعقدوا اجتماعاتهم في أماكن مختفية، وأن يتبادلوا منشوراتهم بطريقة سرية. وكان من نتيجة ذلك أن انعزلت الحركة الشيوعية عن الجماهير، وأصبحت حركة نخبة صغيرة لا تؤثر في مجرى الأحداث إلا قليلاً.

ومن أهم العوامل التي أعاقت تقدم الحركة الشيوعية في مصر أيضاً أن الحركة الوطنية المصرية كانت تسيطر عليها البرجوازية الوطنية، التي كانت تعتبر الشيوعية عدواً لها. وقد أدى هذا إلى أن تتحالف البرجوازية الوطنية مع الحكومات المصرية المتعاقبة في اضطهاد الشيوعيين. وقد أدى هذا التحالف إلى أن تفقد الحركة الشيوعية أي أمل في أن تجد لها سنداً في الحركة الوطنية.

الحادية الرد

خلاصة

وحركة تيار السكان بين الطبقات العليا ، سواء في الريف او في المدن وطابع التركيز الذي ميز الشرعيات الاسبرطية ، وطبيعة الطبقات المرتبطة على اجهزة الحكم فالولايات المتحدة وسعها بين هذه القوى هي التي عرفت ان تكشف عن بعض من هذه الاتجاهات الرئيسية البارزة السكان بينما كانت بريطانيا العظمى قد بلغت مستوى عاليا من التصنيع الحضري والتجاري القديمين عرفت البلدان الاخرى حماة مضطربة لا تستقر فيها ولا تكون كما عرفت قارات متباعدة من الاربعة تبدت جميعا لا تدع مجالا لشك حسن الوسائل والاساليب التي استخلص الانسان وسخرها لاعادة الـ والمهب السريع الذي يسيطر على هذه السنة وهذا الرضع ومرحلة القطب الذي بتدرض له ، ستكون من شأن أزمة ١٩٢٩ الحادة ان توسعها وتبرهن بجلاء المبيان

نهضة الحياة الفكرية والعلمية

و أحد الانسان يعرف نفسه ويقيم حقيقته كما
حاول، وأنا في هذه الرحلة كما بدأت بالنفس مرة
مؤلفة في عالم متحرك متغير، استمرار »
ج. بارك

في الوقت الذي مهدت فيه أوروبا لنفض سباتها وزوال سيطرتها الذاتية ، كانت هذه الفترة مسرحاً للنشاط الفكري المتواصل طرح كل منها البحث من جديد كنتيجة لمطلب ضمنه الكشوف العلمية التي تم الوصول اليها خلال مطلع القرن كل المناهج التي قامت عليها المعرفة العلمية وما الى ذلك من تيارات فلسفية وكان من بعض نتائج الهزائم الفكرية التي مثلتها الحرب العالمية ، وبعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي الذي ساد أوروبا والعموض الذي يحيط في النفوس النظريات العلمية الجديدة والرغبة الصادقة في اعادة التوازن الجديدة التي وجدت في العالم ، بوجه ، على درجات والجانب مثقفة من الوضوح ، في كل مجالات الفن والفكر إزاء حالة التعقيد والقلق لتحتم اصلاح ثوري عقلاني تتناول كل مظهر من مظاهر التعبير

كان مطلع القرن العشرين حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، يمثل روح من التفاؤل العقلاني الذي تركت في النفوس الفكر الثامن عشر وبعض القرن التاسع عشر ، وهو التفاؤل مظاهره وعوامله العلم المطور ، ان الانسان يحكم به عن الا وثقة معلومات ومعادي، خلاقة ، اي حتمة ومع ذلك فان القرن ١٩٢٠ يبدأ كثيرون يعده الانقلابية هيئة النفاؤل ، في القرن التاسع عشر بشخص كبير كبشارة سعيدة فاكثر من الاساس وتقدم في الافق الزمنه خرجاء تهدد بالفناء الحرب الدمار وات قلقة وكوارث الفلقي محتمل ، بل ايضا هيئة الانسانية بسبب التحضر الذي من عصر الانبعاث في القرن السادس عشر

نمو الفكر الفسيحي

الثورة في العلوم الفيزيائية

[illegible] في هذه السنوات [illegible] في هذا الجانب [illegible] في جانب آخر [illegible] الفسيحي [illegible] الذي [illegible] العلوم [illegible] أسس الرياضيات [illegible] نظرية [illegible] في [illegible] ما [illegible] من جديد [illegible] أسس الرياضيات [illegible] وهكذا [illegible] نظرية [illegible] جديدة [illegible] الذي [illegible] ما [illegible] نظرية [illegible] الفسيحي [illegible] نظرية [illegible] أسس [illegible]

بارث اللاهوتية ، هذا اللاهوت اللاعقلاني ، لاهوت قانون الايمان المجرد من كل يقين فكري ، وهكذا طلعت فلسفة هايدغر تعبيراً صادقاً عما كانت عليه الحيـــاة الفكرية في المانيا : اللاعقلانية المثالية .

ولما كانت هذه الفلسفة تنهض اساساً على المبدأ القائل بان العالم البشري يخلو تماماً من معيار للقيم المطلقة ولا معيار له سوى المعيار الذي يعطيه هو نفسه ، فقد نقل الى المجـــال الفلسفي المعايير والمقاييس التي استخدمها في المجالين الادبي والفني منذ مطلع القرن والتي راحت الحرب تزكيها وتبررها . منها إطلالة مبدأ الخلف او المحال لأول مرة . وان وجودنا ينهض على أرضية من العدم او اللاوجود، وان « الفلسفة ليست سوى الانشغال بما يسبب الكرب واليأس » . فعلى الانسان والحالة هذه ان يخلق بنفسه قواعد سلوكه ومعايير القيم التي يعترف بهـــا ، بينما نرى كارل ياسبرس الذي يعتبر مع هايدغر خير ممثل للوجوديه متحرراً من اليأس والخلاص عن طريق اعتقاده بالله .

ازمة للعلوم البشرية : السيكولوجيا وعلم الاجتماع

اضطر كل من علم النفس وعلم الاجتماع ان يعيـــدا النظر ، من الأساس ، في المناهج التي اعتمداها حتى الآن وسارا عليها . ففي مجال علم النفس تجاوز التفكير البشري بمراحل ، الاستبطان الذي لم يعد من العـــلم بشيء ، كما تجـــاوز بعيداً علم النفس الطبيعي . وطريقة الشكل او (الجشطل) ، وعلم النفس التجريبي او الاختباري الذي حاول الروس تشييده على ضوء الانعكاسات المشروطة التي قال بهـا بافلوف ، وسلوكية الاميركيين ، وطريقة الروائز التى جروا عليها في فرنسا والمانيا ، كل هـذه الطرائق السيكولوجية ، قد كسفتها طريقة التحليل النفساني الذي وضعها فرويد في هذه المؤلفات التي اصدرها قبل الحرب وبعد عام ١٩١٧ والتي لقيت رواجاً عظيماً ولا سيما في اميركا تاركة اثراً عميقاً في الأوساط الأدبية والفكرية والفنية ، وبين علماء الاجتماع والاحيائيين . فقد شدد فرويد على اللاوعي او اللاشعور خصوصـــاً مدللاً على ان العصـــابي هو انسان « مكبوت » (من جراء الصعوبة التي يلاقيها في استحضاره لبعض الصور البديهية) . فاللاشعور هو المكان الذي تتجمع فيه المكبوتات التي تسبب الامراض ولا سيما هذا النوع من الكبت المتعـلق بالجنس ، إذ ان الاصابة غالباً ما يكون منشؤها ، الأمور المتعلقة بالحياة الجنسية في المريض . ان ادق الاعمـال التي نأتيها ، والافكار التي تجول في خاطرنا هي مرتبطة ، بغير وعي منـا ، بقوة لاشعورية قد يعود اصلها احياناً الى الطفولة الاولى. فهذه الحياة الخفية المستترة التي يحياها بمعزل عن الحس الواعي ، هي التي تحرك العالم وتقوده بالفعل . اما علم الاجتماع الذي اتخـــذ في اثر هربرت سبنسر ذريعة للبحث عن النواميس التي يخضع لها تطور المجتمعات البشرية باعتبار ان التاريخ ليس سوى تطور البشرية في خط سويّ ، فهو يطبّق في دراسات هذه المجتمعات ، الاكتشافات السيكولوجية ، الكبرى التي وقعت في مطلع هذا التاريخ ، كما انه يوجه الانتبـــاه الى قضايا جديدة حرية بالدرس والبحث . فعلماء الاجتماع ، ولا سيما الاميركيون منهم يرون المجتمع

حولهم ، في تطور موصول . فالمدن تنشأ كالفطر ، وتطل علينـــا ، عن طريق الهجرات ، شعوب جديدة ، كما نشاهد عن كثب اختلاط العروق والسلالات البشرية ، ويولون اهتمامهم الاول لتفهم الحقيقة كما تبرز في حياة المدن بكل ما لها وفيها من حيوية عارمة ، والكشف عن العوامل التي تتحكم بالتطورات الاجتماعية ، وما عسى ان تكون عليه المسلّمات العددية التي تربط ما بين هذه الظاهرات وتشدها بعضاً الى بعض . وقد برز من هـــذه المناقشات السياسية والجدليات الاجتماعية ، نظريات عديـــدة حاولت ان تربط بين تسلسل الامور وبين غلَف الشمس او الاحوال الجوية المسيطرة ، كما تحاول ان ترى في العروق البشرية العوامل الاصيلة في تكوين هذه المجتمعات البشرية ، من ذلك مثلاً علم الاجتماع الصوري الذي قال به تونيز بعـــد ان تجاهل مادة الحياة المجتمعية ونظريات باريتو الذي لقب بحق « كارل ماركس البورجوازية » وونيارسكي الذي طلع علينا بنظرية اللامساواة الضرورية ، و « علم الاجتماع الشامل » الذي قال به ماكس ويبر الذي بعد ان ميّز في دراسته للرموز او الانماط اربعـــة « انواع من العمل » ردّ كل شيء الى « سلوك الفرد الشعوري » . ونظرية دلثي الذي يسيطر كليـاً على التيار الذي يضع العلوم الطبيعية وجهاً لوجه مع العلوم الانسانية .

أما في فرنسا ، فقـــد ربطت مدرسة دوركهايم بين عـــلم الاجتماع وبـين الاثنوغرافيا او الاثنوبولوجيا الوصفية . وراح دوركهايم يشدد ، بعكس ليفي برولهل الذي شدد بدوره ، في القسم الاول من آثاره العلمية ، على التعارض القائم بين المنطق وما قبل المنطق (ميزة البدائي غير المتحضر) على استمرار او ديمومة هـــذه الروابط ، الأمر الذي ينقض من الاساس نظرية تفوق الابيض على الملوّن ، بينما يحاول موسّ ان يثبت لنـا « ان الواقع الاجتماعي الكامل » لا يجد ملء مدلوله الا إذا دخل بنياناً اجتماعياً كاملاً . وهكذا نرى ان علم الاجتماع يتجـه نحـو « الجماعات » الـتي تتألف من الفئات الاجتماعيـة . وهـذا ما يسميه سوروكين : الديناميكا الاجتماعية الحضارية للجماعات . وهكذا ينزع علماء الاجتماع الى التخفيف من شأن العوامـل الاجتماعية الخارجية (كالمناخ مثلاً) ، وللادراك المتصاعد بان اثر هذه العوامل ليس بالضرورة قاطعاً ، وبأن المجتمع البشري ليس مجرد طبائع سيكولوجية فردية متجاورة او متلاصقة ، وان هنالك « وعي اجتماعي » . ومع ذلك ، فالسيكولوجيا الاميركية التي تجاهلت باستمرار النظرية التي قالت دوماً بفئات مميزة واقعية ، تحمل عميقاً اثر الأزمة الكبرى . فسوروكين يقيم في وجه نظرية ماركس ، نظرية الطبقة الاجتماعية ، هذه النظرية التي تقول بان الشعور الطبقي انمـا ينشأ في الذهن ، من مجرد تصور الدور الذي يمكن لفئة مجتمعية ما ان تلعبه في وسطهـا الاجتماعي ، وليس من وعي الاحداث الاقتصادية والاجتماعية المتصلة بهذه الفئة . فهو يرى ان « الطبقة » التي تتألف ، في نظره ، من عناصر ناشطة ، كثيرة الحركة ، لا يمكن لهـا ان تؤلف فئـة مضادة لاخرى . وبهذه الذهنية ، ومناهضة منه للايديولوجيا الماركسية ، راح العـالم النفساني ج. ل. مورينو يضع نظريته في التحليل النفساني الاجتماعي الذي يرغب في ان يطبق على التصادم

الفنوي ، تقنية التحليل النفساني حلا منه للمشكلات الفردية (في كتابه « من سيبقى » الذي صدر عام ١٩٣٤) ، وذلك لانقاذ العالم من المشكلات التي تباعد بين ارباب العمل والعمال ، هذه المشكلات التي لا تخرج عن كونها امراضاً اجتماعية عارضة لا بد من معالجتها معالجة سيكولوجية .

وهكذا يرقى علم الاجتماع ببطء كلي الى مرتبة علم مستقل يُعنى بالمجتمعات البشرية ويترك اثره الظاهر على العلوم البشرية الاخرى : على الاقتصاد مع فرنسوا سيميان ، وعلى التاريخ ، مع مارك بلوك ، فعلم التاريخ يفيد الى اقصى حد من عمل علماء الآثار وعلماء الاقتصاد وعلماء الاجتماع فيوسع من نطاق افقه ويعمل على تجديد او عصرنة معلوماته حول الحضارات التي سلفت والتي نرى انفسنا في جهل مطبق عنها : كالاتروسك مثلاً والصين القديمة والسومريين والحضارات الأخرى التي تقدمت كولمبوس . وهو يؤثر ان ينصرف الى تحليل الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والظروف التي اكتنفت حياة الناس في الماضي السحيق .

سدد التطور العلمي ، ولا سيما تطور العلوم الانسانية ، ضربة قاسية للعقلانية وللحتمية : فقضيا معاً على العقل الشامل والقيا ضوءاً جديداً على مفهوم النسبية وعلى الدور الذي يلعبه اللاشعور ، وشدّدا على الدور الذي تلعبه القوى الخفية اللاعقلانية التي تحرك الانسان وتوجه نشاطه . هذا الموقف اللاعقلاني عاد بفائدة ملحوظة على العقائد الايمانية وعلى التقريرية في بعض ملامحها ، مع انه اطلق ، في بدء الامر ، في كل المجالات ، ولا سيما في مجالي الادب والفن ، ردة فعل صاخبة ضد التقاليد التي اصبحت موضوع شك في الوقت الذي اخذت فيه تجربة الحرب وما بعد الحرب ترسخ في قلوب الناس ونفوسهم التشاؤم والقلق .

٢ — الثورة الادبية والفنية

عندما يدور الحديث عن الادب والفن لا تعود الاشارة الى الزمن لتكتفي او لتفي بالغرض ، اذ ان تجدد وسائل الاعراب عن المشاعر النفسية يتم في جو يجيش بالثورة والغليان هو على اتصال وثيق بالثورة العلمية والفكرية .

المناخ الجديد

اول ما يطالعنا في هذا المجال منذ بزوغ القرن ، روح ثورية تهب في وجه الملأ البورجوازي « الثقيف » غير المتفهم والمتخلف في براءة فخره ومباهاته ، وضد الاعراف الاكثر رعاية وقبولا لدى الرأي العام. وتحاول الموسيقى من جهتها التملص من هوس التلوين والميلوديا اللانهائية الواغنرية ، كما يذهب فن الرسم بدوره للبحث عن البيان التصويري والتعبير عن الحجوم بعد ان ادارت التعبيرية لها ظهرها واعرضت عنهما اعراضاً كلياً . واخذ الكتّاب بردة عنيفة ضد واقعية زولا بحيث يكونون لهم رؤى جديدة عن العالم . الا ان حركة التسارع التي اتخذتها حركة التطور التي أَلمتْ بحضارتنا المادية ، والدوي الذي احدثته

في العالم الكشوف العلمية الحديثة ، والتغييرات الجذرية ، التي تحمل هي الاخرى سمات النسبية : ليس بعد من سلّم او معيار قائم بذاته ولا من فضاء قائم بذاته ، ولا من ابعاد قائمة بذاتها ، ولا قواعد للقريض بحد ذاته . وهذه الثورة في وجه توماس بدت فجأة وكأنها إصلاحية صحبتها ولازمتها ردة فعل ضد « الواقعية » وضد موضوع المدلول العام الذي « خيّل للجميع انه قائم بذاته بينما المعنى او المفهوم الذي نوليه اياه ينبع من سريرتنا لحن. فكل صاحب فن او موهبة من رسام الى شاعر الى موسيقار الى كاتب اخذ يعي ، اكثر فاكثر ، بان عليه ان يستنبط طريقته التعبيرية الخاصة ، ولغته الخاصة لينقل لنا الصورة التي تبدو له عن العالم . وهذه الذهنية تفسر لنا ما للفن الزنجي من اثر عميق اذ من بعض حسنات هذا الفن ان يأخذ وئيداً بيد الفنان الى دنيا الفن التشكيلي الجديد عنده ، كما يبين ما في الآداب الشعبية ، على انواعها من سحر وفتنة واغراء ، وعنها يصدر ريتان مترعاً مانويل دافالا وجورج إينسكو ، وبيلا برتوك وفيلا لوبوس .

والميزتان اللتان تسمان الادب والفن الحديثين هما العمومية او الشمول والاممية . فتحت التنوع القومي والامزجة الفردية المتباينة ، نرى الثورة ذاتها تهب في وجه مجتمع بورجوازي متعصب لقوميته وفعال في تماوله ، وشعوراً مشتركا بتأجيج ثورة عميقة في قلب الانسان وفي صميم العلاقات التي تشده الى العالم . ففي البحث عن صور جديدة ، هنالك ليس ردة فعل ضد ما هو رسمي او ضد ما هو موافق فحسب ، بل ايضاً البحث عن انسانية جديدة حيث لا اثر قط لهذا الكائن العقلاني ، كما يراه المذهب العلمي راضياً ، واثقاً بنفسه ، المتشارف في خيلاء انه سيد العالم حيث يسود اللامعقول واللاخلقي (في المفهوم البورجوازي للكلمة) ، له حق الرعوية ، بل ايضاً حيث الانسان الذي تحرر من معبوداته واوثانه ، وحصل على العلم الجديد اخذ يعي ما أوتي من حرية خالقة ، مبدعة بالنسبة لعالم الكائنات بحيث ان في الوقت الذي تبدو معه متحكمة بالقضايا والمشكلات الخاصة بالطبع ، نحن بالفعل نكون امام محاولة للتعبير عن الانسان الجديد الذي اطلّ علينا وعن مشاعره الجديدة ، وعلاقته الجديدة بالكون ، وهي محاولة تطبع في الصميم كل مآثر هذه الحقبة . والفن لم يعد يفرق بصورة مصطنعة ، بين مشكلات المبنى والمعنى او المحتوى والمحتوى . فهو يبحث بالاحرى عن صيغة تصلح للتعبير عن المحتوى البشري .

الحرب وما بعد الحرب

هذا التقاطع المزدوج مع الصورة القديمة للاشياء ، ومع هذا المجتمع الذي يتناقلها ، اضفى على الفن وعلى ادب ما بعد الحرب ، السمة البارزة التي تميزها ونفرّدها ، كانت الحرب في نظر الكثيرين ، حادثاً جهنمياً وشروداً للعقل السليم عن محجة الصواب تحت ستار المحافظة على القيم الروحية والوطنية من وراء الحفاظ على مصالح وسيخة .

فالسأم الشامل والردة العامة بعد هذه السنين المديدة من الضغط المرهق التي وجدت تعبيراً

لها في هذه الاضطرابات الاجتماعية التي انفجرت والمطالب السياسية التي انهالت ، يقابلها ، من الجانب الادبي والفني ، هذا الاختمار العام في الافكار الذي زرع الشك في كل ما اصطلح عليه المجتمع وتبنّى من تقاليد واعراف ، ويبرر احياناً بفجور ما نشاهد من حمى الاندفاع نحو الملذات دونما تمييز او خيار ، وحمى التكالب على التحرر والانعتاق التي جاشت بها طبقات المجتمع على اختلافها . وهذا الغليان الشامل لم يهدأ الا بعد عام ١٩٢٥ ، عندما بدا للجميع بارقة أمل بالوصول الى الاستقرار المنشود .

عند المنتصرين

بعد ان هدأ هزيم المدفع المدّوي ، وبعد ان وضعت الحرب اوزارها ، راح الجميع يحاولون تناسي كابوس الخنادق الذي اناخ بكلكله على الصدور . فتحت ستار شفاف من التفاؤل واللامبالاة عند البعض ، نرى بوضوح ما يسامر افكار الناس وقلوبهم ، في هذه الحقبة ، من قلق او اضطراب وتشاؤم ، يتجليان على اتم شكل بالتهرب بجميع الوسائل مما يرهق ويقلق ، وبالرغبة في التمتع بملذات « الحياة المادية » والتحرر من الاعراف والمحرمات . وفي هذه الاثناء أطل علينا عاطفيون بشهرة واسعة ج. كوكتو وهنري دي مونترلان وألدوس هكسلي،واندريه جيد المشبوهة الذي رأى ان العمل لا قيمة له الا في مجانيته ، اي خالياً من كل معنىً إنساني (راجع كتابه : « اقبية الفاتيكان ») . وراحت الشبيبة البورجوازية تلتهم كتابه الآخر : « قوت الأرض » المنشور عام ١٨٩٧ الذي لم يُبع منه خمسمائة نسخة في خمس وعشرين سنة لما فيه من دعوة الى نبذ ورذل كل القواعد باستثناء الركض وراء اللذة . وفي هذه الحقبة بالذات ظهر التحليل النفسي الذي جاء ظهوره تبريراً أو تزكية لحركة التحرر من كل قاعدة أدبية فحظي باوسع رواج في العالم كله . في هذه الحقبة بالذات نشرت مؤلفات مارسيل بروست فعادت على صاحبها بالمجد الأثيل (بحثاً عن الزمان الضائع ١٩١٣ – ١٩٢٨) وكتاب جويس« اوليس » الذي ظهر عام ١٩٢٢ ، الاذان بدخلاننا بما فيها من استبطان دقيق، الى مرحلة جديدة من معرفة الانسان لنفسه معرفة جديدة . الا ان الرأي العام رأى فيها دعوة سافرة للقضاء على المتوارث من الأفكار والمبادىء الاخلاقية . ولهذه الاسباب ، كان اندريه جيد القائد الروحي لهذا الجيل كما رأينا كيف ان الفرداني الاهوج الذي على شاكلة هكسلي وبيراندلو يمثل التنافر العميق الذي يتخبط فيه الانسان في وسط عالم هو الآخر مصاب بالتفكك والتنافر ، انما يدل على ان معظم الناس ينصرفون بصورة اوتوماتيكية خالية من الصدق ، وبان هنالك دوماً تعارض فاضح بين نوايا الانسان وبين مواقفه وحقيقة تصرفه .

هنالك كذلك كل هؤلاء الذين يحدو بهم القلق الى الهرب : «الهرب هو الكابوس او الفكرة المستبدة لهؤلاء الذين تلهج قلوبهم بالتحرر وتشرئب نفوسهم الى الحرية » . فالانسان يهرب من ذاته بعد ان هرب من الله ... يهرب ليقع في الغرور وفي هذه الخزعبلات التي تخفي ، ولو لفترة قصيرة ، ما هي عليه النفس من جوع وفقر (بابيني) . فريق تقوده خطاه وهو هارب الى

الكلاسيكية الحديثـــة حيث لاوزن الا للجمال الصوري . فالشعر المجنح هو الشعر الكاذب الذي يخـــلو من كل معنى ومن كل محتـوى انساني حيـث تحـف" بكلمـة متنـاغم هالة من اللاعقلاني ومن العاطفي ، وهما المجالان اللذان يسرح فيهـــما الشعر المهفهف ويمرح . وقصة « *La Jeune Parque* » كأختهـا : « الارض المفقودة » لأليوت ، هما متزامنتان تماماً وتعبران بما فيهما من يأس ومن عجز ، عن ايمـان انسان العصر ، بعجزه وقصوره ، وعن رفضه للمجتمع الذي يحيق به . فهي كالموسيقى الصافية صدى" للعبارة القائلة : « نحن الحضارات على يقين الآن باننا صائرات الى العدم » ، هذه العبارة التي جاءت على لسان بول فاليري . فهذا الانسان الذي لم يعد ليهتم بشيء او يلتذ بشيء ، يتخذ من الجمالية ملجأ له ومعتكفاً لان الحضارة الغربية القائمة على نظرية تفوق الابيض وتفوق العرق الابيض الذي يستبيح لنفسه ترف الفردانية هي الآن في سبيل الزوال. وهناك من يتلفت باتجاه الكشف عن عـــالم نسيجه من الخيالات والمرئيات (كوكتو وجيرودو) ، باحثين عن تغير المناظر في الرحلة لاجل الرحلة او بحثاً عن عوالم مجهولة (فالاميركيون يهربون من اميركا ويقصدون اوروبا ، والكاتب الشيلي بابلو نيرودا ومالرو يتوجهان نحـــو الشرق الاقصى) او يهربون باتجـــاه الخطر والعمل على شاكلة سانت اكزوبيري او نحو مغامرات الروح : الفكـر الثابتة والسريالية .

خلافاً لما هو مسلم به عادة كسفت هذه المؤثرات تلك الـــتي تركتها وراءها شخصيات بارزة على غرار رومان رولان . « ان ضمير ... النفس الغربية التي لا تزال ترجو وتؤمن بالرغم من الاجتياح الذي تعرضت له » وشال نفوذ السياسي على نفوذ الادبي ، وروجه مارتن دي غار الذي رسم لنا في روايته : آل تيبو (١٩٢٢ — ١٩٣٩) المظـاهر التقليدية لمجتمع يحتضر ، وكلاهما من الروائع الاثيرة التي خلفها لنا الادب الفرنسي في هـذه الحقبـة ، وبرنانوس وفرنسوا مورياك اللذان حررا القصة الكاثوليكية من الادب التقوي برسمهما اناســـاً مسترسلين في الاثم واحياناً ثائرين في وجه ديانة متمسكة تمسكاً اعمى بالشكليات . هذا الجو المشبع بالمجانيـــة وبالهروب نجده كذلك في الرواية الانكلوسكسونية ، مع الكتاب الاميركيين من « الجيـــل الضائع » (سنكلير لويس الذي اعطانا بابيت) وسكوت فتزجيرالد وهمنغواي ودرايزر وجون دوس باسوس يهملون جانباً وينبذون عالما منصرفاً بكليته نحو الاستمتاع بالمـــلذات المادية ، وينصرفون الى نقد الحياة الاميركية نقد العائد من اوهامه بعد ان زالت القشاوة عن عينـــه ، او الذين يؤلهون العاطفة البهيمية أو يغرقون مع هـنري ميلر في عبادة حقيقية للجنس . أمـــا الكتاب البريطانيون ، وبينهم عدد بارز من مشاهير وشهيرات الروائيين امثال فرجينيا وولف وكليمانس داني ومارغريت كندي وروزاموند لمبان ، فهم يصفون لنا مجتمعاً رقيهـاً وحيوات مترعة ، عابثة ، بواقعية لا تتحرج من مواجهـــة الحقائق المـرة كما لا تتحرج قط من التعرض للمشكلات المحرمة السائدة للملكة فكتوريا ، واحياناً باحرج عبـــارة مع د. ه. لورانس او يسلقون بألسنة حداد عالماً يتخبط في الفوضى كما فعل ألدوس هكسلي .

المسرح

اما المسرح الذي كان يؤلف عام ١٩١٤ آخر معقل للمذهب الواقعي وللذوق في في سنة ١٩٠٠ ، فقد جرى بعثه من جديد مع المؤلفين المسرحيين الجـدد ومع المخرجين الذين تمكنوا من احداث ثورة في دنيا التمثيل . فهؤلاء المؤلفون المسرحيون امثال كوكتو وجيرودو وكلوديل الذين تعبر شاعريتهم « دونما حسيب او رقيب » عن « مآسي الحياة البشرية » ، وبيراندياللو الذي تقتصب امامنا من خلال مسرحه المتشائم ، هـذه الخصومة القائمة باستمرار بين نيـات الانسان ومشاعره وبين واقع سلوكه وتصرفاته . كل هؤلاء المؤلفـين يسيرون على الدروب التي عبّدها جاك كوبو في مسرح فيو–كولومبيه عندما خفض الديكور الى أدنى حد ممكن ، واولى حركات الممثل بعد ان جردهـا من كل ما يشوه روح المؤلف ويسخها ، ما يلزم من قناعة وبساطة ، كما فعل دولان في مسرح الأتلييه وجوفيـه في الأثينيه وبيتروف في مسرح المأثورين ، وباستقلال اوسع ، باتي في مسرح مونبارناس .

حول الدادية

هذا مذهب جديد في الفن جاء بعد لقاء تمّ ، سنة ١٩١٥ ، في نيويورك ، بين الرسام الفرنسي مارسيل دوشان والاسباني فرنسيس بيكابيا وعمدوه بهذا الاسم في مدينـة مونيخ ، تريستان تزارا في ندوة خاصة بالمبعـدين السياسيين من مختلف البلدان ، ثم تمركز ، منذ عام ١٩١٩ في باريس ومنها انطلق : البيان دادا ، هذا البيان الذي التف حوله واجتمع تحت شعاره فريق من الفنـانين والشعراء الاحداث الذين يرون في الحرب القضاء على كل القيم المقدسة ، وعفاء كل المواقع المكتسبة وفشل « النخبة » الذين اتحـدوا ليقوموا بالمذابح والقضاء على العلم الذي يشحذ عدة القتل والابادة ، وعلى الفلاسفة الذين يسعون دوماً لتبرير هذه الاضاحي وتذحكية الاسباب الدافعة اليها ، وعلى الفن الذي يحتفظ بروائعه الفنية لمصلى المريدين . والثورة التي تختلف عن الثورة التي قامت قبل ١٩١٤ ليست جماليـة فحسب ، فهي تجيش بهموم اجتماعية عندما تقع العين على النزيف المفجـع الذي استنزف دم الغـالب والمغلوب على السواء ، وعندما تتبين خواء اهداف الحرب (وهي اهداف لا تتعدى تعديل الحدود واقتسام المستعمرات بعد ان تكون الانسانية دفعت مثل هذا الثمن الباهظ) . فهم يرون في هذا كله انهيار النظم القائمة ولا سيما انهيار كل الحضارة . وقد عبر بول فاليري خير تعبير عن هذا كله عندما كتب قائلا :

« بعض آلاف من الكتاب والفنانين الشباب لقوا حتفهم في هذا الصراع الدموي . فنحن امام مرأى انهيـار حضارة اوروبا وبيدنا الدليل القاطع على عجز المعرفة البشرية عن انقاذ اي شيء ما ، وعلى اصابة العلم اصابة مميتة بعد ان رأى حماه وحرمه ينتهك من جراء التطبيق الوحشي والجهنمي لاختراعاته ، وعلى هـذه المثالية التي قلما خرجت منتصرة والمثخنة دوماً بالجراح ، خيبة الواقعية بعد ان غلبت على امرها واثقل كاهلها بالجرائم والذنوب ، وعزوف عن السواء بالجشع والتجرد ، واختلطت العقائد وغام مفهومها مع الزمن ، اذ كنا نرى الصليب ينتصب في وجه الصليب ، والهلال يقارع الهلال ، وهؤلاء المتشككين انفسهم ، بعد ان صارعتهم الاحداث المفاجئة وصرعتهم الذين يتلاعبون بتفكيرنا وافكارنا تلاعب الهر للفأرة . فقد اضاع هؤلاء المشككون شكوكهم لتعاودهم من جديد ثم يعودون ليفقدوها من جديد (ازمة الفكر ، ١٩١٩) .

وطلع عام ١٩٢٠ فيلهب فيهم العدمية ويطلع علينا بحو الدادية خلال هذه التمثيليات وهذه المعارض ، وهذه المظاهرات المخجلة التي تقتل في الصميم كل القيم ولا سيما الجمالية منها .

« ما من رسامين ولا من ادباء ، ولا من موسيقيين ولا من حفارين ، ولا من دباغات، ولا من جمهوريين او ملكيين، ولا من امبرياليين ولا من فوضويين ، ولا من اشتراكيين ولا من بلاشفة ولا من سياسيين ، ولا من بروليتاريين ولا من ديموقراطيين ، ولا من بورجوازيين ولا من ارستوقراطيين ، ولا من جيوش ولا من امن عام ، ولا من اوطان ... كفاية من هذه السخافات والحماقات . لم يعد شيء . شيء . شيء ، ولا شيء ... »

اما في المانيا ، فالحركة تلقى ترحيباً مزدوجاً للهزيمة التي انتهت اليها وللأزمة الاجتماعية التي نشبت اظافرها فيها ، فلم تلبث ان ارتدت طابعاً سياسياً . فهي بعكس ما كانت عليه في فرنسا ، فنية اكثر منها ادبية وأقل مركزية . فئة في برلين مع الرسام الهزلي للبورجوازية والروح العسكرية الالمانية هو جورج غروتز ، وفئة كولوني اكثر جذرية على الصعيد الاجتماعي مع بارغيلد وماكس ارنست وهانز آرب ، وفئة في هانوفر مع الرسام الشاعر كورت شويترز .

السوريالية

من هذا الاضطراب الفوضوي أطلّ علينا مذهب السوريالية ، أخصب التيارات الفنية التي طلعت علينا في منتصف هذا القرن . هو « المزوف عن كل مناحي الفكر والحس التي اعتمدتها الانسانية الكلاسيكية » في سبيل الرجوع الى الصدق ، وفي سبيل « تفادي اثر العقل المشوّه » ، وراح يستثمر اللاشعور . وفي سنة ١٩٢٤ نشر بريتون « البيان السوريالي » وفتح له « مكتباً للأبحاث السوريالية » . وفي سبيل تغيير المناظر واستبدالها بأخرى ، راح يقترح استخدام الوسائل الاوتوماتيكية للخط وترك الحبل على الغارب للفكر لكي يحلو نفسه ويبرز ذاته ، كما يقترح اللجوء الى التنويم المغناطيسي لوصف الاحلام التي لا تقع تحت مراقبة العقل وتدنينا من الواقع احسن بكثير مما يفعله العقل . ولم يمض كبير وقت حتى انقسمت الحركة على نفسها الى شطرين : تألف الاول من هؤلاء الذين يبحثون عن الثورة « بين الافكار » كما تشكل الثاني من هؤلاء الذين يتقربون، ولو لأمد قصير، من الشيوعيين بعد الذي شهدوه من تصلب البورجوازية ، عام ١٩٢٥ .

يتمثل هذا المذهب ، في الشعر ، بشخص أيلوار الذي يُعدّ مع اراغون وروبرت دسنوس خير من يمثل هذه الحركة ، كما انه اكبر شاعر بالفرنسية عرفته هذه الحقبة لما أوتي من خصب في الصور ، ولما جاء به من المقارنات المفاجئة التي تعد بحق قوام الصدمة الشعرية ، ومن لباقة فنية ليست وليدة اي عنصر شعري او قريض مصطنع (كالقافية والبحر) ومن سهولة المحتوى مما لا يقبح في نطاق العقلاني . والحركة التي أثرت عميقاً في الشاعر الاسباني الكبير فدريكو غارسيا لوركا ، ذاعت كثيراً وشاعت خارج فرنسا ، منذ عام ١٩٣٠ ، بعد ان اشتد منها الساعد بانضمام عناصر جديدة اليها كالشاعر رنيه شار والمخرج السينمائي بونويل ، والرسام سلفادور دالي الذين اوغلوا في هذا المذهب درساً واستبحاراً ، وألحقوا بعض التغييرات

في معناه . والسوريالية التي اعتمدت حتى الآن التحليل النفساني اخـــذت ترى في اللاشعور مصدراً لكل شاعرية وينبوعاً لكل إلهام شعري . وبعد ان عوّل دالي على تحليل مرض عقلي معروف هو مرض « جنون الاضطهاد » رغب ان ينصرف الفن الى استثمار ليس مجال اللاشعور فحسب ، بـل ايضـــاً مجال الهاجسية او الاستحواذيـــة وبعض اشـكال الهـذيان . وهكذا اطلت السوريالية على مشارف المنـــدية التي تنبو عن كل رقيب لتفضي تدريجياً الى الفوضوية .

رضع الادب لدى المغلوبين على امرهم

يختلف الجو هنا عنه لدى المنتصرين: فهو مليء بالثورة والفوضى والارتباكات والتضخم المـــالي . ففي مجتمع ممزق ومضطرب ، فالجو الذي اتخذته التعبيرية في البلاد المنتصرة من الدادية والسوريالية لا يمكن ان يدوم طويلاً بهذا الشكل النقدي الذي يميزه . عليه ان يكون ايجابياً وبناءً . ومن جهة اخرى ، فالوقت سواء لدى العامة او لدى الفنانين ليس الذي يتلهى فيه الناس ولا يصلح فيه الفن للفن . ففي البلدان الجرمانية وحدها دون سواها ، تبقى هذه الروح الطـلـعة التي كان من طباعها المميزة قبل الحرب ، انصرافها الى البحث . فالموجة التعبيرية حلت محلها حركة من المحاسبة الذاتية الايجابية باتجاه المستقبل . فنحن امام واقعية جديدة . وطلعت في طول البلاد وعرضها مذاهب وعت تماماً متطلبات المدنية التي ستشاد في المستقبل ، والاهتمام البالغ بالشكل او القوام ، اذ من المطلوب « بناء عالم جديد من حطام الماضي » . فالنفوذ الذي تمتع به هنريخ مان الممثل الاكبر لعقلانية القرن التاسع عشر ، قد اخذ بالانحطاط والهبوط بينما بقي نفوذ اخيه توماس أشد واظهر ، لما كان عليه من تشاؤمية عميقة الجذور . والجديد الذي ظهر على أتم صوره في البلاد ، هو التمرد ضد تأليه الدولة ، وجاذبية الفوضى والشعور بالتعاسة البشرية ، بعد ان غمرتها قوى غاشمة لا تعرف الرحمـــة ، كعلية القدرة ، روح تجلت على خير وجه في مؤلفه « الفرد دوبلن » الذي يمور بالعنف والمرارة . اما اثر فرانز كافكا الذي لم يظهر مطبوعاً كاملاً الا بعد وفاته ، عام ١٩٢٤ ، ففيه الوصف الرمزي لعالم تتحكم به قوى خفية هـــائلة تطحن الانسان طحنـــاً . من بين ابرز الآثار الفكرية الاقل شأناً التي ظهرت تحت علامة (الوضع الجديد) يجمل ان نذكر هنا الاثر الديني الذي خلفه برتول بريخت ولا سيما مسرحيته : « اوبرا بأربع نحاسات » (١٩٢٨) .

الرسم

لا يمكن لفن الرسم ان يأتي تعبيراً وصافاً للانسان في مثل هذه الحقبـة ، العنيفة المعقدة حيث تتبدل ظروف الحياة وصروفها بسرعة متزايدة الا في انقـــلاب شامل تطل معه صيغ وصور جديدة لتعبر عن العلائق الجديدة التي تربط بين الفرد ونفسه وبينه وبين العالم . وبيكاسو الذي يلقي ظلاله على هذا الجيل بما أوتي من نبوغ خلاّق ، يبرز خير ممثل له بما فيه من قدرة على التجديد . فقد عدّل بعد الحرب من مذهب التكعيبية ، واولى الالوان والاصباغ اهمية خاصة بعـــد ان عوّل كل التعويل على الازرق والاحمر والاخضر (الطالبة —

ارلكان – القيثارة – والعنب) . ولم يلبث ان وقع تحت تأثير السوريالية مع انه بقي خارج ندوتها .. واخذ منذ عام ١٩٢٢ ، يرسم لنا شخوصاً رمزية شوهاء ، واشكالاً من المسوخ اتت بعالم يصدم العقل ويثير الضحك . وهو تعبير عن عالم تتقاذفه الامواج وتتلاعب بـه الارياح . وفي سنة ١٩٣٧ ، اعطانا في ما تحفنا من روائعه الفنية ، ما بلغ معه ذروة التعبيرية التصويرية في هذه الحقبة (غرنيكا) .

اما ماتيس ، فقد اخذ ، بعد عام ١٩١٩ يخفف من فنـــه ، فاصبح اكثر جاذبية برسومه « اودَ السِك » وكذلك خوان غري ، ودي ديران ودي دوفي ودي براك الذي قطع كل صلة له مع التكعيبية ، واضفى سحراً اكبر على رسوم الاشياء الطبيعية الميتـة وعلى صوره للمري ، وعلى مناظره . اما فرنان ليجيه الذي طلع علينا خلال الحرب بمشاهد الحضارة الصناعيـــة وبحقيقة اجتماعية تنبض بالحياة ، فيكرس فنه الاحتفاء بهـــذه الانسانية الجديدة ، مع ايلائه اهتماماً خاصاً للقوام الهندسي الذي يراعي ، بنجاح تام النسبة بين الصورة الجدارية والجـدار ، ويستعمل ادوات الرسم ذاتها موضوعات تصويرية ويبسط ما للالوان من قوة تعبيرية . ان حسه للمدى التصويري وتحسسه ما يتحمله الموضوع في هذا المدى ، ترك أثره العميق على فن الاعلان، فارتفع به من الواقعية .

اما السوريالية، فقد التفّت حولها هذه الفئات وابرزت في مجال الرسم خير دليل على ما لها من قيمة عالية في الحركة الفنية . وهذا لا يعني انها تتمتع بجمالية وبتقنية خاصتين بها ، بل على العكس من ذلك ، هو تجاهل لكل ما خيّل للانسان ، حتى الآن ، انه خير ما يحمله في ذاتـه بحيث تنبجس جاذبية شاعرية تصويرية هامة ترمي لايجـــاد تغيـير كامل في المناظر والارتفاع بالمشاهد او بالناظر الى العالم من وراء الواقع اليومي . واول معرض للسوريالية ظهر عام ١٩٢٥ جمع آثار ماكس ارنست وهانز آرب وميرو وبيكابيا وغيرهم من الفنانين الذين وقعـوا تحت تأثير السوريالية، امثال كلي وشيريكو .

وفي اعقاب عام ١٩٣٠ ، ظهرت تحت تأثير الفنانين الالمان والروس واليهود الذين فروا من اوروبا الوسطى ، معالم الفن التجريدي في فرنسا وفي الولايات المتحدة الاميركيـة . وتأسس في باريس « ندوة الفن التجريدي » ، عام ١٩٣٢ . وسيراً منهم مع التيار العلمي المعاصر القوي الذي يقول بان ليس من طبيعة بشرية تلقاها الانسان دفعة واحدة وبان تحت الظواهر البـارزة للعيان تكمن حقيقة متحركة ، أخذ الرسامون التجريديون يحاولون خلق آثار فنية لا ترى فيها شيئاً يمت الى « الطبيعة » والى الحياة اليومية بل يكون باستطاعتها ان توحي للانسان مواقف ومشاعر فيها من الشمول ما كان في مقدور « الطبيعة » ايحاؤه حتى الآن . وهـذا التيار هو التيار الفني الوحيد الذي تجسم او تحيز حول آرب وكالدير وديلوناي وموهولي – ناجي وفدريان وشويتزر وفي انكلترا حول بن نيكلسون .

الموسيقى

عرفت الموسيقى في هذه البلدان التي خرجت منتصرة من الحرب ما عرفـــه الادب والرسم من تنوع في الذرائع والميول . فالمدرسة الواغنرية صُفّي امرهـا وجسّد سترافنسكي ردة قـــوية للنيوكلاسيكية وتغلب الشكلية بينما يمضي كل من رافيل وروسل في « الثورة التي اطلقها ديبوسي » . والفئة المعروفة « بفئة الستة » التي كان اريك ساتي قطبها ونقطة الدائرة فيهـــا ، راحت تقف في وجه « تعبيرية ديبوسي » . ونشأ عام ١٩٣٦ ، حول اوليفيه مسّيان فئة « فرنسا الحرة » كما راح خـــارج فرنسا كل من مانوبل دي فالا والبرازيلي فيلا لوبوس وبيلا بارتوك يستلهمون التقاليد الفولكلورية في بلادهم . الا ان الجديد البارز الذي عم اوروبا باجمعها ، فهو موسيقى الجاز الذي استهوى عدداً كبيراً من الناس دون ان يترك مع ذلك اثراً كبيراً في الموسيقى الغربية التي اختلف عنهـــا اختلافاً كبيراً حال دون تمثله واستمرائه . طلع هـــذا اللون الموسيقي الجديدي من اغوار فولكلور الملونين ، في اوساط اورليان الجديدة ، ثم اخذ ينتشر في جميع انحاء الاتحاد الاميركي ويثبت قوته دون ان يفقد شيئاً من طابعه الشعبي باعتباره موسيقى جيّاشة تحرك في النفس الحنين الى الوطن . فكثر انصاره ومريدوه في اوروبا مع كنغ اوليفر ولا سيما مـع لويس ارمسترونغ . بحماسته الحارة (جدد فيه النموذج النيو اورلياني بعد ان لقحه بالمونوديا تنشد بصوت مـــع البوق) وجرشوين مع اغنيته (القصيدة الخضراء) . عرف الجاز في اعقاب ١٩٣٠ تطـــوراً عميقاً اذ راح يتكيف اكثر فاكثر ، مع حياة البيئة والمجتمع وتسارع الوزن . وزاد من بحثـــه عن تجربته حـــول الانسجام الفني بحيث اخذت موسيقى الجاز تتطور بسرعة تذكرنا اكثر بالسرعة التي ميزت التطور التقني منها تطور القوالب او الصيغ الموسيقية . وهكذا فالطراز (*Swing*) الذي قام على خدمته عدد من الموسيقيين الاقوياء ، وعدد كبير من الاوركسترات المتجانسة التي رأت النور ، بلغ بعضها مقاييس الاوركسترات السمفونية مع ديوك ألنغتن الذي توصل الى مساوقة ومزاوجة اوركسترية تفيض فناً وغنى .

وتابعت النمسا ، في المجال الموسيقي ، ثورتها التي كان سبق لشونبرغ فأطلقها قبل الحرب بقليل ، وراح تلاميذه : البان برغ (الذي انجز «*Woszek*» عام ١٩٢١) وانطون ويبرن . والى شونبرغ يعود الفضل في استنباط المسلسلة الصوتية الاثني عشرية احـــدى ابرز منجزات العصر والتي لم يباشر باستثمار ما تخفيه من طاقات كامنة الا جيل عـــام ١٩٤٥ . ان استنباط المسلسلة في الموسيقى هو من بعض نتائج رفض « طبيعة » مجهزة بقوانين محـددة ومفروضة من الخارج ، هذا الرفض الذي وصل في دنيا الرسم الى التجريد الهندسي ، بعد ان اسقط تدريجياً الموضوع او المضمون . هي هذه الحركة بالذات التي حملت الانسان على ان يبدع في الموسيقى كما ابدع في الرسم ، قواعده الخاصة وعالمه الخاص به .

الهندسة الجديدة

أطلت علينا ، قبل عام ١٩١٩ ، مستجدات تقنيـــة مهدت السبيل امام الثورة التي انفجرت في هذا المجـال . فالمشكلات الجديدة التي كان على المدن الكبرى مواجهتها ، والتي اختلفت بطبيعتها عن المشكلات السابقة : كارتفاع اسعار الارض ، وضيق المساحات القابلة للاستثمار ، والامور الاخرى المتعلقة بالدقل العـــام والمواصلات ، والتجديد في نموذجيـــة المباني والعمارات ، المصانع والمدارس والمستشفيات ، والمطالب العصرية الاخرى التي يجب توفرها وتحقيقها (كالتدفئة المركزية وتكييف الهواء ، والتبريد والاضاءة الكهربائية ، والمصاعد) ، كل هذه القضايا اقتضت لهـــا حلولا عجزت عن تأمينها في الماضي ، الذرائع التي عوّل عليها الانسان من قبل . ومن جهة اخرى ، فقـد طرأ على شروط البناء ومستلزماته ، تطورات عديدة تناولت مواد البناء (مزج المعـــادن الخفيفة كالالومينيوم والالدائن والمواد التشكيلية ، والخشب المضغوط) ، والاساليب الجديدة ، كانتاج المصانع لبعض المواد المعمارية الجاهزة بعد ان كانت تُصنع من قبـــل في الورشة (كالابواب والنوافذ وحجارة البناء ، والطوب ، وكتل الاسمنت والاعمدة)، وكلها مهيأة للاستعمال حالا ، بحيث ان البناء استحال الى عملية تجميـع هذه المواد الجاهزة وتركيبها في اماكنها المعدة لها . وفي مجال الانجازات المتواضعة ، فقد توصلوا الى صنع منـــازل جاهزة لا يستغرق تركيبها في اماكنها سوى بضـع ساعات . والتمويل اكثر فاكثر على الاسمنت المسلح والفولاذ ، مكن من تحويل كل ثقل البنـــاء على الهيكل المصنوع من سلسلة من العواميد والجسورة المتشابكة وكلها من الاسمنت المسلح . وبذلك يفقد الجدار اهميته باعتباره عمود ، وقد يستقل تماماً عن المكان الذي تقوم فيه الاعمدة . وقد يكتفى منه بحاجز زجاجي او تقوم فيه فتحات واسعة جداً . وقد عرف المهندسون ان يتخذوا لهم يداً من كل هذه المواد والادوات الجديدة ليعودوا القهقرى الى هذه البساطة والى البناء المعقول وبمطابقة البناء الى اقصى حد مع الاهـــداف الموضوعة له . وهذا بالذات ما يعرف « بالفن الوظائفي » الذي عبرت عنه خير تعبير نكتة لكوربوزييه عندما وصف المنزل « آلة للسكن » .

فكل الحركة الهندسية منذ عام ١٩٢٠ فصاعداً ، وقعت تحت تأثير ميس فان در روه ، وولتر غروبيوس ولوكوربوزييه ، وغروبيوس تولي منذ عـــام ١٩١٩ ، على ادارة مؤسسة بوهاوس دي ويمار التي انتقلت عام ١٩٢٥ الى ديسو ، فكانت هذه المؤسسة في وقت واحـد مدرسة للصنائع والفنون واكاديمية للفنون الجميلة . فيها يدرك الطالب الوحدة التي تسيطر على العنصر العقلاني الذي يلائم بانسجام واتساق ، بين الهندسة والرسم والحفر ويتجاهل تمامـــاً التمييز القديم بين ما يدعى العناصر البنائية والعناصر التزيينية ، والانسجام التام مع مقتضيات الحضارة الصناعية التي عرفت كيف تُدخل الفن على احقر المواد وأخسّها واكثرها اتصالا بالحياة اليومية . والبوهاوس الذي تشده الى التكعيبيين والى ممثلي الفن التجريدي ممثلا بالحركة المعروفة بـ *Merz* وبالدادية ، والفن التجريدي الذي تمثله مجلة « *Styl* » وبقيـادة المهندس

دوسبرغ والرسام وبييت موندريان يحدث تأثيراً كبيراً . فالدروس فيه يُعطيهـــا فريق من كبار الفنانين المشهود لهم بالتفوق في اختصاصهم والذين يخضعون لنظامية بنّاءة بينهم : بول كلي وكندنسكي وفيننجر ، والمجري موهولي ناجي . وهذه السيطرة تتمتع بهـــا الهندسة الالمانية فضت عليها الحركة النازية اذ امرت باغلاق البوهاوس بعد ان شجبت هـــذا « الفن المنحط » الذي طلع به اليهود والشيوعيون ، بما يتصف به من عقلانية مفرطة ودولية جامحة ، وبضلوعه بذكريات جمهورية ويمار ، مما يجعـــل المرء يشك بولائه للدولة الالمانية وللفوهرر . والمهندس الاميركي فرانك لويد رايت الذي يتمتع اليوم بشهرة عالمية ، يحاول جاهداً تأمين الانسجام والمساوقة الى اقصى حد ، بين المباني التي يشرف على تشييدها ، وبين المكان او المحيط الذي يقوم فيه البناء ، وبين طبيعة المواد المستخدمة في البناء .

اما المهندس لوكوربوزييه فالنفوذ الذي يتمتع به يعود ، قبل كل شيء الى مؤلفاته النظرية والى هذه العمارات الناعمة الخفيفة التي تستمد اشكالها الهندسية من التكعيبية ، والتي يبدو عليها الانفصال او الانقطاع عن الارض ، وهو نفوذ وتأثير يشتد في الخارج حيث له العديد من التلاميذ والمريدين اكثر منه في فرنسا بالذات حيث بقي في شبه عزلة .

السينما ومقتضياتها الاقتصادية والتقنيـــة

لم تصبح السينما فناً قائماً بذاته له اخصائيوه ومتخصصه الا بعد الحرب العالمية الاولى ، فخضع منذ هذا التاريخ لقوانين وقواعد وضوابط في الاخراج ، كما خضع لمقتضيات تجارية تُرزحه كلما تطور هذا الفن وتعقد وتشعب. والسينما مشدودة اكثر من اي فن آخر ، الى القوة الاقتصادية التي تعمل في انتاج الفيلم واخراجه وتوجد النظارة الذين ان اقبلوا عليه جاءت عملية الاخراج عملية ناجحة أمنت مردوداً طيبـــاً . ولهذا السبب لم تلبث العملية ان وقعت بسرعة فريسة الاحتكار من قبل اتحادات احتكارية جبارة بما لها من طاقات مالية ، منها في الولايات المتحدة الاميركية : الشركة السينمائية . الـتي تشدها الى شركة إيستمان كوداك روابط متينة ، التي لا تسلم بواكير افلامها الا لاعضاء الاتحاد ، وهي تشرف على سلسلة من الصالات السينمائية متصلة الحلقات. وفي المانيا يقوم الاتحاد المعروف بـ *U. F. A.* وشركة بافاريا وكلاهما شركتان ضخمتان هما موضوع اهـــتمام مصالح ماليـــة واقتصادية قوية ، امثال : سنيز ، وفاربن وال *A. E. G.* ، وفي فرنسا : باتيه غومون .

وفي سنة ١٩٢٧ ظهرت السينما الناطقة ، أو الصائتة التي تستنزف صناعتهـا رؤوس اموال ضخمة ، فأدت التعديلات التقنية على الاخراج الى تغيير جذري في الاجهزة والعتاد المستعمل له. وبعد ان حاولت الشركات الكبرى الاغضاء عن هذا الاختراع الجديد ، رأت نفسها مرغمـــة لرعايته وتشجيعه ، اذ راحت شركة بل للتلفون وربيبتها شركة وسترن الكتريك ، تؤسسان شركة الكتريكال بروداكت التي تمتعت وحدها بحق توزيع شهادة فيتافون . « وبواسطـــة الشركات الكبرى للتجهيزات الكهربائية ثم المصرف الاميركي المعروف بمصرف روكفلر–مورغان الاشراف النهائي الكامل على صناعة السينما في اميركا » . ومنذ عـــام ١٩٢٣ اخـذت تتوزع

به انكلترا بين ١٩٣٥ – ١٩٣٧ ، هل جاء نتيجة تخفيض قيمة الجنيه الانكليزي او العودة بالبلاد الى نظام الحماية الجمركية ؟ وما عسى ان يكون على العموم ، من التأثير الذي احدثه هذا العامل المضاد لطبيعة الاقتصاد الذي يتمثل في التسلح ؟

النكسة والتسلح

ولكن هذا التحسن الطارىء لم تتوفر له عناصر البقاء والاستمرار اذ قد ظهر في اواسط عام ١٩٣٧ ، لا سيما في نطاق الصناعات التي تعمل على توفير الحاجيات الانتاجية ، عوارض انكفاء وتقهقر الى الوراء ، يمكن مقارنتها بالعوارض التي بدت عام ١٩٢٩ – ١٩٣٠ . ففي اوروبا ، حيث تمثل نفقات التسلح جانباً هاماً من موازنات دولها ، فالنكسة فيها هي اقل عمقاً منها في البلدان التي لم تندفع نحو سياسة التسلح هذه ، كالولايات المتحدة الاميركية والدول الصغرى في اوروبا ، وكندا حيث لا تمثل اقتصاديات الحرب سوى جانب ضئيل من اقتصاديات البلاد . فالنشاط الاقتصادي في الولايات المتحدة هبط ٣٧ ٪ بالنسبة لما كان عليه عام ١٩٢٩ ، وتجاوز عدد العاطلين عن العمل فيها ، عام ١٩٣٨ ، عشرة ملايين عامل ، والعودة الى انفاق مبالغ ضخمة على الانشاءات العامة فشل في احداث اي تحسن في الوضع الاقتصادي ، اذ ان عدد العمال العاطلين عن العمل ، عام ١٩٣٩ ، يزيد على تسعة ملايين عامل . فالحرب وحدها هي التي « صفّت » الازمة ، اذ اقتضت استيعاب اليد العاملة باسرها . فمنذ عام ١٩٣٧ ، اصبح التسلح الذي لم يكن الى ذلك الحين سوى حافز بسيط من الحوافز الاقتصادية بدا وكأنه السوق الكبرى لاستيعاب الانتاج الصناعي بحيث اصبح « العماد الوحيد » لمعظم البلدان الصناعية الكبرى . والامر واضح جلي في نشاط معظم البلدان الاوروبية التي لم تغرق بعد في التسلح ، كبريطانيا العظمى مثلاً ، حيث النشاطات الاكثر ازدهاراً هي التي تتمثل في صناعة بناء السفن ، وصناعة المحركات والطيران بينما استخدمت البطالة في صناعة النسيج واستخراج الفحم . والدور الرئيسي الذي تلعبه حاجات الجيش ومقتضيات التسلح ، أفلم يبرز واضحاً في تصريح لوزير الدفاع البريطاني الذي صرح عام ١٩٣٧ بان انكلترا لن تعرف ازمة جديدة قبل خمس سنوات . وسعر الخامات مرتبط بحاجات الدفاع . وفي سنة ١٩٣٨ ، انخفضت اسعار الحبوب واسعار لحم الغنم والمنسوجات والكاكاو ، بينما ارتفعت اسعار المعادن على اختلافها .

فالتسلح هو وحده وراء ازدهار انتاج المواد الاولية . الا ان هذا الانتاج كانتاج المواد الزراعية يصعب ضبطه والتخطيط له ، بحيث ان المخزون الدولي اخذ منذ عام ١٩٣٨ ، يتضخم بصورة لا تخلو قط من الخطر . ففي هذا التاريخ بالذات كان مخزون المطاط يزيد ٥٢ ٪ على مخزون عام ١٩٢٩ ، كما ان مخزون الصوف زاد ٦٥ ٪ والحرير الخام زاد ٢٣ ٪ والنحاس الخالص زاد مخزونه ٤٥ ٪ ، وزاد ٢٢٧ ٪ مخزون النحاس المكرر . فمخزون القصدير وحده كان دون مستوى عام ١٩٢٩ ، ومخزون القطن هو اعلى بكثير من مخزون أسوأ سنة من سنوات الازمة المالية ، بينما مخزون القمح بلغ ٣٢ مليون طن ، مقابل ٢٩ في عام ١٩٢٩ . فهو نصف

تعد نحواً من ٣٠ صالة سينمائية .

ففي الوقت الذي قوّت فيه الضائقة المالية من قبضة المصارف على صناعة السينما وفنهـا ، بعثت فيها ، من جهة اخرى ، تجديداً كثيراً ما كان مثمراً في المخرجين والممثلين . ان عدداً كبيراً من الافلام التي صدرت في هذه الحقبة تبرز ، شأنهـا في ذلك شأن الرواية ، الازمة وردة الفعل التي احدثتها ، والاتجاهات الاجتماعية والسياسية والمطالب التي تتسم بالاحاف احياناً منها مثلاً : ليس من جديد في الجبهة الغربية – اضواء المدينة – الازمنة الحديثـة – الدكتاتور – عنب الغضب ... والموضوع الاجتماعي يوحي كذلك الى بابست الافلام التي قام باخراجها مثل: اوبرا بأربع نحاسات – فاجعة المنجم ، والى لانغ، الافلام التي اخرجها ، منها مثلاً : وصيـة الدكتور مابوز الذي منعته النازية ، وافلام ديداو . وعندما تسلم هتلر السلطة العليا في البلاد اتجهت السينما في عهده ، جهة الدعاوة . فقد جرى تطهير الستوديوهات من اليهود والماركسيين والاحرار . وباستثناء الفيلم : انتصار الارادة ، والفيلم الاخباري الآخر : آلهـة الستاديوم ، من اخراج ليني ريفنشتول ، أصيبت في الصميم ، كغيرها من الفنون الاخرى والنشاط الفكري الالماني .

وفي فرنسا ، كما في المانيا ، مهدت السينما الناطقة السبيل امام السينما الوطنيـة . فالعصر عصر رنيه كلير العظيم (تحت سطوح باريس – المليون) ثم تطلع علينا سلسلة الافـلام التي تتنزّى بنتائج الازمة العالمية كما تنضح بالهواجس السياسية والاقتصادية والاجتماعية (١٤ تموز– لنا الحرية) . ويظهر التطور على أتمه ، مع جان رينوار عندما يعمل مع بانيول الاختصاصي الضليع بتصوير الجماهير في مقاطعة بروفانس فيعطينا : طوني ، هذا الفيلم الذي يعالج قضايا هموم اليد العـاملة النازحة ، ثم افـلام من وحي الماركسية (الحيـاة لنا – الوهم الكبـير – المارسيلياز – الوحش البشري) ... والوحي ذاتـه نجده لدى جان فيدر في الفيـلم : السوق الخيرية الضخمة ، حتى لدى دوفريه (العصر الجميل) . والى جانب هذه الافلام الاجتماعية ظهر نوع جديد يُشابه من قريب ، لون افلام رعيان البقر والمصوصية في اميركا ، وهي تنزع لوصف « البيئة » ، والتي تتنزّى بواقعية مريرة وباسـة امثال فيلم بابيه موكو لدوفريه . وفي هـذا اللون من الافلام المتشائمة الواقعية ، يبرز للعيان مارسيل كارنيه (ومساعده الايمن جاك بريفير) بالفيلم الذي اخرجه بعنوان : رصيف بروم – وفندق الشمال ... بعـد ان اتسمت تشاؤميته بطابع اسطوري خلال الحرب بالفيلم : زوار المساء (١٩٤٢) وقبيل الحرب الاخيرة برزت الصناعة السينمائية الفرنسية ابرز فناً واتقاناً منها لدى هوليوود التي اتسمت افلامهـا بطابع متوسط جداً جعلت ستروهايم يصفها مازحاً مباسطاً : هذا الجهاز الجبار لاخراج المقانق .

الكتاب الثاني

الأنهيار الاقتصادي ونتائجه

الفصل الأول

الانهيار الاقتصادي

تتميز الأزمة الاقتصادية التي وقعت عام ١٩٢٩ عن كل ما تقدمها من أزمات اقتصادية، في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين . فقد كان لها من العنف والعمق والشمول ما أفضى الى انحلال النظام الاقتصادي وشله تماماً كما أدّت الى افلاسات عملاقة ، في عالم تهتز منه العمـــد والاركان ، ووضعت النظام الرأسمالي وجهاً لوجه مع مشكلات لم يستطع السيطرة عليها بشق المرائر وبعد تعديلات أساسية أدخلت عليه .

١ – انفجار الأزمة وامتدادها الى أقصى المعمور

دورة الازمـــات الاقتصادية

خبر القرن التاسع عشر ، العديد من هذه الأزمات ونظر اليها نظرته الى امراض ملازمة للنمو والتطور لا يلبث معها ما يساعده على تصحيح الاوضاع بيسر وبصورة تلقائية ، وذلك باستقطاعه المشروعـــات التي تشكو العسر او تلاقي المصاعب ، ثم يعود الازدهار وتعود العافية الى النشاط التجاري والوضع الاقتصادي بأجمعه . وهذه النظرة المشبعة بالتفاؤل التي اعتاد ان يلقيها على الازمات التي لم يكن من الممكن تفاديها والتي ثبتت فائدتها في نهاية المطاف ، اخـــذ الماركسيون يعللونها بالقول ان تقارب حدوث هذه الأزمات وتوالي وقوعها بعنف الواحدة منها بعد الاخرى ، عجلت كثيراً في حركة تركيز المشروعات وتمركزها كما أبرزت مـــا تتصف به هذه الاستثمارات من نزعة عارمة الى الاحتكار ، وان التطورات التي ألحقتها بالهيكل الاقتصادي حتمت وقوعهـا وجعلتها أكثر تواتراً وأكثر ضراً وأذىً ، ليس فقط لمصالح الكادحين المأجورين ، بل أيضاً للمصلحة العامة .

فقد سبق لعلماء الاقتصاد وظنّوا بوقوع أزمات دورية عقبتها حقب من الازدهار ، ارتفعت خلالها الاسعار وقلت حوادث البطالة وازدادت الارباح ، وحقب من الانهيار الاقتصادي تتسم

بسمات عكسية . ومع تضارب الآراء بينهم حول مدد هـــذه الدورات والاسباب الموجبة لها نقدية ، مالية هنا ، واقتصادية هناك وسياسية هنالك ، فقد سلموا مع ذلك ان دورات قصيرة الامد (من ٤ – ٨ سنوات) عقبتها دوماً دورات اطول مدى واوسع شمولاً ، تراوح معدلها بين ٤٠ – ٧٠ سنة . فالازمة التي كشرت عن انيابها عام ١٩٢٩ ، كانت في زعمهم النهـــاية الطبيعية ، لحقبة طويلة الامد وان ما اتصفت به من عنف استثنائي وتعقيـد وتشابك وطول امد ، يجب ردّه هنا الى تجمع اسبابها الخاصة مع الاسباب الاخرى التي هي وراء كل أزمـــة قصيرة ، ومهما يكن من الامر ، فقد بزّت بخطورتها ، اية ازمة من هذه الازمات « العـالمية » التي عرفها التاريخ الحديث ، حتى تلك التي وقعت منها عام ١٨٥٧ ، والتي نظر اليها الكثيرون آنذاك ، بأنها أعنف أزمة عرفتها البشرية عبر تاريخها المديد ، هـــذه الازمة التي طلعت هي الاخرى ، اول ما طلعت ، في الولايات المتحدة الاميركية ، وامتـــدت عقابيلها الى كل من انكلترا وهمبورغ والى كل بلدان اوروبا الشمالية والغربية .

لازمة ١٩٢٩ من الاتساع والشمول ما ليس له مثيل

امتازت الازمة الجديدة عن مثيلاتها في الماضي ، بعـــدة سمات فرّدتها وطبعتها . فإعادة البناء الاقتصادي ، وإعادة تجهيز العـالم صناعياً في أعقاب ازمة ١٩٢٠ – ١٩٢١ ، بحيث تجـاوز الانتاج العام معدله لعام ١٩١٣ ، لم يتم إلا بعد التغلب على صعوبات كبيرة . ثم ان ازمـــة ١٩٢٩ لدى انطلاقها ، لم يسبقها كغيرها من الازمات الماضية ، ارتفاع عام في الاسعار والارباح والاعمال . فقد وقعت ، على عكس ذلك ، في فترة من انخفاض الاسعار وهبوطها وفي عالم بدت على القطاع الزراعي فيه ، عوارض خطيرة من الركود والهبوط ، وفي عالم قد يتجاوز عدد العاطلين فيـه عن العمل ، العشرة ملايين عاطل ، في عالم معظم الدول الاوروبية فيـه رأت نفسها اعجز من ان تصل الى ما كانت عليه تجارتها الخارجية قبل الحرب العالمية . وهذه الازمة تتميز ، من جهة اخرى عن الازمات التي شهدها القرن التاسع عشر ، بما تم لها من شمول واتساع ، وهو شمول يفسره لنا القطاع الرأسمالي الذي كان يتأثر وحده في الازمات السابقـة ، بينما نراه يسيطر الآن على البلدان الصناعية الكبرى . وهكذا نرى ان النظام المـالي بأسره اهتز من اساساته . ففي الحين الذي كانت فيه الزراعة ، في القرن التاسع عشر تكاد لا تتأثر ، وكانت الازمة الكبرى الاخيرة التي وقعت خلال الربع الاول من القرن العشرين ، انها كانت ازمة اوروبية على الاخص وألمت بنوع خاص ، بغلال الحبوب ، فأزمة عام ١٩٢٩ كانت صناعية زراعية في آن واحـــد وتأثر بنتائجها كل قطاع من قطاعات الاقتصاد في البلاد ، فانقضّت على الولايات المتحدة الاميركية ، وعلى اوروبا وعلى البلدان نصف الاستعمارية والاستعمارية على السواء ، كما تضرس بها كل قطاع من قطاعات الحياة الاجتماعية . فالازمات الاقتصادية السابقة لم تعرك بثفالهـا سوى العمال وارباب العمل ، بينما احتفظ المزارعون والموظفون واصحاب الايرادات بدخلهم سالماً غـير منقوص ، بل كثيراً ما كانوا ينعمون ، من جراء انخفاض الاسعار في الوقت الذي كانت فيـه مدّخراتهم

تساعد على تصفية الازمة . اما ازمة ١٩٢٩ ، فقد اخذت بتلابيب كل فئات المجتمع وأصابت في الصميم دخل كل الطبقات ، مباشرة او مداورة عن طريق هبوط سعر النقد ، إذ أصيبت كل العملات بالهبوط والانهيار ، كما تسببت عن حسومات محسوسة في المداخيل والمرتبات . فالعمال لم يعودوا وحدهم فريسة البطالة ، بل وقع فريسة لها ايضاً كل من موظفي المكاتب والادارات وصغار الصناعيين وصغار التجار والعمال المهنيين الذين اضطروا الى اقفـــال متاجرهم والبحث عن عمل يستطيعون معه تأمين اودهم وأود ذويهم .

نقطة انطلاق الازمة : الولايات المتحدة

انفجرت الازمة يوم « الجمعة الاسود » في ٢٤ تشرين الاول ١٩٢٩ ، وعلى حين غرة وفي غفلة من الجميع ، وابتدأت بأزمة بورصة . صحيح ان اسعار اسهم النحاس والصب والفولاذ اخذت بالهبوط منذ ايار ، كما اخذت تهبط في الفصل الثاني من هذه السنة ، أرباح صناعة السيارات ، وبقيت في هبوطها الذريع في الفصل الثالث ايضاً ، بالرغم من تحسن المبيعات ، فقد استمر العجز في تقهقر موصول . وهـذه الدلائل والاعراض التي لم تكن لتخفى على الناس ، صحبتها ضجـة مدوّية من جراء افلاس المصرف الانكليزي هاتري الذي كان يستثمر فوتوماتون ، مما أدى الى رفع الحسم في بورصة لندن ، وعودة جانب من رؤوس الاموال الانكليزية الى البلاد ، والى بيع السندات والاسهم الاميركية من قبل المضاربين الانكليز . وفجأة وقعت معاملات مالية نهار الاثنين الواقع فيـه الحادي والعشرون من تشرين الأول ١٩٢٩ ، ليعاد بيعها ، نهار الخميس بعروض كبيرة بأي سعر كان ، تناولت نحواً من ١٣ مليون سهم . ولم يفد شيئاً تدخل ستة من اكبر مصارف بادرت للشراء ، ايقافاً منها لحركة الهبوط الجارف ، في تهدئة الهلع العام الذي دب في القلوب ، وفي ٢٩ تشرين الاول بيع اكثر من ١٦ مليون سهم ، فازداد الهبوط اكثر فاكثر بحيث هبط دليل الاسهم الصناعية ، في منتصف تشرين الثاني من ٤٦٩ الى ٢٢٠ .

وهكذا فالازمة الصناعية التي اطلت على الناس لن تلبث ان ازدادت حرجاً بعد الانهيار المالي والهلع الذي سمر الخوف في القلوب ، فأصار الى الفشل الذريع ، كل محاولة كبح او تقييم ، لا سيما والعناصر الضرورية للتثبيت كالاستهلاك الى اقصى حد وزيادة القيّم ، اختفت بسرعة ، كما ان عدداً كبيراً من حَملَة الاسهم الذين لم يدفعوا إلا جزءاً ضئيلاً من قيمتها ، وجدوا انفسهم فجأة مديونين ، عدا عن ان عدداً كبيراً من التجار ومن أرباب الصناعة الذين اخـذوا سلفات على ما لهم من اعتمادات مصرفية اساسها الاسهم التي يحملونهـــا ، رأوا اساس هذه الاعتمادات يضيع ويختفي . كذلك توقفت تماماً صفقات البيع بالتقسيط ، وأجلت او أُلغيت طلبـــات التوصية وتراكم الانتاج والتجهيزات . كل هـــذا الاستنزاف الضخم انزل الرعب في طول اميركا وعرضها .

وبعد انهيار الاسعار في البورصة أطلت ازمة الانتاج الصناعي ، فازدادت حرجاً يوماً بعد يوم . فقد تداعت بسرعة كلية ادلة الانتاج على اقدار وانساب حسب الصناعات وهبطت الى

ادنى مما كانت عليه في السنة الماضية . فصناعة السيارات اخذ انتاجها منذ تشرين الاول يهبط بحيث بلغ معدل هبوطها في الاشهر الثلاثة التالية الى النصف . واستمرت الازمة في تصاعد متدرجة ، بحيث اتصلت في النصف الثاني من عام ١٩٣٠ ، بكل قطاعات الصناعة ، فانخفض انتاج الصلب ، اذ ذاك ، الى النصف . وفورد الذي اضطر الى اعتماد خمسة ايام عمل في الاسبوع، في ربيع عام ١٩٣٠ عاد فأنقصها الى ثلاثة ايام عمل في آب . وهبطت كذلك واردات السكك الحديدية والتجارة الخارجية بالرغم من اعتماد التعريفة القصوى لحماية التجارة التي أقرها قانون هولي سموت . وأدت البطالة الى انخفاض كبير في دخل الطبقة العمالية العام . وفي ربيع عام ١٩٣١ ، اجريت تخفيضات على الاجور بنسبة ١٠ – ٣٠ ٪ وازدادت اتساعاً في الصيف والخريف من تلك السنة .

الازمة تبلغ اوروبا وكل ارجاء العالم

كان من جراء الذعر المالي الذي اصيبت به نيويورك ان قضى تماماً على كل حركة تسليف لأوروبا . وتوقف تماماً خروج الدولار من البلاد بعد ان اخذت اميركا باستثماره وتوظيفه على نطاق واسع في الخارج منذ عام ١٩٢٢ ، مع العلم ان اقتصاد اوروبا الوسطى واوروبا الشرقية ، ولا سيما المانيا ، لم يكن ليقف على قدميه الا بواسطة المساعدات الاميركية . وابتداءً من تشرين الاول ، اعلن افلاس بنك بودين للتسليف في النمسا ، وراحت الحكومة النمساوية تحاول تعويمه بواسطة بنك التسليف النمساوي . الا ان الانتخابات الالمانية العامة التي وقعت في ١٤ ايلول ١٩٣٠ والتي تميزت بأول نجاح حققته الحركة النازية في البلاد ، ومعارضة الحكومة الفرنسية والايطالية لمشروع الاتحاد الجمركي بين النمسا والمانيا اقلقت الاوساط المالية واخذت تسحب اموالها . وفي ايار ١٩٣١ توقف بنك التسليف النمساوي نفسه عن الدفع وهبطت اسهمه ٢ ٪ من قيمتها الاسمية . واذ ذاك حدث اندفاع على المصارف في كل اوروبا الوسطى مما ادى الى سلسلة من الافلاسات . والمصارف السويسرية والهولندية والاميركية التي كانت قد وظفت رؤوس اموال جسيمة لآجال قصيرة في المانيا (اكثر من ١٢ مليار مارك) حاولت سحبها واستعادتها الى البلاد . وامام اشتداد حركة السحب هذه ، نالت الحكومة الالمانية من الرئيس هوفر ، في ٢٠ حزيران ١٩٣١ ، امراً بتأجيل وفاء الدين لسنة في كل ما يتعلق بتعويضات الحرب ، وهو تدبير عجز عن اصلاح الوضع المالي في المانيا حيث استمر سحب الودائع الاجنبية والوطنية على اشده . وقد جرّ افلاس شركة قطن الشمال في برمن عن ٢٠٠ مليون مارك الى افلاس مؤسسة دانات المالية وانهيار الوضع المالي بكامله . واذ ذاك قرر المستشار الالماني برونتغ إقفال كل المصارف ومؤسسات التوفير والتسليف الاخرى . وعندما استأنفت هذه المؤسسات نشاطها في شهر آب ، بقيت كل الاعتمادات والارصدة الاجنبية في المانيا مجمدة واضطرت ان تنزل عند قرار جديد بتأجيل وفاء الديون .

هبوط سعر الجنيه

واخذت المصارف التي تعاني من صعوبات مالية تنهار الواحدة بعد الاخرى في كل من ريغا والنمسا ورومانيا ويوغوسلافيا ، وفي فرنسا (مصرف اوستري ومجموعة مصارف اركتاف هبورغ) . وراحت الدول تحاول حيناً إعادة تنظيمها كما حدث في كل من تشيكوسلوفاكيا وفرنسا ، وفي ٢٤ ايلول ١٩٣١ ، لم تبق فاتحة ابوابها سوى بورصات نيويورك وباريس وبراغ ، وموجة الافلاسات هذه لم تتكرس حدتها الا في ربيع عام ١٩٣٢ . إلا ان النازلة المالية لم تقف عند هذا الحـــد . فقد اهتزت انكلترا من أساساتها أمام الخسارة الجسيمة التي لحقتهـــا من جراء افلاس بنك التسليف الدولي وتجميـــد رؤوس الاموال الموظفة في المانيا وفي اوروبا الوسطى ، اذ عجزت المصـــارف البريطانية عن سحب ودائعها في الوقت المناسب (٧٣ مليون جنيه لآجال طويلة ، و٩٠ مليون جنيه لآجال قصيرة) ، مما ألحق هزة عنيفة بحركة القطع . وراح عـــدد كبير من الاجانب القلقين على اموالهم ومدخراتهم يحولون ما لديهم من جنيهات الى ذهب أو فرنكات أو فلورين أو دولارات ، بحيث رأى بنك انكلترا نفسه يفتقر كلياً الى رصيد كاف من الذهب . وحركة سحب رؤوس الاموال هذه أخذت شكلاً خطيراً بالرغم من تقديم مصرف فرنسا له اعتمادات قيمتها ٥٠ مليون جنيه ، وفي ٢١ تشرين الاول تخلت الحكومة الانكليزية عن قاعدة الذهب . وهذا التخلي من قبل الانكليز عن تعادل الجنيه للبرة الذهب بعد ان ضحت انكلترا ما ضحت في سبيل الاحتفاظ بهذا التعادل،زاد الوضع سوءاً، إذ أدى الى انهيار فظيع في الاقتصاد النقدي العالمي . وهبط الجنيه في بضعة ايام الى ٣٠٪ من قيمتها الإسمية بالنسبة الى سعرها الماضي ، كما ان هذا الهبوط سبب هبوطاً مالياً لدى ٣٠ بلداً نقدها مرتبط بالنقد الانكليزي ، كالبلدان السكندينافية والدوميليون (باستثناء اتحاد جنوبي افريقيا وكندا) والبرتغال والسيام ومصر وبوليفيا ، حتى وفي اليابان في كانون الاول ١٩٣١ . وراح عدد كبير من الافراد والمؤسسات الاقتصادية التي لها جنيهات انكليزية ، والبيوتات التجارية في كل البلدان التي ترتبط بعقود محررة بالجنيه الانكليزية ، ومصارف الاصدار التي كانت حولت جانباً كبيراً من ودائعها الى ليرات انكليزية ، وفقاً لقاعدة الذهب التي اصابتها خسائر محسوسة : فقد اصاب بنك فرنسا خسارة تقدر بمليارى فرنك ، وبنك البلاد الواطية ثلاثين مليون فلورين ، وبنك بلجيكا ٦٥٠ مليون فرنك بلجيكي .

وهكذا باستثناء فرنسا التي لحقتها الازمة عام ١٩٣١ ، كل دول العـالم تضررت بها منذ عـــام ١٩٣٠ .

الازمة في الدول الجديدة

تضررت هذه البلدان بنتائج الازمة من الخارج ، بعـــد ان تأثرت عميقاً بالهبوط المفـاجىء في صادراتها ومن جراء توقف رؤوس الاموال من الخارج . ففي كندا هبط سعر القمح من ١٢٤ سنتا عام ١٩٢٩ الى اقل من ٦٠ عام ١٩٣١ ، وزاد الطين بلة قحط موسم الحبـوب في الغرب ، في سنة ١٩٣١ فقضى على

الموسم قضاءاً تاماً في مليونين من الهكتارات الزراعية . وراح كبار المزارعين يصرفون عمالهم ويستغنون عن الجرارات الزراعية لغلاء الوقود اللازم لها فيعودوا الى الاستعانة بالحصان . والمردود العام للمزارعين الكنديين الذي كان عام ١٩٢٧ — ١٩٢٨ نحواً من ١٨٠٠ مليون دولار هبط في سنة ١٩٣٣ — ١٩٣٤ الى اقـــل من ٨٠٠ مليون دولار ، كما هبط الدخل الصافي من ١٥٠٠ مليون دولار الى اقل من ٥٠٠ مليون . ودليل المحصول الزراعي هبط بنسبة ٣/٢ بينما لم يهبط الدليل العام للاسعار الى ادنى من الثلث . والقدرة الشرائية عند المزارعين هبطت الى الصفر . وعندما اخذت الاسعار تعود الى الارتفاع بعد عام ١٩٣١ ، بقيت في معدل هزيل اذا ما قيست بكلفة النقل ونفقات الخزن والعمولة التي لم تكن لتسمح باي عصر او ضغط . وقيمة الارض الزراعية في السهل حيث بلغ سعر الهكتار ٢٥٠ دولاراً عام ١٩٢٨ ، هبط الى ١٢٫٥ دولار حتى في هذه الظروف التي تشجع على البيع . والانتاج الحرجي هبط الى ادنى من الثلثين هو ايضاً كما ان انتاج المناجم الذي كان ٣١١ مليون دولار ، هبط الى ١٨٣ مليون دولار عـام ١٩٣٢ ، ثم عاد وارتفع الى ٢٧٣ مليون دولار عام ١٩٣٤ .

وفي اوستراليا ونيوزيلاندا اخذت تهبط ، هي الاخرى ، اسعار الصـــوف منذ آب ١٩٢٩ وازداد الهبوط انحداراً حتى مطلع عام ١٩٣٣ . ومع ان حجم الصادرات من الصوف والقمح والغنم والبقر والسكر والارز زاد بشكل ملحوظ واحيـــاناً تضاعف مرتين وثلاثاً ، فان قيمة هذه الصادرات لم تكن تمثل عام ١٩٣١ — ١٩٣٢ سوى ٥٥ ٪ من قيمتها لعام ١٩٢٨ — ١٩٢٩ ، ورافق حدوث الازمة في جنوبي افريقيا حدوث اطول جفاف عرفته تلك البـلاد خلال السنوات الستين الاخيرة من تاريخها مع تعرض قطعان الغنم فيها لامراض وافدة ، مما ادى الى هبوط ذريع في اسعار الذرة والصوف والمحاصيل الزراعية الاخرى . واستخراج المـــاس هبط الى ٥٠٦٫٠٠٠ قيراط اي ١/٩ محصول البلاد منه عام ١٩٢٧ . والمنجم الاول الواقـــع على مقربة من بريتوريا جرى سدّه واقفـــاله . ولم يبق للاتحاد من منجاة سوى انتاجه من الذهب .

وشعرت الهند من جهتها بشدة وطأة الازمة اكثر من غيرها من هـذه البلدان التي عانت منها الامرين اذ ان ٤/٣ السكان فيها يعولون على تصدير الخامات والمواد الاولية بعد ان هبطت اسعار هذه المواد الى اقل من النصف . فبين ١٩٢٨ — ١٩٢٩ و ١٩٣٢ — ١٩٣٣ ، هبطت قيمة الصادرات من ٣٣٩٠ مليون روبية الى ١٣٥٠ مليون كما انخفض الاستيراد الى النصف ، بينما الفوائد المترتبة على القروض والنفقات العامة غير الجدية بقيت على بهاظتها كالمعتاد .

واجتازت البرازيل ازمة جديدة في زيادة انتاجها من البن اعنف واثقل من تلـــك الازمة التي مرت عليها في مطلع القرن ، كما ان افتقار البلاد الى مساعدة المصارف الاجنبية الكبرى سبب انهيار الاسعار في بورصة نيويورك ، اذ هبطت من ٢٣ سنتا الى ٨ سنتات .وقد جر هبوط الجنيه وراءه الى الافلاس الذريع ، عدداً كبيراً من المزارعين ، والى نزع اليـــد عن ملكية

الاراضي المرهونة واستخلاصها من ايدي اصحابها . اما الجزر المنتجة للسكر في امـــيركا الوسطى والبحر الكرايبي ، فقد عرفت ، هي الاخرى ، مثل هـــذا الهبوط ، كما ادى الى فقدان الكثيرين لاملاكهم بعد ان نزعت من حيازتهم. والارجنتين التي يقوم ازدهارها على بعض المحاصيل الزراعية ، فقد تكدست فيها محاصيل الحبوب واللحوم وغصت بهـــا المستودعات والعنابر الخاصة ، وانخفض بالتالي سعر البيزو كما هبطت قيمة الارض ، الامر الذي اضطر معـه عدد كبير من الملاكين الى رهن املاكهم والتقدم الى السلطات المعنية بطلب تأجيل وفـــاء الديون بعد ان استحال عليهم الوفاء في المواعيد المضروبة له .

٢ – مظاهر الازمة

الازمة الصناعية

فاذا ما قارنا بين دلائل الانتاج الزراعي وبين دلائل الانتاج الصناعي في العالم لظهر لنا ان الانتـــاج الزراعي بين ١٩٢٩ – ١٩٣٣ ، قلما تغير ولو لحقـه بعض النقص الطفيف بينما نقص الانتـــاج الصناعي ١٥ ٪ من معدله العام .

فالمظهر البارز للازمة يتبلور على اتمه في هذا الانكماش العظيم الذي جـاء اشد بكثير من اي انكماش مماثل وقع في الازمات السابقة ، (المانيا من ٣٩ ٪ الى ٦ ٪) من الانتـــاج الصناعي الذي بلغ ادنى دركاته في تموز ١٩٣٢ ، اذ سجل ٣٨ ٪ ادنى من المعدل المسجل في حزيران ١٩٢٩ . ثم أطلت حركة ارتفاع بعد ان رسمت خطاً متكسراً بين هبوط وارتفـاع لتستمر في الصعود في الخريف . وقد جاء هذا الانكماش اعنف واشد في البلدان الصناعيـــة (اوروبا المصنعة والولايات المتحدة الاميركية) اكثر منه في بلدان اوروبا الزراعية واليابان ، وهكذا نرى ان اكبر خسارة وقعت تركزت على الاخص في مساحـة ضيقة نسبياً ، اذ ان ٣/٤ الانتاج الصناعي في العالم ، كان عام ١٩٢٨ ، موزعاً عـــلى اربع دول كبرى هي الولايات المتحدة الاميركية (٤٤٫٨ ٪) والمانيا (١١٫٥ ٪) والمملكة المتحدة (٩٫٢٦ ٪) وفرنسا (٧ ٪) . وتملك هذه الدول مع الخمس التالية : بلجيكا – هولندا – سويسرا – النمسا – كندا ٨٠ ٪ من الانتاج الصناعي ، بينما يتقاسم الباقي كل من الاتحاد السوفياتي وايطاليـــا واليابان والهند واسبانيا والسويد وبولونيا والارجنتين ، وهي دول يبرز عليهـــا بالاكثر ، الطابع الزراعي . واكبر خسارة سجلت في هذا المجال ، وقعت على الولايات المتحدة (٩٠ ٪) من مجموع الانتاج في البلدان الصناعية الاخرى ، وهو انهيار لم يسبق له مثيل من قبل حتى في ازمات الحروب ، اذ لم يزد عن ٣٠ ٪ في الدول المتحاربة في اوروبا .

المزارعون والوضع الحرج الذي تخبطوا فيه

لما كان الانتاج الزراعي (ولا سيما انتاج الحاصيل الغذائية) لم يتغير الا قليلاً ، فالازمة في هذا القطاع كانت اقل انتشاراً وأقل استواء منها في القطاع الصناعي . فقد ارتدت طابع ازمة خانقة تأثرت بها اسعار المصنوعات بعد ان بلغ المعدل الوسط للهبوط في الولايات المتحدة ٥٧ ٪ ، من حزيران ١٩٢٩ الى كانون الاول ١٩٣٢ . وكان من نتائج انكماش القدرة الشرائية في المدن ان تسبب عن انكماش مماثل في الريف ، وتكشف بالتالي عن انكماش في استهلاك المواد المشتراة . فأينما تكاثرت الاستثمارات الزراعية ، نرى تلك المجتمعات تعود الى « الاقتصاد الاستهلاكي » . فهي تعول في معايشها على انتاج المزرعة دون ان تكترث بمقايضتها بالمواد المصنوعة . والبلدان التي سبق لها ووجهت اقتصادها الزراعي وجهة تخصص معينة معدة للأسواق العالمية، والتي زهد فيها هذا الاجنبي وامتنع عن استيرادها ، فالفائض من هذا الانتاج كان في وضع يدعو للأسف الشديد . والبلدان التي تعول على التصدير الزراعي خاصة هي هذه البلدان بالذات التي تضررت بالأكثر من اي فئة اخرى من السكان . وهذا شيء ملموس في الولايات المتحدة واليابان وبولونيا وهنغاريا ورومانيا ويوغوسلافيا والارجنتين وكندا .

ففي كل هذه البلدان ، اضطر المزارعون لاجراء تخفيضات محسوسة في استهلاكهم للآلات والاسمدة والاعتدة الزراعية ، ولغير ذلك من المستهلكات الزراعية ، مما زاد في حرج بطالة العمال العاملين في الصناعة (في الولايات المتحدة الاميركية اكثر من مليوني عاطل عن العمل) . ومن جهة اخرى ان تعذر تجديد الاعتدة الزراعية واجراء اصلاحات ضرورية في المباني كان من بعض نتائجه هبوط ملحوظ في ثمن المزارع وقيمتها .

واخيراً وليس آخراً ، فهذه الازمة التي حدّت من حركة نزوح السكان في الريف باتجاه المدينة ، قد تسببت في ازدياد حركة العرض في اليد العاملة في الريف ، اي ان الحركة أدت الى نقص في الاجور جاء محسوساً وعلى نسبة كبيرة ، بحيث ان تطور الاقتصاد الاستهلاكي شجع المزارعين على صرف العمال المأجورين ، والاستعاضة عنهم باعضاء الاسرة . وهكذا فالبطالة في المدن تسببت الى حد كبير ، في البطالة في الريف .

وقد اشتدت وطأة الازمة بالاخص على الاستثمارات التي ترزح تحت الديون ، كما هو الوضع في سويسرا مثلاً (٥١٫٨ ٪ من رأس المال المستثمر) ولا سيما الاستثمارات الصغيرة في هذه البلدان التي سبق لها وقامت باصلاح زراعي في الداخل . ولما كان يستحيل على المزارعين وفاء الفوائد المترتبة على ما عقدوا من ديون ، فقد اضطروا الى الاستدانة من جديد . وهكذا تراكمت الرهونات ورزحت الممتلكات تحت اعباء جديدة في كل من بولونيا وهنغاريا (٤٠٪) وبلغاريا (اكثر من ٥٠ ٪) والمانيا . وفي الولايات المتحدة تحولت ملكية ألوف المزارع الى المصارف الدائنة ومعاملات الحجز التي اجريت خلال الضائقة المالية انتهت كلها بتملك شركة

متروبوليتن للضمان على الحياة لاكثر من ٧٣٠٠ مزرعة . وفي ولاية مونتانا وحدها ، امتلكت الشركة المغفلة ، عام ١٩٣٧ اكثر من ١٥،٦ ٪ من مزارع الولاية بعد ان ألقت عليها الحجز . وفي ولاية أيوا ١١،٩ ٪ . وقصة صغار المزارعين هؤلاء في اوكلاهوما الذين انتزعت المصارف الدائنة مزارعهم المرتهنة واصبح اصحابها مرابعين بعد ان كانوا اسياداً لها ثم انتهى امرهم بالطرد عندما راحت هذه المصارف تضم المزارع الصغرى بعضها الى بعض ، ترويها لنا رواية « عناقيد العنب » . فليس بغريب قط ان يرى ٢٩ ٪ في عام ١٩٣٩ ، انفسهم مرغمين على تسديد الاقساط المترتبة عليهم بالعمل في الخارج . والوضع الذي احاط بالمرابعين في الجنوب الشرقي من البلاد كان ادهى واقسى مما اتينا على وصفه ايضاً ، وعلى هذا قس وضع المزارعين ولا سيما من يعمل منهم في مواسم خاصة او يتزحون في مواسم خاصة عن مناطقهم في سبيل العمل في الخارج .

اجور وبطالة

تسببت الازمة في قيام بطالة كثيفة بين صفوف العمال لدى عدد كبير من البلدان بعد ان تثاقلت وطأتها على الفئات والمجتمعات العمالية في القطاع الصناعي ، لتنتقل منه فيما بعد الى القطاعات الاخرى . فالبطالة لا تصيب كل الحرف بالسواء ، فصفوف العاطلين عن العمل كانت اكثف بين عمال المناجم وصناعات التحويل والبناء منها في قطاعي الزراعة والنقل (باستثناء الولايات المتحدة الاميركية ، حيث الانكماش بلغ أشدّه ، بينما لم يعانِ القطاع التجاري كثيراً .

فانكلترا وحدها احتفظت باجور كانت مرتفعة نسبياً . فقد اتاحت القوانين الصادرة في الولايات المتحدة رفع هذه الاجور ، كما ان وصول الجبهة الشعبية الى الحكم في فرنسا تميز بحركة إنعاش في اجور العمال . فجاءت الازمة النقدية تفسد عليهم الفوائد التي تم لهم تسجيلها . وفي ايطاليا ، هبطت اجور العمال العاملين في المجال الزراعي ، بين ١٩٢٨ — ١٩٣٤ ما نسبته ٣٠٪ في كل من مقاطعة اميليا ، و ٣٢ — ٥٠٪ في مقاطعة لومبارديا . ومنذ عام ١٩٣٥ ، مع تطور صناعة النسيج وسياسة الاكتفاء الذاتي ، اصبحت الدولة الايطالية اكبر مستخدم للعمال في البلاد . فنتج عن ذلك ارتفاع في معدل ربح العامل بالساعة ، ولم يلبث هذا المعدل ان عاد الى نسبته عام ١٩٢٨ ، الا انها بالفعل كانت ادنى ، لان ساعات العمل لدى العامل كانت اقل مما كانت عليه عام ١٩٢٨ . وارتفعت الاجور كذلك في المانيا ، بمعدل ١٤٪ بين ١٩٣٣—١٩٣٩ الا ان ارتفاع تكاليف الحياة في البلاد ، والحسومات العديدة التي تعرضت لها الاجور ، اعادت النسبة الى ما كانت عليه من قبل . وبالرغم من هذا الارتفاع ، ومن ازدياد العمل ، فقد بقيت اجور العمال والمرتبات الموزعة عام ١٩٣٨ في المانيا ، اقل مما كانت عليه على العموم ، سنة ١٩٢٩ .

ومع ان النشاط الصناعي كان في هذا التاريخ على خير ما يكون من الازدهار ، فعدد العاطلين عن العمل لم يكن لينقص عن ١٠ ملايين في العالم ، مع العلم ان هذا العدد ارتفع الى

ثلاثة اضعافه ، بين ١٩٢٩ و ١٩٣٢ . فاذا ما اضفنا الى هذا العـــدد ، عـدد العاطلين جزئيا والعاطلين غير الملحوظين لبلغ عدد العاطلين عن العمل ٤٠ مليوناً تقريباً . وعـدد العاطلين عن العمل في الولايات المتحدة، عام ١٩٢٩ الذي كان يتراوح بين ٠٠٠,٥٠٠,١ و ٠٠٠,٥٠٠,٢ ، ارتفع عام ١٩٣٢ الى رقم تأرجح بين ١١ مليوناً و ١٢ مليونا ونصف، وفي عام ١٩٤٠ لن يهبط هذا العدد الى اقل من ٧ ملايين . فالحرب العالميـة الثانية وحدها هي الـتي استطاعت ان تضع حداً لهذا الوضع المحزن . وفي المانيا بلغ عدد العاطلين عن العمل ٠٠٠,٨٠٠,٣ في عام ١٩٣٠ ، و ٥ ملايين بعد هذا التاريخ بشهرين ، و ٠٠٠,٢٠٠,٥ عام ١٩٣٢ . وكان في تشيكوسلوفاكيا ٤١,٦٠٠ عاطل عن العمل عام ١٩٢٩ فاذا بهذا الرقم يرتفع الى ٠٠٠,١٠٥ ، عام ١٩٣٠ ، والى ٠٠٠,٥٥٤ عام ١٩٣٢ . وعدّت النمسا ٠٠٠,١٩٠ عاطـــل عن العمل سنة ١٩٢٩ ، فارتفع العدد عام ١٩٣١ الى ٠٠٠,٣٠٠ ، ليبلغ ٠٠٠,٣٧٨ عام ١٩٣٢ . فهذه البلدان الثلاث التي تضم معاً ٨٧ مليون نسمة منهم ٠٠٠,٥٠٠,٦٢ صالحون للعمل، لحقت البطالة بـ ٠٠٠,٥٠٠,٦ عامل مع عائلاتهم . وعدت البطالة في ايطاليا ، عـــام ١٩٣٢ اكثر من ٠٠٠,٣٠٠ عاطل عن العمل حسب الاحصاءات الرسمية ، بينما كان اكثر من نصف عدد العمال هم عاطلون عن العمل باستمرار او قسماً من وقتهم . وارتفع عدد العاطلين في انكلترا من ٠٠٠,١٤٢,١ (٩,٧٪) عام ١٩٢٩ الى ٠٠٠,٦٦٣,٢ ، في كانون الثاني ١٩٣١ (٢١,٥٪) لتبلغ نسبتهم ٢٢٪ عـــام ١٩٣٢ من بينهم ٣١,٧٪ يعملون في المباني الجديدة ، و ٢٨,٣٪ في الصناعات الاستخراجية ، و ٢٨,٥٪ في الصناعات الحديدية . وفي فرنسا ، ارتفع عدد العمال العاطلين ، من ٠٠٠,١٠ عاطل ، عـام ١٩٢٩ ، الى ٠٠٠,٣٠٨ عام ١٩٣٢ . ومن الملاحظ ان عدداً كبيراً من العمال الاجانب اضطروا للعودة الى بلادهم بعد ان تضاءلت وسائل العمل في فرنسا . وارتفع هذا العدد في شباط ١٩٣٨ الى ٣١٢,٣٨٦ . والى البطالة في المجال الصناعي يجب ان نضيف عـــدد العاطلين عن العمل في المجال الزراعي ، وهو رقم يستحيل تحديده .

طرأ على الازمة ابان اشتدادها عوامل جديدة غير مسعفة . ففي الطور الاول منها قـــام توازن مطلق بين نشاط الانتاج الصناعي وبين تطور حركة البطالة ، ولوحظ ان تناقص الانتاج بنسبة ١٪ انما يعني نصف مليون جديد من العاطلين عن العمل. اما في الطور التالي فقد تعطلت هذه النسبة واختل هذا التوازن. فالبطالة لا تخف بنسبة حدة الانتاج الصناعي (راجع شكل ٤ ص ١٤٠) ومرد ذلك ان ملايين من العمال الجدد بين صفوف اليد العاملة اصبحوا الآن صالحين للعمل ، في الوقت الذي مكن التطور التقني الصناعة من زيادة حجم الانتاج بعدد اقل من العمال . وعلى الاجمال ، فقد سجلت البطالة اعلى ارقامها عام ١٩٣٢ و ١٩٣٣ ، وفي بعض البلدان ، عام ١٩٣٤ (امثال فرنسا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ) بينما تباينت كثافة البطالة بين بلد وآخر . فقد كانت نسبة البطالة في المانيا ٤٣,٧٪ بين العاطلين تمامـــاً عن العمل بين العمال النقابيين ، و ٢٢,٦٪ يعملون ساعات مخفضة و ٣٣,٧٪ يعملون بصورة منتظمة كل اوقاتهم . ومن غرائب

الامور ان تقع العين على حرفة او مهنة نصف عمالها المؤهلين يعملون بانتظام . وهـــذه النسبة جاءت ادنى ايضاً في اليابان (اقل من ١٠٪) وفي بولونيا وتشيكوسلوفاكيا (من ١٠ – ١٥٪) ، وفي بريطانيا وبلجيكا (من ١٥ – ٢٠٪) ، وهـــذا المعدل نفسه في كل من كندا والسويد والولايات المتحدة (٢٠ – ٢٥ ٪) . وكان المعـــدل اعلى من ذلك في كل من النمسا وهولندا (٢٥ – ٣٠٪) وفي كل من النرويج والدانمارك (٣٠ – ٣٥ بالمئة) . وهكذا نرى ان التفاوت كان كبيراً بين الدول . وعلى هذا قس ايضاً البطالة بين مختلف العناصر والعروق البشرية . فقد

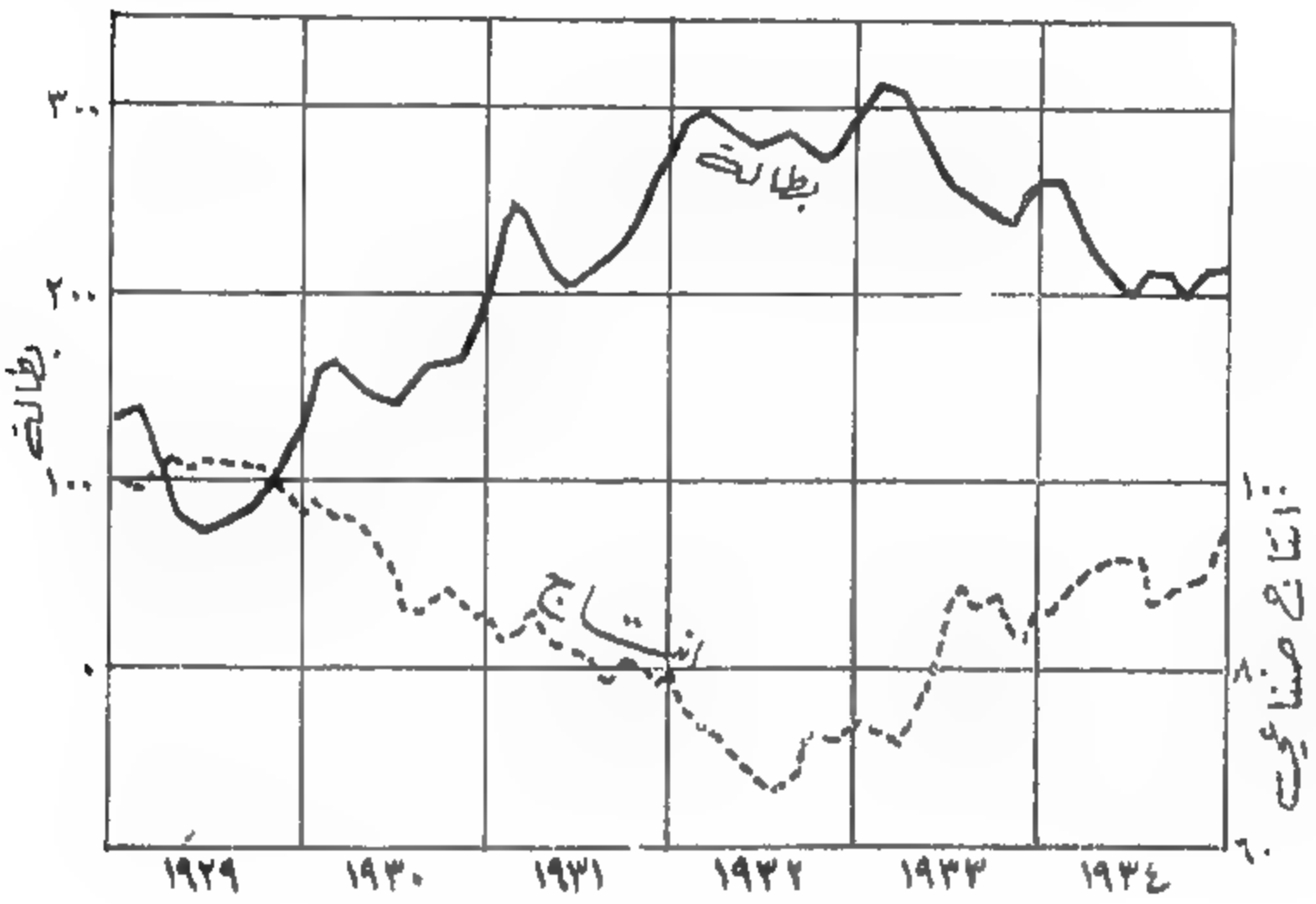

شكل ٤ ـ الانتاج الصناعي والبطالة في العالم بين ١٩٢٩ ـ ١٩٣٤ .
(الدليل ١٠٠ عام ١٩٢٩)

نزلت البطالة بالملونين اكثر منهم لدى البيض ، في الولايات المتحدة الاميركية . فالعبيد كانوا آخر من يدخلون العمل واول من يصرفون من الورشات والمصانع .

ولكي نقيّم البطالة كما يجب علينا ان نأخذ بعين الاعتبار ليس الحوادث الرسمية فحسب بل ايضاً حالات بعض الاسر التي كان كل افرادها او جلهم يجدون لهم عملاً مأجوراً . والحال فليس ثمة اية احصاءات نستطيع معها تبيين او تحديد الاوصاب والآلام المادية التي شعر بها ابو الاسرة وزوجته واولاده من جراء وجودهم عاطلين عن العمل .

الجوانب النقدية

تسببت الازمة في كل مكان بعملية تصفية جماعية للاستثمارات القصيرة الاجل ، كما ادخلت التشويش والبلبلة ، في الوقت ذاته ، على نظام المدفوعات بين الدول .

ان انكماش الاسواق الذي اصاب الجميع برذاذه ، وانخفاض عام للاسعار في كل اطراف العالم ، كان من شأنه اقصار الدول المستدينة على وضع يستحيل عليها معه وفاء التزاماتها وما يترتب عليها من فوائد متراكمة ، كألمانيا وبلدان اوروبا الوسطى والدول البلقانية وجمهوريات اميركا اللاتينية . ولذا ، اضطرت هذه البلدان لاعلان تأجيل وفاء ديونها والى اجراء تخفيض في عملاتها ، معتمدة بذلك الدائنين الوف الملايين . وامام هذه الاجراءات والتدابير التعسفية التي اطال العمل بها مكتب مراقبة القطع واجراءات تأجيل دفع الديون ، كان من الطبيعي جداً ان يتردد الدائنون في تكرار معاملاتهم المالية هذه . فرؤوس الاموال التي كانت حتى الآن تستثمر في هذه البلدان المتخلفة في تطورها الاقتصادي ، اصبحت الآن ترقد في صناديق اصحابها ، وبجمدة او مشغلة لآجال قصيرة او في مضاربات نقدية . فالخوف من مصلحة الضرائب ، ومن تخفيض سعر العملة وتحويل السندات الى عملات ، كل ذلك أدى الى تنفير هذه الأموال وتهريبها ، لا يلوي اصحابها على شيء . فلم تر قط من قبل مثل هذا التجمع لرؤوس الاموال الهاربة .

واخيراً وليس اخراً فانفجار الازمة كان من بعض نتائجه المباشرة ، هبوط تدريجي في الاسعار ، وهو هبوط لم يمكن الحد منه والتصدي له الا بإصدار قرارات تخفيض سعر العملات ، بين ١٩٣١ و ١٩٣٣ ، بينما استمر هبوط الاسعار في الدول المحافظة على قاعدة الذهب ، الى سنة ١٩٣٥ . وقد بلغ هذا الهبوط مستوى لم يسبق له نظير في تاريخ العالم الاقتصادي : فبلغ ٣٦ بالمئة من الاسعار في التجارة بالجملة لدى انكلترا ، و ٣٧ بالمئة في الولايات المتحدة ، و ٣٤ بالمئة في المانيا ، و ٥٠ بالمئة في هولندا ، و ٤٩ بالمئة في فرنسا (تموز ١٩٣٥) .

الاقتصاد العالمي يتسكع في فوضى عزلة

وهذه البلبلة والاضطرابات التي خلخلت الانظمة التقدمية ، جرّت وراءها الانهيار الكامل للنظام التجاري في كل اطراف العالم . فالاسهم التي جرى تبادلها بين ١٩٢٩ — ١٩٣٤ كانت في تقهقر ملحوظ . فالأسعار بالذهب انخفضت ٥٦ ٪ وحجم المبادلات الذي بلغ نهايته الصغرى عام ١٩٣٣ ، هبط ٢٥٫٥ ٪ .

وقد كان في شبه المستحيل أي بحث عن اسواق جديدة تمتص رؤوس اموال جديدة ، والبضائع الجديدة كانت عملية اشق بكثير مما كانت عليه في الماضي بالنظر للتصنيع العظيم الذي حققته الدول الواقعة عبر البحار (كالولايات المتحدة واليابان) ، وبالنظر لأرضاع روسيا والحرب الأهلية التي قامت في الصين ، وقد راح بعض رجال الاقتصاد يقترحون توسعاً موجهاً في كل من افريقيا وبلدان اوروبا الشرقية ، فتكشفت النتيجة عن محاولة اتصفت بالفوضى الزرية

وبدعوة « للنجاة بنفسه اقتصادياً والهرب لكل من أمكنه ذلك » . والكل يسعى للخروج من المأزق وتدبر أمره بحسب طاقاته . وهذا الصراع يقوم به الفرد ضد الجميع ، للبحث عن أسواق عالمية جديدة لن يلبث ان يصبح ، شيئاً فشيئاً ، غير ذي أثر ، وكان من بعض نتائجه العـــامة التخلي عن سياسة حرية التبادل والركون الى الحماية الجمركية المتطرفة ، وتعميم اجراءات الدفاع عن النفس ، والانزواء ضد البضائع وضد الناس ، وضد عملات البـــلدان الاخرى ، واحتدام المنافسة الدولية في المجال التجاري . وقد برهنت سياسة كل فرد لنفسه على عدم جدواها بالمرة لالتجاء الجميع الى الاجراءات والتدابير الواحدة ، بعد ان نسي الناس او تناسوا الترابط الوثيق الذي يشد بصورة لا تنفصم ، الاسواق النقدية الكبرى وأسواق الخامات والمواد الاولية بعضاً إلى بعض . وهكذا اخذ الاقتصاد العالمي بالتراخي والانحـــلال والانقسام الى كتل قومية واستعمارية تدير الواحـدة منها ظهرهـا للأخرى . فانكلترا تنطوي على مستعمراتهـا وعلى الدومنيون ، وفرنسا تتكئ على امبراطوريتها الاستعمارية ، والمانيا ودول اوروبا الوسطى تتطور نحو سياسة الاكتفاء الذاتي والاعتصام وراء الحماية الجمركية . اما في الولايات المتحدة الاميركية « فالخطة الجديدة » تتجه بالضرورة نحو السوق العالمية او الداخلية . وبعكس ما كان يحدث في الازمات السابقة ، فعودة الاعمال إنما تمت عن طريق تطور الاسواق الوطنية او القومية الخاصة وليس عن طريق توسع الاسواق الخارجية . فالاسواق الداخلية الوطنية هي التي تستهلك القسم الادنى من زيادة الانتاج .

بلغ حجم التجارة العالمية ، عام ١٩٣٦ نحواً من ٥٬٨٥ ٪ من المعـــدل الذي سجلته سنة ١٩٢٩ ، بينما قيمته بالعملة الذهب لم تكن لتزيد على ٣٬٣٧ ٪ من اصل المبلغ الذي سجله من قبل . والحركة التجارية في اميركا تأثرت اكثر مما تأثرت به الحركة التجارية في اوروبا . فقد انخفضت نسبة حصتها من التجارة العالمية من جراء زيادة الرسوم الجمركية المنفرة عندها . وهكذا استطاعت اوروبا زحزحة التفوق الذي حققته الولايات المتحدة خلال الحقبة الماضية . ولا يتصورن احد ان الوضع قد انعكس تماماً . والزيادة في الصادرات الأوروبية جاءت نتيجة اتفاقات عقدتها الدول على قاعدة الدول الاكثر رعاية ، ولا سيما بريطانيا العظمى مع بلدان الدومنيون ، والصادرات نحو الامبراطوريات الاستعمارية الفرنسية والانكليزية ، والاتفاقات الثنائية التي توصلت المانيا الى عقدها مع بلدان اميركا الجنوبية وبلدان اوروبا الوسطى . وهذا التحسن كان مع ذلـك أعجز من ان يوقف الانحدار الذي اصاب اوروبا لأن صادرات الدول الكبرى الثلاث لم تستطع بلوغ المستوى الذي كانت عليه عام ١٩٢٩ .

أما البلدان المتخلفة ، وهي هذه البلدان الواقعة عبر البحار او البلدان الزراعيـة في اوروبا الشرقية التي تأثرت عميقـاً بهبوط أسعار المواد الاولية ، فقـد اخذت تعمـل بنشاط اكبر مما عرف عنهـا في الماضي ، للنهوض بعملية تصنيعها ، وللتخفيف من استيراد المنتوجـات الصناعية المشغولة .

وعندما تمت الرجعة ، وعاد النشاط الى سابق ازدهاره ، بقيت الحركة متواضعة يحدّ منها سياسة الاكتفاء الذاتي التي اخذت بها معظم البلدان ، والاقتصـــاد الموجه للحرب والتنافر المتزايد بين الاسعار في الداخل وأسعار المواد المعدة للتصدير التي سارت عليها كتلة الدول القائم نقدها على قاعدة الذهب ، كهذه الدول (المانيا مثلاً) التي تحاول ان تحـــافظ ولو بصورة مصطنعة ، على استقرار عملتها . كل هذه البلدان تعتمد سياسة إغراق الاسواق بشكله التقليدي المتعارف (المانيا) او بشكل إغراق نقدي ضمن كتلة دول الدولار او كتلة الستراليني او كتلة دول الفرنك او كتلة دول اليَن . فالسوق العالمية ضيقة هي : « فقد قامت فيما مضى وما تبقى منها لم يعد سوى سوق للسيطرة » كما يقول ل. لورات .

الفصل الثاني

تدخل الدولة
ونتائج الأزمة الاقتصادية

تدخل الدولة بفرض نفسه بنفسه

لم يكن في وسع الدول المعنية ان تقف مكتوفة اليدين لا تبدي ولا تعيد امام المشكلات التي تتخبط فيها والمصاعب التي تعانيها مشروعات ضخمة يعمل فيها احياناً عشرات الألوف من العمال ، والاتحاد المالي الذي آلت اليه معظم المصارف فهدد بخطر مستطير ودائع المودعين لديها والعـــائدة لغالبية السكان الساحقة من مودعين ورجال الصناعة ، والخطر الذي أطلّ مع الازمة النقدية والبطالة المتدهورة منها . وهكذا خلافاً لما سبق وجرى في الازمات الاقتصادية الماضيـــة التي تركت معالجتها لتفاعل « القوى الطبيعية » ، شهدنا تدخلاً مباشراً من قبـــل الدول وهو تدخل اخذ يزداد ويستفحل نشاطاً يوماً بعد يوم . فاستلمت بيد من حديد شؤون اقتصادها الوطني ، واتخذت في هذا السبيل ، الاجراءات التي يقتضيها الوضع والتي كان من شأنها ان تحد من نشاط رأس المال الخاص في هذا المجال . وهذا الرأسمال المسيطر الموجود لدى اتحادات الشركات الكبرى او تحت تصرف التكتلات الاقتصادية المعلاقة من عامة وخاصة يعمل علانية او في الخفاء، قد ألحق ضرراً كبيراً بالاقتصاد الحر وضيّق عليه الانفاس . وهؤلاء المتنجون الذين عرفوا الآن بحرصهم على استقلالهم وصيانته من كل تدخل من جانب الدولة ، اخذوا هم انفسهم يتجهون اليها طالبين حمايتها والتدخل لانقاذ مايصون مصالحهم . من ذلك مثلاً لجنة هاريمان التي عينتها غرفة التجارة في الولايات المتحدة الاميركية بعد ان اخذت تطالب ، منذ تشرين الاول ١٩٣١ ، بوضع « خطة وطنية شاملة تضبط معها الانتـــاج والتصدير » ، و « التنسيب بين القضايا الاقتصادية » ، عن طريق مجلس وطني . وقام عام ١٩٣٢ ، احد اعضاء المجلس الاقتصادي في الرايخ هو الدكتور هرمان بوخر يصرح على رؤوس الاشهاد بأنه مضى الى حيث لا رجعة « عهـــد حرية التصرف وحرية المرور ، وهذه الروح الفردانية التي لا حد لها ولا نطاق » . وراحت الحكومات من جهتهـا وعلى اختلاف نزعاتها وألوانها تعمل وتسعى ليس لانقاذ النظام الرأسمالي فحسب بل خوفاً من ان تتسبب لشعوبها جروح لا تستطب وضربات مميتة . ولهذا راحت الدولة توسع كثـيراً من

نطاق عملها خلال هذه السنوات ليس باتخاذها الاجراءات والتدابير العامة فحسب ، بل ايضاً بفرض الضرائب والرسوم الجمركية وفرض نظام التقنين والقيـــام بنفسها بأشغال ضخمة في البلاد ، كما اتخذت ترتيبات نقدية واسنّت قوانين اجتماعية واضافت الى هـــذا كله سلسلة من المداخلات الخاصة كمساعدة المشروعات التي تعاني الصعوبات ويتهددهـا الخطر ، والتشريعات المشجعة او الماضية بتأليف التكتلات والاتفاقات ومن بينها الركون الى التأميم ، وتوجيـــه الانتاج في بعض المجالات ، وفي البلدان المنتهجة سياسة الاكتفاء الذاتي في كل قطاعات الحياة الاقتصادية .

وهكذا وضعت الدولة كل نفوذها لتأمين تنظيم النشاط الاقتصادي بعـــد ان ألحقت به وادخلت عليه تشويشاً ، اباحية الاستثمار الحر فكـــادت تجره الى الفوضى التامة . فقد حاولت جاهدة تحقيق تنظيم الاسعار والتحكم بها وترويضها ، ومعالجة المصاعب التي يلاقيها الانتاج بعد ان تضخم واستشرى واستبطر ، وباثارة الطلب وتشجيع الإقدام عليه . وقـد اضافت الى هذه الذرائع الاقتصادية الطابع ، وسائل اخرى تدخل في صميم السياسة كتحديد النفوذ الثابت لبعض الهيئات الاستثمارية الكبرى (تأميم البنك الاهلي في فرنسا وبعض المصانع الحربيـــة) ، وتأمين بعض الخدمات للمواطنين ، بكلفة ادنى (كالتشريع الخاص بالبضائع الشعبية في الولايات المتحدة الاميركية) ، وادخال الطمأنينة وتوفيرها للجميع ، ومختصر القول انماء قدرة الامـــة وزيادة طاقتها في حالة حدوث حرب وغير ذلك من التدابير . كذلك اتخذت الدولة نفسها ، في كل مكان تقريباً الاجراءات ضد البطالة ، وتوجيهه ، وضد الشيخوخة والمرض ، وحلت اخيراً محل المجهود الفردي في القطاعات التي لا حول لهذا المجهود ولا طول لتأمين الفعالية المرجوة .

سياسة الحماية الجمركية

اولى وسائل التسييج حول المنتجين كان التفكير بفرض رسوم جمركية تحمي السوق الداخلية وتصونها من المزاحمة الاجنبية . وقد جاء هذا التدبير فورياً في هذه البلدان التي يسيطر عليها جو من تقاليد الحماية ألفته الجماهير لم يلبث ان فرض نفسه حتى على هؤلاء الذين كانوا مستمسكين ، ولو بشكل متراخٍ ، بسياسة التجارة الحرة او الباب المفتوح . ومنـــذ عام ١٩٣٠ ، راحت الولايات المتحدة الاميركية ، اكثر دول الارض اخذاً بسياسة الحماية ، تقوي من وسائل الحماية عندها ، وذلك بفرض التعريفة الجديدة المعروفة بتعريفة هاولي سموط . وفي السنة ذاتها حذت حذوها كل من فرنسا وكندا وايطاليا واسبانيا ، ولم تلبث ان نسجت على منوالها ايضاً كل من الهند والارجنتين ، والبرازيل والصين ، ولا سيما انكلترا التي بعد ان استكملت تطورها في هذا المجال ، اعلنت سياسة الحماية التجارية الكاملة . فمنذ تشكيل الحكومة الوطنية برئاسة مكدونالد ، هـــذه الحكومة التي اطلت على انكلترا اثر الانتخابات العامة التي أجرتها عام ١٩٣١ ، اقر مجلس العموم قانون التعرفة الجمركية على الاستيراد (غير العادي) . وهو قانون يتيح لوزير الماليـــة ان يفرض لستة اشهر رسوماً جمركية تبلغ احياناً ١٠٠ ٪ من قيمة البضاعة على الاستيرادات غير العـــادية

والكماليات) وعلى المصنوعات المشغولة وفي شباط (فبراير) ١٩٣٢ فرض القانون الخاص برسوم الاستيراد ، نظاماً جمركياً متماسكاً كليـــاً . وهكذا رأت انكلترا نفسهـــا مسلحة لتعقد سلسلة من المعاهدات التجارية ولتؤلف نوعاً من الاتحاد الجمركي ، مع بلدان الدومنيون، عن طريق اتفاقات اوتاوا .

واخذت سياسة الحماية الجمركية تتسع وتشتد في السنوات التالية ، اذ اخذت كل دول العالم تلغي الواحدة منها تلو الاخرى ، المعاهدات والاتفاقات التي تنص على الدولة الاكثر رعاية كما راحت تشن حرباً جمركية على بعضها البعض اخذت تقسو وتشتد . وهكذا نرى معـــامل الحماية ترتفع تباعاً في فرنسا من ١٧،٨ بالمئـة عام ١٩٣٢ ، الى ٢٩،٤ بالمئـة عام ١٩٣٥ ، وفي المانيا من ٨،١ بالمئة عام ١٩٢٩ ، الى ٢٩،٢ بالمئة عام ١٩٣٧ ، وفي ايطاليا من ١١،٩ بالمئة الى ١٩،٤ ، حتى في انكلترا نفسها ارتفع هذا لمعامل من ١٩،٣ بالمئة الى ٢٣،٣ بالمئة بين التاريخين المذكورين . الا انه كان من نتيجة هبوط الاسعار المتواصل ان عجزت الرسوم الجمركيـة عن تأمين الدفاع المطلوب ، فعمدت الحكومات ، اذ ذاك ، الى وسائل انجع وافضل للحماية بفرض الحظر على الاستيراد ولا سيما الاعتصام بسياسة تقنين الاستيراد هذه السياسة التي كان من شأنها ان تحدد الكمية المستوردة من هذا الصنف او ذاك . وعلى مثل هذه السياسة سارت فرنسا على الاخص منذ عام ١٩٣١ .

سياسة الانكماش المالي

الى جانب تدابير الحمـاية ، اخذت الحكومة بسياسـة تعويم المشروعات التي تعاني بعض الصعوبات ، وتأمين هامش للربح عن طريق تخفيض اسعار الكلفة . والوسيلة التقليدية المتبعة هنا هي سياسة الانكماش المالي ، اي التقليل من وسائل الدفع وتخفيض الاجور ، وتضييق عمليات التسليف المصرفي الامر الذي تضطر معه البيوتات الصناعية الى تصفية مخزونها كما تضطر بالنهاية الى تصفية المشروعـــات الهامشية ، والمحافظة على ميزان المدفوعات عن طريق خفض النفقات العامة وزيادة الضرائب .

الا ان سياسة الانكماش المـالي تبقى أعجز من ان تؤمن الدعم المالي الذي كان يتم من قبـل بصورة اوتوماتيكية ، وذلك بسبب الاهمية المتزايدة لرأس المال المحدد في المشروعات وبسبب التكاليف العامة التي لا يمكن ضغطها او عصرها، ولا سيما الاتفاقيات الصناعية التي باستطاعتها الصمود في وجه هبوط الاسعار . والامر يبدو بوضوح في المانيا حيث تهبط الاسعار غير المتكتلة ٥٥ بالمئة بين ١٩٢٩-١٩٣٣ ، بينما الاسعار التي يفرضها التكتـل الاحتكاري تبقى مستقرة ولا تهبط في آخر الامر الا بنسبـة ٢١ بالمئة مع هـذا الانكماش المالي في مثل هـذه الاوضاع والحالات ، كان قليـــل الاثر ، ضعيف الجدوى كما ان تخفيض الاجور جـــاء متفاوتاً بـين فئة واخرى .

اما موازنة الدول فقد كان من الصعب جداً ضغطها وعصرهـا في الوقت الذي اخذت فيه تؤثر عليها جدياً جباية الرسوم المالية ، وترزح تحت وطأة الاعانات . فمساعدة البطالة وتعويم

الاستثمارات التي يتهددها الخطر ، والتدخـل في الاسواق مساعدة للمنتجين بواسطة اعـانات توزع بمثابة تشجيع للانتاج او للتقليل منه . وقـد امكن للدولة تخفيف الضرائب عن طريق اتفاقات المقاصة او المعاوضة ، وذلك تجنباً ، قدر المستطاع ، لتحويل العملات الصعبة . وقد فرضت في المانيا ، عام ١٩٣٦ ، عقوبات قاسية حتى عقوبة الموت، على من يحاول تهريب امواله للخارج او يبقيها خارج البلاد . كل هذه التدابير أبقت الاسعـار في مستوى أعلى من مستواها في البـلدان التي تسير على سياسة الانكماش المالي وتثير الصعوبات والعراقيل في وجـه عمليات التصدير . وهكذا راح الدكتور شاخت يحاول اختباراً اعتبره بديلاً لسياسة الانكماش ، منها مثلاً « الماركات المسجلة » او « الماركات السياحية » التي لم تختلف قيمتها في المانيا عن قيمـة

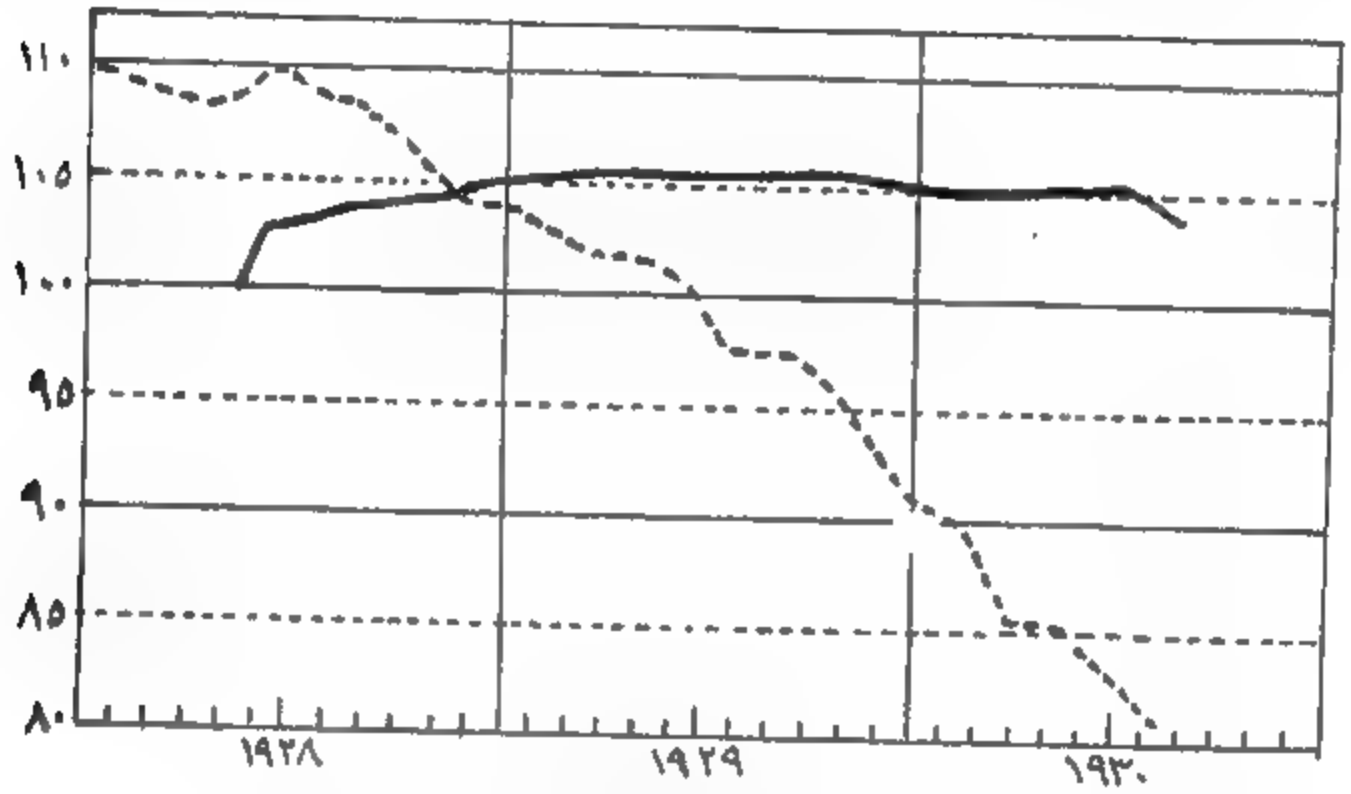

شكل ٥ ـ سعر الاحتكار وسعر المنافسة في المانيا بين ١٩٢٨ – ١٩٣٩

المارك العادي بينما كانت تشترى في الخارج بسعر ادنى من السعر العالمي، ولشاريها الحق بالحصول على شكات محررة بالمارك تقبضها المصارف الالمانية داخل البلاد بسعرها الرسمي . وتكوّن هـذه العملات الاجنبية التي دفعت بالمقابل لها في المصارف الاجنبية ، عملة احتياطية للتبادل تفيد في استهلاك الديون المجمدة . وهذه الطريقة الدقيقة للغاية يقتضي لها بالطبع محاسبة معقّدة للغاية، انما كانت تتيح استهلاك الديون تدريجياً ويسهل المشتريات من الخارج دون نقل او انتقال العملات وبدون ان تتعرض العملات الوطنية لقيود القطع وتطوراته ، كما انها ساعدت على التموين بالخامات وتأمين عملية التسلح ، وسهلت من جهة اخرى ، تأمين استقرار النقد في الداخل . وهكذا قل عن المارك (*Askt*) الذي لم يكن يصرف الا في شراء بضائع المانية . اما تمويل الاشغال الكبرى في الداخل ، فقد تأمن اما بسندات على الخزينة او بسحوبات خاصة من قبل متعهدين خصوصيين معتمدين لدى الاسواق العامة ، تعتمدهم الحكومة وتضمنهم . اما في ايطاليا ، ففي

ايار (مايو) ١٩٣٥ ، الفت الحكومة ادارة خـاصة لم تلبث ان اصبحت وكالة وزارية لمكتب القطع والعملة الصعبة . الا ان انشاء مكتب القطع لم يحل قط دون هبوط سعر الليرة في تشرين الاول ١٩٣٦ ، ودون التضخم المالي فيما بعد .

والحكومات التي لم تؤسس فيها مكتباً لمراقبة القطع ، لم تكن اقل احترازاً من غيرهـــا واهتماماً بتطورات نقدها . فقد انشأت بريطانيا العظمى مكتباً خاصاً لامور القطع تمكنت معه من توجيه هبوط الجنيه بحيث تبقى له الاسبقية على الدولار في كل معاملات التصدير ، بعـد ان اتخذت ، عام ١٩٣١ ، الاجراءات اللازمة لذلك . وفي الولايات المتحدة الاميركية ، انتهجت الحكومة سياسة من التدابير النقدية عرفت معها ان « توجه » الدولار .

عملية انقاذ المشروعات التي تعاني الضيق

من بين المهمات الكبيرة الـــتي كان على الحكومات المضطلعة بمسؤولياتها مواجهتها ، مهمة إنقاذ مشروعات الاستثمار الكبرى التي تعاني الضنك ويتهددها الخطر . فقد انشأت الحكومة الاميركية ، منذ عام ١٩٣٢ ، الوكالة المالية للتعمير (*R. F. C.*) التي عهدت اليهـــا بمهمة تسليف الاعتمادات اللازمـــة للمصارف والشركات التأمين والتسليف الزراعي . وما كادت تظهر حكومة الديموقراطيين حتى راح عدد من الولايات في الاتحاد يعلن تأجيل وفاء الديون على اراضي الولاية ، واغلاق مؤسسات التسليف . وعندما تسلم الرئيس روزفلت مهام الادارة في الرابع من آذار ١٩٣٣ لم يكن في البلاد مصرف واحد فاتح ابوابه . فعمد ، قبل كل شيء ، الى منع تصدير الدولار للخارج . واتخذ قراراً عاماً بتأجيل وفاء الديون ، وعمد الى تنزيل قيمة الدولار ، وانشأ مراقبـــة على المصارف . وقانون طوارىء المصارف أولى وزير المالية حق تعيين مراقب مالي موقت على كل مصرف وطني يعاني بعض الصعوبات ، مع تخويل هذا المراقب الصلاحيات الكاملة لاعادة تنظيمه بشرط موافقـــة ثلثي المساهمين او موافقة ٧٥٪ من اصحاب الودائع فيه .

واضطرت الحكومة الفرنسية ، من جهتها ، الى تعويم بعض المؤسسات الماليـــة التي تعاني صعوبات كبيرة ، بضمانها سلامة المبالغ المودعة فيها والتي تعود للالوف من المودعين في مصرف الالزاس واللورين والمصرف الاهلي للتسليف . وقد كانت الحكومة ، المنقـــذ الاول للشركات العاملة عبر الأطلسي ولشركة النقل الجوي . وهذه السياسة التي قامت على تأميم الخسائر انتهجتها المانيا هي الاخرى ، بعد ان اضطرت الى ان تضمن الودائع المصرفية . وتجنباً لانهيار عـام في النظام المصرفي في البلاد ، اشترت قسماً كبيراً من اسهمها . وفي ايطاليا فتحت وزارة الماليـــة اعتماداً خاصاً للشركة الصناعية المالية الايطالية ، التي بادرت في الحال الى انقاذ مؤسستين للاعمال المصرفية في البلاد ، هما بنك التسليف والبنك التجاري . وفي الوقت ذاته عمدت الحكومة الى تشكيل المعهد الصناعي للتعمير (*I. R. I.*) الذي حاكى من قريب المعهد الاميركي المعروف (*R. F. C.*) هوفر والمصرف العقـاري الايطالي (*I. M. I.*) مهمتها اصدار سندات بضمانة الحكومة بقصد تصفية المؤسسات التي يترصدها الخطر ، او لتسليف الاعتمادات الطويلة الاجـل

أو قصيرة الاجل للمؤسسات التي تنعم بالعافية . واكبر مثل على بعض الاعمال التي قام بها هذان المعهدان : عملية انقاذ الشركة الكهربائية المائيـــة في مقاطعة (البيامونت S / P) بعد ان هبطت قيمة اسهمها من ٣٦٩ ليرة في شبـــاط ١٩٢٥ الى ٢١ ليرة في ٣١ كانون الاول ١٩٣٢ ، ومعهد البناء الصناعي اعاد الى اسهمه القيمة الاسمية التي كانت لها عند الاصدار ، وحولهـا الى شركات اخرى طرحت في التداول اسهمـــاً ضمنت الحكومة فوائدها . وفي بلجيكا اضطرت الحكومة الى مد يد الانقاذ الى مصرف العمل والى مصارف آخر .

سياسة المساعدات المالية والتوطيد

استعملت كل حكومة الاموال العامـــة كما استعملت كل سلطتها الادارية لتقديم مساعدات ماليـة الهدف منهـــا تشجيع المؤسسات الانتاجيـــة التي تعاني من الصعوبات ، او « لدعم الاسواق » بالحؤول دون مزاحمة بعض المنتوجات الاجنبية لها .

وفي سبيل دعم المزارعين وتوفير قوة شرائية لهم شبيهة بالقوة التي كانت لهم أثناء الحرب ، عمد الرئيس روزفلت الى اصدار قانون التنسيب الزراعي المعروف بالحروف الثلاثة (A A A) وبموجب هذا القانون ، انشىء المكتب الزراعي الذي اتخذ اجراءات حازمة ، منها مثـــلاً تخفيض المساحات الزراعية الخاصة وبعض المحاصيل (التبغ والقطن) وذبح الماشية ، واجبـار الولاية على دفع مكافآت تشجيعية للمزارعين برسم تعويضات لهـــم تقتطع من الصناعات التي تجري عليها اول تحويل (فدفعت مصانع الطحين رسماً معيناً على القمح) . ودفعت في انكلترا مبالغ لمربي الماشية ، ولمنتجي الحليب (بشكل توزيعـــات بسعر مخفض لاولاد المدارس) ، ولمنتجي الشوفان والشعير . وفي فرنسا ، اشترت الدولة كل الكحول المستخرجة من النبيـــذ الفائض عن الاستهلاك المحلي ، وخصصت عـلاوة صيانة للمزارعـين الذين يخزنون محاصيلهم من القمح ، ودفعت ، عام ١٩٣٥ ، تعويضات للكرّامـــين الذين اضطروا لاستبدال نصوبهم ، ومكافآت لمصدري الزبدة والمنتوجات الراقنجية .

مسلك الحكومة بشأن الاسعار والاجور

لم يتسم تصرف الحكومة في مجالات الاسعار والاجـور بذات الطابع . ففي الولايات المتحدة الاميركيـــة ، انصرف نشاط الحكومة الى تنقية السوق الداخلية الضخمة قبل ان تهتم بتأمين اسواق جديدة لها في الخـارج . ولذا حرصت قبل كل شيء ، على رفع الاجور واسعار المواد الزراعية بحيث تتوفر للمزارعـين وللعمال القدرة الشرائية اللازمة ، وبالتالي اتخاذ الوسائل التي تؤمن انتاجية طيبـــة للمشاريع الاستثمارية . وحاولت فرنسا من جهتها عن طريق الاتفاقات المعروفـة باتفاقات ماتنيون ، بعث النشاط في الحركة الاقتصادية بتقوية القدرة الشرائية ، وبحرصها على الا يفسد ارتفـــاع الاسعار الغاية من رفع الاجور والمرتبات . امـــا في المانيا التي كان يهمها ، قبل كل شيء ، تشجيع حركة التصدير ، فقد حرصت حكومتها ، على تأمـين الاستقرار ، للمارك الالمـاني ،

وبالتالي تأمين الاستقرار للاسعار والاجور . فقد جرى تثبيت الاسعار فيهـا على معـدل سنة ١٩٣٢ ، وراحت الشركة الغذائية تفرض رسوماً عالية على المبيعات وتؤمن حاجة المستهلكين عن طريق الزامهم استلام حاجتهم من المـواد الغذائية باسعار محـددة . وحاولت الحكومة الايطالية ، من جهتها ، تحويل المستهلكين عن استهلاك اللحوم والخضروات والثمار الطازجة والزيت ، اي كل هذه المواد الغذائيةالتي اما لا تفي بالحاجة او انهيتوجب استيرادها من الخارج ، او انها تصلح للتصدير ، وتؤمن بالتالي قطعاً نادراً للبلاد . فقد انصرف جـل عنايتها في هـذا المجال الى توجيه انظار المستهلكين للسمك والاجبان والنشويات. وجرى في فرنسا ، عام ١٩٣٧ تحديد اسعار بعض المنتوجات الزراعية .

معالجة البطالة

انكى الرزايا واشدها هولاً ووطأة على الاطلاق البطالة . فالى جانب هـذا الفريق من العمال المحظوظين نسبياً الذين استمروا في عملهم ، هنالك ملايين منهم عاطلون عن العمل كلياً او جزئياً او بصورة متقطعة . ولذا نراهم عرضـة للهواجس والهموم والبؤس التي تنتابهم ليل نهار . فوسائل الاسعاف التقليدية كالضمان ضد البطـالة ، والتأمين الخاص او العام التي كانوا يعولون عليها عادة في المرحلة الاولى من مراحل الازمـة ، لم تلبث ان اصبحت عاجزة عن بعث الطمأنينة في النفوس . ولذا كان لا بد من توزيع تعويضات بصورة منتظمة وفقاً للنظام المعمول به في انكلترا ، هـذه التعويضات الحاصلة اساساً من الحسومات المقتطعة من اجور العمال الى جانب هذه المساعدات المالية التي تدفعها خزينة الدولة مما يوازي تقريباً نصف مرتب العامل او اجره قبل انقطاعه عن العمل . وبالنظر لوفرة البضائع المكدسة في العنابر ، على اختلاف انواعها التي لم تكن لتفسح استخدام عمال عاطلين عند المباشرة بانتاج بضائع جديدة ، لا يمكن تصريفها ، فقد لجأت الحكومات الى اجراءات طالما لجأت اليها من قبل لامتصاص البطالة وتشغيل العاطلين عن العمل ففي كل بلدان العالم ، وفي جميع القارات على السواء ، تفتح ورشات عمل لشق الطرقات وانشاء الاوتوسترادات ، وبناء الخزانات والسدود والمساكن الشعبية وقد بلغ قيمة المبالغ التي صرفتها الدول على هذه الاشغال عام ١٩٣٣ — ١٩٣٤ نحـواً من ٦٠ ٪ من مجموع موازناتها . وفي المانيا ، عـام ١٩٣٧ ، كان ٧٢٫٦ ٪ من الانشاءات والمباني على حساب الدولة . وخصصت انكلترا ١١٥ مليون جنيـه لبناء مساكن شعبية وتشكلت في الولايات المتحدة الاميركية ، تحت ادارة هـاري هوبكنز وكالة خاصة عرفت باسم وكالة النهوض بالاشغال ، كان من اهم اهدافها ، استخدام العاطلين عن العمل (بمعـدل ٣ — ٥ ملايين عامل) وتدفع لهم اجور تأمينية ادنى قليلاً من الاجور المألوفة ، انما كانت تفي لتأمين حياة كريمة . وتبقى مساعدات التأمين وقفاً على اصحاب العاهات والشيوخ وغـير المؤهلين الذين لا يمكن الانتفاع بهم .

وهكذا نرى ان عودة الامور الى مجاريها الطبيعية انما تمت ، في المرحـلة الاولى ، بواسطة

مؤسسات الدولة ، كما ان هذه المؤسسات قامت بالمهمة نفسها ولو بصورة مستورة . وفي سبيل العاطلين الجدد ، انشأت الولايات المتحدة مخيمات عمل (١٥٠٠ مخيم) ضمت بين ١٩٣٣ — ١٩٤٠ نحواً من ٢،٥٠٠،٠٠٠ عامل استخدموا في تجفيف المستنقعات واعمال توسيع الطرقات وغير ذلك من الاشغال العامة . وفي المانيا استغرقت الانشاءات العمرانية عدداً كبيراً من العمال . واخذ هذا العدد بالهبوط والتناقص من ٥،٥٧٩،٠٠٠ عام ١٩٣٣ ، الى ٤،٧٣٣،٠٠٠ عام ١٩٣٣ ، والى ٢،٦٥٧،٠٠٠ عام ١٩٣٦ . وجاءت خطة السنوات الاربع التي وضعت لتطوير انتاج المعدات الحربية السريع والكثيف تمكن معامل الصناعة الثقيلة التي لم تكن تستغل سوى ٣٠ ٪ من طاقتها الانتاجية ، من ان تمتص البطالة كلياً في البلاد . وسياسة الاكتفاء الذاتي التي فتحت اسواقاً جديدة للصناعات الكيماوية والميكانيكية ، عملت هي الاخرى في الاتجاه ذاته .. كذلك انشاء مصلحة العمل الالزامي ، ثم في آخر المطاف العودة الى سياسة الخدمة العسكرية العاملة سنة ١٩٣٥ .

والصناعة الحربية اتاحت لايطاليا هي الاخرى ، ان تمتص قسماً كبيراً من العاطلين عن العمل . وفرنسا لم تتخذ اجراءات حاسمة بهذا الصدد الا عندما استلمت الجبهة الوطنية الحكم في البلاد . وكان من نتائج العمل باسبوع الاربعين ساعة عمل ان انخفض عدد العاطلين عن العمل في البلاد ، وذلك بنسبة ١٣٫٣ بالمئة بين ١٩٣٦ — ١٩٣٨ ، ولم يخرج الامر عن كونه ، في الواقع ، سوى تدبير مخفف ، وليس امتصاصاً كاملاً اذ ان البطالة الجزئية بقيت قائمة في البلاد ، وقد كان هنا تأثيره الظاهر للقانون الذي فرض الخدمه العسكرية ، وبذلك ازداد الجيش ١٠٠،٠٠٠ جندي ، كما ان استخدام ادارة السكة الحديدية لـ ٨٠،٠٠٠ عامل اضافي وتقوية الصناعات الحربية خففت كثيراً من وطأة البطالة . وهكذا ان عجز الاشغال العامة ، بعد سنة ١٩٣٤ عن استئصال البطالة في البلاد ، وتطور العلاقات الدولية ، كل هذه العوامل وجهت الدول الكبرى وجهة الصناعات الحربية التي جاءت تكمل الدور الذين لعبته الاشغال العامة وتحل محلها . ومنذ عام ١٩٣٦ ، اخذت الاعتمادات المرصدة في موازنات هذه الدول تفوق بكثير الاعتمادات الاخرى . وهذه الصناعات كانت بالفعل وراء عودة النشاط الصناعي ، عام ١٩٣٤ والتي حالت دون وقوع نكسة اقتصادية عام ١٩٣٨ . وبالعمل ، فالبلدان التي على غرار المانيا انفقت كثيراً على تسلحها ، شهدت في هذا الوقت بالذات زيادة ملحوظة في نشاطها ، بينما الولايات المتحدة والدول الاخرى التي اتجه اقتصادها وجهة السلام عرفت نكسة محسوسة .

تنظيم الاقتصاد

وتدخلت الحكومات ايضاً لتنظيم الانتاج والمبادلات التجارية . فقد انشأت حكومة الولايات المتحدة ، في هذا المجال ، مراقبة لم تر اشد منها في كل الدول الحرة ، فاتخذت عدداً من الاجراءات تحدد معها الاصول والقواعد الخاصة بتأليف رأس المال ، وتعيين المحافظين والمديرين ومراقبة اعمال المصارف التجارية . فالمصارف التي تزيد فيها

قيمة الودائع على مليون دولار ، رأت نفسها مضطرة للتأمين عليها في حلقة المصارف الاتحادية للاحتياطي . وللمصارف المنتسبة للاتحاد وحدها حق بالاسهم . وأخضع اصدار اسهم جديدة لقوانين بغية الحؤول دون تصريف السندات المشبوهة او المزورة او تلـــك التي لا رصيد فعلي لها .

وحاولت الحكومة في فرنسا ، منذ عام ١٩٣٦ ، الحؤول دون تخفيض سعر الخمور وذلك بحصر قسم من المحصول في المزرعة . واتخـــذ التدبير نفسه عام ١٩٣٤ لمحصول القمح . وحظر القانون من زيادة زراعة الكرمة اكثر من ١٠ هتكارات ، كما حظـــر ري الكرمة وسقايتها ، وبيع فتاوى قمح ذات مردود طيب ، وفرض تغيير طبيعة الفائض من هذا المحصول وحظر من انشاء معامل جديدة للسكر . وانشيء عام ١٩٣٦ مكتب القمح الذي اخذ ينظم مبيعات هذا الصنف ويحـــدد من اسعاره . وتدخلت الحكومة في سويسرا في صناعة الساعات والصناعة الفندقية والتطريز . واصبحت الزراعة في انكلترا اكثر المجالات تنظيماً وتقييداً مـع القوانين التي صدرت عام ١٩٣٣ ، وهي قوانين حددت السعر الادنى للحليب والكمية التي يمكن التصرف بها ، كما حددت المساحة التي يمكن زرعها بطاطا . وتدخلت الدولة لتنظيم الصناعات الفحمية والقطنية ، والصلب والورش البحرية . وفي البرازيل ، امرت الحكومة الاتحـادية بحـــرق ٢٦ مليون شوال من البن الذي لم يمكن تصريفه او بيعه .

ففي المجال الصناعي في الولايات المتحدة الاميركية ، شكل قانون النهوض بالصناعة الوطنية (*N R A*) الصادر في ١٦ حزيران ١٩٣٣ ، والقوانين الاخرى التي تنظم « المنافسة الشريفة » والتي رمت الى مكافحة البطالة ، احـــدى المراحل الاقصر والاقرب الى الكمال لتجربة الاقتصاد الموجه التي عرفها العالم ، اذ ذاك .. فقد فرضوا اتفاقات ضمن كل حـرفة او مهنة ، كما سمحوا بقيام اتفاقات بين مهنة واخرى فحالت القوانين المحرّمة للتحكتلات التجارية دون القيام بمثلها حتى الآن .. وفي ايطاليا راحت مكاتب الاحتكارات بمراقبة دقيقة حوّل عدد من الصناعات ذات المنفعة العامة . وقد صدرت ، عام ١٩٣٢ ، قوانين ايطالية واخرى المانية عام ١٩٣٣ ، جعلت التكتلات التجارية إلزاميـــة في كلا البلدين . وفي فرنسا حيث كان قانون العقوبات المدني مضاداً للتكتلات الاحتكارية ، فقد فرضت المراسيم الاشتراعية ، التي صدرت عام ١٩٣٥ و ١٩٣٦ ، قيام تكتلات مهنية ، بين مصائد الاسماك والمطاحن وتجارة الخردوات ، وسكة الحديد والطرقات ، او بين الخطوط الحديدية ، والترع المائية . كذلك حظرت الدول ، لمدة عشر سنوات ، إنشاء مصانع احذية جديدة ، وتوسيع الانشاءات القائمة فيهـــا كما حظرت عـــام ١٩٣٦ ، انشاء مخازن جديدة موحـــدة الاسعار ، والاسواق النقالة على الشاحنات عام ١٩٣٧ .

وعلى هذا قس ايضاً الاتفاقات الدولية . فقد سعت الحكومات المعنية جهدها لانجاح مثـل هذه الاتفاقات التي تنظم انتاج المطاط ، عام ١٩٣٤ ، والسكر ، مع الخطـــة المعروفة بخطة

سادبورن للتثبيت الموضوعة عام ١٩٣١ ، والاتفاقات الخاصة بالخشب المنشور، عـــام ١٩٣٦ ، والاتفاق الآخر الخاص بالقصدير ، عام ١٩٣١ ، الذي استطاع ان يخفض عام ١٩٣٣ ، انتـاج هذا الصنف الى ثلث انتاجه عام ١٩٢٩ . وهكذا طلع علينا بين ١٩٢٩ – ١٩٣٢ ، إثنان وخمسون اتفاقاً دولياً ، معظمها اتفاقات اقليمية عقدت بين دول الاتفاق الصغير . من ذلك مثلاً اتفاق اوتاوا بين انكلترا ودول الدومنيون .. وبينها هذه الاتفاقات الثنائية العديدة التي عقدتها المانيا . وفي عام ١٩٣٦ ، عقدت الدول الـسكندينافية مع بلجيكا وهولنـــدا ولوكسمبورغ ، مدنة جمركية في مدينة اسلو .

وهكذا نرى الدول تتزع الى تشكيل تكتلات اقتصادية ، فأطلت علينا في المجالين الوطني والدولي صورة مسمغة للتخطيط الاقتصادي لا تزال بعد غائمة في الاذهان وغير مكتملة القسمات حتى في هذه الدولة بالذات التي عرفت بتمسكها بسياسة حرية التبادل التجاري كالولايات المتحدة الاميركية . فالاقتصاد ولا سيما الريفي منه خضع للتخطيط الى حد بعيد . فكيف الامر بتلك البلدان التي لم تكن رسخت فيها بعد اصول هذه السياسة واعرافها . فلا عجب والحالة هـذه ان يأتي عمل الحكومة فيها اعمق توجيهاً واوسع مراقبة .

تطور القطاع العام

ونشط القطاع العام للعمل بنسبة ما اصيب به القطاع الخاص من عجز وقعود . فشمرت الحكومات عن سواعدها وقولت بنفسها القيام بالاعمال والنهوض بالمسؤوليات التي لم يسبق لهـا ان تمرست بها من قبل . وهكذا برزت للعيان مشروعات حكومية جديدة وشركات اقتصادية مشاركة بينها وبين الشركات الخاصـة . فقد خصت الحكومة الفيدرالية جانباً كبيراً من نشاطها للقطاع العـــام ليس بشرائها اسهماً ممتازة في بعض المصارف فحسب ، بل ايضاً بإنشائها عدداً من المؤسسات الحكومية التي لم يكن لها من وجود ، من قبل للتسليف العام ، في هذه القطاعات بالذات التي اهملتها المصارف من قبل. فقد وسّعت من نطاق تصرف المصرف الفدرالي في المجال الزراعي ومصارف التسليف لأجـل قصير واوجدت مصارف التسليف العقاري في الداخل لتمويل المساكن الشعبية وانشائها وشركة الرهونات الفدرالية الزراعيـــة لتسهيل معاملات التسليف مـــع الرهن ، ومصرف التصدير والاستيراد لتمويل اعمال التجارة الخارجية . ولعل امثل صورة لهذا النشاط في القطاع الخاص تبرز في مشروع استثمار وادي تنسي الذي كان مشروعاً عظيماً تقوم بـه الدولة لتطوير منطقة أهمل شأنها الى ذلك الحين . وقد أدى ترويض النهر وكبح جماحه الى جعله صالحاً للملاحة وتوفير القوى الكهربائية والمياه اللازمة للري بفضل سلسلة من السدود الضخمة .

وملأت الدولة في فرنسا الفراغ والعجز الذي وقعت فيه رؤوس الاموال ، وذلك بالاشتراك مع رجال المال واصحاب الـــثروات الخاصـة لانشاء شركات اقتصادية مشتركة . وبفضل مساعدتها المالية هذه التي جاءت مباشرة او مداورة، طلعت في البلاد شركات احتكارية مختلفة، منها مثلاً الشركة الوطنية للرون (١٩٣٣) وشركة $SNCF$ التي أنشئت عام ١٩٣٧ برأس

مال بلغت حصة الدولة منه ٥١ بالمئة ، وشركة الرين للقرى المحركة ، وشركة البترول الفرنسية. وابرمت الدولة اتفاقات مع منتجين في القطاع الخاص تحتفظ لهم ببعض الارباح على المبيعات (٣٢ بالمئة) كالمكتب الوطني للازوت . واصبحت الدولة في عداد الصناعيين عندما امت بعض الصناعات الحربية (١٩٣٦) . وتبدو مساهمة القطاع العام بشكل ابرز ايضاً في مجال التسليف ، وتتميز بزيادة حجم التسليف القومي الزراعي ، والمصرف الوطني للتجارة الخارجية للتسليف البحري . وانشأت عام ١٩٣٦ الصندوق الوطني للاسواق الذي اخذ على نفسه تأمين تسهيلات مصرفية لاصحاب الاسواق العامة ، ومصلحة الحوالات البريدية التي بلغت قيمة الودائع التي نقلتها ٤٣٥ ملياراً واصبح بالتالي مصرفاً عملاقاً للتحويلات المالية ، ومصرف التسليف الوطني وهو مصرف حقيقي متخصص في التسليف المتوسط والطويل الأجل في التجارة والصناعة ، وصندوق الودائع والامانات الذي اصبح تحت تصرفه عام ١٩٣٨ ، اكثر من ١٠٠ مليار فرنك ، فكان معاً شركة تأمين ومصرفاً وشركة رسملة الفوائد . وقامت في انكلترا شركات مختلطة ساهمت الدولة في تأسيسها ، منها مثلاً شركة المواصلات والنقل البريطانية عام ١٩٣٣ ، وشركة الاذاعة البريطانية عام ١٩٣٧ .

اما في البلدان ذات الانظمة الدكتاتورية او الجماعية حيث يشتد عمل الدولة ويقسو بعنف ليرتدي شكل مراقبة دقيقة للاقتصاد الوطني ، فالارتباط الوثيق بين الحكومة ورجال المال ، حال دون بروز اي شأن للقطاع العام . ففي المانيا مثلاً تؤلف مشروعات الدولة اصلاً ٩٣ بالمئة من الخدمات العامة (*P. T. T.*) ومن الخطوط الحديدية ، وتوزيع المياه والغاز والكهرباء . ومما هو ادهى من ذلك بكثير هو ان المؤسسات الاكثر مردوداً وعطاء فقد أعيدت الى القطاع الخاص عام ١٩٣٦ — ١٩٣٧ . والدولة التي كانت عام ١٩٣٣ ، المساهم الاكبر في المصارف الكبرى ، عمدت عام ١٩٣٧ ، الى تصفية مساهمتها في هذا القطاع ولم تبق بين يديها وتحت سيطرتها مباشرة ، سوى الشركات الاستخراجية كشركة هيبرنيا التي كانت ملكاً للدولة في سنة ١٩١٤ ، وشركة هرمان غورنغ التي كانت تضم شركات استخراجية وصناعية اعتبرت إذ ذاك قليلة الربح (مناجم حديد فقيرة) وشركة *V I A G* التي تمثل مساهمة الرايخ في عدد من الشركات الخاصة ، ومصانع توليد الكهرباء . ومصانع الألومينيوم ومعامل الصناعات الميكانيكية .

سياسة الاكتفاء الذاتي

ادت القومية الاقتصادية الى سياسة الاكتفاء الذاتي بهذه الدول التي تفتقر الى احتياطي الذهب في صناديقها ، وكانت عاجزة عن القيام بالتزاماتها المالية لدفع الديون المترتبة عليها (ديون مجمدة) ، كما كانت عاجزة عن الحصول على قروض جديدة في وقت حرمتها سياسة الحماية الجمركية المتشددة التي جردتها من كل وسائل الوفاء الممكنة . وهكذا نزعت كل من دول المانيا وايطاليا واليابان الى تشكيل وحدات منها منعزلة عن باقي اجزاء العالم ، محاولة ان تؤلف من ذاتها مراكز اقتصادية ، تتضارب

اساليبها بصورة جذرية مع مبادىء الرأسمالية التقليدية ، لا سيما مع حرية التجارة القائمـــة على أساس الذهب .

ولما كانت هذه الدول أعجز من ان تدفع ثمن المواد والخامات المستوردة بالعملات النادرة ، فقد حاولت جاهدة ان تستغني عنها وذلك بتشجيعها الانتاج الوطني في بلادها او بمبادلة هذه المواد المستوردة بالبضائع التي تُصنع عندها .. وقد كان لندرة العمـــلة الصعبة ، والخوف من فكرة الحصار البحري التي لا تزال ذكرياته المريرة عالقة في الاذهان ، ان حمل كلا من المانيا وايطاليا على اتخاذ اجراءات تفسد كل عملية استيراد للمواد الغذائية والخامات من منشأ زراعي . والتنظيم الذي خضعت له الزراعة في المانيا شجع على تأمين مواسم طيبة من الحرطل (بديلاً عن القمح المستورد)،وخيوطالغزلمن انتاج البلاد كالقنب والكتان،والسكر وتحسين عروق الماشية، واستمرت في ايطاليا محتدمة نابضة ، المعركة في سبيل القمح التي ابتدأت عام ١٩٢٥ . فقـــد وضعت رسوم جمركية عالية على الاستيراد وزيدت كثيراً مساحة الأراضي المستصلحة للزراعة، لا سيما في الجنوب وفي الجزر الايطاليـــة ، مما أدى الى اعتماد سياسة غلاء الخبز (ضعفي سعره العالمي) ونجحت سياستها في هذا المجال الى حد بعيد . كذلك اخذت في تشجيع الزراعـــات نصف الاستوائية كالقطن وما شاكل .

وفي المجال الصناعي نشط كثيراً استثمار الموارد الطبيعية التي كانت مهملة للآن لما هي عليه من فقر (مناجم الحديد) ، او تلك التي تستثمر بشكل مرض (النحاس) وتضـــافرت الجهود لتنشيط استثمار مناجم الرصاص والتحري عن البترول او البحث عن بديل له كالوقود المستخرج من الفحم الحجري ، والمطاط الصناعي (بونا) والجلد الصناعي والمنسوجات الاصطنـــاعية (كالحرير الصناعي واللانيتال) ، ومواد التشحيم . وهـــذه الصناعات الجديـــدة التي امدت البلاد بخامات وطنية ، تنعم بتدويل الدولة لها ، بالرغم من التكاليف العاليـــة التي تتطلبها ، وكثيراً ما تكون من جنس ادنى بكثير من المواد الطبيعية .

كذلك اخذوا بتنظيم مكافحة التلف والبذرقة في المعادن المستوردة من الخـــارج . فقد فرضوا ان يستبدل النحاس بالالومينيوم في الاسلاك الكهربائية كما فرضوا جمع الحدائد العتيقـــة والنفايات على اختلافها التي يمكن صهرها وصبها من جديد والاستفادة منها بشكل من الاشكال، والقصدير والكروم والنحاس .

التجارة الخارجية في البـــلدان المعتمدة سياسة الاكتفاء الذاتي

كذلك خضعت التجارة الخارجية لتنظيمات دقيقـــة إذ كانت المعوّل الاول لمد البلاد بالخامات التي لا بد لها منها في أمور التسلح وفي إنتاج مواد صناعية في تصديرها تأمين للعملات الصعبة، فقد اخضعت هذه التجارة لاجراءات خاصة من التقنين وإجازات مسبقة للاستيراد والتصدير ، ولاحكام مختلفة أدّت الى انشاء عملات من نماذج مختلفة والتفنن في وسائل توفير أسباب النقـــد اتينا على ذكرها، وبفضل هذه التدابير أمكن الوصول الى سياسة من الاغراق التجاري مكّنت

من تصدير منتوجات شعبية بيعت في الخارج بأدنى من اسعارها في الداخل تحت ستار مصنوعات جاهزة . وهكذا اتاحت اتفاقات تبادُل ومقايضة عقدتها الحكومة الالمانية ان تؤمن لهـا عن طريق مبادلة البضائع المصنوعة ، ما تحتاج اليه من المحاصيل والحبوب والتبغ والفـاكهة ولحم الخنزير التي لم يكن بالامكان تصريفها في البلاد المنتجة لها ، كبلغاريا واليونان وهنغاريا ورومانيا ويوغوسلافيا وتركيا . وأولى التحكم بالتجارة الخارجية الحكومة الالمانية موقفاً قوياً في كل مفاوضات تقوم بها في المجال التجاري إذ مكنتها من ان تشتري بالجملة كل مـا يُعرض للبيع من هذا الصنف او ذاك . فلم نرَ قط في النظام الرأسمالي الحرّ بلداً يتمتع بمثل هذا الموقف المتـين المطمئن الذي وقفته المانيا تجاه دول صغرى ، تعاني على درجات مختلفة ، من وضع اقتصـادي مهلهل . وهكذا اصبحت المانيا المتعهد الاكبر والزبون الاهم لهذه البلاد . فبين ١٩٣٤ — ١٩٣٨ ، ارتفعت صادرات ألمانيا الى بلغاريا من ٢٢ الى ٥٨ ٪ ، والى اليونان من ١٩ الى ٣٢ ٪ . والى يوغوسلافيا من ١٦ الى ٥٠ ٪ ، والى تركيا من ١٥ الى ٥٢ ٪ ، والى هنغـاريا من ٢٠ الى ٤٨ ٪ كما ان حركة الاستيراد في المانيا ارتفعت ، في هذه الفـترة من ٣٠ الى ٦٣٫٥ ٪ من بلغاريا ، ومن ٨٫٥ الى ٥٠ ٪ من يوغوسلافيا ، ومن ١٣ الى ٤٧٫٥ ٪ من تركيـا ، ومن ٢٢ الى ٥٠ ٪ من هنغاريا ... وهكذا نرى كيف ان كل هذه البلدان التي وجـدت السوق التي هي بحاجة اليها لتصريف انتاجها ، وقعت بحكم الضرورة في تابعية شديدة للرايخ الثـالث وأصبحت مدى حيوياً ومنطقة نفوذ له . وقبل الحرب بكثير ، كانت هذه البلدان قد اصبحت من توابعه الاقتصادية .

والطريقة ذاتها اتبعت مع اميركا اللاتينية : اتفاقات مقايضة والمارك أسكي يفضي الى النتائج ذاتها . فبين ١٩٣٢ - ١٩٣٧ ، زادت الصادرات الالمانية الى بلدان اميركا اللاتينية اربعـة أضعافها ، واصبحت المانيا بعد سنة ١٩٣٦ اول متعهد للبرازيل وللشيلي والثـاني في البيرو وبوليفيا وفنزويلا والمكسيك وغواتيمالا .

وسارت كل من ايطاليا واليابان على الخطة ذاتها ولا سيما ايطاليا بعد عام ١٩٣٥ ، بعد ان شعرت بوطأة العقوبات التي اتخذت ضدها بعد ضمها للحبشة ، وبعـد ان تبينت ما هي عليـه اوضاعها الاقتصادية والنقدية من وهن وضعف . فقد تألف فيها إذ ذاك ، عشر هيئات تقاسمت فيما بينها التكتلات الصناعية المختلفة ، وعملية تقنين الاستيراد ، كما أرغم المصدرون على التخلي عن ديونهم في الخارج لمعهد القطع الوطني . وقامت مراقبـة شديدة على القطـع . واقتصرت مساعدة الحكومة على رجال الصناعة ، بعد أن اطمأنت للخطط والتصميمات التي وضعوهـا ، ولقيت استحساناً عندها . فحظرت الدولة الاستثمارات في بعض المجالات والقطاعات ، وأصبح الاقتصاد الوطني بالفعل اقتصاد حرب وكانت الدولة زبونها الاكبر ورب العمل الاكبر ، إذ أن معظم الصناعات تعمل من قريب أو بعيد لحسابها .

وعقدت اليابان من جهتها ، عقوداً واتفاقات مماثلة . فقد تعهدت تجاه العراق بشراء كميـة

محترمة من الناتج الوطني تساوي ٢٥ ٪ من قيمة صادراتها اليه ، كما تعهدت بشراء كل محصوله من القطن . ونص الاتفاق الذي عقدته مع الهند على ان تبيعها ٣٢٥ مليون ياردة من المنسوجات القطنية مقابل كل مليون طن من القطن الخام تشتريه منها. وحاولت في الوقت ذاته ان تنشىء لها امبراطورية تؤمن لها الاكتفاء الذاتي ، تألفت من منشوريا والصين التي أخذت تنظم احتلالها تدريجياً منذ عام ١٩٣٧ .

تركيز الاستثمارات وتجميعها

كان من جراء النتائج التقنية لهذه الاجراءات المالية موجبات سياسة الاكتفاء الذاتي ، ان شجعت الضائقة المالية على تركيز الاستثمارات وحشدها وعلى الغاء قوة التكتلات الاحتكارية . وخسرت الرأسمالية من حدة طابعها التنافسي لتصبح أكثر فأكثر احتكارية . فقد تألف في انكلترا مثلاً كتلة الحديد البريطاني وكتلة الفولاذ البريطاني ، وأصبح تحت اشرافها أكثر من ٢٠٠٠ مصنع وشركة فرعية وذلك بعد ان عقدت عام ١٩٣٥ ، اتفاقها المعهود من الكتلة الدولية للفولاذ . « تبتنت » أي احتفظت لنفسها كل السوق الداخلية ، وحددت الاسعار وعينت حصص الانتاج ونسبها ، وراقبت مشروعات التوسع التي تضعها شركاتها في المستقبل . وهكذا بطلت كل منافسة لها وانعدمت ، وتم لشريكاتها الثمان عشر التحكم بثلثي انتاج بريطانيا من الفولاذ. وفي الوقت ذاته ، طلعت علينا التكتلات الاحتكارية للمصنوعات الكيماوية بظهور شركة الصناعة الكيماوية الامبراطورية ، والاونيلفر والكورتولدس والشركة الامبراطورية للتبغ وشركة مصانع سيمنت بورتلا ودنلوب « والست الكبار » التي راحت تنتج ٩٠ بالمئة من مجموع السيارات الخاصة و ٨٠ بالمئة من وسائل النقل التجاري .

كان عدد المؤسسات الصناعية في ايطاليا ، عام ١٩٣٧ ، اقل بـ ٥٠٠٠ عما كان عليه عددها عام ١٩٣٤ ، يعمل فيها ٥٠٠،٠٠٠ عامل اكثر مما في السابق . فالمشروعات الصناعية التي تعد اقل من ١٠ عمال والتي كانت تمثل ٧٥ بالمئة من هذا المجموع ، لم تعد تمثل اذ ذاك ، سوى ١٠ بالمئة لا غير من مجموع الانتاج في البلاد ، كما لم تعد تمثل سوى ١١ بالمئة من مجموع العمال . فعملية تركيز المصانع سارت جنباً الى جنب وعملية تركيز رؤوس الاموال . ففي عام ١٩٣٦ ، كان اقل من ١ بالمئة من الشركات الايطالية المغفلة يؤلف ٥٠ بالمئة من مجموع رأس المال والاسهم ، وأكثر من ٨٠ بالمئة من هذه الشركات لم يكن ليشكل سوى ٨ بالمئة من مجموع رأس مالها . ودليل الشركات المغفلة يشير بوضوح الى ان ١٢٨ من الشركات الكبرى تملك نصف مجموع رأس المال التابع لهذا النوع من الشركات .

وفي اليابان ، كان ٦٥ بالمئة من الشركات اليابانية ، عام ١٩٢٩ ، تعود ملكيتها لـ ٧٠٠ شركة ينتمي معظمها لاتحادات تجارية كبرى ، وقد كانت تمثل ١٥ بالمئة من مجموع الشركات اليابانية . اما في اواخر عام ١٩٣٩ ، فقد كان ١٤ اتحاداً تجارياً كبيراً يهيمن على ٦٣ بالمئة من رأس المال المدفوع لهذه الشركات ، و ٧٥ بالمئة من مجموع الودائع المصرفية . وفي هذا التاريخ

بالذات، كانت ١١٢ شركة تحت اتحاد متسوي، عدا عن ٧٠ شركة اخرى تقع تحت اشرافه غير المباشر . وكان اتحاد متسوي يملك ٩٠ بالمئة من النفط الطبيعي، و ٩٢ بالمئة من مجموع الحديد، و ٧٠ بالمئة من الرصاص ، و ٧٥ بالمئة من الكبريت ، و ٣٠ بالمئة من الاسلحة ، و ١٠٠ بالمئة من الحمض الاسليكي ، و ٦٥ بالمئة من البترول ، و ١٠٠ بالمئة من السلوليد ، و ٩٠ بالمئة من الورق ، و ٤٠ بالمئة من الصوف الصناعي ، و ٥٠ بالمئة من الجعة والسكر ، كما كان يراقب ٤٠ بالمئة من تجارة البلاد الخارجية . اما تروست متسوبيشي ، فقد امتد اشرافه الى اربعة قطاعات رئيسية ودور الصناعة البحرية وصناعة الزجاجيات والقصدير والكحول ، كما ان حصته من الانتاج في ٢٤ قطاعاً آخر كانت تتراوح بين ٢٠–٥٠ بالمئة من المجموع . وبعد عام ١٩٣٣ ، رسمت حركة التركيز الصناعي هذه خطاً لم يُسبق اليه في اي بلد من بلدان العالم ، سوى في القطاع الزراعي ، حيث هبط عدد المنتجين للحرير من ٧٦٧٦ ، عام ١٩٢٥ الى ٥٣٢٤ عام ١٩٣٦ ، مع زيادة في الانتاج تزيد قليلاً عن الانتاج الصناعي . واتحاد تجار الاسمدة الكيماوية الذي انشيء عام ١٩٣٢ ، اخرج من السوق التجارية ٥٠٠ بائع بالمفرق ، كما غابت عن الانظار بضع مصارف (فلم يبق منها عام ١٩٣٩ ، سوى ٣٣٩ مصرفاً مقابل ٢١٦٠ ، في عام ١٩١٢ .

وفي المانيا ، حيث كانت حركة التركيز سجلت دوراً عظيماً من التطور قبل عام ١٩١٤ ، فقد شاهدنا ظهور اتحادات تجارية كبرى بحيث بلغ عددها ٣٠٠٠ اتحاد عام ١٩٢٩ ، ضمت شركات من جميع الالوان والنشاطات . وتكاثر في الوقت ذاته ، عدد المصارف . وفي سنة ١٩٢٤ ، انضم مصرف دارمستادت والمصرف الوطني بحيث الفا معاً مصرف دانات . وفي سنة ١٩٢٩ ، انضم البنك الالماني الى مصرف دسكونتو . والقانون الذي صدر عام ١٩٣٣ ، بشأن ضرورة التكتلات التجارية عجّل كثيراً في عملية التركيز هذه ، وزادها نشاطاً وقوى نفوذ الـ (*Konzerns*) في قلب هذه التكتلات . وقد تناقص عدد المؤسسات التجارية بين ١٩٣٢–١٩٣٧ نحواً من ٣١٥٩٨ وحدة اي ٩ بالمئة ، في وقت ازدادت فيه بشكل ملحوظ الاستثمارات وعدد العمال الذين ادخلوا الى العمل . وفي سنة ١٩٣٩ كانت ١٩٥ شركة تجارية ، اي ٣٫٦ بالمئة من مجموع الشركات ، تملك ٥٨ بالمئة من مجموع رأس المال والاسهم . وكانت الصناعة الكيماوية في البلاد ، عام ١٩٣٨ ، تعد ٢٥٨ شركة بلغ رأسمالها الموزع اسهماً ١٩٢٤ مليون مارك، مقابل ٤٦٤ شركة عام ١٩٣٢ بذات رأس المال . وشركة سيمانس التي تهيمن على الصناعة الكهربائية توسع نشاطاتها بحيث تضم الكبلات (الاسلاك) والغراموفونات والصناعات الحربية ، كما هيمنت شركة بوتا على الصيدلة والادوات المنزلية ، واحتكرت شركة باتسمان صناعة اجهزة تصفيح المعادن وصناعة الدراجات واستخراج الفحم الحجري . والصناعة السينمائية آلت الى يد شركتين كبيرتين هما *U.F.A* وتوبيس وشركة ا. ج فارس الصناعية التي كانت تستخدم عام ١٩٣٩ نحواً من ٢٥ بالمئة من مجموع الشغيلة العاملين في الصناعة الكيماوية

الالمانية ، كانت تملك ٣٣ بالمئة من الرأسمال الاسمي الموظف في هذه الصناعة بقطع النظر عن فروعها الاخرى القائمة في سويسرا والسويد ، والعقود التي ابرمتهـــا مع الشركات الاجنبية ، كشركة ستاندارد اويل في نيوجرسي وغيرها .

والشواهد على سياســـة التركيز الصناعي في الولايات المتحدة الاميركية اكثر من ان تحصى بعد ان خضعت هذه الشركات للانصهار والتقوية من قبـــل اتحاد ارباب العمل بعـد ان رأت تشجيعاً من القوانين المرعية . ففي مجال صناعـــة السيارات وشركات الانتاجية الكبرى : فورد والجنرال موتورز والكريسلر التي كانت تنتج ، عـام ١٩٢٠ نحواً من ٧١ بالمئة و ٨٣ بالمئة من مجموع الانتاج ، عام ١٩٣٠ ، ارتفع انتاجها عـــام ١٩٣٨ ، الى ٩٠٪ . أمـــا الشركات الكبرى لانتاج الفولاذ ، فقد ارتفع انتاجها ، عام ١٩١٩ من ٥٥ بالمئة الى ٦٤ بالمئة من مجموع الانتاج العـــام ١٩٣٩ . وفي قطاع تجارة المواد الغذائية ، كانت خمس شركات كبرى ، مع فروعها المختلفـة تملك ٧٪ من حركة الأعمال ، عام ١٩٢٢ ، فارتفعت حصتها عام ١٩٣٩ الى ٢٤ بالمئة ، كما ان اربع شركات اخرى كانت تصنع ٧٧ بالمئة من اطارات السيارات . ونفس هـــذا العدد من الشركات كان يعطي ٧٣ بالمئة من انتاج و ٩١ بالمئة من انتـاج الآلات الكاتبـــة ، و ٧٥ بالمئة من الاصواف ، الخ . ومن بين الـ ٥٠٠,٠٠٠ شركة موجودة في اميركا عام ١٩٢٩ ، كان ١,٠ بالمئة منها يحقق ٥٠ بالمئة من مجموع الارباح الصافية ، كما ان اقل من ٤ بالمئة من الشركات الصناعية كانت تحقق ٨٤ بالمئـــة من مجموع الارباح العامة . وفي الصناعة ، كان ١ بالمئة من هذه المؤسسات يشغّل ٥٠٠ عامل فاكـثر ويستأثر وحده بـ ٤٨ بالمئـــة من مجموع اليد العاملة في الصناعـة . وفي نظر ستوب لم تكن بضع مئات بل بالأحرى بضع عشرات من هذه الشركات الكبرى او « شركات المراقبة » . كانت تملك القسم الأكبر من ثروة الشركات المختلفة .

وفي بلد انفتحت آفاقه على الصناعة من عهد قريب ، كالارجنتين مثلاً نرى التركيز الصناعي يجري فيه على نطاق واسع . ففي عام ١٩٣٩ ، كان نصف اليد العامـلة في الصناعة تقريباً يعمل في ١,٨ بالمئة من هـــذه الشركات . ومنذ عام ١٩٣٥ ، كان ٤,٣ بالمئة من هذه الشركات يستخدم ٦٥,٥ بالمئـة من العمال . وفي حقل الكهرباء ، كان ٦٦ بالمئة من العمال يعملون في ٢,٧ بالمئة من الشركات المعنية بهذه الصناعة .

وفي فرنسا حيث عدد الشركات الصغرى لا يزال هو الذي يطبع النشاط الصناعي في البلاد ، فقد نشطت النزعة نحو التركيز الصناعي ، إلا ان الأزمة اناخت بكلكلها على هذه المؤسسات التي كان لهـا بعض الشأن ، اكثر من الصغرى بحيث ان تيـــار التركيز بقي ضعيفاً اذا ما قارناه بما يجري في البلدان الأخرى ذات الاقتصاد المتطور . وبالمقابل فسياسة الاتفاقات التي لم تنشط كثيراً في قطاع المنسوجات القطنية ، او فشلت

تماماً في صناعة الحرير ، سجلت نتائج ملحوظة جداً في حقل المصنوعات الحديدية التي بذلت جهداً طيباً في تحسين عتادها واجهزتها التقنية . ففي سنة ١٩٣٢ ، جدد وكالة صناعة الحديد في فرنسا ، عتادها كما أنشئت وكالات أخرى للخرصان والحديد المضفح . وعقدت اتفاقات ، عام ١٩٣٤ بين العاملين في انتاج الصلب ، كما عقد اتفاق عام بين منتجي الصلب والفولاذ .

والظاهرة نفسها تبدو بوضوح في الصناعة الكيماوية التي قطعت خطوات حاسمة في مجال التركيز والتجمع الصناعي ، في الصناعات الميكانيكية ، عام ١٩٣٤ – ١٩٣٥ ، وفي صناعة السيارات ، وفي الصناعات الأخرى التي فرض عليها القانون تحقيق مثل هذه الاتفاقات كصناعة الأحذية ، عام ١٩٢٦ ، وصناعة السكر عام ١٩٣٥ .

النتائج

وكان بعض نتائج هذه الأزمة المالية ان حفزت الدولة على التدخل في المجال الاقتصادي ، وهو تدخل لم يسبق ان حدث مثله من قبل ، فتجاوز بعيداً ، باتساعه وشموله ، ما سبق وظهر من نشاط مماثل في هذا الصدد . وهكذا أطل علينا في كل البلدان ، مهما كان نظام الحكم فيها استبدادياً أو ليبرالياً ، اقتصاد موجه ، برز اثره في كل القطاعات ، متوسلاً الى ذلك ، بأساليب وذرائع تكاد تكون متماثلة وان تباينت منها الاشكال والمظاهر الخارجية ، حسبما تكون المصالح المعنية المنظمة تمارس اولاً نفوذاً حاسماً ، وفقاً للظروف السياسية والاجتماعية المسيطرة على هذه الدولة أو تلك . فالسياسة التوجيهية ليست مضادة بحد ذاتها للرأسمالية ، بل على عكس ذلك . فكثيراً ما توطدها وتشد من ازرها ، لا تمس بشيء التركيب المجتمعي وكيانه القائم . ولم نر قط ان مراقبة الحياة الاقتصادية في الدولة وتثبيت الاسعار الجبري ، والحد بصورة تضيق أو تتسع من « الاستثمار الحر » قد انتقصت بشيء من مبدأ الملكية الفردية ، او ان يمهد السبيل او ان يحقق اشتراكية الدولة . ومذهب التدخل الموسوم بطابع المحافظة ، لانقاذ الاقتصاد المعرض للخطر ، تسلح بكل الاجراءات حتى ما ظهر منها بأنها ثورية متطرفة .

الا انه اذا كان باستطاعة بعض البلدان الغنية بما لديها من احتياطي النقد وبما تزخر به من الخامات الوافرة وتهيمن على مناطق رحبة تسرح فيها وتمرح ، ان تجد مصلحتها في بعض هذه التدابير والاجراءات دون ان تضطر لادخال تعديلات او تغييرات جذرية في تركيبها الاقتصادي ، فالدول الاخرى التي لم تتوفر لها مثل هذه الشروط والأوضاع ، رأت نفسها مضطرة لسلوك طريق كان لا بد ان يفضي بها الى سياسة الاكتفاء الذاتي . فمن دول الفئة الاولى ، مثلاً ، الولايات المتحدة الاميركية وانكلترا وفرنسا التي كانت تمتلك ، عام ١٩٣٧ ، ٨٠ في المئة من مخزون الذهب في العالم كما كانت تهيمن على اسواق رحبة في الداخل او في مستعمراتها الواسعة الاطراف ،

ومع سويسرا والسويد والارجنتين وبلجيكا والبلاد الديموقراطية امتلك هـذا المجموع المتكون من هذه الدول الثمان ، ٩٢ في المئة من مخزون الذهب ، بينما حصة اليابان والمانيا وايطاليا منه لم تكن لتتجاوز ٥ في المئة ، وان اثنتين من مجموع هـذه الدول الثلاث لم يكن لها بالفعل ممتلكات او مستعمرات عبر البحار . فاذا ما كانت عاجزة عن الحصول على الحاجيات التي كانت تفتقر اليها حتى تدفع اثمانها ، كالخامات والمحاصيل الغذائية والمصنوعات ، فقد كان عليها اما ان تطور انتاجها الصناعي او ان تبحث لها عن مواد بديلة او ان تخضع لسيطرتها الاقتصادية والسياسية البلدان المنتجة للمواد التي هي بحاجة اليها اما البلدان الاخرى في العالم ، سواءا أوقعت في اوروبا الوسطى او اوروبا الشرقية او في آسيا وفي اميركا الجنوبية ، فقد كانت في وضع قلق مزعزع . وهكذا تسببت الازمة الاقتصادية عن تغييرات جذرية في البنيان الاقتصادي لدى قسم كبير من دول العالم ، وأزكت المنافسات وزرعت بذور اصطدامات جديدة .

الفصل الثالث

الدول وجهاً لوجه مع الأزمة

١ ـ الحلول الوطنية المختلفة

ادت الازمة الى اضطرابات عميقة تباينت نوعـــاً وكماً هزت الاوضاع الاقتصادية في كل دول العالم ، كما احدثت ردات فعل لم يخف طابعها العام ، الفوارق التي قامت بين دولة وأخرى، كما ان وسائل معـــالجة الازمة للتخلص منها لم تعط في كل مكان النتائج ذاتها . فلكل بلد والحالة هذه ، طابع خاص يختلف باختلاف طبيعة « التجربة » التي عانتها وكانت مسرحاً لهـــا والطريقة التي سلكتها الازمة في تطورها عندها .

الولايات المتحدة الاميركية : النظام الجديد

ان الاجراءات التي اتخذها الرئيس هوفر في مجـــال الانكماش المالي وتركه للهيئات والمؤسسات المحلية والمنظمات الخيرية ، مهمة معـالجة الازمة كما ترى وفشلهـــا في تدبير الامر ، والتدابير الاخرى التي اتخذها لمواجهة البطـــالة ، وفشل سياسته الزراعية التي اغضبت الولايات الشمالية الغربيـــة ، المعروفة بوقوفها عادة الى جـــانب الحزب الجمهوري ، كل هذه العوامل ، مهدت الطريق لفوز الحزب الديموقراطي ، عام ١٩٣٢ . وعندما تسلم فرانكلين د . روزفلت مقـــاليد الحكم في البلاد ، في اذار ١٩٣٣ ، كانت الضائقة المالية في البلاد قد بلغت منها الأوج . ففي الحين الذي قرر فيه اتخاذ التدابير السريعة لانقاذ المصارف التي تعاني العسر ، بتقديم السلفات اللازمة لهـا ولمؤازرة المزارعين الذين كانوا في وضع مفجع للغـاية ، وخرج من هذه التدابير بخطة شاملة ترمي الى تحقيق اصلاح وطني عام . وهذا لا يعني قط ان القرارات التي اعتمدها قامت على مبادىء بديهية او انها استندت الى خطة موضوعة من قبل في كل جزئياتها ، بل على عكس ذلك ، مرت عليها سلسلة من التغييرات اوحتها الظروف والاوضاع القائمة او ردة فعـل الاوساط الاميركية وغالباً بدون اي تنسيق فيما بينها . فلم توضع في اي وقت ما ، خطة شاملة تتنـــاول الاقتصاد الاميركي في مجموعه . فالمستشارون والخبراء الذين جمعهم حوله فألفوا هيئة الخبراء كما تألف من

رجال القانون وعلماء الاقتصاد على مثال ألفن هانس الاستاذ في جامعة هارفرد وأحد اتبـــاع مذهب كينز الذي كان له تـأثير كبير على سياسة الحكومة حول الاعتمادات الكبرى المرصدة لاعادة الحياة والنشاط الى الاقتصاد الاميركي ، والنشاط الى المؤسسات الخـاصة التي تعمل على تأمين البضائـــع الاستهلاكية وبالتالي على تأمين الانتاج . كذلك ضمت هيئة الخبراء هذه بين صفوفها رجال اعمـــال وصحفيين . وسياسة التدخل هذه عُرفت عندهم باسم « النظـــام الجديد » الذي حدد روزفلت نفسه بأنه « مفهوم جديد لواجبات الحكومة ومسؤولياتهـا نحو الاقتصاد العالمي » ، وهي سياسة لا تختلف بشيء عن سياسة اشتراكية دافـــع عنها الرئيس في خطابه الانتخابي الذي القاه في ١٤ تشرين الاول ١٩٣٦ ، فشدد قائـلا : « هي ادارتي التي اتفقت على نظام الربح الخاص وعلى سياسة المشروعات الحرة واوقفتها عند حـافة الانهيار بعد ان بلغت شفا هار حيث اوصلها هؤلاء بالذات الذين يحلو لهم تخويفكم الآن » .

فالخطة الجديدة انما هدفت الى اعادة التوازن بين التكاليف والانتاج ، وبين حيـاة المدن والريف وبين الاسعار الزراعية والاسعار الصناعية ، كما هدفت الى تحريـــك السوق الداخلية وتنشيطها ، السوق الوحيدة التي لها اهميتها ، وذلك عن طريق مراقبة الاسعار والانتـــاج ، واعادة تقييم الاجور والطاقة الشرائية لدى الجمـــاهير ، اي لدى المزارعين والعمال ، وضبط ظروف العمل (رفـــع الاجور وتخفيض ساعات يوم العمـــل ، وغير ذلك من التدابير) . وهذا هو بالذات ما تهدف اليه الاجراءات التي اوجبت مراقبة المصارف وتنظيمها ومراقبـــة نشاط البورصة ، وعملية تخفيض قيمة الدولار مرتين : في ايار وتشرين الاول ١٩٣٢ ، وقانون تعديل الادارة الزراعية الذي افسح المجال امام تخفيض بعض الزراعات ، وقانون العودة الى الوضع السليم (*R. A. A.*) ، وهـذه السلسلة من القوانين ، التي نصت على تخفيض ساعـات العمل في اليوم ، ورفع المرتبات والاجور ، وحددت المنتهيات القصوى كما حددت الانتاج منعاً لكل منافسة او لكل مزاحمة غير شريفة . « فالفرض » الذي رمت اليه هذه الخطة ، يقول روزفلت ، هو تطمين الصناعة بتحقيق ارباح معقولة وتطمين العمال بالحصول على اجور مرضية. وكذلك قل عن القوانين الاجتماعيـة التي فرضت التأمين والضمان ضد البطالة ، ورسمت الحـد الادنى للارباح خلال اربعين ساعة عمل في الاسبوع ، بواسطة قانون العمل الذي صدر عام ١٩٣٨ ، وشجع تشييد مساكن شعبية رخيصة ، والحرب ضد المساكن الزرائب . ومن هنـا جاءت هذه الاعمال الانشائية الكبرى تقوم بها الدولة ، وقانون قدامى المحاربين الذي اوجب توزيع اكـثر من ملياري دولار ، للمحاربين القـدامى ونشّط الى حد بعيـد ، تنفيق المواد الاستهلاكية .

والخطة الجديدة قوبلت بنقد عنيف من قبل المحافظين الذين هالهم تضخم الموازنة ، كما هالهم من جهة اخرى ، التجاوز على حقوق الولايات وامتيازاتها والتشجيع المعطى للنقابات العمالية ، وكل الاجراءات التي جاءت في مصلحة اصحاب الاجور . وعندما اعلنت المحكمة العليا ، في ايار ١٩٣٥ ، عدم شرعية قانون *N.R.A* الصادر في كانون الثاني وقانون *A.A.A* لحقـــوق

الولايات ، امكن مع ذلك الحفاظ على سياسة الانقاذ هذه بفوز روزفلت بانتخابات الرئاسة لعام ١٩٣٦ . وامام خطر استهداف المحكمة لمحاولة اصلاح جذرية تنزل بها ، اضطرت المحكمة العليا للرضوخ والاعتراف بحق حكومة الاتحاد تنظيم التشريع الاجتماعي في البلاد . فقد اقرت بشرعية قانون العلاقات الوطنية الصادر عام ١٩٣٥ ، هذا القانون الذي ضمن حرية العمل للحركة النقابية ، اسوة بالقانون ($N R A$ و $A A A$) وقانون حماية التربة الذي اعاد تحت ستار حماية التربة ، احكام قانون العلاقات الوطنية ($N R A$) . كذلك رفض النظر في الدعوى المقدمة من قبل الشركات الخاصة ضد مشروع سلطة وادي تنسي ، عام ١٩٣٦ .

النتائج

ما عسى ان كانت نتائج هذا الجهد ؟ فالاصلاح جاء على غير استواء تشوبه مساوىء عديدة ، وبدا ناقصاً في مجالات عديدة ، كما انه تم ، خلافاً لما جرى في عدد من البلدان ، بمعزل عن أي سياسة تسلح . ففي عام ١٩٣٩ ، لم تكن الاعتمادات المخصصة لامور التسلح لتزيد على ١ بالمئة من مجموع الموازنة العامة ، كما ان خط الانحناء الذي رسمه الانتاج الصناعي جاء متكسراً . ففي اذار ١٩٣٣ ، عندما تسلم الرئيس مقاليد الحكم ، كان الدليل المسجل ٤٩،٦ بالمئة ثم اخذ يرتفع ليبلغ ٨٤ بالمئة في تموز ، ثم عاد وهبط في آب واذ ذاك جرى تخفيض الدولار للمرة الثانية واضيفت الى سياسة التضخم المالي سياسة الامتصاص التدريجي . فالتقدم جاء بطيئاً طيلة عام ١٩٣٤ ، وفي الشطر الاول من عام ١٩٣٥ ، اذ لم يكن عدد العاطلين عن العمل في حزيران من هذه السنة ليقل عن ١٢،٥٠٠،٠٠٠ عامل . وحركة العودة الى الوضع الطبيعي اخذت تنطلق من هذا التاريخ ، اذ ارتفع دليل الانتاج الصناعي من ٧١،٤ ٪ في ايار ١٩٣٥ ، الى ٧٩،٨ ٪ في تشرين الاول ، والى ٨٧،٤ ٪ في كانون الاول والى ٩١،٦ ٪ في ايلول ١٩٣٦ ، والى ٩٩ ٪ في اذار ١٩٣٧ . وقد وقعت ردة عكسية في هذا الوقت بالذات ، اذ كان دليل الانتاج الصناعي ، في ايار ١٩٣٨ يوازي ٦٤ ٪ الا ان العودة الى سياسة الامتصاص جعلته يرتفع الى ٨٩ في كانون الاول . وبدا اذ ذاك ان الوضع قد استقر على الاجمال بالرغم من انه لا يزال في البلاد ٩ ملايين من العاطلين عن العمل ، كما ان اسعار البضائع ظلت هي الاخرى آخذة بالهبوط .

ارتدت الازمة في الولايات المتحدة الاميركية طابع ثورة فعلية كما اثرت عميقاً في الرأي العام الذي شعر بانه على شفير الهاوية . « فلربما كانت هذه الازمة الحادث الوحيد في تاريخنا الذي احدث تغييراً جذرياً في تاريخنا الوطني » كما يؤكد غيرارد ، كما ان هذه الازمة انطبعت ذكراها طويلاً في نفوس الاميركيين . فقد اتاحت من الوجهة السياسية ، لحكومة الاتحاد ، بسط نفوذها وتدخلها في مجالات كانت محرمة عليها حتى ذلك الوقت ، وذلك في ما بعود للحالة الاجتماعية ، كما ان الخطة الجديدة امنت للروح النقابية الحرة تحقيق نجاحات حاسمة . فقد الزم قانون واغنر ، ارباب العمل ، الاعتراف للعمال التابعين لهم ، بحرية تنظيم نقاباتهم (وهذا انما يعني نهاية

المنشأة المفتوحة، اي رفض استخدام المصنع والمتجر للعمال النقابيين واللانقابيين على السواء، ونهاية سيطرة العمال المطواعين واجبارهم على مناقشات ظروف العمل مع العمال انفسهم تحديداً للاجور بالاتفاق فيما بينهم . وقد انشئت محكمة وطنية للفصل في المشكلات الناشبة بين العمال وارباب العمل ، مع مراعاة الحق النقابي والعمل على تشجيع العلاقات الجماعية بين ارباب العمال والنقابات . ومع ان قرارات هذه المحكمة لا تكتسب الصفة الالزامية ، فقد تمكنت من ان تحل بين ١٩٣٥ – ١٩٤٥ ، بفضل النفوذ الادبي الذي تتمتع به ، اكثر من ٣٠،٠٠٠ قضية . ومع ان هذا التشريع دخل اميركا بعد اوروبا بمدة طويلة ، فقد قوّى من نفوذ العمال في المجتمع الاميركي .

بريطانيا العظمى

جاءت الازمة في بريطانيا اقل فداحة وفظاظة منها في اي بلد آخر . فالوزارة العمالية التي وقف حزب الاحرار الى جانبها وساعد بذلك على كبح جماحها ، حاولت عبثاً تجاهل الخطة التي وضعها حزب العمال الدولي (*I.L.P.*) بعنوان : اشتراكية هذا العصر ، وطبقت مع وزير المالية سنودن سياسة تخفيض النقد . فقد ارغمتها الازمة ، تحت ضغط الخوف الذي ما فتئت صحافة المحافظين تغذيه في النفوس ، لتأليف حكومة اتحاد وطني شددت بدورها من سياسة تخفيض النقد وادت الى تحقيق وفر بلغ ٧٠ مليون جنيه في صلب مشروع الموازنة ، عن طريق تخفيض تراوحت نسبته من ١٠ – ٢٠ ٪ من مرتبات الموظفين وتعويضات العاطلين عن العمل وعن طريق تخفيض مدة الحصص الى ٢٦ اسبوعاً في السنة . والانتخابات العامة الجديدة التي جرت سنة ١٩٣١ في جو مشبع بالتدهور المالي امنت فوز حكومة وطنية قضت تقريباً على كل معارضة لحزب العمال . ومع ان هذه الحكومة هي برئاسة احد اعضاء حزب العمال السابق ، فالبلاد تخضع لحكومة محافظة موالية للمبادىء الليبرالية يرعاها وزير المالية ، اذ ذاك ، نفيل تشمبرلين . وتخفيض قيمة الجنيه في ايلول ١٩٣١ قبل ان تعمد اية حكومة الى تخفيض قيمة نقدها في الخارج ، ادى الى تحسين ملحوظ في حركة الصادرات ، اذ عرفت بريطانيا وحدها ان تفيد لبعض الوقت من الاعانة الخاصة بالتصدير التي اعتمدتها . وهكذا توقف الانتاج عن الهبوط الذي كان اخذ يعانيه ، ولا سيما في قطاع الصناعات الجديدة ، والصناعات الكيماوية والكهرباء وصناعة السيارات ، كما اوقفت حركة البطالة ، ونشطت حركة التصدير وسجلت بعض الارتفاع في صادراتها الى افريقيا الوسطى ومصر ، كما سجلت زيادة محسوسة في التصدير الى الهند واليابان .

وامكن على اثر هذا النشاط إعادة مخزون الذهب . وعودة البلاد الى سياسة الحماية الجمركية ، واتفاقات اوتاوا التي عقدت عام ١٩٣٢ (وهي اتفاقات جاءت في صالح بلدان الدومنيون اكثر منها في صالح انكلترا نفسها) فأتاحت للحكومة سبيلا اكبر للتدخل في الشؤون الاقتصادية : كمراقبة الواردات الزراعية والحد منها ، والرسوم الجمركية التي رمت الى تشجيع الصناعات الرئيسية في البلاد بجعلها اكثر مردوداً وأوفر ربحاً ، وتخصيص مساعدات

مالية لهذه الصناعات التي لم تسيج حولها الرسوم الجمركية كما يجب، والى الحد الذي كان متوقعاً، كالنقل وحركة الانشاءات البحرية ، وتأميم وسائل النقل في لندن ، عام ١٩٣٣ ، والنقل الجوي بدمج شركات الطيران الانكليزية تحت اسم شركة الخطوط البريطانية عبر البحار، عام ١٩٣٩ ، وعقد معاهدة تجارية ترمي الى تشجيع تصدير الفحم الحجري ، والجهود المبذولة لتشجيع الصناعات الجديدة وتشجيع حركة بناء المساكن الشعبية . ومختصر الكلام، فالبطالة التي بلغت الذروة عام ١٩٣٣ (٢٢ بالمئة من مجموع اليد العاملة في البلاد) ، اخذت تهبط تدريجياً لتبلغ ١٢ بالمئة عام ١٩٣٧ ، وهو عدد لا يزال يبز المعدل الذي كانت عليه البطالة عام ١٩٢٩ ، الا ان عدد السكان ازداد بنسبة ٣٫٥ بالمئة (راجع شكل ٦) . وقد حدث بالرغم من انخفاض حركة التصدير ازدهار اقتصادي محسوس في الداخل ، عاد بفائدة كبرى على الصناعات التي تؤمن الاستهلاك الداخلي وحركة البناء . وسجلت انكلترا اذ ذاك ، ارتفاعاً في المستوى العام للحياة لدى السكان ، وعرفت ان تفيد كثيراً من هبوط اسعار المواد الغذائية والخامات والمواد الاستهلاكية المترتب عليها استيرادها من الخارج ، كما تحسنت ظروف تموينها كثيراً في الوقت الذي حلّت فيه مشكلة السكن في البلاد . والنسبة بين اسعار المواد المصدرة التي جرى تخفيضها الى الثلث ، وبين اسعار الواردات التي انخفضت ١٠٪ في المائة ، اصبحت اكثر ملاءمة طيلة هذه الفترة بكاملها (شكل ٦) . والميزان التجاري كان ايجابياً عام ١٩٣٥، وبعد ذلك اختل هذا الميزان مع انه لم يصل الى ما كان عليه الوضع عام ١٩٣١ .

وهكذا ، ومع ان رصيد الموازنة كان واطياً ، فلم يتوقف يوماً ، وانتفت كل زيادة منذ عام ١٩٣٠ ، واخذ منذ عام ١٩٣٥ يظهر نقص مستمر ، كما ان الاستثمارات في الخارج هبطت هي الاخرى بحيث وصلت الى درجة الصفر ، عام ١٩٣٧ . وجاء هذا الهبوط دليلاً جديداً على ان البلاد آخذة بالافتقار . وتأخر الوضع الاقتصادي ، كما سبق لكينز وتنبأ به ، وقع ، عام ١٩٣٨ ، اذ سجلت البلاد خروج مبالغ كبيرة من الذهب كما سجلت هبوطاً في قيمة اجنيه . لم تدم هذه الحركة طويلاً ، اذ ان تأزم الوضع الدولي حمل الحكومة على تقوية سلاحها مما ادى الى نشاط حركة الاعمال في البلاد . وهكذا نرى ان انكلترا في عام ١٩٣٩ لم تكن استطاعت ، شأنها في ذلك شأن الولايات المتحدة وفرنسا ، ان تجد الدواء الشافي والعلاج النافع للأزمة التي تعاني منها . والبطالة العامة بقيت مستبدة بالبلاد كما بقيت صناعات التصدير تتألم وتتكع في هبوط مزمن . وقد بقي التوتر الاجتماعي محتدماً . فكان على المحافظين ، ان يواجهوا الآن معارضة اشد من جانب العمال الذين نالوا في انتخابات عام ١٩٣٥ ، ما يوازي ٣٨٫٤ بالمئة من مجموع الاصوات وهو اكبر معدل سجلوه حتى الآن .

فرنسا

ففي الحين الذي حافظت فيه الولايات المتحدة ، منذ عام ١٩٣٢ ، وبريطانيا العظمى منذ عام ١٩٣١ ، على الحكومة ذاتها بعد ان تباينت سياستها بالطبع تجانساً وتماسكاً مع انهما انبثقت من مبادىء لم تتغير كثيراً في هذه المدة بالذات ، فقد مرت

فرنسا ، في الفترة نفسها ، بعدة تجارب واختبارات متناقضة .

فاقتصادها لم يتأثر بالازمة الدولية الا في عام ١٩٣١ . ومنذ عام ١٩٣٣ ، بدت اسعار المواد المعدة للتصدير اعلى بكثير عندها من اسعار هـــذه المواد في الخارج . فالسوق الوحيدة المفتوحة امامها هي سوق الامبراطورية الفرنسية . وهكذا هبط الدخل الوطني ٢٠ بالمئة ، كما ان اسعار الجملة هبطت ، هي الاخرى ، ٤٤ بالمئة ، واسعار الفرادي او المفرق ٢٩ بالمئة وأطل من جديد العجز في الموازنة وفي الدين العام . وهذا الاضطراب الاقتصادي والمـــالي طرح على بساط البحث متانة النقد الفرنسي . فمنذ عام ١٩٣٤ ، اخذت تهرب من البـــلاد مبالغ ضخمة

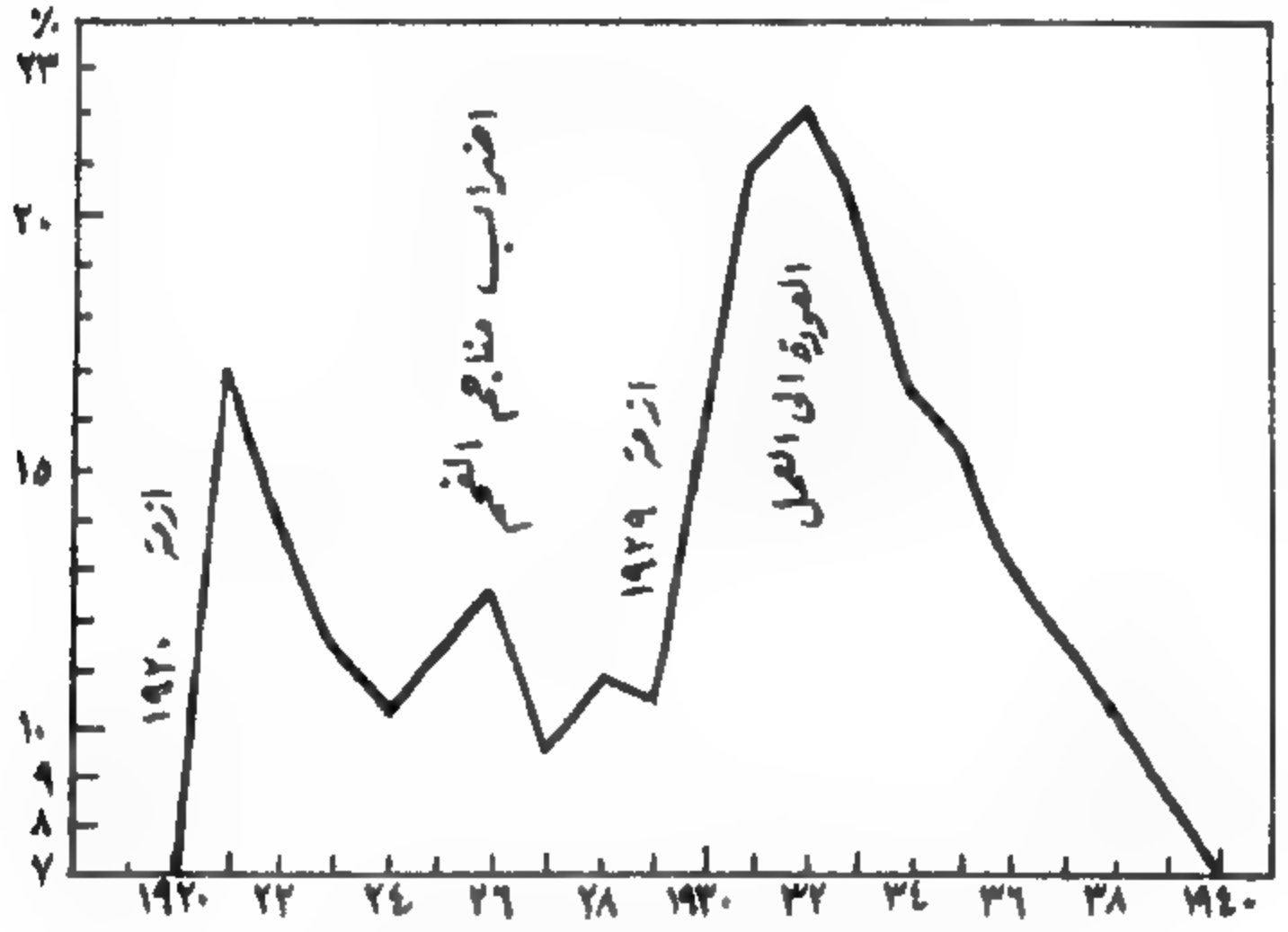

شكل ٦ ـ التغييرات الطارئة على حركة البطالة في بريطانيا بين ١٩٢٠ـ١٩٤٠ .
(الى اليسار ، معدل العاطلين عن العمل)

من الذهب في الوقت الذي حدث فيه هيجان من قبل الاحزاب وتكتلات اقصى اليمـين التي تُعِد ضد الاكثرية اليسارية التي جاءت بها انتخابات عام ١٩٣٢ ، ثورة ٦ شباط (فبراير) . وعادت هذه المبالغ الى البلاد بعد ان شكل دومرغ وزارته ومعـه عادت السلطة الى احزاب اليمين . وعادت حركة هرب الاموال عودتها الاولى ، عـام ١٩٣٥ . ومصرف فرنسا الذي يعبر قيامه عن وضع بلد يتألف معظم سكانه من اصحاب الدخل ، وقف يعارض عملية تخفيض الفرنك ، سيراً مع الحركة التي قامت بها انكلترا والولايات المتحدة الاميركية ، الامر الذي ادى الى هبوط كبير في حركة التصدير ، اذ ان الاسعـــار الفرنسية بقيت أعلى بكثير من

الاسعار في البلدان التابعة لكتلة الجنيه . واعتمدت حكومة لافال سياسة شديدة لتخفيض سعر الفرنك ، معتمدة في ذلك على المراسيم الاشتراعية الخاصة بمعالجة البؤس (تخفيض ١٠ بالمئة من نفقات الدولة العامة) مع سياسة صارمة ضد الملطوسيانية او تحـــديد النسل التي ادت بدورها الى تحديد الانتاج الزراعي والصناعي . ولذا لم تشارك فرنسا بعودة الانفراج العـام الذي عم العالم بين ١٩٣٣ – ١٩٣٧ . فقد جاءت في المرتبة الدنيا في سلم ارتفاع دليل الانتاج في العالم وحركة الانتاج عندها بين ١٩٣٣ – ١٩٣٧ ، بدت زهيدة للغـــاية ، اذ لم تزد عن ٤٫٣ بالمئة ، بينما بلغ هذا المعدل ١٠٠ بالمئة في المانيـــا ، و ٧٤٫٤ بالمئة في اليابان ، وسقطت رحدها بين دول العـــالم الى ادنى من مستوى عام ١٩٣٣ ، بينما نهضت كل الدول الاخرى ولحسنت فيها الاوضاع ، واستمر انتاجهـا الصناعي يتراوح بين ٨٢ – ٨٣ بالمئة مما كان عليه عام ١٩٢٨ . وازداد عدم التوازن سوءاً واضطراباً وشكل هبوط الانتـاج الزراعي كارثة . وهكذا وجدت البلاد نفسها وجهاً لوجه مع هبوط اقتصادي فريع .

الجبهـة الوطنية

ان الفشل الذي بليت به سياسة تخفيض النقد ، والبؤس الذي سببته هذه السياسة في جميع اطراف البلاد ، كان وراء نجاح الجبهـــة الوطنية في انتخابات عام ١٩٣٦ النيابية ، التي نص برنامجها الاقتصادي على اتخـــاذ اجراءات ترمي لبعث الحركة والنشاط في الحياة الاقتصادية ورفع القيمة الشرائية للفرنك . وعندما تولت حكومـة بلوم مقاليد السلطة في البلاد انفجرت غضبة الشعب بعد ان كظمها طويلاً من قبل . فالصعاب التي أدت إليها الازمة ، منذ عام ١٩٢٩ ، اتاحت لارباب العمـل بنعمة « الحق الالهي » ان يعملوا بمساعدة الحكومة في السنوات السابقة ، كل تشريع يتعلق بالعمل (الاتفاقات المشتركة ، والضمان الاجتماعي) ، وان يفرضوا سلطتهم ومشيئتهم العليـــا بضربهم كشحاً عن المطالب العمالية ، واللجوء بصورة احتياطية الى صرف العمال وطردهم . وهؤلاء العمال الرازحون تحت البؤس ، اخذوا ، بعد ان بلغ اليأس منهم في هـــذه السنوات الاخيرة ، كل مبلغ ، يتنفسون الصعداء عندما رأوا في الحكم ، وهم لا يصدقون عيونهم ، حكومة تتنفهم الى حد بعيد ، المآسي التي يتحكمون فيها والتي يعانون منها الأمرين ، فتدافع عن مصالحهم المشروعـة : وعلى ضوء هذه الامور ، ندرك جيداً ، ما وقع من حوادث احتلال المصانع وحركات الاضرابات الـــتي ادت في حزيران ١٩٣٦ ، الى اتفاقات ماتنيون ، في المؤتمر الذي عقـده المنتجون الفرنسيون الذين يمثلون ارباب العمل في فرنسا . وفي بضعة ايام لا غير أقرّت القوانين التي جاءت توضيحاً واعترافاً رسمياً بهذه الاتفاقات . فالاجور زيدت من ٧ – ١٥ بالمئـة وتقرر دفع الاجور في الاجازات ، وشرع بمفاوضات حول اتفاقات جماعية مع المنظمات الاكثر تمثيلاً للحركة العمالية ، كما ضمن حق تأليف النقابات ، وتعيين انتخاب ممثلين في كل مؤسسات العمل التي يزيد عدد العمال في الواحدة منها على عشرة عمال . وصدر أخيراً قانون يحدد ساعات العمل في الاسبوع بأربعين ساعة عمل الامر الذي ادى الى امتصاص جانب من العاطلين عن العمل . إلا ان معارضة بعض

أرباب العمل لهذه الاجراءات القانونية وصمودهم في وجه تطبيقها ، ادخل القلق على أصحاب الثروات ، فأخذت رؤوس الاموال بالهروب الى الخارج ، كما اخذوا في الادّخار ، إذ ان زيادة الاجور ، والاجازات المدفوعة وتخفيض ساعات العمل في الاسبوع كل هذه ادت الى زيادة في كلفة الانتاج وترك اثره ظاهراً على اسعار المبيع . والزيادات الجديدة التي لحقت الاجور لم يلبث ان عقبها ارتفاع في اسعار تكاليف الحياة ، كما ان التشويش والقلق اشتد بين الناس وساورتهم المخاوف . وفي ايلول ١٩٣٦ ، بلغ من ارتفاع الاسعار بعد الاصلاحات الاجتماعية ان انقطعت حركة التصدير تماماً . وجاء تخفيض قيمة الفرنك متأخراً جداً كما جاء معدل التخفيض عالياً ، بحيث ان رؤوس الاموال المهربة لم تعد الى البلاد خوفاً من هبوط جديد في الاسعار ، كما ان مبالغ جديدة جرى تهريبها خارج البلاد . وبدلاً من ان يوسع ارباب الاعمال اعمالهم واشغالهم ، راح فريق من ارباب الصناعة ورجال الاعمال والتجار يحولون مدخراتهم ورأس مال محلاتهم الى سبائك من الذهب او الى دولارات . واذ رأت السلطة نفسها عاجزة عن معالجة الامر وأسقط في يدها ، قررت حكومة بلوم « التمهل » اي التوقف في عملية الاصلاحات الاجتماعية ، ولم تلبث ان انهزمت عندما تقدمت من المجلس بالموافقة على اعطائها حق استصدار المراسيم الاشتراعية مكافحة منها للمضاربات المالية .

« فتجربة بلوم » اصيبت بالفشل في معظم قطاعاتها لانها عجزت عن تأمين الاصلاحات الاساسية التي كان من شأنها ، لو تمت ، حرمان خصومها ، بما لديهم من وسائل التأثير على الاعتماد والتسليف وبالتالي على النقد. فقد جاء اصلاح مصرف فرنسا ناقصاً، كما لم تجرِ أية مراقبة على المصارف والمؤسسات المالية وعلى عمليات القطع في البلاد . اما مراقبة الاسعار فقد جاءت بدائية وكذلك وسائل التنفيذ التي اخذت بها ، ولذا لم يكن لها من اي تأثير . والاسعار التي فرضتها الاحتكارات بقيت جامدة قائمة كما صمدت في وجه تخفيض قيمة النقد .

وعادت حكومة شوتان التي خلفتها الى سياسة التضخم المالي التقليدية ، اي الاستلاف من مصرف فرنسا بحيث تستطيع الحكومة مواجهة التزاماتها . وقد حدث في حزيران ١٩٣٧ تخفيض جديد في قيمة الفرنك بعد ان أخذ يدوّر في فلك الاسترليني ، وخسر ٤١٫٥ بالمئة من قيمته الأصلية .

ومن جهة اخرى حدث منذ ١٩٣٨ ، مع وزير المالية الجديد بول رينو ، تحت ستار عملية « تطويع » ردة فعل قوية ضد القوانين والتشريعات الاجتماعية التي صدرت عام ١٩٣٦ ، والعودة الى سياسة الانكماش المالي ، وحصر اعتمادات الموازنة العامة ، والذي تسبب عن الاضراب العام الذي وقع في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣٨ ، والذي كان من فشله ان اضعف الحركة العمالية واثر عليها الى حد بعيد . وسياسة نزع السلاح كانت اذ ذاك ضاربة اطنابها ، كما ان دليل الانتاج الصناعي كان قد ارتفع من ٧٦ بالمئة عام ١٩٣٨ الى ٨٧ بالمئة عام ١٩٣٩ .

وهكذا فقد مر الاقتصاد الفرنسي طيلة الضائقة الاقتصادية في فترة من الركود والجمود بينما كانت في الدول الاخرى فترة تميزت بالنشاط والديناميكية (شكل ٧) . ان ارتفاع الاسعار الفرنسية حرمت المنتوجات الزراعية من اسواق تفي بحاجتهـــا : فالقمح والنبيذ والشمندر السكري محاصيل شكت فرط الانتاج والحماية الجمركية التي عمها المحافظة على الوضع القـــائم

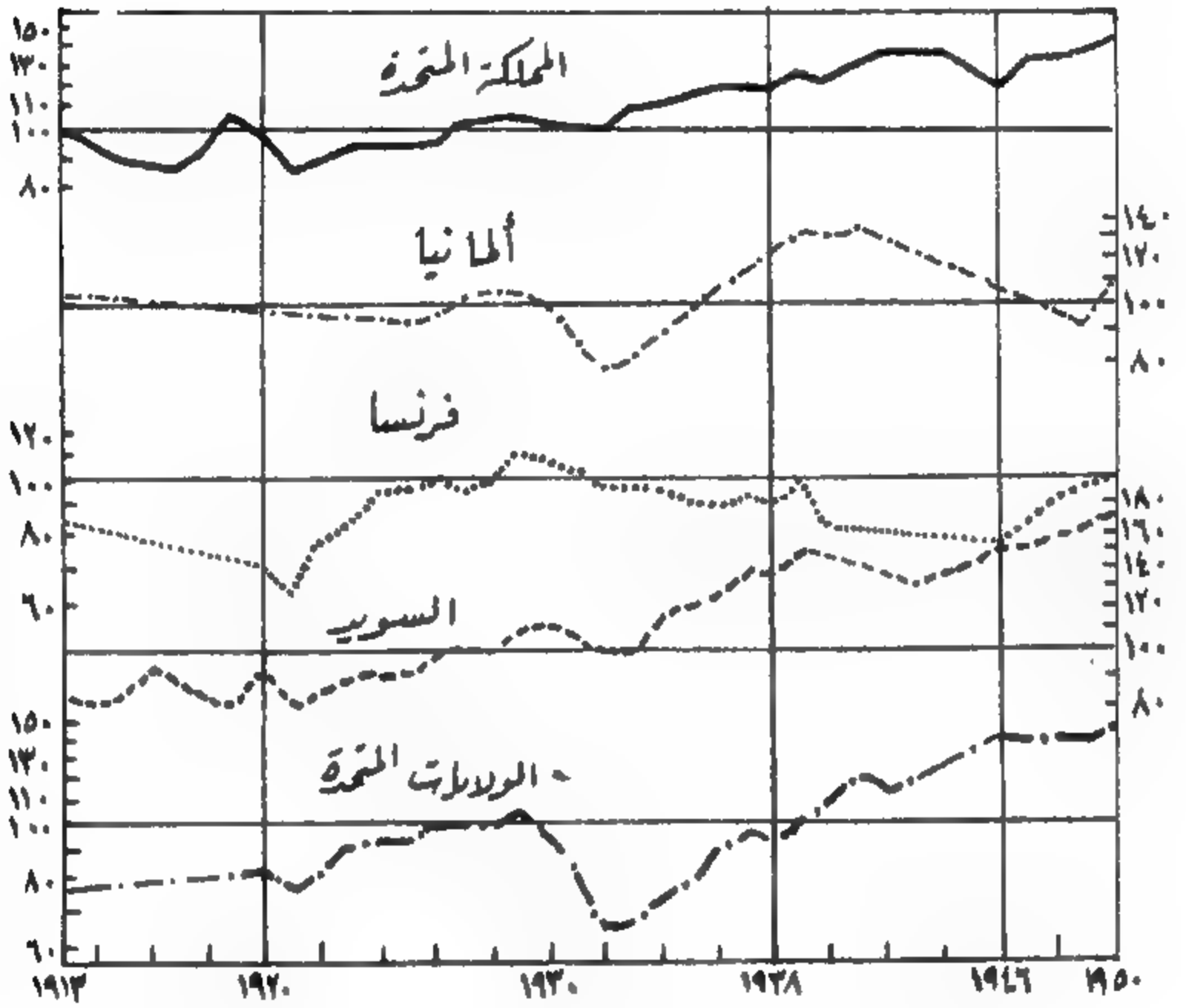

شكل ٧ ـ الدخل القومي للفرد في المملكة المتحدة ، المانيا ، فرنسا ، السويد ، الولايات المتحدة
بين ١٩١٣ ـ ١٩٥٠ (١٠٠ ـ المعدل لعام ١٩٢٥ ـ ١٩٢٩)

وحالت دون مقايضة البلاد الفائض من انتاجها الزراعي بما تحتاج اليه من مواد زراعية اخرى، والاسعار الدارجة هي بالفعل عالية جداً بالنسبة للأسعار العالمية وان كانت واطيـــة بالنسبة لاسعار الكلفة . والقطن والقمح واللحوم والمحاصيل الزراعية الاخرى هي في فرنسا اغلى منها في هولندا وانكلترا والسويد وبلجيكا . وغلاء ثمن المنتوجات الصناعية التي لا غنى للمزارعـين عنها تحد كثيراً من امكانيات الربح بتصدير المحاصيل الزراعية كما تحول دون تجهيز المزارعـين

بالاعتدة والتجهيزات التقنيـــة . فالمكننة لا تفي بالغرض كما ان الاساليب الزراعية وانماطها رديئة للغاية . وهكذا بقيت قائمة ، مرعية الجانب وسائل استثمارية متخلفة جـداً ، تعمـل في ظروف حياتية قاسية وتنتج في ظروف مرزحة ، « فالزراعة في فرنسا هي من هذه القطاعات المتخلفة عن ركب الحضارة وسير الزمن ضمن اقتصاد يشكو الضعف والجمود » . أما الصنـاعة الفرنسية على اختلاف مظاهرها ، فهي تعاني ، منذ عام ١٩٣٠ ، وضعاً هزيلاً من الانحطـاط الموصول من جراء ضعف انتاجية العمل ، اذا مـا قيست بالولايات المتحدة وبالمانيـا ، باستثناء الصناعات الحديدية والمطاط والكرتون (المقوى) . فالمستوى التقني ، والتركيز الصناعي ادنى بكثير منه في البلدان الصناعية الاخرى . والتجارة الخارجية ، تأخرت هي الأخرى وأصيبت أكثر مما أصيبت به هذه المرافق في الدول الاخرى . فقد كانت تمثل ، عام ١٩١٣ ، نحواً من ٧٫٧ بالمائة من مجموع التجارة العالمية ، بينما لم تعد تمثل ، عـام ١٩٣٧ ، سوى ٥٫١ بالمـائة وهو تأخر بلغت نسبته ٣٨٫٨ بالمائة ، بينما لم يبلغ هذا التأخر في انكلترا سوى ٨ بالمائة وارتفعت الزيادة في الولايات المتحدة الاميركية ٣ بالمائة . والنقص في الميزان التجاري كان افـدح من ذلك وأدهى ايضاً . فبينما كان يمثل ١٦٫١ بالمائة من مجموع الصـادرات ، عـام ١٩٢٩ ، إذا به يهبط الى ما نسبته ٥٫٧ بالمائة عام ١٩٣٨ . اما ميزان المدفوعات ، فالزيادة التي تميز بها في الماضي ، حل محلهـا نقص ملحوظ في الدخل السياحي ، وفي ريع الخدمـات ولا سيما ريع الأموال المستثمرة في الخارج . ان خروج رؤوس الأموال الضخمة التي فرت الى الخارج لم تكن استثمارات منتجة بل مجرد عملية مضاربات مالية . فالأرصدة الفرنسية في الخـارج ، التي بلغت قيمتها ١١٠ مليارات فرنك ، عام ١٩٣٧ ، هي في الغالب ، ديون قصيرة الاجل . وفي حماية من الرسوم المتفشرة وعمليات التقنين التي جاءت تحمي ليس فقط فروع الصناعة الآخذة بالنمو والتطور بل كل الصناعات على اختلاف انواعها ، راحت الهيئات المالية والصناعية تقصر كثيراً من حركة الانتاج ومن الاستثمار ، على امكانيات الامتصاص والتنفيق المباشرة المتوفرة للسوق المحلية التي كانت من الضيق والضعف بحيث دون تحقيق ارباح كبـيرة . فقد اعتمدوا سياسة مالطوسية تقوم على الاكتفاء الذاتي والانطواء التي لم تستهدف لا فتح اسواق جديدة في الخـارج لها ، ولا العمل على توسيع وترحيب السوق الوطنية . أما بشأن صغار التجار ، فقـد تضخم عددهم كثيراً دون أي اعتبار او نسبة للكميات المبيعة .

وهذا التأخر الاقتصادي جاء نتيجة سياسة مستوحاة من الروح المحافظة في هـذا النظام الاجتماعي الذي حرص على ان يحافظ على البنيان الاقتصادي والاجتماعي القائم في البـلاد . فالابقاء على الاستثمارات الصغيرة والمتوسطة الهامشية ، إذ عجز عن منافسة الشركات الكبرى كما عجز عن دفع اجور عالية ، اتاح من جهة ثانية للتكتلات الاحتكارية التي تستطيع وحـدها تأمين انتاج بكلفة ادنى من البضائع التي تنتجها المحلات الاولى ، ان تفرض رسوماً على المبيع تؤمن لها ارباحاً ضخمة .

المانيا

كان للازمة في المانيا ، نتائج مروعة بالنسبة للوضع الحرج الذي احاط باقتصادها نتيجة لحركة التصنيع الآلي ولضخامة رؤوس الاموال التي وُظّفت بفوائد عالية ، ولا سيما بالنسبة لتابعيتها ولتمويلها ، الى حد كبير ، على الاستثمارات الاجنبية الضخمة التي يوشر بها منذ عام ١٩٢٥ . وهذا التوازن الضعيف الذي حققته لم يلبث ان هوى عندما هبطت الاسعار العالمية وعندما جعلت الازمة الناشبة من الصعب جداً ، على الصناعة الألمانية ، الحصول على اعتمادات تسليف جديدة سواء من خزينة الدولة او من اسواقها المعروفة .

فالانتاج الصناعي المبني على دليل ١٠٠ لعام ١٩٢٩ ، هبط من ١٠٧ ، عام ١٩٢٩ الى ٥٨,٥٪ في آب ١٩٣٢ ، كما هبط انتاج الفحم من ١٦٣ مليون طن الى ١٠٤ ، والحديد من ١٦ مليون طن الى ٥,٧٠٠,٠٠٠ ، وارتفع عدد العاطلين عن العمل في المانيا من ٩٩٤,٠٠٠ الى ٥,٥٧٩,٠٠٠ ، كما هبطت الاجور الى نصف معدلها ، وسجلت الصادرات هبوطاً بلغ ٤٥٪ من قيمتها ، و٦٢٪ من حجمها ، رغم سياسة الاغراق التي نشت عليها الحكومة . والتجأ المستشار برونتنغ الى الوسائل التقليدية في معالجة الوضع ، كتخفيض قيمة النقد ، ومراقبة الارصدة واقتطاعات ضخمة في صلب الموازنة ، وهبوط الاسعار ، ورفع نسبة الحسومات وإعادة تنظيم حركة التسليف وتخفيض اجور العمال ومرتبات الموظفين ، والغاء رسوم الحماية الجمركية . فقد حصل في مؤتمر لوزان في حزيران من عام ١٩٣٢ ، على إلغاء تعويضات الحرب . الا ان عنف الحركة واحتدامها والاوصاب التي مرت بها الطبقات العمالية بعد ان تضرست بالبطالة ، والتطرف الذي اخذت تنزع اليه ، زاد كثيراً من عدد انصار الحزب الشيوعي العاملين على اثارة الاضطرابات الاجتماعية . واذ رأت الطبقات الوسطى نفسها مهددة بالحركة البروليتارية ، فلم تر الطبقات الموجهة واصحاب الصناعة الضخمة لها منجاة وخلاصاً الا في حل فاشي او دكتاتوري. واذ ذاك قبض الحزب الوطني الاشتراكي في كانون الثاني ١٩٣٣ ، على السلطة في البلاد في وقت كان فيه التدهور المالي بلغ الحضيض . فالمهم ، في الدرجة الاولى ، اعادة الحركة والنشاط الى الاقتصاد الوطني عن طريق فتح منافذ واسواق جديدة ، ومحاربة البطالة . لم يكن هنالك ، في بادىء الامر خطة موضوعة منظمة . فالخطة الرباعية الاولى التي اطلقوا عليها اسم خطة الخدمة ، لم تكن في الحقيقة سوى سلسلة من الاجراءات المتخذة لمعالجة البطالة في البلاد . ووضع في خريف ١٩٣٦ الخطة الرباعية ، الثانية المعروفة « بخطة الانتاج » . فرمت الى تأمين عهد الحكومة المطلقة ، والدكتاتورية تحت سلطة غورنغ الذي طلع بالفكرة ، وهي عبارة عن ادارة عملاقة جبارة تعمل على تنظيم الوضع الاقتصادي في الاساس . فالدولة هي ، عند الانطلاق بالخطة ، الزبون الوحيد وستبقى فيما بعد الزبون الرئيسي . وهي المصرف الرئيسي وتحتكر كل منافذ التجارة الخارجية . فبدون ان تؤمم الاستثمارات الكبرى او ان تديرها بنفسها ، فهي تتولى ادارة الاقتصاد باعطائها التوجيهات التي تراها لازمة ، وبمراقبتها الاسعار والاجور بعد ان حددتها ، وبتوجيه الاعتماد وحركة التسليف . ولاول مرة في التاريخ نشهد اقتصاداً رأسمالياً

يخطط له في وقت السلم . وكان من تحالف الحزب مع الرأسمال الضخم ، ان حال دون استعمال العلاج الذي يوسع من نطاق السوق الداخلية بزيادة القوة الشرائية لدى المجتمعات السكانية ، اي رفع المرتبات . ولذا اعتمدت الحكومـــة سياسة الاشغال الضخمة ولا سيما انشاء شبكة الاتوسترادات ، وسياسة التسلح ، وخلق مصلحة « العمل الالزامي » ، وتسليف الدولة مالاً للزوجين الجديدين ، اذا ما تعهدت الزوجة بالانقطاع عن العمل خارج منزلها ، والى انشاء منظمة نقابية جديدة . فالانتـــاج استعاد بسرعة قدرته المنتجة. فقد حقق منذ عام ١٩٣٦ ، معدل عام ١٩٢٩ ، وتجاوزه عام ١٩٣٩ بنسبة ٣٣٪ ، وجرى امتصاص البطالة تدريجياً . ففي عام ١٩٣٨ ، لم يبق عاطلاً عن العمل سوى المسنين وغير المؤهلين .. فقد برزت في الطليعـــة مصالح الانتاج (المواد الاولية ، والطاقة) ومصالح الاستثمار والتوظيف (البناء) ، فاخـذت تنمو وتطرد وتتسع ، بينما ازداد انتاج المواد الاستهلاكية ١٣٪ عن معدله لعام ١٩٢٨ ، واصبح يفي تقريباً بحاجات السكان الآخذ عددهم بالازدياد ونفقات التسلح الضخمة الباهظة ، بحيث ان مستوى عيش السكان المدنيين ، بقي كما هو تقريباً دون اي تغيير . وهكذا بفضل حافز الطلب العام ، أصبحت المانيا الدولة الوحيدة التي امّنت العمل لليد العاملة في البلاد ولجهازها الصناعي الضخم . ومما هو احسن من ذلك وافضل ، افتقار البلاد للمزيد من اليد العاملة الكفوّة ، وللمزيد من العمال المزارعين ، وهي ظاهرة برزت منذ عام ١٩٣٥ .

اليابان

ارتدت الأزمة العالمية في اليابان مظاهر مختلفة تعارضت مع الكثير من المظاهر التي سجلناها لها في البلدان الصناعية الاخرى . فقد كانت الازمة فيها قصيرة واناخت بكلكلها على القطاع الزراعي الا انها كانت اعجز من ان تحد من نشاطات عـدد كبير في قطاعات الصناعة وحركة التصدير . وعلى الاجمال ، فقد كان اثرها ضعيف الوقع على البلاد واصابها من جانبين معاً : تخفيض في حركة التصدير نتيجة للهبوط الذي اصاب التجارة العالمية ، كما ان هبوط الاسعار ادى الى خراب العاملين في القطاع الزراعي . فقد الحق هبوط « الازدهار الاميركي » ضرراً محسوساً في القطاعات الاكثر تعرضاً للتجريح في اقتصادهـا القومي ، وأدى الى هبوط في سعر الحرير الخام (٥٠٪ عام ١٩٣٠) وفي صادراتها من المنسوجات القطنية (٢٧٪ عام ١٩٣٠) كما ادى الى انهيار عدد كبير من المزارعين وفرض البطالة على عـدد من مصانع النسيج والحياكة حيث تعمل الفتيات اليابانيات .

واشتدت الازمة فيها بعد عام ١٩٣١ ، اثر رفع معدل الرسوم الجمركية في الهند وحركة المقاطعة التي برزت في الصين . وجاء اخيراً تخفيض العملة اليابانية في الوقت الذي كان فيه الين تقريباً على سعره لعام ١٩٢٦ قبـــدا عالياً بالنسبة للدولار ، مما ادى الى هبوط في الاسعار بلغ معدله ٣٥ ٪ ، بين نيسان ١٩٢٩ وتشرين الاول ١٩٣١ . وجاء هبوط اسعار الارز ثالثـــة الاثافي في خراب الفـــلاحين الذين رأوا انتاجهم يهبط الى ٤٣ ٪ ، الا ان انكماش الانتاج الصناعي كان ابعد من ان يكون له الاتساع ذاته والاستمرار ذاته الذي نراه يحل في المنتوجات الزراعية ، فالهبوط لم يتجاوز ٨٫٤ ٪ ، ومنذ عام ١٩٣٧ ، ارتفع الدليل الى فوق ما كان

عليه عام ١٩٢٩ ، واستمر في تصاعده بحيث بلغ ١٧٣ عام ١٩٣٧ (مع الملاحظة ان ١٠٠ هو دليل عام ١٩٢٩) . وسبب ذلك هو ان حزب ملسيتو الذي عاد الى الحكم في صيف ١٩٢٩، سارع الى اعتماد السياسة التقليدية التي كانت دوماً تعتمد تخفيض قيمة العملة ، مما ادى الى اقالته من قبل الجيش الذي تسلم الحكم . وفي عام ١٩٣١ ، عمـــدت الحكومة العسكرية الى حظر اخراج الذهب من البلاد وتخلت عن قاعدة الذهب ، وخفضت سعر الين ثلثي قيمتـه واعتمدت سياسة الانكماش المالي التي قضت بزيادة الاعتمادات الخاصة بالجيش والاسطول . وقـد تضاعف دين الحكومة ، بين ١٩٣١–١٩٣٧ ، وارتفعت اسعار الحاجيات بالجمـــلة حتى انها بلغت مستواها لعام ١٩٢٩ ، ودليل اجور العمال الذين يعملون في مصالح الجيش والتسلح ، ارتفعت بين ١٩٣١– ١٩٣٦ ، من ٩١ الى ١٤٠ ٪ (باعتبار دليـل ١٠٠ الحـد الوسط بين ١٩٣١ – ١٩٣٥) ، بينما اسعار المنسوجات القطنية والحريرية بقيت ادنى مما كانت عليـــه عام ١٩٢٩ ، اما الازدهار فقد كان من نصيب الصناعات الثقيـــلة والصناعات الحـديدية والميكانيكية والكيماوية والانشاءات البحرية (عدد العمال العاملين في هذه الصناعات على اختلافهـا يمثل نسبة لم تلبث ان ارتفعت من ٢٥ الى ٤٠ ٪ ، في أواخر عام ١٩٣٧ . وفي عام ١٩٢٩ كان عدد العمال العاملين في هذه المصانع ٨٢٥،٠٠٠ ، فارتفع عددهم ، عام ١٩٣٧ ، الى ٢،٢٥٠،٠٠٠ ، وساعد على هذا الارتفاع الضائقة التي نزلت في القطاع الزراعي اذ اجبرت عمـــالاً كثيرين على النزوح من الريف الى المدن بحثاً لهم عن عمل . وارتفع انتاج الفولاذ الخام من ٢٥٠،٠٠٠ طن عام ١٩٢٩ ، الى ٥،٥٠٠،٠٠٠ طن عـام ١٩٣٦ ، كما تضاعف انتـاج البلاد من الحـديد ، وازداد كذلك انتاجها من الفحم الى اكثر من الثلث . والحزب العسكري الذي يتولى الحكم في البلاد ويوسع من نطاق سلطته على الحكومة بعد العصيان الذي وقع في شباط ١٩٣٦ ، تابع بنشاط محموم ، تصنيع منشوريا كما واصل تأييد تغلغل الجيش في الصين ، حيث عادت الحرب المكشوفة الى الظهور عام ١٩٣٧ . وفي اليابان ، كما في المانيا وفي ايطاليـا ، نحن امام اقتصاد موجه للحرب ، فيخضع المشروعات والاستثمارات الخاصة للاعتبارات الستراتيجية ، ويوسع ، يوماً بعد يوم ، من اشراف الحكومة على حركة القطع وعلى التجارة الخارجية وحركة التسليف بعد ان وُجّهت نحو الصناعات الحربية ، ونحو الاستهلاك والاسعار والمبيعات .

فاليابان هي الدولة الاستعمارية الوحيدة التي تشجع التصنيع في مستعمراتها في الخارج بتأمين التنسيق التام مع صناعاتها . ومـما لا شك فيه قط ان الاقتصاد الحربي الذي كان الدواء الناجع للأزمة في الوقت الذي بقيت فيـه القطاعات الاقتصادية الاخرى تحت الضغط ، حتى اقتصاد الولايات المتحدة الاميركية نفسها ، تحيطه اليابان بعنايتها الكبرى وتوسع من نطاق اقتصادها، مما ادى الى تسجيل ارتفاع محبوس في الدخل القومي . وقـــد عملت التجارة دوماً على سد العجز في الميزان التجـاري ، عن طريق الخدمات المتنوعـة ، والأسطول التجـــاري الذي ارتفع حجمـــه الى ٤،٥٠٠،٠٠٠ متر مكعب ، اصبح الآن الاســـطول

الثالث في العـــالم . والاستثمارات الضخمة التي قامت بها الدولة والقطـــاع الخاص ، لم تتوقف سوى فـــترة قصيرة ، واستمرت في ارتفـــاعها كما ارتفعت طلبـــات السلطات العامة .

البلدان ذات الاقتصاد الزراعي

ان تدابير الحماية التي لجأت اليهـا كل الدول وتسلحت بها ، وتطور الانتاج الزراعي في كل من انكلترا والمانيا وايطاليا ، ادخـل الخلل والبلبلة على السوق الدولية ، وتسبب بانخفاض هام في المشتريات لدى الدول المصدّرة لها ، كما تسبب ، بالمقابل ، بانخفاض في شراء المنتوجات المصنوعة في البلدان المعروفة باقتصادها الزراعي ، اذ كانت عاجزة عن مواجهة اثمانها . واخذت هذه البلدان تشعر اكثر من كل وقت مضى بتابعيتها ، وتتألم من فقدان المنتوجات المصنوعة . ولذا راحت تقبـل على التصنيع بهمة ونشاط . فقد تمكنت بما لديها من اعتمادات نادرة ، وبواسطة مقايضة انتـاجها ، عملا بسياسة المقايضات التي دشنتها المانيا ، وتوفر يد عاملة رخيصة في البـــلاد ، ان تستدرج رؤوس الاموال . كل هذه العناصر وما اليها اتاحت لها تأمين الاجهزة والاعتدة الآليـــة التي تساعدها على خلق الصناعة فيها . وهكذا راحت المانيا تطور صناعاتها الغـذائية كما تطور صناعة تركيب الآليات واجهزة الراديو بعد ان فرضت رسوماً جمركية عالية على الاجهزة الجاهزة التركيب . وفي عام ١٩٤٠ ، كان باستطاعتها تقريباً ان تكتفي نفسها بنفسها في عدد كبير من المصنوعات المشغولة . واخذت الشيلي في تنظيم صناعتها ، سعياً منها وراء مزاحمة النترات الصناعية ، وتطور اجهزتها وعتادها في سبيل تطوير الطاقة الكهربائية المائية ، بواسطة اعتمادات حصلت عليها من بنك التصدير والواردات في واشنطون ، قدمها لشركة التصدير الشيلية التي تأسست عام ١٩٣٩ . وفي الهند وتركيا والبرازيل ، حققت صناعـــة النسيج تطورات عظيمة وبذلت مثل هذا الجهود ، كل من بلدان اوروبا الوسطى واوروبا الشرقية ، كما سجّل تقدم محسوس في كل من رومانيا واليونان ، وبولونيا وهنغـاريا . ففي كل بلدان اوروبا او البلدان الواقعة وراء اوروبا ، جاء الاقبال على شراء الآليات الجاهزة خلال عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ ، دليلاً قاطعاً على هذا العزم الصادق في النهوض بسياسة التصنيع ، وتوفير القوى المحركة ، وتأمين اسس الاستقلال الاقتصادي الذي ادى في بعض الدول الى الدكتاتورية الفعلية .

وقد جاءت النتائج بليغة في لغتها . فالبلدان التي لا يزال لها انتاج مرتفع نسبياً خلال الازمة والتي زادت نسبتها نسبة عام ١٩٢٩ ، هي هذه الدول الزراعية التي اعتصمت بسياسة التصنيع. فالارقام البيانية او القياسية لصناعة النسيج عام ١٩٣٧ ، هذا النموذج بالذات لانتاج الحاجيات الاستهلاكية ، بلغ ٢١٦ في ليتوانيا و ٢٠٥ في الشيلي و١٧٦ في فنلندا و١٦٣ في السويد ، ١٥٤ في النرويج (مع العلم ان ١٠٠ هو الرقم البياني لعام ١٩٢٩) .

٢ – الوضع الاقتصادي بين ١٩٣٧ – ١٩٣٩

ضعف الابلال ورهنه

جاءت نتائج هذه الجهود غير متكافئة ، كما رأينا بالنسبة لجميع البلدان ، باستثناء فرنسا . فالازمة التي ظهرت عـــام ١٩٢٩ ، اخذت تحتدم وتشتد حتى عام ١٩٣٢ ، ثم طرأ بعض التحسن على الوضع العـــام ، مع بعض التقلبـــات ، تتسع او تضيق في بعض البلدان ، وبعض الارتكاسات هنا وهناك تتباين شدة وحدة . وفي عام ١٩٣٦ ، امكن تسجيل المعدل الذي كان عليه الانتاج عام ١٩١٣ والعودة الى النشاط المألوف ، عاد سيرته الاولى ، والتوازن بين مختلف قطاعات الانتاج من جهـــة ، وبين الاسعار بعضها ببعض يتضح اكثر فاكثر كما ازداد استهلاك البضائع المختزنة ، وخفت حـــدة البطالة كثيراً كما تحسنت كثيراً اوضاع العمال . الا ان المصانع لا تعطي سوى ثلثي طاقتهـــا ، أشياءاً منها لحاجات السوق المحلية . واخذت ترتفع منذ عام ١٩٣٣ ، اسعار الخامـــات التي اشتد حولها الطلب ، وازداد حجم التجارة العالمية . وارتفعت منذ مطلع عام ١٩٣٥ قيمتها على اساس قاعدة الذهب ، الا انها بقيت ٢٠ ٪ دون قيمتها عام ١٩١٣ . فتجارة الحاجيات المشغولة كانت اقل تقدماً من جهة الوزن ، نتيجة محتومة لظاهرة التصنيع في البلدان الجديدة ، وامور التغذية التي كانت اقل تطوراً من حيث قيمتها من جراء سياسة الاكتفاء الذاتي التي سارت عليها البلدان الكبرى الصناعية .

والتوازن بدأ يقع بين طاقتي الشـراء المتممة الواحدة للاخرى : طاقة البلدان الزراعيـــة وطاقة البلدان الصناعية . والعودة الى الوضع الطبيعي بدت ظاهرة واضحة لاسباب تقدمية كما هي الحال في بعض البلدان : كاليابان والبلدان السكندينافية والشيلي وبريطانيا العظمى . وقد بدت هذه العودة ظاهرة واضحة ، ولو اقل اتساعاً ، في كل من المانيا وايطاليا بدافـــع من الانشاءات العامة فيها ومقتضيات التسلح ، كما جاءت ضعيفة جداً او لا اثر لها البتة في بعض البلدان كفرنسا حيث لعبت اسباب مقاومة الانكماش المـالي دوراً كبيراً ولمدة طويـلة .

وللخروج من هذه الضائقة استعملت المحاولات والوسائل والذرائع ذاتها وان تباينت حماسة واسلوباً بين بلد وآخر ، ولا تزال الافكار تتضارب الآن حول انجع هذه الوسائل التي حملت منها عوامل التحسين وامثلها . فهل يعود لعمري فضل الابلال من هذه الضائقة للولايات المتحدة بعد الاجراءات التي اتخذتها وأدت الى تخفيض قيمة الدولار ، أو الى سياسة الانشاءات الكبرى والتدابير العديدة الرامية لرفع القوة الشرائية لدى الجماهير الشعبية ، بعـــد ان ضحت الدول بسخاء بهذه المبالغ الضخمة ؟ والعودة باسعار المواد الزراعية ، بين ١٩٣٣ – ١٩٣٥ هـل يجب رده يا ترى ، الى تخفيض قيمة الدولار او الى سياسة التقليل من المحاصيل والحد من الانتـــاج التي فرضتها الدولة وساعدت الاحوال الجوية على تحقيقها ؟ وهذا الازدهار النسبي الذي نعمت

به انكلترا بين ١٩٣٥ – ١٩٣٧ ، هل جاء نتيجة تخفيض قيمة الجنيه الانكليزي او العودة بالبلاد الى نظام الحماية الجمركية ؟ وما عسى ان يكون على العموم ، من التأثير الذي احدثه هذا العامل المضاد لطبيعة الاقتصاد الذي يتمثل في التسلح ؟

النكسة والتسلح

ولكن هذا التحسن الطارىء لم تتوفر له عناصر البقاء والاستمرار اذ قد ظهر في اواسط عام ١٩٣٧ ، لا سيما في نطاق الصناعات التي تعمل على توفير الحاجيات الانتاجية ، عوارض انكفاء وتقهقر الى الوراء ، يمكن مقارنتها بالعوارض التي بدت عام ١٩٢٩ – ١٩٣٠ . ففي اوروبا ، حيث تمثل نفقـــات التسلح جانباً هاماً من موازنات دولها ، فالنكسة فيها هي اقل عمقاً منها في البلدان التي لم تندفع نحو سياسة التسلح هذه ، كالولايات المتحدة الاميركية والدول الصغرى في اوروبا ، وكندا حيث لا تمثل اقتصاديات الحرب سوى جانب ضئيل من اقتصاديات البلاد . فالنشاط الاقتصادي في الولايات المتحـدة هبط ٣٧ ٪ بالنسبة لما كان عليه عام ١٩٢٩ ، وتجاوز عدد العاطلين عن العمل فيها ، عـــام ١٩٣٨ ، عشرة ملايين عامل ، والعودة الى انفاق مبالغ ضخمة على الانشاءات العامة فشل في احداث اي تحسن في الوضع الاقتصادي ، اذ ان عدد العمال العاطلين عن العمل ، عام ١٩٣٩ ، يزيد على تسعة ملايين عامل . فالحرب وحدها هي التي « صفّت » الازمـــة ، اذ اقتضت استيعاب اليد العاملة بأسرها . فمنذ عام ١٩٣٧ ، اصبح التسلح الذي لم يكن الى ذلك الحين سوى حافز بسيط من الحوافز الاقتصادية بدا وكأنه السوق الكبرى لاستيعاب الانتاج الصناعي بحيث اصبح « العماد الوحيد » لمعظم البلدان الصناعية الكبرى . والامر واضح جلي في نشاط معظم البلدان الاوروبية التي لم تغـرق بعد في التسلح ، كبريطانيا العظمى مثـلاً ، حيث النشاطات الاكثر ازدهاراً هي التي تتمثل في صناعة بناء السفن ، وصناعة المحركات والطيران بينما احتدمت البطالة في صناعة النسيج واستخراج الفحم . والدور الرئيسي الذي تلعبـــه حاجات الجيش ومقتضيات التسلح ، أفلم يبرز واضحاً في تصريح لوزير الدفاع البريطاني الذي صرح عـام ١٩٣٧ بان انكلترا لن تعرف ازمة جديدة قبل خمس سنوات . وسعر الخامات مرتبط بحاجات الدفـاع . وفي سنة ١٩٣٨ ، انخفضت اسعار الحبـوب واسعار لحم الغنم والمنسوجات والكاكاو ، بينما ارتفعت اسعار المعادن على اختلافها .

فالتسلح هو وحده وراء ازدهار انتاج المواد الاولية . الا ان هذا الانتاج كانتاج المـواد الزراعية يصعب ضبطه والتخطيط له ، بحيث ان المخـزون الدولي اخذ منذ عام ١٩٣٨ ، يتضخم بصورة لا تخلو قط من الخطر . ففي هذا التاريخ بالذات كان مخـزون المطاط يزيد ٥٢ ٪ على مخزون عام ١٩٢٩ ، كما ان مخزون الصوف زاد ٦٥ ٪ والحرير الخام زاد ٢٣ ٪ والنحاس الخام زاد مخزونه ٤٥ ٪ ، وزاد ٢٢٧ ٪ مخزون النحاس المكرر . فمخزون القصدير وحده كان دون مستوى عام ١٩٢٩ ، ومخزون القطن هو اعلى بكثير من مخزون اسوأ سنة من سنوات الازمة المالية ، بينما مخزون القمح بلغ ٣٢ مليون طن ، مقابل ٢٩ في عـــام ١٩٢٩ . فهو ضعف

التصدير العالمي المتوقع . وقد اشترت جانباً من هذا المخزون الحكومات الـــتي همها ان تنشىء عندها احتياطياً للحرب ، الا ان تراكم هذا المخزون لم يكن سوى ذريعة ، لم يكتب لها النجاح دائماً . فقد افادت في تفادي سقوط مفاجىء للاسعار بعض الوقت .

الاقتصاد العالمي والقلق الذي يعانيه

فالنقاهة كانت قصيرة الامد وسريعة العطب. فالاضطرابات الداخلية التي اقامت بعض البـــلدان واقعدتها انقطعت باستثناء فرنسا . الا ان خطر تأزم الوضع السياسي الدولي ازداد تفاقماً . ولذا لم تعد المبادلات الدولية الى سابق نشاطها المعهود . فمنذ ادنى نقطة وصلت اليها الازمة عـــام ١٩٣٢ ، ازداد الانتاج بصورة ملحوظة في جميع المجالات ، الا ان الاستهلاك لم يرسم مثل هذا الخط السوي . فالطلب بقي دون العرض بكثير ، مع ان مستوى العيش لدى غالبيـــة السكان في العالم ، كان دون مستواه ، عام ١٩٢٩ ، كما ان تراكم المخزون بعد ذلك بعشر سنين بقي في مستودعاته ليس من يشتريه في البلدان التي كانت من قبل في عداد الدول المصدرة له .

وهكذا استمرت البطالة من جراء تضخم اليد العاملة بطلوع اجيـــال جديدة من العمال ، ولدت قبل عام ١٩١٤ وبعد الحرب ، في إطر عقلنة الصناعة ومكننة الزراعة ، وفي اعقـــاب هذه السياسة التي أدت الى الإقلال من اليد العاملة الى اقصى حد في وسائل الانتـــاج ومعداته ، كما جاء هذا الاستمرار نتيجة حتمية لجمود اوركود قسم من الاجهزة المنتجـــة . فاذا ما كان ١ر٢١٪ من العمال لا يزالون بدون عمل ، عام ١٩٣٢ ، فالنسبة بقيت عالية جداً عـــام ١٩٣٨ ، اذ كانت ٤ر١١٪ . وهكذا نرى انه بالرغم من عودة جانب كبير من العمال الى العمل ، فعـــدد العاطلين عن العمل بقي عـــام ١٩٣٧ ، اعلى منه في عام ١٩٢٩ . وهكذا يمكن لنـــا ان نتساءل ما اذا كان النظام الاقتصادي اصبح الآن عاجزاً عن تأمـــين العمل لكل العمال الذين يستطيعونه .

الاقبال على الاتفاقات الثنائية

كثيراً ما عمدت الدول الى عقد اتفاقات ثنائية قصيرة الأجل ، غالباً بشكل مقايضات، لتأمين ما تحتاج اليه من محاصيل وغلال لا تنتج مثلها . فقد حل محل المبادلات المتعددة الجوانب التي الفها الانسان من قبل طريقـــة المبادلات الثنائية ، فاقتصرت المبادلات مع الخارج على مقايضة المواد المنتجة اقليمياً او محلياً . ففي الوقت الذي كانت فيـــه الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا مثـــلا توطدان علاقاتها بمستعمراتها ، راحت الدول التي لا مستعمرات لها في الخارج ، كالمانيا مثلا تحاول ان تنشىء لها مجالاً حيوياً تعتمده في توسيع حلقة امتيازها من اوروبا الوسطى واميركا اللاتينية ، بينما راحت الدول الثانوية تنشىء فيما بينها تيارات من المبادلات تتناول المحاصيل الاضافيـــة . فاستيراد بريطانيا من مستعمراتها ارتفع بين ١٩٢٩ و ١٩٣٧ من ٤ر٢٩٪ الى ٤ر٣٩٪ كما ان صادراتها الى مختلف مستعمراتها ارتفعت في المدة ذاتها من ٤ر٤١٪ الى ٣ر٤٤٪ . امـــا فرنسا فالارقام

النسبية هي ١٣ و ١٧٪ (بين ١٩٢٨ – ١٩٣٨) في ما يتعلق بالاستيراد و ١٨ – ٢٧٪ للصادرات . وهكذا نرى العالم متجزئاً او متوزعاً بين كتل شبه موحدة بعضها يوجه البعض · كتلة الاسترليني وكتلة الين والكتلة الالمانية ، وضمن هذه الكتل تشتد روابط التبادل التجاري وتقوى . فقد انهارت القواعد التي قامت عليها المبادلات المتعددة الجوانب كما زال عهدها وانقطع .

انحسار اوروبا

فحركة انحسار اوروبا وانكفائها التي ابتدأت في اعقاب الحرب اخذت تشتد وتقوى . فقبل عام ١٩٢٠ ، لم يكن هذا الانحسار سوى حركة نسبية . فاوروبا تتطور بسرعة اقل من السرعة التي يتطور فيها باقي اقسام العالم . اما الآن فهناك انحسار قائم في عدد من القطاعات الاقتصادية . فنصيب اوروبا من هذا من الاقتصاد العالمي لم يعد ليتجاوز ، عام ١٩٣٧ ، ٣٩٫٥٪ . فقد انخفض فيها انتاجها لمادتي الحرير القطن والصوف ، مع ان هذا الانتاج يزداد ويتضخم في جميع انحاء العالم ، بينما بقي انتاجها للفحم الحجري على معدله المعروف . وفي الصناعات الحديدية ، لم تعد اوروبا لتنتج سوى ٤٢٫٥٪ من مجموع انتاج الصب في العالم ، (مقابل ٥١٪ في عام ١٩١٣) ، و ٤٠٫٩٪ من الفولاذ او الصلب ، مقابل ٥٠٫٧٪ في عام ١٩١٣ ، ونصيبها من الالومينيوم تناقص كما تناقص كذلك انتاجها من النحاس المعد للصب (١٠٫٥٪ ، مقابل ١٤٫٦٪) .

واستئناف العلاقات الخارجية في العالم بين ١٩٣٢ – ١٩٣٧ ، يجب ردّه الى القارات الاخرى اكثر من رده الى اوروبا .

والتجارة الاوروبية لم تعد تمثل ، في سنة ١٩٣٧ ، سوى ٤٥٪ من مجموع التجارة العالمية لعام ١٩٤٩ ، والنكسة التي وقعت عام ١٩٣٨ جعلت هذا المعدل يهبط الى ٤٠٪ . ولهذا كانت حركة الجزر هذه حركة مطلقة تم عن حرج الوضع بعد ان شال هبوط الصادرات على الواردات .

وهذا لا يعني قط المزيد من الاستقلال لاوروبا في المجال الاقتصادي ، بل انما يعني المزاحمة الشديدة التي تلقاها تجارتها ومصنوعاتها في الاسواق العالمية . فلا عجب والحالة هذه ان يقع ميزان مدفوعاتها في عجز متصاعد . فبعد ان توقف دفع الفوائد والارباح ، تناقص ريع الاستثمارات الموظفة في الخارج ، كما ان اجور الشحن هبطت هي الاخرى من جراء التناقص التدريجي في حمولة الاساطيل التجارية في اوروبا بعد ان تضاعف اسطول اميركا التجاري ، وزادت طاقة الاسطول الياباني ثلاثة اضعاف ، منذ عام ١٩١٣ ، وتناقص حجم التجارة العالمية عن معدله عام ١٩١٣ .

وهكذا نرى ان الازمة سددت ضربات قاصمة لمركز اوروبا . فبعد ان اقصيت خلال الحرب من اسواقها المعروفة لصادراتها ، فقد عجزت عن ان تستعيد كل الاسواق التي فقدتها كما ان الازمة الاقتصادية كانت لها ضربة جديدة انزلتها بديونها في الخارج . والى هذا يجب ان

نضيف التراجع النسبي الذي لحق بانتاج الفحم فيها امام سيطرة البترول النامية الذي كانت اميركا وآسيا اكبر منتجين له . وازدهار صناعة المعادن غير الحديدية التي كانت اوروبا تفتقر اليها (باستثناء الالومنيوم) ، واخيراً وليس آخراً الخسارة المالية التي لحقت اوروبا في تصفية الحرب والخروج منها ، والاستعداد للحرب القادمة ، ابتداء من سنة ١٩٣٣ . اضف الى ذلك بهاظة الدين العـــام والضرائب التي ضخمت اسعار المنتوجـــات ، في وقت كان فيه جانب كبير من الاجهزة الصناعيـــة والعتاد التقني عندهـــا يعمل للتسلح بدلاً من ان يعمل للتصدير .

قضـــايا الخامـــات والاسواق التجارية

لم يعد البحث عن الخامات والأسواق وقفاً على الأفراد والخاصة من أرباب الصناعة والتجارة ، يسعون كل من جـــانبه لما فيه نفعه ومصلحته بل آل الأمر إلى مؤسسات متكتلة وإلى حكومـــات اضطرت أمام افتقارها الى عملة دولية ثابتة والى انعدام وسائل الابراء التقليدية ، أن تبحث لها عن منـــاطق نفوذ تكون منسربا لتجارتها النامية ومنفذاً لها . هـــذا هو بالذات الوضع الذي تشجبه كلمة مأثورة لموسوليني عندما يميز بين « دول بروليتارية ودول بلوتوقراطية » (ثرية) ، كبريطانيا وفرنســا وبلجيكا والبلاد الواطية التي تمول بنسبة جـــاءت عام ١٩٣٦ ، في انكلترا ٤٨٫٥٪ من المواد الغذائية ، و ٣٨ بالمائة من الخامات الضرورية لها ، وفي فرنســا ، عام ١٩٣٧ بمعدل ١٨ بالمائة و ١٢ بالمائة وفي بلجيكا والبلاد الواطية مقادير كبيرة من الربح والنقد المـــالي . وبين الدول الاخرى « الراضية » الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفيـــاتي اللذين يملكان في أراضيهما الشاسعة ، مع كثافة ضئيلة من السكان نسبياً ، كل ما تحتاجان اليه من الخامات تقريباً ، بينما الاولى منهما هي أكبر منتج للمواد الأولية في العالم .

وبين الدول الراضية او غير القانعة تأتي اليابان ، مع انها تملك امبراطورية استعمارية واسعة ، وقد وجدت في منشوكو وفي الصين الداخلتين في مداها الاقتصادي الحيوي ، الفحم والقليل من البترول وفول الصويا والقمح . إلا أن كل المستعمرات اليابانية لم تكن تعطي اليابان سوى ١ — ٢ من مجموع ما تستهلكه ، و ٩/١٠ استيرادها كانت تؤمنه من الهند (٤٢٫٤ بالمائة) ، ومن الولايات المتحدة الاميركية (٤٦٫٩ بالمائة) . أما ايطاليا ، فقد كان عليها أن تواجه ، أسوة باليـــابان ، المشكلات التي فرضتها عوامل نموها الديموغرافي وجهودها لتصنيع البلاد ، فالنضـــال في سبيل القمح لم يوفر لها سوى نتائج متقطعة وضعيفة . ان جدب المواسم سنة ١٩٣٦ اضطرها لاستيراد ربـــع حـــاجتها للمواد الاستهلاكية لعـــام ١٩٣٧ كما أن مواردها من اللحم والزبدة لم تكن تسد حاجتها ، وكذلك النسيج (باستثناء القنب والحرير) ، والمنتوجات الصنـــاعية (باستثناء البوكسيت والكبريت) . ان اشرافها على آبار البترول في البانيا وتقوية استثمارها لمواردها الطبيعية ، والسياسة الجماعية التي اعتمدتها ، كل ذلك لم يوفر لايطاليا سوى استقلال نسبي . ففي عام ١٩٣٧ ، كان استيرادها للمواد الأولية يؤلف ٤٥ بالمائة من مجموع استيرادها ، كما أن

استيراد المنتوجـــات نصف الجاهزة مثل ٢٠ بالمائة ، ومساهمة الامبراطورية الاستعمارية التي أنشأتها من عهد قريب لم يكن بوسعه قط أن يحررها من هذا العبء .

وتأتي المانيا في طليعة الدول « غير القانعة » أو غير الراضية . ان اتجاه البـــلاد نحو الدكتاتورية والتنظيم الشديد الشكيمة للاستهلاك ، استطاعا أن يؤمنا لها ، منـذ عام ١٩٣٧ ، أن تكفي نفسها بنفسها تقريباً من الوجهة الغذائية . وفي مجال الخامات ، هي أوفر حظـاً من ايطاليا ومن اليابان .فهي من كبار البلدان المنتجة للفحم والبوتاس والالمنيت والملح ، وفيها من المنغنيز ما يفي ، الى حد كبير ، بحاجاتها (٦٠ بالمائة) ، والرصـــاص ٣٢ بالمائة ، والخشب والغرافيت ٧١ بالمائة ، فهي مضطرة لاستيراد ١٠٪ حاجتها من النحاس وثلثي حاجتهـا من الحديد . واستطاعت صناعتها الكيماوية أن تؤمن لهـــا بديلاً (عن البترول) بهدرجنة الفحم الحجري والليغنيت . ومع انها ضمت اليها عام ١٩٣٨ كلاً من النمسا ومقاطعة السوديت اللتـــين أمنتا لها جانباً من حـــاجتها للمواد الغذائيـة وبعض الخامات الاخرى ، فقـد زادها ، مع ذلـك ، من همومها كما زادتا من العجز الذي تعاني منه . واضطرارها للخـــامات ، ريثما يتم تنظيم صناعتها وتأمين التنسيق فيما بينهما وبين صناعات الرايخ ، ووضع خطـة كاملة في هذا الصدد .

وهنالك دول أخرى اعتبرت نفسها غير راضيـــة وإن لم تبد اعتراضات رسمية في هذا الشأن ، وكانت هي الاخرى قلقة جداً لافتقارها للخامات . كان هذا هو بالفعل وضع بولونيا التي كان عليها أن تستورد القطن والأصواف والخرضوات والجلود الخام والنحاس ، بمـــا كان يؤلف معاً ثلث استيرادها عام ١٩٣٧ ، في الحين الذي اشتد فيه الضغط الديموغرافي . وفي مثل هذا الوضع تقريباً تسكعت البرازيل ورسفت ، اذ بالرغم مما لديهـــا من موارد احتياطية ضخمة ، كان عليها أن تغذي صناعاتها التحويلية باستيرادها المستمر للفحم والبترول بينما تفتقر اصلا للقمح .

في وسط هذا النقاش والجدل الذي قام حول الخامات ، كانت الدول غير القانعة تتململ قبل كل شيء فيما تتململ به من حجج ، افتقارها لوسائل الدفع . « ان المانيا تحتاج لمواد أوليـة تدفع ثمنها بالمارك الألماني » كان يردد أحد خبرائها في علم الاقتصاد ، هو الدكتور شاخت ، منذ ١٩٢٦ ، وان « المانيا لا تستطيع حل المشكلة إلا بانتاجها هي نفسها للمواد الاولية الضرورية لاستهلاكها ، على أرضها وفي دارها بالذات » ، هذا هو السبب بعينه الذي يحدو بالدول المفتقرة للخامات ،للمطالبة بإعادة توزيع المستعمرات توزيعاً عادلاً . وهذا لا يعني قط أن المستعمرات التي لم تكن تعطي مجتمعة سوى ٣ بالمائة من مجموع الخامات، كان باستطاعتها أن تفي بحاجات دولة واحدة من الدول غير الراضية ، إنما إعادة توزيع المستعمرات قد يكون فيه حل لقضية العملات الصعبة أو النقد النادر .

وقضية الخامات المرتبطة بتوزيع المستعمرات التي تطالب بها كل من المانيا وايطاليا واليابان

وبولونيا ، ترتبط بسبب وثيق بقضية الاسواق التجارية . كل هذه البلدان ترى نفسها مرتبطة باسواق أجنبية في كل ما يتصل بتموينها بالمواد الاولية وبتصريف انتاجهـــا أيضاً . ان توسع صادرات اليابان بواسطة سياسة الاغراق التجاري التي سارت عليها مثلاً في منسوجاتها ، مكنتها من تصريفها باسعار تقل من ٤٠—٧٠ ٪ عن أسعار المنسوجات الاوروبية ، الامر الذي حمل الدول الاخرى على فرض رسوم حماية عالية والاخذ بسياسة التقنية والاجـــازة المسبقة . ففي دول كألمانيا وايطاليا مثلا تستطيعان الحد من نتائج سياسة الاغراق التجاري والوقوف في وجهها بصورة فعالة ، فالاسواق الخارجية لم تكن تصلح سوقـاً للتنفيق الا باعتماد اساليب ووسائل نقدية معقدة ، او بواسطة عقود واتفاقات ثنائية تتبسط في وضعها من قبـــل . ولعل ابسط الحلول واقربها منالاً كان ولا شك الحصول على اراض جديدة . وهذا ما حمل اليابان على التطلع نحو الصين بقصد بسط سيطرتها وفرض الحكر على اسواقها الضخمة . وحاولت المانيـــا من جهتها ايجاد منطقة نفوذ اقتصادي وسياسي لها في اوروبا الجنوبية والشرقية ، وفي اميركا اللاتينية كما راحت ايطاليا من جهتها تنشىء لها مثل هذا المدى الحيوي في اوروبا الوسطى وفي البلقان ، وفي الشرق الادنى .

النتيجة

وهكذا نرى كيف ان الازمة دفعت بالعالم نحو « اقتصاد معقد » جـاء حركة عكسية ضد النظام القائم على التوزيع الدولي للعمل وعلى حرية التبادل التجاري. ولذا رأى ان يوجه اقتصاده القومي نحو الاستقلال الذاتي . فنظرية الاقتصاد القومي والرغبة في تأمين الاستقلال السياسي ، والحاجة الشديدة الى القطع النادر والعملات الصعبـة والاستعداد لحرب جديدة وشيكة الوقوع ، كل هذه العوامل مجتمعة ، تضافرت معاً لتعجيل عملية مكننة الدول التي لم تتمكنن بعد ولم تتصنع ، وعلى حمل الدول الاخرى لتحقيق استقلالها الذاتي في كل ما يتعلق بأمور التموين والتجهيز بالمواد الغذائية والخامات . فكل الذرائـــع والاساليب التي استخدمت في هذا السبيل ادت الى عزل الدول او مجموعات الدول ، كما ادت بالتالي الى انكفاء ذريع في الحركة التجارية العالمية . وبدلاً من عقد الصفقات الحرة بين الشاري والبائـــع ، وخلافاً لناموس العرض والطلب ، اخذت المقايضات تلعب دوراً هاماً في هذا المجال . فالحكومات هي التي تتفاوض وتساوم بعضها مع بعض ، فحلت بذلك محل الخـاصة والافراط ، وفرضت عليهم ارادتها ووجوب التقيد برغبتها العليا ، حتى ان البعض من هـــذه الدول عمدت الى سياسة الاحتكار الشامل او الجزئي للتجارة الخارجية . وعلى كل حال ، ففي عام ١٩٢٩ الذي اندلعت فيه شرارة الحرب العالمية الثانية ، لم تكن الازمة الاقتصادية انقشعت غيمتها وارتفعت كربتها بعد ، ولا يزال العالم يرى قسماً من عتاده واجهزته جامداً لا يعمل ولا يتحرك ، كما يرى الملايين من العمال العاطلين عن العمل يتعذر بل يستحيل دمجهم في دوامة الانتـاج . فهم يؤلفون بالفعل جيشاً قائماً وليس جيشاً احتياطياً من العاطلين عن العمل . فالبنيان الاقتصادي العالمي مختـل ، مقعد ، اكثر من اي وقت مضى .

الفصل الرابع

الأزمة

ونتائجها الفكرية والاجتماعية

نحن في وقت تنتصب فيه بورجوازية فولتريانية تقليدية مستمسكة بفلسفة « الانوار » ، لتدافع عن المواقف التي تحتلها ضد مبادىء حداثتها . فاذا بها تنقلب فجأة لتقف الى جانب الذين يعارضون التقليد بحرية الضمير ويحاولون المذهب الفلسفي محل التحليل الموضح ، والشك محل اليقين .

ر . م. ألبيريس

١ — نتائج الديموغرافيا

السكان

ان الاهمية التي ارتدتها الازمة وطول مداها واتساع البطالة وازدياد مشكلات الحياة تعقيداً وايهاماً ، كل هذه الامور بعثت في النفوس النزعات القديمة التي تقول بنكوص او تقهقر معدل المواليد ، بينما فقر التغذية بين اولاد العاطلين عن العمل كان عاملاً في تأخر نموهم وتكاملهم كما كان من العوامل التي زادت من نسبة الوفيات . فعقود الزواج (باستثناء فرنسا) لم يهبط معدلها الا قليلاً ولمدة وجيزة ، مع ان « الاجيال العجاف » التي وُلِدت خلال الحرب ١٩١٤—١٩١٨ ، بلغت سن الزواج ، كما ان معدل المواليد تناقص في البلدان الصناعية شأنه في البلدان الزراعية .

فنمو السكان الذي كان معدله في السنوات العشر الاخيرة من القرن التاسع عشر ١٢ ٪ في انكلترا لم يعد ، بين ١٩٣٠—١٩٤٠ ، سوى ٤٫٥ ٪ . وهبطت النسبة كذلك في السويد من ٧ الى ٣٫٥ ٪ ، وفي سويسرا من ١٣ الى ٤ بالمئة ، وفي المانيا من ١٤ الى ٩ بالمئة ، وفي فرنسا من ٢ الى ١ بالمئة . والمعدل الاجمالي للتناسل الذي كان بين ١٩١١ — ١٩١٤ ، في جميع بلدان اوروبا الشمالية والغربية ١٫٤ بالمئة هبط الى ٠٫٩ بالمئة عام ١٩٣٣ . والحركة السكانية

لا تحافظ على معدلها او انها لا ترتفع قليلاً الا عن طريق انخفاض معدل الوفيات الذي هبط بين ١٩٢٥ – ١٩٣٥ ، من ١٧٤ في الالف ، الى ١٥٧ في الالف في فرنسا ، ومن ١١٩ الى ١١٨ في الالف في المانيا ، ومن ١٧١ الى ١١٧ في الالف في انكلترا . والفرق بين المواليد والوفيات اصبح ٢٣٣,٠٠٠ في المانيا ، عام ١٩٣٣ و ١٢٢,٠٠٠ في انكلترا ، عام ١٩٣٥ . امـــا في فرنسا ، فتسجل السنة نفسها عجزاً بلغ ١٨,٠٠٠ . ويمكن ان نلاحظ في جميـــع بلدان اوروبا الشمالية والغربية التي تأثرت اكثر بالأزمة ، منطقة عقر واسعة ، حيث تعجز حركة المواليـد عن تجديد السكان باستثناء البلاد الواطية . وهـــذا العقر يبرز على اتمه في المدن الكبيرة (جنيف ، فيينا ، مونيخ ، فرانكفورت على الماين ـ همبورغ ـ برلين ، الخ) حيث معدل الانجاب يهبط الى ٥ بالمائة .

وفي الولايات المتحدة ، جاءت الأزمة بالنتائج ذاتهـــا في الحركة السكانية . فالسكان الذين ازداد عددهم ١٧ مليون نسمة بين ١٩٢٠ – ١٩٣٠ لم يزدد عـــددهم سوى ٨,٨٩٤,٠٠٠ بين ١٩٣٠ – ١٩٤٠ . فمعدل النمو هبط ، والحالة هذه من ١٦,١٪ الى ٧,٢٪ وهو ادنى رقم سجله النمو السكاني في البلاد منذ عام ١٨٨٠ . ولعل سبب ذلك يعود لتقييد حركة الهجرة الى البلاد تقييداً شديداً ، كما ان عدد الذين غادروا البلاد ، زاد ٤٠٠,٠٠٠ فالزيادة ليست ، والحالة هـــذه ، سوى حصيلة فائض المواليد على الوفيات لا غـــير .

حتى في هذه البلدان المعروفة بنمو السكان وتكاثرهم السريع ، فقد اصيبت الحركة الديموغرافية بالهبوط . ففي بولونيا حيث كان معدل الزيادة يتراوح بين ١٣ و ٢٠ بالالف وفقاً للولايات ، بين ١٩٢٦ – ١٩٣٠ ، إذ بهذا المعدل يهبط من ١٤ – ١٠ في الالف بين ١٩٣٣ – ١٩٣٨ . ونمو السكان في اليابان ، بلغ الذروة ، عام ١٩٢٠ ، إذ سجلت الزيادة ٣٦,٢ بالالف. فقد هبطت هذه النسبة الى ٣٠,٨ بالألف عام ١٩٣٨ .

نحو تشجيع الانجاب

رد الناس في البلدان الليبرالية ظاهرة البطالة الى « تزايد عدد السكان» بحيث بدا لهم ان الحد الادنى من الأولاد هو خير دواء لتفادي هـــذا الداء الوخيم . ولذا رأينا مؤتمر الكنيسة الانكليكانية المعقود في لمبث ، عـــام ١٩٣٠ يوصي بتحديد النسل . أما الحكومات الدكتاتورية ، التي تهتم كثيراً بالوضع الذي يسببه نقصان النسل في مقدرة البلاد الحربية ، فقد راحت تبذل جهداً طائلاً لعكس الاوضاع ولتأمين زيادة الانجاب والمواليد في البلاد . فمنذ عام ١٩٢٧ ، راح موسوليني يدشن « معركة المواليد » . فقـــد زين للناس ان نفوذ ايطاليا وعظمتها في العالم انما يقومان ، قبل كل شيء ، على نسبة عدد سكانها ، وراح يتخذ بعض الاجراءات والتدابير التي تساعد على نمو السكان وتكاثر الانسال والولدان بين الأسر الايطالية : كتخفيض الضرائب ، والتسليف بقصد الزواج ، والمخصصات للعائلات الكبيرة ، وتفضيلها على غيرها في التوظيف والسكن ، وتوزيع الاوسمة ، وتخفيض الرسوم على التركات وغير ذلك . وهكذا ارتفع عدد السكان في ايطاليا من ٤١,٢٠٠,٠٠٠ عام ١٩٣٠ ،

الى ٤٤,٥٠٠,٠٠٠ في عام ١٩٤١ ، وهي زيادة جاءت اكبر في ايطاليا الجنوبية ، المعروفة بتأخرها وبؤسها الاجتماعي ، منها في ايطاليا الشمالية الشديدة التصنيع والمديدة المدن .

ومنذ ان استولى النازيون على الحكم في المانيا ، اتخذوا على شاكلة ايطاليا والفاشية فيها ، تدابير واجراءات للحد من « الانتحار القومي » ، وللحد من هبوط حركة المواليد في « هذا الشعب الذي لا فتيان ولا احداث عنده » . وهكذا ارتفع معدل المواليد من ١٤٧ في الالف ، عام ١٩٣٣ الى ٢٠٤ في الالف عام ١٩٣٩ .

تباطؤ مركزية المدن

استمرت الحركة في المدن وان بدت عليها نزعة ملموسة الى التباطؤ والتمهل . فقد حدث في السنوات الاولى من الازمة ، وفي الولايات المتحدة الاميركية واليابان ، على الاخص ، حركة ارتداد بين السكان من المدن الى الريف . واخذ العاطلون عن العمل يغادرون المدن ليسكنوا مع عائلاتهم وأسرهم في الريف ، واخذ البعض في انكلترا ، او استمرار بعض الصناعات التقليدية في تدهورها ينزحون مع اسرهم من هذه « المناطق الموبوءة » بالبطالة في الشمال ومقاطعة بلاد غال ، باتجاه لندن والمنطقة الوسطى حيث تنشط الصناعات الجديدة . وصدر عام ١٩٣٤ في انكلترا قانون بتشجيع تيار الهجرة والنزوح بين العاطلين . ومع ذلك ، فلندن الكبرى التي زادت ٢٧ بالمئة بين ١٩٢١ — ١٩٣١ ، لم يزدد معدل نموها سوى ١٩ بالمئة خلال السنوات العشر التالية .

وحركة النزوح والانتقال في داخل الولايات المتحدة تميزت بهجرة الزنوج من الولايات الجنوبية نحو الولايات الشمالية ، كما راح السكان العاملون في المرافق الزراعية ينزحون من الوسط نحو الغرب تفادياً للقحط الذي يتعرضون له بعد جدب موسم ١٩٣٤ الذي تضرسوا به . والاحصاء الذي جرى عام ١٩٤٠ ، اوضح لاول مرة كيف ان معدل نمو السكان في المدن والريف جاء بنسبة واحدة اي في حدود ٧ بالمئة بالمقارنة مع السنوات العشر السابقة حيث كان نمو السكان بمعدل ٢٧,٣ بالمئة في المدن ، و ٤,٤ بالمئة في الريف. ومدن الجنوب والغرب هي التي سجلت اعلى نسبة من النمو ، بينما المدن الواقعة الى الشرق بقيت على وضعها او سجل بعضها هبوطاً طفيفاً (فيلادلفيا ٠,٨ بالمئة وكليفلاند ٠,٢ بالمئة) .

فقد استمرت حركة النزوح من الريف الى المدن بالرغم من التدابير والاجراءات التي اتخذتها السلطات المسؤولة للحد منها او للحؤول دونها . وهذا التأكيد لا يصح اطلاقه على الجزر البريطانية فحسب حيث لم يعد سكان الريف يمثلون سوى ٢٠ بالمئة من مجموع السكان ، عام ١٩٣٠ ، بل ايضاً على المانيا وايطاليا . فسكان الريف كانوا يؤلفون ٣٥ بالمئة من مجموع سكان المانيا عام ١٩٢٥ ، فاذا بهذه النسبة تهبط الى ٢٢,٨ بالمئة عام ١٩٣٣ ، والى ٣٠,١ بالمئة عام ١٩٣٩ ، بالرغم من التشريع الذي هدف الى تشجيع الملكية الصغيرة موطداً بذلك العلاقة بين الارض والانسان . فقد انخفض عدد العاملين في الزراعة ، بين ١٩٣٣ — ١٩٣٩ الى ١٠ بالمئة وجاء الهبوط في ايطاليا بمعدل ١٠ بالمئة لا سيما بين العمال المياومين وصغار الملاكين ، مع ان الهجرة حُدّ منها او مُنعت تماماً ، من جراء الاجراءات التقليدية التي اتخذتها البلدان التي يتجه

اليها تيار الهجرة او من قبل التشريع الفاشي .

فالحركة لا تقتصر بالطبع على اوروبا . فالبرازيل تشهد تطوراً كبيراً في مدنهـا الرئيسية كالريو وساوپاولو (٦٠ بالمائة) وبلو هوريزنته . والهند شهدت ارتفاعاً كبيراً في سكان مدنها الكبرى . فقد ارتفع عدد سكان هذه المدن من ٤٦ مليوناً الى ٠٠٠و٣٠٠و٦٢ ، في عام ١٩٤١ كما ارتفع عدد المدن التي يزيد عدد سكان الواحدة منها على ٢٠ الفاً ، من ٣٧٣ الى ٤٧٤ مدينة ، كما ارتفع عدد المدن التي تجاوز عدد سكان الواحدة منها الـ ٠٠٠و١٠٠ من ٣٦ مدينة الى ٥٧ . وشهدت المدن الكبيرة تطوراً ملحوظاً في امتداد رقعتها السكنية يتراوح بين ٢٠— ٨٠ بالمائة. فقد تضاعف عدد سكان كوايور خلال عشر سنوات (من ٠٠٠و٢٤٣ — ٠٠٠و٤٨٧ . واحمد آباد زادت ٩١ بالمائة وكلكوتا ٧٩ بالمائة ، ودكنا ٥٣ بالمائة ، ودلهي ٥٠ بالمائة وكراتشي ٤٥ بالمائة وهلم جرّا) . وفي اليابان كان ٤٣ بالمائة من سكان البلاد يقطنون مدناً يزيد عـدد سكان الواحـدة منها على ٠٠٠و١٠٠ نسمة ، فارتفع هذا العـدد ، عام ١٩٤٠ الى ٥٠ بالمائة ، بينما هبط عدد سكان الريف من ٥٤ بالمائة ، عام ١٩٢٠ الى ٤٥ بالمائة عام ١٩٤٠ .

الهجرات

قد تتمثل اخطر نتائج الازمة على الأخص في توقف الهجرة بعـد ان اخـذت حركتها تثبطاً منذ العقد السابق . فقـد اقتصر تيار الهجرة ، بـين ١٩٢٩ — ١٩٣٩ ، على بضع مئات الألوف من المهاجرين . ومما هو ابلغ من ذلك ، ان عـدد النازحين في بعض البلدان يزيد عدد الداخلين اليها ، كالولايات المتحدة مثلا حيث جاءت نسبة النازحـين ، بين ١٩٣٢ — ١٩٣٥ ، تشيل كثيراً على نسبة القادمين اليها . وخلال السنوات العشر الأخيرة ، لم يبلغ عدد القادمين اليها ٣٠ بالمائة من الحصص المحددة رسمياً الا في سنة ١٩٣٩ ، اذ بلغت فيها نسبة القادمين ٤٠ بالمائة من هذه الحصص. وعلة ذلك انه طلب من كل طالب هجرة عام ١٩٣١ ان يبرز شهادة تثبت قدرته المالية على العيش فيها دونما عمل، وهو شرط يرحب بهجرة الاغنياء اليها او قدوم من يستطيعون التعويل على اصدقاء لهم فيهـا ، وهو قانون اوصد ابواب اغنى البلدان مورداً واقواها في العالم ، في وجه المعرضين لطغيان النازية واستهدفوا لبطشها . وفي كندا الغيت التشريعات المشرية بالحرية ، وفرضت عام ١٩٣١ ، قيود قاسية حتى على الرعايا البريطانيين ، فالمزارعون وحدهم ، باستثناء البريطانيين ، يقبلون دونما شرط . وهكذا ، فمعدل المهاجرين الذين كانوا يدخلون البلاد ، بين ١٩٢٠ — ١٩٣٠ ، البالغ ٠٠٠و١٢٢ في السنة هبط الى ٠٠٠و٢٧ عام ١٩٣١ ، والى ٠٠٠و١١ عام ١٩٣٥ ، ليرتفع قليلا الى ٠٠٠و١٧ عام ١٩٣٨ . وسارت على هذا النهج كل من الارجنتين والاوروغواي ، واتخذت فيها اجراءات مشابهة . وحاولت البرازيل ، منذ عام ١٩٣٤ ، ان تقف في وجه المهاجرين القادمين من جمهوريات اميركا الوسطى واميركا الشرقية ، واقتصر الدخول اليها على المزارعين دون سواهم . ومجمل القول ، ان المعدل السنوي للمهاجرين في اوروبا بين ١٩٣٥ — ١٩٣٩ هو ادنى من ٠٠٠و٥٠ ، الا ان هذا المعدل عاد وارتفع عام ١٩٣٩ الى ٠٠٠و١١٠ ، يقابله ٠٠٠و٥٢٧و١ ، عام ١٩١٨ . وفلسطين

وحدها فتحت ابوابها على مصراعيها لتيار قوي موصول من مهاجري اليهود المضطهدين في المانيا . فقد دخلها ٩١,٠٠٠ مهاجر يهودي بين ١٩٣٠ – ١٩٣٤ ، و ٦١,٠٠٠ عـام ١٩٣٥ ، بحيث بلغ عدد اليهود فيها ، عام ١٩٤٠ ، الى ٤٧٥,٠٠٠ ، بينما لم يكن عددهم فيها عام ١٩٣٠ سوى ١٦٧,٠٠٠ ، وهو اقصى ما قدرت هذه البـــلاد استيعابه منهم في تلك الفترة . وبقيت فرنسا الدولة الرئيسية في اوروبا التي تستقبل وفود المهاجرين الا انها وضعت في النهاية حداً لهذا التيار . فقد استقبلت عـام ١٩٣٠ ، اكثر من ٢٢٢,٠٠٠ ، كما انها سدت ابوابها في وجـــه البولونيين .

وقد تأثر بهذه التدابير الزاجرة والاجراءات التقييدية على الأخص ، تلك البلدان التي كانت معيناً لا ينضب للهجرة كبولونيا وايطاليا اللتين الفتا اقوى مراكز الاغتراب في اوروبا . فقـد هبط في الاولى معدل النازحين من ١٩٣,٠٠٠ بين ١٩٢٦ – ١٩٣٠ ، الى ٤٦,٠٠٠ ، بـــين ١٩٣١ – ١٩٣٥ ، ثم عـــاد فارتفع الى ١٢٩,٠٠٠ عام ١٩٣٨ . اما ايطاليا التي نزح منهـــا ٨٧٣,٠٠٠ مهاجر عام ١٩١٣ ، و ٢٠١,٠٠٠ عام ١٩٢١ ، فلم يبارحها ، في الفترة الواقعة بين ١٩٢١ – ١٩٣٠ ، سوى ٥٢٩,٠٠٠ ، وهو عدد هبط الى ١١٨,٠٠ بـين ١٩٣٨ – ١٩٤٠ ، نتيجة للاجراءات التي اتخذتها الحكومة منذ عام ١٩٢٨ للاحتفاظ بسكان البـــلاد او بالاحرى استعداداً لفتح افريقيا الشرقية .

ومن نتائج الازمة في القطاع الديموغرافي ومن عقابيلهـــا المؤسفة ، طرد اليهود من الرايخ الثالث . فقد كان في المانيا ، عام ١٩٣٣ ، نحـواً من ٥٠٠,٠٠٠ يهودي ، بينهم ١٠٠,٠٠٠ من يهود اوروبا الشرقية . فالاجراءات الرسمية القاسية التي تعرضوا لها منذ ربيع عـام ١٩٣٣ ، ونغّصت عليهم الحيـــاة ، والعنف الذي ذهبوا فريسة له ، حملهم على الهرب الا ان تصفيـة املاكهم قوبلت بصعوبات وتعقيدات شتى لم يبق لهم بعدها سوى ١٠٪ من ثرواتهم . فمن ١٩٣٣ الى ١٩٣٩ ، استطاع ٢٢٦,٠٠٠ تقريباً من اليهود مغادرة الرايخ . فاذا ما اضفنا الى هذا العدد « غير الآريين » والمهاجرين السياسيين لبلغ عدد الذين نزحوا عن البلاد ٤٠٠,٠٠٠ تقريباً توجـه معظمهم الى فلسطين ، كما توجه ٢٧ ٪ منهم الى الولايات المتحدة الاميركية ، و ١٧٪ الى بلدان اميركا الجنوبية ، و ١١٪ الى فرنسا .

وفي اسبانيا حيث حطمت الازمة الحياة الاقتصادية والسياسية في البلاد ، فقـــد احدثت الحرب الاهلية فيها تيارات قوية للنزوح عن البلاد . فقد كان لتقـدم القوات المغربية ولقصف المدن الكبرى في المناطق التابعة للجمهورية ان حمل اكثر من مليونين من السكان كانوا استقروا عام ١٩٣٨ ، في المنطقة الواقعة تحت سيطرة الجمهوريين ، ثم اضطرهم زحف الكتائب الاسبانية التابعة للجنرال فرنكو ، لهجرات جديدة . وعندما تم عام ١٩٣٩ فتح مقاطعة كتلونيا ، دخل اكثر من ٤٥٠,٠٠٠ اسباني ، بينهم ٢٢٠,٠٠٠ من وحدات الجيش الجمهوري الى فرنسا حيث استقر ٢٠٠,٠٠٠ منهم نهائياً ، وغادر ١٥ الفاً منهم الى اميركا اللاتينية . ويقـــدر المارفون ان

اسبانيا خسرت عام ١٩٣٩ اكثر من ٧٠٠،٠٠٠ بين قتيل ومهاجر .

ان اهمية القضايا الديموغرافية ، التي اثيرت منذ الحرب العالمية الثانية ، والتي زادتها الازمة الاقتصادية تعقيداً وتشابكاً ، لا يصح الانتقاص من اهميتها . فسياسة تحديد الهجرة التي سارت عليها الولايات المتحدة الاميركية وحذت حذوها فيما بعد ، الدول الاخرى ، اوجدت في اوروبا وضعاً ازداد تعقيداً يوماً بعد يوم ، كما حالت الدكتاتورية ، لدى هذا الفريق ، والحماية القاسية لدى الفريق الآخر ، دون تبادل المحاصيل كما حالت دون تبادل الناس .

٢ – تأثير الأزمة في البنيان الاجتماعي

أثارت الازمة في كل البلدان ، انكفاءً في الدخل القومي كما احدثت فيها حركة توزيع من جراء التغييرات العميقة التي اوقعتها في البنيان الاجتماعي . فقد وسعت ، على الاجمال ، من نطاق الفروق الاجتماعية ، كما عملت في تسميم العلاقات بين هذه الطبقات وزادتها خصومة ومنافسة .

بين طبقات عليا وطبقات دنيا

ادى هبوط الاسعار الى زيادة القوة الشرائية للعملة ، كما ادى الى إعادة تقييم الديون والحقوق المكتسبة والاملاك العقارية . فقد عادت بالنتيجة بفائدة على اصحاب الدخل وعلى الموظفين (في حال عدم اخضاع مرتباتهم للتخفيض) ، وعلى اصحاب الاملاك . فكل هؤلاء الذين استطاعوا الاحتفاظ بموائدهم ، أفادوا كثيراً من كلا الهبوط كما انهم حققوا بعض الوفر . فقد حصل ، أقله في مطلع الازمة زيادة في الوفر المدّخر ، إلا ان المدّخرين الصغار منهم والمتوسطين على السواء ، ما لبثوا ان استهلكوا بسرعة مدّخراتهم ، حتى اذا ما كادت تتحسن الاسعار وترتفع انقلب وضعهم رأساً على عقب وذابت ثروتهم .

أما اصحاب رؤوس الاموال الضخمة ، فسقوط الاسهم في البورصة ونقصان الاحتياطي لدى الشركات ، والتضييقات التي تعرضت لها مشروعات الاستثمارات او توقفها الموقت فقد كبدهم كل ذلك خسائر باهظة ولو لفترة قصيرة . ومنذ عام ١٩٣٣ بالذات ، ومع عودة الاشغال واختفاء عدد كبير من الاستثمارات الصغيرة ، طلعت على الشركات الكبرى ، في معظم الحالات فرصة لتحسين اوضاعها . فقد اناخت الازمة بكلكلها على صدر الطبقات الصغرى والوسطى اكثر مما اناخت على الطبقة البورجوازية العليا . جاء تأثير الازمة على الطبقة المتوسطة متقلباً ، الا انها انتقصت كثيراً من وضع اصحابها على الاجمال وعملت على افقارهم . فرجال الصناعة ، الصغار منهم والمتوسطون واصحاب المهن الرازحون تحت الدين او يعملون باجهزة واعتدة قديمة العهد ، وقد قست عليهم الحياة ، هم الذين استهدفوا اكثر من سواهم للاختناق وضيق التنفس من جراء التقييدات الرسمية القاسية ، ومزاحمة شركات الاستثمار الكبرى المتكتلة . ففي

يطاليا ، مثلاً نرى ان معظم الشركات الـ ٥٠٠٠ التي زالت من الوجود انما كانت شركات تشغّل الواحدة اقل من ١٠ عمال. وعلى هذا قس ايضاً المانيا وبريطانيا العظمى. وقد تحول وضع شطر كبير منهم، فامسى بعضهم منتجين مستقلين والبعض الآخر من اصحاب الوظائف الكبيرة أو من متوسطيهم ، ومن تبقى ، عاش عيشاً نكداً قاسياً . فاصحاب المهن وصغار التجار راحوا يبحثون لهم عن وظائف في الادارة او يتحولون الى وكلاء متجولين .

ومعظم اصحاب المهن الحرة كالمحامين والاطباء والصحفيين ، يعيشون في قلق مستمر . فهم يتزاحمون على زبن فقراء قعد بهم الدهر ، يحاولون التخفيف من حدة المنافسة بالحد من وصول اعضاء جدد للمهنة . ففي ايطاليا ، لم يُقبل في سلك المحاماة اكثر من ٢٠٠ من خريجي حملة شهادة الحقوق . ومما لا شك فيه قط ان هذا الوضع جعل فريقاً من صغار التجار ومن اصحاب الحرف الصغيرة ومن رجال الفكر اكثر حساسية للدعاوة المناهضة للسامية التي تنفخ في ريحها ابواق قوية في كل من اوروبا الوسطى واوروبا الشرقية .

بين المزارعين والعمال

والعاملون في القطاع الزراعي تأثروا اكثر من غيرهم من فروق اسعار المواد الصناعية والحاصيل الزراعية ، بعد ان راحوا فريسة هبوط الاسعار فقضمت من دخلهم الصافي ، بينما النفقات التي يستهدفون لها (شؤون التغذية ، والضرائب والديون المضمونة بالرهن) لم يكن في مستطاعهم عصرها او ضغطها . فحيثما نعموا بحماية جمركية كافية ، فقد وجدوا انفسهم يتمتعون بشيء من الضمان نوعاً ما . اما في البلدان الزراعية الطابع ، فقد اصيب المزارعون فيها في الصميم ، بعد ان اضطروا للتقليل من شراء الملابس والبترول كما امتنعوا عن شراء اعتدة واجهزة ميكانيكية جديدة. والفلاح المسكين الذي لا يستطيع تأمين تنفيق محصوله الا في السوق الداخلية ، فقد كان عرضة للشكوى والتذمر اكثر من سواه ، اذ ان الملاك الكبير كان يقبض رسم مكافأة تشجيعية من قبل الدولة ، على كل ما يصدره .

اما الطبقة العمالية ، فقد رأت نفسها ، هي الأخرى ، عرضة ليس للحرمان من الأمور المادية فحسب ، بل استهدفت ايضاً للهوان والهبوط الاجتماعي. فقد اصابتها الأزمة مادياً ولاسيما سياسياً . فحطمت ما كان لها من وحدة متماسكة وذلك بوقوف المستمرين في العمل ضد الذين لا يجدون لهم عملاً . فقد خلقت طبقة دنيا في صميم البروليتاريا ، هي طبقة العاطلين عن العمل ، وعطلت ضمن الطبقة العمالية ، الحركة القديمة التي كانت ترمي معها المساواة بين الجميع. وبسرعة كلية حولت الأزمة « توزيع العمل الى توزيع البؤس والشقاء » .

وبعد ان اصابها هبوط الاجور في الصميم ، وبعد ان رأت نفسها منقسمة على ذاتها وروعت ، وحطمتها البطالة ، لم يعد في مقدور هذه الطبقة اجبار ارباب العمل على تقديم تنازلات والقبول بتقديم ترضيات لها . ان ما آلت اليه المنظمات العمالية من ضعف ، في الولايات المتحدة الى عهد الخطة الجديدة ، والقوة التي تمتع بها ارباب العمل في فرنسا ممثلة بهذه الاتفاقات الجماعية التي تم

الوصول اليها ، قبيل الازمة ، والتي لم يستفد منها سوى ٤ بالمائة من العمال ، ووجود جيش من العاطلين الاحتياطيين لدى ارباب الصناعة ولدى الفائض من سكان الريف، والغاء كل تشكيلات عمالية في المانيا وفي ايطاليا وفي اليابان ، كل هذه الاعتبارات والعوامل ، جعلت ارباب العمل يملون شروطهم ويفرضونها فرضاً على العمال .

اما العمال المنقطعون كلياً عن العمل ، فقد قطعت لهم مساعدات محسوسة في انكلترا . ثم في الولايات المتحدة الاميركية . وقدمت لهم الاستثمارات الكبرى ، في المانيـــا ، في عداد الاجراءات التي اتخذتها في سبيلهم ، اجوراً متدنية . اما في فرنسا ، فحالتهم فيها لم يطرأ عليها اي تحسن يذكر ، الا بعد عام ١٩٣٦ ، وبقي وضعهم ، في كل مكان ، يترجح بين وضع متقلقل سريع العطب ، ووضع يائس بائس .

فكيف يستطيعون الى العيش سبيلا في هذه الفترة التي بلغ فيها الشقاء الذروة في العنف؟ لاسيما في هذه البلدان التي لا اثر فيها لتنظيم يذكر للاسعاف ، في بودابست مثلا ، حيث نجد ، في سنة ١٩٣٢ ، نحواً من ١٨٥،٠٠٠ عامل من اصل مليون (اي ١٨ بالمـــائة) يتلقون بعض العون المالي ، وفي فرصوفيا حيث ٨ بالمائة من العمال يتناولون بعض المساعدات من الاسعاف العام . وبواسطة اشغال عابرة يقوم بها العاطل عن العمل او زوجته (كالاشغـــال المنزلية والغسيل) وتربية الاطفال والتجارة الصغيرة بدون ترخيص في الاسواق ، والخدمات الصغيرة ، وبيع الملبوسات العتيقة والاثاث، او تأجير زاوية في غرفة او أسرّة وبعض الديون والصدقات. وكثيراً ما لم تتغلب بعض الاسر على خطر الفناء والابادة الا بفضل تضافر اعضائهـا ، يعولهم الشخص الذي يجد لهم عملا او بعض افراد الاسرة الذين بقوا في الريف . فالحيـاة المشتركة في الاسرة هي وحدها التي عرفت ان تحقق بعض الارباح الضئيلة التي يوفرها الجميع ، وهي التي انقذت الاسرة من فناء محتوم . كذلك يجب أن نأخذ بعين الاعتبار هـــنا مهنة الاستعطاء وتعاطي البغاء ، كما يجب ان نأخذ مورداً آخر ، يؤمنه العمل الاسود، اذ كان الوف من العمـــال العاطلين ، على استعداد ليعملوا اي شيء لقاء أجر زهيد ما . اما الذين لا طـاقة لهم على العيش في جو من البؤس والشقاء، فقد صرموا حبل حياتهم بالانتحار تخلصاً من البؤس الذي يتسكعون فيه . فقد بلغ عدد الذين انتحروا في هنغاريا ، بين العاطلين عن العمل ، عـــام ١٩٣٣ ، ثلاثة اضعاف عددهم عام ١٩٢٩ ، اي ٧٥٠ منتحراً مقابل ٢٤٠ .

٣ – الحركات والاحزاب العمالية

الحركة العمالية خلال الازمة

بعثت الازمة الميل الى الثورة كما شحذت الاحقاد بين الطبقات . ففد تباين اثرها بين المنظمات العمالية : فأدى الهبوط الاقتصادي، في بادىء الامر الى تخفيض محسوس بين اعضاء النقابات، كما حد من نشاطها وحملت المنظمات

القائمة في البلدان التي لم تقع تحت نظام دكتـــاتوري على ان تتطور باستمرار . والبلدان التي تضررت بالاكثر بهذه الازمة ، سجلت الحركة النقابية فيها تقهقراً كبيراً .فقد جاء انهيارها ، في المانيا ، مباغتاً وصادعاً ، اذ فقدت النقابات الحرة اكثر من ٨٠٠,٠٠٠ من اعضائهـا المنتسبين ، اي ١٦ بالمائة من مجموع اعضائها المسجلين ، في عام ١٩٣٠ و ١٩٣١ ، كما عـادت ففقدت في اواخر سنة ١٩٣٢ ، اكثر من ٥٠٠,٠٠٠ ، ومن بين ٣,٦٠٠,٠٠٠ عضو البـاقين، نرى ٤٤ بالمائة منهم في عطلة مستمرة، بينما ١,٢٠٠,٠٠٠ منهم يعملون بانتظام . وهكذا نرى ان قواها النشيطة هبطت الى ربع ما كانت عليه عام ١٩٢٩ .والوضع بين النقابـات الكاثوليكية لم يختلف كثيراً عما ذكرنا . وهكذا نرى ان المنظمات العمالية في الرابخ قد سحقتها الازمة قبل ان يسحقها النظام النازي الجديد . وكان من عنف الازمة وضراوتهـــا في النمسا ان خفّضت عدد الاعضاء المنتسبين الى النقابات نحواً من ٣٠ بالمائة مما كان لها من اعضاء بين ١٩٢٩ — ١٩٣٢ ، وخسرت النقابات في انكلترا خلال هذه الفترة ٢٦,٣ بالمائة من مجموع اعضائهـا . وعلى هذا قس ايضاً : كندا والهند واوستراليا ونيوزيلاندا . فقد تطورت الامور فيها على هذا النحو .

وعلى عكس ذلك فقد تعاور عدد العمال المنتسبين الى النقابـات العمالية في هذه البلدان التي لم تتجاوز فيها البطالة حداً معقولاً (سويسرا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا) او تلـك البلدان التي عرفت فيها النقابات العمالية ان تحافظ على ما تم لها من شأن ونفوذ ، وبقيت الحلقة الموصلة بين الحكومات والعاطلين عن العمل بفضل مساهمتها في ادارة ضمان البطالة وتأمين استمرارها، وهذا هو بالذات وضع البلدان السكندينافية وبلجيكا والبلاد الواطية . وتطورت الحركـــة النقـابية في فرنسا ، عن طريق الذي خضع له بالفعل ، الفريق الذي جمـــع المستخدمين والموظفين ، اي هذه المهن التي بقيت على الغالب بمعزل عن البطالة .

وفي المانيا كما في ايطاليا حيث الطبقة العمالية حُرمت من نقاباتها وصار دمجها في جبهة العمل وفي الحركة المهنية ، رأت نفسها مضطرة بعد ان حرمت من كل وسيلة للتعبير عن مشاعرهـا ، للتسليم والخضوع مرغمة لما رسم لها .

وكذلك قل عن اسبانيا . فالاتحاد العام للعمال الاشتراكيين فيهـــا الذي عرف ازدهاراً كبيراً ، والنقابة المعروفة بـ *N.C.T.* الفوضوية الاتجاه والنزعة قُضي عليهما تماماً من قبـــل الثورة العسكرية التي قام بها فرنكو بمحاولات الاصلاح الزراعي والاصلاحـات الاجتماعية التي قامت بها حكومة الجمهورية ، جرت تصفيتها دونما رحمة .

الولايات المتحدة الاميركية

منذ مطلع عام ١٩٣٣ ، انخفض في الولايات المتحدة الاميركية ، عدد اعضاء اتحاد العمـــال الى مليوني عضو ، بعد ان جاءت الخطة الجديدة تمهد الطريق للطبقة العمالية لتنظم ذاتها بشكل نهائي . فقـــد تحرر العمال من وجوب انضمامهم الى اتحادات الشركات ، وهي نقابات قامت ضمن عمال المشروعات الاستثمارية الخاضعة لارباب العمل ، فقد ترك لهم الخيار بالانضمام الى النقابات التي يرغبون فيهـــا ، ولذا

اقبلوا زرافات ووحدانا على تسجيل انفسهم في الاتحاد العمالي القديم المعروف باسم A F L الذي ارتفع عدد اعضائه الى ٤,٥٠٠,٠٠٠ عضو . واخذت الاضرابات تتري بكثرة ، اذ وقع ١٧٠٠ اضراب عام ١٩٣٣ ، حملت البلاد خسارة ١٧ مليون يوم عمل ، ووقع ٢٠٠٠ اضراب عام ١٩٣٥ كلفت البلاد ٢٥ مليون يوم عمل .

وجاء انتصار روزفلت ، عام ١٩٣٧ على المحكمة العليا تشجيعاً للحركة العمالية . فقد وقع ٤٧٥٠ اعتصاباً عندما جرى تعيين الشكل الجديد للاضراب ، وهو الانقطاع عن العمل والقعود في المصنع مما ادى الى اضاعة ٢٨ مليون يوم عمل . وقعت هذه الاضرابات بشكل هذه الذهنية المعروفة عن الطبع الاميركي المتسمة بالعنف ، والوحشية التي خلقتها « لجان المواطنين الاحرار » المعارضة لروح النقابية ، وقوى الحرس الخاص ومحطمو الاضرابات ، وحراس المصانع الخاصة بتشجيع من السلطات والشرطة بغض النظر عن تصرفات ارباب العمل ، والضغط الذي قام به الوسط الاجتماعي ورجال الدين (راجع في ذلك فيلم تشارلي شبلن : العصر الحديث) . وتسبب الحرس الوطني في شيكاغو بقتل وجرح ما يقرب من مائة عامل ، عام ١٩٣٧ في اجتماع لهم عقدوه في الهواء الطلق .

واحدث تهافت اعضاء كثيرين على الانتماء الى النقابات القديمة ازمة بين العمال وادى بالتالي الى انشقاق اتحاد العمال الى شطرين عام ١٩٣٧ ، اذ قام في وجه اتحاد A F L الذي يضم العمال الفنيين من كل حرفة ، اتحاد آخر تألف على الاخص من اللانظاميين في كل حرفة برئاسة جون ل. لويس ، رئيس نقابة المعدنين ، تشكلت اللجنة العامة للتنظيم الصناعي (C I O) التي تؤلف اتحادات مستقلة قامت ضمن العمال في صناعة المطاط والفولاذ والسيارات ، فاصبحت بعدد اعضائها اقوى شأناً من الاتحاد المعروف A F L ، مع ان لويس اعترض على الاضرابات بالقعود في المصانع وشجبته لجنة التنظيم الاجتماعي . وهذا الانقسام لم يوقف الحركة ، اذ ان الاتحادين المذكورين ، ضما معاً ، عام ١٩٣٩ نحواً من ٨ ملايين عضو .

في فرنسا

تم تأليف اتحاد النقابات العمالية خلال فتنة السادس من شباط . فامام الخطر الذي واجههما معاً قام الاتحادان المعروفان بتنظيم الاضراب العام الذي اعلنوه في ١٢ شباط وبعد محاولات استمرت طيلة اذار ١٩٣٦ ، تم توحيدهما في اتحاد عام . والنجاح العظيم الذي حققته الجبهة الوطنية جاء فوق ما كان متوقعاً ، وبعث الآمال في صفوف العمال وفي نفوسهم ، لا سيما ولاول مرة تشكلت حكومة في فرنسا اشتراكية الطابع والنزعة . وقد بدا للجميع ان الفرصة جد مؤاتية لتحقيق الاصلاحات الجذرية التي تتيح لهم تحقيق مطالبهم . فبعد حقبة من الضغط والكبت استمرت عشر سنوات ، انفجر في البلاد هيجان عام تجاوز الأطر النقابية من خلال سلسلة الاضرابات التي تسكاثر وقوعها منذ اواخر ايار . فالفشل الذي آلت اليه الاضرابات التي أعلنت من قبل وفقاً للاسلوب المعروف حمل العمال على احتلال

المصانع ، وهي طريقة اعتمدها المضربون في ايطاليا عام ١٩٢١ ، انما دون ان يحاولوا الاستيلاء على الادارة الفعلية . فالاحتلال المصحوب باللاعنف اسلوب من اساليب الضغط على ارباب العمل في اطار النظام الرأسمالي . وقد كان من نتائج هذه الحركة التي عمت فرنسا ان احدثت تطوراً عظيماً في عدد المنتسبين الى النقابات ، اذ ارتفع عددهم من مليون الى خمسة ملايين في الاتحـــاد المعروف بـ $C\ G\ T$ اي الاتحاد العام للعمال ، عام ١٩٣٧ ، كما ان النقابة العمالية الاخرى المعروفة بـ $C\ F\ T\ C$ التي لم تكن تعد سوى ١٥٠،٠٠٠ عضو ، عام ١٩٣٥ ، ارتفع عـدد اعضائها ، عام ١٩٣٦ ، الى ٧٧٩،٠٠٠ عضو ، كما ان اعضاء نقابة الصناعات الكيماوية ارتفع عددهم من ٤٠٠٠ الى ١٩٠،٠٠٠ ، ونقابة الرسامين والتقنيين ، من ٥٠٠٠ الى ٧٩٠٠٠ ، ونقابة المعدنين من ٥٠،٠٠٠ الى ٧٧٥٠٠٠ . اما المهندسون والتقنيون الذين بقوا حتى الآن على هامش الحركة النقابية ، فقد راحوا ينكتلون بدورهم . ان الاقبال على عقد الاتفاقات الجماعية (٢٤ اتفاقاً عام ١٩٣٤ ، و ٢٥٣٦ اتفاقاً عام ١٩٣٦ ، وحوالي ٧٠٠٠ اتفاق عام ١٩٣٨) يدل بوضوح على وجود نقابات لها شأنها . فانفجار الاضرابات التي واجهت رغبة ارباب العمل بالثأر بعـد ان عادوا من الملع الذي استحوذ عليهم في شهر ايار ، وارتفاع تكاليف الحياة بحيث حـــرم العمال الفوائد والامتيازات التي نالوها ، وجمود الحركة الاقتصادية ، وفشل محاولة « التوفيق » وعدم امتصاص البطالة في البلاد ، كل ذلك سبب التهافت على الانتماء الى النقابات وارتفاع عدد اعضائها . وهنالك عوامل اخرى اخذت تنسحب من عضوية النقابات بعد تحقيق الاهـــداف المباشرة كما أن الوحـــدة التي تمت بشق النفس تحطمت هي الاخرى . والموقف الذي ترتب وقوفه من الحرب الاهلية الاسبانية ومن هتلر وسياسته وضع وجهاً لوجه « النقابيين الخلص » من فوضويين ودعـــاة سلام باي ثمن المعارضين لكل صمود في وجه الفاشية التي من شأنها ان تتسبب عن حدوث حرب ، مع انصار الصمود الشديد الذين اخذوا يطالبون بعقد اتفـــاق وطيد مع الاتحاد السوفياتي . وهكذا اخذت بالذوبان على درجـــات مختلفة ، التشكيلات النقابية . فقد انسحبت من الاتحـــاد العمالي $C\ G\ T$ خمسة ملايين عضو عـــام ١٩٣٧ ، و ٢،٨٥٤،٠٠٠ عام ١٩٣٩ ، وهزيمة مونيخ اتاحت الفرصة امام ارباب المصالح المالية الكبرى لتحطيم الحركة العمالية ، بعد ان رددوا الضعف الذي تتسكع فيه البسلاد الى تخفيض ساعات العمل في اليوم . والمرسوم الصادر بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٨ والذي يشار اليـــه في كل التشريعات العمالية ولا سيما قانون الاربعين ساعة عمل في الاسبوع ، كان سبباً في الاضراب الذي اعلن في ٣٠ ت ٢ ، الا انه باء بالفشل التام في نتيجة الامر . وفي داخل الحركة العمالية ، تابـع المناضلون معارضتهم بعد ان انشقوا بين انصار اتفاقات مونيخ وبين المعارضين لها . وقبيـــل الحرب بقليل ، هبط عـــدد الاعضاء المنتمين الى اتحاد $C\ G\ T$ الى ما كان عليه عـــام ١٩٣٦ ، ومنذ ايلول ١٩٣٩ ، طرد الاتحاد من صفوفه ، اعضاء الحزب الشيوعي الذين دخلوا غمار العمل السري .

وقد تغير خلال السنوات العشر الاخـــيرة كثير من معالم الحركة العمالية ومظاهرها فبينما كانت ايطاليا الدولة الوحيدة التي تخلت عن النقابية الحرة منذ عام ١٩٢٩ ، فقد سار في اثرها منذ هذا التاريخ ، كل من المانيا والبرتغال ، واسبانيا وفرنسا واليابان ، وفي وجـــه الدول الدكتاتورية ، لم يعد الاتحاد النقابي الدولي الذي نقل مركزه عام ١٩٣١ من برلين الى باريس ، يتلقى طلبات انتساب الا من اوروبا الغربية واميركا الشمالية . فهبط عـــدد اعضائه الى ٤٥ مليوناً ، بينما كان عدد اعضائه عام ١٩٣٠ نحواً من ٢٢،٧٠٠،٠٠٠ ، ثم هبط الى ٩ ملايين عام ١٩٣٣ ، بعد القضاء على الروح النقابية الالمانية . والاتحاد مدين بهذا الرقم الى انضمام الاتحاد العمالي الاميركي والاتحاد العمالي في المكسيك .

مناهضة الرأسمالية

كان من عنف الأزمة وخلخلة التوازن الذي احدثته ، والفرق الشاسع بين الانتاج الصناعي وبين ملايين العمال العاطلين عن العمل والعمـــال الذين لا تكفي اجورهم بأودهم وأود اسرهم ، وزيادة الانتـــاج الزراعي ، وهؤلاء الملايين من الجياع وملايين المزارعين الذين يتسكعون في البؤس ، ان جعل الناس يتشككون في شرعية وقانونية النظام الرأسمالي الذي اقتصر شجبه حتى الآن على شجب نظري او فكري اقتصر على بيئة محدودة انحصرت ضمن خبراء في الاقتصاد ، ودعاة ثوريين ومجاهدين . وقـد ارتفعت اصوات الاستنكار حتى في هـــذه الاوساط المعروفة بروحها المحافظة تشجب هذا الوضع وتستنكره ، معتمدة في ذلك على دوافع ادبية واخلاقية ، منها مثلاً القـول بان الخسائر التي سببها الانهيار الاقتصادي لم يتضرر بها هؤلاء الذين كانوا بالفعل مسؤولين عن هذا الانهيار . اما الدعايات الفاشية ، فقد انطلقت من ابواق كثيرة في العديد من البلدان ، تثير احقـــاد الجماهير وتلهب حفيظتها ، وتحرض الطبقات الوسطى ، اجتذاباً لهـا واعتناقاً لقضاياهـــا وللمطالب التي طالما اعربت عنها . وقد هاجم موسوليني ، في مناسبات عدة « النظريات القديمة التي تقول بها الرأسمالية الليبرالية » وبين ما هي عليه من عجز وخواء . وكتاب « كفاحي » لهتلر يفيض بالوعيد والتهديد معلناً استعداده لالغاء كل المداخيل والواردات التي لا تأتي عن الجهد الناصب ، كما هدد بتأميم المناجم والكهرباء ووسائل النقل والصناعات الحديدية الكبرى والمصارف كما توعد بتأميم كل المخازن الكبرى ، وتحظير مشترى الاراضي لكل من ليس على استعداد للعمل فيها . و « الكتائب » الاسبانية تعلن من جهتها عالياً رذلها للرأسمالية ... لا يجوز قط ولا من المحتمل ان تعيش جماهير ضخمة من الناس في البؤس والشقـــاء بينما يغرق قلة من الناس في التنعم باللذاذات . مما لا شك فيه ان مثل هـــذه التصاريح الداوية وهذه الوعود المعسولة لم توضع قط موضع التنفيذ . ان كلاً من موسوليني وهتلر وفرانكو الذين وصلوا الى الحكم على اكتاف الرأسمالية ، اضطروا ان يمالئوا وان يصانعوا . فهذه التصاريح تشهد عالياً على الرغبة بتحقيق مطالب الطبقات الوسطى وامانيها التي يخشى عليها من التحول الى البروليتاريا ، والى طبقة العاطلين عن العمل ، عن طريق برنامج غوغائي ، غامض الحـــدود توجه مناهضة

الرأسمالية فيه ضد الاجنبي وضد اليهود ولا يسبب ضرراً لأحد .

حتى في الولايات المتحدة الاميركية التي هزتها الضائقة العنيفة من اساسها ، اقله في السنوات الاولى منها ، انفجرت المؤلفات والمجلات صاحبة النظريات القديمة منها والمستجدة : كالجمهورية الجديدة ، والامة ، وجرائد اليسار واقصى اليسار التي تأخـــذ على نفسها الدفاع عن الحرية الفردية ، وعن اللاجئين السياسيين والاقليات ، وعن الحق النقابي وحق الاعتصاب ، الا انها ترفع صوتها عالياً بالنكير ضد الرأسمالية . والحظوة المتصاعدة التي صادفتهـــا افكار انصار الاقتصاد الموجه بين افراد التعليم والاوساط الدينيـــة والابـكوبالية والمتوديست ، والموقف « الدفاعي » الذي وقفه المناضلون عن النظام ، كل ذلك يوضح ، بأجلى صورة ، الازمة التي تعرضت لها الرأسمالية في هذه الحقبة بالذات .

ولأول مرة في التاريخ ، نرى الطبقات العمالية والريفية في اميركا تهب للوقوف صفاً واحداً في وجه النظام الاقتصادي المعمول به في البلاد . فالمعركة لم تبق في المجال النظري او التجريدي. وردة الفعل التي قامت بها الطبقات الوسطى ضد الرأسمالية ، ظهرت على اشدها في الولايات الشمالية الغربية على الاخص التي اشتهرت في الماضي بمعارضتها وصمودها في وجه رجال المصارف ورجال الاعمال في الولايات الشرقية . وخلال هـــذه الضائقة المالية والأزمة الاقتصادية التي اخذت بخناق البلاد ، راح اتحاد المزارعين وجمعية البطالة الزراعية يطالبون في نيسان ١٩٣٣ بتبني النظام النقدي ذي العملتين وبمطالبة القانون باعتراف مبدأ حق الزراعـــة بسعر ادنى يتعادل ونفقة الانتاج ، وتنظيم الاضرابات ، ورفض نقل محاصيلهم الى الاسواق . وتفتحت الازمة في ساسكندا عن ظهور حزب اشتراكي جديد هو اتحاد الكومنوالث الفيدرالي(C.C.F.) الذي تسلم مقاليد الحكم والادارة المحلية في ولاية ساسكتشيوان ، ووضع له برنامجاً مستوحى من الروح القابية والمسيحية لتأميم وسائل الانتاج ، كما ادى الى تأسيس الحزب المعروف بالحزب الاجتماعي للتسليف الذي سيطر بدوره على ولاية ألبرتا ، في عام ١٩٣٥ ، وعارض بعنف الحزبين التقليديين القائمين في هذا الدومنيون .

تسرب الافكار الاشتراكية والشيوعيـــة وتغلغلهـــا

كان من نتائج اتهام الرأسمالية والظن عليهـــا ، انتشار الروح الاشتراكية والشيوعية . فقد ازداد الناس اعتقاداً وايماناً ان قضايا التنظيم والاشراف الدقيق الذي تتطلبه زيادة الانتاج ، لا يمكن حلها دون اصلاح المجتمع إصلاحاً جذرياً يتناوله من الاساس ، فقد كـــثر اهتمام الناس في هذه الحقبة واشتد فضولهم للتعرف الى الايديولوجيا الاشتراكية والشيوعية على السواء ، كما راحت الطبقات الشعبية تتعقلن واخذ جانب كبير من حملة الفكر يدبرون ظهورهم لليبراليـــة الاقتصادية ويتجهون بشيء من الارتياح نحو النظريات والاحزاب المرتبطة بالماركسية والشيوعية بسبب وثيق ، كل ذلك خوفاً من الفاشية والهتلرية ، وعملا بردة فعل بدرت منهم ضد الرأسمالية المسؤولة الى حد بعيد عن البؤس الذي يسيطر اليوم على العالم والفوضى الاقتصادية التي يتسكع فيها العالم

اليوم . واخـــذت تظهر في جميع بلدان العالم طبعات جـــديدة وشروح وتعليقـــات وتفسيرات يصدرها اصحاب هذه النظريات ومفكروها ، ولا سيما لنظريات كارل ماركس والجلز ولينين .

ان تجربة « الجبهات الشعبية » لقيت تشجيـع المؤتمر السابـع الذي عقـده الكومنترن ، عام ١٩٣٥ واستحسانه في كل من فرنسا واسبانيا والشيلي والمكسيك كما طربت للنجاح الذي حققته الاحزاب العمالية . ففي عام ١٩٤٠ ، دخل مجلس النواب في الشيلي ٤٠ نائبـاً شيوعياً (مقابل ٤ عام ١٩٣٠) ، و ١٧ في البرازيل ، و ١٢ في كوبا ، و ٦ في كوستاريكا . وبدت عليها بوادر الانقسام على نفسها حول الاشخاص وتطور الفئـــات التروتسكية الصغيرة ، جرى انتخابهم من بين العمال ورجـــال الفكر وضباط الجيش امثال لويس كارلوس برستس ، رئيس الحزب الشيوعي في البرازيل الذي كان من قبل ضابطاً في الجيش وماريا تيغي في البيرو .

جاءت انتخابات عام ١٩٣٦ في فرنسا تشهد عالياً على التطور العظيم الذي حققـــه الحزب الاشتراكي في تلك البـــلاد . فبينما لم ينل الحزب المذكور في انتخـــابات عام ١٩٣٢ سوى ١٬٩٦٤٬٠٠٠ صوت ، فقد نال في انتخابات ١٩٣٦ ، نحواً من ١٬٩٥٥٬٠٠٠ صوتاً ، اي بخسارة طفيفة ذهبت للحزب الاشتراكي الجديد ، وهي خسارة عوضها عندما وقع الانفصال بينـــه وبين الشيوعيين . اما الدول الصغيرة التي رست فيها اسباب النظام الديموقراطي واعرقت فقد جاءت الازمة فيها اشد من جانب الاشتراكية . فالحزب الاشتراكي يشترك بالحكم مع الراديكاليين في الدانمارك ، ويعود الى الحكم في السويد ، واستطاع الحزب ان يؤلف حكومة متجانسة في النرويج عام ١٩٣٥ ، وفي فنلنـــدا حيث كان الحزب الاشتراكي اقوى الاحزاب طراً . وعلى الاجمال ، رأت الأحزاب الاشتراكية او العمالية ، حيث لا تزال بعد قائمـــة ، نفسها تنمو وتتطور بانضمام اعضاء جدد اليها ، في الفترة الواقعـــة بين ١٩٢٩ – ١٩٣٩ . فقد تراوحت الزيادة في فرنسا ، بين ١١٩٬٠٠٠ و ٢٧٥٬٠٠٠ ، وفي النرويج من ٥٣٬٠٠٠ الى ٨٢٬٠٠٠ ، مع فرق بسيط مع عام ١٩٣٧ (٨٩٠٠٠) ، وفي السويد من ٢٣٥٬٠٠٠ الى ٤٨٧٬٠٠٩ . وقد بقي الحزب على وضعه في انكلترا وتقهقر في سويسرا من ٤٤٬٠٠٠ الى ٣٤٬٠٠٠ .

اما الاحزاب الشيوعية فقد حققت نجاحاً باهراً في فرنسا وفي المانيا . ففي فرنسا ، انتقل الحزب في انتخابات عام ١٩٣٦ ، بعد ان خرج من عزلته ودخل الجبهة الشعبية من ٧٩٦٬٠٠٠ وهو عدد الاصوات التي نالها عام ١٩٣٢ ، الى ١٬٥٠٢٬٠٠٠ ، وربح ٦٠ مقعداً . وفي المانيا حيث تسببت الازمة بمفارقة جديرة بالملاحظة تمثلت من جهة في سلبية الجماهير العمالية في المعامل كما يشهد على ذلك العـــدد الضئيل للاضرابات التي اعلنت بـين ١٩٢٩ و ١٩٣١ ، وهي ١٣٠٤ اضرابات مختلفة استجاب لها ٦٣٧٬٠٠٠ عامل ، (بينما وقع في فرنسا ٣٦٠١ اضراب اشترك فيها ١٬١٠٨٬٠٠٠ عامل) ، كما تتمثل من جهة اخرى براديكالية الجماهير وعقلنتها السياسية . وقـــد خسر الحزب الاشتراكي بـين ١٩٣٠ – ١٩٣٢ نحواً من ١٬٣٨٨٬٠٠٠ صوت بينـما

ربح الحزب الشيوعي في المدة نفسها ١٧٣٨٤٠٠٠ صوت ، وزاد عدد اعضائه في المجلس على مائة عضو .

تطور الاشتراكية

ليس من ينكر التطور الذي خضعت له الاحزاب الاشتراكية . وجاء هذا التطور ينزع ، اكثر فاكثر ، نحو الاصلاح ، واخذت تبتعد عن الماركسية بعد ان تبنت نداءات ثورية ، اخذاً بلعبة الديموقراطية البرلمانية . فقد تبنّوا وعضدوا مشروعات اصلاحية لم تختلف كثيراً عن التصاميم التي جاءت بها الخطة الجديدة التي وضعها ف. د. روزفلت ، اي الاصلاحات المباشرة ضمن نطاق الرأسمالية . كل هذا جاء نتيجة حتمية لهذه التطورات التي خضعت لها الاحزاب من الداخل بمجرد انحياز العناصر الفتية الناشطة نحو الشيوعية ، كما جاء هذا نتيجة لدخول عناصر بورجوازية صغيرة الى صفوفها ، من موظفين ومستخدمين وعمال يعملون في الدوائر الادارية .

وجاء طلوع الفاشية والهتارية يقوي هذا التطور وينميه . ان رسوخ الدكتاتورية بمثل هذا اليسر ، انما جاء دليلاً على ما كانت عليه الطبقة العمالية المنقسمة على ذاتها والاشتراكية من ضعف ووهن ، وعجزها عن الوقوف بوجهها والصمود لها ، هذا ان لم نقف الى جانبها وتشد من أزرها عناصر عديدة من الطبقات الوسطى التي انطوت على العداء لها والحكره لعقيدتها . وقد راح العديد من الاشتراكيين يستنتجون من الوضع القائم حالياً ، مع اقتناعهم ان الجماعية ظاهرة سابقة لأوانها ليس من الممكن لا بل من المستحيل حدوث تطور عنيف كامل في وقت قريب . لا بد قبل كل شيء من وضع حد لهذه الازمة الاقتصادية الخانقة ، اذ ان البؤس بعينه هو باعث اليأس والقنوط في النفوس ، وهو الذي يدفع بشطر كبير من الطبقة العمالية نحو الشيوعية ، كما يدفع بالشطر الآخر نحو الفاشية . ولذا راح عدد من فلاسفة الاشتراكية ومفكريها يحاولون اعادة النظر في الماركسية ، تكييفاً لها مع الاوضاع الاجتماعية الجديدة ، ومن بين هؤلاء المفكرين دي مان البلجيكي الذي راح في كتابه الموسوم : « ما وراء الماركسية » الذي صدر عام ١٩٢٧ ، يركز على نظرية تبتعد كثيراً عن الماركسية بعد ان طرح جانباً قولها بالمادية التاريخية . فهو يرى ان لا قاسم مشترك في الطبقة العمالية ، اذ ان العامل الاشتراكي ليس سوى « رأسمالي مكبوت كل همه ان يصبح بورجوازياً » . اما في المجال العملي فالمهم النضال ضد الرأسمالية الطفيلية التي تعيش على الحكر ، مستقطبة كل الذين يخشون المصير الى صفوف البروليتاريا ، كالتجار ورجال الصناعة الذين لا يزالون يتمتعون ببعض الاستقلال ، وأصحاب المهن والمزارعين والموظفين . يجب قبل كل شيء الابتعاد قدر المستطاع ، عن أي اضطراب أو قلق من شأنه ان ينكأ الجرح ويزيد طنبور الاقتصاد ضجيجاً وصخباً ، وتفادي كل محاولة تأميم الملكية العقارية ، والتعويل على العاطفة القومية التي هي حقيقة واقعية ، ودعم سلطة الدولة في وجه كل من يحاول الانتقاص منها . ولتحقيق مثل هذا الحشد والتجمع في وجه التكتلات الكبرى ، يجب الا ننظر الى هذه القضايا من وجهة النظر العمالية ، بل

علينا ان نحاول التوفيق بين مصالح البروليتاريا والطبقات الوسطى . امـــا التأميم فيجب ان يقتصر على الصناعات الكبرى والمصارف التي لا تخرج عن كونها احتكارات قائمة . امـــا مؤسسات القطاع التنافسي التي تستهدف لخطر وقوعها تحت سيطرة التكتلات العارمة ، فيجب ان توضع فقط تحت اشراف الدولة .

كان لافكار هنري دي مان ولنظرياته تأثيرها البالغ على الاحزاب الاشتراكية في الخارج ، لا سيما على الحزب الاشتراكي الفرنسي . وقامت عصبة بقيادة رينوديل وماركيه ومنتانيون وديات ، هؤلاء المؤسسون الحقيقيون للاشتراكية الحديثة ، تتبنى هذه الافكار ، كما يستدل من العنوان الفرعي لكتاب : « نظام سلطة ، امة » المثبت على صفحة عنوان كتابه الآنف الذكر ، والمنشور عام ١٩٣٣ . فهم يعارضون « الجمودية والحتمية » التي انتهى اليها قدامى الحزب برئاسة ليون بلوم ، وحاولوا ان يجتذبوا الى هذه الاشتراكية الوطنية ، الحزب الراديكالي الذي يمثل الطبقة الوسطى ، والحزب الشيوعي نفسه الذي صرح رئيسه ليون بلوم بان برنامج ديات « صعقه » ، ومع ذلك تبنى سياسة اصلاحية والائتلاف الحكومي الذي الفه مع الراديكاليين ، اجبره على التخلي عن الاصلاحات البناءة الواردة في برنامج الحزب والاخذ بسلسلة الاصلاحات الضحلة النتائج ، كردة فعل لمكتب القمح وتأميم مصرف فرنسا ، اذ ان الضغط الذي تعرض له من الجناح المسالم في حزبه ومن اعضاء الحزب الراديكالي جعله يلتزم جانب عدم التدخـــل في اسبانيا ، واخيراً « التهدئة الخائنة » التي أقرت بها اتفاقات مونيخ ، فكانت الضربة القاضية لمقاطعة العناصر التي بقيت على ولائها لمبادىء الحزب التقليدية .

اسباب هذا التطور الاصلاحي .

ففي فرنسا وما شاكلها من الدول الليبرالية ، الاصلاحـات البناءة التي تعنيها العقيدة الاشتراكية انما تقتضي افراغاً جديداً كاملاً للنظام الاقتصادي السياسي في البلاد ، وبعبارة اخرى ثورة فعلية اشتراكية . وقد كان عدد كبير من اعضاء الحزب الاشتراكي ، ولا سيما بين رؤساء الحزب قد احجموا عن تحقيقـــه خشية منهم اذكاء الازمة اشتعالاً وتعميم البؤس الذي جرته ، كما اوجسوا ان يعرضوا للخطر البلاد ، بينما كانت الحكومات الدكتاتورية تتنمر وتستأسد . ومن جهة اخرى لما كان الحـزب لا يعتمد في المجلس على اكثرية فعلية ، ونفساً منه لمؤازرة الاحزاب القائمة الى جبهة (الاحرار في انكلترا وبلجيكا ، والراديكاليون في فرنسا ، فقد رأى نفسه مكبلاً من جراء تحالفه هـذا ، ولم يفكر اعضاؤه بالوقوف امام تقلبات الاكثرية البرلمانية . ولئلا يمهدوا السبيل امام الشيوعية ، انكفأوا عن مراكزهم عندما راحت الطبقات الموجهة التي تسيطر على الادارة العليا والمصارف والصحافة والصناعات الاساسية يزرعون الرعب وينفّرون اصحاب رؤوس الاموال ، داعين الى نبذ القوانين الاشتراكية الجديدة والتخلي عنهـــا . وهكذا ، ففي كل بلد تسلمت فيه الاحزاب الاشتراكية مقاليد السلطة ، نراهم يضطرون للتخلي عنها مصانعة لخصومهم . وعلى مثل هـــذا كان الوضع في بريطانيا العظمى ، اذ اضطر مكدونالد ، عام ١٩٣٢ ، الى تشكيل حكومـــة

ائتلاف وطني ، ووضع فرنسا مع حكومة بلوم . ونظر الحزب الديموقراطي الاشتراكي في المانيا وبلجيكا ، الى سياسة برونتغ التي اعتمدت « الانكماش النقدي » كشر ادني » ولم يحاربها . وفي بلجيكا ، اضطر الحزب العمالي البلجيكي بقيادة دي مـــان وسباك المعتدلين للتخفيف من غلوائه واللجوء الى المصانعة امام الضغط الشديد الذي مارسته النقابات العماليـة والتعاونيات (لا سيما شعبة مدينة غانت العمالية) الذين الفوا اهم مناصريه ومعاونيه ، وعندما دخل فان زيلاند ، مع وزرائه الخمسة ، حوالي عام ١٩٣٥ ، الحكومة الائتلافية التي الفهـــا الكاثوليك لم يحاول هنري دي مان ، الذي كان وزيراً للاشغال العـــامة اذ ذاك ، العمل على تطبيق برنامجه . ولذا ادت الانتخابات النيابية التي وقعت في بلجيكا ، عام ١٩٣٦ الى خسارة الحزب الاشتراكي ١١٢،٠٠٠ صوت اي ٧/١ الاصوات التي نالوها ، بينما تمكن الشيوعيون من مضاعفة اصواتهم (اذ ارتفع عدد مناصريهم من ٧٧،٠٠٠ الى ١٤٤،٠٠٠) فكانت هـــذه الانتخابات تجربة قاسية عليهم اذ اضعفتهم وجعلت اليأس يدب الى قلوب المديدين ممن اولوهم الثقة . افلا نستطيع بعد هذا ان نطلق هنا على المحاولات الاشتراكية المختلفة التي وقعت في ايطاليا ، قبيل ١٩٢٢ ، وفي المانيا وفرنسا ، الحكم الذي اصدره ا. هالفي حـــول الاشتراكية البريطانية ، في عـــام ١٩٢٩ – ١٩٣١ ، اذ قـــال : « لم تأت شيئاً في سبيل استبدال النظام القائم على الربح ، مـع انهـا جعلت احياناً من المستحيل تطبيق هـــذا النظام تطبيقاً حسناً » .

٤ – الازمة الاقتصادية وتأثيرها على الفكر

عكس طابع الحياة الفكرية والفنية ، منذ عام ١٩١٨ ، صورة مجتمع قلق متأرجح عصي التأثر على اضمحلال المبادىء التقليدية ، اذا ما وقعت العين على ما يثير المشاعر ويلهب العاطفة وحاولت تجاهل واقع الحرب والمشكلات التي خلفتها ، كما ينم عن القلق الذي يخامر الافكار ، على العموم .

وقد حدث منذ ١٩٣٠ ، ما بدّل الجو تحت تأثير الضائقة المالية والظواهر المنبئة للعاصفة التي تتجمع في الافق ، جاء التغيير بنسبة السرعة التي راحت فيهـــا الازمة تؤيد النزعات التي اخذت تبدو شيئاً فشيئاً للعيان ، منذ عام ١٩١٨ . فقد سددت ضربات صادعة للايمان بتطور مادي وديموقراطي يكون خير ضامن للسلام العالمي ، هذا الايمان الذي لطف كل اجواء القرن التاسع عشر .

الجو الجديد

كتب رومـان رولان الى غاندي ، عـــام ١٩٢٨ ، قائلاً :

« من المهم ان تترك الشبيبة ، التي ستنوء تحت وطأة نصف القرن الذي انقضى ، وثيقة صريحة يمكن ان

يتخذها قاعدة في هذه الحياة . ها هو ذا تلوح في الافق ، مشكلات هائلة لن تلبث ان تنقض عليها وتنزل بهـا . ليس لدي اي شك قط في ان عهداً من الدمار سيطلع علما قريب وستحل بنا حروب عالميةتضؤل حيالها كل ما عرف الماضي من امثالها التي تشبه لعب الاطفال: الحرب الكيماوية التي تفني الامم وتدمرها تدميراً ».

وجاء في يوميات رولان ، بتاريخ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣١ ما يلي :

« بعد ١٢ سنة من التلمس والتردد وصلنا الى هذه النتيجة ، وهو ان بقاء الوضع الاجتماعي القائم اليوم في في الغرب (بالمعنى الشامل ، بما فيه اميركا) حتى حدود روسيا على حاله ، لمن الأمور المستحيلة » .

في هذه الاثناء ، وقعت أزمة ١٩٢٩ . فمنذ سنة ١٩٣١ ، والرؤى التي تجلت بوضوح امـام العقول النيرة والبصائر النافذة ، وأمام اهل الحجى ، هي بؤس البروليتاريا والتهديد المتواصـل بالحرب . أضف الى ذلك ، هؤلاء الذين يردون هذا الشقاء وهـــذه التهديدات الى حضارتنـا الصناعية ، والذين يرفعون عقيرتهم عالياً احتجاجاً منهم على طغيان التقنيات وعلى كبرياء العـلم الفاجر ، وعلى سحق الفرد ، والذين يظنون على حضارة الغرب برمتها . ان قسماً من النخبـة الفكرية ، تتجه من الماركسية ولا تقف تصوراتها والاحلام التي تهدهدها عنـد مشروعات اصلاحية بسيطة . فالكل يحكم بالموت على الحضارة القديمة التي نهضت على الفردانية البورجوازية. فالكل يشعر في الصميم ، بأسف او بدون اهتمام ، انهم أمام نهاية العالم .

وخلافاً لما حدث في العشرينيات ، نرى الآثار الفكرية تأخذ جانب الالتزام ، والنظريات الفكرية تتجه ، على اختلافها صوب حل المشكلات الحيوية ، الحسية ، الواقعية ، ولم يعـد يطل علينا فلسفات وتجريدات فكرية محضة. ان واقع العالم الخارجي يفرض نفسه ويستبد بالتفكير ، موضوع حساس انطلق من أزمة الحتمية ومن نقد المعرفة المتعمقة ، يشحذها التحليل النفساني ونظرية النسبية المطبقة في كل مجالات الفكر ، هو هـــذا العالم غير المعقول اخذ بالانتشار الآن تحت ظواهر مختلفة ؛ ادبية وفنية وفلسفية . وفي هذا الجو المشبع بالتشاؤم ، أخذ الانسان يعي نفسه اكثر فاكثر ، باعتباره فرداً حراً بان يبتدع القيم وان يضفي على المرئيات والاحداث ما يشاء من معان وافكار ، كما أخذ يعي ، اكثر فاكثر ، وضعه الزائل ودعوته للعزلة وللفنـاء ويندب فراغ الحياة البشرية من كل معنى . وعلى شاكلة الادباء ، شارك الرسامون (كوكوشكا ومارك شاغالي وبيكاسو) في هذا الصراع ضد الايديولوجيا الفاشية ، بمـــا وضعوا من رسوم رمزية وتاريخية مثيرة .

الرواية الاميركية وتأثيرها

لم يتم للولايات المتحـــدة الاميركية بعض من كبار الكتاب ومشاهير حملة الاقلام ، ما تم لها منهم في مثل هذا الزمن . فقد نال سنكلر ، عـــام ١٩٣٠ ، واوجين اوناييل ، عام ١٩٣٦ ، جائزة نوبل للادب . والرواية الاميركية تهيمن على هذه الحقبة وتملؤها ، بما تم لها من فن وقدرة على تنويع المشاهد من جميع الزوايا استجابة لمطلب الفن السينمائي ومتطلباته . فالقصص لم يعد عبداً اسيراً للسرد في صيغـة الحاضر او الماضي . ان استحضار حوادث الماضي وبعثها ، واحـــلام المستقبل تتمازج مع لمحة

الحاضر . ونجحت القصة على الاخص في ما فشلت بتحقيقه ريشة مارتن دي غار وجول رومان، اي دمج القصة الروائية في تاريخ العصر ، وذلك باضفاء غلالة من الرمزية على بطل الرواية . حتى المدرسة الادبية في الجنوب التي هامت بالشعر اكثر منها بالواقع المتحيز ، اخذت هي الاخرى ، تصف لنا مع فولكنر ، نهاية حضارة..

فالمدرسة الرومانسية في الشمال التي اخذت تنزع آنياً الى الماركسية وتصطبغ بنزعة شعبية ، اخذت تكثر ، بعد ١٩٣٠ ، من انتقاد الظلم الاجتماعي. فدوس باسوس يساهم في روايته « الجماهير الجديدة » ويمر ، تحت تأثير الظرف القائم من نظرية البطل الحر ، البارز ، الى نقد اجتماعي مرير . والثلاثية التي وضعها بعنوان : « الولايات المتحدة الاميركية » والتي تتركز حول قضية ساكو — فانزتي التي صرعته ، تنتهي بمشهد « امتين » متجابهتين : امة المستثمرين وامة المستثمَرين. وهنفواي في روايته : « الحصول او عدم الحصول — ولمن تقرع الاجراس » (١٩٤٠) يقص علينا قصة اسبانيا الجمهورية التي كان احد المدافعين عنها . والجيل الجديد على الاخص ومن بينهم ج . شتاينبك وارسكين كولدويل، وجيمس ت . فيرويل الملقب بـ « زولا الاميركي » يعبر عن نزعة جديدة هي النزعة : « الطبيعية الجديدة » ، ينحرف بعد عام ١٩٣٧ عن النزعة الماركسية بتأثير من الالتزامية الشاملة التي اخذت تمتد في جميع انحاء الولايات المتحدة . والى جانب هؤلاء ، برز الروائي الزنجي ريتشرد رايت الناطق باسم بني جلدته . اما يوجين اونايل فهو يهيمن على المسرح بمسرحياته التي يرسم لنا فيها صورة عن ضعف الانسان وعجزه امام عالم وامام مجتمع معاديين .

وبريطانيا التي اناخت عليها الازمة بكلكلها منذ عام ١٩٣٠ ، قامت بردة فعل اشبه بالردة التي وقعت في الولايات المتحدة في مجالي القصة والمسرح . يرافقها نقد اجتماعي ماركسي النزعة وتيار سوريالي مع دافيد غسكوني و رولاند بنروز ، و و. هـ. اودن الذين عالجوا في كتاباتهم القضية المزدوجة الا وهما البؤس الاجتماعي وعلاقات الفرد بالمجتمع . وهنا ايضاً نرى النزعة الماركسية تتحول عن الصدد : فالشعراء والكتاب الروائيون ينسحبون من الكفاح الى جانب الشيوعيين . وبالمقابل نرى جملة من الآثار الفكرية ترفض رفضاً باتاً المدنية الصناعية المتصاعدة ، مع ألدوس هكسلي ومورغان (بروايته) وكاتبين آخرين اعتنقا الكثلكة هما افلين ووغ و غراهام غرين، وكذلك إليوت في مسرحه الذي اخذ يتجه اكثر فاكثر نحو الماضي .

وفي فرنسا نرى الطابع ذاته يسم الادب الرومانسي والمسرح ، ويبدو ان الكتاب يهتمون فيها بالاكثر بالوجودية الالمانية وبالحوادث التي تقع في ما وراء الحدود المتصلة بها . فالآثار الفكرية التي تأثرت بالحادث تبرز على الاخص الروايات المتعلقة بالثورة خاصة بمثلة برواية « اجراس بال» و « احياء اراغون الجميلة » و « الوضع البشري[1]» و « الأمل » لمالرو، ولاسيما مسرح جيرودو وروايته « حرب طروادة لن تقع » ، هذه المسرحية التي ظهرت عام ١٩٣٦ ،

١ ـ صدرت هذه الرواية عن منشورات عويدات . الناشر

ومسرحية « إلكتر » التي ظهرت عام ١٩٣٧ حيث التوكيد على سخف مصير الانسان وعلى حريته المطلقة . والعزلة او الانطوائية هي من هذه الادواء التي لا تستطب بحيث يصبح وجود الفرد خطراً على الحرية . وفي مسرحيته « الحلسة السرية » ، يذهب سارتر الى اقصى حدود هذا اليقين عندما يؤكد ان « الجحيم هو الآخرون » . ويستمر جيد في تأكيده فردانيته الصميمة الداعية الى الفوضوية (عودة الاتحاد السوفياتي » عام ١٩٣٦) . ويحاول جول رومان في آخر المطاف الى بعث الحياة الجماعية في مجتمع يغمره التفاؤل ويتحسر عليه (منذ ١٩٣٢ » في رواياته « ذوو الارادة الطيبة ») .

وجملة القول ، ان المصر لا يأنس الى البحث عن الجمالية المجردة الا في الرسم (مع ردة فعل تجريدية) ، والآثار التي برزت تتنزّى بالالتزام حتى عندما تنبع من مثالية تنضح بالحياد الايجابي .

الماركسية وتجديد العقلانية

فالوجودية اي « الدعوة الى السأم » الى الموت » الى القلق » ليست في نظر الجميع شرحاً مقنعاً لمصير الانسان. فالماركسيون يرون ان شقاء البشرية المعاصرة وآلامها لا يمكن ردها للعلم او للتقنيات ولجوهر الانسان نفسه» بل لشطط الرأسمالية المحتضرة وتجاوزاتها . فالايديولوجيا الماركسية التي رحّبت بكل ما يمثل رغبة صادقة في مقاطعة الطبقة البورجوازية » اخذت تتضح معالمها وتتبلور » والفت جبهة واحدة تقف في وجه اللاعقلانية على مختلف اشكالها وصورها كالسوريالية والبرغسونية والسيكولوجية الاتباعية » بحيث تصبح المنافحة عن حلبة العلم وعن نظرية الانسان العلمية (ففي سنة ١٩٣٩ ظهرت في باريس مجلة « الفكر ») . فالعلم يمدنا بتعليل مرضي لاصول الانسان وبتحليل للمجتمع حيث تبدو منافسة الطبقات بعضها لبعض المحرك الحقيقي للتطور وتفسر لنا التاريخ المعاصر . فهو يولي الانسان القدرة على تحويل العالم بحيث يتلاءم ومعارفه وبحيث ينسجم ومطالبه التي تنمو باستمرار . والعلم الماركسي الذي يؤكد وحدة العلوم الطبيعية والعلوم البشرية يمد الانسان بنظام كامل حيث يمكن للانسان ان يركز وجوده الفردي وان يعي تطور العالم ويسهم به » كما يعد الانسانية بمستقبل ملؤه السعادة . فهو متفائل في الصميم إذ كل الشرور الحاضرة سترتفع وتزول في مجتمع شيوعي حيث تكون له المرتبة الأولى .

نقد العلم وفكرة الرقي

في الجهة الثانية من هذا الصراع الفكري » يقوم هؤلاء الذين يحملون العلم والتكنولوجيا مسؤولين معاً عن الشرور والويلات التي تنزل بالبشرية فهم يشهّرون » في آن واحد » بعجز العلم العقلاني عن الوصول الى الحقيقة» كما يعترفون بما له من قوة هائلة على تغيير هذا العالم . وهذه النظرة تتجسد بأتم صورها في شخص غبرييل مارسيل أحد تلامذة برغسون الذي يرفض التسليم بالحضارة الصناعية وبالعلم . فبعد ان ارتدّ واعتنق المسيحية» فقد حاول أن يستبدل الوسائل الكفيلة بتأمين المعلومات الطبيعية»

بالأيمان والرجاء المسيحيين . الا ان تحرزه من العلم البشري لصحبه تشاؤمية عميقة حول معنى تطور الحضارة ، اذ بنسبة ما تتطور الحضارة الصناعية ، فهي تخلق العراقيل أمام الايمان الذي وصل الينا من السلف الكريم . فنحن أمام حركة انكفاء وتقهقر ، يترتب علينا معها ان نتسلق بثبات المرتقى الذي انحدر منه الفكر الحديث خلال هذين القرنين .

فكل العناصر الحافظة التي تعي بصورة غامضة النتائج الاجتماعية التي يؤدي اليها تطور الصناعة الضخمة عاجلاً أم آجلاً تثير في أثره وتتكيف به واذ ذاك يتكاثر النقد وتتوالى المظالم التي سبقت وارتفعت عالياً ، خلال القرن التاسع عشر ، شاجبة بشدة الآلية والتقنية ، فتشرك في ازدرائها العلم والعقل معاً . ومنذ عام ١٩٣٠ ، برز جورج دوهاميل في كتابه : « مشاهد من الحياة الأخرى » كالناطق باسم هؤلاء الذين يرغبون في الدفاع عن الفردية ضد دكتاتورية « الآلة » ، الذين ينزلون باللائمة على الحضارة الآلية هذه « السلعة الهائلة » ، « حضارة الحشرات » هذه التي ستفضي في نهاية المطاف ، إلى امتصاص الجماعة للفرد ، والتي ستلتهم كلياً كنه الحضارة الحقيقية : التنوع والصفة .

ولما كانت الآلة شراً في ذاتها وتحمل في طياتها المصائب والويلات ، أفلا يتوجب ، والحالة هذه «تكبيل بروموتيه الجديد» وتقييد «هذا المجرم الحقيقي» ليس « لانه عدو الفكر» فحسب» بل ايضاً لانه مسبب البطالة والبؤس ، بتحويل الاجور إلى حصص وأسهم رائجة . ولعل واحداً من أنشط المثابرين لشجب التطور التقني ، هو جوزف كايو الذي يشهّر عالياً « بالتقنية المجرمة » مصدر الفوضى الاقتصادية وباعثة عدم التوازن الخلقي » . هي هذه الاختراعات التقنية الكبرى بالذات التي جلبت البطالة لعشرين مليوناً من العمال العاطلين . ان درس سد كمبس والعبرة المستمدة منه تؤيد ذلك وتثبته حسب زعمه . الى أي كارثة سيؤول بناء محطة كهربائية ، مركزية عندما تأخذ بالانتاج يديرها ٢٥ عاملاً بعد ان طوحت ورمت في البطالة ١٢٠٠ عامل كانوا يعملون في معامل كمبس ، دون أن يؤول هذا كله الى أي تخفيض في سعر الكهرباء . فهو قلق ، مهموم ، يحزن لسطوة وسيطرة « البدائيين » الممثلين بهؤلاء التقنيين . « فالى أي مخاطر لا تستهدف ، والى أي رزايا لا تتعرض الشعوب ، اذا لم تسارع النخبة للتدخل بسرعة للحد من طغيان الحضارة الصناعية » .

الحرفية الجديدة

هذه الايديولوجيا اللاتقنية ، التي ترتبط وثيقاً بالحنين إلى الماضي وبالعودة إلى « القيم الروحية » تجد متنفساً طبيعياً لها في هذه النظريات والآراء التي تكون النقيض لهذه الفردانية الليبرالية ولهذا النظام القانوني المنحدر الينا من الثورة الفرنسية الكبرى ، هو بالفعل الحرفية الحديثة التي ترغب في تنظيم الانتاج ، وفي القضاء على النزاع الطبقي عن طريق تنظيم المهن او الحرف بعد تحويلها الى هيئات وسيطة تستطيع الهيمنة على فردانية أرباب العمل والصمود في وجه العمال في وقت واحد . هي نظرية قديمة سبق ونادى بها دونما جدوى بعض الكاثوليك المناهضين للديموقراطية ، وللنظام الجمهوري

معاً ، من اتباع دي لاتور دي بان الذي صوبت الأزمة الانوار اليه فجأة وأثارت حوله فضول كل هؤلاء الذين يرفضون التعرف بالاشتراكية ، والذين يبحثون ، مع ذلـــك ، عن علاج للفوضى التي يتخبط فيها النظام الليبرالي . هم في الغالب شبان من مثقفي الكاثوليك يبسمون للفاشية ، والذين يبشرون بهذه المثالية الابوية المهنية . وبالفعـــل ففي كل مكان ارتفع فوقه نظام الحرفية ، أي في هذه البلدان الواقعة تحت النظام الدكتاتوري ، لم يكن هـــذا النظام تنظيماً حراً ينسّق مصالح الجميع ، بل أداة طيعة في أيدي القوى الكبرى المتحالفة مع السلطة الدكتاتورية لتـــأمين مصالحها الخاصة : ايطاليـــا الفاشية ، وبرتغال سالازر ، ونمسا دلفوس ، واسبانيا فرنكو . فلم يتحقق في أي مكان الادارة الذاتية ، لأصحـــاب المصالح حتى لمجموع أرباب العمل .

تمجيد الحرفية

نكاد نجد لدى جميع الدعاة للحرفية من فرنسيين والمان وايطاليين محاولات تمجيد لها وتقييم لمنظمات العمل القديمة على اختـــلاف مظاهرها كالمهنية والمزارعية . ففي المانيا ، سلّطوا الأنوار نحو آثار الاقتصادي الكاثوليكي آدم مولر المنافح الأكبر عن النظام الاقطاعي والداعية له . وفي كل من فرنسا وايطاليا سلطت الاضواء على جورج دوهاميل وكايو وجيـــنا لمبروزو مزيرو الذين يمجدون « النوع » الذي لا يمكن ان يتـــلاءم مع « الكم » ، العمل الاثير الذي هو في صميم ذوق العرق او الجنس . « على العالم ان يتجه وجهة فرنسا نحو الصناعة الزراعية والمهنية ، التي تستعين في تجويد عملهـــا ، بادوات دقيقة تيسر الكهرباء استخدامها ... » « ان أغلى المصنوعات او المصوغات في وقتنا هذا هي التي لا تخرج من المصانع الكبرى ... » . كل بلدان العالم تبذل اليـــوم جهوداً طيبة في تنظيم الحرف بمساعدة الحكومات المعنية . فقد تأسس في فرنسا : الاتحاد العام للحرفية ، كما قام في ايطاليا : الاتحاد الفاشي المستقل للمجتمعات الحرفية ، وقامت في بولونيـــا جمعية عرفت بالغرف الحرفية . والدعوة إلى الحرفية ، انما تستهدف إلى جانب مهاجمة المكننة ، إنقـــاذ « طبقة اجتماعية تقع بين رأس المال وبين أصحاب الاجور » و « احياء كل مـــا اضطر الانسان للتخلف منه والعزوف عنه » . في اندفاعه نحو الاستمتاع الهين : « كالروح العائلية ، والروح الحرفية ... واحياناً الروح الدينية ... » فبعث الحرفية الى الوجود يعتبر عنـــد الداعين له علاجاً للازمة التي يتخبط فيها العالم الرأسمالي ، من شأنه أن يجنّب الصناعة الضخمة والمكننة المخاطر التي تتهددها دون أن تمس بشيء البنيان الاجتماعي القائم . هـــذا هو بالذات الموضوع الاثير للدعاوة التي يقوم بها الحزب الوطني الاشتراكي في المانيا ، هذا الحزب الذي يكتسب الفلاحين في وجه الاستثمارات الضخمة المصنّعة ويعبّىء العمال الشباب في وجـــه التقنية التي تذل الانسان وتسخره كالآلة وتؤدي به إلى البؤس والشقاء بحيث يجب تدريـــع الشبيبة الالمانية ضد عمل خالٍ من الروح الذي يقضي شيئاً فشيئاً ، على النفس البشرية ، ويهبط بالروح

الى درك الآلة او الجهاز الآلي . ولذا انصبت الاجراءات الأولى الحربة بالملاحظة والاهتمام التي اتخذها النظام ، على تنفيذ الاشغال الكبرى « بالربش والجرفة والمعول والمنكوش » .. « كل الاعمال يجب أن تتم عن طريق القوى البشرية بنسبة ما يمكن الاستغناء عن المسعفات الآلية . وحيث يكون من أثر العمل البشري زيادة الاثراء غير المتناسب » . ففي صناعة الزجاجيات ، في مقاطعة التورنج ، حظرت الحكومة استخدام الآلة الميكانيكية في نفخ الزجاج ، ففي هذا توفير « العمل والخبز لعدد كبير من العمال » .

في كل بلدان العالم ، جرت محاولات لبعث العمل اليدوي بعد ان جرى تحديـــد استخدام بعض الآلات . فالتشريعات التي صدرت في عهد روزفلت حدّت من استخدام محولات بسمر كما حددت المدة التي يمكن خلالها تشغيل بعض ادوات الحياكة ، كما ان عـــدداً من البلديات في اميركا اوجبت تنفيذ بعض اعمال الحفر ونقل الاتربة بالربش والمعول . ففي انكلترا وفرنسا ، جرى إتلاف آليات لنسيج القطن والكتان . فارباب العمل والعمال (عمـال الموانىء وصانعي البراميل ومدحرجيها) وقفوا في وجه استخدام سفن الصهاريج في نقـل الخمور من الجزائر بعد ان اتضح للجميع « ان التطور التقني يكوّن منافسة غير مشروعة » .

كل هذه المواقف على اختلافها ، تشهد عاليـا على القلق والانزعاج الذي يسببه التطور الآلي والذي يبدي النظام الاقتصادي حياله عجزه التام عن تلافيه . « يترتب الآن تحرير الانسان من نتائج هذا الرقي المادي الذي لم يلاق بعد توازنه مع الرقي الفكري والادبي » كما صرح بذلـــك ب. فلاندان رئيس مجلس الوزراء .

فباستثناء الماركسيين ، قليلون جداً هم الكتاب والفلاسفة الذين بقوا على ولائهـــم لفكرة الرقي والتطور . وعندما يعلن اندريه جيد عن ايمانه الوثيق « بالقوى التي يعتبرونهـــا ضارة ومؤذية والتي يمكن ان تصبح بدورها عوامل قوة ورقي » ، فهو يقرر العودة الى هذا الموضوع في كتابه : الاغذية الجديدة ، يبقى في شبه عزلة ، ويثير بين اصدقائه هذه الشفقة والحسرة عندما يرون كاتباً يهتم مثله بدقائق الامور ، يتجرأ ان يتفوّه بشأن الرقي المادي « بمثل هذه التأكيدات الضخمة التي تكاد تكون بدائية » . ففي نظر الفكر البورجوازي ، هذا المثال الذي تبنته النخبة في فرنسا ، منذ القرن الثامن عشر ، اصبح الآن « عقيدة بالية » ، وقيمة مهملة يتمسك بهـــا « الفكر البدائي » .

اعادة النظر في الايديولوجيا الاقتصادية

شجعت الازمة التعجيل باعادة النظر في البنيان الاقتصادي وخلخلة المبادىء والنظريات التي كانت سائدة بشأنه في مطلع هذا القرن . ان عبرة الحرب العالمية الاولى والقضايا التي طرحتها على بساط البحث ممـــا يتصل بالنقد والتجارة الخارجية وتنظيم الانتاج القومي وتوجيهه والدروس المستمد من تاريخ الاتحـــاد

السوفياتي ووضعه حيث قام وترسخ نظام مضاد للرأسمالية ، كل هذه العوامل ، ارغمت علمـــاء الاقتصاد على توجيه ابحاثهم ودراساتهم وجهة اكثر واقعية مما عملوا في المـــاضي ، وعلى اعادة النظر في النظريات الكلاسيكية على ضوء الوقائع المعاصرة . ان عدداً لا يستهان به من المعطيات او المسلمات التي اعتمدها الاقتصاد التقليدي اصبحت الآن قابلة التجريح بعد ان اتضح بجلاء ان الاقتصاد الحر لم يكن ، كما كانوا يعلمون ، اقتصاداً تتوازن معه تلقائياً المصلحة العامـــة ومصلحة المنتجين الخاصة ، وان الملطوسيانية الاقتصادية اصبحت من الأمور المصطلح عليهـا ، كما ان الحرية القضائية كانت تشجع على الاحتكارات على حساب اصغر الاستثمارات وعلى حساب المستهلكين على اساس اتفاقات يعقدونها فيما بينهم ، تفادياً او بالأحرى تخلصاً من المنافسة .

فالضائقة المالية الكبرى التي قضت بالتخلي تدريجياً عن هذه الليبرالية المشبعة بالتفاؤل ، قضت بانشاء مصلحة او ادارة خاصة بالاقتصاد ، ومراقبة فعالة تحمي المجتمـــع من جشع المحتكرين ومن المنتوجات الفرعية . فاتسع الافق امام رجال الاقتصاد ورحب واخذوا يهتمون على الاخص بظاهرات اختلال التوازن وبالازمات بحثاً عن الوسائل التي تؤول الى تقنية النشاط الاقتصادي . وفي الوقت ذاته ، وضعت تحت تصرفهم ادوات جديدة للتحليـــل في القياس الاقتصادي الذي يساعد على الوصول الى الحقائق والوقائع بصورة ادق وانجع كما تساعد على التنبؤ والتحكم وبالتالي بتطور الانماء . ومن جهة اخرى ، فالاقتصاد الماركسي وانجـــازاته في الاتحاد السوفياتي ، وانتفـــاء الازمات في « البلدان الاشتراكية » اصبح موضوع دراسات دقيقة . فالماركسية لما تعد لتبدو للبعض هرطقة او نشوزاً عن طريق العـام . فقد لقيت المزيد من الاهتمام والتحليل ، والتعليق والتفسير من قبل هذا الفريق بالذات الذي لا ثقة له فيهـا ولا ايمان بفعاليتها او من قبل الذين يوجسون خيفة من نفوذها (اميل جيمس) .

وهكذا برزت للوجود نظريات جديدة حول الربح والاجور والفـــائدة وطبيعة النقد والاسعار في نظام اقتصادي خاضع لمنافسة ناقصة وللاحتكار من قبل قلة من المحتكرين ، وقد اخضعت لتحليل دقيق النظريات التي تفلسف للازمات الاقتصادية « ولدوراتها » بعد ان راحوا يحاولون تحديد اسبابها ومسبباتها (قـلة الاستهلاك ، تأخر في رفع معدل الاجور ، حركات التسليف ، الغلو في تصنيع الانتـاج) ، والبحث عن العلاجات اللازمة لهـا . وينصح هؤلاء باللجوء الى التخطيط الكامل مع اعتماد اصلاحات شتى تتناول سمع البلبـــان الاقتصادي ، والمراقبة الشاملة والتوجيه البسيط للاقتصاد ، مع مراقبة القطاع المصرفي والصناعات الرئيسية . وفي وجه انصار التدخل انتصب انصار الليبرالية التي لا تزال ناشطة « كل مساوىء نظامنـا المخجلة يجب ردها اصلا لتدخل الدولة » كما يؤكد (ويب) ولكن الليبرالية تختلف كثيراً عن الصورة التي بدت منها في مطلع القرن ، ليبرالية مستحدثة بالاحرى تستلهم نظريات ولتر ليبمان (المدينة الحرة) وتتصدى لمراقبة الدولة دون ان تتشبث بالعودة الى حرية التجـــارة المطلقة ودون ان تستثني كل مظهر من مظاهر تدخل الدولة .

ج. م. كينز

في هذه الازمة المطبقة ، وفي الوقت الذي ارتدت فيه علاقات الحكومات ومداخلاتها طابعاً تطبيقياً دون اعتماد اي نظرية علمية متينة ، نشر كينز ، عام ١٩٣٦ كتابه المشهور : نظرية عامة للتوظيف والفائدة والنقد ، كان له من حسن الوقع والتأثير ما حمل بعضهم على وضعه الى جانب كتاب آدم سميث المعنون : « ثمني الامم » ، او الى جانب « النداء » الشيوعي . ويرى سوفي ان كينز هو منقذ او مخلص النظام الرأسمالي بعد ان تخلت نظريته عن بعض وجوه الاكراه والقسوة في الحرية دون ان تستهدف من ناحية اخرى ، للسقوط في وجوه الاكراه التي تعتمدها الجماعية او النظم الدكتاتورية . ومع انه كثيراً ما يدنينا من كارل ماركس ، فكينز ليس من خصوم الرأسمالية . فهو لا يرمي قط لقلب هذا النظام عن طريق اصلاحات تتعرض لتركيبه او بنيانه في الصميم . بل يهدف الى تحسين عمله : كحرية الاستثمار واحترام الملكية الخاصة ، كما انه لا يوصي لا بالاقتصاد الموجه ولا بالتخطيط . « فالثورة التي اتى بها كينز » تقوم في تدليله القاطع على ان النظريات الكلاسيكية لا تصلح الا لمجتمع تنتفي منه الاضرابات والاعتصابات وان المهم في الامر هو الانتاج وليس التسويق او الانفاق او التنفيق . فالمظاهر الاقتصادية يجب النظر اليها ليس من الوجهة الفردية في نطاق المشروع الاستثماري الخاص بل من الوجهة الاقتصادية الاجمالية اي في مجملها او كليتها ، في نطاق النشاط الكلي او الشامل . ففي التفسير الخاص للعالم الاقتصادي الرأسمالي يوضح لنا كينز ان هنالك الآن توازناً في نقص العمل وان هذا التوازن ليس بعارض كما انه ليس باختياري او رضائي ، بل انما هو حصيلة عدم تكافؤ في نفقات الحاجيات الاستهلاكية . وعدم التكافؤ هذا هو الذي يحد من التوظيفات وبالتالي من الاستثمارات . وللخروج من الازمة ، فالعلاج التقليدي الذي يعتمد تخفيض الاجور لا يجدي نفعاً ، بل يقتضي بالاحرى العمل على تشجيع الطلب بحيث يكف المدّخرون عن الادخار غير الجدي ، ويحملهم على توظيف اموالهم ، والتخلي كلياً عن عبادة العجل الذهبي او قاعدة الذهب طالما مارسوها وانصرفوا اليها ، وذلك بطرحهم المزيد من النقد في التداول ، وباعتماد سياسة التسليف الطويل الاجل ، وبتخفيض نموذجي لمعدل الفائدة والتوظيفات العامة والاشغال الكبرى مما يؤول بالنتيجة الى توزيع جديد للدخل ويثير بدوره طلبات جديدة . وهكذا يتاح للاقتصاد الخروج من الجمود الذي يرسف فيه . فالحماية الجمركية من شأنها ان تؤول ، اذ ذاك ، الى زيادة في الدخل القومي والى رفع مستوى التوظيف حتى ولو ادى الامر الى استثمارات تكلف غالياً ويأتي مردودها بالطبع عالياً . وهذه النظرية « تركي بصورة متجانسة ، الى حد كبير ، سياسة تدخل الحكومة » . فقد اتاحت انقاذ الرأسمالية والارباح التي تحققها « بتجنيبها البطالة او بالحد منها » كما يقول ج. مارشال . ومع انها تمثل وضعاً خاصاً الى حد كبير (هو وضع بريطانيا المظمى) ، فهي تحوي الكثير من عوامل التشويق كما « استعملت منطلقاً لهذه التيارات الفكرية التي انطلقت منذ ذلك الحين » . (ا. جيمس) .

التعرض بالاذى لبعض المبادىء الليبرالية التقليدية

رأينا كيف ان الليبرالية المستحدثة تختلف اصلاً عن الليبرالية الكلاسيكية التي كانت تتوسل الى الدولة المحافظة على النظام وصيانة الأمن ، والامتناع على الاخص ، عن كل تدخل ، في الحياة الاقتصادية . وفي هذا دليل قاطع على ان عدداً من الافكار والمبادىء القديمة التي اعتبرت للآن « لا تمس » ، اصيبت ، في نهاية الامر ، في الصميم .

من هذه المبادىء ، قبل كل مبدأ آخر ، فكرة الملكية او الحيازة « ففي الاستعاضة عن بعض الجدران او عن بعض اجهزة المصنع برزمة من الاسهم » يقتل التطور الرأسمالي « كل معنى لفكرة الملكية الخاصة التي اخذت تفيد ، اكثر فأكثر ، معنى الخدمة الاجتماعية » كما يؤكد شمبتير . هذه هي الحجة التي يتذرع بها مناصروها لتبرير الربح كما يتذرع بها خصومها الذين يطالبون باخضاعها للمراقبة من قبل المجتمع . فالنصوص القانونية العديدة التي تحد منها او تقصرها او تنسخها احياناً ، تحاول ان تستبدل المعنى القديم للمالك الذي له ملء الحرية بالتصرف بملكه كما يشاء ، بالمبدأ القائل بأن الاستثمار هو مصلحة اجتماعية ، وبأن « رب العمل » لا يستطيع التصرف به على هواه او حسبما تقتضيه مصلحته الخاصة ومنفعته الذاتية ، فيخفض من انتاجه ويتوقف عن تأمين حصته من الانتاج وفقاً «للحاجات المشتركة» . فالقوانين التي تنظم العطلة الاسبوعية او الاسبوع الانكليزي ، كما يقولون ، واسبوع الاربعين ساعة عمل ، والاجازة المدفوعة ، وحوادث العمل والضمان الاجتماعي ومندوبين يمثلون الموظفين ، تحد من سلطته التي كانت من قبل مطلقة .

كذلك صاحب حرية التعاقد تغييرات جذرية . فقد كان التعاقد ، فيما مضى ، افرادياً لا يربط سوى الفريقين المتعاقدين ، ولم يكن بوسع الشارع تغيير مضمونه . اما اليوم ، فالعقد موجّهٌ هو وجماعي . فالقانون وضع فوق حرية الجانبين المتعاقدين مراعاة حقوق الشخصية البشرية . فهو يقف الى جانب الافراد « الضعاف اقتصادياً » : كالعمال والمستخدمين والمدينين والمستأجرين والزبائن ، ويعين التزاماتهم بينما يزيد من حقوق الاقوياء : كأرباب العمل والدائنين واصحاب الأملاك ، ليس في وقت تحرير العقد فحسب ، بل ايضاً طيلة استمرار العقد : كتخفيض الايجارات ورسوم المزارعة وسعر المحلات التجارية وطول يوم العمل وتنظيم شروط تجديد العقد ، وتبقي مستأجراً في محله بالرغم من إرادة صاحبه ، وتلزم بالتقيد بنصوص الاتفاق حتى من كان معارضاً أو معادياً له ، والاتفاقات الجماعية التي تعقدها المنظمات النقابية وأرباب العمل والعمال « الأكثر تمثيلاً » .

وفكرة الأجر دخل تعدي على معناه وفحواه . فقد انقلب المعنى رأساً على عقب من جراء القوانين التي تنظم التعويضات العائلية والضمانات الاجتماعية . فالعامل لم يعد يتناول أجره عن العمل الذي يؤديه فقط ، وأجره هذا لم يعد مرتبطاً بقانون العرض والطلب ، إذ ان قسماً منه يدخل في صميم تعويض الأسرة . والعقود الجماعية تأخذ بعين النظر الحد الأدنى للمرتب اذ لم يعد الأمر محصوراً فقط بعامل الانتاج بل بالعنصر البشري أيضاً .

١ ـ لينين يتكلم الى الشعب في ١٩١٧ من على منبر مقام في ساحة بتروغراد .

٢ — خندق في ١٩١٧.

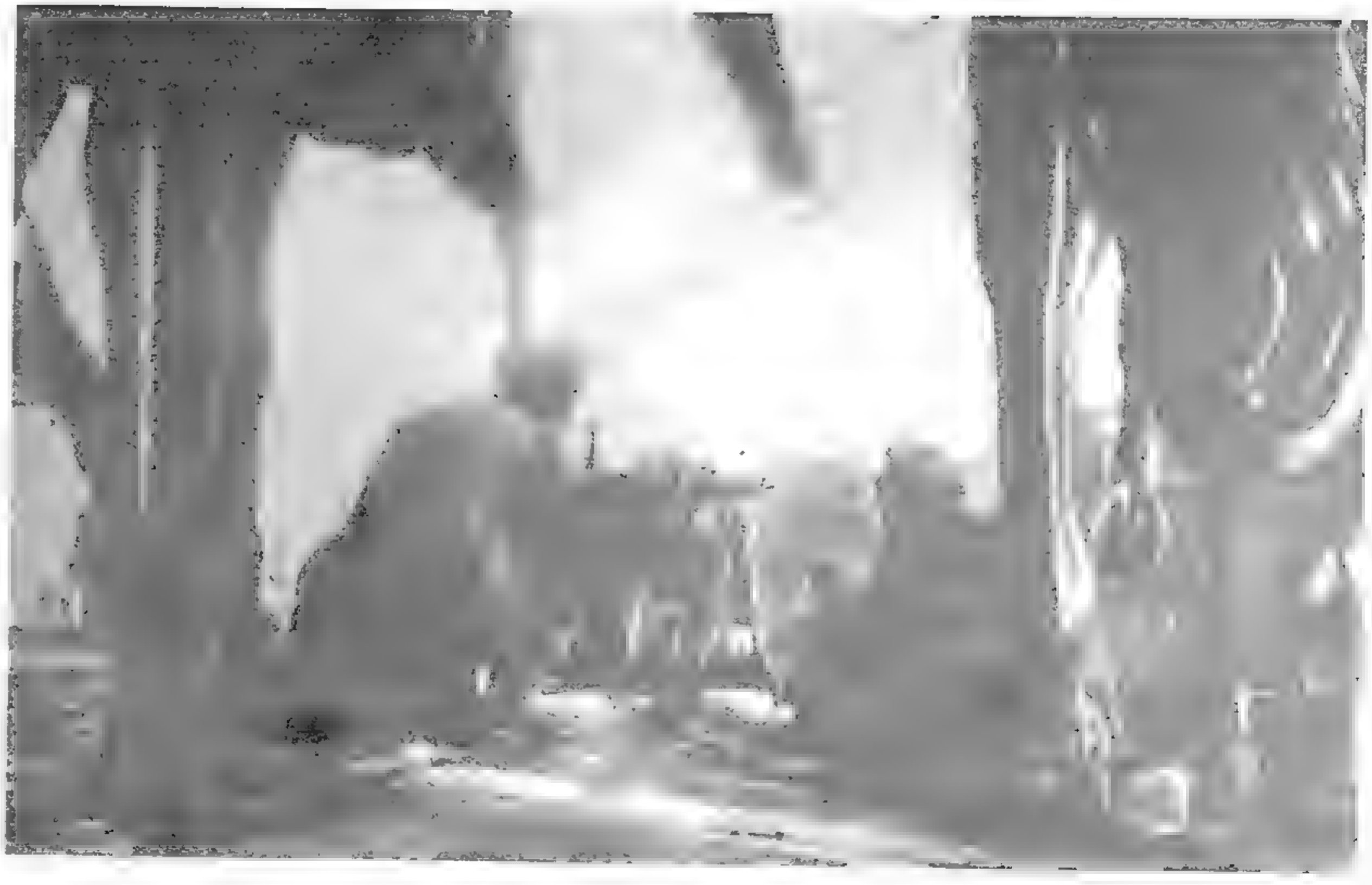

٣ — قمع الفتنة السبارتاكية في برلين في السنة ١٩١٨ .

٤ – توقيع معاهدة باريس مع المانيا في قصر فرساي ، في ٢٨ حزيران ١٩١٩

■ ... مصفق باريس . جلسة السوق اليومية للاموال المنقولة .

٦ – بيكاسو ، « غرنيكا » .

٧ — مهرجان نازي في نورمبرغ . مؤتمر الحركة الوطني في ١٩٣٨

٨ - حارسان من الـ « باليلا » في روما. نموذج من الروح العسكرية التي حلقتها الفاشستية في الشعب .

٩ — معسكر الابادة في « بوكنووالد » كما اكتشفته الجيوش الحليفة الظافرة .

١٠ – المرفأ الصنعي لانزال الجيوش في « ارّومانش » .

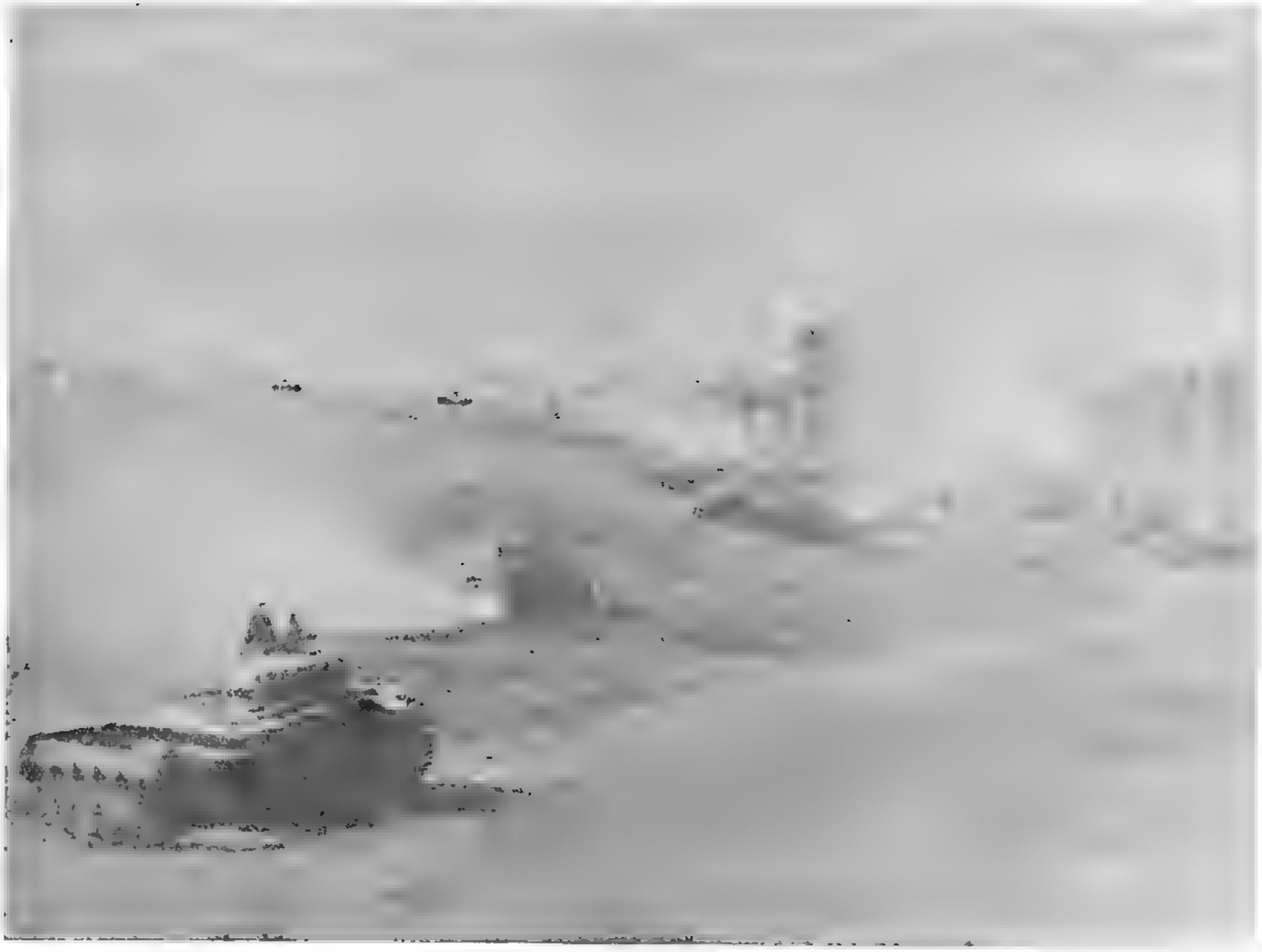

١١ ـ الدبابات الكندية تهاجم اسلحة مدرعة المانية مطوقة في منطقة آلنسون، في آب ١٩٤٤ .

١٢ – مرفأ « الهافر » الذي دمرته الغارات الجوية في ١٩٤٤

١٣ ـ تحرير باريس . آب ١٩٤٤ .

١٤ – مؤتمر يالطا : روزفلت ، وشرشل ، وستالين ، مجتمعون في الفرم ، في ١١ شباط ١٩٤٥ .

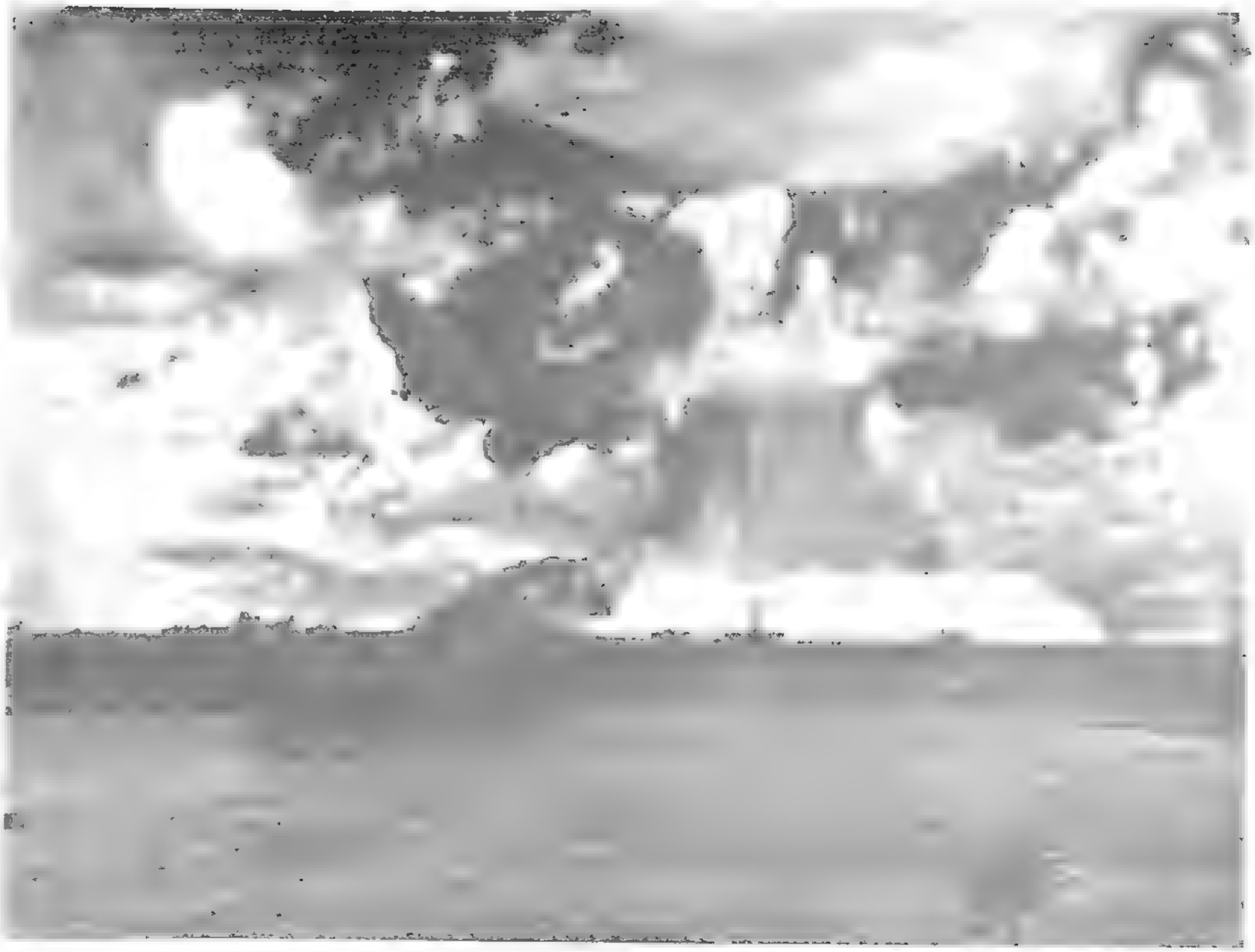

١٥ – انفجار قنبلة ذرية في بيكيني . حزيران ١٩٤٦ .

١٦ ـ قصر منظمة الامم المتحدة فى مانهتن (نيويورك) .

الفصل الخامس

الأزمة ونتائجها السياسية

الفاشية ليست سوى الرأسمالية تتنكر لاصولها الليبرالية بحيث تكيف البنيان الاجتماعي للاقتصاد مع الاوضاع التي تكون فيهـا الفكرة الليبرالية قاضية على الفكرة الرأسمالية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .

« د . لاسكي »

١ – تقهقر الليبرالية وأزمة الديموقراطية البرلمانية

زعزعت الازمة الاقتصادية النظم السياسية من أسسها ولاسيما النظام البرلماني الذي كان يرجى له أن يؤدي انتصار الحلفاء عام ١٩١٨ وخروجهم ظافرين من الحرب كما كان متوقعاً ، إلى توطيده وترسيخه أكثر فأكثر . الا ان التقهقر أخذ مع ذلك يدب إلى الليبرالية اينما كانت كما ان صلاحيات السلطات التنفيذية رَحُبت واتسعت هي الأخرى .

ساعدت الأزمة بالفعل على زوال الظروف والأحوال التي مكنت من قبـل لسير النظام البرلماني سيراً سوّياً ، اذ ان اتساع البطالة في العالم وانخفاض القدرة الشرائية ، والخراب الذي نزل بالطبقات الوسطى وبسكان الريف ، زادت من احتـدام الصراع الطبقي كما ازدادت إلحاقاً المطالب الاصلاحية التي تبناها وأخذ ينادي عالياً بها انصار العاملين للاصلاح . ألم يكن ليوجس المرء خيفة على الحريات السياسية ، ولا سيما على حرية التجمع من ان تسيء الجـماهير استعمالها بعد أن أخذت تهفو إلى حقوق جديدة وتطمح في تحقيقها ؟ هذه الحريات التي تتهدد التسلسل الاجتماعي خطيرة هي ولذا كان لا بد من قتلها أو أقـله اغفالها وتجنبها . وفي سبيـل إنقاذ الملكية او الحيازة ، راح قسم من الطبقات الموجهة يتنكر لليبرالية وينضم للثورة المضادة بسهولة أكبر بعـد ان كشفت الازمة عن عجز الديموقراطية النيابية وقصورها في حـل مشكلات الساعة .

ان الاستئثار بالسلطة اي توفير الوسيلة التي تحمل الخصم مسؤولية خسارة الاشياء الضرورية او المصيرية ، هو المفهوم العالق للتخلي عن النظام البرلماني من قبل الدول التي كانت تتستر وراءه راضية » ، كما يقول لوفيفر . ففي عام ١٩٣٣ ، لم يعد قائماً على وجه الأرض أي نظام ليبرالي باستثناء الولايات المتحدة الاميركية وانكلترا ودول الدومنيون ، وفرنسا وهذه الدول الصغرى الواقعة الى الشمال الغربي او الى الوسط من القارة الاوروبية ، وبلجيكا ، والبلاد الواطية وسويسرا وتشيكوسلوفاكيا والبلدان السكندينافية .

تقوية مقام الرئاسة في الولايات المتحدة الاميركية

حتى في هذه الولايات المتحدة الاميركية المعروفة بضعف حكومتها المركزية ، فقد أتاحت الأزمة للرئيس الاميركي ان يقوّي من سلطاته إلى حد بعيد . ان الاعتراف للرئيس ، في الخطة الجديدة حق توزيع مساعدات على سبيل الهبة أو المؤازرة بلغت قيمتها ثلاثة مليارات دولار عام ١٩٣٩ ، دونما قيد أو شرط ، مكّن السلطة الاتحادية من ان تفرض ارادتها على الولايات لا سيما في ما يتعلق بالشروط والكيفية التي ترى صرف هذه المساعدات والتعهد من قبل الولاية المستفيدة بالك بعض القواعد والتقيد بالاصول والتدابير التي تتعلق بوضع العمال او بالخدمة العامة . وهكذا تمكنت الحكومة الفدرالية من وضع يدها على أراض وممتلكات كانت ترجع من قبل للولايات . وانشأ الرئيس روزفلت مصالح ودوائر جديدة امتدت صلاحياتها إلى عدد من الولايات وأنشأ مؤسسات تشترك الحكومة الفدرالية بادارتها مع ولايات أخرى (مشروع سلطة وادي تنسي) وكثيراً ما استحالت الولاية إلى مأمور تنفيذ لسياسة الاتحاد . ولم تعد وظيفة الكونغرس الوحيدة ، منذ ذاك ، تحديد السياسة العامة للدولة . فهو يوسع عن طريق مشاريع القوانين من الاختصاص التشريعي للسلطة التنفيذية . « فالتفسير الثنائي » للتعديل العاشر للدستور الاميركي الذي كان يمنع السلطة الاتحادية من التدخل في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية المحتفظ بها للولاية ، قد وضع جانباً منذ عام ١٩٤٣ ، عندما اعترفت المحكمة العليا بشرعية القوانين الاتحادية حول علاقات العمل والضمان الاجتماعي وتنظيم سوق القمح والاسواق الزراعية . وفي سنة ١٩٤١ ، على اثر الغاء كل التشريع القديم ، لم يبق من املاك تعود للولايات لا تستطيع الحكومة الاتحادية ان تطالها . وكان الرئيس هو المستفيد الاكبر من توسيع السلطات الاتحادية ، مهما بلغ من حرص مجلس الكونغرس على تشديد مراقبته على السلطة التنفيذية .

في بريطانيا العظمى

اشتدت وطأة الازمة في انكلترا وطن النظام البرلماني الاصيل . فقد اخذت البلاد ، في المجال التشريعي ، إسناد صلاحية التشريع لبعض الدوائر التابعة للسلطة التنفيذية ولبعض وزراء التاج . فالقانون الذي فرض عام ١٩٣٢ الرسوم على الاستيراد ، ترك لوزير المالية حرية الاعفاء او زيادة هذه الرسوم ، والقانون الآخر الذي صدر عام ١٩٣١ ، على المحاصيل الزراعية فوض الى الوزير المسؤول سلطة

فرض رسوم مانعة على المحاصيل التي يرى منعهـا او التقليل منها . والقـانون الصادر في عـام ١٩٣١ ، بشأن التوفير لا يشير من قريب او بعيد الى الوفر الذي يجب تحقيقه . فعـلى الوزراء ان يحددوها كل في ما يتعلق بوزارته . كذلك القانون المتعلق بالبطالة ، فهو يعهد بهيئة خاصة من الموظفـين الاداريين وليس بالسلطات المحلية مهمـة توزيع الاعتمادات المخصصة للتوزيع على المحتاجين . ولعـل القانون الاكثر تعبيراً لظاهرة الابتعاد عن المبـادىء الليبرالية هو قـانون الاغراء على التمرد والتحريض عليـه الذي صدر عام ١٩٣٥ الذي يمنـع بكل شدة محـاولات الاغراء والتحريض على العصيان او على التمرد ، فرمى الى حمـاية افراد الجيش من الدعـايات المغرضة والدعاوة للسلم بأي ثمن . فهو ينص على امكان إصدار مذكرات استنابة على بياض التي لم يكن اصدارها يُعد عملاً مشروعاً او قانونياً ، منذ نحو ١٥ سنة مضت . كذلك بطل العمل، في ايرلندا الشمالية بالامر للمثول منذ عام ١٩٣٥ .

والاحتراز من بعض المؤسسات او من بعض النقاد ظهر جلياً بين جميع الاحزاب ، فقد قام افراد امثال ونستون تشرشل وسدني ويب يلاحظون ان البرلمـان لا يستطيع الاهتمام ، كما يلزم ، بالقضايا الاقتصادية واقترحوا بان يتولى امر الاعتناء بمثل هذه الامور هيئة خاصة تتألف من خـبراء مستقلين ينتخب افرادها من بين جميع الاحزاب ، وليس من بين اعضـاء المجلس النيابي .

في فرنسا

اما في فرنسا ، فقد ادت الازمة الى إضعاف النظام البرلماني ، فآل الامـر الى شلل عام عطل او خلخل الانظمة الدستورية في البـلاد . فالقاعدة التقليدية للسياسة الفرنسية التي تقول ان الاتجاه الى اليمين في تشكيل الحكومات يقضي عنـد الشعب على الخوف من اليسار ، لا تزال قائمة . فكتلة اليسار تفوز مرتين بنجاح في الانتخابات العامـة ١٩٣٤ و ١٩٣٦ . وقد تمكن اليمين من طردها من الحكم عـام ١٩٣٤ و ١٩٣٨ . وفي سنـة ١٩٣٤ فسخ الراديكاليون تحالفهم مـع الاشتراكيين برفضهم مشروع مراقبة القطع ، كما وقفوا ، عام ١٩٣٨ في وجه كل مشروع يرمي لتأمين التسليف او يقـترح اصلاحات جذرية ، بعد ان ادخلوا على القوانين الاخرى التي سبق للجبهة الشعبية ان أقرّتها ، تعديلات جعلتها غير ذي جدوى . ولما كان للقضايا المالية والاجتماعية اهمية قصوى، فقد احتدم حولها صراع الاحزاب التي اخذت تقف منهـا موقفاً متصلباً يتفق ومبادئها ، والامتناع عن المساومات التي تهدد بحرب اهلية .

فالنجاح الذي حققه الحزب الاشتراكي في انتخابات ١٩٣٢ ، ولا سيما انتصار الجبهة الشعبية عام ١٩٣٦ ، ادخلت القلق الى نفوس الطبقات الموجهة ، في الحين الذي كان فيـه فوز الانظمة الدكتاتورية في كل من ايطاليا والمانيا يدعو للاحتذاء بها والنسج على منوالها . والحـال ، فبعد انتخابات عام ١٩٣٢ التي اعطت المجلس النيابي اكثرية تشبه الاكثرية التي نالها التجمع عام ١٩٢٤ اخذ عدد من « الاعيان » المتربصين بالازمة المالية ، والذين كانوا يعيشون تحت كابوس الامثولة الروسية ، يفقدون كل ثقة باللعبة البرلمانية بعد ان كانوا رضخوا لها واستسلموا لهـا مسايرة ،

فراحوا ينضمون كأسلافهم عام ١٨٤٨ ، الى هذا الفريق الذي كان يقترح قيـام حكومة قوية تكبح من جماح زعماء « الحركة » وتأخذ دونما خوف او وجل بسيـــاسة حازمة تدافع عن مصالحهم ، لا تتغير دورياً مع الانتخابات ومعارضة العمال ، ولا تكون في كل مرة موضوع بحث ونظر .

فتقاليد اليمين الفرنسي ، وموقفه العدائي من النظم الديموقراطية والجمهورية لهـــا عروقها القديمة . ان تقاهة بعض رجال السياسة ، والاعمال المريبة التي يأتونها في المجـــالات السياسية والمالية ، غذت في النفوس نفرة من النظام البرلماني اعترت افراد الشعب من قبل ، فراحـــوا يذكونها في صدور الشبيبة البورجوازية والمنظمات القومية : كالشباب القومي وعصبة القوميين الذين كان برنامجهم الغامض الوقوف الى جانب السلطة التنفيذية ويمتّ بسبب وثيق الى التيـــار الاستقلالي البونابرتي . اما الفئة الاكثر تصلباً من هذه كلها بالرغم من قلة عـــدد اعضائها ، فكانت فئة « الاكسيون فرنسيس » التي كانت تعمل وفاقاً لبرنامج سياسي معين هو اعـــادة الملكية الى فرنسا . والى جانب المؤسسات القديمـــة التي كانت تنادي على اقـــدار وانساب متفاوتة ، من التصريحات العنيفة الداوية ببرنامج اساسه المحافظة في الحقلين السياسي والاجتماعي ، أطل عدد من الاحزاب والهيئات السياسية الجديدة ، منها عصبة جورج فالوا ، والفرنسيسية ، والتضامن الفرنسي ، الذين لم يكن عدد اعضائها مجتمعين ليتجاوز بضعة آلاف ، الا انها كانت فاشية الطابع والصبغة في تنظيماتها شبه العسكرية وتفكيرها ودعوتها الى استعمال العنف . أما حزب « صلبان النار » الذي تألف من قدامى المحاربين والحاملين اوسمة حربية ، اعـــترافاً بأعمال البطولة والتضحية التي قاموا بها ، ويلقى مساعدة مالية من مؤسسة كوتي ومن ارنست مرسييه ، فقد انصرفت للعمل منذ عام ١٩٣١ ، فارتفع عدد اعضائها ، عام ١٩٣٢ من ١٥ الفاً الى ٣٥ الفاً ، الى ان ارتفع الى ٦٠ الفاً عام ١٩٣٣ ، وتكوّن حوله تشكيلات فرعية ، كأبناء الصلبان النارية ، والتجمع القومي للمتطوعين الوطنيين . كل هذه الفئات والاحزاب اخـذت تكثر من المظاهرات المضادة للروح البرلمانية . وفي ٦ شباط ١٩٣٤ واستغلالاً منها للهيجان الذي اقام الشعب الفرنسي لفضيحة ستافسكي المالية ، وتعبيراً عن عدم ارتياحهم لعجز الحكومـة وعدم تجانسها ، قام بمظاهرة اتجهت نحو مبنى المجلس النيابي ، انتهت بفتنة ، عقبها اصطدام دام مع البوليس ، الامر الذي أدى بالحكومة ، بعد انقسامها على نفسها ، وبعد عـدم اطمئنانها لموقف بعض الموظفين المدنيين والعسكريين ، قدمت استقالتها ، وتخلت عن الحكم للسيد دومرغ رئيس الجمهورية الاسبق الذي الف وزارة ارتكزت قاعدتها بوضوح على اليمين ، مع المارشال بيتان ولافال وفلاندان . فهذه الوزارة والوزارة الاخرى التي عقبتها برئاسة لافال سارت على سياسة انكماش مالي استمرت سنتين . واخذت الاحزاب التي استندت اليـها تزداد نفوذاً ، اهمها حزب صليب النار الذي ضم اكثر من مليوني عضو . ولم تلبث هذه المنظمة ان اتخـذت طابعاً شبه عسكري على مثال الحزب الفاشي ، بينما بقي برنامجه غامضاً اذ لم يخرج عن كونـه

حزباً يمينياً ، ينزع الى فرض السلطة كما هي تقاليده المرعية . ولم يعد الصراع ليقتصر على المجال السياسي والاجتماعي . ورغبة في عدم إضعاف « قوى النظام » العاملة في القارة ، تخلى اليمين عن سياسة الحزم والتشدد حيال المانيا ، وهي سياسة طالما حبذها واوصى باتباعها ، كما تخلى عن مشروع الاتفاق الفرنسي الروسي وانطلقت من جديد الروح الوطنية المتعصبة ضد بريطانيا. وما عتم ان اعرب الحزب عن رضاه وارتياحه لمهاجمة ايطاليا الحبشة ولمساعدة الدول الفاشية لفرنكو وللاتفاقات التي عقدت في مونيخ .

والتهديد الذي تمثله هذه الأحزاب ، لم يلبث أن انعكس أثره في التجمع وتوطين الرأي بين الأحزاب والهيئات اليسارية : كالحزب الراديكالي والحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي والاتحاد العمالي العام ، ورابطة التعليم ورابطة حقوق الانسان ، الخ. ، ليؤلفوا من بينهم لجنة متابعة وتوعية قوامها مفكرون من خصوم الفاشية ، أخذت تمهد للاتصالات وعقد الاتفاقات بين هذه الفئات ، مما أدّى الى عقد ميثاق وحدة عمل والى انشاء جبهة شعبية فازت بانتخابات ١٩٣٦ . وكان من شدة وجوم الطبقة الموجهة وأصحاب الشأن في البلاد أمام تشكيل حكومة ذات ميول اشتراكية يعضدها حزب شيوعي قوي أن أخذ زعماؤها يميلون أكثر فأكثر نحو حلول بالقوة . وعلى الأثر ظهرت من جديد تجمعات فاشية الطابع ، منها على الأخص الحزب القومي الفرنسي (*P.P.F.*) الذي تألف عام ١٩٣٦ بمسعى من العضو الشيوعي السابق دوريو الذي تلقى مساعدات ضخمة من رجال الصناعة ومن الحزب الفاشي الايطالي . ومن هذه الأحزاب ، الحزب المسمى « كاغول » ويشار اليه بالأحرف *C.S.A.R.* وهو عبارة عن جمعية سرية نعمت بحماية بعض الدوائر العليا في الحكومة والجيش . وأقامت هذه الجمعية علاقات مباشرة لها مع الحزب الشقيق الآخر بعد أن أمده بالمساعدة ، وفي سبيله قام بعض اعضائه بقتل الأخوة روزلي .

وهذا الصراع الذي تجاوز حدة وعنفاً كل ما سبقه من عراك في الفترة السابقة حال ، ليس دون القيام باي محاولة اصلاح للنظم والمؤسسات الفرنسية فحسب ، بل زاد عمل الحزب سوءاً في الوقت الذي استمر النظام في تطوره الوئيد الرامي لتعزيز السلطة التنفيذية . وهكذا أخذت شخصية رئيس الوزارة تبرز بوضوح من بين الوزراء بعد أن خلط بينهم الدستور الفرنسي الصادر ، عام ١٨٧٥ . ولأول مرة اعترف له القانون الصادر في ٣ كانون الأول ١٩٣٤ ، بوجود متميز ، كما خصه بخدمات وأدوار ادارية دائمة وقفاً عليه دون سواه . وبعد أن أصبح بالفعل رئيساً للحكومة أخذ رئيس الوزارة يمارس حقه بتأمين الانسجام والترابط بين مختلف الوزارات واللجان الوزارية المشتركة والتي ارتبطت صلاحياتها بعمله . كذلك أنيط به الاشراف على اللجنة الاقتصادية واللجنة المتوسطية العليا ، واللجنة المسكونية العليا ولجنة الشؤون الاسلامية ؛ والمراسيم الاشتراعية بنوع خاص التي تتجلى فيها السلطة التشريعية عن بعض صلاحياتها تسهيلاً لعمل السلطة التنفيذية ، لم تلبث أن أصبحت أداة كثيراً ما تكرر اللجوء اليها لاعداد

مشروعات القوانين ، بحيث تفرض على البلاد تدابير واجراءات لا تحظى كثيراً بتأييد الشعب لها . ومنذ عام ١٩٣٣ ، ولا سيما منذ ١٩٣٧ ، تكرر مراراً طلب التسلح ببراسيم اشتراعيـــة بشأن التشريعات الاقتصادية المعدة لتأمين التوازن في موازنة الدولة ، والدفاع عن الفرنك ضد المضاربات المالية ، وكبح التعديات على أموال الدولة ، ومراقبة الاسعار والاصلاح الاقتصادي . وبعد سنة ١٩٣٤ ، تمت معظم الاصلاحـــات الكبرى في البلاد عن طريق المراسيم الاشتراعية . فقد عملت الحكومة بهذه المراسيم بين ١٩٣٧ – ١٩٣٩ ، ثلاثـــة عشر شهراً على ٢٦ شهراً .

الدول الليبرالية الاخرى

هنالك بلدان ودول أخرى بقيت على ولائهـــا لحرية التجارة تركت فيها الأزمة الاقتصادية أثراً ظاهراً في سياستها.

فمع استمرار العمل بالنظام البرلماني في بعض البلدان ، فقد قامت فيها ، بالرغم من ذلـك أحزاب فاشية بعضها ضعيف يدعو للسخرية برئاسة موسلي في انكلترا ، مثـــلاً وبعضها انشط وأقوى ، كما في بلجيكا حيث أسس شاب كاثوليكي هو ليون دفريل ملشيء جريـــدة أسبوعية بعنوان « ركس » اشارة بذلك الى المسيح الملك كما أنشأ حزباً « ركسياً » أخـــذ على نفسه مهاجمة « حكومة الفاسدين » ، كما أخذ ينشر بين الملأ ، صوفية الزعيم ، واستأنف العمـــل بأساليب الدعاوة مردداً: « الظفر للركس » ، منادياً بالشعارات التالية : مناهضة الرأسمالية . مناهضة الاشتراكية . مناهضة الليبرالية ، كما راح يطالب بتأسيس نظام يرتكز عـلى الأسرة والمهنة ، مع هيئات ومجالس مهنية ، وسلطة تنفيذية قوية ، ومجلس نيـابي له صلاحيـات ضيقة للغاية . وبعد أن جمع أنصاره من رجال الفكر الكاثوليكي وتحالف مع القوميين الفلمنكيين الذين كانوا حصلوا على حق « فلمنكة » التعليم في مقاطعة الفلاندر ، فقد كتّب له الكتائب من سكان الريف ومن بين العمـال الكاثوليـك ، وحصـل في انتخـابات عام ١٩٣٦ عـلى نحو ١٢ بالمئة من مجموع أصوات الناخبين وعلى ٢١ مقعداً . وأخذ يحبـذ سياسة موالية للدكتاتوريات .

وعرفت سويسرا نفسها تجمعات فاشية هي الأخرى ، تألفت منهـــا « جبهة وطنية » ، بمساعدة عدد من الضباط « للعمل على البعث الوطني ، ومكافحة الشيوعية ، وأخذ يُنادي بنهاية الديموقراطية والنقابية . ونال عام ١٩٣٥ ، ستة مقاعد في مجلس مقـــاطعة زوريخ ، وانتخب رئيـسها مستشاراً وطنياً . الا ان نشاط النازية في سويسرا بعث هزة في الرأي العام ، والغضب الذي سببه ضم النمسا الى الرايخ وضم المانيا مقاطعة السوديت اليهـا ، جعلت النواب النازيين يفقدون مقاعدهم في انتخابات عام ١٩٣٥ ، و ٣٠,٠٠٠ صوت عام ١٩٣٩ ، مع فقدان ٣ مقاعد في البرلمان . وفي النرويج ، اتحد الفلاحون المدنيون للوقوف في وجه البيع القشري للاراضي . وفي عام ١٩٣٣ ، جرى التجمع الوطني ، بمسعى كويسلنغ . وفي فنلندا قامت حركة وطنية في لابوا ، ذات طابع فاشي زرعت الاضطراب في البلاد ، بين ١٩٢٩ – ١٩٣٢ .

٢ – الدكتاتوريات الفاشية

قبل وقوع ازمة ١٩٢٩ الاقتصادية ، كان النظام البرلماني ، في عدد من الدول الاوروبية ، قد انهار تماماً ، لتقوم مقامه نظم دكتاتورية . فمنذ عام ١٩٢٤ ، اقام الجنرال بريمودي ريفارا في اسبانيا دكتاتورية عسكرية ، ولن يلبث ان قام الجنرال كارمونا بتجربة مماثلة في البرتغال هـام ١٩٢٩ ، بعد ان استولى على مدينة لشبونة على يد الجنرال غوميز دي كوستا ، وعرفت بلغاريا نفسها لبضع سنوات ، نظاماً دكتاتورياً بزعامة تسانكوف (١٩٢٣ – ١٩٢٦) ، كما اجتازت اليونان ، عام ١٩٢٥ ، مع الجنرال بنغالومس ، فترة مماثلة عقبها نظام شبه برلماني . واخيرا قام الجنرال بلسدسكي بانقلاب عسكري في بولونيا ، افضى به الى تولي زمام الامر في البلاد ، مع استبقاء حكومة ذات مظهر برلماني . الا ان كل هذه النظم لم تكن سوى دكتاتوريات من طراز قديم ، بينما نظام الحكم الذي قام في ايطاليا ، منذ عام ١٩٢٢ اتصف بميزات عديدة جديدة ، جعلت منه اول مثال يسجله القرن العشرون لثورة معاكسة حقيقية . فقد اقتضى له بضع سنوات من التجارب والتطبيقات قبل ان يضع نهائيا فلسفته ، وقبل ان يوضح صفاته المميزة . فمع وقوع الازمة الاقتصادية فقط ، ولا سيما بعد سنة ١٩٣٣ ، عندما استولى الحزب الوطني الاشتراكي على السلطة في المانيا ، اخذت الدكتاتورية الفاشية ، تؤلف الظاهرة الكبرى الاولى للبيرالية ، كما تمثل في التاريخ المعاصر حدثاً له مدلوله العالي اذ ان الصورة الموسولونية لهذه الدكتاتورية كانت الصورة الاكثر نسخاً وتقليداً في العالم .

الفاشية

هذه النظم الفاشية التي فجّرتها الازمة في كل مكان في العالم تقريباً جاءت كلها على منوال الدكتاتورية الالمانية والايطالية ، تقتبس عنها في معظم الحالات ، مظاهرها الخارجية وتدين لموسوليني ولهتلر بالشكر والولاء . وقد برزت حركات اتسمت كلها بالطابع الفاشي ، وان اختفت في الباطن ، اوضاعاً اجتماعية وتباينت عنها واختلفت .

أصولها

السمات المميزة للواقع الفاشي ، يمكن استنتاجها من دروس الحوادث التي وقعت في ايطاليا حيث قامت الحركة ، ومن ثم في المانيا ، المسرحين الرئيسيين لها . برزت الفاشية بأوضح وجوهها ، في بلدين « كان مطروحاً على بساط البحث في كل منهما مشكلة اجتماعية ومشكلة قومية حادة » ، بلدين راحا ، الى حد بعيد ، فريسة للاضطرابات والقلق الاجتماعي من جراء ما عانتا من حدة البطالة والصراع الطبقي ولعدم استقرار النقد فيهما . فقد شهد كلا البلدين ثورة شعبية حركت من الأعماق ، الجماهير الهائلة ، بعد ان خمتا الى مطالبها القومية والاجتماعية ما شعرتا به من ذل الانتقاص الوطني ، ومن وضع اقتصادي اعتبرتاه لا يطاق ، ومن نظام سياسي اعتبرتاه عاجزاً في الاساس وفاسداً في الصميم . ومما لا شك فيه قط ان الحركة وجدت مسعفاً لها ، افتقار كلا البلدين لتقاليد ديموقراطية عريضة ، سواء منهما لدى الشعب

الايطالي او في المانيا ، حيث عجزت خمسون سنة من نظام تمثيلي ، عن ترسيخ مثل هذه التقاليد وتوطيدها في البلاد ، وحيث تصارعت الاحزاب ، وحيث عجزها وافتقارهـــا الى النفوذ كاد يؤدي بالبلاد ، الى الخراب . وفي مثل هذا الجو المؤاتي ، ليس من عجب ان تساعد الازمـة ، بعد ان نشبت في ايطاليا منذ عام ١٩٢٠ ، وفي المانيا ، منذ عـــام ١٩٢٩ ، على انكاء الصراع الطبقي باثارتها ردة فعل ، دفاعاً عن الامتيازات والمكاسب المهددة .

القوى

تساعدنا نظرة ناعمة محللة ، الى العناصر الـــتي تؤلف القوى التي تعتمدها كل من هاتين الدكتاتوريتين ، على تكوين فكرة اصـــح ، وفهم ادق ، للطابع الذي ارتدته الحركة . تتألف هذه القوى من عناصر متباينة ، اوسعها قاعدة ، وامضاها عزمـــاً ، العناصر المستمدة من الطبقات الوسطى. ففي ايطاليا هذه التي تعاني بين ١٩٢٠ — ١٩٢٢ ، من ازمة اقتصادية حادة ، في الوقت الذي كان يعقد فيـــه مؤتمر روما عـام ١٩٢١ ، فمن اصل الـ ١٥٠ الف عضو المسجلـين في الحزب الفاشي ، نجد ١٨ الف بينهم من الملاكين و ١٤ الفاً من التجار ، و ٤ آلاف من الصناعيين ، و ١٠ آلاف من اصحـــاب المهن الحرة ، و ٢٢ الفاً من المستخدمين (بينهم الثلث من الموظفين) ، ونحـــو من ٢٠ الفاً من الطلاب ، أي ما يوازي مجموعه ٩٠ الفاً ليسوا بعمال ، بينما الباقون يعملون في مرافق الزراعـة (٣٧ الفاً) و ٢٤ الفاً يعملون في المدن ، معظمهم عاطلون عن العمل او مستخدمون في المصالح العامة . ونرى النسبة ذاتها تقريباً ، عام ١٩٣٠ اذ ان ٢٥٤ من أصل ٣٠٨ من زعماء الحركة الفاشية الايطاليـــة ، طلعوا من صفوف البورجوازية الصغرى .

وفي المانيا حيث تعاني البلاد في الفترة ١٩٣٠ — ١٩٣٣ ، من بطالة مقعدة ، وحيث نكاد لا نجد ٢,٥٠٠,٠٠٠ شخص يملك الواحد منهم ثروة ادناها لا يتعدى ٥ آلاف مارك رايخ ، اي في بلد صارت فيه الطبقة الوسطى الى وضع البروليتاريا ، لا يختلف الوضع هنا كثيراً عنـــه في ايطاليا . واخذت الاشتراكية الوطنية تجمع انصارها ومؤيديها من بين صفوف الطبقـــة البورجوازية الصغرى ، والمستخدمين والموظفين واصحاب المهن الحرة ، ورجال الفكر المنبوذين وقدامى الضباط ، وصغار الملاكين ، ومتوسطي رجال الصناعة والتجار ، والعمال العاطلين عن العمل . والدليل القاطع على ان الطبقة العمالية لم تعضد الحركة ، يظهره عـــام ١٩٣١ من خلال الانتخابات للجان المصانع وهيئاتها ، حيث مرشحو الحزب ، لم ينالوا سوى ٥٫٥ بالمئـة من اصوات المقترعين ، بينما نالوا ٤٧٫٥ بالمئة في الانتخابات لمجلس الرايشستاخ ، بعـــد ذلك التاريخ ، ببضعة اشهر ، اي في تموز ١٩٣٢ ، كانت اصـــوات البروليتاريا في صف اصـــوات صغار العمال . فالفاشية اذاً ، كما يتضح جلياً هي ثورة انفجرت من صميم الطبقـات الوسطى . فتكون تكونت من هذه العناصر بالذات المكونة من صغار البورجوازيين او من البورجوازيين (بروليتاريا الياقة المكوية) ، والبروليتاريا الفكرية او العقلية الذين انزلوا منزلة البروليتاريا أو كانوا على وشك الصيرورة إليها بعد لأي قصير ، فثاروا ضد النظـام القائم . وتمسكاً بشرف

طبقتهم رفضوا التسليم باي تبديل جذري للمجتمع ، هذا التبديل الذي هدف الى تحقيقه ، كل ما في الاشتراكية والشيوعية . ومع ان بعض العناصر كانت تتناول اجوراً ادنى من اجور العمال فقد كانوا يشعرون مع ذلك ، بأنهم من طبقة اخرى ، او من طبقة أعلى مرتبة ، كما اعتبروا حطاً من شأنهم اجتماعياً وطبقياً ان ينزلوا منزلة العمال . والى هذه العناصر يجب ان نضيف هنا هؤلاء الشبان من ابناء الطبقة البورجوازية الذين لا عمل لهم ولا امـل لهم بالعثور على عمل ، ولا سيما الطلاب منهم و « طبقات السن » الذين ضحت بهم الازمة وسدت في وجوههم كل المنافذ اي هؤلاء المنبوذين في كل الطبقات » . كذلك يجب ان نضيف الى هذا اللميم ، عـدداً كبيراً من صغار الملاكين الذين رزحوا تحت الدين ، ومحاربين قدامى لم يجـدوا لهم عملاً في ايطاليا ، بـين ١٩٢٠ — ١٩٢٢ ، او الذين عادوا من الحرب لا مهنة لهم ولا حرفة ، فتطوعوا في القناصة أو في هذه العصائب العسكرية التي مارت بها المانيا ، فرأى اعضاؤها ، في الحزب النـازي ، مغامرة بطولة ، وبينهم عدد كبير لم يتأثروا بالبؤس الاقتصادي الذي اناخ على البـلاد . بل اوجسوا خيفة من ان يخسروا مرتباتهم او « سعادتهم الاجتماعيـة » ووضعهم ، وان ينزلوا الى دركة الكادحين من رجال الصناعة ، والمساعدات التي قررت تقديمها المصالح الكبرى ضد الاشتراكية وضد الشيوعية ، لم تصل للحزب إلا بعـد ذلك بكثير ، أي عندما حقق له بعض الشأن في البلاد .

ان إنعام النظر في تطور الحركة النازية في المانيا يرينـا بوضوح مقدار ارتباطها ارتباطاً وثيقاً بتقلبات الحيـاة الاقتصادية في تلك البلاد ، هـذه التقلبات التي تبرز صورتها في حركة البطالة وما آلت اليه من وضع مفجع . فعدد الانصار والاصوات التي يناهـا الحزب يزداد بنسبة ازدياد معدل العاطلين عن العمل (شكل٨، ٢١٨) ففي شهر أيار ١٩٢٤ ، أي مباشرة بعد تجربة التضخم المـالي المرعبة ، نال الحزب قرابة مليون صوت (٦٫٦ ٪) وما كادت المانيا تتخطى الأزمة بعد ذلك مباشرة في كانون الأول من السنة ذاتها حتى هبط المعدل الى ٣ ٪ ، وفي أيار ١٩٢٨ ، عهد « الازدهار »، هبط هذا المعدل الى ٢٫٦ ٪ . واذ ذاك تطل الازمـة العالمية ، فاذا بالمعـدل يرتفع في ايلول ١٩٣٠ ، الى ٦٫٤٠٧٫٠٠٠ صوت(١٨٫٣ ٪ ليبلغ في تموز ١٩٣٢ ، نحواً من ١٣٫٨٠٠٫٠٠٠ (٣٧٫٣ ٪). كل هذه الاصوات جاءته من بين صفوف الأحزاب البورجوازية غير الكاثوليكية : كالشعبيين والحزب الاقتصادي والحزب الديموقراطي والوطنيين ، بينما الأحزاب الوسطى والحزب الشعبي الباڤاري (كاثوليـك) ، والأحزاب الاشتراكية والشيوعية بقيت ثابتة صامدة بصورة تدعو للدهشة .

الدعاوة وشعاراتها

جاء هذا التجمع مضاداً في الصميم للروح البرلمانية كما جـاء الى حد مـا ضد الرأسمالية ، الا انه ضد البروليتاريا في جوهره . فالايديولوجيا الفاشية والنازية تستمد بعض شعاراتها ونداءاتها من صميم مطالب الطبقة العمالية بعد ان جردتها من طابعها الدولي والبروليتاري الذي يسمر الخوف في القلوب .

« فالاشتراكية أعجز من أن تؤمن العدالة للناس ان لم تسبقها عدالة بين الشعوب . فعلى العمال الالمان ان يعترفوا وان يسلموا انه لم يسبق لهم ان بلغوا مثل هذا الدرك من الرق والعبودية الذي اصارتهم اليه الرأسمالية الاجنبية والذي فيه يرسفون اليوم ... وهذا الصراع في سبيل تحريرهم » هو حرب أهلية بعينها نقودها ضد البورجوازية العالمية ... »

هذا ما كتبه مولرفان دن بروك . وبعد ان تبنى غوبلز فكرة شبنغلر نراه يكتب :

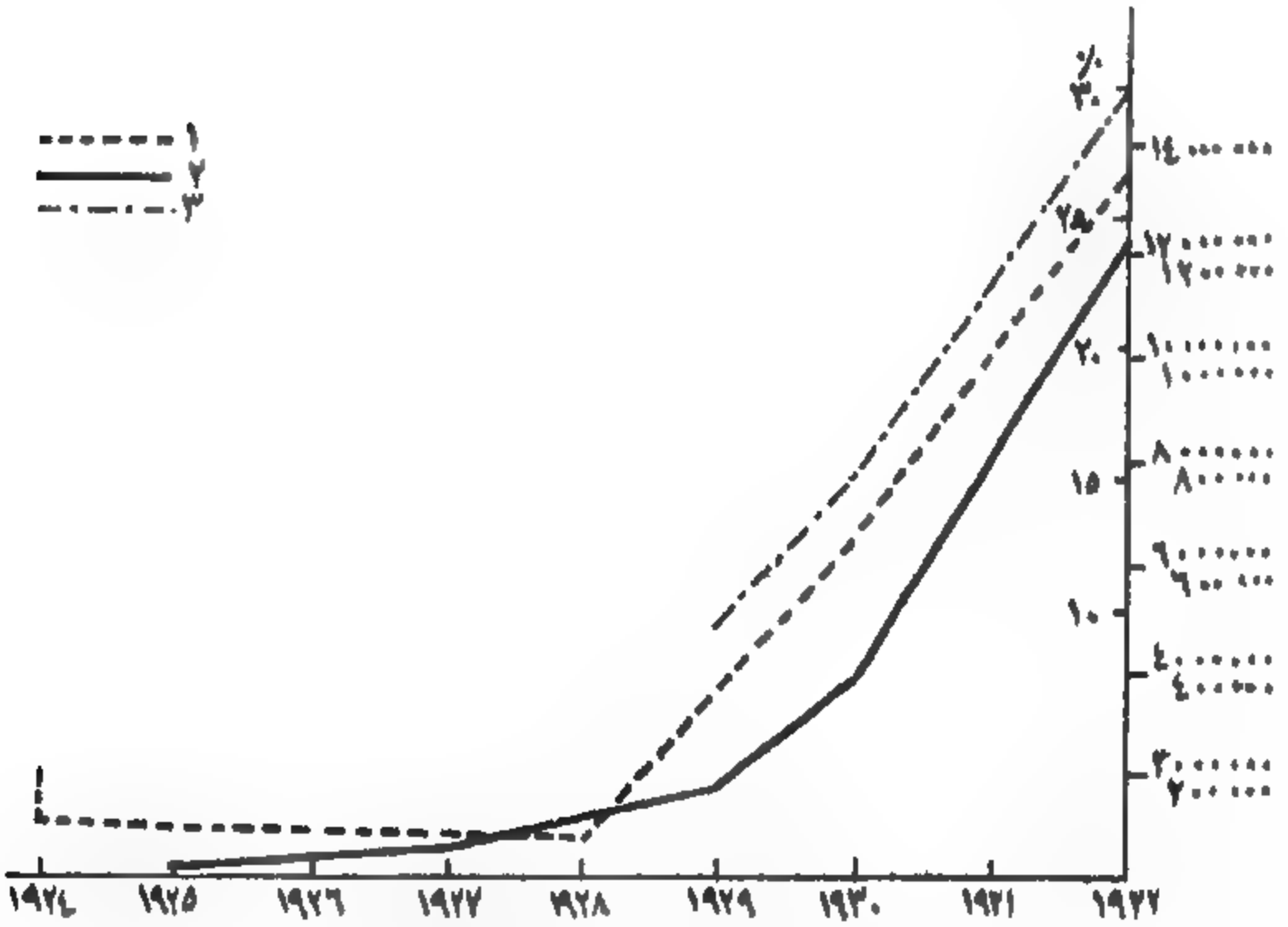

شكل ٨ ـ كشف بياني مقارن بازدهار وتطور الحزب الوطني الاشتراكي الالماني مع تطورات الازمة الاقتصادية حسبما تعبر عنها ارقام البطالة

١ ـ عدد الناخبين ، ٢ ـ عدد الاعضاء ، ٣ ـ نسبة العاطلين عن العمل .

« اشتراكيتنا هذه » هي التي جاش بها ملوك بروسيا والتي أهبت خطى الفرسان التوتونيين ... اشتراكية الواجب » . فالروح المناوئة للرأسمالية في الفاشية » تتلاءم تماماً وهذه الأماني الغامضة التي تجيش بها صدور الطبقات الوسطى . فهي تتجه ضد المصرف » وتستبدل الصراع الطبقي بالكفاح ضد الرأسمالية الأجنبية » ضد « الثراء الأجنبي » . وهذه الدعاوة يرجى لها ان تضع حداً لهذه الشرور التي تعاني منها مختلف الفئات الناقة لتعليلها بوعود مبهمة غير محدودة » وأحياناً متضاربة » الا انها تعمل مجتمعة على تفادي انهيار اجتماعي وهو سبب النقمة والخوف الذي بعثته الماركسية . وهذا يتفق تماماً بما لحظه لوسيان فيفر عندما كتب :

« فالامر لا يقتصر في هذه القيادات على الروح المضادة للنظام البرلماني . فهنالك الروح المضادة للنقابية ، ومثلها للحرفية ، هذه الصورة المسوخة للروح النقابية (أقله من بعض وجوهها) . هنالك المظهر الخداع « الرجوع الى الحرفية » . هنالك سياسة اقتصادية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بانهيار نظام متفسخ مهلهل عن طريق اغلاق البلدان الجديدة والانتاج المفرط للأجهزة الداهية الى أقصى حدود الدهاء » .

ومختصر القول، فالفاشية هي في الأساس حركة رجعية مضادة للعمالية، قامت على اسطورة القضاء على الصراع الطبقي : فالاجراءات التي عمدت اليهـــا في بادىء الأمر تجرد العمال من سلاحهم وتحيلهم الى وضع من الدونية لا خروج لهم منها أمـــام أرباب العمل ، وذلك بالقضاء على الأحزاب وعلى النقابات العمالية .

ظروف وصولها للحكم

قوة الفاشية تكمن أصلاً في الحزب الذي خضع لتنظيم جديد أساسه البزة والانضباطية والتدرب العسكري والاستعراضات والحشود المتواترة بحيث تسيطر بالقوة . في خدمتها أجهزة داهية من الدعـاوة الماكرة أساسها الصحافة والراديو والسينما ، كل هذا الى شيء من إيقاع الرهبة والتجسس والرقابة الشديدة . فلم تكن مشكلة الحزب الحصول على الحكم . ففي ايطاليا كما في المانيـــا توصلت الحركة الى السلطة بصورة شرعية ، وسيطرة الحزب على السلطة انمـــا جاءت نتيجة سلسلة من تواطؤ السلطات : كالقضاة والشرطة والادارة والجيش الذين غضوا النظر عن مخالفـــات الحزب وتجاوزاته ، كما ان هندنبرغ نفسه استدعى هتلر لاستلام مقاليد المستشارية في المانيا ، وعن طريق هذا الدستور الذي طالما هاجموه ورجموه تقلدوا مقاليد الحكم بشكل تحلى بمـــلء الشرعية . ففي كلا البلدين اضطرت الحركة لدخول الصراع مع المنظمات العمالية التي انهكها العراك الطويل بين الاشتراكيين وبين الشيوعيين ، وقضوا عليها قضاء مبرمـــاً تحت ستار الحكومة الشرعية .

العقيدة

العقيدة الفاشية هي « مزيـج من التراكيب والألفاظ الثـــورية الطابع » وأفـكار صغار البورجوازيين يجمعهـا مـلاط نصفي الثقافة وتعتبران الكفاح أمر ملازم للحياة . فالحزب هو ميليشيا مدنية في خدمة الأمة التي هي في حالة حرب مستمرة تناضل ضد الذين يحاولون خنق هذه الأمة ، فهو يحارب في سبيل تأمين السلطة للشعب وتوطيدها ، وهو ينبذ جانباً النزعة السلمية واللاعنف ، ويكن الاحتقار لما تدعوه « الديمقراطية العاجزة » . ففكرتها العائدة للقرن الثـــامن عشر التي ترى السعادة والازدهار شيئاً واحداً . وقد أعلنها روزنبرغ مدوية على رؤوس الاشهاد : « لم نعد أمـــام صراع طبقة مع طبقة أخرى، والعقيدة الدينية ضد عقيدة أخرى، بل صراع الدم ضد الدم، والعرق ضد العرق والشعب ضد الشعب » . لا مكان قط لحقوق فردية تتعـــارض ومصلحة الدولة وحاجاتها بعد أن أصبح الفرد خاضعاً لها بالكلية . كذلك في المجال الاقتصادي ، كل البنيان الاقتصادي يجب أن يخضع لمراقبـــة الدولة ، كالتوسع في التسليف والاسعار وتثبيت القطع

وغير ذلك . وفي المجال الديني يجب على الدولة أن تسيطر هنا أيضاً مع انه سبق للفاشية وأعلنت عالياً ان الدولة الفاشية تنظر الى الدين نظرتها إلى أسمى مظاهر الفكر . فهو ليس موضوع احترام فقط ، بل يجب الدفاع عنه ، كما ان النازيين أعلنوا من جهتهم : الحرية التامة لكل العقائد والأديان في الدولة . فعلى الدولة أن تراقب كذلك كل نشاطات الفكر .

ومن مميزات النظام الفاشي طابعه اللاعقلاني . فهو يستثير بالمشاعر والعواطف ويغذي في الجماهير الحماسة بصورة مستمرة . وقد شدد توماس مان على « ترنح الثورة الهتلرية » . فالناطقون باسمها ، يتكلمون كمن أوتوا النبوءة . « ليس هو العقل الذي شطر الشعر إلى أربعة أقسام وأنقذ ألمانيا من كربتها ، بل ايمانها » كما يصرح هتلر أمام كتائبه . والعقل قد يكون نصحكم بعدم الالتفاف حولي . انما الايمان وحده هو الذي استمعتم الى صوته . زعيم الحزب معصوم عن الخطأ . له ملء المعرفة والعلم . فعبادة الدوتشه أو الفوهرر والتسليم الكامل لارادتهما هي القاعدة المطلقة ! أفما نصت المادة الثامنة من وصايا الميليشيا الفاشية على ان الحق هو دوماً الى جانب موسوليني ، كما نصت المادة العاشرة « على ان حياة الدوتشه هي أثمن من كل شيء » . فهتلر هو المختار من الله وله شخصية مكرسة وموضوع عبادة حقيقية . فهو أشبه ما يكون « بمسيح في السياسة » . آمن ، وطع ، وحارب ، هذه هي كلمة السر عند الشبيبة الفاشية .

الحزب ودوره الرئيسي

يعتمد نظام الحكم ، في كل مكان ، على حزب وحيد أوحد يجسّم رغبات الدولة ويمثل أماني النخبة . فهو يتألف أصلاً من عدة فئات تتميز بانضباطيتها وتخضع لارادة زعيم الحزب أو الدوتشه المطلقة الذي يوزع الوظائف ويعين الرؤساء. فالحزب يمثل الدولة ، ويتولى أعضاؤه كل نشاط في البلاد ويشرف على توجيهها ، كما تخضع له منظمات شبه عسكرية يواجه بها خصوم الحزب وأعداءه ، منها مثلاً : فرقة الهجوم (S. A.) وسرية الدفاع (S.S.) في المانيا ، ومنها الميليشيا في ايطاليا ، والكتائب البرتغالية ، والكتائب الاسبانية . ويعلق أهمية قصوى على إعداد الشبيبة وتهيئتها وتوحيد تفكيرها ، ويراقب نظام التعليم الذي تخضع له ويكتبها في كتائب خاصة . هنالك منظمات نسائية ومنظمات طلابية ، ومنظمات للفلاحين وأخرى للعمال تنظم فراغهم قبل العمل وبعده كجبهة العمل والنقابات الفاشية ، ثم الحرف ، ويخضعونها لنشاطات رياضية وثقافية بحيث لا يشذ أحد عن الطوق ولا يخرج عن الصدد المرسوم ولا يخرج عن نفوذ الحزب .

كل النشاط الثقافي او الفكري يقع تحت اشراف الحزب فيضع تحت مراقبته المباشرة اجهزة الاعلان والراديو والسينما والصحافة والمسرح والادب ... كذلك انشأ الحزب في البلاد رقابة صارمة ، والغى كل صحافة معارضة او حيادية ، ويوحي اليها بالموضوعات التي يجب ان تعالجها وبالطريقة التي يجب ان تعالج بها . والحزب وحده يسيطر على الشرطة الخاصة بالنظام بعد ان

اولاه سلطات واسعة جداً . فيستعمل اعنف الاساليب ومنهـــا الضرب لانتزاع الاعترافات والاقرارات وارغام المتهمين على الاعتراف بما عليهم ان يعترفوا به ، ويرسل الى مخيمات الاعتقال كل من يرى وجوب اعتقاله . والقوانين النازية كالقوانين الفاشية ، عام ١٩٢٦ ، تلاحق بعنف كل كلمة شاردة او مشبوهة ، وكل ظاهرة عدائية . فقـــد جرى في المانيا ، بين ١٩٣٣ — ١٩٣٨ ، توقيف اكـثر من ٤٣٥،٠٠٠ شخص وجرت ملاحقتهم القانونية لمعارضتهم نظـــام الحكم . كما ان المحكمة الخاصة في ايطاليا للدفاع عن الدولة لم تكن تتقيد بأي شكل من اشكال القانون ، اذ كان بامكانها ان تصدر احكاماً لا تقبل الاعتراض على اعمال او مخالفات تبقى فيها الظنة او الشبهة غامضة ، مبهمة ، كالاتهام مثلاً بعمل جماعي من شأنه ان يخدش الشعور الوطني. فقد بلغ مجموع السنين التي حكمت بها المحكمة على ٣٠٠٠ ظنين ، ١٤،٤٥٨ سنة .

وحافظة على نقاء الحزب ، وتخليصاً له من الفاترين او الخصوم المتنكرين ، نزع الحزب ، منذ توليه السلطة الى عملية تطهير عامة ، واحتفظ منذ ذلك الحين ، بحق العضوية والانتساب اليه ، للشباب الذين جرى تدريبهم بعد ان اطمأن اليهم . اما الهيئات والمنظمات شبه المستقلة القائمة الى جانب الحزب : كالمشاريع الانمائية الكبرى ، والكنائس والجيش ، فقـد اخضعها للمراقبة وازال كل خطر عن طريق اقطاعها انعامات مادية وادبية ، بعد ان أفهمت جيداً ان الحزب وحده يستطيع ان يكبح وان يمنع عنها اي اعتداء من قبل اعدائها التقليديين المعروفين وهم : الاشتراكيون والشيوعيون .

اقراغ الشبيبة وقولبتها

حرصت كل الاحزاب الفاشية على تمجيد القوة وعلى اعتماد سياسة عامة سداها النفوذ ولحمتها البطش والبأس ، مما يفترض اعتمادها على جيش قوي ، لجب ، وبالتـــالي على شعب مفتول العضل ينمو ويزداد بسرعة ، كما يفرض السهر على نقـاء العُرق والاصل : كالتخلص من اليهود ونبذهم بعيداً عن جسم الامة السليم ، وفقاً لقوانين نورمبورغ التي حظرت كل زواج او عقد زواج بين اليهود و « الآريين » ، وتعقيم الضعفاء والمرضى المصابين بمرض عضال ، والمجرمين في جميع انحـاء المانيا ، وتشجيـع الاهلين على الاخصاب والانسال في كل البلدان . وهؤلاء الاطفال الذين تود الدولة ان تراهم بأكبر اعداد ممكنة ، تعنى الدولة عناية خاصة بتنشئتهم وتربيتهم . فهم ملك الدولة وعلى الدولة ان تؤمن تَصبّهم وافراغهم وتنشئتهم بحيث يصبحون رجـالاً اقوياء ، اشداء ، يزخرون بالقوة والصحـة والنشاط والاستعداد للامتثال والطاعة . فالتربية الرياضية التي تستهدف الطبـاع والاخلاق ، يجب ان تحتل مكانها البارز في عملية التربية والتعليم ، هـذه التربية التي يجب ان تزرع في نفوس النشء ، عبادة الابطال وروح البـذل والتضحية في سبيل الوطن . وقد جرى تنقية الهيئـة التعليمية فلم تعد لتعدّ في صفوفها اي يهودي ، كما نبذ منها الماركسيون وخضعت لمراقبة دقيقة . فالتعليم والدعاوة ، عاملان متلازمان في كل عملية تنشئة . فالعقيدة النـازية يجب ان تغرس في نفس الطالب الابتدائي ، وكذلك في ايطاليا .

« على المدرسة ان تكون ذات طابع فاشي . ولا يعتقدن احد قط انه يمكن الاستهداف للشطط او للغـالاة في هذا المجال . انا احب التطرف في كل ما يتصل بالفاشية ... يتعلل بعضهم ان الجغرافيا والرياضيات ليست علومـاً سياسية بطبيعتها ... بضع كلمات . نبرة صوت ، تلميح بسيط ، رأي معلل ، واحصائية يستشهد بهـا الاستاذ في معرض الحديث من على منبر التدريس ، تكفي لاثارة الشك او للدخول في السياسة . لهذه الاسباب كلها ، فمعلم الرياضيات له دور يلعبه في المجال السياسي ويجب ان يكون فاشياً ... » كما صرح موسوليني ، عام ١٩٣٣ .

والبيولوجيا كانت تدرس في المانيا باعتبارها علم العنصرية او العرقية ، من وجهـة الدور الذي مثلته عبر التاريخ السلالات الشمالية . فالتاريخ يرتكز اساساً على المعاني التي تمور بهـا كلمات : العرق ، الشعب ، الرايخ ، الزعيم . فالى جـانب المدرسة ، يعتمد الحزب في افراغ الشبيبة على مجموعة من المنظمات التي تعمل في نطاق تربية الشبيبة من بينهـا المنظمات الرياضية والكشفية التي تتناول الولد من ابن ثمان سنوات وتتخلى عنه وهو في الرابعةعشر لمنظمات أخرى تتم عمل الاولى وتكمله : كالخدمة الالزامية للعمـل وبعد الثمانية عشرة يؤول امره الى منظمة *Mocidade* في البرتغال والى جبهة الشباب ، في اسبانيا .

آراء هتلر ونظرياته

فخلافاً لموسوليني الذي خلق الحركة الفاشية وأسسها بعد ان تولى مقاليد الحكم في بلاده ، كان هتلر عندما تولى مستشارية الرايخ قـد سبق له ووضع برنامجاً كاملاً وخطة واضحة وتحت تصرفه كتائب منظمة وعـدد مهيء من الاداريين المدربين على استعداد تام للعمل بمنأى من التطبيق التجريبي والارتجال .

فالمبادىء التي قال بها وعلم عبّر عنها عالياً في *Hofbrau Haus* عام ١٩٢٠ وفي البرنامج الذي اعلنه وتألف من ٢٥ بنـداً او نقطة محددة ، كما عبر عن مشروعاته مفصلا في كتابه «كفاحي» الذي وضعه وهو في سجن لندسبرغ ، في اثر محاولة الانقلاب الفاشلة التي قام بها في مونيخ عام ١٩٢٣ فنظريته للعالم تنهض على نظرية الدم او العرق وهي نظرية دان بهـا لغوبينو ولهوستن ستيوار وتشمبرلن وبول دي لاغارد هذه النظرية التي سبق لمولر فان دن بروك ، وعرضهابتبسط ، عام ١٩٢٢ في كتابه حول الرايخ الثـالث ، تقول يوجد عرق بشري اعلى او اسمى هو العرق الآري الذي يتحتم بقاؤه نقياً بعد تنقيته من هذه العناصر التي حـاولت ولا تزال افساده . لا سيما العنصر اليهودي الذي كان دائماً وابداً خمير فساد وافساد .

وفي المجال السياسي اتخذ موقفاً معارضاً من المبادىء التي نادت بها وعملت الثورة الفرنسية الكبرى : هذه الايديوليا الليبرالية التي فرضت فرضاً على جمهورية ويمار من قبل الحلفـاء الذين خرجوا منتصرين من الحرب العالمية الاولى ، واقصارهم اياها على وضع من التـابعية والذي كان لزاماً « ايقاظ الشعور القومي » وبعثه في النفوس . ألم يكن شعار القصاص السود وهتـافهم الحربي : « استيقظي بالمانيا » ، ودعوة الشعب الالماني الى ان ينبذ جانبـاً الفردية والليبرالية التي لا تمتزج قط والعقلية الالمانية ، وكلها انظمة عقلانية تخلو من الطبيعة ، اذ ان المساواة والحرية هي مطالب مناقضة للعقل ، مخـالفة للمنطق ومضادة للطبيعة البشرية ، فالانسان ليس معزولا

فهو حلقة موصلة جميع الاجيال بعضها ببعض. فمهمة الدولة المضادة لليبرالية والمضادة للاحزاب والمضادة للمساواة ، القائمة على الترابط المسلسل ،هي المحافظة على وحدة الدم ، ووحدة اللغة ، والرجوع الى التقاليد الالمانية النوع والى كل ما انبثق من الشعب وصدر عن الشعب ، وتأمين المدى الحيوي الذي هو بحاجة ماسة اليه والذي يقتضيه تطوره ونموه . فمصدر السلطة لا يكمن في اكثرية من الافراد بل في الشعب نفسه ، في الشعب ككل ، الذي يجد مثله تعبيره الكامل في الزعيم او الفوهرر ، هذا الزعيم الذي هو تعبير لارادة الشعب والناهض بحقوقه .

اما اعداء الشعب فهم ، في الخارج روسيا وفرنسا ، وفي الداخل : الماسون ، واليهود والديموقراطية الاشتراكية التي استخدمها والتي جعل منها كارل ماركس اليهودي، اداة لافساد المانيا والقضاء عليها . وفي المجال الاقتصادي ، ينزل هتلر باللائمة على الاحتكارات وعلى الارباء الجشعين ، هؤلاء الاجهزة الآلية التي لا نفس لها ولا روح » ، ويعلن مناصرته للفلاحين وللطبقات والملكية الخاصة . ومختصر القول فالشعب الالماني هو شعب *Ohne Raum* يجب ان يمتد وان يتوسع نحو الشرق والجنوب والغرب من اوروبا .

وصوله الى السلطة

كل هذه الافكار : من ازدراء للديموقراطية ولما تمثله، واليأس الذي تبعثه معاهدة فرساي ، والمناهضة للرأسمالية وللسامية والتي تقول بالعنصرية او العرقية وتطمح الى الدكتاتورية ، ليست بافكار جديدة . فقد سبق لشبنغلر ولمولر فان دن بروك ان عبر عنها كل من شمدت وعثمان سبان وكل دعاة الرابطة الجرمانية . وقد عرف هتلر ان يعرضها بعنف وحماس وقوة بحيث تعبر عن مخاوف وعن احقاد وعن المشاعر التي جاشت في صدور الجماهير الالمانية . وقد لاقى كتابه رواجاً منقطع النظير . فقد كان يبيع منه ، حتى نيسان ١٩٤٠ ، ستة ملايين نسخة بعد ان ترجم الى معظم لغات العالم : « فهو يمثل اكبر نجاح سجلته دار نشر في العالم حتى الآن » ، وقد جرى تعميم هذه الافكار والمبادىء وسكبها من قبل فلاسفة النازية ، امثال غوبلز وداريه وروزنبرغ امثلهم جميعاً ، وقام بتلاوتها على الجماهير المتألبة وشرحها من قبل خطباء مفوهين يفيضون بلاغة وعاطفة وحماسة ، التفت حول الحزب وناصرته ، كما قامت منظمات القمصان السود التي تولى هملر رئاستها منذ عام ١٩٢٩ بمهاجمة العمال المضربين والاشتراكيين والشيوعيين وخاضوا معهم معارك واشتباكات دامية . فمنذ ١٩٢٧ ، عد الحزب بين صفوفه ٧٢،٠٠٠ عضو ، والمؤتمر الثالث الذي عقده الحزب في نورنبرغ اكثر من ٣٠،٠٠٠ من كتائب الصاعقة بقمصانهم السود . وارتفع عددهم ، عام ١٩٢٨ الى ١٠٩،٠٠٠ كما ازداد بمثل هذه النسبة عددُ المناصرين .

فالبرنامج المعروض يشبع مطالب الطبقات الوسطى التي رأت في النازية حماة للنظام وللأمن من « الهول الاحمر » كما زين لصغار التجار الامل بقرب زوال المخازن والمحلات التجارية ذات السعر الواحد والتي لها فروع عدة في البلاد ، كما عللهم بزوال التعاونيات كما لوح امام انظار المهنيين ورجال الصناعة بحرب سياسة التأميم ومهاجمة الرأسمالية وعلل الامل

في نفوس المزارعين بالتخفيف من اعباء الديون التي يرزحون تحتها ، وبشر العاطلين عن العمل الذين طالما دفعوهم لمشاكسة العمال الذين لا يزالون في عملهم « بامتيازات ماركسية » ووعدهم بتدبير عمل لهم . وهاجم بعنف كلي اليهود الذين يحتكرون المصارف والمخازن الكبرى في البلاد والذين يتحكمون بالبورصة، وبالمحاماة والمهن الحرة . فليس من عجب ان تتضخم صفوف الحزب ويشتد ساعده يوماً بعد يوم ، فقد عدد في صفوفه ، عام ١٩٣٠ ، نحواً من ٣٨٩٠٠٠ ، وفي نيسان ١٩٣٢ ، اكثر من مليون ، وفي عام ١٩٣٣ ، اكثر من ١،٥٠٠،٠٠٠ ، كما ازدادت عدداً وقوة المنظمات شبه العسكرية بما يقرب من هذا المعدل . وقام الحزب برئاسة غوبلز بدعاية جبارة اغرقت البلاد بفيض من الجرائد والنشرات التي توزع كالمطر الهتان ، ونظمت دورات مناوبة حتى في اصغر وادق المجتمعات، واكثر الحزب من عرض قوته وبطشه ، ومن المظاهرات الجماهيرية ، والرحلات ومن خطب الفوهرر الذي اخذ يقنع الجميع بان في مقدوره وحده ان يضع حداً لهذا الوضع المفجع الذي صارت اليه الامة من جراء عبث الحاكمين .

المانيا هذه التي عاشت الفترة الواقعة بين ١٩٣٠ — ١٩٣٣ حقبة من الفواجع وشهدت صراعاً مريراً بين الاحزاب بحيث راح كل حزب يكتتب كتائبه الخاصة للحرب والنزال ، كالجبهة الحمراء في الحزب الشيوعي ، « والانتيفا » لعصبة مكافحة الفاشية ، والجبهة الحديدية التي ضمت المنافحين عن النظام القائم والعاملة الى جانب العلم الالماني (نحو مليونين من الاعضاء) ، والـ *Stalhem* المرتبط بالحزب القومي الألماني ، برئاسة هوجنبرغ رئيس المجلس الاداري لمصانع كروب الخاصة بالفولاذ ، والمسيطر على جانب كبير من صحافة البلاد ، ولا سيما الجبهة السمراء للحزب الوطني الاشتراكي اقوى هذه الاحزاب وانشطها . فالنظام القائم يفتقر كلياً للسلطة ولا قوة له ، والانتخابات العامة عجزت عن اعطاء اكثرية ثابتة ، ولذا راح المارشال هندنبورغ يحلم بوزارة لا رأي للبرلمان في قيامها وبقائها . وبالاعتماد الى المادة ٤٨ من الدستور ، كانت معظم المقررات التشريعية منذ عام ١٩٣٠ ، تصدر بشكل مراسيم (فقد صدر عام ١٩٣٢ ٥٩ مرسوماً بشأن خمسة قوانين اقرها المجلس) . وهكذا نرى ان النظام الليبرالي والبرلماني كان قد زال بالفعل من البلاد قبل ان يصل هتلر الى الحكم . وفي انتخابات تموز ، نال الحزب النازي ١٣،٨٠٠،٠٠٠ صوتاً و ٢٣٠ مقعداً في مجلس الرايشستاغ (شكل ٣، ص ١٠٨) ، وبالرغم من خسارة الحزب ٣٤ مقعداً في انتخابات تشرين الثاني ، فقد كان بامكانهم ان يعطلوا كل حركة في حكومة برونتنغ ويشلوها تماماً ، كما كان باستطاعتهم ان يشلوا « حكومة البارونات » التي ألفها فون بابن . وفي ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ ، وبعد ان رفض هتلر مراراً وبعد مفاوضات غامضة ، خلف هتلر دون إهراق اي نقطة دم ودون اطلاق اي عيار ناري ، المستشار شليخر ، على كرسي المستشارية في البلاد .

فهو السيد المطلق في الحكم . وألغى بشطحة قلم كل الحقوق التي نص عليها دستور ويمار ، وراح المستشار وفقاً للسلطات العامة التي اعطيت له في ٢٤ من اذار ، يرسم القوانين الجديدة ،

واتخذ من حريق مجلس الرايشستاغ ذريعة لاتخـــاذ الاجراءات الشديدة ولتزويد البوليس بصلاحيات واسعة لمهاجمة خصوم النظام وتوقيفهم وسومهم اشـــد المعاملات قسوة وعنفاً ، وارسالهم الى مخيمات الاعتقال . ومع ذلك ، فقـــد ادت الانتخابات التي وقعت في ٥ آذار ، بالرغم من حوادث التوقيف والتهديد والترويع الى ٢٢٨ نائباً للحزب النازي مقابل ٣٥٩ نائبـاً غير نازيين ، فقد نال الاشتراكيون والشيوعيون ١٢ مليون صوت . ومع ذلك فالصراع بقي على احتدامه الشديد ، فصدرت الاوامر بالغاء الاحزاب وحظرت النقابات العماليـة ، كما اسقطت حقوق اليهود واعلنوا غير صالحين قانوناً وفقاً للبند الثالث من القانون الصادر في ٧ نيسان ، كما جرت تصفية الشيوعيين والنقابيين ، وأزيل من البلاد كل اثر للمطالب والنزعات الاقليمية . وجرت تنقية الإدارة العامة ووقعت باكملها تحت اشراف إدارة الحـــزب النازي ولم تلبث ان انصهرت بها ، كما اجبر كل الموظفين في آذار ١٩٣٤ على الانضمام لعضوية الحزب بعـد ان جرى لتنظيمه من جديد بحيث كان له اعضاء في اصغر القرى والدساكر . وبعـــد مقتل روهم في ٣٠ حزيران أعيد تنظيم فرقة الصاعقة التي كان يرأسها . وما كادت تفيض روح هندنبورغ في ٢ آب ١٩٣٤ حتى كان الحزب والبلاد بأسرها في قبضة الفوهرر .

النظـام الجديد

زينت دعاوة الحزب الوطني الاشتراكي العنيفة للناس الآمال وعللتهم بقرب وقوع ثورة . الا انه لم يحدث شيء من ذلك بعد ان آلت السلطة الى هتلر فلم يخطر له قط على بال مس التركيب الاجـــتماعي في البـلاد حتى ولا التعرض بشيء للمصالح الكبرى التي سهلت له الوصول الى السلطة العليا . فمنذ مطلع عام ١٩٣٣ ، اخـذ يعلن « انتهـاء عهد الثورة والازمات الذي استمر خمسة عشر سنـــة » ، مدخلاً بذلك الطمأنينة لأصحاب هذه المصالح . وفي هذا السبيل تنحّى عن الجناح اليساري الاشتراكي في الحزب الذي كان بقيادة الاخوة شتراسر كما تخلص من العناصر المغلقة الطموحـــة ومن طغمة المغامرين الذين كانوا يطمعون بان يروا تحت تصرفهم ، في « اعقاب الثورة الثانية » الثروات المختزنة لدى كبار المزارعين وفي المصارف ولدى رجال الصناعة . وفي ٣٠ حزيران ، يأمر هتلر نفسه باعتقال روهم زعيم هذا الفريق من رجال الصاعقة ، خصوم التسلسل الاجتماعي وخصوم عقلنة النظام وينفـــذ الحكم بقتله في الحال . وقد جرت إذ ذاك تصفية كل هؤلاء الذين كان ولاؤهم موضع شك وارتياب او كان بامكانهم ان يتزعموا حركة عصيان وتمرد امثال غريغور شتراسر او الجنرال فون شليخر وجرى تنفيذ حكم الموت فيهم .

التوحيـــد والمركزية

جرى بسرعة تطبيق مجموعـــة من التشريعات الدقيقـة سبق لفلاسفة الحزب ان اعدوها من قبـــل . فقد جرى في المجـال السياسي توحيد الرايخ واعلان المركزية بعـد ان أُلغي التنظيم الفدرالي وأزيلت من الوجود كل معالم النزعات والمطالب الاقليمية وإلغاء مجلس اللاندتاخ ونقلت الصلاحيات التي كان يتمتع بها

للحكومة المركزية وتوحدت المصالح العامة بعد إلغاء الوزارات والحكومات الخاصة بالمقاطعات والولايات واستبدلت الادارة باشخاص يتمتعون بثقة الحزب .

وحل محل النظام النيابي نظام رئاسي. فالفوهرر المستشار يتمتع بسلطة شخصية لا حدّ لها. فارادته هي التعبير بالذات عن روح الشعب الالماني ولا يعلو عليها أي قانون أو دستور تعمل به البلاد . فهو لم يتلق السلطة من احد ولا يتقاسمها مع أحد . فهو يجمع في شخصه السلطة التشريعية والسلطة القضائية . فالقانون الجديد الذي يتعارض مع القانون الكلاسيكي ، حرر القاضي من اعتماد حرفية النص والتقيد بها ، إذ يكفي ان يأتي قضاؤه او حكمه منسجماً مع « الشعور الطبيعي » للشعب الالماني . كذلك أعيد النظر في قانون الجزاء بصورة جذرية ، وجرى التشديد على العقوبات . وقسا التشريع بنوع خاص على الجرائم التي تمس او تتعرض بشيء الى « ما فيه خير الأمة الالمانية وصلاحها » ، والخيانة (بما فيه نشر الاخبار التي تفتري القول على الحكومة والجرائم الاخرى ضد العرق او الدم) .

بين النازية والمسيحية

في المجال الديني ، حمل العداء ضد الوسط الكاثوليكي ومحاربة السامية (ما المسيحية سوى ديانة يهودية) وعبادة الماضي الجرماني ، الحزب النازي على اتخاذ موقف معادٍ من المسيحية ورجال الدين، والى بعث الطقوس الوثنية ، او بعبارة اخرى ، الى جرمنة المسيحية . وراحت المسيحية الجرمانية تطهّر العقيدة المسيحية من العقائد غير الآرية . واستهدفت الكنيسة الجاهدة للاضطهاد وجرى توقيف عدد من القساوسة بينهم نيمولر . ومع ذلك فقد شجبت النازية المذهب المادي والشيوعية على السواء، وكان من بين التدابير الاولى التي اتخذتها، حل المؤسسات المناهضة للدين واعادة التعليم الديني الى المدارس في بروسيا. ولذا راحت الكنيسة الكاثوليكية تعلن رضوخها، كما راح الأساقفة يشجبون المنشورات التي صدرت من قبل ضد النازية، وعقدت الحكومة في تموز ١٩٣٣ معاهدة دينية مع الكنيسة نصت على الاعتراف بالدولة الوطنية الاشتراكية . وحظر على الكهنة ورجال الدين التدخل بالسياسة ، وفرض على الاساقفة الذين يجري تعيينهم من قِبَل البابا تأدية قسم الولاء للدولة قبل المباشرة بوظائفهم . والمهم في الامر كله هو ان المنظمات والهيئات الخيرية والتعليمات والاخويات لم يؤت على ذكرها بحيث ان الاختلافات كانت تنشب من جديد كلما جرى علمنة احدى المدارس او احد المستشفيات ، كما ان الملاحقات التي تجر اليها المخالفات التي يأتيها رجال الدين ومتاجرتهم بالقطع النادر وتهريب رؤوس الاموال الى الخارج او بعض الشطط في الاخلاق، كانت موضوع دعاية فاجرة من قبل السلطة . والمرسوم البابوي الذي صدر عام ١٩٣٧ ، اعلن على رؤوس الاشهاد بان النازية مذهب يتناقض والآداب المسيحية .

النازية والحياة الفكرية

« ان الثورة التي قمنا بها ، هي ثورة شاملة جمعاء، تناولت جميع الحقول والمجالات وقطاعات الحياة العامة ، وقلبتها ظهراً لبطن ورأساً على عقب » ، اخذ يصرّح غوبلز ؛ فالادب والفن وقعا كغيرهما من نشاطات الحياة في

المانيا تحت نفوذها ، وحرص النظام بكل ما يملك من قوة على بث فلسفة جديدة للجماليـــة الفنية . فالليبرالية والمذهب العقلي لا يعطيان سوى آثار يصعب على الشعب تفهمها ، كما يفضيان الى فن شعوبي لااخلاقي . وعلى عكس ذلك تماماً ، فالمثالية « الشمالية » للفن تقوم اصلاً على « الاعتقاد الراسخ » بان الدّم والارض يكوّنان كنه المجتمع الالماني ... وان « الفن في انطلاقه ليس من القضايا الجمالية بل هو في الصميم قضية بيولوجية » . فعلى الفنان ان يعبر عن العِرْق ، عن الأمة ، عن المثال الجمالي الجرماني ، كما عليه ان يصقل روح الشعب ويجعلهـــا تعي العناصر المقومة لوحدتها ولقوتها . فالنظام يعارض والحالة هذه كل حركة تعصير او تحـــديث . وراح الحزب يقوم بعملية تطهير شاملة في المكتبات فينتزع من بين مجموعاتها ليس آثار الكتّاب الاشتراكيين والشيوعيين واحرار الفكر ويجعلها طعماً للنار والحريق فحسب ، بل ايضاً آثار كتاب كبار غيرهم امثال انشتاين وفرويد وويلز وجيد حتى جاك لندن ... كل الآثار الفنية التي انجبتها الكتاب البلاشفة والشعوبيون ، فانتزعت من المتاحف والمجموعات الفنية العامة ، كما جرى تنظيم معارض نقّالة « للفن الفاسد الذوق » من وضع بورباخ وكورنث وكاندنسكي وكلي وكوكوشكا ولمبروك والهزء من اصحابها . كذلك من غير المرغوب فيها آثار الرسامين الايطاليين المحدثين ، والانطباعيين الفرنسيين امثال مانيه وسيزان وفان غوغ . وقد بيعت آثار كثيرة بالمزاد العلني في صالات لوسرن أو أحرقت .

وقد احيطت بالتشجيع والتقييم العالي الآثار الشعبية اي تلك التي تعبر عن « روح الشعب» وقصص البطولة ، لا سيما قصص الحروب . واستطاع المسرح وحده ان يخلق او يبتدع شكلاً اصيلاً من هذه المسارح التي اقيمت في الهواء الطلق حيث جرى تمثيل المسرحيات الشعبية التي يشارك الشعب بتمثيلها في الاغـــاني والاناشيد التي تقوم بها الجوقة . كل مظاهر الفكر على اختلافها تخضع لمراقبة المكتب المعروف بـ *R. K. K.* وفروعه السبعة الاخرى التي على كل من يعنى بأمر الفكر ان ينتمي الى واحـــد منها ، وهكذا اصبح المسرح احدى مصالح الدولة يراقب الفوهرر منها المحتوى والاخراج والتوزيع . والفن الالماني الاسمى ، الموسيقى ، يخضع من الآن فصاعداً للمعهد الموسيقي الألماني . فما من نوطة واحدة يمكن لها ان تدوي في الجو الا باذن من هذا المعهد . فالفنان ورؤساء الفرق الموسيقية (اكثر من خمسين بينهم برونو والتر) والكتاب (بينهم توماس مان وواسرمان ودويلن وريمارك) والعلماء ، جرى تنحيتهم جانباً عملاً بالتمييز العنصري او السياسي واضطروا لمغادرة البلاد .

العمل الاقتصادي

هدف النشاط الاقتصادي للقضاء على البطالة قبل كل شيء والى تأمين استقلال المانيا اقتصادياً بحيث تكفي نفسها بنفسها . وبعـد الاتفاق الذي عقده هتلر ، عام ١٩٣٢ ، مع كبار رجال الصناعة الثقيـلة امثال هوجنبرغ وكيردوف ونيسن ومع شاخت (ممثل جبهة هارزبرغ) ، لم يحاول النظام الجديد شيئاً من شأنه ان يمس

حقوق الملكية او ليزيد من الطاقة الشرائية لدى الفلاحين والحرفيين وصغار التجار – باستثناء تخفيضه معدل الفائدة – ولدى العمال ايضاً .

طبقة الفلاحين

التشريع الزراعي لم يمس بشيء الملكية العقارية الضخمة (فقد عدت البلاد عام ١٩٣٨ نحواً من ٧٠٠٠ استثمار عقاري تزيد مساحة العقار الواحد على ٥٠٠ هكتار) فقد هدف الاصلاح المذكور ، محافظة منه على تركيب البلاد الاجتماعي ، الى توطيد اسس الملكية الصغيرة بتأمين ارتباط الفلاح بالأرض عن طريق انشاء ملكيات عائلية لا تخضع للتجزئة ولا للتحويل ولا للمصادرة يكون بالاستطاعة توريثها لواحد من ابناء الاسرة . وصاحب الحيازة الذي تعرف الارض باسمه يجب ان يكون من العرق الآري الصرف ، و فلاحاً حقيقياً ، امينا ويخضع لسلطة خاصة تتمتع وحدها بصلاحية قرار التصرف بقسم من الارض ، والسماح بتأجيرها لمدة لا تتجاوز ثلاث سنوات او لعقد قرض بشأنها . وقد كان في البلاد ، عام ١٩٣٨ ، نحواً من ٦٧٣،٠٠٠ قطعة ارض او مزرعة بهذه الاوصاف ، تكوّن معاً ٣٢ ٪ من مجموع الاراضي الزراعية . وقد تسبب انشاؤها بعدد لا يحصى من الدعاوي والاختلافات بين افراد الاسرة الواحدة كما نجم عن هذا الوضع تعقيدات لا تحصى حالت دون ارتهان الارض او الاستلاف كما حالت دون تغيير صاحب الحيازة مهنته او تعاطي مهنة اخرى .

وتأميناً لأسباب تموين البلاد في حالة تعرضها لحصار بري او بحري ، تألفت في الرايخ مؤسسة ضمت بين اعضائها كل الذين يعملون في مصالح التموين : كالفلاحين المزارعين ومقدمي التقاوى وتجار الأسمدة والاجهزة الزراعية ومربي المواشي والجزارين وشركات التسليف الزراعي ، والتعاونيات واصحاب المطاحن ومعامل السكر ومصانع المواد الغذائية والمعلبات على اختلافها . وقد وزعت الى زراعيات محلية وزراعيات اقليمية . ويرأس كل زراعية رئيس او فوهرر ، ويأتي في رأس السلم فوهرر الفلاحين الالمان الذي يترتب عليه اتخاذ التدابير التي تؤمن احسن مردود واطيب مواسم واحسن اصناف . وقد أدت التدابير التي اتخذت لتنظيم الاسواق ولتحديد الرسوم على الغلال عند جني المواسم ، الى تأمين الاكتفاء الذاتي بنوع عام في جميع انحاء المانيا . الا انه لم يجر تقييم المحاصيل الزراعية كما ان زيادة الانتاج لم تفض الى زيادة الأرباح بحيث لم يكن باستطاعة المزارعين تأمين تجديد اجهزتهم الزراعية او صيانتها كما عجزوا عن تأمين صيانة مبانيهم . ثم ان الغاء نقابات العمال الزراعيين الذين استثنوا من ضمان البطالة ، وتخفيض الاجور ، والتنظيم الدقيق الذي خضع له اصحاب الاملاك ، كل ذلك لم يضع حداً للقلق الذي كان يتسكع فيه المزارعون ، كما يشهد على ذلك حركة النزوح من الريف الى المدن بالرغم من التدابير الزجرية التي اتخذتها السلطة بهذا الشأن ، كمنع تشغيلهم في المدن ، ووسائل ابعادهم ، وارجاعهم .

الصناعة

وسياسة الاكتفاء الذاتي ، سار عليها الحزب كذلك في القطاعين الصناعي والتجاري وأدت الى استثمار اشمل واوسع لموارد البلاد وان جاء اقل مردوداً وربحاً كما ادت الى زيادة كبرى في المواد البديلة وازدهارها ولكن لفائدة المشاريع الكبرى والمؤسسات الاستثمارية ، عن طريق حصر عمليات التسليف المالية (لهذه الشركات التي لها القدرة على « الوفاء ») ، وبفضل القانون الذي اوجب التكتلات الاحتكارية . وقد قنعت مشاريع الاستثمار الصغرى والحرفية بمظاهر خداعة من الاستقلال كما انه لم يطرأ اي تغيير على حق التملك ، الا ان التحديدات التي فرضت (كتحديد الاسعار ، وحظر رفعها) اصابت الاستثمارات الهامشية اكثر منها الاستثمارات والمشاريع الكبرى التي جاء قانون ١٩٣٣ يقوي من شأنها على حساب التكتلات الالزامية ولا سيما على حساب المصارف (التي تحتكر سوق الاعتماد المالي) والتي تسيطر على النظام الاقتصادي والغرف التجارية . وقد انشأت براءة العمل الصادرة عام ١٩٣٤ ، الى جانب وزارة الاقتصاد الوطني ، المجلس الاقتصادي الالماني . وقد وُزّع الاقتصاد عمودياً ، الى ست أقسام او فئات ، خضع كل واحد منها لتقسيم آخر ميز بين فئات رئيسية وفئات ثانوية مهنية ، كما وزع أفقياً الى ١٨ غرفة تجارية توزعت مناطق البلاد المختلفة ، ألحقت بها ٩٠ غرفة صناعية وتجارية محلية ، تعمل كلها على مبدأ الفوهرر او الزعيم الذي يأتي على رأس كل فئة او قسم من هذه الفئات والاقسام . وكانت مهمة هذه الغرف التجارية والصناعية النظر في امثل الوسائل وخير الذرائع التي تؤول الى تحسين الانتاج وتطبيق القرارات التي تتخذها الحكومة في هذا المجال ، لا سيما ما تعلق منها بالخطط الرباعية . ولذا اخذت تتكاثر ، منذ عام ١٩٣٦ ، حوادث الافلاسات بين صفوف الصناعيين المهنيين ، بحيث هبط عددهم في البلاد الى ١٠٤،٠٠٠ ، بين ١٩٣٦ — ١٩٣٨ . وفي اذار ١٩٣٩ ، صدر قرار جعل كل الحرفيين الذين « ينصرفون لعمل غير ملائم » او « لا يتفق ومؤهلاتهم » ، عرضة لاستبدال نشاطهم بآخر . وبعد ذلك ببضعة ايام صدر قرار آخر الغيت بموجبه كل مشروعات الاستثمار التي لا يسجل نشاطها التجاري حداً ادنى ، كما الزم كل من خسر عمله من جراء هذا القرار ، الانضمام الى المشروعات الكبرى والعمل فيها ، قبل اول نيسان ١٩٣٩ . اما العمال الذين « حرموا من نقاباتهم او من اتفاقاتهم الجماعية » ، فقد حال تثبيت الاجور دون ادخال اي تحسين الى اوضاعهم . فقد جرى تحطيم النقابات من الاساس وأرغم الاعضاء المنتمون اليها الانتساب الى جبهة العمل ، هذه المؤسسة الوحيدة الالزامية التي تتألف من اتحادات ومن فئات مهنية لكل منها فوهررها الاعلى ويأتي في رأس السلم الدكتور لي الذي كان عليه ان « ينظم العلاقات التي تشد الرأسمال الى العمل بما فيه المصلحة المشتركة » . وذوو الخبرات ممن هم موضوع ثقة في قلب كل مهنة او حرفة الذين يكلفون التوسط في حال نشوب اختلاف او صعوبات ما ، فقد كانوا ينتقون من بين اعضاء الحزب النازي ، من اصل لوائح من المرشحين يعدها ارباب العمل بعد الاتفاق مع رئيس الخلية صاحبة العلاقة .

انتهازية الفاشية الايطالية

مع ان الفاشية كانت أطول عمراً من النازية ، فلم تتوصل قط الى مـــا بلغته من المتانة والقوة المطلقة زميلتها وحليفتها النظام النازي . فقد رأيا النور في ظروف متشابهة وفي اثر انتفاضة للشعور القومي المجروح في كبريائه ، وأثر ردة عنيفة ارتكضت بها الطبقات الموجهة ضد المخاطر التي تبعثهـا الاشتراكية . فقد كانت الفاشية في تطور دائم وتحول مستمر . « نحن الفـاشيين » كان موسوليني يصرح ، عام ١٩١٩ ، ليس لنا عقيدة مرسومة من قبل . فعقيدتنا هي الواقع القائم » . وعلى شاكلة هتلر ، فقد كان صنيع نفسه ، « حنكته الأيام وعركته وتركته اعجز من ان يحدد الثورة التي يتزعمها » . ان طموحه الى السلطة وكبرياءه الجامح وعزمه السيطرة على المجتمع الذي نبذه ، جعله يلجأ الى كل الوسائل ويستغل كل المناسبات التي تساعده على تحقيق أمانيه ، دون اي اهتمام او اكتراث بالمبادىء الكلاسيكية . وهذا ما يفسر لنا مغالطاته الكثيرة وتراجعاته المتكررة . وباطلاً يتبجح مدعياً انه تلميذ نيتشه وباريتو وسوريل ، فهو انتهازي فَرَصِيّ في الصميم . وعندما تم له الاستيلاء على السلطة ، لم يكن احد يعرف ما الذي سيأتيه فيما بعد ، اذ لم تكن الفاشية بعد سوى حركة احتجاج واسعة تحاول ان تحافظ ، بشكل ديماغوجي ، على حق الحيازة والنظام والملكية. ولم يستطع قبل مسيرته المظفرة ان يؤلف له وزارة فاشية الا بعد دخوله روما بسنة واحدة ، عـــام ١٩٢٤ ، بعد ان تمت له اكثرية محترمة في المجلس النيابي بفضل العنف الذي اعتمده والقانون الانتخابي الذي جاء يعضد اكثر الأحزاب قوة ونفوذاً . وبعد ذلك بسنتين ، اي في سنة ١٩٢٦ ، توصل الى طرد الاحزاب المعارضة في المجلس واعلنها رسمياً غير شرعية . وهكـــذا نرى ان استئثاره بالسلطة اقتضى له اربع سنوات لكي يرسخ النظام الذي وضعه ويوطده في البلاد ، بعد ان امّن مراقبة الصحافة ، ونظم الحرفية تنظيماً قاسياً ، ونحّى جانباً خصومه السياسيين . والمؤسسة النوعية الوحيدة الجديدة التي طلع بها ، تتبلور في المجلس الفاشي الاعلى ، وهو عبارة عـن مجلس استشاري لتأمين الانسجام والتنسيق بين الحزب والحكومة . وفي هذا الوقت بعينه اخذ موسوليني يقع اكثر فأكثر ، تحت تأثير الزعماء الوطنيين امثال : كورادييني وُركو وفدرزوني وأصبح منذ ذلك الحين حامي الدولة والجيش والنظام الملكي ، حتى والكنيسة . والمقال حول « الفاشية » الذي ظهر في الموسوعة الايطالية تولى وضعه وكتابته الكاتب جيوفاني جنتيلي ، فيلسوف الفاشية ، ووقعه موسوليني ، وفيه تعريف دقيق بالنظام واهدافه .

الدولة النقابية

والنقابية التي هي من اخص مميزات افكاره والتي جعل منها ، اول رئيس دولة في اوروبا ، ابرز خصائص الفاشية التي اسسها ، لم يُعمل بها الا متأخراً فظهرت المؤسسات وعُمِل بها بعد ان اتصف النظام بهذه الصفة بوقت طويـــل . والفكرة مستمدة من نظرية التعاون الطبقي التي المع اليها البابا في براءته *Rerum Novarum* فهي تهدف للقضاء على الصراع الطبقي في المجتمع عن طريق دمج مصالح

كل الفئات في صلب البنيان الدولي بحيث تتمكن من الاشراف عليها والتوفيق فيما بينـــها . والمقصود من هذا ليس تأميم المشاريع الاستثمارية بل بالاحرى اشراك العمال في ملكيتها ، في ارباحها وفي ادارتها ، واستبدال التمثيل الشعبي التقليدي القائم على المقاطعات بتمثيل آخر اقتصادي الطابع والسمة ، خليق بالتعبير عن مصالح معينة واضحة بدلاً من مجموع انتخابي وهمي. وتم تنظيم هذه المؤسسات تدريجياً مع ازدياد التفاهم بين الدوتشيه وارباب الصناعة وثوقاً وتوطيد سلطته في البلاد . واولى مظاهر النقـــابات الفاشية تمثلت في الحلف الوطني للحرف النقابية وكانت مختلطة ، اذ كان المطلوب كما تقتضي الحركة الوطنية احلال تعاون الطبقات بعضها مع بعض محل تصارعها وتخاصمها . فالاتفاقات التي عقدت في قصر شيغي وقصر فيدوني مع ارباب العمل عام ١٩٢٣ و ١٩٢٥ ، ألغت هذه الهيئات واستبدلتها بنقابات فاشية احتفظ الصناعيون مقابلها بهيئتهم الخاصة : « تحالف الصناعيين » الذي اعترف به رسمياً وقد ألغي حق الاضراب كما الغيت لجـــان الاستثمار المنتخبة ، وأنشئت عـام ١٩٢٦ وزارة النقابات التي اسندت الى ج. بوتاي ، كما ان قـانون روكو خلق « الدولة النقابية » . وبطل العمل بالنقابات المختلطة وحل محلها هيئات او فئات عمالية وهيئات من ارباب العمل وخولت الحق باستيفاء اشتراكات من جميع ابناء المهنـــة ، المسجلين منهم وغير المسجلين ، كما خولت سلطة وضع تنظيمات ادارية تلزم الجميـــع . وهكذا وقعت المنظمات العمالية تحت تابعية الحزب الفاشي الا انه لم يتم دمجها بعد في التشكيل الحكومي .

وجـــاء ميثاق العمل عام ١٩٢٧ يقر مبدأ التنظيم على أساس تعاون الطبقات . ولم ينشأ المجلس الوطني للنقابات الا في سنة ١٩٣٠ الذي ضم اعضاؤه ممثلين عن ارباب العمل وعن العمال ، واخيراً ظهرت عام ١٩٣٤ النقابات التي كان وجودها من قبل حبراً على ورق وعددها ٢٢ نقابة تألفت كل منها من ممثلين عن المنظمات الخاصة بالصناعة والزراعة ، والتجارة ، وهنالك عنصر ثالث يتألف من ممثلي القطاع العام ، اي من موظفي وزارة النقابات. وتوج التنظيم ، عام ١٩٣٨ بتشكيل « غرفة الحزائم والنقابات » التي حلت محل المجلس النيابي . وقد تكونت هذه الهيئة بالفعل بضم هيئتين سابقتين معاً ، هما: المجلس الوطني للنقابات والمجلس الوطني للحزب الفاشي ، وقد هيمن عليها العنصر السياسي وشد من قوتهـــا اذ اناط بها تطبيق الاجراءات والتدابير التي تتخذها الحكومة ، بينما اقرارها نهائياً يبقى بيد الدوتشيه ، بينما يتمتع فيها ارباب العمل بنفوذ قوي اذ ان ممثلي العمال ليسوا سوى موظفين في النقابات الفاشية جرى تدريبهم في معاهد خاصة محفوظة المقاعد فيها للشبان من الطبقة البورجوازية. اما ارباب العمل فقد مثلهم ممثلون عن القطاع الصناعي وممثلون عن اصحاب الاملاك وكانت لهم فيه الكلمة المسموعة والرأي الفصل ، لا سيما وعلاقاتهم الخاصة بزعماء الحزب الفاشي وثيقة جداً . وهكذا فالتعايش بين العناصر المضادة للديموقراطية : الأقلية الممثلة للاستثمارات الكبرى والاقلية الادارية على الوجه الامثل .

هنالك كما نرى ، « هوة سحيقة بين الروح النقابية وبين الواقع المتحيز في ايطاليا » فالنقابية

رمت في الاساس الى ان تكون البديل للتأميم . والحال ، فالدولة ، في ايطاليا تسيطر على الحياة الاقتصادية سيطرة تكاد تكون شاملة، الأمر الذي مكن ج بيرون ان يلاحظ قائلا : « القضية برمتها هي مجرد تمثيل لبق يخفي وراءه سلطة سياسية تمارس دكتـــاتورية مطلقة على المصالح الكبرى وعلى الفكر ، اقل منها طريقة تلقائية التنظيم للمصالح الاقتصادية »، فالواجهة النقـابية تخفي بشكل مفضوح سيطرة المصالح الكبرى .

السياسة الاقتصادية والاجتماعية

والسياسة الاقتصادية والاجتماعية تتميز بالواقع بصفات عدة منها الارتجال والتنسيب مع مقتضيات الحال ، والتظـــاهر العلني . فمعركة القمح عام ١٩٢٥ ومعركة الليرة عام ١٩٢٦ ، والمجهود الذي بذل في سبيـــل تصنيـع البلاد ، بعد عام ١٩٣٠ ، وسياسة التسليح ، وبعد عام ١٩٣٥ المجهود الحربي ، وكلهـا احداث تتعاقب دونما توقف تقريباً ، بذلت جميعاً نهوضاً بسياسة الاكتفاء الذاتي في المجال الاقتصادي . فقد جاءت النتائج غير متكافئة وغير سوية . فسياسة الاكتفاء الذاتي في الحقـل الزراعي التي دشنها موسوليني مع معركة القمح عندما قبض بيده على المحراث في رابعة النهـــار وهو متخفف اللباس ، زادت الأرض الزراعية ٣٥٪ وقد جاءت هذه الزيادة في اراض لا تصلح كثيراً لمثل هذه الزراعات ، وعلى حساب تربية الماشية والفاكهة . وعملية استطلاع بطالح مقاطعة البونتن التي استنفدت مبالغ طائلة، لم تؤد الى نتائج متكافئة مع المبالغ الضخمة التي تطلبتها عملية الاستصلاح ولم يستفد منها غير ١٩٠٠٠ مزارع . وفي المقابل لم يعمل شيء يذكر لحل المشكلة الرئيسية ، مشكلة المزارعين الذين لا اراض لهم. فالاجراءات التي سبق واتخذت قبل عـام ١٩٢٢ في سبيل الفلاحين كحماية المستأجرين من العبث بحقوقهم ، ومن زيادة معدل الايجارات وفي سبيل توزيع العقارات الكبرى التي تمثل ثلث مساحة الارض الزراعية ، صرف النظر عنها واهمل امرها . وعلى عكس ذلك ، فقد اخذ يلوح نوع من الاقطاعية الحديثة مـع سيطرة نظام مزارعة يرمي الى ربط الفلاحين المزارعين بالارض . وصدرت براءة بتنظيم هذا الشكل من المزارعة ، وتحدد انواع عقود الاستثمار في الحين الذي كان فيه العمال الزراعيون يفقدون تدريجيـــاً المكاسب التي سجلوها منذ عام ١٩١٩ : ثمان ساعات عمل في النهار ، والتأمين ضد البطالة ، كما اخذت تدرج عادة دفع المرتبات عيناً . ومن يحاول منهم ان ينزح من الريف الى المدينة بحثاً عن عمل او مورد رزق كان يجرى طردهم وارجاعهم الى منازلهم بالقوة .

اما العمال فقد اخذ وضعهم القانوني يتغير . فبراءة العمل كبراءة الـ *mezzadaria* لا تأتيان قط على ذكر القانون الذي ينص على ثمان ساعات عمل ، كما انه لم يتخذ اي تدبير فعال تجـــاه المخالفين للقوانين الجارية المفعول من ارباب العمل او ضد حق البطالة .

مدى نفوذ الفاشية وحدودها

والفاشية كالنازية ، لم تحاول قط تغيير المجتمع الايطـالي . فقد قنعت من الامر بتوطيد وتقوية الطبقات الموجهة التي مادت بهـا ازمة ١٩٢٠ — ١٩٢١ ، وقد عجز موسوليني في ان يحمل الجماهير تجيش بروح الحرب . فهـذا

الوضع من الضغط والاثارة المستمرين على الشعب ، لم يتمرس به سوى قلة من الناس : الشباب ، ولفترة قصيرة . فالسواد الاعظم من هذا الشعب الصابر ، العامل بقي يتسكع في حياة قاسية مستسلمة . فالازمة زادت الناس سأماً ومالا : فقد غاص الفلاحون والعمال في البؤس واليأس بحيث رفرف على النظام جو مشبع بالشك وبعدم الانضباط ايضاً. فبعد عام ١٩٣٣ ، نرى اقل من نصف الاولاد ينخرطون في التشكيلات الفاشية على اختلاف انواعها ، بعد ان اعرض عنها العمال والفلاحون . فالطبقات الموجهة وحدها توجه اولادها شطر هذه المنظمات لانها المفتاح الذي يفتح امامهم ابواب الوظائف الادارية والمهن الحرة . ومن جهة أخرى ، ان اشراف الحزب على البلاد ، حتى على الاعضاء المسجلين فيه لم يبلغ قط من القدرة ما بلغه النظام النازي في المانيا . وقد حدث في وقت مبكر جداً تراخ امتد من اعلى السلم الاداري الى اسفله ، كما ان الفساد اخذ يدب في صفوف الحزب وكثرت مساوىء الادارة .

فطالما عرفت الفاشية ان تشدد من قبضتها على الفقراء والمساكين وعرفت ان تصون المكاسب والمنافع وحققت انتصارات سهلة في المجالات الدبلوماسية، فقد حظيت برضى الطبقات الموجهة وحظوتها ، وقد حرص فريق من بنيها ان لا يتورط بعيداً معها، وبقيت متحفظة للغاية لأن دستور عام ١٨٤٨ لم يجر الغاؤه رسمياً ، وهكذا فقد انتصب دوماً في وجه موسوليني نظام ملكي كامل غير منقوص . فالملك الذي عرض نفسه للنقد باستدعائه موسوليني للحكم وبموقفه المشبوه من مقتل متيوتي ، قد ارتضى بواقع السلطة الثنائية وسلم بها ، الا انه بقي مع ذلك ، في نظر عدد كبير من الايطاليين ، ولا سيما في نظر الارستوقراطية الغنية الشديدة البأس ، الرئيس الحقيقي للبلاد ، وكذلك في نظر كبار ضباط الجيش ، والدبلوماسيين ، وفي نظر كل العناصر التقليدية التي لا تزال تنعم بنفوذ قوي في البلاد . وهذه الطبقة المتشككة والمحتقرة للفاشية واحياناً معادية لها ، عرفت ان تحافظ على البعد الذي يفصل بينها وبين الحزب . اما طغمة الاكليروس فقد اخذت تأتي بالدليل تلو الدليل على رضاها عن الفاشية (ألم يحيى بيوس الحادي عشر منذ عام ١٩٢٦ ، في موسوليني ، رجل العناية الالهية) كلما توفرت لديه امارات الرضى والحظوة ممثلة باعادة تعليق الصليب في المباني الرسمية ، واعادة التعليم الديني الى المدارس الرسمية ، ولا سيما بعد عقد اتفاقات لاتران التي اعترفت للكنيسة بمركز ممتاز . ولذا راح رجال الاكليروس من جميع الطبقات والدرجات ، وجريدة الفاتيكان الرسمية : الاوسرفاتوراه رومانو ، يؤيدون بقوة مشروعات الدوتشيه ، لا سيما حرب فتح الحبشة والتدخل المسلح في اسبانيا . الا ان الكنيسة احتفظت لوحدها بالمنظمة الوحيدة التي لا تخضع لمراقبة الفاشية ، اعني بها « العمل الكاثوليكي » . وما عتمت هذه المنظمة ان اصبحت محور معارضة سياسية حيث اخذت تظهر للوجود أطُر الحزب الشعبي الذي حل وضحي به عام ١٩٢٢ . وعندما اعلنت الحكومة حل منظمات الشبيبة والمنظمات الطلابية ، رد البابا على ذلك برسالة عنيفة شجب فيها وندد عالياً بهذه الروح الوثنية التي تجيش بها الدولة الفاشية ، كما ان البابا احتج ، عام ١٩٣٨ على التشريعات المضادة للسامية (مع انه كان سبق لجريدة شيفلتا

كاثوليكا ان اثنت عاليـــا على التدابير الاولى التي اتخذتها) . ومن نافل القول ان تعاون الاكليروس مع الدولة لم يفتر قط .

المعارضة في الداخل والخارج

والمعارضة الـتي انهكتها ملاحقات البوليس وتحرياته الشديدة ، والانشقاق المؤسف الذي تعرضت له بعد مقتل متيوتي ، ارغمتها على السكوت أو على اللجوء الى التستر والتخفي . والمعارضة الوحيدة التي بقيت قائمة — دونما خطر — تنحصر في مجلس الشيوخ حيث كان باستطاعة بعض الشيوخ التكلم بحرية ورفع عقيرتهم عالياً ، كما انحصرت في مجلة النقد حيث حافظ كروتشيه على تقاليد الفكر الحر . فالمعارضـــة الصامتة كانت منحصرة في الاوساط الجامعية والاساتذة الذين أدوا عام ١٩٣١ ، باستثناء ١١ استاذاً منهم يمين الولاء للنظام الفاشي ، مع وجود بعض خلايا تركز فيها الفكر الحـر ، وبعض زعماء حزب الشعب . الا ان هذه « الهجرة » في الداخل لم يكن لها أي شأن كما انها لم تحـاول قط ان تلعب اي دور . اما المناضلون ، فبعضهم — وهم الشباب — يعملون في الخفاء والسرية في جميع انحاء ايطاليا ، يطاردهم البوليس ، ويوزعون الصحافة المهربة عن المقاومة من بينها مثـلاً جريدة كارلو روسلي ، وينتهي بهم الامر عاجلا ام آجلا الى يد البوليس الذي يسيمهم العذابات الاليمة او يرسل بهم الى معسكرات الاعتقال في اقاصي ايطاليا او الى الجزر الموحشة في البحر التيرنتي ، حيث قضى العديدون منهم امثال انطونيو غرامشي ، ومنهم من يفر ناجياً بنفسه الى الخارج ، ليعمل في الخفاء ، امثـــال دون ستورزو وفرنسيسكو نيتي ، والكونت سفورزا ، وبيترو نني ، وجيوزيب سراغات وفيليب طوراتي الذين الفوا في باريس « التمركز اللافاشي » وكارلو روسلي اخيراً الذي نظم الحركة المعروفة بحركة : « العدالة والحرية » واضعـــة نصب اعينها تعاليم الاشتراكية الليبرالية . وقد لقيت نجاحاً كبيراً في صفوف رجـال الفكر ونجحت بتأسيس خلايا كثيرة لها في ايطاليا ، وهي خلايا لم تلبث ان صفاها البوليس الواحـــدة بعد الاخرى بحيث اصبح التأكيد انه بعد عام ١٩٣٦ قضي تماماً على مناهضة الفاشية ذات النزعـــة الليبرالية . وفي سنة ١٩٣٤ ، اخذ الشيوعيون الايطاليون ، في المنفى ، يتقربون من الاشتراكيين وعقدوا مع بيترو نني ، في آب من تلك السنة اتفاقاً خاصاً ينص على وحـدة العمل المشترك . ثم ان مساهمة اللاجئين الايطاليين باعداد كبيرة في الحرب الاسبانيـــة ، شددت من موقف الشيوعيين الذين ألفوا الطوابير الدولية برئاسة شخصيات شيوعية ، باستثناء راندولفو بتشياردي ، قائد فرقة غاريبالدي ، واخـــيراً وليس آخراً مقتل الاخوة روسلي ، عام ١٩٣٧ فانزل ذلك ضربة قاصمة بالمعارضة غير الشيوعية في ايطاليا .

٣ – انتشار الأنظمة الدكتاتورية في أنحاء اوروبا

في اوروبا الوسطى

جاءت الازمة الاقتصادية في اوروبا الوسطى بتغييرات اساسية وتسببت بانهيار عام لكل ما تبقي فيها من اثر للانظمة الديموقراطية البرلمانيـة، التي رأت النور في اعقاب الحرب العالمية الاولى . وتشيكوسلوفاكيا بقيت وحدها امينة للنظام البرلماني لما كان عليه تركيبها الاجتماعي وتقاليدها الادارية من مماثـلة وتشابه لمؤسسات اوروبا الغربية . وكل البلدان الاخرى التي سيطرت عليها ديموقراطية صورية دبت اليها عـــدوى النظام الايطالي والالماني .

كان من الصعب جدا في هذه البلدان الزراعية الطابع التي رزحت تحت واقع الازمـــة ، ابقاء جماهير الفلاحين البائسة والبروليتاريا الصناعيـــة التي تراصت صفوفها وتكاثفت على اثر الازدهار الصناعي الذي عرفته مؤخراً ، مسترسلة في خضوعهـــا واستسلامها . فالاصلاحات الزراعية لم تدخل اي تحسين يذكر على اوضاع الفلاحين والمزارعين ايـــنما وقعت وحيثما تمت ، فبقوا يرسفون في يأس مميت ، بعد ان ناؤوا تحت وطأة الضرائب وثقل الديون المتراكمة عليهم ، في الوقت الذي جعلهم فيه هبوط المحاصيل الزراعية عاجزين تماماً عن شراء بعض ضرورات العيش من المدينة . فاوروبا الوسطى واوروبا الشرقيـة تكتظ بالسكان ، والسواد الاعظم من السكان اي ما يتراوح بين الثلثين والثلاثة الارباع من هؤلاء الفلاحين يملكون مزارع لا تفي بأودهم وأود ذويهم . كما ان معظمهم يحتاج الى العمل ، اذ ان اليد العاملة الفائضة في هـذه القرى تتراوح بين ثلث السكان ونصفهم . وطبقة الفقراء في هذه البلدان ، التي تعود جذورهـا الرئيسية الى الطبقات الفقيرة او الى الطبقة البورجوازية الصغرى والمتوسطة ، تعد بين صفوفهـا الكثيرين ممن يعانون من البطالة . والطبقة العمالية نفسها التي تتضخم صفوفها وتنمو باستمرار ، تشكو من بخس الاجور كما ان البوليس يلاحق بوحشية كلية وفظاظة ، كل شكل من اشكال النقابات اذ يرى فيها خلية محتملة من خلايا البلشفية ، كما تميز بالعنف قمعه لاعتصاب عمال مناجم الفحم في وادي جيو ، عام ١٩٢٩ ، وورش الخط الحديدي في غريفلسا من اعمال رومانيا ، والاعتصاب العام الذي اعلن في قولا ، من اعمال اليونان . وقد نجم عن هذا الوضع احتدام العنف بين طبقات المجتمع المتصارعة بعد احتدام التنافس بين القوميات المستاءة . فـلا عجب ، والحالة هذه ان تقلق الخواطر بين الملاكين ورجال الأعمال والحكومات الرجعيـــة من جراء الهدير المتصاعد من هذه الاوساط التي يتآكلها الحقد والبؤس . فالحل الوحيـــد ، في نظرهم ، للتغلب على المصاعب الاقتصادية التي يتربصون بها ، وعلى الضغط الاجتماعي الذي يرزحون تحتـه ، يقوم في تقوية سياستهم المحافظة . وهكذا طلعت في تلك البلدان ، أنظمة دكتاتورية شكت من الضعف والهزال في وجه معارضة ناشطة .

الاحزاب الفاشية

قامت الى جانب الأحزاب القديمة التي انقسمت على نفسها امام الضائقة الاقتصادية الى فئات تناصر الدكتاتورية واخرى تطالب بتحقيق اصلاحات ديموقراطية جذرية ، احزاب جديدة طلعت من بين الدهماء اخذت تنسج على منوال الفاشية والهتلرية بعد ان تبنت مناهجها ونظم عملها . وقد اشتد ساعد هذه الاحزاب لا سيما في هذه الاقطار التي تقوم فيها اقليات يهودية قوية تتمتع ببعض النفوذ والشأن : كبولونيا وهنغاريا ورومانيا ، لا سيما في هذه البلدان بالذات حيث اخذ عدد حملة الشهادات العليا وخريجي الجامعات يزداد ويتعاظم ، وقد تناقصت امامهم ان لم نقل سُدّت، منافذ الرقي الاجتماعي التي توفرت من قبل واخذوا يشعرون ، اكثر فاكثر ، بمزاحمة اليهود لهم على المهن الحرة . فقد ألفت هذه الشبيبة المستنيرة الصفوف الأولى للحزب الوطني الراديكالي (نارا) و « معسكر الاتحاد الوطني » بقيادة الكولونيل كوك واخذوا يطالبون بدكتاتورية عنصرية تأخذ على نفسها تطهير البلاد من اليهود ويقطع دابرهم من الاساس مع دابر الديموقراطيين . كذلك شهدت هنغاريا طلوع « الصلبان ذات الأسهم » كما شهدت رومانيا « الحرس الحديدي » يجمع اعضاءه ومناصريه من ابناء الطبقة نفسها وتحدث دوياً قوياً بين صفوف الفلاحين والعمال . والحركتان تسجلان المزيد من الانصار والمريدين بين الفلاحين اثر حملة قوية مطالبتين بالاصلاح الزراعي ، شاجبتين بعنف وقوة اصحاب رؤوس الاموال ولا سيما اليهود . وكلمة السر عند الحرس الحديدي : « لكل انسان قدان من الأرض » والذي عرف ان يجتذب الى صفوفه العمال العاملين في هذه الصناعات الجديدة الذين نزحوا من عهد قريب من الريف ، ولم يلبث معمل مالاكسا الكبير للاسلحة في بوخارست ان اصبح قلعة الحرس الحديدي في البلاد . وعلى شاكلة ما تم في كل من المانيا وايطاليا ، فقد تلقوا تبرعات ومساعدات ضخمة من ارباب الصناعة ومن احزاب اليمين ، كما ان الادارة والمحاكم احاطوهم بالكثير من مظاهر العطف .

النظام الدكتاتوري في النمسا

اما النمسا فقد احتدم الصراع فيها واشتد بين الاشتراكيين المسيطرين على فيينا تساندهم منظمة خاصة من الميليشيا افرادها من العمال ، وبين الكاثوليك اصحاب الامر والسلطة برئاسة المستشار دولفوس ، يشد من أزرهم ميليشيا خاصة بقيادة الامير ستاهرنبرغ . وفي اذار عام ١٩٣٣ ، اصدر المستشار دولفوس قراراً بتأجيل انعقاد البرلمان ، وامر بحل الحزب الشيوعي والحزب النازي وفرض على البلاد دكتاتورية . وقد اصبحت الميليشيا التي تسانده ، البوليس الرسمي في البلاد ، فقمعوا بشدة فتنة اطلقها الاشتراكيون في فيينا ، بعد معركة حامية دامت ثلاثة ايام بطولها (شباط ١٩٣٤) . وخلافاً للدكتاتوريات المجاورة لم تكن الحركة التي قامت بها حركة جماهيرية ولم تعن الحركة بأن تولي الحكم في البلاد إطار جديد من الحكام، اذ ان وحدات الميليشيا تألفت صفوفها من رجال النظام القديم . فالحكومة القائمة برئاسة دولفوس الكاثوليكي وخلفه شوشنيغ ، هي حكومة شرعية في الصميم ومضادة للجماهير . وهذا النظام الدكتاتوري الجديد الذي تقاسمته

نزعة فاشية ممثلة بالميليشيا ، وقدامى العسكريين والارستوقراطية القديمة ورجال الاكليروس ، ونزعة مضادة للفاشية تدعمها البورجوازية اليهودية التي توجس شراً من الفتنة الاشتراكية ومن المذابح النازية ، بدت عليه معالم الضعف . والدستور الجديد الذي استلهم فيه واضعوه ايديولوجيا كاثوليكية صرفة ، وضع الدولة تحت سلطة « الله العلي العظيم مصدر كل حق وسلطان » . وهو لا ينص على انتخابات ولا على استفتاءات ، بل يؤسس دولة اساسها النقابية .

فليس من عجب بعد هذا ان يستفحل أمر النازية في ظل هذا النظام وفي مثل هذه البلاد المعروفة بعدائها الشديد للسامية ، حيث الشباب والعمال وكل هؤلاء الذين يكنون في صدورهم حقداً دفيناً لكل حكومة مسيحية اشتراكية ترتكز على الارستوقراطية وعلى الرجال العسكريين من الملكية الماضية ، هم على اتم استعداد للأخذ بعهود ووعود التجدد . وفي ٩ اذار ١٩٣٨ ، وتحت كابوس الغزو وخطر الاجتياح ، حاول المستشار شوشنيغ أن يقوم باستفتاء عام ، في سبيل الحفاظ على « نمسا حرة ، مستقلة ، اشتراكية ومسيحية » . فقد سبق السيف العذل ، إذ وقع بعد ذلك بثلاثة أيام ، ضم النمسا إلى الرايخ .

في بولونيا ومنغاريا

أعلن دستور عام ١٩٣٥ في بولونيا ، في اثر وفاة بلسودسكي عام ١٩٣٥ نظاماً دكتاتورياً ظاهراً ، إلا انه لقي معارضة عنيفة من مجموع السكان الذين تبعوا كلمة السر لدى أحزاب المعارضة وامتنعوا عن الاشتراك « بالانتخابات الميتة » ، التي اشترك فيها ٤٧ ٪ لا غير من مجموع الناخبين . جرى الغاء ١٣ ٪ من أصواتهم . وقد اعتبر ثلثا الناخبين معارضين . ومع ذلك ، فموت المارشال ترك المجال حراً امام كتلة الزعماء في الجيش الذين يشددون على الدكتاتورية بدون دكتاتور ، مع انتهاجهم سياسة تفاهم مع هتلر .

أما في منغاريا ، فحزب المحافظين استمر بالحكم منذ عام ١٩٢٠ يدعمه النبلاء وأرباب الأعمال ، الا انه اخذ ينزع الى الفاشية بعد عام ١٩٣١ عندما حل على رأس الحكومة الجنرال كمبوس قائد المنظمة الارهابية المعروفة بمنظمة « الجمر المستيقظين » محل الكونت بثلن . وقويت النزعة واشتدت اكثر فاكثر مع خلفه المالي إمردي الذي تأثر كثيراً بحزب الصلبان ذات الاسهم .

في اوروبا الجنوبية الشرقية والشمالية

ومنذ كانون الثاني ١٩٢٩ ، اصدر الملك اسكندر امراً بحل المجلس ووقف العمل بدستور فيدوفدان ، واعطى يوغوسلافيا عام ١٩٣١ دستوراً استبدادياً ، جعل الوزراء مسؤولين أمام الملك وحده . وبعد وفاته عام ١٩٣٤ ، خفف بولس الوصي على العرش من قبضة النظام دون ان يعيد الى البلاد الحريات المدنية والسياسية . وتألفت في البلاد نقابات *Jugoras* عام ١٩٣٥ ، على شاكلة النقابات الفاشية ببزاتها الرسمية .

اما في بلغاريا ، فقد انشأ الملك بوريس ، في اثر الانقلاب العسكري الذي قـام به الجنرال جورجييف (٢٩ ايار) ادى الى حـل المجلس وحل الاحزاب في البلاد ، دكتاتورية ملكية . ومع ذلك بقيت المعارضة قوية . وبالرغم من عنف البوليس وفظاظته والعذابات التي سامهـا ، وبالرغـم من الفساد والهـلع ، كان ثلث النواب الذين انتخبوا ، عـــام ١٩٣٨ ، من رجال المعارضة .

وفي رومانيا ، طُرِدَ حزب الفلاحين من الحكم بعد ان استأثر به منذ عام ١٩٢٨ ، وذلك في اثر القلق الذي ساد البلاد من جراء الازمة المالية . وانتهز الامير كارل هذه المناسبة للعودة الى بلاده ، ١٩٣٠ ، ويخلع ابنه عن العرش ويوسع حكمه وسلطته تدريجياً وبعد ان نجح في شباط ١٩٣٨ ، بنسف الاحزاب التقليدية في البلاد ، انشأ على المكشوف بمساعدة حكومة اتحاد وطني برئاسة البطريرك ميرون كريستيا ، دكتاتورية ذات دستور مسيحي لاتيابي ، الغى الاحزاب السياسية كما الغى النقـــابات العمالية ، ولم يبق قائماً سوى حزب جـديد المعروف بجبهـة البعث القومي الذي جاء تشكيله على غرار الحزب الفاشي ببزته الرسمية ، كما استعمل المصطلحات والتراكيب الفاشية .

اما اليونان التي اشتدت عليها قبضة فنيزلوس منذ ١٩٢٧ ، فقد أعيدت الملكية اليها ، عام ١٩٣٥ ، وكان الجمهوريون والملكيون على توازن فيما بينهم ، في البرلمان . ولما تكررت فيهـا حوادث الاضرابات التي دعا اليها الشيوعيون ، اتخذ الجنرال من ذلك ذريعة لحل المجلس وانشاء دكتاتورية ، كما اعلن في البلاد الاحكام العرفية وقـــد حاكى النظام الجديد بقسوته ، والعنف الذي قـمع به الاضطرابات النماذج الدكتاتورية التي نسج على غرارهـا ، بتأسيسه كتائب *Neolaia* اشبه ما تكون بفرقة الصاعقة في النازية وبدعاية شخصية تحيي « مؤسس الحضـارة الهيلنية الثالثة » .

وقام النظام الدكتاتوري في بلدان البلطيق ، في استونيا مثلاً ، عام ١٩٣٣ ، حيث حُل البرلمان والغيت الاحزاب ، وفي ليتونيا كذلك حيث لم يلبث أولمانيس ان اصبح ، عام ١٩٣٤ ، قادونيس او الفوهرر .

في اوروبا الجنوبية : برتغال سالازار

شهدت دول شبه الجزيرة الايبرية هي ايضاً قيام دكتاتوريات. فالجنرال كرمونا الذي اصبح رئيساً للجمهورية بعد ان طرد الجنرال غويز داكوستا الذي استأثر بالحكم اثر حركة انقلابية قام بها عام ١٩٢٦ ، سلم مقاليـد الحكم في البلاد الى سالازار استاذ الرياضيات في جامعة كوامبره الذي اخضع البـــلاد لنظام دكتاتوري من جنس معين . فقد كان كاثوليكياً ملتزماً تتلمذ على شارل مورّاس فحاول اخضاع البلاد وحكمها وفقاً لمعطيات السيلاّبوس او جريدة التعاليم المحرمة التي تحظر من اي تنـــازلات لليبرالية والاشتراكية والديموقراطية . وبصفته رئيساً لنظام حكم محافظ في الصميم ، واعتماداً منه على الجيش والكنيسة ، هدف سالازار للدفـــاع عن الحضارة المسيحية التي تتهددها تعاليم

عصرنا هذه وفلسفاته الناشزة : كالشعوبية والشيوعية والاشتراكية ، وكل ما من شأنه ان يمس بأذى « العقول والعقائد الاساسية » ويجعل النفوس تتشكك « بالحقائق الخـــالدة » . وأنشأ الدستور الجديد الذي نشر عام ١٩٣٣ ، انشأ « دولة جديدة » نقـابية ، مناهضة للديموقراطية وللنظام البرلماني . فالدولة البرتغالية هي في الصميم ، دولة مسيحية ، قوميـــة تقوم على الاسرة والحرفية والادارة البلدية ، تلغى منها الاحزاب والماسونية . فالبلاد تتخلى عن نظام الانتخابات العامة وتعتمد بديلاً عنه نظاماً حرفياً او مهنياً يتصدى للروح الطبقية ويحاول ان ينظم البـلاد بعد ان رزحت تحت وطأة الضائقة المالية . فالتعليم بيد الكنيسة في جميع مراحله ، و « قانون العمل » فيها ، هو صدى قريب لبراءة العمل في ايطاليا : نقابات عمالية وحيـــدة ، غير ملزمة تمثل مجموع العمال ، ونقابات ارباب العمل ، بعضها إلزامي ، يعهد اليها بتحديد الحـــد الاعلى للاسعار ، يكونون بحكم وظيفتهم وسطاء المنتجين ، فيسهلون بيع محاصيلهم ويفصلون في الاختلافات الناشبة . ويتألف من الفئتين تحالفات مهنية واتحادات ، تعمل تحت اشراف الدولة ، على تأمين الانسجام في المجال الاقتصادي . وهـــذا النظام النقابي هو أقل خضوعاً في البرتغال للسلطة التنفيذية منه في ايطاليا . هنالك مجلس نقابي استشاري يبدي رأيه في مشروعات القوانين التي تعرض عليها ثم تحال امام مجلس وطني يتألف من ٩٠ عضواً ينتخب لاربع سنوات . وتعمـل الدولة على استفتاء الرأي العام بعملية اقتراع عام يحرم من التصويت فيـــه كل من يجهل القراءة والكتابة الا اذا دفعوا ضريبة معينة ، وذلك بتقديم لائحة موحدة من المرشحين « للاتحـــاد الوطني » يحق للناخبين فقط شطب اسم من لا يرغبون فيه . والوزراء مسؤولون امـام رئيس الحكومة وحده الذي يبقى مسؤولاً امـــام رئيس الجمهورية ، وهذا الاخير ينتخب بواسطـة استفتاء شعبي لمـــدة سبع سنوات وتتمتع السلطة التنفيذية بحق رفض اي مشروع قانون اقره المجلس الوطني كما تتمتع بحق حل المجلس المذكور .

اسبانيا

تمخضت اسبانيا بحركة اختمار سياسي واسعة في هذه الحقبة من تاريخها الحديث حيث ازدهرت الفنون والآداب بكتبة وفنانين لمعوا في سماء البـــلاد ، أمثال ميغال اوتامونيو واورتيغا دي غاست والشعراء خوان رامون خيمنيس وفريدريكو غارسيـــا لوركا والموسيقار الشهير مانويل دي فالا . وكان من جراء الضائقة الاقتصادية ان زاد الناس تأففاً من نظام الجنرال بريمو دي ريفاريرا الدكتاتوري ، ولم تلبث الحركة الجمهورية فيها ان طغت بعد ان اشتد ساعدها إثر الاضطرابات الاجتماعية العنيفة التي هزت البلاد واشاعت الفوضى فيهـــا في نيسان ١٩٣١ . وتعاقبت على الحكم في اسبانيا ، بـــين ١٩٣١ — ١٩٣٦ ، حكومات ذات ميول متضاربة : تناوحت بين تحالف اليسار بعـــد ان انقسموا الى اشتراكيين شيوعيـــين ، وجمهوريين بورجوازيين ، واشتراكيين معتدلين الذين اقروا مجتمعين ، دستوراً ديموقراطيـاً علمانياً ووضعوا مشروعاً لاصلاح زراعي شامل . الا ان عملية الاصلاح هذه اعترضتها صعوبات جمة اخرت تطبيقها الامر الذي حمل الفلاحين على الثورة واخذوا يحتلون الاراضي . وجاءت

النتائج تخيب الآمال مما ادى في انتخابات عام ١٩٣٤ الى دخول المجلس اكثرية رجعية ساحقة تمثلت في اتحاد اليمين المستقل بقيادة جيل روبلس وتوجيهاته ، والفت كتائب ميليشيا عرفت عنـــدهم بالاحرف J. O. N. S. كانت تتنزى بالمبادىء الهتلرية والنازية ، مناهضة للماركسية وذات مطالب قومية (ضم طنجة وجبل طارق) كما أدت الى ظهور الكتائب الاسبانية بقيادة خوزه ابن بريمو دي ريفيرا. وحاولت الحكومة المستندة الى احزاب اليمين خلال سنتين انتهاج سياسة انكماش مالي ، كما سعت جهدها لالغاء التشريعات الزراعيـــة وتعديل نصوصها بانشاء « ملكية عائلية »على الطريقة الالمانية ، لا تجزأ ولا تنقل الا للارملة او لاحد البنين» ولا يجوز بصورة من الصور تأجيرها او رهنها ولا بيعها (الا لعائلة اخرى تكون مؤهلة هي ايضاً لمثل هذه الحيازة) . الا ان هذه السياسة التي اتسمت بالرجعية ، وقمع الاضطرابات العماليـــة التي وقعت في مقاطعة استوريا، بالدم والنار على يد الفرقة الاجنبية وفرقة المغاربة والطيران،كل ذلك ساعد على تشكيل جبهة شعبية في البلاد . ولما كانوا تلقوا درساً بليغاً من انهزام الاشتراكيين في فيينا ، ومن الامثولة الفرنسية الـــتي حدثت في باريس في السادس من شباط فقـــد تكتل الاشتراكيون والشيوعيون ودخلوا الانتخابات العامة في ١٦ شباط ١٩٣٦ كتلة واحدة أدت بهم الى فوز مبين لاحزاب اليسار التي ربحت ٢٦٥ مقعداً، منها ٨٨ للاشتراكيين و ١٥ للشيوعيين مما اتاح للجمهوريين العمل بنشاط لتحقيق مشروع الاصـلاح الزراعي فجرى تمليك ٧٥,٠٠٠ مزارع في مقاطعة استرامادور . وقد حمل هـذا الفوز الطبقات الموجهة والجيش والاكليروس لاستعمال العنف،وراح الكتائبيون والفاشيون بقيادة زعمـائهم خوسيه انطونيو بريمو دي ريفيرا وكالفو سوتيلو ينظمون انفسهم حربياً ويستعدون للقتال . وترأس الجنرال فرنكو حركة ثورية نشبت في ١٨ تموز ، فجاء انقلاباً كلاسيكياً أعد بكل اعتناء . الا انه لقي مقاومـــة شعبية مفاجئة لم تكن في الحسبان . فقد تمكنت الجماهير في برشلونة ومدريد من تجريد الجنـــد من سلاحهم . ولم يستطع الضباط ، بعـــد ان تخلت عنهم وحداتهم الا الاحتفاظ بقسم ضئيل من البلاد بمساعدة الفرقة الاجنبية وكتائب المغاربة وبعض المقاطعات والجزر ، ومناطق اراغون ونافار الجبلية وقشتالة وغاليسيا ، وراح الفلاحون والعمال في كل مكان يتسلحون ، بعـــد ان انضم اليها ٤٠٪ رجال الاسطول وعدد كبير من افراد الجيش بتواطؤ مع احرار البورجوازيين . وهذا الصدام بين شقي اسبانيا : شق شعبي متحرر يعضـــده الكاثوليك الكتالونيون والباسك، وشق ثان يعضده رجال الدين والضباط تشد ازرهم ايطاليا الفاشية والمانيا الهتلرية ، لم يلبث ان استحال الى حرب اهلية دامية هوجاء .

وفي الوقت الذي كانت تدور فيه الأعمال الحربية ، اخذت الحكومة الجمهورية في المناطق الخاضعة لنفوذها تقوم باصلاحات جذرية : فوسعت من نطاق الاصلاح الزراعي كما اخذت في تطوير الملكية الفردية الصغيرة . فقد اممت في مقاطعة كتالونيا كل مشاريع الاستثمار التي يزيد عدد العمال في الواحدة على مائة عامل ، بينما اعيدت الاملاك الى اصحابها في المناطق التي سيطر

عليها الوطنيون . واخذت الدولة بعد هزيمة الجمهوريين بتنظيم البلاد على غرار التنظيم المعمول به في النظام الفاشي . فقد برهن الزعيم فرنكو على انه عسكري قطن ، عنيد وكاثوليكي لجيش نفسه بالبغض للماسونيين وللشيوعيين . فهو يتمتع عن طريق الجيش والبوليس والادارة والمحاكم بسلطة لاحدود لها اتخذ منها اداة لتصفية الثورة واجراء مذابح في صفوف مناوئيه اثناء المعارك وبعدها ، كما ارسل الى المعتقلات مئات الالوف من الخصوم . فقد صرح منذ عام ١٩٣٧ قائلاً : « ان اسبانيا لتحذو حذو النظم الدكتاتورية كايطاليا والمانيا ، وستعمد الى تبني الهيئات النقابية وبذلك تضع حداً نهائياً للمؤسسات الليبرالية التي سممت الشعب » . وهو في ذلك انما يعتمد على القوى التقليدية في اسبانيا : الكنيسة الاسبانية التي وضعت عام ١٩٣٧ في رسالة راعوية عامة ، الحركة الانقلابية « استفتاء مسلحاً » ، والتي احتفلت عام ١٩٢٩ « بانتصار الصليبيين » والجيش والبوليس اللذين يستنزفان لوحدهما ، نصف موازنة الدولة ، وكذلك « الكتائب » التي انصهرت فيها ، عام ١٩٣٤ وحدات الجونز . وان انضم الحزب الكارلي المعروف بروحه الرجعية الى الحزب اصبح قانون الحزب عام ١٩٢٧ ، « مصدر الوحي والقانون للحكومة الاسبانية » . والكتائب هذا الحزب الاوحد الذي انصهرت فيه الدولة بعدها بالمنصر الحكومي والاداري ، كما يضع تحت تصرفها بوليس امن سري ، يوجه الصحافة والدعاوة والتعليم ومنظمات الشباب والنقابات العمودية في هذه « الدولة الوطنية النقابية » ، وبذلك تتم لها السيطرة على الطبقة العمالية .

وهكذا خضعت اسبانيا لنظام دكتاتوري يختلف في وجوه عديدة عن النظامين الالماني والايطالي لوقوعه تحت قبضة الحزب اكثر منه تحت قبضة الجيش، وبروحه الاكليركية البارزة وبروحه الوطنية التي لم تكن تهتم كثيراً بالتوسع الخارجي ، وبسيطرة المصالح الزراعية دون الصناعة الكبرى . وقد جاء هذا النظام في طبيعة البلاد والعقلية الاسبانية اكثر منه في صنويه الآخرين .

في باقي انحاء العالم

اما البلدان المرتبطة بغيرها والتي تأثرت عميقاً بالازمة فقد انفعلت هي الاخرى بالمبادىء الفاشية. ففي بلدان اميركا اللاتينية حيث تكاثرت حوادث الانقلاب السياسية والثورات ، قامت حركات اخذت كثيراً من ملامح الفاشية في ايطاليا والنازية في المانيا . من ذلك مثلاً « العمال التكاملي » في البرازيل وقمصانه الخضراء مع شارة خضراء على الساعد تذكرنا بالصليب المعقوف « والقمصان الذهبية » في المكسيك بادارة الاكليروس الذي ينعم بعطف الجنرال فرنكو ، و « الحزب الوطني للأمن العام» المعروف بعدائه للسامية .. وقام في الارجنتين :الحزب الوطني الاشتراكي في الارجنتين كما قامت منظمات تسير على هذا المنوال في كل من البيرو والشيلي وكولومبيا وبناما .

العالم الرأسمالي عام ١٩٣٩

العالم الذي شهد انفجار الحرب العالمية الثانية يختلف كل الاختلاف عن هذا العالم الذي روع، قبل ذلك ، بخمس وعشرين سنة ، بالحرب العالمية الاولى .

فمنذ عام ١٩١٤ ، اشتد التطور الذي بدت معالمـــه تلوح في الافق سرعة ،واخذ يجعل من الرأسماليه المتنافسة في القرن التـاسع عشر ، رأسمالية اكثر احتكاراً ، تحت سيطرة قبضة من الشركات الكبرى وثقت علائقها بالرأسمال المصرفي لتسيطر سيطرةتامة على الانتاج وعلىالاسواق التي تشرف عليها هذه الشركات . وقد كان من تركز رأس المال بيد قلة من الناس ، ومن انضمام رأس المال المصرفي الى الرأس المال الصناعي ان غير كثيراً منتقنية الرأس المال المصرفيوالوسائل التي يعتمدها . فالشركة المغفلة حلت محل الشركة الاسمية ذات الطابع العائلي ، و « الاتفاقات » المبرمة حلت محل المنافسة ، وسياسة الحمـاية الجمركية التي اخذت تشتد وتقسو اكثر فاكثر ، والتي انتقل امرها من يد الحكومات الى بعض هيئات اقتصادية مهددة ، حلت محل مبدأ حرية التجارة . كذلك حل محل رأسمالية ترغب في التوسع، رأسمالية تميل الى الانكماش او الانطواء وشابه شيء كثير من الملطوسية الاقتصادية ، التي باستطاعتها وحدها - في اوقات البحبوحة - المحافظة على ارتفاع الاسعار عن طريق لجم وسائل الانتاج ، والتخفيف من طاقتها حسبما ترى.

وعندما وقعت الازمة ، اضطرت حكومات الدول الرأسمالية للتدخل مباشرة . وسياسة التدخل التي ميزت الحقبة المنصرمة والتي لم يكن لتظهر الا لماماً ، وفي بعض قطاعـات خاصة ، حل محلها ، منذ عام ١٩٣١ ، توجيه عام للاقتصاد الوطني هدف الى استغلال القوى الانتاجية تحت تصرفه ،استغلالاً اكثر عقلانية ،كما حرص شديدالحرص علىتفادي الخضات والهزات في تطوير الانتاج ، مستعينة على ذلك بوسائل مختلفة : كالتضييق والمناصرة ، والاشغـــال الكبرى ، ومراقبة المؤسسات الصناعية والمبادلات التجارية، وسياسة التسلح . والروح الوطنية الاقتصادية المتزمتة ، كل هذه الوسائل ادت الى خلق تيار من المقايضات المقلية بين النظم الوطنية للاقتصاد. وهذه السياسة سارت عليها ونسجت على منوالهـــا كل الحكومات ولا سيما الدول ذات النظم الدكتاتورية ، وعلى الاخص المانيا ، وطبقوا مبادئها بصورة منهجية .

غني عن القول ان الازمة التي انفجرت في الولايات المتحـدة ، عام ١٩٢٩ ، سددت ضربة قاصمة للحركة الاقتصادية في العالم اجمع واخرتها ،الامر الذي احدث حركة انتفاض ويقظة في

اقتصاديات كل الدول التي تجيش بالقومية ، وهيأت ، كما حدث في المانيـــا السبيل لظهور هتلر واستلامه السلطة في البلاد، كما ادت الى الجهود التي بذلتها البلدان الديموقراطية للحد من مساوئها، استنفذت قدراً كبيراً من طاقات تلك الدول وقدراتها كان بامكانها استخدامها للصمود للتحديات التي تعرضت لها ، وهكذا مهدت الضائقة المالية الكبرى ، الى حد كبير ، الطريق امام انفجار الحرب العالمية الثانية .

القوى السياسية كما نراها موزعة

وهذا التغيير لم يقتصر على البنيان الاقتصادي بـل اصاب ايضاً توزيع القوى السياسية واجرى فيها تبدلاً جذريـــاً . فالدول الكبرى في العالم عند اعلان الحرب العالمية الاولى ، كانت : الولايات المتحدة والمانيا وبريطانيا العظمى وفرنسا وتأتي دونها درجة ومرتبة : النمسا والمجر واليابان وروسيا وايطاليا . والنظم الديموقراطية التي كانت تستند في اكثر الاحايين الى تقاليد قديمة ، كانت مزدهرة كل الازدهار ، في الولايات المتحدة وبريطانيـا العظمى وفرنسا والدول السكندينافية والدول الصغرى الواقعة الى الغرب من اوروبا . اما في ما عدا هذه البلدان ، فقد كانت هذه النظم تطلع وتأخذ بالتطور كما هي الحال في المانيا حتى وفي روسيا القيصرية .

اما في عام ١٩٣٩ ، فالصورة تختلف كلياً عما كانت عليه عـــام ١٩١٤ والوضع اصبح غيره تماماً . ففي منزلة الدول الكبرى ، تـــأتي الولايات المتحدة في الطليعة ، حتى ان قوتها بزت بكثير اية دولة أخرى ، سواء أكان بانتاجها الصناعي او بمستوى العيش الرفيـع الذي حققته في بلادها . فهي ارسخ دولة اجتماعياً ، كما انها رأس المال العالمي ومحوره الصناعي والمـــالي الاكبر . وتأتي المانيا في المرتبة الثانية من حيث القوة، ولكن وراء الولايات المتحدة بمراحل ، يتبعها من قريب الاتحـــاد السوفياتي الذي يبز قوة وقدرة اليابان ، وحتى بريطانيا العظمى وفرنسا .

وقد كشفت الازمة في المجالين الاجتماعي والسياسي المتناقضات والمفارقـات التي احاطت بالديموقراطية البورجوازية ، هذا التعبير السياسي للرأسمالية الليبرالية : هذا التناقض القائم بين السلم الاجتماعي وقوى الانتاج ، والتناقض بين سيادة الجماهير السياسية وبين السيطرة الاقتصادية التي تمارسها اقلية متميزة . فالبطالة الجماهيرية الدائمة ، هذه الظاهرة الجديدة التي لم يعرفها القرن التاسع عشر ، وعدم المساواة المتزايدة في توزيع دخل المجتمع ، وتمركز السلطة الاقتصادية في عدد من البيوتات آخذاً ابداً في الهبوط والنقصان ، زادت في حدة المتنـــاقضات الاجتماعية . وراحت الجماهير ، بعد ان احسنت تنظيمها ، تحاول تطبيق مبادىء الديموقراطية في المجـالين الاقتصادي والاجتماعي . ولاول مرة ، قامت حكومات اشتراكية او يدخلهـــا اشتراكيون وبذلك كسروا الطوق وابطلوا الحكر الذي فرضته الطبقات الموجهة على الحكومة . والحال ، « فكل نظام ديموقراطي يحتاج ، ليقوى ويرسخ في المجتمع ، الى نظام اقتصادي يأخذ بالتوسع والامتداد » .

والحد الذي بلغه توسع الاقتصاد الرأسمالي لم يعد ليسمح للطبقات الموجهة القيام بتنازلات جديد التي عملت حتى الآن ، على تهدئة المتذمرين بعد ان رفعت من مستوى عيش الطبقة العماليـــة . « فمبـــادىء المجتمع الرأسمالي أصبحت اعجز من ان تؤمن الرفاهية الشاملة التي تقتضيها الديموقراطية »(هـ. لاسكي) . فالاستيلاء على السلطة كان له اهمية كبرى في هذا الصراع القائم بين الطبقة السائدة والطبقة المسودة . وإذ ذاك انقطع التيار الذي كان يغـــذي المؤسسات الديموقراطية . ففي بريطانيا العظمى وفي دول غربي اوروبا حيث كان الوضع الاقتصادي أقل تعرضاً للخضخضة ، استمرت هذه المؤسسات تعمل ضمن اطارها الرأسمالي ، مع تعرضها للشك والجدل واصابتها بالضعف عن طريق تقوية السلطة التنفيذية . أما البلدان الاخرى ، وفي اقوى البلدان الاوروبية صناعياً ، أي في المانيا بالذات التي اصيبت اكثر من غيرها من الهزيمة في الحرب ومن الازمة ، ومثلها ايطاليا واوروبا الوسطى والشرقية ، اخذت الطبقة الحـاكمة ترى انه لا سبيل للبقاء والحفاظ على الحياة الا بالتخلي تماماً عن هذه المؤسسات الديموقراطيـــة . فالثورة الفاشية المضادة قضت تماماً على منظمات الطبقة العمالية القائمة ، واعتمدت سياسة عمومـــة تدعو للتسلح ولبسط سيطرتها الامبريالية ، كان من شأنها تعقيد المشكلات القـــائمة بين الدول وبين الشعوب . والنجاحات الباهرة التي حققتها سياسة اليابان في آسيا انزلت الوهن في مراكز الدول الاستعمارية ، بينما ادت ، من جهة ثانية ، الى خلخلة النظم الاجتماعية التي قامت عليها الطبقة الحاكمة في الصين . كذلك اخذت الحركات الوطنية المطالبة بالاستقلال تنشط وتستفحل سواء في الهند او في مستعمرات فرنسا وانكلترا وهولندا .

ومع ان النظام الرأسمالي لا يزال معمولاً به في القسم الاكبر من الكرة الارضية ، فقد اخـذ يشكو الضعف وتبـدو عليه امارات الوهن . ونجم عن هذا الوضع المزيد من الاصطـدامات الاجتماعية التي اتخذت لها مكاناً مرموقاً واصبحت عنصراً هاماً من عناصر السياسة الخارجيـة واخذت تلعب دوراً بارزاً في العلاقات الدولية . ففي الوقت الذي راحت فيه الشعوب تدخل حرب عام ١٩١٤ ، راضية مرضية ، نجد الطبقات المسؤولة – التي نراها منقسمة فيما بينهـا عام ١٩٣٩ ، يلتابها الشك والخوف من عدم اقرار الجماهير الشعبية لخططها السياسية . فخلف الصراع الناشب بين البلدان الفاشية والبلدان الديموقراطية البرلمانيـــة يطل علينا شبح الامبراطورية القيصرية حيث قامت ، منذ نحو ٢٢ سنة ، دولة اشتراكية تجـاهلت الازمة التي تضرس بهـا الجميـع والتي لها من التأثير البـالغ على الطبقات الحاكمة وعلى سكان المستعمرات ما يجعلهـا مفزعة للجميـع .

القسم الثاني

العالم السوفياتي

« بينما يتراجع النظام الاقتصادي والسياسي الحر في البلدان الرأسمالية ، نراه يزول كلياً في سدس اليابسة حيث كانت الثورة الروسية أولى مراحل تحول اساسي في المبـــادىء الاجتماعية للحضارة الغربية » .

هـ . لاسكي

كانت اهم نتـــائج الحرب العالمية الاولى الثورة الروسية — « اعظم حدث تاريخي منـــذ الاصلاح ... » — لانها حطمت وحـــدة العالم التي كانت شبه محققة في السنة ١٩١٣ . فنحت قيادة الدول الاوروبية الكبرى والولايات المتحدة ، اضطرت كافة الدول « المتخلفة » اقتصادياً وعسكرياً ، طوعاً او كرهاً ، الى اعتماد نظام اقتصادي واجتماعي واحد ، وتبني مثل عليـــا واحدة وطرائق تفكير واحدة وتقنيـــة واحدة . ثم جاءت السنة ١٩١٧ لتحدث انفصاماً مفاجئاً . فمنذ هذا التاريخ اخذت تتكوّن في وجه عالم النظام الحر والرأسمالي طريقة جديدة كل الجدّة ، تختلف مبادؤها الاساسية كل الاختلاف ، ستتطور وفاقاً لقواعدها الخاصة . فقد انطلقت روسيا البلشفية من اقتصاد فردي بدائي لتتحول الى دولة صناعية وعسكرية من المرتبة الاولى . وقـــد استطعنا — في الصفحات السابقة — تقدير التأثير الذي كان للدولة الروسية الجديدة على تطور العالم الرأسمالي : تأثير ايجابي محدود نسبياً اذ انـــه ارغم على انكماش وعزلة اصبحا تامين في بعض الاحيان ، واذ ان تدخلاته المباشرة و غير المباشرة قد انتهت في النتيجة الى فشل ، وتأثير سلبي عظيم جداً بافقاده توازن العلائق بين الدول ؛ فلم يسهم هذا « الفراغ » السياسي والاقتصادي في تشويش نظام المقايضات والانتـــاج فحسب ، بل ميزان القوى بين الدول ايضاً ، كما زاد من حدّة التوتر بين هذه الدول وبين الطبقات الاجتماعية في كل منها .

الفصل الأول

الثـورة الروسيّة

انهار النظام القيصري خلال ايام معدودة بفعل ضربات حركة تلقـائية لم يلعب الثوار في اعدادها ، في البدء ، سوى دور محدود . فما لبثت الملكية الدستورية التي رغب زعماء الثورة الاولون في تحقيقها ان افسحت المجال لجمهورية بورجوازية تدين بالنظام الحر انهـارت بدورها ، بعد اشهر قليلة ، بفعل وهن هذا النظام وافلاسه ؛ فأقدم الحزب البلشفي حينذاك على تأسيس دولة اشتراكية .

١ – النـــار في البيت

يفسّر سرعةَ حدوث هذا الانهيار انحلال النظام القيصري انحلالاً كلياً . فان امبراطورية نقولا الثاني ، المرتكزة الى الضغط على القوميات الخاضعة لها والى سيطرة ارستوقراطية قليـلة العدد ، قد تعرضت لهزة عنيفة بفعل الهزيمة والمحـاولات الثورية في السنة ١٩٠٥ ؛ ولم يتيسر توطيد السلطة الا بفضل عملية قمع حازمة سهلتها مساعدة مالية فرنسية ؛ ولكن المنازعـات الداخليـة استمرت في كافـة المستويات ؛ وقـد زادت الحرب من حدتهـا وجعلتها صعبة الاحتمال .

المنازعات الاجـتماعية والقومية

ان سياسـة الترويس ، التي اعتمدتها الحكومـة والكنيسة الارثوذكسية والجيش ، لا حيال القوميات الغربيـة فحسب ، بل حتى حيال الاوكرانيين ايضاً ، قد ثقلت وطأتها منـذ ١٩٠٥ – ١٩٠٦ واقامت في وجه النظام الشعوب الموحدة الرأي ، فتسببت في كل مكان بنشأة أحزاب قومية انفصالية الميول . كما ان تزايد عدد السكان قد ضاعف « سعار الارض » بـين الفلاحين بينما أدى نمو الصناعـة الكبرى الى قيام طبقة عمالية وفـيرة العـدد سهّل تجمّع الصناعات ، في صفوفها ، ولادة وعي طبقي . أضف الى ذلك ان البورجوازية ، القليلة العـدد

نسبياً ، لم تكن راضية بل كانت تشكو من تجبر الادارة وفسادها وعجزها ، ومن نظام مالي يتجاهل صوالحها ويقيم العقبات في طريق تقدمها .

ثم جاءت الحرب تزيد من حدّة منازعات القوميات والطبقات . فالبولونيون ، الذين خاب املهم بسبب نكث العهود المقطوعة لهم في بيان الغراندوق نقولا ، ولّوا وجههم شطر النمسا والمانيا ، والفنلنديون وسكان البلدان البلطيقية لم يخفوا ميولهم الألمانية او الثورية ، بينما افضى تشويش الاقتصاد والمحن الشعبية والهزائم الى تفاقم الاختلافات بين الفلاحين واصحاب الاملاك ، وبين العمال والبورجوازيين ، وبين الجنود والضباط .

الحكومة المؤقتة والبورجوازية

اذن انهار النظام شيئاً فشيئاً بدون مقاومة تقريباً تحت ضغط العمال والجنود الثائرين ، اذ ان مستلمي زمام السلطة ـ باستثناء بعض اجهزة الشرطـــة ـ قد تخلوا عنه . فشكل المنتصرون تلقائياً ، كما في السنة ١٩٠٥ ، مجلساً (سوفيات) مؤلفاً من مندوبي العمال والجنود ترأس لجنته التنفيذية احد المنشفيك و « كرنسكي » الذي كان اشتراكياً ثورياً . وشكلت الـ « دوما » من جهتها ، حكومة مؤقتة برئاسة الامير « لفوف » وزير الداخلية .

كانت نتيجة ذلك انزوال الملكية ، التي كان البورجوازيون والاشراف القائلون بالنظام الحر راغبين في الابقاء عليها بغية اعادة الانضباط العسكري والنظام الاجتماعي ، افسح المجال لنظام ثنوي تقابلت فيه حكومة موقتة « شرعية » تمثل بورجوازية الاحرار دون ان تتمتع بالسلطة اللازمة ، ومجلس السوفيات النشيط والقوي الذي يضغط عليها ويتعاظم تأثيره بقيام مجالس السوفيات حتى في اصغر القرى . فحققت الحكومة المؤقتة اصلاحات ادخلت الى روسيا الحريات الكلاسيكية التي تنعم بهـــا الدول الغربية : استقلال الكنيسة الارثوذكسية ، تعيين المحلفين في المحاكم ، مجالس ادارية محلية منتخبة بالاقتراع العام ؛ وحددت ساعات العمل بثمان في اليوم ، ولكنها تشبثت بمبدأ « روسيـــا واحدة ممتنعة التجزؤ » ولم تعترف الا باستقلال بولونيا ، وواصلت الحرب ، وأرجأت الاصلاح الزراعي وتقربت من الطبقات الحاكمة القديمة . فسهل موقفها هذا نجاحات حزب البولشفيك الذي استمال الشعب ببرنامجه الاصلاحي العاجل : سلم ، حرية القوميات ، انتزاع الاراضي من مـــالكيها وتأميم الارض والمصارف والمشاريع الكبرى ، رقابة عمالية على الانتاج . فجاءت ثورة تشرين الاول ، التي كانت دون ثورة آذار إراقة للدماء الى حد بعيد ، تسقط حكومة كرنسكي ، الذي تخلى عنه كافة من كان يعتبرهم أنصاره ، والسكان يشاهدون ما يحدث بلا مبالاة .

طليعة اعمـــال الحكومة البلشفيكية

اخذ كافة المعارضين ، انصار الحكومة المؤقتة ومقاوموها ، والاشتراكيون والضباط يجمعون شملهم . ورفضت لجنة انقاذ الوطن والثورة ، المؤلفة من بعض اعضـــاء مجلس بتروغراد البلدي ، ولجان اخرى مماثلة تأسست في المدن الهامة ، الاعتراف بحكومة لينين . فلم يكن

الحكومة الجديدة أية وسيلة عمل في مثل هذا الجو من الفوضى الغريبة . ولكنها ، على الرغم من ذلك ، تصرفت بحزم وجرأة احبطا تدابير خصومها المتحالفين . فاتخذت بسرعة ، على التوالي ، تدابير كثيرة بالغة الاهمية : نداء الى المتحاربين من اجل صلح مستعجل ، التخلي مجاناً عن الاراضي للفلاحين ، وفي كانون الثاني من السنة ١٩١٨ ، المناداة بـ « اعلان حقوق شعوب روسيا » الذي اعدّه ستالين مفوض الشعب الجديد للقوميات ، والذي بني على « سياسة تحالف حرّ وصادق بين شعوب روسيا » ، ثم « نداء للشعوب الاسلامية العمالية في روسيا والشرق »، وصهر مجالس سوفيات الفلاحين وسوفيات العمال والجنود ، واخيراً حل الجمعية التأسيسية المنتخبة في تشرين الثاني بعد ان اقرت قانوناً زراعياً . وحل الحزب بمناضليه محل كل الموظفين الذين بذلوا جهدهم لشلّ نشاطه ، مزيلا بذلك كل ما كان من شأنه اطالة بقاء جهاز الدولة القديم وتقاليده . وفي تموز من السنة ١٩١٨ تبنى المؤتمر الخامس لمجالس السوفيات دستوراً يكرس النظام المعمول به منذ عدة اشهر . فكان دستور كفاح اعظى البروليتاريا ، السند الرئيسي للنظام: ممثل لـ ٢٥٠٠٠ نسمة من سكان المدن مقابل ممثل لـ ١٢٥٠٠٠ نسمة من سكان الارياف، اقتراع عام على عدة درجات يتيح معرفة المنتخبين معرفة فضلى ، حرمان الفئات المشتبه فيها بتعلقها بالنظام القديم من حق التصويت : النبلاء ، اعضاء الاكليروس ، ارباب العمل ، السياسيون القدماء . واسندت السلطة الى مجالس عدة تتفاوت شأناً وتؤلف هرماً يرتكز في قاعدته الى مجالس سوفيات المدن او القرى المنتخبة وحدها بالاقتراع المباشر ؛ وفي القمة ، المؤتمر الاعلى الشامل لمجالس السوفيات الذي ينتخب لجنة قومية تنفيذية يفوض اليها بكافة سلطاته في الفترات الممتدة بين دورات انعقاده وتعين مفوضي الشعب الذين تسند اليهم السلطة التنفيذية . هذه هي « جمهورية مجالس سوفيات مندوبي العمال والفلاحين والجنود » ، ولكنها ابعد من ان تكون ثابتة الاركان اذ انها اجتازت ازمة رهيبة تخللتها حرب اهلية وحرب خارجية ولم تنته الا في السنة ١٩٢٢ .

بوادر التدخل الاجنبي

لم يواجه مفوضو الشعب الصعوبات المادية الكبرى الناجمة عن تشوّش الاقتصاد وانهياره ، والمحلال الجهاز الحكومي والاداري ، ومعارضة الطبقات الحاكمة القديمة والاطر الاجتماعية القديمة فحسب ؛ بل توجب عليهم مجابهة حرب اهلية رهيبة نهضت بها عناصر مسلحة ساندها الحلفاء القدماء ، وحتى حرب خارجية حقيقية أيضاً .

فمنذ ان انتقلت السيطرة الى العناصر العازمة على عقد الصلح ، وقفت الحكومات الحليفة منها موقفاً عدائياً . وبموجب معاهدة « برست – ليتوفسك» التي اقتطعت من روسيا اكثر اراضيها سكاناً وثروات طبيعية ، احتل الالمان اوكرانيا الغنية بالحنطة حيث ساندوا حكومة « سكورا بادسكي » الانفصالية ؛ وانزلوا كذلك في فنلندا جيوشاً ساعدت القائد « مانرهايم » على سحق الحكومة البلشفيكية التي كانت قد تولت الامور فيها ؛ ولبوا نداء الجمهورية المنشفيكية

التي تأسست في جيورجيا باسراعهم في ارسال الجيوش اليها، بينما كان الاتراك يدخلون القفقاس وباكو ويحتلون اذربيجان ويقومون بدعـــاوة طورانية شاملة في تركستان وحتى في القرم. فكان ان الامبراطوريات الوسطى قـــد سلخت بذلـك عن الاراضي الروسية طريـدة تمتـد من فنلنـدا الى قزوين فوضعت ايديهـا على خير الاراضي واوفر المناجم والصنـاعات ثروة وبترول روسيا القديمة .

احتج الحلفاء على هذه « الخيانة » وسعوا لاعـــادة حكم يدخل روسيا الحرب مرة اخرى ويعيد انشاء جبهة في الشرق ، ويضع حداً للدعاوة البلشفيكية في الخارج ويعترف بالديون التي عقدتها الحكومة القيصرية ويحترم الممتلكات الاجنبية . فكان هـذا منطلق سياسة التدخل التي تحولت تدريجياً «بعد هزيمة المانيا » الى سياسة حرب مباشرة تستهدف اسقاط النظام الجديد . وقد تميزت هذه السياسة اما بانزال جيوش حليفة في الاراضي الروسية ، واما بمساعدة «الروس البيض» المحافظين على اختلاف ميولهم ، والاشتراكيين الثوريين والمنشفيك ، انصار النظام القديم وانصار النظام البرلماني الحر ، وانصار القوميات ومعارضي استقلالها ، الراغبين جميعاً في إعـادة وحدة روسيا ، بارسال الاسلحة والتجهيزات والاموال والبعثات العسكرية اليهم .

احتـل البريطانيون مراكزهم على شواطىء بحر قزوين ، واقاموا حكومة منشفيكية — اشتراكيـــة — ثورية في اشكباد واستولوا على مرو . وفي الشمال انزلوا جيوشاً في مورمانسك واركنجلسك بغية اعابة الجيوش الالمانيـة الموجودة في فنلنـدا . وفي الشرق انزلت جيوش يابانية الى البر في فلاديفوستوك بحجة تجميع الجيوش التشيكوسلوفاكية المؤلفة من جنود فارين او من اسرى حرب قدماء يتسحبون نحو شاطىء المحيط الهـــادىء للذهاب الى فرنسا والاشتراك في الحرب .

الحكومات المناهضة للحكومة البلشفيكية

في الوقت نفسه الذي ابتدأ فيه هذا التدخل المبـــاشر ، ساعد الحلفاء مناهضي الحكم البلشفيكي الذين تنظموا في الداخل ولا سيما في الولايات الدائرية . فقامت ولايات ثائرة مستقلة فلخصت الى حد بعيد الاراضي الخاضعة خضوعاً فعلياً لسلطة حكومة موسكو (شكل ١١) : ثورة « سافنكوف » في « ياروسلاف » في شهر تموز ، تنظيم جيش منـاهض للحكم البلشفيكي في اراضي قوزاق الـ « دون » بقيادة « كورنيلوف » و « الكسياف » من بعـده ، قيام حكومة « بيضاء » في اركنجلسك ؛ وفي الوقت نفسه اوقف الجنود التشيكوسلوفاكيون انسحابهم وعادوا واتجهوا شطر الغرب واحتـلوا سامارا وقازان . وفي ايلول تألفت في « أومسك » حكومة اشتراكية ثورية . ثم أتاح عقد الهدنة في ١١ تشرين الثاني تدخل الحلفـاء بنشاط وقوة : نزلت جيوش فرنسية في « اوديسا » ، وفي شهر كانون الاول من السنـة ١٩١٨ استولى جنود فرنسيون وبولونيون ويونانيون على طريدة ساحليـــة حول البحر الاسود يناهز

عرضها ١٥٠ كيلومتراً . ومن جهة أخرى قلب بعض ضباط سيبيريا حكومة اومسك ونادوا بالاميرال « كولتشاك » « رئيساً اعظم لروسيا » ؛ وتحقق توحيد النضال ضد البلشفيك : فان دنيكين الذي خلف « الكسياف » في قيادة جيوش « كوبان » اعترف بسلطة كولتشاك . وقد كتب كليمنصو في ٢١ كانون الاول : « ان مخطط عمل الحلفاء يستهدف محاصرة البلشفيك اقتصادياً وتنظيم الامن على ايدي العناصر الروسية » . فنفذ البرنامج في اوائل السنة ١٩١٩ وخلال الاشهر الاولى منها ؛ ففي الشرق توفق الاميرال كولتشاك ، بمشورة القائدين « جانين » و « نوكس » ، الى ارغام البلشفيك على الانسحاب نحو الفولغا . وتوفق القائد « يودنيتش » ، الذي جهزه البريطانيون بالاعتدة ، الى الاستيلاء على بسكوف وبلوغ مشارف پاتروغراد ، كما ان دنيكين هدّد موسكو بفضل فرقة فرسانه المختارة ؛ ولكنه منذ اواخر السنة ١٩١٩ ارتد الى الوراء امام الفرسان الحمر وتخلى عنه القوزاق كما تخلى الاستونيون عن يودنيتش . وفي اوائل السنة ١٩٢٠ كان الانسحاب عاماً . فقد ارغمت جيوش كولتشاك على الهرب سيراً على الاقدام او بواسطة المزالج الى سيبيريا ، وقتل الاميرال رمياً بالرصاص منذ شهر شباط . كما ان دنيكين ، الذي حل « رانجل » محله ، قد عاد بجيوشه الى القرم التي سيجلو عنها في شهر تشرين الثاني . وجاء التهديد الاخير من بولونيا التي قامت بهجوم في اوكرانيا ، فاستولت على كييف في شهر ايار ، ولكن جيوشها رُدّت الى الوراء وغزيت بولونيا وهددت فارصوفيا ، فأنقذها هجوم معاكس في شهر آب ورقّعت في شهر تشرين الاول الخطوط الكبرى لمعالجة الصلح التي ستعقد في « ريغا » . وفي اوائل السنة ١٩٢١ توقفت الحرب الاهلية والحرب الخارجية وابيدت الجيوش البيضاء او نفيت ، وفي السنة نفسها سقطت جمهورية جيورجيا المنشفيكية التي كان الحلفاء قد اعترفوا بها اعترافاً قانونياً . وحين جلا اليابانيون ، تحت ضغط البريطانيين والاميركيين ، عن الولاية البحرية في شهر ايلول من السنة ١٩٢٢ ، انهار الحكم الابيض في جمهورية الشرق الأقصى التي اعيدت اراضيها الى الوحدة الروسية .

فشل التدخل

اذن حالف النصر الحكم البلشفيكي . أما اسباب نصره فكثيرة ومتنوعة . فالحلفاء الذين حاربوه توخوا اهدافا متناقضة احياناً ، كما ان الرئيس ولسون ، الذي عارض كل تدبير من شأنه النيل من وحدة الاراضي الروسية قد كبح بصورة دائمة جماح القائلين بوجوب التدخل . اضف الى ذلك من جهة ثانية حوادث العصيان والفرار في وسط الجيوش التي ملت الاستمرار في الحرب ؛ ووقوف العمال الفرنسيين والبريطانيين موقفاً عدائياً صريحاً من هذه السياسة : اعتراضات الاتحاد العام للعمل والحزب الاشتراكي الفرنسي ، واعمال الشغب والاضرابات في المدن العمالية الانكليزية ، وتبني حزب العمال هذا الشعار : « لا تمسوا روسيا » . واقتضى اخيراً إرسال جيوش الى الهند ، وايرلندا ، ومقاومة الثورة الهنغارية ، كما ان الاضطرابات في المانيا والخشية من اعراض الحكومة الالمانية عن توقيع معاهدة الصلح قد حدت بالحلفاء الى الفطنة والحكمة . زد على ذلك ان الحملة العسكرية تستلزم ، كي

تكون مجدية ، ٤٠٠,٠٠٠ رجل لم تكن تعبئتهم لهذه الغاية موضوع بحث . واخـــيراً اقتنع انصار إعادة بناء اوروبا في اسرع وقت ممكن ، ومنهم العديد من رجال الاعمال البريطانيين ، بانها عملية مستحيلة اذا ابقيت روسيا على انفراد . وكان من شأن مساعيهم النافذة من اجـــل إعادة العلائق الاقتصادية بكافة البلدان ان ضعفت سياسة التدخـــل . فتخلى الحلفـــاء من ثم عن التدخل المباشر ، وجلوا عن اوديسا والقفقاس ، واعتمدوا سياسة الحجر الصحي .

هزيمة الثورة المعاكسة

اما مناهضو البلشفيكية الروس ، فكانوا هم ايضاً ضعفاء ومنقسمين : فالى اليسار مثـــل اعظم قوة شعبية شأناً الاشتراكيون الثوريون والمنشفيك ، ولكنهم اناطوا الاصلاح الزراعي باقتراع جمعية تأسيسية . والى اليمين حيث عدد الضباط الشباب لم يكن مرتفعاً ، كانت القوة الى جانب عناصر اليمين واقصى اليمين : كبار الملاكين ، وكبار الموظفين ، ولا سيما الضباط ، وجلهم ملكيون ، الذين لم يتراجعوا عن اعمال العنف في سبيل إزاحة خصومهم واقامة حكومات دكتاتورية . وهو هذا الموقف الهجومي تقفـــه الطبقات الحاكمة القديمة ما حـــدا بالطبقات الشعبيـــة الى الالتحاق بالبلشفيكية . ففي الاقاليم الخاضعة للحكومات المناهضة للبلشفيكية استعاد الملاكون الاراضي التي انتزعت منهم وحاولوا استعادة سلطتهم على « فلاحيهم » ، وكان العمال المشتبه ، دون برهـــان ، بميولهم البلشفيكية ، موضوع مراقبـــة وعرضة للتوقيف ، فافتقرت من ثم هـــذه الحكومات الى مرتكز شعبي ، ولم تتمكن في يوم من الايام من تعبئة جيوش على بعض الأهمية ؛ لا بل انفجرت ثورات قروية هائلة ، حين تألفت وراء جيوش كولتشاك ودنيكين زمر انصار ميالة الى مجالس السوفيات او زمر فوضوية فقط كزمر « ماكنو » في اوكرانيا ؛ وجـــاءت القوميات اخيراً تقف في وجه سياستهم التوحيدية . فان انتصارات يودنيتش الاولى قد احرزت بفضل مساعدة الاستونيين ، ولكن حين رأى هؤلاء ان انتصاره سوف يخضعهم مرة اخرى للسيطرة الروسية ، احبطوا هجومه الذي انتهى الى الفشل ؛ وللسبب عينه تخلى قوزاق الدون وكوبان و« تيرك » عن كراسنوف ودنيكين ؛ وفي اوكرانيا وقف السكان منهم موقفاً عدائياً دائماً ، ولم يقاوم « بتليورا » البلشفيك مقاومته لمناهضيهم . زد على ذلك ان غطرسة القـــادة وجهلهم وتحكمهم وتقصيرهم ، وما سيطر على ادارتهم وقياداتهم العسكرية من فوضى وتبذير وفساد ، كل ذلك قد ابعد عنهم السكان ، لا سيما وقد ظهروا لهم وكأنهم عملاء الاجنبي . فالهجوم البولوني بصورة خاصة وغزو اوكرانيا قد اثارا شعوراً وطنياً متأججاً انضم بتأثـــيره الى الجيش الأحمر القائد بروسيلوف ، القائد العام الاخير للجيش القديم ، والعديد من الضباط القيصريين .

وفي وجه « البيض » المنقسمين ، انتصرت الحكومة البلشفيكية بفضل عزم لينين ومعاونيه وذكائهم ؛ وان سلطتها المسلم بها قد اعطت الجيوش التي قامت بعملياتها في مثل هذه المساحات الشاسعة وحدة عمل عجز خصومها عن تحقيقها . وقد طمأنت سياسة السوفيات الاتحـــادية القوميات وسياسة الحكومة الزراعيـــة الفلاحين ، بينما انطوى برنامج البيض على العـــودة الى

«الوحدة» وعلى إعادة الاراضي الى مالكيها السابقين ، وبدا النظام الجديد اخيراً وكأنه الذائد عن حياض الوطن ضد حلفاء الاجنبي. وقد دعم هذا الموقف المعنوي القوي تنظيم الجيش الاحمر الذي تـــألف ، في صيف السنة ١٩١٨ ، من جنود قدمـــاء وعمال شباب وفلاحين استلم زمام قيادتهم ضباط من بينهم او من الجيش القديم نفسه . فان هؤلاء الجنود والفلاحين الذين سبق لهم ، منذ اشهر قليلة ، وولوا الادبار عن الجبهة الالمانية ، ولاذوا بالفرار ، ورفضوا القتال ، قد قبلوا بان يجندوا مرة اخرى حين ادركوا اهمية هـــذا الصراع ضد عودة قوى الماضي . ولا عجب بعد ذلك اذا ما ارتفع عدد افراد القوى المسلحة من ٣٥٠ ٠٠٠ في تشرين الاول من السنة ١٩١٨ الى ١ ٥٠٠ ٠٠٠ في ايار من السنة ١٩١٩ . وحين اقترب يودنيتش من بتروغراد وبلغت جيوش دنيكين « اوريل » حمل عمال المصانع السلاح وتجندوا وهبأ الحزب الشيوعي في اوكرانيا ٩٠ ٪ من عماله وارسلهم للاشتراك في القتـــال . فكان الجيش الاحمر متفوقاً عدداً ومناقبية ، وقد استفاد بالاضافة الى ذلك من مركزه الوسطي ، اي من قـدرته على المناورة في الخطوط الداخلية ، ومن وسائل نقل فضلى .

نتائج التدخل والحرب الاهلية

انتهت الحملة على البلشفيكية الى الفشل اذ ان القوى الحليفة كانت اقـــل عدداً من ان تلعب دوراً حاسماً ، و « الحكومات » المساعدة ، المحدثة ، والمؤلفة تأليفاً صنعياً في بعض الاحيان ، قد برهنت عن عجزهـا . فهي لم تتقدم يوماً من السكان الا ببرنامج ملكية دستورية بكتنفه الغموض ، بينما تم سلوكهـــا عن تصميمها على اعادة النظام الاجتماعي القديم .

اطال التدخل امـد الحرب الاهلية وزاد في تفشي الفوضى الادارية واغرق البلاد ، ولا سيما اوكرانيا وسيبيريا ، في بلبلة لم تسمع بها اذن من قبل. فكانت نتيجة الحرب الاقتصادية والحرب الخارجية ، طيلة ثلاث سنوات ، مزيداً من السلب والتقتيل والنهب والبؤس والدمـار في كافة الاراضي الروسية .

اختار المهزومون المنفى : فان الروس البيض على اختلاف نزعـــاتهم ، ويناهز عددهم المليوني نسمة بين ارستوقراطيين وضباط وصناعيين وتجار وممثلي طبقات الاحرار وافراد جيوش رانجل وكولتشاك ، ورجال فكر ، واشتراكيين – ثوريين ، وجيورجيين واوكرانيين ، قـد اقاموا في منشوريا والصين وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا ويوغوسلافيا وكافة انحاء الشرق واميركا، وفرنسا بنوع خاص ، متكيفين جهد المستطاع وفاقاً لظروفهم الجديدة ، وغـارقين احياناً في اسوأ حالات البؤس . وقد انقسموا سياسياً الى فئات متعادية حتى بعضها البعض مسؤولية فشل الثورة المعاكسة وتبادلت تهم الخيانة ، ولكنهم ، على الرغم من ذلك ، اثروا على الحكومـات وعلى شطر من الرأي العام في البلدان التي لجأوا اليها ، تأثيراً كبيراً وطـد العداء ضد روسيا البلشفيكية .

لذلك تركت الحرب الاهلية اثرها العميق حتى بعد زوال الدمار الذي خلفته وراءها . فان سياسة التدخل وتأثير المهاجرين على الحكومات قد اثبت للسوفيـات تصميم العالم الرأسمالي على

قلب نظامهم بكل وسيلة ممكنة ، وهذا هو مرد حذرهم امام كل تكتـل وخوفهم من التطويق والحصار الذي سيرافقهم ابداً . وبسبب عزلتهم التي فرضها عليهم نظامهم الاجتماعي الجديـد وحصار اعدائهم الحاقدين المحيطين بهم ، سيصادفون صعوبات جمة في اعادة الحياة الى اقتصادهم ، وسوف يعوج تطورهم الداخلي الى حد بعيد بفعل اضطرارهم الى تجهيز وابقـاء آلة حربية قوية مستعدة لمواجهة كافة التهديدات ، وبفعل حرصهم على ملاشاة كل معارضة من شأنهـا اضعاف طاقات الأمة وعزمهم على الدفاع عن النظام . وليست بعض مميزات الدكتاتورية سوى نتيجة التدخل الحليف وذيوله .

٢ – الشيوعية الحربية والسياسة الاقتصادية الجديدة

١٩٢١ – ١٩٢٤

اقتضى عشر سنوات لانتقـال النظام البلشفيكي من الاقتصاد الرأسمالي الى الاشتراكية . فالطبقات الحاكمة القديمة لم تفقد قوتها الاقتصادية والسياسية فحسب ، بل زالت بمعظمهـا من الوجود مادياً . وصودرت اراضيها ومصانعهـا وكل الرأسمال الاجنبي . فبدت الظروف من ثم مؤاتية لمراقبة وادارة الانتاج وللسيطرة على مفاتيح الاقتصاد والمصارف ووسائل النقـل . ولكن روسيا كانت اكثر البلدان الاوروبية تخلفـاً في حقل الصناعة ، من حيث ان المزارعين كانوا يمثلون ٨٠٪ على الاقـل من مجموع السكان (نسبة اوروبا الغربية حوالي السنة ١٨٠٠) ، والطبقة العمالية ، التي كانت الركن الركين للحزب البلشفيكي ، لم تمثـل سوى اقلية ضئيلة ، واذا وقف ملايين الفلاحين في وجه « البيض » ببسالة ، فهم لم يفعلوا ذلك من اجل السوفيات ، بل لانهم كانوا عالمين بأن هزيمة البلشفيك سوف تفقدهم الارض التي حصلوا عليها .

مرحلة الانتقال التي تكلم عنها لينين

ولذلـك ادرك البلشفيك الحاجة الى مرحلة انتقالية تؤمن ازالة الخراب الذي تركته الحرب الخارجية والحرب الأهلية وتعد الرأي العام لبناء الاشتراكية .

خلال اشهر الثورة الاولى . اشبعت التدابير المعتمدة ، على الفور ، رغائب الفلاحين والعمال والجنود ، ولكن واحداً منها لم يرتد طابع الاشتراكية او الشيوعية المميز ؛ فقد نادى بالكثير منها بعض البورجوزيين الراديكاليين . فلم يواجه لينين من ثم – على الفور – اشتراكية وسائل الانتاج وانتزاع املاك الرأسماليين ، بل رقابة الدولة عن كثب على مراكز الاقتصاد الاساسية ، أعني بها المصارف ، فـان هذه الأخيرة سوف تؤمم ، كما ستؤمم شركات التأمين والشركات الاحتكارية (سكر ، بترول ، فحم حجري ، صنـاعة المعادن) ، ويرغم الصناعيون والتجار على الاتحاد في نقابات والتخلي عن السر التجاري ، ويجمع السكان جماعات استهلاكية . ولم يكن المقصود من ثم برنامجاً اشتراكياً ، اعتبر سابقاً لاوانه ، بل نظاماً انتقالياً معداً لأن يؤدي الى الاشتراكية التي لا يمكن تحقيقها ما لم يستطع العمال تأمين المشاريع بأنفسهم ، وما لم يبع سواد

السكان « الحاجة الملحة الى ثورة اشتراكية » .

وزاد من عزم لينين على السير في طريق الفطنة هذه اعتقاده بأن من شأن الثورة الاوروبية الشاملة وحدها ان تتيح لروسيا تحويل النظام الرأسمالي الى نظام اشتراكي . وهو المخطط الذي تعتمده الطبقة الرأسمـــالية ، كما لفت الانتباه الى ذلك ، ما ارغمه على الشروع في اصلاحات اقتصادية عميقة الجذور قبل ان ينوي القيام بها . فان هـذه السياسة كانت تفترض تعاون الطبقات المتملكة ، والموظفين القدماء ، والفنيين البورجوازيين . والحال رغبت كل هذه القيادة الاقتصادية وسواد المثقفين في جعل كل حكم مستحيلا وارغام رجال النظام الجديد على الانسحاب ، فقاطعت النظام . لذلك كان من الصعوبة بمكان تنفيذ التدابير المقررة خلال الاسابيع التي تلت الثورة والمدخلة بعد ذلك في قانون العمل الذي صدر في السنة ١٩١٨ : فرض العمل على كافة المواطنين (« من لا يعمل لا يأكل ») ، رقابة عمالية على الصناعة ، تأميم المصارف والارض والتجارة الخارجية ، تنظيم تعاونيات استهلاكية ، مصادرة الاملاك الكبرى دون تعويض ، الغـاء حق الملكية العقارية ونقله الى الدولة ، نقـــل حق التمتع بالأرض الى أولئك الذين يحرثونها بأيديهم وتحريم كل عمل زراعي مأجور . ونص القانون على تأليف لجان زراعية من صغار الفلاحـــين ومتوسطيهم تكون مهمتها مراقبة التقسيم .

الا ان تلف الآلات وسوء حالة وسائل النقل قد حالا دون استثمار الارض استثماراً معقولاً ومنظماً ، وأرباب العمل الذين ما زالوا يمتلكون مشاريعهم ساندوا الحركات المناهضة للبلشفيكية وأثاروا ارتياب العمال الذين اتهموهم بالتخريب . وعلى الرغم من تدني عدد سكان المدن الكبرى الى أكثر من نصفه في بتروغراد ، و٤٥٪ في موسكو ، و٣٣٪ في عواصم اربعين ولاية ، فان تموينهم وتموين الجيش قد اثارا شجونا كبرى كادت تقضي على النتائج المرتقبة من التدابير المتخذة . وان الحكم الجديد ، الذي حرم من آلة جباية الضرائب القديمة ، لم يستطع تمويل المدن والجيوش الا عن طريق المصادرة في الارياف . فلمـــا كان تموين المدن مؤمنـاً من قبل فوائض انتاج الاملاك الكبرى ، فقد توزيع هذه الاخيرة أسواق المدن ٣/٤ القمح الذي يرد عليها . لذلك توجبت المصادرة .

اما الانتاج الصناعي فقد تـــأخر تأخراً محزناً : ففي السنة ١٩٢٠ لم يبلغ انتاج الحديد المصبوب سوى ٢٫٤٪ من معدله في السنة ١٩١٣ ، وانتاج الفولاذ سوى ٤٪ ، وانتاج معامل القطن سوى ٥٪ ، وانتاج معـــامل السكر سوى ٥٫٨٪ ؛ ولم تواز قيمة البضـائع المصنوعة المسلمة للاستهلاك سوى ثمنها في السنة ١٩١٢ . وكانت نتيجة التعبئة وفقدان العديد من العمال ابان الحرب ، ونزوح الكثير من الجياع الى الارياف ، انخفاض عدد العمال ٢٤٪ بالنسبة للمجموع ، و ٣٧٪ في اعمال الخطوط الحديدية ، و ٢٤٪ في أعمال البناء .

شيوعية الحرب

في مثل هذه الظروف اعتمدت التدابير التي تميز ما دعي بـ « شيوعية الحرب » . فقد استهدفت هذه الاخيرة « تنظيم الاستهلاك والانتاج تنظيماً دقيقاً ملزماً في بلاد محاصرة » ، ولكنها احدثت في نظام الاقتصاد تغييرات نهائيـة . فهناك اولاً تأميم كافة المشاريع التي تستخدم خمسة عمال على الاقل ، اذا كان لديهـا محرك واحد ، وعشرة عمال في الحالات الاخرى . وهذا يعني انتزاع ملكية الصناعة الكبرى ومعظم المشاريع الصغرى والمتوسطة ، واستبدال مجرد الرقابـة العمالية بالادارة العمالية ، واسنـاد ادارة كل مشروع الى مدير تعينه النقابات ويعاونه مجلس عمالي منتخب ، وتنظيم انتاج كل فرع من فروع الصناعة الى ادارات مركزية . فأحـدثت حينذاك ادارة حصر الحبوب الرسمية و « لجـان الفلاحين الفقراء » المكلفة محاربة النفوذ السياسي الذي كان للزراعيين الميسورين من اصحاب الماشية والمعدات والحرضين على العصيان والمقاومة ، ومصادرة مخازين الحنطة من الفلاحـين الاثرياء . واسندت الى هذه اللجان كذلك مهمة توزيع البذار والتجهيزات الزراعية ، وتحديد الاسعار والاجور ، ومراقبة التعاونيات والاسواق . واخذت تنظم اخيراً ، كلياً او جزئياً ، مزارع جماعيـة للانتاج والاستهلاك لم يجاوز عددهـا ، في السنة ١٩٢١ ، ١ ٪ من كافـة الاستثمارات القروية .

الا ان الحرب التي عانت فسـاداً ، منذ ست سنوات ، في اغنى الاراضي الزراعيـة (اوكرانيا) ، لم تخلف فيها سوى الخراب والدمـار ؛ فتوجب اللجوء الى فائض انتاج الفلاحين المتوسطين والفقراء والاقتطاع من مؤنهم العائلية ، مما اثار استياءهم وجعلهم يثورون على اعمال المصادرة وينكشون على انفسهم ؛ فاحجموا عن انتـاج كميات تفوق ما يستلزمه استهلاكهم الشخصي ، لا سيما وقد استحال عليهم الحصول على الادوات المنتجـة في المصانع والبترول والصابون التي كانوا بحاجة اليها ؛ وانخفضت المساحات المزروعة من ثم ٣٠ ٪ ، ولم يبلغ محصول السنة ١٩٢٠ سوى ثلثي محصول السنـة ١٩١٧ ونصف محصول السنة ١٩١٣ . ويعـد ان تخلص الفلاحون ، بفضل هزيمـة البيض ، من خطر فقدان الارض وعودة النظـام القديم ، وقفوا آنذاك من الحكومة موقفاً معـادياً . وبلغ اخيراً من زيادة التضخم المالي ان هذه الاخـيرة حاولت جهد المستطاع الحد من دور النقـد بتنظيمها ، بين العمال ومستخدمي الدولة ، طريقة معادلة مجانية للخدمات المتمثلة ببطاقات خاصة تؤمن المقايضة والدفع عينـاً دون ان توقف ، من جهـة ثانية ، تيار التضخم وارتفاع الاسعار الجنوني ؛ فـدفعت الاجور عيناً ، وسار النقد ، الذي تزايد انخفاض قيمته يوماً بعد يوم ، في طريق التلاشي والزوال .

وهكذا امسى الاقتصاد السوفياتي اقتصاداً طبيعياً ، بفعـل تفكك المجتمع والقضاء على القوى المنتجة وندرة المحاصيل واليد العاملة . ولكن مقاطعة خطيرة قامت بين الارياف والمدن، فصرف النظر عن شيوعية الحرب .

السياسة الاقتصادية الجديدة

في الوقت الذي انتهت فيه الحرب الاهلية ، وجه النداء الى المبادهة الشخصية من اجل اعادة بنـــاء الاقتصاد ؛ فاستبدلت المصادرات بالضريبة العينية ، وشجعت نهضة الصناعة الصغرى الضرورية لتمكين الفلاحين من تنمية انتاجهم ، واعيدت معها الرأسمالية الى حد ما . انه « انكفاء استراتيجي » لم يكن سوى حيلة مؤقتة ، لان جزءاً من تدابير شيوعية الحرب سيعتمد مرة اخرى وسوف يصبح عنصراً اساسياً من عناصر الخطـــة الخمسية (تأميم ، رقابة الصناعة ، تعبئة العمل) : ولكن تدابير اخرى تتعلق بالشؤون المالية والنقد قد صرف النظر عنها نهائياً . ووضع نظام اقتصاد مختلط صادرت الدولة بموجبه قطاعاً هاماً يشمل وسائل النقل والمصارف والتجـــارة الخارجية والصناعة الكبرى والمتوسطة . وقد استخدمت مشاريع الدولة هذه من جهة ثانية ٨٤٫٥ ٪ من مجموع اليد العاملة انتجت ٩٢٫٤ ٪ من الانتاج النقدي ، بينما انتج اقل من ١٥ ٪ من اليد العاملة المأجورة ٢٫٧ ٪ منه في التعاونيات ، ووفرت المشاريع الخاصـــة — ولا سيما التغذية والجلود — ٤٫٩ ٪ من قيمة البضائع بواسطة ٢ ٪ فقط من العمـال . فيتضح من ثم ان القطاع الصناعي الذي بقي حراً كان ضيقاً جداً .

ان السياسة الاقتصادية الجديدة التي اصبحت سارية المفعول في شهر اذار من السنة ١٩٢١ كانت في جوهرها تنازلاً للفلاحين والمنتجين الذين مست الحاجة الى ترغيبهم في الانتاج . فقـد خففت وطأة الضرائب ، وكان للفلاح ، بعد تسديدها ، ملء الحرية في بيع باقي حصيـده في الاسواق ؛ وعمل مجدداً ، في الوقت نفسه ، بالاقتصاد النقدي ؛ وألغيت المقـايضات المباشرة الالزامية ، وأجيز لصغار الصناعيين اليدويين — على غرار الفلاحين — بيع مصنوعاتهم بحرّية ؛ واعاد مصرف الدولة ، الذي تأسس في تشرين الاول ، الحسابات الجارية ، والغي تحديد المبالغ الماليـة الممكن اقتناؤها ، وأجيز انتقـال الاراضي بالارث ، وحظّر بيع العقـارات وسمح بتأجيرها ، واجيز اخـيراً استخدام العمال المأجورين . وفي السنة ١٩٢٤ استبدلت الضريبـة العينية بالضريبـــة النقدية ، وأوقف تيـار التضخم باصدار نقد جـديد اطلق عليـــه اسم « تشرفونتز » .

وانسجاماً مع مبادىء السياسة الاقتصادية الجديدة ، لم يعد قانون العمل ، الصادر في السنة ١٩٢٢ ، مبنياً على الزاميـــة العمل (التي يؤكدها دستور السنة ١٩٢٥ مع ذلك) ؛ فهو قد اوقف العمل بها بالنسبة لشطر كبير من السكان ، ملغياً « عملياً ان لم يكن قانوناً » احد المبادىء الاساسية التي عمل بها في الفترة السابقة ، وعاد الى بعض مفاهيم الاقتصاد الرأسمالي ، فاعتـــبر عقد العمل بمثابة عقد بيع لطاقة العمل ، وحددت الاجور باتفاقات جماعية تعقـد بين النقابات وارباب الاعمال ، وواجه القانون حداً ادنى من المكافأة وحمـــاية العامل معاً ونص في الوقت نفسه على دفع الاجور عن ساعات العمل والقطع المنجزة .

اما الجدة الكبرى في السياسة الاقتصادية الجـديدة فكانت في محاولة تنشيط انتـاج المواد

الاستهلاكية وتنمية « استقلال ومبادهة » مشاريع الدولة ، بحيث تصبح مسؤولة عن ادارتهـا الخاصة وتؤمن سيرها بمواردها الخاصة ، وقد واجهت تجميع هذه المشاريع في اتحادات تعتمـد الطرائق نفسها . وفي اواخر السنة ١٩٢٢ كان هناك ٤٢١ اتحاداً خارج صناعة الفحم الحجري والبترول ضمّ ٣٨٠ منها ٨٤٠ ٠٠٠ عامل ، وكان اعظمها شأناً اتحـــاد صناعات النسيج في « ايفـانوفو – فوسنسلسك » الذي ضم ٥٤ ٠٠٠ عـامل ، واستخدم ٢١ اتحاداً اكـــثر من ١٠ ٠٠٠ في الاتحاد الواحد . وبات اتحاد الدولة الشكل الرئيسي لتنظيم الصناعة في الدولة السوفيانية .

النتائج

بفعل هذه التنازلات تقدم انتاج الزراعة تقدماً سريعاً . وعلى الرغم من الجفاف الذي قضى في السنة ١٩٢١ على محاصيل اوكرانيـا ومناطق الفولغـا الوسطى ، ملسبباً في حدوث مجاعة رهيبة ، فقـد ارتفعت المساحات المزروعة من ٦٣ مليون هكتار في السنـة ١٩٢٢ الى ٨٢ في السنة ١٩٢٣ ، و ٨٧ في السنة ١٩٢٤ ، و ٠٠٠ ٤٠٠ ٩٤ في السنـة ١٩٢٧ . وتحسن الدخل ، وارتفع عدد الماشية من ٤٦ مليوناً في السنة ١٩٢٢ الى ٦٢ في السنة ١٩٢٥ . وبفضل حصادي ١٩٢٢ و ١٩٢٣ الوفيرين كاد الانتاج يبلغ مستواه في السنة ١٩١٦ . وتفسر سرعة هذه النهضة بالطابع البدائي للزراعة الروسية : فلم تمس الحـاجة لا الى رؤوس اموال ، ولا الى آلات ، ولا الى طرائق معقدة ، بل اغري الفلاح الروسي بعودة التجـــارة الخاصة ، فعاد الى محراثـه الخشبي ومنجله . فكان تحسن مصيره من ثم عظيماً جـداً اذ ان السياسة الاقتصادية الجديدة قد مكنته من بيع محاصيله بسعر مرتفع ، وقانون الفلاحين الصادر في السنة ١٩٢٢ ضمن له اقتناء الارض ، واستقرار النقد التدريجي حماه من عودة التضخم الذي كان هو اولى ضحاياه ، فرأى نفسه بعـد حصاد السنة ١٩٢٢ الوافر ، الذي اتاح تصدير بعض المحاصيل ، على خير ما يرام منذ الثورة .

كان حدوث نهضة على مثل هذه السرعة امراً مستحيلاً في حقل الصناعة . فقد دمر العـديد من المصانع أثناء الحرب واهملت الآلات وصدئت وبقيت دون استعمال . وكانت الحرب الاهلية قد شتتت العمال، فهلكت اكثر عناصر الطبقة العمالية نشاطاً واعظمها وعياً اجتماعياً في ساحات المعارك ، او وزعت على الادارات الجديدة للاشراف عليها . وكان عدد كبـــير من العمال قد تشتتوا في الأرياف وعادوا مجدداً الى صفوف الفلاحين التي كانوا ينتسبون إليها منذ زمن قريب . أضف الى ذلك ان طلب المواد الاستهلاكية المتزايد واستعادة التجارة الخاصة واقتصاد الكسب نشاطهما قد دفعا بصناعة المواد الاستهلاكية الى الامام ، ولكن الصناعة الثقيلة بقيت مصابـة بالشلل . وارتفع الانتاج – مع بقائه متأخراً جداً – ، ففي الصناعات الريفية او البـدوية بلغ ٥٤٪ من مستواه في السنة ١٩١٢ ، وفي الصناعات الصوفية ٥٥٪ ، وفي الصناعـــات الكتانية ٧٢٪ ، وفي صناعة القطن ، الذي لم تأت مادته الخـــام الا من تركستان طيلة اكثر من سنتين ، ١٥٫٥٪ فقط ؛ وفي الصناعات الاستخراجية ٣٦٪ ، وفي البترول ٣٩٪ ، وفي صناعة استخراج

المعادن التي تعتبر انطلاقتها ضرورية جداً لتصنيع البلاد لم يبلغ سوى ٧٪ في السنة ١٩٢٢ . وفي السنة ١٩٢٣ لم يستعمد مجموع الصناعة سوى ٣٤٪ من طاقتها . وجملة القول ان الزراعة بلغت ٣/٤ انتاجها قبل الحرب بينما لم تبلغ الصناعة سوى ١/٤ انتاجها فقط .

يرد ذلك الى ان السياسة الاقتصادية الجديدة لم تستلزم ، اكراماً للعامل ، تنازلات شبيهة بتلك التي استفاد منها الفلاح . فان طرائق المحاسبة الجديدة التي فرضت على الصناعة ، والزام المشاريع بان تكفي نفسها بنفسها قد حرماها من اعتمادات الدولة المالية ، بينما ارغمتها الحاجة الى دفع الاجور عيناً على تصفية مخزوناتها في السنة ١٩٢١ باسعار منخفضة نسبياً ، ادنى من اسعار الانتاج . ولذلك عمدت المشاريع ، للتخفيف من الأعباء الملقاة على عاتقها ، الى تسريح شطر من المستخدمين ، فارتفع عدد العاطلين عن العمل من ١٥٠ الفاً في تشرين الاول ١٩٢١ الى ٦٥٠ الفاً في كانون الثاني ١٩٢٣ و ١و٢٤٠و٠٠٠ في كانون الثاني ١٩٢٤ ، لا سيما في منطقتي موسكو وبتروغراد . وتدنى عدد النقابيين من ٨و٤٠٠و٠٠٠ في تموز ١٩٢١ الى ٤و٥٠٠و٠٠٠ في تشرين الأول ١٩٢٢ ولم يرتفع ثانية الى ٥و٥٠٠و٠٠٠ الا بعد مرور سنة كاملة .

ولم تلبث ان برزت نتائج اخرى للسياسة الاقتصادية الجديدة سبق للبنين ان ارتقبها منذ السنة ١٩٢١ .

« اذا نحن تكلمنا عن التجارة الحرة ، فهذا يعني تشجيع الاحتكارات ، كما يعني استبدال الاقتطاعات العينية بالضرائب ان طبقات المحتكرين ستغدو اقوى واعظم شأناً منها من في قبل » .

والواقع هو ان ازدهار الزراعة عاد بالفائدة على اثرياء الفلاحين وقد شوهد في الارياف تمييز متزايد مطرد بين الاثرياء والفقراء . فقد هبط البعض الى دون المستوى الضروري للحفاظ على استقلالهم ، واضطروا الى تأجير اراضيهم وسواعدهم لمن هم اوسع ثروة منهم ؛ ومنذ السنة ١٩٢٣ استخدم ٤٠٠و٠٠٠ فلاح و ٦٠٠و٠٠٠ عامل مأجور ، وفي السنة ١٩٢٦ — ١٩٢٧ كان هناك ٨٠٠و٠٠٠و٥ عامل زراعي ، واتسعت هجرة الفلاحين الفقراء الى ما وراء الاورال أو الى المدن حيث رفعوا عدد العاطلين عن العمل .

وفي الصناعة قضت الحاجة الى الانتاج الجدي بنقل الادارة الى « اختصاصيين » ينتسبون الى الطبقات الحاكمة القديمة ، فاعطوا صلاحيات واسعة تتناول الاستخدام والاجور والتسريح. أما التجارة الداخلية ، واعني بها شراء الاتحادات والتعاونيات للخامات التي تحتاج اليها وتوزيع ما يصنع منها ، فقد كانت حرة وسيطر عليها (بنسبة ٨٣٪ في اوائل السنة ١٩٢٤) رجال الاعمال السابقون وجماعات جديدة ايضاً من المضاربين والمغامرين الذين فرضوا وجودهم وتسللوا الى التعاونيات التي امسى بعضها مجرد مشاريع خاصة . وقد انفق هؤلاء دون حساب وحققوا ثروات طائلة هربوا منها قسماً الى الخارج . ويروي « كراسين » ان موسكو استعادت وجه ما قبل الحرب بملهيها الليلية ومقاهيها ومقامرها وبغاياها وسائقي سياراتها المموميه وخدام مقاهيها الذين حيوا زبائنهم من جديد بلقب « بارين » .

ازمـــة النقص

واخيراً اشتد التوتر بين الصناعة والزراعة الذي لم تتوفق السياســـة الاقتصادية الجديدة الا الى اخفائه بظواهر كاذبة فترة من الزمن . وفي اواخر صيف السنة ١٩٢٣ انفجرت أزمة النقص . فان التفاوت بين الاسعار الزراعية والاسعار الصناعية ، الذي اعتقد المسؤولون بانهم تمكنوا من ايقافه ، قد ازداد بروزاً يوماً بعـــد يوم . فكانت اسعار الجمل والمفرق للمنتجات الصناعيـــة ، في شهر تشرين الاول ، ١٨٧ و ١٨١ ٪ بالنسبة لمستواها في السنة ١٩١٣ ، واسعار الجمل والمفرق للمحاصيل الزراعيـــة ٥٨ و ٤٩ ٪ . وعلى نقيض الازمات السابقة التي كانت منذ السنة ١٩١٧ ازمات حاجـــة وعوز ، فالمخازن آنذاك كانت ملأى والحصاد وفر فائضاً هاماً من المحاصيل الزراعية . فليست علة الازمة من ثم نقصاً في الانتاج بل استحالة تأمين مقايضة المنتجات الصناعية والزراعية . فالفلاحون ، عـلى الرغم من حاجتهم ، كانوا عاجزين عن ابتياع المنتجات الصناعية الباهظة الثمن . ومن جهـة ثانية برز قلق العمال باضرابات واسعة انفجرت تلقائياً في الصناعة الثقيلة . فبات لزاماً إعـادة الرقابة على اسعار الجمل ولا سيما المفرق التي سلمت من الرقابة بفعل وجودها في ايدي التجارة الخاصة ، وتخفيض عدد الوسطاء ، فألقي القبض عـلى الوف المضاربين والمغامرين وأبعدوا عن موسكو . وفي أواخر السنة ١٩٢٣ خفت حدة أزمة النقص . ففي سنتين متواليتين اتاح حصاد وفير تصدير كميات هامة افضى الى رفع الاسعار الزراعية في الوقت الذي ادى فيه تقلص الديون والتدابير الرسمية المتخذه لمراقبة الاسعار الى تخفيض الاسعار الصناعية. ولكن الانتاج الصناعي في السنة ١٩٢٣ لم يبلغ بعد سوى ضعفه في السنة ١٩٢٢ (اسوأ سنة منذ الثورة) ، والصناعة الثقيلة ، اكثر قطاعـــات الاقتصاد صعوبة ، لم تجـــاوز ٣٤ بالمائـــة من مستواهـــا في السنة ١٩١٣ .

في السنوات التالية ، واصل الانتاج الزراعي تقدمه ، ولكنه لم يبلـــغ في السنة ١٩٢٧ الا ٧٢٧ مليون قنطار ، اي اقل من انتاج السنة ١٩١٣ بـ ٤٠ مليوناً ، بينما ارتفـــع عدد السكان ١٠ ملايين نسمة وبلغت نسبة الارتفـــاع ٣ ملايين نفس كل سنة ؛ وفي السنتين ١٩٢٨ و ١٩٢٩ استقر الانتاج حوالي هذا الرقم بسبب حد الفلاحين من تسلمهم بعد ان لمسوا ان الحبوب لا توفر لهم كسباً وفيراً . وبات تموين المدن اكثر صعوبة يومـــاً بعد يوم بسبب نقص الحبوب المرسلة الى الاسواق التي لم تجاوز ١١٪ في السنة ١٩٢٨ (مقابـــل ٢٥٪ في السنة ١٩١٣) . فتكشفت السياسة الاقتصادية الجديدة من ثم عن عجزها عن تنمية الاشكال الزراعية الانتـاجية ، وباتت البلاد على « ابواب المجاعة » . وزادت حدة التفاوت الاجتماعي ، فاكترى الفلاحون الميسورون مزيداً من الاراضي واليد العاملة وجمعوا بين ايديهم استخدام الأرض ووسائـل الانتاج . ففي السنة ١٩٢٧ كان لدى ٦ ٪ من الاستثمارات الزراعية ٥٨٪ من الحبوب المعدة للتجارة ، وكانت الاستثمارات « الفقيرة » سائـــرة نحو الزوال . فتكونت بسرعة من ثم بورجوازية قروية كانت خطراً على النظام بمصالحها الاقتصادية ونزعاتها الايديولوجية .

في سبيل استمالة هذه الطبقة اضطرت الحكومة الى رفع سعر شراء القمح كل سنة ، جاعلة حياة سكان المدن وتوازن الموازنة ، وبالتالي تصنيع البلاد ، اشد صعوبة سنة بعد سنة ، فبات الكولاك ، بفضل المخزونات التي كدسوها ، قادرين في السنة ١٩٢٨ على تجويع المدن . اما الانتاج الصناعي ، اذا استثنينا الطاقة الكهربائية ، فلم يحقق سوى نتائج متوسطة ، وكانت الصناعة الثقيلة متأخرة بصورة خاصة . واذا اخذنا تزايد عدد السكان بعين الاعتبار ، رأينا استهلاك الفرد ينخفض في كافة الحقول بالنسبة للسنة ١٩١٣ ، ونقص البضائع يتزايد اكثر فاكثر ، واسعار الكافة ترتفع ارتفاعاً كبيراً (اعلى منها في الاسواق العالمية بمرتين ونصف على الرغم من ان الاجور كانت اكثر تدنيا) بسبب دروس المعدات وبعثرة المواد الخام والنفقات الادارية . ولم يكن الوضع المالي احسن حالاً : فالدولة لم تستطع سد عجزها الا بقروض عقدتها بفوائد مرتفعة جداً لدى الكولاك الذين تعاظم تأثيرهم الاقتصادي بفعل ذلك، وباصدار اوراق نقدية خفضت قيمة الروبية ، وبالتالي قيمتها الشرائية .

« السياسة الاقتصادية الجديدة » الدبلوماسية

وخاب كذلك الامل في الحصول على رؤوس الاموال من الخارج. فبموازاة السياسة الاقتصادية الجديدة في الداخل ، اعتمدت سياسة اقتصادية جديدة في السياسة الخارجية . ومع ارتجاء لينين نجاح الثورات البروليتارية الخارجية ، فانه تدارك ان روسيا اعجز من ان تتطور داخلياً وتواجه حرباً خارجية في آن واحد ؛ كما ادرك اهمية كسب الوقت بالنسبة لها ؛ وهذا ما جعله يوقع في « برست ليتوفسك » « معاهدة تلسيت » التي عيره خصومه بها . ومع ان حروب التدخل قد اثبتت له بطلان ارتجاء المساعدة من البلدان الرأسمالية، فانه قد سعى لاعادة العلائق الطبيعية بالدول الاخرى الى حالها . وقد تحددت هذه السياسة الاقتصادية الجديدة بالمفاوضات التجارية مع انكلترا في ١٩٢٠ — ١٩٢١ ولا سيما بمعاهدة « رابالو » في السنة ١٩٢٢ — التي حطمت حصار الدول لروسيا — وبمعاهدات الصداقة والحياد التي عقدت مع البلدان المجاورة ، وبالاسهام في المؤتمرات الدولية المنعقدة باشراف جمعية الامم ، الخ . ولكن هذه الجهود لم تضع حداً للعداء الذي استهدف روسيا ، حتى في آسيا ، حيث عقدت معاهدات مع تركيا وايران وافغانستان تخلت فيها روسيا عن « المعاهدات غير المتساوية » وعن الامتيازات التي كان الحكم القيصري قد حصل عليها ؛ وهي معاهدة السنة ١٩٢٣ مع « صن يات صن » وحدها ما اتاح لروسيا ان تلعب دوراً ناشطاً خارج حدودها . ثم اعترفت معظم الدول الكبرى والصغرى بحكمها في السنتين ١٩٢٤ و ١٩٢٥ ، ولكنها بقيت منعزلة عملياً . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان فشل محاولة الثورة البلشفيكية في المانيا في السنة ١٩٢٣ ، بعد ازمة الرور ، قد جاء دليلا على ان الآمال في اندلاع الثورة في اوروبا كانت سابقة لاوانها .

فقد اثبت الاختبار من ثم ، على الصعيد السياسي والصعيد الاقتصادي معاً ، ان الاتحاد السوفياتي يجب الا يعتمد الا على نفسه .

خلال السنوات التي تشكلت، منذ مرض لينين ، ما عرف بفترة الخـــلو ، بين السنة ١٩٢٣ والسنة ١٩٢٩ ، أعدّ ، تحت تأثير مصاعب السياسة الاقتصادية الجديدة في الداخل وفشل السياسة الاقتصادية الجديدة الدبلوماسية ، الحل الذي سيقرّر اعتماده ، اعني به حل « الاشتراكية في بلاد واحدة » .

تخطئة السياسة الاقتصادية الجديدة

ان عداء الحكومات والطبقات الحاكمة ، التي اعتبرت السياسة الاقتصادية الجديدة بمثابة اقرار بالضعف ، والخطوة الاولى التي خطاها « كلب اوروبا الكلِب » نحو « العودة الى العقل » ، والمساعدة والحماية اللتين توفرتا للمهاجرين ، والحملات الصحفية المستمرة ، وذكريات حرب التدخل ، وضعف الاحزاب الشيوعية الخارجية الذي خيب الآمال ، كل ذلك يفسر وقوف الحكم السوفياتي الدائم ، طيلة هذه الفترة ، موقف الحذر من العالم الرأسمالي ، وكابوس الخشية من التحالف المناهض له الذي تخيل له قيامه في كل يوم . وفي كافة مجموعات الوثائق الدبلوماسية السوفياتية ما يثبت هذه الحالة النفسية . فقد ظنّ بشروع « داوز » انه يعدّ « جبهة متحدة من الدول الرأسمالية ضد الاتحاد » ، وباتفاق لوكارنو انه يطلق أيدي المانيا في الشرق « لمواصلة سياسة تطويق الاتحاد السوفياتي » . وفي السنة ١٩٢٧ اثار قطع العلاقـــات الدبلوماسية بين بريطانيا العظمى والاتحاد السوفياتي ، ومقاطعة « تشان كاي تشك » للشيوعيين الصينيين قلقاً وجزعاً كبيرين ، فصرح ستالين ان « المسألة الهامة اليوم هي خطر حرب استعمارية جديدة » ؛ وقد اضاف الى ذلك قوله : « ان التعايش السلمي بين الاتحاد السوفياتي والبلدان الرأسمالية ، الذي قام حتى الآن ، قد دخل في التاريخ » .

توقفت السياسة الاقتصادية الجديدة الى انهاض الزراعة واستمالة الفلاحين الى النظام الجديد والدفع بالصناعة الى الامام ؛ ولكنها تسببت في قيام طبقة قروية ميسورة وبورجوازية مؤلفة جزئياً من أعضاء الطبقات الحاكمة القديمة لعبت دوراً متزايد الاهميـــة في الحياة الاقتصادية . فلم يتأخر بناء الاشتراكية فحسب ، بل ارتسمت في الافق عودة النظام البائد الهجومية . بينما اتضح ان الطبقة العمالية التي قامت بالثورة وكانت خير حماتها لم تستفد استفادة تذكر من النظام الاقتصادي ؛ واخيراً كانت الصنـــاعة الثقيلة ، المعول عليها في بناء مجتمع اشتراكي مستقل ومزدهر ، اعجز من ان تتقدم ، في اطار السياسة الاقتصادية الجديدة ، تقدماً هاماً وسريعاً ، بسبب افتقارها الى رؤوس الاموال في الدرجة الاولى .

انعكست كافة هذه المتناقضات في تضارب الاتجاهات داخل الحزب الشيوعي نفسه حين افتقد موت لينين زعيماً كبيراً اعترف بفضله كافة الاعضاء . وبعد سبع سنوات في ظل السياسة الاقتصادية الجديدة وجد الاتحاد نفسه امام مأزق ؛ فانطلاقة الزراعة اعاقتها تجزئة الاراضي وفقدان المعدات العصرية ، والمنتجات الزراعية والصناعية لم تتوفر للاسواق الداخلية ، وتدني الصادرات هدد بالحد من استيراد الحامات الضرورية ، والتوتر بين المدن والريف زادت

حدثه ، وروسيا عجزت عن توفير رؤوس الاموال التي كانت بحاجة اليها لتنمية اقتصادها ، لذلك اضطر النظام السوفياتي الى التخلي عن السياسة الاقتصادية الجديدة خوفاً من ان يرغم على اعادة نظام رأسمالي صرف ، وان يرغم من ثم على الزوال . لذلك فرضت اعتبارات السياسة الداخلية والخارجية هذه «التبديل الذي اقره المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعي حين شرع في تنفيذ الخطة الخمسية الاولى .

الفصل الثاني

الارتقاء الى مصاف الدول الاقتصادية الكبرى
الانكماش والتنظيم الاقتصادي الجديد

١ – الخطط الخمسية

هي الاسباب العملية ، لا الاسباب النظرية ، ما فرضت سياسة الخطط الخمسية ؛ المنفـــذ الوحيد الذي كان امام الحكم السوفياتي للخروج من مأزق السياسة الاقتصادية الجديدة ، وهو حل متأخر وشبه ميؤوس منه يفسّر طابعَه الجذري منذ البدء .

اثبتت الاملاك الصغرى المألوفة انها غير خليقة بزيادة الانتاج والطاقة الانتاجيـــة ، ولن يكون خليقاً بها سوى استثمارات زراعيـــة رسمية كبرى او تعاونيات تستخدم آلات متقنة وتعتمد طرائق علمية . وكي توضع في تصرفها معـــدات عصرية وفيرة ، من جرارات ومحاصد ودرّاسات واسمدة كيميائية ، وكي يؤمن كذلك استقلال البلاد ، يقتضي صناعة قوية ولا سيما في حقل استخراج وانتاج الحديد والحديد المصبوب والفولاذ ؛ وسوف يتيح استخدام الآلات في الزراعة تزايد الانتاج بيد عاملة اقل عدداً ، فيتحول العمال الذين يستغنى عنهم الى الصناعة ، ويمكن اذ ذاك رفع مستوى الجماهير القروية والمدنية ، وازالة الاختلافات جزئياً بين المدن والارياف ، وجعل الانسان سيد الانتاج لا مقيدا بقوانين الاسواق التجارية .

اعداد الخطة

هذا هو البرنامج الذي اتجهـــه اليه الحزب الشيوعي خلال السنتين ١٩٢٨ و ١٩٢٩ ؛ فقد وقف ستالين موقفاً عدائياً صريحـــاً من الاقتصاد القروي الصغير في شهر تشرين الثاني من السنة ١٩٢٩ بمقـــاله الشهير « سنة الازمة الكبرى » ، الذي برر التصنيع وعلله . وسوف يبدأ حينذاك الاختبار الكبير الاول للتخيط المعد « لان يحدث »

على مستوى قارة وفي اطارها ، انظمة اقتصادية جديدة » . وسينفذ التصنيع والتأميم لمصلحة الجماعات في وقت واحد ، وفاقاً لتصميم واضح مدروس بكل دقة . وقد سبق ، منذ سنوات عدة ، ان بوشر جمع وثائق احصائية ، وان وضعت برامج اقتصادية لهذا الفرع او ذاك من فروع الصناعة ، وان اسند منذ السنة ١٩٢٠ الى لجنة الكهربة الروسية الشاملة (غويلرو) ، ومنذ السنة ١٩٢١ الى لجنة مجلس العمل والدفاع (غوسبلان) اعداد تصميم شامل واحد ؛ وقد استمرت هذه الاعمال والدروس حتى بعد ان افضى اعتماد السياسة الاقتصادية الجديدة الى ارجاء كل تخطيط .

ما ان تقرر « العدول عن حافز المنافسة الرأسمالية » ، حتى عمد الغوسبلان ، بالاتفاق مع لجان التصميم المؤلفة في المناطق (اويلبلان) والدوائر (رايبلان) والمدن (غوربلان) وخلايا المشاريع ، الى مباشرة عمل مراجعة الدروس السابقة وتنسيقها . فلم تكن الخطة الخمسية الاولى من ثم مرتجلة ارتجالاً ، اذ ان اعدادها الفطري استغرق سبع سنوات واعدادها التقني استلزم سنتين .

بعد اقراره « شمول التصميم كافة النشاطات الصناعية » ، اتخذ الحكم السوفياتي قراراً ثانياً بالغ الاهمية : حصر الجهود في القطاعات التي تتحكم بكافة القطاعات الاخرى : الطاقة ، الصناعة الثقيلة ، صناعات المواد الانتاجية التي سوف تتيح ، في المستقبل ، زيادة المواد الاستهلاكية بسرعة ، واضعاً بذلك رفع مستوى معيشة السكان في المرتبة الثانية . « وبعد مدّة طويلة اثبت هذا البرهان انه ينطوي على مزيد من الفطنة والفعالية » (الاب شامبر) ، ولكن الصعوبات التي اصطدم بها كانت عظيمة جداً : وفي الدرجة الاولى الافتقار الى رؤوس الاموال واحجام العالم الرأسمالي عن الاقراض ، الذي جعل استيراد التجهيزات بكميات كبرى امراً مستحيلا . فتوجب البحث من ثم عن الوسائل الضرورية لبناء صناعة قوية في الموارد الداخلية دون غيرها ، وتطوير الاقتصاد في استقلال اقتصادي حقيقي . وتوجب كذلك ، من جهة ثانية ، تحقيق تصنيع سريع وتأميم زراعي معا ، اي احداث ثورة اجتماعية عميقة في هذا الحقل. واخيراً ، في الفترة التي تلت السنة ١٩٣٠ ، فرض خطر الحرب ومستلزمات الدفاع خطوة سريعة جديدة في التصنيع وتحويرات غير مرتقبة في التصاميم الجاري تنفيذها . ولكن هذا التنفيذ قد غير شكل العالم في سنوات معدودة ؛ ففي غضون عشر سنوات جعل من بلاد متخلفة دولة اقتصادية عظمى ؛ وقلب في الوقت نفسه نظام المجتمع السوفياتي رأساً على عقب .

الخطة الخمسية الاولى
١٩٢٨ - ١٩٣٣

لحظت الخطة (بياتيلتكا) ان مجموع الانتاج سيضاعف ، ولكن من حيث هي استهدفت تصنيع البلاد ولاسيما تنمية الصناعة الثقيلة بنوع خاص ، فقد توجب ان ينتقل نصيب الصناعة من ٦٠٠ ٨ مليون روبية الى ٨٠٠ ٢٥ اي بزيادة ٣٠٠٪ ، ونصيب الكهرباء من ١٠٠٠ مليون الى ٥٣٠٠ مليون اي بزيادة ٥٣٠٪ ؛ اما نصيب الزراعة فلن ينتقل الا من ٢٨٫٧٠٠٫٠٠٠ الى ٣٨٫٩٠٠٫٠٠٠

أي بزيادة ٣٦ ٪ فقط . وقـد اختلفت نسبة الزيادة في كل فرع من فروع الصناعة : ٣٫٣ في وسائل الانتاج ، و ٢ فقط في المواد الاستهلاكية ، وعلى صناعة التعدين ان تزيد طاقتها الانتاجية ثلاثة اضعاف ، والصناعة الكيميائية خمسة اضعاف ، وصناعة مواد البناء ثلاثة اضعاف ونصف الضعف ، وصناعة انتاج المحروقات الجامدة ضعفين ونصف الضعف . وسوف ينتقل عدد عمال الصناعة من ١١ الى ١٦ مليوناً . وسوف يؤمن التمويل ، الذي سيستلزم ٨٠ مليار روبية ، من زيادة قيمة العمل القومي : كل سنة تقتطع الموازنة ٣٠٪من الدخل القومي لتوظف في المشاريع، وتضاف الى ذلـــك القروض التي يؤمنها التوفير وزيادة الصادرات على الواردات الضرورية بغية التمكين من شراء الادوات اللازمة من الخارج (سيتوجب تصدير خمسة الى ثمانية ملايين طن حبوباً) .

يجب ان يحقق هذا التصنيع في اطار الوحدات الاقتصادية الكبرى : المشاريع والمناطق . وسوف يكون للمصانع الجديدة اتساع وطاقة اهم المصانع الاميركية : محطة دنيبر الكهربائية ، المجموعات التعدينية في ماغنيتوغورسك وكوزنتسك وكريفوي – روغ وزابورويه ، ومصانع الجرارات في ستالينغراد ، ومصـــانع الآلات الزراعية في روستوف ونيجني – نوفوورود ؛ وسوف تنشأ مراكز صناعية جديدة واستثمارات منجمية جديدة في الشرق ، في الاورال وآسيا، بعيداً عن المواصم والحدود ، في ماغنيتوغورسك وكوزنتسك وقاراغندا ، الخ ...

تحقيقها

كان تحقيق هذه الخطة الاولى ناقصاً وغير متساو وتميز بتوقفات فجائيـــة وصعوبات غير مرتقبة نجمت اما عن حصاد سيء ، واما عن الازمة العالمية التي خفضت حجم وقيمة التجارة الخارجية الى مستوى متدن جداً . وجاء النقص في اليد العاملة ، المؤهلة وغير المؤهلة على السواء ، ووسائل النقل للتجارة المتزايدة ، يزيد في الطين بلة . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان نتائج السنة الاولى، التي فاقت كل التقديرات ، قد ولدت تفاؤلاً عظيماً حمل على الاسراع في تنفيذ الخطة واطلاق صيغة «تحقيق الخطة فياربع سنوات»؛ ولكن سرعان ما توجب التخلي عن هذه الصيغة امام الاستياء الذي اثاره الاسراع في التأميم وانتزاع الملكية وانخفاض مستوى المعيشة الذي فرضه هذا المجهود .وخلال السنة الثانية انتهت بعض القطاعات الهامة ، كالفحم الحجري والفولاذ والحديـــد المصبوب ، الى عجز جسيم بالنسبة للتقديرات ؛ ولكن الوضع تحسن خلال السنة الثالثة حين بوشر العمل في بعض المصانع الكبرى ، وحين ادت زيادة الانتاج الزراعي ، بفضل استخدام الآلات ، الى جعل التموين اسهل منالاً . وجملة القول ان النتيجة النهائية انطوت على بعض التفاوت : اذا ما تحقق مشروع صنع الآلات بنسبة ١٨١٫٢٪ ، والتجهيز الكهربائي بنسبة ١٣٦٪ ، وانتاج البترول بنسبة ١٠٢٪ ، فان استخراج الفحم الحجري لم يحقق الا بنسبة ٨٦٪ والفولاذ بنسبة ٥٧٪ والحديد المصبوب بنسبة ٦٢٪ والصوفيات بنسبة ٣٤٪ (نتيجة لابادة المواشي) ، والسكر بنسبة ٣٢ بالمائة . اما الاموال الموظفة ، فاذا بدا انها وظفت ١٠٠٪ بالارقام المطلقة ،فان ارتفاع الاسعار الذي بلغ ٣٢ بالمائة

(بينما قدّر انها ستنخفض بنسبة ٢٣ ٪) قد كذّب كافة التقديرات .

الخطتان الخمسيتان الثانيـــة والثالثة

بينما ضحي بكل شيء في الخطة الخمسية الاولى على مذبح ما اعتبر جوهرياً : الصناعة الثقيلة وزيادة المساحات المزروعة ، عـــلى حساب فروع الانتاج الاخرى : الصناعة الخفيفة ، وسائل النقل محاصيل الزراعة ، الخ . ، تميزت المرحلة التالية بتخطيط كافة قطاعات الاقتصاد تخطيطاً اكـثر تساوياً على الرغم من ان بعضها قد اعير اهمية خاصة. يضاف الى ذلك ان تحقيق الخطة قـد اصبح اكثر سهولة بفضل اعتمادات اكثر وفرة وتمويل اكثر تيسراً .

في آخر الخطة الثانية (١٩٣٣ – ١٩٣٧) ازدادت الصناعـة الثقيلة ، منذ السنة ١٩٢٨ ، ٦,٩ اضعاف والصناعة الخفيفة ٣,٩ اضعاف . ويبـــلغ تحقيق الخطة العام ١٠٢ ٪ ، ولكن التوزيع كان على بعض التباين : ١٠٧٪ في صناعة الاحذية و ١٠٤٪ في صناعـــة الـسكر ، ١٠٠٪ في صناعة تصفيح المعادن و ١٠٤٪ في صناعة الفولاذ ، و ٩٦٪ في الكهرباء ، و ٩١٪ في الحديد المصبوب ، و ٨٩٪ في استخراج الفحم الحجري ، و ٦٤٪ فقط في صناعة القطنيات و ٤٦٪ في صناعة الصوفيات. أما الخطة الثالثة المطلوب منها إنماء صناعات التخصص ، ولا سيما الصناعات الكيميالية ، فكان مقدراً لتقدمها ان يكون اعظم سرعة من تقدم الخطتين السابقتين ؛ ولكن الحرب العالمية الثانية اوقفت تحقيقها الذي ربمـــا كان بلغ ٧٠٪ في السنة ١٩٤١ على الرغم من ارتفاع النفقات العسكرية ارتفاعاً كبيراً (منذ السنة ١٩٣٦) .

النتائج في السنة ١٩٤٠

حين ادخل الهجوم الالماني الاتحاد السوفياتي في الحرب العالميـة الثانية ، كان التصنيع واقعاً راهناً والتأميم الزراعي امراً منجزاً عملياً ؛ فألغيت التجارة والصناعة الخاصة ، واضطربت كافة علائق الدولة الصناعية : لقد غـدا الاتحاد الدولة الاقتصادية الثالثة في العالم والثانية في اوروبا ، وغدا الدولة الثانية في العالم في حقل انتاج الحديد والبترول والذهب ، والثالثة في حقل انتاج الطاقة الكهربائية والحديد المصبوب والفولاذ والقطن ، والرابعة في حقل انتاج الفحم الحجري ومحركات السيارات ، الخ. . ولعل خير مثل على هذا التطور انطلاقة الكهربة التي قفزت من انتاج ٢٥٠٠ مليون كيلو وات ساعة في السنة ١٩٢٨ الى ٤٠ ملياراً في السنة ١٩٣٨ . وقد انتجت هذه الطاقة معامل حرارية واسعة ، ومعامل مائية ايضاً فان اهمها معمل الدنيبر السفلي الذي انشيء بين السنة ١٩٢٧ والسنة ١٩٣٢ واتاح تسيير ٩ عنفات بقوّة ١٠٠,٠٠٠ حصان ، وحدث الشيء نفسه في صناعة المطاط – الشبه المعدومة حتى هذا التاريخ – التي سدّت نصف الحاجـــات ، وقد استخدمت النباتات الصمغية المبلدة وانتجت المطاط التركيبي .

وحُسّنت وسائل النقل تحسيناً عظيماً ، ولكنها ما زالت احد عوائق الاقتصاد الرئيسية . وحسنت كذلك شبكة الأقنية والانهر بقنـــاة البلطيك – البحر الابيض التي فتحت في السنة ١٩٣٣ ، وقناة موسكوفا – فولغا التي انجزت في السنة ١٩٣٧ وجعلت من موسكو مرفأ نهرياً

كبيراً ، ولكن وسيلة النقل الرئيسية كانت السكك الحديدية. فقد انجزت اعمال كبرى جدّدت الخط الحديدي عبر سيبيريا بين اومسك وتشليابنسك ، والخطوط الحديدية بين موسكو ولينينغراد والـ « دونباس » ، وبين اركانجلسك وموسكو ، وأعيد بناء الخط الحديدي بين موسكو وخاركوف ، وتحقق خط «تركسيب» وخطوط الاورال – كوزنتسك ، وقاراغندا – بالكاش ، والاورال – قاراغندا ، ووضع اخيراً مشروع خط ستراتيجي من شأنه تسهيل استثمار وادي الـ « آمور » الاسفل بغية ربط بايكال بالمحيط الهادي ، هو خط بايكال – آمورسكي – ماجيسترال .

المميزات الجديدة لهذه الانطلاقة الصناعية

تبدل وجه هذه الصناعة تبدلا كبيراً لا لأن اهميتها المطلقة قد ازدادت الى حد بعيد فحسب ، بل لأن نظامها وتوزيعها الجغرافي قد انقلبا رأساً على عقب ايضاً. فان صناعة انتاج المواد الاستهلاكية التي كانت في السنة ١٩١٣ ضعف صناعة مواد الانتاج والتي ما زالت في السنة ١٩٢٩ تفوقها بنسبة ٥٠ بالمائة ، لم تبلغ في السنة ١٩٤٠ سوى ٦٧ بالمائة منها اذ ان نسبة الزيادة قد بلغت ٢٢ في مواد الانتاج و ٦,٥ فقط في المواد الاستهلاكية . وزاد الانتاج الزراعي ٥٧ بالمائة بالنسبة للسنة ١٩١٣ (٣٢ بالمائة للحبوب ، ٩٨ بالمائة للشمندر السكري ، ٢٨١ بالمائة للقطن) ، ولكن الانتاج الصناعي زاد بنسبة ٧١٤ بالمائة . أما مركز الاتحاد في التجارة العالمية ، الذي كان ابداً محدوداً ، فقد تضاءل اكثر فاكثر : بعد ان تدنى الى ١,٤ بالمائة من التجارة العالمية ، ارتفع الى ٢,٣ بالمائة في السنة ١٩٣٢ ثم عاد فهبط الى ١,٣ بالمائة في السنة ١٩٣٧ ، وكان ذلك نتيجة الازمة العالمية وتزايد الاستهلاك الداخلي الذي لم يترك للتصدير سوى ٨,٠ بالمائة من الانتاج القومي مقابل ١١,٦ في السنة ١٩١٣ . وهناك تبدل آخر يظهر تطور النظام الاقتصادي في البلاد ، اعني به تزايد نسبة المنتجات المصنوعة في الصادرات ، التي ارتفعت من ٢٩,٤ بالمائة في ١٩٠٩ – ١٩١٣ الى ٦٨,١ بالمائة في السنة ١٩٣٢ ، وفي الوقت نفسه تزايد نسبة استيراد الخامات .

ويزيد في أهمية هذه الانطلاقة انها صادفت في الزمن الأزمة الاقتصادية الدائمة التي ثقلت وطأتها على العالم الرأسمالي ، حين هبط فيه الانتاج بسرعة وبشكل محسوس لم يعرفهما من ذي قبل . ففي السنة ١٩٢٨ بلغ الانتاج الصناعي في الولايات المتحدة ٤٤,٨ بالمائة من الانتاج العالمي ، وفي المانيا ١١,٦ بالمائة ، وفي بريطانيا العظمى ٩,٣ بالمائة ، وفي روسيا ٤,٧ بالمائة ؛ وفي السنة ١٩٣٢ تغيرت النسبة في كل من هذه الدول كما يلي : ٣٤,٤ ، ٨,٩ ، ١١,٣ ، ١٣,١ بالمائة . ويتضح من ذلك ، خلال السنوات العشر الممتدة بين اوائل الازمة والحرب العالمية الثانية ، ان العالم الرأسمالي لم يستطع بلوغ مستوى الانتاج في السنة ١٩٢٩ الا بصعوبة كبرى ، بينما رفع الاتحاد السوفياتي مستواه مرّات عدة . وبينما لم تبلغ اليابان والولايات المتحدة وبريطانيا العظمى ، خلال عهد انطلاقتها الكبرى ، سوى نسبة زيادة سنوية تقارب

٥ بالمائة ، حقق الاتحاد السوفياتي بين السنة ١٩٢٨ والسنة ١٩٤٠ زيادة ١٣ — ١٤ بالمائة سنويا ، اي ضعفين وثلاثة أضعاف واربعة أضعاف نسبة الزيادة الطويلة الأجل في البلدان الرأسماليـة . وان مقارنة هذا الرقم بارقام اوروبا الغربية التي كان معدل الزيادة فيها ٣٫٥ بالمائة بين السنة ١٩٠٠ والسنة ١٩٢٩ ، وبرقم اوروبا جمعاء (باستثناء الاتحاد السوفياتي) بين السنة ١٩١٣ والسنة ١٩٣٨ ، حيث تراوح معدل الزيادة بين ١٫٤ و ١٫٧ بالمائة ، لدليل على ان هذا التقدم كان بالغ السرعة .

احرز التقدم بفضل اعداد الاختصاصيين بتعليم تقني تأسست مدارس كثيرة بغية توزيعه ، والاستعانة باكثر من ٢٠ ٠٠٠ فني واختصاصي اجنبي ، الماني او اميركي — من امثال « هيو كوبر » الذي وضع التصاميم لسدّ الدنيبر — ، وتنظيم العمل تنظيماً عقلياً جعل عامل المناجم « ستاخانوف » يستخرج اكثر من ١٠٠ طن فحماً حجرياً (مقابل معدل ٦٫٥) في يوم عمل واحد ، و « المنافسة الاشتراكية » التي دفعت ، في كافة فروع الصناعة ، الى ضرب ارقام إنتاجية قياسية .

لم يتوقف الاتحاد السوفياتي من ثم في مراحل الثورة الصناعية . فحتى ذاك التاريخ لم تحقق البلدان الزراعية تصنيعها الا ببطء ولم تتوفق الى ذلك الا بالارتباط مالياً بالدول الرأسماليـة المتقدمة ؛ اما الاتحاد السوفياتي فقد بات في السنة ١٩٣٩ الدولة الصناعية الثالثة في العـالم دون ان يضحي بشيء من استقلاله لمصلحة الدائنين الأجانب ، وبات لديه الآن المرتكز الصناعي المتين اللازم لكل دولة عسكرية . الا ان مستوى الانتاج بالنسبة للشخص الواحد ما زال ادنى منـه في البلدان الصناعية الأخرى الى حد بعيد : ٣٫٤ مرات اقل منه في الولايات المتحدة ، ٢٫٧ اقل منه في انكلترا ، نصفه في المانيا ، ادنى منه قليلاً في فرنسا .

وقامت الجدّة الكبرى اخـيراً في الطابع النظامي والشامل الذي ارتداه تدخل الدولة في الاقتصاد .

فحتى ذاك التاريخ أقرت بعض انواع الرقابة خلال الحرب وبذلت الجهـود في كافة الدول المحاربة لتوجيه الاقتصاد ، ولكن هذه الرقابة وهذه الجهود لم تكن سوى حيـل فرضتها الظروف وقد اهملت منذ توقف الأعمال الحربية . وحين اقدم الاتحـاد السوفياتي على تنفيذ الخطة الخمسية الأولى ، كان هو الدولة الاولى التي تتولى ، عن قصد وتصميم ، وفي ايام السلم ، رقابة مجموع نظامها الاقتصادي وإعادة تنظيمه . فاعطى بذلك مثلاً سارت عليه دول كثيرة فيما بعد . يضاف الى هذا ان الهدف هنا لم يكن تنسيق نشاط اقتصاد بـلاد في إطار النظام القائم فحسب ، بل تحويله كلياً وتبديل النظام الاجتماعي باكمله .

٢ – تحول قارة

ادى التصنيع والتأميم الى تحول عميق في الشكل الطبيعي « للجزء السادس من العالم » الذي يؤلفه الاتحاد السوفياتي ، فقد انقلب توزيع الكتل البشرية وتوزيع مراكز الانتاج رأساً على عقب ، بينما تبدلت طرائق الانتاج نفسها ايضاً .

الانطلاقة الديموغرافية

على غرار الولايات المتحدة التي يبرز فيها التضاد الكبير نفسه بين سكان قليلي العدد نسبياً وموارد وفيرة ومتنوعة ، استطاع الاتحاد السوفياتي الاستفادة في وقت واحد من انطلاقة ديموغرافية عظيمة الشأن ومن تقدم اقتصادي سريع الخطى . فقد قدر عدد السكان بـ ١٤٥ مليوناً في السنة ١٩١٤ (في حدود ما بعد الحرب) ، فبلغ في السنة ١٩٢٦ ، عند الاحصاء الاول ، ١٤٧ مليون نسمة . وقدرت الخسائر بالارواح الناجمة عن الحرب ، والاوبئة – لا سيما التيفوس – وسوء التغذية والمجاعة في ١٩٢١ – ١٩٢٢ ، ومذابح الحرب الاهلية ، والهجرة السياسية ، بـ ١٥ الى ٢٥ مليوناً . ومنذ نهاية الحرب الاهلية ، اصبح الازدياد سريعاً على الرغم من الوفيات الناجمة في ١٩٣٢ – ١٩٣٣ عن المجاعة الكبرى التي فتكت فتكاً ذريعاً بسكان اوكرانيا ومنطقة الفولغا الاسفل وبعض انحاء سيبيريا الغربية . فارتفعت زيادة الولادات بالنسبة للوفيات ، في القسم الاوروبي ، من ١٩٫٣ ٪ في السنة ١٩٢٣ الى ٢٤ ٪ في السنة ١٩٢٤ ؛ وبلغت ١٩ ٪ في مجموع انحاء الاتحاد في السنة ١٩٣٠ ، ثم ارتفعت الى ٢٠٫٥ بالمائة في السنة ١٩٣٨ . وقد بلغ عدد السكان ، في السنة ١٩٣٩ ، ١٧٠ مليون نسمة اي بزيادة ٢٣ مليوناً منذ السنة ١٩٢٦ ؛ واتصفت الزيادة بمزيد من السرعة عند الاعراق غير الروسية حيث تحسنت الظروف الصحية تحسناً كبيراً ؛ كما اتصف هؤلاء السكان اخيراً ، في السنة ١٩٣٩ ، بنسبة عليا من الشباب ، اذ ان الذين كانوا دون العشرين من سنهم بلغوا آنذاك ٤٥٫١ بالمائة .

حركات انتقال السكان

كانت حركة الانتقال عظيمة جداً ، شبيهة بها في الولايات المتحدة بين السنة ١٨٧٠ والسنة ١٩٢٠ ، او في انكلترا خلال القرن التاسع عشر . اجل ان هذه الحركة لم تترك اثراً يذكر خلال الحرب ، ولكن ما ان شُرع في تنفيذ سياسة التصنيع حتى بدأت عملية توزيع السكان توزيعاً نظامياً . فقد كان الهدف استثمار الموارد الطبيعية استثماراً منظماً وصوابياً ، وفي مكان وجودها ، اذا امكن ذلك ، بغية الحد من نفقات النقل ، وتقريب المصانع من مراكز انتاج الطاقة والمعادن الطبيعية ، وانشاء مراكز صناعية جديدة في داخل البلاد بعيداً عن مناطق الحدود ، وتوزيع مراكز الانتاج توزيعاً اكثر تساوياً . لذلك وُجّه الفلاحون الكثيرون ، الذين لم تعد الارياف بحاجة اليهم بعد اعتماد الآلات ، نحو المناطق الفنية بالموارد غير المستثمرة او المستثمرة جزئياً ، او نحو نقاط قريبة من خطوط المواصلات ، ولا سيما خطوط المواصلات المائية .

الإعمار

منذ السنة ١٩٢٦ حتى السنة ١٩٣٩ ، اي خلال ١٢ سنة ، انتقل ٢٣ مليون نسمة ، على هذا النحو ، من الارياف نحو المدن . وقد حدث قبل ذلك ، اي بين السنة ١٩٢٣ والسنة ١٩٢٧ ان ارتفع عدد المدن التي تضم اكثر من ١٠٠ ٠٠٠ نسمة ، من ٢٢ الى ٣١ ، ثم ارتفع في السنة ١٩٣٩ الى ٨٢ ضم ٤١ منها اكثر من ٢٠٠ ٠٠٠ نسمة ، وبين السنة ١٩٢٧ والسنة ١٩٣٩ قفز عدد سكان المدن من ٢٦ ٣٠٠ ٠٠٠ الى ٥٥ ٦٠٠ ٠٠٠ ، اي ما يوازي ٣٢٫٨ بالمائة مقابل ١٧٫٩ بالمائة ، بينما تراجع عدد سكان الارياف من ١٢٠ ٧٠٠ ٠٠٠ الى ١١٤ ٦٠٠ ٠٠٠ ، اي من ٨٢٫١ الى ٦٧٫٢ بالمائة ، وفي السنة ١٩٣٩ كان خمسا سكان المدن فلاحين استقروا فيها منذ اقل من ١٢ سنة . وللمرة الاولى في تاريخهـــا ، بلغت روسيا درجة التطور التي مرت بها اوروبا الغربية منذ زمن بعيد : كانت المدن المستفيد الوحيـد من زيادة عدد السكان . ففي ١٢ سنة استوطن موسكو زهاء مليوني نسمة (٤١٣٧ ٠٠٠ في السنة ١٩٣٩) ، وارتفع عـــدد سكان اقليمها بنسبة ٧٤ بالمائة ، وبلغ عـــدد سكان ليننغراد ٣ ١٩١ ٠٠٠ نسمة . واستقبلت منطقة الحديد والفحم الحجري في اوكرانيا الشرقية ، مـع مدينتي خاركوف ودنيبر وبتروفسك الصناعيتين ، اكثر من مليوني شخص جديد ، وارتفع عدد سكان ماريوبول من ٦٣ ٠٠٠ الى ٢٢٢ ٠٠٠ نسمة ، وسكان ماكيافكا من ٧٩ ٠٠٠ الى ٢٤٠ ٠٠٠ ؛ كما ارتفع سكان اقليم ستالينو بنسبة ٩١ بالمائـة ، وسكان اقليم فوروشيلوفسك بنسبة ٣٧ بالمائة ، وخـلال ١٢ سنة ارتفع عدد سكان ٩ مدن في هذه المنطقة الى ثلاثـة اضعافه ؛ وقفز عدد سكان خاركوف من ٤١٧ ٠٠٠ الى ٨٠٠ ٠٠٠ ، وسكان روستوف من ٣١٨ ٠٠٠ الى ٦٣٠ ٠٠٠ . وفي الشمال ، قفز عـدد سكان مورمانسك من ٨ ٠٠٠ الى ١٠٠ ٠٠٠ نسمة . ولم تنحصر المدن السريعة النمو في اوروبا وحدها ، اذ ان المراكز الصناعية الجديدة في آسيا قد عرفت نمواً سريعاً جداً ايضاً .

وتغير مظهر المدن القديمة ، اذ انها فقدت احـــد ادوارها القديمة الرئيسية ، اعني به دور السوق التجارية ، بفعل زوال التجارة الخاصة ؛ فاحيطت بمدن تابعة حين قامت الصناعة في ضواحيها ، والا عاشت في ضيق وتأخرت . اما المدن الجديدة التي نشأت على مقربة من الخامات فكانت مدنا – مصانع استخدم كافة سكانها في المشاريع الصناعية . ونجم عن ارتفاع عـــدد السكان حركة بناء واسعة لم تتوفق الى حل « ازمـــة إسكان » حادة جداً ؛ وكانت الابنية الجديدة امّا مساكن – مدناً عمالية كبرى احياناً ، او بيوتاً فردية صغرى احياناً اخـرى ، وفاقاً لمواد البناء المتوفرة – واما مساكن جماعية وابنية عـــامة باعداد كبرى : مدارس ، مستوصفات مجانية، دور توليد ، مستشفيات ، امكنة اجتماع، قاعات لعب، مسارح ، ملاعب، نواد رياضية . وتشابه السكان في كل مكان ، فكانوا عمالاً او موظفين لا يميز بينهم لا نوع المعيشة ولا الزي .

وفي الوقت نفسه الذي اعمرت فيه بورات الفولغا الاسفل وصُنّفت ، استقرت قبـــائل

البدو الرحل ، ولم يستمر في حياة البداوة ، في السنة ١٩٣٥ ، سوى ٤٥٠٠٠٠ من اصل مليونين او ثلاثة ملايين عائلة بدوية : ففي قازاخستان نقص عدد سكان الارياف اكثر من مليون نسمة بفعل زراعة المراعي والتصنيع ، بينما ارتفع عدد سكان المدن من ٥٠٠ ٠٠٠ الى ١٧٠٠ ٠٠٠ . وتحولت كذلك قبائل الـ « واروت » في الالتاي والـ « بوريات – المغول » ، البدو او شبه البدو ، والكرغيز والكالموك الى رعاة يتنقلون مع الفصول من مكان الى مكان ويسلكون مسالك ثابتة . وما لبث هؤلاء ان استقروا وتحضروا تدريجياً ، حيثما انشئت المروج الصنعية واستثمرت الغابات والمناجم .

تحول مظهر البلاد

تبدل ظاهر البلاد نفسه تبدلاً عميقاً . مظهر الحقول اولا ، التي تمتد الى ما لا نهاية له في كافة الاتجاهات دون اثر للحدود ، والتي حلت محل فسيفساء الطرائد القديمة المحدّدة تحديداً دقيقاً ، بعد ان اتاح انشاء تعاونيات الانتاج زراعة مئات الهكتارات زراعة متماثلة في وقت واحد ؛ وغير الاقتصاد الزراعي الجديد طابع القرية ؛ فالمجموعة السكنية ، المؤلفة من بيوت عمال التعاونيات وما يحيط بهـا من خظائر وحدائق ، منفصلة عن ابنية الاستثمار التي باتت جماعيـة : المطامير والزرائب والسقائف والمخازن التعاونية والمستوصفات الجانبية وقاعات الاجتماع والمدارس تتجمع حول مستودع المياه . وامتدت المساحات المزروعة التي ارتفعت من ١٠٥ ملايين هكتار في السنة ١٩١٣ الى ١١٣ في السنة ١٩٢٨ و ١٤٠ في السنة ١٩٣٨ . وان تصريف المياه والري والاحتياطات المتخذة للحؤول دون ضياع التربة وغزو الرمول قد وفرت للزراعة اراضي باثرة ومهملة : ٤ ملايين هكتار من المستنقعات المجففة في بييلوروسيا ومنطقة لينينغراد وموسكو وسيبيريا وكوبان ، حيث تحولت الى مرزّات ، وفي منطقة بحـر ازوف حيث تحولت الى بساتين . ووفر الري مساحة مماثلة . واتاح تحسين التربة وتقدّم فن الزراعـة استثمار الاراضي استثماراً افضل : اتسعت زراعة القطن في روسيا الجنوبية والارز في الشمال وفي آسيا الوسطى . وادت دروس معهد ليسنكو للانتاج النباتي حول اختصار فترة نمو النباتات المزروعة الى امتداد الزراعات حتى المناطق القطبية حيث زرعت في شبه جزيرة « كولا » ، في ما وراء الدائرة القطبية ، الحنطة والاشجار المثمرة والبقـول . وادخلت زراعات جديدة (البسلّى الصيفية الى اوكرانيا) ، ووسعت في كل منطقة الزراعات الاكثر ملاءمة لطبيعة الارض والمناخ : احتـل دوّار الشمس مساحات شاسعة في اوكرانيا وكيرغيزيا والقرم ، وزراعة البقـول والاشجار المثمرة في تاجيكستان . ولم تحتل شجرة الشاي ، في السنة ١٩١٣ ، اكثر من الف هكتار ولم تنتج اكثر من ٢٠٠٠ قنطـار ، فاحتلت في السنة ١٩٤١ اكثر من ٥٠٠٠٠ هكتار وانتجت اكثر من ١٤٥٠٠٠ قنطار . وادخلت الى تركمانيا واذربيجان ، من آسيا الوسطى والمكسيك ، نباتات برية تنتج المادة الصمغية التي يصنع منهـا المطاط . اما القطن الذي لم يزرع في السنة ١٩١٥ الا في ٨٢٥٠٠٠ هكتار ، و ٩٧١٠٠٠ هكتار فقط في السنة ١٩٢٧ ، فقد احتـل

٢ ٥٠٠ ٠٠٠ هكتار في السنة ١٩٤٠ بفضل بنـــاء السدود الكبرى على الـ « فاخه » وتنظيم مياه الـ « كورا » والـ « اراكس » ونجاح زراعة القطن « البعلية » على ضفاف البحر الاسود .

نظـــام الصناعة

ارتكز تنظيم الصناعة الجديد الى تأسيس الاتحادات تضم بعض الوحدات الصناعية على الصعيد الاقليمي ، بلغ عددها ٦٤٠ في السنة ١٩٤٠ وادارت ٥٧٣٠٠٠ مؤسسة ، ووحدات صناعية كبرى توحّد على الصعيد العمودي المشاريـــع المترابطة النشاطات ؛ هذه كانت « جبابرة » الصناعة : « وحدة » ماغنيتوكورسك التي تأسست في السنة ١٩٢٧ عند لحف « ماغنيتنايا غورا » ، جبل المعدن الحديدي الادبس اللون ، وانتجت في السنة ١٩٤١ مليوني طن فولاذاً ، وتوفرت لديهـا افران الحديد المصبوب ومصاهر الحديد وآلات تصفيح المعادن ومعامل المواد الكيميائية ومعامل انتاج الكهرباء ، الخ . ، ووحدة كوزناد على مقربة من بحيرة بالكاش التي استثمرت معـــدن النحاس الطبيعي المكتشف في السنة ١٩٢٨ ، وانتجت ، بالاضافة الى النحاس ، كبريتور الكربون والحمض الكبريتي ، الخ ؛ ووحدة « ميكويان في موسكو » للحوم التي استخدمت ١٠ ٠٠٠ عـــامل وامتدت فروعها المختلفة على طول ٤٣ كلم ؛ فقد جزر فيها ١٠ ٠٠٠ حيوان في اليوم ، وصنع فيها الآحين ، والمواد الصيدلية ، والمواد المجردة عن الماء ، والغراء ، الخ . واستلزمت هـــذه الوحدات مصانع جبارة خاصة ، كمصنع كراماتورسك الذي انتج الآلات وامتد على مساحة ١٠ كلم ٢ ، ومصنع موسكو للاجهزة الكهربائية « الكترو سيل » الذي استخدم ١٠ ٠٠٠ عامل وامتد ، مع المدينة العمالية ، المتسعة لـ ٢٠ ٠٠٠ شخص ، على مساحة ٥ كلم ٢ . وان الوحدة الصناعية المزدوجة « اورال – كوزنتسك » التي جمعت بين حديد الاورال الطبيعي وفحم كوزباس الحجري اتاحت للمنطقتين الكبريين اللتين تفصلهما مسافة ٢ ٠٠٠ كيلومتر تبادل المعدن والفحم وتنمية مركزين ضخمين لصناعة التعدين .

الا ان تبدلاً ارتسم عند الشروع في المشروع الخمسي الثالث ، فلم يعد « الجبار الصناعي » ليعتبر خير مثال للتنظيم ، بل بدا من الافضل ، عـــلى الصعيد الاقتصادي والصعيد الاجتماعي معاً ، توزيـــع المؤسسات الصناعية على كافة انحاء البلاد وتقسيمها الى مراكز صناعية اكثر عدداً وادخالها في الوقت نفسه في مجموعة اقليمية واسعة .

تحول مراكز الانتاج

ان البحث عن مناجم جديدة غنية والتصميم على نقل مراكز الانتاج الى الشرق قد ادخلا تغييراً كبيراً على الاهمية النسبية للمراكز المنجمية والصناعية . اجل ما زالت منطقة دونباس تتقدم تقدماً مستمراً ، وقد بقيت اهم منتج للفحم الحجري ، ولكنها ما عادت لتنتج سوى ٦٠ ٪ من الفحم الحجري السوفياتي مقابل ٨٧ ٪ في السنة ١٩١٣ ؛ ومرد ذلك الى تقدم هذا الانتاج في مناطق آسيوية مختلفـــة : منطقه كوزباس التي كانت تنتج اقل من مليون طن في السنة ١٩١٣ وباتت تنتج اكثر من ٢٠

مليوناً في السنة ١٩٤٠ ، وحوض قاراغندا الذي بوشر استثماره قبل الحرب ، ثم توقف ، ثم تجدد في السنة ١٩٣٠ ، والذي بلغ انتاجه ٥ ملايين طن في السنة ١٩٣٨ ، وحـــوض الاورال الذي انتج اكثر من ٥ ملايين طن ، وحوض « بتشورا » الذي انتج ٣ ملايين .

ويصح هذا القول كذلك في البترول الذي ارتفع انتاجه ، بين السنة ١٩٢٩ والسنة ١٩٤٠ ، من ١٤,٤٤٧,٠٠٠ الى ٣٥,٥٠٠,٠٠٠ طن ، والذي لم يعد ينبع في المنطقة القفقازية وحدهـــا بعد ان افضى استثمار بترول « باكو الثانية » ومنطقة « فولغا ـ الاورال » ومنطقتي « امبـــا » و « نفتيباد » الى خفض نسبة انتاجها من ٩٥ بالمائة في السنة ١٨٣٥ الى ٨٠ بالمائة في السنة ١٩٤٠ .

وتحول استخراج الحديد بفعل اكتشاف واستثمار مناجم جديدة غنية جداً في الاورال (ماغنيتوكورسك) وشبه جزيرة كرتش ، ولا سيما في منطقة كورسك ، في آسيـــا الوسطى ، وفي منطقـــة « خوريا » الجبلية ، قبالة حوض كريفوي – روغ لا ينتج سوى نصف الحديد السوفياتي . وتقاسمت منطقة الاورال ومنطقة كوزناد و « الملك » قرب طشقند انتاج النحاس .

وانتقلت الصناعات النسجية تدريجياً كذلك نحو مناطق انتاج الخامات ، اي نحو آسيا الوسطى حيث يزرع القطن ، ونحو آسيا والقفقاس واوكرانيا الجنوبية حيث ينتج الصوف ، ونحو الشمال الغربي حيث يزرع الكتان ؛ وانتقلت صناعة الجلود من الوسط نحو مناطق تجزر المواشي وتربيتها ، وصناعة التبغ نحو الجنوب ، في جيورجيا ، على مقربة من مواطن زراعة التبغ .

آسيا السوفياتية

لعل التغييرات الكبرى حدثت في آسيا الروسيا (ثلث اسيا) وعالم المناطق المتجمدة الشمالية . وكانت في آسيا نتيجة سرعة الاعمار وتنقل السكان وتطور طرائق معيشتهم . فقد استقبلت سيبيريا ١٠ ملايين شخص لم يكونوا ، كما في اوائل القرن ، موظفين ، وعسكريين ، وفلاحين جاؤوا لاعمار الارياف ، بل كان معظمهم عمالاً اتوا – هنا كما في آسيا الوسطى التي استقبلت ٥ ملايين منها بعد – للعمل في المناجم والمصانع . وفي مناطق الشرق الأقصى حيث بلغ عدد السكان ٣ ملايين نسمه في السنة ١٩٤٠ ، ارتفع هـــذا العدد الى خمسة اضعافه منذ السنة ١٩٢٣ ؛ وارتفع عدد سكان اقليم « خاباروفسك » بنسبة ١٣٦ بالمائة . ونشأت بعض المدن بسرعة خاطفة : ارتفع عدد سكان « تشليابنسك » خلال ١٢ سنة ، من ٥٩٠٠٠٠ الى ٣٠٠٠٠٠ نسمة ، وعدد سكان ماغنيتورسك من بضع مئات الى ١٥٠٠٠٠ .

وفي القفقاس عجّل التخصص الاقتصادي ، والتصنيع حول باكو وتفليس ، وري مزروعات القطن في الشرق وفي الغرب ، وادخـال المزروعات التخصيصية (شجرة الشاي ، والكرمة ، والتبغ والخضيات) ، في تفكيك الوحدات الاقليمية القديمة ولا سيما في الحيـــاة الراعوية ؛

وتقلصت الحياة البدوية ، هنا ايضاً ، لتحل محلها طريقة الانتقال بالمواشي الى المراعي الجبلية . وارتفع عد السكان بنسبة ٥٠ بالمائة بين السنة ١٩٢٦ والسنة ١٩٣٩ ، ولكن عدد سكان المدن تضاعف بينما لم يرتفع عدد سكان الارياف ارتفاعاً يذكر . وصنّعت كذلك ارمينيا المهملة والمنعزلة نسبياً ، بفضل احتياطيها الهام من طاقة توليد الكهرباء من القوة المائية .

اما في آسيا الوسطى فهي منطقة قازاخستان ما عرفت اعظم تطور . فان ثروة باطن ارضها التي تشمل ، بالاضافة الى بترول امبا ، وفحم قاراغندا ونحاس بحيرة بالكاش ، الرصاص والخارصين والقصدير والمنغنيز والكروم والمولبدين والذهب ، اجتذبت العمال الى « بورة الجوع » القاسية المناخ شتاء وغير الصالحة للزراعة والمقفرة حتى هذا التاريخ ، فنمت مدن – مصانع جديدة نمواً سريعاً جداً : بريبالكاش ، كارساك – باي ، تشمكنت ، قاراغندا ، جزكازغان ، بينما تضاعف عدد سكان العاصمة « الما – آتا » . واتاحت الزراعة غير المروية الزراعة حول الوحدات الصناعية ، واخذت المنطقة الجنوبية التي التفت من قبل سلسلة من الواحات المتشتتة ، تتحول كلها الى منطقة مروية متصلة ؛ وفي « اوسترالیا السوفياتية » هذه حوّلت نباتات الكلأ البدو الرحل الى تعاونيين يربون الماشية ، ولكن عدد سكان الأرياف تدنى بنسبة ٣٠ بالمائة . وبات باستطاعة آسيا السوفياتية ، التي لم تلتج في السنة ١٩٢٨ سوى ٦,٦٠٠,٠٠٠ طن فحماً حجرياً ومليون طن فولاذاً ، انتاج ٥٧ مليوناً و٦,٥٠٠,٠٠٠ في السنة ١٩٤٠ ، اي ٣٤,٣ ٪ من فحم الولايات المتحدة الاميركية و ٣١,٦ بالمائة من فولاذها .

على الرغم من ارتفاع عدد السكان في هذه المنطقة ، منذ السنة ١٩٢٦ حتى السنة ١٩٣٩ ، بين ٢٥,٦ بالمئة و ٤٥,٧ بالمئة ، بحسب الجمهوريات ، فان هذا الارتفاع لم يحصل الا في المدن بصورة خاصة ؛ فبلغ هذا العدد ثلاثة اضعافه في تاجيكستان واكثر من ضعفه في تركمانستان و ١٥٠ ٪ في ازبكستان ؛ واصبحت هناك عشرة مدن جاوز سكانها ٥٠,٠٠٠ نسمة ، مقابل ٦ في السنة ١٩٣٦ ؛ ومنذ السنة ١٩٢٦ ، ارتفع عدد سكان « تشارجوي » بنسبة ٤٠٠ بالمائة ، وعدد سكان « فرونزيه » واشقباد ٢٥٠ بالمائة ، وطشقند قرابة ٢٠٠ بالمائة . وانمیت المزروعات المروية بفضل السدود والاقنية . وساعد بناء خط توركسيب المعد لتصريف القطن نحو الشمال وتموين البلاد عن طريق سيبيريا ، على تسهيل التخصيص الذي جعل المساحة المزروعة قطناً في الجمهوريات الاربع ترتفع من اقل من نصف مليون هكتار الى مليون ونصف المليون . وتقدمت الصناعة النسجية ولاسيما صناعة الصوفيات والقطنيّات في اشقباد وفرغانا وستالیناباد وخوجند وتشارجوي وكيروفاباد وطشقند . وبات مجموع آسيا الوسطى منذئذ المركز الاول في الاتحاد لتعدين المعادن غير الحديدية .

بلدان المنطقة المتجمدة

اما بلدان المنطقة المتجمدة ، فقد استفادت من مجهود منظم انتهى ، بفضل العزم العنيد ، الى خلق مراكز نشاط ما كان احد ليحلم بها من قبل . وكان استثمارها وتطويرها ثمرة اتعاب « معهد المنطقة المتجمدة »

و « مصلحة استكشاف الطريق البحرية الشمالية » التي استخدمت منذ السنة ١٩٢٢ عدداً كبيراً من علماء طبقات الارض ، وعلماء النبات ، وعلماء الحوادث الجوية ، والملاحين ، وعلماء آخرين كثيرين ، وزودتهم بالطائرات والبواخر المعدة لتحطيم الجليد ، فتوسعت بفضل استكشافاتهم معرفتنا للمنطقة القطبية وللقطب نفسه (بابانين) . واجتازت الـ « سيبرياكوف » منذ السنة ١٩٣٢ ، والـ « تشليوسكين » منذ السنـــة ١٩٣٣ ، الجاز الشمالي الشرقي في رحلة واحدة ، فعُرفت مواطن الموارد المنجمية وأنشئت تحت سطح الارض (بغية تجنب اضرار الجليد في فصل الشتاء) مصانع لتوليد الكهرباء انتجت مليون كيلوات في شبه جزيرة كولا حيث اتاح اكتشاف فلورفوسفات الكالسيوم في جبل « خيبني » تنمية صناعة هامة لانتاج الفوسفات . فقامت في هـــذا « الجو القمري » وفي هذه المنطقة الباردة مدينة صناعية تضم ٤٠،٠٠٠ نسمة ، هي كيروفسك ، التي انتجت الفوسفات والمعادن غير الحديدية . وعلى الشاطىء غدت مورمانسك مرفأ كبيراً ، وقد انشئت فيها ، بفضل خط لينينغراد - مورمانسك وقناة البلطيق — البحر الابيض ، منطقة صناعية عاشت من استثمار المناجم ، وصناعات خشبية وسلولوزية ومصانع لبناء السفن ، ومصانع لحفظ الاسمـــاك . وادى مجهود العلماء الروس العنيد في توسيع نطاق المزروعات الغذائية أكثر فأكثر نحو الشمال الى نتائج هامة جداً ، فبات الملفوف والجزر والبصل والبقول تنتج منذئذ ، في ما وراء الدائرة القطبية ، بكمية كافية لسدّ الحاجات المحلية . واينعت البقول في مدافىء منشأة تحت الارض تنار بكهرباء تنتجها مراوح هوائية مثبتة فوق سطح الارض (لذلك قيل : « عواصف الشمال تنبت البقول ») . والى الشرق باتت اركانجلسك التي ضمت ٢٨١،٠٠٠ نسمة في السنة ١٩٣٩ (مقابل ٣٥٠٠٠ في السنة ١٩١٣) مركزاً صناعياً كبيراً ايضاً . وفي آسيا الشمالية ، عند الـ « ياقوت » الرحّل ، وفي اقصى الشمال الشرقي ، عنـــد الـ « كمشدال » والـ « تشوكتش » اخذت في الترعرع حضارة شمالية جديدة بفضل تعاونيات ضمت مربي الايليات والبقريات وساعدت على استقرار السكان ، ومحطات اشتاء انشئت على الشاطىء بغية اعداد النقل ، خلال فصل الشتاء الطويل ، الذي لا يمكن تأمينه الا خـــلال اسابيع معدودة والذي يجري منـذ السنة ١٩٣٥ بدون محطـات اشتاء بين مورمانسك وفلاديفوستوك عن طريق المرافىء على مصاب الـ « اوب » و « ينيسايي » و « لينا » .

الفصل الثالث

قلب الأنظمة

في السنة ١٩١٨ ، كتب لينين ما يلي :

« الاشتراكية هي الغاء الطبقات . ولإلغاء الطبقات يقتضي أولاً قلب مالكي الأراضي والرأسماليين . لقد نفذنا هذا الجزء من المهمة ، ولكنه ليس سوى جزء وليس أصعب ما علينا تنفيذه . ولالغاء الطبقات يتوجب علينا ثانياً تحويل كافة العمال والفلاحين الى « عمال » ... »

كان « التوقف » ، الذي شكلته السياسة الاقتصادية الجديدة ، خطراً يهدد بالقضاء على النتائج الأولى التي حققتها ثورة تشرين الأول ، لأنه اتاح قيام طبقة المحتكرين البورجوازية المدنية وطبقة الكولاك الريفية ؛ ولكن هذه النتائج اصبحت نهائية بفضل سياسة التخطيط والتصنيع وتأميم الأرياف .

١ — النظام الاقتصادي الجديد

ليس هناك ما يشبه استثمار « القارة السوفياتية » ، من حيث اتساعه ، سوى استثمار القارة الاميركية ، ولكنه يختلف عنه ببعض المظاهر الاساسية . فهو اولاً عمل الدولة بدالة تصميم وضعته هي ، لا عمل افراد بدالة السعي وراء كسب مرتقب . واعطيت الأولوية لانتاج مواد التجهيز بحسب مفهوم معين للصالح العام ، ونظم الانتاج في مجموعه دونما اهتمام لدخل الافراد ولطاقتهم على الشراء . واخيراً اختلف النظام القانوني للملكية اختلافاً جذرياً : فبينما ارتكز الاقتصاد الرأسمالي الى الملكية والمبادهة الشخصيتين ، ارتكز الاقتصاد السوفياتي الى الملكية والمبادهة العامتين .

الملكية الاشتراكية والملكية الفردية

الغى الحكم السوفياتي الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وحول الى ملكية الدولة الارض والغابات والمناجم والمصانع والمصارف ؛ والى جانب هذا القطاع العام، سمح باستمرار قطاع خاص قوامه بعض استثمارات ، اما جماعية كالتعاونيات ، واما خاصة وفردية ، زراعية أو صناعية ، ترتكز

الى العمل الشخصي وتثنافى واستثمار عمل الغير ؛ وقوامه كذلك الملكية الخاصة التي يحققها المواطنون بدخول عملهم . لذلك كان لحق الملكية الخاصة عند مواطني الاتحاد السوفياتي دور « استهلاكي » في جوهره ، وهو يقوم باستخدام دخل العمل والتوفيرات الممكن تحقيقها للاستحصال على مواد الاستهلاك والرفاهية : المساكن ، الادوات المنزلية الخ. . فباستطاعة الفرد « استثمار معمل صغير شريطة الا يستخدم فيه اي عامل ، اي ان لا يحقق كسباً بفضل عمل شخص ثالث » ؛ هذه هي حال الحرف الصغرى ، كحرفة الحداد وحرفة الاسكاف ، أو بعض التجارات الصغرى .

والملكية الشخصية « لا تشمل الا المواد التي تستخدم لسد الحاجات الفردية او العائلية » ؛ فوظيفتها ، كما حدّدها دستور السنة ١٩٣٦ ، هي سدّ حاجات الفرد الشخصية وحاجات عائلته وتمكينه من بلوغ حياة ثقافية رغيدة . وحق ارث مواد الاستهلاك الشخصي والانتاج الفردي من ثم حقيقة راهنة ، فـ « المسكن والدخول والتوفير وثمرة العمل والاقتصاد البيتي الاضافي وأدوات المنزل والأدوات الشخصية والترفيهيه » تدخل في هذه الملكية الشخصية .

تأميم الأرياف

كان الهدف منه إعادة تنظيم الزراعة وفاقاً لأسس جديدة ، اعني بها ضم ملايين الاستثمارات الخاصة التي كانت تتناول مئات ملايين قطع الارض الصغرى على العموم ، والتي كانت تؤلف عائقاً في طريق تنمية زراعة منظمة . ففي شهر كانون الاول من السنة ١٩٢٧ قرر المؤتمر الخامس عشر للحزب « الانتقال الى الهجوم الاشتراكي » ضد الاقتصاد الفردي ، وتنمية القطاع الاشتراكي الذي لم يضم في السنة ١٩٢٨ سوى ٣٣٠٠٠ تعاونية تنتمي اليها ٣٧٠٠٠٠ عائلة (١٫٥ بالمائة من الاستثمارات القروية) و ٤٠٠٠ مزرعة رسمية مثالية تضم ٦٠٠٠٠٠ عامل وتوفر بمجموعها بين ٣ و ٤ بالمائة من الانتاج الزراعي . وعند البدء بتنفيذ الخطة الخمسية الاولى ، دُفع بتنظيم التعاونيات دفعاً سريعاً الى الامام منذ السنة ١٩٢٩ ، فاوفد ٢٥٠٠٠٠ عامل الى الأرياف بغية تشجيع تاسيسها وتسيير « محطات الآلات والجرارات » التي ستؤجر الفلاحين معداتها . ونجحت عملية التأميم لمصلحة المجموع ، التي منحت الفلاحين المنضمين الى التعاونيات حق الاولوية في بيع الدولة حاجاتها ، نجاحاً كبيراً مطرداً ، ولا سيما في المناطق التي يزيد انتاجها عن طلب السكان : اوكرانيا ، منطقة الفولغا الاسفل ، شمالي القفقاس ، القرم ، المناطق المجاورة لموسكو ؛ وفي الوقت نفسه تعزز الهجوم على الكولاك : ضريبة تصاعدية ، مصادرة ممتلكاتهم ، نفي . وخلال شتاء ١٩٢٩ — ١٩٣٠ تقدمت عملية التأميم تقدماً ناشطاً ، وإنما برزت بوادر استياء كثيرة . فطمأن ستالين الفلاحين في مقاله « النجاح ينفخ في رأسنا » ؛ فسمح للفلاحين بالانسحاب من التعاونيات التي انخفض عددها — المتفاوت تفاوتاً كبيراً بحسب المناطق — الى نصفه بصورة عامة ؛ ثم تجدد التقدم في السنة ١٩٣١ ولم يتوقف بعد ذلك : فارتفع عدد المشاريع المؤممة من

٢٣,٦ بالمائة في السنة ١٩٣٠ الى ٥٢,٧ بالمائة في السنة ١٩٣١ ، و ٧١,٤ بالمائة في السنة ١٩٣٤ ، و ٩٠,٥ بالمائة في السنة ١٩٣٦ ، و ٩٦,٩ بالمائة في السنة ١٩٤٠ .

في غضون هذه السنوات الاولى حدد التشريع شروط الاستثمار الجماعي : عمل بالقبالة بغية ارغام الكسالى على الانتاج، منع تأميم الابقار والحيوانات الداجنـــة الاخرى ، حق البيع في الاسواق حين تقدم التعاونية ما هو مطلوب منها . وفي السنة ١٩٣٥ صدر « نظـــام الشركة التعاونية الزراعية » : للتعاونية حق التمتع الدائم بالأرض التي تملكهـا الدولة ، ولكل عضو حق تملك بيته وبستانه او مبقلته (بين ¼ هكتار وهكتار) وامتلاك بقرة او عدة عنزات . فلم يشمل التأميم من ثم المساكن والمواشي الصغيرة والحديقة القريبة من المساكن . وقد اختلفت التعاونيات اختلافاً كبـــيراً ، فاستثمرت بين ٥٠٠ و ٣٢٠٠ هكتار وضمت بـــين ٦٠ و ٢٠٠ عائلة .

اما المزارع المثالية الـ ٤٠٠٠ فمشاريع زراعية تملكها الدولة وتخضع لنظام شبيـه بنظام الصناعات . وهي تؤلف استثمارات كبرى اذ ان مزرعة مثالية لزراعة الحبوب قـــد تبلغ بين ٥٠٠٠ و ٨٠٠٠ هكتار ، ومزرعة مثالية لتربية المواشي قـــد تبلغ ٢٠٠٠٠ هكتار وتمتلك عدّة آلاف من المواشي . كما انهـا تقوم بأعمال تخصيصية (قطن ، حنطة ، اغنـــام ، حليب وزبدة ، الخ.) وتعتمد الآلات المتوفرة لديهـــا ، وتؤلف الحادات بحسب تخصصها . وقد ارتفعت مساحتهـــا من ١ ٧٠٠ ٠٠٠ هكتار في السنة ١٩٢٨ الى ١٣ ٢٠٠ ٠٠٠ في السنـــة ١٩٣٠ والى ١٦ مليوناً في السنـــة ١٩٣٦ ، ثم تدنت الى ١٢ ١٠٠ ٠٠٠ في السنـــة ١٩٣٨ (٨٠٩ بالمـائة من المساحات المزروعة مقابل ١٢٠١ بالمائـة) ، حين وزعت الحكومة اراضي بعضها على التعاونيات المجاورة ، فهبط عددها من ثم من ٤٣٣٧ في السنة ١٩٣٢ الى ٣٩٦١ في السنة ١٩٣٨ ؛ يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان وضع العمال اخذ يشبه وضع التعاونيين حـين منحوا حق تملك قطعة ارض صغيرة .

تنظيم التعاونيات

تحتل التعاونية من ثم المركز الاول بـين اشكال الاستثمار الزراعي . فهي تمتلك ، جماعياً ، الارض وابنية الاستثمار والآلات والماشية وكل ما ليس ملكاً شخصياً لعضو التعاونية كما حدده النظام . وفي داخل التعاونية يعدّ قواعـــد العمل مجلس الادارة المنتخب وتتبناها الجمعية العامة . ويقوم الاعضاء بعمل مشترك ، ولكن الريع يوزع عليهم بنسبة العمل الذي يأتيه كل منهم ؛ اما وحدة القيـــاس فهي « يوم العمل » الذي يوافق عدداً معيناً من الآرات المحروثة او كمية معينة من الحب المدروس . وقـد قسمت كافة الاعمال الزراعية الى سبع فئات عودلت بأيام عمل توجب على كل عضو تأمين حدّ ادنى منها يتراوح بين ٦٠ و ١٠٠ وحدة . وتجمع الآلات الزراعيـــة ، التي هي ملك الدولة ، في محطات الآلات والجرارات بمعدل واحـدة لثلاثين تعاونية تقريباً ، وتوضع بتصرف هـــذه التعاونيات مقابل فريضة عينية او نقدية .

يسلم الريع جزئياً للدولة التي تحدد قيمته وفاقاً لسعر تقرره ، ويخصص جزء من هذا الثمن لمكافأة خدمات محطات الآلات والجرارات ، وجزء آخر لشراء البذور اللازمة للتعاونية وجمع حبوب احتياطية ، ويوزع الباقي على الاعضاء بحسب ايام عملهم . فيستفيد عضو التعاونية من ثم من مكافأة عمله في الاستثمار الجماعي ومن انتاج الأرض والماشية الذي يعود له شخصياً والذي يستطيع بيعه بسعر حر اما في السوق واما في التعاونية ، ومن اجر العمل الذي قد يقوم به اما في القرية واما في المدينة .

التنظيم الصناعي

الدولة تملك وسائل الانتاج والمقايضة : المناجم والمصانع ووسائل النقل والمصارف ، كما تملك الارض ، وتسند ادارتها الى جماعات خاصة تنفذ موجبات الخطة . فالاقتصاد في هذا الحقل اشتراكي كله ، ان من حيث التملك وان من حيث اشكال الاستثمار .

اعداد الخطة

تتناول الخطط كافة نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الاتحاد . وقد بنيت كل خطة على دراسة دقيقة لكافة الموارد المستثمرة او الدفينة التي وضع بها جدول منظم ، ولحالة القوى الاقتصادية وامكانات نموها ، وهي تعد بالاتفاق مع الاقتصاديين والاختصاصيين في مختلف الحقول ، فهي « خطة ابعادية » ، اي انها ترسم برنامجا لفترة طويلة الاجل (٥ سنوات)– الطريقة الوحيدة لتحقيق تغييرات هامة في الانظمة– ، ولكنها تنطوي في الوقت نفسه على خطط قصيرة الاجل (سنوية بصورة عامة) تعين الاهداف العملية الواجب بلوغها في آخر كل من السنوات الخمس، او حتى في آخر كل فصل ، آخذة بعين الاعتبار الامكانات الجديدة التي ترتسم خلال الاعمال ، بحيث يصبح التكيف الدائم امراً ممكناً .

فالحكومة ترسم التوجيهات والـ « غوسبلان » ، وهو مجرد جهاز فني استشاري ، يحدد مهام كل فرع من فروع الصناعة ، ثم تدرس اجهزة التخطيط الدنيا هذه المشاريع ، فترفع ملاحظاتها او مقترحاتها ، « التي ليست مجرد كتب بالموافقة » ، الى الـ « غوسبلان » الذي ينقح المشروع الشامل النهائي . حينذاك يؤمن صغار الموظفين تنفيذه تحت اشراف ورقابة الادارات المتخصصة المعروفة باسم « غلافكي » .

تعين الخطة كميات ونوعيات المنتوجات الاستهلاكية والتجهيزية المفروضة على كل فرع من فروع الانتاج وعلى كل دائرة اقليمية ، وطريقة توزيعها ، والنسبة الممكن تصديرها ، وتنطوي كذلك على نصوص خاصة بالتعليم بسبب الحاجة الماسة الى التقنيين والعمال الاكفاء ، وتحاول مراعاة النسبة بين تخصصهم وكفاءتهم وبين حاجات العمل .

ولما تعذر الاعتماد على قروض خارجية هامة لتوفير الاموال اللازمة عول في تمويل الخطة على فائض العمل القومي بشكل ضريبة على قيمة الاعمال ، وضريبة على الارباح، وضريبة استهلاك ، ويرد ذلك الى ان القروض الخارجية واحتياطي الذهب والبلاتين (بعض مئات ملايين الروبيات) وزيادة دخل الصادرات بالنسبة الى الواردات (بضع عشرات الملايين) لم

تمثل سوى مبلغ زهيد جداً . فضحي من ثم برفـــاهية السكان على مذبح رفاهية اجيال المستقبل .

سير الخطة

لكل مشروع مخططه الفني ومخططه الخاص المرتكز الى هذا المبدأ : « كل زيادة انتاج يجب ان يقابلهاتدني مستوى اسعار البيع بالتفصيل وزيادةحجم الأجور» . وتتمتع المشاريع باستقلال حقيقي وبمحاسبة مستقلة ، وتتصرف باموالها المتداولة الخـــاصة ، ولها محاسبتها الخاصة وحسابها الجاري في المصارف ، وتسدد ديونها ، فيما بينها ، بعمليات تقييم ومقايضة . ويجب ان يؤمن سيرها ارباحها دون ان تحتاج يوماً الى مساعدة مالية . ولكل منها مدير تعينه السلطة العليا او تعزله عند الاقتضاء ، ويتحمل مسؤولية نشاط مصنعه اداريـــاً وجزائياً. وينص قانون الجزاء على عقوبات صارمة يتعرض لها المهندسون والمديرون والمراقبون الفنيون المسؤولون « عن عمل تخريبي ضد الثورة ، او عدم تنفيذ واجبـــات معينة عن قصد وتصميم ، او اهمال مقصود في تنفيذها » ، وكذلك عن مخـالفات « النظام الاداري المرتكبة دون قصد مناهضة الثورة ، التي تزعزع مرتكز الدولة الاداري وطاقتها الاقتصادية » . فيتضح من ثم ان العقوبة تتناول سوء الادارة والاهمال وسوء النية والانتاج الدوني .

باستطاعة المصانع ومجموعات المصانع والاتحادات والوحدات الصناعية الحصول على اعتمادات قصيرة الاجل من مصرف الدولة ، وعلى اعتمادات طويلة الاجل ، لتموين الاعمال الكبرى ، من المصارف الخاصة : مصرف الصناعة ، ومصرف الزراعة ، ومصرف التجارة ؛ وهنالك ايضاً مصرف الاشغال العامة .ويكرس كل مشروع محصول بيع منتوجات مصانعه لدفع ثمن الخامات المشتراة والطاقة التي احتاج إليها عند الاقتضاء ، ولصيانة معداته ، ولدفع الضرائب والاجور وأقساط التأمينات الاجتماعية (وهي على عاتق المشاريع لا على عاتق الاجراء) وفاقاً لنسبة مئوية تختلف باختلاف الصناعات ويبلغ معدلها بين ٦ و ٩ ٪من الاجور .

وباستطاعة المشاريع من ثم — ومن واجبها — اذا ما احسنت ادارتها تخفيض أسعار الكلفة المقدرة في تخطيط الـ « غوسبلان » وتحقيق بعض الادخارات . وقد جاءت النتائج مختلفـــة باختلاف الصناعات ، ولكن اسعار الكلفة كانت في السنة ١٩٣٧ ادنى على العموم منها في السنة ١٩٣٢ بنسبة ٣٢,٥ ٪ في الصناعة الثقيلة ، و ٤٠ بالمائة في صنع الآلات ، و ٣٣ بالمائة في صناعة الفولاذ و ٣٢,٤ ٪ في استخراج الفحم الحجري .

موازنة الدولة هي ما يؤمن رؤوس الاموال والمساعدات بواسطة المصارف الخاصة ؛ فتمويل الاقتصاد من ثم يرتكز بمعظمه لا الى الادّخار الخاص الفردي بل الى الادخار الجماعي والالزامي اذ ان اكثر من نصف واردات الموازنة يصرف في هذا السبيل ؛ وتؤمن هذه الواردات الضريبة على مجموع المعاملات(٥٠بالمائة في السنة ١٩٣١و ٧١,٤ بالمائةفي السنة ١٩٣٨) والضريبة علىارباح مشاريع الدولة (بين ٨,٦ بالمائة من الواردات) ، والقروض من صناديق التوفير والقروض العامة (٦ بالمائة في السنة ١٩٣٧) .

اما الصناعة اليدوية فـــلا تلعب بعد اليوم سوى دور ثانوي ، اقله الصناعة اليدوية الفردية ، ولكن هنـــاك صناعة يدوية تعاونية يؤلف فيها الخياطون والحذاؤون والحلاقون تعاونيات انتاجية ؛ اجل لا يخضع عملها لمخطط انتاجي ولكن نشاطها مراقب (لجهة نسبة الخامات الموزعة بنوع خاص) كي لا تتحول الى مشاريع رأسمالية تستخدم الاجراء .

التنظيم التجاري

التنظيم التجاري مخطط ايضاً ويتميز بالغاء الرأسمال التجاري الغاء كلياً . والتجارة الداخلية امـــا في ايدي الدولة واما في ايدي التعاونيات . الا ان تجارة الدولة لم تمثل في السنة ١٩٢٩ سوى ١٣ بالمائة من عدد المخازن و ٢٠ بالمائة من مجموع المعاملات التجارية ، فارتفعت هذه النسبة في السنة ١٩٣٧ الى ٧٤ بالمائة بفضل انضمام المئات من تعاونيات المستهلكين المدنيين . وابقي قسم هام من التجارة الريفيـــة (١٥ بالمائة من تجارة التفصيل) للسوق التعاونية ،— « سوق بدون تجار » —التي ارتدت طابع الفردية والمنافسة ، من حيث ان الباعة هم المنتجون انفسهم ، يصرفون في السوق المحلية المواد الغـذائية التي يحق لهم التصرف بها بحرية وبسعر يحدد بحرية ، ولكنه يكاد لا يختلف عن سعر مخازن الدولة باستثناء ايام الحاجة والفاقة .

كائناً من كان مالك المشروع التجاري ، الدولة او المشروع المؤمم او التعاونية ، فان البيع والشراء في اطار التخطيط كانا حرّين وكان ممكناً ان يوفرا الارباح او يجرا الخسائر. فهنالك من ثم سوق تنافسية . والكل يدفعون ضرائب على الارباح ومجموع المعاملات التجارية ويوظفون فوائد مالهم .

« لا نستطيـع تكوين فكرة عن النظام التجارى السوفياتي الا بتأمل النظام التجاري في مدينة فرنسية صغرى وفرعيها « كوب » و « بولين » (« ج. رومو ف ») .

في تجارة الدولة تحدد الاسعار في الخطة وتكون الزامية للمشاريـع البائعة والمشترية . وهي تتكون من حاصل عناصر ثلاثة : سعر الكلفة ، والضريبة على مجموع المعاملات ، والمبالغ التي تدخل في الاموال المعدّة للتجميع (الفوائد المدفوعة للمصارف ، الكراء ، الخ.) ، ويضاف اليها زيادة تجارية . وكان من شأن عدم الحاجة الى نفقات الاعلان وضآلة اعباء الفوائد وانعدام المزاحمة في منطقة بيـع واحدة وضآلة عـدد المستخدمين العاملين في التجارة ، ان نفقـــات التوزيع لم ترفع الاسعار الا بنسبـة ٧ الى ٨ بالمائة تقريباً . ولما كان سعر الجملة وحده خاضعاً للتخطيط ، فكلما كانت نفقات الادارة قليلة تدنت أسعار بيع التفصيل وزادت الارباح. ولمـــا كان لمستخدمي المخزن نصيبهم من الارباح ، كان من مصلحتهم حصر كلفة التوزيع ؛ اضف الى ذلك من جهة ثانية ان الارباح التي حققتها الاجهزة التجارية كانت زهيدة جداً: ٢٢ر. بالمائة في السنة ١٩٣٤ ؛ و٦٤ ر. بالمائة في السنة ١٩٣٦ . فالتجارة السوفياتية هي تجارة لا تعمل « من اجل الربح بل من اجل المستهلكين» (بتلهايم). وفي السنة ١٩٣٤ اسند الى مفوضتين — تجارة داخلية وصناعة المواد الغذائية — مهمة الاشراف على التوزيع وتحديد الاسعار ورقابة مؤسسات

البيع بالتفصيل وادارة مخازن الدولة، مخازن البيع بالجملة ومخازن البيع بالتفصيل. وتأمين تموين منطقة معينة يجهـــاز خاص (تورغ) ، متخصص او غير متخصص ، يتمتع في اغلب الاحيان بالاستقلال المالي ويوزع المنتوجـات بواسطة فروعه في المنطقة . وهناك بالاضافة الى ذلك مخازن كبرى ومخـازن عامة للتغذية . والى جانب شبكة اجهزة الدولة هذه ، تمثّل تجارة البيع بالتفصيل في الارياف بمخازن تعاونية (سلبو) في القرية ومجموعات تضم بعض المخازن التعاونية الصغرى (ريزوبوز).

التقنين

تميزت سنوات التخطيط الاولى بنقص كافة المنتوجات تقريباً ؛ فاضطرت الحكومة الى الالتجـــاء الى التقنين كي تتمكن من تأمين السلع الضرورية لكل شخص . وقـــد اعتمد التقنين في موسكو في السنة ١٩٢٨ ، ثم شمل المدن الكبرى ، واخيراً شمل كافة انحاء الاتحاد السوفياتي ، وطبّق على كافة السلع المعتادة ، شرط التسجيل الالزامي في مخزن معين عرف باسم « المخزن المقفل » . وغالباً مـا قامت ، الى جانب هذه السوق القانونية ، سوق غير قانونية، غض النظر عنها حيناً وتعرضت لمكافحة قاسية حيناً آخر، ارتكزت في معظم الاحيان الى المقايضة واستعمال الحلي والذهب والنقد الاجنبي . وبغية مكافحتها مكافحة فعّالة ، تأسست في السنة ١٩٣٢ سوق قانونية ثانية شملت مخازن عرفت بـ « المخازن التجارية » سمح بالشراء منها دون تسجيل ودون تقديم بطاقات ، ولكن بأسعار اعلى منها في المخازن المغلقة بصورة ملموسة ؛ وحين زال التقنين في السنة ١٩٣٥ ، لم يبق مـا يميز بين السوقين . فكان هنالك في آن واحد ثلاث حلقات تجارية تختلف الاسعار فيها بعض الاختلاف : تعاونيات المشاريع او القرى (افضلها) واسعارها ادنى من اسعار التجارة العادية بنسبـــة ١٠ الى ١٥ بالمائة ، سوق التعاونيات الانتاجية المقتصرة على المواد الغذائية ، سوقا مخـــازن الدولة ذات الاسعار الحرة ومخازن الدولة ذات الاسعار القانونية المحددة . ولكن المواد الاستهلاكية لم تنتج يوماً بكمية كافية لسد كافة الحاجات نظراً لتزايد عدد السكان تزايداً اسرع من تزايد انتاج المواد الاستهلاكية ، مما ادى ، حتى بعد زوال التقنين في السنة ١٩٣٥ ، الى استمرار التباين بين العرض والطلب ، والى مساس الحاجـة مساساً دائما الى الاحـــذية ، والمنسوجات ، ولا سيما الألبسة . ولذلك عمدت الدولة الى الحد من طلب المستهلكين اما برفع اسعار البيـــع بالتفصيل وتخفيضها واما باللجوء الى السوق المزدوجة .

التجارة الخارجية –

اما التجارة الخارجية فقد أممت دون ان يترك فيها اي مكان للمبادهة الخاصة . فوزارة التجارة الخارجية هي ما تعـــد مخططات التصدير والاستيراد وتراقب نشاط « الوكالات التجارية المركزية » المتخصصة في تصدير بعض المنتوجات او الادوات ، التي يجب ان تجري بواسطتها كافة العمليات التجارية . ولا توجد وكالات تجارية خاصة بكل بلد الا للتجارة – بشروط معينة – مع الشرقين الادنى والاقصى . فان هـــذه الوكالات ، التي تتمتع بالاستقلال المالي ، ممثلة باستمرار في الخارج بعملاء ، عرفوا باسم « الممثلين

التجاريين » ، يسهل معاملاتهم المالية مصرف الدولة او مصرف التجارة الخارجية او المصارف السوفياتية المؤسسة في الخارج (مصرف التجارة الروسية في لندن ، المصرف التجاري لاوروبا الشمالية في باريس ، الخ.) او المصارف الاجنبية التي تفتح الاعتمادات للمستوردين السوفيات ، واخيراً القروض الطويلة الاجـــل التي تعطيها بعض الحكومات الاجنبية للشراء من بلدانهـــا (تشيكوسلوفاكيا في السنة ١٩٣٥ ، بريطانيا العظمى في السنة ١٩٣٦) .

صعوبات التطبيق

لم يكتمل مثل هذا التنظيم دفعة واحدة وبدون صعوبات جـــدية احياناً ، ولم يتح الاختبار اصلاح اخطاء السنوات الاولى الا تدريجياً. فاشتراكية الصناعة قد تحققت عملياً خلال فترة الخطة الخمسية الاولى ، اذ هبطت حصة القطاع الخاص الى ٥٪ بالمائة في السنة ١٩٣٢ بعد ان كانت ٥٦٪ بالمائة في السنة ١٩٣٠ . امـا تأميم الزراعة فكان اقل سرعة الى حد بعيد وقد اصطدم بمقاومات عنيفة من قبـــل الفلاحين الذين تعرضوا لتدابير قسرية وتسببوا في تأخير الانتاج وانقاصه احياناً ، ولا سيما في حقل تربيـــة المواشي . وهي « محطـــات الآلات والجرارات » ، الموقـــع الستراتيجي الرئيسي للدولة في الارياف ، ما سهلت تحقيق هذا التأميم بفضل رقابتها على الزراعة وعملها التنسيقي.

اصطدم تنفيذ الخطة الصناعية بصعوبات من نوع آخر اكثر تعقيداً الى حد بعيد ، فهي قد استلزمت تنسيقاً وثيقاً بين الخطط الجزئية المترابطة : خطة التمويل ، والتجهيز ، واليد العاملة ، والطاقة ، ووسائل النقل ، الخ. ، وكان ضرورياً ، كل سنة ، ان تصحح الخطة السنوية الخطة الابعادية وتكيفها وفاقاً للمتطلبات الجديدة والنتائج المحققة . والحال كان الكثير الكثير من اقسام الخطة الاولى قد رسم « تقديرياً » دون معرفة كافيـــة بالشروط العامة لتنفيذها ، وانطوى تخطيط اسعـــار البيع بالجملة على عيوب كثيرة احياناً لانه لم يترك اي مجال لارباح المشاريع ، فحدث تشويش جزئي بين فروع الاقتصاد المختلفة مما ادى الى الفشل احياناً .

اضف الى ذلك من جهة ثانية ان تطبيق الخطة الاولى قد جرى بسرعة فالقـــة ادّت الى نهكة المستخدمين وخلق المعدات ، فبرزت عيوب في المصنوعـــات نجمت عن استثمار سريـــع وتقديرات خاطئة للموارد ، وحاجـــة الى المستخدمين الاختصاصيين او المعدات الضرورية ، وسوء توزيع في الاموال (بين مصانع غزل القطن ومصانع حياكته مثلاً) ، وعجز في بعض مراحل التنفيذ (ولا سيما في وسائل النقل) ، وسوء تقدير للحاجات . الا ان الخطـــة الخمسية الثانية توفقت الى ازالة هذه الصعوبات جزئياً . وحينذاك تعززت اللامركزية في هـــذه البلاد التي قامت احدى نقاط الضعف فيها في نقص وسائل النقـــل ، وفضّلت مصانع اكثر تواضعـــاً ودخلاً على المصانع « الجبـــارة » الاولى . وكانت هناك صعوبة اخرى غير مرتقبة : فخـــلال الخطة الخمسية الاولى ، بلغ التجاوز في خطة اليـــد العاملة نسبة ٥٠ بالمائة ، ممـــا ادى الى تجاوز كبـــير في خطة الاجور تسبب في مزيد من التشويش بين ازدياد حجم الدخول الاسميـــة وزيادة حجم المراد الاستهلاكية المتوفرة في السوق التجارية .

بيد ان اجهزة التخطيط تكاملت تدريجياً يوماً بعد يوم ، ففي اوائل الخطة الخمسية الثالثة تيسّر تكييف التنظيم وفاقاً لقاعدة تتطور تطوراً دائماً ، ولانت اساليب ادارة الاقتصاد كما يثبت ذلك توسع المحاسبات المستقلة والتموّل الذاتي وانخفاض مساعدات الدولة . فان المشروع الذي اعتبر في الاصل « كمجموعة مهام حسبة واجبة التحقيق » قد اخذ يتحول شيئاً فشيئاً الى مجموعة تدابير اقتصادية تضايق متطلبات الشخص اكثر فأكثر .

ولم يرسم تخطيط استخدام اليد العاملة بطريقة استبدادية بعد اليوم ، فقد كان حساب الاجور التفاضلي كافياً لاجتذاب اليد العاملة نحو فروع الصناعة الخاسرة ، كما اتاح تقدم المدارس والدروس التقنية التغلب على الصعوبات التي صودفت في البدء بسبب يد عاملة جاهلة آتية من الارياف وعاجزة عن تطبيق التقنيات الجديدة .

الاتحاد السوفياتي في الازمة الاقتصادية العالمية

بينما كانت الدول الاخرى غارقة في الازمة الاقتصادية الخطيرة التي ابتدأت في السنة ١٩٢٩ ، خلّص التخطيط واشتراكية الاقتصاد الاتحاد السوفياتي من نتائج الازمات الكلاسيكية : البطالة ، هبوط الاسعار ، تضخم الانتاج . فان الاقتصاد الروسي قد عمد — خلال اسوأ سنوات الازمة — الى توظيف رؤوس اموال كبيرة جداً ، واستخدم مزيداً من العمال وزاد انتاجه زيادة كبرى حين كان هذا الانتاج آخذاً في الهبوط في كافة البلدان الاخرى . وفي العالم اجمع لم تجد منتوجات الزراعة والصناعة من يشتريها ، لا لأن الحاجات كلها كانت مشبعة ، بل بسبب عدم توفر طاقة الشراء الكافية للاستحصال عليها ، فالبطالة كانت نتيجة استخدام التقدم التقني والتنظيم اللذين خفضا عدد الاجراء ، فحدّا من عدد المستهلكين ، وأدى هذا الحد بدوره الى تفاقم البطالة . اما الاتحاد السوفياتي ، الذي توفرت له موارد عظيمة في ارضه وباطن ارضه ، فقد تمكن في آن واحد من تحسين تقنياته وانتاجيته واستخدام كافة عماله ورفع مستوى الاستهلاك تدريجياً .

في الحقل الصناعي احرز الانتاج تقدماً عظيماً ، ففي السنة ١٩٣٢ ارتقى الاتحاد السوفياتي الى المرتبة الثانية بين البلدان الصناعية ، ويبدو ان هذا الارتقاء كان سريع الزوال ، لان المانيا تفوقت عليها بسرعة مرة اخرى بفعل نشاط صناعات التسلح ، إلا ان روسيا توفقت في السنة ١٩٣٩ الى احتلال مرتبة القوة الكبرى الثالثة بصورة نهائية ، قبل بريطانيا العظمى وفرنسا ؛ وقد بلغ انتاجها آنذاك ٤/ انتاج المانيا .

هل يعني ذلك ان الازمة العالمية لم تترك انعكاساً على تطور الخطط ؟ ان الأزمة قد شوشت تشويشاً خطيرا النتائج المقدّرة للخطة الخمسية الاولى باهباطها الصادرات الى ما دون المعدل المرتقب او المرتجى ؛ فبات لزاماً ، من اجل استيراد معدات التجهيز الضرورية ، اللجوء الى احتياطي الذهب والنقد الأجنبي ، وعلى الرغم من ذلك بقيت المعدات المستوردة دون تقديرات الخطة . لذلك فان الحصة المقدرة للتجارة الخارجية في الخطة الخمسية الثانية قد خفضت تخفيضاً

هاماً لا بالنسبة للسنوات السابقة فحسب بل بالنسبة للسنة ١٩١٣ التي لم يُبلغ سوى ٢٪ مستواها. فاضطر الاقتصاد السوفياتي من ثم الى الانعزال اكثر فاكثر والاتجاه نحو مزيد من الاستقلال عن التجارة الخارجية ؛ ففي السنة ١٩٣٩ بلغ من هبوط هذه الاخيرة انها لم تمثل سوى ١٫٠٣ بالمائة من التجارة العالمية بينما بلغ الانتاج الصناعي ١٢ بالمائة (في السنة ١٩١٣ : ٤ بالمائة من الانتاج الصناعي ، و ٣ الى ٤ بالمائة من التجارة العالمية) .

عبء التسلح

في حقول اخرى ، زادت الازمة العالمية من حدة التوتر بين الدول فتركت اثراً عظيماً في تطور الاتحاد السوفياتي . فمنذ ان اصبحت النازية سيدة المانيا ، اتضح الخطر الذي خشيه الاتحاد السوفياتي ابداً . وكانت النتيجة الطبيعية لتعزيز الاقتصاد الحربي الالماني ارغام الاتحاد على بذل مجهود عسكري عظيم . وعلى نقيض ردود الفعل الضعيفة والبطيئة في الدول الغربية امام الخطر الالماني ، عمد الاتحاد السوفياتي دون تأخر الى زيادة نفقاته العسكرية ؛ ومنذ السنة ١٩٣٥ بلغت هذه النفقات ثلثيها في المانيا الى ان بلغت خمسة اسداسها في السنة ١٩٤٠ ، اي ان المجهود السوفياتي كان مساوياً للمجهود الالماني ، اذا ما اخذنا بعين الاعتبار طاقة الاتحاد الصناعية .

لا شك في ان الأموال الطائلة التي استلزم توظيفها انتاج الاسلحة هذا ووجوب تخزين كميات كبرى من المنتوجات الغذائية والمواد الخام ، لمواجهة حرب محتملة، وتعزيز الجيش الاحمر بانتزاع ملايين الشبان من الصناعة والزراعة ، قد زادت صعوبات تنفيذ الخطط . وعلى نقيض هتلر الذي جمع جنود جيشه وعمال مصانعه الحربية من بين ملايين البطالين ، اضطر الاتحاد السوفياتي الى جمعهم من بلاد لم يكن فيها بطّال واحد. وكانت النتيجة تأخراً في انتاج مواد الاستهلاك(عينت الخطة الخمسية الثالثة الهدف الواجب بلوغه في السنة ١٩٤٢ في حقل المنسوجات بمستوى ادنى من المستوى الذي قدرته الخطة الثانية في السنة ١٩٣٧) . وبلغ من نقص اليد العاملة ان التدابير قد اتخذت لاستقرارها وتأمين تمبئتها : منذ السنة ١٩٣١ عقدت اتفاقات مع المزارع المؤممة لتقديم عدد من العمال بأجر محدد لفترة تتراوح بين ستة اشهر واثني عشر شهراً؛ وفي السنة ١٩٣٨ بلغ عدد مثل هؤلاء العمال ١ ٥٠٠ ٠٠٠ ؛ وفي هذه السنة نفسها، وبغية الحد من ابطال العقد من طرف واحد ، وضعت « بطاقة » تدون فيها ظروف انتهاء الاستخدام الاول . ونظمت الاجازات المدفوعة وخدمات الضمان الاجتماعي ؛ وفي حزيران من السنة ١٩٤٠ ، تحولت الصناعة الى انتاج المعدات الحربية ، وحدد يوم العمل بثماني ساعات بدلا من سبع ساعات ، وحظرت مغادرة العمل بدون اجازة . ونُظم في شهر تشرين الاول — بقية اعداد مسؤولين يشرفون على الاعمال — « احتياطي عمل » يضم بين ٨٠٠ الف ومليون شاب تتراوح اعمارهم بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة، يلحقون بمدارس فنية حيث تتعهدهم الدولة وتعلمهم وتدربهم على نفقتها ؛ وكان عليهم بعد ذلك العمل طيلة اربع سنوات في احد المصانع او احد المشاريع ، فيعفون بالمقابلة من كل واجب عسكري. يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان المفوضيات الصناعية

منحت صلاحيات مطلقة لنقل العمال والفنيين الى حيث تمس الحاجة اليهم .

الدخل القومي

اتاحت انطلاقة الانتاج الصناعي وزيادة الدخل القومي مواجهة هـذه النفقات العسكرية الباهظة. وقد قدر « كولين كلارك » ارتفاع الدخل القومي للشخص العامل الواحد من ١١٧ في السنة ١٩٢١ الى ٢٩٠ في السنة ١٩٢٨ ، و ٣٧٩ في السنة ١٩٣٧ ، وهو ارتفاع اسرع منه الى حد بعيـد فى الدول الاخرى ، وان بقيت النسبة في هذه الدول اكـثر ارتفاعاً (للسنة ١٩٢٨ والسنة ١٩٣٦ او ١٩٣٧ ، ١٠٩٠ و ١٢٧٥ في بريطانيا العظمى ، ٢٩٣ و ٣٣٧ في اليابان ، ٦٧٥ و ٧٤١ في المانيا) ، في حـين هبطت في الولايات المتحدة من ١٥٥٧ الى ١٤٨٥ وفي فرنسا من ٧٢٩ الى ٦٤١ (في السنة ١٩٣٤). وعلى الرغم من هذه النجاحات الجبارة فان الاتحاد السوفياتي كان في السنة ١٩٤٠ ابعد من ان يدرك منافسيه .

اذا كان هدف الاشتراكية وتأمين اشباع حاجات المجتمع المادية والثقافية المتزايدة تزايداً دائماً بتنشيط واتقان الانتاج الاشتراكي ابداً على اساس تقنية رفيعة » (ستالين) ، جاز لنا القول ان هذا الهدف لم يتحقق تحققاً كاملاً قبل السنة ١٩٤٠ وان توزيع المنتجـات مع مراعاة اذواق المستهلكين لم يكن ممكناً في يوم من الايام ، وذلك بسبب الاخطار الخارجية وارتفاع عدد السكان والفرق المتعاظم بين الاجور المتزايدة ومواد الاستهلاك الـتي لم يرتفع حجمها بالنسبة نفسها .

٢ – النظام الاجتماعي الجديد

تحديد الاجور

ليس شكل البلاد المادي ما تحول فحسب ، بل المجتمع ايضاً . فان الاقتصاد السوفياتي ، الذي لم يكن بعد اقتصاداً شيوعياً ، لم يحاول تطبيق المبدأ القائل : « من كل شخص بحسب طاقاته الى كل شخص بحسب حاجاته » . والى ان يمكن تحقيق مجتمع يتقاضى كل شخص فيه اجره عينا ودون اي تحديد سوى حاجاته ، يجرى توزيـع مواد الاستهلاك بدالة القيمة الاجتماعية التي ينطوي عليها العمل المؤدى للجماعة . وقد سبق لينين ان لفت الانتباه الى ما يلي:

« الزعم باننا سنجعل كافة البشر متساوين فيما بينهم كلام اجوف وبلاهـة ادباء » ؛ ثم قال ستالين موضحاً : « المساواة في كافة حاجات الحياة الخاصة بلاهة بورجوازية رجعية خليقة بشيـخ النساك القديمة ، لا بمجتمع اشتراكي منظم تنظيماً ماركسياً ، لاننا لا نستطيـع ان نفرض على الناس ان تكون لهم حاجات واحدة واذواق واحدة وان يتمتعوا في حياتهم الشخصية معياراً معيشياً واحداً » .

فعدم المساواة في مكافأة العمل هو من ثم القاعدة ، وسلم الاجور غايته تشجيـع الانتاجية والمساعدة على ترقية العمال . وقد قال ستالين في السنة ١٩٣١ :

« لن تتحقق زيادة الانتاج الصناعي الا بوضع سلم للدخول يبرز الفوارق بين العمل الاختصاصي والعمل غير الاختصاصي ، وبين العمال المتمرنين والعمال المبتدئين » .

ولكن الاجر ، خلافاً لمفهومه في الاقتصاد الرأسمالي ، اي « ثمن طاقـــة العمل المبيعة في سوق العمل » ، هـــو « نتيجة توزيـع القسم القابل الاستهلاك من الدخل القومي بنسبة العمل الذي ينجزه كل شخص » . ويجري هذا التوزيـع بناء على « مخطط اجور » يوازن بين حجم الاجور الموزعة في كافة حقول الاقتصاد وبين حجم — وثمن مبيع — المواد الاستهلاكية : يحدد « مال الاجور » لكل صناعة ولفروع الاقتصاد المختلفة بدالة عدد العمال في كل منهـــا ، ومستواهم التقني ، وانتاجيتهم ، والصعوبات الخاصة التي قد تعارضها ، وينفذ العمل بعد ذلك بين المصانع بواسطة اتفاقات جماعية ، اما عامة (معقودة بين الوزارات او الادارات المركزية للصناعات المختلفة وبين النقابات المحلية) ، وامـــا محلّية (معقودة بين الاجهزة والنقابات المحلية) ، توزع في كل مشروع الاموال المخصصة لعماله . وتعقد هذه الاتفاقات لمدة سنة ، اي انها تدخل في صلب الخطط السنوية وتعدّل بدالة تقديرات السنة . امـــا موظفو ومستخدمو الادارات الذين يتقاضون اجورهم مباشرة من موازنـة الدولة ولا ينتسبون لمؤسسات تتمتع بالاستقلال المالي ، فهم الوحيدون الذين لا تشملهم العقود الجماعية .

عناصر الاجر

يتألف الاجر من ثم من عـــدّة عناصر : الاجر الاســـاسي ، المكافآت ، الاجر الجماعي . ويؤلف « الاجـــر الاسمي الاساسي » الحد الادنى اللازم للمعيشة ويؤمن لكل شخص سبل الحصول على المنتجات والخدمات الضرورية له . هذا هو اجر القبالة الذي اصبح هـو القاعدة منذ السنة ١٩٣١ (٨٠ ٪ في السنة ١٩٣٥ و ٩٠ ٪ في بعض الصناعات) . ويختلف هذا الجزء من الاجر لا بحسب كمية ونوعية العمـــل المنجز فحسب ، بل بحسب طبيعـــة الاعمال (المتفاوتة مشقة وظروفاً صحية) والكفاءة الشخصية وحاجات اليد العاملة ايضاً ، بحيث يُجتذب العمال نحو فروع الصناعة المفتقرة اليهم . ويتوزع العمال على ثماني فئات اولاها فئة العمال المبتدئين العاديين واخيرتها فئة العمال الاكفاء جداً ، ففي سنوات الخطة الاولى كانت النسبة بين هاتين الفئتين القصويين نسبة ١ الى ٢٫٨ ، وفي السنة ١٩٣١ اتسعت الفوارق بين الفئتين وارتفعت النسبة الى ٣٫٦ (في فرنسا : خمس فئات كانت النسبة بين درجتيها القصويين نسبة ١ الى ١٫٧٠) . وبصورة عامة كاد متوسط الاجر الاسمي يتضاعف خلال كل من الخطط الخمسية ، مرتفعا من ٩٢٩ روبية في السنة ١٩٢٩ الى ١٥٧٩ في السنة ١٩٣٣ ، و ٢٩٠٠ في السنة ١٩٣٧ ، و ٤٠٦٧ في السنة ١٩٤٠ . اما الاجر الحقيقي فلم يسلك الطريق الصاعدة نفسها ، وربما بدا ، كما يقول بتلهايم ، ان ارتفـــاع الاجر الحقيقي كان بنسبة ٢٥ ٪ بينما ارتفعت اسعار البيع بالتفصيل الى اربعة اضعافها خلال الفترة نفسها . كما يبدو ، بعد السنة ١٩٣٧ ، ان هذا التحسن اصبح اكثر ظهوراً وانه ربما بلغ ٣٠ ٪.

يضاف الى هذا الاجر الادنى مكافأة انتاج حين يتخطى العامـل المستقل او الفريق الذي

ينتسب اليه المعدل المحدد ، وهي مكافأة تصاعدية بحيث يتضاعف الاجر ، كما في المناجم مثلاً ، اذا بلغت نسبة تخطي المعدل ١٠ بالمائة ، ويرتفع الى ثلاثة اضعافه اذا بلغت ٢٠ بالمائة ، الخ . وهناك طريقة اخرى للمكافأة تأخذ بعين الاعتبار نوعية الانتاج ، بحيث ترتفع المكافأة اذا كانت هناك نسبة معينة من القطع المنتجة « غاية في الجودة » . ويضاف اليه كذلك مكافآت اقدمية تستهدف استقرار اليد العاملة ، قد تبلغ ١٥ بالمائة بعد مرور ٥ سنوات ، و ٣٠ بالمائة بعد مرور ١٥ سنة . وباستطاعة العمال اخيراً تقاضي حصة من ارباح المشروع الذي يعملون فيه . وكان هذا التوزيع سهلاً في التعاونية الزراعية او المصنع اليدوي ، ولكن عمال الصناعة الثقيلة استفادوا منه اما بشكل فوائد يقدمها لهم المشروع وتدخل في الاجر الجماعي ، واما بشكل مكافآت فردية تحدد قيمتها النقابات نفسها . ففي الحقيقة يشمل الاجر قسما لا يُقبض نقداً ، هو « الاجر الجماعي » المتساوي للجميع الذي يكفي الانتساب الى جماعة للاستفادة منه . الا انه ينطوي على الرغم من ذلك على بعض التفاوت لأن منالك ، الى جانب الاجر الجماعي الذي هو واحد في كافة انحاء الاتحاد ، « اجر المشروع الجماعي » الذي تغذيه ارباح المشروع . ويشمل هذا الاجر معاش التقاعد في سن الخمسين ، وبعد عشرين سنة عملاً للنساء ، وفي سن الخامسة والخمسين وبعد خمس وعشرين سنة عملا للرجال ، وهو مساو لنصف الاجر الاخير ، وقد يبلغ الـ ٦٠ بالمائة في بعض فروع الاقتصاد ، والعناية الطبية المجانية ، والمعالجة الوقائية ، وخدمات الامومة ، والتعويضات العائلية منذ السنة ١٩٣٦ للعائلات التي تضم سبعة اولاد على الاقل (ثلاثة اولاد منذ السنة ١٩٤٤ ، حين اقرت في الوقت نفسه منح ولادة) ، واجازات الامومة ، والاجازات المرضية ، والملاجىء النهارية للاطفال ، والمخيمات الصيفية ، والتعاونيات ومحلات بيع المأكولات والمشروبات ، والاجازات (بين ١٢ و ٤٨ يوم عمل بحسب طبيعة العمل ، مع اضافة تتراوح بين اسبوعين و ٣٦ يوماً للحرف الشاقة : عمال المناجم وعمال مصانع الفولاذ والتعدين ، وبين ٢٤ و ٤٨ يوماً للعمال المثقفين ، و ٤٨ يوماً للهيئة التعليمية) ، والنوادي والمكتبات والمسارح والملاعب الرياضية ، الخ . وان هذه الفوائد ، التي كانت في السنوات الاولى نظرية اكثر منها حقيقية ، تمثل في السنة ١٩٤٠ زهاء ٣٠ بالمائة من الاجر الاسمي ، وسوف تزداد اهمية يوماً بعد يوم ، حتى اذا ما مثلت ١٠٠ بالمائة من الاجر يكون المجتمع الشيوعي قد تحقق .

اما اجور مستخدمي التجارة والمكاتب وصغار الموظفين فقد حددت بالاستناد الى قواعد الاعمال المأجورة الاخرى نفسها ، ولكن معدلها ادنى من معدل اجور فئات العمال الاخرى ، ففي السنة ١٩٣٩ كانت تتراوح بين ١٠٠ روبية شهرياً لادنى البياعين اجرا شهرياً و٢٠٠ الى ٣٠٠ روبية لمدير المتجر او المكتب ، وكان يضاف اليها مكافآت نسبية لمدخول المبيعات .

وحددت اجور المهندسين والمستخدمين الفنيين استناداً الى القواعد نفسها التي حددت بموجبها

اجور العمال ، مع سلم تصاعدي ومكافآت انتـــاج قد تضاعف الاجر الاسمي . وعلى العموم تقاضى المستخدم الفني المبتدىء اجراً يفوق اجر العامل الاختصاصي . فاذا تقاضى العامل غير الماهر ١٠٠ ، فان العامل يتقاضى بين ١٠٠ و٣٧٠ ، ورئيس العمال بين ١٥٠ و٤٠٠ ، والمهندس المبتدىء بين ٢٠٠ و٦٠٠ والمهندس المدرب بين ٣٠٠ و١٠٠٠ ، ومـــدير المشروع الصغير بين خمسمائة و الف ، ومدير المشروع الكبير بين ٨٠٠ و ٢٠٠٠ ، اي بنسبة ٢٠ الى ١ . وحـددت اجور العلماء والمهندسين المشتغلين في المختبرات استناداً الى القواعد نفسها ايضاً وبالنسبة عينهـا مع امكانية تقاضي مكافآت تعادل الفوائد التي يمكن ان يجنوهـــا ، في البلدان الاخرى ، من براءات الاختراع، فتتراوح مرتباتهم من ثم بين المعدل ٤ والمعدل٢٥ الاستثنائي (بالنسبة للعامل غير الماهر) . وبصورة عامـــة ، يمتاز وضع الفنيين عن وضع اقرانهم من الاجـــانب ، (ج. روموف) . أما مرتبات كبار الموظفين والقادة ، وهي ادنى من مرتبـات ارفع الفنيين رتبة ، فتبلغ المعدل ٢٥ بالنسبة للمستخدم المبتدىء ، ويصل بعض كبـــار الموظفين الى المعدل ٣٠ . وتفرض على الاجور ضريبة تصاعدية متفاوتة تمثـــل ٢١ بالمائة من مرتب موظف اعزب يتقاضى ١٢ الف روبية .

اما دور « المهن الحرة» ، من اطباء ومحامين ، فموظفون ايضاً، وهم يتقاضون مرتباً يوافق ، فيما خص الطبيب ، خمس ساعات عملاً ويختلف باختلاف المكان وقيمة الشخص الذي قـــد يتقاضى عدة مرتبات (في عدة مشاريع معاً مثلاً) ويقبض بعض المكافآت .

الفئـات الاجتماعيـــة

منذ ثورة تشرين الاول تأكد الهدف الاخـير للحزب الشيوعي وهو خلق مجتمع بدون طبقات . فقد شرع في تصفية الطبقات المتسلطة منذ تشرين الاول بالقضاء على قوتها السياسية ، ثم قضى نزع الملكية قسراً على طبقـة الملاكين العقاريين والبورجوازية الكبرى ، واخيراً وجه الانتصار على مناهضي الثورة ، خلال الحرب الأهلية ، ضربة قاضية لكل ما تبقى منها . بيد ان تصفيتها لم تكن في السنة ١٩٢٨ لا كاملة ولا نهائية لان السياســـة الاقتصادية الجديدة اتاحت لبورجوازية جديدة من المحتكرين والكولاك ان تبرز الى الوجود بسرعة ، فلم يتبدل نظام المجتمع السوفياتي من ثم تبدلا نهائيـاً الا بفعل سياسة التخطيط . ففي السنة ١٩٢٨ كان العمال والمستخدمون يمثلون ١٧ بالمائة من المجتمع ، وفلاحو التعاونيات الزراعية ٣ بالمائة ، والمستثمرون الفرديون والصناعيون اليدويون غير المنتسبين الى التعاونيات ٧٣ بالمائة ، والعناصر البورجوازية (محتكرون وكولاك) ٥ بالمائة ، وباقي السكان (الجيش والطلاب وذوو المرتبات ، الخ .) ٢ بالمائة . وبعد انقضاء عشر سنوات اصبح ٩٠ بالمائة من السكان عمالاً ومستخدمين(٣٥ بالمائة)وفلاحين(٥٥ بالمائة)يشتغلون في قطاع الدولة الاشتراكي وفي التعاونيات الزراعية، ولم يمثل المستثمرون الفرديون والصناعيون اليدويون آنذاك سوى ٦ بالمائة ، وتلاشت الفئة البورجوازية ، وارتفعت نسبة العناصر المختلفـــة ، من

طلاب وجيش ، الخ. ، الى ٤ بالمائة. فالفئتان الاساسيتان من ثم هما العمال والفلاحون، ويجب ان يضاف اليهما فئة ثالثة هي فئة المثقفين . وقد خفت فوارق ما قبل الثورة بين هـذه الفئات الثلاث ، ولكن بعضها ما زال قائماً . وقد نجمت في الدرجة الأولى عن وجود شكلي ملكية : ملكية الدولة وملكية التعاونيات . فالعمال يشتغلون ، بصورة حصرية ، في اطـار مشاريع الدولة (مناجم ، معامل ، مصانع ، محطات الآلات والجرارات ، مزارع نموذجية كبرى ..)، ويكافأون على اتعابهم بشكل اجور ، بينما يقوم الفلاحون ببعض عملهم في اطـار ملكية التعاونيات الجماعية (التعاونيات الزراعية) وبالبعض الآخر في اطار الملكية التي يتمتعون بها شخصياً ، ويكافأون على اتعابهم باجور عينية او باجور نقدية توفرها لهم دخـول تعاونياتهم ، ويكملونها بالمواد الزراعية التي تنتجها اراضيهم الخـاصة . وكانت نتيجـة ذلك — بين العمال والفلاحين — اختلافات في العقلية وفي مستوى التقدم التقني والثقافي . فان العمال ، الذين اشتركوا منذ البدء في النضال الثوري ، وتنظموا نقابات منذ ابعد من ذلك ، قد استسهلوا النظام الاقتصادي الجديد ، بينما حافظ الفلاحون على مثالية وسيكولوجية صغار الملاكين . الا ان الفوارق خفت حدتها مع الاجيال الطالعة : فان العمل في التعاونية الزراعيـة قد خلق فيما بينها ذهنية مشتركة بين العمال والفلاحين ، واسهم اعتماد الآلات بصورة خاصة في تبديل مفهوم الفلاح تبديلا جذرياً ، اذ انه قد قرّب العمل الزراعي من العمل الصناعي بالتجهيزات التقنيـة المشابهة اكثر فاكثر للتجهيزات الصناعية ، وبادخال الاساليب والمعـارف العلمية . وفي السنة ١٩٤٠ كان اعتماد الآلات في العمل الزراعي قد احرز تقدماً عظيماً : فقد بلغت نسبة اعتماد الآلات في اعمال الحقول (حراثة ، اسلاف ...) ٦٦٫٦ بالمائة في زراعة الحبوب الربيعية ، و ٨٢٫١ بالمائة في الزراعات الخريفية، و ٥٢٫٤ بالمائة في البذر الربيعي و ٥٣٫٤ بالمائة في البذر الخريفي ، وفي هذا التاريخ ايضاً ، جُمع ٤٢٫٦ بالمائة من الحبوب و ٧٧٫٦ بالمائة من الشمندر بواسطة الآلات . وكما يلاحظ ذلك « هنري اردان » ،

« يفرض ارتفاع المعدل العام لانتاج الحنطة ، من ٧ قناطير في الهكتار قبيل الحرب العالميـة الاولى الى قرابة ١٢ قنطاراً قبيل الثانية ، ارتفاع مستوى الفلاح التقني ارتفاعاً يلفت الانتباه » .

وهكـذا اصبح عدد كبير من الشبان الفلاحين فنيين مهرة فتمثلوا اكثر فاكثر بالعمال بفعل ثقافتهم وظروف عملهم . وأخذت تتلاشى الفوارق بين سكان القرية وسكان المدينة .

وتألفت الفئة الثالثة في المجتمع السوفياتي من العلماء والفنيين والاساتذة والاطباء والبياطرة، الخ . وقد أسهم التعليم الابتدائي الالزامي ، والمدرسة الوسيطة المؤلفة من ٧ الى ١٠ صفوف ، والتعليم العالي ، اسهاماً كبيراً في زيادة أفرادها ، كما ان دروساً قد القيت في المشاريع الكبرى والتعاونيات الزراعية بغية اتاحة الفرصة للعمال والفلاحين ، في اية فترة من حياتهم ، لتوسيـع معارفهم العلمية وتمكين كفاءتهم المهنية . فارتفع عدد الطلاب في التعليم العالي من ١١٢ ٠٠٠ في السنة ١٩١٤ الى ١٧٦ ٠٠٠ في السنة ١٩٢٩ و ٦٥٧ ٠٠٠ في السنة ١٩٤١ . واذا ما استندنا الى

الارقام الواردة في احصاء السنة ١٩٣٧ ، كان في الاتحاد آنذاك ١ ٧٥٠ ٠٠٠ رئيس للمشاريع والمؤسسات الادارية والمعاهد الثقافية، الخ. بينهم ٣٥٠٠٠ مدير لمشاريع صناعية، وكان هناك من جهة ثانية ٢٥٠ الف مهندس ومهندس معماري ، و ٨١٠ آلاف فني متوسط الاختصاص في الصناعة . كما كان هنالك ايضاً ٨٢٢ الف عالم اقتصادي واحصائي ، و ٥٨٢ الف رئيس تعاونية زراعية ومدير مزرعة لتربية المواشي في الحقل الزراعي، و ١٩ ألف مدير مزرعة نموذجية ومحطة آلات وجرارات ، و٨٠ألف مهندس زراعي و ٩٦ الف فني متوسط الاختصاص في الزراعة ، فيكون المجموع زهاء ٥ ٪ من السكان المتعاطين عملاً من الاعمال .

ودون ان يكون هناك مجال للكلام عن قطاع ثالث ليس اقل اهمية منه في البلدان الاخرى، فمن الثابت اطراد نمو فئة الفنيين والاداريين وكل من لا يأتي عملاً يدوياً . فهل يسعنا القول والحالة هذه اننا امام بورجوازية جديدة في طريق التكون ، او امام « طبقة حاكمة » تتألف من كافة المسؤولين عن ادارة الاقتصاد الذين قد يميلون الى جمع السلطة السياسية بين ايديهم ؟ ام اننا امام عناصر من الطبقة العمالية والقروية يقومون اليوم بوظائف اقصوا عنها في ظل العهد القديم ويحتفظون باتصال وثيق بالبيئة التي انحدروا منها، وأنواع المعيشة نفسها وطرائق التفكير نفسها والمثل العليا نفسها ؟ كل ما يسعنا قوله ان الكثيرين من هؤلاء « المطوقين بطوق ابيض » أبعد من ان ينتسبوا الى الفئات التي تتقاضى الاجور المرتفعة وان تسلسل الاجور والتمييز بين الوظائف لا يبدوان منتهين الى استتباع تمييز بين مستويات المعيشة وارتفاع الحواجز المماثلة لها في البلدان الرأسمالية .

مستويات المعيشة

فالفرق في الاجور من ثم كبير جداً بين فئات العمال المختلفة ، وفاقاً لكفاءتهم ومنحة الانتاج والاقدمية التي يتقاضونها ، وبين الصناعات، وبين المدن الكبرى والصغرى ، ولكن الفرق في المستويات ، كما يلاحظ ذلك « م. سوفي » اقل بروزاً بفعل وجود حركتي بضائع احداهما تتيح الحصول بأسعار معتدلة على الكميات التي تقابل الحد المعيشي الادنى ، والثانية التي لا يمكن الحصول فيها على البضائع نفسها الا بسعر اكثر ارتفاعاً الى حد بعيد ، وبفعل ندرة المنتجات « البذخية » ايضاً .

ونظراً الى نقص العقارات المبنية بسبب الدمار الذي تركته الحرب وتزايد سكان المدن ، كانت المساحة الموضوعة بتصرف العائلة الواحدة محدودة بنسب تختلف باختلاف المناطق والمهنة، اي ١٢ م^2 للعامل العادي ، و ١٦ م^2 للعامل المحكِم ، و ٣٠ م^2 للمهندس . واختلف السعر الاساسي للمتر المربع باختلاف الاجور بحيث لا يتجاوز ١٠ بالمائة لأفضل الاختصاصيين ، اي بين ٤و٨ بالمائة على وجه متوسط . وتثبت مؤلفات « روموف » والموازنات النموذجية التي وضعها ان الكلفة ضئيلة نسبياً فيما خص الكراء والتدفئة والاضاءة والانتقال ، وان المواد الضرورية للتغذية تحافظ على مستوى متوسط ، ولكن الاسعار ، فيما خص المنتجات غير الضرورية ، ترتفع ارتفاعاً عظيماً ، اما الملابس فباهظة الاثمان . ونادراً ما يتناول العامل

وجبة الطعام المعول عليها خارج محلات بيع المأكولات في المشاريع ، وتختلف كلفتها باختلاف وضعه المادي . و « بمقدور العامل ان يعيش حياة محترمة اذا ما تقاضى ٦٠٠ روبية ، وحياة كريمة اذا ما تقاضى ٩٠٠ روبية » (ج. روموف) . وان المقـــارنات الجراة بين مستويات المعيشة السوفياتية والفرنسية تسمح بالاستنتاج (المقبول في السنة ١٩٥٣) ان مستوى معيشة عامل الصناعة السوفياتي ادنى بقليل من مستوى عامل الصناعة الفرنسي (١٠ بالمائة تقريباً) وانه يوافق العزّاب ولا يوافق العائلات ، ولكن المساعدات غير المباشرة المقـــدمة للعائلات الكثيرة الافراد تعيد التوازن الى حاله .

الفصل الرابع

النظـام السياسي الجديـد

منذ ثورة تشرين الاول حتى الحرب العالمية الثانية ، خضعت روسيا لثلاثة دساتير متعاقبة – ١٩١٨ ، ١٩٢٤ ، ١٩٣٦ – قلبت التنظيم القديم واقامت دولة جديدة ، اتحـادية ، متعددة القوميات لاوحدوية ، ديموقراطية لا استبدادية ، ولكنها مبنية على مدلول للديموقراطية يختلف كل الاختلاف عن المدلول التقليدي .

ترد ميزات النظام ، في مرحلة الانتقال هذه نحو الشيوعية الكاملة ، الى الظروف التاريخية التي بني فيها وتوطد وغا . فمنذ ان اوضح لينين في السنة ١٩١٧ وضع الاتحـاد على حقيقته : « ان جمهورية الاتحاد السوفياتي حصن يحاصره الرأسمال العالمي .. لذلك كان من حقنـا ومن واجبنا تعبئة كافة السكان لمواجهة حرب محتملة » ، اعتبر الاتحاد نفسه وكأنه يعيش تحت خطر الحرب الدائم . وهذا ما يفسر بعض مواقف حكوماته ، كالتخلي المؤقت عن بعض الاهداف ، والدكتاتورية وتطبيقها الواقعي على الظروف غير المرتقبة الناجمة عن اتفاق الظروف الاقتصادية او السياسية العالمية . فالمؤسسات المعتمدة هي من ثم اختلاط ابتكـارات اوحتها المبادىء الماركسية اللينينية وتمهد الطريق لتحقيق الشيوعية ، ومؤسسات مؤقتة فرضتها الظروف ويجب ان تزول حين يُبلغ الهدف .

١ – الاطار السياسي

الدولة المتعددة القوميات

كان احد مواطن الضعف في الامبراطورية القديمة الجـور الذي عانت منه القوميات غير الروسية الخضعة لنظام روسيا الكبرى المركزي ، مضطهد تقاليدها ولغاتها واديانها . لذلك اسهمت هذه القوميات اسهامـاً ناشطاً في الازمة الثورية ، وقد اثار تردد الحكومة المؤقتة حركات انفصالية شجعها الاجـانب تشجيعاً متفاوتاً ، الالمان اولا والحلفاء من بعدهم . فكانت مسألة القوميات من ثم غاية في الاهمية ، على الصعيد النظري والصعيد العملي على السواء . وكان لينين ، قبل الحرب بزمن بعيد ، قد دافع عن

مبدأ حق الشعوب بحرية تقرير مصيرها ، لان من شأن هذا الحق وحده ان يفضي الى « انصهار حر وطوعي » . ولكنه كان مقتنعاً بأن تحقيق الاشتراكية يستلزم دولة مركزية السلطة ، فلا يمكن من ثم ان يكون النظام الاتحادي سوى وسيلة لوقف موجة الانفصالية التي خلفتها الثورة، او « احد اشكال الانتقال على طريق الوحدة » . ومنـذ السنة ١٩٢١ ، اشار ستالين ، مفوض شؤون القوميات ، الى وجه حل المسألة :

« في الحقيقة تنحصر المسألة القومية ... في إزالة تأخر القوميات(اقتصادياً وسياسياً وثقافياً)الذي ورثناه عن الماضي بغية السماح للشعوب المتخلفة باللحاق بروسيا المركزية من الجهة الدولية والثقافية والاقتصادية » .

منذ نهـــاية ثورة تشرين الاول ، اذاع مجلس مفوضي الشعب « ميثاق امم روسيا » الذي اعترف بمساواة شعوب روسيا وسيادتها وحقهـــا في تقرير مصيرها ، بما فيه حق الانفصال ، وإبطال الامتيازات الممنوحة لبعضها ومبدأ حرية نمو الاقليات القومية والعنصرية . ومنذ هذا التاريخ اعار الحكم البلشفيكي الفئات الاسلامية انتباهاً خاصاً ، فوجّه الى كافة مسلمي روسيا والشرق إعلام يطمئنهم الى ان معتقداتهم وعاداتهم و « مؤسساتهم ... القومية ... والثقافيـة هي بعد اليوم حرة ومصونة » . واتُخذت في الحـــال تدابير تستهدف ازالة آثار الاستعمار ، فأقصي المهاجرون القوزاق المستعمرون عن مناطق اورنبورغ وسميرتشيه وقازاخستان واقليم الجمهورية التشتشينو– انغوشيه ، واعترف باللغات البلدية لغات رسميـــة في الجمهوريات المستقلة استقلالاً اداريا ، وتأسست جامعة عمال الشرق في موسكو ، كما تأسست فروع لها في اشكباد وطشقند وباكو . ثم كلما توطدت السلطة السوفياتية المركزية وتراجع التدخل الاجنبي، تحولت القوميات التي كانت قد اعلنت استقلالها الى « جمهوريات اشتراكية سوفياتية » وانضمت الى « جمهورية مجالس السوفيات الروسية الاشتراكية الاتحـــادية » التي تأسست في السنة ١٩١٨ ، وارتبطت جمهوريتا اوكرانيا وروسيا البيضاء ، وجمهوريات اذربيجان وجيورجيـا وارمينيا – التي اتحدت والفت جمهورية ما وراء القفقاس الاتحادية – الى الجمهورية الروسية لتؤلف معها ، في السنة ١٩٢٢ ، « اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية » المنفتحة لكل دولة ترتدي طابع جمهورية اشتراكيـة سوفياتية . والى هـذه الجمهوريات الاربع انضمت جمهوريتـا اوزبكستان وتركمانستان في السنة ١٩٢٤ وجمهورية تاجكستان في السنة ١٩٢٩ . وفي السنة ١٩٣٦ سيكون هنالك ١١ جمهورية متحدة بعد انضمام جمهوريات قازاخستان وكرغيزيا وجمهوريات الحـاد ما وراء القفقاس الثلاث (الذي حُلّ) و ٢٢ جمهورية و ٩ مناطق مستقلة استقلالاً ادارياً و ١٢ اقليماً قومياً. فاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية هو من ثم دولة اتحادية تألف من جمهوريات اتحادية تضم داخـل اراضيها جمهوريات واقاليم مستقلة استقلالاً ادارياً . وقد قامت فيها كلها المؤسسات نفسها، وكان لكافة سكان الاتحاد ، الى اية منطقة انتسبوا ، الحقوق نفسها والواجبات عينها .

دولة اتحادية
ولكنها على كثير من المركزية

أن هذا الاتحاد ، المنشأ على النحو المذكور منذ السنة ١٩٢٤ والمحدد في دستور السنة ١٩٣٦ ، قد نُظّم على غرار كافة الدول الاتحادية في العالم : حكومة اتحادية تمسك بزمام السلطة في الشؤون المشتركة التي يتولاها مفوضون (ثم وزراء) للشؤون الخارجية والتجارة الخارجية ، والحرب والبحرية ، والنقل ، والبرق والبريد ، وادارة الدولة السياسية ، والخطط الخمسية بما فيها اعداد الخطة والاشراف على تنفيذها . وبقي في ايدي الحكومات المحلية : القضاء والادارة الداخلية ، والتعليم العام ، والصحة والخدمات الاجتماعية ، وكلها شؤون قد تصدر بها للحكومات المذكورة توجيهات عامة من الاتحاد .

اجهزة الحكم هي : مؤتمر سوفيات الاتحاد الذي ينعقد اقله مرة كل سنتين ، لجنة الاتحاد المركزية التنفيذية (تسيك) وقد اصبحت مجلس السوفيات الاعلى ، التي ينتخبها المؤتمر وتجتمع مرتين في السنة وتتألف من مجلسين متساويين في الحقوق ، مجلس سوفيات الاتحاد (المنتخب بنسبة سكان كل جمهورية او اقليم) ومجلس سوفيات القوميات الذي يمثل - بعدد متساو من النواب - الجمهوريات المتحدة (٣٥ نواب ثم ٢٥ لكل منها) والجمهوريات المستقلة استقلالاً اداريا (١١ ثم ٥ لكل اقليم) ، على اساس مجلس لكل جمهورية او اقليم ، مما جعل العنصر السلافي اقلية . وينتخب المجلسان رئاسة مجلس السوفيات الاعلى المؤلف من ٢٧ عضواً (مكتبا المجلسين و ٩ اعضاء آخرين ينتخبهم المجلسان) ، وهي اشبه برئاسة دولة بجمعية تمارس بالفعل الوظائف الحكومية بتفويض صلاحيات مجلس السوفيات اليها تفويضاً دائماً خلال الفترات التي تفصل بين دورة وأخرى وتشبه امتيازاتها امتيازات رئيس الولايات المتحدة . اما مجلس مفوضي الشعب ، او « سوفناركون » ، فمرتبط برئاسة مجلس السوفيات الاعلى وبمجلس السوفيات الاعلى .

فالنظام الاتحادي السوفياتي ، من ثم ، « يتعلق بالاجهزة اكثر من الاختصاصات » اذ ان صلاحيات الحكومة الاتحادية واسعة جداً وصلاحيات السلطات المحلية محدودة . وان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية هو في الواقع دولة يغلب فيها طابع المركزية على الرغم من ان لكل دولة دستورها واجهزتها الخاصة .

ان هذا النظام الاتحادي المحدود اتاح للقوميات المحافظة على لغتها وتقاليدها الثقافية ، ومكن من اجراء الاختبارات المحلية في الحقل الاجتماعي ودرجات التعليم الثلاث التي ارتبطت (باستثناء التعليم العالي) بالجمهوريات . وبفضل اتساع الاراضي وكثرة المهام الملقاة على عاتق السلطات العامة ، تمتعت الاجهزة المحلية بحرية عمل كبرى . ولذلك فان النظام الاتحادي « يرتبط بسياسة متلاحمة وحاذقة ، وحازمة اذا اقتضى الامر ، انطوت على احترام القوميات وتنميتها » (ر . بنتو) .

انطلاقة القوميات

حيال هؤلاء السكان انتهج النظام الاستعماري القيصري ، تساندهِ الاقلية المستأثرة بالاراضي ، اما سياسة تمثيل حيث استقر المستعمرون السلافيون بأعداد كبرى ، واما سياسة لامبالاة واهمال حين يكون هؤلاء السكان منعزلين .

منذ الايام الاولى وجد النظام الجديد حلا للمسألة الزراعية – وهي شغل الجماهير الشاغل – وعمل كذلك على ازالة التفاوت في التطور الفكري والاقتصادي ، وضمـــان تطور السكان الفكري في اطار كل ثقافة من الثقافات القومية ، والمحافظة على لغتهم وعـــاداتهم المحلية ، بينما سعى على الصعيد الاقتصادي لانهاض الاقاليم المتخلفة . وقد اعلن ستالين في السنة ١٩٢٥ مايلي:

« بروليتارية في مضمونها وقومية في شكلها ، تلك هي الثقافة الانسانية الشاملة التي تسير نحوهـا الاشتراكية . فالثقافة البروليتارية لا تلاشي الثقافة القومية بل تقدم لها مضمونها » .

ولذلك فقد شجع تطور القوميات الثقافي بتأسيس المدارس والصحف وبطبع الكتب باللغة الام ؛ وبمقدار بلوغها درجات معينة من الوعي ، تُرقى الى مرتبة الاقليم المستقل اداريا (هـذه هي حال الشركس في السنة ١٩٢٨) او الجمهورية المستقلة استقلالاً اداريا (« الـ موردف ») او الجمهورية الاتحادية (تاجكستان). وحين يسمح المستوى الفكري بذلك « تبلتد »الاقاليم، فتحل اللغة المحلية محل الروسية في الادارة والقضاء والمدرسة ، ويزداد عـــدد البلديين في الوظائف الادارية تزايداً مطرداً . وتلقن الدروس ، التي كانت تلقن من قبل باللغة الروسية في الجامعات ، بلغة روسيا الصغرى ولغة روسيا البيضاء واللغة الجيورجية في كييف ومنسك وتفليس . وتحل الاسماء التاريخية القديمة او القومية محل الاسماء الروسية : فـ «ايكاترينوغراد» تصبح ماركستادت عند المان الفولغا وتحمل عاصمة تركمانستان اسم اشكباد القديم . وتُبتكر كتابة وايجدية عنـد اكثر القوميـــات تخلفاً وبعداً ، التي لم تكن لغاتها سوى لهجات لفظيـــة . وتوضع قواميس واجروميات لاستعمال الكاريليين الذين لم يكن لهم لغة مكتوبة . وللمرة الاولى في التاريخ تنشر كتب باللغة البوريانية ، واللغة الراكاسية (لغة اتراك التاي) . وتجمع المؤلفات الشعبية المنقولة في كتب وتترجم الى اللغة الروسية كما تترجم الى اللغات القومية مؤلفات الادب العالمي الكبرى، وتولد آداب قومية عند هذه الشعوب التي لم تعرف الكتابة نفسها حتى ذاك التاريخ والتي تنتج مؤلفات تستحق الاعتبار ، كسيرة جانسي كيمونكو ، المكتوبة بقلمه «على ضفاف السوكباي» حيث يصف المؤلف معيشة اخوانه ، الـ « اوديغه الرحـــل » ، القناصين والصيادين في اقصى سيبيريا الشمالية الشرقية . وتنشأ المسارح باعداد كبرى وتشجع الفنون البلدية . وهكذا تنطلق الآداب السوفياتية غير الروسية انطلاقة كـبرى ، الادب الارمني بفضل اسحاقيان ، والأدب القازاخستاني بفضـــل « اوازوف » و « جمبول جابابيف » ، والادب الجيورجي بفضـــل « لورد كيبانيدزه »، والادب اللسغي بفضل « سليمان ستالسكي » ، والادب الكارا كلباكي بفضل « كوربانباي » ، والادب الاوزبكي بفضل « نافوي » ... ووضعت كتب مدرسية في السنـــة ١٩٣٦ باللغات البلدية الثلاثة عشر لاستعمال القوميات الثلاثة عشر في المناطق المتجمدة الشمالية .

واسست في هذه المناطق مراكز ثقافية تضم مـــدارس ومستشفى وفرع طب بيطري .. كما اعتمد فيها تعليم متنقل لمرافقة البدو الرحل ، « الاخبية الحمراء » .

وفي اذربيجان ، حيث لم يوجد سوى ١٨ مدرسة قبل السنة ١٩١٣ ، احصي ٢٠٠٠ مدرسة في السنة ١٩٤٠ ، واصبح هناك ٦٦ معهداً للابحاث العلمية واكاديمية علوم في باكو ، واصبح عدد تلامذة المدارس في جيورجيا ٨٠٠ الف بعد ان كان ١٥٧ الفا، واصبح عدد المدارس في جمهورية اجيرستان (باتوم) المستقلة استقلالاً ادارياً ٢٥٠ مدرسة لـ ١٦٠ الف نسمة . وفي اوزبكستان تدنت نسبة الاميـــين من ٩٧ – ٩٨٪ الى ٣٢٫٢٪ في السنة ١٩٣٩ . وكانت لكل من طشقند وسمرقند جامعتها التي ضمت ١٢ معهداً و ٤ كليات في الاولى، و ٥ معاهد و ٥ كليات في الثانية، وارتفع عدد التلامذة في الجمهورية من ١٧ الفا الى اكثر من مليون ؛ وفي كيرغيزيا كذلك ، تدنى عدد الاميين بين السنة ١٩١٤ والسنة ١٩٤٠ من ٩٨٪ الى ٣٠٪ . وارتفع عـــدد التلامذة من ٨ آلاف الى ٣٢٧ الفا ، وتأسست جامعـــة في «فرونزيه » . واصبح في قازاخستان ٦٠ الف طالب وزهاء ٢٥٠ صحيفة باللغة القازاخستانية مقابل صحيفة واحدة في السنة ١٩١٣ .

كانت نهضة الحضارات القومية وسيلة لمكافحة الأمية ، ولكنها كانت كذلك وسيلة لرفع مستوى الشعوب غير الروسية وتأمين المساواة في قلب الاتحاد تأميناً فعلياً .

حل المسألة الاستعمارية

يعود الفضل في الدرجة الأولى الى تنمية اقتصاد هذه الجمهوريات بتحويلها من مستعمرات الى جمهوريات متشاركة ترتكز المساواة في الحقوق فيها الى أساس اقتصادي متين بفضل سياسة اللاحصرية الصناعية التي تمشت عليهـــا الخطط ، ولا سيما الخطة الثالثة منها. فقد رافق المجهود الجبار الذي بذل لرفع المستوى الفكري والثقافي فيها تنمية اقتصادها التي هي شرط تحقيقه الاكبر .

وضع تأميم الأراضي حداً للحقد الذي تولد بين البلديين والمستعمرين الروس ؛ وكان للتصنيع كذلك دور اكثر فعالية بصهره السكان ، وبخلقه حاجة كبرى لليد العاملة ، وبدفعه البلديين الى التحصيل العلمي : هندسة ، ادارة ، فن ، وبتسهيله تقدم الرفاهية وارتفاع مستوى المعيشـــة . ولم تعد هذه الاقاليم مناطق استثمار استعماري لتزويد الوطن الام بالخامات ؛ فقد اخذت تحوّل منتجاتها اكثر فاكثر يوماً بعد يوم، واتاحت لها الخطوط الحديدية الجديدة استثمار كافة مواردها. وكان نموها اسرع منه في اوروبا ، كما ان الاموال الموظفـــة فيها كانت اضخم منهـــا في الجزء الاوروبي من الاتحاد الى حد بعيد . ففي السنة ١٩٣١ ، لم تبلغ زيادة موازنة الجمهورية الروسية الا ٣١٪ بالنسبة للسنـــة ١٩٣٠ ، بينما ارتفعت موازنة اوزبكستان بنسبـــة ٦١٪ وموازنة تركمانستان بنسبة ٨٧٪ وموازنة تاجيكستان بنسبة ١٠٨٪ . لذلك عرفت كل هذه البلدان «تحولاً بسبب الدوار بسرعته » جعلها تدخل اقتصاد الاتحـــاد نهائياً على قـــدم المساواة . فاستطاع « ج. باراكلو » ان يكتب ما يلي : « اثبت اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ان مسألة القوميات قابلة الحل على صعيد المساواة الاقتصادية » ، واضاف الى ذلك قوله « انه ادى لسكان

المناطق المتجمدة الشمالية والقفقاس ، خلال ربع قرن ، خدمة اجـــل من تلك التي ادّاهـــا البريطانيون للهند اثناء احتلال دام قرابة قرنين » .

اذا تحققت المساواة بين الافراد ، فالواقع هو ان المساواة بين الثقافات واللغـــات كانت نظرية اكثر منها حقيقية لان العنصر الروسي قد حافظ ، في الحياة الاقتصادية والسياسية ، على تفوق عددي ودور قيادي امنا للغته مركزا مسيطراً ، هو مركز الثقافة العليـــة والتقنية ؛ يضاف اليه انها كانت الرابطة اللازبة بين كافة القوميات ولغة التعليم الالزامية في المرتبة الثانيـة بعد اللغة الام .

تطور النظام السياسي

انبثق التنظيم السياسي للاتحـاد السوفياتي من الفكر الماركسي واللينيني ، ولكن مصادره الايديولوجية اقدم عهداً ، نجدهـا عند جان جاك روسو في الدستور الجبلي (١٧٩٣) ، وعند سان – جوست وبابوف ، وعنـد كل اولئك الذين شدّدوا على الطابع الخادع الذي ترتديه المساواة النظرية في الحقوق التي تنادي بها الديموقراطية السياسية وانتهوا الى ان هذه المساواة لا يمكن ان تكون فعلية الا اذا انتقلت السلطة الاقتصادية من ايدي بعض الافراد الى ايدي الدولة ، اي الى ايـــدي الجميع . وهي الاشتراكية وحدها ما تستطيع تحقيق هذه المساواة فعلياً ، لانها « تبقي على كافـة الحريات السياسية ، ولكنها تزيل الحريات الاقتصادية المزعومة » التي ليست سوى « وسائل سيطرة في ايدي اقليات مقتدرة » . «وهي تضمن حرية الجميع بحماية الضعفاء ، وتضمن المساواة بتأمينها للجميع المساواة في الامكانات على الاقل » .

كيف تحقق الاشتراكية وشرطها اللازب ، المجتمع بدون طبقات ؟ لقد اشار لينين الى ذلك في كتـابه « الدولة والثورة » الذي وضعه في ايام ثورة تشرين الاول وعرض فيـــه بقوة المبادىء التي ستطبق . على البروليتاريا ان تقوم بثورة عنيفة وتستولي بنتيجتهـا على آلة الدولة (جيش ، شرطة ، وظائف ادارية) وتتحول الى طبقة مسيطرة ، اي تفرض دكتاتوريتها ، وليست هذه الاخيرة غاية في حد ذاتها بل وسيلة فقط يتوقف عملها حين تزول الطبقات القـديمة صاحبة الامتيازات وحين تتوطد الاسس الاقتصادية للاشتراكية . هذا هو النظام الذي أقره ، في عهد شيوعية الحرب ، دستور السنة ١٩١٨ ، دستور النضال الذي وضع اسس الاقـــتراع العام ، ولكنه حرم الطبقات الحاكمة القديمة ومؤيديها من حق الانتخاب ، واعطى بروليتاريا المدن ، وهي دعامة النظام الرئيسية ، تمثيلا اوفر عدداً من التمثيل الذي اعطاه سكان الارياف . وتنتخب مجالس المندوبين (المدنية) على درجتين ومجالس المندوبين الريفية على ثـلاث درجات مجلس مندوبي كافة المناطق الروسية الذي يعين بدوره اللجنـــة المركزية التنفيذية ، التي تؤلف الـ « سوفنار كون » . وبعـــد الانتصار ، وحين تأمن انضمام السكان غير الروس ، اسس دستور السنة ١٩٢٤ دولة اتحادية لها مجلسها الاعلى المؤلف من مجلسي القوميات والاتحاد ولجنتهـا المركزية الادارية ورئاسة مجلسها الاعلى ، ولكنه أبقى على النظام الانتخابي غـير المتساوي .

ومرد ذلك الى ان الأهمية العددية والاقتصادية لجماهير الفلاحين الذين وقفوا موقفاً حذراً من التأميم ، وعزلة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية المحاط ببلدان معادية قد فرضتا على النظام عدم الثقة بكل من لم يعلن اخلاصه الصريح له . وبصورة خاصة كان التصفيع السريع المشروع فيه ، بالنسبة للنظام ، مسألة حياة او موت ، ولا يمكن تحقيقه الا بتضحيات كبرى يفرض بذلها على الشعب بكليته وتستلزم سلطة مركزية حازمة .. وقد احسن « هارولد لاسكي » إظهار منطق الطريقة المتبعة التي افضت الى الابقاء على الدكتاتورية وتعزيزها :

« كان من الواجب ، في هذه البلاد الواسعة الآهلة بأكثرية قروية امية ، ان يفرض على السكان نظام تستطيع الدكتاتورية وحدها تأمينه ... وربما كان الاغضاء عن استمرار وجود طبقة كبرى من الكولاك المعادين للتدابير التقنينية التي استلزمتها سياسة التصنيع خطراً كبيراً محتوماً على هذه السياسة . وكل من يتذكر الثمن الباهظ الذي دفعته اوروبا الغربية لثورتها الصناعية وقرأ ما اثارته من اعتراضات عنيفة يستطيع تكوين فكرة عن طابع الجسامة الذي ارتدته محاولة الزعماء السوفيات . ولست اعتقد ان تحقيقها كان ممكناً ، بعد اقرارها ، بوسائل ديموقراطية . فان حكومة ترضى بالخضوع لانتخاب شعبي تأن على اساس التضحيات التي فرضها البلشفيك ، ستقصى كلياً ، بدون اي ريب ، عن السلطة ؛ وبالنظر الى الهدف المطلوب تحقيقه ، كان الحفل الداخلي ، بصرف النظر عن غيره ، يستلزم اعتماد الدكتاتورية » .

وليس من باب الاتفاق من ثم ان تصادف الخطط الخمسية في الزمن دكتاتورية ستالين والحزب الشيوعي .

بعد مرور اثنتي عشرة سنة ، ارسخ نجاح الخطط ، وتصفية الكولاك والمقاومات الرأسمالية الاخيرة ، اركان النظام ارساخاً نهائياً ، واتاحا له ادخال نصوص جديدة في دستور السنة ١٩٣٦ : اصبح الاقتراع شاملاً بالفعل ومتساوياً للرجال والنساء بعد سن الثامنة عشرة ، دون اي استثناء لاي شخص ، وتماثلت الحقوق الانتخابية في المدن والارياف ، وبات الاقتراع سرياً ومباشراً لانتخاب نائب عن ٣٠٠ الف نسمة لمدة ٤ سنوات ، واعطي الناخب حق طلب عزل النائب « خادم الشعب » ، اذا لم يسلك بمقتضى وكالة ناخبيه . وقدمت الترشيحات على لائحة واحدة تضم « الشيوعيين وغير الحزبيين » «المنظمات الاجتماعية وجمعيات العمال » .

عدد الدستور اخيراً الحقوق الاساسية المعترف بها للمواطنين وواجباتهم : الحق في العمل ، الحق في الاستراحة ، الحق في الضمان المادي في سن الشيخوخة وفي حالة المرض والعجز عن العمل ، الحق في التعليم ، مساواة المرأة ، مساواة المواطنين دون تمييز في القومية او العرق ؛ حرية المعتقد ، وكافة الحريات السياسية ، حرية التعبير عن الرأي ، وحرية الصحافة ، وحرية الاجتماع . اما الواجبات فهي احترام الدستور وقانون العمل و « الواجب الاجتماعي » و « نظام الحياة في المجتمع الاشتراكي » ، وحماية الملكية الاجتماعية وارساء قواعدها ، والخدمة العسكرية للدفاع عن البلاد .

الحزب الشيوعي

نحن في الحقيقة امام « مجتمع ديموقراطي تحكمـــه دكتاتورية » ، هي دكتاتورية الحزب الشيوعي . فان المادة ١٢٦ من دستور السنة ١٩٣٦ حين تعدد المنظمات الاجتماعية التي يحق للمواطنين السوفيات تأسيسها او تنميتها بحرية : النقابات المهنية ، الاتحادات التعاونية ، الجمعيات الثقافية ، المنظمات الرياضية ، الخ. ، انما تكرس امتياز الحزب باعلانها ان « اكثر المواطنين وعياً في الطبقة العمالية وطبقات الفعلة الاخرى تتحـــد في الحزب الشيوعي الذي هو طليعة العمال » . وتوافق « دكتاتورية البروليتاريا » الـــتي يمارسها الحزب الواحد المذهب الماركسي الذي ليست الاحزاب السياسية في نظره التعبير عن نزعـات ايديولوجية ومفاهيم عقلية ، بل عن نزعات جماعات ذات صوالح اقتصادية هي الطبقات ؛ وان زوال هذه الاخيرة ، الذي يجر وراءه زوال كل خصومة اجتماعية ، يجعل من الناقل قيام احزاب متميزة . وتبررها كذلك متطلبات مرحلة الانتقال الراهنة نحـــو الاشتراكية : فطالما لم يبن المجتمع بدون طبقات ، اي طالما يوجد هناك خطر انبعاث الطبقة البورجوازية ، فان الطبقـة العمالية التي استولت على السلطة لا تستطيع الاحتفاظ بها ، ما لم تنتزع — بسلطة مستبدة — من الطبقات صاحبة الامتيازات وسائل العمل الكثيرة التي توفرت لها منذ قرون وقرون .

فما هي وظيفة الحزب ؟ انها في الدرجة الاولى اختيار الخاصة الجديدة التي سوف تؤول اليها زعامة الامة ، واعدادها لوظيفتها القيادية . وهي في الدرجة الثانية رقابة اجهزة الدولة وبعث نشاطها واستثبات ولائها . وهو الحزب اخيراً ما يبقي المسؤولين على اتصال دائم بالجماهـــير : فبواسطة خلاياه وفروعه الكثيرة يطلعهم على حالة الرأي العام وردود فعله ويتحاشى بذلك ان يبتعد النظام عن الشعب . اضف الى ذلك انه يؤمن ، في كل وسط من اوســاط الشعب ، تعميم التوجيهات الصادرة عن المراجع العليا ويشرح معناها وضرورتها للجماهير .

اختيار اعضائه

الحزب الشيوعي هو من ثم « العنصر الاساسي الاول في قاعـدة النظام السياسي الروسي » . وقد تميزت نجاحاته بتعاقب ارتفاع وتدني عدد اعضائه تعاقباً دورياً ، بفعل حرص رؤسائه المسؤولين على ان يقصوا عنه ، بين حـين وآخر ، العناصر غير المرغوب فيها التي تمكنت من التسلل اليه . ففي السنة ١٩١٧ ، حـــين خرج من الخفاء ، كان عدد اعضائه ٨٠ الفاً ، وفي شهر آب من السنة نفسها ارتفع هذا العدد الى ٢٤٠ الفاً وبعد ثورة تشرين الاول ، اطرد ارتفاع هذا العدد الى ان بلغ ٢٧٠ الفاً في شهر آذار من السنة ١٩١٨ ، ولكن مؤتمره الثامن المنعقد في شهر آذار من السنة ١٩١٩ اوجب « اعـادة تسجيل » الاعضاء ، فكان ذلك بمثابة عملية تطهير اولى ؛ ثم نُظّم في آخر السنة « اسبوع الحزب » اي اسبوع اختيار ناشط رفع عدد الاعضاء الى ٣٠٠ الف في شهر آذار من السنـــة ١٩٢٠ ، والى ٧٣٢٥٢١ في شهر آذار من السنة ١٩٢١ بينهم ٤١٪ من العمال ، و ٢٨,٢٪ من الفلاحـــين ، و ٣٠,٨٪ من المستخدمين . واندس بين الاعضاء « بعض صغـار البورجوازيين وسواهم ممن لا يؤمنون بالروح الشيوعيـــة » ، و « الوصوليين » ، و « العناصر البيروقراطيـــة » من عادمي

الاستقامة ، والمترددين ، والمنشفيك ، والمقنعين ، والخاتلين » ؛ وفي السنة ١٩٢١ اجريت عملية تطهير جديدة خفضت العدد بنسبة ٢٥ بالمائة تقريباً ، وحدد المؤتمر الحادي عشر للحزب ، في شهر آذار من السنة ١٩٢٢ ، شروط الانتماء التي ميزت بين الصناعيين اليدويين والفلاحين الذين لا يستثمرون عمل الغير ، وبين الجنود والعمال المنتسبين الى اوساط الفلاحين والعمال ، وبين غيرهم من المواطنين . ففيما يعني الفئتين الاوليين يقتضي توصية من ثلاثة اعضاء من الحزب وتدرج ثلاث سنوات ، وفيما يعني الفئة الثالثة ، توصية من خمسة اعضاء وتدرج خمس سنوات . وبعد وفاة لينين حدثت حركة انتماءات هامة جداً ؛ فارتفعت نسبة العمال في السنة ١٩٢٥ الى ٥٧٫٩ بالمائة وارتفع عدد كافة الاعضاء الى اكثر من ٨٠٠ الف . وقـــد عدّلت آنذاك شروط انتماء العمال الصناعيين المتماطين عملاً جسمانياً مأجوراً : فاكتفي بتوصية من عضوين من الحـزب وبتدرج سنة واحدة ، كما اكتفي لانتماء العمال غير الصناعيين ، والجنـــود المنتسبين الى اوساط العمال والفلاحين بثلاث توصيـات وتدرج ثلاث سنوات . وفي السنة ١٩٢٧ ضم الحزب ١١٤٧٠٧٤ شخصاً ، وفي السنة ١٩٢٩ ، مليونا و٥٠٠ الف ، وفي السنة ١٩٣٠ ، مليونا و٦٧٧ الفا ، وفي السنة ١٩٣٣ ، مليونين و ٥٥٥ الفا ، وبلغت نسبة العمال آنذاك ٦٨٫٢ بالمائة . وارتفع كذلك عدد النساء : ٨٫٢ بالمائة في السنة ١٩٢٤ و ١٥٫٩ بالمائة في السنة ١٩٣٢ ، كما ارتفع كذلك عدد المواطنين من غير الروس . ثم اجريت عملية تطهير جديـدة في السنة ١٩٣٤ والسنة ١٩٣٥ ، ولا سيما بعد مقتـــل كيروف ، فتدنى عدد الاعضاء الى ٢٣٥٨٠٠٠ في السنة ١٩٣٥ ، والى مليون و ١٩٢ الفا في السنة ١٩٣٨ ، ثم ارتفع الى مليونين و ٣٠٦ الاف في السنة ١٩٣٩ ، والى ٣ ملايين و ٤٠٠ الف تقريباً في السنة ١٩٤٠ . وفي السنة ١٩٣٩ عدل المؤتمر الثالث عشر للحزب شروط الانتساب مرة اخرى : فقد اتاح توطد اركان النظام وزوال الطبقـات الحاكمة القديمة اعتمادنظام واحد للانتماء حل محل التمييز بين الفئات بحسب وضع المرشحين الاجتماعي : بتوصية من ثلاثة اعضاء مضت عليهم ثلاث سنوات في الحزب ويعرفون المرشح في مركز عمل مشترك منذ سنة على الاقل ، وتدرج سنة واحـدة . وبالنظر الى زوال خطر تسلل « عناصر الافساد » ويقظة العناصر القديمة ، حظرت منذئذ التطهيرات الجماهيرية وتولت منظمات الحزب عملية اختيار المرشحين .

يتميز المرشحون المختارون تميزاً يلفت الانتبـــاه بفتوتهم ؛ فبحسب احصاء السنة ١٩٢٧ كان عمر ٢٥٫٣ بالمـائة من الاعضاء دون الـ ٢٥ سنة ، وعمر ٨٥٫٨ بالمائة دون الـ ٤٠ . ولذلك فقد نيطت مسؤوليات كبرى بالشبيبة ؛ والدليـــل على ذلك ان ٥٦ شخصاً من اصل ١٢١ انتخبهم المؤتمر الخامس عشر للحزب اعضاء في اللجنة المركزية ، اي ٤٦٫٣ بالمائة ، كانوا دون الـ ٤٠ سنة ، و ٩٠ ، اي ٧٤٫٤ بالمائة ، كانوا دون الـ ٤٥ ، و ١٠٥ اي ٨٦٫٨ بالمـائة ، كانوا دون الـ ٥٠ . وبعد عملية التطهير الكبرى في ١٩٣٦ – ٣٨ التي تناولت عدداً كبيراً من قدماء الحزب ، سدّت الفراغات بالجيل الجديد ، ثم ارتفعت نسبة الشباب في مؤتمر السـنة ١٩٣٩ ،

اذ ان ٤٩٫٥ بالمائة من المندوبين كانوا دون الـ ٣٥ سنة ، و ٨١٫٥ بالمائة دون الـ ٤٠ و ٩٧ بالمائة دون الخمسين ؛ وتولى الوظائف القيادية عدد كبير من موظفي الحزب الذين انخرطوا فيه بعد موت لينين . وهو جيل ما بعد الثورة هذا ما ارسخ نفوذ ستالين .

اما المستوى الثقافي فقد ارتفع تدريجياً . ففي السنة ١٩٢٧ ، كان في الحزب ٨٫٠ بالمائة فقط ممن تابعوا دروسهم العليا ، و ٦٢٫٨ بالمائة ممن تابعوا دروسهم الثانوية ، و ٢٦٫١ بالمائة ممن تلقوا دروساً خاصة ، و ٢٫٤ بالمائة من الاميين . وقد تعذر آنذاك وجود عدد كاف من الاعضاء القادرين على تولي مهام ادارية او قيادية ، في حين زادت الحاجة اليهم بسبب التصنيع . ففي السنة ١٩٢٨ كان ٨٩ بالمائة من مدراء مشاريع الدولة اعضاء في الحزب ، ولكن ٢٫٨ بالمائة فقط من بينهم كانوا قد تلقوا تعليماً عالياً ، و ٧٨٫٦ بالمائة تعليماً ابتدائياً عالياً . وكان ٧٠ بالمائة منهم عمالاً رفعوا الى مراكز قيادية . وفي السنة ١٩٣٩ عدّل نظام الحزب تعديلاً ملحوظاً ؛ فاستقبل الحزب بأعداد كبرى افراد طبقة المثقفين الجديدة ، اي الفنيين والمهندسين والعلماء الكثيرين الذين افتقر اليهم تحقيق الخطط الخمسية ، فارتفع مستوى المسؤولين الثقافي ارتفاعا كبيراً .

تنظيمه

ابتداء من السنة ١٩٢٥ ، وكلما توطد نفوذ ستالين ، امين سر الحزب منذ السنة ١٩٢٢ ، اتضح التنظيم وتعزز . فمنذ السنة ١٩٢٥ ، ضمّ الحزب عدداً من الاجهزة لا يقل موظفوها عن الخمسة والعشرين الفا ؛ وفي المقدمة الـ « بوليتبورو » (المكتب السياسي) المؤلف من ٩ ، ثم من ٢٥ عضواً تنتخبهم اللجنة المركزية المؤلفة من عدة فروع اهمها الـ « اورغراسبرد » اي فرع التنظيم الذي يعنى بتعيين ورقابة مختلف مسؤولي الحزب ، والمفوضيات ، والنقابات ، والتعاونيات ؛ ويعد كذلك التوجيهات في كافة المسائل المتعلقة بنظام الحزب ، وتعنى فروع اخرى بالدعاوة (اجيتبروب) ، والصحافة ، والنساء ، الخ . وتحت تأثير الاحداث : تنفيذ الخطة الخمسية الاولى ، ثم انطلاقة الاقتصاد بفضل نجاحات التصنيع والتأميم ، واخيراً الحاجة الى اصحاب الكفاءات بعد عملية التطهير الكبرى التي عقبت موت كيروف ، أعيد التنظيم تكراراً بحيث تعاقب اقرار اللاحصرية وما تستتبعه من انشاء فروع ذات اختصاص يوافق كل منها قطاعاً خاصاً من الحياة الاقتصادية (١٩٣٠ ، ١٩٣٤ ، ١٩٤٨) واقرار العودة الى التوحيد والمركزية (١٩٣٩) .

ان تنظيم الحزب ـ على غرار تنظيم الحكم ـ اشبه بهرم ذي ٤ او ٥ درجات مختلفة . فنحت تنظيم الاتحاد العام تقوم تنظيمات كل من الجمهوريات ، وتنقسم هذه بدورها الى وحدات اقليمية (اوبلاستي) . اما الجمهورية الروسية ، وهي اوسعها طراً ، فتنقسم الى ٨ تنظيمات اقليمية (كراي) تضم وحدات اقليمية ودوائر (اوكروغ) . وتقسم كل وحدة اقليمية الى وحدات صغرى (على اساس المدن والنواحي) ، وتتألف المدن الكبرى بدورها من عدة وحدات صغرى . وفي ادنى درجات الهرم تقوم التنظيمات الابتدائية للمصانع (٣٥٠٠٠٠ تقريباً) ، ومحطات الآلات والجرارات ، والمزارع النموذجية ، والمزارع التعاونية ، والوحدات

العسكرية ، الخ. ، التي يبلغ متوسط اعضاء كل منها اقل من عشرين . اما التنظيم العام فواحد من اعلى الى اسفل : مؤتمرات ، لجان ، امانات سر . وكما ان ارفع جهاز في الحزب هو المؤتمر الروسي الشامل ، كذلك لكل من الجمهوريات مؤتمرها ولجنتها المركزية وامانة سرها ، المنظمة على غرار اللجنة المركزية في موسكو ، وللوحدات الاقليمية مؤتمر حزبها ولجنتها وامانة سرها ، وللمدن والنواحي مؤتمر ولجنة وامانة سر تنتخب موظفي مكتبها . والمهام واحدة في اطار الدائرة الانتخابية : تقديم وتثبيت مسؤولي الدرجات الدنيا ، رقابة تنفيذ مقررات الحزب ، دعاوة ، اعداد المنتمين الجدد .

يرتكز الحزب الى « المركزية الديموقراطية » التي يحددها نظامه كما يلي : « انتخاب كافة اجهزة الحزب القيادية ، من ادناها مرتبة الى اعلاها ، علائق منتظمة بين هذه الاجهزة وتنظيمات الحزب ، انضباط كلي وخضوع الاقلية للأكثرية ، إلزامية مقررات الاجهزة العليا بالنسبة للأجهزة الدنيا » .

فهو يضم من ثم اكثر المواطنين نشاطاً الذين يطلب منهم اخلاص مطلق ويقظ دائم ، ويفرض عليهم ان يكونوا في كافة الحقول مرشدين لمواطنيهم. فدوره في حياة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية دور رئيسي لأنه هو ما يؤلف العنصر الجوهري لوحدة الاتحاد ، انه يلاشي النزعات الى الابتعاد عن المركز الناجمة عن التنظيم الاتحادي ويجزئة السلطة بين مئات آلاف الدوائر الاقليمية والمهنية التي قد تؤلف كل منها ، مع مجلسها المنتخب ، جمهورية صغرى منعزلة . واخيراً يتولى شطراً هاماً من الوظائف الادارية والحكومية اعضاء من الحزب ، بحيث ان الحزب ، « بفضل وحدته ومركزيته ، قد يستطيع ابدا ترجيح وجهات نظره على آراء لا يمكن ان تكون الا آراء محصورة » (دوفرجيه) . وتؤلف الـ « كومسومول » المؤسسة الرئيسية لاعداد اعضاء الحزب .

الكومسومول والرواد

على غرار كافة الاحزاب الثورية ، علق الحزب البلشفيكي آماله على الشباب الذي له المستقبل . وحين انعقد ، في تشرين الاول من السنة ١٩١٨ ، المؤتمر الاول لجمعية الشباب الشيوعية (كومسومول) ، كان عدد اعضاء هذه الجمعية ٢٢٥٠٠ ، وفي تشرين الاول من السنة ١٩١٩ ، تمثل في المؤتمر الثاني ٩٦ الف شاب اشترك عدد كبير منهم في الحرب الاهلية في فرق الاصطدام ، وفي السنة ١٩٢٠ ، ارتدت الحركة طابع حركة جماهيرية حين بلغ اعضاؤها ٤٨٠ الف عضو تقريباً حدد لهم لينين مهمتهم : « بناء المجتمع الشيوعي » . الا ان انتهاج السياسة الاقتصادية الجديدة ، التي بدت للعديد من الشبان وكأنها استسلام الاشتراكية ، والبطالة ، وصعوبات الحياة المادية ، ولدت خيبات امل كانت نتيجتها تدني عدد اعضاء الحزب الى ٢٤٧ الفا في السنة ١٩٢٢ ؛ ثم ادى تحسين ظروف المعيشة والتدابير المتخذة لمصلحة العمال الشبان وتنظيم مدارس المصانع الى رفع العدد الى مليون في كانون الثاني من السنة ١٩٢٥ ، والى مليونين في السنة ١٩٢٧ قبيل الخطة الخمسية الاولى . ثم

ولدت هذه الاخيرة ، بفعل ضخامة المشروع والدعوة الى التضحية ، موجة حماس وحمية في صفوف هؤلاء الشبان. فهم من قدموا الوف العمال الذين حققوا «الجبابرة» : مصانع الجرارات في ستالينغراد ، وسد دنيبروغ ، والمصانع الجديدة في الاورال وسيبيريا ، وهم من انموا استخراج الفحم الحجري من مناجم الـ « دونتز » حين كادت الحاجة تمس اليه ، وهم من توجهوا بالآلاف الى الارياف للاسهام في عملية التأميم وتصفية الكولاك ولتأسيس التعاونيات الزراعية واعداد موظفي ادارات محطات الآلات والجرارات ، وهم من الفوا فصائل الاصطدام التي تنافست في خدمة الاشتراكية وقدمت معظم منظمي العمل من العمال . وهم من توافدوا على مؤسسات التعليم التقني الحديثة واصبحوا مسؤولي الصناعة الجديدة والدولة الجديدة . وفي السنة ١٩٣١ جاوز عدد الكومسومول المليون الثالث ، وفي السنة ١٩٣٦ المليون الرابع . حينذاك وسعت المنظمة اطار الاختيار ، فاستقبلت الشبان دونما نظر الى منشأهم ، فاصبح عدد اعضائها تسعة ملايين في السنة ١٩٣٩ و ١٦ مليوناً في السنة ١٩٥١ .

اختير الكومسومول من بين « الرواد الشبان » (بين ٩ و ١٥ سنة) وخضعوا لتنظيم مماثل لتنظيم الحزب . فنحن هنا ايضاً امام هرم تقوم في اسفله منظمات المصنع ، والمزرعة الجماعية ، ومؤسسة التعليم ، والناحية ، والمدينة ، والاقليم ، والجمهورية ، والاتحاد . اما نشاط المنظمة فهو في الدرجة الاولى تثقيف الاعضاء والشبان غير المنتمين تثقيفاً سياسياً ، والرياضة ، والاعداد العسكري ، والاسهام في تنفيذ اوامر الحكومة ، والتربية الاجتماعية والثقافية . فعلى الكومسومول ان يكون في كل مكان قدوة ومثلاً للشبان الآخرين ، وان يذهب الى حيث ترسله منظمته . وعليه ، في المدرسة او المصنع ، ان يكون عاملاً ممتازاً ومدرباً لرفاقه ومساعداً لرؤسائه . وعليه ان يتثقف حتى يصبح انساناً كاملاً ، وان يكون في الحياة المدنية والحياة العسكرية على السواء مثلاً مشعاً بالتفاني والانضباط .

٢ – «الانسان اغنى رأسمال»

ان احد الاهداف الاولية التي سعى وراءها النظام الجديد هو رفع مستوى السكان مادياً وثقافياً ، فبذل النظام البلشفيكي من ثم نشاطاً عظيماً في حقول الصحة والتربية الشعبية والثقافية المتأخرة .

الصحة العامة

تناول مجهود تجهيز البلاد بالمؤسسات الصحية تأسيس المستوصفات ودور التوليد والمستشفيات ومستشفيات التدريب ... التي اتاحت ، بالاضافة الى مجانية الخدمات الطبية ، تخفيض نسبة الوفيات بسرعة الى ١٥ ٪ اي الى نسبتها في فرنسا ، وتناولت كذلك تأسيس المصحات ودور المعالجة والراحة للشيوخ والعجزة والنقه . وكانت الطفولة موضوع عناية خاصة : ملاجىء للاطفال ، استشارات طبية للحبالى والرضع ،

واجازات للحبالى لمدة ٣٥ يوماً قبل الوضع و ٢٨ يوماً بعده في مؤسسات الدولة ومشاريعها ، ولمدة شهر قبل الوضع وشهر بعده لنساء التعاونيات الزراعيـــة ، ادت كلها الى تخفيض نسبة الوفيات بين الاطفال ، وساعدت حدائق الأطفال وتشجيع الالعاب الرياضية ، وانشاء الملاعب الرياضية الكثيرة على تنمية متناسقة .

العائلة وتحرر المرأة

بموازاة هذه التدابير التي لم تفضل من حيث النوعية خير ما اتخذ منهـــا في اكثر الدول الغربية تقدماً ، كما يقـــول لاسكي ، وانها « ما تحقق يصعب تصوره في اي مجتمع رأسمالي » ، قامت العائلة على اسس جديدة . فمنـذ الثورة ، نرى العائلة التقليدية ، المبنية على دونية المرأة وعلى طابع الزواج الديني الممتنع الانفساخ وسلطة الاب المطلقة ، تنهار بفعل علمنة الزواج وزوال سلطة الزوج المطلقة . وقد حددت ، حيال الاولاد، حقوق الرعاية والتمثيل ، وواجبات العناية والتربية والتعليم . وبرز مفهوم جديد للعلائق بين الزوجين التي بنيت على المساواة الكلية بينهما ، وشرعية الزواج الواقع المعفى من كل تسجيل والطلاق برضى الطرفين او بناء على رغبة احدهما المعلنة ، وابطال التمييز بين الاولاد الشرعيين والاولاد غير الشرعيين . واستهدف قانون صدر في السنة ١٩٢٠ حـــول « حماية صحة المرأة » منع الاجهاض في الخفاء باجازة الاجهاض تحت شروط معينة . وهكذا تحررت المرأة والاولاد من وضعهم القانوني الدوني ، بينما خففت ملاجىء الاطفال ، وحدائق الاطفال ، ومحلات البيع من العمال في المشاريع ، والمطاعم النقابيـــة والتعاونية ، وتبييض الانسجة الصناعية ، الخ . ، من اعباء ام العائلة وحررتها من عبوديات الحياة المنزلية ، وذلـــك نتيجة لسعي المسؤولين وراء تحقيق المساواة المطلقة بين الجنسين التي ينص عليها القانون . وهـذا ما اتاح للامهات تمثيل نسبة كبرى ـ اكثرية احياناً ـ في الصناعة (حتى الثقيلة منها حيث بلغت هذه النسبة ٥٠ ٪) ، والعمل في مهن تعتبر في البلدان الاخرى محصورة في الرجال (ميكانيكي القاطرة الحديدية مثلا) ، وممارسة وظائف قيادية في المزارع التعاونية (٢٠ ٪ من وظائف المدراء اسندت الى النساء) او المصانع او المجالس على مختلف مستوياتها . وفي البلدان الآسيوية بصورة خاصة ، كان تحرر المرأة ، « المظلومة على ايدي المظلومين » كما قال لينين، ثورة وضعت حدا لعزلتها ولارتداء الحجاب ، وفتحت امامها ابواب المدارس والجامعات والمصانع والحياة العامة . لا بل ان التدابير الكثيرة التي حسنت وضع المرأة الحبلى او ام العـــائلة ، واستقرار المجتمع عند تنفيذ الخطط الخمسية الذي استلزم يدا عاملة نسائية وفيرة وزيادة الطاقة البشرية ، قد استوجبت اتباع سياسة تشجيع الولادات والعائلات التي برزت منذ السنة ١٩٣٦ بمنـــع الاجهاض الا تحت شروط معينة ، وبتدابير استهدفت ارساخ وثاق الزواج بالحد من عـــدد الطلاقات وتكررها (مُنيع الطلاق بناء على رغبة زوج واحد وارتفعت نفقات الاجراءات) ، وبفرض عقوبات صارمة على من يتخلى عـــن عائلته او يمتنع عن دفع النفقة المترتبة للام والاولاد .

بذلت الجهود لزيادة عدد السكان ولخلق شبيبة قوية ونشيطة ، كما بـذلت الجهود لتعليمها ايضاً . في السنة ١٩١٣ ، كانت نسبـة الاميين بين ٧٥ و٨٠٪ ، وحتى ٩٧٪ بين شعوب آسيا غير الروسية ؛ ومنذ السنة ١٩٤٠ ، اختلف الى المـدارس الابتدائية والثانوية ٣٢ مليون تلميذ ، فهبطت نسبة الاميين الى ثلاثين بالمائة في اكثر المناطق تخلفاً . وقـد هدفت المؤسسات الدراسية « لخلق الظروف البشرية الضرورية لقيـام المجتمع الشيوعي »، إذ ان على المدرسة ضمان « تحقيقات الثورة السياسية والاجتماعية » ، ولا يجوز لها ان تكون « لا خارج الحيـاة ولا خارج السياسة » . وان في هذه الصيغ لدليلاً على الاهمية المعترف لها بهـا والاهتمام الذي اعاره النظام المسائل التربوية ، « الجبهة الثالثة » ، « الجبهة التربوية » ، التي كانت موضوع احدى قصائد « مایاكوفسكي » . وارتبطت التربية ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع الذي اوجـدته الثورة ؛ فالانسان ليس لا صالحـاً ولا شريراً عند ولادته ؛ وهو المجتمع ما يكوّنه ويكون مسؤولاً في النهاية عما يلتهي اليه . يضاف الى ذلك من جهة ثانيـة ان تفاوت الاجور ، التي هي نسبية لكمية ونوعية العمل المؤدى ، لا يمكن الاعاضة منها الا اذا كانت هنالك « المساواة عند نقطة الانطلاق » ، اي الا اذا تمكن كافة الاولاد من تنمية معارفهم واستعداداتهم على قـدم المساواة . ولذلك اعلن الدستور ان « لمواطني اتحـاد الجمهوريات الاشتراكية الروسية الحق في التعليم » ؛ لهم الحق في ان يتعلموا بلغتهم الام، وهي الوسيلة الوحيدة لتأمين المساواة الفعليـة للقوميات ، ولاتاحـة بروز الكفاءات، ولتوزيع التعليم في اسرع وقت ممكن دونما اضطرار لتعلّم لغة اجنبية .

التعليم

تؤمن المساواة عند نقطة الانطلاق مدارس كثيرة جداً وسهولة دخول الجميع،في اي وقت ، الى التعليم العالي . فابواب المدرسة مفتوحة في كافة درجات التعليم ، وتتوفر تسهيلات عديـدة — ولا سيما التعليم بالمراسلة الذي استفـاد منه ٦ ملايين شخص في السنة ١٩٤٠ — للوصول الى المعاهد والكليات بأعداد كبرى عن غير طريق المدارس. فتقوم وحـدة التعليم من ثم في روح البرامج والكتب المدرسية الواحدة في كافة انحاء الاتحاد المستوحاة من التعليم الماركسي–اللينيني في تفسيرها للعالم والعلائق البشرية .

من بين اكثر النظريات التربوية بياناً ولفتاً للانتباه تلك التي طلـع بها « ماكارفكو » : كان مديراً لاصلاحيتي احـداث مجرمين ، فاستخلص من خبرته مذهباً تعليمياً في مؤلّفه المشهور ، «القصيدة التربوية» . لقد اقتنع ماكارفكو بان للبيئة الحسنة التنظيم تأثيراً فاعلاً قوياً على الفرد ، فـ « يبوسة طينة الولد كلام محال » ، وليس من اولاد مطبوعين على الجريمة ، واولاد يستحيـل اصلاحهم ، وهي الجماعة التي يكون منخرطاً فيهـا ما تكثّفه بالمنافسة التي تثيرها والرقابة التي تمارسها ، وهذا يفسر اهمية الجو العائلي الذي يصنع الولد على صورته . فالتربية تستهـدف تدريب الاولاد على ان يحلوا بانفسهم المسائـل التي تواجههم في الحياة اليومية ، وان يوافقوا بين الحرية الفردية والتقيد الضروري بموجبات الجماعة . ويشدّد ماكارفكو من ثم عـلى الصلة التي

يجب ان تقوم بين التربية والحياة . فعلى العائلة والمدرسة ومنظمات الشبيبة ان تضع نصب اعينها تحقيق تفتح الفرد ، اذ ان الوالدين لن يستطيعا الى ذلك سبيلا الا اذا فكروا ابداً بتأثير مثلهما على ولدهما . وعلى المربي ان يكون متطلباً جداً ، على ان يوفق في الوقت نفسه بين متطلباته وامكانات الولد . وكلما طلب من الولد بذل مجهود جديد ، شعر الولد بتعاظم الثقة الموضوعة فيه.

فنحن من ثم امام تربية تتنكر للنظام التقليدي الصارم ، لكنها تربية لا يعتريهـــا وهن ، « تتطلب ابداً اقصى ما يستطيع الولد اعطاءه ، ولكنها لا تضن بالابتهاجات التي غالباً ما يسع الولد اعدادها بنفسه » ، وتؤول الى « اقامه بفرح يسيطر على كافة مستويات وجوده» (هـ. فالرن) .

التعليم نظري وعملي ويشمل علوماً وفنوناً شتى، ويجمع بين العمل الفكري والعمل اليدوي. وهو علماني تتولاه الدولة التي تحدد التوجيهات العامة ، والزامي ومجاني في مـــدرسة السنوات السبع (التعليم الابتـــدائي و٣ سنوات من التعليم الالزامي) بين سن السابعة (بعد حديقـــة الاطفال) والرابعة عشرة . ويُلقن باللغة القومية ، على ان تعليم اللغة الروسيـــة الزامي . وتليه اما ٣ سنوات دراسة تنهي التعليم الوسيط الكامـــل في مدارس العشر سنوات ، واما التعليم المهني . ويقود كلا التعليمين ، بعد التقدم الى امتحان ، الى تعليم الدرجـــة الثالثة ، جامعات ومعاهد . وبعد ذلك يلتحق الراغبون في البحث العلمي او التعليم بدروس « المرشحين » (في السنة ١٩٤٠ بلغ عدد الطلاب في التعليم العالي ستماية وعشرين الف طالب) .

الثقافة الجديدة : الواقعية الاشتراكية

كانت الثورة قد تسببت في هجرة عدد من الكتاب والفنانين والعلماء ، ولكن الكثيرين الذين لم يهاجروا اسهموا في تجدّد الحياة الفكرية بعد الحرب الاهلية . فقد اتجه مجهود النظام الجديد ، منذ البدء ، الى انزال الثقافة الى مستوى الشعب بمكافحة الامية والجهل ، وبتعميم التعليم على كافـــة الطبقات ، وبتأسيس كليات عمل (رابفاك) تستقبل العمال وتوزع عليهم تعليماً سريعاً ، وبالاكثار من دور الكتب واعادة طبع المؤلفات الكلاسيكية الكبرى . وكانت النتيجة ان شغف المعرفة العظيم الذي سيطر على العمال وانتشار التعليم هذا لم يلبثا ان خلقا جمهوراً وفيراً اختلفت متطلباته كل الاختلاف عن متطلبات جمهور النظام القديم . وطالما بقيت الحكومة على الحياد بين النزعـات المختلفة والفئات الفنية والادبية التي تقاسمت الكتاب والفنانين . وكان معظم هؤلاء اتباعـــاً لمدرسة الرمزية او مدرسة المستقبل ، وانضم بعضهم ، من امثال مایاکوفسكي والرسام بونين ، بصراحة الى البلشفيكية ، ولكن كثيرين غيرهم بقوا منعزلين عن هـــذا الجمهور الجديد بفعل مناشئهم ونزعاتهم الادبيـــة ولغتهم المقفلة وفرديتهم . امـــا الـ (برولتكولت) ، او الثقافة الشعبية ، فقد استقطبت كتابا ماركسيين حاولوا خلق ادب بروليتاري .

في السنة ١٩٢٩ ، دعي الكتاب ، الاعضاء في الجمعية الروسية للكتاب البروليتاريين ، الى الاشتراك في معركة التخطيط ، وفي السنة ١٩٣٢ ، انضموا كلهم الى جمعية الكتاب السوفيات التي اسندت اليها مهمة « دعم قاعـــدة السلطة السوفياتية » والاشتراك في الصراع الى جانب

البروليتاريا بغية اعداد ادب اشتراكي .

بينما شدّد في التعليم على الماركسية والمادية الجدلية ، وبقي بعض المستقلين من امثال «فيدين» على وفائهم للأدب السيكولوجي ، اخذ الادب الجديد على عاتقه ، بحسب امنية لينين ، ان يصبح « مرآة وعي الامة » . وهكذا صدرت مؤلفات تأثرت تأثراً بعيداً بـ « غوركي » ، وانتسبت الى ما عرف بعد السنة ١٩٣٢ بـ « الواقعية الاشتراكية » التي ألفت مذهباً رسمياً حقيقياً . فأمام عظمة تطور المجتمع والانسان الذي شاهده الكاتب ، توجب على هذا الاخير تحليل الواقع وإظهار الانسان في حزبه وعمله ، وطرح المسائل الانسانية الناجمة عن كل ذلك ومساعدة القراء على حلها والتخلص مما يحملونه في انفسهم لمجاراة العالم المادي الآخذ في التطور. والادب الجديد واقعي لأنه يغوص في الواقع ويصف « الانسان من حيث هو عضو في المجتمع »، بعيداً عن عبادة الذات ، وعن « عذابات رجال الفكر المترددين » ، ولذلك فانه يلاشي ابتذال الحياة اليومية ويمجد البطل الفرد ، وبطولة الجماهير المغفلة التي تصارع وتقدم نفسها ضحية للدفاع عن الوطن او لبناء عالم جديد ، وكل من تتحول حياتهم الى معركة ضارية يشتركون فيها بكليتهم من اجل تحقيق الاشتراكية . هذه هي حال « فورمانوف » الذي يصف بطولة « تشاباييف » (١٩٢٣) المغوار ، وحال « الكسي تولستوي » في « الف وتسعماية وثمانية عشر» وحال « سيرافيموفيتش » في « السيل الحديدي » ، وحال « فادياف » في « الهزيمة » (١٩٢٧)، وحال ايفانوف (« الانصار » ، « القطار المصفح رقم ١٤ – ٦٩ ») ، وحال «ماياكوفسكي» الذي اصبح بفضل قصائده النضالية («مائة وخمسون مليوناً»)وشعره الغنائي، «الشاعر الحامي عن حقوق الشعب » بالذات. وهذه حال « نقولا اوستروفسكي » الذي تظهر رواية سيرة حياته بخط يده ، « وسُقِيَ الفولاذ » (١٩٣٢) ، ما هي حياة التضحية التي يعيشها احد اعضاء الحزب . وتبرز مأساة انحلال المجتمع القديم ونشأة اخلاق جديدة في المصنع والعمل ، في كتاب « الاسمنت » (١٩٢٥) لـ « غلادكوف » ، ومأساة ملاشاة الكولاك وتأميم الاراضي في « الاراضي العذراء » (١٩٣٦) لـ« شولوكوف » الذي وصف كذلك الحزب الاهلية عند قوزاق الـ « دون » في « الدون الهادي » . ووصف كاتاييف تأسيس وحدة ماغنيتوغورسك الصناعية ، هو الاهتمام باعطاء الجماهير الشغفة بالمعرفة والتعليم فناً وادباً يسهل تمثلها ولا يبتعدان عن التقاليد القديمة ما يفسر كذلك المجادلات الكتابية المتكررة التي تناولت الادب المقفل والفن المجرد والموسيقى المسيرة : مهاجمة طابع التمسك المفرط بالشكليات في فن « بيكاسو » او فن « ماتيس » ، ومهاجمة بعض مؤلفات « بروكوفياف » و« شوستاكوفيتش » ، ثم التخلي ، بعد السنة ١٩٢٨ ، عن قوانين هندسة العمارة العصرية التي حظيت بمزيد من التقدير والعطف في السنوات الأولى للثورة، والعودة الى نمط كلاسيكي– جديد عادم الرشاقة وعلى شيء من الابتذال.

انما انتج الفن الجديد اشهر روائعه في الموسيقى والسينما بفضل « سرج بروكوفياف » و« ديمتري شوستاكوفيتش » و« ارام خاتشادوريان » و« ديمتري قبلفسكي » .

كان لينين قـــد كتب ما يلي : « السينما » اعظم الفنون شأناً في نظرنا » ؛ فقد بـــذل الاختصاصيون مجهوداً كبيراً لكي يجعلوا منها الفن الشعبي بالذات . فحرصوا في الدرجة الاولى على ان يبعدوا عنها كل ما ليس طبيعياً ، فكانت مدرسة الـ « كينو غلاز » (السينما العين) التي رفضت كل اخراج وابتغت ، قبل اي شيء آخر ، تصوير الحياة على حين غرة ، « مباغتـــة الانسان في وسطه الاجتماعي وفي حياته » . وكان لهـذه النظرية تأثير كبير على كافة العاملين في حقل السينما بلفتها الانتباه الى اهمية اختيار وجمع المشاهد واستنادها الى الواقع . وقـد تميز في هذه السينما غير الناطقة اربعة مبتكرين عظام : « ايزنستاين » الذي حقق الرائعة السينمائيـــة السوفياتية الاولى في « المدرعة بوتمكين » ، وبودوفكين الذي انتـج « الام » المقتبسة عن رواية غوركي ، « نهاية سان بطرسبرغ » ، و« عاصفة على آسيا » ، الفيلمين الاجتماعيين اللذين يتوصل فيهما الابطال شيئاً فشيئـــاً الى « رؤية واجبات الطبقة التي ينتسبون اليها رؤية واضحـــة » ، و« دوفجنكو » في « الارض » ، و« فرتوف » الذي انتج ، في اوائل عهـــد السينما الناطقة ، رائعته « اغاني لينين الثلاث » . وبعد هذه الفترة الاولى التي سيطرت فيها السينما السوفياتية على كافة السينمات الاخرى ، كانت السنوات الاولى للسينما الناطقة سنوات جمود وجدب ، الى ان حدثت في السنة ١٩٣٤ ، بفضل المبتكرين الاخوين فاسيلياف ، مخرجي « تشاباييف » ، فيلم الحرب الاهلية ، نهضة غاية في التألق كرسهـــا انتاج الافلام التاريخية : « بطرس الاكبر» لـ « بتروف » ، و« اسكندر نوسكي » لايزنستاين .

القضاء

ان المبادىء نفسهـا التي استوحيت في التعليم استوحيت في ادارة القضـــاء (باستثناء الجرائم السياسية) الذي يسمو عليه الى حد بعيد في الدول الاخرى بمفهومه الواقعي والانساني .

فقد اظهرت الدراسة التي قام بها « هارولد ج. برمان » حول القرارات المتخـذة في المحاكم السوفياتية ، طابع الابوة والحماية الذي يرتديه القانون السوفياتي. وقد يشبه جو محاكمة جنائية سوفياتية – بحسب المؤلف الذي هو اميركي – جو محاكم الاحداث الاميركية ، كما قـد يشبه جو محكمة مدنية جو محاكم المصالحة العائلية . ومرد ذلك الى ان القانون يعتبر الجريمة وكأنهـا صورة البيئة الاقتصادية التي حدثت فيها: فالمجرم من ثم ضحية المجتمع اكثر منه عدوه ،والسجن يجب ان يكون مكان تربية جديـــدة لا مكان عقاب . وهذه الاراء ، التي لم تكن خاصـــة بالحقوقيين السوفيات والتي بشّر بها القاضي براندس في الولايات المتحدة ، هي ما عمل بها في نظام المحاكم الجزائية والاصلاحيات . والمقصود في الدرجة الاولى هو اعادة تربية المحكوم عليهم ، و« تبديل طبيعتهم ، بحسب تعبير غوركي ، وتنمية الخصال التي تتسم بقيمة اجتماعية عنـــد الافراد » . وتتحقق اعادة التربية هذه بفضـــل اسهام المحكوم عليهم اسهاماً ناشطاً في الاعمال المفيدة اجتماعياً ولا سيما اعمـــال الانتاج الوفير التي تساعدهم من جهـــة على فهم الاساليب الاشتراكية في تنظيم العمل (المنافسة الاشتراكية ، الدعاوة التقنيـــة ، النقاش حول الانتاج)

وتوفر لهم من جهة ثانية تربية مهنية تعدهم لاحتلال مركز مفيد في المجتمع بعد الخروج من السجن،

يذكر القانون الجزائي ثلاثة اشكال « للعمل الاصلاحي» (حل هذا التعبير محل تعبير العمل الشاق في السنة ١٩٣٣) : عمل دون حرمان الحرية ، عمل مع تحديد الاقامة ، عمل مع حرمان الحرية في معسكرات العمل . وتنطبق العقوبة الاولى على الاحكام التي لا تتعدى السنة وتنفذ على العموم في مكان العمل العادي او في دائرة محددة الشعاع بالنسبة لمركز الاقامة . وتنفذ عقوبة الاحكام المتراوحة بين سنة وثلاث سنوات في « مراكز الاعتقال العادية » او في معسكرات العمل ، والعقوبة التي تتعدى ثلاث سنوات في معسكر عمل اصلاحي يقوم في منطقة بعيدة من مناطق اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ؛ وهناك اخيراً « تحديد اقامة مع عمل اصلاحي » لعزل المحكوم عليه عن بيئته السابقة . ويتقاضى المحكوم عليهم الاجر نفسه الذي يتقاضاه العمال التعاقديون المساوون لهم جدارة وكفاءة وانما يحتفظ لهم بنسبة ٥ الى ١٥٪ من هذا الاجر ، ويخضعون لشروط العمل نفسها .

٣ ـ الديموقراطية الحرة والديموقراطية السوفياتية

الرأي الحر والنظام السوفياتي

كان من نتيجة انقسام العالم الى معسكرين انقسام الرأي ايضاً بحيث لم يبق على الحياد سوى نزر قليل من الناس امام المؤسسات السوفياتية والنظام السوفياتي ؛ وغمضت المجادلات ما قد نتوصل اليه من معرفة بها وما قد نعطيه من تفسير لها ، الا ان مؤلفات علماء الاقتصاد والحقوقيين واصحاب النظريات في العلوم السياسية ، على اختلاف اتجاهاتهم ، تتيح استخلاص مميزاتها النوعية الاساسية .

هو مفهوم « الحرية » ما تدور حوله الانتقادات الموجهة للنظام السوفياتي .

بتأسيسه الحزب الواحد ، الذي يسيطر عليه رجل واحد لا يتميز عن الدولة التي يمسك هو بمراكزها الحساسة ، ويستحيل انتقاد سياسته العامة ، وينحصر فيه حق تقديم المرشحين لانتخابات قد يعتبر الامتناع عن التصويت فيها اعلان معارضة ، ويحتكر كافة وسائل التعبير والدعاوة ، وتؤول فيه المجالس الى مجرد مجالس للتسجيل ، لم يترك النظام السوفياتي لمواطنيه سوى حرية ظاهرية وصورية ، بحيث ان الديموقراطية ليست سوى خديعة . وليست الحرية الفكرية والادبية ما قضي عليها من ثم فحسب ، بل الحياة المادية نفسها التي تعرضت للخطر بفعل ملء سلطة الدولة السوفياتية ، المالكة الوحيدة والمنتجة الوحيدة والموزعة الوحيدة للمواد الاستهلاكية . وبالفعل زادت اشتراكية وسائل الانتاج من قوة الدولة زيادة عظمى ، وجعل منها تخطيط الاقتصاد سيدة حياة كافة سكان الاتحاد . وحتى في الحقل الزراعي ، الذي ابقي فيه على « قطاع حر » ، وانعم فيه على المزارع الجماعية « بالتمتع تمتعاً دائماً » بالارض التي تستثمرها ، توفرت للدولة وسيلة تأثير غير مباشرة وحاسمة على الفلاحين ، لان الجرارات

والمعدات الآلية الضرورية الاخرى بقيت ملكاً لها ، وكانت هي التي تحدّد شروط استعمالها في التعاونيات الزراعية . وجملة القول ان «كسب المعيشة منوط بالرأي المستقيم» . لا بل ان أهمية دور الشرطة ، وقوتها ووسائل عملها ، وتمثيل كل معارض بـ « عدو الشعب » ، قد خلقت هلماً حقيقياً ، شبيهاً به في البلدان الفاشستية ، بضع النظام السوفياتي في عداد الانظمة الاستبدادية . فالمواطن ليس حراً ، وكرامته تمتهن في كل وقت لانه اصبح آلة في ايدي سلطة تضحي به دونما اية مراعاة للروح الانسانية الاولية ، ولا يتمتع باية حرية من الحريات المعتبرة ضرورية ، ولا سيما حرية الاجتماع والصحافة والقول ، الخ .

النظـــام السوفياتي والفاشستية

ان تمثيل النظام السوفياتي بالانظمة الفاشستية على هـذه الصورة يعارضه العديد من اصحاب النظريات في العلوم السياسية . ففي الدرجة الأولى ، كما اثبت ذلك « دوفرجيه » ، تختلف مصادر وحيها الفلسفي اختلافاً اساسياً . فالماركسية تبدو وكأنها مذهب عقـلي وعلمي يرتبط بفلسفة الانوار والايمان بالتقدم . وهي تعلم ان الانسان ، اذا هو لا يولد لا صالحاً ولا شريراً ، يستطيع ان يتحسن بزوال النظام الرأسمالي ، وان الغد سوف يصبح ، بفضل قيام الاشتراكية ، افضل من اليوم ، ولا سيما افضل من الامس . وفلسفتها متلاحمة الاجزاء ، تعطي « تفسيراً شاملاً ومتناسقاً للكون » يحمل على التفاؤل حقاً . اما فلسفة الفاشستية فتشاؤمية . العصر الذهبي قـــد ولى ، والانسان المطبوع على الشر يجب ان يخضع لرؤساء لا يطلب منهم تأدية حساب للجماهير المحتقرة والعاجزة ، التي يتوجب عليها الامتثال للمقررات المتخذة دون ارادتها. فامام التعاليم الفاشستية التي تستند الى الابتغاءات الغريزية المخالفة الصواب التي هي ارستوقراطية في جوهرها ، نرى ان النظام الشيوعي صوابي ومحب للمساواة في مبادئه وفي اهدافه .

اما تركيب الحزب الواحـــد فينطوي على خلافات جوهرية . فاذا استعانت الاحزاب الفاشستية بالطبقات الشعبية ، خلال فترة الاستيلاء على السلطة ، واذا هي افلحت في ضم جماهير عمالية وقروية هامة ، فان سياستها تكون محافظة بعد استلام زمـــام السلطة ، وقد استندت اكثر فاكثر ، في الدرجة الاولى ، الى الطبقات المتوسطة والغنية . ثم ان انتخاب المسؤولين ، في حياة الحزب الداخلية ، قاعدة قانونية في الحزب الشيوعي ، بينما يعين المسؤولون في الاحزاب الفاشستية من قبل السلطة العليا . اما دور خلايا الحزب ، فبينما هو ازداد شأناً في الاتحـــاد السوفياتي الى جانب الدولة وفي داخلها ، وازداد النقاش فيها حدّة ، نرى ان تأثير الجماعات الحزبية المنظمة في ايطاليا والمانيا قد تضاءل بسرعة كلية .

ونرى أخيراً ان الاختلاف عظيم جداً في اختيار اعضاء الحزب ايضاً . فقد وقفت الاحزاب الفاشستية موقفاً حذراً من اللامبالين والعادمي النشاط الذين لم يلتحقوا بها قبل استلام السلطة ، ورفضت كل طلب انضواء جديد (في السنة ١٩٢٥ في ايطاليا ، وبعد السنة ١٩٣٣ في المانيا) ، باستثناء انضواء الشبان الذين كانت تعدّهم في جماعات الـ «باليلا» والطلائع والـ «هتلر جوجند» .

اما الحزب الشيوعي السوفياتي فقد محض المواطنين ثقته وفتح ذراعيه لا للكومسومول فحسب، بل لكل مواطن تتوفر فيه شروط تقديم الطلب والتمرس التي خففت تخفيفاً مستمراً، لا سيما في السنة ١٩٣٩. لذلك ابتعدت الاحزاب الفاشستية عن الامة والفت طبقة مقفلة ذات امتيازات، بينما وسع الحزب الشيوعي يوماً بعد يوم عملية اختيار خاصته. ويرد ذلك الى ان دور الحزب قد نُظر اليه نظرة مختلفة في كل من النظامين. ففي البلدان الفاشستية، تسلم النظام السلطة بفضل ردة فعل الطبقات المتوسطة والبورجوازية امام خطر البروليتاريا. وعلى الرغم من ان الكلام تناول « الثورة المستمرة » احياناً، فان وظيفته كانت وظيفة محافظة حقاً. والغاية المنشودة هي تمكين التركيب الاقتصادي والاجتماعي الراهن، والابقاء عليه بعد اصلاحه. وعلى الحزب ان يراعي المصالح الكبرى والجيش الذي تنخرط فيه جماهيره المنظمة والمسلحة. ويفسر هذا التطور الرجعي سرعة التنفيذ، وطرد او تقتيل العناصر البروليتارية وانصار « ثورة ثانية » محتملة. اما في الاتحاد السوفياتي فوظيفة الحزب هي المساعدة على تطوير المجتمع والاقتصاد والحؤول دون التوقف والجمود بشحذ العزائم ومقاومة التبارد واللامبالاة وشرح الحاجة الى الاصلاحات والتضحيات. وعلى الرغم من ان الدستور السوفياتي لم يخص الحزب الشيوعي بمركز كبير فان دوره قد تعاظم يوماً بعد يوم، والانتماء اليه قد سهّل تسهيلاً مستمراً.

يفسر هذا الاختلاف كذلك طابع السياسة الخارجية في كل من النظامين. فبينما رفض الحزب الفاشستي تحقيق تطور داخلي ووجه الطاقات القومية شطر الفتوحات الخارجية ولم يحافظ على النظام الا بسياسة نفوذ لحتها الاستفزازات وسداها اعمال القوة، استخدم النظام السوفياتي كافة موارده وطاقاته في تطوير المجتمع والاقتصاد وانتهج سياسة مسالمة لأنه كان بحاجة الى الهدوء لتحقيق هذا التطوير. اضف الى ذلك اخيراً ان الدكتاتورية السوفياتية لم تظهر يوماً بمظهر نظام سياسي نهائي يحل، « لمدة الف سنة »، محل الديموقراطية الفاسدة. فهي وسيلة لا غاية، وقد صرحت بانها انتقالية ومعدة للتواري حين تزول الاخطار الداخلية والخارجية، وحين ينهي النظام مرحلة الاشتراكية الحالية التي هي « طور الشيوعية الادنى » ويدخل « طوره الاعلى » الذي تتلاشى فيه الدولة وتنتهي الى الزوال.

الديموقراطية السوفياتية

هل ان النظام السوفياتي « مثال الديموقراطية الحقة » ام انه « دكتاتورية لا وجود للحرية فيها «في الحقول الهامة » ؟ ان السيد « فيديل »، بعد تحليله المستفيض لحجج الخصوم والانصار قد خلص الى القول :

« من العبث البحث في مفهوم الديموقراطية بالذات عن المقياس الذي يتيح اصدار الحكم في الرأيين المتقابلين. فكلاهما صحيح من وجهة نظر الديموقراطية فقط. وكلاهما يتولد عن الاندفاع نحو الحرية الذي هو المعنى العميق لكل ابتغاء ديموقراطي ».

واضاف الى ذلك قوله :

« ان ثنويتها وتضادهما يعزيان كلياً الى ثنوية مفاهيم العالم التي تتكسران عبرها ... وان مقياس صحتها او

بطلانهما ... يفتح الباب امام فلسفة اساسية ومذهب يتناولان الكون » .

يمكن ان نجد ايضاح المعنى السوفياتي لكلمة الديموقراطية في شرح ستـــالين لدستور السنة ١٩٣٦ :

« ما هي الديموقراطية ؟ ان الديموقراطية في البلدان الرأسمالية ، حيث توجد طبقات متخاصمة ، هي بالاختصار ديموقراطية الاقوياء ، وديموقراطية الاقلية الحاكمة . اما في الاتحاد السوفياتي فالديموقراطية هي ديموقراطية العمال ، اي ديموقراطية الجميع » .

وفي شرح احد الحقوقيين السوفيات :

« ان البلاد التي يبطل فيها استثمار الانسان للانسان ؛ والتي تتوفر فيها المساواة السياسية، والاقتصادية ايضاً، لكافة المواطنين ؛ والتي لا تعلن فيها الحريات الديموقراطية رسمياً او قانوناً فحسب ، بل تؤمن عملياً بالظروف المادية للحياة الاجتماعية ؛ والتي ليست مساواة الشعوب فيها كلمة كاذبة ولا تزول فيها صداقتها ، ان هذه البلاد قد قطعت لعمري شوطاً بعيداً على طريق الديموقراطية . فالديموقراطية قبل ان تكون مبدأ سياسياً من مبـــادىء الحكم هي نظام اقتصادي اجتماعي يحدد واقع النظام السياسي ، ولا يمكن ان تتميز الديموقراطية الا في مجتمع خال من الطبقات يوجد وحده ظروف تفتح الفرد » .

تظهر هذه النصوص ان الاتحاد السوفياتي يشدد على « الشروط الموضوعية للحريـــة » . ويلقي بعض الضوء عليها الحديث الذي نقـــله « وندل ولكي » المنافس الجمهوري الفاشل لـ « ف. د. روزفلت » . فهو قد لفت في السنة ١٩٤١ نظر رئيس مصلحة في احد المصانع السوفياتية الى انه لا يمكن ان يكون حراً حقاً ما دام يعترف بانـه لا يستطيع لا التعبير ولا الدفاع عن آراء غير آراء الحكومة ، فسمع منه الجواب التالي :

« انك لا تفهم مني ، ايها السيد ولكي . انا اتمتع بحرية لم يعرفها ابي وجدي قط . فلم يسمح لهما بتعلم القراءة والكتابة . وكانا عبدين مرتبطين بالارض . وحين كانا يصابان بمرض لم يكن هناك مستشفى للاعتنـــاء بهما . انا اول شخص في سلسلة جدودي الطويلة استطاع التعلم والتقدم والوصول الى نتيجة ما . هـذه هي حريتي . ولعلك لن تعترف بأنها الحرية . ولكن يجب ألا تنسى اننا ما زلنا في اول عهد نظامنا . فسوف يأتي يوم نتمتع فيه نحن ايضاً بالحرية السياسية » .

وكما يلاحظ « م. س. ستلنغ — ميشو » ، الذي ننقل عنه هذه النصوص ، ان « الحرية » ، في نظر السوفيات ، تقوم في جوهرها في الانعتاق الاقتصادي والاجتماعي ، في « التحرر من الاستثمار » . وهكذا فان المسكرين يقصدان خدمة حرية الانسان ولكنهما ينفذان قصدهما بطريقتين مختلفتين . فبزوال الطبقات زال مبرر تعدد الاحزاب ، اذ ان زوال كل مصلحة طبقية يستتبـع آلياً زوال الخلافات السياسية . ولذلـك لا تشمل حرية تأسيس الشركات الاحزاب السياسية ولا تتعلق الا بالمؤسسات الاجتماعية . وكذلك فان حرية الرأي واقع راهن ، ولكنها لا تبرز بقيام الاحزاب السياسية . ان المناقشة حامية في داخـــل الحزب وحول المسائل التي يواجهها نشاط الحزب . وانما تنتقد ادارة الحكام والموظفين في خـلايا المشاريـع والنقابات والصحف ، وطبيعي في النهاية ان تنصاع الاقليـة لقرار الاكثرية كما هي الحـــال في كافة

الديموقراطيات الاخرى . اضف الى ذلك من جهة ثانية ان الديموقراطية موجودة هنا في نطاق هي غريبة عنه في البلاد الرأسمالية : في التعاونيات الزراعية ، في المصنع ، حيث لا يتولى ادارة المشروع مالك واحد حر التصرف في عمله وقادر على ايقاف استثماره وحتى اقفاله اذا استصوب ذلك . والرقابة العمالية هنا رقابة فعلية وتمارس في كل آن ، لا سيما وان انتفاء مفهوم الكسب يسهّل البحث عن الخير العام ؛ فيصبح الاضراب في مثل هذا التنظيم امراً غير وارد لا يمكن تصوره . وهو هذا المبدأ نفسه ما وضع في ايدي الدولة كل اجهزة الدعاوة : التعليم ، والكتب ، والصحافة ، والسينما ، والاذاعة ، التي تشرف عليها ، في البلدان الرأسمالية ، الصوالح الخاصة سيدة الاقتصاد .

فهل ان النظام السوفياتي كما كتب « هـ. لاسكي » ، ليس سوى مجتمع ديموقراطي تحكمه دكتاتورية ؟ على هذا السؤال يجيب انصاره ان الدكتاتورية كانت ولا تزال حاجة ملحة . افلا يعترف فلاسفة الديموقراطية باستحالة تجنب فترة تكون فيها الدكتاتورية امراً ضرورياً ؟ وقد شدد « جون مولتون موري » على :

« ان اشتراكية مصادرة الاملاك الشاملة والحكومة البرلمانية ... امران متناقضان لسبب بسيط هو ان التبدلات في النظام الاجتماعي ترتدي طابعاً من الصرامة لا نستطيع معه ، من الوجهة البشرية ، توقع تسليم الاكثرية بها ، حتى اذا جمعت مثل هذه الاشتراكية حولها اكثرية برلمانية » .

ويلاحظ « ف. غوغيل » :

« ان الديموقراطية لم تقم في اي مكان ... حتى في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة، بدون منازعات وبدون اقصاء بعض الفئات الاجتماعية عن الحياة السياسية اقصاء مؤقتاً على الاقل » .

كان من شأن حرية النقابات والاضراب من اجل تحسين الاجور كلما تزايد الانتاج ان يعرضها للخطر تنفيذ الخطط الخمسية ، ولا سيما تقديم الصناعة الثقيلة على المواد الاستهلاكية ، اي المستقبل كله .

النظام « متلاحم ومتماسك منطقياً انطلاقاً من المقدمات الماركسية » ، كما يلاحظ ذلك حقوقي آخر ، هو « مارسيل والين » ، الذي يضيف الى ذلك قوله: « من الصعب عدم الاعتراف بان الماركسي قد يكون حسن النية عندما يدعي بانه ديموقراطي » . فالمسألة تتناول في النهاية مفهوم العالم في نظرنا ، والماركسية تقترح ، في وجه المذاهب الحرة ، مذهباً كاملاً يستطيع ، كما يعتقد ممثلوها ، حل « كافة المناقضات بين كل شخص والاشخاص الآخرين، بين الفرد والمجتمع، ويكون اتحاداً في الحق والسعادة » .

« قد تنفي الديموقراطية الماركسية عن نفسها صفة احتكار السلطة، لان احتكار السلطة هو استعباد الانسان للاهواء والصوالح الخاصة . ولكن المجتمع الماركسي احتكاري حقاً لان شيئاً مما هو انساني ليس غريباً عنه . انه تفسير كامل وحي للانسان والعالم » . (ج. فيديل) .

٤ – قوة النظام والمعارضة

تحقق تدعيم النظام بفضل احراز الاقتصاد الجديد نجاحات شامـــلة اتاحت تحسن مستوى معيشة المواطنين تحسناً تدريجياً ، وبفضل جمع كافة السلطات في ايدي الحزب الواحد والحكومة التي لا يتميز الحزب عنها والتي توفرت لها كافة الوسائل اللازمة لمراقبة كل نشاط عـدائي وقمعه بصرامة . وتحقق كذلك بفضل انتهاج سياسة كريمة حيال القوميات ازالت كافة آثار النظـام القديم الاستعماري بتأمينها المساواة الفعلية بين الحاكمين القدماء والمحكومين القدمـاء . ولكن هذه العوامل ما كانت لتخلق امة سوفياتية وتضمن المستقبل لو لم تشترك معها عوامل اخرى ، وبخاصة التوجيه الماركسي اللينيني في التعليم والصحافة والاذاعة والسينما ، ودأب هذه الاجهزة على استمالة السكان الى النظام وعلى اقناعهم بانهم يعيشون في ظل نظام اكثر موافقة من النظام القديم ، مهما كانت الاخطاء وخيبات الامل الناجمة عنها ، وعلى حملهم على الدفاع عنه ضـــد الهجمات الداخلية والخارجية ووعدهم بمستقبل افضل اكيد .

الانسان الجديد

ابتدع النظام البلشفيكي انساناً جديداً . فعلى غرار الثورة الفرنسية من ذي قبل ، فتحت الثورة الروسية ، بتوسيعها قواعد المجتمع ، حقل عمل فسيحاً وغير مُؤمّل امام المواهب والقابليات. وحررت الطاقات الجديدة ، المهملة والمكبوتة حتى ذاك التاريخ ، الكامنة في شعب يجـــاوز المائة مليون نسمة عدداً ، والمؤلفة احتياطياً كبيراً من « الاهليات لكافة المهام الممكنة » . فليس زعمـــاء الثورة ، لينين وتروتسكي وستالين ومولوتوف ... وحدهم من كان مقدراً لهم بدونها ان يبقوا « منفيين حزانى » او « متآمرين مغمورين » ، ومن كشفت الظروف كفاءاتهم القيادية ، او قـادة الجيش والضباط الادنون وصفوف الضباط والجنود العاديون والعمال ، الذين اصبحوا في وقت قصير قادة الجيش الاحمر الشبان ، بل عدد كبير من الافراد الموزعين على كافة انحاء البلاد الذين « اكتشفوا قدرتهم على النشاط الخلاق الذي لم تسمح الظروف السابقة بافتراض وجوده ... فمنذ السنة ١٩١٧ ، ربما لم توجد قرية واحدة في الاتحاد السوفياتي لم تنتج ، في اطار حاجاتها الخاصة ، احـــد امثال «هامبدن» القادرين على الاهابة بهـــا الى بذل جهود لم تكن تتصور قدرتها عليها من ذي قبل» (هـ. لاسكي) .

ان الانسان السوفياتي الجديد ، المختلف كل الاختلاف عن الفلاح الروسي القديم ، قد تكوّن في اثناء معارك الحرب الاهلية والتدخل الاجنبي ، وخلال سنوات الجهود الطويلة التي فرضتهـا اعادة اعمار البلاد وتحقق الخطط الخمسية . واتجهت التربية التي اكتسبها بفضـــل المدرسة والكومسومول والجيش الاحمر والصحافة والسينما والاذاعة والادب الى تنمية الشعور فيه بان « المجتمع الجديد لا يمكن ان يبنى الا باتحاد كافة طاقات الشعب الحية » ، وبان «نعمى الانسان

الشخصية مرتبطة بالازدهار الاجتماعي ، وبان الشخص لا يستطيع الافادة افادة كلية من قابلياته المختلفة الا في المجتمع فقط » .

منذ السنة ١٩٣٦ ، تألفت اكثرية الشعب السوفياتي من اناس لم يعرفوا قط النظام القديم أو لم يحفظوا عنه سوى ذكرى بعيدة ، وترعرعت في هذا الجو الحماسي الذي خلقتـــه الثورة ، مقتنعة بان الحياة الجديدة لن تكون الا اكثر جمالاً يوماً بعد يوم واوفر ارضاء يوماً بعد يوم ، ولم يثر المستقبل مخاوفها ، ولا سيما من زيادة الانتاج ، لانها على يقـــين بان المستقبل سوف يكون افضل سنة بعد سنة . وسيظهر الاثر العميق للتربية الاخلاقية السوفياتية هـــذه في الحرب ضد المانيا وفي سنوات اعادة بناء البلاد الصعبة .

الجيش الأحمر

بغية مواجهة الحرب الأهلية والتدخل الاجنبي ، توجب على النظـــام الجديد انشاء جيش مخلص وقوي . وكان عليه ، في هـــذه المهمة ، ان يتغلب على الصعوبات نفسها التي قامت في وجـــه الثورة الفرنسية . ففي شهر تشرين الاول من السنة ١٩١٧ ، حلّ محـل الجيش القديم ، السائر بخطى سريعـــة في طريق الانحلال ، جيش اشتراكي اختير افراده عـن طريق التطوع : « جيش العمال والفلاحـــين الاحمر » المؤلف من « عناصر الطبقات المجدّة والمنظمة ، المتأثرة اكثر من غيرها بالروح الطبقية » . فجاءت النتائج مخيبة للآمال ، ان لجهة عدد المتطوعين (اقل من ٣٠٠ ٠٠٠ في شهر ايار من السنـة ١٩١٨) ، وان لجهة الانضباط . لذلك ادخل تروتسكي اصلاحات حازمة منذ شهر اذار من السنة ١٩١٨ : انشاء سلطة عسكرية مركزية ، خدمة عسكرية الزامية وقيد اسماء الشبان البالغين سن الخدمة العسكرية ما بين السنة ١٩٢١ والسنة ١٩٢٥ في المناطق الغربية الـتي يهددها الجيش الابيض . وأبطل انتخاب الضباط منذ صيف السنة ١٩١٨ ، وانزلت عقوبات صارمة بالفارين والمتمردين. واخيراً بذلت جهود كبرى لاستخدام قادة الجيش القيصري القديم ريـــثما يتوفر للجيش الاحمر اعداد ضباط يمحضهم ثقته الكاملة . الا ان الحكومة ، التي لم تفاتر دقيقة واحدة باخلاص هؤلاء الضباط ، عينت في مختلف الوحدات مفوضين يمثلون النظام رغبة منهـــا في استدراك الخيانات واعمال التخريب ، وتربية المجندين الجدد تربية سياسية . واسندت ادارة العمليات الحربيـــة للقيادة ؛ ولكن الاوامر والتقارير يجب ان تحمـــل توقيع المفوض . واستدعي كذلك صفوف ضباط الجيش القديم (٢١٥٠٠٠) الذين رفعوا الى رتب ضباط ، وانشئت مراكز تدريب تعلم، خلال اشهر معدودة ، ضباط الغد المنحدرين من عائلات عمالية قروية. فارتفعت نسبة الشيوعيين بين الضباط من ٥٤ ٪ في السنة ١٩١٩ الى ٦٥٪ في السنة ١٩٢١ ، وضمت الى الوحـــدات ، ولا سيما وحدات الاصطدام ، فرق جديدة هامة من المجندين الشيوعيين . وهي هـــذه الوحدات، مع المفوضين والضباط الشيوعيين ، ما الفت ، بحسب تعبير تروتسكي ، « طائفة شيوعية جديدة من السامورايي، خرقت ، بدون اي امتياز طبقي ، كيف تموت وعلمت الآخرين كيف يموتون من اجل قضية الطبقة العمالية » . وحـــين قضى البلشفيك ، في ربيع السنة ١٩٢١ ، على الجيوش

البيضاء وارغموا الحلفاء على الانسحاب ، كان قد برز جيل جديد من القادة العسكريين المحنكين ضم ضباطاً قدماء (شابو شنيكوف ، كامنيف ، توكاتشفسكي) او صفوف ضباط قدمـــاء (فوروشيلوف ، تيموشنكو ، بلوشر ، بوديَنّي ، ايجوروف) ، او مدنيين (فرونزيه) . اما الضباط المنحدرون من اصل قروي وعمالي ، الذين اتوا اعمالاً بطولية خلال الحرب الأهلية ، فقد حصلوا في الاكاديميات العسكرية الدروس التي اتاحت لهم بلوغ الرتب العليا ، ولم يبق في الخدمة ، في السنة ١٩٣٠ ، سوى عدة مئات من ضباط الجيش القديم (١٠٪ من الضباط مقابل ٧٨٪ في السنة ١٩١٨) ؛ وفي السنة ١٩٣١ كان ٥١٪ من الضباط اعضاء في الحزب الشيوعي . وارتفعت هذه النسبة الى ٦٨٫٣٪ في السنة ١٩٣٤ . ومنـذ السنة ١٩٢٨ ، كانت هـــذه حال ٥٣٫٦٪ من قادة الفرق ، و ٧١٫٩٪ من قادة الفيالق و ١٠٠٪ من قادة الجيوش . وقـد قلل تزايد العنصر الامين هذا في المراتب العليا من شأن دور المفوضين الذي انحصر في تربية المجندين السياسية والمعنوية . ولكن سلطتهم توسعت مجدداً في اعقاب عملية تطهير كبار الضباط ، التي اجريت في السنـــة ١٩٣٧ ، ورفتّع في الوقت نفسه ضباط الصف الثـــاني ، الاوفياء للحزب والواقفون على التقنيات العصرية ، الذين احتلوا المراكز الشاغرة الهامة .

الشرطـــة والقضاء السياسي

كانت الحكومة السوفياتية ، وهي حكومة ثورية تحدق بهـا الاخطار من الداخل والخارج على السواء ، اعجز من ان تستمر وتنتصر بدون دكتاتورية ، وكانت هذه اعجز من ان تقوم بعمل مجد بدون مساعدة شرطة ناشطة تمارس رقابتها في كافة الاوساط وفي كافة انحاء البلاد . وهو ستالين من شرح هذا الوضع ، في السنة ١٩٢٧ ، لوفد من العمال الاجانب :

« نحن بلاد تحيط بها الدول الرأسمالية . واعـــداء ثورتنا في الداخل هم عملاء رأسماليي كافة البلدان ... ، بمحاربتهم لمحارب العناصر الرجعية في كافة البلدان ... ، وما دام هنـــاك تطويق رأسمالي ، فسوف يكون هنـاك مخربون ومنفذو اعمال جانبية وجواسيس وارهابيون آتون من وراء حدود الاتحاد السوفياتي لخدمة دوائر التجسس في الدول الأجنبيـة ... لا ، ايهـــا الرفاق ، يجب الا ترتكب الاخطاء التي ارتكبها الثوار الباريسيون في السنة ١٨٧١ . ان جهاز الشرطة السياسية في الدولة ضروري للثورة وسوف تبقى عليه لارهاب اعداء البروليتاريا » .

نظم جهاز الشرطة السياسية (*G.P.U.* ، ثم *O.G.P.U.* ، ثم *N.K.V.D.* — اي مفوضية الشعب للشؤون الخارجية — فيالسنة ١٩٣٤) في السنة ١٩٢٢ في اعقاب الثورة الاهلية ، ومارس نشاطه في اثناء السياسة الاقتصادية الجديدة ضد انصار النظام القديم وممثلي الطبقات الحاكمـــة القديمة ، وضد « السياسيين » : المنشفيك ، والاشتراكيون الثوريون ، والفوضويون . وعند البدء بتنفيذ الخطط الخمسية ، تناول نشاطه المحتكرين والكولاك وكافة مقيمي العقبـــات في طريق التصنيع والمنسوب اليهم « تخريب » الانتـــاج : كاختصاصيي الصناعات الغذائية الـ ٤٨ الذين ادينوا في خريف سنة ١٩٣٠ ، ومهندسي « الحزب الصناعي » في موسكو الذين حـــوكموا في شهر كانون الاول وعفي عنهم في السنة التاليـــة . وحتى اوائل السنة ١٩٣٥ انزلت العقوبات

الصارمة : كالحكم بالموت الذي ابقي عليه في الشؤون السياسية ، والنفي الى معسكرات المناطق المتجمدة وسيبيريا ، بمناهضي الثورة من محتكرين وكولاك بصورة خاصة ؛ امـــا المعارضون الخارجون من صفوف الحزب فقد استفادوا من قانون غير صارم شبيه بالقانون « السياسي » في السجون الغربية ، ولكن هذه المعاملة زالت بعد مقتل كيروف الذي يبدو انه زاد من حـــذر ستالين .

المعارضة

كان النظام مقتنعاً بان الرأسمالية مصممة منـذ السنة ١٩١٧ على تقويض الدولة الاشتراكية الجديدة ، ثم ايد مخاوفه هذه التدخل الاجنبي والمساعـدة المقدمة للمهاجرين ومشاريعهم من قبل الحكومات الاجنبية وتهديدات الصحافة والعديد من الشخصيات العسكرية والمدنية الاجنبية ، فرأى طبعاً في كافة مظاهر المعارضة والمؤامرات و« اعمـــال التخريب » اثر التدخل الاجنبي . فاتهم كل معارض بانه متواطىء مع الاجنبي واداة في يديه ، وهذا ما يفسر ضراوة المنازعات والقمع الذي لم يعرف للرحمة معنى .

ان زوال معظم الطبقات الحاكمة القديمة لم يقض على كل معارضة . فان بعض ممثليها ممن بقوا في الارض السوفياتية قد ظهروا علانية مرة اخرى خلال سنوات السياسة الاقتصادية الجديدة ، ولكنهم ما لبثوا ان تواروا امام المحتكرين . اما معارضة الكولاك والمقاومة الريفية في اوائل عهد التأميم فكانتا اعظم شأناً الى حد بعيد . وقد تحيزتا بثورات مسلحة قمعت دونما صعوبة بتدابير التوقيف والنفي ، وبمقاومة انشاء التعاونيات الزراعية (كما يصفها شولوكوف في روايته « الاراضي المحياة ») في العلن او في الخفاء ، وبتخفيض مساحة اراضي زراعـة الحبوب ، ولا سيما بمجزرة المواشي التي ربما قضت بين السنة ١٩٢٩ والسنة ١٩٣٣ عـــلى نصف الخيول و٣٠ مليون ماشية كبرى و١٠٠ مليون خروف ، مما سيستلزم عشر سنوات لبلوغ ارقام السنة ١٩٢٩ مرة اخرى .

المعارضة في داخل الحزب

وقامت هناك معارضة اخرى ، شديدة الخطر على النظام ، هي التي تكونت في داخل الحزب اثناء مرض لينين في اصعب ايام السياسة الاقتصادية الجديدة. فان الخلاف الذي طالما نشب منذ السنة ١٩١٧ بين تروتسكي ولينين قـــد اتسع خرقه حين هاجم تروتسكي السياسة الاقتصادية الجديدة وكأنها استسلام امام الرأسماليين ، ثم بعد وفاة لينين حين تجابه الرأيان المتناقضان حول توجيه سياسة الاتحاد : الرأي التروتسكي القائل بالثورة المستمرة ، والرأي القائل بالثورة الاشتراكية في بلاد واحـدة ، الذي دافع عنه ستالين . وخلال خمس سنوات قاوم ستالين « تالوث » تروتسكي وزينوفياف وكامنيف ، فتجابه الجناحان في اجهزة الحزب المختلفة والصحافـــة والمؤتمرات الى ان قرّر النصر الستاليني تحقيق الاشتراكية في بلاد واحدة ، ومن ثم ، التخلي عن السياسة الاقتصادية الجديـــدة ، وتأميم الارياف ، والتصنيع بواسطـة الخطط الخمسية . فنفي تروتسكي الى « الماآتا » واقصي اخيراً عن الاتحاد السوفياتي في شهر كانون الثاني من السنة ١٩٢٩ . وفي السنة ١٩٣٠ قضي كذلك

على معارضة بوخارين اليمينية المعادية لتأميم الارياف . ومنذ ذاك التاريخ لم تبرز المعارضة الا بأعمال التخريب وسلبية الاختصاصيين الذين كانوا يتحسرون على النظام القديم ، والذين بقوا على اتصال باوساط الهجرة .

المقاومة الدينية والقومية

في حقلين آخرين – تشدهما الروابط في اغلب الاحيان – اصطدم النظام بين آن وآخر بمعارضة عنيفة جداً : الحقل الديني وحقل القوميات . لقد كانت الكنيسة الارثوذكسية حليفة السلطة المطلقة ، ففقدت بسبب الثورة امتيازات فخرية ومادية كثيرة ؛ واذا هي استعادت حقها في اختيار بطريرك ، فانها قد فقدت ممتلكاتها ودورها السياسي وخشيت خطر حكم ينادي بالالحاد رسمياً ؛ فاستهلت ، في اثناء ولاية البطريرك تيخون ، صراعاً عنيداً ضد النظام الجديد ، وحرمت الزعماء الشيوعيين وحاربت سياستهم بعزم وقوة . فأجاب النظام بفصل الكنيسة عن الدولة فصلاً مطلقاً ، وبعدد من التدابير التي زادت احكام فأكثر من عزلة الكنيسة وأقصتها عن كل حياة سياسية : اقرار الحالة المدنية ، وحرمان الكهنة من الحقوق المدنية ، وفي السنة ١٩٢١ ، حظر تعليم الشبيبة تعليماً دينياً ، الا بصفة خاصة ، وتعليم مضاد للدين في المدارس والكتب المدرسية ، والغاء كل ادب ديني ، واقفال مراكز التعليم الكنسي ، ومصادرة ادوات العبادة ... ولم يسمح عملياً الا بالاحتفالات الدينية . فقد طورد الرهبان والكهنة والقي القبض عليهم ، بحجة مخالفة منع التعليم في اغلب الاحيان . وفي السنة ١٩٢٥ ، تأسست « عصبة الملحدين المناضلين » التي استهدفت دعاوتها الناشطة نشر احتقار الدين وتقويض سلطة الكنيسة المتسلطة . وتولت بعض المتاحف اللادينية ، والصحافة ، والاعلان ، مهاجمة الظلامية والخرافات الدينية ، ونشر التعاليم المادية . وعلى غرار ما حدث اثناء الثورة الفرنسية ، قاطع شطر من الاكليروس كافة القوى المناهضة للثورة وأسس « الكنيسة الحية » التي سمح لها بعقد ثلاثة مجامع . وفي السنة ١٩٢٧ اخيراً ، أوصى رئيس الاساقفة سرجيوس رعاياه بالوقوف موقفاً مخلصاً من الدولة وأمر باقامة الصلوات من اجل البلاد والحكومة . فأتاحت هذه المصالحة للكنيسة ان تعيش كمؤسسة خاصة في ظل حرية الضمير التي ينادي بها الدستور . اجل لقد استمرت الدعاوة المضادة للدين، ولكن قوتها تضاءلت كلما تضاءل الخطر على الثورة وكلما اعربت الاجيال الجديدة المؤمنة عن موالاتها ؛ ثم اعاد دستور السنة ١٩٣٦ الحقوق المدنية للاكليروس ؛ ويشير احصاء يعود الى السنة ١٩٤١ الى وجود ٣٠٠٠٠ جمعية دينية مختلفة ، و ٨٣٣٨ مكان عبادة مسموحاً بها منها ٤٢٢٥ كنيسة ارثوذكسية (مقابل ٤٦٤٥٧ في السنة ١٩١٧)، و ٨٧٦٥ كاهناً ارثوذكسياً وشماساً (مقابل ٦٦١٧٠) ، و ٣٨ ديراً (مقابل ١٠٢٦) .

بينما كان السبب الرئيسي للنزاع مع الكنيسة الارثوذكسية تحالف الكنيسة مع الطبقات الحاكمة القديمة ، كان السبب الرئيسي للنزاع بين الحكومة السوفياتية والسكان المسلمين التحالف الوثيق بين المسلمين والحركات القومية المحلية ، وتناول الاصلاحات العصرية التقاليد الدينية

بصورة حتمية بسبب ارتباط الحياة المدنية والحيـاة الدينية ارتباطاً وثيقـاً . فعولج الوضع في البدء بمزيد من المداراة، وتأخرت العلنة عنها في اوروبا ، وبقي التعليم القرآني مسموحاً به حتى السنة ١٩٢٨ : لم تؤمم الممتلكات الوقفية الا في هذا التاريخ . وكانت نتيجة المقاومة التي جمعت بين القوميين الانفصاليين من ذوي النزعات الطورانية الشاملة وبين العناصر الدينية في جمعيـات مناهضة للثورة تحت الستار الديني (شورى الاسلام) اثارة نزاع على جانب كبير من الخطورة، فردّت الحكومـة بقوة بتشجيعها الدعـاوة المضادة للدين : سخر المسرح والسينما من اولياء الاسلام ومن الاعياد الدينية ، ثم ابدت عصبة « الله – زيسلاف » ، وهي احد فروع عصبة الملحدين التي تأسست في السنة ١٩٢٥ ، نشاطاً كبيراً وواسعاً جداً ، فاقفل ٨٠٠٠ جـامع والمدارس القرآنيـة في الجمهوريتين التترية والبشكيرية ، و ٥٠٠ جامـع في مناطق القفقاس الشمالية ؛ وطورد الخاتنون . وفي السنة ١٩٣٨ ، بدت الحركة الطورانيـة الشاملة مشغولة ، وماشى الدين الروح المصرية وبات اكثر مرونة ، وسلّم على مـا يبدو بمنع تعدد الزوجات وزواج القصّر ، وبحرية النساء في الخروج من منازلهـن ؛ فتوقفت من ثم الحملة الهادفة الى محـاربة الدين الاسلامي ، والدعاوة المضادة للدين . الا ان التقاليد والعادات الموروثـة عرفت البقاء بالرغم من القانون واستفادت من حلم سلطات محلية كثيرة : فما زال تعـدّد الزوجات ، وارغام القاصرات على الزواج ، وارتداء الحجـاب ، واقامة النساء في الحرم ، اموراً غير نادرة ، بينما استمرت الروح القومية .

الدعـاوى الكبرى (١٩٣٦ - ١٩٣٨)

ان المعارضة السياسية او القومية – اقـله في اوروبا – لم تظهر قط بعد السنة ١٩٣٠ (تاريخ دعوى الانفصاليين الاوكرانيين في كييف) ، على الرغم من استمرار وجود الفئـات المنظمة في داخل الحزب حتى السنة ١٩٣٤ . ولكن ذلك لا يعني زوالهـا ، كما تؤيد ذلك عمليـات التطهير المتكررة التي لم تقص الفاترين والفاسدين والعجزة فحسب ، بل اعـداء الفريق الحـاكم ايضاً .

كان مقتل كيروف الذي صادف في الزمن فترة تأزم دولي على جانب كبـير من الخطورة ، مثاراً لسلسلة من الدعاوى امام المحـاكم العسكرية رفعت على زينوفياف وكامنيف من « مركز ليننغراد » في السنة ١٩٣٦ ، ثم على راديك وأحد عشر معارضاً آخر في شهر كانون الثـاني من السنة ١٩٣٧ ، ثم على سبعة قواد والمارشال توكاتشفسكي في تموز، واخيراً على بوخارين وريكوف وياغودا في شهر آذار من السنة ١٩٣٨ . وقـد اتهموا كلهم ، بدرجات مختلفـة ، بانهم عملوا بالاتفاق مع عملاء الاجنبي اما على اغتيال ستالين وكبار الزعماء الآخرين ، واما على تمهيد الطريق لهجوم مسلح على الاتحاد السوفياتي ، واما على اعـداد انقلاب عسكري . فأجريت خلال هاتين السنتين عملية تطهير عام تناول عدداً كبيراً جداً من المسؤولين وكبـار الموظفين ، ولا سيما في الهيئة الدبلوماسية والادارة الاقتصادية والجيش ومحـاكم الحزب ؛ وقـد احدثت

الأحكام الصادرة بالطرد من الحزب والتوقيف والاعـدام جواً رهيباً من الضعضعة والقنوط ، وفوضى خطيرة في كافة الادارات والمصالح ؛ وبعـــد عزل « اياجوف » اعتمدت تدابير تهدئة اصلحت الاخطاء والظلامات المرتكبة ، فأخـــلي سبيل اكـــثر من ٦٠٠٠ ضابط ومهندس وموظف ، أو اعيد لهم اعتبارهم .

الخلاصة

هكذا قام في الاتحاد السوفياتي ، خلال سنوات ما بين الحربين ، عالم جديد يختلف عن باقي الانسانية . ففي ظروف مادية غاية في الصعوبة ، وفي وسط كون معاد كان يرفض ويرجو كل يوم نهاية النظام ، بنى البلشفيك – دون اية مساعدة خارجية – دولة اقتصادية من المرتبة الاولى . فكان الهدف المعين للشعب السوفياتي تعويض خسارة الوقت والتساوي بأعظم الدول: الولايات المتحدة ؛ اجل ما زالت المسافة كبيرة ، في السنة ١٩٣٩ ، بين الجبارين ، ولكن سرعة النمو بعثت اعظم الآمال لمستقبل قريب . فأوجه الشبه بين البلدين كثيرة : الثروة نفسها وتنوع الموارد الطبيعية نفسه ، وتدني نسبة كثافة السكان نفسه ، وحضارة جماهيرية واحدة يحركها الايمان بالتقدم العلمي والتقنية المبنية على العقل ، و « ثقة غير محدودة واحدة في فاعلية تأثير الانسان على البيئة » .

وهو هذا التقدم غير الاعتيادي ما يفسر نفوذ الاتحاد السوفياتي في العالم اجمع على الرغم من الحصار الذي فرض عليه ، وعلى الرغم من عزلته وانكماشه على نفسه ؛ وهو ما جعل منه نظيراً للولايات المتحدة التي اصبحت زعيمة الدول المتمسكة بالرأسمالية والحرية السياسية .

ان المبادىء التي يعمل بوحيها ويبثها ليست جديدة ما دامت ترقى في معظمها الى كارل ماركس ، ولكن الاتحاد السوفياتي هو ما اخرجها من حقل النظرية ليجعل منها قوة سياسية ، وما جعل تفسير الكون الوارد في الفكرة الماركسية والحلول التي تقترحها امام متناقضات العالم الرأسمالي تنتشر انتشاراً جديداً .

منذ السنة ١٩١٧ ، لم يعد نقد الديموقراطية الحرة نقداً ايديولوجياً امراً يستهان به ، بعد ان انتزع قناعة عقول كثيرة ومصلحين كثيرين . فان مفهوم الاقتصاد المخطط ، الذي اعتبر خيالياً لفترة طويلة ، قد فرض نفسه على علماء الاقتصاد والسياسيين . وهكذا طرحت المبادىء والامثلة مسائل جديدة وادخلت على انظمة الدول الحرة تعديلات عميقة . وفي العلائق الدولية لم يكن تأثير الاتحاد السوفياتي اقل شأناً . فان استخدام الدعاوة الرسمية ، واحتكار التجارة الخارجية ، قد ارغما الدول المتقابلة على اعتماد وسائل مماثلة او تعديل طرائقها التقليدية .

ولم يكن اقل شأناً كذلك تأثير الاحزاب الشيوعية الوطنية التي بدّل نشاطها ظروف حياة الدول الغربية وتطورها السياسي تبديلاً عميقاً احياناً . وكان هذا التأثير مباشراً وغير مباشر .

الم يلاحظ ان حركة فاشستية كانت تولد ابداً في كل بلاد يوجد فيها حزب شيوعي قوي ؟ اولم تعزز الخشية من الاتحاد السوفياتي ، في بعض الاوساط ، الوعي الرأسمالي ؟ اولم تدفع هـذه الاوساط الى الوقوف موقفاً متساهلاً من الحركات الفاشستية ؟

في الواقع تطور العالمان المختلفان كل على حدة دونما تخالط تقريباً . فمن جهة ، اشمئزاز ووجوم ودهشة لرؤية قيام واستمرار ونمو نظام اقتصادي وسياسي مبني على مبادىء تعتبر متنافية والنظام الطبيعي ، وخاطئة ، وحتى غير معقولة ؛ وجزع امام هذا الاستقرار وهـذه القوة المتزايدة النمو من جانب الدول الرأسمالية . ومن جهة ثانية ، قناعة في الاتحاد السوفياتي بأن انحطاط الرأسمالية المحتوم تستعجله الازمات ، وبان اشتداد هذه المتناقضات وتزايد عدم القرار يولدان الاضطرابات ويهددان السلم تهديداً اكثر خطورة يوماً بعد يوم . وجاءت عملية التطهير الكبرى (١٩٣٦ — ١٩٣٨) ، التي تناولت بصورة خاصة القادة العسكريين والمدنيين المعروفة اسماؤهم واشكالهم خارج الاتحاد السوفياتي ، تعزز فقدان الثقة بدولة بغيضة وتحدث انطباعاً بان الاتحاد السوفياتي اقل قوة وركانة مما يعتقد الناس . وهو الخطر المشترك وحـده ما سوف يزيل هذا الاختلاف جزئياً بعد السنة ١٩٤١ .

القسم الثالث

العَالَمُ المنقَسِم

تناثر الأمبراطوريات الاستعمارية

الكتاب الأول

الحرب العالمية الثانية

لم تضعف اوروبا بفعل تأخرها الاقتصادي وحركات التحرر الآخذة في النمو بين الشعوب المسودة فحسب ، بل ضعفت كذلك بفعل الانقسامات العميقة التي اقامت الدول بعضها في وجه بعض . فان الخلافات التي برزت بين المنتصرين في مؤتمر الصلح قد استمرت وتفاقمت حين ادى رجحان كفة الانعزالية الاميركية الى اعراض الولايات المتحدة عن كل تعـــاون دولي فعلي . وازداد « سوء التفاهم الودادي» بين فرنسا وبريطانيا العظمى في المسائل المتعلقة بالشرق ومسائل التعويضات ونزع الاسلحة على السواء . فعزز هذا الانشقاق موقف المطالبين باعـــادة النظر : المستائين منهم كايطاليـــا ، والمهزومين ، ولا سيما المانيا التي توقفت ، على مراحل ، الى تصفية التعويضات ، واستعادت مركزاً من المرتبة الاولى في الدبلوماسية الاوروبية بفضل معاهـــدة « لوكارنو » .

لم تمس هيئة الامم محكمة الرقابة العالمية التي حلم بها الرئيس ولسون ، ولم تكن سوى جهاز اوروبي في الدرجة الاولى ، تسيطر عليه الدول الكبرى ، ولا سيما فرنسا وبريطانيا العظمى ؛ وقد برهنت عن عجزها في اقامة التعاون العام التلقائي ضد التعديات . وبقي نشاطهـا محصوراً في المسائل الصغرى ، بينما عولجت كافة المسائل الهامة بمعزل عنها عن طريق مفاوضات مباشرة بين الدول الكبرى . لذلك فان تقسيم الكرة الارضية ، الذي تحقق في معاهـدتي السنة ١٩١٩ والسنة ١٩٢٠ ، والذي ما لبثت ايطاليا والاتحاد السوفياتي والبلدان المهزومة ان اعترضت عليه ، لم يرتد طابع الديمومة .

فمنذ السنة ١٩٣٠ ، شقت الطريق امام الفاتحين ، وخلق « وضع قابل الانفجار » بفعـل ادعاءات اليابان وايطاليا اللتين استندتا فيها الى كثافة سكانها المطردة الارتفاع ، وادعـــاءات الشعب الالماني الآخذ في الاختناق في رقعة ضيقة جداً . وقد يسر نجاحات هذه الدول نفور الحكومات من تنظيم الامن الجماعي والتسليح بتعاون دولي ضد التعدي ؛ وبرزت حينذاك مثـل هذه الاشعرة الشعبية : « العقوبات تعني الحرب » ، ويجب « حصر النزاعات » لا توسيعها . ومن جهة ثانية ، رأى شطر هام من الرأي العام ، في الدكتاتوريات العسكرية ، عامـــلاً اساسياً من

عوامل مقاومة الاتحـــاد السوفياتي ، وكانت مناهضة موسوليني وهتلر للبلشفيكية واحداً من اعظم عنـــاصر نفوذهما ، يضاف الى ذلك اخيراً ان الخوف من تحول ايطاليا والمانيـــا الى الشيوعية ، والرغبة في تحاشي استياء اليابان التي قد تهدّد مستعمراتهم الآسيوية ، حملا خصوم هذه الدول على مراعاة جانبها وتجنب تكبيدها هزائم معنوية من شأنها اسقاط حكوماتها .

وهكذا نجحت اعمال القوة اليابانية في منشوريا والصين ، واحتـــلال ايطاليا لاثيوبيا ، والتدخل الجرماني الايطالي في الحرب الاهلية الاسبانية ، وضمّ النمسا (انشلوس) وتجزئـة تشيكوسلوفاكيا (الشكلان ٩ و١٠) . وبالمقابـــلة تفكك جهاز التحالفـات الذي انشأه المنتصرون ، وعُزلت تشيكوسلوفاكيا ، فأسرعت بلدان اوروبا الوسطى والشرقية الى انتهاج السياسة التي توافقها : ابتعدت رومانيا ويوغوسلافيا وبولونيا عن فرنسا وولت وجههـــا شطر ايطاليا والمانيا ، بينما عادت بلجيكا الى انتهاج « سياسة خارجيـــة بلجيكية بحتة » . ثم جاء استسلام مونيخ الذي تخلى لهتلر عن بوهيميا ، الحصن الامامي للدفاع الروسي ، بقلب التوازن الاوروبي لصالح المانيا ، وينحر الامن الجماعي ، ويقضي في المهـــد على التحالف المرتسم بين انكلترا وفرنسا والاتحاد السوفياتي . فكان مقدراً للحرب العالمية الجديدة ، التي اندلعت بعـد مرور خمس وعشرين سنة على الحرب الاولى ، ان تستعجل التطور الذي ابتدأ في السنة ١٩١٤ .

الفصل الأول

الحَرْبَان العالميتان

« لقد حدث لي مرتين ، في حربين مختلفتين ، بفصل بينهما اكثر من عشرين سنة ، ان سمعت ضابطين من حاملي الشهادات يقولان عن التعليم الذي تلقوه : « ان المدرسة الحربية خدعتنا » .

« مارك بلوك »

طوال فترة الخمس وعشرين سنة هذه ، استوطن القلق والجزع قلوب البشر ؛ ومرد ذلك الى ان الحرب تسلطت على العقول : الحرب التي خيضت بين السنة ١٩١٤ والسنة ١٩١٨ ، وذكرى فظاعاتها وآلامها ، والخشية من تجددها ، وتجددها بالفعل في السنة ١٩٣٩ . فقد كان من شأن ضخامة عدد المجندين الواقفين في وجه العدو بحكم الخدمة العسكرية الالزامية التي اصبحت شاملة حقاً ، وانقلاب ظروف الحياة الذي عانت منه كافة طبقات المجتمع وكافة بلدان العالم ، واتساع مدى الخسائر في الارواح والثروات التي يمنى بها المنتصرون والمهزومون على السواء تقريباً ، ان الحرب لم تعد ، في حياة الشعوب ، حدثاً عابرا يستعاد النشاط والعافية بعده بسرعة متفاوتة ، بل ارتدت طابع كارثة وطنية لا تسدّ ثلمتها . وطيلة ما بين الحربين ، غدت قلقلة الاقتصاد ، واضطراب العلائق الدبلوماسية ، وعنف الادعاءات القومية وحدّة المنازعات من اجل ايجاد الاسواق ، والعداء بين العالم الرأسمالي والعالم السوفياتي ، توتراً دبلوماسياً شبه دائم دفع بالدول الى تكريس شطر هام من مواردها لاعداد العدة للحرب ، والى تطبيق اخر ما توصل اليه العلم والتقنية في تعليم جيوشها وتجهيزها . ولذلك حدثت في « فن الحرب » واساليب المعركة واستخدام الاسلحة تطورات عميقة غيرت وجه المعركة البرية والمعركة البحرية تغييرا كليا . وقد اسهمت محاولة الدول الفاشستية البائسة فرض هيمنتها على العالم في طبع الحرب العالمية الثانية بطابع الحرب الشاملة ، الضارية ، التي تجاوزت تجاوزا بعيدا كل ما شوهد من ذي قبل .

أ – فن الحرب والعدد الحربية خلال الحرب العالمية الاولى

منذ السنة ١٨٧١ لم تحدث نزاعات تقابلت فيها جيوش الدول الكبرى . فلم تتوفر من ثم لاركان حربها ، المسؤولة عن اعداد وادارة العمليات ، خبرة حربية شخصية باستثناء خبرة الغزوات الاستعمارية في بعض البلدان . وقد استوحيت مفاهيمها من درس النزاعات الاخيرة في افريقيا الجنوبية ومنشوريا والبلقان ، والاختراعات التي طورت عدد الحرب ، وطورت من ثم ظروف المعركة . وكان الكل مقتنعين بان الحرب لا يمكن ان تطـــول ، وبان النصر سيحرز بمعارك طاحنة قصيرة . فاعدوا العدة من ثم لمثل هذه الحرب . وقد قال غليوم الثاني في شهر آب من السنة ١٩١٤ : « سوف نعود الى ديارنا في عيد الميلاد » .

الا ان الحرب التي اندلعت في هذا التاريخ قد دامت اربع سنوات ظهرت خلالها اسلحة جديدة وظروف معارك غير مرتقبة ارغمت اركان الحرب على اعادة النظر كليا في مفاهيمها واساليبها . فتطور الجيش ووجه المعركة من ثم تطورا كبيرا خلال العمليات ، وكانا في السنة ١٩١٨ مختلفين اختلافاً كبيرا عنهما في السنة ١٩١٤ .

مفهوم المعركة في السنة ١٩١٤

للمرة الاولى ، ستتجابه الدول الكبرى – باستثناء بريطانيا العظمى – بجيوش وطنية استند في تأليفها الى مبدأ « الامة في حرب » . فان هذه الجيوش المعبأة بحكم الخدمة العسكرية الالزامية ، أتاحت ارسال أعداد كبرى من المجندين الى خطوط القتال في حين زادت التحسينات التقنية من قوة النار . لقد اصبح اطلاق النار اكثر دقة وتواصلا بفضل استعمال البارود B (وقد حل محـل البارود الاسود) الذي لا ينشر دخاناً، ولا يوسخ جدران المدافع الداخلية، فيتيح من ثم رماية سريعة، وبفضل استعمال بندقية تطلق طلقات نارية متواترة ، وبفضل استعمال المدفع الرشاش . وكان من شأن هذا الاخير منع كل تجمع عسكري كثيف حتى مسافة ٢٠٠٠ متر ، ومن شأن البندقية الفرنسية (ليبل » ان تصيب الهدف على مسافة ٨٠٠ متر ، وامتدت فاعلية المدفع من عيـار ٧٥ حتى مسافة ٥ كيلومترات ، والمدفعية الثقيلة الالمانية حتى ١٢ كيلومترا . وفي منطقة المعركة هذه المتراوح عمقها بين٦ كلم و ١٢ كلم ،وجب ان تتوزع القوى كي لا تؤلف هدفاً سهل الاصابة؛ وان يطبق « فراغُ ساحة المعركة » الذي سبق البوير ان حققوه ، وان ينتشر المشاة ويطلقوا النار بتواتر ويتقدموا الى الامام تباعاً على ان يعمدوا بين تقدم وآخر الى الانبطاح ارضاً واستخدام الملاجىء الطبيعية او حفر ملاجىء فردية بواسطة الادوات التي ينقلونها . وقد بوشر استخدام ثورتين تقنيتين حديثتي العهد : فمن جهـــة ، محرك الانفجار الذي اتاح نقـــل وتوزيع الجيوش برا بمزيد من السرعة وجمع المعلومات جوا بواسطة الطائرة او المنطاد المسير ، ومن جهة ثانية ، التلغراف اللاسلكي والهاتف اللذان اتاحا الاتصالات السريعة .

قواعد استخدام الاسلحة

في المانيا تمخضت قيـــادة الاركان العامة ، المشبعـــة بتعاليم « مولتكه » و« شليفن » ، بمـــذهب متلاحم يتفق والحرب المرتقبة على جبهتين وظروف النزاع ضد الجيش الفرنسي الذي توفر له المـدفع الممتاز من عيار

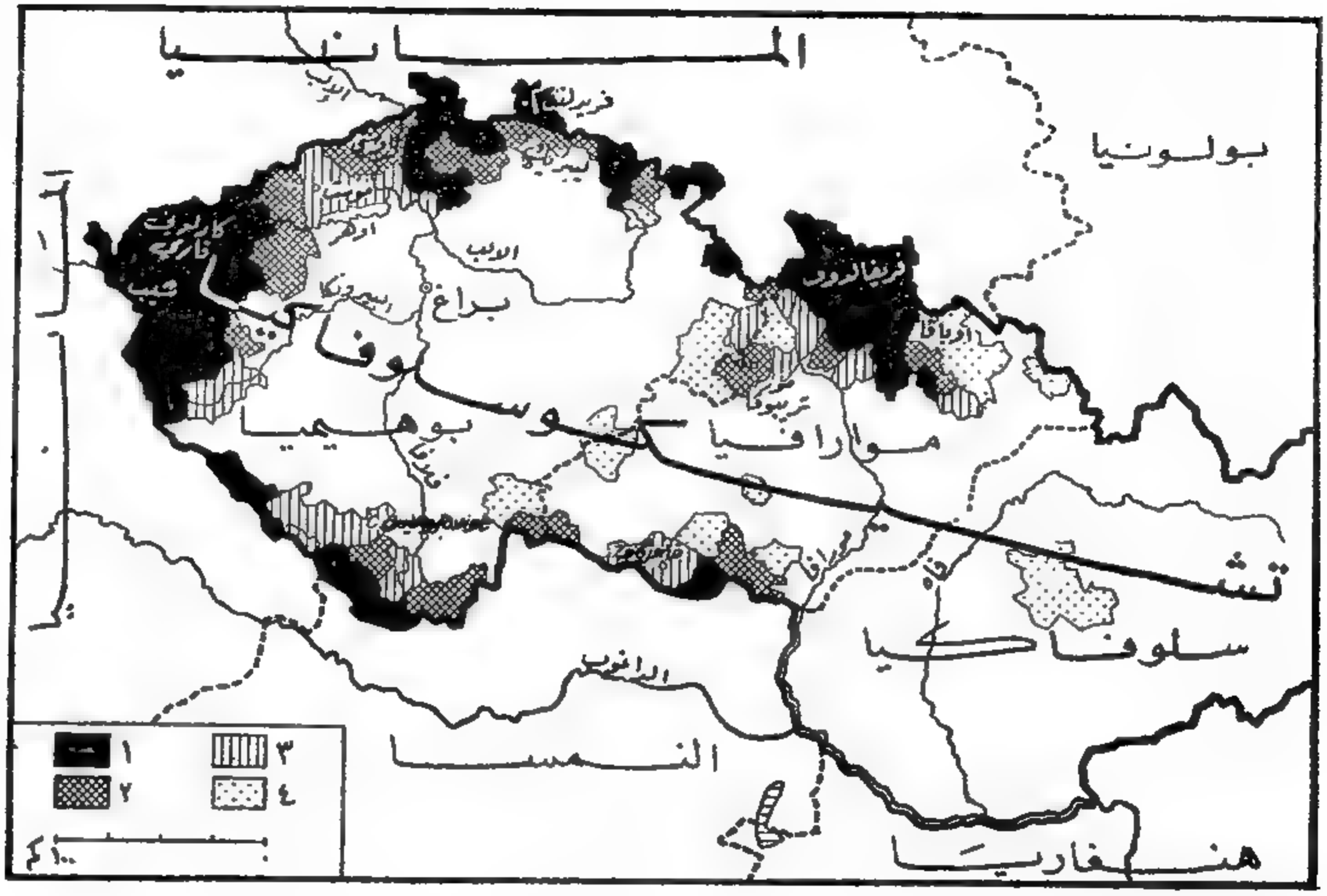

الشكل ٩ ـ توزع الالمان في تشيكوسلوفاكيا بين ١٩١٨ و ١٩٣٩

١ ـ اكثر من ٩٠ ٪ ، ٢ ـ بين ٧٠ و ٩٠ ٪ ، ٣ ـ بين ٤٠ و ٧٠ ٪ ، ٤ ـ بين ٢٠ و ٤٠ ٪ .

٧٥ والتحصينات القوية التي شيّدها « سيريه دي ريفيير » . فان الوضع يفرض نصراً سريعـاً وحاسماً على فرنسا ، والقضاء على العدو سوف يتحقق بهجوم ضـار يستلزم مناورة تطويقية وهجوماً جانبياً . لذلك شدّدت انظمـة المشاة الموضوعة في السنة ١٩٠٦ وانظمة الخدمة في الارياف الموضوعة في السنة ١٩٠٨ ، على الروح الهجومية وضبط وقوة اطلاق النار، وعلى عامل المفاجأة الاساسي . وانما النصر حليف الفريق الذي يتغلب على نار الفريق الآخر بمزيـد من السرعة ؛ فيجب ان تسيطر على اعمال المشاة فكرة واحدة : « الى الامام ، هجوماً على العدو ، مهما كان الثمن » ... « ويقوم الهجوم باطلاق النار على العدو من اقرب مسافة . وفي الهجوم بالسلاح الابيض يتكرّس النصر على العدو » . فسلاح المشاة هو من ثم السلاح الرئيسي لانـه وحده« يتغلب على المقاومة الاخيرة. انه يحمل عبء المعركة الرئيسي ويقدم اسمى التضحيات».

بيد ان هذه الانظمة تعترف « بحتمية المراحل الهجومية » التي يفرضها اقتصاد القوى قبـل العودة الى الهجوم . ولذلك وُجّه تعليم الضباط والجنود نحو الاعداد الدقيق لاستخدام طبيعة الارض وللاعمال في الارياف ؛ وتحقيقاً لهذه الغاية اعتمدت عدّة ملائمة كامـلة : عتاد متحرك يستخدم بالجملة ، كالمدافع القصيرة من عيار ١٠٥ و٢١٠ لاجل تدمير التحصينات (اتاحت مادة المليتيت خرق عقود مبنية تبلغ المتر سماكة) ، والمدافع الطويلة البعيدة المدى والمـدافع الثقيلة من عيار ١٥٠ لاجل ضرب مدفعية العدو .

اما في فرنسا ، فان « فوش » ، الذي عـلم « ان معركة خاسرة هي معركة نعتقد باننـا خسرناها ، لان المعركة لا تُخسر معنوياً » ، والكولونيل « دي غرانميزون » ، قـد نوّها بتفوق السلاح الابيض وروح« الهجوم على الرغم من كل شيء ». وان اراء الكولونيل دي غرانميزون، التي هي نقيض تعاليم الحرب المنشورية، قد اعتُمدت في التعليمات حول سلوك الوحدات الكبرى والخدمة في الارياف ، التي وضعت في شهري تشرين الاول وكانون الاول من السنة ١٩١٣ . فبصدد سلاح الفرسان ، جاء « ان الهجوم على صهوة الحصان وبالسلاح الابيض هو اسلوب العمل النظامي العادي » . اما سلاح المشاة فهو السلاح الرئيسي ... الذي [يمكن القول] عن سيره الى الأمام حتى الالتحام بالعدو انه حاسم ومحتم » ... وفي هذا القول تأكيد لتفوق الحركة بالنسبة الى النار ، ولتفوق العدد بالنسبة الى العتاد . فتصبح المدفعية من ثم سلاحـاً تكميلياً ، ويهمل اطلاق النار واستخدام الادوات ، وتعتبر مفاهيم السلامة وتوزيع الجيوش على مسافات مختلفة من الجبهة اموراً ثانوية .

وقد لخص القائد « هير » هذه الآراء كما يلي : « سوف تكون الحرب حرباً قصيرة الامـد ، تتنقل فيها الجيوش بسرعة وتلعب فيهـا المناورة دوراً رئيسياً : سوف تكون حرب حركة . وسوف تكون المعركة في جوهرهـا نزاعاً بين سلاحي المشاة ... يجب ان يكون الجيش جيش مجندين كثيرين لا جيش عتاد ... لن تكون المدفعية سوى سلاح ثانوي ... وقد يكون التلبك بمدفعية وفيرة دون اية جدوى ... »

الشكل ١٠ ـ التغييرات الاقليمية في اوروبا بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩.

١ ـ عودة السار الى المانيا (١٣ كانون الثاني ١٩٣٥) ، ٢ ـ المنطقة غير المحصنة التي احتلتها المانيا ثانية (٧ اذار ١٩٣٦) ، ٣ ـ ضم النمسا (١١ اذار ١٩٣٨) ، ٤ ـ ضم السوديت (٣٠ ايلول ١٩٣٨) ، ٥ ـ استقلال سلوفاكيا (١٤ اذار ١٩٣٩) ، ٦ ـ اقامة محمية بوهيميا ـ مورافيا (١٦ اذار ١٩٣٩) ، ٧ ـ ضم ميمل (٢٢ اذار ١٩٣٩) ، ٨ ـ احتلال ايطاليا لألبانيا (٧ نيسان ١٩٣٩) .

المبادهة في ايدي الالمان

حين اندلعت الحرب ، ارتكب كافة القادة العسكريين من ثم الاخطاء نفسها بتقديرهم قوّة الهجوم اكثر من قوّة الدفاع الى حد بعيد . وبعد حين ، تكيفوا بحسب الظروف الجديدة غير المرتقبة . ولكن فريق هندنبورغ – لودندورف– هوفمن هو ما احسن التكيف قبل سواه . فهم الالمان من استلموا زمام المبادهة استلاماً شبه دائم تقريباً، في ما يتعلق بالعمليات وبالعتاد على حدّ سواء: مبادهة حرب الخنادق واحكام تقنية التحصن وراء الخنادق في الجبهة التي بلغت درجة من الكمال لم يعرفها اي جيش آخر . اساليب القصف المتواصل الشامل الذي يمحق مواقع العدو الدفاعية ، ثم القصف القصير المركز على نقطة واحدة الذي يتيح فتح ثلمة في الجبهة . وكانوا السابقين في استخدام الاسلحة الجديدة (باستثناء الدبابة) : الغازات السامة ، قاذفات اللهب ، قاذفات الالغام . كما انهم اتقنوا استعمال المدافع الرشاشة والقواصات ، واستخدموا الطائرات قبل غيرهم لقذف القنابل .

الشكل الجديد للحرب في الغرب

الخنادق

بعد الهزيمة الالمانية في معركة المارن التي اوقفت محاولة اندفاع جانبي والتفاف استهلت بنجاح في بلجيكا في شهر آب من السنة ١٩١٤ ، وبعد فشل « السباق لحو البحر » بغية بلوغ « كاليه »، استقرت الجيوش المنهوكة في خنادق محفورة على عجل . وقد بدا استقرار الجبهة هذا للقيادة الألمانية وسيلة اقتصادية توفر لها حرية العمل في الشرق حيث كانت تنوي التوصل الى نتيجة حاسمة ؛ ولذلك سوف يرتدي تنظيم الجبهة طابع الديمومة بحيث لن يتمكن اي من الخصمين المتحاربين ، طيلة اربع سنوات ، من اختراقها ؛ وستصبح الجبهة مجموعة كاملة من التحصينات الممتدة على طول اكثر من ٧٠٠ كلم بين بحر الشمال والحدود السويسرية لن يطرأ عليها في بعض النقاط اي تبدل حتى السنة ١٩١٨ . فتغلبت النار على الحركة ولم تكن الحرب بعدئذ سوى « صراع يائس ضد المدفع الرشاش » وضد المدفعية . واتصلت الخنادق العميقة والمتوازية والمموجة الخطوط (بغية تأمين الحماية الجانبية والافادة جهد المستطاع من طبيعة الارض) بممرات ضيقة وطويلة ، وتقدمتها شباك من الشريط الشائك ؛ وانشئت فيها « مراكز صغرى » للمراقبة وملاجىء عميقة ، وزودت بعدد وفير من المدافع والمدافع الرشاشة . فألف المجموع حصوناً حقيقية . وانشىء وراء الخط الاول ، القريب من خطوط الاهداء ، خط ثان ، وخط ثالث احياناً بغية درء انهيار الجبهة بتوزيع القوى على مسافات مختلفة من الخط الاول .

كانت نتيجة هذه الحرب الموضعية ثورة في الفن العسكري . في العدة الحربية اولاً : فقد توجب ، حتى عند الألمان الذين كان لديهم مدفعية ثقيلة سريعة الاطلاق من عيار ١٠٥ و ١٥٠ و ٢١٠ ، قادرة على قذف القنابل وفاقاً لخطوط مختلفة الانحناء ، الاكثار من استخدام مدفعية الخنادق : مدافع لقذف القنابل وفاقاً لخطوط منحنية جداً ، مدافع لقذف القنابل الصغيرة ، مدافع خاصة بالخنادق ، الخ . ، بينما اصبح المدفع الرشاش ، القادر على ضرب الزوايا الميتة

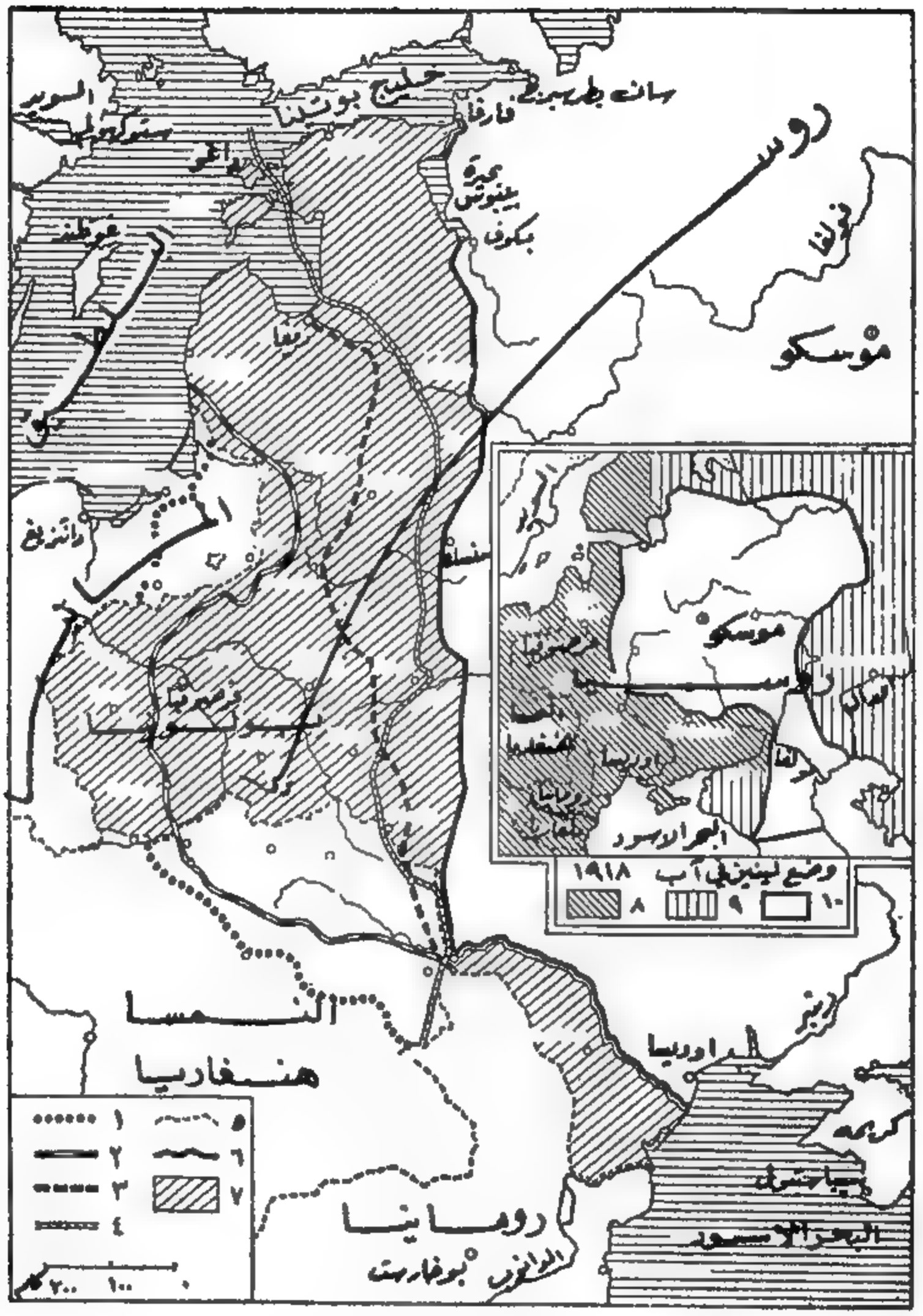

الشكل ١١ ـ الجبهة الشرقية ، ١٩١٤ ـ ١٩١٨

١ ـ اقصى تقدم روسي ، ٢ ـ الجبهة في نيسان ١٩١٥ ، ٣ ـ الجبهة في ايلول ١٩١٥ ، ٤ ـ الجبهة عند وقف اطلاق النار في السنة ١٩١٧ ، ٥ ـ حدود ١٩١٤ ، ٦ـ حدود ١٩١٧ الجديدة ، ٧ـ اقاليم خسرتها روسيا ، ٨ ـ اقاليم تحت نفوذ الماني في آب ١٩١٨ ، ٩ ـ اقاليم تحت نفوذ حليف، ١٠ـ اقاليم تحت سلطة حكومة موسكو .

ضرباً فاعلاً بقذائفه والحؤول دون اجتياز منطقة معينة امام الخطوط ، مع القنبلة الصغيرة ، خير سلاح دفاعي في ايدي المشاة .

بيد ان القيادة الفرنسية ، التي لم تسلم بسهولة بتنظيم اجهزة دفاعية شبيهة بأجهزة الالمان ، فقد تكيفت مرغمة بحسب هذه الظروف الجديدة المناقضة لتعاليمها . وقد عندت وقتاً طويلاً في العودة، باسرع وقت ممكن ، الى « الحرب في الارض المكشوفة » . ورغبة منهـا في تجنب « توالي الجنود » والمحافظة على روحهم الهجومية » و « تهديد العـدو بخطر دائم » ، واعيـان جنوده ايماناً متواصلاً – هـذا هو المقصود بتعبير « القضم » – ، قامت طوال السنة ١٩١٥ بهجمات محلية كثيرة طاحنة من اجل الاستيلاء على اهداف لا أهمية حقيقية لهـا في اغلب الاحيان : كمركز مراقبة أو جزء من خندق ... ، لم تستهدف المناورة ولا المفاجـأة ولم تسفر الا عن خسائر فادحة في الارواح لا يبررها مبرر ، لا سيما وان الحاجـة الى الذخائر لم تكن للسمح بضرب العدو بالقنابل ضرباً كافياً وفعالاً . وهكذا كانت « نوتردام – دي – لوريت » و « بوا له برتر » ، واكمة الـ « ايبارج » ، وقمة « هارتمنسويلركوبف » ، ومنطقة « سواسون » والـ « ارغون » (التي زرعت بالالغام) ، وتل « فوكوا » ، وغابـة « غروري » ، مسرح نزاعات دامية ، عقيمة ومثبطة ، طوال أشهر كاملة .

محاولات الهجوم في الغرب في السنوات ١٩١٥ و ١٩١٦ و ١٩١٧

امام هذه التحصينات القوية في الجبهة الغربية ، بات من الضروري التوصل الى نتيجة حاسمة ، امـا على ساحة معركة اخرى – حاول الالمان البحث عنهـا في الشرق ، ولن يجدوها الا في السنة ١٩١٧ (الشكل ١١ ،ص٣٣٥) ، وبحث الحلفاء عنها فـترة من الزمن في الشرق – ، واما بواسطة « منفذ » استخدمت من اجل فتحه اما اسلحة جديدة : كالغازات السامة ، والدبابة ... ، من شأنها اذهال العدو ، واما بسحق مركز العـدو بالقنابل ، الذي يفترض تفوقاً عظيماً في الوسائل . وعلى اية حال ، توجب تحطيم هـذا الدرع الدفاعي ، وفي سبيل ذلك تطورت العدد الحربية وفن الحرب . وقد اقنعت مجازر الشتاء باستحالة هجوم المشاة دون اعداد دقيق ، ودون ان تسبق المدفعية تقدمهم وترافقه . ولكن توزيع النجدات عـلى اماكنها ، وتنظيم نقاط الانطلاق وتجهيز الخطوط الخلفية ، تتطلب اسابيع عـدة ولا يمكن ان يغرب امرها عن مراكز رقابة العدو ودوائر استخباراته . يضاف الى ذلك ان الضرب بالقنابل طيلة ايام عدة بغية تقويض تحصينات العدو لا يترك اي مجال لعامل المفاجأة ، واذا تم الاستيلاء على خطه الامامي ، اصطدم المشاة المهاجمون بخط ثان سليم وتوجب عليهم القيـام بالاستعدادات الطويلة والباهظة النفقات نفسها . وهـذا ما يفسر الفشل الذريع الذي انتهت اليـه الهجمات الحليفة في منطقة « ارتوا » في اشهر آذار وايار وايلول ، وفي منطقة « شامبانيا » في شهري شباط وايلول من السنة ١٩١٥ .

حين قام « فالكنهاين » بهجومه على « فردان » ، في السنة ١٩١٦ ، لجأ الى اساليب جديدة

لتحقيق عامل المفاجأة : اخفاء النجدات والمعدات في غابات المنطقة الكثيرة ، ضرب عنيف جداً بالقنابل لفترة قصيرة (٩ ساعات عوضاً عن عدة ايام) يتولاه اكثر من الف مدفع ، قنابل مدفعية على الخط الاول ، قنابل من العيار الثقيل ، ٢٨٠ ، ٣٠٥ ، ٣٨٠ ، ٤٢٠ على الخط الثاني ، هجوم ٦ فيالق معاً على جبهة لا تتجاوز ٧,٥ كلم طولاً . لقد كان لنجاحات الالمان وقع كبير في النفس ، ولكنها انتهت الى الفشل ، اذ ان القيادة الفرنسية نجحت في تأمين وصول النجدات والذخائر والمؤن الكافية بفضل تنظيم النقل بالسيارات على « الطريق المقدسة » . ويغلب ان القوى استبدلت تكراراً ، فقد اوهن ٦٦ فيلقاً بين شهري شباط وتموز ، ولكن الهدف المطلوب لم يُبلغ : فالجبهة الفرنسية لم تتصدع ، واذا كانت الخسائر الفرنسية فادحة ، فانها لا تكاد تتجاوز خسائر الالمان الذين حسبوا انها ستكون اعلى من خسائرهم بمرتين ونصف المرة .

اما الهجوم الفرنسي البريطاني على الـ « سوم » ، في شهر تموز من السنة ١٩١٦ ، فقد ابرز مرة اخرى دور المدفعية المتفوق : ليس دور المشاة بعد اليوم سوى احتلال الارض التي استولى عليها المدفع والدفاع عنها. فزيد من عدد المدافع البعيدة المرمى لمقابلة هجوم مدافع العدو بمثله، ومن المدافع الثقيلة لاجل حرب الخنادق ، واتقن تعيين مكان المدفعية بواسطة الصوت ، والرقابة البرية والرقابة بواسطة المناطيد المقيدة . ونظم جهاز كامل للاتصالات والتحويل استطاعت المدفعية بفضله ، ليلاً ونهاراً ، وكلما طلب المشاة منها ذلك ، تركيز نيرانها على الاهداف الهامة وتوجيه ضرباتها على الفور الى مدافع العدو لاسكاتها ، واطالة عملية قصفها الخاصة .

وزود سلاح المشاة بمعدات اضافية تساعده على « الدرع » (خنادق ومدافع رشاشة وشريط شائك) الذي جعل الدفاع عملية رابحة منذ سنتين : مدافع خفيفة ، مدافع لقذف اللهب ، مدافع من عيار ٣٧ ، مدافع هاون .كما زوّد بقنابل صغيرة تقذف بواسطة البندقية (*V. B.*)، وبنادق رشاشة ، ومدافع رشاشة بلغت اربعة اضعافها من ذي قبل . وعلى الرغم من تدني عدد افراد هذا السلاح بالنسبة للاسلحة الاخرى (من ٧١ الى ٥٠ ٪) ، فان تزايد الاسلحة الذاتية الحركة قد زاد قوة نار المشاة زيادة عظيمة .

يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان اعداد عملية الهجوم وتنفيذها قد ساعدتها الرقابة الجوية واجهزة معقدة للاتصال والتحويل بواسطة الهاتف والتلغراف اللاسلكي ولوحات تعيين المسالك والاسهم النارية ، التي امنت الاتصال بين المشاة والمدفعية والقيادة . واتاح التصوير من الجو ، الذي احكم في السنة ١٩١٥ ، تعييناً مسبقاً لنقاط الارتكاز الواجب تدميرها على جبهة الهجوم، كما ادارت الطائرات عملية اطلاق النيران وراقبت نتائجها . وكانت نسبة المدافع مرتفعة جداً : فقد اقتضى هجوم ١٦ نيسان من السنة ١٩١٧ مدفعاً خفيفاً ومدفع خنادق لكل ٢٣ مجنداً ومدفعاً ثقيلاً لكل ٢١ .

بيد ان هذه الاستعدادات ، على غرارها في السنوات السابقة ، لم تكن لتخفى عن البصر . فقد اقامت القيادة الالمانية جهازاً دفاعياً مؤلفاً من ٣ او ٤ خطوط موزعة على مسافة ٥ او ٧ كيلومترات من الجبهة ، في ارض غير متساوية تكثر فيها الوديان والغابات . وقد سيطرت جوّاً في القطاع المهاجم ، فاستطاعت من ثم منع او مضايقة ادارة عملية القصف والرقابة ، وتعيين مراكز المدافع الفرنسية بسهولة . لذلك فان الضرب بالقنابل طيلة ثلاثة اسابيع من اجل شق طريق في الشريط الشائك ونيران المدفعية بالجملة طيلة خمسة ايام ، لم تحل دون انتهاء هذا الهجوم الى فشل ذريع دام .

تقدم الاسلحة الجديدة

وهكذا فبقدر زيادة المدفعية التي اصبحت سيدة ساحة المعركة من حيث كثافتها ومرماها وقوتها التدميرية ، تحسنت التحصينات كذلك واثبتت اجهزة خنادقها وممراتها الطويلة الضيقة قدرتها على مقاومة كل هجوم . فبدت المناورة وكأنها مستحيلة ولحتم ان لا تكون المعركة سوى هجوم الى الامام يحاول الامتداد الى الجناحين. وبالمقابلة تطور شكل الجيوش . فان الفيلق الفرنسي في السنة ١٩١٨ يختلف عنه كثيراً في السنة ١٩١٤ : ضم في السنة ١٩١٤ ١٠٠٠٠ جندي راجل ، مسلحين بـ ٩٦٠٠ بندقية و ٢٤ مدفعاً رشاشاً ، فاصبح يضم ، في السنة ١٩١٨ ، ٤٣٠٠ جندي راجل مسلحين بـ ٢٣٠٠ بندقية و ٤٢٠ سلاحاً حربياً آخر . وارتفعت قوة نار مدفعيته الى اربعة اضعافها، وقد استغني عن الاسلحة غير الجديرة بالبقاء وحلت الطائرة والسيارة محل سلاح الفرسان الذي اقتصر دوره على الاشتراك في المعركة على غرار سلاح المشاة ، وبالمقابلة احكمت انواع اسلحة جديدة ازدادت اهميتها يوماً بعد يوم : الاسلحة الذاتية الحركة . وقنابل الغاز او الايبريت ، التي من شأنها جعل مناطق واسعة غير صالحة للسكنى ، والطيران والدبابات بصورة خاصة . فقد استخدمت الطائرة منذ السنة ١٩١٤ للمراقبة والاستكشاف وادارة عملية القصف ، ثم اصبحت سلاح مطاردة منذ ابتكار الـ « فوكر » التي اتاحت اطلاق نيران المدفع الرشاش عبر مجر المروحة ؛ ومنذ السنة ١٩١٧ نشبت معارك ، لا بين طائرات منفردة ، بل بين اسراب يضم كل منها حتى ٥٠ او ٦٠ طائرة . وفي السنة ١٩١٨ اخذت الطائرات تهاجم تجمعات الجيوش على الارض . وحلت طائرات قصف خطوط المواصلات والمطارات والمستودعات محل المناطيد منذ صيف السنة ١٩١٥ ، ولكن النتائج ما زالت متوسطة بسبب ضآلة عدد الطائرات المشتركة في مثل هذه العملية (٤٠ في اقوى غارة على لندن) . وانتقلت السيطرة على الجو بالتناوب من معسكر الى آخر بحسب تقدم التقنية : فكانت في ايدي الالمان حتى السنة ١٩١٦ ثم في شهر ايار من السنة ١٩١٧ ، وفي ايدي الحلفاء ابان معارك فردان والسوم ، ثم في السنة ١٩١٨ . اما الدبابة التي جمعت بين النار والحركة ، فقد استخدمت استخداماً صوابياً للمرة الاولى في شهر تشرين الثاني من السنة ١٩١٧ . فبدون اعداد مدفعية ، قذف الجيش البريطاني في قطاع « كمبريه » بدباباته الـ ٣٨١ وكأنها مدفعيات مدرعة باغتت العدو وشقت الطريق امام

سلاح المشاة محدثة في الخطوط الالمانية جيبا بقياس ١٢ كلم طولا و ٩ عرضاً . اجل ان المجوم الذي شن على جبهة ضيقة جداً لم يؤد الى انهيار تحصينات العدو، ولكنه اثبت امكان الاستيلاء، بواسطة الدبابات، على عدة خطوط متعاقبة دون اعداد مدفعية وبخسائر طفيفة نسبياً . وهكذا اعدت الطريقة التي سوف تضمن نصر الحلفاء في السنة ١٩١٨ .

كانت احدى نتائج استخدام هذه الاسلحة الجديدة اشتداد الحاجة الى المجندين . فهي قد ارغمت القيادة على تخصيص عدد متزايد منهم لخدمات الداخل او المؤخرة : فان الدبابة التي تشترك في المعركة بمجندين والطائرة التي تطير بملاحها ومطلق مدفعها الرشاش تفترضان على التوالي ٤٦ و ٦٠ رجلا في المؤخرة لاصلاحها وتعهدها وتموينها والاعاضة منها .

معركة السنة ١٩١٨

لم يعد هناك من جبهة شرقية بعد الثورة الروسية وانسحاب الجيش الروماني . فكان من ثم لدى هندنبورغ ولودندورف ، في وجه ١٨٠ فيلقاً فرنسياً – بريطانياً وبلجيكياً، ١٩٨ فيلقاً سيحاولان بواسطتها شق طريق لهما في الجبهة الغربية . فاعد الهجوم على ضوء دروس معركتي كمبريه وريفا ، حيث اختبرت بنجاح الطريقة الهجومية الجديدة التي نادى بها الكولونيل « بروشمولر » والتي بموجبها تسحب خيرة الفيالق من الجبهة الى مناطق بعيدة في المؤخرة . وتسند اليها مهام المناورة وتجهز بعتاد جديد، وتعوّد طرائق التسلل : على فرق الهجوم امتحان النقاط الضعيفة واختراقها والالتفاف حول النقاط المحصنة التي سوف تقهرها الخطوط التي تليها . ومن الطبيعي بعد ذلك ان يؤدي احكام عمل المدفعية في الكتمان ، وتجميع المدافع بالجملة في مراكز معينة ، واطلاق قنابل الغاز بوفرة – بما يقصر فترة الاعداد على ساعات قليلة – ونقل الجيوش من جبهة الهجوم تحت جنح الظلام كي لا يثار انتباه العدو ، واستخدام اسراب كثيفة من الطائرات تقذف بقنابلها ، من علو منخفض ، محطات السكك الحديدية ، والمطارات ، ومؤخرة الجبهة وتهاجم المشاة والمدفعية بمدافعها الرشاشة ، الى مباغتة العدو والسماح بفتح المنفذ والافادة منه .

استعد الحلفاء من جهتهم الى صد الهجوم مستفيدين من المثل الالماني : اتقان استخدام الاسلحة الذاتية الحركة ، انشاء نقاط ارتكاز على مسافات مختلفة من الجبهة ومراكز مقاومة في داخل كل خط . ولم يكونوا آنذاك ليعتبروا دفاع الخط الاول امراً ضرورياً كما في السنة ١٩١٥ ، بل ارتأوا تجميع معظم الجيش في خط متوسط (بين ٣ و ٤ كلم الى الوراء) او في الخط الثاني (بين ٦ و ٧ كلم) . فهنا يكون خط الصمود الذي سوف يصطدم به المهاجمون بعد ان تكون نقاط المقاومة ، المتروكة في الخنادق الاولى ، قد فرقت بينهم . ولا يزال الحلفاء يستبعدون امكان فتح منفذ في الجبهة : فاذا نجح العدو في اختراق الخط الاول ، فانه لن يلبث ان يصطدم بجبهة جديدة معززة يستحيل اختراقها .

الا ان هذه الثقة امتُحنت امتحاناً عسيراً في ربيع وصيف السنة ١٩١٨ (الشكل ١٢، ص ٣٤١). لقد رُدت قوات الحلفاء الى الوراء اربع مرات متوالية بهجمات سريعة ضارية جعلت الالمان على قاب

قوسين من النتيجة الحاسمة بفضل مدفعيتهم السريعة الاطـلاق ومهارة ضباطهم في استثمار عامل المفاجأة وفي استخدام سهولة تحرك معداتهم. ففي الحادي والعشرين من شهر آذار ، وبعد قصف بقنابل الغاز والقنابل الداخنة دام اربـع ساعات ونصف الساعة ، فتحت ثلمة بطول ٨٠ كلم عند نقطة التقاء الجيوش البريطانية والفرنسية ، لم تسد الا بكل صعوبة ؛ وفي التاسع من ايلول شن هجوم جديد في الفلاندر ، فوصل الالمان الى مسافة ١٦ كلم من اميان و٦٠ كلم من كاليه ، وجعلوا ربع الجيش البريطاني عاجزاً عن القتال . وفي السابع والعشرين من شهر ايار ، بعد ضرب دام ثلاث ساعات بقنابل ١٢٠٠ « بطارية » مدفعية ومئات مدافع الخنادق ، وعلى جبهة يبلغ طولهـــا ٦٢ كلم بين سواسون و« رَيمس »، تقدم ٢٠ فيلقاً مسافة ٢٠ كلم وسيطرت على جسور الـداين» ؛ وقد اشترك في هذه المعركة ثلث الجيش الفرنسي ، الذي اوهن جزئياً ، وفقدت معدات كثيرة ، وواجه الجنرال « بيتان » انكفاء عاماً . وفي الثامن من حزيران ، شن هجوم جديد الى الشرق من « نوايون » على جبهة طولها ٧٤ كلم ، اوقف عند خط « شاتو تياري » — « موندييديه » . وفي كل مرة استفاد الجيش الالماني من عامل المفاجأة واستطاع الاستيـــلاء على جيوب عميقة في الخط الحليف . ولكن المفاجأة لم تلعب اي دور في الهجوم الجديد الذي شن في الخـامس عشر من شهر تموز بين « شاتو تياري » ؛ والـ « ارغون » : فقد اخلى الخط الفرنسي الاول بغية تجنب نيران مدافع الهاون واحتل معظم الجيش مركز المقاومة ، وصـدرت الاوامر لفرق الاحتياط في المؤخرة بالتأهب . فقبل ان تفتح المدفعية الالمانية نيرانها القوية ردّت المدفعيـة الفرنسية على النار بنار كثيفة جداً ، وانتهى الهجوم الالماني على طول ٤٠ كلم من جبهة شمبانيا الى الفشل .

اوهنت هذه الهجمات فرق لودندورف الاحتياطية . فقـــد رسم الخط الالماني جبهة غير منتظمة تألفت من جيوب يسهل شن الهجمات الجانبية عليها ؛ ومنـذ الثامن عشر من شهر تموز تحولت المبادهة الى ايدي الحلفاء الذين استخدموا عدداً كبيراً من الدبابات ، الاداة الحاسمة في ستراتيجية التفكيك الجديدة ؛ وفي ليل ١٧ — ١٨ ، وبدون اعداد مدفعية ، ادى استخـدام الدبابات بالجمـــلة الى فتح ثلمة عرضها ٥٠ كلم وعمقهـــا ١٠ كلم في خط العدو الى الجنوب من « سواسون » . ومنذئذ اضطر الجيش الالماني ، الذي ارغم على الوقوف موقف الدفـاع وعانى من حاجته الملحة الى الجندين ، للتراجع امامَ سلسلة من الهجمات السريعـة ، المتكررة ، التي لم تستهدف اي منها التوصل الى نتيجة حاسمة ، ولكنهـــا شنت في قطاعات متباعدة فمنعت لودندورف من ان يستخدم فرقه الاحتياطية الضئيلة وينقلها الى ميدان المعـارك . وفي الثامن من شهر آب ، « يوم حداد الجيش الالماني »، حدثت مفـاجأة تامة ؛ فان نقـــل الجيوش تحت جنح الظلام ، ودوريات الطائرات المستمرة التي منعت كل رقابة ، واحكام نيران المدفعيـة التي وضعت في اماكنها دون اثارة الانتباه ، واستخدام القنابـــل الداخنة التي اعمت الرقابة البرية والمدافع المضادة للدبابات ، واستخدام ٤٥٦ دبابة على جبهة طولها ٢٣ كلم ، قد جعلت الحلفاء يحرزون نصراً كاملاً . وابتداء من شهر ايلول شن هجوم عام بشكل كاشة ارغم الالمـان على

الجلاء عن الشاطىء البلجيكي والانسحاب الى خط « ميرمن » دون أن تتصـــدع جبهتهم . ولكن الجبهات الشرقية انهارت في ذاك التاريخ ؛ فطلب الاتراك والبلغار والنمساويون وقف

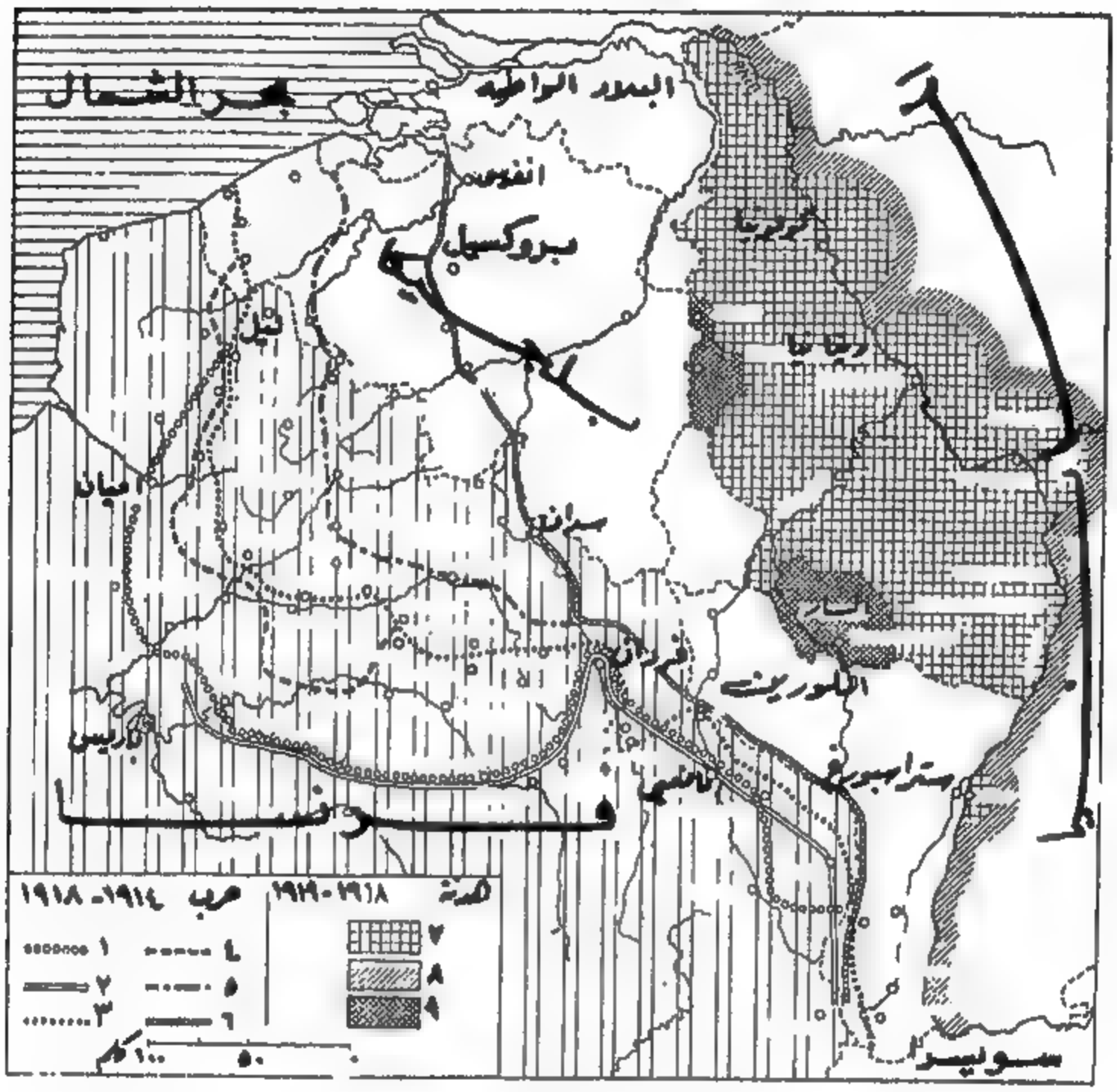

الشكل ١٢ ـ الجبهة الغربية بين ١٩١٥ و١٩١٨

١ ـ اقصى تقدم الجيش الالماني (ايلول ١٩١٤) ، ٢ ـ جبهة الجيش الفرنسي في ايلول ١٩١٤ ، ٣ ـ جبهة الحرب الموضعية ، ٤ ـ الجبهة في تموز ١٩١٨ ، ٥ ـ الجبهة في تشرين الاول ١٩١٨ ، ٦ ـ الجبهة في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ ، ٧ ـ ارض احتلها الحلفاء بعـــد الهدنة ، ٨ ـ منطقة جعلت محايدة بعرض ١٠ كلم ، ٩ ـ اقاليم تقرر اجراء استفتاء فيها .

اطلاق النار ، وسلّمت المانيا بالواقع فطلبت وقف اطلاق النار قبيل هجوم كان مقرراً شنه على جبهة اللورين في الرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني .

٢ – المفاهيم الستراتيجية
وفن الحرب اثناء الحرب العالمية الثانية

المذاهب الستراتيجية بين الحربين

حين نشبت الحرب مرّة اخرى بعد مرور احـــدى وعشرين سنة ، كانت المانيا اكثر تقدماً على اعدائها منها في السنة ١٩١٤ ، بفضـــل تعزيز تسلّحها ثانية منذ السنة ١٩٣٣ . ولكن هذا التفوق المادي كان دون الدعاوة التي احاطته بها اهمية ؛ وقد تخلف الحلفاء عنها في نطاق المفاهيم الستراتيجيـــة بصورة خاصة .

المذهب الفرنسي

كانت النتيجة الكبرى المستخلصة من الحرب العالمية الاولى قوة الجبهة المتصلة التي تدافع عنها نيران قوية تطلقها المدفعية والاسلحة الذاتيـة الحركة ، اذ ان الهجمات الامامية بواسطة وسائل على جانب كبير من الاهمية قد برهنت وحدها عن قدرتها على تصديمها . الا ان بطء التقدم ، بعد كل تصديع ، كان يتيح للمدافع سدّ الثلمـة المفتوحة وانشاء جبهة جديدة وراء الخط المتصدع . لا بل وضع جدول بياني حـــدد العمق الممكن بلوغه بنصف طول جبهة الهجوم . اجل لقد أسهمت الاسلحة الجديـــدة ، كالدبابات والطائرات التي ازداد شأنهـــا ازياداً مطرداً ، في تحسين ظروف العمليات : فان الدبابة ، التي اعتبرت « عشّاً متنقلاً للمدافع الرشاشة » ، كانت ترافق سلاح المشاة وتشق امـــامه الطريق او تسانده في تقدمه بتدميرها الاسلحة الذاتية الحركة ، وكان الطيران يستكشف مراكز دفاع العدو وحركاته ويحول دون قيام طيران العدو باية مهمة استطلاعيـــة . واذا هزمت المانيا في السنة ١٩١٨ فمرد ذلك افتقارهـــا الى الرديف الضروري لسد الجيوب التي احدثتها الهجمات الخليفة .

الى هذا الاختبار ارتكزت الستراتيجية الفرنسية التي لم تجر اية محاولة ، منذ السنة ١٩١٨ ، لتجديدها او تبديلها . فان الاقتناع بمناعة الجبهة المتصلة وبالاهمية الاولية لقوة النـــار وبتأثير طبيعة الارض « الاستبدادي » على كل مناورة ، قد حملت اركان الحرب على انتهاج ستراتيجية دفاعية بحتة . ولما كان نصر السنة ١٩١٨ قد احرز على ايدي دول متحالفة ، فكان على فرنسا الاحتفاظ بموقف دفاعي في وجه قوات المانيا المتفوقة والدفاع عن سلامـــة ارض الوطن طيلة الفترة اللازمة لان يعبىء حلفاؤها الوسائـــل القوية التي تتيح الانتقال الى الهجوم . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان اختبار المعركة القديمة الذي ابعد كل فكرة مناورة هجومية ، قـــد جرّ الى نوع من الحصرية في عمل اركان الحرب التي تعوّدت تطبيق انظمة ثابتة والتدخـــل في اصغر التفاصيل وانتزاع كل مبادهة من المسؤولين عن التنفيـــذ . وبالرغم من ان دبابات السنة ١٩١٨ البطيئة والسريعة العطب قد اصبحت حصوناً سريعة الحركة ومزودة بالمدافـــع والتلغراف اللاسلكي ، فان المهمة التي اسندت اليهـــا ما زالت مهمة سلاح في ايدي المشاة يحتاج الى حماية

المدفعية : وبدالة هذه المبادىء نظم الجيش الجديد ودرّب ، وشيّدت بين السنة ١٩٢٩ والسنة ١٩٣٩ التحصينات القوية الثابتة بين « بال » و« لونفويون » .

اما الطيران الذي اصبح سلاحاً مستقلاً في السنة ١٩٢٨ ، فقد عانى في تنظيمه من المنازعات بين المدارس المختلفة ومن تردد التعليم . فان آراء الجنرال الايطالي« دوهيه » الذي اعتبر الطيران « القوة الدفاعية الحاسمة » القادرة ، بغاراتها الكثيفة ، على تدمير طاقة العدو الحربية ومن ثم على احراز نصر سريع بمفردها ، قد وقعت في نفوس القادة العسكريين الفرنسيين موقعاً جميلا ؛ واخيراً انشئت في السنة ١٩٣٦ وحدات جوية مستقلة ، وصممت نماذج طائرات جديدة كثيرة ؛ الا ان فرنسا لم تمتلك في السنة ١٩٣٩ الا عدداً قليلا من قاذفات القنابل؛ اجل كان لديها طائرات مطاردة ذات فعالية كبرى ، ولكن عددها لم يكن كافياً . فبقيت الطائرة من ثم مساعداً للجيش البري ولم تعتبر سلاح معركة (وقد كتب المارشال بيتان : « ان العمل المباشر للقوى الجوية في المعركة باطل ووهمي ») . ولم يكن هناك طيران هجوم انقضاضي ولا طائرات لنقل الجيوش جواً . اما انكلترا فقد توفر لديها طيران ستراتيجي من قاذفات القنابل قادر على مهاجمة الاهداف الصناعية الالمانية ، ولكنها افتقرت ، على غرار فرنسا ، الى طائرات قادرة على تقديم المساعدة للوحدات البرية .

المذهب الالماني

ان قيادة الاركان الالمانية التي اختلف نشاطها عن « الجمود الفكري » الذي اتصفت به قيادتا الاركان الفرنسية والبريطانية قد استخلصت دروساً اخرى من هزيمتها في السنة ١٩١٨ . فقد ارتكز مذهبها الى الحاجة الى هجوم سريع من شأنه مفاجأة العدو محلياً بقوى متفوقة ، في اضعف مراكزه ، ومنعه بعد ذلك من توطيد جبهته ؛ فيجب من ثم مباغتته بضرب سريع وقوي بغية القضاء عليه . ويجدر بالتالي الاستفادة جهد المستطاع من وسائل النقل الآلية ، التي توازي سرعتها خمسة اضعاف سرعة الوسائل القديمة وتتيح مرونة كبرى في المناورة وسرعة في تجميع القوات في مركز الثقل ؛ ويكفي من ثم تحقيق تفوق ساحق على جبهة ضيقة ، في النقطة الحاسمة ، وفتح ثلمة فيها ، وتوسيع هذه الاخيرة ، والاندفاع نحو الداخل قبل ان يكون للعدو مجال للمقاومة . وبعد اجتياز الثلمة المفتوحة ، يستغل النجاح استغلالا منظماً باندفاعات جانبية تحمي جناحي الوحدة المتقدمة . وسوف تسند هذه المهمة المزدوجة الاساسية الى الدبابات . وان هذا الفن الحربي الجديد ، الذي احكمه « غودريان » منذ السنة ١٩٢٩ ، واوضحه في مقال داو (*Achtung Panzer*) في السنة ١٩٣٧ ، يستلزم جمع الدبابات في وحدات كبرى – فيالق ووحدات مدرعة – تتوفر لديها كافة الاجهزة التي تتيح لها الاندفاع اندفاعاً مستقلا الى مسافات بعيدة امام الجيوش، واثارة الفوضى في صفوف العدو ، وتحقيق انهيار مقاومته بالمباغتة وسرعة الحركات ، ومنعه من جمع شمله في مركز انكفاء. هذا هو فن الحرب الجديد (*Blitzkrieg*) الذي سيضمن لالمانيا انتصاراتها الداوية بين السنة ١٩٣٩ والسنة ١٩٤٢ .

اما الطيران فقد اسندت اليه ايضاً مهمة هجومية ؛ فان اسرابه الكبرى المستقلة ، تنقـــل الفوضى الى قلب بلاد العدو ، ولكنها ، في الدرجة الاولى، تتعاون تعاوناً وثيقاً والقوات البرية، لا بالاستكشاف والرقابة وكتمان سر المنطقة المهاجمة فحسب ، بل بالحلول محـل المدفعية باعداد الهجمات عن طريق قذف القنابل بالجملة ، وبالتعاون والمدرعات والمشاة بالانقضاض والقاء القنابل على جيوش العدو . والحقت المدفعية المضادة للطائرات بالجيش الجوي الذي يعمل بالاتفـــاق مـع الجيوش البرية ، وتطورت تطورا عظيمـــاً . واخيرا اعيرت الاتصالات الكهربائية اللاسلكية اهتماماً خاصاً لأن الاتصال السلكي لا يليق بسرعة الحرب الصاعقة ؛ فـــان التعاون بين الاسلحة والاتصال بالوحدات المندفعة بعيدا وراء خطوط العدو منوطان بتقدمها ودقتها على السواء .

المفهوم الفرنسي لاستخدام المدرعات

لم تكن هذه الآراء وهذه الاستحداثات مجهولة خارج المانيا ، ولكن الجهود التي بذلت لابرازها ذهبت مع الريح . فان انشاء جيش مناورة قوي ، مؤلف من ٧ فيـالق مدرعة ، الذي اقترحه القومندان ديفول في كتابه ، « نحو جيش محترف » ، الصادر في السنة ١٩٣٥ ، قد صرف النظر عنه اجمـــالاً باعتبار انه « مناقض لمنطق التاريخ » . ولم يستخلص احد مغزى امتحان الحرب الاسبانية ، « المختبر النازي » الحقيقي الذي احكم فيه الالمان استخدام قاذفة القنابل الانقضاضية والمدفـــع الرشاش والاتصال بين الدبابات والطائرات ، ودور المدن او القرى المستخدمة كنقـاط مقاومة منعزلة قادرة على الدفاع عن نفسها في كافة الاتجاهات والصمود في وجـه تطويق كامل ؛ ولم يستوقف نظـــر المراقبين سوى فشل الدبابات في عمليات « غوادالاجارا » و « برونيته » ، دون ان يأخذوا بعين الاعتبار الاساليب الجديدة التي ظهرت في معـارك اراغون وكاتالونيا منذ السنة ١٩٣٨ والتي كانت الظواهر الاولى لفن الحرب الجديد .

بيد ان فرنسا اخذت تتشيء ، في خريف السنة ١٩٣٨ ، فيالق مدرعة مـــا زالت تختلف اختلافا كبيرا عن مثال البانزر . فان الفيلق المدرع بقي سلاحـا من اسلحة المشاة ، ولم يكن استخدامه ممكنا الا في اطار وحدة مشاة كبرى ، وكان سلاحـــا للهجوم المعاكس معدا لسد الثلمات في الجبهة ، اي لاحراز نجاح محدود. ولم يزود لا بوسائل استكشاف ولا بوسائل دفاع ضد الطائرات والدبابات، ولا بفرق مشاة ومدفعية تنقل بالسيارات. وكان عاجزا عن العيش وخوض المعركة مستقلا ، بينما كان البانزر سلاحا سريع الحركة ترتبط به كافة الاسلحة الاخرى .

القوات المتقابلة في شهر ايار من السنة ١٩٤٠

في وجه الدبابات الالمانيـــة الـ ٢٧٠٠ ، امتلكت فرنسا ٢٣٠٠ تضاف اليها الدبابات البريطانية ، اي زهاء ٣٠٠٠ . وفي النطاق الجوي ، كان لدى الالمان، في اوائل شهر ايار من السنة ١٩٤٠ ، بين ٧٠٠ و ٨٠٠ طائرة مطاردة (٧٠٠ لدى الفرنسيين والبريطانيين) و ١٢٠٠ قاذفة قنابل (مقابل ١٥٠ الى ١٧٥) و ٤٠٠ طائرة انقضاضية (*Stuka*) . فيكون المجموع

٢٦٠٠ طائرة مقابل ١٧٠٠ طائرة فرنسية وبريطانية قد لا توازيها سرعة واستقلالاً ، ولكنها انزلت بالالمان، خلال معارك السنة ١٩٤٠ ثلاثة اضعاف خسائرها . فلم يكن الجو من ثم خاليا كما اعتقدت الجيوش البرية التي تأثرت تأثراً قوياً بنشـــاط الطائرات الانقضاضية ، بينما كانت الطائرات الفرنسية موزعة ، و « ذائبة الى اللانهاية » (« سانت – اكزوبيرى ») بين الوحدات البرية في الجبهة . ولم يكن في الحقيقة من تفوق « ساحق » للقوات الالمانية الا في نطاق الدفاع ضد الطائرات (٩٣٠٠ قطعة مقابل ١٦٠٠) ، وقاذفات القنابل الانقضاضية والسلاح المنقول جواً التي لم يجهز بها لا الجيش الفرنسي ولا الجيش البريطاني . وبالمقابلة كانت المدفعية الفرنسية متفوقة عدداً ونوعية – ولكنها كانت معدة لحرب جامدة (ولذلك كان معظمها يُجر بواسطة الجياد) ، وكان الاسطول البريطاني متفرقا على الاسطول الالماني تفوقاً اعظم منـــه في السنة ١٩١٤ الى حد بعيد .

ولكن الجيش الالماني لم يخل من نقاط ضعف خطيرة بسبب اعادة تنظيمه بسرعة كلية . فقد افتقر الى الضباط – ولا سيما الصغار منهم – والفرق الاحتياطية المدربة ، وسلم عتـــاده المتفاوت النوعية الى مجندين تعوزهم الخبرة ، ثم الى « الجدار الغربي » الذي انشىء على عجـل لسد الطريق في وجه هجوم يشن من الغرب ، لم يكن في الواقع على جانب كبير من الركانة . ولعل نقاط الضعف هذه تفسر مخاوف القيادة الالمانية الخطيرة وقـلة حماسها وثقتها في السنة ١٩٣٩ ، على الرغم من « الخدعة » الهتلرية .

٣ – تطورات التسلح
والاستحداثات في فن الحرب

خلال العمليات الحربية ، سيطر على ظروف المعركة البرية رجحان دور السلاح المـــدرع والطيران . وفي البحر اصبح الطيران العنصر الاساسي في المعـــارك ، التي عرفت منذئذ بـ « الجوية البحرية » ، وحتى في الصراع ضد الغواصات . وان كافـة الابحاث التي اجريت ، والتي افضى بعضها الى اختراعات هامة جداً ، قد استهدفت اما تحسين هذه الاسلحة واما توفير دفاع فعال ضدها . فتكيف فن الحرب من ثم بحسب التطورات التقنية التي طرأت على الدبابة والطائرة ، وبحسب الوسائل الجديدة المكتشفة لاتقائها . وكانت النتيجة ادخال تغييرات على تنظيم الجيش وتجهيزه وظروف الحرب نفسها .

تطور الاسلحة المختلفة

هما الدبابة والطائرة ما طبعتا الحرب العالمية الثانية بالطابع الذي يميزها كلياً عن الحرب العالمية الاولى : السرعة القصوى في تحرك الجيوش . وبينما كادت الجبهة الرئيسية تكون ثابتة بين السنة ١٩١٥ والسنة ١٩١٨ ، استعادت الحركة في السنة ١٩٣٩ تفوقها على النار ، واعادت وسائل النقـــل السريع الى الحرب عاملي

المباغتة والسرعة اللذين قد تلاشيا من ذي قبل . فقاذفة القنابل ، والجيوش المنقولة جـواً والوحدات الآلية الكبرى قد اعادت تقييم عامل المباغتة . وكان باستطاعـة الدبابات المسلحة بمدافع من عيار ٥٠ و ٧٥ و ٨٨ و ٩٠ ان تسحق الآن نقاط الدفاع في طريقها وتتلف الاسلحة الآلية التي كانت توقف ، فيما مضى ، سلاحي الفرسان والمشاة ، بينما تهاجم قاذفات القنـابل الامدادات وتدمر المواصلات والقوافل المتوجهة الى ميدان المعركة وتفكك الوحدات قبـل وصولها الى مراكزها في الجبهة ، وتجعل استخدام قوات الاحتياط الستراتيجية امـراً مستحيلاً . وهو عامل المفاجأة هذا ما اتاح للاقوى الافـادة من تفوقـه واحراز كافـة الانتصارات الحربية .

بدالة هذا المركز الرئيسي الذي احتلته الدبابة والطائرة ، تطور تجهـيز وتنظيم الاسلحة الاخرى . فامام الدبابات التي اصبحت سيدة ميدان المعركة تسلم سلاح المشاة التقليدي اسلحة ذاتية الحركة متزايدة للقوة والفعالية (المدفع الرشاش الصغير ، والبندقية الذاتيـة الحركة) ومدافع هاون خفيفة وثقيلة ، واخيراً اسلحة لالقاء القذائف ذات الحشوة المجوفة التي اتاحت للمشاة مجابهة الدبابة على مسافة قريبة . وزود سلاح المشاة كذلك بمدافع رشاشة مضـادة للطائرات مثبتة في القسم الامامي من الشاحنات للدفاع عن القـوافل . وتحسنت الاتصالات تحسناً عظيماً ، فبات المذياع وسيلة الاتصال الاعتيادية حتى مستوى قـائد الفصيـلة . وزود اخيراً بالآليات ، ففقد كافة حيواناته ، باستثناء الوحدات الجبلية التي احتفظت ببغالها .

وتدل وفرة مدافع الهاون وتزويد وحدات المشاة بالمدافع على المركز المتعاظم اهمية الذي احتلته اسلحة الاطلاق المنحني المتزايدة على حساب الاسلحة الذاتية الحركة . وقد برزت افضلية المدفع القصير على المدفع الطويل ، التي اتضحت منذ ما بين الحربين ، في كافـة العمليات الحربية . فمنذ السنة ١٩٣٩ سلح الفيلق الالماني بـ ١١ مجموعة مدافع قصيرة مقابل مجموعة مدافع طويلة واحدة ، وفي آخر الحرب لم تسلح الفيالق المدرعة الالمانية والاميركية سوى بمدافع قصيرة . اما التطورات الهامة التي طرأت على المدفعية فهي نقلها الآلي ، اذ ان المدافع المجرورة جراً قد استبدلت اكثر فاكثر بمدافع مثبتة على اسناد تتحرك آلياً ، وظهور المدفـع الذي لا يندفع الى الوراء . فخف بذلـك وزن المدفـع وسنده ، وبات بمقدور المظليين والمغاوير استخدامه ، ولكن المرمى اصبح ادنى مسافة وتعيين الموضع اسهل منالاً .

اما سلاح الهندسة فقد تعاظم دوره جداً في المعركة . فهو لم يعد يعمل منفرداً ، وقد الحقت وحداته ، التي ارتفع عدد افرادها ارتفاعاً كبيراً ، بوحدات المشاة والمدفعيين ، وغالباً ما تقدمتها لاستكشاف المسالك ، ونزع الالغام او زرعها تحت نيران العدو ، وتركيب الجسور . وتولت صيانة او شق الطرق ، ومهدت ارض المطارات بالجرافة . وقد زودت كذلك بالآليات

والمعدات القوية المختلفة .

الدبابة

تنتظم المعركة حول الوحدات المدرعة الكبرى وبدالتها ؛ ولكن النجاح ليس منوطاً بها وحدها ، اذ انه يستلزم السيطرة على الجو ايضاً ؛ فهو من ثم تنسيق الهجوم بين الدبابة والطائرة ما اتاح انتصارات الالمان العظيمة في بولونيا وبلجيكا وفرنسا (الشكل ١٣ ، ص ٣٤٩) والبلقان وافريقيا في المرحلة الاولى من الحرب ، وانتصارات الحلفاء ابتداء من السنة ١٩٤٢ . وهو الجيش الالماني من ثم ما نُسج على منواله وما عيّن الطرائق في البدء ، بسبب نجاحاته الجديرة بالاعتبار . وقد سبق ورأينا ان الباتزر كانت وحدة تستطيع التصرف باستقلال واسع ؛ وقد ضمت فرقة استكشاف مؤلفة من كافة الاسلحة : فصائل مدافع رشاشة سيارة ودراجات بخارية ، وفصائل مدافع مشاة ومدافع مضادة للدبابات ، وفصائل من سلاح الهندسة والمخابرات . ثم لواءين يضم احدهما ٤٨٨ دبابة ويتألف الثاني من رماة ينقلون في السيارات وفرقة مدافع سيارة من عيار ٧٥ ومدافع مضادة للدبابات من عيار ٣٧ ، وفوج من سائقي الدراجات البخارية مع مدافع رشاشة ، ومدافع هاوبن من عيار ٨١ ومدافع من عيار ٣٧ ، وفرق صغيرة مسلحة بمدافع مضادة للطائرات والدبابات وفرق من سلاحي الهندسة والنقل وفرقة مدافع تجر جراً من عيار ١٠٥ ، وفوج مخابرات ، ووحدات سيارة في المؤخرة تؤمن تموينا منتظماً ؛ فكان بامكانها ، بالاتفاق التام مع سلاح الطيران الموجود ابداً فوق ساحة المعركة ، ان تحقق عامل المفاجأة . وقد اتاحت لها سرعتها ومرونة مناورتها فتح ثلمات عميقة والقيام بعمليات تطويقية .

خلال الحرب ، تقابلت وتوازت التحسينات الدفاعية والتحسينات الهجومية : ازدياد تصفيح الابراج (حتى ٢٠٠ مم في القسم الامامي) ، وعيار المدافع : ٧٥ و ٨٨ و ١٠٥ و ١٥٠ ... ، ومن ثم وزن الدبابة : مارك ٦ (٦٥ طناً) ، فرديناند (٧٠ طناً) ، شرمن الاميركية (٣١ طناً) ، شرمل (٣٥ طناً) ، كونيغستيجر وجاغدبانتر (٦٨ و ٤٦ طناً) ، برشنغ (٤٣ طناً) وجوزف – ستالين (٥٠ طناً) ، « ارهب سلاح مجنزر حققه » اي من المتحاربين ، بمدفعه البالغ ١٢٢ سم طولاً ومدفعيه الرشاشين تحت البرج .

الا ان الدبابة قد اخضعتها حقول الالغام (التي كانت متصلة على طول ١٤ كلم امام موسكو وتخللتها اغوار ضد الدبابات) . فلكي تتمكن من التقدم ، يجب نزع الالغام – تحت نيران العدو – من الممرات الضيقة التي ستسلكها ، واكتشاف الالغام بواسطة كاشف مغناطيسي واخراجها من الارض ، وقد بقي ذلك عملية خطرة حتى السنة ١٩٤٤ حين ظهرت دبابات شرمن المزودة بجهاز يكنس الالغام (حتى تلك التي لا يكشفها الكاشف العادي) على مسافة عدة امتار امام الجنازير . ولكن اهم ما تعرضت له هو نيران المدافع الكثيفة التي حققها الروس ولا سيما المدفع « كوستيكوف » (الذي اسماه الالمان « ستالينورجيل » والروس « كاتيوشا ») المركب على جنازير ، الذي يطلق في آن واحد ١٦ او ٢٤ قنبلة من عيار ١٥ كيلوغراماً ،

وبصورة خاصة الـ « بازوكا » ، الابتكار الاميركي العظيم ، الذي كان اول سلاح فردي مضاد للدبابات في ايدي المشاة . فحتى ظهوره لم تبرهن كافة الاسلحة المستخدمة ، كالمدافع من عيار ٢٥ و ٣٧ ، والبندقية الروسية المضادة للدبابات من عيار ١٤ ، الخ. ، عن فعالية كافيـة امام تزايد سماكة تصفيح الدبابات ، مما ارغم تدريجياً على زيادة عيـــار — ومن ثم وزن — المدافع المضادة للدبابات : فعند الانكليز انتقل العيار من ٥٧ الى ٧٦ ، وعند الالمان من ٥٠ الى ٧٥ و ٨٨ ، دون ان يمكن ذلك المشـاة من الدفاع عن انفسهم بوسائلهم الخاصة . اما البـــازوكا فأنبوب بسيط من الحـديد المصفح يطلق من على الكتف او على الخـــاصرة فيقذف قنبلة ذات حشوة مجوفة قادرة على خرق سماكة ١٠ الى ١٢ سم من الحديد . وهي هذه الحشوة المجوفة ما اتاحت انقلاب الموقف وما شكلت منذئذ ارهب عدو للدبابة . وتتألف في جوهرها من مادة متفجرة ، تلتصق مغنطيسياً بجدار البندقية ، قادرة على ان توجه الى الحديد المصفح غازاً ملتهباً بسرعة تبلغ ١٥٠٠٠ م في الثانية ينفذ الى الداخل . وابتكر البريطانيون كـذلك من جهتهم الـ « بيات » . كما ابتكر الالمان ، في السنة ١٧٤٤ ، الـ « بانزرشريك » من عيار ٨٨ مم القادر على اختراق سماكة ١٦٠ مم من الحـديد المصفح على مسافة ١٠٠ م بواسطة قذائفـه المجنحة ، و « البانزر فوست » القادر على اختراق سماكة ٢٠٠ ملم من الحديد المصفح على مسافة ٥٠ متراً. ومهما بلغ من قوة تصفيح الدبابات وقوة اسلحتها ، فقد اصبحت اصغر وحدات المشاة ، بعـد اليوم ، مزودة بأسلحة فعالة ضدها .

انحطاط الدبابة

وحتى قبل ظهور هذه الاسلحة الجديدة في ساحة المعركة ، اخذت اهمية الدبابة تتدنى شيئاً فشيئاً . فمنذ السنة ١٩٤٢ ، عاد الالمان الى اساليبهم القديمة : لم تعد الدبابة اداة اختراق مستقلة ، بل اصبحت مرة اخرى سلاحاً مواكباً. وقد اوضحت مذكرة صادرة عن قيادة اركان الجيش « ان مهمتها هي تسهيل تقدم المشاة » . وتطور من ثم تأليف البانزر . فبينما ضمت هذه الوحدة في السنة ١٩٤٠ فرقتين من الدبابات مقابل فرقة من المشاة ، انعكست النسبة في السنة ١٩٤٢ : فرقة من الدبابات مقابل فرقتين من المشاة . والدبابة بحاجة الى حماية المشاة ولا سيما الى حماية المدفعيـــة التي حلت محل الطائرات الانقضاضية ، وهذا هو الدور الذي اسند الى المدافـع السيارة اي الى فصائل المدفعيـة التي نظمها الالمان في السنة ١٩٤٣ . فالبانزر الرابعة التي طلب اليها انقاذ فون بولوس في السنة ١٩٤٢ لم تضم سوى ١٩٠ دبابة . وفي السنة ١٩٤٤ لم تضم فيالق البانزر الاربعة التي اسندت اليها مهمة قطع خطوط مواصلات الجيش الاميركي الثالث في « مورتين » سوى ١٢٠ دبابة فقط . وتفسير ذلك ان هشاشة الدبابة امام قنابل الطائرات والالغام والاسلحة الذاتية الحركة قـد ظهرت بكل وضوح. ثم جاء المدفع الذي لا يندفع الى الوراء والمطاردات التي تقذف القنابل تستعجل انحطاطها . فهم المشاة ونازعو الالغام من شكلوا وراء جبهة العدو رقبـة الجسر التي انطلقت منها الدبابات البريطانية الى المعركة ، لا من اجل فتح ثلمة بل من اجل المطاردة . واصبحت

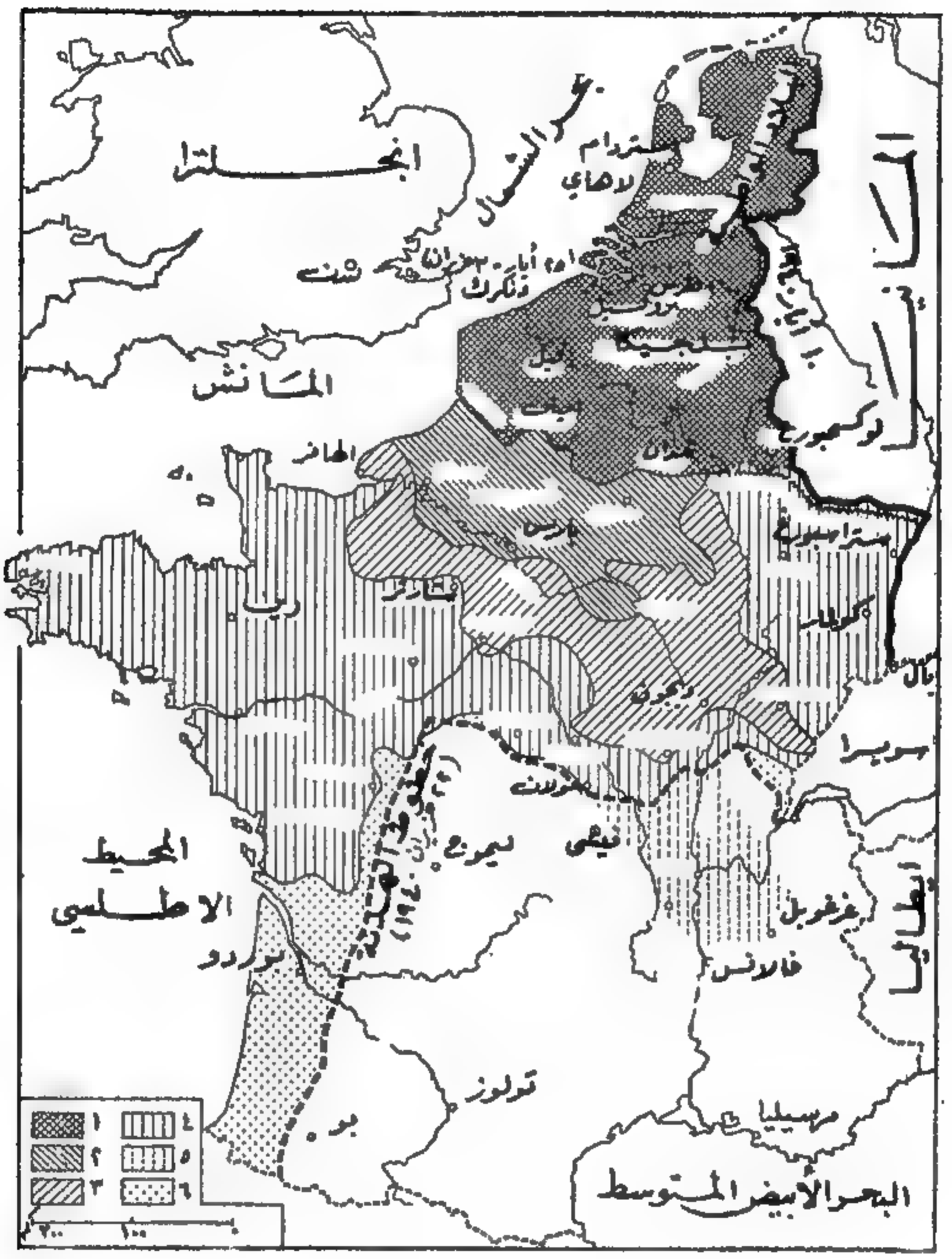

الشكل ١٣ ـ الحرب في الغرب في السنة ١٩٤٠

١ ـ التقدم بين ١٠ ايار و ٤ حزيران ، ٢ ـ التقدم بين ٥ حزيران و ١٤ حزيران ، ٣ ـ التقدم بين ١٥ حزيران و ١٧ حزيران ، ٤ ـ التقدم بين ١٨ حزيران و ٢٥ حزيران ، ٥ ـ اندفاع العناصر المتقدمة ، ٦ ـ منطقة اضافية احتلها الالمان .

المدفعية مرة اخرى السلاح البري الحاسم لانها تشق الطريق امام الدبابات . وهـــذا ما يفسر كثافة المدافع التي استخدمتها منذئذ فرق المدفعية الروسية .

وهكذا اعتمد كافة المتحاربين ، منذ صيف السنة ١٩٤٣ ، حلولاً متشابهة جداً لاستخدام دباباتهم : فان الفرقة المدرعة السوفياتية والبانزر الالمانية والفرقة المدرعة البريطانية قد ضمت عدداً محدوداً من الدبابات (زهاء ٢٥٠) تساندها مدفعية سيارة هامة وسلاح المشاة . ومن جهة ثانية ، ظهر في كافة الجيوش ميل الى جمع مجندين من كافة الاسلحة في وحدة جديدة اصغر من الفيلق وقادرة على التوفيق بين النار والحركة . وهم الاميركيون من سبقوا سواهم الى تطبيق هذه اللاحصرية ، بينما توصل الالمان الى النتيجة نفسها بزيادة عدد الفيالق التي تدنى عـــدد افرادها وعدد دباباتها تدنياً مطرداً . فكانت الجـــدة عند الاميركيين في احلالهم ، في مستوى الفرقة ، وحدة الاسلحة المتآلفة التي احلهـــا الالمان في مستوى الفيلق والروس في مستوى الفصيلة . فاصبحت الوحدة الحربية الاميركية ، القادرة على القيام بعمليات مستقلة ، وحـــدة « قيادة المعركة » — المؤلفة من فوج دبابات خفيفة ومتوسطة وفوج رماة ينقلون في الشاحنات ومجموعة مدافع سيارة من عيار ١٠٥ — يفصل الفيلق اليها مجموعـــة استكشاف مؤلفـــة من سيارات مصفحة ودبابات خفيفة ، ومدافع سيارة مجنزرة .

الطيران

كما رأينا بصدد الدبابة ، تحسنت الطائرات تحسناً مطرداً طيلة ايام الحرب ، وتحسنت بالمقابلة وسائل مقاومتها ؛ ولكن بينما اتضح يوماً بعد يوم ان الدبابة اعجز من ان تعمل بمفردها وانها في الواقع ســـلاح هش ، وصعب الاستعمال ، ومعرض لاخطار كبرى ، لعب الطيران دوراً حاسماً مطرد الاهمية ؛ وفي حين لم يستطع اي من الاسلحة الاخرى الاستغناء عنه ، برهن هو عن ان باستطاعته الاستغناء عن سواه اذ انه ربح وحـــده معارك بحرية وحتى جوية بوحداته المنقولة جواً والمنزلة بواسطة المظلات .

جاءت تحسينات الطيران نتيجة نوعين من التقدم : فمن جهـة ازدادت قوته المحركة ازدياداً عظيماً منتقلة من ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠ وحتى الى ٥٠٠٠ حصان (Me — ٣٢٣) ؛ ومن جهة ثانية ازدادت قوة ناره بفضل ازدياد عدد وعيـــار وسرعة اطلاق نار المدافع الرشاشة (من ٦ مم الى ١٢٫٥ و ١٣٫٥) والمدافع (٣٧ ، ٤٠ ، وحتى ٧٥ مـع قنابل متفجرة) واطلاق الصواريخ .

وهي المانيـــا ، هنا ايضاً ، ما يعود اليها فضل الابتكار في المرحـــلة الاولى من الحرب باستخدامها الطائرات الانقضاضية المطلوب منها « احداث الفراغ في ميـدان المعركة والسماح لوحدات الهجوم باختراق صفوف العدو دون التعرض تعرضاً كبيراً لنيرانه ». فقد قامت مئات الطائرات بضرب العدو وتفريغ متفجراتها وكنس ساحة المعركة بطيرانها المنخفض ومهاجمة القوافل على طول الطرقات وتدمير الجسور ومراكز المدفعية الثقيلة وضعضعة المجندين غـــير المتمرنين على الحرب بالدوي الجهنمي الذي تحدثه الطائرة اثنـاء انقضاضها ، فتحطم الاعصاب

وتشل الدفاع . ولكن كلما اكتشف سر طريقتها الحربية ، ترى فعاليتها ، الكاملة في بولونيا وحتى في الغرب في شهر ايار من السنة ١٩٤٠ ، تتدنى تدنياً محسوساً خلال المرحلة الثانية من معركة فرنسا على السوم والاين في شهر حزيران من السنة ١٩٤٠ ، واكثر فاكثر في السنوات التالية . وان طائرات «لايتننغ» و «موستنغ»وثندربولت الانكلوساكسونية و «ستور موفيك» السوفياتية سوف تستخدم بدورها هـذه الطريقة نفسها في اوروبا وافريقيا ، وفي الغرب كما في الشرق .

كانت معركة انكلترا المعركة الجوية الحاسمة الكبرى الاولى في الحرب. فان ٣٠٠٠ طائرة، ثلثها مطاردات من طراز *Me* ١٠٩ و *Me* ١١٠ لحماية قاذفات القنابل ، قد وجدت أمامهـا ٥٤٠ طائرة مطاردة من طراز *Spitfire* و *Hurricane* انقذت البلاد من الغزو بمساعدة سلاح الدفاع ضد الطائرات واجهزة الرادار . ومنذ ذاك التاريخ اخذ تفوق الحلفاء يتعاظم وانتقل اليهم زمام المبادهة في الحرب الجوية .

الغارات الجوية الستراتيجية

حوّل الانكلوساكسون مجهودهم الرئيسي الى الغـارات الجوية الستراتيجية . فقد كان المقصود تدمير طاقة العدو الصناعيـة والاقتصادية والعسكرية بضرب المراكز الصناعية الالمانيـة الكبرى . ولذلك جهز الانكليز طائرة قادرة على قذف عدة اطنان من القنـابل خلال هجوم واحد : بلنهايم ٤ ، – افرو لنكستر ، افضل قاذفات القنابل في السلاح الجـوي البريطاني ، ولنغتون ، هاليفكس ٦ ، وموسكيتو التي كانت خير طراز ناجح . واحكم الاميركيون « القلعـة الطائرة » المسلحة بـ ١٣ مدفعاً رشاشاً ثقيلاً ركبت بحيث لا يبقى اية زاوية ميتة . فقد بلغت سرعتها ٤٨٠ كلم وتراوح مداها بين ٢٠٠٠ و ٥٠٠٠ كلم وفاقاً لوزن محمولهـا . ثم انتجت القلعة الطائرة الجبـارة التي استخدمت في المحيط الهادي . وكان لدى الاميركيين « ليبراتور » و « ماورودر » ايضاً .

ومع السرعة والحمول والمسافة ، ازداد ايضاً وزن القنابل القابلة الانفجـار : ١٨٠٠ كيلوغرام، ثم ٣٦٠٠ ، و٥٥٠٠، و١٠٠٠٠ بالاضافة الى الصواريخ والقنابل المحرقة الفوسفورية. وقد جهزت كافة الطائرات بالرادار ، واستخدمت نظام « جي » (*Gee*) وطريقة « لوران » (*Loran*) اللذين اتاحا ارشاد الطائرات عبر الاطلسي او فوق المانيا ، ونظام « اوبو» (*Oboe*) (١٩٤٣) الذي اتاح للسائقين معرفة مركز وجودهم مع فارق ٥٠ متراً تقريباً وسلوك الطريق المرسومة امامهم على شاشة مضاءة ، ونُبّه السائقون حين يقتربون من الهدف وحين تأزف ساعة القاء قنابلهم . واستخدمت في السنة ١٩٤٣ – ١٩٤٤ العلبة « جن » (*Gen*) التي عرضت امام اعينهم على شاشة الرادار ، حتى على ارتفاع شاهق وعبر الغيوم الكثيفة ، صورة صحيحـة للارض التي يطيرون فوقها . وبغية جعل المدافع والمطاردات والانوار الكاشفة تخطىء هدفها استخدمت « النوافذ » (*Windows*)، وهي اشرطة صغيرة من الورق المفضض تحدث موجات عكسية تشوّش اجهزة الرادار الالمانية . وقامت بالغارات عدة مئات من الطائرات التي كانت تتقدمها طائرات تلقي قنابل ملونة وقنابل مضيئة .

بينما تخصص الطيران الجوي البريطاني بالغارات الليلية ، هـــاجم الطيران الستراتيجي الاميركي نهاراً ، ولكن الخسائر كانت فادحة – اذ ان متوسط عمر قاذفة القنابل لم يجاوز ١٦٠ يوماً حينذاك – حتى ظهور طراز الـ « موستانغ » الذي قلب الستراتيجية الجوية رأساً على عقب في اواخر السنة ١٩٤٣ . ومنذ هذا التاريخ اصبح التفوق الاميركي في المعركة النهارية تاماً : ففي ٣٠ كانون الثاني من السنة ١٩٤٤ هاجمت مدينة فرانكفورت ٨٠٠ قاذفة قنابل ، تخفرها ٧٠٠ مطاردة ، ولم تفقد سوى ٤٤ طائرة . ولكن هذه الغارات بالجملة لم تسفر من جهة ثانية عن نتيجة كبرى ، لانها لم تدمر سوى جزء يسير من الانتاج الصناعي الالماني .

بات الجيش الجوي من ثم وفير العدد جداً ، واستلزم عشرة اضعافـه على الارض : ٢٥٠٠ جندي لسرب مؤلف من ٢٤ « لنكستر » يضم ٢٥٠ طياراً . واستلزم كذلك موارد ضخمة . فكل غارة من الغارات التي اشتركت فيها ١٠٠٠ طائرة ، والتي ابتدأت في شهر ايار من السنة ١٩٤٢ ، وتعددت ابتداء من السنة ١٩٤٣ استهلكت بضعة ملايين ليتر من البنزين ، والقي فيها ٦٠٠٠ طن من القنابل . وان غارة الثاني من شهر شباط من السنة ١٩٤٥ عـــلى برلين ، التي قامت بها ١٥٠٠ قلعة طائرة تخفرها ٩٠٠ مطاردة ، قد استهلكت ١٦ مليون ليتر من البنزين.

الطيران التكتيكي

على صعيد الطيران التكتيكي الذي اشترك في المعركـة البرية ، نرى ان تفوق سلاح الجو الالماني ، الذي ما زال حاسماً على الجبهة الشرقية في شهر حزيران من السنة ١٩٤١ ، قد تلاشى في السنة ١٩٤٣ امام الوف طائرات المطاردة من طراز « ميغ » وطراز «ياك » ؛ فان هذا الاخير ، المسلّح بمـــدفع من عيار ٢٠ مم ومدفعين رشاشين ثقيلين وستة صفوف من صواريخ يزن كل منها ٢٥ كيلوغراماً ، كان سلاحاً رهيباً جداً، على غرار طائرة الستورموفيك ، المسلحة بمدفعين من عيار ٣٢ ومـــدفعين رشاشين ثقيلين و٨ صفوف من الصواريخ، التي تهاجم بسرعة ٤٠٠ كلم في الساعة، انقضاضاً او على ارتفاع منخفض جداً، الدبابات والمؤسسات الصناعية واستخدام الانكليز الهوريكين والـ « سبتفاير » من اطرزة مختلفة ، والـ « تيفون » التي حسّنت واصبحت الـ « تمبست » التي بلغت سرعتها ٧٠٠ كلم في الساعة وكانت احدث طـائرة مطاردة خلال الحرب . وكان لدى الاميركيين الـ « مارودر » والـ «تندربولت» اللتين بلغت سرعتهما ٧٠٠ كلم في الساعة ايضاً وامكن تجهيزهما بالصواريخ والـ « دوغلاس ـ A ـ ٣٦ ـ انفادر » التي استخدمت للمرة الاولى في السنة ١٩٤٥ ، وكانت اسرع الطائرات طرّاً وافضلها تسليحاً . ولكن منذ السنة ١٩٤٥ ظهرت الطائرة النفاثة الاولى التي استعيض فيها عن محرك الانفجار بعنفة احتراق تنفث بسرعة الى الوراء غازاً محترقاً يدفعها في الاتجاه المعاكس. وكانت هذه الطائرة الجديدة اخف وزناً واصغر حجماً اذ ان طريقة دفعها الى الامام قد اتاحت الاستغناء عن قطع كثيرة، من جملتها المروحة ، وبلوغ سرعة ٩٠٠ كلم في الساعة . وكان « هنكل » قد اجرى تجربة ، منذ السنة ١٩٤١ ، على طائرة نفاثـة ، ولكن قراراً طائشاً اصدره الفوهرر قد اخر استخدامها حتى السنة ١٩٤٣ حين ظهرت الطائرة Me ٢٦٢

وفي هـــذا التاريخ استخدمت الـ « غلوستر متيور » التي بلغت سرعتها ٩٧٠ كلم في الساعة وكانت اولى الطائرات المشتركة في عمليات حربية في شهر آب من السنة ١٩٤٤ ، باسقاطها صواريخ V 1 ، والـ « قامبير » التي بلغت سرعتها ٨٧٠ كلم في الساعة . ومن الجهة الالمانية كانت طائرات الـ « ناتر » (ثعبان) ، بالاضافة الى الـ Me ٢٦٢ والـ He ١٦٢ ، متفوقـــة بسرعتها على كافة الطائرات الحليفة ، ولكن استخدامها جاء متأخراً ، فلم يكن لها تأثير على العمليات .

استُخدم هذا الطيران التكتيكي اسراباً كثيفـة ، في مصر اولا حيث سهلت الف مطاردة وقاذفة قنابل هجوم الجيش الثامن وتجاوزته في تقدمه وحالت دون التموين الالماني بحراً . وهو هذا الطيران ما اعد وساعد عمليات انزال الجيوش في صقلية و « سالرن » و « انزيو » ونورمنديا (الشكل ١٤، ص٣٦٠) ففي اليوم المحدد، انقلب وضع السنة ١٩٤٠ لصالح الحلفاء، اذ لم تصادف ٦٠٠٠ طائرة ، نصفها من المطاردات القاذفة القنابل ، امامها سوى ٩٠٠ مطاردة المانية . وفي اعظم معارك تقويض الجبهات شأناً ، في « سان ــ لو » ، اغـارت طائرات الـ « ثندربولت » ، كل دقيقتين او ثلاثة ، بالقنـابل الفوسفورية ، ثم المتفجرة ، على خطوط العدو الاولى . والقت ٣٠٠ طائرات ٧٠٠٠ طن من القنابل في « منديل الجيب » هذا البالغ ٩ كلم طولاً وكيلومترين عرضاً ، وفتحت الثلمة التي اندفعت فيها جيوش الجنرال « باتون » . وقـد اسندت الى الطيران وحده مهمة حماية جناحيه . ونشرت طائرات الـ « تمبست » والـ « ثندربولت » والـ « موسكيتو » الذعر في كافة الطرقات . فاشتركت في المعركة بكثـــافة وبسرعة مدهشة وصدت الهجمات المعـــاكسة ، كما في « مورتين » في السادس من آب وفي الآردين في شهر كانون الاول من السنة ١٩٤٤ .

الجيوش المنقولة جواً

كان من اهم مستحدثات الحرب استخدام المظليين والجيوش المنقولة جواً استخداماً واسع النطاق . فاتاح ذلـك بلوغ الهدف الذي سعت وراءه الستراتيجية منذ عهد قديم : مهاجمة العدو من الوراء بقوات هـامة . وفي السنة ١٩٣٩ لم يكن هناك من وحدات مظليين الا في الاتحاد السوفياتي وفي المانيا ، ولم يفكر الحلفاء بانشاء وحدات مماثلة بدورهم الا بعد الفتوحات الالمانية . وتحسنت كذلك المعدات اللازمة من طائرات نقـل وطائرات هوائية متطورة ، فاتاحت نقل عدد متزايد من الجنود والمدافع والعربات والدبابات. الا ان استخدام المظليين والنقل بواسطة الطائرات الهوائية لم يتسع اتساعاً كبـيراً الا منذ غزو جزيرة « كريت » . فحتى ذاك التاريخ اقتصر هذا الاستخدام على انزال مجموعات صغيرة من الجنود البواسل وراء الخطوط للقيام بعمليات تدمير او باحتلال نقاط هامة رئيسية : المطارات، كمطار اوسلو ، والجسور الهامة على الـ « موز » والرين في هولندا وبلجيكا ، وجسور قناة الملك « البير » ، وحصن « ابَن ــ امايل » . وليس من يشك في اهمية هذه العمليات التي يقدم احتلال النروج مثالاً على نجاحها التام ، ولكن عدد الجنود المشتركين فيها ما زال محدوداً . اما احتلال

كريت – المركز الستراتيجي الهام جداً – فقد استلزم وسائل اعظم شأنـــاً الى حد بعيد : ١٢٣٠ طائرة منها ٥٣٠ *u/* – ٥٢ تحميها مطاردات وطائرات انقضاضية ؛ ٧٣٠٠ مظلي (فقد ٤٠ ٪ منهم) واكثر من ٢٠٠٠٠ جندي نقلوا جواً. وفي اواخر السنة ١٩٤٢ ظهرت الوحدات الحليفة الكبرى المعدة للنقل الجوي ، التي اشتركت في كافة العمليات الهـامة : في صقلية ، في رقبة جسر سالرن ، في نورمنديا حيث انزلت من الجو ثلاثة فيـالق وراء الخطوط الالمـانية في « سانت ـ مار ـ اغليز » و « بايو » وفقدت ٥٠٪ من افرادها ، وعلى الرين الذي سبق اجتيازه انزال ١٤٠٠٠ من المظليين والجنود المنقولين جواً (فيلقان) مع ٧٠٠ سيارة و ١٠٠ مدفـــع وذخائرهم التي نقلتها ٣٠٠٠ طائرة و ١٣٢٦ طائرة هوائية .

الاسلحة الذاتية الاندفاع

ان تفوق الحلفاء الجوي الساحق دفـع الالمان الى البحث عن وسائل جديدة لبلوغ اهدافهم . وكان ذلك منطلق تقنية ثورية تستخدم اسلحة ذاتية الاندفاع قد يقودها او لا يقودهـا ملاحون . فمنذ السنة ١٩٤٢ احكم الالمان في « بينموند » ، في جزيرة « اوسدوم » ، اسلحة بوشر درسها منـــذ السنة ١٩٣٧ هي الـ *V* ١ (اسلحة الانتقام : *Vergeltungswaffe*) و *V* ٢ . وكانت الـ *V* ١ صواريخ تبلغ سبعة امتار طولا تسيرها قوة اندفاع عكسي وتحمل طنـا من المتفجرات . وكانت تطلق في قواعد خاصة ثابتة ، حتى مسافة ٢٥٠ كلم . ولكن الطيران والمدفعية المضادة للطـائرات اللذين كانا مزودين بأجهزة رادار للتصويب آلياً وبأنابيب مسيّرة تطلق صواريخ تعمل عملها حين تمر على مسافة دون الـ ٤٠ متراً ، قد تغلبا بسهولة عليها ؛ فلم يبلغ الهدف سوى ربعها ودمرت قاذفات القنابل قواعد اطلاقها او ازالتها كليـــاً . اما الـ « *V* ٢ » ، فكانت اعظم خطراً : فهي صواريخ سديمية تبلغ ١٤٫٥ م طولاً وتزن ١٣٫٥ طناً ، كانت تطلق اطلاقاً يكاد يكون عمودياً بواسطة جهاز خاص ، فتبلغ ارتفاع ٥٠ كلم ، وحين تصل الى الارض مسيّرة بسرعـة ١٣٠٠ متر في الثانية ، كان يستحيل سماعها ، مما جعل الدفاع ضدها محالاً وجعلها تترك وراءهـــا دماراً وخراباً كثيراً . ولكن ٦٠٠ طائرة من سلاح الجو البريطاني ضربت بالقنابل تجهيزات بينموند في السنة ١٩٤٣ مما أخر اطلاقها وحال دون تعريضها نصر الحلفاء للخطر .

الحرب البحرية منذ السنة ١٩١٤ حتى السنة ١٩١٨

طرأت على الحرب البحرية تغييرات كبرى ايضا ، فتبـدل وجه المعركة البحرية تبدلاً كلياً . وان تبدلاتها خلال الحرب العالمية الاولى لا تقارن بتبدلات الحرب البرية . فامـــام اسطول بريطاني ، كان على العموم اكثر من ضعفي اسطولها ، وقفت المانيا موقفاً دفاعياً ، ولم تستلم المبادهة الا في عهد متأخر في نطاق حرب الغواصات الخاص .

قامت في البدء ببعض غارات سريعة على شواطىء « نورفولك » و « يوركشاير » . وكانت اكبر عملية ، بعد معركة « دوغر بانك » ، في اوائل السنة ١٩١٥ ، عملية « جتلند » في شهر ايار من السنة ١٩١٦ ، حيث ارغم الاسطول الالماني على الانحناء امام الانكليز والانزواء في

مرافئه على الرغم من المهارة في المناورة التي برهن عنهـــا اسطول الاميرال « فون سبي » في « كورونيل » و « فالكلند » منذ اواخر السنة ١٩١٤ .

وهاجمت السفن التجارية الحليفة بسفن قرصنة اتقن امدادها بالمؤن والمعلومات ، ولكنهـا دمرت بسرعة . وفي السنة ١٩١٦ ظهرت مرة اخـرى بعض السفن الشراعية او التجارية التي ما كان احد ليشك في هويتها : « سيدلر » ، و « مو » و « وولف » (التي بقيت ٤٥١ يوماً في البحر) ، ولكن مآثرها لم تؤثر قط على مجرى الحرب . الا ان الاستحداث الالماني الهام على الصعيد البحري كان في اتساع مدى استخدام الغواصات التي هاجمت بدون تبصر وبدون سابق انذار ، ابتداء من السنة ١٩١٧ ، كافة السفن التي تصادفها في المياه البريطانية . وقد استخدمت المانيا غواصات كثيرة مسلحة بمدافع من عيار ٨٨ ، يقودها ضبـــاط مهرة جداً في الهجوم بالمدفع و « الطوربيد » ، قادرة على القيام برحلات طويلة جداً (حتى ١٠٠ يوم) لمراقبة الملاحـــة ، انزلت بالحلفاء خسائر كبرى وهددت تموين الجزر البريطانية بالخطر : ففي شهر نيسان من السنة ١٩١٧ ، أغرقت سفينة من كل اربـع سفن تغادر الارخبيل .

ردّ الحلفاء بزيادة انتاج السفن المعدة للاعاضة من المحمول المدمر ؛ وألفوا قوافل تحميهـا المدمرات واكثروا من سفن الاستطلاع ومطاردة الغواصـــات ، وشجعوا تركيب اجهزة اللاسلكي ، وسلحوا السفن التجارية وزرعوا الالغـام في الممرات البحرية التي تركها الالمـــان مفتوحة في جون « هليغولند » وبحر الشمال ، وضربوا قواعـــد الغواصات في « زيبروغ » و « اوستند » وعرقلوا الحركة فيها ... ومنـــذ اواخر السنة ١٩١٧ ، زال الخطر وبلغ من الخسائر الالمانية (دمرت ١٩٩ غواصة) ان اولى بوادر الثورة ظهرت بين البحارة الذين قتـل منهم عدد كبير جداً .

اما « امثولة الحرب » فكانت ان الطائرات والالغـام والغواصات قد اثبتت انها اسلحـة رهيبة بالنسبة للسفن السائرة فوق سطح الميـــاه . وان الغواصة بصورة خاصة استطاعت ان تلعب دور سفن القرصنة القديمة وتفرض حصاراً فعـــالاً . فبدت من ثم اهمية السفن الحربيـة متدنية جداً : انها تستهلك كميات كبرى من الوقود كما انها معرضة ابداً لخطر الالغام والطائرات والغواصات ، فلم يمكن ابقاؤها وقتاً طويلاً في البحر ، بل اقتصر دورها على القيـــام بالغارات او منع غارات سفن الاعداء . الا ان الجهود المبذولة بين الحربين قد اتاحت اصلاح بعض هـذه النواقص : فان انشاء قوة خفر من الطائرات والسفن الصغرى المضـادة للغواصات ، وتعزيز دفاعها ضد الطائرات ، ولا سيما زيادة محمولها ، وتحسين آلاتها وزيادة سرعتها ، واخيراً امكانية تموينها في عرض البحر بفضل المازوت ، قد اتاحت لها البقاء في البحر طيلة اسابيع عدة والعمل في نطاق اوسع منه في ما مضى . وعزز الطيران واسندت اليه مهمة الاستكشاف وقذف القنابل والنسف ، ولكن اليابانيين وحدهم فكروا بالنسف الانقضاضي . ومن جهـــة ثانية ، كانت

البحريتان الاميركية واليابانية وحدهما قد بنتا عـدة حاملات طائرات ، وهي سفن اعتبرتهـا الدول الاخرى ملبكة وسريعة العطب .

معركة الأطلسي

والحال ابرزت معركة النروج فجأة اهمية الغطـــاء الجوي ، فاقتضى ذلك – كما رأينا – اعـــادة نظر شاملة في المفاهيم ، وتوزيعاً جديداً للقوات ، واللجوء الى اساليب قتال جديدة . فبات الـلاحان الاوليان ، منذئذ ، الغواصـــة والطائرة .

في الغرب اقتصرت « معركة الاطلسي » بالنسبة للبريطانيين ، اذا ما استثنينا مراقبـــة وتدمير بعض الوحدات الالمانية السطحية الكبرى (بسمارك) ، على مطاردة غواصات العـدو التي حاولت قطع مواصلات الارخبيل بالحاء العالم الاخرى .

وخلافاً لما حدث في الحرب العالمية الاولى ، لم تعد الغواصة لتستطيع المهاجمة بالمدفع لانهـا لم تستطع الظهور على سطح البحر دون خطر . فان الاميرالية البريطانية قد استخدمت جهـازاً كاشفاً يبث موجات فوق الصوتية يتبح صداها ، الذي يعكسه الجسم الموجود في ميـاه البحر ، كشف هذا الجسم وتحديد مكانه . فتقذفها الطائرات ومطاردات الغواصات والمدمرات حينذاك بسيل من القنابل . وخفرت القوافلَ البوارجُ والحراقات والمدمرات ؛ وامّنت حماية السواحل بالالغام ، وراقبت طائرات قيادة الشواطىء البحر رقابة دائمة . أمـــا الغواصات الالمانية التي كانت في السنة ١٩٤٠ عمارات يتراوح وزنها بين ٥٠٠ و ٨٠٠ طن ويبلغ شعـاع نشاطها حتى ثلاثة اسابيع، فقد تحسنت وبات باستطاعتها بلوغ ٢٠٠ متر عمقـــاً ؛ وفي السنة ١٩٤١ ظهرت غواصات تزن ١٥٠٠ طن ويبلغ شعاع نشاطها ٢٠٠٠٠ ميل (٣٧٠٠٠ كلم) ، يمكن استخدامها حتى في المحيط الهنـــدي في ما وراء الـ « كاب » . وقـــد اعتمدت طريقة ضرب الضراء (*Rudeltaktik*) : ما ان تكتشف الغواصة قافلة ما حتى تنبه اليها القيادة في فرنسا التي توجه اليها كافة غواصات المجموعة (١٥ او ٢٠) ؛ وقد آثرت العمل في « الكوة السوداء » في الاطلسي حيث تستحيل الرقابة على الطائرات . ولكن الدفاع تحسن وتكامل ، فتزايد شعـاع نشاط الطائرات واتاح الجهاز الكاشف آنذاك ليس معرفة مكان وبعد الغواصة فحسب ، بل عمقها عن سطح البحر ايضاً ، واستطاعت الطائرات المزودة بالرادار واجهزة الكشف الضوئي البقـاء على اتصال بالغواصة بعد غوصها بفضل الكاشف المغنطيسي . وجهزت السفن بشباك تقيها من خطر الطوربيد ؛ وفي شهر آب من السنـة ١٩٤٣ استخدمت للمرة الأولى القنبلة الحاقـــة المسيرة . واستخدمت بعض سفن القوافل كحاملات طائرات ؛ وزودت بجهاز يطلق في آن واحد ٢٤ صاروخاً تنفجر عند اصطدامها بالهدف. وفي أواخر السنة ١٩٤٣ ظهر الـ« سكويد »، مدفع الهاون المحكم الذي يسدده الجهاز الكاشف ، ويطلق ثلاث قنابل كبرى في آن واحد. وباتت الطائرات بصورة خاصة ، بعد ان طال شعاع عملها ، وزاد عددها ، قادرة الآن على سد « كوة الاطلسي ». وقد استخدمت قنابل محشوة بمادة متفجرة عظيمة الفعاليـــة (*Minol*) . وخفرت القوافل

المتزايدة اهمية (٧٠ ، ٩٠ سفينة) خفراً قوياً ، وفتكت الطائرات المجهزة بعاكسات الوار قوية فتكاً ذريعاً بالغواصات التي تحاول الاستفادة من ظلام الليل للصعود الى سطح الماء . وقد اعطت هذه التدابير مفعولها : فان الخسائر التي بلغت ٨٠٠ ٠٠٠ طن في شهر تشرين الثاني من السنة ١٩٤٢ قد هبطت الى ٩٦ ٠٠٠ طن في شهر حزيران من السنة ١٩٤٣ ، ودمرت ١٧غواصة المانية . ومنذ شهر كانون الثاني من السنة ١٩٤٣ ، اخذت مصانع السفن الانكلوساكسونية تبني سفناً جاوز محمولها الخسائر الى حد بعيد . ومنذ ذاك التاريخ ، اختل التوازن نهائياً ، في البحر والجو على السواء ، لمصلحة الحلفاء . ففي اواخر السنة ١٩٤٣ ، بلغ عدد الغواصات الالمانية والايطالية المدمرة ٤٧٥ ، وهبط محمول السفن المغرقة في شهر ايار من السنة ١٩٤٤ الى ٢٤ ٠٠٠ طن ، بينما ارتفعت الخسائر في الغواصات ارتفاعاً مطرداً . ففي شهر كانون الثاني من السنة ١٩٤٥ ، لم يبق في عرض البحر سوى ٦٠ غواصة فقط (الشكل رقم ١٥) .

الا" ان ظهور الـ « شنورشل » في ربيع السنة ١٩٤٤ ، اي حين تعرضت الغواصة لضربات حاسمة ، قد احدث ثورة في ظروف الملاحة تحت سطح الماء . فقد تألف من انبوب عازل للهواء يرتفع فوق الغواصة الغائصة ؛ واتاح تأمين الهواء النظيف الضروري للحياة في الغواصة تحت سطح المياه وتسيير المحركات واخراج الهواء الفاسد وغازات الاحتراق ؛ فاستطاعت الغواصة من ثم النجاة من رادار الطائرة والاحتفاظ بسرعة تكاد تعادل سرعة سفن خفر القافلة والبقاء تحت سطح الماء طيلة اسابيع عدة . ولكن الاوان قد فات ، في هذا المجال ايضاً ، اذ ان الاختراع الجديد لم يستطع قلب الموقف لصالح المانيا .

بينما نسبت الغواصات لنفسها ٥٠ ٪ من محمول السفن المغرقة والطيران ٣٥ ٪ ، لم يعد للالغام سوى ٦ – ٧ ٪ ، بالرغم من ان حرب الالغام قد عرفت نشاطاً عظيماً متزايداً . فلم تستخدم الالغام الكلاسيكية المتزايدة القوة فحسب ، بل الالغام المغنطيسية منذ السنة ١٩٣٩ ، والالغام السمعية في السنة ١٩٤١ ايضاً ؛ كما استخدمت الالغام الضغطية التي تنفجر تحت تأثير المياه التي تحركها السفن ، والتي اتاح لها تركيبها ان تعمل سمعياً ومغنطيسياً وضغطياً . ولكن الايطاليين توفقوا منذ كانون الاول ١٩٤١ ، بغية الوصول الى السفن في المرافىء والدوران حول شباك الحماية او المرور من تحتها والاقتراب من الهدف جهد المستطاع ، الى استخدام طوربيد يسيّره رجلان تنزلهما الغواصات قرب الهدف ، والى اصابة مدرعتين وناقلة بترول في مرفأ الاسكندرية نفسه . وفي اواخر الحرب استخدم الالمان الطوربيد « ماردر » المؤلف من طوربيد يحمل ملاحاً يقذف بطوربيد متفجر حين يصبح على مسافة قصيرة من الهدف، واستخدم اليابانيون الطوربيد « كايتن » الانتحاري الذي يسيّره الملاح حتى الهدف وينفجر معه ؛ وفي سبيل بلوغ الغاية نفسها انتج المزيد من غواصات الجيب التي قد تبلغ سرعتها ٢٢ عقدة تحت المياه ، فبنى البريطانيون الـ «مدجت » (وقد استخدمت احداها في ضرب الـ « تربيتز » في احد الخلجان الضيقة) وبنى الالمان الـ « سيهوند » .

اذا ما قورنت حرب الغواصات في الحرب العالمية الثانية بحرب الغواصات في الحرب العالمية الاولى ، لاتضح انها كانت اقل فعالية واقل ارضاء للألمان : فانهم قد اغرقوا متوسط المحمول الشهري نفسه تقريباً ، ولكن عدد السفن المغرقة اقل منه بنسبة النصف بسبب تزايد محمولها ، وكانت الخسائر الألمانية فادحة جداً .

المعركة في المحيط الهادي

يختلف وجه المعركة في الهادي اختلافاً كلياً ؛ فقد توفرت هنا للطرفين وسائل العمل نفسها ، وكانت السيادة هنا للاسطولين الجوي والبحري . فبعد النجاحات العظيمة التي احرزها اليابانيون في الاشهر الاولى من الحرب (بيرل هاربور ، وتدمير الد برنس اوف ويلز ، والـ «ريبلس» بواسطة الطائرات الانقضاضية) ، سعت الطائرات والغواصات الاميركية الى تدمير سفن تموين الجيوش اليابانية الموزعة على كافة انحاء آسيا الجنوبية الشرقية والارخبيلات ، موقعة بها خسائر ما لبثت ان ارتـــدت حجم الكارثة . وقد استعاد الاميركيون سيطرتهم على المحيط الهادي بفضل سيطرتهم الجوية .

ان المعول عليه بعد اليوم ، اكثر من عدد السفن المسلحة بالمدافع ، هو عـــدد حاملات الطائرات والطائرات المنقولة ، لأن النتيجة الحاسمة تنازعها هذه او تلك . وقد ارتفع عدد الطائرات المشتركة في المعركة ارتفاعاً مطرداً : ١٨٠ طائرة يابانية مقابل ١٤٤ طائرة اميركية في معركة بحر المرجان ، و ٣١٢ طائرة يابانية مقـــابل ٣٠٥ طائرات اميركية في معركة جزر « مدواي » ، و ٤٩٨ طائرة يابانيـــة مقابل ٨٢٠ طائرة اميركية في جزر « ماريان » . وفي شهر ايلول من السنـــة ١٩٤٤ ، في معركة الفيليبين الثـانية من اجـــل الاستيلاء على جزيرة « لايت » التي انتهت بتدمير الاسطول الياباني ، كان لدى الاميركيين ١٢ حاملة طائرات يدخل في عدادها ست حاملات كبرى ، و ١٨ حاملة طائرات خافرة ، و ١٢٨٠ طائرة ، مقـابل ٤ حاملات طائرات لدى اليابانيين و ٦٠٠ طائرة في المطارات ، اي مجموع ٧١٦ طـــائرة . و كانت الجدّة الهامة ، من جهة ثانية ، مدى وعدد المعارك البحرية الكبرى التي تصادمت فيها اساطيل قوية والتي لم تعرفها الحرب العالمية الاولى قط . فقد تقابلت اساطيل ضخمة بقدورها البقاء في البحر طيلة اسابيع عديدة ، كما في عهد السفن الشراعية ، ولكن بصورة غير منتظرة . فلا تدور المعارك النهارية على مسافة ١٠ او ١٥ كلم كما كان مرتقباً ، ولا تدور المعارك الليلية على مسافة ٥٠٠ او ١٠٠٠ متر : دارت ١٣ معركة نهـــارية كبرى على مسافات تتراوح بين ٣٠٠ و ٧٠٠ كلم ، ودارت ٦ معارك ليلية ، بحيث لم تصل المدرعات الى مرمى المـدفع ولم تلعب الدور الذي كان منوطاً بها من ذي قبل . وفي المعركتين الحاسمتين في حرب المحيط الهادي : معركة مدواي في حزيران ١٩٤٢ ، ومعركة الفيليبين الاولى في حزيران ١٩٤٤ ، لم تشترك اية مدرعة كبرى الا بمدافعها المضادة للطائرات . اما في الليل فقد نشبت المعركة ، بفضل الرادار ، بواسطة المدفع والطوربيد ، على مسافة ١٥ كيلومتراً . وباستثناء حاملة طائرات واحدة اغرقهـــا المدفع ،

دمرت ٤٠ حاملة طائرات اثناء الحرب بفعل الطائرات او الغواصات . اما المدرعات الاميركية والانكليزية والالمانية الـ ٢٤ التي دمرت ، فقد غرق ٩ منها في معارك بحرية و ٥ فقط بفعل المدافع بينها ٣ اصيبت بالطوربيد ايضاً .

لذلك فان تأليف الاساطيل في السنة ١٩٤٥ يوضح تدني دور المدرعة الكبرى التي لم تعد « السفينة الحربية الرئيسية » المعهودة . ليست بعد اليوم سوى سفينة تابعة اعظم نفعاً بمدافعها المضادة للطائرات منها بمدافعها الضخمة . فان الاسطول الذي كان يستعد ، في شهر آب من السنة ١٩٤٥ ، لتنفيذ عملية « اولمبيك » (النزول الى اليابان) قد ضم ٢٣ مدرعة كبرى و ٢٦ حاملة طائرات حربية و ٦٤ حاملة طائرات خافرة . وبينما كانت النسبة بين فئتي السفن نسبة ٩ الى ٤ ، فقد انتقلت الى نسبة ٢٫٣ الى ٩ . لقد اصبحت حاملة الطائرات محور كافة العمليات .

العمليات البرمائية

من المظاهر المميزة لهذه الحرب ايضاً عدد واتساع العمليات البرمائية التي جاوزت المئة واختلفت اهمية ، فاقتصر بعضها على اعمال المغاوير واتسع بعضها الآخر ، كعملية « اورفرلورد » في نورمنديا ، التي انطوت على انزال ٧٥ فيلقاً وتموينها . لقد برهنت حملة الدردنيل الفاشلة واخفاق انزال الجيوش على ساحل الفلاندر خلال الحرب السابقة ، على ما يبدو ، على استحالة نجاح انزال جيوش بالقوة على ساحل منيع التحصين . ولذلك لم يكن اي من الجيوش معداً لمثل هذه العمليات . الا ان اخفاق انزال الجيوش الحليفة في النروج ، والنجاح الألماني المقابل ، واجهاض خطة « سيلو » لانزال الجيوش في انكلترا ، ونجاح احتلال كريت الباهر على يد جيوش وبواسطة معدات نقل معظمها جواً ، قد اثبتت ان شرط النجاح هو امتلاك معدات نقل وانزال معدة خصيصاً لهذه الغاية ولا سيما امتلاك غطاء جوي يتيح « اقتراب » وحدات الهجوم . وبعد السنة ١٩٤٢ اجريت عمليات انزال الجيوش الكبرى الحاسمة في افريقيا واوروبا والمحيط الهادي : وقد ناهز عددها الستين — ١٠ في اوروبا وافريقيا ، و٥٠ في المحيط الهادي — وتحسنت خلالها المعدات والاساليب . ففي الدرجة الاولى تأمنت الحماية بالطيران ومدافع الاسطول الضخمة . واستخدمت للنقل زوارق بامكانها الجنوح على بضعة امتار من الشاطىء او القيام برحلة طويلة في عرض البحر : زوارق ذات طبقتين مسطحة القعر لا تدخل كثيراً في الماء وتنفتح فيها مصاريع ضخمة تلتقل عليها السيارات والدبابات . وسفن كبرى قادرة على نقل زوارق انزال صغرى مختلفة الحمول (اكثر من ٤٠ نموذجاً) : ناقلات دبابات ، زوارق هجوم ، سيارات برمائية ، ودبابات ، الخ . ولما كانت عملية الانزال في « دياب » قد اظهرت المخاطر التي تنطوي عليها محاولة الاستيلاء على احد المرافىء ، فقد تقرر ، لعملية الانزال في نورمنديا ، اختيار ساحل لا مرفأ فيه ، يكون من ثم اقل تحصيناً ، وانشاء خمسة مرافىء اصطناعية ، ثلاثة منها للسفن الصغرى واثنان للسفن الكبرى ، مع ما يستلزمان من ارصفة ثابتة متوازية مؤلفة من سفن قديمة مهملة مثقلة في قعرها بالاسمنت المسلح والفولاذ ، وارصفة عائمة (من الفولاذ) تستطيع زوارق الانزال الاقتراب منها .

واذا سكانت العمليات البرمائية في المحيط الهادي . فلأجل ردالياباتيين الى الوراء اقتفح الاميركيون خطة انزال نظامية كان الهدف منها تجاوز معظم المواقع البحرية حيث وزع اليابانيون اكثر من ٥٠٠ ٠٠٠ ٦٠٠ جندي بقية الاستيلاء على قواعد توصل الاميركيون ، انطلاقاً منها ، بفضل تفوقهم الجوي والبحري ، الى ملاشاة تأثير الارخبيلات او الجزر الصغيرة المنعزلة الباقية وراءهم او الى اخضاعها . وبعد الانتصارات البحرية الكبرى في شهري ايار وحزيران من السنة ١٩٤٣ في بحر المرجان وفي مدواي ، القى هذا الهجوم المعاكس اليابانيين من غينيا الجديدة وجزر سليمان ، وثم عن « رابيول » في بريطانيا – الجديدة ؛ وباشت سلسلة جديدة من القفزات الاستيلاء على جزر جيلبرت ومارشال والماريان (سايبان) وغوام ؛ واخيراً ثم الاستيلاء على الفيليبين بعد النصر الحاسم في جزيرة « لايت » في شهر تشرين الاول من السنة ١٩٤٤ . وافتح الاستيلاء على ايواوشيما ضرب طوكيو والمرافىء والمراكز الصناعية اليابانية بالقنابل . وفي اشهر نيسان وايار وحزيران وتموز افتح الاستيلاء على اوكيناوا رقابة الحركة التجارية بين الصين الجنوبية واليابان . ومنذ ذلك التاريخ حوصر الارخبيل وأصبح لضرب كثيف بالقنابل توّجه في السادس من شهر آب من السنة ١٩٤٥ القاء القنبلة الذرية الاولى على هيروشيما التي دمرت ٦٠ ٪ من المدينة وأودت بحياة ١٥٠ ٠٠٠ نسمة . وفي التاسع منه القيت القنبلة الثانية على ناغازاكي .

تولت كل عملية انزال قوة تكتيكية مستقلة مؤلفة من حاملات طائرات ومدمرات وسفن حربية صغيرة وقافلات جيوش . وكانت السيطرة الجوية هنا ايضاً الشرط الاولي الضروري للنجاح . فهي طائرات افريقيا الشمالية ما أمنت نجاح عملية الانزال في صقلية ، ثم في سالرنو وانزيو . ومن انكادرا جاءت أغلب الطائرات التي كانت بمثابة « مظلة » لأسطول الانزال في نورماندي . وهي حاملات الطائرات ومطارات الجزر في المحيط الهادي ما امنت لكل فيلق ١٢٠ طائرة اعتبرتها القيادة ضرورية لنجاح عملياته .

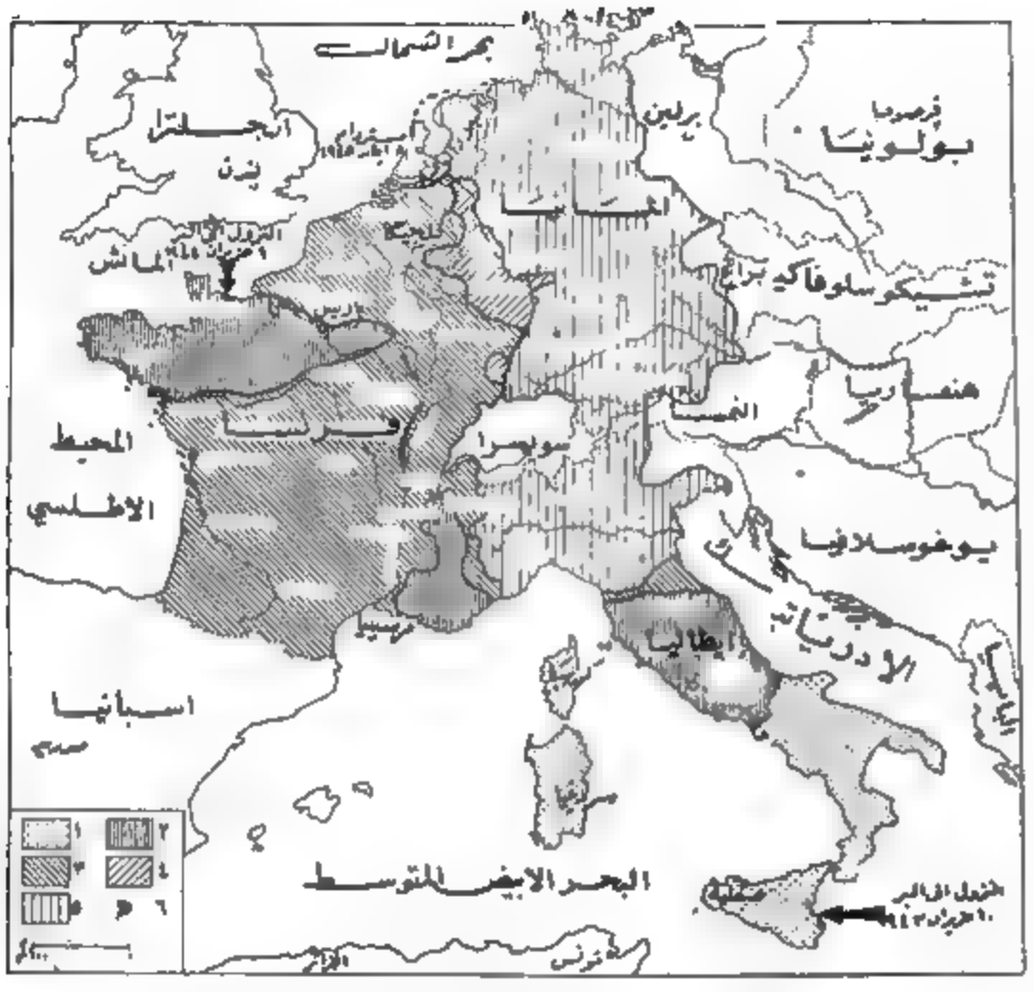

الشكل ١٤ – الحرب في الغرب ، حزيران ١٩٤٤ – ايار ١٩٤٥ .

١ – اقليم مسافة قبل النزول الى نورماندية ، ٢ – اقليم مسافة في ٢٥ آب ١٩٤٤ ، ٣ – اقليم مسافة في ٣١ كانون الاول ١٩٤٤ ، ٤ – الوقف في ٢٦ آذار ١٩٤٥ ، ٥ – الوقف في ٨ ايار ١٩٤٥ ، ٦ – جيوب ما زالت تحت سيطرة الجيش الالماني في ٨ ايار ١٩٤٥ .

نقل الجيوش وتموينها

ان ما اسمي من قبل « فن نقل العـــدد اللازم من الجنود الى المكان اللازم من ميدان المعركة وفي الوقت اللازم ومـــع التجهيزات اللازمة » قد استعاد – بواسطة الاميركيين – اسمه القـــديم ، « فن نقل الجيوش وتموينها » (*Logistique*) ، وارتدى طابـع اهميـــة لم يعرفه من قبل بسبب طول خطوط التموين (عدة آلاف من الكيلومترات) وتزايد حجم المواد والمعدات – ألوف الاطنـــان من المواد الغـــذائية والذخائر الضرورية للمحاربين – الذي يمكن تقديره بعشرة اضعافه في السنة ١٩١٧ . فان فيلق مشاة اميركيين يستهلك ١٥٠ طنـاً من البنزين في اليوم ، ويستهلك الفيلق المدرع ٣٥٠ . ويُستخدم اثنان من كل سبعة جنود اميركيين في اعمال النقل والاتصال . وفي المحيط الهادي ، اقتضى لكل فيلق مؤلف من ١٤ ٠٠٠ جنـــدي عند خط النار ، ١٤ ٠٠٠ جندي للعمل في المؤخرة و ١٢ ٠٠٠ للعمل في المحطات المنتشرة على طرق المواصلات . فتوجب من ثم اعداد تنظيم معقد يستخدم مئات الالوف من الجنود لتحضير العمليات في ادق تفاصيلها ، قبل اشهر عدة ، وتنفيذها تنفيذاً ناجحاً .

هنا يكمن سر اهمية وسائل النقل المتزايدة وعناد المتحاربين في مهاجمـة خطوط مواصلات العدو البحرية والبرية . فهو تشويش حركة وسائل النقل بفعل قاذفات القنابل الالمانية ما منع البنزين جزئياً عن الدبابات الفرنسية في بلجيكا في شهر ايار من السنة ١٩٤٠ ، في حال ان التنظيم الامثل في وسائل النقل الالمانيـة قد اتاح انتصارات الالمـــان المشهودة الاولى . وفي روسيا ، المفتقرة الى الخطوط الحـديدية والطرقـات ، تنظمت فرق المقـــاومة المنعزلة عند مفـترقات الطرق والخطوط الحديدية . وادى توغل الالمـــان في قلب روسيا مسافة تزيد عن ١٠٠٠ كلم في المرحلة الاولى من الحرب الى اضعاف قوة الجيش الالماني الهجوميـــة اضعافاً ملموساً ، وفي السنة ١٩٤٢ ، اثناء التقدم نحو القفقاس وستالينغراد في آن واحد ، عجزت القيادة الالمانية عن ان تضع تحت تصرف جيوشها المهاجمة كافة الوسائل التي كانت بحاجة اليها . وفي ليبيا اكثر من روسيا تحكمت ظروف التموين بحركات جيوش الاعداء . وقد كتب « ايزبيك » ، رئيس اركان « رومل » ما يلي : « ان الاستيلاء على مزيد من المناطق لم يعن تحقيق النصر ، بل كان من شأنه ، على نقيض ذلك ، ان يشكل ضرراً وخطراً » . وطوال الوقت الذي تستغرقه المعركة ، نشاهد سباقاً حقيقياً نحو المرافىء التي يجب بلوغها قبل ان يكون للعـــدو متسع من الوقت لتعطيلها ؛ نشاهد تعاقب تقدم وتراجع جيشين يضعفها البعد عن قواعدهما حين يتقدمـــان ، ولا يلبثان ان يتوقفا لان تموينها يتأخر عنهما بسبب هجمات طيران العدو . فهذه حال « رشتي » في شهر كانون الاول من السنة ١٩٤١ حين تقدم حتى « غزاله » ، وحال رومل نفسه بعد استيلائه على بنغازي وطبرق ؛ فان الغنائم التي كسبها في هذه المدينة وفي سيدي برّاني قد اتاحت له التقـــدم حتى العلمين ، ولكن خطوط تموينه الطويلة تعرضت للخطر ، اذ ان الطيران البريطاني انزل بوسائل نقله البحرية خسائر فادحة ، فأرغم على التوقف .

وأثارت العمليات البرمائية – كما رأينا – مسائل نقل وتموين اعظم اهمية حين توجب نقـــل

وتموين الجيوش التي انزلت في افريقيا الشمالية وصقلية وايطاليا ونورماندياً وبروفنسا. وهي قدرة الاميركيين الصناعية الفائقة ما اتاحت لهم ، في المحيط الهـــادي ، التغلب على صعوبات حرب تدور رحاها على مسافة عدة الوف من الكيلومترات من بلادهم . فقد توجب عليهم احكام تنظيم لم يسمح بنقل احجام كبرى من الرجال والتجهيزات فحسب ، بل بتعهد عمليات متواصلة دائمة ايضاً . ومن اجل ذلك اضطروا الى بناء مرافىء جاهزة بمواد موحـــدة القياسات واستحضار خشب البناء والاسمنت والمواد اللازمة لانشاء الطرق ومهابط الطائرات ومساكن الجنود ، الخ. وقد رافقت الاسطول في انتقاله مراكب مساعدة معدة كلها لشحن معين او لخدمـــة معينة : احواض سفن عائمة — تجمع بين السفينة ومصنع السفن — قادرة على ايواء اكبر السفن واصلاحها في عرض البحر ونقل المؤن ؛ وزوّدت ناقلات البترول في عرض البحر اثناء مواصلة تقدمها ، ونقلت اليها الذخائر والمؤن من السفن التي تحملها. وقد حضّرت «حزم جاهزة للنقل والتموين» زنة الواحدة منها ١٤٠٠٠ طن معدة لانشاء مطار، يرافق كلا منها ٦٦ ضابطاً و١٦٠٠ جندي، فكانت ترسل الى القيادة حال طلبها ؛ وحضرت كذلك في مصانع التصليح حزم جاهزة لكل نوع من الطائرات والآلات تسلّم عند الحاجة للطائرات او السفن المنعطبة .

فكانت الكميات المنقولة من ثم كبيرة جداً : وقد قدّر في السنة ١٩٤٤ ان ٦٠٠٠٠٠٠ طن نقلت شهرياً عبر المحيط الهادي ، الى مسافة ١٠٠٠٠ كلم من القواعد الاميركية ، لا يدخل فيها الفحم الحجري والبنزين . ففي عملية انزال الجيوش في جزيرة « لايت » وحدها ، استخدمت ٨٠ ناقلة بترول ، ٢٠ ناقلة تعبىء او تفرغ ، و ٦٠ اخرى تنقل البنزين الضروري للقوات المنزلة في الجزيرة . وهكذا استطاع الاميركيون ، طيـــلة ١٦ شهراً ، القيام « بهجوم دون توقف » تعاظم عنفاً يوماً بعد يوم ادى في النهاية الى سحق اليابان .

حرب العصابات

كان كذلك اشتراك المدنيين المسلح في مقاومة الغازي أحد مميزات هذه الحرب العالمية الثانية . فمنذ نهاية حروب الامبراطورية الاولى التي ثار فيها السكان الاسبان والتيروليون والروس على جيوش نابوليون ، انحصرت العمليات ابداً في الجيوش النظامية ، اقله في اوروبا .

اخذت حرب العصابات العصرية تنتظم وتتسع اتساعاً كبيراً في الصين منذ السنة ١٩٣٨ . وقد شرح ماو تسي تونغ النظرية لطلاب الاكاديمية الحمراء في السنة ١٩٣٦ في الدروس التي نشرت في السنة ١٩٤١ . فحين يصبح امر تطبيق الاساليب الحربية الكلاسيكية مستحيلاً ، كما يقول ، يجب الاستمرار في مقاومة الغازي بوسائل اخرى : هذه هي حرب العصابات التي يناوش فيه العدو دون مجابهته في معركة . وهي في جوهرها حرب ضارية لا مكان فيها للشفقة ، لان القمع يتناول المدنيين بقسوة لا يتناول بها العسكريين ، فيجب من ثم ، كي تتكلل بالنجاح ، ان يساند سكان البلاد المقاومة المسلحة فيها مساندة كلية . ويجب ان تذوب بين السكان وتتلاشى بينهم لتظهر مرة اخرى بعد ذلك في الزمان والمكان الموافقين . وحين تقوم هذه الرابطة بين

الأنصار والسكان ، يصبح بمقدور الانصار تنظيم جبهة حقيقية وراء العدو وارغامه على التجمع في بعض النقاط كالمدن وخطوط او عقد المواصلات ، ومهاجمة مراكزه الضعيفـــة ، واضعاف معنوياته ، وجعل الاتصال بين وحـــداته وتموينه غير مستقرين ، الى ان يسمح تجهيز القوات اللازمة بتطويقه وابادته . وان هذه الاساليب التي حالت دون تمكن اليابانيين من السيطرة على معظم الاراضي الصينية قد اعتمدت في كافة البلدان المغزوة . فأحدثت حرب الأنصار من ثم ثورة حقيقية في مفاهيم الحرب الكلاسيكية باشراكها في المعركة جمـــاهير كبيرة من المدنيين المسلحين ، العاملين باتصالي يختلف وثوقه مع الجيوش النظامية . وباتساعها وضعت دول المحور امام مسائل غير مرتقبة على جانب كبير من الخطورة . وقد اتخذت اشكالاً اختلفت باختلاف جريانها في فرنسا ، او روسيا ، او بولونيا ، او البلقان ، او المناطق الكثيفـــة السكان ، او المناطق الصحراوية ، او الغابات المتلبدة ... وفي كل مكان — باستثناء الاتحـاد السوفياتي — وقفت الحكومات المؤلفة في المنفى او الحكومات الحليفة موقفاً حذراً من هذه الثورات الشعبية المؤدية الى تسليح جماهير اعتبرت شيوعية لم تكن الحكومات لتضمن في المستقبل الاشراف عليها وانكر المستشارون العسكريون المحترفون فعاليتها . وهنا يكمن سر التباطؤ والتردد في تزويدها بالاسلحة من الجو ، وسر الجهود المبذولة لعرقلة او ايقاف نشاطها ، مما ادى احياناً الى منازعات داخلية وخيانات .

في البلقان وبولونيا

في اوروبا ، اتسمت حرب العصابـات في البلقان أولاً . ففي اوروبـــا ضمت جيوش تيتو ، منذ آخر السنة ١٩٤١ ، الوف المحاربين — ١٥٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٣ — وحررت اقاليم واسعة ؛ وفي اليونان تنظمت حركة التحرير الوطني التي ألفت بعد ذلك جيش التحرير الوطني . وفي البانيا تنظمت جيوش الانصار بقيادة انور خوجه . ولكن هذه الجماعات المتميزة بارتفاع عددها ونشاطها الفعال ضد الغازي كانت بقيادة الشيوعيين ، فقاومتهـا جماعات محافظة اقل عدداً حالفت الالمان انفسهم أحياناً : كجماعات ميخالوفتش ، وجماعات الكولونيل زرفاس ، والـ « بالي كومبتار » الالبانيين . ولكن الانصار البلقانيين ارغموا زهـــاء ثلاثين فيلقاً ايطاليا وبعض الفيالق البلغارية وجيوش بافليك الكرواتية وبعض الجيوش الالمانية احياناً على البقاء في البلقان .

وفي بولونيا ، حيث تشكل منذ السنة ١٩٣٩ جيش سري لمقاومة الألمان والروس معاً ، كان الانقسام عميقاً ايضاً بين الشيوعيين وخصومهم . وبعد السنة ١٩٤١ ، أثار نشاط العصابات السوفياتية في بولونيا الشرقية التي استولى الاتحاد السوفياتي على بعض أراضيها ، مسألة الحدود الشائكة . ولذلك كان التعاون ضد الألمان محدوداً . فقد دخلت العناصر الشيوعية في جيش « برلنغ » الذي حارب في اطار الجيش الأحمر ، بينما قامت العناصر المرتبطة بحكومة بولونيا في لندن ، بعزل عن الجيش السوفياتي ، بنشاط أدى الى تدمير فرصوفيا .

في روسيا

في روسيا أمر ستالين ، في نداء وجهه في شهر تموز من السنة ١٩٤١ ، باعتماد .. خطة « الارض المحرقة » ، وفي الوقت نفسه بتشكيل جماعات من الانصار في المناطق المحتلة . فلسنا هنا ، كما في غير مكان ، امام فلاحين مسلحين باسلحة عادية يرتجلون تنظيمهم ، دون ارتباط بالحكومات او ضدها أحياناً ، بل امام مدنيين منظمين ، قادرين على العمل كتائب صغيرة منفردة او مجتمعة ، وحتى مع الجيش النظامي ، وخاضعين لقادة هم ممثلو الحكومة الشرعيون المختارون على العموم من بين رؤساء التعاونيات الزراعية او اعضاء الحزب الشيوعي او ضبـــاط الجيش . وينضم اليهم أحياناً عدد من الجنود المحاصرين الذين نجحوا في الافلات من قبضة الالمان . وقد ساعدتهم مساعدة كبرى ندرة خطوط المواصلات والمسافات بين القرى ، واتساع الاحراج والمستنقعات والمنـــاطق الوعرة ، التي يستحيل اجـــلاؤهم عنها الا باستخدام فرق عسكرية كبرى ، مما اتاح لهم تأليف جماعات وثابة اخذت منذ شهر آب من السنة ١٩٤١ تهاجم قوافل التموين وتخرب الخطوط الحديدية وتدمر الجسور وتمنع الالمان من دخول مناطق واسعة في البلاد . فأرغمت القيادة الألمانية على ترك فيالق كاملة في المؤخرة لحماية قوافلها والتجرد لعمليات انتقامية : كاعدام الرهائن وتدمير القرى اللذين زادا من عطف السكان على الانصار وحملا الرجال الأصحاء على الالتحاق بعصابات الجوار هرباً من الاخطار المحدقة بهم . وهكذا تشكل جيش عظيم ، مؤلف من جماعات ، قـــد تضم عدة مئات ، بل عدّة الوف من الاعضاء ، « زودت من الجو » بالاسلحة (والمدافع احياناً) والذخائر والادوية ، وكانت على اتصال لاسلكي بالقيادة المركزية لحركة الانصار ، وتلقت منها التعليمات ونقلت اليها المعلومات . وقـــد ساعدت الانصار النساء والاولاد ، كتلك الكومسومول الصغيرة « زويا » ، البالغة من العمر ١٧ سنة ، التي حكم عليها بالموت شنقاً بتهمـــة احراق مستودع ألماني ، وكنساء واولاد الانصار الـ ١٠٠٠٠ المختبئين في « دياميس » اوديسا ، الذين أمنوا لهم مؤنهم بانتظام واتاحوا لهم ، طيلة سنتين ونصف السنة ، الصمود والحيلولة دون اعمال تخريبية كثيرة حين كان الجيش الأحمر يقترب من المدينة ، والاسهام مع هذا الجيش في تحرير مدينتهم .

في فرنسا

في فرنسا ، بدأت حرب العصابات منذ السنة ١٩٤١ حين تشكل الجيش السري وأعيد تباعاً تنظيم الحزب الشيوعي الذي والت منظمته العسكرية ، « المتطوعون والانصار الفرنسيون » ، اعتداءاتها على الالمان . ثم اتسعت الحركة حين انضم اليها شبان كثيرون مهددون باخطـــار شتى رغبوا في الحياة السرية وتأسيس جيوب مقاومة عززهـــا احياناً بعض الجنود الفارين من الجيش الالماني . ولكن جيوب المقاومة التي نظمت في جبـــال الالب والجورا والسلسلة الوسطى افتقرت الى الاسلحة ، لان الحلفاء ، جهلا منهم او تجاهـــلا ، لم يزودوها من الجو الا باسلحة غير كافية ومتأخرة ، فجاء القمع الذي تولته الجيوش الالمـــانية غاية في القساوة والوحشية : ففي هضبة الـ « غليار » ، وفي شهري شباط واذار من السنة ١٩٤٤ ، لم يخضـــع ١٢٠٠٠ الماني ، مع الطائرات والمدفعية ، جيب المقاومة المنظم فيها الا بعد ١٨ يوماً . وتوجب

على الالمان ارسال ثلاثة فيالق ضد جيب المقاومة في الـ « اين » ، وفيلقين ، احدهـــما مدرع ، ومظليين ، للقضاء على جيب المقـــاومة في فركور في شهر تموز من السنة ١٩٤٤ ثم توحدت الحركات المختلفة بعد قيام المجلس الوطني للمقاومة الذي اسند الاشراف عليها الى لجنة عمل هي الـ « كوماك » . واثناء معركة التحرير ادت هجمات جيوب المقـاومة على الخطوط الحديدية ، بالاتفاق مع هجمات الطيران الحليف ، الى عرقلة في سير القطارات الحديدية استتبعت تأخيراً في نقل الجيوش الالمانية بلغ خمسة ايام احياناً . وفي بريتانيا ساهمت جيوب المقاومة مساهمة فعالة مع المظليين الاميركيين بتنظيفها المنطقة بعد فتح ثلمة افرانش . والى الجنوب من الـ « لوار » ، وفي الجنوب الشرقي ، حالت اعمالها دون انسحاب ٣/٤ القوات الالمانية . وقد اسرت ٢٥٠٠٠ جندي في الجنوب الغربي و ٤٢٠٠٠ في الجنوب الشرقي. وقد قدرت فعالية عملها بفاعلية زهاء عشرين فيلقاً .

في ايطاليا

منذ اعلان الهدنة التي عقدها المارشال « بادوليو » مع الحلفاء ، نزع الالمـــان الاسلحة من الجيش النظامي في ايطاليا واسروا اكثر من ٦٠٠٠٠٠ . ولكن بعض الوحدات بادرت طوعاً الى المقاومة : في بيومبينو ، وكورسكا ، وسردينيا ، والدوديكانيز ، وكورفو وكيفالونيا .. ؛ والف العديد من الجنود الذين فروا من الاسر جمـــاعات انصار في « بيمون » ، ومنطقة البندقية حيث توحد خصوم الفاشستية الايطاليون والسلوفينيون ، وفي اميليا وليغوريا انضموا الى جماعات العمال والفلاحين الذين رفضوا الحرب الى جانب الالمان ، فلم يستطيعوا – هرباً من انتقام حكومة سالو الفاشستية الجديدة – الا رفع علم المقاومة . وامتدت الحركة الى منطقة الـ « مارش » في اواسط ايطاليـــا ، وتوسكانه ، ولاسيوم ، والـ « ابروز » ، وراء الخطوط الالمانية . ثم احكمت خطة الانصار وتكاملت : تسلل ، انسحاب فجائي ، وتفرق ، ثم مباغتة جديدة وتفرق جديد ، وتشكيل وحدات سريعة الانتقال تهاجم الالماني في كل مكان وترغمه على تشتيت قواته اكثر فاكثر . وفي ايطاليا الشمالية بلغ عدد الانصار ٨٠٠٠٠ في شهر حزيران من السنة ١٩٤٤ بالرغم من الارهاب البوليسي وعمليات « الشراذم السوداء » الانتقامية الدامية . وبذلت المساعي للاعاضة من « حرب العصابات » بمنظمة ذات شأن ، بغية توحيـد القائمين بها في قوة عسكرية . فانشئت « قيادة عامة » كان الجنرال « كادورنا » مستشارهـــا العسكري . وقد اوجد اتفاقا « برشلونيت » و « فريول » تعاوناً وثيقـاً بين المقاومة الفرنسية والانصار السلوفينيين شمل تبادل المعلومات . وهكـــذا وضعت اسس « دولية الانصار » التي ضمت في حروب العصابات كافة خصوم النازية والفاشستية في كافة البلدان ، اذ ان بعض الفارين من الاسرى الانكليز والاميركيين والاوستراليين والروس والتشيكوسلوفـاكيين قد انخرطوا في صفوفهم . وقد تسلم بعض هؤلاء الاجانب زمام قيادة جماعات الانصار . وكما في الخـــارج ، حارب الايطاليون الى جانب السوفيات واليوغوسلافيين والالبانيين واليونان والفرنسيين .

في صيف السنة ١٩٤٤ ، لم تعد اعمال الانصار هجمات فجائية او اعمالاً تخريبية فحسب بل

معارك حقيقية كمعركة « مونتيفيورنو » بين « ريجيو » و« مودينا » حيث صمد ٨٠٠٠ نصير في وجه ثلاثة فيالق المانية مزودة بمدفعية قوية ودبابات وقاذفات لهب ثم انسحبوا بعد قتل ٢٠٠٠ الماني . وفي اواخر الصيف كانت هناك مناطق محررة فعلاً في ايطاليا الشمالية : الوديان العليا في البييمون و« مونفرا » ، وجزء من لومبارديا ، و« جمهورية توريليا » بين جنوى وبليزانس في ليغوريا ، ومدن الابنين الرئيسية بين بارم ومودينا في اميليا ، وكارنيا ، ومنطقة واسعة في الـ « فريول »، ولكن الهجوم الحليف على الخط القوطي قد فشل وفقد معه الأمل بتحرر ايطاليا الوسطى كلها في وقت قريب . فكان ان الأنصار ، الذين تخلت عنهم القيادة الحليفة واشارت عليهم في شهر تشرين الثاني بـ « التسرح » ، قد سحقوا وتفرق شملهم . ولكنهم تنظموا مرة اخرى في السهل اثناء شتاء ١٩٤٤ – ١٩٤٥ . فتجدد القتال في شهر آذار من السنة ١٩٤٥ وتم الاستيلاء مرة اخرى على المناطق المحررة من قبل . وفي شهر نيسان اندلعت الثورة الوطنية . واثناء تقدم الحلفاء هاجم الانصار الجيوش الألمانية المنسحبة في الابنين وانقذوا جنوى من التدمير . ثم ثارت ميلانو وتورينو ولحررتا . وفي الثامن من شهر ايار ، حين توقفت العمليات الحربية في اوروبا ، كان عدد القتلى من الانصار قد بلغ ٤٦ ٠٠٠ وعدد الجرحى والمشوهين ٢١ ٠٠٠ ، يضاف اليهم ٣٠ ٠٠٠ ايطالي قتلوا في حروب العصابات خارج بلادهم .

الـ « وهروولف »

اهتم الالمان بدورهم بتنظيم العصابات حين احدق خطر الغزو ببلادهم . ومنذ شهر نيسان من السنة ١٩٤٥ طُلب الى الرجال المتميزين بمهارة وخبرة وشجاعة نادرة ان يستعدوا لمثل هذه الحرب . فكان ذلك الـ « وهروولف » المطلوب منها مواصلة القتال في جيوب المقاومة في الالب ، ولكن نشاطها لم يكن ذا شأن عملياً .

بعض مظاهر الحرب الخاصة

الحرب في روسيا

ان العمليات التي جرت في كل الفصول وفي كل المناخات، طيلة خمس سنوات تقريباً ، قد ارتدت ، كما هو طبيعي ، مظاهر مختلفة كل الاختلاف . لا بل ان ظروف المحاربين نفسها ، وقد تميزت ابداً بالقساوة ، كانت كذلك مختلفة جداً .

في روسيا ارتدى القتال طابعاً بالغ الفظاعة بفعل الظروف الطبيعية وشدة عناد الطرفين المتحاربين. وكان اتساع الرقعة الروسية وندرة خطوط المواصلات كافيين لتطلب مجهود لاحد له من المحاربين ومعداتهم (الشكل ١٧ ،ص٣٨٦ – ٣٨٧) . فان ندرة القرى والثكنات، واخطار رجال العصابات الذين يخرجون فجأة، وفي كل وقت، من الغابات ليهاجموا المنفردين والمفارز الصغرى والقوافل ، قد اوجدت عند الغازي حالة عصبية متوترة وسببت له هشاشات غير اعتيادية . وجاء المناخ يزيد في الطين بلة : ففي الصيف الغبار والمسيرات المنهكة تحت اشعة الشمس المحرقة، دون ماء في أغلب الاحيان ، وفي الربيع والخريف الامطار التي تحول الارض الى بحيرات وحول يصعب السير فيها ، لا يقوى سوى الحصان على اجتيازها وتأمين تموين غير مؤكد وغير كاف ، وتحول الطرقات وراطاً ومستنقعات يغوص الانسان فيها فلا يستطيع التقدم ، وفي

فصل الامطار القرّ الذي يجمد الدم في عروق الالمان المفتقرين الى الملابس الدافئة وحتى القفافيز احياناً ، ويعطل الاسلحة الذاتية الحركة ويجمـــد البنزين والزيت ، والخريف الذي يخفض الحرارة الى ٤٠ — او ٥٠° — ، والعواصف الثلجية التي يجب خوض معارك ضارية اثناء هبوبها ضد عدو لا يمكن على ما يبدو تصور جلده وطاقته على مقاومة العذاب وهمته القعساء في القتال. ويضاف الى الدمار الذي يخلفه الالمان اثناء تقدمهم ، التخريب الذي يأتيه السوفيات بانتهاجهم خطة « الارض المحرقة » ، ثم ذاك الذي يخلفه الالمان — بصورة منظمة — اثنـــاء تراجعهم وانسحابهم .

فقد كتب « بولفوي » في اوكرانيا في السنة ١٩٤٣ :

« الارض كلها منطقة صحراوية . فبدافع نوع من البغضاء الجنونية احرق الالمان القرى احراقاً شاملاً ، وقطعوا اشجار البساتين ، واتلفوا المزروعات ومحوا كل اثر لاقامـــة الانسان . وفي المزارع ، جمعوا المحاريث والآلات الحاصدة والآلات القاصة ونسفوها بالمتفجرات » .

وفي المعارك الرهيبة التي خاضها الطرفان المتحاربان استخدمت جيوش واعتدة لم يشاهـــد مثل كثافتها وقوتها في اي بلد آخر . ففي شهر تموز من السنة ١٩٤٣ ، وصف احـد الصحفيين الالمان معركة بيالغورود كما يلي :

« بلغ عدد الدبابات المشتركة في المعركة في آن واحد حوالي ٢٠٠٠ دبابة ، ورحي وطيس المعركة طيـلة ثلاثة اشهر وثلاث ليال ... سار في المقدمة الاختصاصيون الذين شقوا الطريق امام الدبابات وسط حقول الالغام ، وسارت وراء الدبابات مدافع الهجوم . ففتحت الدبابات الهجوم واطلقت نيرانها الى مسافات بعيدة . واضطر رماة القنابـــل تكراراً الى القفز من على الدبابات لتطهير الحقول من القناصة الروس المختبئين بين المزروعات والاعشاب . واكتشفت مدافع رشاشة تارة الى اليسار وتارة الى اليمين ، وحتى في المؤخرة احياناً . ومن اعـــالي الجو انقضت الطائرات ، واطلقت المدفعية نيراناً جهنمية متواصلة وارتدت المعركة طابعاً من العنف لا يتصوره انسان ، والليل لم يوقفها . واضيء السهل الواسع الاطراف اضاءة محزنـــة بوميض الانفجارات ، وارتسمت في السماء خطوط مفجعة تتركها القذائف المتشابكة ورامها ..» .

في الشرق الاقصى

في الشرق الاقصى لم تجر العمليات الحاسمة بحراً وجواً فحسب ، بـل براً ايضاً . وقد ارتدت في كل مكـــان طابع الضراوة القصوى . ففي الغابة والدغل ، حيث كانت شاقة جداً بفعل المناخ الوخيم ، توجب احباط المكائد اليابانيـــة الكثيرة ، ومعرفة المسالك في وسط الآجام ، ومواجهة الاحابيل والنيران المطلقة من كل صوب ، وفي اغلب الاحيان ، من الاشجار التي برع اليابانيون في تسلقها والاختباء فيها والتعلق بغصونها ، والتسلل الى الخطوط حيث تبلغ « فرقهم الانتحارية » مجموعات المدفعية وتنسفها بالمتفجرات التي تقضي عليها وعلى المدفعية معاً . فنجم عن كل ذلك توتر عصبي لا يطاق وتعب مضن . واستات اليابانيون في المقاومة ولم يخلفوا سوى عدد ضئيل جـداً من الأسرى : جنود جرحى او مرضى عاجزين عن القتال . ففي اوكيناوا قتل ١١٠٠٠٠ ياباني ولم يقع في الاسر سوى ٧٤٠٠ جندي. وفي شهر تموز من السنة ١٩٤٤ ، افتتحت حامية جزيرة تينيان الصغيرة في ارخبيل الماريان ، قرب

سايبان ، حيث استخدمت قنابل النابالم للمرة الاولى ، افناء تاماً ، وكانت مؤلفـــة من ٩٠٠٠ رجل . وفي بورما كانت النسبة ٦ اسرى مقابل الف قتيل . وفي كل مكان قاوم المـدافعون حتى الموت هجوم الدبابات وقاذفات اللهب والمدفعيـــة الثقيلة والطائرات . وحين انزل الطيران الاميركي بالاسطول والطيران اليابانيين خسائر لا تعوض ، ظهرت « الطـــائرات الانتحارية » (كاميكازيه) التي يلقي ملاحوها بانفسهم مع طائراتهم على الاهداف المهاجمة ، و« القنابـــل الانتحارية » (باكا) ، الشبيهة بالصواريخ V ١ ، التي يقودها حتى الهـدف ملاحون ينفجرون معها . وشكل الاسطول من جهته وحدة « كاميشيو » من الطرابيد الانتحـارية التي يوجههـــا رجل او رجلان الى الهدف ، وزوارق محملة بالقنابل او الطوربيد تهاجم بهـــا السفن ، وحتى سباحين يحملون مواد تنفجر عند اصطدامها بالسفن الاميركية .

الحرب ضد المدنيين

هوجم السكان المدنيون هجوماً مباشراً ومنظماً . فخلال الحرب العالميـــة الاولى عانوا من حرب الغواصات ، والحصـــار ، والاقتسارات المختلفة التي استهدفت سكان المناطق المحتـلة ، والخرق الصريح للاتفاقات الدولية حول العمل الالزامي في صناعات الغازي الحربية او في اعماله التحضيلية . اما اليوم فقـد عانوا مباشرة من قنابل الطائرات . ومنذ قبل السنة ١٩٣٩ ووجـــه احتمال قصف المراكز الصناعية الكبرى والعواصم بالقنابل . وارتقبت خسائر مرتفعة في الارواح (في انكلترا ٦٠٠ ٠٠٠ قتيل مدني وضعفهم من الجرحى في الايام الستين الاولى)، مما حمل الحكومات على وضع مخطط لاجلاء السكان باعداد كبرى عن المدن الكبرى بغية تلافي الذعر واختلال نظام الادارات العامـــة ؛ وبصورة خاصة اجلاء تلامذة المدارس والاولاد الصغـار وامهاتهم . فمنذ شهر ايلول من السنة ١٩٣٩ اجلي في بريطانيا العظمى اكثر من مليوني شخص بينهم ١ ٥٠٠ ٠٠٠ طفل مع امهاتهم . وفي فرنسا اجلي سكان مدينة ستراسبورغ كلهم وعـــدد كبير من الالزاسيين واللورينيين ، وتلامذة كثيرون من مدارس باريس ، الخ .

وحين حدث الغزو ، حدث ما يشبه « الخروج » حين هرب ملايين الهولنديين والبلجيكيين والفرنسيين هائمين على وجههم ، تلقائياً وبدون نظام ، في طرقات تهاجمها الطائرات الانقضاضية بمدافعها الرشاشة ، ودون موارد كافية احياناً . فاستقبلت مقاطعات فرنسا الغربية وحدهـــا ٩٠٠ ٠٠٠ لاجىء توجب اعالتهم واسكانهم . وتسبب التقدم الالماني في الاتحـاد السوفياتي في مشاهد السكان الهاربين نفسها . وفي السنة ١٩٤٥ عرفت المانيا بدورها هذه الصفوف الطويلة من الهاربين الذين عرقلوا السير على الطرقـات وتركوا على ضفاف الـ « اودير » « جثث الشيوخ والنساء والاطفال » رغبة منهم في السير بمزيد من السرعة باتجاه الجنوب .

احدثت كافة الدول ، لمواجهة خطر القصف بالقنابل ، مصالـــح « دفاع » سلبي دائمة استخدمت مئات الالوف من الاشخاص (٤٠٠ ٠٠٠ في فرنسا ، ١ ٢٠٠ ٠٠٠ في انكلترا) الذين كلفوا الاهتمام بفتح الملاجىء منذ بداية اطلاق صفارات الخطر ، واطفاء الحرائق ، ومساعـدة

الجرحى، وتقديم العون لمن حرمتهم القنابل من مساكنهم ومن كل ما يملكون. ولكن الخسائر، على بعدها عن التقديرات ، كانت فادحة : في انكلترا ٦٠ ٠٠٠ مدني قتيل و٢٠٠ ٠٠٠ جريح وبيتان مدمران او متضرران من كل ٧ بيوت ، و٩ من كل ١٠ في وسط لندن . وان القصف المتواصل الذي اخضعت له المانيا قد حول عدداً من المدن الكبرى ، كـ « كارلسروه » وشتوتغارت ومونيخ وبرلين ودرسدن الى حقول انقاض ، واتت الحرائق الهائلة على عدة كيلومترات مربعة من مدينة همبورغ . وعانت اليابان كذلك ، حتى قبل قنبلتي هيروشيما وناغازاكي وضحاياهما الـ ٢٠٠ ٠٠٠ ، من تدمير الابنية والخسائر المرتفعة في الارواح خلال الغارات الكثيفة على طوكيو والمدن الصناعية .

الفصل الثاني

النظام الأوروبي والآسيوي الجديد

طيلة سنوات عدة ، احتلّ القسم الأكبر من اوروبا وقسم هام من آسيا ، واديرا واستثمرا على أيدي المنتصرين في الحرب الصاعقة : الألمان واليابانيين الذين أزالوا الحدود (الشكل ١٨) وأعلنوا عن رغبتهم في اقامة « نظام جديد » وايجاد « نطاق ازدهار مشترك » يكون ضمانة للرفاهية والسلم . وكان هذا الشعار معداً لاخفاء استثمار الموارد والبشر الذي تستلزمه آلتهم الحربية . الا ان المنتصرين استطاعوا ، الى جانب هذا الاستثمار ، تخطيط تطوير اقتصادي واجتماعي مبنياً على العنصرية والمبادىء « الفاشستية » .

١ – النظام الجديد الألماني

النظام الجديد

بموجب الاتفاق الثلاثي ، الذي عقد في شهر أيلول من السنة ١٩٤٠ بين المانيا وايطاليا واليابان ، والذي وصف بـ « الميثاق العظيم للنظام الجديد » ، قبلت اليابان بسيادة المانيا وايطاليا في اوروبا من اجل اقامة نظام جديد ، واعترفت لهما حليفتاها بالمهمة نفسها في آسيا . فماذا كان المقصود بهذا النظام الجديد يا ترى ؟

ان خطب بعض الوزراء الالمان ، ومقالات الصحف وكتب الصحافيين النازيين تكاد لا تعطي اي ايضاح بهذا الصدد ، لا سيما وان الآراء قد تبدلت بتبدل احوال الحرب .

اما بحسب المبادىء الايديولوجية الواردة في « كفاحي » ، فقد كان المقصود ايجاد مناطق حيوية مؤلفة من عدد معين من « المجالات الكبرى » المستقلة سياسياً واقتصادياً والمرتبطة باتفاقات ثنائية ، لمصلحة بعض الامم الجديرة بذلك . فتقام قبل كل شيء آخر وحدة اقتصادية بادارة ألمانيا تحل محل النظام الحر الفوضوي تخطيطاً مركزياً وتقسيماً دولياً للعمل ، ما امكن التقسيم ، شبيهاً بذلك الذي نظمته الاتفاقات الثنائية المعقودة بين الـ « رايخ » وبلدان اوروبا

الجنوبية الشرقية قبيل الحرب . وبصورة عـــامة ، يستغنى عن تصنيع قسم من اوروبا غير الالمانية ، وتحتكر المانيا معظم الانتاج الصناعي في ارضها ، وتقـدم اوروبا الشرقية والغربية المنتوجات الغذائية والاعلاف . وحين خيضت الحرب ضد روسيا فُسّر احتلال الاقاليم الشرقية بأنه وسيلة للمحافظة محافظة دائمة على المجال الحيوي لاوروبا الكبرى التي تديرها المانيا ؛ ولم تكن مهمة النظام الجديد محاربة البلشفية فحسب، بل ضم هذه الأقاليم الى اوروبا واقامة « سور من الفلاحين » فيها بواسطة كل من يأتي لاستعمارها والاستقرار فيها. وتستمر الدول الصغرى في هذه المجالات الكبرى تحت ادارة شعب قائد تخضع له بحكم الطبيعة . ولكن اللهجة تبدلت بعد هزيمة ستالينغراد . فقد صرف النظر عن القيادة الالمانية في اوروبا وعن تنظيم الاقاليم الشرقية ، واقتصر الكلام على الدفاع عن اوروبا ضد الخطر البلشفيكي والمطامع الاقليمية السوفياتية . ولن يبنى النظام الجديد على القوة بـــل على الحرية ، وسوف تكون الدول الصغرى والوسطى والعظمى متساوية فيما بينها .

نجاح النصرية

اما هتلر فلم يحدد في يوم من الايام ما يقصده بالنظام الجديد . ولم يوضح قط ما يمكن ان تنتظره الدول المغلوبة من تسوية الصلح النهائيـــة ، ولم يسلّم قط بعقد معاهدة صلح تستوفي شروطها القانونية ؛ ولم يخف قط تصميمه على ضم كل اقليم يمكن تمثيله بالرقعة الالمانية . وكان أول عمل تلقائي قام به بعد هزيمـة فرنسا الاسراع الى ضم شطر كبير من اراضيها الى الرايخ ، ثم قرر ارجاء هذا الضم املاً منـه بأن تساعده فرنسا المهزومة على محاربة انكلترا . وفي اواخر السنة ١٩٤٠، رسم مخططاً يقضي بتقسيم الامبراطورية البريطانية بين ايطاليا ، واليابان ، والولايات المتحدة ، والمانيا (في افريقيا الوسطى) ، ثم عاد الى مشاريعه التوسعية القديمة في الشرق ، حين لم يحصل على العـــون الاسباني الضروري . ففي الشرق ، سوف تصبح المناطق البلطيقية المضمومة الى الرايخ منطقة استعمار للمستعمرين الالمان والدانماركيين والنروجيين والهولنديين . وسوف تصبح اوكرانيا دولة حليفة ، والقفقاس دولة اتحادية يعين فيها مفوض سام الماني . وكل ما ليس المانياً ، كالحلفاء والتوابع والشعوب المخضعة، يجب أن يؤول الى وضع دوني ، وضع سكان الامبراطورية الاستعمارية الاوروبية الرايخ الالماني الاعظم . وبهذه الروح نفسها ، اعتبر زمناً طويلاً ان الشعب الالماني وحـــده هو ما يجب ان يسمح له بحمل السلاح . ولم يسمح الا في المرحلة الاخيرة من الحرب باستخـدام اسرى الحرب من قوميات الاتحاد السوفياتي غير الروسية والجنـــود المتمين الى الأحزاب المتعاونة والالمان . ولكنه لم يقل قط كلمة واحدة تسمح لحلفائه بالاعتقاد بأنه يعتبر مصيرهم مماثلاً لمصـــير الشعب الالمـــاني . لقد عوملت الشعوب النيرلندية والفلمنكية والسكندينافية معاملة دونها معاملة الشعوب الاخرى ، لأنها اعتبرت فروعاً من العنصر الجرماني ومعدّة للتمثيل . اما في الشرق ، فان الشعوب السلافية، التي هي شعوب متخلفة ، فمصيرها المعلن هو الاستعباد والإبادة . ويجب ان تستثمر الخميات لمصلحة المانيا دون غيرها، وسوف يُبقى السكان الاصليون في ادنى مستوى

عقلي ممكن ، وسوف يكون الارهاب سبيل الحكم : « ان الجيوش التي يمكننا الاستعانة بهـا لتوطيد سيطرتنا على الاقاليم الشرقية لن تكون كافية بسبب اتساع هذه الاقاليم ... (فيجب) على الدولة المحتلة ان توحي الارهاب القادر وحده على إزالة كل رغبة في المعارضة عند السكان ».

ففي المنطقة الغربية من بولونيا المضمومة الى الرايخ ، التي بلغ سكانها ١٦٠٠٠٠٠٠ نسمة ، بينهم ١٢٠٠٠٠٠ الماني فقط ، اقصي كل من ليس المانياً ، اي البولونيون واليهود ، الى الشرق في شتاء ١٩٣٩ — ١٩٤٠ ، والحق اقتصاد هذه الأقاليم باقتصاد الرايخ . وان الجزء الذي الف « الحاكمية العامة » كان مجرد بلاد استعمارية لم يحدد نظامها قط. وقد اوضحت التعليمات التي اعطاها غورنغ ان « كل الخامات والادوات الممكن استخدامها في الاقتصاد الالماني » يجب الاستيلاء عليهـا . وان « المشاريع التي لم تكن جوهرية للمحافظة على ادنى مستوى معيشي كاف للسكان يجب ان تنقل الى المانيا او ان تستثمر لمصلحة المانيا » حيث هي موجودة . وقد استهدفت التدابير التي اتخذها الحاكم العام « فرانك » وعمال القضاء على اليهود والطبقة البولونيـة المثقفة : فالغيت كافة مؤسسات التعليم العالي ، ولم يحتفظ للبولونيين الا بالتعليم الابتدائي والتقني . وعلى الصعيد الاقتصادي ، عريت البلاد واستثمرت لمصلحة الالمان وحاولت سلطات الاحتلال الحـد من ارتفاع عـدد البولونيين واضعاف العرق بسوء التغذية . كما حاولت في الوقت نفسه جرمنـة بعض مناطق ولاية « لوبلين » بواسطة المستعمرين الالمان . ومنذ خريف السنة ١٩٣٩ نقل عمال بولونيون كثيرون الى المانيا ، وبلغ عددهم زهاء المليون في شهر آب من السنة ١٩٤٢ .

في الـ « اوستلند » والاقاليم السوفياتية الاخرى ، انتهج الالمان السياسة الفظة نفسها ، الا في الجمهوريات البلطيقية الثلاث التي كان الاتحاد السوفياتي قد ضمها في السنة ١٩٣٩ والـتي عومل سكانها معاملة اقل سوءاً لأنهم اعتبروا انسباء في العرق . اما روسيا البيضاء واوكرانيا فقد عانتـا من مصير اشبه بمصير بولونيا . فقد الفت اوكرانيـا « مفوضية المانية » لم يسند الى الاوكرانيين فيها سوى ادارة شؤون القرى والنواحي . واحتـل الالمان كافة المراكز الادارية المتوسطة والعليا . وان روزنبرغ ، وزير الاقاليم الشرقية المحتلة ، الذي كان راغباً في اقامـة دول تكون بمثابة صمام امان بين الرايخ والاتحاد السوفياتي ، والذي سعى وراء تشجيع قومية اوكرانية ، قد اصطدم بمفوض الرايخ ، « اريك كوخ » ، الذي جاهر بأنه لا يسعى وراء إقامة « اوكرانيا حرة » بل وراء « تشغيل الاوكرانيين لمصلحة المانيا » . وقـد قال في كييف في الخامس من آذار ١٩٤٣ .

« لم آت الى هنا لاشيع السعادة ، انما جئت لاباعد الفوهرر ... لسنا هنا لنأتي بالمن، بل لايجاد قواعد النصر. نحن عرق اسياد عليه ان يتذكر ابـداً بان أوضع عامل الماني يفضل الف مرة سكان هـذه البلاد اجتماعياً وبيولوجيـاً » .

فاستهدفت سياسته من ثم اضطهاد المثقفين الاوكرانيين اضطهاداً منظماً بغيـة حرمان الشعب من قادته ، والقضاء على مظاهر القومية الاوكرانية واستثمار الفلاحين ما امكن الاستثمار لمصلحة المانيا . واراد روزنبرغ إعادة حق تملك الارض وتطبيق « النظام الجديد الزراعي »

بتحويل الثماونيات الانتاجية الى مزارع اقليمية وثماونية ، ولكن كوخ ، الذي كان يتوخى ملء اوكرانيا بالاستثمارات الالمانية الكبرى التي تستخدم اليد العاملة المحلية المأجورة ، أسس شركة خاصة استثمرت هذه المزارع الاقليمية الجديدة كما تستثمر المزارع النموذجية الكبرى :

في محمية بوهيميا – مورافيا حيث سبق لهتلر ان قرر تمثيل نصف السكان – بتشتيت العمال التشيكيين في مناطق الرايخ المختلفة بنوع خاص – وابعـــاد النصف الثاني ، ولا سيما العناصر « المغولية » (؟) ورجال الفكر ، اقفلت الجامعات التشيكية لمدة ثلاث سنوات منـــذ شهر تشرين الاول من السنة ١٩٣٩ . وأُجرمنت المدارس الثانوية وحتى الابتدائية تدريجيـــاً . ومن جهة ثانية سهلت غارات الطائرات الحليفة على المانيا جرمنة البلاد بدفعها العديد من الالمان الى نقل مشاريعهم الى بوهيميا حيث تمتعوا بحق الحصانة الدولية .

وفي الشرق خضعت كافة القضايا الجنائية ومعظم القضايا المدنية ، التي اشتركت فيها فئات الالمان المختلفة ، من مواطنين ، و« رجال دولة » ، والمان اصيلين او منحدرين من اصل الماني ، لاحد القضاة الالمان وللقانون الالماني . كما ان النظر في بعض المخالفات المرتكبة ضد السلطـــة المحتلة وقراراتها والحزب النازي والمنظمات الملحقة به ، قد حصر في المحاكم الالمانية مهما كانت قومية المتهم المدعى عليه . والحصرت صلاحية المحاكم المحلية في القضايا المدنية بين الاطراف غير الالمانية وفي القضايا الجنائية ، واحتفظ للمحاكم الالمانية بحق اعادة النظر في احكامها .

« امبراطورية الـ S. S. »

في الواقع لم يوضع قط مخطط شامـــل ومتناسق لتنظيم اوروبا الالمانية تنظيماً نهائياً . فقد رسمت توجيهات كبرى عامة جداً : ابادة اليهود ، ابعاد « الماركسيين » : شيوعيين ، واشتراكيين وبنّائين احرار ، والقضاء على المبادىء الديموقراطية والنقابية ، واعادة تنظيم الاقتصاد الاوروبي لمصلحة الرايـخ بحيث يؤمن للشعب الالماني دور قيادة ممتاز في وسط الشعوب المستعمرة المقتصر نشاطها على الزراعة فقط . واذا ما انتُهجت سياسة شاملة ما فان الفضل في انتهاجها يعود الى ادارة الـ S. S. (مصالـــح الامن) . فقد الفت هـــذه الادارة دولة ضمن الدولة ولم تخضع لقوانين الرايخ وحتى لانظمة الحزب ، وكان لها تسلسلها الاداري الخاص و« دوائر أمنها » المستقلة ، فكانت السيدة المطلقة على الشعوب المخضعة . ففي كافة البلدان المحتلة اشرف على الشرطة احـد كبار ضباط الـ S.S. الذي كان واثقاً من ان الكلمة الاخيرة ستكون له حين تنشب الخلافات بينه وبـــين السلطات المدنية والعسكرية المحلية . اما رئيسها هملر ، الذي كان رئيساً الـ « هنترب » (ومكلفاً الدفاع عن « الدم والارض والعرق ») ، فقد عين في السنة ١٩٣٩ واعطي صلاحيات مطلقة واسندت اليه مهمة تنظيم استعمار البلدان المحتلة ، اي امكانية اعادة رسم خريطة اوروبا الديموغرافية والعنصرية . وفي السنة ١٩٤٢ اعطي صلاحية الاشراف على الجماعات القومية الجرمانيـــة في الدانمارك والنروج وهولندا وبلجيكا ، وحق الرقابة ، لا على المنظمات النـــازية الميول فحسب ، بل على ادارات الرايخ الرسمية في هـــذه البلدان ايضاً . وتحت اشرافه قامت ادارة الـ S.S.

بارساخ السيطرة الالمانية سياسياً واقتصادياً بتوطينها ، في نقاط مختارة ، الأقليات الألمانيـــة المتشتتة في اوروبا ، التي اعيدت الى الرايخ : في الاراضي البولونية المضمومة ، والـ « وورتلند» ، والالزاس – لورين ، واللوكسمبورغ ، وسيليزيا العليا ، وكارنيول العليا ، وستيريا السفـــلى . واجتهدت ادارة الـ *s. s.* كذلك في اعادة الجماعات المرغوب فيهـــا عنصرياً الى « الشراكة الجرمانية »: الالمان المتصهرون في الشعب التشيكي والشعب البولوني وانسال المهاجرين الى السويد من الالمان ... وقد عبأت من بين هذه الجماعات « جنود الاصطدام في النظام الجديـــد » : الـ *Waffen s. s.* . ولم تصرف النظر عن هذا التجنيد المرتكز الى اعتبار عنصري ، مستعينة بالعناصر غير الجرمانية التي استثمرت خوفها من البلشفية ، الا بعد معركة ستالينغراد .

الابادة

ان النظام الجديد ، المبني على تفوق العرق الجرماني واستثمار اوروبا على أيدي « شعب السيادة » واحتقار واستعباد كل ما ليس المانياً ، قد اقتضى ، بالاضافة الى ذلك ، القضاء « الطبيعي » على كل من يعتبرون خطراً طبيعياً أو ادبياً على الرايخ الثالث . وكي يتأسس تأسيساً راسخاً « لألف سنة » ، كان من الضروري القضاء على كافة أعدائه بدون شفقة .

بين الالمان حُقِّم غير « الاجتماعيين » والمنحطون والمتوهون والفاسدون جنسياً ؛ امـــا «الهراطقة» الماركسيون أو الاحرار فقد سجنوا وأعدموا الحياة . ففي المعسكرات التي اعتقلوا فيهـــا لم تلبث المعاملات السيئة وسوء التغذية والعمل المضني ، التي اخضعوا لها ، ان حطمتهم معنوياً وجسمانياً وقادتهم الى الموت . واما اليهود الذين كان القضاء عليهم فكرة متسلطة عـلى مخيلة هتلر فقد فجعوا بقوانين نورمبرغ في السنة ١٩٣٥ ، المكملة بمراسيم السنتين ١٩٣٧و١٩٣٨ التي حكمت عليهم بالموت البطيء . وأثناء الحرب اشتدت هذه السياسة وتناولت فئات اجتماعية وقومية اخرى ، كالنور والسلافيين عمومـــاً وكافة الشعوب المعتبرة متخلفة . فبالاضافة الى التدابـــير المعدة للحيلولة دون تكاثرهم : كالتعقيم والاجهاض وفصل الرجال عن النساء ، لم يتراجع هتلر امام تقتيلهم ، كما شرح ذلك لـ « روشنلغ » :

« اذا كان يوسعي ارسال نخبة الشعب الالماني الى جحيم الحرب دون اية شفقة على اهراق الدم الانساني العزيز ، فليس من شك في ان من حقي القضاء على ملايين الاشخاص المنتسبين الى عرق متخلف يتكاثر تكاثر الفـــل والبراغيث والبق وغيرها من الهوام » .

اهملت من ثم ، اكثر فاكثر ، اساليب الموت البطيء ، واعتمدت طرائق اسرع نتيجة تطبق مخططاً منظماً للابادة . فبينما فرغت مدن المانية كثيرة من طرد اليهود الباقين فيهـــا متباهية « بخلوها من اليهود » ، طبقت على يهود البلدان المحتلة قوانين نورمبرغ . وخلال اسابيع الحرب البولونية الثلاثة ، قتل افراد الـ *s. s.* واعـــداء الساسية البولونيون ٢٥٠٠٠٠ شخص منهم ، وصودرت ممتلكاتهم ، وعينت لهم حصص غذائية زهيدة جداً ؛ وزربوا في احيائهم او نقلوا الى المانيا لتأدية اعمال الزامية . ومنذ شهري ايار وحزيران من السنة ١٩٤٠ عانت الجماعات اليهودية

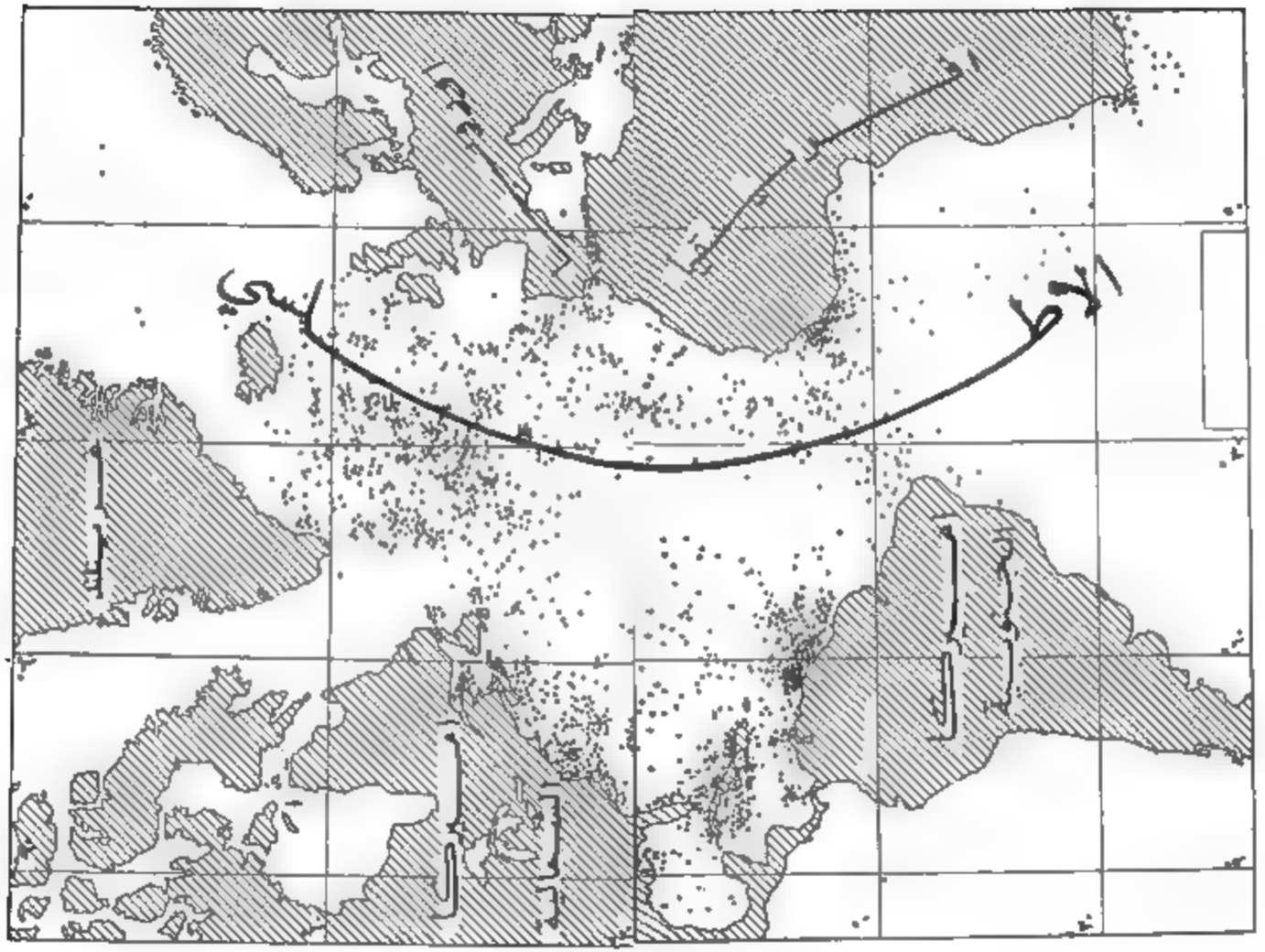

الشكل ١٥ - توزيع السفن التجارية المفرقة في الأطلسي

١- بين ١٥ آذار ١٩٤١ و ١ كانون الثاني ١٩٤٩ ، ٢ - بين ١ كانون الثاني ١٩٤٢ و ٣١ آذار ١٩٤٢ ،
٣ - بين ١ آب ١٩٤٢ و ٣١ أيار ١٩٤٣ .

في الدانمارك والنروج وهولندا وبلجيكا واللوكسمبورغ وفرنسا بدورهـــا من المصير نفسه ، ويدخل في عدادها الوف اللاجئين الالمان والنمساويين الذين وقعوا في ايدي النازيين . وعرفت الدانمارك وحدها تشريعاً خفيف الوطأة ضد الساميين بفضل معارضة الملك . اما في فرنسا فقد عمل بنظام شبيه جداً بالنظام الالماني . وفي كل مكان اتخذت التدابير المعـــادية للسامية على الصورة التدريجية نفسها : نفي اليهود اللاجئين ، فرض غرامات ثقيلة وتبرعات الزاميـة على الآخرين ، مظالم شتى جعلتهم يؤولون الى حال البهائم المطاردة ، مصادرة الممتلكات الخاصة والمؤسسات الثقافية ، حرمان من الحصص الغذائية العادية . وبعد الهجوم على الاتحاد السوفياتي ، اشتدت الاقتسارات والمظالم ، واعتبر استعجال ابادة اليهود امراً واجباً للوصول الى « حـل نهائي » للمسألة اليهودية . فأحدثت للقضاء عليهم فرق خاصة مجهزة بشاحنات غاز تتيح لهـــا ابادة ضحاياها باعـداد كبرى . وانشىء المزيد من معسكرات الاعتقال التي جهزت بغرف غاز وافران احراق في « تربلنكا » و « مايدانيك » ، و « بوكنوولد » ... ولا سيما في « اوشويز » حيث امكن اماتة ٢٠٠٠ شخص بالغاز دفعة واحدة في مدة نصف ساعة ، وتنفيذ العمليـة نفسها اربع مرات في اليوم. ففي غرف الغاز هذه هلك ٢ ٥٠٠ ٠٠٠ ضحية بينما مات ٥٠٠ ٠٠٠ من الحرمان وشظف العيش .

في معارك اوكرانيا وبسارابيا ، حيث اشترك الرومانيون في حركات شعبية ضخمة ضـد اليهود ، مات اكثر من مليوني يهودي قتلاً . وكان العمل الاخير تدمير احياء اليهود . ولكن يهود « لودز » قد نجوا من الابادة بسبب الحاجة الى اليد العاملة في مصانع النسيج . امـــا في فارصوفيا حيث ما زال هناك ٤٠٠ ٠٠٠ يهودي في السنة ١٩٤٢ ، فقد اندلعت ثورة يائسة حين اراد الالمان ، في كانون الثاني من السنة ١٩٤٣ ، تصفية الـ ٤٠ ٠٠٠ يهودي الباقين على قيـد الحياة . فاقتضى لهم ٤٢ يوماً من المعارك الضارية لابادتهم . وهكذا بين السنة ١٩٣٩ والسنة ١٩٤٥ ، مات قتلاً اكثر من ستة ملايين يهودي (عـــاد ٦٠٠ يهودي هولندي من اصل ٩٠ ٠٠٠ منفي ، اي اقل من ٠٫٧ ٪ . وعاد ٢٨٠٠ يهودي فرنسي من اصل ١١٠ ٠٠٠ ، اي ٢٫٥ ٪) .

« معسكرات الموت »

ان تدابير الابادة المنظمة هـــذه استهدفت « اعداء » الرايخ الآخرين ايضاً . فالعذابات والعمل الالزامي وسوء التغذية (بين ٦٠٠ و ٧٠٠ وحدة حرارية في اليوم في بوكنوولد) ، والاعدام للعـاجزين عن العمل ، كانت المصير الذي ينتظر الماركسيين والمقاومين والسلافيين والمظليين الحلفاء والاسرى الفارين . وقـد نفذت هذه الابادة المنظمة في معسكرات الاعتقال التي مرّ فيها زهاء عشرة ملايين ضحية ، زال اكر القسم الاكبر منها ، ولا سيما خلال الاشهر الاخيرة من الحرب – اذار و نيسان ١٩٤٥ – اذ نظمت في كل مكان تقريباً عمليات تقتيل واجلاء بالجملة في ظروف وحشية رهيبة . فقـــد تعرض المعتقلون لعبودية مطلقة ، ولم يكن لهم من ملاذ يقيهم مظالم الـ « كابوس » – رؤســاء

فرق اختير جلهم من بين الالمان المحكومين وسعوا جهـــدهم لاذلالهم واساءة معاملتهم — وافتقروا الى الغذاء واللباس ، واخضعوا لنظام قاس ، وارغموا على القيام بأعمال شاقة وخيمة في المعامل والمصانع ، فماتوا ضعفاً او ضرباً ، وحكم على المرضى والسقماء منهم بالموت في غرفة الغاز او فرن الاحراق حيث كانوا يختفون دون ان يتركوا اي اثر . وقد وصف لنـا الحياة في المعسكرات الشهود الذين عادوا من هذا « الجحيم المنظم » ؛ وليس سوى التضامن والحياة الداخلية القوية ما انقذ اولئك الذين اتاحت لهم قوتهم الجسمانية والمعنوية احتمال العذاب والعناء ؛ الا ان النضال السري الذي استطـاع « السياسيون » — ولا سيما الشيوعيون — من كافـة الجنسيات ، المنظمون في الخفاء ، القيام به ضد اسيادهم الـ « S.S. » وعمـلائهم محكومي الحق العام ، من اجل قبض زمـام الامور في المعسكرات (امانة السر ، رئـاسة المرضى ، رقابة التجمعات) ، قد ساعد على انقاذ حياة العديد من المعتقلين .

ابتداء من السنة ١٩٤١ ، لم يعد الهدف الرئيسي للمعتقلات ابادة اعداء الرايخ فحسب ، بل اصبح لها هدف اقتصادي ايضاً . فان اليد العاملة الاجنبية التي لم تفلح ادارة العمـل الالزامي وجهود « سوكل » ، المفوض العام لليد العامـلة ، في احضارها الى المانيا ، قد تعززت بمئات الالوف من العبيد الذين وجههم الـ « غستابو » نحو ١٥ معسكراً كبيراً : «داشو» و«تونغام» ، و« موتوزن » ، و« رافنسبروك » ... ، واكثر من ٩٠٠ معسكر ثانوي . فاستخـدموا بصورة خاصة في المعامل المنشأة تحت الارض ومعامل المنتجات الكيميائية ، دون تحديد لمـدة العمل ، حتى النهكة التامة . واسندت الاعمال الى الرجـال الاقوياء دون غيرهم ؛ اما الشيوخ والنساء والاولاد فقد سيقوا مباشرة الى غرف الغاز . واستخدم بعض الاسرى للاختبارات الطبيـة : فقد اختبر بعض اطباء الـ S.S. فيهم تأثير الضغوط المنخفضة على الطيارين المحلقين على ارتفـاع عظيم ، او تأثير التجمد على الغريق . ولقّح بعض السجناء والسجينات الاصحاء بجراثيم الامراض ، كالتيفوس والسرطان والملاريا ، المرغوب في مراقبة تطورها ، واختبرت فيهم ادوية جديـدة (جربت مؤسسة « باير » مخدراً في ١٥٠ يهودية قضين كلهن) ، واستخدم الرجال والنساء محل الارانب لاجراء الاختبارات : « احدثت قروح والتهابات بحقن منتجات بترولية تحت الجـلد . وقتل التوائم بغية « تشريحهم » واجريت اختبارات تشريح اشخاص احياء . ومن لم يمت بهـذه الطرق حقن بالفينول النقي في القلب .

لجميع هذه الاسباب كان عدد الوفيات مرتفعاً جداً ؛ ففي رافنسبروك كانت نسبة الوفيات ٢٤٪ في السنة ١٩٤٣ ، فارتفعت الى ٦٠ ٪ في السنة ١٩٤٥ ، وزادت ارتفاعـاً في الشهرين الاخيرين . ومن المعلوم اليوم ان الجيوش البريطانية ، حين دخلت الى معسكر «برغن — بلسن» ، قد شاهدت مستودعاً ضخماً للجثث يضطجع فيه ، بين ٣٣ ٠٠٠ جثة تلتة تنتشر منها الروائح الكريهة و١٠ ٠٠٠ مصاب بالتيفوس يلفظون انفاسهم الاخيرة معانين عذابات العطش » .

استثمار البلدان المحتلة

احتل استثمار البلدان المحتلة (الشكل ١٩) مركزاً هاماً في اقتصاد الحزب النازي . فحين امكن استخدام الطاقة الصناعية في البلدان المحتلة للمساعدة على بلوغ اهداف الحرب الالمانية ، ابقي على الانتاج ، لا بل عززا حياناً ؛ اما اذا استحال ذلك فيضحى به : فان الصناعات النسجية والزجاجية المتوفرة في المانيا قد اوقفت، وحين توجب توزيع المواد الاولية على الصناعات ، كان للصناعات القائمة في الارض الالمانية حق الأولوية في استلام نصيبها من هذه المواد والمعدات واليد العاملة . وفي كافة الاراضي التي سقطت تباعاً في ايديهم ، اتخذ الألمان التدابير الأولية نفسها : تعمد الدوائر التابعة لمصلحة الحرب الاقتصادية ، والمرافقة جيوش الغزو ، الى لاستيلاء على مخزونات المواد الأولية والمنتجات المصنوعة واعادة تسيير المصانع . وكانت تتخذ بعد ذلك تدابير مختلفة باختلاف البلدان المحتلة ومركزها المستقبل في « النظام الجديد » ، موزعة الى اربع فئات : البلدان المضمومة او المنوي ضمها الى الرايخ : الالزاس ـ لورين ، اللوكسمبورغ ، محمية بوهيميا ـ مورافيا ، سيليزيا العليا البولونية . البلدان الاستعمارية : حاكمية بولونيا العامة ، البلدان البلطيقية . المناطق المحتلة في اوروبا الغربية . فرنسا حكومة فيشي .

الصناعة

في بلدان الفئة الاولى ، اخذ الالمان على عاتقهم الاشراف المباشر على الحياة الاقتصادية ؛ الا ان التشيكيين قد احتفظوا ، في المحمية المعتبرة مستقلة استقلالاً ذاتياً ، بنصيب غير مستقل من الادارة. وحدث الشيء نفسه في بلدي اوروبا الجنوبية الشرقية ، صربيا واليونان ، حيث شكلت حكومات صورية . وفي الحاكمية العامة والاراضي الشرقية المحتلة : الدول البلطيقية ، وليتوانيا ، وروسيا البيضاء واوكرانيا ، حيث لم يقم اي جهاز حكم ذاتي ، ادير الاقتصاد كما لو كان جزءاً لا يتجزأ من اقتصاد الرايخ ، فاسندت الى شركات تتمتع بحقوق احتكارات رسمية وترتبط بالمشاريع الالمانية الكبرى ، مهمة استثمار الموارد في الاطار الذي تعينه سلطات الرايخ . اما في البلدان المضمونة ، فان الصناعات قد الحقت باقتصاد الرايخ الحاقاً مباشراً وكلياً ، وقد عزز بعضها حين كان من شأن بعدها ان يجعلها في مأمن نسبياً من الغارات الجوية : كانت هذه حال مصانع سكودا ومصانع الاسلحة في « برنو » ومراكز سيليزيا العليا البولونية ، حيث انمي استثمار الفحم الحجري وانشئت مصانع بنزين تركيبي . واما في البلدان الاستعمارية فقد اقتصرت الصناعة على انتاج المواد الاولية والحاصيل الضرورية لتموين القوات المسلحة والحاجيات الضرورية جداً لحاجات السكان .

في الاقاليم التي لم تكن لا معدة للضم الى الرايخ ولا معتبرة منطقة استعمارية : البلدان السكندينافية ، وبلجيكا ، وهولندا ، وفرنسا ، وايطاليا الشمالية بعد ايلول ١٩٤٣ ، ابقيت ادارة الاقتصاد في ايدي السلطات المحلية التي كانت تتلقى من الالمان توجيهات عامة ؛ وقد انشئت الى جانب كبار موظفي الادارات المحلية دوائر المانية غالباً ما اقامت في الابنية نفسها لمراقبة تنفيذ التدابير المتخذة .

استخدمت كافة الصناعات القادرة على توفير الاسلحة والعمل لمؤسسة « تودت » او لحاجات الرايخ ؛ فلمصلحة هاتين الفئتين الاخيرتين اقتطعت نسبة عليا من انتاجها ، كما في فرنسا مثلا :

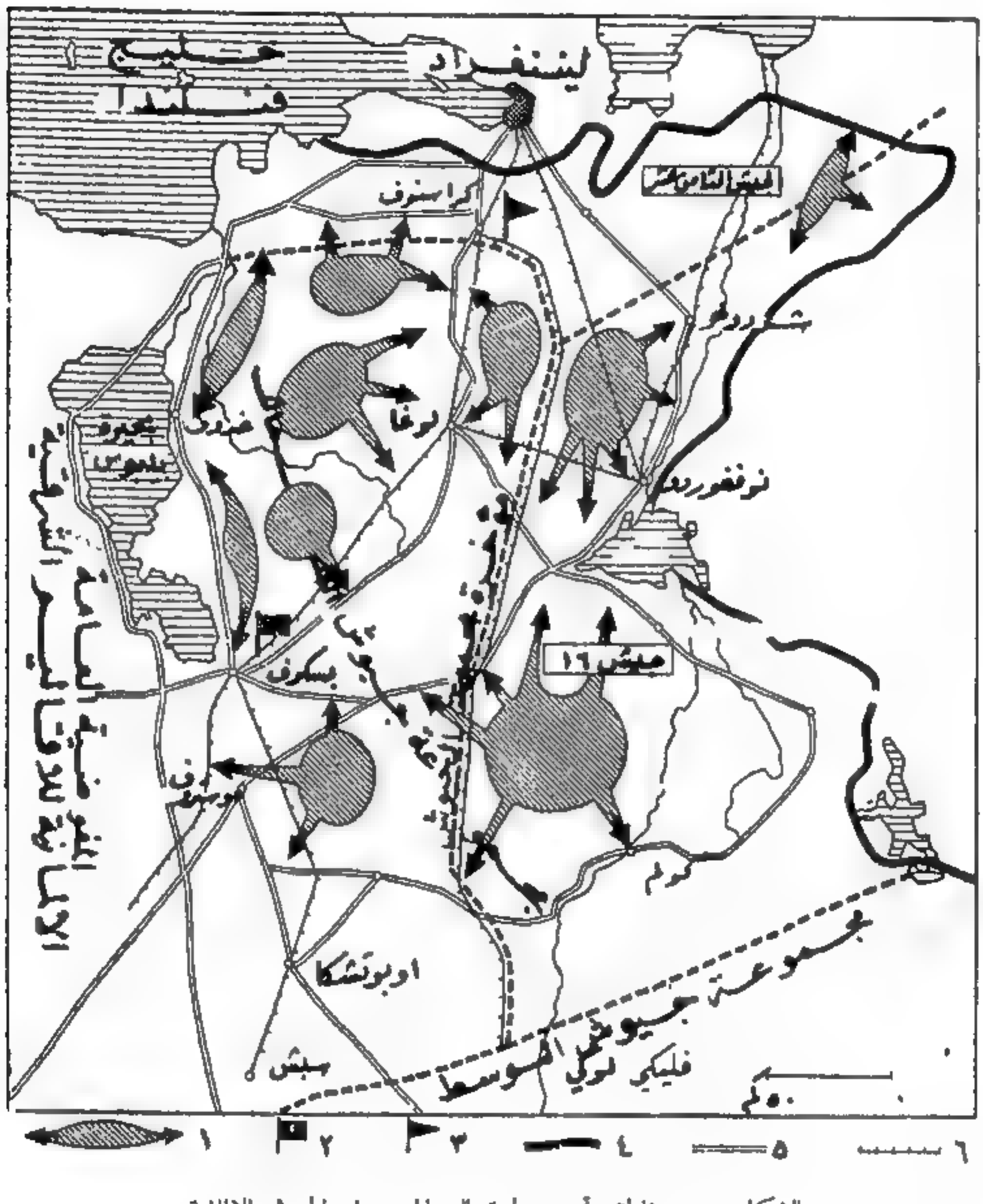

الشكل ١٦ ـ مناطق تحت سيطرة العصابات وراء الجيوش الالمانية في الشمال في كانون الاول ١٩٤١ .

١ ـ مناطق تحت سيطرة العصابات واتجاهات هجماتها ، ٢ ـ مركز قيادة مجموعات الجيوش ، ٣ ـ مركز قيادة الجيش ، ٤ ـ الجبهة ٥ ـ طرقات ، ٦ ـ خطوط حديدية .

٧٥ ٪ من الالومينيوم والنحـــاس ، ٨٠ ٪ من البترول ، ٤٠ ٪ من البوكسيت ، ٣٨ ٪ من المطاط ، ٥٩ ٪ من الصوف ، ٥٣ ٪ من القطن ، ٦٧٪ من الجلد ، ١٠٠ ٪ من الادوات الدقيقة ،

٩٠ ٪ من انتاج مصانع الطائرات ، ٧٥ ٪ من انتاج مصانـــع السفن ، ٧٠ ٪ من السيارات ، ٤٥ ٪ من الاجهزة الكهربائية واجهزة الراديو ، الخ . وقد توفرت للالمـــان وسائل ضغط لا تقاوم . فانهم قد اشرفوا على كافة مصادر التموين بالمواد الاولية ، بحيث كان كل مصنـع لا يريد اقفال ابوابه مضطراً لاستلام المواد الاولية منهم ، واجازات الاستيراد والتصدير عند الحاجة ؛ واشرفوا كذلك على كافة المصارف ، فكان من ثم بوسعهم رفض الاعتمادات الضرورية ؛ وقد اتاحت المبالغ الطائلة التي وفرتها لهم ضرائب الحرب اخيراً عرض اسعار مرتفعة جداً للمؤن التي كانوا بحاجة اليها . وفي حال الرفض ، كان المصنع يتعرض لخطر تفكيك آلاته ، كمـا تتعرض المعدات غير المستعملة لخطر المصادرة والنقل مع العمال الى المانيا .

الاستيلاء على المشاريع

في الوقت نفسه اتسعت المساهمات الصناعية الالمانيـــة اتساعاً كبيراً جداً في كافة انحاء اوروبا: فقد بسطت المصارف والمصالح الحكومية والمشاريع الخاصة سيطرتها على مؤسسات اجنبية كثيرة، ولاسيما في البلدان المضمومة وبلدان اوروبا الجنوبية الشرقية ، بالشراء والمصادرة والحجز . وكـــثرت المصادرات بصورة خاصة في الأراضي السوفياتية حيث اعلن الرايخ نفسه خليفة الدولة السوفياتية، ومن ثم صاحب كافة الممتلكات . وقد انتقلت هذه الأخـــيرة الى الشركات الاحتكارية التي اسستها الدولة الالمانية ، والمؤسسات التعاونية للصناعيين الالمـان المتصرفين تصرف عملاء للرايخ . وأجّـرت بعض المصانع لمؤسسات ألمانية كبرى : مانسمان ، سيمنس ... وفي الحاكمية العامة صودرت كذلك ممتلكات الدولة البولونية القديمة ، وصودرت في كافة المناطق المحتلة ، كما هو طبيعي، ممتلكات اليهود و « اعداء الرايخ » .

في اوروبا الغربية انتهجت المانيا طريقة المشتريات « العـــادية » ، ولكن مركزها المسيطر غالباً ما فرض المعاملات والصفقات التي ترغب فيها ؛ فاقدمت على مشتريات مساهمات ، حتى في المشاريع المتوسطة الاهمية ، في الدانمارك وهولندا . واتخـــذت التدابير لرفع يد الفرنسيين والبريطانيين عن اموالهم الموظفة في اوروبا الجنوبية الشرقية : فقـــد ارغم اصحاب الاسهم المالية على بيعها بالسعر الذي يحـــدده الالمان ، والا تعرضوا لمصادرتها منهم . وهكذا اضطر مصرف « ميرابود » للتخلي عن الاشراف على مناجم « بور » للمصرف البروسي . وأسس الالمان كذلك شركات مختلطة كان لهم فيها الحصة الكبرى ، وارغموا المغلوبـــين على الانضمام الى الاتحادات الالمانية (اتحاد الزجاج ، واتحاد الاسمنت) . وانتهجوا كذلك طريقة مشترى المؤسسات المصرفية المستفيدة استفادة كبرى من المشاريع الصناعية ، فحققوا بذلك الاشراف على عدد من المصارف الكبرى في المجر والبلدان البلطيقية وبوغوسلافيا وبولونيا وهنغاريا وهولندا .

رقابة الزراعة

حدث في البلدان المحتلة ان ادارة الزراعة والتموين التي انشئت منذ اوائل الحرب قد عززت وماثلت على العموم الادارة القائمة في المانيا . فقد اخضعت اوروبا البرية كلها لقانون تحديد المساحات الواجب زرعها والحبوب الواجب بذرها والكميات الواجب تسليمها للتموين . وانشئت في كل مكان مؤسسات تعاونية بلدية ، مستوحاة من المؤسسات الالمانية ومكلفة تنفيذ اوامر السلطة المحتلة : التعاونية القروية في فرنسا وبلجيكا والـ « بوند سامبند » في النرويج ... ونظم التقنين بحسب المبادىء الالمانيـــة : تقنين مطلق تناول الحنطة والطحين والحبوب واللحوم والحليب والمواد الدهنية ، والبطاطا احياناً ، باسعار تختلف باختلاف المستهلكين . وكان التقنين اشد قساوة في الدانمارك واكثر فعالية في اوروبا الشمالية والشمالية الغربية منه في فرنسا وايطاليا . وفي كل مكان كانت نسبة النخالة في الطحين مرتفعة ، وبلغت ٩٠ ٪ احياناً ، الامر الذي استتبع تحضير خبز صعب الهضم كريه المذاق ؛ وفرزت الكثأة عن الحليب ، وحدد استهلاك اللحوم . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان ظروف الزراعة لم تلبث ان ساءت ، وان تعذر العناية بالمعدات الزراعية واستخدام الاسمدة الكيميائية (ولا سيما بعد زوال الحلفاء في افريقيا الشمالية) قد خفض المحاصيل بحيث هبط الانتاج الزراعي — كما في الحرب العالميـــة الاولى تقريباً — بنسبة ١٠ ٪ عموماً في المرحلة الاولى من الحرب ، و ٢٥ ٪ حين وضعت الحرب اوزارها . اجل لم يبلغ معدل النقص النظري في كمية الوحـدات الحرارية اكثر من ربع مستواها في السنة ١٩٣٨ ، ولكن الفلاحين استمروا في التغذي كما قبل الحرب ، ولما كانت الحصص التي اعطيت للقائمين بالاعمال الالزامية اكبر حجماً ، فقد ناء النقص بوطأته على سكان المدينة من غير العمال ، والمستخدمين والاولاد والشيوخ ، حين لم تتوفر لهم موارد كافيـــة لشراء موادهم الغذائية من السوق السوداء ؛ فاضطر ملايين الاشخاص من ثم للاكتفاء باقل من ٢٠٠٠ وحدة حرارية في اليوم ، اي اقل من ٤/٣ او ٣/٢ الكمية في السنة ١٩٣٨ ، وقد حصل النقص في الدرجة الاولى في المواد الدهنية والبروتينات الحيوانية ، وفي الدرجة الثانية في مركبات الهيدروكاربير والبروتينات النباتية . وفي كل مكان ، باستثناء الدانمارك ، كانت الحصص غير متساوية ، واقل منها في المانيا . ففي بولونيا استلم سكان المدن اقل من نصف الحصص الموزعة في المانيا على الفئات المماثلة من المستهلكين . وفي السنتين ١٩٤١ و ١٩٤٢ انخفضت هذه الحصص لمعظم السكان في منطقة اثينا ـ البيريه الى ٦٠٠ — ٨٠٠ وحدة حرارية متسببة في حوادث وفاة كثيرة بفعل الجوع.

كان لكل ذلك نتائجه الطبيعية على صحة السكان : انخفاض وزن الجميـــع مع تأخر في نمو الاولاد ، وخراعة ، واضطرابات معوية ، ووذمات الجوع في اكثر المناطق اصابة . وارتفعت نسبة الوفيات بين الاطفال ، كما ارتفع عدد المصابين بالتدرن الرئوي : الا ان الخسائر في الارواح كانت على العموم اقل منها في الحرب العالمية الاولى بصورة محسوسة .

العمل الالزامي

استخدمت اليد العاملة في البلدان المحتلة محلياً ، إما في بنـــاء التحصينات (سور الاطلسي ، سور ليغوريا بين طولون ولاسبيزيا) في اطـار مؤسسة « تودت » التي شغّلت زهاء ٧٠٠ ٠٠٠ عامل اجنبي ومسؤول المـاني في شهر ايار من السنة ١٩٤٣ ، وإما في المصانع الحربية-العاملة لمصلحة المانيـا التي توصلت في السنة ١٩٤٤ الى انتاج ٢٥ – ٣٠ ٪ من الاسلحة الالمانية وتشغيل زهاء ٣ ملايين عامل ، واستخدمت كذلك خارج الرايخ .

وفي معاملة العمال الاجانب ، استوحت السلطة الالمانية مبدأ تفوق العرق الالماني :

« انا لا اكترث البتة لما يحدث للروسي او للتشيكي ... ولا اهتم لازدهار حياة الامم او لموتها خوراً الا بنسبة حاجتنا الى استعبادها لمصلحة « ثقافتنا » والا فليس لها في نظري اي شأن . واذا مـا سقطت ٠٠٠ ١٠ امرأة روسية منهوكة من حفر خندق مضاد للدبابات ، فان ذلك لا يهمني الا بنسبة انجاز حفر الخندق لمصلحة المانيا » .

هذا ما قاله هملر في اجتماع ضم قادة الـ S.S. في باريس في شهر تشرين الاول من السنة ١٩٤٣ . لذلك فان طرائق اختيار العمال ، وظروف المعيشة، وظروف الاستخدام قداستوحت مبدأ التفريق العنصري . ففي ادنى المراتب كان اليهود الذين انتهجت حيـالهم سياسة الابادة بصرف النظر عن الخدمة التي قد يستطيعون تأديتها . وفي المراتب التالية ، يأتي « الشرقيون » ، الروس الذين احتلوا مركزاً ادنى من مركز البولونيين والبلطيقيين، ثم عمال الدول الغربية ، وقد احتلي بينهم الهنغاريون والدانماركيون والفلمنك ، ثم الفرنسيون والهولنديون ، وقد احتلوا فوق العمال الايطاليين والبلغاريين والرومانيين والاسبان الذين كانوا دونهم تخصصاً واسعاً . وانطلاقـاً من الاعتبار العنصري نفسه ، كان مسكن وغذاء الاجانب دون مسكن وغذاء الالمان .

اعتمد العمل الالزامي منذ اوائل الحرب في الدول الشرقية ، ورافقه توقيف عائلات الفارين واختطاف الرجال من الشوارع والمنازل والكنائس ، بينما تأخر اعتماده في الغرب الى ان ساءت حالة اليد العاملة في السنة ١٩٤٢ . وقد لجأت السلطات الالمانية في البدء الى الاقناع : وعـد بأجور مرتفعة وسهولة في النقـل من مركز الى مركز ، وظروف معيشة مغرية ، وفي فرنسا ، وعد بتحرير اسير مقابل ثلاثة عمـال متطوعين . ثم لجـأوا الى ضغوط غير مباشرة : إلغاء مساعدات البطالة ، سحب بطاقات الاعاشة ، اقفال المصانع بغية توسيع نطاق البطالة ، حجز الأجور . ومنذ السنة ١٩٤٢ اوجب العمل في بلجيكا وهولندا على الرجال المتراوحة اعمارهم بين ١٨ سنة و٥٠ سنة وعلى البنات المتراوحة اعمـارهن بين ١٨ سنة و٢٥ سنة . ولم ينج من العمل الالزامي حتى شهر آب من السنة ١٩٤٣ سوى الدانمارك « الحمية النموذجية » . وفي هذا التاريخ اي بعد سقوط موسوليني ، ارغم العمال في ايطاليا على العمل الالزامي كما في البلدان الاخرى .

خضعت معاملة العمال لما جاء في برنامج سوكل لتعبئة العمل في ٢٠ نيسان من السنة ١٩٤٢ : « سوف يعامل كافة الرجال ويؤمن لهم غذاؤهم ومسكنهم بحيث يعطون اعلى انتـاج بأدنى الاسعار ». فكان للعمال الاجانب يجمعون في مساكن خشبية جماعية تفتقر الى التدفئة والتجهيز

الصحي اللائق ، ويتناولون الغذاء في محلات خاصة بهم ، عاجزين عن شراء الاطعمة في السوق بسبب احتفاظ قادة المعسكرات ببطاقات اعاشتهم .

الاستثمار المالي

في الحقل المالي ، تحقق استثمار البلدان المحتلة باعتماد تقنيات مختلفة تحتفظ بظاهر الشرعية : غرامات مختلفة ، وإلزام بيع الذهب والنقد النادر وبعض الاوراق المالية الاجنبية ، واصدار كميات كبرى من النقد الورقي الالماني تتداولها البلدان المحتلة ويستحيل تبديلها بالاوراق النقدية التي يصدرها مصرف الرايخ ، ومصادرة الذهب من مصارف الاصدار في البلدان المحتلة ، وفرض اتفاقات مالية مضرة بمصالح المغلوبين : اقرار سعر قطع متدن جداً بالنسبة للمارك الالماني (في فرنسا ٢٠ فرنكاً لكل مارك مقابل ١١ في السنة ١٩٣٩) ، ايجاب تحمل نفقات احتلال مرتفعة جداً تحدّد بحيث تتيح لا تعهد الجيوش فحسب بل مشتريات اخرى كثيرة ايضاً . ففي فرنسا مثلاً ، باستثناء العتاد الحربي ووسائل النقل ، دفع الالمان ثمن كل ما استولوا عليه . وامنوا وسائل الدفع بمجرد الاستفادة من اتفاقية وقف اطلاق النار التي حمّلت فرنسا عبء نفقات تعهد جيوش الاحتلال ؛ فاستوفوا بذلك مبالغ طائلة تفوق حاجات هذه الجيوش . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان الاتفاقات المالية قد أفادت منها المانيا وحدها لانها لم تسلم المغلوبين شيئاً مقابل كل ما يقدمونه لها ، فأرغمت الحكومات من ثم على تحمل ما تنفقه هي في بلدان هذه الحكومات .

جاءت النتائج بصورة عامة وبالاً على البلدان المحتلة : فمن جهة اقتطع الالمان حصة مطردة الزيادة من الانتاج ، ومن جهة ثانية وسعوا حجم وسائل الدفع ، فخلقوا بذلك وضعاً تضخمياً . وتسبب ارتفاع النقد المتداول ، وما رافقه من نقص في السلع ، في اتساع نشاط السوق السوداء التي شجعها الالمان لانها اتاحت لهم الحصول على البضائع التي كانوا بحاجة اليها بالاضافة الى الكميات المحددة في الاتفاقيات والعقود الخاصة ؛ ولجأت مكاتب الشراء في بعض المصالح الكبرى (البحرية ، الطيران ، مؤسسة تودت ...) الى خدمات كبار التجار للحصول على كافة البضائع المتوفرة .

الحكومات التابعة

التعاون

كانت نتيجة الطابع القومي للحرب الالمانية ، التي تعذر معها البقاء على الحياد ، في العلائق بين الغالب والمغلوب ، تعزيز موقفي المقاومة والتعاون المتناقضين تعزيزاً لم يسبق له مثيل . فقد اثار النظام النازي نفسه ، والعصبية والوحشية اللتان عومل بهما السلافيون ، واليهود ، واللاتين المعتبرون متخلفين عنصرياً ، والماركسيون والديموقراطيون المعتبرون اعداء خطرين ، مقاومات ضارية شجعها الانكلوساكسون والسوفيات وجهزوها من الخارج .

في كافة البلدان المحتلة ، حيث اعترفت المانيا بالحكومات او شكلتها كما يطيب لها ذلك ، جُرّت هذه الحكومات ، مسيرة أو مخيرة ، الى انتهاج سياسة تعاون اقتصادي وسياسي وحتى عسكري مطرد الوثوق . فبعد ان استغلت في البدء الغضبة الشعبية على الحكام السابقين الذين

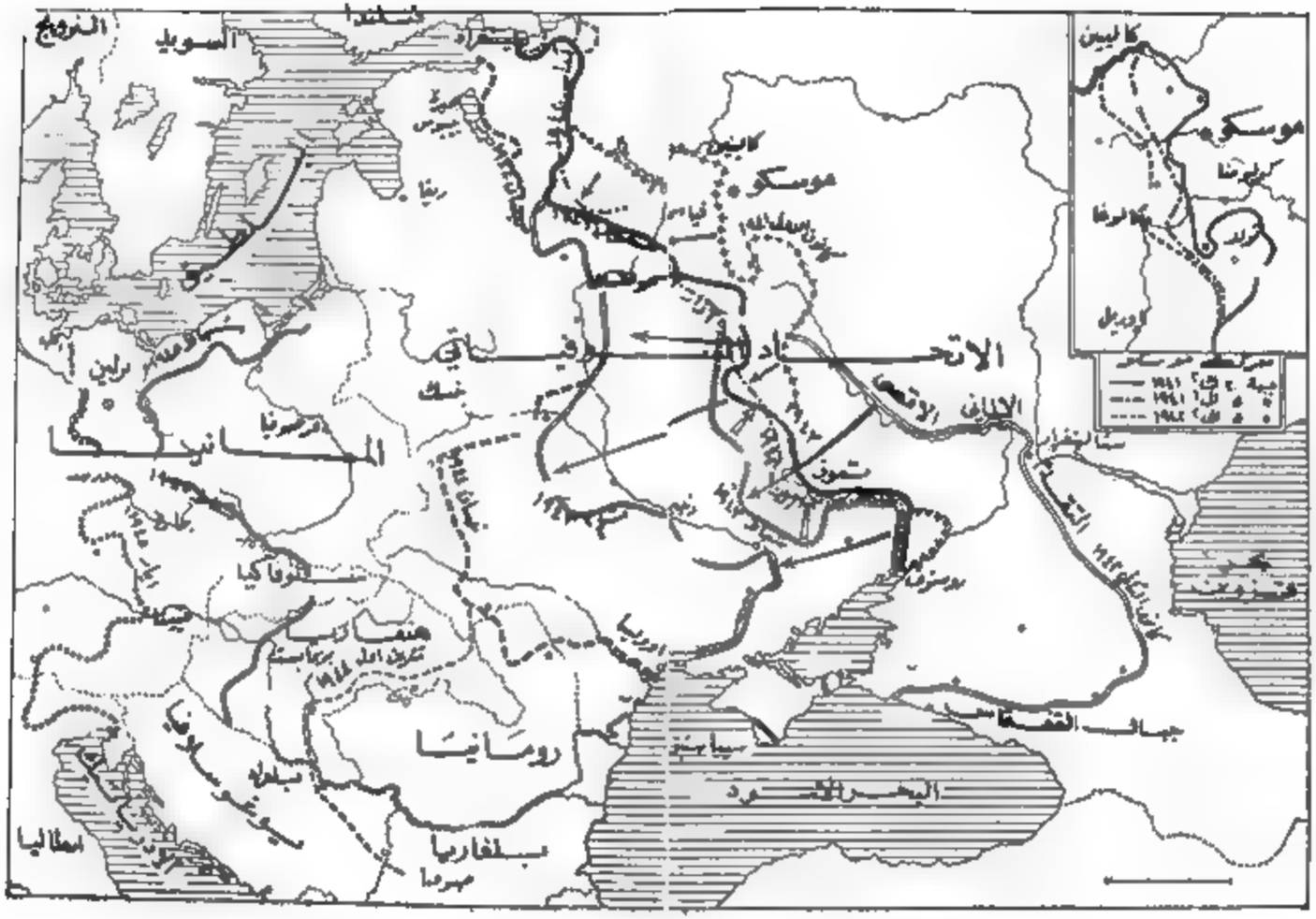

الشكل ١٢ - الحرب في الشرق ١٩٤١ - ١٩٤٥

اعتبروا مسؤولين عن الهزيمة ، لم تلبث ان ظهرت على حقيقتها : مطية للاجنبي ؛ ولذلك اشتدت المقاومة كلما طالت الحرب ، وتضاءل خط الالمان في احراز النصر ، وثقلت من جهة ثانيـــة وطأة الجور والاستغلال على الشعوب .

اذن « تعاونت » الحكومات التابعة وبعض سكان المناطق المحتلة مع الالمان — اي ساعدت آلتهم الحربية ونظامهم الجائر . وكانت فئات « المتعاونين » كثيرة ومتنوعة . فكان هنـــاك اولئك الذين دخلوا ، منذ قبـــل السنة ١٩٣٩ ، وبدافع من ميولهم الفاشستية او مطامحهم الشخصية ، في خدمة دول المحور ، وساعدوها اثناء فتح بلادهم وبعده ؛ ويتمثلون خـــير تمثل بـ « كويسلنغ » . والى جانب هذه الفئـــة يمكن افساح مكان لـ « مثل فلاسوف » ، القائد السوفياتي الذي اسر في السنة ١٩٤٢ وحاول ان يجمع الفارين واسرى الحرب حول بيان وضعه في سمولنسك اعلن فيه ان « روسيا الجديدة » المحررة من ستالين والبلشفية ، سوف « تطهر من اليهود » وتعيد الملكية الخـاصة ، الخ. فعبئت افواج من المتعاونين في المعسكرات حيث كان الروس مخضعين لحطة ابادية ، وبالتفضيل بين الاوكرانيين والجيورجيين وتـــاتر القرم ومسلمي القفقاس وآسيا الذين تمثل بعضهم في الوحدات البوليسية التي توات العمل في صربيا وفرنسا .

وهناك اولئك الذين كانوا ينتمون الى اقليات قومية او الى قوميات تابعة فقالوا بشرعية كل تحالف يساعدهم على قطع اوصال الدول التي يخضعون لها ، وتحالفوا مع المحور على رجاء تحرير امتهم الخاصة : وهذه حال السلوفاكيين والـ « اوستاشي » الكرواتيين ، والاقليات الرومانيـــة واليوغوسلافية والتشيكوسلوفاكية . وهناك اولئك الذين ساروا وراء حكومتهم حتى الهزيمة وتوقيع اتفاق وقف اطلاق النار (اليونان ، يوغوسلافيا) والذين اقتنعوا بعـــد ذلك بأن المحور كسب الحرب فتعاونوا مع الالماني ظناً منهم بانهم ربما استطاعوا حماية مواطنيهم بانتهاج سياســة تصالح واتفاق مع الظافر ؛ وهذه حال الجنرال « ناديك » في بلغراد . ولكن هؤلاء « الترقبيين الانتهازيين » لم يلبثوا ان ارغموا على تحديد موقفهم على صعيدين هامين لم يسعهم تجنب الوقوف الى جانب العدو فيهما : مكافحة المقاومة وتقديم اليد العاملة للآلة الحربيـــة الالمانية . وهنـــاك اخيراً اولئك الذين استمروا في عدائهم للغزاة ، ولكنهم باتوا اكثر قلقاً وجزعاً يوماً بعد يوم امام نمو حركات المقاومة بادارة رؤساء جدد ، مجهولين ، ثوريين ، فساعدوا الغزاة حرصاً منهم على السلامة الاجتماعية. وقد خشوا في صميم فؤادهم من ان يؤدي نصر ساحق يحرزه الانكلوساكسون ولا سيما الاتحاد السوفياتي ، الى تدمير السور القائم في وجه البلشفية الذي يمثل ، في نظرهم ، بالجيش الالماني .

لذلك يمكننا القول بصورة عامة ان التعاون على مفارقاته المختلفة ، الطوعي ، والمعلن ، والمتردد ، والخافر ، قد استند في معظمه الى العناصر المحافظة في البلدان المحتلة .

فرنسا فيشي

في شهري ايار وحزيران من السنة ١٩٤٠ ، انحنت فرنسا ، التي اغرقها الغزو وجلاء السكان عن منازلهم في خضم فشوش حقيقي ، امام الحكومة التي ألفها المارشال بيتان ؛ فأقدم المجلسان التمثيليان، دون صعوبة ، وبدافع ادراكهما عدم شعبية النظام البرلماني ، وخوفهما من عنف الدعاوة المعادية للجمهورية التي حملتهما وحدهما مسؤولية الكارثة ، وتأثير بيار لافال ، على اقرار مبدأ اعادة النظر في القوانين الدستورية ، واعطيا المارشال بيتان – بـ ٥٦٩ صوتاً مقابل ٨٠ معارضاً – صلاحيات استثنائية لاعداد دستور جديد .

« الثورة القومية »

فكان ما ينتظر فرنسا ، تحت سلطة بيتان، نظاماً جديداً ، دكتاتورية رئاسية تعيد الى الذاكرة دكتاتورية الامير الرئيس في السنة ١٨٥٢ . وعاد معه الى الحكم « الاعيان » الذين سيطر اجدادهم على الجمعية الوطنية المنتخبة في السنة ١٨٧١ ، والذين اقصتهم « الطبقات الاجتماعية الجديدة » – البورجوازية الصغرى والطبقة العمالية – طيلة الجمهورية الثالثة . فكان ان الملاكين العقاريين ، والضباط المحافظين ، وكبار الموظفين ، والاكليروس ، والاشراف الريفيين ، وكل الذين تولوا ادارة المقاومة الاكليريكية الرجعية في عهد الجمهورية الثالثة وحاولوا اسقاطها بمناسبة ازمات « الحركة البولونجية » وبانامـا وقضية دريفوس ، اتحدوا مع ممثلي المصالح المالية والصناعية المعادين لتشريع الجبهة الشعبية الاجتماعي ، بغية الاستيلاء على الحكومة والادارات ؛ وقد ساعدهم مساعدة قوية كبار الموظفين واعضاء « الهيئات الكبرى » الذين اتاحوا وحدهم للنظام الجديد حكم البلاد . وقد اغتبطوا بتخلصهم من رقابة البرلمانيين الذين احتقروا عدم كفاءتهم وعجزهم ، ورقابة نقابات العمال والموظفين ، فادارو البلاد ادارة مطلقة بالروح الابوية التي اشتهرت بها « الثورة القومية » .

ثم حدثت عملية تطهير شديدة تناولت موظفي الادارات البلدية والموظفين المشتبه بتعلقهم بالمبادىء الجمهورية : اليهود ، البناؤون الاحرار ، الاشتراكيون ، المدافعون عن المدرسة العلمانية التي ألقيت عليها مسؤولية اضعاف الروح المدنية والوطنية . وارتجلت ادارة جديدة اسندت اعمالها الى عناصر مختلفة غير منسجمة ، بل الى جمهور من « الصخابين والهوّاشين » ، كما يصفها رئيس غرفة المارشال ، « هـ. دي مولين دي لابارتيت » .

كان قوام النظام الجديد السياسي والاجتماعي الذي حلم به هؤلاء الموظفون ، ولا سيما بطانة المارشال حيث سيطر رجال اقصى اليمين ، تطبيق مبادىء اليمين التقليدية : محاربة « العقائد الباطلة » التي ظهرت في السنة ١٧٨٩ ، اقصاء الآراء الديموقراطية ، محاربة الفردية والنظام الحر والماركسية ، الصراع الطبقي (« انما الشعب تسلسل عائلات ومهن ومسؤوليات ادارية وعائلات روحية ») ، واحياء مجتمع تسلسلي مبني على مبادىء سلطة الرئيس (« يجب ان تكون الدولة استبدادية وتسلسلية ») ، وتنظيم مهني تعاوني ، واحترام القيم العائلية التي لا يستطيع المحافظة عليها سوى مجتمع بطريركي وقروي ومجتمع صناعيين يدويين . فحل شعار « العمل ، العائلة ،

الوطن » محل الشعار الجمهوري « حرية ، مساواة ، اخوة » . وكما حدث بعيد ثورة السنة ١٨٤٨ وفي أيام « النظام الأدبي » ، استند الحكم الى الدين لمحاربة فوضى الافكار والتعاليم الخطرة . وقدمت له الكنيسة مساندة فعالة بصوت الكردينال « جرلييه » : « بيتان هو فرنسا وفرنسا هي بيتان » ، واعلن الراعي بوغنر ، رئيس الكنيسة البروتستانتية من جهته ان ليس هناك سوى واجب واحد : « السير وراء المارشال » .

وقد نفذ هذا البرنامج : زوال اسم « الجمهورية » ، اعطاء سلطة شخصية (« نحن ، فيليب بيتان ... ») للمارشال الذي ادعى لنفسه بالسلطة التشريعية حتى تشكيل المجلسين الجديدين . إلغاء كافة الانتخابات في القرى التي يجاوز عدد سكانها ٢٠٠٠ نسمة ، وحل النقابات العمل . تنظيم الحرف على اساس تعاوني على يد لجان تنظيم الصناعة (التي يديرها كبار الصناعيين) ، والاتحاد العمالي وميثاق العمل . وابطال التشريع المتعلق بالجمعيات الدينية ، وتقديم المساعدات المالية لمؤسسات التعليم الديني . والغاء دور المعلمين الابتدائية ، ومحاولة ادخال التعليم الديني في برامج المدرسة الابتدائية (« لقد ولى عهد المدرسة بدون اله ») . والعمل بالتشريع المعادي للسامية المستوحى من قوانين نورمبرغ : فأقصي اليهود عن الوظائف العامة وعن بعض الحرف ، وانشئت مفوضية عامة للشؤون اليهودية وابطل قانون كريميو . وحُلت كافة الاحزاب السياسية وطورد الحزب الشيوعي (كان هناك ٣٠ ٠٠٠ شيوعي في السجون في شهر ايار من السنة ١٩٤١) .

تطور النظام

اتفق رجال الثورة القومية على محاربة النظام البرلماني ومقاومة المبادىء الديموقراطية والاشتراكية . وقد اقتنعوا كلهم بأن نصر المانيا اكيد وقريب وان مقاومتها امر مستحيل . ولكنهم شكلوا فئات ذات مصالح ومطامح متناقضة . ففي فيشي تفوق ممثلو اليمين القديم الوطني والمحافظ والكاثوليكي ، تلامذة « شارل موّراس » ، واعضاء الحزب الاشتراكي الفرنسي الذين لم يكونوا ضد الانكليز فحسب بل ضد الالمان ايضاً ، واستندوا الى « جوقة المحاربين » . ووقف في وجههم بعض العناصر المنحدرة من اليسار ، من امثال محبي السلم القدماء والاشتراكيين الجدد كـ « مرسيل ديا » الذي سيؤسس « التجمع القومي الشعبي » ، والنقابيين المحبي السلم كـ « جورج ديمولين » ، وبعض الشيوعيين القدماء كـ « جاك دوريو » الذي طرد من الحزب في السنة ١٩٣٤ ثم اسس الحزب الشعبي الفرنسي في السنة ١٩٣٦ ، وضموا جهودهم الى جهود بعض الفئات اليمينية ، كـ « الكاغولاد » واللجان السرية للعمل الثوري ، للمطالبة بتعاون وثيق مع المانيا . واسسوا جوقة معادية للبلشفية (لن تضم يوماً اكثر من ٣٠٠٠ متطوع) للمحاربة الى جانب الالمان في الاتحاد السوفياتي . وقامت في حقلي المصارف والصناعة الثقيلة عناصر المانية الميول ذات نفوذ قوي قالت بالتعاون الاقتصادي الفعلي : « بارنز » ، من مصرف « وورمس » الذي سيمسي مندوباً عاماً للعلائق الاقتصادية الفرنسية الالمانية ، و « لوهيدو » ، صهر « رينو » ، الذي سيمسي مندوبا عاماً للتجهيز الوطني ،

و « بيشو » مدير الجميـات الصناعية التعدينية ، الذي سيصبي وزيراً للداخلية ، الخ . فحدث في جوار المارشال بين هذه النزعات صراع من اجـل النفوذ والاستيلاء على السلطة من احداثه الخطيرة إبعاد لافال في ١٣ كانون الاول ١٩٤٠ ثم عودته الى الحكم في نيسان ١٩٤٢ .

هو لافال من مثل في الحقيقة سياسة التعاون الوثيق التي كانت في نظره الوسيلة الوحيـــدة للتخلص من نتائج الهزيمة او أقله لتخفيف وطأتها . وكانت باكورة هـــذه السياسة ، التي نمت اكثر فاكثر كلما تزايدت المتطلبات الالمانية ، اجتماع هتلر بالمـارشال في « مونتوار » . « وان بين فيشي ١٩٤٠ الوطنية والمحافظة وفيشي ١٩٤٤ المتعـــاونة والفاشستية تسلسلاً صارماً ... وتضامنا سلبيا ضد النظام المبطل » (هوفمان) .

فان استمرار الحرب في روسيا وهزائم المحور في افريقيا قد جعلت نصر المانيا النهائي امراً مشكوكاً فيه جداً . وباتت المقـــاومة اشد نشاطاً ، والقمع اكثر وحشية بادارة « بيشو » ، وزير الداخلية ، مع محاكمه الخاصة ومجلس « غانسّا » العرفي ، ومحـاكم الدولة في ليون وباريس . واشتد القمع حين اصبح « دارنان » امينا عامـاً للمحافظة على الامن في كانون الثاني ١٩٤٤ ، فقدم للالمان مؤازرة الميليشيا والمحاكم العرفية الخاضعة للرقـابة البوليسية . ومن جهة ثانية عزز نزول الحلفاء في افريقيا الشمالية واحتلال كافة اراضيها موقف التعاونيين الفرنسيين : كان ذلك نهاية فيشي الثورة القومية التي خسرت الامبراطورية ، فاقدم اسطولهـــا على اغراق نفسه ، وتضاءل نفوذها في البلاد ، فلم يبق للالمـان اية مصلحة في الابقاء على حكومة مستقلة وهمية . واكتفوا بالابقاء على شبكة الموظفين والادارات التي يستغلون بواسطتها البـلاد . ومنذ اواخر السنة ١٩٤٣ سيطر « التعاونيون » الباريسيون نهائياً على فيشي ، فدخل دارنان وهنريو الوزارة التي ضمت « كاتالا » و « دي برينون » و « آبيل بونار » و « بيشلون » و « ماريون » ، الـخ . واصبح « ديا » اخيراً وزيراً للعمل . فانتُهجت سياسة تعاون كامل ، ولكن البـــلاد كانت في حالة حرب اهلية غير معلنة ، والاوساط المحافظة التقليدية — ولا سيما البورجوازية الكاثوليكية التي استمالها نفوذ المارشال — اصبحت ترقبية على غرار الدهـاة والمتحذرين . فكان ذلك ، قبل النزول في نورمنديا والتقدم الحليف ، نكبة نزلت بالتعاونيين .

الدول المحتلة الاخرى

ان الدول الصغرى في اوروبا الشماليـة الشرقية ، التي احتلت دون اعلان حرب في اعقاب غزو صاعق ، قد لاقت ، مع بعض المفارقات ، المصير الذي لاقته فرنسا . فـــان التصريحات الاولى الرسمية حول ابقاء واحترام المؤسسات التقليدية والوعود باحترام نظامها السياسي والاقليمي ، والتأكيد بأن الاحتلال لا يستهدف سوى حمايتها من غزو الفرنسيين والبريطانيين القريب الوقوع ، لم تلبث ان تلتها تدابير يقصد منها اما ضمها فوراً الى الرايخ العظمى ، واما تجزئتها بالذات ، وتستهدف في كل مكان استثمار مواردهـا استثماراً منظماً . وبالرغم من ان الحكومات اللاجئة الى بريطانيا العظمى كانت لاشعبية في بعض هذه البلدان (حكومة بييرلو ، الحكومة النروجية) ، ومن ان الرأي العام قد اتصف ببعض

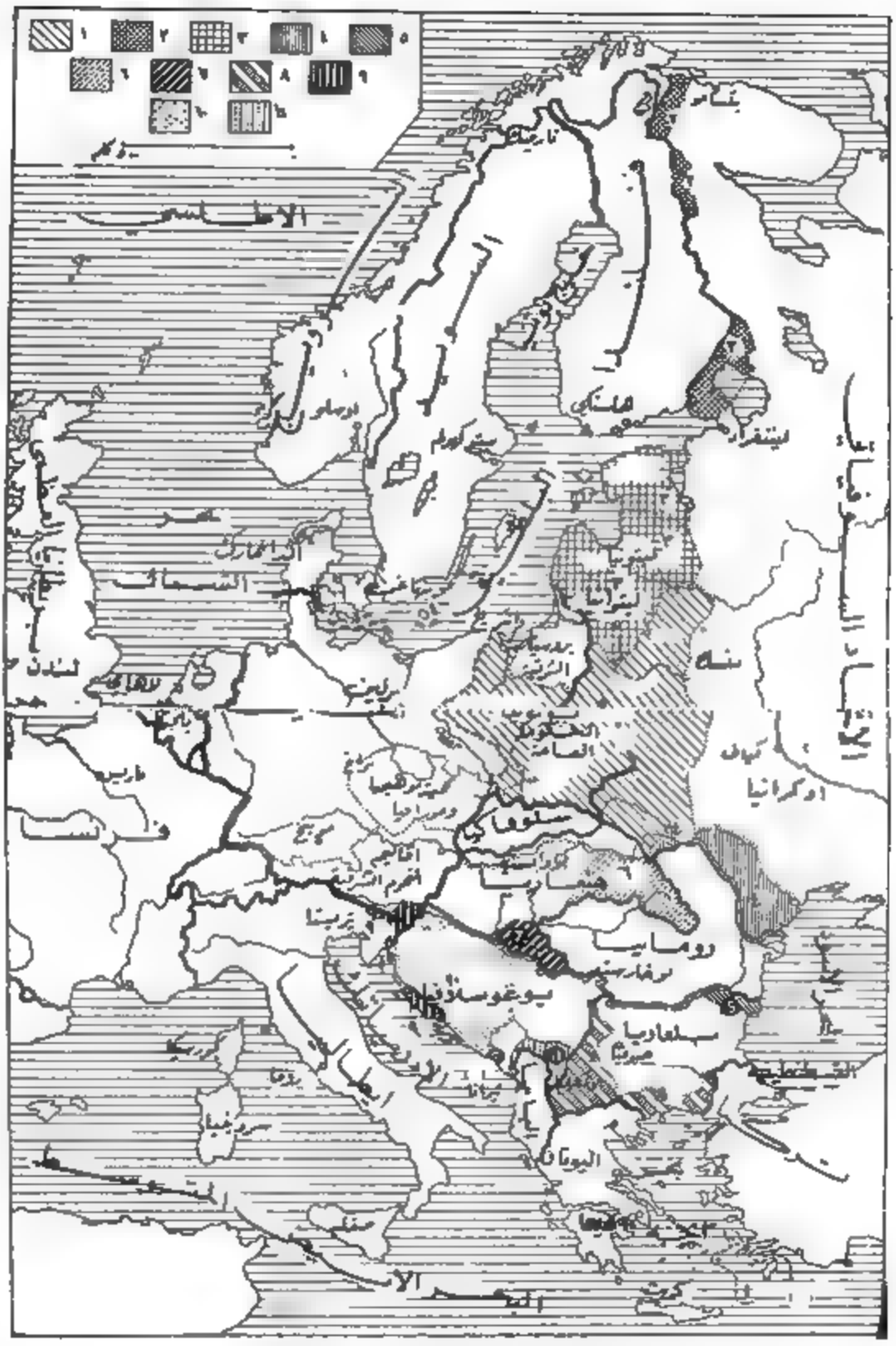

الشكل ١٥ ـ اهم التغييرات الاقليمية الطارئة بين ايلول ١٩٣٩ و ١٩٤١

١ ـ اقسام بولونيا (معاهدة موسكو ، ٢٥ ايلول ١٩٣٩) ، ٢ ـ اقاليم انتدابية تخلى عنها في معاهدة موسكو (١٠ كانون ١٩٤٠) ، ٣ ـ الدول البلطية المضمومة الى الاتحاد السوفياتي (حزيران ١٩٤٠) ، ٤ ـ التنازل عن بساربايا وبيكوفين الشمالية للاتحاد السوفياتي (٢٨ حزيران ١٩٤٠) ، ٥ ـ بلغاريا تضم اليها شطراً من الدوبروجيا (تموز ١٩٤٠) ، ٦ ـ هنغاريا تضم اليها ترانسلفانيا (٣٠ آب ١٩٤٠) ، ٧ ـ هنغاريا تضم اليها قسماً من « دنات » ، ٨ ـ بلغاريا تحصل على مقدونيا الصربية والبونانية وجزيرة ثاسوس وبحر ايجه (١٩٤١) ، ٩ ـ حصة ستوفيليا بين المانيا وايطاليا التي تحصل بالاضافة الى جزء من ساحل دلماتيا (١٩٤١) ، ١٠ ـ مملكة كرواتيا التي استحدثت من اصل دولة « سيوليت » (١٩٤١) ، ١١ ـ اقاليم ضمت عليا المانيا (١٩٤١)

الاضطراب ، فان الموقف كان اكثر جلاء منه في فرنسا حيث استمر مـع حكومة فيشي وهم الحكومة المستقلة . ولم تلبث المقاومة السلبية ، ثم الناشطة ، ان تنظمت دون ان تتبرأ منها الحكومة الشرعية . وفي كل مكان لم تفلح الفئات التعاونية والحكومـات الصورية في استمالة سوى جزء لا شأن له من السكان .

حلت النقابات والاحزاب السياسية باستثناء الحزب النـــازي المحلي : ففي بلجيكا اقصى الالمان « دغريل » الذي اسس الجوقة الفالونية وحـــارب في روسيا ، ومحضوا ثقتهم حزب « اصدقاء الرايخ » . كما محضوها « موسير » رئيس الحزب الوطني الاشتراكي في هولندا ، وكويسلنغ رئيس الحزب الوطني في النرويج ، الذي شكـــل الحكومة في السنة ١٩٤٢ ، الخ . وهكذا عين « التعاونيون » في كل مكان في المراكز الادارية الهامة .

الا ان الدانمارك شذت عن القاعدة واستفادت من بعض المراعـاة لأن حكومتها الشرعية لم تغادر البلاد ولأن المانيا ارادت ان تجعل منهـــا « محمية نموذجية » . فقد سبق للملك ان اصدر اوامره بعدم مقاومة الغزو واعترف بواقع الاحتـــلال ، وان اعترض عليه . ورغبة منه في الحيلولة دون قيام حكم عسكري او استيلاء النازيين الدانماركيين برئاسة « كلوزن » على السلطة ، لم يتراجع امام بعض التنازلات : اتفاق مالي مضر بمصالـــح الدانمارك ، سحب الحاميات الدانماركية من « جتلند » ، انضمام الى ميثاق مـــكافحة الشيوعية ، الخ .. ولكن الدستور الدانماركي لم يبطل ابطالا صريحاً ، فنجا اليهود من الابادة والجور واستمرت الادارات المركزية والمحلية في عملها .

٢ – المقاومـــات

« المقاومة »

بينما لم يكن « التعاونيون » في كافة البلدان المحتلة سوى طائفة قليلة العدد ، تنظمت مقاومة الغازي – السلبية او الناشطة – واتخـــذت اشكالاً مختلفة بحسب الاوقات والازمنة واستهوت اعـداداً كبرى من السكان تزايدت يوماً بعد يوم كلما اتضح لهؤلاء هدف الصراع على حقيقته .

على غرار التعاون ، تميزت المقاومة بفارقات كثيرة ، وببعض الصفـــات المشتركة ايضاً : نقمة شديدة عـــلى الغازي كانت فورية عند البولونيـــين والصرب والتشيكيين واليـــونان والسكندينافيين ، وفي اوروبا الغربية حيث كانت وطأة الجور ثقيلة بصورة خاصة ، واكـــثر تأخراً عند السلوفاكيين والكرواتيين الذين بدا لهم النصر الالماني وكأنه سوف يحقق استقلالهم ، واقل حرارة عند الرومانيين والهنغاريين . ومن جهة ثانية اتسعت المقاومـة بسرعة في المناطق الجرجية والجبلية حيث سهـــل احتماء المتمردين ، وحيث لم يكن بوسع الالمـــاني مطاردتهم بسبب افتقاره الى الجيوش اللازمة . فكانت يوغوسلافيا والبانيـــا واليونان وجبـال الألب والاحراج البولونية ، من هذا القبيل ، اكثر موافقة لمقاومة ناشطة من تشيكوسلوفاكيا حيث

كانت السهول مكتظة بالسكان وحيث اهل الجبل بأكثرية المانية . واتضح بسرعة اخيراً ان حركات المقاومة لم تحارب الالمان فحسب ، بل حاربت من اجل بلوغ أهداف خاصة ، من اجل تنظيم اجتماعي وسياسي هو نقيض النظام الذي كان قائماً قبل الغزو .

لا ريب في انه يصعب تحديد النزعات السياسية التي سيّرت الداخلين في المقاومة . وإنما يبدو جلياً — من مطالعة الصحف الصادرة في الخفاء — ان الأكثرية الساحقة ابتغت تبديل النظام الاقتصادي والاجتماعي تبديلاً جذرياً . فان كافة البرامج التي وضعتها وحدات المقاومة المختلفة في الغرب قد وعدت بادخال اصلاحات ديموقراطية على النظام السياسي ، وبخاصة على النظام الاجتماعي والاقتصادي ، ولا سيما بتأميم الصناعات الرئيسية . أما في اوروبا الوسطى والشرقية ، فقد طالب المقاومون باصلاح زراعي جذري ومصادرة املاك كبار الملاكين قبل كل شيء . وحين غزا الألمان الاتحاد السوفياتي اصبح الوضع اكثر تعقيداً : فقد برز الخلاف بين معلقي الآمال بتحريرهم على الانكلوساكسون وبين متوقعيه من الاتحاد السوفياتي . فبصورة عامة كانت العناصر المحافظة اشدّ ميلاً للانكلو ساكسون ، وكان كافة المتطلعين الى الاتحاد السوفياتي تواقين الى اصلاح النظام ، ولكن المطالبين بمثل هذه الاصلاحات لم يتجهوا كلهم نحو الاتحاد السوفياتي ، كما ان انكليزيي الميول لم يواجهوا ، بمجرد ميولهم ، احياء النظام القديم . وفي بولونيا بقي العديد من انصار الاصلاحات اوفياء لعدائهم التقليدي للروس ، بينما مالت اكثرية المقاومين في يوغوسلافيا واليونان ، مهما كانت نزعاتهم السياسية والاجتماعية ، الى الشعب السلافي العظيم .

الا ان تعاظم نفوذ الشيوعيين في حركات المقاومة ، وتعاظم نشاطهم من ثم ضد احتمال احياء النظام القديم ، قد اسهما في حمل بعض اشياع التنظيم السابق وبعض المخلصين لحكومات المنفى على الالتفاف حول الالمان لانهم اعتبروا الشيوعيين اخيراً اعداء ادهى خطراً من الالمان (اليونان ، يوغوسلافيا ، بولونيا) . وانما اعرضت الطبقات الحاكمة عن المقاومة في البلدان التي كان فيها التأثير الشيوعي كبيراً . ويرد الخلاف الى سبب آخر هو ان انتقام العدو قد استهدف الفلاحين الميسورين او الأثرياء بصورة خاصة . ولم ينظر هؤلاء من ثم بعين راضية الى نشاط المقاومين الشيوعيين . فتعاون البعض عليهم وحملوا السلاح الى جانب القوات المحتلة لمنع اعمال التخريب . وقد انفجرت نزاعات مسلحة منذ السنة ١٩٤١ في يوغوسلافيا ، ومنذ السنة ١٩٤٣ في اليونان وبولونيا ، بين الوطنيين والشيوعيين . وفي اوكرانيا ايضاً ، انفجرت هذه النزاعات بين الالمان ، والوطنيين الاوكرانيين المعادين للسوفيات ، والانصار الشيوعيين الاوكرانيين الذين كانوا في حربهم على اتصال بالجيش الاحمر . وكلما اقترب النصر الحليف انتهى الصراع من اجل الاستيلاء على السلطة بعد وقف اطلاق النار الى التقدم على الصراع ضد الالمان: وقد شوهد ذلك في اليونان حيث حاربت قوات « زرفاس » القوات الشيوعية ، وفي يوغوسلافيا مع حركة ميخالوفيتش ، وفي اوكرانيا مع القوات الاوكرانية المعادية للسوفيات ، وفي ألبانيا حيث

جرّت الـ « باتي كومبتار » الى دعم المجهود الحربي الالماني المائل الى الزوال .

حكومات المنفى

ساعدت المقاومات الداخلية وشجعتها وادارتها ونسقتها من الخـــارج اجهزة لجأت الى لندن وكان بعضها حكومات شرعية افلتت من الغازي.

نظمت كافة هذه الحكومات في محطة الاذاعة البريطانية برامج اذاعيـــة شجعت الشعوب المخضعة ، وبثت الاخبار وعلقت عليها ، ووجهت الى المقاومين التعليمات و« الرسائل الشخصية » وجمعت معلومات عسكرية او سياسية مفيدة للقيادات والحكومات الحليفة ، وجنـدت جيوشاً اشتركت في العمليات العسكرية ، وألفت من الجو اسلحة ، وضباطاً ، ومفاوير لتولي اعمـــال التخريب في البلدان المحتلة . ومن جهة ثانية غالباً ما كانت علائقها بالمقاومة الداخلية غير وثيقة ، وغالباً ما انقسمت هي على نفسها بسبب المنافسات والدسائس ، واختلاف نزعاتهـــا المحافظة والثورية ، فانقطع الاتصال بينهـا وبين السكان الذين دفعت بهم آلامهم الى الحـــلول الجذرية . ووقفت موقفاً حذراً من الحركات الطوعية التي لم تكن تحت اشرافها . فالكل يعلم اليوم ان « جان كافاييس » الذي ذهب الى لنـــدن في شهر شباط من السنة ١٩٤٣ قد عاد منها متقزز النفس من « ذهنية المهاجر » و« روح المعبد » اللتين لمسهما في الأشخاص القليلين الدائرين في فلك الجنرال « ديغول » . وقد نجم عن كل ذلك سوء تفاهم ، ونزاع ، حـــاد احياناً ، كما حدث في يوغوسلافيا واليونان ، وحتى بين الجيوش ، كما يتضـــح ذلك من تمرد الأسطول والجيش اليونانيين في مصر .

وبرزت كذلك مقاومة خارجية ايطالية قبل السنة ١٩٤٣ ، نهض بها «الفارون» المهاجرون منذ السنة ١٩٢٤ الى جنيف ونيويورك ولا سيما باريس ، الذين توحدت قواتهم خـــلال الحرب الاسبانية . وفي السنة ١٩٤١ تأسست في تولوز « لجنة تجمع ضـــد الفاشستية » من ممثلي الحزب الشيوعي ، وبخاصة « نيني » و «ساراغات »و« سيلفيو ترنتين » و« نيتّي » وفي نيويورك اذاع الكونت « سفورزا » بيان النقاط الثماني « من اجل ايطاليا بعد الفاشستية » ، وكذلك عملت الجمعية المازينية في نيويورك ولجنة « ايطاليا الحرة » بنشاط الى جانب الحلفاء من اجـل اعداد التحرير .

رأى المقاومون عددهم يتزايد كلما ثقلت وطأة الاحتلال واصبح النصر الالماني مريباً . فكم من متعاونين خاضعين للألمـــان او متحمسين لهم اصبحوا ترقبيين في السنة ١٩٤١ ثم اصبحوا مقاومين بعد السنة ١٩٤٢ . لقد تجمع المقاومون الأولون كما هو طبيعي من بين الأحزاب اليسارية التي كان الألمان والحلفاء على السواء يحاولون القضاء عليها : الشيوعيين ، الاشتراكيين ، الاحرار . ثم انضم اليهم ممثلون عن البورجوازية اليمينية اوفيـــاء للقيم التي دافعت عنها ، في ما مضى ، القومية والحقد على «المانيا الخالدة» . وتزايد عددهم بعد انزال الجيوش الحليفة في افريقيا الشمالية واحتلال المنطقة الجنوبية .

على نقيض فرنسا حيث حاربت الحكومة المقاومة ، اتسعت الحركات في الدول الاخرى المحتلة ، وغالباً مـــا حظيت بالتشجيع وهدي السلطات الاجتماعية . فكثرت من ثم في كل مكان اعمال التخريب والاعتداءات على الألمان والتعاونيين. وقد تجلت من جهة ثانية بطرائق مختلفة . ففي بلجيكا رفضت الكنيسة قبول تقدم مرتدي البزات السياسية لتناول القربان المقدس والسماح برفع الأعـلام السياسية في بيوت العبادة . واعترضت على ترحيل العمال الى المانيا وعلى الزام القصّر بالعمل ايام الآحـاد . وقاطع الطلاب الاساتذة التعاونين الذين يعينون في الجـــامعات . واعلنوا الاضراب استنكاراً لقانون العمل الالزامي ، طيلة سنة كاملة ، قبل تسجيل اسمائهم في الجامعات . وأعلنت محكـمة التمييز الاضراب كذلك اعتراضاً على توقيف بعض قضاة محكـمة الاستئناف . وبين شباط وايار ١٩٤٣ ، أعلنت اضرابات كبرى في لياج (٦٠٠٠٠ مضرب)، و « شارلروا » ، و«لالوفيير» و«مون» ، و«فرنيبه» ، ضد ترحيل العمال بالجملة الى المانيا .

لم تكن المقاومة أقل تصلباً وعناداً في اللوكسمبورغ . ففي احصـاء تشرين الأول ١٩٤١ ، وبالرغم من منع الادعاء بجنسية لوكسمبورغية « مزعومة » وبلغة « لتزبورجيش » لم يكن لهـا من وجود في يوم من الأيام ، تعصب ٩٦ ٪ من سكان المـــدن و٩٩ ٪ من سكان الارياف للجنسية اللوكسمبورغية وللغة الـ (لتزبورجيش) ، مما تسبب في ترحيل عدة ألوف من السكان وابطـال الاحصاء . وفي شهر آب أعلن اضراب عام كان اول اضراب أعلن في بلد محتـل . وفي السنة ١٩٤٣ تنظم الحزب الوطني اللوكسمبورغي الذي قام باعمـال تخريبية كثيرة . وفر من الجيش اكثر من ٥٠٠٠ شاب لوكسمبورغي ورُحّلت بين ١١٠٠ و١٢٠٠ عائـلة الى بولونيـا ، وفي الأشهر الأخيرة شكل ألوف المقاومين عصابات مسلحة في احراج الآردين .

في هولندا اصطبغت المقاومة بلون سياسي اقل بروزاً . ففي شهر شباط من السنة ١٩٤١ ، اعلنت اضرابات لمدة ثلاثة ايام في امستردام ثم شملت المدن الاخرى . وادان الاكليروس الكاثوليكي والبروتستانتي ، من على منابر الكنائس ، اضطهاد اليهود وترحيل العمال الى المانيا . وفي شهري نيسان وايار ١٩٤٣ اعلنت اضرابات جديدة حين تقرر حجز كافة قدامى ضفوف الضباط الهولنديين في معسكرات اعتقال المانية . وفي ايلول اعلن مستخدمو السكك الحديدية وعمالها اضراباً عاماً .

في الدانمارك تنظمت المقاومة ، بعد تشتت طويل ، بفضل « مجلس الحرية » الذي تألف في شهر آب من السنة ١٩٤٣ من ممثلين عن كافة الاحزاب الناشطة ؛ وقد ركز كافة الجهـــود على الصناعات الحيوية التي تخدم المصالح الالمانية وعلى وسائل النقل ؛ ففي ٢٤ حزيران ١٩٤٤ مثلاً قام ٧٠ وطنياً في مرفأ كوبنهاغن الحر ، بتخريب مصنع للمدافع الرشاشة والمـــدافع المضادة للدبابات والبنادق ذات الاطلاق المتواتر تخريباً كاملاً ، وكان الوحيد من نوعه في الدانمارك .

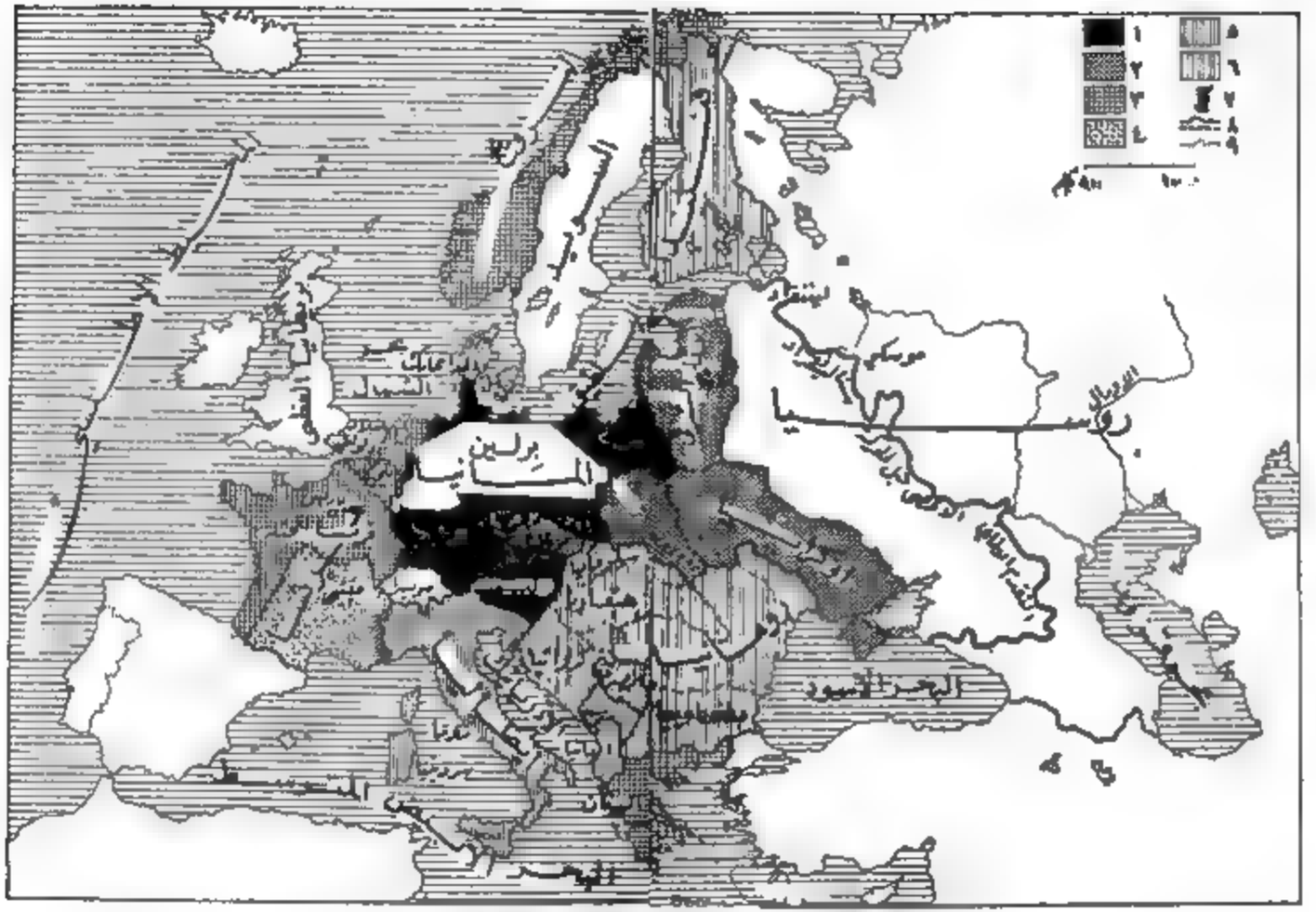

الشكل ١٩ – اوربا المتنازعة

١ ـ المانيا ، ٢ ـ اقاليم ذيلة رود عميات ، ٣ ـ اقاليم عنقة تحت ادارة المانية ،
٤ ـ اقاليم فرنسية استثنيا ايطاليا (حتى تشرين الثاني ١٩٤٢) ، ٥ ـ حدود اوربا في عهد السيطرة المتنازعة ،
٦ ـ دول ذيلة المحور ، ٧ ـ اقاليم عنقة مستقلة ادارياً ، ٨ ـ ايطاليا واقاليم تحت ادارة ايطالية ،
٩ ـ حدود سنة ١٩١٩ ـ ١٩٢٠

وفي النرويج كانت اعمال المقاومة الاولى من مآثر رئيس المحكمة العليا ، « بال برغ » ، اعلى قضاة الدولة ، واسقف اوسلو ، حبر الكنيسة اللوثرية ، « برغراف » ، اللذين اسسا « جبهة الوطن » السرية . فانتشرت « الجبهة » في كافة انحاء البلاد واصدرت زهاء ٣٠٠ صحيفة غير شرعية ونظمت ادارة مهاجرة الى السويد او انكلترا استفاد منها ٥٠ ٠٠٠ شخص . وفي شباط ١٩٤٢ استقال اساقفة النرويج السبعة ومعظم الرعاة. وعرقلت المصالح الادارية اعمال قيدالشبان للعمل في المصانع الالمانية ؛ ففي كانون الاول ١٩٤٣ ، اوقف ١٥٠٠ طالب من طلاب جامعة اوسلو – المقفلة – و ٦٥ استاذا بسبب اعتراضهم على فرض الاختبارات السياسية من اجل تسجيل اسمائهم في الجامعات .

في اوروبا الشرقية والجنوبية الشرقية

ان نظام القوة والجور الذي اخضع له السكان ليفسر نشاط وعنف حركة المقاومة التي نمت في كافة انحاء الارض البولونية . فان تقليد المقاومة القديم الذي يرقى الى عهد الاقتسامات ، والمهارة في التنظيم السري التي انتقلت من جيل الى جيل ، قد اتاحا ، منذ خريف السنة ١٩٣٩ ، بناء جهاز سري ضخم كان بمثابة حكومة حقيقية على اتصال وثيق بحكومة المنفى ، بفضل الاحزاب السياسية الاربعة الرئيسية : الحزب الفروي ، الاشتراكيين ، الوطنيين الديموقراطيين ، الديموقراطيين المسيحيين . واعيد تأليف جيش بري (ضم ٣٨٠ ٠٠٠ رجل في السنة ١٩٤٤). وزاولت السلطة الادارية « مندوبية حكومية » ضمت عملاء لكل منطقة ، وادارات بمثابة وزارات ، و « تمثيلا سياسياً » سرياً ضم ممثلين عن الاحزاب الاربعة . ومهما بدا ذلك غريباً فقد استُمر ، بعد اقفال مؤسسات التعليم الثانوي والعالي ، في توزيع العلم في الخفاء بحسب التقليد البولوني وفي اجراء الامتحانات . وطبعت صحف سرية ووزعت ، واستمر العمل في بعض مصانع الاسلحة والذخائر . وارتدى الصراع ضد العدو طابع ارهاب ووحشية لا يعرفان الرحمة معنى .

تجزأت يوغوسلافيا بعد حرب لم تدم سوى ايام معدودة ؛ فبينما حظيت كرواتيا بعطف الايطاليين والالمان ، وتقاسمت الدول المجاورة اشلاء الدولة القديمة ، اخضع ما تبقى منها اي صربيا ، لنظام جاء ثقيل الوطأة . ولكن القسم الاكبر من البلاد قفري وجبلي ، وعرف البقاء هنا ايضاً تقليد مقاومة قديم جداً ضد تعسف الاجنبي . فقد نجحت بعض وحدات الجيش المهزوم ، بقيادة الكولونيل ميخالوفيتش ، في الالتجاء الى الجبال . وكان لدى الشيوعيين اليوغوسلافيين من جهتهم ، بقيادة تيتو الكرواتي منظمة قوية وواسعة الانتشار . ولكن الخلاف لم يلبث ان ذر قرنه بين الفريقين : فقال فريق ميخالوفيتش بالتقليد المركزي الصربي ، الارثوذكسي والملكي ، بينما قال فريق تيتو بنظام اتحادي وديموقراطي يحقق اصلاحات عميقة. فاستمال الشيوعيون بنشاطهم وحيويتهم كل من رغب في محاربة الالمان والاوستاشي ، بينما خشي فريق ميخالوفيتش (تشتنيك) من انتقام الالمان الوحشي وتعاون على الكرواتيين والانصار

الشيوعيين مع حكومة الانقاذ الوطني الخاضعة للالمان التي اسسها الجنرال « نديك » في بلغراد ومع الايطاليين المسكرين في الجبل الاسود .

بفضل سرعة حركتهم ومهارتهم في المناورة نجح الانصار في الافلات من الهجمات المختلفة التي شنت عليهم ، لا بل جمعوا في « بيهاك » ، في تشرين الثاني ١٩٤٢ ، (جمعية تحرير يوغوسلافيا الوطنية المعادية للفاشستية) — افنوج — التي تبنت مبدأ اتحاد يوغوسلافي . وفي ١٩٤٣ اشتركت قوات ميخالوفيتش جهاراً في عمليات الهجوم الالماني الرابع على الانصار، «العملية البيضاء » ، فاوقف الحلفاء عنها حينذاك كل مساعدة مادية وحصروا مساعدتهم كلها في تيتو . وعند الاستسلام الايطالي ، كان هذا الاخير قد نجح في الاستيلاء على « دالماتيا » باستثناء « سبليت » وعلى مخزونات هامة من الاسلحة الايطالية فتوطدت سلطته على اسس متينة ؛ وفي السنة ١٩٤٣ قرر مجلس التحرير الوطني ان مسألة الملكية سيسويها الشعب بعد تحرير البلاد .

وكانت اليوغان المحتلة كذلك مسرح منازعات غامضة بين عدة قوات مختلفة ومتنافسة ومنقسمة على نفسها : الحكومة اليوغانية في المنفى مع انصارها ، المقاومة الداخلية غير الشيوعية (أدَس) وأكتا ، واخيراً الحزب الشيوعي اليوغاني والمنظمات التي يشرف عليها .

المقاومة الايطالية

في ايطاليا ، زال نفوذ الحكم الفاشستي زوالاً كلياً بفعل عجزه عن اعداد الحرب وتسييرها ، وبفعل فساده ودسائس تكتلاته المختلفة . وفي الحقل الاقتصادي ارتدى الوضع طابع البلبلة . ففي شهر آذار ١٩٤٣ حددت حصة الفرد من الخبز بـ ٢٠٠ الى ١٥٠ غراماً (نصف الحصة الالمانية) . ثم ان نقص الخامات والفحم الحجري والبترول قد خفضت انتاج الصناعة الى ٤٠ او ٦٠٪ من امكاناتها الاولى ، فأقفلت عدة مشاريع ابوابها او ضمت الى المشاريع الالمانية الكبرى . فاحرز مناوئو الفاشستية تقدماً ملموساً : ارتفع عدد الشيوعيين والاشتراكيين في جنوى وميلانو وتورينو ، وانضمت الاوساط الجامعية الى مناوئي الفاشستية ، وبات شطر كبير من البورجوازية انكليزي الميول ، فصدرت صحف سرية في كل الجهات . وفي ربيع السنة ١٩٤٣ ، انفجرت اضرابات في تورينو تطالب بـ « الخبز والسلم والحرية » ، وفي مؤسسة كابروني في ميلانو ، وفي مصانع بيرللي وفيات — مينافيوري . ومنذ السنة ١٩٤٢ عقد تحالف بين الاحزاب السرية : الشيوعيين ، والاشتراكيين، والديموقراطيين المسيحيين ، وحزب الوسط اليساري الصغير الذي سيدعى الديموقراطيين العمال، واليسار المازيني الذي سيؤلف (حزب العمل) . وحدد التحالف هدفا له قلب موسوليني وعقد الصلح . وكان البلاط والعائلة المالكة على اتصال بهم وعلى علم بما يدبر . ومن جهة ثانية فكر عدد من كبار المسؤولين الفاشستيين المستائين ، كـ « شيانو » (وبوتاي) و (غراندي) بفاشستية تدين بالحرية بدون موسوليني . وفي ٢٥ تموز ١٩٤٣ قرر المجلس الفاشستي الاعلى بالتصويت المطالبة باعادة كافة الصلاحيات الدستورية الى التاج . فاوقف موسوليني وحل محله

المارشال « بادوليو » الذي دخل في مفاوضات سرية لوقف اطلاق النـار . الا ان موسوليني ، الذي حرره هتلر ، قد اسس حكماً وطنياً فاشستياً أمسى في كانون الاول (الجمهورية الاجتماعية الايطالية) التي لم تكن اكثر استقلالاً من الدول التابعة الاخرى .

تميزت المقاومة الايطالية بفعالية خاصة على الرغم من انهـا ناضلت في ظروف صعبة بسبب تصرفات بادوليو الخرقاء ومناورات الحلفاء الخادعة وعدم ادراكهم الذي جعل الالمان يستفيدون من فترة الـ ٤٥ يوماً الثمينة التي انقضت بين سقوط موسوليني ووقف اطلاق النار لاحتلال روما وتثبيت اقدامهم في كافة انحاء البلاد . ولكن المقاومة عبأت الامة في حركة وطنية عامة ، في موجة عارمة من الحماس للعدالة والحرية مثلتها بـ (ثورة ثانية) اشتركت فيها هذه المرة الطبقة العماليـة وشطر من الفروبين ، على نقيض الثورة الاولى التي قامت على اكتاف سكان المدن البورجوازيين .

لم ترتد هذه المقاومة الطابع نفسه في كل مكـان : فقد كانت اقل نشاطاً في ايطاليـا الجنوبية وايطاليا الوسطى حيث ادارتها الاحزاب الديموقراطية المعتدلة في لجنة التحرر الوطني التي يشرف عليها الحلفاء الانكلوساكسون والحكومة الملكية منهـا في شمالي الابنين حيث تشددت احزاب اليسار – حزب العمل والشيوعيون بنوع خاص – في تصميمهـا على تحقيق « ديموقراطية تدريجية » وتجديد البلاد تجديداً كاملاً . وكان لجيوش الانصار فيها ، على العموم ، لون سياسي وصريح جداً ، اقله عند القادة الذين لم يفرضوا قط اعلان الاخلاص للملكية . ففي اودية جبال الالب ، وفي ليغوريا ومنطقة البندقية الجولية ، تمكنت بعض جماعات المقاومين المسلحين من تأليف وحدات محاربة حقيقية . وقد الفت لجـان تحرير وطني اقليمية ومحلية ، ولجان مصانع ، واحياء ، واخيراً لجنة التحرير الوطني العليـا التي ضمت ممثلين عن الاحزاب الخمسة الرئيسية . فجمعت كل هذه اللجان الاموال والمؤن للانصار وشجعت الصحف السرية ونظمت اعمال التخريب ، والاضرابات (في ميلانو في كـانون الاول ١٩٤٣ واذار ١٩٤٤ ، وفي تورينو في حزيران) وحقق الاضرابات الثورية في جنوى وميلانو في شهر نيسان ١٩٤٥ . وهكذا كانت كافة المدن الهامة في ايطاليـا الشمالية في قبضة الوطنيين قبل وصول الجيوش الحليفة .

المقاومـة الألمانيـة

في المانيا ، افضت قوة تنظيم الحزب النازي وقوانينه ، والفظاظة التي لجأ اليها في تشكيت كل من يقف حجر عثرة في سبيله قبـل استيلائه على السلطة وفي قمع كل معارضة ، والنجاحات الباهرة التي احرزتها سياسته الخارجية ، الى ملاشاة كل بادرة معارضة صريحـة . اجـل مازال للشيوعيين الموجودين في السجون او في معسكرات الاعتقال او في المنفى ، بعض الخلايا المنتشرة في البلاد ولكن نشاطهم كان مشلولاً شللاً تاماً . وآل الديموقراطيون والاجتماعيون الديموقراطيون الى العجز نفسه . وأزيل كذلك المعارضون معارضة مبدئية . وقد جاز للعناصر المحافظة وحدها ، على نطاق محدود جداً ،

مخالفة نظام الحكم بعض المخالفة : القـــادة والدبلوماسيون الذين اقضّت مضجعهم جسارة المشاريع الهتلرية فاقصوا عن مراكزهم ، والاشراف الريفيون الذين ابتعدوا عن اسياد المانيـا الجدد ، مغتاظين من فسادهم ومن دناءة الحكم وبهيميته ، والمسيحيون وعظـام الاسياد الملكيون والاحرار ، والكنائس التي لم تهددها مبادىء فلاسفة النازية فحسب ، بل سيطرتهم على الشبيبة والتهجمات الصريحة وغير الصريحة على اعضائها والجمعيات المنتمية اليها . ولكن المقاومـة لم ترتد سوى طابع فردي : اعتراضات الراعي « نيمولر » الذي دافع عن « الكنيسة المعترفة » ، أو اسقف « مونستر » ، الكونت « غـالن » . ومنذ السنة ١٩٤١ ، اعترض بعض الاساقفـة — حاذين حذو اسقف فريبورغ — في رسائلهم الراعوية عـــلى مصادرة الاديرة (التي حوّلت الى مستشفيات) واقفال المدارس والغاء صحف الاسقفيات ومخالفة الاتفاقية المعقودة مع الفاتيكان وتعقيم المرضى الزمنين والمعتوهين وقتلهم . ثم حدثت بعض المبـــادرات كتوزيع مناشير « الوردة البيضاء » على طلاب مونيخ بواسطة كريستوف روبست و هانس و صوفي شول في السنـة ١٩٤٣ ، ولكنهـــا مبادرات افراد او جماعـات صغرى اعجز من ان تقوم بعمل فعال .

من هذه الاوساط خرجت ، منذ السنة ١٩٣٩ ، المقاومة الالمانية المحـــدودة التي بلغتنا اخبارها : فقد حاكت المؤامرات واتصلت بالمصالح السرية الحليفة . وكلما طالت الحرب — التي لم يرض عنها الشعب قط — وثقلت اعباؤها وتزايدت الغارات الجوية الانكلوساكسونية وبدت الهزيمة النهائية اكيدة ، ابتعدت جماهير السكان عن الحكم . ولكن هـذه الجماهير كانت اعجز من ان تبدي اي نشاط بسبب ضغط السلطات ، ولا وجود للمنظمات التي كان باستطاعتها استثمار استيائها . فليس سوى الجيش المتمتع بالقوة ما قد يستطيع القيام بعمل ما . وقد كان عدد كبير من القادة معادين للنازية : رئيس الاركان السابق (بك) ، والمارشال (فون وتزلبن) ، و(اولبرخت) ، و(هالدر) ، و(فون ترشكوف) و(اوستر) . وكانوا على اتصال بامير البحر (كاناري) الذي كان يسهّل نشاطاتهم ويبررها ، بالاتفاق مع (فون كلوجه) و(رومل) ومعظم كبـار القادة الآخرين . واشترك في المؤامرة بعض كبار الموظفين المدنيين السابقين والحـاليين : (غوردلر) الذي كان حاكم مدينة ليبزيغ ثم مفوض مراقبة الاسعار ، ووزير الماليـة البروسي (بوبيتز) ، و(جيزفيوس) احـد موظفي الـ (ابوهر) ، والجنرال (س. س. نيبي) رئيس الشرطـة الجنائية ، والكونت (وولف فون هلدورف) ، مدير شرطة برلين ، وبعض الدبلومـاسيين من امثال (اولريخ فون هاسـل) ، و(فون وايزاكر) ، و(ورنر فون دير شولنبورغ) الذي كان قد تزوج من ابنة الاميرال فون توربيتز ، و(اريك كوردت) ، الخ . فقد كان كل هؤلاء محافظين ملكيين يمثلون المانيا ما قبل السنة ١٩١٤ ، على غرار اعضاء (جمعية كريزو) التي يعود الفضل في تأسيسها إلى (هلموت فون مولتكه) ، حفيد شقيق مارشال السنـــة ١٨٧٠ ، و(بيتر يورك فون وارتنبورغ) ، ورئيس الكنيسة اللوثرية (اوجين جرستنماير)، الخ. ، الذين شكلوا النواة

الاساسية للمقاومة ، واتصلوا ببعض الزعماء الاشتراكيين الديموقراطيين (ميرندورف وتيودور هوباخ) وربما بالحزب الشيوعي السري ايضاً . فتوصلوا في صيف السنة ١٩٤٤ الى الاتفاق على برنامج مشترك وعلى الوزارة التي سوف تتولى السلطة بعد اقصاء هتلر . الا ان الحاجة كانت ماسة الى حمل القادة – المقتنعين منذ زمن بعيد بضرر الفوهرر – على فرض وقف العمليات ، وازالة هتلر وغورنغ والمقربين اليهما . فاصطدم المتآمرون بتردد ضمائرهم ، ويمين اخلاصهم لهتلر ومخاوفهم ، واحترافهم الطاعة ، وقد قيل ان اخفاقهم دليل على استقامة المحافظين الالمان الشخصية وعجزهم السياسي . وكان من الواجب ، في الحقيقة ، ان تحدث موجة عصيان عميق الجذور تشمل جنود الجبهة والطبقات الشعبية ، ولكنها لم تحدث . واخفقت كذلك محاولة الكولونيل (فون ستوفنبرغ) قتل هتلر في ٢٠ تموز . ولكنها ادّت الى عمليات قمع ضارية تناولت كافة المشتبه بهم دون تمييز (اوقف ٧٠٠٠ اعدم منهم ٥٠٠٠ او عذّبوا حتى الموت) .

لعل المتآمرين كانوا على اتصال بالحركة المعادية للنازية (المانيا الحرة) التي تكونت في الاتحاد السوفياتي في اعقاب معركة ستالينغراد وتمثلت بلجنتين: اللجنة الوطنية المؤلفة من قدامى اللاجئين السياسيين ، ولجنة الضباط من اسرى الحرب . اما اللجنة الاولى التي كان نائب رئيسها الكونت (فون ايلسيدلن) ، ابن حفيد بسمارك ، فقد أسسها شيوعيون يدخل في عدادهم الكاتب (اريك واينرت) ، والعامل في صناعة استخراج المعادن (وللم بيك) . واما اللجنة العسكرية فقد ترأسها الجنرال (فون سيدليتز – كارسباخ) واشترك في عضويتها ٢٤ قائداً انضم اليهم ، بعد اخفاق محاولة العشرين من شهر تموز ، الجنرال « فون ارنيم » والمارشال « فون باولوس » . وقد انحصر نشاط اللجنتين في معسكرات اعتقال اسرى الحرب ، والجنديين الالمان الذين امكن الاتصال بهم بواسطة الاذاعة ، والصحف ، والمناشير التي كانت تلقى فوق الخطوط داعية ايّاهم الى ايقاف القتال .

القمع الالماني . جاء القمع وحشياً ومتعدد الاشكال ، وقد تولته قوات الرايخ البوليسية المختلفة : غستابو ، ابوّهر ، S.D. ، امن عام ، استخبارات ، بالاتفاق مع قوات الشرطة في الحكومات التابعة ، مستخدمة كافة وسائل الضغط الممكنة : وبصورة خاصة مصادرة اجهزة الراديو اللاقطة ، منع التجول ، توقيف الرهائن ونفيها ، تعذيب ، اعدام ، وتقتيل .

لم تلبث الوسائل الشرعية ان اهملت لان المحاكم العادية قد برهنت عن عجزها عن معاقبة المسؤولين عن اعمال التخريب الموجهة ضد الجيش ، ولأن هتلر – الذي استشهد بمثل هوفر وشلاجتر – قد انف من استخدامها خوفاً من ان يظهر المحاكمون بمظهر الشهداء . فلجأت السلطات بسرعة الى توقيف الرهائن . ومنذ السنة ١٩٤١ قرر الجنرال (فون ستولبناغل) اعتبار كافة الأسرى المحتجزين لدى السلطات الفرنسية كرهائن . ثم شمل مبدأ المسؤولية الجماعية عائلات المشتبه بهم وطبق للمرة الأولى حين حدوث مجزرة (ليديس) في شهر حزيران من السنة ١٩٤٢ . وفي

هولندا اوقف ٤٦٠ شخصاً ممن لعبوا دوراً هاماً في الحياة العامة واعتبروا مسؤولين ، تحت طائلة الاعدام ، عن « دسائس اللاجئين الى لندن » . وفي بولونيا اصدر الحاكم العام فرانك أمره بقتل ١٠٠ عضو من اعضاء المقاومة رمياً بالرصاص مقابل كل الماني يعتدى عليه ويقتل . وأصدر كيتل في ايلول ١٩٤١ امراً باعتبار كل عمل مقاومة صادراً عن الشيوعيين وباعدام ٥٠ — ١٠٠ شيوعي مقابل كل جندي الماني قتيل ؛ واخيراً صدرت الاوامر في كانون الاول بابعاد كل متهم لا يحكم عليه بالموت الى المانيا ، حيث لن يعرف شيء بعد ذلك عن مصيره . وفي تموز ١٩٤٤ ، بعد نزول الحلفاء في نورمنديا ، صدر قانون اشدّ قساوة يقضي بقتل « الارهابيين» والمخربين في مكان اعتدائهم بالذات .

في كافة الاقاليم المحتلة ، نقلت حالة الطوارىء السلطة القضائية الى محاكم خاصة (مجالس عرفية) برئاسة ضباط من الـ S. S. تصدر احكاماً سريعة ، غير قابلة للاستئناف ، دون استماع الى محامي دفاع ، وتقضي احكامها اما باعدام المتهم واما بتسليمه الى الغستابو . واعتمدت احياناً تدابير لـ « مكافحة الارهاب » و « مكافحة التخريب » ، اي جرائم قتل انتقامية يكون ضحاياها المقاومون او المشتبه بهم ويكون ابطالها افراد الـ S. S. او النازيون المحليون .

واخضع الوف الوطنيين من ابطال اعمال المقاومة أو من المشتبه بهم فقط بسبب آرائهم السابقة ، او من الرهائن الابرياء الموقوفين في احدى عمليات الخطف السريعة ، لعذابات برعت الشرطة النازية في تنويعها . وقد اعتمد « التعذيب الاعدادي » منذ زمن طويل ضد مقاومي النظام ، الا انه اصبح مرعي الاجراء رسمياً بموجب مذكرة اصدرها هملر في ١٢ حزيران ١٩٤٢ ونصت على استخدام « الدرجة الثالثة » : حرمان من الغذاء والنوم ، تمارين مضنية ، جلد ، عقوبة المغطس، تعذيب كهربائي ، الخ. ، لانتزاع اعترافات بعض فئات المساجين « كالشيوعيين والماركسيين و « شهود يهوه » والمخربين والارهابيين ، واعضاء حركات المقاومة ، والعملاء الاجانب المنزلين من الجو والعناصر المعادية للمجتمع ، والفارين البولونيين والسوفيات من الجندية » . فقتل عشرات الوف التعساء شنقاً او رمياً بالرصاص او ضربت اعناقهم بالفأس أو ماتوا اثناء التحقيق ؛ وجرت اعدامات بالجملة كما حدث في « فرس اردياتين » (حيث قتل ٣٥٠ رهينة ايطالية رمياً بالرصاص) ، وشنت هجمات انتقامية افنت سكان مدينة او سكان قرية باجمعهم ، بمن فيهم الاولاد والنساء ، كالهجمات على « ليديس، وكراكيافاس » (٧٠٠٠ قتيل)، و « اورادور — سور — غلان » ، وآسك ، ومرزابوتو ، الخ. وقد رُحّل المنفيون في ظروف فظيعة مستهجنة ، مكدّسين في قاطرات نقل البهائم ، عاجزين عن الحركة ، محرومين طيلة سبعة ايام متعاقبة احياناً من الغذاء والماء ، فكانت الوفيات بينهم مرتفعة جداً :

« كنا ٢٥٢١ عند مغادرتنا « كومبيانيه » فمات منا ٩٨٤ في الطريق ، ولم يعد منا من الاسر سوى ١٨١ فقط » .

هذا ما سكتبه احد منقبي قافلة الثاني من تموز ١٩٤٤ . ولكن نسبة الناجين هنا أعلى من المعدل العام .

٣ – النظام الياباني الجديد

النظام الياباني الجديد

ان التوسع الياباني ، الذي ابتدأ منذ أواخر القرن التاسع عشر وازدادت سرعته بعيد الحرب العالمية الاولى ، قد استوحى – على غرار التوسع الالماني – الايمان بتفوق العنصر ، وبعض الشواغل الاقتصادية والاجتماعية ، واستهدف بعد السيطرة اليابانية على القسم الشرقي من القارة الآسيوية بكليتها وعلى ارخبيلات « البحور الجنوبية » .

آسيا الشرقية للكبرى

شجعت النجاحات الالمانية في اوروبا الحزب العسكري الياباني ، فطرح في النهاية سياسته التوسعية على الاسطول والامبراطور . ومنذ شهر تموز ١٩٤٠ تحدد ما يجب ان تكونه « منطقة الازدهار المشترك في آسيا الشرقية الكبرى » : فطرد اليابان من الشرق الاقصى الدول الاستعمارية : انكلترا ، فرنسا ، الولايات المتحدة ، هولندا ، وازيل تأثيرات الثقافة الغربية ، ولتطور الشعوب الحرة على الصعيدين السياسي والاقتصادي بيدها . ويقام حينذاك (نظام جديد) لدخل الصين والمستعمرات الفرنسية وتايلندا وماليزيا والمستعمرات الهولندية ، وبحكم الطبيعة ، المناطق الخاضعة للنفوذ الياباني كالا (منشوركو) . فأباحت الغارة على الاسطول الاميركي في (بيرل هاربور) ، في ٨ كانون الأول ١٩٤١ ، وتدمير طيرات الفيليبين ، تحقيق

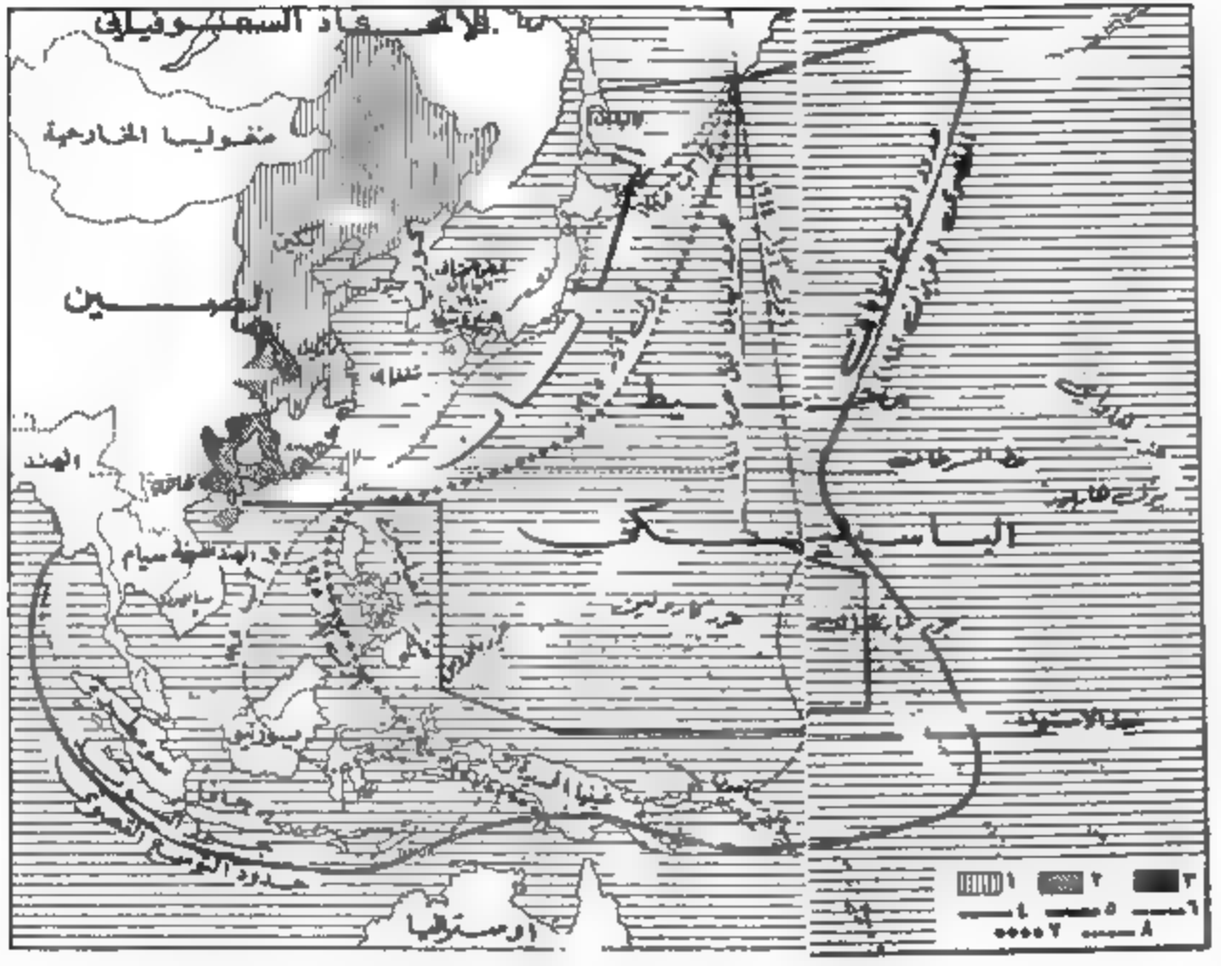

الشكل ٣٠ – الحرب في الشرق الاقصى

اقاليم صينية احتلتها اليابان : ١ – في اول تموز ١٩٣٩ ، ٢ – في اول ١٩٤٣ ، ٣ – في شباط ١٩٤٤
حدود الامبراطورية اليابانية : ٤ – في آب ١٩٣٩ ، ٥ – حين توسعها الاقصى ، ٦ – في اول
تموز ١٩٤٤ ، ٧ – في اول آذار ١٩٤٥ ، ٨ – في ١٥ آب ١٩٤٥ .

فتوحات عظيمة خلال اسابيع قليلة : الفيليبين ، بورنيو البريطانية ، ماليزيا ، هونغ – كونغ، وايك ، غوام ، انسولندا . وكانت الهند الصينية قد سقطت في ايديهم ، فانضمت تايلندا الى اليابان وارسلت جيوشاً تشترك في غزو بورما الذي عزل الصين عزلاً تاماً. وكانت خسائر الحلفاء فادحة : بالاضافة الى البوارج الحربية المدمرة او المعطلة ، و ٢٠٠ ٠٠٠ طن من السفن التجارية ، و ٣٠٠ ٠٠٠ اسير أو قتيل ، وإضرار لا تسد ثلمته بنفوذ البيض ، وفقدان امبراطورية آهلة بـ ٤٥٠ مليون نسمة وغنية بالخامات الهامة جداً ، وانفجار حماس فريد من نوعه بين الشعوب المستعمرة . وكان من شأن سرعة وسهولة هذه الفتوحات ان شجعت القيادة اليابانية على محاولة توسيع محيط دائرة دفاعها حتى ميدواي وجزر سليمان ، وحتى كاليدونيا الجديدة ، وجزر ساموا وجزر فيدجي اذا امكن ذلك ، وفي الشمال حتى الجزر الاليوسية ، بغية ملاشاة شأن آلاسكا من جهة ، وشأن اوستراليا وزيلندا الجديدة من جهة اخرى . وعلى الرغم من فشل هذه المحاولات فشلا جزئياً ومن ايقاف التقدم الياباني في صيف السنة ١٩٤٢ ، فقد امتدت آسيا الشرقية الكبرى من منشوريا الى غينيا الجديدة والفت منطقة شاسعة الأطراف يستطيع النظام الجديد ان يقوم فيها (الشكل ٢٠) .

حكومات الشعوب الخضعة

لجلت رسالة اليابان ، قبل أي شيء آخر ، كرسالة ثقافية تستهدف المحافظة على التأثيرات التقليدية الاجتماعية والدينية واقصاء التأثيرات الاجنبية. ففي كل مكان سعت اليابان جاهدة الى تقوية المثل المتسلطة على المجتمع الآسيوي : سلطة رئيس العائلة ، معنى تضامن الدم الواحد ، عقيدة مسؤولية الجماعة ، تبعية الامرأة . وفي الصين ومنشوكو حاولت احياء الكونفوشيوسية ، وفي سيام وبورما شجعت البوذية وتعزيز الروابط بالطوائف البوذية اليابانية . وفي ماليزيا واندونسيا جاهرت بالاحترام نفسه للاسلام ، وفي الفيليبين للكاثوليكية، التي هي دين سلطة ، وان كانت غربية ، وحافظت على علائق صداقة بالفاتيكان ، اذ ان الدعاوة المضادة للغرب استهدفت التأثيرات الاميركية اكثر من ارث روما واسبانيا . وعن اليابان يجب ان تقتبس الشعوب المحتلة مثلها الادبية والروحية ، ويجب ان تكون لغتها اللغة الثانية للجميع ، وان تكون الاعياد الوطنية اليابانية (عيد مولد الامبراطور ، وعيد تأسيس الامبراطورية) أعياداً وطنية في كل مكان ، وان تسلط الاضواء على تجانس العرق بين اليابانيين والفيليبينيين والماليزيين والسياميين .

ان التنظيم السياسي لآسيا الشرقية الكبرى كان في الواقع بسيطاً جداً : تتولى اليابان القيادة ، وعلى الدول التابعة المرتبطة بها ارتباطاً سياسياً وثيقاً ان تسهم في تكوين دائرة الازدهار المشترك . وسوف تقسم الاقاليم المحتلة الى ثلاث فئات : الاقاليم التي سوف تضم الى اليابان بسبب اهميتها الستراتيجية بغية المحافظة على تفوق اليابان البحري والعسكري : هونغ – كونغ ، سنغافورة ، بورنيو ، غينيا الجديدة ، تيمور ؛ الدول التي تحكمها اليابان حكماً مباشراً وقد تمنح استقلالاً محدوداً : الدول الماليزية ، الاتحاد الاندونيسي ؛ وأخيراً البلدان

الحليفة : منشوكو ، الفيليبين ، الصين ، الهند الصينية ، سيام ، بورما ، التي سوف تستقبل حاميات عسكرية يابانية في النقاط الستراتيجية وتوقع معاهدات تحالف عسكري .

في الحقل الاقتصادي، خطّطت اليابان الاقتصاد الاستعماري المبني على نظام المغارس ورفض انشاء الصناعات ، ووعدت بالأزدهار المشترك والاستقلال الاقتصادي : ان كل قطاع من قطاعات دائرة الازدهار المشترك سوف ينتج مايتناسب وامكاناته ويحصل من القطاعات الاخرى على ما يفتقر اليه . وكان الهدف في الحقيقة تنظيم البلدان المحتلة بحيث تحصل منها على الخامات التي تحتاج اليها وتبيع مصنوعاتها منها . ويبدو ان هناك خطة اقتصادية طويلة الاجل قد ووجهت: تكون اليابان ومنشوكو ، وكوريا، والصين الشمالية الى حد ما ، مركز انتاج الفولاذ والحديد والمواد الكيميائية والآلات على اختلاف أنواعها، وتوفر آسيا الجنوبية الشرقية الخامات، وتصنع الانسجة والمطاط : وتنشأ فيها صناعات خفيفة لاستخراج المعادن وتنقيتها ومعالجتها . ولكن حاجات اليابان يجب ان تتقدم حاجات الدول الاخرى ، ويجب ان ينحصر التنظيم الاقتصادي في اليابانيين ، اذ ان مؤسساتها التجارية وشركاتها الملاحية تشرف على معظم النشاطات المالية والتجارية في كافة بلدان كتلة الـ « ين »، والتخطيط الاقتصادي منوط بالوزارة اليابانية لآسيا الشرقية الكبرى .

المقاومة

طيلة استمرار العمليات الحربية ، خضع الاقتصاد في الواقع لحاجات القوات المسلحة المحاربة واملاء تطور العمليات المعاكس . ففي كل مكان تكررت الوقائع نفسها : منذ السنة ١٩٤٣ ، شلت الحركة التجارية بسبب الخسائر الفادحة في الاسطول الياباني بفعل الغارات الجوية وهجمات الغواصات؛ وكانت نتيجة تزايد حاجات قوات الاحتلال الى الغذاء واليد العاملة ، والتضخم المالي الذي افتعله اليابانيون ، والنقص العام في المصنوعات التي كانت تستورد من اوروبا او اميركا ، وندرة المواد الغذائية في المدن والبلدان التي تعودت الحصول عليها من الخارج ، ضيقاً وحرماناً وتشويشاً عاماً في الاقتصاد ، وبالتالي استياء بين السكان .

في كل مكان اصطدم النظام الجديد الياباني — على غرار نظام الالمان ، وللأسباب نفسها — بالصعوبات عينها وانتهى الى فشل يكاد يكون تاماً . فقد استقبل السكان — باستثناء الصينيين — بعطف ، ولكنه ما لبث ان صدمهم واثار استياءهم : عواقب الحرب ، والاحتلال، والصعوبات الاقتصادية والحرمانات ، وخصوصاً عواقب الفظاظة والعجرفة اللتين عاملهم بهما الجنود والضباط المدليون الذين غالباً ما انزلت بهم عقوبات جسدية فاعتقدوا بجواز كل شيء فهم حيال السكان المدنيين . يضاف الى ذلك ان تأجيل تنفيذ الوعود بالاستقلال خيب آمال الوطنيين الذين رفضوا ابداً تمثيل مصالحهم القومية بمصالح اليابان والقبول بأن يصبحوا مجرد اعوان توابع . والحقيقة هي ان معظم الذين سلمهم اليابانيون زمام الحكم، كـ « سوكارنو »، و «هاتا»، و « لوريل » ، و « بامو »... لم يكونوا تعاونيين على طريقة كويسلنغ : آمنوا بالوعود المقطوعة

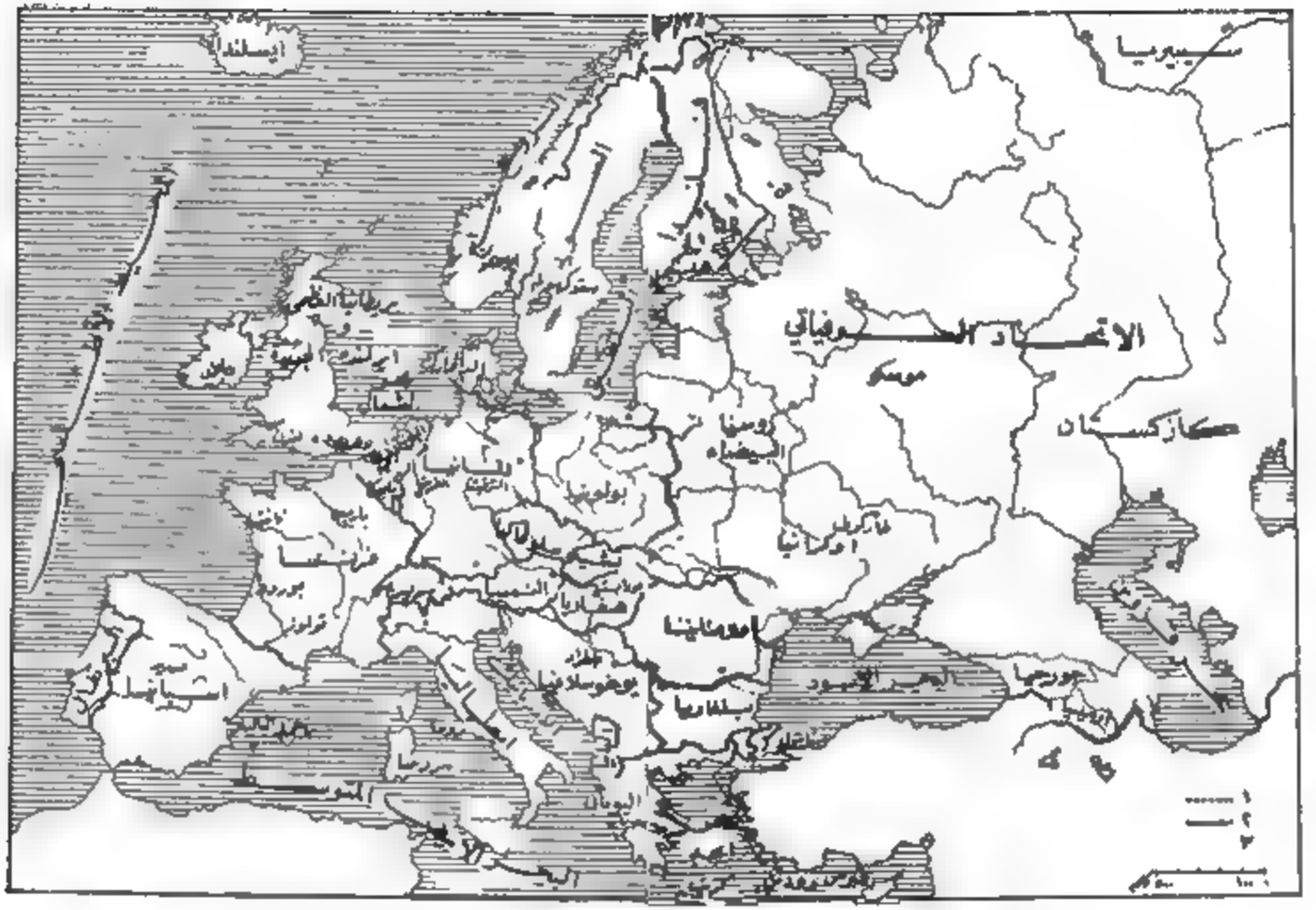

شكل ٢١ - أوروبا في السنة ١٩٦٥

١ - حدود ١٩٢٠ ، ٢ - الحدود الحالية ، ٣ - عواصم الدول .

بالاستقلال، ولكنهم ما ان استثبتوا عدم خلوص النية حتى استعدوا للاستفادة من هزيمة الفزاة. ففي اندونيسيا وسيام وبورما والهند الصينية استخدم الوطنيون اليابانيين ضد الهولنديين والبريطانيين والفرنسيين ، ثم انقلبوا عليهم .

الهند الصينية

في الهند الصينية ، اتصف الموقف بالتناقض ؛ فان اليابان التي نشطت دعايتها ضد السياسة التوسعية والاستعمارية الغربية قد تركت للفرنسيين امر حكم البلاد بسبب افتقارها الى جهاز فني كاف لحمل محلهم . فقد كان بمقدور الفرنسيين وحدهم المحافظة على النظام وتنمية الانتاج في هذه البلاد التي كانت ضرورية لمواصلاتهم مع الجنوب والهند والتي كانت توفر لهم منتجات ثمينة . وفي شهر آب ١٩٤٠ ، اعترفت حكومة فيشي بتفوق اليابان سياسياً واقتصادياً في الشرق الاقصى ومنحتها امتيازات اقتصادية في الهند الصينية ، وقواعد جوية وبحرية مقابل وعد الحكومة اليابانية باحترام السيادة الفرنسية . ولكن تطلبات الحكومة اليابانية لم تقف عند حد : وضع اليد على منتجات المناجم ، ربط القرش بالين ، المساواة بين المشاريع الفرنسية واليابانية ، الخ ، وقد اخذت في الوقت نفسه تمهد السبيل لاقصاء الفرنسيين بتشجيع العناصر البلدية المعادية للشيوعية كشيعة الـ « كاورداي » . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان وجود الجيوش اليابانية ، وغطرسة الظافرين – العسكريين والمدنيين المتوافدين على السواء – الذين استطابوا اذلال البيض والظهور بمظهر انصار الاستقلال الانمامي، قد اضعفا لفوذ الفرنسيين اضعافاً خطيراً . وفي ٩ اذار ١٩٤٥ ، قلب اليابانيون الادارة الفرنسية واعتقلوا الفرنسيين الذين استطاعوا ايقافهم وانشأوا « الحداد تونكين الوطني » ؛ فاعلن امبراطور انمام ، « باو – داي »، وملك كمبوديا من بعده ، ابطال معاهدة الحماية الموقعة في السنة ١٨٨٤ ، واستقلال البلاد استقلالاً تاماً ، ووعدا بالتعاون مع اليابان ، في حين ان المقاومين الـ « فيات منه » رفضوا الانحناء امام اليابانيين وعززوا الصراع ضدهم ؛ وبعد استسلام اليابانيين اعلنوا استقلال فيتنام .

اذن انتهت خطة احتلال الشرق الاقصى التي وضعها العسكريون اليابانيون الى الفشل ، وثمر النصر الحليف فكرة آسيا الشرقية الكبرى ؛ الا ان نجاح الحركات القومية التي ساعدتها اليابان مساعدة كبرى ، ولا سيما بمثلها وباثارة نقمتها على سياستها التوسعية ، قد قوّض الامبراطوريات الاوروبية الاستعمارية . ومن هذا القبيل يمكن القول ان اليابان لم تخض غمار الحرب عبثاً .

الخلاصة

تسببت الحرب العالمية الثانية بخراب ودمار دونهما ما تسببت به الحرب الاولى ، اذ انها على نقيض الاولى كانت شاملة بعدد القوات المتجابهة في آن واحد ، وباتساع وشمول ميادين العمليات الحربية ، وبتعبئة كافة طاقات وموارد الدول المشتركة فيها ايضاً . لقد كانت الحرب العالمية الاولى حرباً بين الدول الاوروبية من حيث ان نصيب اليابان فيها لم يكن بذي شأن وتدخل الولايات المتحدة فيها جاء متأخراً ومحدوداً . اما في الحرب الثانية فقد تدخلت هاتان الدولتان تدخلاً كلياً وتدخل معهما القسم الاكبر من العالم الآسيوي ، في الوقت الذي كانت فيه اوروبا مسرحاً للعمليات الكبرى .

لم يكن تدمير الآلة الصناعية ، التي ما كان العدو ليستطيع بدونها مواصلة القتال ، دون تدمير الجيوش اهمية . لذلك أمعن المتحاربون في مهاجمة القطاع المدني حيث تتجمع هذه الطاقة الصناعية . فقد عانت كافة الدول المحاربة – باستثناء الولايات المتحدة – من الغارات الجوية الكثيفة ، ولا سيما بريطانيا العظمى واليابان . اما الاتحاد السوفياتي والمانيا حيث قاتل ملايين الرجال ، فقد جعل منهما القصف الجوي والقصف البري ومعارك الشوارع وخطة « الارض المحرقة » والتدمير المنظم اثناء الانسحاب ، مسرحاً لدمار شامل رهيب .

ولكن بينما قامت في السنة ١٩١٨ ، الى جانب الدول الظافرة ، الولايات المتحدة ، وانكلترا ، وفرنسا ، دول هامة اخرى ، وحتى من المرتبة الاولى – يدخل في عدادها المانيا وروسيا بالرغم من افول نجمهما الى حين – ، ففي السنة ١٩٤٥ ، سيطرت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بطاقتهما العسكرية والاقتصادية ، وتلتهما انكلترا من مسافة بعيدة . اما اوروبا البرية ، المخربة والمقطعة الاوصال ، فليست بعد اليوم مؤلفة الا من دول ثانوية آلت الى وضع دوني . وفي آسيا لم تعد اليابان المغلوبة على امرها سوى ارخبيل صغير مكتظ بالسكان ، تحتله الجيوش الاميركية ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بسياسة الولايات المتحدة . وفي كافة انحاء منطقة « الازدهار المشترك » التي سيطرت عليها خلال سنوات قليلة ، حرك انهيار الامبراطوريات الانتفاضات القومية البلدية تحريكاً حاسماً ، وانبأت الحركة التي انتشرت في العالم الاسلامي بهجوم شامل على الامبراطوريات الاستعمارية .

الكتاب الثاني

العالم الحرّ الجديد

« في معظم العواصم راقبت الدوائر الاميركية ردود فعل الاقتصاد وتقدم التسلح قبل توزيع القروض ومراقبة استخدامها . فجعلت المساعدة الاقتصادية من الدول الاوروبية شريكات ممدة بالمال ، وجعلت منها المساعدة العسكرية حليفات منصورة. وكانت الولايات المتحدة ، في الواقع ، حامية اوروبا الضعيفة » .

« هي دي كارموا »

« ان خير حقل للحرية هو السلم ، وان كافة انظمة الحرب ، وحتى انظمة الحرب الباردة ، صائرة حتماً الى الحصرية والاستبداد والتحكم » .

« وولتر لبان »

الفصل الأول

انقسام العالم واختلال توازنه

على غرار الحربين العالميتين تتميز الفترتان اللّتان تلتهما بخلافات هامة . ففي اعقاب الحرب العالمية الاولى مباشرة سرّحت الجيوش تسريحاً شاملاً في كافة البلدان وتوقف انتاج الاسلحة . لا بل حين حدثت الازمة الاقتصادية العالمية لم يفكر احد قط بمعالجتها بتنشيط الصناعات الحربية. ولم يشاهد اقتصاد دولة كبرى يكرّس ، في وقت السلم ، معظم طاقته الانتاجية لصناعات الاسلحة ، لأول مرة في تاريخ البشرية ، الا حين استلم النازيون الحكم في المانيا ؛ فاكتفت حينذاك الدول المهددة الاخرى – باستثناء الاتحاد السوفياتي – بتنشيط صناعة مماثلة على نطاق أقل اتساعاً .

فقدان الثقة بين الحلفاء

اما بعد هزيمة المانيا واليابان في الحرب العالمية الثانية، فلم تُنقص الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفياتي طاقتها الحربية الا انقاصاً جزئياً ؛ فأبقت كلها على جيوش قوية وصناعات حربية هامة ، وواصلت ابحاثها المجمرمة في نطاق الاسلحة الجديدة . ثم أفسح نزع الاسلحة الجزئي والوقتي هذا المكان لتسلّح جديد واسع النطاق ؛ لا بل ان الحرب قد اشتدت عنفاً وشمولاً خلال النزاعات المحلية التي اندلعت ، ولا سيما خلال حرب كوريا ، حيث فاقت ضراوة القصف ضراوة الحرب العالمية في اوروبا .

يرد ذلك الى ان العالم قد انقسم انقساماً عميقاً الى كتلتين ، قرّب بينهما الخطر المشترك الى حين ، وفرقت بينهما خلافات النظام الاقتصادي والاجتماعي ، والاهواء والمصالح. فقد حل محل نظام التوازن المتعدد الاطراف الذي كان مركزه اوروبا نظام توازن بين طرفين اثنين هما دولتان كبريان غير اوروبيتين : الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ؛ وقد عزز هذا التوازن الجديد ان هاتين الدولتين كادتا تحتكران الاسلحة الذرية. فقد افضى النصر السوفياتي ، وانشاء ديموقراطيات شعبية في اوروبا الشرقية والوسطى ، ثم انتصار ماوتسي تونغ في الصين بعد سنوات قليلة ، الى توسيع « معسكر الشيوعية » توسيعاً مدهشاً ؛ ومنذ السنة ١٩٤٣ ، كان الاثر الذي تركته

الانتصارات الروسية وتجلي قوة الدولة العسكرية وركانة النظام الذي وصف بالهشاشة منذ زهاء ثلاثين سنة ، ضربة هائلة للمجتمع القديم اقضت مضجع الدول الانكلوساكسونية . ولنتذكر هنا مساعي ونستون تشرشل من اجل توجيه « الجبهة الثانية » ، التي طالب بفتحها ستالين ، نحو « بطن اوروبا الرخيّ » — حوض الدانوب — ونصائحه الى ايزنهاور ببلوغ برلين قبل السوفيات . ولنتذكر كذلك حسن الثقات المسؤولين والدبلوماسيين الانكلوساكسون ومراعاتهم للحكومات والشخصيات المحافظة في كافة البلدان : حكومة فيشي ، حكومة بادوليو ، حكومتي اليونان ويوغوسلافيا الملكيتين ... ، وترددهم حيال « المقاومة » ، فيتضح لنا ان الثقة بين الحلفاء ، حتى قبل نهاية الحرب ، ابعد من ان تكون تامة . فان السيطرة الاقتصادية والسياسية التي حسبت الولايات المتحدة انها ستفرضها بدت محدودة ومعارضاً عليها منذ السنة ١٩٤٥ ، في الوقت الذي أدت فيه احلام الاصلاح العميق التي حرّكت « المقاومة » في كافة البلدان الى القاء الذعر في الطبقات الحاكمة وحملها على الانضمام الى المعسكر الاميركي .

منذ نهاية العمليات العسكرية في اوروبا وآسيا ، اشتد الحذر المتبادل وتراكمت في كلا المعسكرين بوادر سوء التفاهم والشكوك والشكاوى ؛ فاشتدت من ثم الخلافات بين الحلفاء وأفضت خلال سنوات قليلة الى نزاع ارتدى في كافة الحقول — باستثناء حقل الاسلحة — طابع حرب حقيقية ؛ هذه هي الحرب الباردة التي رافقها انقلاب غريب في التحالفات والتي ميزت فترة ما بعد الحرب الثانية ؛ بدأت في السنة ١٩٤٧ ، ولم تبد بوادر الانفراج الاولى الا في السنة ١٩٥٣ . وكانت نتيجة الخلاف بين الدولتين الكبريين اشتداد الانقسامات في داخل كل بلاد : فان انصار وخصوم النظامين قد تعادوا وعبأوا كافة طاقاتهم ودخلوا في صراع لا هوادة فيه وفرضوا على الجميع تحديد موقفهم دون ان يتركوا لاحد امكانية البقاء على الحياد او التردّد . وخارج اوروبا حاول كل معسكر توسيع منطقة نفوذه وتعزيز مراكزه مما اثار في كل مكان منازعات تحوّل بعضها ، في آسيا ، الى حروب محلية محدودة . وقد ارتبطت المسائل السياسية والمسائل الاقتصادية ارتباطاً وثيقاً في هذا الاستعداد لحرب عالمية ثالثة يعتقد كل طرف او يتظاهر بالاعتقاد بان الطرف الآخر قادر على اعلانها وخوضها ؛ فطُبعت كافة مظاهر الحضارة المعاصرة بطابع جديد من التقلقل المتزايد ، واشتد في الوقت نفسه التوتر القديم .

تأسيس الامم المتحدة

سار تفكك التحالف من ثم بخطى سريعة . وبغية سدّ فراغ جمعية الامم التي برهنت عن عجزها في الحيلولة دون نشوب الحرب ، أقر الثلاثة الكبار في « يالطا » انشاء منظمة دولية جديدة حدّد مؤتمر سان فرنسيسكو في السنة ١٩٤٥ دستورها في « ميثاق الامم المتحدة » . ولم يكن الهدف منها « المحافظة على السلام والامن الدولي » فحسب ، بل اقامة تعاون دولي يفرض احترام حريات البشر الاساسية دون تمييز ويشجع التقدم الاجتماعي ايضاً . وبموجب هذا الميثاق ، يقوم ، الى جانب جمعية عامة ليس لها سوى دور استشاري — درس المسائل والتصويت على التوصيات —

جهاز اساسي هو مجلس الامن الذي تنتخبه . ويخضع هذا الاخير لسلطة الدول الكبرى دون غيرها اذ ان اعضاءه الـ ١١ يضمون خمسة اعضاء دائمين (الولايات المتحدة ، بريطانيا العظمى ، فرنسا ، الصين ، الاتحاد السوفياتي) يتمتع كل منهم بحق النقض : فكل خلاف بين اثنين منهم يؤدي من ثم الى شل عمل المجلس . وقد اسندت الى هذا الاخير مهمة تسهيل تسوية الخلافات سلمياً ، واتخاذ مقررات مؤقتة فورية اذا ما بدا نزاع وشيك الحدوث ، والنظر في الشكاوى المرفوعة اليه . وضمت منظمة الامم المتحدة كذلك مجلساً اقتصادياً واجتماعياً ارتبطت به اجهزة عدة كالـ « اونسكو » الذي اسندت اليه مهمة التعاون الثقافي والعلمي ؛ وقامت كذلك منظمة العمل الدولية ومجلس الوصاية الذي انتقلت اليه اختصاصات جمعية الامم المتعلقة بالمناطق المشمولة بالانتداب ، ومجلس القضاء الدولي ، وامانة السر .

زاولت المؤسسة اعمالها مزاولة غير ناجحة بسبب الخلافات التي قامت بين الدول الكبرى منذ البدء ، وفي معظم المنازعات ، وبسبب استخدام حق النقض الذي لجأ اليه ، بصورة خاصة ، الاتحاد السوفياتي المنعزل امام تحالف الدول الاخرى . وغالباً ما بدت منظمة الامم المتحدة وكأنها اداة في ايدي الولايات المتحدة – كما كانت جمعية الامم وسيلة للسيطرة في ايدي انكلترا وفرنسا قبل السنة ١٩٣٩ – ولا سيما بعد السنة ١٩٤٩ حين بقيت عضوية المجلس الدائمة الخاصة بالصين في ايدي حكومة فورموزا .

الحرب الباردة

تكرست القطيعة بعد خطبة الثاني عشر من اذار ١٩٤٧ التي عبّرت عن « رأي ترومان » . فقد اعلن الرئيس الاميركي تصميم الولايات المتحدة على الحلول محل انكلترا في تقديم المساعدة العسكرية للحكومة اليونانية ضد العصابات الشيوعية ولتركيا ، واوضح ان هدفه هو « كبح » الشيوعية والنفوذ السوفياتي في هاتين البلادين .

« لن تبلغ اهدافنا ... ما لم نكن مصممين على مساعدة الشعوب الحرة على الاحتفاظ بمؤسساتها الحرة ووحدتها القومية بمقاومة الاعمال العدوانية التي تحاول فرض انظمة غير ديموقراطية . وليس ذلك سوى اقتناع صريح بان الانظمة غير الديموقراطية المفروضة على شعوب حرة باعتداءات مباشرة او غير مباشرة تقوض ركائز السلم الدولي وتقوض بالفعل نفسه ركائز امن الولايات المتحدة ... فاني اعتقد بان سياسة الولايات المتحدة يجب ان تبنى على مساعدة الشعوب التي تقاوم محاولات الاقليات المسلحة او الضغوط الخارجية لاخضاعها » .

وأبان وزيره « دين اتشسون » بمزيد من الوضوح ، بعد ذلك بشهرين ، انه ينوي حصر المساعدة الاميركية في الدول التي تقر الولايات المتحدة نظامها السياسي والاقتصادي .

« ان تدابير مساعدة واعادة بناء (البلدان التي خربتها الحرب) لم تنبثق عن روح انسانية الا جزئياً . فان مؤتمركم قد اجاز ، وحكومتكم تنتهج ، سياسة مساعدة واعادة بناء هي اليوم بمثابة قضية من قضايا المصلحة الوطنية ... وبما ان الطلب العالمي يفوق قدرتنا على تلبيته ، فاننا سوف نحصر مساعدتنا في البلدان التي ستكون المساعدة فيها اكثر فعالية لبناء عالم مستقر سياسياً واقتصادياً ، بمساعدة الحرية الانسانية والمؤسسات الديموقراطية وتشجيع سياسة التجارة الحرة وتعزيز سلطة الامم المتحدة . وبديهي ان هذا التدبير يفرضه الصواب ... ولذلك

فان الشعوب التي تسعى للمحافظة على استقلالها والمؤسسات الديموقراطية والحريات الانسانية في وجه الضغوط غير الديموقراطية الداخلية او الخارجية سوف تستفيد من المساعدة الاميركية قبل سواها » .

كانت النتيجة الفورية لمشروع « مارشال » الذي نظم هذه المساعدة تدعيم الكتلتين وتوسيع

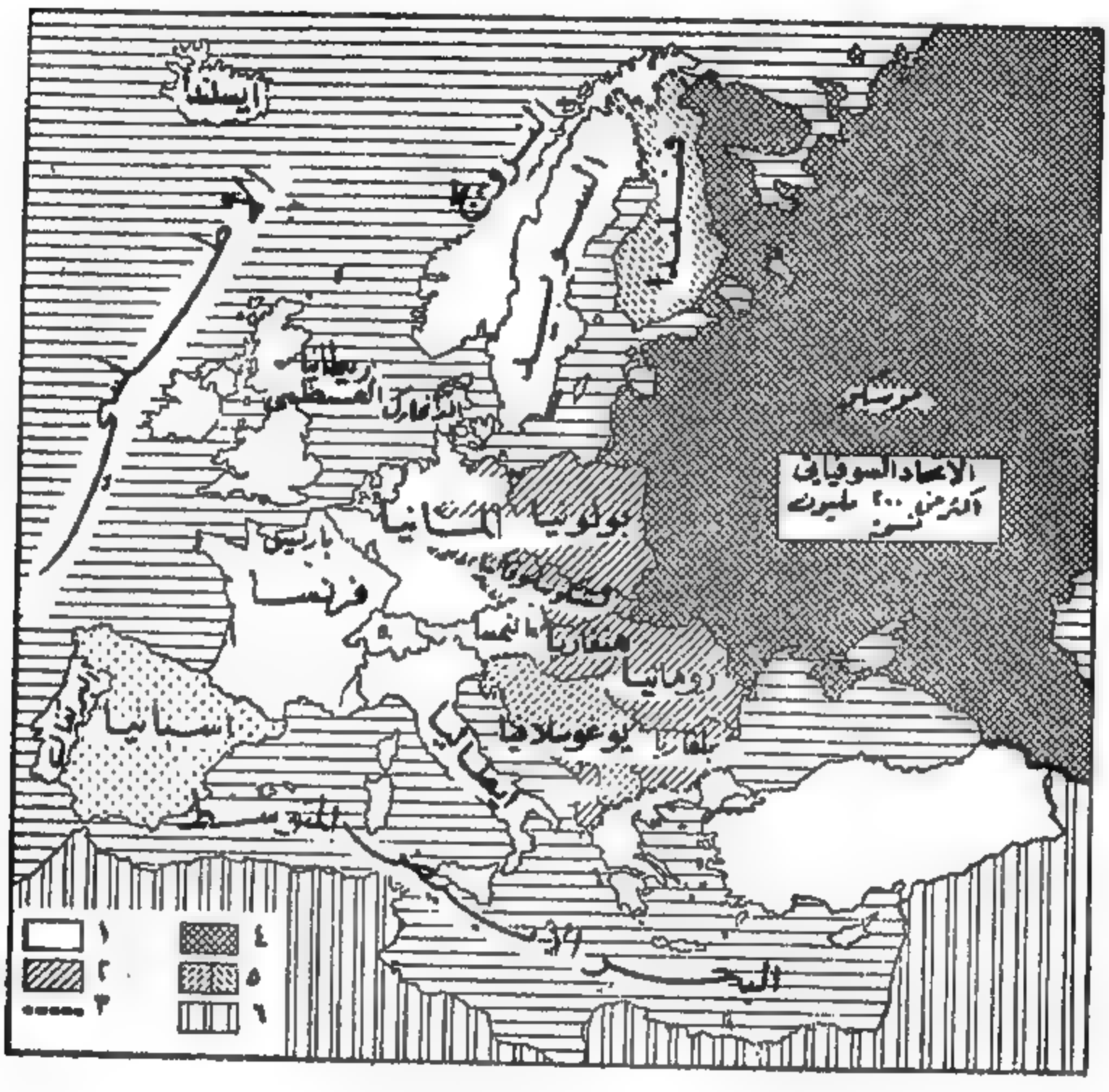

شكل ٢٢ ـ اوروبا المقسمة

١ ـ بلدان انضمت الى مشروع مارشال ، ٢ ـ ديموقراطيات شعبية مرتبطة بالاتحاد السوفياتي بمعاهدة فرصوفيا ، ٣ ـ « الستار الحديدي » ، ٤ ـ ارض الاتحاد السوفياتي ، ٥ ـ بلدان بقيت خارج الكتلتين ، ٦ ـ بلدان غير تابعة لاوروبا .
ملاحظة ـ اسبانيا لم تكن منضمة الى مشروع مارشال .

الهوة التي تفصل بين العالم الشيوعي والغرب . فقـــد انصرفت السياسة السوفياتية الى توثيق الروابط بين دول الشرق هادفة من وراء ذلك الى خلق مـــا يشبه مشروع مارشال في الشرق

وجعل الكتلة الشرقية ، ما استطاعت الى ذلك سبيلاً ، مستقلة استقلالاً تاما عن الغرب .

منذ هذا التاريخ نظر كل من الكتلتين الى كل قرار يتخذه الطرف الآخر كما الى عمل هجومي يستلزم جواباً ، واعتبر كل جواب بدوره تهديداً يجب ان يستتبع استعدادات دفاعية جديدة . وهكذا استمر الخلاف وازدادت الشكوك . واقتنع كل طرف مخلصاً بان اعماله دفاعية بحتة ، وبأن اعمال الطرف الآخر هجومية . فكان من الغرب ، الذي اعتبر الاتفاقات الاقتصادية وانشاء مكتب الاعلام الشيوعي (كومنفورم) بادرة هجومية شيوعية ، ان اسرع في وضع الخطط لتحالف سياسي وعسكري متين : حلف بروكسل بين بريطانيا العظمى وفرنسا ودول البنلوكس (بلجيكا وهولندا واللوكسمبورغ) ، ومعاهدة الاطلسي الشمالي التي وقعتها اثنتا عشرة دولة انضمت اليها اليونان وتركيا في السنة ١٩٥٢ .

الميثاق الاطلسي

بينما كانت المعاهدات المعقودة في اعقاب الحرب معاهدات ثنائية موجهة ضد اعتداء الماني محتمل الوقوع فحسب ، تجاهل هذا الميثاق كلياً امكانية اعتداء الماني ؛ فقد وجه بوضوح ضد الاتحاد السوفياتي ، وان لم يرد فيه اسم هذا الاخير . وجاء في مادته الرابعة ما يلي : « سوف تتشاور الاطراف كلما بدا ، في رأي احدها ، ان سلامة اراضي احد الاطراف او استقلاله السياسي او امنه عرضة للخطر » . وجلي ان هذه التعابير المبهمة لا تعني الهجوم المسلح على احدى الدول الحليفة فحسب ، بل استلام زمام السلطة من قبل اكثرية تعطف على الشيوعية . فالميثاق الاطلسي يكمل من ثم مشروع مارشال ، وتصبح المساعدتان العسكرية والاقتصادية مظهرين مختلفين لمساعدة واحدة . وقد قدمت مساعدة عسكرية للبلدان الاوروبية الموقعة على الميثاق ولليونان وتركيا وايران وكوريا والفيليبين ايضا . وانشئت « منظمة معاهدة الاطلسي الشمالي » (اوتان) التي ضمت قيادة اركان مشتركة تشرف على عمليات المجموعات الاقليمية الخمس . وتوجب على كافة الدول الموقعة تعزيز تسلحها والتحاق بشريكاتها على الصعيد العسكري والصعيد الاقتصادي على السواء ؛ فعززت جيوش دول الحلف ووحدت معداتها واساليب قيادتها وقتالها . وانصرف الحلفاء بصورة خاصة الى اعادة انشاء جيش الماني قوي اعتبر السبيل الوحيد لاقامة حاجز فعال في وجه هجوم سوفياتي محتمل الوقوع .

ذروة الحرب الباردة

بصرف النظر عن الرأي النافذ القائل بشن حرب وقائية قبل زوال التقدم الاميركي في حقل الاسلحة الذرية ، اعتمد التحالف الاطلسي سياسة « احتباس » و « توزيع قوى » انطوت على امتلاك اسلحة قادرة على اهابة الاتحاد السوفياتي و « بناء حاجز عسكري وبوليسي وسياسي » في وجهه ولكن انصار السياسة الهجومية و « تحرير » البلدان التي تؤلف الديموقراطيات الشعبية ، واعضاء « الكتلة » الصينية التي تدافع عن شان كاي شك وتطالب لمصلحته بمساعدة عسكرية ومالية متزايدة ،

قد احرزوا نجاحات هامة في انتخابات السنة ١٩٥٢ . فنجم عن ذلك تصلب سياسي تشهد عليه الاعمال الاولى التي قامت بها الادارة الجمهورية في الصين وكوريا والمانيا . الا ان السياسة الاميركية اضطرت للتسليم بـ «التعايش السلمي» ، والعدول عن التدخل مباشرة في حرب الهند الصينية وكبح مبادهات فورموزا الحربية والدخول في حوار جديد مع الشرق .

الاستراحة السريعة الزوال

ان حلفاء الولايات المتحدة ، ولا سيما بريطانيا العظمى ، قد راقبوا مبادرات الحكومة الاميركية بتردد . فمنذ السنة ١٩٤٩ امتلك الاتحاد السوفياتي القنبلة الذرية ولن يلبث ان يمتلك القنبلة الهيدروجينية ؛ وكان من الواضح ان حرباً عالمية جديدة لن تهدد باحداث أضرار لا يمكن تلافيها والقضاء ، بكل ما للكلمة من معنى ، على أمم كاملة فحسب ، بل ستكون دول اوروبا الغربية ، ولا سيما بريطانيا العظمى ، القاعدة الجوية الاميركية الرئيسية ، من بين الدول الاولى التي ستعاني من ويلات الحرب . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان تجدد القوة الصناعية الالمانية واليابانية لن يلبث أن يخلق منافسة تجارية خطيرة ، بينما سيهدد تسلح المانيا بقيام حرب انتقامية ضد بولونيا والاتحاد السوفياتي . وفقد اقصاء الصين عن منظمة الأمم المتحدة شيئاً فشيئاً ما يبرره كلما توطد نظام حكمها وأقدم عدد متزايد من الدول ، ومنها بريطانيا العظمى، على الاعتراف رسمياً بحكومتها. وأخيراً ردت الصعوبات الاقتصادية في اوروبا الغربية ، جزئياً ، الى قطع العلائق التجارية اما بالصين واما بدول اوروبا الشرقية ، وقد استدعت مصالح هامة في اوروبا ، وحتى في اميركا ، اعادة المقايضات الى سابق حالها . ثم ان نجاحات سياسة الحياد في الدول الاوروبية ، ولا سيما في فرنسا ، قد حملت أنصار سياسة القوة على التفكير ، كما ان السباق الى التسلح قد زاد الخطر والحذر بدلاً من ان يساعد على ازالتهما؛ فبدا أكثر وضوحاً يوماً بعد يوم ان التعايش السلمي دون غيره بين العالمين هو الحل الوحيد الممكن اذا اريد تجنب حرب عالمية ثالثة . وجاء موت ستالين في الخامس من آذار ١٩٥٣ يمهد السبيل امام انفراج مرتسم في الأفق . وكانت اولى الظواهر الهامة لهذه الحالة النفسية ، مؤتمر جنيف الذي انعقد في السنة ١٩٥٤ ، والذي سلكت فيه دولتان هامتان من دول الغرب ، هما بريطانيا العظمى وفرنسا ، سلوكاً مستقلاً عن الولايات المتحدة ، ففاوضتا الصين الشعبية في موضوع الهند الصينية ، على قدم المساواة .

بيد ان الانفراج أخرته الارتيابات والمخاوف التي اثارها في الدول الغربية النفوذ السوفياتي في آسيا الشرقية ولا سيما في الشرق الأوسط ، اذ بدا وكأنه على كف عفريت بسبب تدخل الاتحاد السوفياتي المسلح في هنغاريا ؛ ولكنه بات ضرورة ملحة حين هددت الحملة الفرنسية البريطانية على قناة السويس في تشرين الاول ١٩٥٦ ، لا بنشوب حرب محدودة ، بل بنشوب حرب عالمية . وقد صادف للمرة الاولى ان اتفقت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على فرض ايقاف العمليات العسكرية . وفي الوقت نفسه أدت النجاحات التي احرزها الاتحاد السوفياتي في حقل الصواريخ العابرة القارات الى اقامة « توازن ارهاب » جعل اخطار الافناء

في حرب ذرية اكثر فاعليـــة في النفوس . فخفت منذئذ حدة الخلافات و « ذاب الجليد » ، مـــا افضى الى قيام رئيس الحكومة السوفياتية بزيارة الولايات المتحدة في شهر ايلول من السنة ١٩٥٩ .

منذ هذا التاريخ ، ميّز دخول الدول الآسيوية والافريقية الحديثة منظمة الامم المتحدة ، بصورة مؤثرة ، الوحدة العضوية لكرة لا تستطيـع اية دولة من دولها الوقوف موقف لامبالاة من سواها . فلم تعد احداث اوروبا وحدها ما ترتدي طابع الاهمية العالمية ، بل هي احداث بحر الكراييب (كوبا) واحداث افريقيا (الكونغو وحتى حرب الجزائر) ايضاً ما ارغمت كل دولة على تحديد موقفها وهددت السلم العالمي بالخطر . لا بل قـام اتصال وثيق بين القضايا الاوروبية وقضايا الانحاء الاخرى من العالم — ولا سيما العالم الباسيفيكي — التي كادت تحتل المرتبة الاولى . ومن جهة اخرى كان للانفراج الذي طرأ في التفاف العالم حول الكبيرين المتوازنين : فاتجهت الروابط في داخل كل كتلة الى الارتخاء ، لا بل ان الازمة الصينية السوفياتية ايقظت عند بعض الدول الغربية الامل بأن تستفيد منها لاضعاف الكتلة المنافسة . وعلى اية حـــال ، فان جو « الحرب الدينية » او الصراع الذي لا يكفّر عنه بين الخير والشر كما تصوره عضو مجلس الشيوخ « مالك كارثي » و « جون فوستر دالس » قد تبدل ، وتطورت الكتل والجهت نحو فقدان طابعها السياسي : فان الباكستان مثلاً ، وهي احدى موقعي المعاهدة المركزية ، واحـد اعضاء ميثاق بغداد بعد ذلك ، قد تعاونت مع الصين ، الصديقة ان لم تكن الحليفة ، على الاتحـاد الهندي . وان هـذا الموقف الاستقلالي تقفه الدول الحديثة ، التي غذت عصبية قومية متصلبة بغية تعزيز تلاحمها الداخلي ، ليعيد الى الذاكرة العصبية القومية القديمة في الدول الغربية الحريصة على ان لا تتخلى عن عظمتها السالفة ، وعلى صيانة او احياء نفوذها المتفوق في ما وراء البحار ، اقـــله في الحقل الاقتصادي . وليس هذا التضاد بين عالم يسلك فيه الميـــل الى التدويل طريقه في الدول المتطورة (التي تعي ان التكتلات السياسية او الاقتصادية وحدها قابـلة الحياة والتقدم) وبين عالم يضم عدداً كبيراً من الدول الصغيرة المتنابذة والاقليميات الاقتصادية المضرة، بأقل مغايرات ايامنا هذه للصواب .

ظروف الحرب الجديدة

واخيراً ، أدى وجود الاسلحة النووية الى تبديل توازن القوى تبديلاً عميقاً وخلق ظروف جديدة كل الجدة في العلائق بين الدول . لقـــد انحصرت هذه الاسلحة عملياً في ايدي الكبيرين دون غيرهما ، فأوجدت « توازن ارهاب» اثبت فعاليته حين ارتسم في الأفق خطر نزاع بالغ الاهمية بمناسبة انشاء قواعد للصواريخ السوفياتية في كوبا . فحتى ذاك التاريخ ، استخدمت في الحروب المندلعـة منذ السنة ١٩٤٥ الاسلحـــة « الكلاسيكية » ، اي الاسلحة التي استخـــدمت خلال الحرب العالمية الاخيرة ، والحرب بين اسرائيل وجيرانها ، وحروب كوريا والهنـــد الصينية والجزائر وفيتنام الجنوبية ... ولكن الابحاث العلمية لم تتوقف منذ نهاية الاعمال الحربية — على نقيضها في ما بعد الحرب العالميـــة

الاولى ـ وتوصلت الى نتائج حاسمة . فان الطاقة التدميرية قد ازدادت ازدياداً يكاد يكون غير محدود ولا يتصوره عقل : ان القوة التدميرية للقنابل الحاليـــة توازي الف ضعف بالنسبة لقوة قنبلة هيروشيما (وقد قدرت قوتها بـ ٢٠٠٠٠ طن من الـ ت. ن. ت.) التي كانت خاتمة الحرب العالمية الثانية . والحـــال لم تستخدم هذه الاخيرة اجمالاً سوى قنابـــل تزن ١٠ اطنان من الـ. ت. ن. ت. كحـد اقصى ، لا تتناسب كذلـــك وقنابل الـ ٥٠ او ١٠٠ لبرة في الحرب الكبرى ! وفي الوقت نفسه بلغ مرمى المدافع ١٥٠ ميلاً ومدى الطائرات بين ٥٠٠٠ و٦٠٠٠ ميل ، ومدى الصواريخ ٨٠٠٠ . فليس بعد اليوم مركز واحد آهل بالسكان بمنأى عن الاسلحة النووية المطلقة من البر او من الغواصات . وباستطاعة هذه الاسلحة احراق مساحات تبلغ عـدة كيلومترات مربعة ، وتلويث الجو والمياه ، ويمكن ان يبقى اثر اشعاعاتها القتال طيلة اشهر عدة في مساحات قد تبلغ ٥٠ ضعفاً بالنسبة للمساحات المحرقة . فارتكز الدفاع منذئذ الى مبـــدأ ابتكار ما يصعب ابتكاره : يجب ايجاد « قوة دفاعية » تكون قدرتها الثأرية كافية لاهابة من قد يفكر بالاعتداء ومنعه من المخاطرة بالاقدام على نزاع مسلح . وتستلزم هـــذه القوة ، بالاضافة الى كميات كبرى من الاسلحة النووية ، محاولة تحقيق السيطرة في الجو ، وإنشاء شبكـة رادار للمراقبة والانقاء ، وتكوين مدفعية قوية مضادة للطائرات ، وصواريـخ مسيّرة ، وطائرات تعترض سبيل الطائرات المهاجمـة ، وتشتيت مستودعات الاسلحة والمصانـع ومراكز التموين ومراكز القيادات ، وحفر ملاجىء فسيحة للسكان . وبالاختصار ، نفقات باهظـة تفوق كل تصور توفر كاهل موازنات بعض البلدان الغنية جـــداً وتعجز عن تأمينها موازنات كافة البلدان الاخرى .

اشتداد اختلال التوازن الاقتصادي والسياسي في العالم

احدثت الحرب انطلاقة لا سابقة لها في الانتاج . فان المشاريـع التي كانت مقفلة الابواب او كانت ابعـــد من ان تستخدم طاقتهـــا الانتاجية الكاملة اخذت تعمل مجدداً وتنتج ما أمكنها انتاجـه ، وانشئت مصانع جديدة ومعامل جديدة ، لا في الولايات المتحـدة وكندا فحسب ، بل في البرازيل والارجنتين والشيلي وافريقيا الجنوبيـــة واوستراليا واسبانيا وتركيا والسويد والدول المحتلة في اوروبا الوسطى التي كانت اقل تعرضاً للغارات الجوية ايضاً. وانمى الاتحاد السوفياتي من جهته طاقته الانتاجيـة إنماء كبـيراً . وفي الوقت نفسه تحسنت الاساليب وارتفع الانتاج ارتفاعاً عظيماً ربما بلغ ٢٠٪ .

كانت النتيجة ان اختلال الاقتصاد العالمي ، الذي برز جيداً بعد الحرب العالميـة الاولى ، قد تعاظم بفعل هذه الزيادة الكبرى في الانتاج . فحرصت الدول الصناعية اكثر من أي وقت مضى على حماية سوقها الداخلية والبحث عن اسواق خارجية . وسوف تتصف المنافسة الدولية والصراع من اجل هذه الاسواق بمزيد من الحدة لا سيما وان البلدان التي افقرتها الحرب كانت اكثر حاجة الى التصدير منها قبل الحرب لتسديد اثمان مستورداتها ، والحصول على الدولارات،

وتوظيف الاموال في المشاريع الضرورية . وهو تدخل الحكومات المتيقظ وحده ما حمى هذا الاقتصاد من الازمات التي كانت تهدده . والحال اعتمد شطر من العالم اقتصاداً اشتراكياً يجنبه الحلقة الاقتصادية القديمة ويقلل من ثم من الاسواق المحتملة . وليست روسيا وحدها ، كما في السنة ١٩١٨ ، ما كانت معزولة أمام عالم حر ورأسمالي . ففي السنة ١٩٤٥ ، كانت هنالك ، من جهة ، كتلة الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية ، التي ستنضم اليهـــا بـلاد الصين الشاسعة في السنة ١٩٤٩ ، ومن جهة ثانية عالم رأسمالي اعيته ثورة الشعوب المستعمرة وحركة تحرر الشعوب المسودة . ففي آسيا بنوع خاص نمت الحركة القومية نمواً سريعاً غـير منتظر وفازت بالاستقلال . وفي افريقيا انهارت الامبراطوريات الاستعمارية . لقـد رفض العـالم بصراحة الانحناء ابداً أمام سلطة اوروبا والولايات المتحدة .

وهكذا فان هذه الفترة قد شاهدت تقهقر اوروبا وانحطاط النظـام الحر الاقتصادي والسياسي اللذين برزا منذ السنة ١٩١٤ ، لان جو الحرب الباردة وانقسام العالم الى كتلتين لم يكونا موافقين لمبادىء الحرية . وفي الوقت نفسه ابرزت تصفية الامبراطوريات الاستعمارية واستقلال الشعوب الملونة والانسحاب من السويس ، نهاية هيمنة دول تولت منذ خمسة قرون امر استعمار الكرة الارضية . لا بل هددت مرتكزات ازدهارها بالذات .

الفصل الثاني

الولايات المتحدة

اصبحت الولايات المتحدة ، بعد الحرب العالمية الاولى ، اعظم دولة في العـــالم ، فبات بمقدورها ، بعد السنة ١٩٤٥ ، فرض نفوذ متفوق ساحق ، لا بل هيمنة حقيقية ، على كافة الدول الاخرى المضعفة او المخربة .

تضم الولايات المتحدة ٧ ٪ من سكان الكرة الارضية وتحتـــل ٧ ٪ من مساحة الارض ، ولكن دخلها القومي يفوق ثلث الدخل العالمي ، وينتج سكانهـــا ، الذين كانوا ١٥١ مليوناً في السنة ١٩٥٠ واصبحوا ١٩٠ مليوناً في السنة ١٩٦٣ ، ٦٠ ٪ من مصنوعات العـالم بأسره ، اي اكثر من المليارين نسمة الموزعين على كافة انحاء العالم الاخرى . ومثّل احتياطيهـــا من الذهب والنقد النادر ٧٨ ٪ من الاحتياطي العالمي في السنة ١٩٥٧ (باستثناء الاتحاد السوفياتي) . وهي تمتلك في كل قطاع اقتصادي نسبة انتاج مئوية تتيح لها تحديد الاسعار وسن القـانون في السوق العالمية ، بينما يتعذر على الدول الاخرى الاستغناء عن مساعدتهـــا المالية للقبول بشروطها في الحقلين الاقتصادي والسياسي . وفي اعقاب الحرب ، التي لم تكن بالنسبة لهـا سوى « امتحان ثانوي » اذا ما قورنت بالازمة الكبرى ، مارست « زعامة » لا جدال فيها على العالم الحر .

تزايد الانتاج

بصورة عامة ، تعاظمت الطاقة الصناعية خـــلال الحرب في كافة الدول المحاربة — وحتى في المانيا التي عانت ما عـانت من الغارات الجوية — وفي الدول التي حافظت على حيادها . ولكن الولايات المتحدة امتلكت طاقة صناعية ضخمة دونها طاقتها في اعقاب الحرب العالمية الاولى . فان انتاجهـــا الصناعي في السنة ١٩٤٥ كان ضعفه في السنة ١٩٣٩ . وقد تحققت هذه النتيجة باستخدام الآلة الانتاجية واليد العاملة استخداماً كاملاً وبانشاء مصانع او استثمارات جديدة كبرى . فقضي على البطـــالة قضاء تاماً ، اذ هبط عدد البطالين من ٩ ٤٨٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٣٩ الى ٦٧٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٤ . لا بـل ارتفع عدد العمال ارتفاعاً عظيماً على الرغم من رفع عدد القوات المسلحة ، بفعل استدعـاء النساء والفتيان والكهول الذين عادوا الى المصانع ، بينما انخفض عدد عمال الزراعة . وبالاختصار ارتفـــع عدد

العاملين في المشاريع المدنية المختلفة من ٠٠٠ ٧٥٠ ٤٥ في السنة ١٩٣٩ الى ٥٤ مليونـــاً في السنة ١٩٤٤ .

عند نهاية الحرب ، كان انتاج الولايات المتحدة ٦٨٤ مليون طن من الفحم الحجري (نصف الانتاج العالمي) ، و ٢٤٤ مليون طن من البترول (الـ ٣/٢) ، واكثر من نصف الانتاج العالمي من الكهرباء . وكانت الصناعة الاميركية مجهزة لانتاج ٩٥ مليون طن من الفولاذ، ومليون طن من الالومينيوم ، و ٢٠ مليون طن من السفن ، و ٠٠٠ ١٠٠ طـائرة ، و ٠٠٠٠ ١٢٠ طن من المطاط التركيبي . وكان لديها اكبر اسطول تجاري (يوازي محموله ثلاثة اضعاف محمول اسطول المملكة المتحدة) والطيران التجاري الوحيد الذي يضم ٠٠٠ ١٥ طائرة .

العودة الى احوال ما قبل الحرب

طرحت نهاية العمليات الحربية وتسريح جزء من القـــوات المسلحة وتوقف جزء من صناعات الاسلحة مسألة العودة الى احوال ما قبل الحرب . فهل سيؤدي الافراط في تجهيز البلاد الى قيـام أزمة اقتصادية جديدة وانتشار البطالة مرة اخرى ؟ كلا فان المخاوف من حدوث ذلك لم تتأيد ؛ وقـد تمت العودة الى احوال ما قبل الحرب بسرعة ودون اثارة صعوبات كبرى . فان الصناعات الحربية الهامـة (السفن والطيران والالومينيوم والآلات) قد خفضت تخفيضاً كبيراً ، ولكن هذا التخفيض قد اعاض منه ازدياد نشاط فروع صناعيـــة اخرى ، وبصورة خاصة فروع صناعة المـــواد الاستهلاكية التي انميت من اجل تلبية حاجات السوق الداخليـة والخارجيـة . فحافظت نسبة الانتاج على مستوى واحد تقريباً : ١٧٠ في السنة ١٩٤٦ ، ١٨٧ في السنة ١٩٤٧ ، ١٩٢ في السنة ١٩٤٨ ، ١٧٥ في السنة ١٩٤٩ . واتاح التقدم التقني انماء صناعات جديدة : المنتجات الكيميائية والالياف التركيبية ، والمصنوعات البلاستيكية ، وانواع الوقود السائل (انطلاقاً من الغـــاز الطبيعي) واجهزة التلفزة ، والمأكولات المجمدة... وانطلقت الخدمات العامة (غاز، كهرباء ، هاتف) كذلك انطلاقة عظيمة جداً . وزادت الابحـاث العلميـة والتقنية مختبراتها ، على غرار مصالح الدولة الاتحادية والولايات .

بالرغم من انتشار البطالة مرة اخرى ـ ارتفع عدد البطالين من ٠٠٠ ٠٧٠ ١ في السنة ١٩٤٥ الى ٠٠٠ ١٢٤ ٢ في السنة ١٩٤٧ ، ثم الى ٠٠٠ ٣٩٥ ٣ في السنة ١٩٤٩ ـ فان الانتاج نفسه ، وان انخفض بالنسبة لارقام الانطلاقة الكبرى في ايام الحرب ، قـد حافظ اجمالاً على مستوى رفيع جداً اذا ما قورن به في السنوات الاخيرة من فترة ما قبل الحرب ؛ فقد بلغ تقدمه التدريجي ، بين ١٩٤٥ و ١٩٤٩، معدله خلال القرن التاسع عشر، واتاح ارتفاعاً محسوساً في مستوى المعيشة العام . واذا قورن الانتاج الاميركي بالانتاج الاوروبي (باستثناء الاتحـاد السوفياتي) ، لاتضح انه مثل ١٥١٪ منه في السنة ١٩٤٧ و ١٣٥٪ في السنة ١٩٤٨ ، في حـين لم يمثل سوى ٧٦٪ في السنة ١٩٣٧ :

خطر الازمة في السنة ١٩٤٩

يرد هذا الوضع الممتاز في السنوات الأولى من فترة ما بعد الحرب الى اسباب عدة : امكن الاحتفاظ بالقدرة الانتاجية بفضل ارتفاع عدد الاميركيين وبفضل « ارجاء طلب » المواد الاستهلاكية التي حرم منها السكان في سنوات الحرب . فبيعت من ثم اعداد كبرى من السيارات والادوات المنزلية واجهزة الراديو اللاقطة . وشيدت مساكن كثيرة . وسهلت هذه المبيعات والابنية وفرة وسائل الدفع الناجمة عن التوفيرات الجبرية المحققة خلال الحرب وسرعة زيادة حجم الاعتمادات المفتوحة للاستهلاك . ويجب ان يضاف الى انطلاقة التجارة الداخلية هذه الدور الذي لعبته التجارة الخارجية . فقد كانت الولايات المتحدة قادرة وحدها آنذاك على ان توفر للسوق العالمية المواد الاولية ، والآلات الضرورية لاعادة بناء اوروبا ، والمواد الغذائية التي تحتاج اليها اوروبا وآسيا .

الا ان الاتجاه انقلب في السنة ١٩٤٩ وارتسم في الافق تأخر اقتصادي ناجم عن تحسن الانتاج الزراعي والصناعي في الدول الاوروبية وتدني الطلب في الاسواق الداخلية . فانخفض انتاج الصناعات الاساسية . واشتدت بصورة خاصة الازمة الزراعية بفعل تعاقب الحصائد الجيدة التي استتبعت انخفاض الاسعار انخفاضاً محسوساً جداً . فبلغ عدد البطالين زهاء ٤ ملايين شخص وجاوز الـ ٥٠٠ ٠٠٠ ٤ في اوائل السنة ١٩٥٠ .

التدابير المتخذة لايقافه

هو تدخل الدولة والعودة الى سياسة التسلح ما اوقف خطر الازمة . لقد عمل الرئيس بمشورة خبرائه الاقتصاديين واستخدم صلاحياته للتأثير تأثيراً سريعاً وفاعلاً على الاقراض (بواسطة الخزانة العامة ودائرة الاحتياط الاتحادي) وعلى الدخل القومي (بسياسته الجبائية) . فتمكن من ثم من ايقاف الازمة بتنظيم المبيعات بالدين (تخفيض الآجال الى ١٥ او ١٨ شهراً ، ايجاب دفع ٢٠٪ من قيمة السلع عند البيع ، و ٣٣٪ من قيمة السيارات) ، وبزيادة معدل احتياطي المصارف بالنسبة للودائع ، مما يحد من امكاناتها الاقراضية ، وبمراقبة الرهونات المعقودة من اجل بناء المساكن ، وباعتماد سياسة اعمال كبرى او بتخفيض الضرائب ، وبمنح المزارعين قروضاً وفيرة بشراء الفوائض المخزونة او بفتح الاعتمادات ، وبضمان المساواة التي قامت قبل السنة ١٩١٤ بين الاسعار الزراعية والاسعار الصناعية لمساعدة « سعر المساندة » . واخيراً بالاكثار من طلبات البضائع المعدة للدول المقررة مساعدتها في اوروبا وآسيا .

وبغية الابقاء على ما يشتريه من الولايات المتحدة الاجانب المفقرون ، والمفتقرون الى النقد النادر ، والعاجزون عن التصدير ، رفعت الحكومة – او مصرف التصدير والاستيراد – قيمة القروض ، وحتى الهبات ، اي انها « امدّت المشترين المحتملين بقيمة مشترياتهم » . ومنذ السنة ١٩٤٨ زادت اهمية الهبات وتدنت اهمية القروض : فان الدول التي قد تدفعها البطالة والاضطرابات الاجتماعية الى اعتماد خطة اشتراكية ، وتكون مخالفتها ضرورية للولايات المتحدة بغية اقامة « نظام دفاع اميركي » في وجه الاتحاد السوفياتي : الصين ، الفيليبين ، كوريا ،

اليابان ، ترسيا ، ايطاليا ، فرنسا ، النمسا ، اليونان ، المانيا ، قد استفادت بموجب مشروع مارشال من قروض لا تسدد ، وسلع مجانية ، وقروض طويلة الاجل .

ثم ان النهضة الاقتصادية ، التي بدأت قبل انفجار الحرب ، قد تعززت بعد السنة ١٩٥٠ بفعل الحرب الكورية واعادة تسليح اوروبا الغربية . فقد اجريت تعبئة صناعية واقتصادية جديدة خزنت المواد الستراتيجية الطابع . وارتفع انتاج الفولاذ (١٩٥١ = ١٠٣ ملايين طن) وأعيد فتح بعض المصانع المقفلة في السنة ١٩٤٥ ، كمصانع المطاط التركيبي ، والمطاط التركيبي ، والطيران . وفتحت مشاريع ومعامل جديدة . وجرت نهاية الحرب الكورية في السنة ١٩٥٣ الى تأخر اقتصادي جديد . فرفع هبوط الانتاج الصناعي مرة اخرى عدد البطالين الى زهاء ٤ ملايين في شهر آذار من السنة ١٩٥٤ . ولكن الابقاء على ميزانية عسكرية مرتفعة (٦٤٪ من الميزانية الاتحادية في السنة ١٩٥٨) ، وتوسع حركة بناء المساكن بفضل توسيع القروض مقابل رهن العقارات ، وانطلاقة صناعة السيارات بصورة خاصة (٨ ملايين سيارة في السنة ١٩٥٥) والمبيعات التقسيطية التي بلغت ٦٢ مليار دولار في السنة ١٩٥٥ ، وزيادة تعويضات البطالة وتخفيض الضرائب ، كل ذلك قد اوقف حركة الهبوط .

وهو تدخل الدولة كذلك ما مكن الاستهلاك وحال دون انفجار ازمة جديدة عند نهاية الحرب، ولكنه لم يحل المسألة التي طرحها ابداً الفرق الكبير بين حجم انتاجي ضخم والامكانات الاستهلاكية التي لم توازه قط. فان الطاقة الانتاجية الصناعية التي ارتفعت بنسبة ٥٥٪ بين السنة ١٩٤٧ والسنة ١٩٥٣ ، وربما بلغت ، في السنة ١٩٥٥ ، ١٩٠٪ من مستواها في السنة ١٩٤١ ، كانت ابعد من أن تستخدم كلها ، ولا سيما في انتاج المواد الاستهلاكية : فهي لم تبلغ سوى نسبة ٧٥٪ في صناعة السيارات وصناعة اجهزة التلفزيون ، و ٥٠ بالمائة في صناعة الأدوات الكهربائية المنزلية ، و٣٠ بالمائة فقط في الصناعة القطنية بفعل انطلاقة المنسوجات الاصطناعية بصورة خاصة . وفي بعض الحقول الهامة ، كالمنسوجات والملابس ، لم يرتفع الانتاج عملياً منذ السنة ١٩٤٧ ، فشملت البطالة ٢,٥٦٤,٠٠٠ عامل . وفي السنة ١٩٥٤ جر حجم المبيعات التي توفر دخول المشترين لمدة طويلة ، وحجم القروض مقابل رهن العقارات ، الى تدني معدل الصفقات وتكديس المخزونات . وفي هذه الاثناء ارتفعت قيمة الأموال الموظفة في الصناعة ارتفاعاً مطرداً، فزادت الطاقة الانتاجية، وبالتالي المخزونات التي لن ينقصها سوى ارتفاع عدد المستهلكين وقدرتهم على الشراء .

التوسع الاميركي

كانت الولايات المتحدة « دار صناعة الديموقراطيات » ، فوفرت لكافة الحلفاء، بموجب قانون الاعارة والتأجير، الاسلحة والمنتجات الضرورية للحرب. ولكن البلدان المدينة لم يتوفر لديها ، لتسديد ديونها ، لا دولارات ولا ذهب بكمية كافية ، ولا سلع . يضاف الى ذلك انها كانت كلها بأمس الحاجة الى رؤوس الأموال من اجل الحصول على المواد الغذائية والمواد الأولية والأدوات الضرورية . فأتاحت هذه الظروف

للولايات المتحدة ، بفضل تفوقها المالي الساحق ، احتلال مراكز من المرتبة الاولى في العالم غير الشيوعي .

وبغية تسهيل المقايضات ، اضطرت الولايات المتحدة الى منح قروض للبلدان صاحبة العلاقة بواسطة مصرف التصدير والاستيراد ، وبعد السنة ١٩٤٧ ، بواسطة مشروع مارشال الذي لحظ هبات (٨٠ بالمائة اجمالاً) وقروضاً طويلة الاجل (٢٠ بالمائة) . فارتدى التوسع الأميركي في جوهره من ثم طابعاً مالياً ، وزاد انفاق الأموال في الخارج بعد السنة ١٩٤٩ بواسطة النقطة الرابعة التي أقرها الرئيس ترومان من أجل تنمية المناطق المتخلفة عن طريق انفاق اموال اميركية خاصة .

وهي الصناعة البترولية والمنجمية (معادن غير حديدية) بصورة خاصة ، وصناعة المطاط والصناعات الكيميائية ما اجتذبت رؤوس الأموال الأميركية : في كندا – حيث اشرفت على انتاج النيكل والبترول والفولاذ والالومينيوم والكتان الحجري – واميركا اللاتينية ، ولا سيما البرازيل ومنطقة الكرايبب (امتصت القارة الاميركية من ثم ٣/٢ الاموال الموظفة) والبلدان الاوروبية (٢٠ بالمائة) وممتلكاتها الافريقية بصورة خاصة ، والشرق الادنى . وفي الشرقين الادنى والأوسط اللذين يمتلكان ٣/٢ احتياطي البترول في العالم ، ساعدت الدولة الاميركية الشركات الاميركية ، ستاندرد اويل ، وسوكوني فاكوم ، وارامكو ، على حصر واقصاء المصالح البريطانية في العراق وايران والكويت ومصر والمملكة العربية السعودية ؛ وفي اميركا الجنوبية اشرفت الولايات المتحدة على ثلثي الانتاج وثلاثة أرباع التكرير في فنزويلا .

وفي الحقل الجوي، حيث وقفت الولايات المتحدة موقف الدفاع عن «حرية الاجواء المطلقة»، اي عن حق التحليق فوق اراضي الدول الموقعة اتفاقات دولية ونقل المسافرين والبضائع اليها ، بصرف النظر عن نقاط الانطلاق والوصول ، أمنت شركات الطيران الاميركية اتصالات مباشرة بكافة بلدان العالم الحر .

مشروع مارشال

ان مشروع مارشال الذي اوحته دوافع انسانية والتصميم على الدفاع عن مفهوم معين للحياة تهدده الشيوعية ، قد كان كذلك افضل وسيلة لبسط وتدعيم النفوذ الاميركي في العالم واحدى ادوات توسعها الكبرى . فان هذا المشروع المعد لان يمد البلدان الاوروبية ، عن طريق القروض او الهبات ، بالدولارات الضرورية لانتعاشها الاقتصادي ، قد دخل في حيز التنفيذ في السنة ١٩٤٨ ، بعد انشاء منظمة التعاون الاقتصادي الاوروبية التي ضمت ١٦ دولة غربية . واشترط القانون بعض التدابير « لحماية الاقتصاد الاميركي » : على كل دولة ان تتعهد باستخدام المساعدات الاميركية لتعديل موازنتها وتمكين نقدها ، وللتعاون مع الدول الاخرى الداخلة في المنظمة ، وتسهيل نقل الخامات الضرورية (الكروم ، التونغستين ، الانتيموان ، الخ .) الى الولايات المتحدة . واخضع استخدام المساعدات لمراقبة دقيقة تتولاها ادارة التعاون الاقتصادي – باشراف بعض رجال الاعمال –

التي حق لها مراقبة الادارة المالية والاقتصادية في الحكومات المستفيدة. وفرض القانون على هذه الاخيرة اتفاقات ثنائية تمكن اميركا من الحصول على الخامات النادرة والستراتيجية التي تلتجهـا اراضيها الاقليمية والاستعمارية والتي تشجع توظيف الاموال الاميركية الخاصة في هذه الاراضي. ثم برز هذا الطابع المعتدل التجرد حين انصهر مشروع مارشال في المشروع المعروف بـ«مشروع الامن المتبادل» وارتدى بعد السنة ١٩٥٢ طابعاً عسكرياً بصورة خاصة.

اتاح تطبيقه للحكومات الاوروبية إعادة بناء اقتصادها بالوسائل الحرة الكلاسيكية دونما حاجة الى اللجوء الى النظام الموجه والتخطيط اللذين يتعينان على كل اقتصاد متقهقر. فاستطاعت الولايات المتحدة من ثم نشر مبادئها الاقتصادية والسياسية في البلدان التي كاد البؤس وفقدان الامن فيها يتسببان في اثارة اضطرابات اجتماعية ويهددان من ثم مراكز نظام الحكم الرأسمالي بتضييق نطاق ممارسة النظام الحر بانتقال هذه البلدان الى معسكر الشيوعيـــة؛ واستطاعت كذلك تصريف مخزوناتها من المحاصيل غير المبيعة وحل مسألتهـــا الزراعية الخطيرة جزئياً. وأفادت اخيراً من تدعيم تفوقها الاقتصادي، اذ ان القروض والهبات الموفرة للبلدان الاوروبية قد ربطت هذه الاخيرة بالدولة المقرضة.

يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان حق رقابة استخـــدام الاموال الذي أولاها إياه قانون مساعدة الدول الاجنبية، قد اتاح للسلطات الاميركية الاشراف على المشاريع الصناعية وابداء الرأي في ملاءمتها وجانب اهميتها (اقتضى عرض مشروع مونّيه عليها)، فتدخلت في انفاق الاموال العامة وتمكنت من مقاومة انشاء مشاريع قد تعيق مشاريع مواطنيها. ولم تشمـــل مراقبتها السياسية الاقتصادية فحسب، بل ميزانيات الدول، اي سياستها المالية ايضاً؛ فاتاحت لها من ثم التدخل تدخلاً مستمراً في السياسة العامـــة للدول المساعَدة. ولما كانت المساعدات «قابلة الابطال حين لا تتفق ومصلحة الولايات المتحدة الوطنية»، فقد كانت منوطـة بانقياد الحكومات.

واخيراً، كانت نتيجة منع تصدير «المواد الستراتيجية» الى الدول الشرقية اشبه بانعـدام العلائق التجارية بين الشرق والغرب وزيادة ارتباط الغرب اقتصادياً بالولايات المتحدة.

. الازمة الزراعية

ان القطاع الزراعي، وهو موضع الضعف في الاقتصاد الاميركي، قد استمر في التأخر اكثر فأكثر؛ فقد تدنى قسطه في الدخل القومي الى ٧٫٢٪ في السنة ١٩٥٠ والى ٥٫٦٪ في السنة ١٩٥٥؛ وفي السنة ١٩٤٧ لم يعمـــل فيه سوى ١٩٪ من مجموع السكان، وفي السنة ١٩٦٢ ٧٫٧٪ فقـط. الا ان الحرب وفترة مـا بعـد الحرب قد اعطتا الزراعة ازدهاراً حقيقياً. فان الانتاج، الذي حرّكه طلب داخلي وخارجي متزايد، قد أدى في الزراعة الى استخدام المزيد من الآلات والاسمدة والمواد المبيدة الحشرات وطرائق تحسين الاصناف. فارتفع عدد آلات كثيرة الى اربعة اضعافه خـلال عشر سنوات. ولكن حركة تجميع الاستثمارات، بالمقابلة، كانت آخذة بالاتساع، بحيث ان المزارع الضامنة

أقل من ٤٠ هكتاراً ، التي كانت تمثل ١٣,٥ ٪ من المساحة المزروعة في السنة ١٩٤٠ ، لم تمثل سوى ١١,٤ ٪ منها في السنة ١٩٤٥ وأقل من ١٠٪ في السنة ١٩٥٥ ، بينما ارتفع معدل مساحة الاستثمارات من ٧٠,٤ هكتاراً في السنة ١٩٤٠ الى ٨٨ في السنة ١٩٥٤ ، والى ١٢٨ في السنة ١٩٩٤ . وهبط عدد الاستثمارات الزراعية من ٥٨٩٥ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٥ الى ٣٤٧٤ ٠٠٠ في السنة ١٩٦٤ . وقد انتج زهاء ٨٠ ٪ من كافة المحاصيل الزراعية ٣٣,٧ بالمائة من المزارعين ، بينما لم ينتج الثلثان الآخران سوى ٢٠,٥ بالمائة . واذا ما تطلعنا في ملكية الارض ، لتبين لنا ان ٧٣ بالمائة من المزارعين كانوا ملاكين في السنة ١٩٥٠ مقابل ٦١ بالمائة في السنة ١٩٤٠ ، ولكن ١,٩ بالمائة من بينهم يملكون اكثر من ٤٠ بالمائة من الارض الصالحة للزراعة، و١٣ بالمائة يملكون ٦٥ بالمائة، بينما لا يستثمر ٦٩ بالمائة من بينهم سوى ١٧,٨ بالمائة . وانما قامت في الجنوب والجنوب الشرقي بصورة خاصة الاستثمارات الصغرى الحقيرة حيث اقتصرت المزرعة على كوخ خشبي بسيط ، والقوة المحركة على بغلة واحدة ، بينما قامت في الغرب الاملاك الكبرى المصنعة، « المصانع الريفية » ، حيث يدفع استخدام المزيد من الآلات الى تجميع الاملاك لانه لا يعطي انتاجاً كبيراً الا في الاستثمارات الكبرى. فمجّل ذلك في تقهقر المزارع التي لم يبلغ رقم مبيعاتها السنوية ٢٥٠٠ دولار . وكانت النتيجة ان الثورة التقنية التي بدأت منذ السنة ١٩٣٠ ، وتحسين طرائق الاقراض ، والتمويل والتجارة ، « أدّت الى رأسمالية زراعية جديدة و قوية ، محكوم عليها بتوسع مستمر ، لا يفيد منها سوى عدد مطرد الانحصار من الافراد والمشاريع » (ج. غوتمن) . ومنذ السنة ١٩٦٤ ، أنتج ٣ بالمائة من المزارعين ثلث قيمة كافة الانتاج الزراعي المعد للتجارة .

. استمر الانتاج من ثم في الارتفاع ، ولكن على الرغم من ازدياد الاستهلاك الداخلي والصادرات ، ازدادت مخزونات الحبوب كل سنة ، فبلغت ١٥ مليون طن في السنة ١٩٥٢ ، و٢٤ في السنة ١٩٥٣ ، و٣٨ في السنة ١٩٦١ ، فأصبح الوضع عسيراً لان المخزونات العالمية الفائضة عن الحاجة تتكدس سنة بعد سنة .

بغية معالجة هذه الازمة العميقة ، الناجمة عن تضخم الانتاج ، فكر بعضهم بتحسين التغذية القومية . وهذا ما استهدفه مشروع قانون « ايكن » في السنة ١٩٤٨ ، الذي اقترح ان تؤمن لكل مواطن حصة سنوية اساسية تضمن « الصحة الكاملة » ، وان ينظم كذلك التصدير الى مئات الملايين من سكان الكرة الارضية الذين تعنى بهم منظمة التغذية (فاو) . ولكن مشروع قانون ايكن قد رُفض في السنة ١٩٤٩ ، وكان التصدير المجاني عرضياً وغير ذي اهمية . فحد من الازمة الزراعية بتدخل مستمر من قبل الدولة التي اعتمدت سياسة مساندة الاسعار (٧ مليارات دولار في السنة ١٩٥٥) : قروض ، شراء الفائض ، تعويضات عن تخفيض مساحات زراعة الحبوب ، التي لم يفد منها سوى كبار المزارعين ومتوسطيهم . ومنذ السنة ١٩٥٠ انخفضت الدخول الزراعية انخفاضاً مطرداً منتظماً . فبلغت في السنة ١٩٥٥ ادنى مستواها

منذ السنة ١٩٤٢ ، بالرغم من ان الانتاج قد بلغ رقماً قياسيا ، وهبطت قوتها الشرائية بنسبة ٣٤ ٪ منذ السنة ١٩٤٨ .

تدخل الدولة المتزايد

يتضح من ثم ان تدخـــل الدولة كان مستمراً في كافة الحقول . وعلى الرغم من ارتفاع الاسعار خلال الحرب وسهولة تحويل المصانع العسكرية حالت ذكرى الازمة الكبرى دون العودة الى النظـــام الحر القديم . وقد اعرب « قانون الاستخدام » الصادر في السنة ١٩٤٦ عن شاغل الاطمئنان الذي سيطر على كافة الافكار : كل حكومة ملزمة ببعض الواجبات حيال المواطنين . عليها ممارسة صلاحياتها للابقـــاء على « حد اقصى من الاستخدام والانتاج والقوة الشرائية . فدولة النظام الحر خلال العشرينيات قد دخلت التاريخ ، ونحن اليوم امام « نظام اقتصادي يرتكز الى مبدأ الحرية ، ولكنه لا يستقيم ولا يتسع ولا يقوّم عيوبه الا بالافادة من نظـــام تدخلي قوي » (د . فوشيه) . لقد تعود المتعهدون والنقابات العمالية الاعتماد على الدولة ، على غرار المزارعين الذين ما كانوا ليستطيعوا العيش بدون مساعدتها . وقد رفضوا كلهم نظاماً موجها يكون بمثابة تخطيط ملزم ويحرم المتعهـد من حق التقرير ، ولكنهم طالبوا جميعهم بتدخـل يسهل التسليم به . ان الادارات الاقتصادية في الدولة غالباً ما تكون مسندة الى صناعيين وصيارفة مقتنعين بان صوالح الاعمال وصوالح الامة تتطابق مطابقة تامة (« ان ما هو صالح لـ « جنرال موتورز صالح لاميركا ») . يضاف الى ذلـــك ان هناك بداية تخطيط اعلامي : فقد ضمت معظم المشاريع الكبرى دوائر تخطيط معدة في الدرجة الاولى لدور اعلامي . اما تخطيـــط السياسة الاقتصادية فقد تحقق في « التقرير الاقتصادي » السنوي الذي يضعه الرئيس ويوضح الاهداف التي يفرضها اتفـاق الظروف (الاستخدام ، نسبة الزيادة ؛ الاسعار ، ميزان المدفوعات ...) والتي اضيفت اليها ، في وقت متـــأخر ، اهداف يفرضها نظام الدولة وتتعلق بالصحة والتربية الوطنية .

ان هذا الدور تقوم به الدولة في الحياة الاقتصادية ليس الدور الوحيد الذي رأته يتعـاظم ويتسع . فان ميزانية الدولة الاتحادية التي بلغت ٣ مليارات دولار في السنة ١٩٢٩ قد ارتفعت الى ٤٢ ملياراً في السنة ١٩٤٨ حين اخذت موازنة السلم العسكرية تتزايد تزايداً فقط ، كما ان نفقات الاتحاد العامة التي مثلت ٩,٩ بالمـــائة من الدخل القومي في السنة ١٩٢٩ ، قد مثلت ٢٥,٨ بالمائة في السنة ١٩٥٥ . وانشئت ونظمت تمالياً في السنة ١٩٤٩ هيئة موظفين ينعمون بنظام خاص . وفي هذا التاريخ ارتفع عدد الموظفين الاتحـاديين من ٥٧٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٢٩ الى اكثر من مليونين ، وجاوز مجموع العاملين في مصالح الخدمة العامة الستة ملايين . وكان لدى الدولة احتياطي مدني وعسكري من الممتلكات المنقولة يساوي اكثر من ٢٧ مليـــاراً ويشتمل على مليون وسيلة نقل واكثر من ١٠٠ مشروع صناعي وتجـــاري . فألفت « اوسع مشروع مستقل في العالم » بحسب تعبير لجنة « هوفر » .

فـلا عجب ، والحالة هذه ، اذا ما زادت سرعة التطور الذي سبقت الاشارة اليه والذي

اتجه اكثر فاكثر الى احلال العمل الاتحادي محل العمل المحلي ، واذا مـــا حل « نظام اتحادي جديد » ، يحول الولايات الاعضاء الى وكلاء تنفيذ سياسة الاتحاد ، محل النظام الاتحادي التقليدي. وقد تأيدت السلطة الاتحادية نهائياً منذ ان ابطل التفسير الثنائي للتعديل العاشر الذي سبق وغيره قرار المحكمة العليا في السنة ١٩٣٧ . وكان ان هذه الاخيرة ، التي غالباً ما تعدت صلاحياتهـا الاساسية للوقوف في وجه الكونغرس ، لم تعد منذئذ سوى محكمة تنحصر مهمتها في تأويل القوانين وابداء الرأي في مطابقتها للدستور .

امام هذا الطغيان ، اكتفى مجلسا الكونغرس بالتصويت على القوانين – الاطر ، مما افضى الى تعزيز السلطة الرئاسية المطلقة التي لم يتوفق لا حق مجلس الشيوخ بالنقض ولا الرقابة اليقظى الحد منها كما من قبل. ومن اجل مقاومة اتساع صلاحيات الرئيس هذه « ودكتاتورية » ف.د. روزفلت الذي اعيد انتخابه في السنة ١٩٤٤ للمرة الرابعة ، اقر في السنة ١٩٤٧ التعديل الذي حظر اعادة الانتخاب للمرة الثالثة والذي اصبح ساري المفعول في السنة ١٩٥١ .

نظام المجتمع : ضعف الطبقة العمالية

كانت نتيجة الازدهار العام ، على الرغم من تأخر الانتـــاج في السنة ١٩٤٩ ، والسنتين ١٩٥٣ و ١٩٥٤ ، والقوانين الاجتماعية الموروثة عن « النهج الجديد » ، ابقاء القوة الشرائية في مستوى على بعض الارتفاع . الا ان التفاوت الاجتماعي ما زال كبيراً جداً ، اذا ما اخذنا بعين الاعتبار ارتفاع الاسعار وارتفـــاع مستوى المعيشة الذي جعل دخل الـ ٣٠٠٠ دولار في السنة ١٩٥٨ مجاوراً للفقر . فان نسبة الدخول المئوية التي لم تبلغ ٢٠٠٠ دولار والتي كانت ٦٤ بالمـــائة في السنة ١٩٤١ قد هبطت في السنة ١٩٤٨ الى ٢٦٫٥ بالمائة ، والى ١٤٫٩ بالمائة في السنة ١٩٥٧ . اما الدخول التي جـــاوزت ٥٠٠٠ دولار ، والتي لم يحصلها سوى ٤ بالمائة من السكان في السنة ١٩٤١ ، فقد حصلها ٢٦٫٥ بالمائة منهم في السنة ١٩٤٨ و ٣٤ بالمائة في السنة ١٩٥٤ (٤٤ بالمائة من مجموع الدخول) . فيتضح من ثم ان عدد الفقراء الذين يحصلون اقل من ٢٠٠٠ دولار تدنى كثيراً، ولكن ارتفاع كلفـة المعيشة قد ثقلت وطأته عليهم . فان ٪ السكان قد عاشوا عند حدود الفقر ، وبقي عدد الاغنياء ضئيلاً نسبياً ؛ وما زال التفاوت كبيراً جداً في مستويات المعيشة ، على الرغم من تضاؤله منذ ١٥ سنة ، لا سيما وان معظم الدخول المتوسطة والمرتفعـة هي دخول العائـــلات التي ما كانت لتبلغ هذا المجموع لولا عمـــل عدد من اعضائها (الـ ٪) . وان الـ ٦٥ ٠٠٠ ٠٠٠ شخص الذين امتلكوا اسهم الشركات المقفلة مثلوا اقل من ٧٪ من مجموع السكان البالغين وتقاضى ربعهم اكثر من ١٠ ٠٠٠ دولار وحصّل ١ بالمائـــة منهم ٤٢ بالمائة من مجموع الرباتح . وقد يبدو ٢٫٠ – ٣٫٠ بالمائة من الاميركيين ، كحد اقصى، تقاسموا الفوائـد المالية التي وفرتها الاعمال الكبرى » (و. رايت ملز) . زد على ذلك ان تفاوت الدخول الظاهرة قـــد ازداد بفعل شتى اشكال المكافآت غير الخاضعة للضرائب او الخاضعـة لرسوم ادنى من رسوم الدخول ، ولا سيما بفعل قوائم النفقات التي يتقدم بها مسؤولو الادارات ، والفوائـــد العينية

(سيارات المشروع ، الاجازات المدفوعة ، الرحلات ، محطـــات الاستحمام ، الاشتراك في النوادي الخاصة ، شراء البنزين بموجب بطاقات) ، التي يجب ان يضاف اليهـا طريقة التمويل الذاتي ، التي انقضت ، ولا ريب في ذلك ، الرباتح المدفوعة الخاضعة للضريبة ، ولكنها اتاحت توزيع الأسهم المعفاة منها ، بصرف النظر عن التهرب من الضرائب « الذي سهّله تعقيـد غريب في التشريع ومهارة خبراء الجباية » .

كانت نتيجة كل ذلك مجتمعاً يختلف كل الاختلاف عن مجتمع اوروبا بنظامه وايديولوجيته ؛ فقد بدت القوى النقابية وكأنها تتمتع بقدرة عظيمة ، وضمت اعداداً كبرى ارتفعت من قرابة ٩ ملايين عضو الى قرابة ١٥ مليوناً . اما في الواقع فانهـا لم تضم سوى ٢٥ ٪ من العمال وكانت اعجز من ان تعادل خصومها . اجل لقد نظمت الاضرابات وفازت احياناً برفع الاجور الذي اعاد الاجور الحقيقية بعد ان كاد ارتفاع الاسعار يفقدها قيمتها ، ولكن تدخلاتها في الحيـــاة السياسية كانت متفاوتة الفعالية : ففي السنة ١٩٤٨ اوعزت النقابات بالتصويت للرئيس ترومان ؛ اما في السنة ١٩٥٢ فلم توعز بانتخاب المرشح الديموقراطي ، ولكنها بالمقابلة قامت بدور حاسم في فوز الرئيس كندي في السنة ١٩٦٠ . ويرد ذلك الى ان الحركة النقابية في هذه البلاد ، التي ليس فيها لا حزب اشتراكي (٨٠٠٠٠٠ صوت في انتخابات السنة ١٩٤٤ ، اي ١٢٥٠ بالمائة من المقترعين) ولا حزب شيوعي ، بقيت منقسمة بين اتحادين لم ينصهرا في اتحاد واحد الا في السنة ١٩٥٥ وبين النقابات المستقلة ؛ انها « حركة نقابية مصلحية » يديرها موظفون نقابيون يتقاضون اجوراً مرتفعة تشبعوا من مبادىء الحرية وبقوا اوفياء لأحلام المهاجرين الاول الذين اعتبروا الارتقـاء الاجتماعي شأناً فردياً : اعتبروا صوالح التجارة والعمل متكاملة واعتبروا التعاون بينهما ضرورياً ؛ فلم يحاولوا سوى تحقيق فوائد جزئية خاصة وبلوغ اهداف قصيرة الاجل ، بل نفروا من مبدأ الصراع الطبقي .

على ان في الولايات المتحدة طبقات ، ولكن الوعي الطبقي نادر الوجود . فان ازدهـــار البلاد العام ، ونظام التقاعد ، والتأمين على الحيـــاة الذي افاد منه اكثر من نصف الاجراء ، والتأمين ضد البطالة ، والاجازات المدفوعة ، وتحديد مدة العمل الاسبوعي بقرابة اربعين ساعة ، وقيام الاتفاقات الجماعية التي أمنت ، في العديد من المشاريع ، ضد المرض ، وحوادث العمل ، والعمليات الجراحية ، وتوفر المتاجر التعاونية ، ودور التوليد ، والمكتبات ، والمدارس احياناً ، وإقدام شركتي فورد وجنرال موتورز على تعيـــين اجر سنوي ادنى مضمون — وكان من شأن مثلهما هذا ان امتد الى مؤسسات اخرى — ، وارتفاع الاجور الذي غالباً ما عقب ارتفاع كلفة المعيشة ، واخيراً بعض التجانس في اشكال الحياة والملبس ، وفقـــدان وسائل التعبير الخاصة بالطبقة العمالية ، كل ذلك قد اسهم في خلق مناخ غير ملائم لنشوء الصراع الطبقي . ويجب ان يؤخذ بعين الاعتبار كذلك التطور الذي حدث في المجتمع الاميركي بفعل ارتفاع عدد المنتمين الى « الطبقة المتوسطة » . فان طبقة صغار اصحاب المشاريع المستقلين في حياتهم والعـــاملين

لحسابهم ، ولا سيما فئة اصحاب المشاريع الريفيين المستقلين ، قد هبطتا عددياً امام توسع حركة تجميع المشاريع ؛ وبالمقابلة احرز القطاعان الثاني (٢٦ بالمائة في السنة ١٩٥٠) والثالث (٥٧ بالمائة في السنة ١٩٥٣ مقابل ٤٠ في السنة ١٩٢٠) نجاحاً وتقدماً كبيرين . كما ان عدد المستخدمين ، والعمال الاختصاصيين واعضاء المهن الحرة ، كان آخذاً في الارتفاع بينما كان عدد العمال غير الاختصاصيين آخذاً في التدني . اجل لقد كان العديد من « ربط العنق البيضاء » اجراء ولم يفضل مستوى معيشتهم مستوى معيشة العمال ، وغالباً ما كان عملهم ، بفعل استخدام الآلات ، شبيهاً بعمل عمال المصانع ، ولكن هذه العناصر المتزايد عددها يوماً بعد يوم قد ألفت ما يشبه بورجوازية صغيرة تحرص على اعتبار نفسها متميزة عن الطبقة العمالية بذهنيتها ونوع معيشتها . لذلك فان شطراً كبيراً من البروليتاريا قد ارتبطت شخصياً بالطبقات المتوسطة ولم تصطبغ بأية صبغة من الذهنية البروليتارية ، بينما خفف ارتفاع مستوى المعيشة من حدة العداء لأصحاب الامتيازات .

على ان تصلباً لا يمكن انكاره قد حدث في موقف الطبقات الاجتماعية . فان سهولة الانتقال من طبقة الى أخرى ، التي كانت كبيرة نسبياً في اوائل القرن ، والتي اتاحت الامكانات المتشابهة بفضلها ارتقاءات كثيرة وسريعة ، قد تضاءلت تضاؤلاً كبيراً . كما ان الدرجات الوسيطة قد تكاثرت بينما تضاءلت امكانات الوصول الى المراكز القيادية . فقد احتل المزيد من الوظائف العليا في الصناعة اناس متخرجون من معاهد مهنية او معاهد هندسة او جامعات . وانتمى نصف ارباب الصناعة الى الطبقة العليا . وبلغت النسبة بين رجال السياسة اكثر من الثلث ، وبات انتقال الوظائف بالوراثة امراً كثير الوقوع يوماً بعد يوم (٥٧ بالمائة بين ارباب الصناعة ، مع العلم ان هذه النسبة اكثر ارتفاعاً في المهن الحرة) ، والارتقاء العمودي ابطأ منه في ما مضى ، والحصرت التغييرات الوظيفية في الانتقال من الدرجة الدنيا الى الدرجة العليا . ووفر الصناعيون وارباب المهن الحرة ، الذين الفوا ١٠ بالمائة من السكان ، ٧٠ بالمائة من رؤساء المشاريع . فتتضح من ثم النزعة الى تأليف طبقات مقفلة شبيهة بها في اوروبا ، على الرغم من ان الثروة ما زالت هنا ، اكثر من اوروبا ، الطابع المميز للطبقة .

امیرکا الاخرى

كان هناك من ثم اميركا محجوبة ، « اميركا الاخرى » ، التي وصفها « ميكائيل هارنغتون » والتي تمثل بين ٢٠ و ٢٥ بالمائة من السكان تقريباً. ان اميركا غير المنظورة هذه هي اميركا الفقراء الذين « لا وجه ولا صوت » لهم ، ولا ينتسبون الى اية نقابة او جمعية اخوية ، وليس لهم اية « كتلة » تدافع عنهم ، ويتجاهلهم رجال السياسة ، ويتضورون جوعاً ، ويفتقرون الى مساكن لائقة (١٢ مليون مسكن من اصل ٥٥ مليوناً اعتبرت في السنة ١٩٥٦ غير صالحة للسكنى) ، ويعيشون دون مستوى المعيشة العادي . لقد تألف هذا « العالم السفلي » من العمال الاتفاقيين ، والعمال غير الاختصاصيين ، ومهاجري الزراعة الفصليين ، و « المزارعين » الكثيرين الذين يعيشون حياة بائسة في استثمارات ضيقة جداً او ينزحون الى

المدن (١ ٥٠٠ ٠٠٠ غادروا مزارعهم في الابلاش خلال ١٠ سنوات)، وعمال بعض « المناطق المتأخرة » (عمال المناجم في الشمال الغربي الباسيفيكي ، وفرجينيا الغربية ، ومنسوتا) ، والطاعنين في السن المضطرين للاكتفاء بمساعدة اتحادية حددت ، منذ السنة ١٩٥٩ ، بـ ٧٠ دولاراً في الشهر بعد سن الـ ٦٥ ، وبعض الاقليات العنصرية : البورتوريكيين ، والمكسيكيين، والزنوج بصورة خاصة . فقد تعاطى هؤلاء الاعمال الدونية واكثر المهن قذارة واقلها دخلا ، وعاشوا في احياء مقفلة شبيهة بالاحياء اليهودية القديمة (في « هارلم » بلغت نسبة الوفيات بين الاطفال ٤٥,٣ بالمائة في السنة ١٩٥٩ ، بينما هي لم تبلغ ١٥,٤ بالمائة في اوخم احياء البيض) . فهم من يعانون من البطالة قبل غيرهم واكثر من غيرهم ، لانهم اول من يسرّحون في ظروف الازمات .

نجمت هذه البطالة عن التقدم التقني ولم تنخفض منذئذ الى اقل من ٤,٣ بالمائة (رقم السنة ١٩٥٤ الذي بات عادياً) . وفي السنة ١٩٥٨ بلغت ٥,١ بالمائة (رقم التأخر الاقتصادي في السنة ١٩٤٩) ، وفي السنة ١٩٦١ ، ٧ بالمائة . وفي اواخر السنة ١٩٦٥ انخفضت الى ٤,٤ بالمائة من مجموع اليد العاملة . فلم يحلّ « المجتمع الميسور » من ثم مسألة اشباع الحاجات الضرورية الاولية لمجموع المواطنين .

التطور الحافظ المتزايد

وهكذا تألفت طبقة موجهة ضئيلة العدد سيطرت على الحياة الاقتصادية وقامت منذ نصف قرن بدور متزايد الاهمية في ادارة البلاد السياسية . فكما قدمت الدليل على ذلك مؤلفات « و. رايت ملز » (النخبة المسيطرة) ، المحدر اوفر الاميركيين ثروة (اولئك الذين يملكون اكثر من ٣٠ مليون دولار)، بنسبة متزايدة ، من الطبقات العليا : ٦٨ ٪ في جيل السنة ١٩٥٠ ، مقابل ٥٦ ٪ في جيل السنة ١٩٢٥ و ٣٩ ٪ في جيل السنة ١٩٠٠ . وحدث الشيء نفسه في وظائف الحكومة الاتحادية الهامة : فبين الشخصيات الـ ٥١٣ التي شغلتها منذ السنة ١٧٨٩ حتى السنة ١٩٥٣ ، لاحظ ملز ان ٦٠ بالمائة المحدرا من اوفر عائلات البلاد ثروة (وهي تمثل بين ٥ و ٦ بالمائة من عدد السكان) وان ٥ بالمائة فقط المحدرا من عائلات العمال وصغار التجار والفلاحين المتواضعين . وقد تكامل امتزاج ادارة الاعمال بالادارة الحكومية تكاملاً متزايداً . ومع عودة الجمهوريين الى الحكم في السنة ١٩٥٢ تألف اكثر من نصف موظفي الادارة الاخيرة من رجال جاؤوا مباشرة من الاوساط المرتبطة شخصياً وماليا بالاعمال الكبرى واختيروا بالتعيين لا بالانتخاب ولم يسبق لهم قط ان تعاطوا السياسة . لقد اصبحت الدولة والاقتصاد ، اكثر من اي وقت مضى ، في ايدي الطبقة نفسها .

فلا عجب والحالة هذه اذا ما تعززت النزعتان الانتهازية والمحافظة واذا ما اهملت روح « النهج الجديد » او حوربت . فان المعارضة العنيدة التي صادفها ف.د. روزفلت وبعض مستشاريه لدى بعض الصوالح الكبرى والقوى المحافظة ، قد استعادت كل قوتها بعد موت

الرئيس . وتشهد المؤلفات الادبية على زوال حظوة هذه « اليسارية » التي احرزت ذاك النجاح العظيم في الثلاثينيات ؛ وهي تعكس تشوش الرأي العام امام زعزعة النظم التقليدية ؛ فحتى في الاوساط الجامعية والفكرية برزت حركة مناهضة للتقدمية عممت الرأي المضاد للمساواة الذي قال به ادباء ومؤرخون من امثال « ت.س. اليوت » و « ارنولد توينبي » ، ودلت على حنين الى حقيقة ثابتة وشغف بما هو مخالف للصواب اذاعتهما كافة وسائل التعبير : السينما ، والراديو ، والتلفزة ، والصحافة طبعاً . فنجم عن ذلك ازدراء حقيقي بالقيم الفكرية في حقل التعليم ، وحذر عميق من كل روح نقدية ورفض البحث في الآراء المقبولة . وهكذا تمادى تأثير جوهريي القرن التاسع عشر ، واولئك الذين ايدوا في العشرينيات عداء الـ « كوكلوكس كلان » لليهود والكاثوليك وتحريم تعليم فلسفة التطور ؛ واولئك الذين قاوموا النهج الجديد الذي سار عليه ف.د. روزفلت بعد السنة ١٩٣٠ ثم اصبحوا انصـــاراً نشاطاً للماكارتية و « مطاردة الساحرات » ، قبل ان يصوتوا لمصلحة « ب. غولدووتر » ويؤيدوا نشاط « جمعية جون بيرتش » . وهكذا وجد جو عزز الانتهازية كما ابان ذلـــك دافيد ريسمن (الجمهور المهمل) ، واحترام السلطات الاجتماعية ، والروح القومية ، والاعتقاد بان الطريقة الاميركية في الحيـاة اعلى شكل حضاري وبأن الذين يتجادلون فيها يكونون « غير اميركيين» اي خونة بالقوة يجب على قوى الامن مراقبتهم .

على الصعيد الداخلي ، كانت الغلبة لسياسة ثورة اجتماعية : انه انتقام ارباب الاعمال من التشريع الاجتماعي الروزفلتي الذي اقره قانون « فاغنر » في السنة ١٩٣٥ ؛ فالغي هذا القانون بمشروع قانون « هارتلي – تافت » الذي حد من ممارسة حق الاضراب في النشاطات القوميـة الصالح واعطى الرئيس حق تحريمه في الصناعات الرئيسية . ومن ظواهر هذه الحالة النفسية ، في السنة ١٩٥٢ ، اقرار قانون الهجرة (قانون ماك كارن ـ وولتر) الذي ادخـــل المزيد من الصعوبات على قوانين الهجرة السابقة ، اي على هجرة سكان اوروبا الشرقية والجنوبية . ولكن السلطات الاتحادية بذلت مجهوداً يهدف الى تحسين وضع الزنوج – الذين بـــلغ عددهم ١٧ ٣٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٥٧ – كما يدل على ذلك قرار المحكمة العليا في ١٧ ايار ١٩٥٤ الذي جعل قبول الزنوج الزامياً في كافة المدارس ، ولكنه اصطدم بمقاومة ضارية وظافرة عملياً ابداها السكان البيض في الولايات الجنوبية (قضية « لتل روك ») . بيد ان الزنوج خرجـوا من سلبيتهم ولجأوا الى المظاهرات السلمية والعصيان المدني بغية الفوز بالمساواة الممنوعة عنهم – بالرغم من ورودها في التعديل الرابع عشر للدستور – ووضع حد للتمييز العنصري في المؤسسات ووسائل النقل العامة ، والمدارس والجامعات ، والاحياء المقفلة التي يعيشون فيها . وتوصل عناد الرئيسين كنيدي وجونسون الى اقرار قانون وفر لهم ضمانات هامة لاحترام حقوقهم المدنيـــة (اب ١٩٦٥) ، ولكنه اثار موجة جديدة من اعمال العنف والتقتيل التي استهدفت القـائلين بالغاء التمييز ، وعيل في الوقت نفسه صبر الزنوج . ثم تخلي عن سياسة اللاعنف حين بدا انهـا

انتهت الى الفشل ؛ فبرزت حركة « الزنوج المسلمين » الذين قاموا بهجوم معاكس متنصلين كلياً من الثقافة الغربية اليهودية – المسيحية . وكان لهذه الحركة ، بالرغم من قلة عدد الناهضين بها ، جاذب قوي على الجماهير السوداء التي تخلت اكثر فاكثر عن انقيادها كما تشهد بذلك انفجارات الهيجان الخربة والدامية في ديترويت (١٩٤٣) وهارلم ولوس انجلوس في تموز ١٩٦٤ وآب ١٩٦٥ .

الحياة السياسية

يضاف الى ذلك ان نطاق المجادلات السياسية اصبح اكثر انحصاراً يوماً بعد يوم . فان تدخل الدولة ، وتوجيهها للحياة الاقتصادية ، ودور النقابات ، والتدابير المتخذة لتوطيد الدخول الزراعية ، اي كافة الاستحداثات التي اعتبرت ثورية في زمن النهج الجديد ، لم تكن لتثير منازعة جدية من قبل الجمهوريين منذ ان استمالوا اليهم شطراً من الطبقات المتوسطة والعمالية المتخلقة بالاخلاق البورجوازية ، وشطراً من الزنوج ايضاً . اما الحزب الديموقراطي فلم يتقدم من المنتخبين ، منذ فشله ، بأية فكرة جديدة حقاً . فكانت المسائل التي تناولتها المناقشات مسائل ظرفية : التعريفات الجمركية ، تأثير التجارة الكبرى ، مناهج السياسة الخارجية ؛ فكانت النتيجة إعادة انتخاب الرئيس ايزنهاور في السنة ١٩٥٦ بـ ٥٧,٢٨٪ من الأصوات، بينما هو لم يفز الا بـ ٥٥,٤٪ منها في السنة ١٩٥٢ .

بيد ان فوز كنيدي باكثرية ضئيلة في السنة ١٩٦٠ بدا وكأنه احدث تغييراً في حياة البلاد السياسية . فان الآمال التي بعثها اسلوب ادارته الجديد ، وتأليف وزارته التي ضمت – كما في عهد روزفلت – عدداً كبيراً من رجال الفكر واساتذة الجامعات ، وبرنامج « الحدود الجديدة » الذي انطوى على اصلاحات عميقة بغية ازالة بؤس « اميركا الاخرى » ، والحزم الذي اعتمده الرئيس في مقاومة ملوك الفولاذ والقائلين بالتمييز العنصري في الجنوب رغبة منه في الدفاع عن الزنوج ، قد زالت كلها بزواله . واذا استفاد خليفته ج. لندن جونسون من اكثرية استثنائية تشهد بوجود تيار حرية قوي بمثابة ردة فعل للتيار الفاشستي الطابع الذي تزعمه منافسه « باري غولدووتر » ، فانه قد عاد الى انتهاج سياسة محافظة في الداخل (باستثناء ما يتعلق بحقوق الزنوج) وسياسة تدخل في الخارج تعيد الى الذاكرة عهد « القضيب الطويل » .

فهل كان تجديد الحياة السياسية امراً ممكناً يا ترى ؟ ان النظام الانتخابي الذي يشوه التعبير عن الرأي ، والمؤسسات نفسها قد ساعدت بقوة على الجمود . فان عدد « كبار الناخبين » ، لا يطابق ، عند انتخاب الرئيس ، عدد الاصوات المجموعة : في السنة ١٩٣٦ جمع روزفلت ٩٨٪ من المقترعين بـ ٦٢٪ من الاصوات . وفي السنة ١٩٦٠ فاز جون كنيدي على منافسه بـ ١,٥٠ فقط من المقترعين ، باكثرية ٨٤ صوتاً من اصوات كبار الناخبين . وفي السنة ١٩٦٤ ، فاز « ج. لندن جونسون » ، باكثر من ٦٠٪ من المقترعين ، بـ ٤٨٦ صوتاً من كبار المنتخبين مقابل ٥٢ صوتاً لمنافسه . وساد انتخاب اعضاء المجالس التشريعية وانتخاب الممثلين كذلك

تباين كبير جداً: فان الاصول المحددة في السنة ١٩٢٩ تعيد آلياً توزيع المقاعد في مجلس الممثلين على الولايات بدالة التغييرات الديموغرافية الطارئة في الاحصاءات العشرية ، ولكن تقسيم الدوائر في كل ولاية — وهو من اختصاص السلطة المحلية دون غيرها — متباين جداً ومؤات — كما في اوروبا — للمناطق الريفية التي لا تقيم فيها سوى اقلية ضئيلة جداً ؛ وهكذا فان المناطق الآخذة بالاستيحاش تمتعت بنفوذ كبير جداً بالنسبة للمناطق الآهلة بالسكان (في كونكتكت تجد دائرة صغرى تضم ١٩١ شخصاً ودائرة كبرى تضم ٨١٠٠٠) . وقد استتبع تساوي عدد الشيوخ بين الولايات ، بصرف النظر عن عدد سكانها ، رجحان كفة اقل الولايات سكاناً في مجلس الشيوخ : فان آلاسكا التي لا يمثلها سوى نائب واحد تتمثل بشيخين على غرار ولاية نيفادا التي يبلغ سكانها ٢٨٥٠٠٠ نسمة ، وولاية نيويورك التي تضم ١٧ مليوناً. وفي مجلس الشيوخ كما في مجلس النواب تقوم بالدور الأساسي اللجان الدائمـــة حيث يقضي العرف بان يكون الرئيس ، الذي يتمتع بصلاحيات شبه مطلقة ، لا منتخباً من قبل زملائه ، بل اقدم عضو بين اعضاء اللجنـــة . فهو من ثم ممتنع العزل عمليـــا ومستقل عن الذين يجدد انتخابهم بعين دورة واخرى ، ويحتل المراكز الشاغرة زعمـــاء الاحزاب . فنحن من ثم امام حكم شيوخ يمارسون نفوذاً راجحـاً لانهم احرار في تعجيل المناقشات أو تأخيرها الى ما لا نهاية له . واذا مـــا اضفنا الى ذلك ان النفقات الانتخابية باهظة وتجاوز مليون دولار لمجلس الشيوخ ، لاتضحت لنا الفائدة الكبرى التي يمكن ان تجنيها من هذا الوضع الفئات النافذة التي باتت مؤسسات رسمية والتي تدافع بكافة الوسائل (الحملة الصحفية ، الافلام ، الاذاعة ، وحتى الرشوة) عن صوالح الدول الاجنبية (كتلة الصين الوطنية ، كتلة تشومبي) ، وصوالح التكتلات الاقتصادية (كتلة السكر) .

وأثر التأثير نفسه نفوذ آخر حذر الرئيس ايزنهاور مواطنيه منه في خطابـه الوداعي الذي القاه في كانون الثاني ١٩٦١ : « في مجالسنا الحكومية يجب ان نحترز من النفوذ الكبير جداً الذي يتمتع به العسكريون والصناعيون ... فيجب الا نسمح البتة لهـــذه القوة المزدوجة ان تمس حرياتنا الديموقراطية » . وجلي ان هذه الكلمات تشدّد على المكانة الكبرى التي يحتلها الجيش اليوم في بلاد لم يكن لها قبل السنة ١٩١٧ سوى نواة جيش لا اهمية لها . فـان الحرب الباردة ، وفقدان الاستقرار العالمي ، والدور النافذ الذي تقوم به الولايات المتحـدة منذ السنة ١٩٤٥ ، وتدخلاتها الكثيرة في « العالم الحر » ، وقواعدها البحرية والجوية وبعثاتها العسكرية الموزعة على كافة القارات ، ودورها البوليسي في مقاومة الشيوعية او ما يعتبر شيوعياً ، والسباق الى التسلّح النووي ، والدفاع عن المصالح الاقتصادية حيثما بدت مهددة بخطر الاصلاحات الاجتماعيـة ، كل ذلك يفسر اهمية الجيش الذي يخصّ بميزانية ضخمة يغذي قسم منها دعاوة ناشطة جداً ومتعددة الاشكال غالباً ما ترتدي طابع التخويف والوطنية المتطرفة .

يضاف الى ذلك اخيراً ان اهمية طلبيات الدولة في حياة المؤسسات الصناعية ، التي يعمـــل معظمها للدفاع الوطني ، تحمل هذه المؤسسات على التأثير على الادارة واقامة العلائـق بالسلطة العسكرية من اجل الحصول على الطلبيات ، خصوصاً بواسطة العديـد من كبار الضباط والقادة

المتقاعدين الداخلين في خدمتها ، وعلى تغذية الحملات التي تظهر اميركا وكأنها مهـــددة بخطر التخريب ، ومن ثم تغذية الروح الوطنية والوطنية المتطرفة وذهنية المحافظة السياسية .

الهبوط الاقتصادي الاخير والتوسع الجديد

هدّد هـذا الاستقرار الخطر الناجم في تموز ١٩٥٧ عن ظهور ازمة اقتصادية جديدة ، هي الثالثة واخطر ازمة منـذ السنة ١٩٤٥. فان التوسع الذي اتاح منذ السنة ١٩٥٣ ارتفاعاً متواصلاً في الدخل القومي والاموال الموظفة ، ومن ثم في الطاقة الصناعية ، قـد أفسح المكان حينذاك لركود واضح المعالم جداً عقبه تأخر بارز منذ تشرين الاول : فلم يبلغ ارتفاع الاستهلاك القومي سوى ١ بالمائة ، وهو رقم لا يوازي الحاجات الناجمة عن التزايد السنوي (الذي يبلغ ٢ ٧٠٠ ٠٠٠ شخص) في عدد السكان ، وتدنت ارباح الشركات بنسبة ٣ ـ ٤ بالمائة عنها في السنة ١٩٥٦ ، وانخفضت مبيعات المخازن الكبرى ، وتكدست المخزونات ، وانخفض معدل الانتاج الصناعي بنسبة ٩ بالمائة في كانون الثاني ١٩٥٨ عنه في كانون الثاني ١٩٥٧ ، وتواصـل الغاء الاستثمارات الزراعية الهامشية ، واستمر عدد المزارع في التـدني ؛ واخيراً ارتفع عـدد البطالين في نيسان ١٩٥٨ الى ٥ ١٩٨ ٠٠٠ ، اي ٦٫٧ بالمائة من اليد العاملة الموجودة في البلاد ، وهو رقم لم يُبلغ قط منذ ١٩٤٢ . وكانت اكثر الصناعات تأثراً بالازمة صناعة الفولاذ حيث هبطت نسبة طاقة الانتاج المستخدمة الى ٥٣ بالمائة في شهر آذار من السنة ١٩٥٨ ؛ وتأخرت كذلك تأخراً بيّناً الصناعات الكيميائية (المنتجات العجينية) وصناعات الاجهزة المنزلية الكهربائية ، وصناعـة مواد البناء ، بينما استمرت كلفة المعيشة في الارتفاع . وقد أدّت حدّة اعراض التقهقر هذه الى ظهور « شبح فقـدان الثقة الاقتصادية » ، وتطلبت عـلاج « المرسّخات الآلية » التي باتت كلاسيكية : تدخل الدولة بواسطة تعويضات البطالة ، وزيادة القروض من اجل تأمين حاجات الدفاع الوطني ، والاعمال الكبرى ، وخطط التجهيز ، والمساعدات لتشييد الابنية ...

انفرجت الازمة ، وفي السنة ١٩٦٠ ، دخلت الولايات المتحدة ، التي احرزت أقل تقدم بين الدول الصناعية الكبرى منذ السنة ١٩٥٣ ، في طور ازدهار عظيم لم تعرفه منذ السنة ١٩٢٩ . فان معدل الانتاج الصناعي الذي ارتفع بنسبة ٤٫٩ بالمائة خلال السنوات ١٩٦١ ـ ١٩٦٣ قد ارتفع الى ٧ ٪ في السنة ١٩٦٤ و٨ بالمائة في تموز ١٩٦٥ . ولم تعرف البلاد قط ، منذ ١٩٣٣ ـ ٣٧ ، فترة نمو متواصل على مثل هذا التنادي . وكان ذلك نتيجة سياسة تدخلية تمشت عليها ادارة كندي التي استهدفت النمو والمحافظة على نسبة نمو مرتفعة بتنشيط التجارة الخارجية وضمان العمل لكافة السكان . وشجّع توظيف الاموال في الصناعة بسلسلة من التـدابير المالية والنقدية وبتخفيف الضرائب ، الخ . ، في الوقت الذي زيدت فيه زيادة محسوسة المساعـدة الاقتصادية للدول غير النامية . فبلغت التجارة الخارجية في السنة ١٩٦٤ مستوى قياسياً اذ بلغ الرصيد الدائن الصافي ٧ مليـارات دولار . الا ان ميزان المدفوعات قد بقي في عجز بفعـل النفقات الحكومية والعسكرية واطراد اخراج رؤوس الاموال الخاصة الموظفة في الخارج ، ولا سيما في بلدان السوق

المشتركة (هولندا ، بلجيكا ، المانيا ، فرنسا) ؛ وهكذا فقد انشأت فروع الشركات الاميركية اكثر من ٣٠٠٠ مصنع نافست الشركات الأصلية نفسها احياناً في العالم وحتى في الولايات المتحدة . وهي الاتجاهات نحو التضخم المالي المتسببة عن ارتفاع الأجور والنفقات غير المنتجة ، « تسلح ، مكافآت تخفيض المساحات الزراعية » ، ما يهدد قيمة الدولار المعتبر اليوم ذا قيمة مرتفعة على العموم .

ما تزال الولايات المتحدة أقوى دول الكرة الارضية ولكن مركز الهيمنة الذي احتلته بعيد النصر الحليف آخذ في التضاؤل يوماً بعد يوم . فان النجاحات التقنية التي حققها الاتحاد السوفياتي قد ارغمتها منذ اليوم على إعادة النظر في سياستها الخارجية التي أمست دفاعية . واذا ما أضيفت هذه النجاحات الى تجدد بناء اوروبا الاقتصادي ، فانها تهددها – في اجل بعيد – بصعوبات شبيهة بصعوبات البلدان القديمة .

الفصل الثالث

اوروبا الغربيـة واليـابان

حين وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها ، كانت اوروبا الغربية في حالة يرثى لها . فان اقتصادها كان اكثر تلفاً وزعزعة منه بعد الحرب السابقة ، وهبط معدل الانتساج الصناعي في فرنسا وبلجيكا وهولندا الى ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ بالمائة من مستواه قبل الحرب ، وفي المانيا الغربية الى ٣٤ بالمائة . وتدنى انتاج الحبوب ، واتلف اكثر من نصف وسائل النقل او اصيب باضرار كبرى . وفي بعض المناطق عرفت اوروبا المجاعة ، وفي كل مكان تقريباً عرفت بؤساً حقيقياً . وانفدت المخزونات والمؤن . وخلال ست سنوات لم تجدد اية آلة ولم يشيد اي بناء ، بـــل على نقيض ذلك درست كافة الآلات بسرعة بينما اقفلت اسواق اوروبا التقليدية وتعودت انحـاء العالم الاخرى الاستغناء عنها . واخيراً تبدل نظام المقايضات تبدلاً عميقاً بحيث ان الدول ، التي كانت من قبل دائنات العالم ، اضطرت لتصفية اموالها في الخارج واستدانة مبالغ طائلة : لقد انتهت الى الافلاس .

قبل السنة ١٩٤٠ ، لم يكن تفوق الولايات المتحدة ساحقاً بعد ، وبالرغم من ان اوروبا لم تعد سوى المركز الصناعي الثاني في العالم ، فانها قد بقيت المركز التجاري الاول . ففي السنة ١٩٤٥ كان الانهيار كاملا في الحقل التجاري والمالي ، وعلى الرغم من اعادة بناء سريعة ، فان تأخرها سيزداد يوماً بعد يوم . ويرد ذلك في السنة ١٩٤٥ ، الى ان البيئة التـاريخية التي بنيت فيها قوتها قد تغيرت في اتجاه اكثر معاكسة لها منه بعد السنة ١٩١٨ . وليست روسيا وحدها بعد اليوم ما اخذت تتخلص من نفوذها الاقتصادي كما في اعقـاب الحرب العالمية الاولى ، فاوروبا الشرقية جمعاء وجزء من اوروبا الوسطى لم يعودا مستودعاً لحاجاتهـا من المنتجات الغذائية والمواد الاولية . ومنـذ السنة ١٩٤٩ ، اصبح الصين الشاسعة الاطراف ، والمستعمرات المتحررة ، كالهند واندونيسيا ، سياسة اقتصادية لا تهتم الا بصوالحهـا الخاصة . ولم تعد هذه البلدان مدينة لاوروبا ، لا بل رغبت كلها رغبة متزايدة الوضوح في استخدام خاماتها الخاصة وتنظيم نقلها البحري وغيره . وغالباً ما صادرت الحكومات رؤوس الاموال الاجنبية وابطلت

امتيازات المشاريع الاجنبية . وفي مناطق ما وراء البحر التي ما تزال مخضعة، وفي آسيا وحتى في افريقيا، وفي بلدان الشرق الاوسط النصف مستعمرة ، هددت الحركات القومية المكاسب التي تحققهـا اوروبا من استثمار الثروات الطبيعية . اما تفوق الولايات المتحدة الاقتصادي فقد اصبح ساحقاً .

الحاجات المتناقضة

كان لزاماً اعادة بناء كل شيء في اوروبا ؛ والحال خلفت الحرب إرثـاً ثقيـلاً تناقضت ردود فعل الرأي العام حوله تناقضاً لا شعورياً . فمن جهة اثارت وطأة الاقتصاد الموجه ، والتقنين الذي فرضه « اقتصاد الحاجة » ، استياء كبيراً لا في اوساط الصناعيين بسبب الحد من سلطتهم في عملهم وفي أوساط التجار فحسب ، بل في أوساط المستهلكين الذين تضايقوا في عاداتهم وحرموا مـا يرغبون في ابتياعه أيضـاً . فكان هناك من ثم توق شامل الى العودة الى الحرية ، والغاء الرقابات الادارية المختلفة والتحديدات . وبرزت في الوقت نفسه رغبة مماثلة في العودة الى الحرية الفردية ، الى حرية الفكر والتعبير التي عطلت في البلدان المخضعة للنازية ، والتي حددت تحديداً متبانياً في البلدان الحرة بفعل الرقابة والتشريع الحربي . فبدا النظـام الاقتصادي الحر والنظام السياسي الحر من ثم متضامنين ، ولكن الفوضى الاقتصـادية والاضطراب السياسي اللذين قادا المانيا ، قبل السنة ١٩٣٣، الى النازية وقادا الدول الحرة، بعد السنة ١٩٣٩ ، الى الهزيمة ، قد خلقا رغبة في نظام اقتصادي وسياسي لا تكون فيـه المصلحة الشخصية القاعدة السائدة ؛ واظهر اختبار الأزمة والحرب ان المنافسـة الحرة غير المحدودة والسعي وراء الكسب غالباً مـا يضران بالمصلحة الوطنية، وان قوة الدولة وحدها قادرة على استثمار كافة موارد البـلاد في سبيل المصلحة العامة ، وان هذه الاخيرة تقضي بأن تسند الى الجماعة رقابة قطاعات الاقتصاد الرئيسية . وأثارت ذكرى ضائقة العمال والفلاحين ابان الازمة الرغبة في نظام يؤمن العمل للجميع ويبعد عن الناس كابوس الخوف وعدم الاطمئنان ؛ « العمل للجميع في مجتمع حر » ، هذه كانت الصيغة الـتي توجز نظرية «بفردج» الذي أحدثت خطته ، وقد أقرهـا البرلمان البريطاني في ايام الحرب ، دوياً عميقاً جداً . وعلى الصعيد السياسي طالب كل من فكر بالاصلاحات الواجب ادخالهـا على النظام البرلماني بسلطة تنفيذية قوية قادرة على فرض الانحناء أمام المصالح الكبرى ، وباعادة تنظيم الاحزاب ، وتجديد البشر والاساليب تجديداً كاملاً .

وهكذا وجدت في البلدان المحررة حديثاً على ايدي « المقاومة » رغبات في نظـام شبيه بالاشتراكية لا يتفق كثيراً والنظـام الاقتصادي الحر ، وفي تنظيم لا تكون فيه الديموقراطية شكلية فحسب . امـا في الواقع فـيكون فشل هـذه الابتغاءات كاملاً ، لأن اعادة بناء اوروبا ستتم في اطار النظام الاقتصادي والسياسي القديم .

١ – التطور الاجتماعي

النزوحات البشرية في اوروبا

انضاف الى الدمار المادي الذي خلفته الحرب، والخسائر الفادحة بالارواح التي سببتها، مثار آخر للصعوباب، هو تجدد النزوحات البشرية التي لم تبلغ قط مثل هذا الاتساع منذ قرون العهد الميلادي الاولى ، والتي غيرت وجه اوروبا تغييراً هاماً (الشكل ٢٣) .

إبان العمليات الحربية بالذات ارغم ملايين البشر على النزوح بفعل النفي (البولونيون ، اليهود ، الاوكرانيون، الروس) ونقل اسرى الحرب والعمال للقيام بالاعمال الالزامية ، وسياسة « الارض المحرقة » واخلاء المناطق من السكان اخلاء منظماً. ومن جهة ثانية، انتهت الاتفاقات التي عقدها هتلر في السنة ١٩٣٩ مع ايطاليا والاتحاد السوفياتي الى نقل الاقليات الالمانية في التيرول والبلدان البلطيقية... الى الرايخ . ثم اقصى الالمان عن الالزاس – لورين اكثر من ١٠٠ ٠٠٠ فرنسي ، وادى دخولهم البلدان البلقانية الى فرار المديد من اليوغوسلافيين ويونانيي اقليمي مقدونيا وتراقيا الذين ضمتهما بلغاريا الى اراضيها واحلت فيهما مستعمرين بلغاريين محلهم. وفي رومانيا كذلك نزح ٢٠٠ ٠٠٠ روماني عن ترانسلفانيا الشمالية و١١٠ ٠٠٠ عن دوبرودجا الجنوبية ، بينما نزح ١٦٠ ٠٠٠ مجري عن ترانسلفانيا الجنوبية . وقد قدّر « كوليشر » باكثر من ٣٠ مليون اوروبي، يدخل في عدادهم المدنيون الفارّون امام الغزو ، عدد المنقولين والمشردين والمنفيين بين تاريخ اندلاع الحرب واوائل السنة ١٩٤٣ . وبعد ذلك جر انسحاب الجيوش الالمانية معه اللاجئين الالمان من « الشرق » ، وروسيا البيضاء ، والبلدان البلطيقية ، وبولونيا (١١٠٠ ٠٠٠) ، وبلدان جنوبي شرقي اوروبا ، لانهم كانوا يخشون انتقام الشعوب التي تسلطوا عليها واستغلوها . وقد تم الجلاء اثناء انسحاب الجيوش ، في ظروف صعبة جداً ، في الثلج والزمهرير ، سيراً على الاقدام او في شتى وسائل النقل ، صفوفاً طويلة على الطرقات . فهذا ما حدث فعلاً لـ ٣٥٠ ٠٠٠ الماني كانوا في القرم واوكرانيا واجلوا الى بولونيا الغربية وما لبثوا ان نزحوا نحو الغرب امام التقدم السوفياتي . وهذا ما حدث كذلك لـ ٢٠٠ ٠٠٠ الماني كانوا في رومانيا ، وللألمان الذين كانوا في يوغوسلافيا ، وهنغاريا ...

لم يكن النزوح بسبب الحرب من نصيب الالمان وحدهم . فان الكاريليين – ربما بلغ عددهم ٢٥٠ ٠٠٠ – الذين فروا الى فنلندا في السنة ١٩٣٩ خلال الحرب الفنلندية الاولى ، قد عادوا في السنوات ١٩٤١ – ١٩٤٣ الى كاريليا اثناء الحرب الثانية ، ثم فروا مرة اخرى في السنة ١٩٤٤ . وارغم كذلك عشرات الوف الفنلنديين والنروجيين الى الابتعاد عن ميادين المعارك في لابونيا. ولجأ اسوجيو استونيا و ٦٥ ٠٠٠ انفري الى السويد وفنلندا. واضطر كذلك الى الفرار نحو الغرب الفلاحون الاوكرانيون والروس الذين ما كانوا ليستطيعوا البقاء في مناطق الحدود ، و « المتعاونون » مع الالمان الذين خافوا من تأدية الحساب ، والرومانيون الذين استوطنوا

ترانسلستريا حديثاً ، ورومانيو بوكوفينا وبسارابيا ، وربما بلغ مجموعهم ٧٠٠ ٠٠٠ . وكذلك في الغرب دفعت الجيوش الحليفة المتقدمة امامها الألمان المقيمين في البلدان المحتلة و « التعاونيين » الفرنسيين والبلجيكيين والهولنديين ...

اوقف سيل اللاجئين الآتين من الغرب بسرعة . اما سيل اللاجئين الآتين من الشرق فلم يكن من اليسير ايقافه . فان ملايين الالمان الفارين من الشرق قد لحق بهم سيـــل آخر . وفي مؤتمر بوتسدام تخلى الحلفاء كلياً عن سياسة حماية الاقليات التي انتهجت في معاهدات ١٩١٩ — ١٩٢٠ والتي أمكن تقدير مدى فشلها . وقادهم الخوف من مطالبة ايطاليا بالاقاليم الايطاليـــة اللغة والسكان ومن انبعاث الحركة الجرمانية الشاملة الى اعتماد سياسة تقضي بان ينقل الى المانيا الالمان الموجودون في بولونيا (٣ ٥٠٠ ٠٠٠) وتشيكوسلوفاكيا (٢ ٥٠٠ ٠٠٠) والنمسا وهنغاريا . فنقل زهاء ٩ ٥٠٠ ٠٠٠ لاجيء لا موارد لهم تقريباً الى المانيا التي انخفضت مساحتها بنسبة ٢٥ بالمائة . وعقـــدت اتفاقات بـــين الاتحـــاد السوفياتي ورومانيا ويوغوسلافيـــا وتشيكوسلوكيا وهنغاريا بغية تبادل اقلياتها او اقله تسهيل عودة مواطنيها . ومن جهة ثانية احتل قرابة مليوني تشيكي وسلوفاكي الاقاليم التي غادرها الالمان . ووطنت بولونيا في الاقاليم الالمانية التي استولت عليها في الغرب ، وكانت شبه خالية من السكان ، ٣ ملايين فلاح بولوني ، بينما استقبلت اكثر من مليون بولوني من الاقاليم الواقعة الى الشرق من خط كورزون التي اصبحت سوفياتية ، وانتقل زهاء ٧٠٠ ٠٠٠ اوكراني بغية استيطان اوكرانيا .

في يوغوسلافيا غادر استريا اكثر من ١٠٠ ٠٠٠ ايطالي ، واجريت مفاوضات مع هنغاريا لتبادل السكان ؛ وبالمقابل وصل ٢٠ ٠٠٠ يوغوسلافي من مقدونيا و ١٠ ٠٠٠ من بلغاريا . وفي الاتحاد السوفياتي ، استوطن الجمهورية القومية الارمنية ٦٠ ٠٠٠ ارمني جاؤوا من مختلف انحاء الشرق الاوسط ، ولكن الـ ٤٠٠ ٠٠٠ الماني المقيمين في جمهورية الفولغا المستقلة قد نفلوا بتدبير اتخذته السلطات حرصاً منها على سلامة البلاد ، واتخذت التدابير نفسها بعد الحرب في اربع جمهوريات مستقلة تقيم فيها اقليات غير سلافية بسبب تعاونها والالمان : تتر القرم ، الكلموك ، التشنشين — انغوش ، الكبرد البلقار (وقد بلغ مجموعهم ٥٦٠ ٠٠٠ شخص تقريباً) الذين نقلوا الى آسيا الوسطى وحل محلهم فلاحون روس . وهم الفلاحون الروس كذلـك من استوطنوا الاقاليم المحتلة او المستردة في الغرب ولا سيما بروسيا الشرقية القديمة .

ارتدى معظم هذه التنقيلات ، التي ربما تناولت ٢٥ مليون شخص ، طابعاً نهاليـــاً ؛ وبدّلت تبديلاً كلياً خريطـــة توزيع الاعراق في اوروبا الوسطى والشرقية التي لم تتبدل منذ اواخر القرون الوسطى . فنقلت بعيـــداً نحو الغرب حدود استيطان السلافيين ، من روس وبولونيين ، على حساب الفنلنديين والبلطيقيين ولا سيما الالمان ، وحـــدود اليوغوسلافيين بعض الشيء على حساب الايطاليين . وكانت النتيجة ان المستعمرات الالمانية في اوروبا الشرقيـــة والجنوبية الشرقية ، التي كانت تؤلف جالية مزدهرة ونافذة من ٣ ٥٠٠ ٠٠٠ الماني بين البلطيق

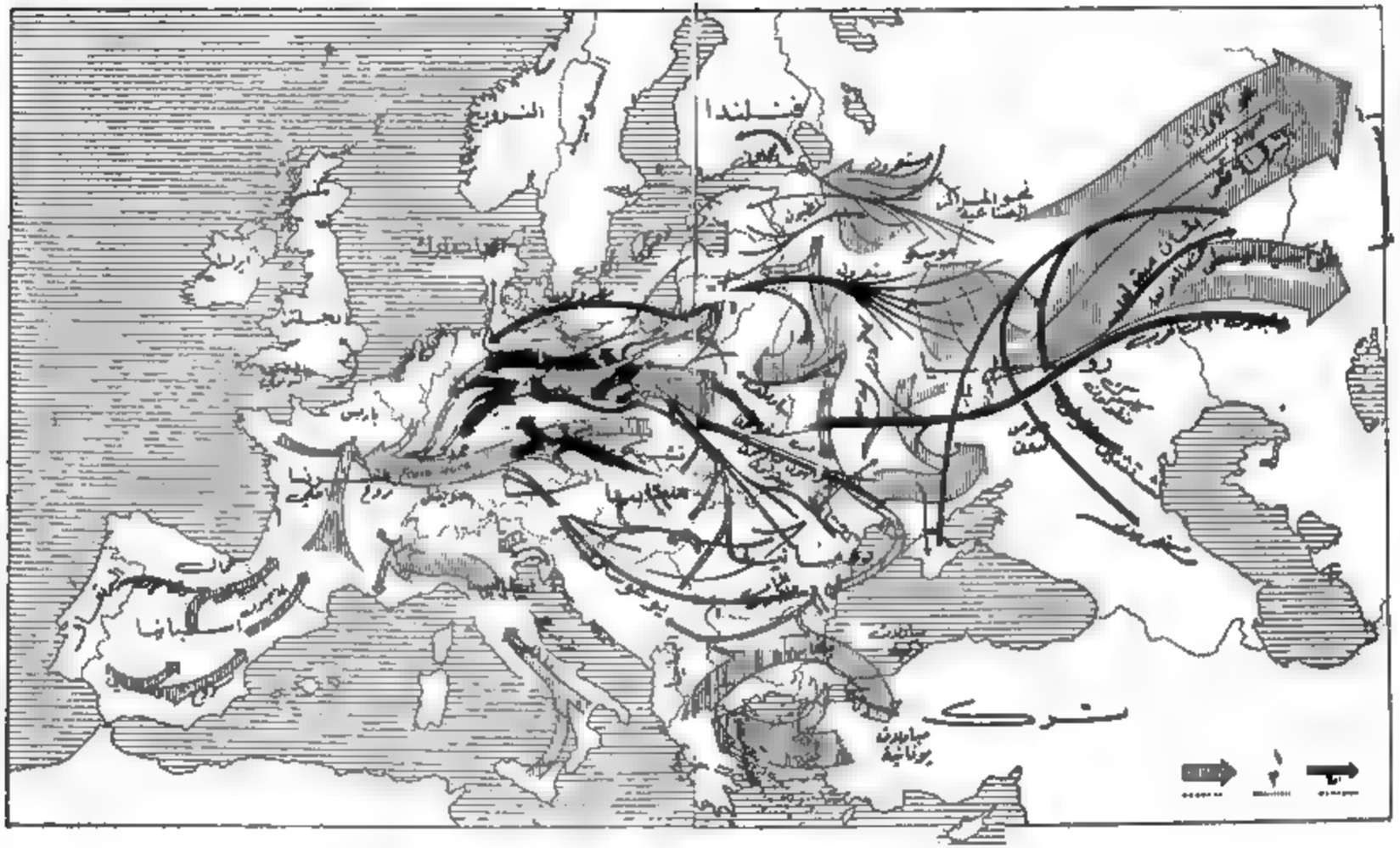

الشكل ٢٢ ـ التوسعات الأوروبية بين ١٩١٨ و ١٩٤٠

١ ـ توسعات بين الحربين العالميتين، ٢ ـ توسعات خلال وبعد الحرب العالمية الثانية، ٣ ـ حدود ١٩١٨، ٤ ـ حدود ١٩٤٦، ٥ ـ حدود بين قسمي ألمانيا.

والبحر الأسود وبين الكربات والفولغا ، والتي يعود تاريخ بعضها الى القرن الثاني عشر ، قد صفيت تصفية نهائية خلال سنوات معدودة .

تجمع العدد الأكبر من هؤلاء اللاجئين (١٠ ملايين) في المانيا الغربية ، وقد أثار وجودهم مسائل صعبة من حيث التكيف وفاقاً للبيئة الجديدة وللحياة الاقتصادية . وتوجب ان يؤخذ بعين الاعتبار كذلك اللاجئون ، او « الاشخاص المرتحلون » الذين ما زال بعضهم في النمسا وايطاليا وبريطانيا العظمى . فهؤلاء يؤلفون جمهوراً ينيف على المليون شخص نزحوا مخيرين أو مكرهين منذ السنة ١٩٣٩ : اسرى حرب لم يعودوا الى بلدانهم ، عمال مدنيون من غير الألمان ساروا على أثر الجيوش الالمانية، لاجئون من بعد الحرب، وقد جاء معظمهم من اوروبا الشرقية: بولونيون « سبق ان انخرط منهم ١٦٠٠٠٠ في جيش اندرز» ، بلطيقيون ، اوكرانيون ، يوغوسلافيون ... من المتعاونين والالمان ، او اعضاء الطبقات الحاكمة القديمة ، الذين لم يرغبوا في العودة الى بلادهم بعد ان اصبحت شيوعية ، او اليهود الخائفين من اعداء السامية ، الخ . لقد تعهدتهم منظمة الامم المتحدة التي اصطدمت بمقاومة الدول الراغبة عن قبول المهاجرين ، فشكلوا طيلة سنوات عدة عنصراً يثير القلق والارتياب في اوروبا المضطربة والمنقسمة .

مسألة الهجرة الاوروبية

لقد زالت امكانية المهاجرة . وهناك في اوروبا اربع بلدان عجزت عن تأمين المعيشة لسكانها الزائدين عن طاقتها الاسكانية: اليونان ، ايطاليا ، المانيا الغربية ، هولندا . وقد بلغ مجموع هذه الزيادة في اوروبا وحدها بين ٣ و ٤ ملايين شخص لا يجدون مكاناً لهم في اقتصاد بلادهم ويرتفع عددهم كل سنة بفعل زيادة الولادات على الوفيات. وكانت المهاجرة داخل اوروبا محدودة وغير ذات شأن . الا ان المهاجرة الى ما وراء البحار ، التي توقفت عملياً منذ السنة ١٩٣٠ ، قد استؤنفت مجدداً في السنة ١٩٤٧ . فسافر كل سنة ، بين السنة ١٩٤٧ والسنة ١٩٥١ ، زهاء ٤٦٠٠٠٠ شخص، جلهم من « الاشخاص المرتحلين » ، بفضل القانون الخاص بهؤلاء الذي سمح في السنة ١٩٤٨ بدخولهم الى الولايات المتحدة دونما تقيد بالانظمة المرعية . الا ان منظمة اللاجئين الدولية التي كانت تشرف على تسفير « اللاجئين المرتحلين » قد الغيت آنذاك ، ولم يسمح قانون ماك كارن – وولتر ، الذي عمل به في اواخر السنة ١٩٥٢ بقبول سوى ١٥٤٠٠٠ مهاجر سنوياً ، اي قرابة ٣٠٠٠٠ في السنة من البلدان الاوروبية المكتظة بالسكان ، ولكن عدد المهاجرين بلغ ٢٥٣٠٠٠ في السنة ١٩٥٨ التي انتهى فيها العمل بقانون استثنائي لمساعدة اللاجئين .

بين السنة ١٩٤٧ والسنة ١٩٥١ قبلت كندا بدخول ٧٦٠٠٠ مهاجر في السنة ، أما اوستراليا التي بدلت سياستها حيال المهاجرة تبديلاً كلياً ، فقد استقبلت ٥٣٠٠٠ مهاجر اتوا من اوروبا ، ولكن الافتقار الى الاموال والصعوبات الاقتصادية قد ادت الى تخفيض هذا العدد

منذ السنة ١٩٥٢ . ولم تستقبل منهم دول اميركا اللاتينية ، البرازيل والأرجنتين وفنزويلا والشيلي ، سوى عـدد ضئيل جداً . ففي كل مكان اصطدم اتساع الهجرة الاوروبية بعراقيل خطيرة : خوف من فقدان التوازن الاجتماعي والعنصري في بلاد المهجر ، رقابة سياسية شديدة جـداً ، تعذر استيعاب المهاجرين في المؤسسات الراهنة ، حاجة الى الاموال التي تتيح ادخالهم في اقتصاد البلدان غير النامية ، لان بلدان المهجر باتت ترغب في المتخصصين في الادارة والاعمال لا في اليد العاملة . ولم يبق هناك سوى تيار هجرة واحد ، ولكنه محدود بطبيعته الدينية ، اعني به تيـــار هجرة اليهود الى دولة اسرائيل . وربما قدر بـ٤,٥٠٠,٠٠٠ شخص عدد الذين غادروا اوروبا بين السنة ١٩٤٦ والسنة ١٩٥٢ . وبالمقابلة ادى تحرر المستعمرات الى عودة زهاء مليوني فرنسي وبلجيكي الى اوطانهم .

النظـام الاجـتماعي

كاد نظام المجتمع لم يتغير قط ، لا بل ازداد التباين بين المستفيدين من اجور ودخول محدودة ثابتة من جهة ، وبين المنتجين والمشرفين على توزيع السلع من جهة اخرى . وزاد التجمع الصناعي وتقدم التصنيع نسبياً من اهمية المشاريع التي تقدمت تقدماً كبيراً ، ولا سيما بفعل تقدم الاسعار على الاجور . ويصح هذا القول في فرنسا حيث ارتفع عدد الاجراء بعض الارتفاع ـ منتقلاً من ٦٢ الى ٦٤٪ من السكان العاملين بين ١٩٤٦ و ١٩٥٤ ـ ولكنهم تقاضوا اجوراً تمثل ابداً النصيب نفسه من الدخل القومي ، بينما ارتفعت قيمة المواد الاستهلاكية وطالت مدة العمل . اما ارتفاع الاجر الاجتماعي بالنسبة للاجر المباشر (الذي هبـــط من ٨٦٪ من المجموع في السنة ١٩٣٨ الى ٧٧٪ في السنة ١٩٥٣) فقد ادى الى توزيع اجور موافق لارباب العائلات على حساب العمال الآخرين . « تعمل الطبقة العمالية عملهـا وكأنها تعاونية كبرى معدة لان تتيح لأقل العمال حظوة تربية اولادهم » .

ويصح هذا القول كذلك في ايطاليا : امـــام طبقة غنية جداً وقليلة العدد ، يعيش جمهور الشعب حياة فقر متدنية المستوى جـــداً . فالصناعيون والملاكون العقاريون الذين أفادوا من ارتفاع الاسعار ومن التضخم ، والارستوقراطية التي ما زالت ، بفضل قاعدتها العقارية المتينة ، القوة الرئيسية في المجتمع (اذ ان العائلات النبيلة القديمـــة لم تحتفظ في اي بقعة من أوروبا ، باستثناء اسبانيا والبرتغال ، بامتيازاتها الاجتماعية والاقتصادية مثل هـذا الاحتفاظ الكـــلي) يؤلفون طبقة عليا تستفيد من نظام جبائي خفيف الوطأة جداً (لا تمثل ضريبة الدخل سوى ١١ بالمائة من المداخيل ، وهناك مجال واسع للغش). اما الطبقات المتوسطة التي افلسها التضخم المالي فقد انفقت اموالهـا المدخرة ، وسدت في وجه ابنائها سبل العمل . فهناك بطالة حاملي الشهادات لان المهن الحرة ووظائف الدولة كانت في زحمة من اهلها ، بالرغم من ضآلة الرواتب التي كانت ادنى منها في السنة ١٩٣٨ بصورة جليـة وفي المناطق الجنوبية ، عـــاش المجتمع الريفي بأجمعه ، من ملاكين صغـار (١,٥٠٠,٠٠٠ عائلة في اراض تتراوح مساحتها بين نصف هكتار و٥ هكتارات) ومزارعين وعمال زراعيين ، في جو يسيطر عليه القلق وعدم الاطمئنان .

وأتاحت سرعة ارتفاع السكان للملاكين التوفق أبداً الى استخدام عمال بأجر ادنى من الاجر القانوني. وكثيراً ما شوهد هنا اولئك« العمال» الذين ينتظرون سحابة ايام كاملة في شوارع القرية وساحتها مجيء احد المستثمرين ليختار بينهم واحداً او اثنين بسبب حاجته الى « يوم عمل » كان اجره ١٥٠ ليراً في السنة ١٩٥٤ !

كان البؤس من ثم شديداً جداً . وفي السنة ١٩٥٣ اظهر التحقيق الذي اجرته لجنة فيغورلتي البرلمانية ان مستوى معيشة ربع السكان تقريباً (١١ مليون نسمة) كان متدنيا او متدنيا جداً، اي ان نصفهم كان يعيش في الاكواخ الخشبية او المغـــاور او المرائب او السقائف ، والنصف الآخر في ابنية مكتظة بالسكان ؛ وان ٥٠٪ كانوا يرتدون الخراق والرثاث ، واكـثر من ٥٠ ٪ لم يستهلكوا الا لحومـاً ولا سكراً ولا نبيذاً ؛ وان هذه الفئة البائسة لم تؤلف سوى ٦ بالمائة من سكان ايطاليا الشمالية ،ولكنها جاوزت نصف سكان الجنوب ونصف سكان الجزر .

وفي المانيا حيث استهدفت سياسة الوزير اهرارد توظيف الاموال بفائدة مرتفعة جـــداً وتنشيط حركة الصادرات ، ابقيت الاجور متدنية جداً بحيث ان ٦٤ بالمائة من السكان تقاضوا في شهر ايار من السنة ١٩٥٠ اجراً لم يبلغ ٢٥٠ ماركاً في الشهر وتقاسموا ٣٥,٦ بالمائة من مجموع الدخل ؛ وان ١ بالمائة من العمال و ١٥ بالمائة فقط من المستخدمين تقـاضوا اكثر من ٤٠٠ مارك في الشهر ، بينما تقاسم ٢,٣ بالمائة من السكان ١٦,٥ بالمائة من مجموع الدخـــل بدخول شهرية تفوق ١٠٠٠ مارك . زد على ذلك ان المانيـا الغربية لم تعرف اي اصلاح زراعي ، اذ ان بضعة آلاف هكتار فقط قد اعيد توزيعها ، وان حل « المشاريع » الكبرى التي تتحمل قسطاً كبيراً من مسؤولية وصول هتلر الى الحكم ، لم يؤد الا الى انقـاص التجميع الصناعي العمودي . وان الرغبات المترددة في تأميم الصناعات الاساسية لمصلحة الجموع في القطاع البريطاني ، التي ابداها حزب العمال في السنة ١٩٤٥ ، قد اصطدمت بالمعارضة الاميركية . فسرعان مـا عاد المسؤولون القدماء عن الاقتصاد الى مراكزهم القيادية ، وما استعاد الملاكون القدماء ممتلكاتهم . واستؤنفت عمليتا التجميع والصهر ، ولا سيما في الصناعات الفولاذية حيث شجعتها ادارة الوحدة الاوروبية للفحم الحجري والفولاذ .

في بريطانيا العظمى ، اعتمدت سياسة اجتماعية متلاحقة تؤمن للجميع حداً ادنى من الدخل وتضمن العمل لكافة السكان وتوفر الخدمات الاجتماعية ، كخدمات الضمان الاجتماعي والادارة الصحية ، كما اعتمدت بصورة خاصة سياسة جبائية صارمة فرضت ضرائب تصاعدية على الدخول الكبرى والمتوسطة ، فأدت هاتان السياستان الى الحد من التفاوت الاجتماعي حداً اقوى منه في اي بلاد غربية كبرى .

ان دخول رأس المال الذي مثلت في السنة ١٩٣٨ ٢٢,٦ بالمائة من مجموع الدخل ، لم تعـــد لتمثل في السنة ١٩٥٠ سوى ١٤ بالمائة قبل اقتطاع اية ضريبة . وارتفعت الدخول المختلطة (اي دخول الذين يعملون ويديرون في الوقت نفسه رأسمال استثمارهم : التجارة ، المشاريع الزراعية ،

الصناعيون اليدويون ، المهن الحرة) من ١٢ الى ١٢,٣ بالمائة . اما دخول العمل ، واعني بها الاجور والمرتبات التي تضاف اليهـــا « الدخول الاجتماعية » : الضمان الاجتماعي ، التعويضات العائلية ، معاشات الشيخوخة والتعويضات عن حوادث العمل ، والمساعدات المرضية ، فقد ارتفعت من ٥٩,٧ بالمائة الى ٦٦,٧ بالمائة . فقد حدث من ثم انخفـــاض كبير في دخول رأس المال (٣٠ بالمائة) ، وزيادة في الدخول المختلطة ، وزيادة كبرى في دخول العمل (٣٦ بالمائة). فهل يعني ذلك ان الحكومة العمالية قد قامت والحالة هذه « بثورة صامتة » واعادت النظر في توزيع الدخول ؟

قطعاً لا ، اذ ان معظم الخدمات الاجتماعية المشتركة الجديدة قد امنتهـــا زيادة الضرائب المفروضة على الطبقات الفقيرة ، في حال ان الثروات الطائلة بقيت طائلة . لا بل ان جمع الاملاك في ايد قليلة العدد قد بات اكثر بروزاً منه في عهد لويد جورج الذي احتج عليه بحدة . فقد قدّر في السنة ١٩٤٧ بأن ١ بالمـــائة من السكان البالغين كانوا يملكون نصف الثروة القومية ، و ١٠ بالمائة يملكون الـ ٪ . لقد حققت حكومة العمال « الدولة المزدهرة » ، وتوفقت حسب تعبير كروسمن ، « الى تحديد المرحلة الاخيرة من مراحل قرن تخللته اصلاحات المجتمع الرأسمالي وتنظيمه ، ولكنها لم تفتح قط عهد الاشتراكية » .

انطلاقة القطاعين الثاني والثالث

ما زال التفاوت الاجتماعي بارزاً على العموم شأنـــه في العهود السالفة ، ولكن تطورات الاقتصاد استتبعت توزيع السكان توزيعاً جديداً بين مختلف قطـــاعات النشاط ، وتحول النظام الاجتماعي تحولاً تدريجياً .

منذ زمن بعيـد ، أدى اعتماد الآلات في الأرياف الى نزوح واسع مطرد السرعة الى القرى ، في البلدان القديمة التصنيع ، كالولايات المتحدة ، كما في البلدان القليلة التطور اقتصادياً ، كبلدان اوروبا الشرقية حيث كان اكتظاظ الأرياف بالسكان سبباً هاماً من اسباب البؤس الشديد . اجل لا يرد هذا النزوح الى اعتماد الآلات دون سواه ، اذ ان استثمار المستعمرات قد رحل عن الوطن الام الى المستعمرات جزءاً من انتاج المواد الغذائية او الخامات الصناعية النباتية الأصـل ، بينما جمع من المستعمرات جزء من اليد العاملة اللازمة للأعمال الشاقة ، او غير الصحيـــة ، او البالغة الصعوبة . الا ان انكماش القطاع الاول (زراعة ، احراج ، صيد) ، بحسب تصنيف « كولن كلارك » ، قد لوحظ في كافة البلدان ، بينما اتسع القطاعان الثاني (الانتاج الصناعي ، المناجم ، النقل) والثالث (كل ما تبقى) . ففي الولايات المتحدة زاد عدد المستخدمين بنسبة ٤٥٠ بالمائة بين السنة ١٩٠٠ والسنة ١٩٤٠ ، بينما لم يرتفع عدد العمال الا بنسبة ٢٧٥ بالمائة . وفي فرنسا كان هناك ١٠ مستخدمين مقابل ١٤٥ عاملاً في السنة ١٩٠٠ ، ومقابل ٧٦ في السنة ١٩٣١ ، ومقابل ٤٧ في السنة ١٩٤٨ . وهبطت نسبة السكان العاملين المستخـدمين في القطاع الاول ، بين السنة ١٩٢٠ والسنـــة ١٩٤٠ ، من ٣٦,٣ بالمائـة الى ١٧,٦ بالمـائة (وحتى الى ١٦ بالمائة في السنة

١٩٥٠) في الولايات المتحدة ؛ ومن ٦٫٨ بالمائة الى ٤٫٨ بالمائـــة في بريطانيا العظمى ؛ ومن ٤٠٫٣ بالمائة الى ٢٨٫٨ بالمائة في السويد ؛ ومن ٤١٫٥ بالمائة الى ٣٥٫٦ بالمائة في فرنسا . امـــا القطاع الثاني فقد تأخر بعض الشيء في الولايات المتحدة : ٣٣٫٤ بالمائة و٣١٫٤ بالمائة (وهبط الى ٢٦ بالمائة في السنة ١٩٥٠ ، وفي بريطانيا العظمى : ٤٥٫٧ بالمائة و٤٥٫٥ بالمائـــة ، بينما استمر في التقـــدم ببطء في البلدان التي لمـــا تصنّع سوى تصنيع محدود كالسويد (٣٠٫٨ و٣٥٫٦ بالمائة) وفرنسا (٣٠ و٣٠٫٩ بالمائة) . واما القطاع الثالث الذي استقبل كل من ليس له محل في عمل الارض او في المصنع ، فقد انتقل من ٤٠٫٣ بالمائة الى ٥١ بالمائـة (و٥٧ بالمائة في السنة ١٩٥٠) في الولايات المتحدة ، ومن ٤٥٫٧ الى ٤٩٫٧ بالمائة في بريطانيا العظمى ، ومن ٢٨٫٩ بالمائة الى ٣٥٫٦ بالمائة في السويد ، ومن ٢٨٫٥ الى ٣٣٫٥ بالمائة في فرنسا .

يرد ذلك الى ان تقنيات الانتاج تستتبع احداث وظائف عديدة ذهنية الطابع . ويشمـل هذا القطاع الثالث من جهة ثانية نشاطات عديدة منتجة بصورة غير مباشرة من حيث انهـــا تحسن ظروف العمل : التعليم ، الخدمات الطبية والاجتماعية ، الخدمات العامة ، المصارف ... او توجهها : الفنيون ، موظفو ادارة المشاريع ، وكذلك النشاطات التجارية و« الخـدمات » ، كالتمثيليات مثلاً ، وجهازاً اعلانياً موّزعاً ايضاً (غالباً ما يكون طفيلياً ، ولا سيما في فرنسا) يفرضه الانتاج الكبير ، الذي يجند لخدمة صغار التجار الكثيرين جـــداً جمهوراً من الجوّالين التجاريين والوسطاء والمعلنين . ويجب ان ندخل فيه كذلك ابنـاء الوطن الام الذين يقيمون في المستعمرات حيث يمارسون وظائف ادارية وتوجيهية .

رأت كافة البلدان من ثم اتساع قطاعها الثالث وانكماش قطاعاتهـــا المنتجة . وتوقف نمو الطبقة القروية والعمالية عددياً بينما ارتفع عدد المنتمين الى الطبقات الاجتماعية في حين انها لا تنتج انتاجاً مباشراً .

ليس من الصعب استخلاص النتائج السياسية لاتساع القطاع الثالث وانخفاض عدد عمـــال القطاع الأول انخفاضاً نسبياً. فان تحليل السلوك السياسي الذي يسلكه هؤلاء «الاطواق البيضاء» ، مستخدمين كانوا ام موظفين مرؤوسين ، يكشف الفنـاع عن طابع التناقض في ردود فعلهم : فهم بورجوازيون صغار انتهازيون يجانبون في عملهم الطبقات الموجهة التي يحلمون بالتشبه بهـا ، أو أقله تمثيل اولادهم بها ، ويقتبسون ازياءها ، ويقرأون صحفها ، وبها – أقله في المشاريـــع الخاصة – ترتبك ترقيتهم ، فيرغبون في الانضمام الى الطبقة المسيطرة ، ولكنهم في الوقت نفسه عمال مستغلون واصحاب مطالب يمكن مقارنتهم بالعمال من حيث تدني اجورهم (وهي ادنى من اجور العمال اليدويين في اغلب الاحيان) وظروف العمل التي فرضهـا عليهم اعتماد الآلات المتزايد . لقد دخلوا صفوف البروليتاريا باعداد كبيرة بفعـــل التطور الاقتصادي والتقني ، فشعروا انهم بورجوازيون صغار تارة وعمال تارة اخرى . فنحن لعمري امام بروليتاريا حقيقية ، ولكنها خلو من الوعي الطبقي ، وسريعة التأثر بسبب ضعف تربيتها السياسية وميولها الى نفوذ

الصحافة الكبرى . وهي تقوم بدور سياسي متعاظم يوماً بعد يوم وتسلك الاتجاه المحافظ نفسه الذي يسلكه الصناعيون اليدويون وصغار التجار الشاعرون شعوراً غامضاً بانهم ضحية التطوّر الاقتصادي .

٢ – التطور الاقتصادي

عرف اقتصاد « المشروع الحر » ، بصورة عامة ، منذ السنة ١٩٤٥ ، انتشاراً سريعاً تخللته بعض الازمات حدثت في السنة ١٩٤٩ حين انجزت عملية إعادة البنـــاء ، وفي السنة ١٩٥٢ – ١٩٥٣ حـــين توقف الانتاج الوفير الذي اوجبته الحرب الكورية وطرأ التأخر الاقتصادي الاميركي .

التطور العـــام

خلافاً لما حدث في القرن التاسع عشر أو في الفـترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية ، لم يعرف العالم ، منذ السنة ١٩٤٥ ، ازمات كـــبرى خانقة ذات طابع دوري . فخلال هذه السنوات العشرين تقدم الاقتصاد تقدماً متفاوت السرعة ماراً بمراحل توسع وتأخر ، على ان مراحل التـــأخر كانت « فترات توقف في الارتفاع » لا فترات هبوط حقيقية . وفي رأي « جان مارشال » ان علماء الاقتصاد يعتبرون ان الازمـــات الكبرى الشبيهة بأزمة السنة ١٩٣٠ والازمات التي تدوم ثلاث سنوات واكثر لم تعد ممكنـــة الحدوث » . ويرد ذلك الى التطور العميق الذي طرأ على الانظمة العامة للاقتصاد الغربي .

ان المحافظة على النظام العام ، والحرص على تجنب الازمات الاجتماعيـــة وتوزيع الدخل القومي على مختلف الفئات الاجتماعية ، قد فرضا على الحكومات واجب تأمين العمل والرفاهية للجميع بواسطة اقتصاد يختلف توجيهاً وتخطيطاً وينمو نمواً منتظماً . فعليها من ثم مراقبة تغير الفرص عن كثب واستخدام « المثبتات » . زد على ذلك من جهة ثانية ان ذوي العلاقة : فئات المستخدمين ، ونقابات العمال والمستخدمين ، وجمعيات المزارعين ، قد تضامنوا وألفوا تكتلات قوية النفوذ ، وبات بوسع الشركات الكبرى ، التي ألفت اتحادات واسعة ، والتجمعات الماليـة التي كانت تشرف على مشاريع كثيرة ، التأثير على الحكومـــات تأثيراً قوياً . وكان لدى المشاريع والحكومات كلها دوائر مراقبة متخصصة تحلل يوماً فيومـــاً وضع الاسواق وتراقب الميزان التجاري ، وتوجه الاقتصاد ، كما كان بمقدورها ان تلجأ على الفور الى عـدد من هـــذه المثبتات . وفي كل مكان – باستثناء المانيا الاتحادية ، حيث لم يسيطر سوى التخطيط الخاص – انتهجت التخطيط انتهاجاً متفاوتاً . فحتى في الولات المتحدة ، كما سبق ورأينا ، حيث تمتع الاحرار الجدد بنفوذ قوي وشنوا هجمات معاكسة قوية على كل تدخل ، استخدمت الحكومـة الاتحادية ، في لجنة مستشاري الرئيس الاقتصاديين ، وفي لجنة البيان الاقتصادي المختلطـة لدى الكونغرس ، خبراء كثيرين اسندت اليهم مهمة درس الفرص . واخـــذت بريطانيـا العظمى بدورها رسمياً بالتخطيط في السنة ١٩٦٥ .

في عداد هذه المثبتات يدخل تحديد القروض الممنوحة لهذا الفرع أو ذاك من فروع النشاط (هذه هي احدى وسائل محاربة التضخم المالي بتخفيضها الارباح وبارغامهـــا المستخدمين على رفض زيادات الأجور) ، وتصدير الذهب او النقود الاجنبية ، ورفع الرسوم الجمركية بغيـــة توقيف انخفاض سعر النقد الذي ينجم عن العجز في الميزان التجاري . يضاف الى ذلك تشجيع توظيف الاموال بتخفيض الضرائب ، والمحافظة على مستوى الاسعار بالمكافـــآت والتخزين ، وتحديد بعض الانتاجات ، والتأثير على التوسع اما بزيادة وامـــا بتخفيض النفقات الادارية والثقافية الرسمية والنفقات المتعلقـة بالقطاع المؤمم . واستطاعت المشاريع المجموعة من جهتها ان تقاوم الانخفاض مقاومة اجدى بانتهاج خطة آخذة بالانتشار ، اعني بها اللجوء الى ادخـار شطر هام من الارباح والى التمويل الذاتي . أما الاجراء فكانوا بمأمن نسبي من هبوط هام يطرأ على مستوى معيشتهم بفضل الفوائد التي أمنتها لهم القوانين الاجتماعية : الاجازات المدفوعة ، معاشات التقاعد ، تحديد الاجور بموجب اتفاقات جماعية ، الاجر غـــير المباشر المتقاضى عن طريق الضمان الاجتماعي والتعويضات العائلية ، وتعريفة الحد الادنى ، الخ.

استلزم هذا الجهاز المعقد عدداً كبيراً من الخبراء الاكفاء ، القادرين على ان يؤمنوا تأمينـاً فعالاً مراقبة دقيقة على مختلف فروع الاقتصاد : الاقراض ، الانتـــاج الزراعي والصناعي ، اهمية اليد العاملة نوعاً وكماً ، وضمان تنسيقها ونموهـــا المتوافق . والحال تمتع هؤلاء « الرؤساء الفنيون » ، الذين اصبح دورهم رئيسياً في المجتمع المعـــاصر ، بنفوذ عظيم (تفسره كفاءتهم وخبرتهم) على الحكومات التي اضطرت ، شاءت ام أبت ، الى العمل بآرائهم وتنفيـــذ مقرراتهم .

العوامل الجديدة

ارتدت هذه الانطلاقة طوابع جديدة ترد الى التغييرات الطارئة عـــلى التوزيع الجغرافي للمنتجات الكبرى وعلى نظام التجارة العالمية. فنحن نرى من جهة ان الدول المنتجة المواد الاولية الاساسية: (الهند، اوستراليا ، كندا ، الارجنتين) قد خفضت صادراتها لان استهلاكها قد ازداد بازدياد عدد سكانها وحاجـات تصنيعها . كما ان الدول المستوردة المواد الاولية والمواد الغذائية قد خفضت استيرادها على كل حال لانها اخذت تنشط الانتاج الداخلي ، ولان التحسينات التقنية اتاحت اما توفيرها اكثر من ذي قبل واما استخدام منتجات اخرى بديلة. ونرى من جهة ثانية ان التجارة العالمية توزعت قطاعات متباينة الحصرية : لقد حدث انفصال يكاد يكون تاماً بين البلدان الشيوعية والبلدان الرأسمالية ، بينما اصبحت المقايضات في داخل كل كتلة ناشطة جداً ؛ كما حدثت انفصالات - اقل عمقاً ، ولكنها على جانب كبير من الاهمية – بين المناطق النقدية المختلفة : مناطق الدولار ، والسترليني ، والفرنك الفرنسي والبلجيكي ، والفلورين ، والاسكودو وبلدان الاتحاد الاوروبي للمدفوعات . فتألفت ٣/ الصادرات العالمية تقريباً في السنة ١٩٥٣ من مقايضات في داخل مناطق المقايضة الثلاث الرئيسية : البلدان الشيوعية ، منطقة الدولار ، منطقة الاتحاد الاوروبي للمدفوعات ؛

وجرى ٥/١ المقايضات بين المناطق الثلاث ، ومثل الـ ٥/١ الاخير تجارة انحاء العالم الاخرى.

اعادة البناء

سهّل اعادة البناء واقع مزدوج هو ان قسماً كبيراً من الصناعة انتج قبل الحرب انتاجاً اقل من طاقتها الى حد بعيد، ولا سيما في الصناعات الثقيلة والمنجمية، وكذلك في الصناعات التي تغذي التصدير : المواد الكيميائية، الصوف، الخ.، وان الطاقة الصناعية قد ازدادت في كل مكان بين السنة ١٩٣٩ والسنة ١٩٤٥ ، حتى في المانيا حيث اقتطعت التعويضات – التي تمثل ٥٪ من طاقتها الانتاجية – من الصناعات المجهزة خير تجهيز التي لم تتضرر بفعل الغارات الجوية .

وقد جرت بأسرع مما كان منتظراً وفي وقت اقل منه بعد الحرب السابقة ، بالرغم من ان التدمير كان اكثر تخريباً وشمولاً . يضاف الى ذلك ان تحويل الصناعات الحربية قد كان ايسر مما امكن تصوره . فمنذ آخر السنة ١٩٤٨ – اي اقل من اربع سنوات بعد توقف العمليات الحربية – استطاعت اوروبا الغربية بلوغ مستوى انتاج ما قبل الحرب . وفي أواخر السنة ١٩٤٩ بلغت مستوى الصادرات نفسه .

هو تدمير ودروس معدات النقل ما اثار اكبر الصعوبات في عملية اعادة البنـاء . ففي السنة ١٩٤٧ نفسها ، ما زالت قاطرات ومقطورات السكة الحديدية ادنى عددا منها في السنة ١٩٣٩ بنسبة تتراوح بين ١٠ و ٢٥ بالمائة ، وما زال محمول الاسطول النهري سوى ٤/ محموله مـا قبل الحرب . اما خسائر الاسطول التجاري فكانت اكثر فداحة ايضاً : ٢٤ مليون طن من اصل ٤٤ ، ولم يعض منها جزئياً سوى ابتياع السفن وبناء السفن الجديدة . فان الاسطول الاوروبي قد انخفض في السنة ١٩٤٥ الى ثلثيه في السنة ١٩٣٩ . فكان من ثم على عملية اعادة البناء تحمل عبء ثقيل هو دفع اكلاف الشحن للاسطول الاميركي . واخيرا كانت الابنية الخاصة والعامة قد دمرت بنسبة ٢٠ بالمائة في المانيا ، و ٦ الى ٩ بالمائة في بلجيكا ، وهولندا، وفرنسا ، والمملكة المتحدة ، و٥ بالمائة في ايطاليا. فلا عجب من ثم اذا ما كانت آثار الحرب في هذا القطـــاع ، الذي يمثل اموالا ضخمة ، اكثر عمقاً واطول ديمومة ، لا سيما وان توقف حركة البناء ابان الحرب قد اضاف الى الخراب حاجة اخرى. فكان عدد المساكن الواجب تشييدها ٥٠ مليون مسكن، اي ١٦ بالمائة من مجموع المساكن العام .

لقد يسرت اعادة البناء القروض والهبات التي قدمتها الولايات المتحدة ولا سيما تنفيذ مشروع مارشال ، والطلب الذي اوجدته الحرب الكورية ونفقات التسلح . وقـــد اعيقت في بعض البلدان بعدم استقرار الاسعار وبالتضخم المالي الذي لم يوضـع له حد في فرنسا الا في السنة ١٩٥٢ بعد تخفيض الفرنك في السنة ١٩٤٦ والسنة ١٩٤٩ الذي رفع قيمة الدولار من ٤٣٫٦٠ في السنة ١٩٢٩ الى ١١٩٫١٠ ، ثم الى ٣٥٠ فرنكاً ، وفي ايطاليـا حيث ثبت سعر الليرة في السنة ١٩٤٧ بـ ٥٠/١ من قيمته في السنة ١٩٣٨ . وفي المانيا الغربية حيث اتاح الاصلاح النقدي للاقتصاد ان ينطلق في السنة ١٩٤٨ من اسس سليمة .

كانت اعادة البناء اكثر تباطؤاً عند المهزومين ، في المانيا واليابان اللتين ابدى المنتصرون رغبتهم في اقتلاع جذور قوتهما العسكرية . واذا كانت المشارع المعدة اثناء الحرب لجعل المانيا دولة زراعية بحتة لم تعد واردة ، فان التصميم على نزع الاسلحة منها ومن اليابان قد حمل على اقرار تخفيض طاقة انتاجها الصناعي بنسبة ٥٠ بالمـــائة من مستواها في السنة ١٩٣٨ : فليس بعد اليوم من صناعـة بتزين ومطاط تركيبي ، ومن مواد مشعة ، وقـــد خفضت الصناعة الكيمائية الاساسية الى ٤٠ بالمـــائة (من مستواها في السنة ١٩٣٦) ، وانتـــاج الفولاذ الى ٧ ٥٠٠ ٠٠٠ طن . وان معدل الانتـــاج الصناعي الذي كان ٣٣ (بالنسبة لمستواه في السنة ١٩٣٨) في السنة ١٩٤٦ ، لم يبلغ سوى ٥١ في شهر حزيران من السنة ١٩٤٨ . وفي اليابان لم يبلغ في شهر آب من السنة ١٩٤٧ سوى ٤٠٫٥ بالمـــائة من مستواه في ١٩٣٠ – ١٩٣٤ . ولكن النهضة بدأت في ١٩٤٧ – ١٩٤٨ حين قررت الولايات المتحدة تحويـــل المهزومين الى حلفاء على الاتحاد السوفياتي ودشنت « التطور العكسي » الذي اعـــاد تسلح من نزع سلاحهم واعاد لهم طاقتهم الصناعية وعززها .

تقدم الانتاج الصناعي

منذ منتصف السنة ١٩٤٠ حتى اواخر السنة ١٩٥٢ ، ادى تجدد التسلح الى ارتفاع الانتاج بسرعة ؛ ولكن الهبوط حدث منـذ السنة ١٩٥٢ ، حين اتضح ان العمليات العسكرية في كوريا سوف تبقى محدودة . الا ان الازمـــة التي حدثت في الولايات المتحدة في ١٩٥٣ – ١٩٥٤ لم تؤثر تأثيراً يذكر على الاقتصاد الاوروبي الذي دخل ، بعد السنة ١٩٥٣ ، مرحلة توسع على نطاق كبير . اما اليابان فقد بلغت منذ السنة ١٩٥١ ، بفضل الحرب الكورية ، مستوى انتاجها في السنوات ١٩٣٠ – ١٩٣٤ . فان ضعف المراقبة وسخاء الاقراض قد شجعا انتاج المواد الاستهلاكية ، ولا سيما السيارات ، وتشييد الابنية ، وتوظيف الاموال . فليس ثمة من تأخر الا في الصناعات النسجية التي تراجعت امام الخيوط الاصطناعية وامام اقفـــال الاسواق التدريجي في افريقيا والشرق الادنى حيث كانت منافسة اليابان والهند ناجحة بفعل تدني الاجور فيهما . اما زيادة الانتـــاج الصناعي والزراعي والمنجمي بين السنة ١٩٤٠ والسنة ١٩٥٤ فقد جاوزت ٤٠ بالمئة كمّاً ، وكانت منذ السنة ١٩٤٨ اسرع في اوروبا الغربية منها في الولايات المتحدة ، وانما عوض عنها جزئياً بارتفاع عدد السكان وبتباين تقدمها ، من حيث ان جزءاً كبيراً من اوروبا الحرة قـــد ضم مناطق غير نامية كايطاليا الجنوبية واسبانيا والبرتغال واليونان . يضاف الى ذلك انها اختلفت باختلاف البلدان ، فكانت اكثر تباطوءاً في فرنسا مثلاً حيث لم ترتفع بين السنة ١٩٢٩ والسنة ١٩٥٤ الا بنسبة ١٨ بالمائة ، بينما ارتفعت بنسبة ٦١ بالمائة في بريطانيا العظمى ، و ٧٠ بالمائة في ايطاليا ، و ٨٦ بالمائة في المانيا ، و ٩٩ بالمائة في هولندا (و ١١١ بالمائة في الولايات المتحدة) . وكانت نهضة المانيا الغربية سريعة جداً منذ السنة ١٩٤٨ : فان معدل انتاجها الصناعي قد انتقل من ٧٩ في هـــذا التاريخ الى ١٥٠ في السنة ١٩٥٢ والى ١٧٦ في السنة ١٩٥٤ ، كما ان نصيبها من

الانتاج الصناعي الاوروبي ، الذي كان بنسبة ٢٠ بالمائة في السنة ١٩٣٨ ؛ وهبط الى ٨ بالمائة في السنة ١٩٤٧ ، قد ارتفع في اواخر السنة ١٩٥٠ ، فاحتلت الاسواق الخارجية مرة اخرى ، وبات المارك احد اقوى نقود اوروبا. وهي الصناعات المعدنية والميكانيكية (٦٠ بالمائة) ، والصناعات الكيميائية – بما فيها مصافي البترول – ما احرزت اكبر تقـــدم وما بلغت اعلى الارقام بالنسبة لمستواها قبل الحرب ؛ وتضاعف انتاج الكهرباء خلال عشر سنوات بينما استقر انتاج الفحم الحجري وارتسم فيه اتجاه نحو التراجع .

بعد السنة ١٩٥٠ ، تواصلت انطلاقة الانتاج الصناعي بسرعة : فان معدل التقدم السنوي ، في العقد السادس ، قد اختلف في اوروبا بين ٤،٧ بالمائة في المانيا الغربية و ٥،٢ بالمائة في المملكة المتحدة ، و ٦ بالمائة في النمسا وايطاليا ، وبين ٤،٢٥ و ٥،٢٥ في سويسرا وهولندا وفرنسا ، وبين ٣ و ٣،٧٥ بالمائة في النروج والسويد والدانمارك وبلجيكا. ولكن السنة ١٩٦١ التي رأت اقتصاد الولايات المتحدة يخرج من الازمة وينطلق انطلاقة جديدة ، تشكل نهاية التقدم السريع في صناعة بلدان اوروبا الغربية . وقد اختلف التطور باختلاف البلدان : فاحتفظت المانيـــا الغربية وحدها بمعدل تقدمها المرتفع (٧ بالمائة في اوائل السنة ١٩٦٥) ، بينما لم يبلغ معـــدل تقدم فرنسا سوى ٣،٣ بالمائة فقط ، بفعل خطة الاستقرار وتحديد القروض وتجميد الاسعار . اما التقدم الايطالي فقد طرأ عليه هبوط كبير بفعل الازمة التي حدثت في اعقاب الانتخابات التي كانت نتائجها مؤاتية لـ « منفذ الى اليسار » : ارتفاع الاسعار ، تهريب رؤوس الاموال ، عجز في ميزان المدفوعات . فكان ذلك نهاية « المعجزة الايطالية » التي ترد في الدرجة الاولى الى وفرة اليد العاملة الضئيلة الاجـــور ، وكانت النهضة في السنة ١٩٦٥ بطيئة ومترددة . اما بريطانيا العظمى ، التي كانت عنصر الاختلال الرئيسي في مدفوعات اوروبا الغربيـــة ، فكان معدل الزيادة فيها ابطأ منه في كافة الدول (٢،٤٥ بالمائة) ، وميزان مدفوعاتهـــا في عجز ، ونقدها مهدداً ابداً .

يرد هذا الوضع الى تدني الطلب من خارج اوروبا ، بحيث اصبحت زيادة الاستهلاك آنئذ العامل الاول بين عوامل التقدم . ولكن العائق الرئيسي كان الحاجة الى اليد العاملة (ولا سيما المتخصصة) قبل نقصان الطاقة الانتاجية لانها هي كانت السبب الاول في ارتفاع الاجـــور والاسعار الزراعية ، الذي لم يلبث ان بلغ نسبة عالية في المانيا وايطاليا وجاوز تقدم الانتاجية الى حد بعيد . فقد صادفت في الزمن زيادة في الاحتياط النقدي ، واسهمت من ثم في زيادة التضخم . ومع ارتفاع الانتاج احرز تجمع المشاريع تقدماً سريعاً جداً ، بغية مواجهة المنافسة في الدرجة الاولى ، في البلدان التي تحققت فيها فكرة السوق المشتركة تحققاً بطيئاً . وقـــد تم التجمع عن طريق الانصهار ، وانشاء فروع مشتركة ، واقامة علائق مالية على جانب كبير من التعقيد : زهاء ٩٠٠ علاقة بين المشاريع الفرنسية المئة التي جاوز رأسمالها مليار فرنك في السنة ١٩٥٨ (تمثل ٦٠ بالمائة من امـــوال الشركات المسعرة اسهمها في المصفق والمستخدمة

٠٠٠ ٧٠٠ عـــامل) ، و ٦٧٧ بين المصارف التجارية الفرنسية الاثني عشر وحدها ... ثم اتسعت الحركة . فتحقق بين السنة ١٩٦١ والسنة ١٩٦٤ مائتا انصهار بين المشاريع الصناعية الكبرى الـ ٥٠٠ في المانيا الاتحادية .وفي السنة ١٩٦٤ حقق ٠٫٣٤ بالمائة من المشاريع (الصناعية والتجارية) الفرنسية ٥٠٫٩ بالمائة من مجموع المبيعات ودفعت ٥٤٫٩ بالمائة من الاجـــور . وبالرغم من ذلك كان التجمع في اوروبا اقل تقدماً منه في الولايات المتحدة ، اذ ان اهم مشروع الماني لم يأت في السنة ١٩٦٤ الا في المرتبة التاسعة والعشرين في لائحة المشاريع الصناعية العالمية الكبرى ، واهم مشروع ايطالي في المرتبة الثامنة والثلاثين ، واهم مشروع فرنسي في المرتبة الخمسين .

نجم عن ذلـك انخفاض سريع في عدد مشاريع الصناعة اليدوية المستقـــلة والمؤسسات الصناعية المستخدمة اقل من ٥٠ اجيراً. وفي فرنسا ،حيث نعلم ان المشاريع الصناعية والتجارية الكبرى اقل عدداً واقل شأناً منها في الولايات المتحدة او في المانيا ، لم يرتفـع ، بين احصاءي السنة ١٩٥٤ والسنة ١٩٦٢، سوى عدد المشاريع المستخدمة بين ٥٠ و٢٠٠ اجير (١٫١٥بالمائة) واكثر من ٢٠٠ اجير (١٢ بالمائة)، بينما زال من الوجود ٠٠٠ ٨٤ مشروع صناعـــة يدوية و٠٠٠ ٤٣ مؤسسة صناعية تستخدم بين اجير وعشرة اجراء .

الوضع الزراعي

كان التقدم بطيئاً بصورة عامة بعد السنة ١٩٤٩ حين بلغ الانتـــاج الزراعي مستواه قبل الحرب. فان المعدل السنوي الذي بلغ ١٠ بالمائة بين السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٩ قد هبط بعد ذلك الى ٧ بالمائة ثم الى ٢ بالمائـة (في ١٩٥٢ – ١٩٥٣) . فتكاد الزيادة توازي من ثم زيادة مجموع عـدد السكان ، بالرغم من ان المساحـــة المخصصة للانتاج الزراعي قـــد انخفضت منذ السنة ١٩٣٨ بنسبة ٢ – ٣ بالمائة . وقد اعاق تحسن الانتاج من انخفاض المساحات المزروعة بفضل استخدام المزيد من الاسمدة ومن الآلات الزراعية (جرّارة لكل ٢٠ هكتاراً من الأراضي الزراعية في المملكة المتحـــدة وسويسرا ، ولكل ١٤٠ هكتاراً في فرنسا ، و٢١٠ هكتارات في ايطاليا) ، ولكن الاموال الموظفـة في الزراعة كانت اقل شأناً الى حد بعيد من الاموال الموظفة في قطاعـــات الاقتصاد الاخرى : ٠٫٧٥ بالمائة في المملكة المتحدة، ٠٫٤٢ بالمائة في المانيا، ٠٫٣٥ بالمائة في بلجيكا، ٠٫٣٤ بالمائة في فرنسا ، ٠٫١٣ بالمائة في ايطاليا ، واستقر الانتاج في مستوى لم يتبدل تبدلاً يذكر . الا ان تنظيم الزراعة الاوروبية ، المتباين تقدماً ، غالباً ما اعاقه عجز العمال عن شراء ما يريـدون ، ووجود ملايين صغار الملاكين الذين كانت املاكهم اضيق من ان تؤمن لهم طيلة ايام السنة عمـلاً منتجاً ، والذين افتقروا الى الاموال اللازمة لتنظيم استثمارها ، فحدوا من الانتاجية والتقـدم الاجتماعي .

يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان الزراعة الغربية لم تضمن الازدهار الا لجزء من مزارعيها . فبالاضافة الى قلة العمل ، وبالتالي الى قلة الاستخدام ، اللذين ولدا بؤساً حقيقياً احياناً ، ليس

من شك في وجود املاق لا جدال فيه بين الفـــلاحين ، ناجم عن الفرق الكبير بين الدخول الزراعية والدخول الصناعية وعن انخفاض اسعار البيع بالجمـــل . ومرد ذلك الى ان نصيب الزراعة الاجمالي في البلدان الصناعية ذات الدخل القومي المتزايد ، اخذ في التدني يوماً بعد يوم (هبط من ٣٥ الى ١٢ بالمائة من الدخل القومي في فرنسا بين السنة ١٩٠٠ والسنة ١٩٦٠) ، بحيث انخفض معدل مستوى معيشة الفلاحين انخفاضـاً كبيراً بالرغم من انخفاض عـــددهم انخفاضاً كبيراً ايضاً . وقد افضى هذا الانخفاض في مستوى المعيشة بالنسبة له في المدينة الى انحدار طبقي حقيقي والى امتعاض عام سببه « شعور بالحرمان والحيف والاهمـــال وعدم الاطمئنان للغد » .

فلا عجب والحالة هذه اذا ما اتسعت حركة الهجرة الريفية : فان نسبة العمل الزراعي بين الذكور ، التي انخفضت في النصف الاول من القرن العشرين في كافة البلدان (بمعدل ٥٢ بالمائة في بلجيكا و٤٨ بالمائة في السويد، و٤٦ بالمائة في انكلترا ، و٤٠ بالمائة في سويسرا وهولندا والمانيا الغربية ، و٣٠ بالمائة في فرنسا) ، قـد استمرت في الانخفاض ، اذ ان فرنسا قد « حُرمت » بين السنة ١٩٥٤ والسنة ١٩٦٠ من اكثر من ١/٤ فلاحيهـا ، ولا تزال « تُحرم » من ٥٠٠٠٠٠ فلاح تقريباً في السنة ، كما ان المانيا الغربية «حرمت» من ١٦,٤ بالمائة ، وهولندا من ١١,٧ بالمائة ، وايطاليا من ١٠ بالمائة ، وبلجيكا من ٥ بالمائة ، الخ .

تجلى هذا الامتعاض احياناً باضطرابات وانفجارات استياء عنيفة تستهدف ارغام الدولة على التدخل لمصلحة الفلاحين الراغبين في التوصـــل الى وضع اجتماعي يعادل مستواه مستوى الفئات الحرفية الاخرى المماثلة. وبهذا الصدد شجعت الانظمة الانتخابية الغربية الدوائر الريفية، حتى القليلة السكان منها، لان وجود طبقة قروية راضية عنصر من عناصر استقرار المجتمع وديمومته. لذلك تنبهت الحكومات، بصورة عامة، الى تلبية مطاليبها : فهذه كانت الغاية في المانيا الاتحادية من « المشروع الاخضر » الذي اقر في السنة ١٩٥٥، والمشروع الاخضر الايطـــالي (١٩٦١) ، والقانون الزراعي السويسري الاساسي (١٩٥١)، وكافة التشريعات الفرنسية منذ السنة ١٩٦٤ ، الـــتي يمكن مقارنتها ، من اوجه عديدة ، بالتدابير التي سبقت الاشارة اليها في الولايات المتحدة .

في اليابان تحققت اصلاحات اقتصادية اساسية بغية جعل تنظيم الانتاج الزراعي والصناعي في متناول الجميع . وكان أهمها الاصلاح الزراعي الذي فرضته السلطات الاميركية في السنـــة ١٩٤٦ . ففي هذا التاريخ كان ٦٤٪ من سكان الأرياف يعملون في أراض مكتراة جزئياً او كلياً ويدفعون كراء يبلغ نصف المحصول او اكثر من نصفه . وكان الهدف من الاصلاح وضع حـــد لبؤس هـؤلاء المكترين باعطائه اولئـــك الذين يزرعون الارض امكـانية امتلاكها . فاضطر الملاكون الذين لا يقيمون في اراضيهم الى بيعها من الحكومة بأسعارها في السنة ١٩٣٩ ، اي ان هذه الاراضي انتقلت الى الحكومة بما يشبه المصادرة والاستملاك . ولم يسمح للفلاحين بامتلاك

اكثر من سبعة أكرات ونصف ولغير الفلاحين من اكرين ونصف ، باستثناء « هوكايـــدو » حيث سمح بامتلاك اربعة اضعاف هذه المساحات . وتمكن المكترون من الحصول على هـــذه الاراضي اما بدفع ثمنها ، واما بدفع فائدة سنويـــة توازي ٣٫٢٪ من ثمنها طيلة ٣٠ سنة . وحددت بدلات الكراء بحيث لا تجاوز ٢٥٪ من محاصيل الأرز و ١٥٪ من محاصيل الزراعات « البعلية » . وصادف تطبيق الاصلاح صعوبات كثيرة بفعل معارضة بعض الوزراء الذين عرقلوه (خصوصاً في تسجيل انتقال الملكية) ولا سيما معارضة الملاكين السابقين الذين غالباً ما اشرفوا على عمليات اللجـــان المحليـة وخوفوا المشترين . ولكن ٧٠٪ من المستثمرين الريفيين ، مقابل ٣٦٫٥٪ في السنة ١٩٤٥ ، اصبحوا منذ السنة ١٩٤٩ يملكون ٨٢٪ من الارض الزراعية مقابل ٥٤٫٢٪ . وبالرغم من هذه النتائج ، فان اكثر من ٦٠٪ من الفلاحين كانوا يستثمرون في السنة ١٩٥٦ حقولاً لا تبلغ مساحتها الـ « شو »(١٫٢٤ هكتار). ولذلك اعتمدت منذ السنة ١٩٤٩ سياسة تحديد النسل التي نجحت في تخفيض معدل الولادات(الذي كان ٣٤٫٣ بالألف في السنة ١٩٤٧)الى ١٨٫٥ بالألف في السنة ١٩٥٦ ، بينما تدنى معدل الوفيات من ١٤٫٦ الى ٨ .

اما في ايطاليا الوسطى، وخصوصاً في ايطاليا الجنوبية ، فلم يحقق اصلاح واسع بغية تسوية المسألة الزراعية ، بالرغم من استيلاء فلاحي كلابريا وصقليـــا ، في السنة ١٩٤٩ ، على املاك كبرى ، وبالرغم من الاضرابات العامة التي اعلنها العمال، الذين ينتظرون في شوارع القرى من يستخدمهم . ولم يطبق سوى قانون خاص عمل به في منطقة « سيلا » ، هو قانون « سارالشيو » الذي اتـاح استملاك ١٠٠،٠٠٠ هكتـار ، وقانون خاص آخر عمل به في صقليا . فبلغ مجموع الاراضي الموزعـة حتى هذا التاريخ ٥٠٠،٠٠٠ هكتار ، ومجموع المستفيدين من هذا التوزيع ٩٠،٠٠٠ عائلة .

الاستخدام

لم ينقطع الاستخدام عن التقـــدم ، وقد أتاح تشغيل الجماهير الغفيرة التي هاجرت الارياف الى المدن . لقد زالت آفة البطالة في البلدان الصنـاعية الكبرى باستثناء بلدان اوروبا الجنوبية. لا بل لوحظت في كثير من البلدان حاجة كبرى الى العمال الاختصاصيين . ففي ايطاليا حيث استقر عدد البطالين زمناً طويلاً حول رقم الـ ٢،٠٠٠،٠٠٠ (بطـالة كلية)، اي ١٠٪ من اليد العاملة ، وحول نسبة عائلة من البطالين الجزئيين ، هبط هذا العدد الى ١ ٧٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٦٠ والى ١،٢٠٠،٠٠٠ في السنة ١٩٦٤ . وفي المانيا الاتحادية هبط عدد البطالين من ١،٨٠٠،٠٠٠ في السنة ١٩٥١ الى ١،٣٠٠،٠٠٠ في اواخر السنة ١٩٥٤ والى الصفر منذ السنة ١٩٦٠ . لا بـــل جاءها منذ السنة ١٩٦٤ اكثر من مليون عامل اجنبي (٣٥٠،٠٠٠ ايطالي ، والعديـــد من اليونانيين والاسبان والاتراك والبرتغاليين وسكان الدول المتاخمة). ويصح هذا القول في سويسرا ايضاً حيث يوجد عامل اجنبي من كل ثلاثة (٢٧١ ٠٠٠ في السنة ١٩٥٥ و٩٠٠،٠٠٠ في السنة ١٩٦٤). لذلك باتت نسبة البطالة ضئيلة جداً: ٠٫٥٪ في المانيا، ٠٫٨٪ في هولندا ، ١٫٢ بالمائة في فرنسا، ١٫٤ بالمائة في المملكة المتحدة ، ٢٫٩ بالمائة في ايطاليا.

وبالمقابلة ارتفعت الاجور الاسمية .

الانبعـــات التجاري

استلزم الانبعاث التجاري تكيفاً جديداً عسيراً، ولكن تقدمه كان سريعاً بالرغم من العراقيل الكثيرة التي أقامتها في طريقـــه الرقابات ، والانظمة النقدية ، والتعريفات الجمركية . ففي السنة ١٩٥٥ جاوزت التجارة العالمية ، بنسبة ٥٠ بالمائة ، مستواها في السنة ١٩٤٨ (وستين بالمائة ، مستواها في السنة ١٩٣٨) . الا ان اوروبا الغربية خسرت جزءاً كبيراً من دخل الاموال الموظفة في ما وراء البحار والمقدرة في ١٩٥٠ – ١٩٥١ بـأكثر من خمسمئة مليون دولار في السنة ١٩٣٨ . وان هذا الدخل ، الذي كان يمثل ٣٢ بالمائة من حجم الصادرات في السنة ١٩٣٨ ، لم يمثل سوى ٩ بالمائة فقط في ١٩٥٠–١٩٥١ . وأضيف الى هذه الخسائر عبء تسديد الديون الجديدة المتراكمة اثناء الحرب . فحتى البلدان التي توفرت لديها اموال احتياطية بفضل صادراتها في انحاء اخرى من العالم (كبريطانيا العظمى وخصوصاً البلدان التي لم تتضرر تضرراً كبيراً من الحرب كبلجيكا وسويسرا والسويد) قـد اصطدمت بصعوبات كبرى نجمت بصورة خـاصة عن استحالة تحويل كافة النقود تقريباً ، باستثناء الدولار والفرنك السويسري .

اذن كانت مسألة سد هذا العجز الكبير في ميزان المدفوعات على جانب كبير جـــداً من الخطورة . فان اوروبا الغربية ، باستثناء ايطاليا ، لم تستفد من المساعدات المخصصة للبلدان الفقيرة ، بحيث لم تؤمن المدفوعات الا بانفاق احتياطي الذهب او الدولار ، اوبفضل القروض التي منحتها الحكومة الاميركية : اعني بها القروض المعدة لدفع قيمة « فائض» المخزونات الحربية المتروكة في اوروبا ، او ثمن السفن المعروفة بـ «سفن الحرية». والحال كانت الحاجة الى معدات التجهيز والمواد الغذائية كبيرة جداً ، والموارد اللازمة لدفع قيمة هذه الواردات المتزايدة اخذة في التنـــاقص ، وتقدم الانتاج الصناعي مؤدياً ، كما هو طبيعي ، الى انقـاص الفوائض المعدة للتصدير ؛ كما ان الاسطول التجاري قد خسر جزءاً كبيراً من محموله ، والتقنين الغذائي قد منع السيـاحة من استعادة اهميتها القديمة ، والجزء الاكبر من الأموال الموظفة في ما وراء البحار ، ولا سيما في اميركا الشمالية ، قد صفي حسابه . وهكذا كانت اوروبا الغربية ، اقله خـــلال السنوات الاولى ، مدينة للولايات المتحدة ، حتى في حقل الخدمـــات . امـا العلائق باوروبا الشرقية ، التي كانت في البدء متوقفة توقفاً تاماً ، فلم تتجدد بعد ذلك الا على نطـــاق ضيق ، بسبب الدمار الذي خلفته الحرب فيها وحاجات اعادة بناء هذه البلدان وادخـال الاصلاحات الزراعية من جهة ، واتجاه تيارات التجارة الجديدة نحو الاتحـاد السوفياتي ، من جهة ثانية . ثم كادت تنقطع انقطاعاً كلياً حين اشتدت الحرب الباردة .

« هوة الـــدولار »

وهكذا ازداد العجز في المبادلات بين اوروبا الغربية ومنطقة الدولار . فارتفع من ٧٠٠ مليون دولار في السنـة ١٩٣٨ الى ثلاثة آلاف وخمسمئة مليون في السنة ١٩٤٦ والى خمسة آلاف وسبعمئة مليون في السنة ١٩٤٨ فبلغ

خص الولايات المتحدة وحدها .

وزاد تأخر صادرات المنتجات الاساسية من بلدان ما وراء البحار من هذا الارتباط بالولايات المتحدة لان معظم الواردات الاوروبية التي حلت محلها قد ابتيعت من منطقة الدولار (٣٠ بالمائة اكثر من السنة ١٩٣٨) .

كادت الصادرات الاوروبية تتضاعف بين السنة ١٩٤٨ والسنة ١٩٥٤ ، بفضل المانيا والسويد بصورة خاصة ، ولكنها مـــا كانت لتزيل اختلال التوازن ، اذ ان اوروبا ما كانت لتستطيع زيادة وارداتها من الدولارات باستغنائها عن المنتجات الاميركية في اوروبا او في انحاء منطقـــة الدولار الاخرى . أما بريطانيا العظمى وفرنسا فقد حققت صادراتهما اعلى ارتفاع (٨٥٪ بين السنة ١٩٣٨ والسنة ١٩٥١) في منطقة الستراليني او في منطقة الفرنك اي في مستعمراتها في ما وراء البحار ؛ ولكن القضية كانت ، في الدرجة الاولى ، قضية توظيف اموال من اجل تنفيذ خطة تجهيزية او انفاق عسكري (ماليزيا ، الهند الصينية) . واذا تدنى العجز فليس ذلك بفضل الحصول على الدولارات بل بفضل القروض التي قدمتها المشاريع الخاصة والحكومة الاميركيـة والمصارف المرتبطة بها ، وبفضل ارتفاع نفقات القوات الاميركيـــة المتمركـزة في اوروبا وطلبيات بلدان ما وراء البحار . ولكن المقصود هنا هو مساعدة مرتبطـــة بالوضع السياسي والعسكري لم تفلح سوى في «اخفاء» عجز دائم بلغ زهاء ٢ ٤٠٠ مليون دولار في السنة ١٩٥٤ و ٣ ٤٠٠ مليون في السنة ١٩٥٥ . فان اطراد ارتفاع صادرات الولايات المتحدة (خصوصاً صادرات البترول والقطن في اعقاب أزمة السويس واقفال الترعة) ، وتباطؤ انتاجها الصناعي الذي خفض مشترياتها من المواد الاولية واحـــدث تدنياً جلاً في اسعارها ، ورفضها تخفيض تعريفاتها الجمركية ، قد ادت في السنة ١٩٥٧ الى انفاق كميـــات كبرى من احتياطي الذهب والدولارات في بلدان كثيرة — البلدان المنتجة الخامات والبلدان الصناعية على السواء — وزادت من عجزها التجاري وفرضت على البعض منها تدابير تقييدية واكرهتها على استدانة مبالغ باهظة من صندوق النقد الدولي . تلك هي الازمة الاميركية في السنة ١٩٥٨ التي كان اثرها على التجارة الاوروبية غير ذي شأن، وذاك هو انخفاض سعر المواد الأولية التي اتاحت وحدها للاقتصادات الاوروبية ان تجدد مخزوناتها من النقد النادر وتستعيد مكاناً اكبر في التجارة العالمية .

مشاريع توحيد اوروبا الغربية

من اجل تنظيم اقتصادات اوروبا تنظيما صوابياً ، ومن اجـل تنسيقها تنسيقاً اكثر فاعلية ، ومن اجل تأليف « قوة ثالثة تكون على قـــدر كاف من الرکانة والازدهـــار لتعيش مستقلة عن الكتلتين ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، نشأت الحركة الهادفة الى توحيد دول اوروبا غير الشيوعية . فان « حركة اوروبية » تأسست في لاهاي وترأسها و. تشرشل ول. بلوم وسباك وغاسبري اقترحت في السنة ١٩٤٨ انشاء « اتحاد اوروبي » مع جمعية استشارية تكون نواة لبرلمان الغد الاوروبي؛ الا ان المشروع أثار معارضـــة البريطانيين المتمسكين بعلائقهم بالمستملكات ولم يؤد الا الى انشاء

« مجلس اوروبا » الذي عين مركزه في ستراسبورغ ولم تتوفر له اية وسيلة عمل . ولما كانت الوحدة السياسية وحتى « الدستورية » صدمة كبرى للمشاعر القومية ولا سبيل الى تحقيقها ، فقد فكر محركوها بالتوصل الى خلق جو مؤات بتحقيق وحدة اقتصادية تضع حداً لاضطراب الاقتصاد الدولي الناجم عن نظام الحماية والاكتفاء الذاتي وعن القيود المفروضة على انتقال السلع ، والبشر (بايقاف الهجرة) ، ورؤوس الأموال . وكان المقصود جعل اوروبا « سوقاً واحدة » تمكن من توزيع العمل توزيعاً صوابياً وتوزيع الصناعات توزيعاً جديداً من شأنه تحسين الانتاجية وتوفير فوائد الانتاج الكثيف . ويفترض هذا التحول ، في كافة المناطق الموحدة ، ان تنتقل السلع واليد العاملة ورؤوس الأموال بحرية . ولكن اقتصادات اوروبا المنقسمة هذه كانت عرضة ومسرحاً للمنافسة . فان اقرار حرية التبادل بين الدول الاوروبية قد يعني بالنتيجة تقويض اقتصاد عدد كبير من الدول والمناطق . وهكذا طرحت مسألة المناطق الفقيرة التي تتمرض لان تمسي اكثر بؤساً اذا تركت الحرية لنشاطات السوق ، كما حدث في ايطاليا بعد التوحيد اذ رأى الجنوب ، وقد كان ضحية الشمال الذي يفضله تجهيزاً ، ان صناعته تقهقرت بسرعة لانها لم تعد محمية بالحواجز الجمركية . فبدون تدابير تحمي مناطق اوروبا الجنوبية التي يكثر فيها الفلاحون ، قد يزداد الفرق بين مستويات النمو الاقتصادي في المناطق الاوروبية ذات الدخل المرتفع والمناطق ذات الدخل الزهيد .

اتضح من ثم ان مشروع انشاء وحدة جمركية واسعة ، الذي حظي بعطف الاميركيين ، كان مشروعاً خيالياً ، وقد اهمل واستغيض عنه بفكرة انشاء وحدات جمركية ضيقة النطاق ، ولكن المفاوضات ، هنا ايضاً ، اظهرت صعوبات يستحيل التغلب عليها ، ولم تنته اية محاولة الى نتائج عملية ، باستثناء اختيار وحدة البنلوكس (١٩٤٨ - ١٩٤٩) « التي تعتبر نجاحاً اذا ما قورنت بالمحاولات العديدة الفاشلة في مناطق اخرى » : فقد كان انتقال اليد العاملة محدوداً جداً ، وانتقال رؤوس الأموال محصوراً جداً ، والمبادلات التجارية ، على الرغم من تزايدها ، قليلة جداً بسبب اختلاف الانظمة في البلدان الداخلة في الوحدة : زراعة بلجيكية متقدمة معدة لتغذية بلاد مصنعة واسعار مرتفعة ، وزراعة هولندية موجهة نحو التصدير . وصناعة بلجيكية تهددها المنافسة الهولندية . وخيبت الآمال كذلك الوحدة الجمركية الفرنسية الايطالية في السنة ١٩٤٩ ومحاولة الوحدة السكندينافية في السنة ١٩٥٠ .

خطة شومان ، السوق المشتركة والأوراتوم

اكتفي آنذاك بصيغة اكثر تواضعاً هي صيغة « وحدة القطاعات » ، ولا سيما القطاعين اللذين لم تؤد حرية التجارة فيهما الى نتائج ثابتة : صناعات الفحم الحجري والفولاذ (خطة شومان ، في شهر ايار ١٩٥٠) ، والزراعة . فقد أسست خطة شومان « وحدة الفحم الحجري والفولاذ » وانطوت على مقاصد سياسية بعيدة اذ كان مفروضاً فيها ان تهيء لاتفاق فرنسي الماني يكون بمثابة خطوة اولى نحو اوروبا موحدة سياسياً ؛ وقد استهدفت بادىء ذي بدء ايجاد تضامن

اقتصادي فرنسي الماني يجمعها في وحدة اوسع نطاقاً الدول التي تتجمع فيها صناعـــات الفحم الحجري (الفرنسية والبلجيكية والالمانية واللوكسمبورغية) في رقعة ضيقة نسبياً ، والتي تحول فيها عوائق الحدود دون استخدام الموارد الطبيعية استخداماً صوابياً . فانخرطت فيهـا من ثم المانيا وفرنسا وايطاليا والبنلوكس؛ اما بريطانيا العظمى فقد اعرضت طوعاً عن الانخراط فيها.

أسندت الى « سلطة عليا » الصلاحيات الضرورية لتنظيم السوق المشتركة والاشراف عليها ، وتنسيق توظيف الأموال ، وتمويل او ضمان المشاريع المرغوب فيها ، والحؤول دون قيـــام اتحادات مهنية او اية اتفاقات اخرى احتكارية الطابع ، ومن جهة ثانية ، لاتخاذ التدابير المجدية في حال ازمة او حاجة .

في الحقل الزراعي ، اصطدمت شتى خطط « الاتحاد الاخضر » التي حاولت توحيد اسواق اوروبا الغربية توحيداً تدريجياً ، فيما يتعلق بعدد من المحاصيل الزراعية، بصعوبات كبرى مختلفة، اذ ان الحكومات كانت كثيرة الاهتمام بان تضمن لطبقة فلاحيها دخلاً ثابتاً كافيـــاً لم تتخل ، حفاظاً عليه ، عن جزء من مهامها لمصلحة جهاز دولي .

خطيت الخطوة الحاسمة في شهر آذار من السنة ١٩٥٧ حين وقعت في روما المعاهـدات التي انشأت الـ « اوراتوم » (من اجل اشتراك الاعضاء في مصادر الطاقة النووية) ولا سيما « الوحدة الاقتصادية الاوروبية » او « السوق المشتركة » التي تخطت الوحدة الجزئية التي حققتهـا وحدة الفحم الحجري والفولاذ . وكانت الغاية من السوق المشتركة التوصل ، خلال ١٢ او ١٥ سنة ، الى إقامة وحدة جمركية مع تعريفة خارجية واحدة وحرية انتقال كاملة ، داخل الوحـــدة ، للاشخاص ورؤوس الأموال والخدمات ؛ وسن قوانين وانظمـــة تتوافق والسياسات التجارية الموحدة تدريجياً . وقد سبق لوحـــدة الفحم الحجري والفولاذ ان اظهرت في نطاقها الخاص الفوائد الجلى الناجمة عن انشاء نطاق اقتصادي واسع : الملاءمة بين التعريفات الجمركية وظروف النقل ، تنظيم العمـــل الصناعي ، تأسيس شركات كبرى (عن طريق الصهر) قادرة وحدها على جمع رؤوس الاموال الضخمة التي تستلزمها معـــدات واجهزة متقنة ، تنسيق السياسات التجارية . الا ان التقسيم الدولي للعمل لما يكن متقدماً .

اصبحت الوحدة الاقتصادية الاوروبية سارية المفعول في السنة ١٩٥٩ ، بعـد ان اصبحت العملات الاوروبية الرئيسية قابلة التحويل ، وبعـــد ان اطلقت حرية (٤٠ الى ٩٠ ٪ من) المبادلات الاوروبية الداخلية . وفي الوقت نفسه دشن مؤتمر بروكسل مرحلة ثانية بتبني ميثاق زراعي كان منطلقاً لمفاوضات طويلة معدّة لان تنسق اوضاعا مختلفة كل الاختـــلاف (كانت الاسعار الزراعية الالمانية اعلى من الاسعار الفرنسية بنسبة ٢٥ ٪ ، وقد احتلت فرنسا مركزاً مسيطراً بعد ان بانت مصدّرة كبرى للمحاصيل الزراعية، الخ.) .وانضمت الى السوق المشتركة اخيراً اليونان وتركيا و١٨ جمهورية افريقية ومدغاشية . اما بريطانيا العظمى التي لم تبال بكـل هذه المساعي ، ولم تؤمن بان الوحدة الاقتصادية الاوروبية سوف تعرف البقاء ، واعاقها « ثقل

امبراطوريتها » ، قد انشأت في السنة ١٩٥٩ ، في وجه الوحدة الاقتصادية الاوروبية (اوروبا الدول الست) ، جمعية اوروبية للمبادلة الحرة ، او « اوروبا الدول السبع » (مـــع السويد والنرويج والدانمارك والبرتغال وسويسرا والنمسا) التي لم توجد سوى مجرد تعاون جمركي .

في اواخر السنة ١٩٦٢ برزت فوائد السوق المشتركة بارتفاع في المبادلات بين الدول الست بنسبة ٩٣ بالمائة خلال خمس سنوات ، وتقدم صناعي كبير ، وتدني البطـــالة ، ان لم يكن زوالها كليا . الا ان الصعوبات المتكاثرة كادت توقف تطور المؤسسة . ويرد ذلك الى ان اوروبا مقتصرة على الدول الست ، تكون منطقة الرور قطبهـــا الرئيسي ، بعثت الخوف من ان توفر الوحدة الناجزة لالمانيا الاتحادية مركزاً مهيمناً في اوروبا الغربية ، لا سيما وان التوحيد الاقتصادي يستتبع حتما قيام سلطة سياسية تتقـدم كافة الحكومات في الدول الموحدة ، كما هو « منطق الاحداث » (ج ويلر) ؛ هذا كان موقف الذين قالوا غير ما قـاله الجنرال ديغول ومشايعوه : « اوروبا الاوطان » . وكان من شأن انضمام بريطانيـا العظمى الى السوق المشتركة ان يعيـد التوازن ، او اقله التوازن السياسي ، ولكن هذا الحل قد طرح جانبا بمعارضة رئيس الحكومة الفرنسية طلب الانضمام الذي تقدمت به (كانون الثاني ١٩٦٣) . واخيراً انتهت المفاوضات بين الدول الست من اجل تنظيم تحويل السياسة الزراعية المشتركة الى الفشل (تموز ١٩٦٥) ، بينما كانت تعدّ معارك جديدة حول « جولة كندي » ، اي مفاوضات من اجل تخفيف الحواجز الجمركية الذي اقترحته الولايات المتحدة . فقد أقر الكونغرس بالفعل مشروع « قانون التوسع التجاري » الذي اعطى الرئيس صلاحيات واسعة للتفاوض في موضوع تخفيض التعريفات . ويبدو اليوم تخلي الولايات المتحدة عن مذهب حماية الصناعة ، اذا ما اخذنا بعين الاعتبار تفوق صناعاتها والوسائل المالية المتوفرة لديها ، غير متفق والغاية التي نشدها مؤسـو السوق المشتركة : ايجـاد « قوة اقتصادية ثالثة » مستقلة عن « الكبيرين » .

٣ – تراجع الديموقراطية الكلاسيكية

في السنة ١٩٤٥ ، خرج المبدأ الديموقراطي ظافراً من الصراع ضد الانظمـة « الفاشستية » في المانيا وايطاليا واليابان . فلم تثبت الفكرة الديموقراطية قوتها الاشعاعية فحسب باجتذابها المزيد من الدول ، بل اثبتت الانظمة الديموقراطية فعاليتها وتفوقها عملياً حتى في النطاق الذي بدا فيه خصومها على خير استعداد ، اي في نطاق تسيير الحرب . ففي كافـــة بلدان العالم – باستثناء اسبانيـــا والبرتغال والارجنتين – تسلّمت الاحزاب الديموقراطية السلطة ووضعت خططاً لإصلاحات معدّة لتجديد اصول الدولة وتقنينها ولتحديد حقوق الانسان الاجتماعيـة . الا ان تحالف المقاومين قد اضطر الى مماشاة اكثر اعضائه اعتـــدالاً ، فلم تتناول الاصلاحات المحققة من ثم سوى المؤسسات السياسية العليا ، دون ان تحدث اي تبديل في المؤسـسات الاجتماعية الدنيا ؛ واقرت دساتير جديدة ، ولكن السلطة بقيت في ايدي الطبقات الحاكمة القديمة .

بيد ان خطط الاصلاحات العميقة هذه ، الهادفة الى وضع حدّ للتناقض المتمثل « بمجتمع متسار قانوناً وسياسياً ، ومتسلسل السلطات اقتصادياً واجتماعياً » ، قد اثارت لدى الطبقات الحاكمة ارتيابات زاد من شدتها ان تعاظم قوة الاتحاد السوفياتي وقيام الديموقراطيات الشعبية قد جسّما خطر نفوذ الشيوعية على الطبقات العمالية التي كانت الضحايا الرئيسية للحرب والاحتلال. وبدا زوال الفاشستية ، التي اعتبرها شطر كبير من البورجوازية ، قبل الحرب وخلالها ، اضمن خط دفاع ضد اخطار انتشار البلشفية ، وكأنه ترك هذه البورجوازية دون دفاع . وامام سيل المطالبات الاجتماعية واخطار التأميم بالجملة ، اعيت الحيلة الطبقات الحاكمة ، فأعربت بمزيد من القوة ، خلال سنوات ما بعد الحرب ، عن ميولها المحافظة والتسلطية وعدائها للحركات التقدمية والشيوعية . وقد شجعها في هذا التصلب الدعم الذي جاءها من الحكومات الانكلو ساكسونية التي انتهجت على الدوام نهجاً محافظاً جداً : دعم حتى الساعة الاخيرة الملكية التي اعتبرت عنصر استقرار في ايطاليا ويوغوسلافيا ، اعادة الملكية الى اليونان ، مراعاة ورعاية للدكتاتوريات الاخيرة التي عرفت البقاء في اوروبا الغربية (البرتغال ، اسبانيا) ، مساعدة وتشجيع للأحزاب المحافظة في كافة البلدان بوجه عام .

الدساتير الجديدة

باستثناء بلجيكا ، وهولندا ، والنرويج ، والسويد ، والمملكة المتحدة (حيث خفض مفعول حق النقض في مجلس اللوردات من سنتين الى سنة) ، عدّلت كافة مؤسسات دول اوروبا الغربية الحرة في السنوات التي عقبت الحرب . فان الدساتير السارية المفعول بعد السنة ١٩١٩ والممارسة الدستورية في كافة الدول الاوروبية قد اتجهت الى جعل النظام البرلماني نظاماً « صوابياً » يعين شروط الاستقرار الحكومي . الا انه في كل البلدان – باستثناء انكلترا – تلاشى او تفكك بفعل الازمة ، « موهناً بدسائس متوسطي الذكاء ومؤامرات المفسدين » ؛ ولذلك اعد كافة وطنيي البلدان المشتركة في المقاومة مشاريع عدّة انطوت كلها على الفكرة المشتركة التالية :

« تكوين طبقة حاكمة جديدة ، وحكام جدد ، يحلون محل الطبقات التي اتضحت دونيتها وعدم جدارتها في تسيير الشؤون قبل السنة ١٩٣٩ ، والتي اقدم شطر كبير منها على مماشاة الحكومات التي تعاونت والنازية . لقد اجمعت الآراء على الاحتفاظ بالمبدأ الانتخابي والتصويت العام ، ولكن الكثيرين ميزوا بين الديموقراطية والنظام البرلماني ... فالنظام البرلماني ليس الشكل الوحيد والمانع والضروري للديموقراطية ... ليست هاتان الكلمتان ، بأي شكل ، متعادلتين او متماثلتين » (ليون بلوم).

ان النظام الذي مكّن عندهم كان نظاماً على الطريقة الاميركية يضمن للسلطة التنفيذية صلاحية واسعة ومستقلة . ولذلك فان النصوص الاساسية التي تضمنتها الدساتير الجديدة (فرنسا ، ١٩٤٦ ، ايطاليا ، ١٩٤٨ ؛ المانيا الاتحادية ، ١٩٤٩) قد جعلت المؤسسات اكثر فعالية رغبة من واضعيها ، كما اعتقدوا ، في ضمان الاستقرار الحكومي لمدة معينة وتعزيز سلطة رئيس الحكومة الذي هو رئيس الاكثرية ايضاً . وسهّلت هذه النصوص ممارسة حق حل المجلس

ووضعت اصولاً استهدفت الحدّ من الازمات الوزارية (في فرنسا : تولية رئيس مجلس الوزراء بالاقتراع العلني والاكثرية المطلقة ، احتمال الحل اذا حدثت ازمتـان خلال ١٨ شهراً) . وفي ايطاليا ، اقتضى التصويت على اقتراح بعدم الثقة ، ان يحمل الاقتراح تواقيع عشر اعضاء المجلس وان لا يطرح الاقتراح على المناقشة قبل انقضاء ثلاثة ايام على تقديمه ؛ وفي المانيا الاتحادية ، لا تُسقِط الوزارة سوى اكثرية « بناءة » : « لا يحق للمجلس الاتحادي ان يعبر عن عدم ثقتـــه بالمستشار الاتحـــادي الا بانتخاب خليفته بأكثرية الاعضاء وبدعوة رئيس الاتحاد الى اعفاء المستشار الاتحادي من مهامه » ... « ويجب ان تمر ٤٨ ساعة بين تقـــديم الاقتراح بعدم الثقة والتصويت عليه » . وباستثناء المانيا الاتحادية اتضح في كافة البلدان ان هذه النصوص لم تكن ذات فعالية كبرى .

اتساع دور الدولة في الحقل الاقتصادي

اتسعت مهام الدولة في كافة الحقول . ففي السنوات التي عقبت التحرير ، سنّت قوانين اقتصادية توجيهية كثيرة دونها سياسة التدخل في سنوات الازمة . وليس المقصود هنا التدابير المؤقتة التي استلزمتها مرحلة العوز والحاجة ، كالابقاء على التقنين الغذائي ، وتوزيع المواد الاولية ، وتحديد الاسعار ورقابتها ، ورقابة التجارة الخارجية وحركات النقود النادرة ، وتنظيم الاجور ، حتى ولا تدخل السلطات العامة بغية « اعادة النظام الى الاجور » اي بغية تنظيم ارتفاعهـــا (ارتفعت سبع مرات في فرنسا بين السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٨) ، بل تدابير هـامة جديدة ونهائية كالتأميم واعداد الخطط الاقتصادية .

هكذا ولدت اشكال جديدة للملكية العامة اقامت في البلدان الغربية نظام اقتصاد مختلط حيث شوهدت مؤسسات غير مؤممة تستثمر قطاعاً هاماً من النشاط الاقتصادي غير الخاضع للملكية الخاصة . هذه هي حال « التعاونيات العامة » البريطانية (الفحم الحجري ، الكهرباء ، وسائل النقل العام ، الغاز) و« المؤسسات العـــامة الاقتصادية » الايطالية : « ادارة المعادن الايطالية » و« ادارة الهدروكاربور الايطالية » التي اسسها انريكو ماتيي ، ومصرف ايطاليا ، والمعهد الوطني لاعادة بناء الصناعة ، الذي احتـــل المرتبة الرابعة بين المؤسسات الاوروبية الكبرى واشرف على قطاعات واسعة من الاقتصاد الوطني (نقل الركاب، بناء السفن، الصناعات الميكانيكية ، الفولاذ ، اربعة مصارف كبرى ، « البطاليا »، شركة « اوتوستراده » ، الاذاعة ، الخ .) وشطر كبير من صناعة الفولاذ في النمسا ، و « كهرباء وغاز فرنسا » ومصانع رينو في فرنسا ، ومصانع آردال للالومينيوم و « موراي – رانا » للصب في النرويج ... فقد خضعت كافة هذه المؤسسات لانظمة خاصة ، وتمتعت بالاستقلال المالي ، وكانت لها موازنات مماثـــلة لموازنات المشاريع الخاصة ، ونجت ، اقله نظرياً ، من التدخل الحكومي .

التأميمات

ادى عجز الاقتصاد الرأسمالي عن التغلب على الأزمة والبطالة وعن اعداد الحرب اعداداً فعالا ، ومن ثم عن صيانة الاستقلال الوطني ، والنمو العظيم في الانتاج الذي حققه الاقتصاد البريطاني المراقب خلال الحرب ، على نقيض ركوده قبل الحرب ، الى القناعة بان اعادة البناء بعـــد الحرب وتحويل الصناعات الى اقتصاد ايام السلم لا يمكن ان يتركا للمبادرة الخاصة ، وبأنها يجب ان يخضعا لتخطيط الدولة وتوجيهها اقـــله في القطاعات الرئيسية .

وكانت هنالك بواعث اخرى قامت بدورها ايضاً : كالموقف الذي وقفه في البلدان المحتـلة عدد كبير من اعضاء الطبقات الحاكمة الذين تعاونوا مع المحتلين وعملوا في خدمة آلتهم الحربية ، فنقلت مصانعهم الى اسم الدولة واشرك العمال في ادارتهـا . يضاف الى ذلـــك ان الالمان اسهموا خلال الاحتلال في مشاريع كثيرة واشرفوا على معظم المشاريع الكبرى ؛ فاصبحت هذه الملكيات الالمانية ، بعد التحرير ، املاك دولة ايضاً ؛ وهكذا تحقق تأميم قطاع هام .

واخيراً بدا من الضروري ضمان ادارة اكثر فعالية منها في السابق . وكان ذلك باعث تأميم الصناعات القديمة المتقهقرة كصناعات الفحم الحجري البريطانية حيث برهنت الملكية الخاصة عن عجزها عن توظيف الاموال اللازمة وتحقيق اعادة التنظيم الضرورية لزيادة الانتاج . وهي الرغبة في تنظيم ادارتها ما حمل على تأميم المصارف الفرنسية الكبرى التي تكثرت في ادارتها الوظائف المزدوجة ، وما حملت على تأسيس مثل « معهـــد الصناعة الوطني » في اسبانيا و « المعهد الوطني لانماء الصناعة » في ايطاليا اللذين اسهما إسهامات واسعة في عدد من المشاريع .

يجب اخيراً ان نضيف الى ذلك الاقتناع بخطر الاحتكار الخاص بسبب التجاوزات التي قد تنجم عن اثره السياسي . ففي بريطانيا العظمى ، ولا سيما في فرنسا ، مـــا زال الناس يتذكرون السنوات الاخيرة التي نجحت الرأسمالية المالية فيها في احباط محاولات الاصلاحات الاجتماعية التي قامت بها الحكومات اليسارية ؛ وهو هذا العداء للاحتكارات ما دفع الى تأميم السكك الحديدية البريطانية وشركات الضمان والمصارف الكبرى في فرنسا ، والخدمات العامة (غاز ، كهرباء) في البلدين .

لم تجر في اي مكان ، من جهة ثانية ، محاولة تأميم كامل ، وباستثناء حالات الاحكام ، دفعت التعويضات لاصحاب المشاريـع المستملكة . اذن اجريت تأميمات صناعات رئيسية . ليس في الديموقراطيات الشعبية فحسب ، بل في بلدان اخرى عديدة . ففي السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٦ قضى عدد من الاحكام والقوانين الفرنسية بتأميم مصانع رينـــو ، وشركة محركات « غنوم ورون » ، والنقل الجوي ، ومصرف فرنسا ، ومصارف الودائع الاربعـة الكبرى ، والمصرف الجزائري ، و ٣٤ شركة ضمان ، وانتاج وتوزيع الكهرباء والغـاز ، ومصانع الفحم

الحجري . وفي النرويج امت المناجم والجـــزء الأكبر من الصناعة الكهربائية — التقنية . وفي بريطانيا العظمى اقدمت الحكومة العمالية بين السنة ١٩٤٦ والسنة ١٩٤٩ على ثماني عمليات تأميم كبرى تناولت : مصرف انكلترا ، الاسلاك والاتصال اللاسلكي ، الطيران المدني ، مصانع الفحم الحجري ، النقل الداخلي ، الكهرباء ، الغاز ، وفي السنة ١٩٥١ ، الفولاذ .

الخطط

وفي كل الدول ، من جهة ثانية ، تدخلت الدولة في الاقتصاد بتخفيف الضرائب ، واستئجار المصانع ، وتسهيل الاقراض او تقييده . واسندت الابحاث المتعلقـة بالطاقة النووية وبناء منشآت تحليل الذرة ، التي تستلزم اموالا طائلة ، الى ادارات رسميـــة في انكلترا وفرنسا والمانيا . وبرز تدخل الدولة كذلك في رسم الخطط الخاصـة ، كخطط وصل الشبكات الكهربائية ، والخطة الشاملة للاقتصاد الوطني . ففي انكلترا حيث لم ترسم خطـة شاملة ملزمة تنفذ طيلة سنوات عـــدة ، كانت السياسة الاقتصادية ، بالرغم من ذلك ، منسقة ومخططة : في السنة ١٩٤٨ اعلنت خطة موضوعة للسنوات ١٩٤٨ — ١٩٥٢ كان الهـدف منها اعلام الأمة بالمهام الاقتصادية الواجبة التحقيق وابراز ما يمثل بينها مركز الأولوية ، على ان تستخدم الحكومة صلاحيتها الرقابية من اجل توجيه الصناعيين نحو تحقيقها . واعتمدت هولندا بعد الحرب خطة اثنائية يستغرق تنفيذهـــا اربع سنوات كان من المنتظر ان تعيد ، في السنة ١٩٥٠ ، مستوى المعيشة الى ما كان عليه في السنة ١٩٤٠ ، وتصلح ما هدمته الحرب ، وتعوض خسارة دخول الأموال الموظفة والتجارة مع المستعمرات الاندونيسية السابقة ، وخسارة تجارة الترانزيت مع المانيا . ورسمت ايطاليا الخطة المعروفة بـ « خطة فانوني » المعدة لايجاد ٤ ملايين وظيفة او استخدام . الا انها لم تتوفق حتى السنة ١٩٦٠ لا الى ازالة البطالة ولا الى ادخال اي تعديل على الفرق العظيم بين الدخول في الشمال والدخول في الجنوب .

بالإضافة الى هذه الخطط الجزئية التي فرضتها الظروف ، اعتمد تخطيط قياسي طويل الاجل في ثماني دول غربية : فرنسا والنرويج أولا ، ثم هولنـــدا والسويد وفنلندا والبرتغال واليونان وتركيا ، ثم ايطاليا (١٩٦٥) وبلجيكا والمملكة المتحدة . لقد اختلفت هذه الخطط الجديدة فيما خص هدفها وطرائقها ، ورسمت ابداً بالاتفاق بـــين القطاع الخاص والدولة ، وانطوت في جوهرها على تقديرات تتناول معدل الزيادة ، وعلى نصوص بيانية غير الزامية معدة لان توجـه او تنظم تطورات الانتاج ، وتوزع الموارد والاعتمادات المالية في اطار النظام الرأسمالي . فكان المقصود منها لعمري « تنظيماً مخططاً » وتخطيطاً محافظاً يوطد النظام القائم ، لا تخطيطاً حقيقياً كما اريد تحقيقه في مستوى المشروع او في البلدان الاشتراكية .

في فرنسا ، انشأ « جان مونيه » في السنة ١٩٤٦ « لجنة التخطيط » التي تمخضت في السنة ١٩٤٧ بخطة وطنية « للتجهيز والتجديد وفقاً لمتطلبات العصر » ، كانت اوسع خطـة في اوروبا الغربية ، ووضعت في السنة ١٩٦٥ خطة خمسية خامسة .

توظيف الأموال

بات دور الدولة رئيسياً في حقل توظيف الاموال بصورة خاصة . ففي السنة ١٩٣٨ خصص ٥٪ فقطمن موارد الموازنة الفرنسية للتوظيف في المشاريع . وارتفع هذا الرقم الى ٢٩٪ في السنة ١٩٤٦ ، و ٤٠٪ في السنة ١٩٤٩، ولكن تزايد ارتفاع الاعتمادات العسكرية جعله يهبط الى ٣٠٪ في السنة ١٩٥١ . فمن اصل الـ ١٢٠٠ مليـار الموظفة في الاقتصاد الفرنسي في فرنسا في السنة ١٩٥٠ ، جاء ٧٤٩ ملياراً (٦٢٪) من الأموال العمومية بشكل اعتمادات واعانات مالية ، وتعويضات عن اضرار الحرب ، وخصوصاً بشكل قروض منحها صندوق التجهيز والتجديد وفاقاً لمتطلبات العصر . وعلى نقيض ما حدث قبـل الحرب ، كان دور اصدارات الاسهم والسندات غـير ذي شأن ، ودور التمويل الذاتي اكثر اهميـة (٢٥٪) ، ولكن شطراً كبيراً من رؤوس الاموال المتوفرة للانتاج قد تأمن باللجوء الى الأموال العامة .

مثل سويسرا

في سويسرا ، ادخل التعديل الدستوري على الدستور في السنة ١٩٤٧ « بنوداً اقتصادية » جديدة أناطت بالصلاحية الاتحادية تشريع العمـل والضمان الاجتماعي ، وسمحت لها بنقض حرية الصناعة والزراعة من اجـل المحافظة على التوازن الاقتصادي في البلاد واستدراك الازمات الاقتصادية والبطالة . والحال كانت السلطـة الاتحادية قد عززت وسائل تأثيرها على سلطات الولايات بالاعانات المالية التي منحتها اياها بشكل اعفاءمن بعض الضرائب؛ فاصبحت بعض الولايات ، التي تألف ٢٠ بالمائة من مواردها من هذه الاعانة ، خاضعة لها ، شأن الولايات بالنسبة للدولة الاتحادية في الولايات المتحدة .

اتساع الوظيفة العامة

ومن ظواهر توسع سلطة الدولة هذا الارتفاع التدريجي ، الذي سبقت الاشارة اليه في الولايات المتحدة ، في عدد الموظفين في كافة البلدان ؛ فالنسبة في انكلترا اعلى منها ، بشكل ظاهر ، في فرنسا حيث ارتفع العدد الى ثلاثة اضعافـه منذ السنة ١٩١٤ ، كما هي الحال في سويسرا حيث ارتفع عدد موظفي الادارة المركزية الى اكثر من خمسة اضعافه بين السنة ١٩١٣ والسنة ١٩٤٩ ، وارتفع عدد الموظفين الاتحاديين ، في الوقت نفسه ، بنسبة ٣٧ بالمائة ، وموظفي الشؤون الخارجية الى ثلاثة اضعافه ، وموظفي الاقتصـاد العام الى عشرة اضعافه ، وموظفي البرق والبريد والسكك الحديدية الى اربعة اضعافه .

تدخل الدولة في الحقل الاجتماعي

سياسة الازدهار والرفاهية

ان التدخلات التي دفعت بعض الحكومات – وحكومـة المانيا البسماركية قبل سواها – ، قبل الحرب العالمية الاولى بزمن طويل ، الى ولوج الحقل الاجتماعي ، قـد تكاثرت منذ السنة ١٩١٨ ، وباتت مألوفة اثناء الازمة الكبرى . وجاءت الحرب العالميـة الثانية ، التي هبات كافة طاقات الدول المتحاربة ، لتحتها احتثاثاً حاسماً ، حتى في الولايات المتحـدة حيث لم تقو المقاومة التي تعرضت لها سياسة « النهج الجديد » ، على عرقلة اتساعها .

لم تتدخل الحكومات تدخلاً شبه دائم ، بصورة مباشرة او غير مباشرة ، في العـلائق بين

المستخدمين والمستخدَمين ، وفي تحديد الاجور الدنيا وشروط العمـــل (المدّة ، الاجازات المدفوعة ، الخ) فحسب ، بل كان الابتكار الكبير بعد الحرب اعتماد انظمة حمـــاية اجتماعية تستجيب لهاجس الضمان والاستقرار الذي تسلط على كافة الطبقات الاجتماعية. اما اسباب ذلك فكثيرة . فهناك ذكرى الازمة الكبرى والبطالة المزمنة ، والتصميم على تأمين العمـل الكامل بدافع النظام الاجتماعي وتمكين الاقتصاد وضمان الفاعلية ، والسياسة المالية السليمة والحرص على توفير المزيد من الرفاهية والاطمئنان للطبقات الفقيرة ومقاومة المرض مقاومة فعالة باتقائه اولا وبمعالجته ثانياً في افضل ظروف ممكنة ؛ وهناك اخيراً سياسة التجهت الى تعديل توزيع الدخول بالمساواة بين الاعباء الاجتماعية بحيث تتحمل الموازنة ، اي الامة بكاملها ، الاعبـاء التي كانت فردية من ذي قبل : العلاجات الطبية ، تقاعد الشيخوخة ، الضمانات الاجتماعية بوجـــه عام . فالضمان الاجتماعي بمفهومه هـــذا يفوق من ثم كل مفهوم تقليدي للضمان الذي لم يؤمن على بعض الاخطار المعينة سوى عدد من السكان فحسب . وهو لم يعد مرتبطاً بعقد العمل بل ارتكز الى مبدأ التضامن القومي : على الامة ان تؤمن رفاهية الجميع . وخلال الحرب ، اي منـــذ السنة ١٩٤٢ ، اعتمدت بريطانيا العظمى ، التي عانت اكثر من غيرها من فقدان الضمان الاجتماعي والاستقرار الاقتصادي ، المبادىء التي وضعها السير وليم بفردج في التقرير التاريخي الذي ارتبط به اسمه . ومنذ السنة ١٩٤٥ ، رسمت معظم الدول خطط ضمـان اجتماعي استوحته استيحاء متفاوتا .

بالامكان ربط النظام البريطاني بالنظام الذي تديره الدولة ويشمل كافة السكان والاخطار كما في الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية . وقد أقرت بين السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٥٦ قوانين عدة تؤلف كلا كاملا ومتلاحما : تقاعد شيخوخة يبلغ ٣٢ شلنا في الاسبوع ، تأدية كل او بعض النفقات الطبية (معالجة ، ادوية، استشفاء) ، على ان يؤمن التمويل بواسطة الضريبة . فاستتبع النظام تأميم المستشفيات وبلبلة المهنة الطبية ، اذ اخضع الطبيب لقانون شبيـه بقانون الوظيفة العامة . وبديهي ان ثمن هذا الاجراء كان مرتفعا جداً : فقد مثل ١٥ ٪ (٦٩٣ مليون ستارليني) من موازنة ١٩٥٣ .

وقام في السويد كذلك نظام كامل لضمان شيخوخة يضاف الى تقاعد الاجراء (الذي يضمن دخلا يوازي ٢/٣ مـعدل الاجور خلال سني العمل الاخيرة الـ ١٥) ، وتعويضات عائليـــة ، وتعويضات سكنى وتدفئة ، وتنظيم صحي فعال وزهيد الكلفة ، وطبابة مؤممة عملياً اذ ان ٨٠٠ طبيب فقط من اصل ٥٠٠٠ كان لهم مجموع زبن خاص .

وهناك دول اخرى ، كالولايات المتحدة مثـلا ، لم تسلم بالضمان الالزامي الا لبعض الفئات وبعض الاخطـــار (البطالة ، الشيخوخة) ، على ان توفر الاموال اللازمة اشتراكات العمال وأرباب العمل ؛ لذلك فان الاجر المباشر وغير المبـــاشر لم يختلف على العمـــوم بالنسبة للدخل القومي ، ولا يصح الكلام هنا عن اعادة توزيع الدخول لمصلحة الاجراء . واعتمدت

فرنسا في السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٦ نظاماً وسيطاً قضى بانشاء «صناديق» مختلفة واجهزة مستقلة بحسب الفئات الاجتماعية المختلفة ، اذ ان ذوي الدخول قد رفضوا الاختلاط بالاجراء . على ان الاستفادة من الضمان الاجتماعي كانت محصورة في البدء في القطاع الصناعي والتجاري ، والتمويل امنه الاجراء دون غيرهم ، وانتفاع فئات الاجراء المؤمنين الاخرى من الفوائد نفسها قد تم بعد ذلك تدريجياً .

وهو هذا الحرص نفسه ما دفع الحكومات الى الحلول محل المبادهات الخاصة من أجل حل مسألة السكنى . فان كافة الدول قد واجهت هذه المسألة بعد الحرب بسبب تزايد سكان المدن والدمار الذي خلفته الحرب واكتظاظ الاحياء القديمة والاحياء المرتجلة بسكان عاشوا فيها في ظروف يرثى لها صحياً واخلاقياً ، مما جعل حركة البناء الواسعة فوق وسائل وامكانات الافراد. لذلك ، وحتى في الولايات المتحدة ، حيث معظم الناس يقيمون في المدن وحيث كثيراً ما ينتقل السكان من مدينة الى اخرى ، بنيت بعض الوحدات السكنية بمساعدة الاموال العامة : قيام الحكومة الاتحادية ببناء مساكن زهيدة الثمن ، منح قروض من أجل البناء او سلفات من اجل احداث الخدمات الجماعية (ماء ، بوليس ، طرقات ...) . وفي بريطانيا العظمى كذلك ، اكثرت الحكومة من القروض المباشرة ، والمساعدات المالية للسلطات المحلية من اجل تشجيع البناء .

التعليم

في حقل التعليم اخيراً ، اضطرت حتى اكثر الانظمة تشجيعاً للمبادهة الخاصة ، لمواجهة اقبال عظيم على التعليم في كافة درجاته ، هو احد الطوابع المميزة لـ « حضارة الجماهير » . لقد ولى زمن المفاهيم القديمة التي كانت تحصر التعليم في نخبة محدودة العدد تنتسب الى الطبقات الحاكمة ، وتخصصها بمنح تعليمية قلما يخصص بها سواها ، ولا توفر لباقي السكان سوى تعليم ابتدائي. الم تتبن الامم المتحدة مبادىء حق « الجميع بالتساوي وبحسب استحقاقهم » في التربية والتعليم العالي ؟

لقد فرضت مستلزمات المصلحة الوطنية ، هنا ايضاً ، رقابة شديدة ، وتعليماً الزامياً أخّرت فيه السن القصوى جهد المستطاع : يجب اعداد اجيال متعلمة قادرة على استساغة التقنيات والعلوم العصرية . يجب ان يربى المزيد من النحاتين والاطباء والمهندسين والفنانين والاساتذة . فأبرزت هذا الاتجاه ثورة حقيقية في بريطانيا العظمى احدثها قانون بتلر الصادر في السنة ١٩٤٤ الذي اطال مدة الدراسة حتى ١٥ سنة منذ السنة ١٩٤٧ وحتى ١٦ سنة حالما يصبح ذلك ممكناً ، ووفر التسهيلات للوصول الى التعليم العالي . اما الشبان الذين لن يواصلوا تحصيلهم ، فسوف يتلقون حتى سن الثانية عشرة دروساً تكميلية خاصة مدة يوم او يومين في الاسبوع .

اعلنت الحرب على الامية (٨٠ ٪ في الشرق الادنى ، بين ٥٠ و ٧٥ ٪ في اميركا اللاتينية ، بين ٩٠ و ٩٥ ٪ في افريقيا السوداء) في كافة البلدان بتعليم الاولاد في المدرسة الابتدائية

والفتيان بطرائق التربية الاساسية المختلفة . فمن الواجب ان يضع تنظيم التعليم بتصرف كل فرد وسيلة إنماء كفاءاته خير إنماء : تكاملت الاساليب التربوية الجديدة بأبحاث سيكولوجيي الطفولة ، فسعت الى تنمية قوى المبادهة والملاحظة والتفكير عند الاطفال بواسطة تعليم مباشر وحسي وفردي يضيف الى الثقافة العامة ثقافة مهنية . ووضعت فرنسا منذ السنة ١٩٤٤ ، بفضل ابحاث لجنة « لانجفين – فالون » اسس اصلاح في هذا الاتجاه حال الظرف السياسي دون وضعه في حيز التنفيذ .

شروط نشر الفكر والاعلان

اذا كان التعليم الذي تتولاه الدولة او المؤسسات الخاصة لا يخلو من الغرض احياناً ويفرض على الاولاد والفتيان رأياً قويماً وطنياً ، او سياسياً (لنفكر مثلاً بالايمان التي فرضتها بعض الولايات في الولايات المتحدة على اعضاء الهيئة التعليمية) ، او معتقدياً ، فان الوسائل الجديدة لنشر الفكر قد اصبحت صناعة عظيمة وظفت فيها رؤوس اموال هامة ؛ فان الاعلام باشكاله المختلفة : الصحافة ، والاذاعة ، والتلفزة ، ومستوياته المختلفة : وكالات الصحافة ، المطابع ، الاعلان ، المبيع ، قد خضع من ثم ، شأن كافة الصناعات الاخرى ، لقوانين الكسب والتجمع ، عوضاً عن ان يكون وسيلة لا مثيل لها للتربية ونشر الثقافة . « ان اهمية رؤوس الاموال اللازمة للحصول على المعدات العصرية الضرورية لاصدار صحيفة كبرى قد جعلت من امكانية التعبير وقفاً على عدد ضئيل من الناس ... لقد خلفت صحافة الاحزاب والافراد وصحافة الرأسمالية » (ب. لازاريف) . فأصبح الاعلام من ثم ، اكثر منه قبل ٢٥ سنة خلت ، احتكاراً في ايدي المصالح الكبرى او حكومات اوفر البلدان ثروة .

وكالات الاعلام

لما كانت الصحف كلها عاجزة بامكاناتها الخاصة عن تحمل اعباء النفقات التي يستلزمها في العالم الحالي استقصاء الاخبار ، فهي وكالات الاعلام ما توفر للصحافة ٣/٤ الاخبار التي تنشرها . وبين الـ ٧٥ وكالة التي ترتدي اهمية عظيمة ، ترتدي ست فقط طابعاً عالمياً وتوزع على كافة انحاء الكرة الارضية الاخبار الدولية ، وهي : وكالة « رويتر » البريطانية ، ووكالة الصحافة الفرنسية ، ووكالة تاس السوفياتية ، وثلاث وكالات اميركية ، « الصحافة المشتركة » وهي اكبر وكالة في العالم وتؤمن الاخبار لأربعة آلاف صحيفة ، و « جمعية الصحافة المتحدة » و « دائرة الاخبار الدولية » . فيجب ان تتوفر لهذه الوكالات موارد عظيمة لتتعهد مراسليها في الخارج ، وتقتني وسائل الاتصال السريعة الضرورية ، ونقل الاخبار في اسرع وقت ممكن برقياً او بواسطة التلغراف اللاسلكي ، او بواسطة التلغراف اللاسلكي الآلي التسجيل . فمن اين تأتي هذه الموارد يا ترى ؟ ان رويتر اتحاد دولي في ايدي الصحف الاقليمية البريطانية وصحف بعض المستعمرات ؛ وترتبط كلياً بالدولة وكالتان : وكالة الصحافة الفرنسية التي هي جهاز تؤمن موارده الاشتراكات والاعتمادات التي يقرها البرلمان – مديرها تعينه الحكومة الفرنسية التي من حقها عزله من منصبه ايضاً –

ووكالة تاس ؛ اما الوكالات الاميركية الثـــلاث ، المسيطرة على اكبر قطاع ، فانها مشاريع خاصة . وهكذا فان ٨١،٧ ٪ من سكان العالم يطلعون على اخبار الاحداث بواسطة وكالات اجنبية توزع كذلك على العالم اخبار بلدانها .

ان ارتباط معظم سكان الارض بالدول التي تنتسب اليها وكالات الاعلام العالمية الست قد استتبع بالضرورة مساوىء خطيرة ؛ فمن الطبيعي ان تترك المصالح والآراء المقبولة في الدول الاربع التي تمتلك هذه الوكالات اثرها في طريقة نشر الاخبار ، وبطء او سرعة نقلها ....وعدم نقلها . أما الوكالات الوطنية ، فلا تجد اية واحدة منها في صحافة بلادها الموارد الكافيـة لان تتوفر لها موازنة مستقلة . فتضطر من ثم الى الحصول على المساعدات المالية من الموازنات العامة او السرية في بلدانها او من مقرضي مال آخرين .

أما بصدد الصحافة حيث – كما رأينا – ما زال التجمع يتزايد يوماً بعد يوم ، فان التفاوت بين البلدان ليس اقل شأناً : فان ست بلدان فقط توفر ٤/٣ الانتاج العالمي من ورق الصحف ؛ اما المعدات الآلية ، فان صناعتها محصورة في بعض الدول : كندا ، الولايات المتحدة ، اوروبا الغربية والشمالية ، الاتحاد السوفياتي ، اوستراليا ، زيلنـــدا الجديدة، التي تمتلك وحـــدها ، بدرجات مختلفة كل الاختلاف ، الوسائل الاعلامية المادية الموافقة .

الاذاعـــة والتلفزة

ان الاذاعة ، التي اصبحت خـــلال ٢٠ سنة « احـد العوامل الاساسية للحضارة المعاصرة » ، جاءت تكمل الصحافة وتحـل محلها في اغلب الاحيان كوسيلة للإعلام . فهي تتيح الوصول حتى الى الاميين والى المناطق التي تحول صعوبة المواصلات دون وصول الصحافة بسهولة اليها . وكان دورها عظيماً خـلال الحرب العالمية الثانية ؛ فقد كانت آنذاك اداة دعاوة وإعلام من الدرجة الاولى تسدّ في الدول المحتلة مسدّ صحافة لا يثق احد بها. فأصبحت من ثم وسيلة مألوفة للاعلام واللهو زاد انتشارها يوماً بعد يوم . وهي في بعض البلدان ، كالولايات المتحدة مثـــلاً ، مشروع تجاري خاص يوفر الاعلان فيها موارد الشركات التي تمتلك وتستثمر محطـــات الارسال . « تبيع المواقيت » من الشركات المعلنة . وهنا ايضاً تتدخل سنة التجمّع . فهناك ٢٦٣٦ محطة اميركية مجازة تملك نصفها اربع شبكات رئيسية . والاذاعة في بلدان أخرى مصلحـــة من مصالح الدولة التي تشرف عليها وتراقبها مراقبة متفاوتة الكتمان .

ولكن نوعية برامج الاذاعة والتلفزة ضحية العدد ، كما في الصحافة . فهي البرامج المبتذلة ، تلك التي تتوجه الى المثقفين « ثقافة ابتدائية فقط » ، ما تحظى بالمزيد من الشعبية . وقد لفت الانتباه تكراراً في الولايات المتحدة الى ما تتركه الاذاعة والتلفزيون من اثر سيء على الاخلاق، اذ ان اعمال العنف التي تشاهد في البرامج ربما كانت ، مع السينما ، سبب تزايد الاجرام بين الفتيان في هذه البلاد .

اما التلفزة فقد احرزت تقدما كبيراً ان من حيث التحسينات التقنية وان من حيث سرعة

الانتشار : ففي ١٩٦٠ بلغ عدد المحطات المرسلة في الولايات المتحدة ٦٠٠ مقابل ١٢٥ في السنة ١٩٥٣ ؛ وفي السنة ١٩٤١ ، كان هناك ٥٠٠٠ محطة لاقطة ، فارتفع هذا العدد في السنة ١٩٦٥ الى ٧٣ مليونا من اصل الـ ١٧٣ مليونا الموجودة في العالم. وقد وفر هذا التقدم ٦٨٩ مليون دولار من ريع الاعلان في السنة ١٩٥٥ (وهو رقم ارتفع الى اكثر من ثلاثة اضعافه خلال ثلاث سنوات) ؛ وسيطرت على التلفزة كذلك بعض الشبكات القوية ، اذ على الرغم من ان القانون يحظر امتلاك اكثر من ٥ محطات مرسلة ، فان اربع شبكات تسيطر على كافة الشبكات الاخرى. وقد تأيد دور التلفزة كسلاح للدعاوة بين الجماهير بشهادات واستبارات كثيرة ؛ ففي الحقل السياسي بنوع خاص ، كان تأثيرها حاسما خلال الانتخابات الاميركية منذ السنة ١٩٥٢ ، اذ ان اسعار الاستئجار (بين ٥٠ و٦٠ الف دولار للشبكة الواحدة ولمدة ½ ساعة) قد اظهرت ضعف الحزب الديموقراطي بالنسبة لمنافسه .

العودة الى الماضي

ان الاحزاب والمصالح المحافظة ، التي نبذت في السنة ١٩٤٥ بسبب اتهامها بالتعاون والفاشستيات ، قد نجحت ، بسرعة متفاوتة ، في استعادة مركزها المسيطر كلما خفت وطأة الفاقة واشتد الخوف من الاتحاد السوفياتي . ففي فرنسا وايطاليا تألفت في ايام التحرير حكومات اتحاد وطني ضمت الحزبين الشيوعي والاشتراكي وبعض الاحزاب الجديدة : الحركة الجمهورية الشعبية في فرنسا ، والديموقراطية المسيحية ، وحزب العمل ، والاحرار في ايطاليا . وفي ايطاليا ، اتفق الحزبان اليمينيان ، الديموقراطيون المسيحيون والاحرار ، منذ اواخر السنة ١٩٤٥ ، وتوفقا بمساندة السلطات الحليفة الى قلب الحكومة التي يرأسها « فروشيو بارّي » ، احد زعماء حزب العمل. فانتقلت رئاسة الحكومة الى « السيد غاسبري » ، زعيم الديموقراطيين المسيحيين . وفي السنة ١٩٤٧ حدثت العطفة الكبرى. فقد حدثت في تلك السنة التعبئة الكبرى ضد الشيوعية في كافة انحاء العالم الغربي : في بلجيكا وفرنسا وايطاليا اقصي الشيوعيون عن الحكم ، وانقسمت القوى اليسارية ، وتخلى الاشتراكيون ، – باستثناء اكثرية الحزب الاشتراكي بزعامة « نني » – عن فكرة تحقيق المدينة الاشتراكية ، واكتفوا اكثر فاكثر بتكييف النظام الرأسمالي بسياسة اصلاحية تستهدف تأمين العمل للجميع والضمان الاجتماعي ، وانضموا الى سياسة المعتدلين الكاثوليك . وكلما ارتسمت خطوط الحرب الصليبية بمزيد من الوضوح ، قضت الحاجة الى استخدام اشد المناصر عداء للاتحاد السوفياتي بتسليم زمام السلطة والمراكز الهامة في الادارة لاقوى الاحزاب نزعة محافظة ، حتى لتلك التي تعاونت والنازيين ، ومراكز الادارة في المانيا الغربية للنازيين القدماء انفسهم . وتعزز هذا الاتجاه في السنة ١٩٤٨ بالذعر الذي اثاره استيلاء الشيوعيين على السلطة في تشيكوسلوفاكيا ، وباشتداد الحرب الباردة . ففي ايطاليا اعتمدت حكومة غاسبري ولا سيما الوزير «شلبا» سياسة صارمة لمحاربة تضخم ورق النقد وابقت ، دون اي تغيير تقريباً ، على تشريع ومؤسسات الفاشستية . واستمرت منظمة الصناعيين ، التي بقيت عملياً كما كانت في ظل النظام السابق ،

في التأثير تأثيراً عظيماً على الحكومة. ولم يجر قط بحث في التأميم كما حدث في فرنسا وبريطانيا العظمى . وارجئت كافة الاصلاحات التنظيمية ، ولا سيما الاصلاح الجبائي والاصلاح الزراعي. ومنذ السنة ١٩٤٨ اعيد كافة الموظفين الفاشستيين السابقين تقريباً ، حتى الكبار بينهم ، الى وظائفهم . وفي اليابان استلم زمام السلطة اولئك الذين كانوا يتولونها قبل السنة ١٩٣٩ ، وقد « طُهّر » معظمهم في السنة ١٩٤٥ ، لا بل لوحق بعضهم (هاتوياما) قضائياً كمجرمي حرب .

في فرنسا تعاقبت تحالفات ظهر اتجاهها اليميني يوماً بعد يوم ، ويبرز هذه الظاهرة تطـور الديغوليين الذين انتقلوا من المعارضة الى الحكومة بينما خرج منها الاشتراكيون . فلم يؤد ذلك الى الغاء التأميمات المحققة في السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٦ ، ولكن المشرفين السابقين على المشاريع المؤممة وممثلي مصالحها غالباً ما عينوا في مجالس ادارتها وحتى في مراكز المسؤولية فيها الى جانب ممثلي الدولة ، بحيث لم تتغير الطرائق قط .

رجحان لقوة المحافظين

كانت نتيجة الحركة العسكرية التي اطاحت بالجمهورية الرابعـة قيام « ملكية » حقيقية استثنائية الطابع اعطت السلطة التنفيذية امتيازات عظيمة . فمن جهة استبقي لرئيس الحكومة نطاق خاص به ، ولا سيما ادارة السياسة الخارجية والشؤون العسكرية والاقتصادية . ومن جهة ثانية قيّد نشاط البرلمان التشريعي الذي آل دوره ، بحسب تعبير بعض اساتذة الحق الدستوري ، الى دور « تمثيلي » بحت : اعطـــاء الاولوية ، في جدول اعمال المجالس ، للمشاريع التي تتقدم بها الحكومة ، اخضاع تقديم مشاريع تعديل القوانين والاستجوابات لنظام شديد ملزم ، تخفيض عدد اللجان الدائمة التي كانت تقوم بدور هام جداً في عهد الجمهوريتين السابقتين ، حصر صلاحية اعداد الموازنة في الحكومة دون غيرها . ثم ان واقع قيام المركز الذي تصدر عنه المقررات الهامـــة فوق الحكومة نفسها ، والسلطة الواسعة التي تمتع بها كبار الموظفين ، قد افضيا عملياً الى انتزاع كل سلطة اشراف حقيقي من البرلمان . وانتهج النظام الجديد بالمقابلة سياسة جبائية عاطفة على المصالح الكبرى بالغاء الرسوم المفروضة على ربائح المساهمين وارباح الشركات ، وبتخفيض الرسوم على انتقـــال الارث ، في حين انه فرض رسوماً ثقيلة على عدد متزايد الارتفاع من الاجراء ، اذ ان معدل الضريبة التصاعدية على الاجور لم يعدل تعديلاً يذكر .

في المانيا ، نشاهد بعد السنة ١٩٤٧ توقف العمل بحظر جمعيات التجار والصناعيين وحظر النازية الذي لم يكن ذا فعالية هامة كما يظهر ذلك ، بعد انقضاء عشرين سنة على انهيار النازية ، اكتشاف العديد من مجرمي الحرب – الناجين من العقاب – في وظائف هامة احياناً .

في بريطانيا العظمى ، ألغي تأميم الفولاذ والنقل البري منـــذ عودة المحافظين الى الحكم. وبعد ان بقي حزب العمال بعيداً عن الحكم طيلة ١٢ سنة ، احرز في السنة ١٩٦٤ فوزاً انتخابياً هزيلاً (بأكثرية ٣ اصوات) جعله رهين حزب الاحرار القليل العدد . فاصطدم منذ تأليف الحكومة بأزمة مالية خطيرة جداً وبانخفاض مقلق في سعر الاسترليني قيدا حريته في العمل ،

وارغماه على اتخاذ تدابير تقشفية لم يرض عنها الشعب ، كان الاجراء اهم ضحاياها ، ومنعاه من تحقيق برنامجه . واصطدمت بصعوبات مماثلة حكومة « الوسط اليساري » الايطالية التي تألفت في السنة ١٩٦٠ ، بعد ازمة وزارية دامت شهرين ، بفضل اتفـــاق حزب « نني » الاشتراكي وحزب الديموقراطيين المسيحيين . الا ان خروج رؤوس الاموال ، وارتفاع الاسعار السريع ، والازمة الاقتصادية ، قد نجحت — بفعل تأثير الجنـاح الايمن في حزب الديموقراطيين المسيحيين وتأثير الكنيسة ومنظمة الصناعيين — في شل هذا التحالف وفي مقاومة كافة مشاريعها الاصلاحية باستثناء تأميم الطاقة الكهربائية .

طُهّرت الادارات العامة من العناصر الشيوعية او العناصر اليسارية المعتبرة « شيوعيـــة متسترة »، بالرغم من النصوص الدستورية التي تضمن المساواة في الحقوق دونما تمييز في المعتقد أو الرأي ، ومن مبادىء ميثـاق الامم المتحدة واعـلان حقوق الانسان الذي أقرته الجمعية العمومية للامم المتحدة في السنة ١٩٤٨ . وأدى انشقاق القوى النقابية ، الذي حدث في السنة ١٩٤٨ (فرنسا) والسنة ١٩٤٩ (ايطاليا) الى اضعاف احدى القوى القادرة على الوقوف في وجه سياسة مكافحة التضخم المالي وعودة العناصر الحاكمة السابقة الى الحكم .

يضـــاف الى ذلك من جهة ثانية ان الحركة النقابية الغربية — باستثناء الاتحادات الايطالية والفرنسية الكبرى التي يسيطر عليها النفوذ الشيوعي — قد اصبحت « نقابية موحدة » تهدف الى الحصول على الفوائد المادية عن طريقة التعاقد في اطار النظام الرأسمالي . فهي مرتبطـــة بالاحزاب الاشتراكية التي ازداد تطورها الاصلاحي نحو التعاون بين الطبقـــات ، كما يتضح من موقف الحزب الاشتراكي الفرنسي وموقـــف الاحزاب السويدية والنمساوية ، ومؤتمر الحزب الاشتراكي الديموقراطي الالماني في « باد — غودسبرغ » (تشرين الثـاني ١٩٥٩) الذي دافع عن « الملكية الخاصة لوسائل الانتاج » و « حرية تأسيس المشاريـــع » ، ومؤتمر حزب العمال في « بلاكبول » حيث نادت اقلية يمينية بالتخلي عن التأميمات . واخيراً من مذكرات مؤتمر الاتحاد الدولي الاشتراكي في تل ابيب في شهر نيسان ١٩٦٠ . ثم الم يستكمـــل « بيترو نني » نفسه ، في السنة ١٩٦٦ ، تطوره نحو المطالبة المعتدلة بالاصلاحات بسعيه من اجـل صهر حزبه مع حزب ساراغات (الحزب الاشتراكي الايطالي) وبالمنـادلة ، على غرار ساراغات ، بـ « اشتراكية خلو من الصراع الطبقي » ؟ زد على ذلك ان الاحزاب الاشتراكية في البلدان ذات العـلاقة المباشرة بتصفية الاستعمار لم تختلف قط عن المحافظين في قمـع الحركات الاستقلالية سواء في اندونيسيا ، ام في الكونغو البلجيكي ، ام في قبرص وافريقيا الغربية ، ام في الهند الصينية والجزائر . ويجب ان لا نغفل هنا الحملة الفرنسية البريطانية على بورسعيد والسويس .

تطور المانيا

كان من المقرر ، في فكر الظافرين ، ان تخضع المانيا واليابان ، الخاضعتـــان لاحتلال الحلفـاء وادارتهم — وقد خلت الاولى من كافة اجهزة الدولة — لفترة طويلة من الوصاية الضرورية لازالة الطابع النازي عنهما وجعلهما ديموقراطيتين . الا انه استحـال

ابعاد سبعة ملايين نازي مع عائلاتهم عن كل نشاط ، كما ان السلطات المحتلة افتقرت الى العدد اللازم من الموظفين الاختصاصيين لمواجهة كافة الاعباء ، فاضطرت من ثم الى استخدام كافة « الفنيين » الذين كان الكثيرون منهم نازيين او نازيي الميول . ثم جاءت الحرب الباردة والحرب الكورية ، كما سبق ورأينا ، تدفعان الى التخلي عن استئصال النازية ، باعتبار ان النازيين خير حلفاء لـ « محاربة مبادىء الشيوعية والاشتراكية » .

ان عملية استئصال النازية التي بوشر تنفيذها بأساليب اختلفت بأختلاف القطاعات قد فشلت من ثم في كل مكان . وابرز مثل على ذلك مثل القطاع الاميركي حيث توجب على كافة الالمان البالغين اكثر من ١٨ سنة ان يجيبوا على عدد من الاسئلة في السنة ١٩٤٦ ؛ فتبين ان ٣٥٠٠٠٠٠٠ ، اي ٢٧ ٪ من المجيبين ، نازيون . فصدرت قوانين عفو متعاقبة خفضت هذا العدد الى ٢٣٧٣٠٠٠ ، ثم الى ٩٠٠٠٠٠ ، ثم الى ٢٣٠٠٠ مجرم كبير ، واخيراً الى ١٨٠٠٠ برّىء اعظمهم مسؤولية .

شوهد من ثم في كافة الحقول رجوع القوى القديمة والتقليدية الى مراكزها الاولى : فالتعليم على كافة مستوياته في ايدي اكثر العناصر نزعة محافظة ، وجمعيات المحاربين القدماء اخذت في الانتشار من اجل الدفاع عن شرف الجيش الالماني والـ S.S. . وباستثناء «ادب الدمار » الذي وصف آلام الحرب والاسر ومشاق وضغائن فترة ما بعد الحرب ، انحصرت النجاحات الادبية في مؤلفات (كـ « ذكريات » لغودريان ، و « اسئلة » لـ « ارنست فون سلمون ») تؤيد نفوذ التقاليد القومية الراسخ ، « الشرف » ، والبطولة . وعلى غرار الادب ، عبّرت الصحافة الكبرى احياناً عن بعض الحنين الى النظام المنهار وعن عدائها للمهاجرين من مقاومي النازية ، ولا سيما اليهود ، ولـ « مجرمي » اعتداء العشرين من تموز ١٩٤٤ .

تطور اليابان

سلكت اليابان في تطورها الطريق نفسها . فمرت اولاً ، بين السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٧ ، في مرحلة تحول ديموقراطي : فقد نادى « اعلان حقوق » بحرية المعتقد وحرية الصحافة والمساواة التامة بين الاعراق والاجناس . وافصيت العناصر الرجعية عن المراكز الهامة في الادارة ، والمؤسسات الاقتصادية ، والصحافة . وظهرت الاحزاب مرة اخرى ، ولا سيما الاحزاب اليسارية . وللمرة الاولى اصبح الحزب الشيوعي شرعياً ، واعلن في شهر اذار من السنة ١٩٤٦ دستور جديد تمخضت به اعمال تمهيدية كثيرة ، بالرغم من نفور الحكومة من تبديل جوهر النظام القائم . وبموجب الدستور الجديد ، لم يعد الامبراطور ، الذي تخلى بصراحة عن فكرة الدخول في حرب ، سوى رمز الدولة ووحدة الشعب ، وقيّدت صلاحياته . وكان الجهاز الرئيسي للحكم « المجمع » المؤلف من مجلسين هما الامينان الوحيدان على الوظيفة التشريعية والسلطة . وكان لمجلس الممثلين المنتخبين وحده حق اعداد الموازنة ، وكان اعلى من مجلس المستشارين ؛ وكان على هؤلاء ان يعلنوا موقفهم من كل قانون يقره الممثلون خلال مدة ٦٠ يوماً ، وفي حال الرفض ، حق للممثلين فرضه باكثرية الثلثين . وحددت بدقة صلاحيات مجلس الوزراء المسؤول ؛ فوجب ان يكون كافة الوزراء مدنيين وان

يكون نصفهم اعضاء في المجمع . وهو رئيس الوزراء ، الذي ينتخبه المجمع ، من يعينهم . وكان استقلال القضاء مضموناً . واتخذت التدابير من اجل حماية حقوق الانسان والحريات الرئيسية ، ولا سيما المساواة بين الجنسين ، والحريات النقابية ، ومنع التوقيفات التعسفية. واصلحت وسائل عمل الدكتاتورية ، واصبحت قوى الامن لامركزية ، ورفعت عنهـــا سلطة وزير الداخليـة ، ووضعت قوانين جديدة : القانون المدني المبني على المساواة بـــين الأفراد والحرية الفردية ، الذي احدث ثورة في المجتمع القديم بابطاله النظام العائلي التقليدي ، ونص على تقسيم الأرث بالتساوي ، واجاز الطلاق ؛ والقانون الجنائي الذي عُدّل . وكان اصـــلاح التعليم كذلك احد شروط التحول الى الديموقراطية . وقد استوحى المبادىء المناقضة مناقضة مطلقـــة للمبادىء المقبولة حتى ذاك التاريخ . وطهرت الهيئة التعليمية من عناصرها العسكرية والمتطرفة الوطنية ، ومنع التدريب العسكري منعاً باتّاً . كما منعت الكتب القديمة الموضوعة لتعليم الاخلاق والتاريـــخ والجغرافيا. واشهرت براءة امبراطورية المفهوم الخاطىء لالوهية الامبراطور وللتفوق العنصري للشعب الياباني المدعو لحكم العالم ، وفقد الـ « شنتو » طابعـــه الرسمي . وبني التعليم على حرية رأي الهيئة التعليمية ، واعطيت المبادهة الفردية اهمية خاصة . وأقر التعليم الالزامي حتى سن التاسعة ، والتربية المشتركة ، ونظام متلاحم الأجزاء يوجب قضـــاء ٦ سنوات في المدرسة الابتدائية ، و ٣ سنوات في التعليم الثانوي الادنى ، و ٣ سنوات في التعليم الثـــانوي الأعلى ، و ٤ سنوات في الجامعة . وغدت المراقبة لامركزية ، واسندت ، كما في الولايات المتحـــدة ، الى ادارات مدرسية محلية تنتخبها الجماعة. ووضع تشريع للعمل ، واستحدثت وزارة العمـــل ، وأقرت الحرية النقابية والتأمين ضد البطالة والحوادث ، وحدد يوم العمل بثماني ساعات ، وفرض دفع الاجور نقداً ، كما أقرت قوانين الضمان في المنـــاجم ... وبموازاة تنفيذ الاصلاح الزراعي حلت الـ « زيباتسو » مع ٥٠ جمعية صناعية وتجارية و ٦٧ جمعية لتوظيف الاموال ، واقصيت العائلات الكبرى عن كل وظيفة ادارية ، وحظر تأليف الاتحادات .

في السنـــة ١٩٤٨ ، انقلبت هذه السياسة على غرارها في المانيا وللاسباب عينها ، واستهلت عملية تطهير معاكس بينما أعيدت الحقوق السياسيـــة والمدنيـــة لـ ٢٠١ ٠٠٠ شخص من اصـــل الـ ٢٢٠ ٠٠٠ الذين تناولهم التطهير . فطُرد الصحافيون والاساتـــذة والموظفون والنقابيـــون المناضلون اليساريون ، ثم اتخذت بعض التدابير ضد العمال: حظر الاضراب العام في السنة ١٩٤٧ ثم حظر كل نوع من أنواع الاضراب وكل مطالبة جماعية في القطاع العـــام في السنة ١٩٤٨ . ولم يجدد القانون القاضي بمنع تأليف الاتحادات الذي انتهى العمل به في السنة ١٩٤٩ ، فاتيح للاتحادات السابقة استعادة نشاطها . وفي السنة ١٩٥١ اخيراً أجاز الجنرال ردجواي للحكومة اليابانية اعادة النظر في كافة القوانين الصادرة في ظل الاحتلال . وهكـــذا استعادت الاحزاب اليمينية التي لم تُقص قط عن السلطة ، والسلطات الاجتماعية التي لم تفقد قط نفوذها ، والـ زيباتسو ، كل قوتها الاقتصادية والسياسية .

لجميع هذه الاسباب كانت اعادة البناء الاقتصادي في اليابان موفقة وسريعة ، فجاءت « معجزة » على غرار المعجزتين الالمانية والايطالية . فمنذ السنة ١٩٥٤ ، بُلغ مستوى انتاج السنة ١٩٣٩ ، ومنذ هذا التاريخ ، وبفضل وفرة رؤوس الاموال (وجلها اميركي المنشأ) واليد العاملة الاختصاصية ، وقوة ميل السكان (١٠٠ مليون نسمة) الى الادخار، تقدم الدخل القومي بمعدل ٦،٥ بالمائة في السنة . وبحسب تقليد الميجي ، قدمت الدولة مساعدة عظيمة للشركات الخاصة الكبرى التي مازال يقوم الى جانبها قطاع مستقل يضم عدداً كبيراً من المشاريع الهامشية الصغرى المجهزة تجهيزاً دونياً . وقد الف عمال هذا القطاع الـ ١٠ ملايين جيشاً صناعياً احتياطياً جليل الفائدة معداً للدخول في الاتحادات .

ازمة النظام الحر

اذن خابت آمال المقاومين في الحقل السياسي والحقل الاقتصادي على السواء . « انتظرت الشعوب وامّلت طيلة ليال عديدة غير منجمة . المقاومون كلهم – فرنسيين كانوا ام بلجيكيين ، يونانيين ام يوغوسلافيين ، ايطاليين ام بولونيين – انتظروا التحرير – الثورة الذي قدروا انه لن يطرد الخونة فحسب ، بل سوف يؤسس ديموقراطية جديدة ايضاً » (مركين – غانزفيلش) .

لم تؤسس هذه « الديموقراطية الجديدة » في اوروبا الغربية . ولم تصهر الدولة صهراً جديداً شاملاً في اي بلد من بلدان الغرب ؛ ولذلك تفاقمت ازمة النظام البرلماني المفتوحة منذ السنة ١٩٣٩ . لقد تلاشى التقسيم القديم بين السلطتين التنفيذية والتشريعية تلاشياً تاماً . فاذا كان هنالك حزب واحد ، كما في تركيا حتى السنة ١٩٤٦ ، فان واقع السلطة بجميع اشكاله في ايدي زعماء الحزب ؛ واذا كان هناك حزبان ، كما في البلدان الانكلوساكسونية ، فان الحزب المنتصر يؤلف الحكومة التي يكون رئيسها في الوقت نفسه زعيم الاكثرية ، وان السلطتين التنفيذية والتشريعية تكونان مرتبطتين ارتباطاً وثيقاً ، ويستحيل عملياً على المجلس اسقاط الحكومة . وهذا ما حدث في بريطانيا العظمى : ففي الحالين دكتاتورية حزبية حقيقية . اما اذا كانت هنالك احزاب متعددة، فتقوم تحالفات معرضة للتفكك بين احزاب مختلفة ،وتكون الحكومة ضعيفة ويسيطر عليها الجمود ، لان كل مبادهة من مبادهاتها قد تهدد بنسف التحالف . وهي غالباً ما تُسقَط ، فتحاول البقاء بتخفيض عدد ممثلي خصومها . وهذا هو الهدف من الاصلاحات الانتخابية المعدة لا الى ضمان خير تمثيل بل اقصاء عناصر الاقليات عن المجالس وضمان اكبر عدد ممكن للاكثرية. تلك كانت الغاية من القانون الانتخابي الالماني في السنة ١٩٤٩ : يُختار ٢/٣ اعضاء المجلس بموجب لوائح فردية باكثرية الاصوات ، ويختار الثلث الآخر بالاكثرية النسبية : يُسلم كل منتخِب بطاقتين ، احداهما لانتخاب مرشح بموجب اللائحة الفردية، والثانية لتعيين حزب سوف يتمثل في المجلس بنسبة عدد الاصوات التي يفوز بها ؛ واعطى القانون الانتخابي الفرنسي الصادر في أيار ١٩٥١، مجموع مراكز الدائرة الانتخابية للوائح التي تحصل على اكثرية الاصوات ، على ان لا يؤخذ بالاكثرية النسبية الا في حال وجود مرشحين منفردين . اما

القانون الايطالي الصادر في السنة ١٩٥٣ ، فقد اعطى اللوائح ٥و٦٤ ٪ من المراكز ، اذا فازت بأكثرية الاصوات. وقد اسفر القانون الفرنسي عن النتيجة التي سعت وراءها الاكثرية التي اقرته: فان احزاب الوسط المتحالفة قد فازت في عدد كبير من الدوائر الانتخابية بالاكثرية المطلقة على حساب الحزبين المطرفين ، تجمع الشعب الفرنسي والحزب الشيوعي ، اللذين جـــاء تمثيلها دون اهميتها الحقيقية في البلاد . وكان من جهة ثانية ان القانون نفسه قد خيب في كانون الثاني ١٩٥٦ آمال المستفيدين السابقين منه بتيسيره فوز الاحزاب الشيوعية . اما في ايطاليا فلم تعط النصوص النتيجة المتوخاة منها اذ ان الحزب الديموقراطي المسيحي لم يحصل على الاكثرية المطلقة .

ذهبت القوانين الانتخابية الفرنسية الصادرة في السنة ١٩٥٨ الى ابعد من ذلك : فقد قسمت البلاد تقسيماً موفقاً امن للمناطق الزراعية تمثيلاً كبيراً على حساب سكان المدن ، بحيث « اقتضى معدّل ٢٢٠ ٢٨٨ مقترعاً لانتخاب نائب شيوعي و٧٣٣ ٤٧ لانتخاب ممثل للحركة الجمهورية الشعبية و١٧١ ١٩ لانتخاب ممثل للاتحاد الوطني الجمهوري ». اما الهيئة الانتخابية لمجلس الشيوخ فقـــد تمتع فيها الاعيان الريفيون بتفوق ساحق جعل التصويت تصويتاً محصوراً حقيقياً .

سلطة الاختصاصيين

ان التطور الذي برزت معالمه قبل ١٩١٤ قد ازدادت سرعته في كافة البلدان الحرة ، بريطانيا العظمى وممتلكاتها، فرنسا ، ايطاليا ، البلدان السكندينافية ، المانيا الاتحادية. فشوهد تراجع مستمر في الرقابة البرلمانية على السلطة التنفيذية، وبالمقابلة تزايد نفوذ الاختصاصيين والخبراء الذين اكتظت بهم الادارات والاجهزة الفنيـة الشبه حكومية .

يرد ذلك الى الطابع الفني المتعاظم في المسائل المطلوب حلها من الحكومات ، خصوصاً في الحقول المالية والاقتصادية والعسكرية ، والمكان الذي احتلته التقنيات الحسابيـــة في اقرار العمليات العسكرية والتجارية والصناعية والبحث عنها (التي تفرض لمة رياضية لا يدرك معناها سواد الموظفين السياسيين) قد اضفيا اهمية متصاعدة على الخبراء والاختصاصيين . فان الصعوبات المالية والتقنية التي تعترض الموازنة من الضخامة والاهمية بحيث ان الادارة التي تضعها — مديرية الموازنة في فرنسا — تكلّف طبعا الاشراف على كل النشاط الاداري ، وبالتالي على كل النشاط السياسي . ويصح القول نفسه في مستلزمات الدفاع الوطني الذي يحتاج اليوم الى استخدام كافة موارد البلاد . فليس من ثم اية مسألة اقتصادية او مالية او سياسية — بما في ذلك التعليم والتربية المدنية — لا تخضع ، حتى في ايام السلم ، لبعض الرقابة من قبل الاركان العامة .

الا ان عدد هؤلاء الاختصاصيين محدود . فقـد قدر « م. دبريه » بـ ٧٠٠ او ٨٠٠ عـــدد الشخصيات النافذة حقا في فرنسا: موظفين مدنيين (منتسبين الى الهيئات الكبرى) وعسكريين، ورجال سياسيين (يناهزون المئة) يحتلون مراكز وزارية، ومستشاري حكومة (اقتصاديين، علماء) . وقدر « ف. م. ج. ولسون » هذا العدد في بريطانيا العظمى وحدها بـ ٣٥٠ يدخـل في عدادهم زهاء خمسين رجلاً سياسياً كحد اقصى. فاذا اضفنا الى ذلك ان امر تحرير مناشير وانظمة

الادارة العامة المعدّة لتوضيح كيفيات تطبيق القوانين متروك ابـــداً لصغار الموظفين الذين يستطيعون الانحراف بسهولة عن مقاصد المشترع ، لرأينا الدور المحـدود جداً المتبقي للهيئات المنتبة ديموقراطياً .

الاختصاصيون اكثرية بين هذه الشخصيات النافذة القليلة العـــدد . ويتخرج معظمهم في فرنسا من مدرسة الـ « بوليتكنيك » ومن « معهد الادارة الوطني » ، وفي انكلترا من «المدارس العامة » التي ينتسب معظم طلابها الى الطبقتين البورجوازيتين العليا والمتوسطة (وينتسب ٦٥٪ من طلاب معهـد الادارة الوطني الى فئتين : فئة الصناعيين وارباب المهن الحرة ، وفئة كبار الموظفين) . ويلتمي هؤلاء الموظفون الكبار الى الطبقة الاجتماعية نفسها التي ينتمي اليها ارباب الاعمال ، وغالباً ما تجمع بينهم الثقافة الواحدة وأواصر القربى ، والطرائق والآراء المشتركة . وكثيراً ما يقوم بين هذين العالمين تبادل الموظفين (ولكن على نقيض الولايات المتحدة حيث ارباب الاعمال « يعيرون » الحكومة موظفيهم الاختصاصيين) . فهما يؤلفـــان « الاقطاعية الاقتصادية والادارية والعسكرية الجديدة » التي اشهرها « جورج غورفيتش » ، و « نخبـــة السلطة » غير المسؤولة والكلية القدرة التي سبق لـ « رايت » ان اشار اليها في الولايات المتحدة، والتي انتزعت عملياً من الزعماء السياسيين زمام الامور وباتت « تهدد بابتلاع الدولة » . فنشأ عن هذا التقارب بين « نظرية اولوية ارباب العمل ونظرية اولوية بيروقراطية الدولة » (ج. بيردو) « استبداد مستنير » قد يكون – في افضل الاحوال – مجدياً وفعالاً ، ولكنه غـير مسؤول لأنه هو من يعين معظم ممثليه .

استمرار تدني الرقابة البرلمانية

اضطر البرلمانيون المنتخبون اكثر فأكثر الى التخلي عن بعض صلاحياتهم للجنة التشريعية والسلطة الادارية بالتصويت على « قوانين مبدئية » ومراسيم اشتراعية (١٦٠ في ظل وزارة لانيال، ١٣٠ في ظل وزارة منديس – فرانس ، ١٦٥ في ظل وزارة ادغار فور) ، حيث يترك تفصيل الانظمة لمقررات خـــبراء الادارة . واذا كان من المغالاة القول ان « بريطانيا العظمى دكتاتورية مستترة في ايدي الادارة الدائمة » فبإمكاننا التأكيد ان نفوذ الادارة في كافة دول اوروبا الغربية يجـــاري نفوذ الهيئات المنتخبة وغالباً ما يشله .

اما السبب في ذلك فهو ان رقابة اعمال البيروقراطية تصبح وهماً خادعاً كلمـــا توسعت المصالح الحكومية . فان انكلترا وسويسرا والولايات المتحدة تعرف هـذا الوضع ، والدول الاخرى ، كفرنسا مثلاً ، حيث تُسقَط الحكومة بسهولة ، تعرفـه معرفة فضلى ايضاً . وان طريقة « الاسئلة » والاستجوابات التي يلجأ اليها النواب للتنبيه الى تجاوزات الادارة ، ليست مجدية قط لأن وزيراً تسانده الاكثرية غير ملزم بالإجابة . فالادارة العليـــا ، المسيطرة سيطرة شبه مطلقة على كافة دوائر الدولة ، والمستيقنة من عدم المسؤولية وغير القابلة العزل ، تشل عمل الوزراء والنواب على السواء. وينبثق معظم مشاريع القوانين عن دوائر الوزارات و«المصالح»،

فليست المجالس النيابية من ثم سوى جمعيات تبحث فيها هـــذه الاقتراحات . أليس جديراً بالملاحظة ان المجلس النيابي الفرنسي كان غريباً عن فكرة وإعداد الخطتين الاوليين للتجديد والتجهيز وفاقاً لمقتضيات العصر بالرغم من اهميتها بالنسبة لمستقبل البلاد ؟ وتصبح المناقشات نفسهـــا شكليات لا طائل تحتهـا بسبب تصلب مواقف الاحزاب التي تلبني مبـــدئياً وجهة نظر لا تقوى أية مناقشة على تغييرها . فلم تعد المناقشات من ثم وسيلة فعالة للوصول الى الحقيقة .

يرد ذلك الى ان المقررات الهامة تتخذ في داخل الاحزاب لا في الجمعيـات . ولكن تطور هذه الاحزاب العام يزيد اكثر فاكثر من تصلبها . فمركزية السلطة المتزايدة في الاحزاب تحد من نفوذ الاعضاء على المسؤولين . ولم يعد اختيار المسؤولين لمعاونيهم سراً خفياً ، لا بل قـد يحدث احياناً ان تنص الانظمة الاساسية على شرعية هـذا الاختيـار . ولذلك فان الاعضاء اصبحوا يخضعون اكثر فاكثر لنظام ملزم صارم . والبرلمانيون انفسهم ملزمون بطاعة تحولهم الى آلات انتخابية يسيرها رؤساؤهم .

على غرار « التكتلات » الاميركية اخيراً ، التي قيل عنها انها « الحكومة غير المنظورة » ، برز اكثر فاكثر تأثير « الجماعات الضاغطة » الفعّال . فهي تؤثر على الرأي العام (لأنها توصلت الى الاشراف على كافة الصحف تقريباً) وعلى الاوساط البرلمانية أو الحكومية بالتهديد بالامتناع عن انتخابها مرة اخرى وتمويل الاحزاب السياسية ، وبتقديم مشاريع القوانـين أو مشاريع تعديل القوانين ، وبالاسئلة الخطية او الشفهية التي يوجهها الى الوزراء النواب المتفانون في خدمتها وبالمساعي المنطوية على التهديد وحتى بالعمل المباشر : عرقلة السير في الطرقات العامة ، إقامـة الحواجز في الشوارع ، اضرابات المنتجين ... وهي متعددة الاشكال : جمعيات محاربين قدماء (الجوقة البريطانية) وجمعيات مهنية كالاتحاد الوطني للمستثمرين الزراعيين ، والاتحاد العام لكرّامي الجنوب ، والمعهد التقني الفرنسي للشمندر الصناعي ، والاتحاد الوطني لمالكي وسائل النقل البري ، واتحاد الصناعة البريطانية ، وجمعية صانعي الجعة ، وجمعية المزارعين الوطنية ، الخ . ؛ وقد سيطرت كلها على فئات برلمانية معروفة او مستترة يؤثر نشاطهـا على استقلال السلطات العامة والمنتخَبين . فنجمت من ثم في عرقلة نشاط المؤسسات البرلمانية .

تجسد السلطة

لم يستطع البرلمان التكيف وفاقاً للظروف الجديدة الناجمـــة عن واجب حل المسائل بسرعة وفي كل مكان ، فلم يعد من ثم المصدر الوحيد للسلطـة الحكومية . فقد اضطرت هذه الاخيرة — كي تكون فعـالة — الى التمركز والتوحد في ايدي عدد من الرجال او في ايدي رجل واحد احياناً . ففي هذا الاخير — الذي قـد يكون مجرد رمز او رئيساً فعلياً — تجسدت السلطة . فكانت النتيجة ان ضرب عرض الحائـــط بفصل السلطات شيئاً فشيئاً ، لا بل كاد البرلمان في بعض البلدان يفقد دوره في رقابة السلطة التنفيذية الذي كان رئيسياً في القرن التاسع عشر .

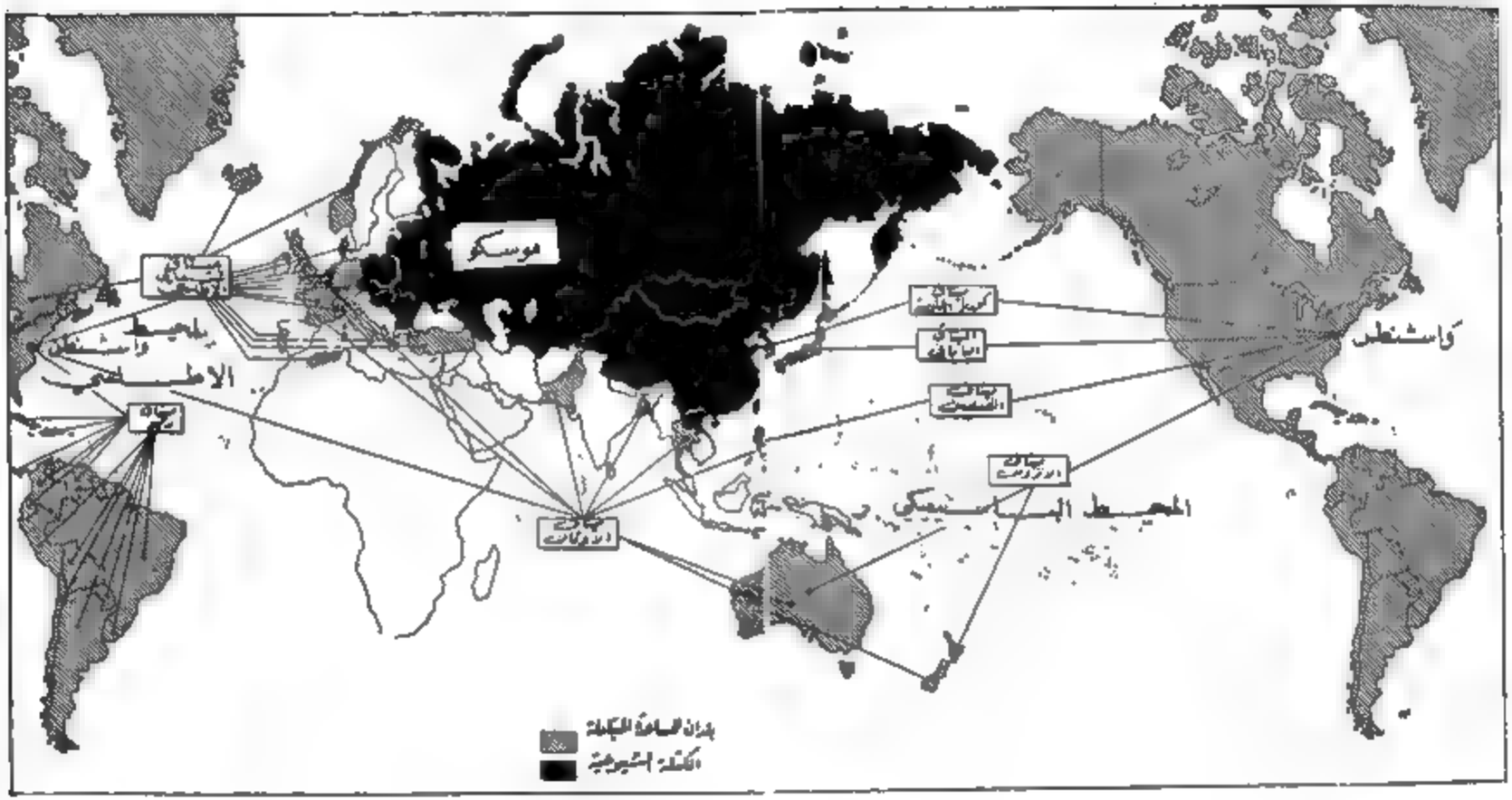

الشكل ٢٤ – خريطة الاتفاقات الغربية في سبيل المساعدة الثنائية في السنة ١٩٥٠

ليست ظاهرة تجسد السلطه ظاهرة جديدة ، ولكن وسائل عمل قوية جـــداً برزت حين طرأ هذا التأخر على المجالس التمثيلية . فان الاذاعة والتلفزة والسينما قـد قربت المسؤولين من الجماهير الشعبية ، وجعلت اسماءهم وصورهم مألوفة ، وساعدت على ان تتكون حولهم اسطورة استتبعت المشايعة العاطفية ، اي عاطفة اعجاب او تقدير نحو « المنقذ » ، نحو « الرجـل الذي لا بديل له » . وان تجسيد السلطة هذا ، الذي استفادت منه الحكومات الدكتاتورية قبـــل الحرب ، لم يخل دائماً من عبادة الشخصية ، لانه ينطوي على تملق للرجال العظام الذين حذرهم ديموقراطيو القرن الاخير لأسباب وجيهة كثيرة .

الخـلاصَـة

اذن واجهت العالم الرأسمالي والحر ، بعد الحرب ، صعوبات مردها وجود عالم شيوعي عرف نهضة صناعية واسعة وتحرر الشعوب المستعمرة ، ولكن مردها كذلك متناقضات داخلية ليس أقلها شأناً فقدان التوازن بين القوة التي تتولى ادارته وقوة الدول التي يتألف منها . فقد خرجت الولايات المتحدة من الحرب دون خسائر مادية وبشرية هامة ، وبطاقة صناعية واحتياط مـالي متزايدين ، فاستطاعت ، بفضـــل تفوقها الاقتصادي والمالي الساحق ، ان تفرض زعامتها باستغلالها ، بصورة خاصة ، الخوف من الثورة الاجتماعية المسيطر على الطبقات الحاكمة في اوروبا. وأدى النفوذ الاقتصادي والمالي الذي عناه مشروع مارشال بعد السنة ١٩٤٨ ، ثم الارتبـــاط بالميثاق الاطلسي في الحقل العسكري في السنة ١٩٤٩ ، والاشراف على القوات المسلحة (ومن ثم على الموازنات) ، والحرب الباردة ، الى توسيع الهوّة بين اوروبا الغربية واوروبا الشرقيـــة ، واستمرار ارتباط الغرب اقتصادياً بالولايات المتحدة الاميركية — بالرغم من نهضته الاقتصادية . فهل كان ذلك تمهيداً لـ « امبراطورية الاميركية » التي حلم بها « بورنهام » ، المبنية على السيطرة الاقتصادية والمالية ، وشبكة متصلة الحلقات مؤلفة من ٩٠٠ قاعـــدة عسكرية بحرية وجوية موزعة على كافة القارات ، واحـــلاف عسكرية قوية تحـــاصر الاتحاد السوفياتي وحلفاءه (الشكل ٢٤ ، ص ٤٨٤ — ٤٨٥) والشبيهـــة بالامبراطورية البريطـــانية في القرن التاسع عشر ؟

ان هذا التفوق الاميركي قد خلف في الحقيقـــة التفوق الذي حققته بريطانيا العظمى في القرن السابق ، ولكنه اختلف عنه بعض الشيء . فبينما كان التفوق البريطاني يمثـــل اوفر الحضارات حرية واكثرها تقدماً في ذاك العهد ، ويساعد الحركات التحررية والديموقراطية على المؤسسات المحافظة المسيطرة على البر الاوروبي ، استندت الولايات المتحدة الى القوى المحافظة في العالم التي تقاوم حركات التحرر القومي والاجتماعي . وهكذا فان الزعامة الاميركيـــة ، التي

تساند النظام الرأسمالي المتخلخل في كل بلاد، تعرضه لخطر بعيد الاجل بابقائها في مراكز السلطة القوى التي تحول دون تحقيق الاصلاحات الضرورية .

لا ريب في ان تحسن العلاقات الدبلوماسية منذ السنة ١٩٥٧ ، والتقدم الذي احرزه الاتحاد السوفياتي ، ونهضة الاقتصاد الاوروبي ، وتعاظم النزعات الحيادية البارزة في العـــالم الثالث التابع ، قد اضعفت هذه الهيمنة الاميركية وشجعت قيام سياسة داخليـــة ذات طابع حر في الولايات المتحدة . وانما ازداد في الوقت نفسه، في الحقل الاقتصادي ، تجمع المشاريع الذي عزز قوة الشركات الكبرى ووسائل تأثيرها على الحكومات؛ وفي الحقل السياسي ، توطدت بالمقابلة دعائم الحكومات المحافظة في الدول الغربية . فان الاحزاب اليسارية — حتى اكثرها اعتدالاً — آلت في كل مكان الى العجز او وقفت موقف الدفاع .

الفصل الرابع

الفكر والفن والحياة الدينية
في فترة ما بعد الحرب الثانية

ان انتصار السنة ١٩٤٥ ، الذي عقبه على الفور تأزم دولي جديد ، لم يتسم كآخر الحروب العالمية الاولى بالاسترخاء على الصعيدين الفكري والفني . فهو لم يولد لا تفاؤلاً ولا غروراً حيال المستقبل . وان ادب هذه الفترة قد « انف من العواطف النبيلة » ، وحرص على ان يكون واضحاً ويتجنب الاكاذيب والصور الخادعة على السواء . « لقد اختبر الانسان ، على مقياس العالم ، قوته المادية وفشله الاخلاقي » ؛ ولا يمكن اعتبار توسع الحضارة المادية تقدماً او تأخراً : « انه النتيجة الطبيعية للنشاط البشري ، التي اصبحت ضرورية بفعل تزايد سكان الكرة الارضية وتزايد متطلباتهم » . انتهت الحرب ولكن مسائل اخرى تستوجب الحل ، وفي مقدمتها بناء السلم :

... « ان نهاية الحرب تعني نهاية « هذه » الحرب فقط . ليس المستقبل مضموناً ؛ نحن لا نؤمن بنهاية الحروب ... واننا يجب ان نراهن . فحين تضع الحرب اوزارها تترك الانسان عارياً ، وغير مفكر مدركاً اخيراً انه لا يمكنه الاعتماد الا على ذاته » .

(ج. ـ ب. سارتر)

تعلم الانسان تمييز عقله ، وعرف ما يمكن ان ينتظره منه وما لا يمكن ان يؤمله : الاطلاق ، والكمال ، والمثالية ، وكل المقولات التي خلت من معناها والتي اعاض منها بالقيمة والنسبية ... لذلك تخشن الحس في كافة الحقول ؛ وبات الارتياب والتشكك بعد ذلك يحومان حـــول كل مذهب مقفل يبدو في الظاهر نهائياً .

١ – الفكر وفنون الادب

ج.ـ ب. سارتر

لقد سيطر على كل فترة ما بعد الحرب هذه ج. ـ ب. سارتر – البعيد عن اوهام سلفه « هايدغر » ـ الذي عرض اسس فلسفته في « الوجود والعدم » (١٩٤٣) . ففي هذا المؤلف نرى الانسان في جوهره محكوماً عليه بحرية مطلقـــة

وغير معقولة معـــاً ، وبالعيش في عزلة وانفراد . ولا معنى لحياة كل انسان الا ذاك الذي يعطيها اياه ، وليس للاحداث نفسها من حقيقة ومعنى سوى مـــا يعزوه اليها « ذاك الضمير الزائل على غير هدى الذي هو الانسان » ؛ ومن هذه الزاوية وهـــذا المنظور ، تفقد المعرفة العلمية والموضوعية قيمتها كحقيقة ، ولا يبقى لها سوى قيمة وجودية . ولكن هناك شيئاً آخر في فكرة سارتر ؛ ان عدم التقدم لا يستلزم بالضرورة انحطاط البشرية ، فانما هو انعدام مفهوم عام وموضوعي للتاريخ ، ويعود لكل انسان تحديد هذا التاريخ ، وتاريخ الماضي ، والتاريخ الذي يعيشه ، والتاريخ الذي يستشعره . « اذا كان كل شيء جـــائزاً ، فلا شيء سواء ، حتى السواء نفسه » . وفي الواقع ، ان ما يبرز في « الوجود والعدم » ، هو المهارة في الجدل عـــلى صعيد الاسلوب الفلسفي : الانسان منفرد وليس منفرداً قط . انه حر ، ولكن « في وضع معين » . واذا صرفنا النظر عن الآراء الماركسية ، فان هـذا المفهوم للانسان وللعمل الانساني الذي يعبر عنه هو بالنشر والطي مفهوم ما بعد الحرب : انعدام اي نظـــام سام ، انعدام اي فعـــل ايمان . ولكن القلق امـــام غير المعقول لا يجوز ان يستحيل الى يأس ، انه يقود الانسان الى اختيار واضح للعمل ، الى تولي امر مصيره الخاص والوضع الذي هو ملقى فيه .

النسبية والعقل

تكاملت علوم الانسان ، بعد ازمة اوائل القرن ، واصبحت علوماً مختلفة عن علوم الطبيعة ، وباتت كلها ، ولا سيما علم الاجتماع الذي احرز اكبر تقدم خلال السنوات الـ ٣٥ الاخيرة ، تعلمنا نسبية شاملة بما فيهـــا نسبية العقل البشري .

كانت هذه النسبية حصيلة كل الحركة الفكرية في اوائل القرن التي اجتهدت في احتقار العقل كدالة للحقيقة وافضت ، عبر علم الظواهر ، الى رفض العقل العاقل بواسطة الوجودية . فقد سبق لـ « هايدغر » ، في العشرينيات ، ان جاهر بازدرائه الشامل لكل المعارف التي قد تنبثق عن العلم : « ان ضبط اي علم لا يوازي ركانة علم ما وراء الطبيعة » . ان علم ما وراء الطبيعة والعلم على طرفي نقيض : فهو يبحث عن الوجود في اختبار عاطفة الانسان وتأوله . ومنـــذ الثلاثينيات رغب عـــلم الظواهر في ان يكون معرفة الانسان فقط ، وهي معرفة ناقصة في جوهرها كما يعرف علم الظواهر ذلك . فهو يضاعف من ثم ، بوصفه الظاهرة ادق وصف ممكن ، كما تبدو للضمير الناقد ، نتائج علم تحليل النفس . وينطلق هذا الاخير ، من جهته ، من تحليل اعماق العقل الباطن لتقديم الدليل على عـــدم موضوعية اكثر الافكار صوابية في الظاهر : وهو يجد مصادر هذه الافكار في غريزة الجنس على غرار « فرويد » ، او في طلب العظمة ، على غرار أدلر ، او في الامثلة الرمزية ، الشاملة والثابتة في طبيعتها ومغزاها على السواء ، لعقل باطن جماعي أبانه « يونغ » .

تبنى علم الاجتماع مدلول العقل الباطن هذا ، فآثار ابحاثاً كثيرة : علم اجتماع المعرفة ، الذي

ابتغى تحديد المغازي الخفية اللاشعورية للافكار المعبر عنها . ومنذ ماركس الذى طاب له ان يرى في افكار الانسان انعكاساً لطبقته الاجتماعية ، تعددت واختلفت تحولات الافكار الى غير جوهرها ، ولكنها الطوت كلها على ان الافكار ليست سوى مجرد حصيلة عقل خالص : تصدر عن شعور او عن ردة فعل يحدثها موقف معين ، فهي نسبية بفعل منشأها. ويظهر تحليل النفس في مدلوله الواسع (البحث عن المصادر اللاشعورية للافكار) ان تعريضه ليس سوى احتمال من جملة الاحتمالات .

ويبدو تحول الفلسفة في حقل علم الاخلاق ماثلاً للعيان : فبعد ان جعل نسبياً ككل شيء آخر ، استحال قيام مذهب اخلاقي متلاحم ، صوابي ، يمكن تعليمه . وحين يقترح « كامو » ، في « اسطورة سيزيف » ، علماً أخلاقياً معيناً ، فهو يعترف بعجزه عن تبرير بنائه الا بالحاجة الى جعل الحياة جديرة بأن تعاش . ولعل سارتر نفسه ، بتأجيله تكراراً نشر كتاب « بحث في الانسان » ، يعترف بعجزه عن اقتراح علم اخلاقي مبني على أسس ركينة . « ان مدلول استحالة العالم يبدو مثبتاً اثباتاً نهائياً في الفلسفة، ويرد ضمناً في كل مؤلف فلسفي». ولا يتخلص المؤمن منه الا « بقفزة » في الايمان ، كما يقول كامو ، ولكنه يسلم بالفاصل الكبير بين قدرة الفكر البشري واثبات وجود الله ، ويزعم في الوقت نفسه بأنه يكمل بفعل الايمان حركة انعكاس الفكر على الانسان والعالم .

وهناك قطاع من قطاعات البحث بات توسعه ذا شأن كبير بالرغم من حداثة عهده ، واصبح له في العهد المعاصر اهمية ومغزى خاصان ، اعني به قطاع تاريخ العلوم : ففي الوقت الذي يفقد فيه العقل ، في الفلسفة والعلوم البشرية، قيمته كمصدر للحقيقة ، لا يسعنا سوى مشاهدة تحقيقاته في حقل العلوم وتطبيقاتها التقنية . فالعقل البشري يعني هنا فعاليته وركانة مساعيه . وهو يؤثر على مدلول الحقيقة مدلول « المعرفة الدائبة »(باشلار)؛ وليس موضوع الكلام ، على كل حال ، العودة الى الايمان الكلي بامكانات العلم أو الى التفاؤل المطلق الذي جوهر بـه في أواخر القرن التاسع عشر : فان نمو العلم ليس نمواً خطياً دون اخطاء وتراجعات ، ومن الضروري تحليل المعرفة العلمية تحليلا نفسياً ؛ فان صوراً كثيرة شبه اسطورية وأمثلة كثيرة تتسلط على الضمائر وتتسرب خلسة الى براهين علمية مزعومة . وانما قام غاستون باشلار بتحليل العناصر الاربعة (ماء وهواء وتراب ونار) تحليلا نفسياً رغبة منه في تبيان هذه الامثلة .

التغلب على أزمة الحتمية

من جهة ثانية تغلب العلم المعاصر على الازمة النظرية التي برزت في أوائل القرن : فان ظهور علم الطبيعة النووي مع تطبيقاته الرهيبة (القنبلة الذرية ، القنبلة الهيدروجينية) ، وتأسيس علم كيميائي عقلي مبني لا على وصف اختباري لخصائص الاجسام كما في السابق ، بل على معرفة التركيب الذري الذي يعين هذه الخصائص ، قد اعادا للعقل اطمئناناً كان قد فقده . وان النظريات الخيرة التي رأت النور في اوائل القرن قد مكنت من ادراك الظواهر ادراكاً جديداً ، ولا سبيل لانكار حقيقتها بحجة

انها بالغة الجرأة او متناقضة : لقد اثبتت صحتها، ولكن عقل العالم قد تحول بسببها تحولا كلياً؛ لا بل انه في تحول دائم ، إذ أن النتائج الجديدة تخلق مسائل جديدة، وتعتبر هـذه التجددات منذلك شرط التقدم بالذات .

تسير أزمة الحتمية نفسها في طريق الحل . فان خطوات العلم الذري الاولى (تفجير الذرة في السنة ١٩٣٨) كانت تأكيداً كافياً بان العلم ما زال يتمتع ببعض القدرة على صعيد الذرة . ولكن الابحاث الأخيرة التي قام بها الفرنسي « ج. – ب. فيجييه » والاميركي « دافيسد بوم » قد اثبتت ان نظرية عدم تحديد الظواهر على الصعيد الذري كان مردها الى ادخال مبدأ ضمني وغير ضروري مسلم به دون برهان البرهنة : ليس عدم التحديد الموضوعي للظواهر ما اثبت ، بل الحدود الراهنة لقدرتنا على معرفة هذه الظواهر فقط . فتبقى نسب الارتياب التي يقول بها « هايزنبرغ » مقبولة عملياً ، وانما لم يعد لها المعنى النظري الذي كان يعزى اليها . فان انشتاين لم يستطع قط التسليم بعدم الحتمية . ولكن « لويس دي بروي » نفسه اعلن في السنة ١٩٥٢ ان ابحاث فيجييه وبوم قد قادته الى اعادة النظر في التفسير الاحتمالي الصرف لعلم الآليات التموجي الذي سبق له وسلم به منذ عشرين سنة وانه يواجه امكانية حل حتمي من شأنه وضع حـد «لمأساة علم طبيعة الاجسام الصغرى المعاصر ... اكتشاف ثنوية الموجات والجسيمات » .(«هل يبقى علم الطبيعة الكمي غير حتمي ؟ ») .

المدلول الجدلي للعلم

من جهة ثانية ، ولّى زمان فلسفة العلوم القديمة بدورهـا ايضاً : انبثقت عن موقف فلسفي تأملي صرف ، فتحولت الى مذهب عقـلي اعتدالي اعتبرت الاشياء فيـه بسيطة وثابتة ، والمعرفة سجينة مقولات مقبولة كأنها ازلية . فجاءت سرعة تقدم العلم والتقنيات بعد السنة ١٩٣٠ ، والصعوبة القصوى التي اتصف بها العمل العلمي ، تظهر ان نشاط العقل يبرز بشكل آخر مختلف جداً . وهو المنطقي « كافاييس » من برهن ان العلم ليس مستقلاً عن موضوعه ، وان ليس هناك من عقلية بحد ذاتهـا ، بل ان عقلية العلم قائمة في بنائه الاجمالي : ان نسبية العلم هذه انقذته من مخالفة الصواب اذ انها لم تأته من ضعف تركيبه ، بل من طبيعته الجدلية في جوهرها التي تجعله لا وجود له الا في الجهد الذي يبذله للسيطرة على موضوع حقيقي .

في هذا الافق الجدلي نفسه توجد فلسفة العلوم التي طلع بها « ج. باشلار » : انها تعطي تاريخ العلوم كل معناه ، لأن « العقل يتكوّن بتبصره في العـالم » ، ولأننا نكتشف من خلال توسع الآراء العلمية شروط تطبيق الفكر على موضوع ما ، والاخطاء الواجب تجنبهـا في المستقبل ، وتولد الافكار العلمية الراهنة » . فلا عجب من ثم اذا ما طلب ج. باشلار الى العالم ان يمتلك كل ماضي العقل ، اي كل ماضي علمه ، وفي الوقت نفسه كل حاضر التقنية («العقلية التطبيقية» ١٩٤٩) ، وهذا جديد كله : « الجهود العلمي ليس مجرد تأمل في الموضوع ، انه التحام بالمادة ، ومعرفة هذه المادة ممتنعة الانفصال عن القدرة عليها » . وهكذا يبرز مدلول جدلي للعلم هو

على ملتقى « عقلية تطبيقية » و « مادية متهذّبة » ، يقابل بها باشلار المادية الفلسفية الفليظة (« المادية العقلية ») .

اذن هو مدلول الجدل ما يبدو جوهرياً في الفلسفة المعاصرة. وقد اتاح إحكامه بعلم الظواهر (خصوصاً بشكله الوجودي مع سارتر) خلال العقود المنصرمة استخداماً شاملاً . اجل لا يعرف الانسان قط سوى فكره الخاص ، لا واقع الاشيـــاء ، ولكنه يكتفي طوعاً بهذا التأكيد شرط الاعتراف بصحة تفكيره في بعض الظروف . « هو تضامن الانسان الفاعل والموضوع المادي ، وهو تضامن الفرد والمجتمع في الزمان والمكان ما يتيحان التبصر جدلياً في العلم وحياة الفرد في المجتمع » .

علم الاجتماع

اما بصدد حجم الابحاث ، فهي مدرسة علم الاجتماع الاميركية لعمري ما تفوقت تفوقاً كبـــيراً على سواها ، حتى في فرنسا حيث لا يزال مركز الدروس الاجتماعية مديناً للأبحاث الاميركية. وتسيطر على هذه المدرسة مؤلفات « ر. بندكت » ، و « م. ميد » ، و « ر. لنبتون » الذين يقاومون الفكرة التطورية ، و « بيتيريم ا. سوروكين » الذي يرى ان المجتمعات البشرية تنمو ، لا في اتجـــاه تقدم قد يكون تحسناً ، بل « بموجات ودورات نسقية » . ولكن اتجاه بعض ممثليها ، ممن يعتبرون المجتمعات مجرد آليـــات ، الى اقصار ابحاثهم على درس وقائع تفصيلية كثـــيرة وعلى « اختبار كاذب » بصرف النظر عن كل تفكير فلسفي ، وعلى التعبير عن « صورة الواقع هـــذه » بصيغ حسابية ، ينطوي على خطر الافضاء الى « مرض الاختبار » و « جنون الكم » الفارغين والعقيمين حقاً .

ارتبط علم الاجتماع الفرنسي منذ نشأته ارتباطاً وثيقـــاً بعلم الشعوب ، وغا تحت تأثير « مارسيل موس » وتلميذه « ليفي – شتراوس » باتجاه درس الهيئات الذي يعتبر ان التحليل البحت في علم الاجتماع لا يمكن ان يؤدي لأية نتيجة ، لأن كل عنصر لا مغزى له سوى في مجموع هو فيه ضروري وقابل التغير بدالة كافة العناصر الاخرى .

ان لـ « كلود ليفي – شتراوس » الفيلسوف والعالم باصول الشعوب واخلاقها تأثيراً يتخطى جمهور مستمعيه في كلية فرنسا الى حد بعيد . فان مؤلفاته « دوائر الانقلاب الحزينـــة » ، و « الفكر البائر » ، و « النيء والمطبوخ » ، و « الوثنية المعاصرة » ، وسواها ، قد جعلت الكثيرين يألفون افكاره وأسلوبه . وبالفعل ، فتح علم الانسان التركيبي آفاقاً جديدة أمـــام العلوم البشرية التي اعطاها اسلوباً يخالف التحليل الجدلي على الطريقة الماركسية الذي يقول به سارتر ، وربما كان « ليفي – شتراوس » – في رأي « جان لاكروا » – آخذاً في بناء الفلسفة « الاكثر إلحاداً عنيفاً في أيامنا هذه » .

بصورة عامة تسود علم الاجتماع المعاصر روحٌ نسبية شاملة : ليس بعـــد اليوم من تسلسل مجتمعات ، وليس من تفوق للبيض وحضارتهم . وتمنع فكرة الشخصية الاساسية التي ترافقها فكرة « التجميع الثقافي » فكرة تسلسل القيم أو التقدم التاريخي ، فكل مجتمع ينمو نمواً خاصاً به .

واذا حول المجتمع الغربي كل جهده المنطقي نحو العلم والتقنيات ، فقد حولته مجتمعات اخرى نحو الدين ، او النسب ، وأسست في هذه الحقول مذاهب معقدة جداً . لقد زال تعبير «المجتمع البدائي» من اللغة العلمية . فنحن هنا أمام توسع مفهوم الانسان ، ونشأة انسانية تعترف بسمو انسانية القيم الغريبة عن الغرب . وهذا لعمري حدث غريب وهام جداً في الوقت الذي يتجه فيه مثال الحضارة الغربي الى الانتشار في العالم كله والى قلب مجتمعات كاد الجمود يسيطر على تنظيمها منذ آلاف السنين رأساً على عقب .

السيكولوجيا و «العلائق البشرية»

تقدمت السيكولوجيا تقدماً هاماً في الحقل العملي بنوع خاص. فالطب النفساني الاميركي قد نوّع طرائقه بغيـــة تطبيقها على الاضطرابات العقلية المختلفة ، لاجئاً الى المزيد من الاختبارات والاسئلة الدقيقة . ومن جهة ثانية اتجهت السيكولوجيا المختبرية ، خصوصاً بعد السنة ١٩٣٠ ، نحو طرائق تقدير انفعـــالات الفرد النفسية ومسائل التوجيه المهني . فقد استخدمت أولا من قبل حكومـة روزفلت في اطار «النهج الجديد» ، ثم من قبل المشاريع الكبرى التي وضعتها في خدمة تنظيم وسائل الانتاج ، الذي كان في الواقع تنظيم استثمار الانسان بالانسان والآلة . وبعـــد ان اثبتت اختبارات عـــدة ان تحسين الانتاجية هو دالة عوامل سيكولوجية واخلاقيـــة ، فبات لزامـــاً ، لا تحسين ظروف العمل المادية فحسب ، بل الجو نفسه الذي تنمو فيـــه الحياة المهنية . هـــذا هو مذهب قياس الظواهر الاجتماعيـــة لـ «العلائق البشرية» ، المنبثق عن الاختبارات الجراة في السنة ١٩٢٧ في مصنع «كهرباء الغرب» في «هوثورن» – أحـــد احياء شيكاغو . وقد كان هذا المذهب منطلقاً لابحاث جامعية كثيرة حول «العلائق البشرية» في الصناعة ، وحول السيكولوجيا الاجتماعية التطبيقيـة ، وحول دراسات سلوك فريق العمـل والوكالات التي تقدم المشاريع سيكولوجيين اختصاصيين . وجر عجز رؤساء المصانع الكبرى عن معرفة من يستخدمونهم معرفة جيدة الى اعتماد تقنيات سيكولوجية اخرى : اختبارات الشخصية : التوازن التأثري ، الصدق (بواسطة الـ «بوليغراف» اي جهاز كشف الا ذاذيب) ، النزاهة ، التي اضيفت الى الاختبارات الكلاسيكية المقتصرة على درس الحركات الانعكاسيـة لمراكز الحواس والدلائل الطبيعية على الكفاءة .

كان دور هؤلاء «المهندسين البشريين» الذين درسوا «حركات» الجماعـات – بحسب روح سوروكين – والسيكولوجيـــا العمالية ، معرفة العمال شخصيـــاً (حتى باسمائهم ...) ، وتوجيههم ، وكسب ثقتهم ؛ وكان على المسؤولين من جهتهم الابتعاد عن كل غطرسة او تصرف استبدادي ، وعلى «المعلم» ان يكون مرشداً . فالمطلوب هو حث المستخدم والعامـــل على الانتاج اكثر فاكثر وذلك باقناع المستخدمين والعمال بان المشروع يؤلف نظاماً اجتماعياً تترابط عناصره بعضها بالبعض الآخر ، وبعث محبة المصنع في العامل بخلق روح التضامن ، وبالخدمات الاجتماعية ، وصحف المصانـع التي تخلق روحاً جماعية ، وتنظيم المحـــاضرات ، والنوادي

والنشاطـــات المختلفة ، والمباريات الرياضية ، والاعيـــاد « العائلية » ، واستشارات العمال والمستخدمين في امر تنظيم العمل ، ومراعاة حق الأقدمية في المؤسسة مراعـاة كبرى . ويجب ان يؤدي زوال الاستبداد الى اثارة الانطباع في العامل بان كرامته محترمة وفضله معترف به .

في الواقع ، وجد اختصاصيو درس الانفعالات السيكولوجية ، .وم رجـــال بحث علمي ومستشارون صناعيون للادارة التي تثيبهم في وقت واحد ، في وضع مشتبه قلـل من سلطتهم وتأثيرهم . فان التـــدابير المتخذة بناء لمبادهتهم بدت للعمال وكأنها بوادر مـــذهب « ابوة سيكولوجية » ، واعتبرت « احساناً ممنوحاً مفروضاً » ، لا اعترافاً بـ «حق»؛ وقد نظر اليهـــا المستخدمون والعمال بحذر لانها تستهدف ، في رأيهم ، ابعادهم عن منظماتهم السياسية الخاصـة وعن نقاباتهم . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان تقنيات الاستقصاء السيكولوجية الاجتماعية قد اعتبرت جاسوسية تشجع الوشاية والرثاء،وتستهدف القضاء على حركات المطالبة بالحقوق وابقاء العامل في حالة خضوع دائم .

الميزات الجديدة للابداع الفني

في هذا الحقل توزعت الطاقات توزعاً جديداً . فان مدرسة باريس قد عرفت البقاء، ولكن النهضة لم تحدث على غرارها عشية الحرب العالمية الاولى . ولم تعد باريس المركز الوحيد لاجتذاب الفنانين الشبان . وفي هذا الحقل كما في غيره برزت قوة الولايات المتحدة الجديـدة . ومما جعلها تزاحم باريس مزاحمة ظافرة توزيع المنح التعليمية (على الاجانب والمواطنين الاميركيين على السواء) . فقـــد نازع متحف الفن العصري في نيويورك متحف باريس باكورة المعـارض الكبرى . واذا ما احسنت اميركا منذئذ وفادة الفنانين والكتاب ، فانها حرصت كذلـك على تهذيب شخصيتها الخاصة ؛ فقد اصبح هنالك سوق داخلية على بعض الاهمية وعزة وطنية جعلتا اثرياء الاميركيين والمتاحف يؤثرون شراء اللوحات المعاصرة الاميركية .

من جهة اخرى ، وسعت الحياة الفكرية والفنية آفاقها توسيعاً عظيماً . فقد اخذت البلدان السكندينافية والشرق الاقصى واميركا الجنوبية توفي قسطها للشؤون الثقافية ، لا باهتمامها بالفن والادب في الغرب التقليدي بل باسهامها في هذين الحقلين اسهاماً خاصاً مميزاً . وبالمقـــابلة بحثت فرنسا والولايات المتحدة في الشرق الاقصى عن تقنيات ومصطلحات من شأنها تجديـد تقنياتها ومصطلحاتها او توسيع حقل بحثها .

«لم الفنان ، شأن الكاتب ، بأنه يدخـل حضارة جديدة لا يمكن ان يعتمد الانسـان فيها الا على نفسه . واذا ما زال الملحن والرسام والنقاش يعيشون من ثورة اوائـل القرن (التي تمادت ، فيما يعني الموسيقى ، حتى في العشرينيات بفضل ابتكار التقنية التوافقية) ، فان البحث ما زال متواصلاً بنشاط . فكل شكل من اشكال الفن بحث عن لغته الخاصة وتحرر من كل شاغل ادبي . وقد شوهدت تصفية عامة للمذهب التعبيري (اقله في الجيل الذي بلـــغ سن الرشد في السنة ١٩٤٥) وتفتح الفن التجريدي . فلا مبرر بعد اليوم لأن يفرغ الفنان نفسه في قوالب صنعهـا

الآخرون اذ انه لم يعد ليرى في السلم الموسيقية او في الموضوع الطبيعي المطلوب منه تمثيله سوى مصطلح من جملة المصطلحات ؛ فالمتوالية التوافقية ليست اقل « طبيعية » من السلم الموسيقية ، والموضوع الطبيعي ليس اقل تحكماً من اي ابتكار تصويري . فالتصميم على عدم التشكيل في الفن التصويري وعلى كتابة المتوالية التوافقية في الموسيقى ، « لرغبة في اعطاء شكل لما هو دون اي شكل وتحييز وجود شيء جديد كلياً » . والتعبير عن تأثر خـــاص بالفنان يُدخل بعض الذاتية والسيكولوجية معا في الحقـــل الجمالي ، كما يقضي على استقلاله وشموله ، فيجب من ثم العزوف عنه . وليس المقصود بعد اليوم ذاك الجمال « الخالص » والخلو من الروح ، الذي نادى به سترافنسكي وفاليري في العشرينيات ، بل جمالاً يكون اشبه « ببيئة » يحتـاج اليها الانسان كما يحتـاج الى الهواء الذي يتنشقه .

هذا هو نقيض علم سنن الجمال التقليدي ؛ وفي الوقت نفسه ، توسع البحث الفني توسعـــاً كبيراً واصبح نسق تطوره اكثر سرعة بفعل المواد الجديدة التي توفرهـا الصناعة المعاصرة دون انقطاع . ويلمس هذا الاسهام خصوصا في حقل النقاشة حيث جارت المادة البلاستيكية الجديد والحجر والاسمنت ... ، وفي حقل الموسيقى حيث جاء العلم الالكتروني يجدد امكانات الفرق الموسيقية والآلات الموسيقية .

الفنون التصويرية

نادراً ما ينحصر الفنانون في تقنية خاصة ؛ فالرسام قـد يكون نقاشاً كـ « ارب » و« بفسنر » وقد يمارس فن صناعة الخزفيات كما فعل بيكاسو في « فالوريس » او يمارس فن جمع القطع الزجاجية على الطريقة القديمـة كـ « ليجيه » ، او فن صناعة المديجات كـ « لورسا » ... وبالمقابلة قد يصبح مهندس المهارة رساماً (له كوربوزييه) او نقاشاً (الهنغاري « ا. بيوتي » ، والاسباني « ادواردو شيليدا ») ؛ وان في تنوع حقول نشاطهم لدليلاً ، لا على عمق وحدة المسائل ، وروح البحث التي تحرك الفنانين فحسب ، بل على اهتمامهم بالتوفيق التام بين الانتاج والمسكن البشري وبخلق اطار يتجاوب ويتكامل فيه التفصيل التزييني واللوحة والخط الهندسي .

عبر عن الرسم التجريدي في فرنسا ، منذ السنة ١٩٤٦ ، في « صالة الوقائع الجديدة » (حيث نجد مرة اخرى « هربين » ، وبفسنر ، وارب و « غليز » و « دل مارل »)؛ وفي السنة ١٩٥٤ ، فتحت اول صالة للنقـــاشة التجريدية التي ضمت اناسا مختلفين بقوميـاتهم ومنتجاتهم الفنية ، من امثال الاميركيين « كالدر » و « داي شنابل » ، والدانماركي « روبير جـاكوبسن » والاسباني شيليدا ، والايطالي « فرانشينا » ، الى جانب « ارب » وبيوتي و« اندريه بلوك » و« ن. شوفر » و « جيليولي » و « ستاهلي » .. وهشية الحرب كادت النزعة « الهندسية » وحدهـا تقريبا ان تكون ممثلة على هذه الصورة ؛ ولكن وفرة المنتجات والنجاح الذي صادفه ، على غير انتظار ، هـــذا الشكل التجريدي الذي بلغ عهده الكلاسيكي ، منذ « كاندنسكي » و « لاريونوف » و « ديلوناي » و « موندريان » في الرسم ، و « برانكوزي » و « غونزاليس » في النقاشة ، قد

تركا انطباع تمسك مفرط بالشكليات يراعي وكأنه تله بالملح ؛ ولذلك تحول الجيل الطالع نحو دروس الواقعية المفرطة ، فبرز تفتح نزعة واقعية مفرطة تجريدية (« بولياكوف » ، « ديرول » ، ...) « قد تبدو ، بازدرائها ، اقله ظاهريا ، بالتركيب والشكل المحدد تحديداً واضحا (البقعية) وكأنها عودة الى مادة بسيطة جداً واقل ما تكون اعداداً وروحانية » . واستوحى بعض الاميركيين ، ولا سيما « طوبي » و « طوملن » و « كلين » و « الكوبلي » وستاموس ، الخ . ، وبعض الفرنسيين ايضا من امثال « هارتونغ » و « بوت » و « ماتيو » و « سولاج » و « شنايدر » ، الخط الصيني او الياباني في الشرق الاقصى . اضف الى ذلك ان الاتصالات تعددت بين الخطاطين اليابانيين والرسامين الغربيين (في السنة ١٩٤٥ ، عرض منتجات الخطاطين اليابانيين العصريين في متحف الفن العصري في نيويورك ، عقبه عرض مماثل في متحف الفن العصري في باريس) .

اثارت هذه النزعات ردة فعل واقعية : عمم « بازين » (تعليقات على الرسم المعاصر) فكرة التجريد ، فأبان ان كل رسم تجريدي من حيث انه لا ينقل موضوعه بل « يستخدمه كنقطة انطلاق للابداع التصويري » . فلا مبرر من ثم لان ينحصر في ما هو غير تمثيلي : بمقدوره انتقاء مواضيعه حيث يجدها . ويجيز بازين لنفسه ، استناداً الى هذه الملاحظة ، ان لا يبقى واقعياً ، على نقيض « سنجبيه » و « مانسييه » و « بينيون » و « استيف » و « لابيك » و « له مول » . وقد استهدف هؤلاء الاخيرون التعبير لا عن الشعور فحسب بل خصوصاً عن التأثير الذي يتركه الشعور ، فأفضى بهم هذا الاهتمام بالتعبير الى تشويه الموضوع والاستغناء عن الكثير من مظاهره بحيث يفقد هويته .

يبدو ان الجدة الهامة في هذا النصف الثاني من القرن العشرين هي ولادة « فن الابتعاد عن الشكل » الذي انما هو « فن تعبير داخلي ووحي ، يغوص مباشرة في اعماق الوجود ويبرز المسوخ والاشباح واختراعات المخيلة العجيبة ، بكل حرية وحتى بسخرية من اشكال التعبير السابقة » . وكان تأثير بولوك وهارتونغ كبيراً جداً على هذا الاتجاه الخصاب الذي سلكه « فوتربيه » و « وولز » وخصوصاً « جان ديبوفيه » .

الموسيقى

ان تقنية المتوالية التوافقية التي ابتكرها « شونبرغ » لم تأخذ بالانتشار بين الملحنين الشبان الا بعد السنة ١٩٤٥ . فقد وفرت دليل المقام للخط الموسيقي ، واصبحت من ثم الالحان التوافقية الاثنتا عشرة القاعدة الاساسية للابحاث في الخط الموسيقي واجتذبت الملحنين الشبان الجسّارين ، طلاب معهد الموسيقى في باريس و« ماسيان » وليبوفيتز . الا ان الموسيقى التجريدية التي ابتكرها الفرنسيون «بيار بوليز » و«موريس له رو» و « اندريه هودير » ، والبلجيكي « هنري بوسور » ، والالماني « ستوكهوزن » ، لم تصادف النجاح نفسه الذي صادفه التجريد التصويري . ويجب ايضاً ان تؤخذ بعين الاعتبار الصعوبات التقنية التي يتوجب على الملحن تذليلها عند كل خطوة في هذا الحقل الجديد ، والتي تجعل من

التلحين التوافقي نظاماً شاقاً غير مضمون النجاح . فالمؤلفات هي بعد اليوم من صعوبـــة الاداء بحيث تتراجع الفرق الموسيقية امام عدد التمارين الضرورية، باستثناء فرقة اذاعة مونيخ للمؤلفات السمفونية وفرقة اذاعة باريس حيث تُحيا بعض الحفـلات الموسيقية . وباتت الظروف من ثم غير ملائمة لانتشار موسيقى مستصعبة لا يتعودها الحس في وقت قصير .

بانتظار تحقق الثورة الموسيقية التي تعدها مؤلفات «ابلر» و « ايمرت » في « بون » وكولونيا » بواسطة الموسيقى الالكترونية » تبدو الالحان التوافقية الاثنتا عشرة الآن وكأنها اغنى مذهب موسيقي بامكانات المستقبل » وانما يجب الاعتراف بأنها مجرد اصطلاح . فلا عجب والحالة هـذه اذا ما اثارت اعتقادية الملحنين الشبان » ثم اعتقادية المدرسة التقدمية (التي تستوحي « الواقعية الاجتماعية ») » منـــذ السنة ١٩٤٧ » مقاومة عدد ضئيل من الملحنين الذين يؤلفون فريق « الزودياك » . وبهـذه الصفة يتميز الفريق (موريس اوهانا » ستانسلاس سكروفتشفسكي » سرجيو دي كاسترو) في الدرجة الاولى برفض المدارس والمذاهب وبتصميم على الاستقلال التام.

في حقل موسيقى الجاز » شوهد اثناء العمليات الحربية ما يشبه العودة الى اسلوب «اورليان الجديدة » مع ارمسترونغ و « سيدني بيشيه » » وانما ظهرت في آخر الحرب اشكال تحيي لغة الجاز او قد تستطيع على الاقل احياءها : اســلوب « بي – بوب » اولاً الذي اشهره جلسبي وباركر » ثم الاسلوب « البارد » » في عهد متأخر .

السينما بعد الحرب .

استفادت السينما » اكثر من اي شكل آخر للتعبير الفني » من تقدمات التقنية » وارتدت طابع حضارة الجمـــاهير التي تميز العصر . وقد اتجهت نحو اعطاء المشاهد صورة اقرب الى واقع الابعاد الثلاثة بواسطة « السينما البارزة» » اما بتحقيق صورة مجسادية» واما بالشاشة البانورامية (سينراما ١٩٥٢» سينماسكوب ١٩٥٣) » وبالسينما الملونة التي تحققت بفضل طرائق مختلفـــة (تكنيكولور » اغفاكولور » سوفكولور » روكولور » الخ.) . ولكن الحدث الاساسي كان » في الدرجة الاولى » ظهور المدارس الوطنية » ولا سيما في البلدان التي استيقظ فيها الوعي القومي والتي فازت بالاستقلال وحرية التعبير . فمنذ السنة ١٩٤٥ » انبعثت سينما ايطـالية اسست « واقعيتها الجـــديدة » مدرسة في العالم كله » بينما اخذت دول اوروبا الوسطى » بولونيـا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا وبلغاريا » تلتج افلاماً قومية معدّة لارضاء رغائب زبن يتزايد عددهم تزايداً مطرداً . وليس بعد اليوم سوى افريقيا – باستثناء مصر التي توزع الافـلام على الشرق الادنى – وزنوج اميركا (اذ ان البيض يشرفون على انتاج الافلام « الزنجيـــة ») من هو محروم من التعبير السينمائي . وهي السينما اليابانية بصورة خاصة ما حققت اسرع تقدم في كمية (٣٥٠ فيلماً في السنة ١٩٥٤) ونوعية انتاجها . فبينما اخـــذت الاتحادات الخمسة الكبرى » التي تشرف على معظم مراكز التصوير السينمائي وصالات السينما» تكثر من انتاج الافلام التجارية » والافـــلام الساموراثية المنتحلة التاريخ (على ان بعضها من الدرجـــة الاولى » « راشومون » » « باب الجحيم » »

« الساموراي السبعة ») ، اتاحت احدى المنظمات التعاونية ، بفضل مساعدة النقابات وعطف الجمهور ، لبعض المنتجين من امثال « كينوشيتا » و « كوروساوا » ، انتاج افلام تتميز بالواقعية الجديدة (« اوكاسان » ، « ابناء هيروشيما » ، « كزهرة الحقول » ، « لو علمت الطيور »...) احتلت المرتبة الاولى في العالم . وبعد الهند ، التي تستطيع انتاج ٣٠٠ فيلم في السنة (كلكوتا المدينة الطاغية ، اباراجيتو ، باتر بنشالي ، ...) ، والصين منذ السنة ١٩٤٩ ، وتركيا (٥٠ فيلماً في السنة)، اخذت ايران وباكستان وسيلان واندونيسيا وتايلاند وبورما تنتج بعض الافلام . وفي اميركا اللاتينية ، تحتل المركز الاول السينما المكسيكية التي تسيطر على العالم الاسباني بفضل المخرج السينمائي لويس بونويل ، وممثلين موهوبين من امثال بدرو ارمانداريز (ماريا كندلاريا ، ١٩٤٢ ، لوس اولفيدادوس ، ١٩٥٠ ، فيريديانا ، ١٩٦١) ، ولكن السينما الارجنتينية والسينما البرازيلية الناشئتين اخذتا تنتجان افلاماً طريفة .

نجم عن ذلك تراجع السينما الهوليوودية بالرغم من قدرتها المالية التي جعلت الحاد « ارثور رانك » البريطاني الكبير تحت سلطتها المطلقة ، والفوائد المالية التي وافقت لها عليها بعض البلدان (اتفاقات « بلوم – بيرنز » في السنة ١٩٤٦) . وزاد في خطورة هذا التراجع انحطاط فني يرد اما الى نظام « مطاردة الساحرات » الذي ابعد عن اميركا او حرم من العمل بعض المخرجين والفنانين المجيدين من امثال « تشارلي تشابلن » الذي انتج « لايلايت » في اوروبا (١٩٥٢) ، واما الى انتشار التلفزة . فيبدو ان المرتبة الاولى في انتاج الفيلم ، التي استأثرت بها هوليوود منذ السنة ١٩٠٨ ، تنتقل شيئا فشيئا الى اليابان التي تتبعها عن كثب السينما الهندية والسينما الصينية (٢٠٠ فيلم في هونغ – كونغ وحدها) ؛ وتأتي بعد ذلك السينما الايطالية (١٤٠ فيلماً)والسينما الفرنسية (١٠٠ فيلم في السنة ١٩٥٥). وفي اوروبا كانت السينما الايطالية المنتصرة الكبرى في فترة ما بعد الحرب بفضل مخرجيها « روبرتو روسليني » و « فيتوريو دي سيكا » و « لوتشينو فسكونتي » و « فدريكو فليني » و « ميكلنجلو انطونيوني ». اما السينما الفرنسية التي حافظت اثناء الاحتلال ، وفي ظروف صعبة ، على انتاج يتصف بخير نوعية (« زوار المساء » ، « العودة الدائمة » ، « بونكارال » ، « الغراب » . .) ، فقد استطاعت مقاومة سيل الافلام الاميركية بفضل افلام ذات قيمة كبرى (« السكوت من ذهب » ، « ابواب الليل » ، « رصيف الصاغة » ، « أحق الحق ») تعالج المسائل الاجتماعية : عقوبة الاعدام ، اجرام الشبان ، مآسي الحياة اليومية .

بين المخرجين البارزين في السنوات الاخيرة ، من امثال « باردم » الاسباني (« اهلا وسهلا يا سيد مارشال » ، « موت راكب دراجة هوائية ») ، و «فاجدا »البولوني («قنال» ،« رماد وماس») ، و بوندارتشوك الروسي (« حين يمر اللقلق » ، ١٩٥٨) يمكن الجزم بأن الاسوجي انغمار برغمن ، الى جانب فليني («عذوبة الحياة»، ١٩٦٠) ، قد برهن في ما اخرجه («بسمات ليلة صيف»، ١٩٥٦ ،«الخاتم السابع»، ١٩٥٧ ،«على عتبة الحياة»، ١٩٥٨ ،«ثمر التوت الافرنجي

البري»، ١٩٥٩)هو اقوى واغرب شخصية وانه يعبر بمزيد من النبوغ والقوة عن قلق العـــالم الحاضر و«شؤم»الحياة . وفي فرنسا ظهرت في السنة ١٩٥٨ ، الى جـــانب كلير و كاوزو و «بكر» و بشون و كليمان و تاتي، موجة جديدة بالغة الاختلاط برز فيها ، الى جانب كلود شابرول ، فرنسوا تروفو ، وآلان روسنيه (هيروشيما حبيبتي ، ١٩٥٩ ، وخصوصا « السنة المنصرمة في مارينباد » الذي هو خير فيلم تجديدي في ايامنا)، ومارسل كامو(اله الموسيقى الزنجي ، ١٩٥٩) .

القصة في فرنسا

في فرنسا ، كان تأثير القصة الاميركية في الثلاثينيات عظيما جـــداً . اما ما اكتشفه الجمهور فيها ، من خـــلال الطرائق التقنية الجديدة ، فهو الرؤيا الخيالية المطبقة على العالم الذي يعيش فيه : صورة يذوب فيها الفرد في الواقع الاجتماعي، تحركها حياة نابضة ، يزداد نسقها بفعل التطورات المادية . واكتشف فيها كذلك مثالا جديداً للموضوعية ، لا موضوعية القرن التاسع عشر الصنعية ، بل تلك المنبثقة عن عالم زالت منه كل قيمة سامية وكل مركز اسناد مطلق .

يبرز هذا التأثير في مؤلفات سارتر منذ السنة ١٩٤٥ . فهو في « طرقات الحرية » (١٩٤٥) يتخلى عن وجهة نظر الضمير الفردي ، الذي اكتفى به حتى هذا التاريخ ، بغية ايقافنـــا ، بشكل خيالي ، على كيفيـــة نظره الى التاريخ المعاصر . ومنـــذئذ حوّل نظره الى الواقع الاجتماعي ، ولكن ميوله اليسارية تركته في موقف المنادي بالحرية الذي يرى في تطرف هـــذه الجهة وتلك شططاً يجب تجنبه . ولم يؤمن بحل جذري ونهائي للمسائل المعلقة ، وانما شدّدت مؤلفاته آنذاك على نسبية كل عمل انساني (الايدي القذرة ، ١٩٤٨) ، وتجدده الدائم ، دون تقدم يذكر ، بسبب جاذبية الحتميات الاقتصادية والاجتماعية (اتفاق الظروف الصعبة، ١٩٤٦). اما كامو فقد حاول ، بُعيد الحرب ، ان يلقن الناس علماً اخلاقياً جديداً : لا ريب في ان العالم والحياة البشرية مُحالان (الغريب ، اسطورة سيزيف ، ١٩٤٢) ، وانما يمكننا الاعتقاد بعدد ضئيل من القيم ، كالوضوح والصدق اللذين يجعلان هـــذه الحياة الهشة ممكنة ومقبولة (الطاعون ، ١٩٤٧) . ويبدو الانسان مثقلا بمصير لا يتحكم به ولن يتحكم به البتة ، ولكن له القدرة على رفض هذا المصير ، والثورة على الظلم والكذب ، « وهي قيم يستمر واقعهـــا حين يزول تبريرها بحسب علم المعقولات » .

ولكن مفهوم العالم هذا ، الخالي من التعزية ، الذي يقترحه علينا الكتاب عشية الحرب ، ما زال جميلا جداً ؛ فهو ما يزال يفترض وحدة البشر حول قيم اساسية . ولكن الحرب الباردة قضت على هذا الوهم الخادع الاخير اذ ان المفردات التي تعبر عن القيم اختلفت منذئذ معـانيها باختلاف المعسكر الذى تنتمي اليه . ولذلك فان تأثير كامو ، الذي كان كبيراً جداً في اعقاب الحرب ، قد تدنى بسرعة كلية . فعدل عن مقاومة فساد العالم ، وباتت رسالته سلبية تماماً : ليس للانسان بعد ذلك سوى رفضه الوضع الراهن (الانسان الثائر ، ١٩٥١) ، وليس بوسعه

سوى المجاهرة بثورته ما دام كل عمل مشوباً بالفساد . وكانت هـذه كذلك رسالة اويل الذي كان موضوعه الوحيد المطالبة بحرية لا هدف لها (انليغون) .

يضاف الى ذلك ان سارتر ، تحت تأثير الاحداث ، قد تخلى عن اسلوبه في المؤلفـات التي اصدرها في اعقاب الحرب . فقد كانت مقـاومته للحرب ، التي ادخلته الصراع الايديولوجي تدريجياً ، اشدّ إلحاحاً من مذهب اخلاقي او اسلوب ادبي . لذلك قل انتاجه الادبي (الشيطان والله) كلما عالج المسائل السياسية ، فانطلق سارتر من تحقيقه اليائس لعدم جدواه ، وانقـذ الانسان من عزلته ... بحمله على العمل .

عرفت القصة السيكولوجية البقاء مع ذلك ، ولكنها غالباً ما اصبحت نقدية او هجائية ، متباهية باحتقارها القيم الاخلاقية او مبينة بالاحرى انها غـير موجودة بالنسبة لاي شخص (مارسيل ايمه) . وبلغ من عدم اهتمام الروائي بالواقع الاجتماعي انه لم يتردد في الانتقـال الى عالم خيالي تماماً . وتناول الوصف الحية بكافة اشكالها وانحرافاتها وافراطاتها ؛ وغالبا مـا يكون البطل لواطياً ، رغبة من الكاتب في الاستهزاء بالانظمة القائمة . ولكن شتان ما بين هذا الجو وجو التعثير الذي اكتنف اعتراف « جيد » في العشرينيات : فليس المقصود بعـد اليوم الاستسلام للفجور والطيش لان الحرب قد انتهت .فلم ينبثق ادب هذه الايام من ردة فعـل لسنوات الحرب القاسية فحسب ، بل من طرح مسألة الحالة الانسانية طرحاً جديداً ؛ لا بـل ليس المجتمع بعد اليوم ما يثير المسألة ، بل الانسان الملقى في الكون دون ان يدرك سبباً لذلك، والمستمد اكثر من اي يوم مضى للاعتقاد بان ليس هنالك من سبب . ولذلـك فان القصصيين المعاصرين يصفون عالماً محالاً لا قيم فيه .

لا يختلف الجيل الادبي الطالع بهذا الصدد عن الاجيال السابقة ، ولكنه ، على نقيضهـا ، ينحرف عن « التاريخ » وعن النزاعات الحقيقية التي تمزق البشر او تثير الاختلاف فيما بينهم . هذه هي « مدرسة مقاومة القصة » التي لا تكترث بالسيكولوجيا والحياة الداخلية وترفض الحياة في الحاضر . اما مقصدها فهو وصف عالم حيادي ، او « واقع مادي بحصر المعنى » خلو من مغزاه التاريخي ، او عوالم صغيرة مقفلة « منفصلة عن كون ليس الزمان ولا لحركة التاريخ تأثير عليه ويكاد الانسان يكون غائباً عنه » . هذه هي الملامح المشتركة بين كتـاب يختلفون اختلافاً بيناً من جهة اخرى : « آلان روب – غرييه » الذي يبدو وكأنه مقـدم الصف ، ناتالي ساروت ، مرغريت دورا ، ميشيل بوتور ، كلود اولييه ... ونجد رفض الدسيسة نفسه والتصميم على بناء مسرح عار وظاهر في تمثيليات « يونسكو » (بانتظار غودو ، الكراسي ، المغنية الصلدة الراس ، وحيد القرن) ، وصموئيل بكت (وهو قصصي ايضاً) ، وأداموف .

القصة الاميركية

في الولايات المتحدة ايضاً اختلفت حال الكاتب عنها في العشرينيات . وليس المقصود بذلك انه فاز باجتذاب مزيد من القراء ، ولكنه كان مشغّل الفكر بجو الانقياد المحيط به ، فسر ابطال الثورة القدامى انفسهم (همنغواي ، دوس

...

باسوس ، ستاينبك) في النهاية بان يعيشوا في مجتمع يجعل حياتهم مريحة . وقد تأثرت مؤلفاتهم بهذا المناخ الجديد ، وانحنت باخلاص امام غريزة الحياة الاجتماعية المتجلية في كل مكان . ولكن الشبان يبعثون الينا مع ذلك ، من بلادهم او من بلاد المنفى التي اختاروها، بصورة عالم او جيل اعمق تأثراً الى حد بعيد منهما في العشرينيات . فالذين اشتركوا في الحرب كان اختبار الحرب قاسياً عليهم : الظلم ، وعدم جدوى التضحيات ،هي الذكريات التي احتفظوا بها عنها . امـــا اوروبا التي اكتشفوا فيها حضارة اوسع حرية على صعيد الاخلاق وصعيد الافكار فقد اخمدت روحهم المحافظة وجعلتهم يستشفون امكانية التحرر من المحرمات الجنسية والعنصرية،ولكنهم، على الرغم من اعجابهم بها ، قد احتقروها ورفضوها . وقد خضع بعضهم (بورتز ، بولز ...) لجاذب ايطاليا وافريقيا الشمالية ، رغبة منهم في البحث عن اختبارات جديدة ، ولكن حياة بطلهم تنتهي بالفشل او بالموت الناجم عن شتى الافراطات . وتبرز خيبة الامل نفسها عنـد رسامي الارستوقراطية الاميركية التي لم تبحث عن علاج في المنفى والتي يسيطر عليها الخوف من الحرب والشيوعية والازمة الاقتصادية ؛ وانقلب الشبان على جيل الاباء الذين لم يعدوهم الاعداد الحسن للحياة في العالم المعاصر . وتتجلى في هذه القصص سيكولوجيا معقدة ورقيقة تنم عـن التحليل النفسي بالاضافة الى تأثير هنري جايمس وسكوت فتزجرالد. فهي تنم عن الميل للكحول والانتحار ، وعن تسلط الحياة الجنسية الذي يتضح بوفرة الرموز الجنسية نفسها كما عند المنفيين (جون فيلبس ، فردريك بوشنر ، وليم ستايرون) ، وعن فلسفة الفشل نفسها والعجز عـــن امساك الانسان بزمام حياته وانتهاج علم اخلاقي والسير وراء هدف (جون كلي) .

بيد ان الشمال والجنوب مـا زالا مختلفين ومتناقضين ، الشمال صناعي ومدني ، والجنوب نزوع الى الاحلام التي تغمر بالشعر اكثر الكائنات حرماناً وكافة القباحـات . ولكن الشمال تخلى عن القصة الاجتماعية التي انتشرت في الثلاثينيـات وعن جو الثورة الذي رضي عنه . فقد اقتصرت واقعيته الآن على وصف الزوايا المظلمة في المدن الكبرى ، كنيويورك وشيكاغو حيث تتململ اقليات عنصرية ، بولونية (نلسون الغرف) ، او يهودية (شاوول بلو) ، تسهم في ما تنطوي عليه الحياة الاميركية من تشويش وفوضى . وقد تكـلم بعضهم في هذا الصدد عن انبعاث قصص المغامرات : مزيد من المغامرات غير المألوفة ،ابطال عاطفيون لا دين ولا شريعة لهم ، السجن والبيت المقفـل لبيئة اعتيادية ، والملاكمـة كرياضة مفضلة . وميل طبيعي الى المشاجرة والجرعة التي لا تخضع لاي حكم ادبي . وفي المسرح ابرز المؤلفون – واشهرهم ادوارد البي (من يخشى فرجينيا وولف ؟ ، ١٩٦٣) – انعدام مغزى العـالم بتشديدهم على بعض الملامح الاميركية المميزة .

القصة الايطالية

في فترة ما بعد الحرب برز في ايطاليـــا ادب حالت الدكتاتورية الموسوليينية دون ظهوره ، وكانت في الوقت نفسه مصدر وحيـه : نقد عنيف للنظام ورسم واقعي وبؤس البلاد . وانتفض هذا الادب كذلك ، تحت تأثير بيارو

غوبتّي وانطونيو غرافشي ، ضحيتي الفاشستية ، الاول فيلسوف سياسة تقدميـــة والثـاني فيلسوف ماركسي مبدع قوي ، على دكتاتورية حنادية كروتشي الذي خلط ووفق بين التعـابير المتناقضة بدلاً من ان يتخطاها ، فأفضى به الامر الى فجور حقيقي « يبرر اكـثر الشرور جلاء باسم غايات التاريخ البعيدة الغور ، كما برر التفـــاؤل اللاهوتي الزلزال الذي ضرب لشبونة بأن الغاية منه تكوين عالم افضل » . وامام « فلسفة الامر الواقع هذه ... او الحتمية التـاريخية التي تبرر وتقدس كافة الاحداث » ، بحث العديد من الكتـّاب الايطاليـــين في الماركسية عن درس واقعي ، او عن وسيلة لتمكين البشر من التحكم بتاريخهم . ويغلب على الظن ان هذا ما يفسر اهتمام هذا الادب الجديد بالمسائل الاجتماعية . فان هؤلاء الكتاب الذين اشتركوا كلهم اشـتراكاً فعلياً في مقاومة الفاشستية قد استوحوا مشهد الوقائع الاجتماعية ، وبؤس المساكين والظلم الذي تعرضوا له ، بينما هم وصفوا فساد البورجوازية ودونيتها بجفاء وقساوة . وقد ارتبطوا في عملهم ارتباطاً وثيقاً بفنـاني السينما والمخرجين (زافاتيني وفيتوريو دي سيكا) ، فاقتبسوا في اغلب الاحيان تقنياتها : مشاهد متعددة ، صور آنيـة مثيرة تعرض على التوالي دون تلاحم يذكر . وان هـــذه الواقعية الجديدة التي تبرز في الافلام الكبرى كـ « شيوشيا » «وسارق الدراجات» و« معجزة في ميلانو » ، هي كذلك واقعيـــة قصص كارلو ليفي (توقف المسيح في ايبولي) وايليو فيتوريني (حديث في صقليا ، ١٩٣٨ ، السمبلون يطرف بعينه للفريجوس ، ١٩٥٠) ، اللذين يعيدان الى الذاكرة فظاعة بؤس الفلاح الصقلي ومأساة الجوع في العائلات العمالية ، وقصص شيزاريه زافاتيني ، والياسيو سيلوني الذي كتب القسم الاكبر من مؤلفـاته في سويسرا حيث اختار له مقاماً ، وفاسكو براتوليني الذي استعمل في « يوميات العشاق المساكـــين » طرائق مدرسة التعبير الاجماعي الفرنسية في وصف الحياة يوماً بعد يوم في احد شوارع فلورنسا ، والذي وصف في « بطل معـــاصر » (١٩٤٨) ، على غرار سيلفيو ميشيلي (الخبز الجاف ، ١٩٤٥) وكارلو كوشيولي (الامل العسير ، ١٩٤٧) صراع الانصار في المقاومة وفي اعقـاب الحرب . ومع هذا الاخير ، من جهة ثانية ، ومع غوليلمو بتروللي (العالم سجن) ، وشيزاريه باڤيزيه ، والبرتو مورافيا ، والامير دي لمبدوزا ، تعود القصة السيكولوجية الى الظهور وتصف عالماً وثني الاخلاق بطبيعته ومتمسكاً بأهداب الايمان التقليدي .

انكلترا ومحاولات التجديد في البلدان الانكلوساكسونية

ان فترة ما بعد الحرب لم تحدث فيهـــا نهضة فكرية شبيهة بها في فرنسا وايطاليا . ففي الثلاثينيات كان الادب الانكليزي « مجنّداً » وعبّر بروح متساهلة على بعض العماليـــة عن قلق عهد شاهد ، باضطراب وعجز ، نشأة النازية وتحقيقاتها ، والحرب الاهلية الاسبانية ، والعدوان الايطالي على اثيوبيا ، والازمة الكبرى والبطالة . اما الجيـل الطالع الذي حارب في الشرقين الادنى والاقصى ، وفي افريقيا الشمالية واوروبا ، فقد انثنى عن المسائل الراهنة ؛ واذا ما قورن بالجيل الذي تألق ما بين الحربين ، فانه يبدو على بعض الإعتام ويحافظ من جهة ثانية على التقليد

الطبيعي بحصر المعنى : فمع جورج اورول وانغوس ولسون ، بقيت القصة وفيـــة للتقليد الكلاسيكي في القصة الفكتورية ، وخفيت عليها محاولات تجديد الالوان والمواضيع في البلدان الاخرى . ولم يشذ عن القاعدة سوى المؤلفين المسرحيين : ت. س اليوت وجون وايتنغ ، ولا سيما لورنس دورّل (جوستين ، بلشصّر ، كليا) . فان فنـــه في سرد القصة على مراحل متعاقبة تبرز في النهـــاية ، بشكل مؤثر في النفس ، اللوحة التي يرسمها لمجتمع متحرك ومتلون جداً ، يضعه في المرتبة الاولى بين القصصيين البريطانيين .

الاّ ان جيلاً غير متلاحم ومختلف العادات من الكتاب قد ظهر في البلدان الانكلوساكسونية : « الشبان الساخطون » البريطانيون و« الجيل الضارب » في سان فرنسيسكو الذين جمعت بينهم الثورة على النظام القائم والمحرّمات الجنسية والرثاء البورجوازي والتمثل الاجتماعي والاخلاقي . فقد دفعتهم مقاومتهم لمجتمع لا يعرفون ولا يستطيعون الانصهار فيه الى الاكثار من الانكارات والتحديات : ارتداء ثياب غير لائقة ، فظاظة ، حياة تشرد ، عـدم احترام للمرأة التي انحصر تقديرها باهليتها او عدم اهليتها لـ « فراش » ، عداء للثقافة الجامعية المتمسكة بالشكليات وغير المطابقة للحياة ، وحق لكل ثقافة . وانضاف الى هذا الاعجاب المعكوس ، الذي صدر احياناً عن سابقيهم ، عدم اكتراث تام بكل عمل سياسي او اجتماعي . فهم ضـد « اكاذيب المحافظين ووعود الاشتراكيين الكاذبة ». ولم يكن عداؤهم للطبقات الحاكمة مبنياً من ثم على وعي طبقي ، او حتى على مفهوم مقبول للعالم ، بل كان حلاً شخصياً بحثوا عنه لمواجهة صعوباتهم ، بحث بعضهم عنه في الاختطاف الصوفي الذي بلغوه بواسطة المخدرات ، والبعض في ايديولوجية دينية طُلبت في آسيا ، والبعض – وهذه حال « الضاربين » بصورة خاصة – في العودة الى الطبيعة الوحشية ، في بلدان لما تتأثر « بحضارة الاعمال » . اما هؤلاء « المتمردون بدون سبب » فهم ، بدرجـات متفاوتة ، من انصار مـــذهب الفردية اليائسين او الثائرين الذين يأبون ان يصبحوا « اعضاء المؤسسة ». وقد تحلى بعضهم بنبوغ حقيقي ، كما هي حال مقدم صف « الضاربين » جاك كيرواك (في الطريق ، ١٩٥٥) ، وام « الشبان الساخطـــين » ، كنغزلي اميس (جيم المحظوظ) ، وجون واين ، المؤلف المسرحي ، وجون اوسبورن (تطلـــع الى الوراء ساخطاً ، ١٩٥٦)، والقصصي كولن ولسون ، وجون براين .

المانيـــا

في المانيا لم يعكس الادب قط المسائل الاجتماعية ، بل رافق الجيـــل الطالع الذي تؤلف قصصه حول احـــداث الحرب وما بعدها « ادب الدمار » الذي شاركه اياه ايضاً كتاب الجيل السابق (باستثناء هرمن هس) من امثال اريك ماريا رمارك (جزيرة الامل) وارنست اريك نوت (الماضي العاري) وهنريخ بول (وصـل القطار في الوقت المحدد) ، وارنست فيشرت (ابناء جيرومين) الذي رسم اللوحـة التاريخية للسنوات العشرين الاخيرة في قرية صغيرة من اعمال بروسيا الشرقية ، وارنست فون سلمون (الاسئلة المطروحة) ، وارنست جونكر ، وفرانز ورفل . امـا مؤلفات النمساوي روبرت

موزيل التي لم تعرف حقاً ولم تقدر حق قدرها الا بعد صدور كتاب «الانسان الخلو من الصفات» في السنة ١٩٥٢ ، فقد اشهرت ، على غرار مؤلفات هرمن بروخ (المنومشون) ، مسؤولية انانيه ورثاء البورجوازية في الازمات السياسية . وفي الجمهورية الديموقراطية الالمانية ارتهن الأدب بمزيد من الجلاء لوزير الثقافة فيها، الشاعر جوهنس ر. بشر ، والقصصيين ارنولد زويغ ، وانّا سغرز، ولودفيك رن ، وبودو اوس ، وبصورة خاصة لأعظم كاتب الماني معاصر ، برتولد برخت الذي ادار مع امرأته هلن هيجل جريدة «برلينر انسامبل» حيث استطاع اخيراً اختبار نظريته حول « المسرح الملحمي » . وتشكل مؤلفاته كلها انتقاداً لسوء تنظيم المجتمع . وتقترح على البشر — وعلى الألمان بصورة خاصة — كوناً ذا قيمة نسبية لا ابطال فيه ولا قديسين ، بل حياة بشرية هي نضال من اجل تغيير « وضع هذا المجتمع المشوه والمؤقت » (الأم الشجاعة واولادها ، روح القديسة تشوان الطيبة ، الدائرة الطبشورية القفقاسية ، الخ .) .

٢ — الحياة الدينية

ان الحياة الدينية في البلدان ذات النظام الديموقراطي الحر تعبر كذلك عن القلق الناجم عن الانتقال الى حضارة جماهيرية ، وعن حضارة احتكرت طبقة حاكمة قليلة العدد فيها توجيه الافكار والميول وتوجيه الحياة الاقتصادية والسياسية .

تكاثر الشيع

تسبب قيام مثل هذه الحضارة ، ورفض الطبقات الشعبية التسليم بانقياد بحالة خضوعها وتبعيتها ، والاعتراض على فقدان المساواة بشتى اشكاله ، في خلق مناخ اشبه بمناخ النكبة يسوده الشعور بالزوال والفناء. هذا هو سبب تكاثر العبدة المتسولين (الفقراء) والمرافات والمنجمين وانتشار شيع دينية وفلسفية عديدة : بعضها صوفي النزعة من وحي بوذي او هندي ، وبعضها الآخر — نشأ معظمها في افريقيا الشمالية — مرتبط ارتباطاً قريباً او بعيداً بالمسيحية وقائل بعقيدة دينية غامضة وساع لأن يبعث في اعضائها او في بيئتها معنى الأخوة ووحدة المصالح اللتين كادت تقضي عليها الحضارة الصناعية العادمة الانسانية . وقد انتشرت شيع الفئة الاولى بصورة خاصة في الاوساط البورجوازية والارستوقراطية التي تشعر بأنها ابعدت عن محيطها الطبيعي في الحضارة الجديدة وتغذي ، عوضاً عن ذلك ، ابتغاءات روحانية غامضة : فاتجهت نحو حضارات تنتظر منها الخلاص لانها لا تقوى على ترجي مستقبل قابل الحياة في مجتمع لم تعد تجد فيه محلها . فبقيت الحياة الفكرية فقيرة وغير متطلبة ، وحقّر المنطق (الغربي) لمصلحة صوفية كاذبة ادعي بانها شرقية . اما شيع الفئة الثانية فقد انتشرت بصورة خاصة بين الوضعاء وصغار البورجوازيين واصحاب الدخول السنوية والمستخدمين... الذين وفرت لهم بيئة بشرية قادرة على ان تستجيب لحاجاتهم العاطفية (المعرفة المسيحية ، مسيح مونفاقيه ، شهود يهوه ، مجيئيو اليوم السابع ، الخ .) .

الكنيسة الكاثوليكية

امـــا الكنيسة الكاثوليكية فقد ادركت منذ عشية الحرب العالمية الاولى ، بوضوح تدريجي ، المسائل التي اثارهـا ظهور قوى جديدة في العالم ، وحاولت التكيف بحسبها على كل صعيد . فمنذ السنة ١٩٤٦ لم تعـد الاكثرية ايطالية في مجمع الكرادلة ، فبات « مجلس شيوخ » الكنيسة « صورة لشمول الكنيسة » اكثر وضوحـاً . وفي الحقل الفكري ازيل الخطران اللذان هدداها ، الخطر الخـــارجي واعني به الايمان المطلق بامكانات العلم ، والخطر الداخلي واعني به الروح العصرية : الاول بفعل التيار الفكري الذي نما خارج الكنيسة على كل حال والذي سبق لنـــا واستعرضناه ، والثاني بفعل توضيح المسائل التي اثارها تفسير الكتاب المقدس واللاهوت المعتقدي . فقد صدر في السنة ١٩٤٢ رقيم بابوي « هو « الرقيم المنقذ » ، دعا مفسري الكتاب المقدس من الكاثوليك الى ان يلجـأوا « بفرح شديد » الى كافة الموارد التي تضعها منجزات العلوم الكتابية المختلفة تحت تصرفهم . ومن جهة ثانية تقدم العمل الراعوي على العمل العلمي : نهضة طقسية حول الرهبان البندكتيين في « ماريا لاش » افضت الى ازمة الطقسية ، وفي السنة ١٩٤٠ الى انشقاق حقيقي بين الاكليروس الالماني والاكليروس النمساوي اللذين سيوفق بينهما رقيم « وسيط الله » في السنة ١٩٤٨ . وترجم كتاب القداس الى اللغة العامية ، واحتفل بالقداس الحواري بموافقة الكرسي الرسولي في السنة ١٩٤٣ ، وترجم كتـاب الفروض الكهنوتية ترجمة حديثة ، فاتاح كل ذلـك للمؤمنين الاشتراك في كافة الصلوات الطقسية . ومنذ قبل السنة ١٩٤٠ كان الكتاب المقدس موضوع اهتمام المؤمنين ، فتاسست جمعيـــات كتابية رعائية ، ونشرت تراجم عديدة طوعية للكتاب المقدس : ترجمة « ماردسو » وترجمة « ليل » وترجمة « اورشليم » بين التراجم الفرنسية . وعاد الفضل في شرح الكتاب المقدس للمؤلفات البروتستانتية التي اعتمدت في بعضها الاساليب العلمية . فعرضت العقائد والمواضيـع الدينية الكبرى ، لا من زاوية الازل ، بل بصورة حسية وبحسب ظهورهـــا التاريخي ، اذ ان المسيحية ليست عقيدة فحسب ، بل تاريخاً ايضاً ، اي تاريخ « الاقتصاد التدريجي الذي بواسطته اخذ الله الانسانية في حالتها البـــدائية ورفعها شيئاً فشيئاً ... الى ان حملها قادرة على تقبل الكلمة المتجسد » . واستوحت كتب اللاهوت للاكليريكيين وكتب تلقين التعليم المسيحي كذلك مصادر الايمان استيحاء اكثر مباشرة . واثرت الوجودية في الوقت نفسه على الفكر المسيحي واسهمت في حمل اللاهوت على الاهتمام بالانسان الحسي المتورط في العالم .

الكنيسة والمجتمع

يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان المسيحيين اكتشفوا انهم لا يعيشون في مجتمع مسيحي بل في مجتمع علماني تفقد فيه الكنيسة تأثيرهـــا ونفوذها اكثر فاكثر كل يوم . ولذلك لم تواجه مسائل الرسالة والتبشير في بلدان الرسالات التقليدية حيث تنشأ الاسقفيات الجديدة بحسب مقتضيات الحاجة والظروف (في السنة ١٩٤٦ عين اول كردينال صيني ، وفي السنة ١٩٥٣ كردينال هنـــدي ، وفي السنة ١٩٦٠ كردينال ياباني واول كردينال زنجي) ، ويعين المزيد من الكهنة البلديين ، وحيث قام الاب « لاب » في

الصين والاب مونشانين في الهند بمحاولات تبشيرية جديدة – صادفت مقاومة كبرى على كل حال - بغية جعل الاساليب اكثر فعالية . فاذا مـــا زال الواجـب التبشيري يستهدف « خلاص غير المؤمنين » ، فانه يبدو وكأنه التعبير عن المحبة التي حلت اكثر فاكثر في صميم الحياة الروحية المسيحية . ووجهت في البلدان المسيحية القديمة كذلك بعض المسائل التبشيرية : تشييد العديد من الكنائس في ضواحي المدن الكبرى، ودرس منظم لتطور ظاهرة زوال الروح المسيحية ، واستحداث طرائق تبشيرية جديدة : في السنة ١٩٤١ تأسست « رسالة فرنسا » بغية توفير الكهنة للارياف التي اضمحلت فيهـــا الروح المسيحية ، وانشئت في الوقت نفسه اكليريكية مشاركة بين كافة الابرشيات الفرنسية في ليزيو تخرج منها اكثر من ٤٠٠ كاهن ؛ وفي السنة ١٩٤٣ تأسست جمعيـــة « الاخوة المرسلين الى الارياف » ، وفي السنة ١٩٤٤ « رسالة باريس » التي انتسب اليها الكهنة العمال .

وفي الوقت نفسه الذي نما فيه العمل الكاثوليكي منذ السنة ١٩٣٠ ، نضجت بين العلمانيين فكرة « لاهوت الحياة العلمانية » – وكان المقصود منها تقديم البرهان على عدم وجود حاجز منيع بين الحياة الدينية والحياة العلمانية ؛ فيجب التدخل في الحقل المهني والنقـابي والسياسي والفكري بغية جعل المجتمع مطابقاً للمسيحية في روحه ومؤسساته . وتأسست كذلك جمعيات كهنة علمانيين مكرسين لخدمة الرعايا بمساعدة الكاهن على الاحتراس من عزلة النسق الاداري المطرد . « ان الكهنوت والحياة العلمانية وظيفتان كنسيتان لانهما في خدمـــة حياة الكنيسة الذاتية . فلا الكهنة من ثم في خدمة العلمانيين ولا العلمانيون في خدمة الكهنة . انهم كلهم في خدمة الكنيسة » .

جرّ هذا التصميم على العمل شطراً من الرأي العام المسيحي الى الانخراط بعزم في المجتمـع العلماني حيث رضي بالنضال الى جانب الملحدين من اجل الدفاع عن قيم انسانية بحتة هي من هذا القبيل بالذات ذات اهمية كبرى للمسيحي . هذه كانت ، عند اشتداد الازمة ، في فرنسا ، نزعة مجلّة « الروح » التي تأسست في السنة ١٩٣٢ والتي شرح مؤسسها موقفهـــا المستمد من مذهب الشخصية القائل بان القيمة المركزية هي الشخص البشري بكليته : « امام الازمة ... قال الماركسيون : ازمة اقتصادية كلاسيكية ، ازمة نظام . اجروا عملية جراحية للاقتصاد ، يتعاف المريض . فرد علماء الاخلاق على ذلك بقولهم : ازمة الانسان ، ازمة الاخلاق ، ازمـة القيم . غيروا الانسان ، تشفَ المجتمعات ... » فاقترح مونييه ، في وجه هذين الخلين ، حلاً هو ثورة زمنية بحصر المعنى مبررة باختيار الوسائل . وعشية الحرب العالمية الثانية ظهرت جماعات اخرى يسارية الميول ، كجماعة اتحاد المسيحيين التقدميين التي اقترحت تعاوناً حازماً بين اعضائها والحزب الشيوعي .

عقب اندفاع الكنيسة هذا نحو العالم انكفاء رسمي على الاقل . فان النجاحات التي احرزها الاتحاد السوفياتي ، وتوسع نفوذه حتى اوروبا الوسطى ، والحرب الباردة قد قوّت اتجـــاه

البابوية العنيف العداء « للشيوعية الملحدة » رافضت الى تصلب الكنيسة في كافة الحقول : ادانة الاشتراكية والشيوعية برقيمي السنة ١٩٣١ والسنة ١٩٣٨ ، وتدابير اخرى كثيرة : قـــرار (١ تموز ١٩٤٩) يحظر كل عمل ينفذ بالاتفاق مع الحزب الشيوعي (حتى قراءة صحفه) ، انكار اختبار الكهنة العمال ثم منعه منعاً نهائياً (١٩٥٩) في اعقاب مساع عديدة قامت بهـا الاوساط القائلة بالوحدة الشاملة ، حل الاجهزة والجمعيات المتعطفة على هذا الاختبار : « فتوة الكنيسة » و « الخمسة عشر » ، والعطف على مشروع توحيد الدول الاوروبية الست وبعض الدول الاوروبية التي تلعب الاحزاب الديموقراطية المسيحية فيها دوراً سياسياً هاماً جـــداً ، وتحذير الكردينال اوتافياني الرسمي بصدد علائق رجال الدولة الغربيين والشرقيين (٧ كانون الثاني ١٩٦٠) ، ورسالة الاحبار الايطاليين الجماعية ضد العلمانية في نيسان التالي ، وتدخـل السلطات الكاثوليكية في الانتخابات الصقلية (١٩٥٩) والازمة الوزارية الايطالية (شباط – نيسان ١٩٦٠) ، والمواقف العدائية الصريحة من الاحزاب الاشتراكية (حتى المعتدلة) التي وقفتها صحيفة « الرقيب الروماني » في اوائل السنة نفسها . ويجب ان يرد الى هـذا الموقف المتصلب نفسه رقم « الجنس البشري » (١٩٥٠) الذي يضع حداً للحرية الفكرية ويشهر خطر « التاريخية » ، والايماز بتعزيز التهذيب النظري في تعليم الاكليريكيين ، وانتقاد الاكاديميـة البابوية اللاهوتية لاراء الاب « تايار دي شاردين » اليسوعي .

تأثرت فرنسا اكثر من غيرها بفعل ردّة الفعل هذه لانها كانت على رأس حركة لتجديـــد الأساليب والفكر . اما في المانيا فقد احرز « الكاثوليك اليساريون » بعض التقدم حتى السنة ١٩٤٩ ، وجزم بعضهم بان حق الادارة المشتركة يدخل في الحق الطبيعي ويجب ان يعترف به كما يعترف بحق الملكية . ولكن الاحبار تراجعوا تراجعاً واضحاً بالنسبة لهـذا الموقف وتمسكوا بوجهات نظر المناشير البابوية دون ان يتدخلوا البتة في المنازعات الاجتماعية .

الحيوية الدينية

الا ان الاحصاءات الدينية ، التي تكاثرت في فرنسا بنوع خاص ، قد اظهرت مدى تأثير ظروف الحياة العصرية على الكنيسة . فاذا تحققت نهضة دينية بين بعض فئات المفكرين – وهم دونهم عدداً وشأناً في الفترة السابقة – ، فقد تجلى زوال العاطفة الدينية في الجماهير العمالية ، وكانت هذه الظاهرة ملموسة في المـــدن الصناعية ومناطق الزراعات الكبرى على السواء .

ارتبطت هذه الظاهرة ببروز حضارة جديدة «مرتكزة الى التقدم التقني» ،

« حين تحدث ، تصطحب ... مركباً من التقدم التقني (الذي هو خير بحد ذاته) والمادية ايضاً ؛ انها تنقـــل الاثنين معاً . ويرافق هذه الحضارة من جهة ثانية نظام اجتماعي هو الرأسمالية الحرة التي يكمن عيبها العميق في ان المصنع لم ينشأ لخير عماله وبجموعتهم ، بل لفائدة رأس المائل في الدرجة الاولى ؛ وهو بذلك يتسبب في ضغط يضر بالحياة الروحية . ولا ينجم هذا الاضرار عن العمل الصناعي بل عن تقديم المال على الانسان . وترافق هذه الحضارة كذلك ثقافة جديدة مستندة الى العلوم الوضعية : تفضي الى نشأة مثال جديد من البشر ليست انسانيتهم ، المشبعة بالتقنية ، ضد الاكليروس بالضرورة ، ولكنها وضعية بالطبيعة » (الكاهن الفاوني « ف. بولار ») .

وقد أيد هذه الملاحظة «غابريال له براه»:

« ان للبخار والكهرباء تأثيراً مذيباً على ممارسة اعمال التقوى لم تحرز الفلسفة والتاريخ مثل نجاحهما في ايجاده . وانما فقدت الكنيسة الكثير من مؤمنيها بفعل اضطراب الاخلاق المشتركة، لا بفعل اضطراب الافكار الارستوقراطية والمشاعر الشعبية » .

ان تسلط المال « الذي ووجهت معه كافة المسائل من زاوية الانتاج فقط » ، وتأثير الرفاهية والتخلق باخلاق البورجوازية ، والتحرر الذي نجم عن ذلك حيال السلطات الاجتماعية ، وتداخل المدن والارياف بواسطة الخدمة العسكرية ، والسهولات المتزايدة في المواصلات (« هي الدراجة ما ازالت الروح المسيحية من رعيتي ») ، «والصحافة العاطفية» التي زينت الحس ... قد اشهرت من قبل الاكليروس الذي اعتبرها سبب زوال الروح المسيحية هذا . وقد تبدلت اجهزة الاتصال والتأثير : « فلا مجال بعد اليوم للكلام عن انتقال العقيدة الكاثوليكية آلياً ». وافضت ابحاث علم الاجتماع الديني في ايطاليا الى النتائج نفسها . فقد اجري تحقيق في السنة ١٩٥٣ ، بحسب طريقة استفتاءات «غالوب»، بين سكان غالارات في ولاية فاريز الصناعية ، كشف القناع عن تطور هام في الآراء حول نقطتين اخلاقيتين وقفت الكنيسة بصددهما حتى تاريخه موقفاً متصلباً جداً : هل الاجهاض سائغ شرعاً ؟ وهل الطلاق شر هو ؟ فحيال النقطة الاولى كانت الاجوبة سلبية بنسبة ٣٨٪ فقط ، وحائرة بنسبة ٢٦ ٪ ، وحيال النقطة الثانية لم تبلغ نسبة خصوم الطلاق سوى ٤٢ ٪ في السنة ١٩٥٣ بعد ان بلغت ٥٣٪ في السنة ١٩٤٨ .

واظهرت التحقيقات الجراة بين المؤمنين في مناطق وخورنيات مختلفة كل الاختلاف خطأ منحنياً عاماً ، وان الكثير من الممارسات الدينية « سريع الزوال خارج بيئته الطبيعية ولا اثر له تقريباً على الحياة » . ففي البرتغال ضمت اسقفية لشبونة ٣٢٠ كاهناً مقابل ١٤٠٠٠٠٠ مؤمن في السنة ١٩٣٠ ، وضمت ابرشية فارو في اقصى جنوب البلاد ٨ ٪ فقط من المؤمنين المتممين واجباتهم الدينية . وفي اسبانيا لاحظ الاب بيرو في السنة ١٩٣٣ ان ٥ ٪ من السكان يقومون بواجبهم الفصحي في خورنيات كثيرة من ابرشيات كوانكا وطليطلة ومدريد وان المدن تضم « اعداداً كبيرة من السكان الوثنيين كلياً » . وفي باريس اظهرت بعض التحقيقات الجراة في السنة ١٩٥١ ان ٢٣ ٪ يحضرون القداس في خورنية سان جرمان دو بريه ، و١٩ ٪ في خورنية سان ـ سفرين و٢٠ ٪ في خورنية سان ـ سولبيس ، و٢٢ ٪ في سان بيير دي نوبي ، و٦ ٪ في سان ـ ايبوليت دي بوتو . وان الخورنيات الجيدة تضم ٢٠ ٪ من متممي واجباتهم الدينية ، والخورنيات الشعبية ١٠ بالمائة فما دون ، والخورنيات العمالية اقل من ٦ بالمائة . وفي مرسيليا تبلغ نسبة من يحضرون القداس في سن الرابعة عشرة فما فوق ١٠,٥ بالمائة ، وفي ليل ١٩,٥ ٪ وفي غرينوبل ١٤ بالمائة ، وفي تولوز ١٠,٨ بالمائة . وفي بلجيكا يبلغ معدل حاضري القداس في ايام الاحاد ٢٥ بالمائة في الولايات ، و٢٦,٣ بالمائة في بروكسل ، و٣١,٧ بالمائة في انفرس . وفي المانيا الاتحادية حيث تم ٥٤ بالمائة من الكاثوليك واجباتهم الفصحية في السنة ١٩٤٩ ، يحضر

القداس ٢٩,٤ بالمائة منهم في كولونيا ، و٢٦,٥ في مونيـــخ ، و٢٢,٧ في هنورغ . ويختلف السلوك الديني باختلاف المهن المتعاطاة . « هو النظام المهني ما يحدّد تتميم الواجبات الدينية » (الكاهن القانوني ف. بولار) ، كما نرى خير مثل على ذلك في منطقة لنس المنجمية : ان متممي واجباتهم الدينية من الذكور يبلغون ٢,٥٥ بالمائة بين عمال الاعماق ، و٥,٥١ بالمائـة بين العمال خارج المناجم ، و٢٢ بالمائة بين موظفي الادارة ، و٦٥,٣ بالمائـة بين المهندسين ، و٤٩,٦٣ في البورجوازية .

في ايطاليا اظهر التحقيق الذي اجراه مركز الدروس ، « الحيـــاة في المسيح » ، في السنة ١٩٤١ — ١٩٤٢ ، « اهمالاً متزايداً وعنيفاً في اوساط الجماهير ، ولا سيما العمالية والمدنية منها » للواجبات الاساسية في الحيـــاة المسيحية » . ففي بعض الخورنيات ما زال ٨٠ — ٩٥ ٪ من الرجال يحضرون القداس في منطقتي البندقية والـ « مارش » . ولكن هـذه النسبة تنحدر الى ٢٠ — ٣٠ ٪ في خورنيات اخرى من توسكانا واومبريا وليغوريا حيث لا تشمل هذه النسبة سوى رجل واحد مقابل ٢٠ امرأة . وفي بعض خورنيات ابرشية فولتيرا ، لا يحضر قداس يوم الاحد سوى ٥ ٪ من السكان في السنة ١٩٥٢ . وفي روما لا يتجاوز عدد متممي واجباتهم الفصحية الـ ١٠ ٪ ، وفي ميلانو تتراوح هذه النسبة بين ٢٫٥ و ١٧ ٪ ، وقد تدنى عدد المناولات فيها بنسـبة ٣٠ — ٥٠ ٪ بين السنة ١٩٣٨ والسنة ١٩٤٨ .

في البلدان المختلطة الاديان ، يشهد بتدني تأثير الكنيسة ارتفاع عدد الزواجات المختلطة التي استتبعت انحرافات معتقدية كثيرة في هولندا ، والولايات المتحدة (٢٥ — ٣٠ ٪) ، والمـانيا حيث ادى تدفق اللاجئين منذ السنة ١٩٤٥ الى تصدع وحدة الكتلة الكاثوليكيـــة البافارية والرينانية ، وحيث ارتفعـــت نسبة الزواجات المختلطة من ١١,٣ ٪ من عدد الزواجـــات الكاثوليكية الى ٢٨,٢ ٪ في السنة ١٩٤٩ .

واصطدم اختيار الاكليروس واعداده بصعوبات كبرى . ففي فرنسا نرى ان معدل الترقية الى الدرجات الكلية (اي النسبة بين الترقية الى الدرجات المقدسة خلال خمس سنوات متوالية ومجموع عدد الشبان بين سن الخامسة والعشرين والثامنة والعشرين) ، الذي هبط منذ قانون الفصل من ٥١,١ بالألف الى ٣٦ بالألف في السنوات ١٩٠٩ — ١٣ ، قد حافظ على هذه النسبة تقريبا حتى السنة ١٩٢٩ ، ثم ارتفع ببطء الى ١٩,٥ في السنوات ١٩٤٠ — ١٩٤٧ وهبط مرة اخرى الى ٣٩ بالألف في السنوات ١٩٥٠ — ١٩٥٥ . فالنقص من ثم في تزايد مطرد ، اذ ان عدد الكهنة العاملين الذي بلغ ٥٦ ٠٠٠ في السنة ١٩٠٤ ، اي ١٣,٥ بالمائة قد هبط الى ٤٦ ٥٠٠ في السنة ١٩٢٩ ؛ وهبطت الفسبة الى ٩,٧ بالألف في السنة ١٩٤٦ بما فيها ٣٥ ٪ من الستينيين . اجل لقد ارتفع عدد الاكليروس القانوني من ١٣ ٠٠٠ الى اكثر من ١٤ ٠٠٠ ، ولكن النقص العـــام واقع ثابت ، وقد حدثت الظاهرة نفسها في كافة البلدان تقريباً ، حتى تلك المشهورة بحيويتها الدينية كهولندا وبلجيكا واسبانيا ودول اميركا الجنوبية . وفي ايطاليا نفسها هبط عـــدد

الاكليروسيين الذكور من ٠٠٠ ٩٢ في السنة ١٨٨١ الى ٠٠٠ ٦٨ في السنة ١٩٢١ والى ٠٠٠ ٥٨ في السنة ١٩٥٣ . وفي المانيا تجاوزت نسبة هبوط الدعوات الكهنونية منذ السنة ١٩١٤ الـ ٢٠ ٪ .

مجمع الفاتيكان الثاني

كان تزايد اللامبالاة والابتعاد عن الدين في العالم الغربي ، ونمو سكان العالم المطرد الذي قلل يوماً بعد يوم من اهمية الكاثوليك النسبية ، باعثاً على التئام مجمع الفاتيكان الثاني في السنة ١٩٦٢ . فقد كان البابا الجديد يوحنا الثالث والعشرون ، بفضل بعثاته الدبلوماسية في الشرق وفي اوروبا ، على بينة من المسائل التي تطرحها مخالطة الاقليات الدينية في البلدان التي تتعايش فيها طوائف مسيحية كثيرة والصعوبات التي يصادفها الكاثوليك في المجتمعات المتحولة تحولاً عميقاً الى العالمية ، فحدّد لأعمال المجمع اتجاهاً واضحاً جداً نحو اصلاحات عميقة تستهدف انفتاح الكنيسة انفتاحاً تاماً على العالم وتجدد نشاطها والتوفيق بينها وبين المجتمع الذي خلقته ثورات القرن التاسع عشر السياسية والثورة الصناعية . ورافقت هذا العزم الرغبة في الابتعاد جهد المستطاع عن الاعراف والوسائل التي تعيق حوار وتفاهم الكنيسة مع المسيحيين من غير الكاثوليك ، وحتى مع غير المؤمنين . فنحن من ثم امام مشاريع اصلاح تناقض ، استيحاء ، ما تضمنه الـ *Syllabus* منذ قرن خلا . ويبدو ان البابوية قد اقتنعت باستحالة المحافظة على مواقفها التقليدية اذا استندنا في حكمنا على الرقيم « السلام في الارض » الذي اصدره البابا يوحنا الثالث والعشرون قبيل وفاته ، في الفترة الفاصلة بين الجلستين الاوليين . فهو يؤيد صراحة اعلان حقوق الانسان الذي تبنته منظمة الامم المتحدة في السنة ١٩٤٨ ، ويشدد بالحاح على وسائل اقرار السلام بين البشر ، ويعلن امكانية التعاون في الحقول الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مع من يستوحون « التعاليم الزائفة » التي يدينها في الوقت نفسه . ويشدّد كذلك رقيم خلفه بولس السادس ، « الام والمعلمة » ، على شرعية سياسة تأميم وسائل الانتاج والمقايضة .

ويبرز هذا الاتجاه كذلك احداث أمانة سر من اجل الوحدة ، والدعوة للاشتراك في المجمع التي وجهت الى مراقبين تنتدبهم الكنائس البروتستانتية والكنيسة الانكليكانية والكنيسة الارثوذكسية (بينهم روسيان) ، والى علمانيين وعلمانيات من الكاثوليك . وقد تأيد بأكثرية المطالبين بالاصلاح بين آباء المجمع الـ ٢٣٠٠ بادارة كرادلة ينتسبون الى اكثر البلدان تطوراً : المانيا ، هولندا ، انكلترا ، فرنسا ، بلجيكا ، الولايات المتحدة ، يساندهم العديد من الاحبار الايطاليين واحبار العالم الثالث . فأفضت المناقشات ، الحادة احياناً ، التي اثارتها معارضة اساليب الادارة البابوية التي تعرضت لانتقادات شديدة ، ومناورات العرقلة ودسائس الاقلية المحافظة ، الى اقرار عدد من المشاريع العامة المتعلقة اما باصلاح الليتورجيا وتيسير فهم الرموز والطقوس (بالاكثار من استخدام اللغات الوطنية والتخلي عن لغة الفلسفة المدرسية) ، واما بالمشاركة الاسقفية التي اعترف بسلطتها المطلقة ونبوعها من حق الهي ، واما ببعث خدمة الشماس

الانجيلي الدائمة التي يمكن اسنادها لرجال متزوجين ، واما بالوحي (وهو اكثر حرية من اساليب مجمع الايمان الى حد بعيد) ، واما بالحركة المسكونية في روح متعطفة على الطوائف المسيحية غير الكاثوليكية ، واما بادانة العداء للسامية . الا ان الحماس الاول عقبه بعض خيبـــة الامل حين انتهت الجلسة الاولى (تشرين الثاني ١٩٦٤) . وقد نجمت عن جو الدسائس والمقاومات الخفية الذي خلقته الاقلية ، لا سيما اثناء مناقشة مشروع القرار رقم ١٣ بصدد علائق الكنيسة بالعالم العصري ، والحرية الدينية التي طالبت الاكثرية في سبيلها باعلان لا لبس فيه . ويرد تعوق الاعمال وتردد المجمع ساعة الشروع باتخاذ المقررات الحاسمة الى اسباب عدة اهمهـا الحرص على مراعاة ظروف بعض الشعوب الكاثوليكية التي ما زال نموها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي متخلفاً جداً ، وشخصية البابا الجديد ، وربمـــا حرص بولس السادس على استمالة المحافظين الى الحركة الاصلاحية مقابل بعض التنازلات .

البلدان البروتستانتية

في البلدان التي يدين اكثر سكانها بالبروتستانتية ، برز الضعف نفســـه في العاطفة الدينية . ففي بريطانيا العظمى مثلاً لم يعقب الحرب العالمية الثانية تأخر شبيه به بعد السنة ١٩١٨ ، وانما يقدر ان ٥٪ على الاكثر من الانكليز و ٢٠٪ من الاسكتلنديين يسهمون اسهاماً متفاوت النشاط في اتحاد مذهبي ما ؛ وان عـدد الطلاقات الذي بلغ ٧٦٢١ في السنة ١٩٣٨ قد ارتفع الى ٤٠ ٧٦٤ بعد مرور عشر سنوات؛ ووهنت التقاليـــد الدينية ، وزال عن واجب الانقطاع عن العمل في ايام الآحاد الطابع الالزامي . ولعل ذلك يرد الى علمنة التعليم كما اثبت ذلك التحقيق الذي اظهر فتور العاطفـــة الدينية بين طلاب التعليم الثانوي في السنة ١٩٤٥ ، والى عدم تأثير الكنائس بالظواهر الاجتماعيـــة (تحقيق اجري في السنة ١٩٤٢ بين مشيخيي اسكتلندا) . وقد رافق فتور الايمان هذا في الكنيسة الانكليكانية ارتداد الى الكثلكة الانكليزية : فاحييت بعض اشكال الحياة الرهبانية وبعض الاحتفالات والطقوس الكاثوليكية : صور للقلب الاقدس والقديسين والعذراء في الكنائس ، سجود ، رسم اشارة الصليب ، قداديس مع تكريس القربان ورفعه ، صلوات من اجل الموتى ، عبادة القربان المقدس ، عفة الكهنة ، اعتراف . وقد تأيد تدني تأثير الكنيسة القائمة ، من جهة ثانية ، بالهزيمة النكراء التي منيت بها في السنة ١٩٢٧ في قضية « كتاب الصلاة » الذي رفض البرلمان ترجمتـه المنقحة بروح طقسية .

كان تأثير غـــير الانكليكانيين ، الذي برز في انكلترا خصوصاً بـــين الطبقات المتوسطة والشعبية، قوياً جداً في الولايات المتحدة على الرغم من ان ٤٨٪ فقط من سكانها اعلنوا انتسابهم الى كنيسة ما في السنة ١٩٢٩ . وانمـــا يجب القول بأن الـ ٧٧ مليون اميركي الذين عُرفوا بلا مبالاتهم كانوا مع ذلك بروتستانتيي الثقافة والميول . وبين البروتستانت المحصين ، انتسب زهاء الـ ٩٠٪ (٨٨٪) الى ثماني كنائس هامة وتوزع الباقون على ٢٥٧ شيعة معروفة رسمياً ، تشعبت كلها الى اتجاهات مختلفة كثيرة تبتدىء بأرسخ المؤمنين ايماناً قوياً ، الذين يفسرون الكتـــاب

المقدس تفسيراً حرفياً دون أقل تحفظ ، وتنتهي بالاحرار الذين يحصرون جهـــدهم في العمل الاخلاقي والاجتماعي .

قاومت الكنائس البروتستنتية ، بصورة عامة ، على غرار الكنيسة الكاثوليكية ، اتجاه ما قبل الحرب نحو اعتبار المسيحية لا كنمط حياة كما اعتبرت من ذي قبل ، بل كمجموعة تعاليم . وهكذا برز على الصعيد اللاهوتي ، في قلب الكنيسة الانكليكانية ، اتجاه نحو اعـــادة اثبات الوحي واعادة مزيد من السلطة اليه . وكان تأثير « كيركيغارد » و« بارت »، المعتبر خليفته، جلياً في هذه النهضة المعتقدية التي سلطت الاضواء على « المسيح السيد والمخلص الوحيد »، والمبرر بفعل النعمة الالهية وحدها ، وفي الاهتمام الجديد الذي اعيرته الاسرار ، والاهمية المتعاظمـــة المعطاة للكنيسة والخدمة الروحية التي اثارت ندرة الدعوات الراعوية بين الذكور بصددهـــا مسألة نوقشت تكراراً هي مسألة الخدمة النسائية، ومسألة دور العلمانيين في الكنيسة، واهتماماً متزايداً بطقوس قد تضر احياناً بالوعظ الذي بدا من الضروري اعادة اثبات أهميته .

الحركة المسكونية

ان اختلاف الشيع والتسميات الكثيرة قد دفع الكنائس المنشعبة عن الاصلاح ، منذ زمن بعيد ، الى القيام بمجهود توحيدي ، على الصعيـد القومي والصعيد الدولي ، بغية تجنب ازدواجية العمل في حقل الرسالات التبشيرية التي احرزت نجاحات مدوية في البرازيل وبلدان اميركا الجنوبية الاخرى ، وافريقيا الجنوبيـــة الوسطى ، والانسولند وآسيا . فعلى الصعيد القومي تأسست جمعيات او كنائس بغية تحقيق هـذا التوحيد في المانيا ، والولايات المتحدة حيث ضمت « الكنيسة الميتودية » ثلاث كنائس ميتودية مختلفة ، وكندا بنوع خاص حيث توحد المجمعيون والمشيخيون والميتوديون . وعلى الصعيد الدولي وجـه رئيس اساقفة كنتربري منذ السنة ١٩٢٢ « نداء الى عموم المسيحيين » ، وفي ١٩٢٥ ، التـأم في ستوكهولم المجمع المسكوني ، « حياة وعمل » ، الذي تخلف عن حضوره الكاثوليك وحدهم ؛ ثم التأم في السنة ١٩٢٧ بمجمع لوزان، « ايمان ونظام » ، الذي حضره ٥٠٠ مندوب عن ٩٠ كنيسة. ولكن الحركة المسكونية توقف عملها في السنة ١٩٢٨ في اعقـــاب الرقيم ، « نفوس الموتى » ، الذي رفض مصافحة اليـــد الممدودة وتصلب في تمسكه بمبدأ استحالة الخلاص خارج الكنيسة الرومانية . وبعد الحرب العالمية الثانية ، عقد مجلس الكنائس المسكوني الذي تقرر تأسيسه في السنة ١٩٣٨ ، جلسته الاولى في امستردام في شهر ايلول من السنة ١٩٤٨ ، وقد اشترك في اعماله مندوبون رسميون عن معظم الكنائس البروتستنتية والانكليكانية وبعض ممثـــلي الكنائس الارثوذكسية الشرقية ؛ فأقر تأسيس هيئة دائمـــة ، وانعقاد جمعية كل خمس سنوات ، وتعيين جهاز اداري ، هو المجلس العام للكنائس ، ولكن اتفاقـــاً معتقدياً واحداً لم يتحقق بين الكنائس .

الا ان ذلك لم يحل دون استمرار الخلافات ؛ فالكنائس « الكاثوليكية » الاتجاه اي تلك التي تشدّد على حقائق الايمان والسلطة الكنسية التسلسلية والاسرار ، قد ألفت منذ زمن بعيـد

« التحالف الدولي للايمان الرسولي والنظام » ، بينما تجلّمت الكنائس التي تخشى العودة الاحتمالية الى الكنيسة الرومانية في« المجلس الدولي للكنائس المسيحية» و«جمعية الدفاع عن البروتستانتية المهددة بالخطر » .

امام نجاحات الاسلام ، واستقلال الدول المستعمرة التي غالباً مـــا رفضت نفوذ الغرب السياسي ونفوذه الديني في وقت واحد ، وامام نجاحات الشيوعية ايضاً ، بدا انقسام المسيحيين مؤسفاً جداً ، ولكن معارضة الكنيسة الارثوذكسية (على وجه غير واضح ومطلق) والكنيسة الكاثوليكية اللتين تعتبر كل منهما انها الكنيسة الحقيقية الوحيدة ، قد حالت دون اي تقارب . بيد ان الرقيم المنشور في السنة ١٩٤٤، الذي سلم بالزواج الذي يعقده الكهنة الارثوذكس، ووعد الشرقيين بانهم لن يرغموا قط على تبني طقوس اللاتين ومؤسساتهم ، لا بل منع انتقال الشرقيين المتحدين الى الكنيسة الرومانية ، كان خطوة خطتها الكنيسة الرومانية نحو الكنائس الشرقية، ولكنه لم يترك اصداء تذكر . الا ان المجمع الفاتيكاني (باعترافه علناً بان اخطاء ومظالم قـــد ارتكبت بحق المسيحيين الشرقيين « المنفصلين » (لا «المنشقين» كما دعوا في الماضي) ، ورحلة بولس السادس الى الشرق ولقاءه بالبطريرك اثينوغوراس ، قد غيرا هذا الجو .

اما من الجهة البروتستانتية ، فقد بقيت روما على موقفها من الحركة المسكونية : فهي لم تتمثل في امستردام ، واذا هي تمثلت في السنة ١٩٥٢ في مجمع « الايمان والنظام » الذي التأم في لوند ، فقد بدا تحديد عقيدة انتقال السيدة العذراء في السنة ١٩٥٠ تعبيراً عن رفضها كل تسوية واثار معارضة البروتستانت الاجماعية . الا ان المجمع الفاتيكاني قد حاول هنا ايضاً خلق جو جديد ومدّ يده تكراراً للبروتستانت : فروقبت اعماله بشغف كبير وعطف حقيقي ، ولكن بتحفظ عززته بعض المقررات (اعلان مريم اماً للكنيسة) ؛ ولعل خير ايجاز لهذا التحفظ ما قـــاله الراعي بورغيه : « لقد نزع الثلج من جوار قصر «كانوسا» وزين مدخله بالزهور ، ولكن كانوسا ما زال كانوسا » .

الكتاب الثالث

العالم الشيوعي

في السنة ١٩٤٥ ، كان الاتحاد السوفياتي الدولة المسيطرة في البر الاوروبي الآسيوي ، اذ ان منافستيه الرئيسيتين قد هزمتا وازيل خطرهما : في الشرق ، اليابان ، وفي الغرب ، المانيا ، المستظهرة والمجزأة . فعندما وضعت الحرب اوزارها ، كانت جيوشه قد بلغت قلب اوروبا الوسطى واقامت في بلغاريا ، ورومانيا ، وجزء من يوغوسلافيا والنمسا ، وهنغاريا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبرلين وجزء كبير من المانيا . وفي كافة هذه البلدان المحتلة تألفت حكومات من منظمات التحرير ما لبثت ان حولتها الى ديموقراطيات شعبية ؛ وبعد السنة ١٩٤٨ ، اتحدت هذه الاخيرة اتحاداً وثيقاً فيما بينها ومع الاتحاد السوفياتي ، بينما اقتبست مؤسساتها عن مؤسسات الاتحاد . وفي هذه الاثناء ، افضى انتصار جيوش ماو – تسي – تونغ الشيوعية في الشرق الى طرد حكومة تشان – كاي – شك من البر في السنة ١٩٤٩ . وهكذا تألفت ، في اقل من خمس سنوات بعد توقف العمليات الحربية ، كتلة برية متراصة تمتد من ضفاف نهر الايلب حتى المحيط الهادي وتضم اكثر من ٩٠٠ مليون نسمة تختلف فيها اصول المعيشة والنظام الاقتصادي والاجتماعي اختلافاً كلياً عنها في العالم الغربي والاميركي . وكادت هذه الكتلة ، اقله حتى السنة ١٩٥٦ ، تعيش خارج التيارات التجارية والايديولوجية في انحاء العالم الاخرى ولا تتصل به تقريباً .

الفصل الأول

الاتحاد السوفياتي

ان الاتحاد السوفياتي هو الدولة الوحيدة بين الدول الاوروبية التي طورتهـا الحرب اقل من سواها : فان اعادة بنائها وانماءها قد انجزا بحسب اصول ما قبل السنة ١٩٣٩ نفسها والتخصيص نفسه ، على الرغم مما لحق بها من تخريب هائل ، دون مجافاة للماضي ودون قطـع سياق الحقل الاجتماعي والحقل السياسي . لقد عاشت مرحلة استقرار وهدوء لم تعرفها قط قبل الحرب ؛ ولم تعان من الانقلابات العميقة التي عانت منهـا اوروبا الوسطى والشرقية ، ولا من الاضرابات السياسية والاجتماعية التي كانت فرنسا وايطاليا مسرحاً لها .

ظروف اعادة البناء والانطلاقة الاقتصادية

كانت اعادة البناء هنا ايضاً اسرع منها بعيد الحرب العـالمية الاولى . فقد اقتضى ثمـاني سنوات آنذاك لبلوغ مستوى انتاج ما قبل الحرب، بينما كانت اربع سنوات كافية بعد السنة ١٩٤٥ لبلوغ هذه النتيجة ، على الرغم من فداحة الخسائر (ربما ٢٠ مليون نسمة) وحجم الابنيـة المدمرة (٦٠ مليون متر مربع للسكنى وجب اعادة بنائها)، وألوف المصانع الخربة ،والمناجم المعطلة الانتاج ، وطرق المواصلات المفككة . الا ان صعوبات اعادة البناء قـد تزايدت بفعل عزلة الاتحاد السوفياتي المالية . فعلى غرار ما حدث عشية الحرب العالمية الاولى ، وجب تحقيقها بدون مساعدة رأس المال الاجنبي . وبينما تدفقت رؤوس الاموال الاميركية على اوروبا الغربية بعد انتهاء العمليات الحربية ، توقف العمل باتفاقات الاعارة والتأجير مـع الاتحاد السوفياتي وتوقف استيراد السلع الاميركية توقفاً فجائياً . يضاف الى ذلـك اخيراً ان الظروف الدولية وتأزم العلاقات بين الحلفاء السابقين قد دفعت الاتحاد السوفياتي الى ابقاء قوةمسلحة كبرى تحت السلاح ، والابقاء على صناعة هامة للتسلح ، لا سيما في حقل الاسلحة الجديـدة والسلاح الذري بنوع خاص (في الاتحاد السوفياتي فجرت القنبلة الذرية الاولى في شهر ايلول من السنة ١٩٤٩) ، والانصراف الى سباق تسلح كانت نفقاته اثقل منها قبل السنة ١٩٤١ .. فاستهلكت اعادة البناء من ثم شطراً هاماً من الانتاج الجديد ، في حين ابعدت صناعة الاسلحة ، عن ترميم البـلاد

الاقتصادي ، جزءاً من اليد العاملة . وقد سهلها – خلافاً لما حدث في السنة ١٩٢١ – توفر العديد من الاداريين ، والفنيين ، والمهندسين ، والعمال الاختصاصيين، المتعودين طرائق الاقتصاد المخطط ، الذين لم يحتاجوا الى ارتجال اساليب العمل والادارة . وساعدتها كذلك التعويضات التي دفعها المهزومون او فرضت على المناطق المحتلة : تفكيك مصانع ، نقل آلات الى الاتحاد السوفياتي ، تسليم جزء من الانتاج المنجمي او الصناعي .

الخطط الخمسية الاخيرة

بينما اتخذت بعض التدابير بغية تشجيع النسل وسد الفراغات الهائلة التي تركتها الحرب ، وبينما جعل التشريع الخاص بحماية العائلة معاملات الطلاق اكثر صعوبة واعاد للزواج معناه وقيمته ، كانت اعادة البناء المادية سائرة بخطى حثيثة . وحين انتهى تنفيذ الخطة الخمسية الرابعة في السنة ١٩٥٠ ، بلغت نسبة الانتاج الصناعي ١٧١ (١٠٠ في السنة ١٩٤٠) ، وبلغ انتاج الفحم الحجري ٢٥٠ مليون طن ، وانتاج الفولاذ ٢٧ مليوناً ؛ وكان الانتاج اعلى منه في السنة ١٩٤٠ بنسبة ٦٠ ٪ في صناعة الآلات ومعدات التجهيز ، وبنسبة ٨٠ ٪ في صناعة المواد الكيميائية . اما انتاج المواد الاستهلاكية فكان ادنى منه في الخطط السابقة ، باستثناء الصوفيات والقطنيات . ومن مميزات الخطة الرابعة انطلاقة الصناعات الاساسية في الشرق السوفياتي ، فقد احدثت في قازاخستان وسمرقند وطشقند صناعات كثيرة : مصاهر حديد ، ومصانع فولاذ ومصانع آلات . وبالرغم من ان المراكز الصناعية القائمة في الغرب قد رممت ووسعت ، فان انتاجها لم يرتفع الا بنسبة ١٥ بالمائة بينما بلغ ارتفاع الانتاج الاجمالي في الاتحاد السوفياتي ٤٨ بالمائة ؛ وهكذا فان مركز الثقل في الاقتصاد السوفياتي قد استمر في الانتقال بشكل متزايد الوضوح نحو الشرق : فهي مناطق كوزباس وقازاخستان والاورال والاحواض السيبيرية التي وفرت منذ السنة ١٩٥٠ اكثر من نصف الفحم الحجري والفولاذ ؛ وارتفع كذلك اكثر فأكثر انتاج البترول في « باكو الثانية » بين الاورال والفولغا ، التي احتلت المركز الانتاجي الاول في السنة ١٩٥٢ ، وفي آسيا الوسطى والشرق الاقصى .

ولكن الاتحاد السوفياتي واسع الارجاء وسكانه موزعون على غير تساو ، بسبب وجود مساحات كبرى يجعلها انخفاض الحرارة او الجفاف غير صالحة للاستثمار والاستيطان ؛ فان ٤٨ ٪ من السكان يعيشون متجمعين في ٦ ٪ من الارض ، ولا يعيش في ٣/٤ المساحة سوى ٦ ٪ من مجموع السكان . والحال يرتفع عدد هؤلاء السكان بنسبة ٣ ٥٠٠ ٠٠٠ في السنة ، اذ انه ازداد بنسبة ٢٤ مليون نسمة بين السنة ١٩٤٨ والسنة ١٩٥٦ ، فجاوز في السنة ١٩٥٩ الـ ٢٠٨ ملايين . وطرأت الزيادة على سكان المدن في الدرجة الاولى (٤٨ بالمائة من مجموع السكان في السنة ١٩٥٩ ، و ٥٢ بالمائة في السنة ١٩٦٣) ؛ وارتفع عدد المدن الكبرى الضامة اكثر من ٥٠٠ ٠٠٠ نسمة من ١١ في السنة ١٩٣٩ الى ٢٥ في السنة ١٩٦٢ ، وارتفع عدد سكان بعضها بسرعة استثنائية بسبب اتساع حركة النزوح عن الارياف : فان غوركي وكويبيشيف

وساراتوف قد زادت بنسبة الثلث ، وسفردلوفسك واومسك وتشيليابنسك قد تضاعف سكانها تقريباً ، وارتفع عدد سكان نوفوسيبيرسك من ٣٠٠ ٠٠٠ نسمة الى ٤٠٠ ٠٠٠ بين الحرب الاولى والحرب الثـــانية ، وبلغ ٩٨٢ ٠٠٠ في السنة ١٩٦٢ (الشكل ٢٥) . فتوجب من ثم تعزيز الزراعة واستثمار المساحات التي لما تستثمر او اسيء استثمارها . وفي سبيل تحقيق هـذه الغاية ، اعـدّت في السنة ١٩٤٨ ، بعض المشاريع لاستحداث طرائد حرجية واسعـــة تسير بمحاذاة الوديات من الشمال الى الجنوب وتقف حاجزاً في وجه الرياح التي تهب من آسيا الوسطى وبحر قزوين على روسيا الجنوبية . وزرعت اشجار اخرى كثيرة ثبتت التربة وحالت دون انجرافها. وشيدت على الدون والدنيبر والفولغا سدود كبرى رفعت مستوى مياه الانهر وكوّنت وراءها خزانات واسعة للمياه ، فأتاحت انتاج الطاقة الكهربائية وتغذية اقنية الري بالماء ، وتأمين ري البورات الجنوبية وتحويلها الى اراض زراعية . ووفرت المعامل الكهربائية على الفولغـــا في كويبيشيف (١٩٥٦) وفولوغراد ، وعلى الدنيبر في كاخوفكا (١٩٥٥) ، ٥٠ مليون طن من الفحم الحجري واتاحت القناة التي حفرت بين الدون والفولغا ، بالاضافة الى دورها الهام لجهة المواصلات – اذ انها ربطت بين البحار الروسية الخمسة – ، ري كافة اراضي منطقة روستوف وفولوغراد . وبوشرت في آسيا كذلك اعمال انشاء معمل كهربائي في براتسك على الـ « انغارا » واعمال حفر قناة تركمانستان الكبرى التي ستصل بين كراسنوفودسك على بحر قزوين وبين بحيرة ارال وتؤمن ري كل القسم الغربي من قراخوم .

اما الخطة الخمسية الخامسة التي بوشر تنفيذها في السنة ١٩٥١ وتحققت بنسبة ١٠٣ بالمائة ، فقد انصرفت الى رفع مستوى الانتاج الصناعي الى ٧٠ بالمائة ، اي بمعدل ١٢ بالمائة في السنـــة ، و ١٣ بالمائة لمواد الانتاج : استخراج المعادن ، معادن غير حـديدية ، بترول ، كهرباء ، و ١١ بالمائة لمواد الاستهلاك .

الا ان الخطة الخمسية الرابعة ، التي نفذت كلياً ، لا بل تخطيت في انتاج مواد التجهيز ، قد بقيت دون الهدف المحدد لانتاج المواد الاستهلاكية (٩٥ بالمائة) والزراعة (٨٤ بالمائة) ؛ وفي السنوات الاولى من تنفيذ الخطة الخمسية الخامسة حصل كذلك تأخر محسوس في هـذين الحقلين كان نتيجة للحرب الكورية والحظر المفروض بسببهـا اللذين افضيا الى نقصان رؤوس الاموال والخامات النادرة . ولذلك عدّلت الخطط منذ السنة ١٩٥٢ بغية زيادة انتاج المواد الاستهلاكية وتحسين نوعيتها ، بحيث تتحقق تنمية صناعات المواد الاستهلاكيـة بمزيد من السرعة دون ان يطرأ اي تغيير على نظام الصناعة . وقد ظهر هذا الاتجاه في الخطة السادسة الموضوعة للفـترة ١٩٥٦ – ١٩٦٠ ؛ فقـــد اعطت الاولوية ، على غرار سابقاتها ، للصناعة الثقيلة ، مع مراعاة الصناعات الاخرى : زيادة المواد الانتاجية بنسبـــة ٧٠ بالمائة والمواد الاستهلاكية بنسبة ٦٠ بالمائة . زيادة انتاج الحديد المصبوب بنسبة ١٥٠ بالمائة ، ومضاعفة انتـــاج البترول والطاقة الكهربائية ، وكذلك اللحوم والحليب والبطاطا . وزيادة انتاجية الصناعة بنسبة ٥٠ بالمائة

على الاقل ، وانتاجية المزارع النموذجية بنسبة ٧٠ بالمائة ، وزيادة الاجور الحقيقية بنسبة ٣٠ بالمائة واجور اعضاء التعاونيات الزراعية بنسبة ٤٠ بالمائة . اما الجدة العظمى فهي الاهمية الكبرى (اكبر منها في السابق) المعطاة للبحث العلمي ، والمكننة والآلية اللتين ستتيحان زيادة الانتاج بنسبة أعلى الى حد بعيد من زيادة اليد العاملة التي نقصت على كل حال بفعل إطالة مدة الدروس حتى ١٦ سنة . وبالفعل تحقق في المدن والمراكز الريفية التعليم الثانوي الموزع على عشرة صفوف ، واتسعت شبكة المدارس المسائية والدروس بالمراسلة . فتخرج مليون حامل شهادة من المدارس الثانوية والعليا في السنة ١٩٦٠. ومنذ السنة ١٩٥٧ تابع مليونا طالب دروس التعليم العالي .

الزراعة

في الحقل الزراعي لم تبلغ النتائج تقديرات الخطط الخمسية . اجل لقد ارتفع عدد محطات الآلات والجرارات من ٦٠٠٠ في السنة ١٩٣٩ الى ٩٠٠٠ في السنة ١٩٥٥ ؛ وخطت مكننة الاعمال الزراعية المختلفة خطوة كبرى الى الامام : حراثة ، بذر ، حصاد ؛ وبات عدد الخبراء الزراعيين مرتفعاً جداً . ومن جهة ثانية حسنت طرائق الانتقاء واتساع المساحات المروية المحاصيل المختلفة ولا سيما القطن والشمندر السكري. الا ان نسق زيادة الانتاج الزراعي كان ابطأ من ذاك الذي قدر له ، فلم يبلغ سوى ٢ – ٣ بالمائة اي ما يقارب معدل زيادة السكان : ويرد ذلك الى قساوة شتاء السنة ١٩٤٦ والجفاف الكبير في الفترة ١٩٤٦ – ١٩٤٩ الذي تسبب بنكبة دونها النكبة التي تسبب بها جفاف السنة ١٩٢١، والنقص المزمن في الاكلاء الذي زاد النقص في الحبوب من خطورته. يضاف الى ذلك ان السياسة التي استهدفت حصر مساحات زراعة الحبوب وتوسيع مساحات زراعة الاكلاء، وزيادة الانتاج بتحسين التقنيات والدورات الزراعية المدروسة قد اسفرت عن نتائج خيبت الآمال ، مما حمل الخطة الخمسية الخامسة على اعادة الاولوية لتوسيع مساحات زراعة الحبوب . فزادت هذه المساحة اكثر من ٢٥ مليون هكتار بين السنة ١٩٥٠ والسنة ١٩٥٧ ، وجاءت الخطة السادسة تحقق زيادة ٣٦ مليون هكتار من الاراضي الجديدة التي لم تحرث قط من ذي قبل ، في سيبيريا وقازاخستان . واستتبعت المكننة من جهة ثانية تجميع التعاونيات الزراعية في وحدات كبرى . فانخفض عددها من ٢٥٢٠٠٠ في السنة ١٩٥٠ الى ٧٨٩٠٠ في السنة ١٩٥٧ . وقد استلزم اتساع مساحات المزارع التعاونية هذا اسناد ادارتها الى فنيين . فمنذ السنة ١٩٥٣ اختير اكثر من نصف مديري التعاونيات من بين الزراعيين المتخرجين من المدارس الثانوية والعليا ، وعين مهندسون زراعيون للعمل ابدأ في محطات الآلات والجرارات . وبموازاة هذا التطور، تجدر الاشارة الى تعاظم دور المزارع النموذجية لا في اراضي قازاخستان وسيبيريا الاستمارية فحسب ، بل في الاراضي الزراعية الفقيرة في روسيا الاوروبية ايضاً التي تأثرت بالهجرة الريفية . فقد ارتفع عددها من ٤٨٥٧ في السنة ١٩٥٣ الى ٥٠٩٩ في السنة ١٩٥٦ .وقد تضاعفت مساحتها منذ السنة ١٩٥٠ وتضاعفت في الوقت نفسه المساحة المخصصة لزراعة

الحبوب (٥١ مليون هكتار في السنة ١٩٥٧ تمثل ١/٤ الاراضي الصالحـــة للحراثة في الاتحاد السوفياتي) .

اما تربية المواشي فلم تتقدم تقدماً كبيراً بصورة عامة ؛ فان اللحوم والحليب والصوف قد انتجت بكمية غير كافية . لا بل ان الابقار قد انخفض عددها منذ السنة ١٩٤٨ . فاتخذت من ثم ، منذ السنة ١٩٥٣ ، سلسلة تدابير تهدف الى زيادة الانتاج : رفع اسعار محاصيل تربيـــة المواشي ، زيادة مساحات زراعة الاكلاء (بنسبة ١٦٦ بالمائة بين السنة ١٩٥٣ والسنة ١٩٥٦) ، سياسة منسقة لتسمين المواشي ... ، مما ادى الى ارتفاع عـــدد المواشي وتحسين نوعيتها بين السنة ١٩٥٣ والسنة ١٩٥٧ .

مستوى المعيشة

بسبب الافضلية المعطاة للصناعة على الزراعة ولانتـــاج المواد التجهيزية على المواد الاستهلاكية ، وبسبب ابتلاع حاجات اعادة البناء والتسلّح لجزء كبير من الانتاج ، لم يتح ارتفاع مستوى الانتـــاج احياناً حق العودة الى مستوى المعيشة السابق . الا ان تقنين المواد الغذائية والمصنوعات الاستهلاكية ، الذي فرض ابان الحرب ، قـــد ألغي في الحقل الغذائي في اواخر السنة ١٩٤٧ حين قضى اصلاح نقدي بتنظيم الاسعار تنظيماً شديداً واتاح وضع حد لازدواجية قطاع المخازن « التجارية » والقطاع المقنن . وقد طرأت من جهة ثانية سلسلة انخفاضات في عهد لاحق (سبعة انخفاضات عامة وبعض الانخفاضات الخاصة في عدد من المصنوعات) تقابل ارتفاع اسعار المواد الاستهلاكية ، وقد اختلفت باختـــلاف السلع ، ولكنها بلغت ، بحسب تقديرات روموف ، ٢٥ و٣٠ وحتى ٥٠ و٦٠ بالمائة.

وتحسنت الأجور بشمول « الاجر المشترك » اي الفوائد المختلفة التي يحصل عليهـا كل عامل بصرف النظر عن عمله . فقد منح قانون السنة ١٩٤٤ تعويض ومكافـأة ولادة ابتداء من الولد الثالث (وليس من الولد السابع كما في السنة ١٩٣٦) ، وفي السنة ١٩٤٧ أقرت بعض التعويضات للامهات — العازبات . يضاف الى ذلك من جهـــة ثانية ان ارتفاع الاجر الحقيقي (٢٠ بالمائة لصغار الاجراء ، و١٥ بالمائة للعامل الاختصاصي ، و١٠ بالمائة للمهندس) قد تحقق بسرعـــة نسبية اذ امكن التأكيد في شهر تموز من السنة ١٩٥٣ « ان بمقدور المواطنين السوفيات شراء ضعف ما كانوا يشترونه في السنة ١٩٤٧ » . ولعمـــل الطاقة الشرائية زادت بين السنة ١٩٤٧ والسنة ١٩٥٣ ، بحسب تقديرات روموف ، بنسبة ٧٨,٥ بالمائة للعامل ، و٧٨ للعامل الاختصاصي ، و٥٧ بالمائة للمهندس ، و٥٠ بالمائة للفلاحين.

مقارنة بالبلدان الرأسمالية

لا مناص والحالة هذه من مقارنة هذه الطاقة الاقتصادية بطاقات بلدان « المشروع الحر » . فاذا ما نظرنا الى الخط البياني المنحني الذي ترسمه انطلاقة صناعة اساسية في الاتحاد السوفياتي والولايات المتحـــدة لاستحال الا يسترعي انتباهنا انتظام نمو انتاج الاتحـــاد السوفياتي والتقلبات البارزة في انتاج الولايات المتحدة (الشكل ٢٦) ؛ ويرد انتظام نمو الاقتصاد السوفياتي الى انعدام الازمات ، كما قد ورد

سرعته الى مستوى الانطلاق المنخفض جداً وتوفر تقنية متقدمة جداً اتاحت للاتحاد السوفياتي ان يستخدم دفعة واحدة ادوات جديدة وطرائق مضمونة النتائج . فحتى السنة ١٩٤٧ ، اي في مرحلة « البناء الاشتراكي » ، بلغ المعدل السنوي في تقدم الانتاج الصناعي ٢٠ بالمائة ، وبين السنة ١٩٤٧ والسنة ١٩٥٠ ، ٢٣ بالمائة ، وفي السنة ١٩٥١ ، ١١ بالمائة ، ومنذ السنة ١٩٥٢ ، ١٠ بالمائة . اي ان المعدل العام كان ١٧,٥ بالمائة ، بينما كان ٤,٥ بالمائة في الولايات المتحدة . وعلى الرغم من ذلك ، ما زال الفارق كبيراً بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة . ففي السنة ١٩٥٣ ، كان معدل الانتاج ، المعتبر ١٠٠ في السنة ١٩٤٧ ، ١٢٩ في الولايات المتحدة و٢٦٦ في الاتحاد السوفياتي ، ولكن هذا الاخير لم ينتج آنذاك سوى ١/٣ الانتاج الاميركي من الفولاذ ، و٥ بالمائة من انتاج السيارات و١/١٠ انتاج الجرارات ، و٣٣ بالمائة من الفحم الحجري ، و١٤ بالمائة من البترول و٢٥ بالمائة من الكهرباء المولدة من القوة المائية ، بصرف النظر عن الغاز الطبيعي . وربما بلغ مجموع الدخل القومي غير الصافي ـ بحسب تقديرات مختلفة ـ ١٨ – ٣٦ بالمائة من الدخل الاميركي غير الصافي . ولكن الفارق يتجه نحو النقصان ، والتأخر يتلاشى سنة بعد سنة .

الحياة الفكرية

ان الظروف الخاصة التي عاش فيها الاتحاد السوفياتي منذ السنة ١٩١٧ ادت الى قيام صلة اكثر وثوقاً منها في اي مكان آخر بين الحياة الفكرية والفنية من جهة ، وبين الظروف السياسية والدولية من جهة اخرى : ادب وفن رومنطيقيان وعارمان بالقوة اثناء المرحلة « الثورية » في العشرينيات ، ثم اثناء العمل بالخطط الخمسية ؛ اما المذهب الذي نال الحظوة فهو « الواقعية الاشتراكية » التي اتجهت شطر تمجيد نشاط الانسان في العمل اي في المصنع والتعاونية الزراعية . وقد عزز هذا الاتجاه منذ السنة ١٩٣٨ الخطر الالماني الذي وجه الافكار نحو ايقاظ الشعور القومي ، والعودة الى امجاد الماضي ، والاشادة بذكر الملوك والقادة ورجال الدولة الذين صنعوا روسيا العصرية بمقاومتهم السيطرة الاجنبية ؛ وهكذا فان روايات « ألكسي تولستوي » وموسيقى بروكوفياف وافلام ايزنستاين قد عظمت بطرس الاكبر « وايفان الهائل » و « اسكندر نوسكي » وسوفوروف . واوحت الحرب مؤلفات ادبية كثيرة تمجد الوطنية السوفياتية التي وحدت بين احترام ماضي روسيا القومي واحترام روسيا الجديدة الشيوعية . فمنذ السنة ١٩٤١ وضع « ايليا اهرنبورغ » كتاباً يتجلى فيه عداؤه للالمان : « سقوط باريس » ؛ وكانت حراجة وضع الاتحاد السوفياتي في السنة ١٩٤١ والسنة ١٩٤٢ مصدر وحي لشعراء كثيرين من امثال سيمونوف وسوركوف ، ولمؤلفات ليونوف وكازاكيفيتش (الكوكب) واوفيتشكين وبولفوي (رجل رجل) ، ومجدت افلام بطولية المدافعين عن موسكو وستالينغراد والمنتصرين في برلين ، بينما الف شوستاكوفيتش سمفونيتيه السابعة والثامنة ، والف شولوكوف ، الذي بلغ الشهرة بكتابه « الدون الهادىء » (١٩٢٨ – ٤٠) ووصف فيه سنوات الحرب الاهلية العشر من خلال

تزايد سكان المدن الرئيسية في الاتحاد السوفياتي من ١٩٢٦ الى ١٩٥٩

(اعتبارا من ١٥ كانون الثاني ١٩٥٩)

	١٩٢٦	١٩٥٩
آلما آتا	٤٥٣٩٥	٤٥٠ الفا
باكو	٤٥٢٠٣٣٣	٩٦٨ الفا
ديبروبتروفسك	٣٣٩٠٧١٧	٦٥٨ الفا
خوركي	٢٢٢٠٣٤٩	٩١٣ الفا
اركوتسك	١٠٥٠٦٩٩	٣٦٥ الفا
ايفانوف	١١١٠٤٦٠	٣٣٢ الفا
كراغاندا	صفر	٤٩٨ الفا
كازان	١٧٩٠٠٢٣	٩٤٣ الفا
خاباروفسك	٥٢٠٠٤٥	٣٣٢ الفا
خاركوف	٤١٧٠٣٤٢	٩٣٠ الفا
كييف	٥٥٣٠٩٣٧	١٠٠١٠٠٠ الف
كريبيشيف	١٧٥٠٩٣٩	٥٠٦ آلاف
لينينغراد	١٦٩٠٠٦٥	٣٠٣٠٠٠٠٠ الف
لفوف(١٩٣١)	٣١٦٠١٢٧	٤١٠ آلاف
ماغنيتوغورسك	٣٠٠٠٠	٣٩٦ الفا
ماكييفكا(١٩٣٩)	٢٤٢٠٠٠	٣٥٨ الفا
منسك	١٣٤٠٨٠٣	٥٠٩ آلاف
موسكو	٢٠٢٩٤٢٥	٥٠٣٤٠٠٠
نجني تاغيل	٣٨٠٨١٩	٣٣٨ الفا

	١٩٢٦	١٩٥٩
نوفوسيبيرسك	١٢٠٠١٢٨	٨٨٧ الفا
اوديسا	٤٢٠٠٨٩٢	٩٦٧ الفا
اورسك	١٢١٠٦٨٤	٤٢٩ الفا
اوفا	٩٨٠٠٣٢	٥٤٦ الفا
بنزا	١١٩٠٩٢٦	٦٢٨ الفا
ريغا(١٩٣٩)	١٠٧٠٠٠٠	٧٨٢ الفا
روستوف	٣٠٨٠١٠٣	٥٩٢ الفا
سراتوف	٢١٩٠٠٤٧	٨٨١ الفا
سفيردلوفسك	١٤٠٣٠٠	٧٢٧ الفا
طشقند	٣٣٣٠٦١٣	٩١١ الفا
ارلبيي	٢٩٤٠٠٤٤	٩٩٤ الفا
تشيليابنسك	٥٩٠٣٠٢	٦٨٨ الفا
تشيتا	٦٤٠٠٣٦	٣٠ الف
فولا	١٠٠٠٠٠٠	٣٤٠ الفا
فولغوغراد	١٥٩٠٤٩٠	٥٩٤ الفا
فورونيج	١٢١٠٦٠٢	٤٥٤ الفا
يرمولاف	١١٤٠٢٧٢	٤٠٩ آلاف
يريفان	٦١٠٦١٢	٥٠٩ آلاف
زابوروجي	٥٠٠٧١٤	٤٧٥ الفا

الشكل ٢٥ ـ نمو المدن في الاتحاد السوفياتي ١٩٢٦ ـ ١٩٥٩

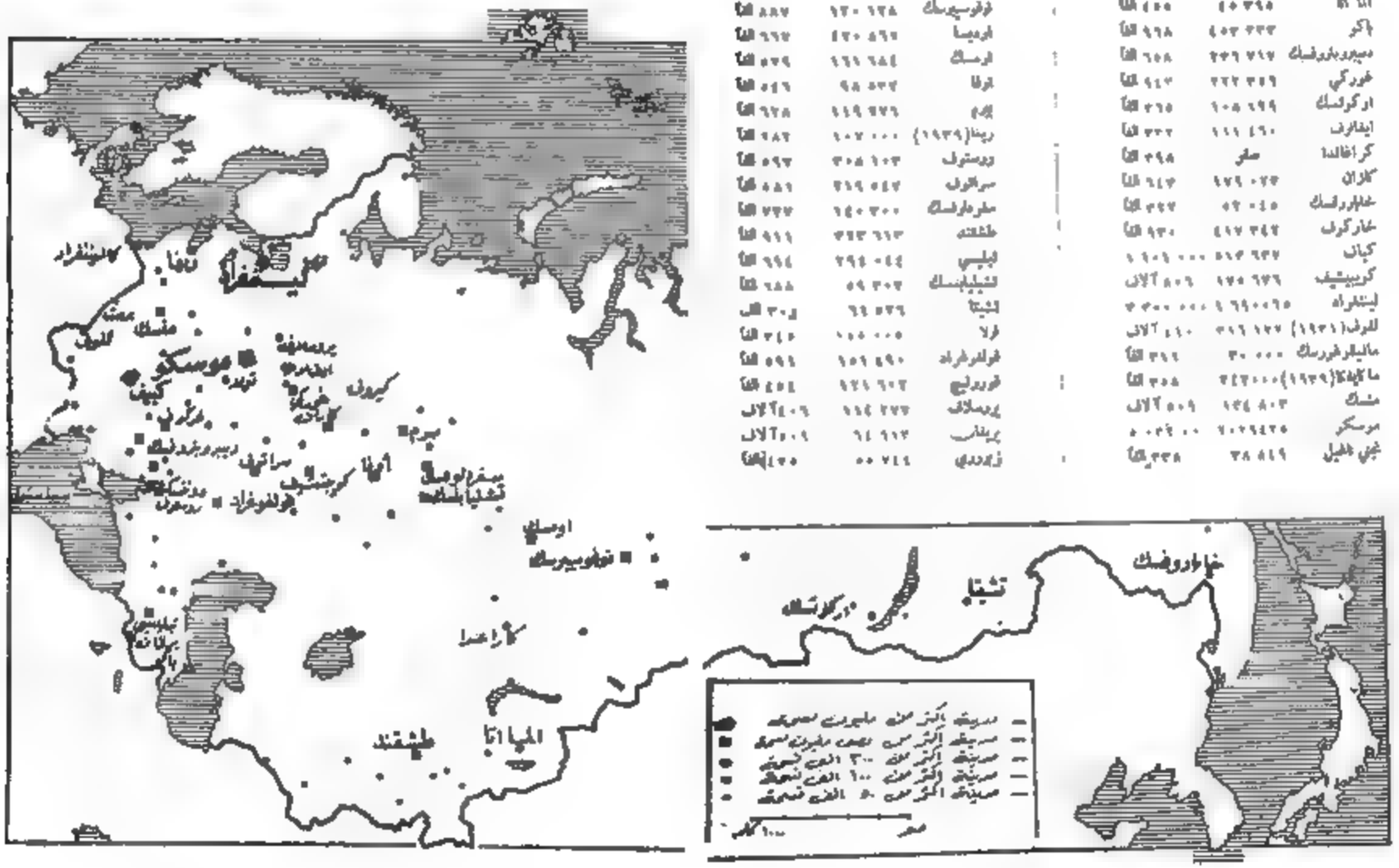

حياة الفلاحين والجنود الوضعاء ، كتابه « حاربوا من اجل الوطن » (١٩٤٣) الذي استعاد فيه ذكرى الانسحاب من الدون في السنة ١٩٤٢ . اما بعد السنة ١٩٤٥ فهي الحرب الباردة وخطر السلاح الذري ما اثارا حذر السوفيات من الحلفاء السابقين ، فبات لزاماً ان تبقى قوات البلاد على استعداد لمقاومة الحرب الوقائية التي خيّل لهم ان الاميركيين يعدونها : فنجم عن ذلك هداء للتأثيرات الفكرية الآتية من البلدان الرأسمالية ، خلق حـــالة نفسية « سبارتية » تقاوم كل تراخ وكل تمويه . وهو جدانوف ، امين سر الحزب بين السنة ١٩٤٦ والسنة ١٩٤٨ ، من تولى هذا النضال ضد الوطنية الشائعة وضد المثالية ، وضد التشبه بالاجنبي ، وضد « التمسك بالشكليات » . وقد وُجّه اللوم الى الشاعرة اكاتوفا والهجّاء سوشتشنكو لانهما اعطيا فكرة خاطئة عن العالم السوفياتي ، والى شوستاكوفيتش بسبب تشاؤمه . واستمر الفن في انحرافه عن الاتجاهات الجديدة الخصابة التي ظهرت في اوروبا الغربيـــة . واتصف الادب بالتفاؤل واعطاء القدوة الصالحة ولم يترك مكاناً كبيراً لتحليل المشاعر الشخصية : الحب ، والطمع ، والحسد ، والبخل . وطارد الانانية والاخلاق السهلة ، واطرى النخوة الوطنية والحياة الجماعية والبطل السوفياتي واعادة البناء وجمال الارض الروسية في مؤلفات غالينا نيقولاتينا ، وفسيرا بانوفا ، وبابنسكي (الجواد المكوكب) الذي وصف تجدد العمل في احدى تعاونيات كوبان الزراعية ، واجاييف (بعيداً عن موسكو) .

بعد النصر الشيوعي في الصين وزوال الاحتكار الاميركي للقنبلة الذرية ، عرف عالم الكتاب والفنانين بعض الراحة والاطمئنان ، وتلاشى جـــو التعبئة الفكرية : فألف بروكوفييف سمفونيته السابعة وشوستاكوفيتش لحنه المسرحي الديني « غناء الغابات » ، وكلاهما نشيد لروح السلم والعمل السلمي ، وأخذ مؤتمر الكتاب السوفياتيين المنعقد في السنة ١٩٥٤ يناقش مسائل النقد الادبي والمسرحي دونما نظر الى الناحية العقائدية . واتصفت مقاومـة التقليد الاعمى والانقيادية الستالينية بمزيد من الحرية حيال « الواقعيـة الاشتراكية » ، وتجلت بمزيد من الاهتمام بالمؤلفات الغربية (او اقله برغبة حقيقية في التعرف الى الفن المجرد والرسم غير التمثيلي) ، وطالبت بحرية الابداع الفني واكدت ضرورة « تسهيل تفتح روح المبادهة والافكار والخيلة الشخصية » . وتجلت كذلك بالمناقشات الحامية في اوساط الفنانين والكتاب امام لوحـــات فالك ونيكونوف ، وقصائد افتوشنكو التي كانت احداها موضوع سمفونية شوستاكوفيتش الثالثة عشرة (١٩٦٣) ، ومؤلفات بوريس باسترناك ، ورواية اسكندر سولجنتسين حـــول المعسكرات الستالينية .

سبق لهذه الحرية ، التي نمت بعد وفاة ستالين بنوع خاص ، ان ظهرت ابان الحرب في الحقل الديني . فقد ضمن دستور السنة ١٩٣٦ حق ممارسة العبادة ، ثم حصلت الكنيسة الارثوذكسية في السنة ١٩٤٥ ، بسبب اخلاصها للعهد القائم ، على حق عقد مجمع انتخب البطريرك ألكسيوس.

ومنذ ذلك الحين لم يسمح للاكليروس بعضوية الجمعيات الدينية فحسب ، بل ألزم بان يكون المسؤول الرئيسي فيها .

الاتحاد السوفياتي منذ المؤتمر العشرين

لم تتبدل المؤسسات تبدلاً يذكر بعد السنة ١٩٤٥ ، ولكنها عرفت ، منذ وفاة ستالين تغييرات عميقة في سير حركتها ، ولا سيما بعد انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي في شهر شباط من السنة ١٩٥٦ ، واذاعة تقرير خروتشوف (وثيقة اتهامية حقيقية ضد الدكتاتورية) ، ونشر وصية لينين . فُخطِّئت « عبادة الشخصية » واتخذت

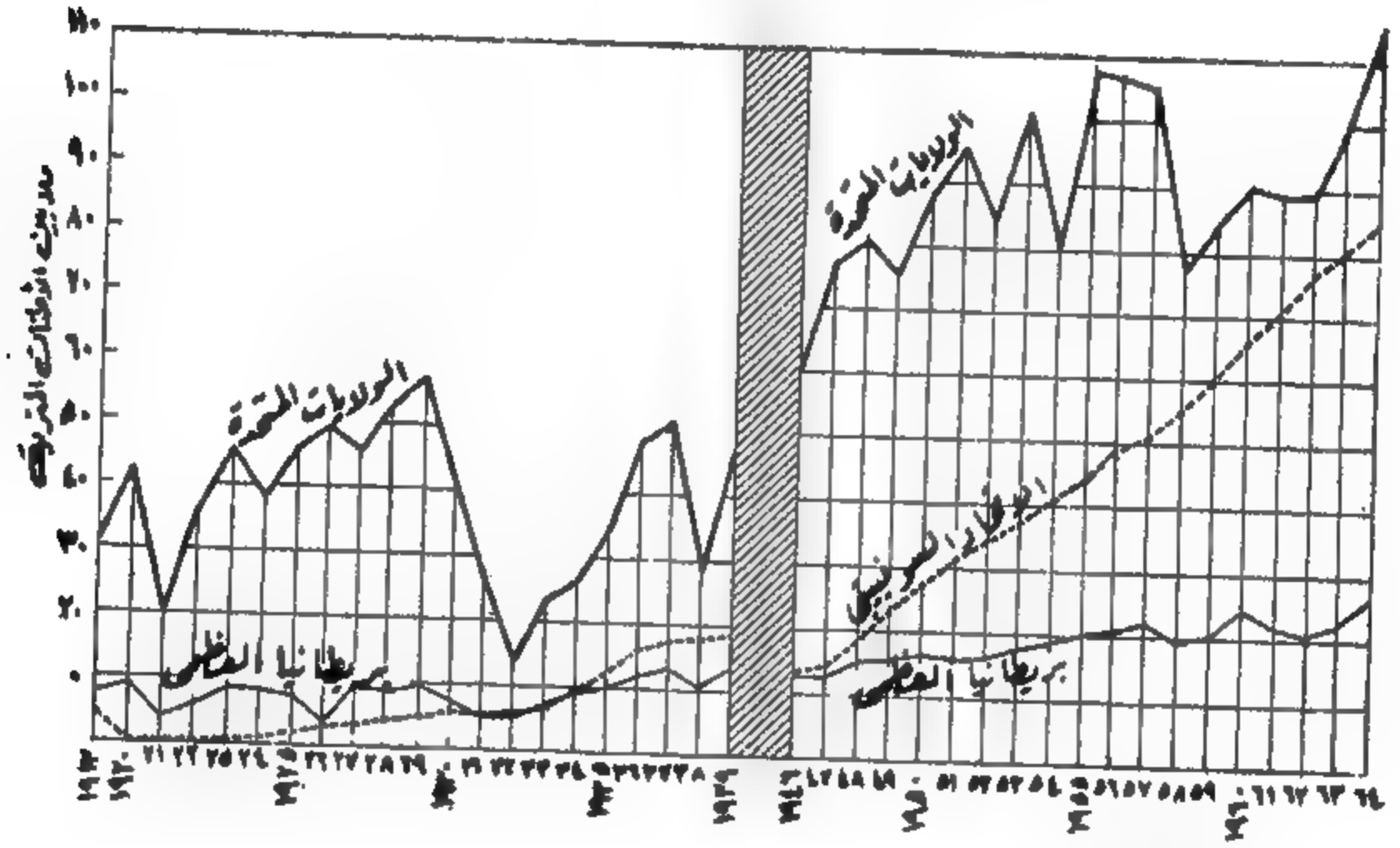

الشكل ٢٩ ـ انتاج الفولاذ الخام في الاتحاد السوفياتي وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة بين ١٩١٣ و ١٩٥٥

الحكومة شكل ادارة مشاركة تعزز في السنة ١٩٦٤ حين أقصي نيكيتا خروتشوف القوي الشخصية عن الحكم . واذا ما سلمنا ، مع جورج غورفيتش ، «بأن الطابع الحصري للانظمة الشيوعية مرده ... الى طابع التخلف او نصف التخلف في البلدان التي قامت هذه الانظمة فيها » ، فان التحول الراهن الى الحرية انما يقابله تطور اقتصادي يسمح اليوم بتخفيف الضغوط ، وتلبية بعض المطالب ، والكف عن التضحية باليسار على مذبح القوة وبالاستهلاك على مذبح التجهيز ؛ فقد توفرت من ثم الشروط اللازمة لقيام نظام ديموقراطي وحر . اجل لم تفقد الدولة شيئاً من مقومات وصايتها : فهي ما زالت سيدة الجيش وقوى الأمن ، والحياة الاقتصادية ايضاً ،

اذ انها تتصرف في الموارد الانتاجيـــة . واحتفظ الحزب من جهتـــه بمراكز القيـــادة وبادارة القطاعات الرئيسية ، ولكن اساليب جديدة في الحكم والادارة خلقت جواً جديداً كل الجدة . فان الغاء عدد من الوزارات الاتحادية ، وزيادة مهام مجالس العمال ، ونقل مصالح كثـــيرة من موسكو ومن عواصم الجمهوريات المختلفة الى مراكز الانتاج ، كل ذلك قد احدث يقظة حقيقية في الحياة العامة . وبفضل تعاظم استقلال المجالس الذاتي ، بات باستطاعـــة المواطنين الاسهام مباشرة في ادارة الشؤون المحلية ، بينما دعي المجلس السوفياتي الاعلى ، من جهتـــه ، لمناقشة وتعديل مشاريع القوانين التي يتقدم بها الحزب . وتستدعي الانتباه هنـــا ظاهرة لا تخلو من المغزى ، هي تعاظم شأن احدى المؤسسات منذ المؤتمر الثاني والعشرين ، مع انهـا ، بالرغم من قدمها(١٩٢٢)، لم تقم منذ زمن بعيد بأي دور بارز ، اعني بها الـ بروكاتورا ، التي فوّض إليها مراقبة شرعية عمل الأجهزة الادارية او القضائية (وزراء ، مشاريع ، مؤسسات مختلفة) على مختلف مستوياتها . فان النائب العام ، الذي يعين لمدة سبع سنوات ، مستقل عن وزير العـدل وعن الحكومة ولا يرتبط الا بالمجلس السوفياتي الأعلى في الاتحـــاد السوفياتي ، وعليه تنبيه المجلس الاعلى الى مخالفة القانون التي يرتكبها هذا الجهاز أو ذاك .

أنكرت الاساليب البوليسية واعيد الاعتبار الى ضحاياها كما اعيد الى الشعوب الشركسية ، الـ كاباردـ ـ بلكار والـ تشلشين ـ انغوش ، والمان الفولغا الذين كانوا قـــد نقلوا الى سيبيريا . والغيت النصوص التي تفرض عقوبات جزائية على من يتغيب عن العمل او يتركه دون اشعار سابق ، ورفعت الاجور المتدنية (بنسبة ٣٣٪) ،وحدّ بعض الشيء من المكافآت، وحـــدد يوم العمل مرة اخرى بسبع ساعات في السنة ١٩٦٠ ، واعيد تنظيم المعاش والتقاعد ؛ ويجب ان يضاف الى هذه التدابير الاسراع في بناء المساكن ، ولا سيما البناء الذي يتولاه الافراد بمساعـــدة الدولة والمشاريع ، وتوسيع شبكة المؤسسات المدرسيـــة والمؤسسات التي تعلوهـــا ، وتوزيع النشاط الصناعي على المناطق خدمة للجمهوريات المتحدة . وبذل مجهود هام جداً بغيـــة تحسين مستوى معيشة الفلاحين تحسيناً سريعـــاً : تخفيض الضرائب على دخول مزارعي التعاونيـــات الشخصية ، ورفع اسعار المواد الضرورية من جهة ، وزيادة كمية المواد الاستهلاكية في الاسواق من جهة ثانية ، وزيادة القيمة المالية للوحـــدة الحسابية التي تستخدم قاعـــدة لمكافأة الاعمـــال الزراعية ، الـ «ترودودن».

اصـــلاح الاقتصـــاد

كانت التغييرات العضوية في النظام الاقتصادي اعظم اهمية وابعد خطورة من حيث النتائج . فاللجان النقابية المنتخبة للمشاريع قد اتسعت مهامها واعطيت حق ابداء رأيها في المرشحين لمراكز الادارة ، وتوجب استشارتهـــا قبل اي تسريح . واخيراً حصلت على المزيد من النفوذ للجمعيات الانتاجية الدورية التي تضم ادارة وعمـــال كل مشروع بغيـــة مناقشة المســائل المتعلقـــة بهم . وكان التصنيع المخطط ، الذي استهل منذ زهاء ثلاثين سنة ، قد اخضع لتنظيم مركزي ناجح في السنة ١٩٢٩ ، ولكنه افضى

بسبب نجاحاته بالذات ، الى تعدد الوزارات الصناعية (٣١ في السنة ١٩٥٥) وتشابك صلاحياتها ، فنجم عن ذلك توان وازدواجية وتبذير وفصل عمودي صارم بين القطاعات المتكاملة . فأدى الاستياء من هذه الحصرية البيروقراطية ، الثقيلة الوطأة والباهظة الاكلاف ، حين توجب ادارة ٢٠٠ ٠٠٠ مشروع صناعي و ١٠٠ ٠٠٠ مشغل في انحاء البلاد المختلفة ، الى الغاء معظم هذه الوزارات في شهر ايار من السنة ١٩٥٧ والاعاضة منها بـ ١٠٥ اجهزة (سوفنار كوز) حصرت صلاحياتها في الاقاليم (٧٠ في الجمهورية السوفياتية الاتحادية الاشتراكية الروسية ، ١١ في اوكرانيا ، ٩ في قازاخستان ، ٣ في اوزبكستان ، ٢ في كرغيزيا ...) واشرفت على كافة مشاريع اقليمها وليس على هذا الفرع او ذاك من فروع الانتاج كما في السابق . وكان الهدف من هذه اللاحصرية ، عن طريق التقسيم الاقليمي الصوابي للعمل ، التقريب بين الادارة الاقتصادية والمشاريع ، واتاحة قيام مزيد من التناسق والاختصاص ، وتسهيل التموين ، وتحقيق وفر هام في النقل ، واستخدام اليد العاملة استخداماً افضل ، لا سيما وقد اخذت الحاجة تمس اليها . وقد خضع كل سوفنار كوز لاشراف لجنة يعاونها مجلس اقتصادي وفني ، وعمل تحت رقابة الـ «غوسبلان» الذي لم يعد جهازاً ادارياً بحتاً بل حصرت مهمته بعد اليوم في مطابقة التخطيط بتنسيقه الخطط في الجمهوريات والمناطق . ووفرت له دوائر الاحصاء الموحدة الموضوعة تحت تصرفه واموال المصرف المركزي التي يوزعها كافة الوسائل الضرورية للقيام بمهمة الادارة هذه .

واقر في شباط وحزيران من السنة ١٩٥٨ تدبيران ليسا دون هذه التدابير اهمية ، اعني بهما نقل ملكية معدات و محطات الآلات والجرارات ، الى المزارع التعاونية في مدة سنة واحدة — وكان الهدف من ذلك ، كما في الحقل الصناعي ، ازالة البيروقراطية من الزراعة واستخدام المعدات خير استخدام — وإلغاء التسليمات الإلزامية المفروضة على المزارع التعاونية . وقد استجاب هذان التدبيران لرغبات الفلاحين وسهلا زيادة الانتاج . ووسعت كذلك صلاحيات مديري المزارع التعاونية لجهة حرية التقرير بصدد نظام الانتاج وحجمه ، وتوزيع الاراضي والعمال ، ومكافأة اليد العاملة ، وذلك بمنع اجهزة الدولة والحزب المحلية ، في شهر آذار من السنة ١٩٦٤ ، من التدخل في تفاصيل الانتاج . ووصل اخيراً إلغاء المزارع التعاونية المتدنية الانتاج ، باعتبار انها اصغر من ان تفيد من التقدمات التقنية . فلم يبق سوى ٦٧ ٠٠٠ مزرعة في السنة ١٩٥٩ معدل مساحة الواحدة منها ٢٠٠ ٢ هكتار ، وقد اعتمد الكثير منها نظام مكافآت اعتبر ضمانة ثابتة تقرب بين ظروف عمل المزارع التعاوني وظروف عمال الصناعة . وزيد كذلك عدد المزارع النموذجية التي توازي انتاجيتها ثلاثة اضعافه انتاجية المزارع التعاونية ، فارتفع من ٨٠٠ ٥ في السنة ١٩٥٨ الى ٢٨١ ٨ في كانون الثاني من السنة ١٩٦١ . وقد بلغت مساحتها في هذا التاريخ ٢٧ بالمائة من مساحة الاراضي الزراعية .

الخطة السبعية
١٩٥٩ - ١٩٦٥

كانت نتيجة مرونة طرائق التخطيط واستحالة تحقيق الخطة الخمسية السادسة التي لوحظت في السنة ١٩٥٧ احلال خطة سبعية للفترة ١٩٥٩ – ١٩٦٥ محل الخطط الخمسية . وكانت الخطة الجديدة محصورة (تناولت ٣٠٠ صنف فقط مقابل ٥٠٠٠) وهدفت الى السماح لكل مشروع بتجديد برنامجه الصناعي لفترة اطول مدى . وقد وضعت وفاقاً لاصول سابقاتها نفسها ، ولكنها ابتغت نموا اقل سرعة (٧ بالمائة للدخل القومي بدلاً من ١٠ بالمائة) وشددت على اولوية اعادة تجهيز السكك الحديدية ، والصناعات الكيميائية ، والطاقة (ولا سيما البترول والغاز) ، والاسمنت ، والمعادن غير الحديدية . وبذل مجهود خاص (مسمى ٢٫٥ للتقدم) لزيادة الانتاجية (٨ بالمائة في السنة ١٩٥٩) بغية تلافي النقص في اليد العاملة ، الناتج عن دخول بعض الطبقات القليلة العدد في الحياة العاملة . وكان مقدراً للمناطق الشرقية من الاتحاد – التي استفادت من نزوحات داخلية هامة جداً – ان تنتفع اكثر من سواها من هذه الانطلاقة : مضاعفة الاموال الموظفة في قازاخستان وسيبيريا حيث ستبلغ المستى ٢٫٧ . وبفضل المراكز الصناعية الجديدة والهامة في كوستانابيسك و باڤلودار – اكيباستوز و انشنسك – كراتوبارسك وبراتسك تايشت ، انتجت المناطق الشرقية في السنة ١٩٦٥ نصف الفحم الحجري والفولاذ والاسمنت والطاقة الكهربائية في الاتحاد. فقد استمر الانتاج الصناعي من ثم في تحقيق تقدمات كبرى ولكن سرعته اخذت تخف منذ السنة ١٩٦٠ : فان معدل الزيادة الذي لم يبلغ قط ١٠ بالمائة (على غراره في السنوات السابقة) قد اخذ يتدنى تدنياً منتظماً ؛ فبلغ ٧٫١ بالمائة في السنة ١٩٦٤ بالنسبة للسنة ١٩٦٣ (وكان في اوروبا الغربية بين ٤٫٥ بالمائة ، وفي بريطانيا العظمى اقل من ٢ بالمائة) .

اما الانتاج الزراعي ، الذي زاد بنسبة ٥٠ بالمائة بين السنة ١٩٥٣ والسنة ١٩٥٨ ، فما زال مع ذلك مركز الضعف الحقيقي في الاقتصاد السوفياتي . فاذا كانت زراعة القطن اكبر نجاح حققته هذه الزراعة ، فان انتاج الحبوب وتربية المواشي لم يحققا سوى نتائج متوسطة جداً . وقد بقيت الانتاجية السنوية للفلاح السوفياتي متخلفة جداً عن انتاجية المزارع الاميركي (التي ربما بلغت ثمانية اضعافها بحسب تقدير رينه ديمون) ، كما ان معدل انتاج السنوات ١٩٥٨ – ١٩٦٢ – ١١ قنطاراً في الهكتار – ضئيل جداً بالنسبة لزراعة متقدمة المكننة لا يزال يعمل فيها ٣٨ بالمائة من السكان العاملين الذين لا يستفاد من ثم من بعضهم استفادة كافية . اما في حقل تربية المواشي فقد بقي عدد البقريات على حاله وحليب الابقار غير كاف ، بحيث تعذر تنفيذ خطط تسليم اللحوم والحليب والزبدة . ويرد ذلك الى ان اراضي باثرة كثيرة ، حولت الى اراض زراعية الى الشرق من الاورال ، لم تكن خصبة التربة . وكانت معرضة بالاضافة الى ذلك لنقص المياه وانجراف التربة وظروف جوية غير مؤاتية (كارثة الجليد المبكر في السنة ١٩٦٣). فأرغم الفشل الذي انتهت اليه محاولة حل مسألة الانتاج بتوسيع المساحة المزروعة وخيبة الامل التي سببها توسيع مساحة زراعة الذرة الصفراء المعدة لتربية المواشي (وقد جاوزت

هذه المساحة عشرة اضعافهـــا بين السنة ١٩٥٣ والسنة ١٩٦٢ ، اذ ارتفعت من ٥٠٠ ٠٠٠ ٣ هكتار الى ٣٧ مليوناً) على البحث عن زيادة الانتاج باستعمال المزيـــد من الاسمدة ومبيدات الحشرات . وهذا هو سبب الاولوية المطلقة التي اعطيت في المشروع الجديد لتوظيف الامـوال في الصناعات الكيميائية (التي قُدمت على الصناعة الثقيلة والنفقات العسكرية) . وفي الوقت نفسه ، زيدت اعتمادات الدولة للري والاعمال المائيـة ٥٠ ٪ في السنة ١٩٦٥ بالنسبة للسنة ١٩٦٣ . وارتسم كذلك مجهود هام في اتجاه اساليب التخطيط وادارة الاقتصاد . اجل لقـد سبق ورأينا ان اجماع الانتقادات الموجهة لجهاز اداري فضفاض ولاساليب تنظيمية جامـدة ومترددة وبيروقراطية عادمة الجدارة احياناً ، قد ادت الى تخفيف وطأة الرقابـــة ، والى اللاحصرية التي اعترفت للمشاريع باستقلال ذاتي في موضوع اختيار العمال وتحديد الاجور . ولكن مدرسة كاملة من علماء الاقتصاد من امثال ترابزنيكوف وارزومانيان وليبرمان قد نادت بالعودة الى فكرة الكسب وتقدير دخل المشروع ، وشدّدت الكلام على اهمية تعيين الاسعار واوصت باستخدام بعض الحوافز (مكافآت ، غرامات ، ضرائب) المعدة لجعل المشاريع على العمل في اتجاه يوافق الاقتصاد العام ، وتحقيق ارباح تتيح توظيف اموال جديـــدة ، وإقامة علائق مباشرة بين الميّارة والزبن بغية مطابقة الانتاج على الطلب ومن ثم تحسين نوعية السلع المعروضة للبيـع .

التغييرات الطارئة على المجتمع

تطور المجتمع السوفياتي تطوراً سريعاً جداً ، وتبدل توازن الطبقات الاجتماعية تبدلاً كليـــاً منذ السنة ١٩٤٥ . فان سكان المدن الذين زادوا زهاء ٨٠ مليون نسمة منذ اربعين سنة قد جاوزوا ٥٥٪ من مجموع سكان البلاد؛ كما ان عدد عمال المصانع ومستخدمي المكاتب الذي كان ٤٤ مليوناً في السنة ١٩٥٣ قـــد زاد بنسبة ٧٠ بالمائة خلال اثنتي عشرة سنة ، فبلغ ٧٥ مليوناً في السنة ١٩٦٥ . اما الفلاحون الذين تدنى عددهم بفعل الهجرة الريفية التي دفعت نحو المدن بـ ٥٠٠ ٠٠٠ ه فـلاح بين السنة ١٩٥٦ والسنة ١٩٥٩ ، فقد حدث نقص مليون في عدد عائلات المزارعين التعاونيين بينهم (٦ بالمائة من الاستثمارات الزراعية) . فأقام العديد من اعضاء هذه الطبقة الاجتماعية الجديدة في المـدن منذ جيلين او ثلاثة وتلقوا تعليماً ثانوياً جعلهم اهلاً للوقوف على اسرار المسائل التقنية ، « فتحـــلى هذا الجيل برباطة الجأش التي يعطيها التعليم » . وكان اكثر تطلبـاً لجهة الحرية والرفاهية واقل استعداداً من الجيل السابق لتحمل الوصاية البيروقراطية . وبرزت في الوقت نفسه فئة تمثـــل ٢٢ بالمائة من كافة الاجراء (وهي نسبة تكاد توازي نسبة المزارعين التعاونيين) ، وتتألف من فنيي ومستخدمي الاقتصاد (١١ مليوناً مقابل مليونين في السنة ١٩٤٠ ، تلقى ٦٠ بالمائة منهم تعليماً عالياً) والمعلمين والمربين (٦ ملايين) ، والاختصاصيين في البحث العلمي (٥٠٠ ٠٠٠ ٢) ومستخدمي دوائر الصحـــة (٤ ملايين) ، والموظفين الاداريين (٨٠٠ ٠٠٠ ١) . أوليس محتملاً والحالة هذه ان تصبح طبقة المثقفين هذه المؤلفة من الفنيين والموظفين ، والمتعاظم شأنها

في حياة كافة المجتمعات الصناعية ، طبقة حاكمة من الفنيين المستقلين الذين يفرضون مقرراتهم وتنتقل صلاحيتهم الادارية بالوراثة ؟ فان السبيل الوحيد للارتقاء الاجتماعي في مجتمع يستحيل فيه جمع رأس مال ينتج الدخول ، هو التعليم العالي الذي يفتح باب الوظائف الهامة ؛ والحال ينتسب ٦٠ بالمائة من الطلاب الحاليين الى هذه الطبقة . ولكن الدولة السوفياتية والحزب اللذين واجها هذا الخطر قد اخضعا مديري المزارع التعاونية والمصانع ورؤساء دوائر التخطيط لرقابة اعضاء الحزب العشرة ملايين ورقابة الادارة الذاتية لذوي العلاقة ؛ وهذا كان احـــد اهداف اللاحصرية الاقتصـادية التي طلع بها خروتشوف . وتوجب كذلك التوفيق بين متناقضـات متطلبات العقيدة الهادفة الى إلغاء كل تفاوت بين العمل الفكري والعمل اليدوي (بنشر الثقافة نشراً واسعاً جداً) وندرة المراكز الهامة المتوفرة نسبياً (التي تفرض الحد من التعليم العالي) : بين السنة ١٩٥٤ والسنة ١٩٥٧ تعـذر على أكثر من ٠٠٠ ٥٠٠ ٢ تخرجوا من المـدرسة الثانوية الانتقال الى التعليم العالي والمدارس التقنية . اما الحل القليل الجدوى الذي اعتمده اصلاح السنة ١٩٥٨ فقد قضى بفرض فترة تمرين على العامل اليدوي قبل دخول التعليم العالي .

كانت من ثم نتيجة ازالة « الصبغة الستالينية » ارتياحاً داخلياً حقيقيـاً ، دون ان تتعرض مع ذلك لمبدأ دكتاتورية البروليتاريا او تدخـل اي تغيير على نظام المجتمع . ووفرت كذلك ارتياحا خارجيا استعجل تحسن العلاقات بين الدول في العالم. وقد أسهم كذلك في هذا الارتياح اعتراف المؤتمر العشرين بشرعية استخدام كل امة طرائقها الخاصة للوصول الى الاشتراكية ، حتى عن الطريق البرلمانية ، بواسطة تقارب دائم – لا مؤقت كما كان تقارب الجبهـات الشعبية – مع الاحزاب التقدمية الاخرى ، والموافقة على السياسة الخارجية الحيادية التي تمشى عليها عدد من الدول الآسيوية والافريقية وحتى الاوروبية ، والحرية التي تركت للاحزاب الشيوعيـة القومية في الاتصال فيما بينها اتصالاً مباشراً .

الفصل الثاني

الديموقراطيات الشعبية في أوروبا الوسطى والشرقية

ان اوروبا الوسطى والشرقية تؤلف ، مع الشرق الاقصى ، الجزء من العالم الذي امتحن ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، بأعمق ثورة شاملة . فعلى غرار ما حدث في روسيا في السنة ١٩١٧ ، قُوّضت العروش ، وشُتتت الارستوقراطية القديمة ، ومحقت الملكية الاقطاعية ، وأُلغيت الامتيازات ، وتلاشى السياسيون القدماء الذين اقصوا او نُفوا او حُكم عليهم بالموت ؛ وتفسخت الاحزاب او تحولت واخيراً زالت من الوجود : ان الطبقات الحاكمة السابقة كانت تتطلع الى لندن وباريس وواشنطن وروما لتتلقى منها التوجيه الفكري او الاقتصادي ؛ اما بعد السنة ١٩٤٥ فانما استنزل الوحي من موسكو ؛ « لقد قضت الثورة في عقد واحد على عادات وتقاليد الف سنة ».

الوضع في السنة ١٩٤٥

الى الشرق من الخط الذي بلغه الجيش السوفياتي في اوروبا الوسطى ، دخلت سبع بلدان في منطقة احتلاله ونفوذه : تشيكوسلوفاكيا ، بلغاريا ، رومانيا ، هنغاريا ، يوغوسلافيا ، البانيا ، تمثل ٩٠٩٠٠٠ كم٢ مساحة و ٧٠ مليون نسمة سكاناً ، يجب ان يضاف اليها القسم الشرقي من المانيا . وكانت تختلف اختلافاً كبيراً ، إن لجهة النظام الاجتماعي او لجهة الوضع المادي الراهن . فان تشيكوسلوفاكيا لم تعان مادياً ما عاناه سواها من ويلات الحرب ؛ وكانت اقل تعرضاً للغارات الجوية ، فتعززت طاقتها الصناعية بنقل بعض الصناعات الالمانية اليها . اما بولونيا والمانيا الشرقية ورومانيا وهنغاريا فقد كانت مسرحاً للمعارك الضارية والنهب والتدمير . وخرّبت يوغوسلافيا والبانيا تخريباً كاملاً بفعل حرب العصابات والعمليات الثأرية ، وعوملت معاملة قاسية . ولم يسلم نسبياً من الأذى سوى بلغاريا في الجنوب الشرقي . ففي كل مكان اتى الالمان اعمال عنف وابادة رهيبة : قتل ٦ ملايين بولوني نصفهم من اليهود ، ابادة حملة الشهادات العليا

ابادة منظمة (اكثر من نصف الاطباء مثلاً) ، نفي اكثر من ٢٠٠ ٠٠٠ تشيكي وقتل ٢٨ ٠٠٠ رهينة رمياً بالرصاص ، نفي مئـات الالوف من المنغاريين ، ابادة ٥٠٠ ٠٠٠ يهودي مجري . وهكذا فقدت بولونيا ويوغوسلافيا ٢٠ و ١٧ ٪ من سكانها . وان الاضرار التي قـدرتها لجنة التعويضات بـ ١٠٧٤ دولاراً للشخص الواحد في فرنسا ، قد قدرت بما يقارب ضعف هـذا المبلغ في بولونيا (٢١١٨ دولاراً) ويوغوسلافيا (١٨١٣) . وهكذا ففي كل مكان اقتصاد مقوّض ، وحاجة تكاد تكون كلية الى المواد الضرورية ، بما فيهـا المواد الغذائية ، وخطر مجاعـة عامة ، وتضخم مالي مفرط لا مثيـل له في التاريخ (في السنة ١٩٤٦ ، سوف يرمز الى الـ «بنغو» بعدد يضم ٢٧ صفراً ! وسوف تبدّل الستراينية بمليون «لاي » في السنة ١٩٤٦ بعد ان كانت تبدل بـ ٣٢ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٥) ، ونفقات احتلال مرتفعة جـداً ، وتعويضات يجب تسديدها ؛ وجملة القول ان الوضع كان يائساً حقاً .

الى هـذه الصعوبات تضاف الصعوبات الناجمة عن تغيير الحدود ونقل السكان . فان بولونيا قد انكمشت مساحتها بنسبة ٢٠٪ بفعل فقدانها الاقاليم الشرقية ، وعلى الرغم من حصولها على سيليزيا وجزء من براندبورغ وبومرانيا وبروسيا ، فان عدد سكانها قد تدنى الى ٢٤ مليون نسمة ، اي ان نسبة التدني بلغت اكثر من ٣٠٪ من عـدد سكانها ؛ ولكنها بالمقابـلة باتت متجانسة عنصرياً ولم يبق فيها اقليات عملياً . وفقدت تشيكوسلوفاكيا من جهتها منطقـة روتينيا واكثر من ٣ ملايين نسمة ، بينما اصبحت مساحة هنغاريا موازية لهـا في السنة ١٩٣٧ ؛ واقتطع من رومانيا ١/ مساحتها : بسارابيا وبوكوفينا ودوبرودجا ، و ٢٢٪ من سكانها ؛ أما بلغاريا فقد ضمت اليها منطقة دوبرودجا ، وضمت الى يوغوسلافيا منطقة البندقية الجوليـة مع « فيومه » وجزر الادرياتيك .

اضطر معظم هذه الدول (بولونيا ، بوهيميا ، رومانيا) من ثم الى القيـام باستعمار داخـلي حقيقي ، وتخفيف حدة المنازعات القومية والاجتماعية بازالة فوارق النمو الاقتصادي (بـين بوهيميا وسلوفاكيا مثلاً ، وبين صربيا القديمة والجبـل الاسود) ، وتجديد مختلـف اجهزة الانتاج ، ولا سيما وسائل النقل التي يجب ان توافق البناء الاقليمي الجـديد في الدول ، وتحسين وضع طبقات الفلاحين التي باتت بائسة بفعل ندرة العمل وضآلة الانتاج ، ووضع حد لارتباطها الشبيه بالارتباط الاستعماري بالنسبة لرؤوس الاموال الغربية ، وضمان استقلالها الوطني .

حكومـات الاحزاب المتحـدة

في سبيل مواجهة هذه الاعباء ، تألفت منذ التحرير حكومات اتحـاد (الجبهة الشعبية ، الجبهة القومية الديموقراطية ، الاتحاد الوطني المعـادي للفاشستية ، جبهة الوطن ...) ضمت ، في وجه الطبقـات الحاكمة السابقة التي تشوهت سمعتها بتعاونها مع الالمان وتدنى نفوذها بسبب سياستها ، كافـة عناصر السكان التي قاومتها . وقد اختلفت الاحزاب التي اشتركت فيها بأسسها الاجتماعية وايديولوجيتها واهدافها البعيدة ، ولكنها اتفقت حول برامج قصيرة الاجل بوشر تنفيذها على الفور : تطهير

ومعاقبة العناصر الفاشستية والتعاونية ، اصلاحات اجتماعية عن طريق توزيع الاراضي العائدة ملكيتها للالمان والتعارنيين والملاكين الذين هاجروا البلاد ، رقابة الطاقة الاقتصادية عن طريق تأميم الصناعات .

الا ان تقسيم الاملاك الكبرى بواسطة لجان شعبية قروية ، وتأميم الصناعـــات قد زادا في حينها من خطورة الصعوبات الاقتصادية والمالية : فقد ارتدى التضخم المالي طابـع الكارثة ، واستولى الجزع على الاحزاب غير الاشتراكية المعادية للاصلاحـــات العميقة . وحدثت آنذاك ظاهرة كلاسيكية في الفترات الثورية ، هي انضمام انصار النظـام المغلوب على امره الى صفوف الاحزاب المعتدلة في التحالف الحكومي والتأثير عليها . وقد سبق للشيوعيين ان اختبروا ذلك في روسيا بعد السنة ١٩١٧ مع المنشفيك والاشتراكيين الثوريين والاشتراكيين الديموقراطيين ، فشاهدوا حدوث الظاهرة نفسها في فرنسا وايطاليا اثنـــاء الانتخابات التي اعطت المزيد من الاصوات لحزبي الوسط ، الحركة الجمهورية الشعبية والحزب الديموقراطي المسيحي . وكان لأثر الحرب الباردة التي قامت بين حلفاء الامس دور حاسم جداً ، لانها جعلتهم اكثر تنبهاً لانبعاث معارضة قد تنجح في إعادة السلطة للاحزاب البورجوازية ؛ وهكذا فان المعارضة ، شاءت أم أبت ، قد ارتدت طابع المقاومة للسوفيات ولقيت تشجيعـاً ومساعدة من الحكومات الغربية او بدت وكأنها تلقاهما .

يضاف الى ذلك ان الاحزاب الشيوعية قد استمالت العديد من الاعضاء. ففي تشيكوسلوفاكيا ارتفع عدد هؤلاء من ٥٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٥ الى ١ ٣٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٧ . وفي بولونيا من ٣٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٥ الى ٨٠٠ ٠٠٠ . وفي رومانيا ارتفع هـذا العدد الى ٧٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٧ ، وفي هنغاريا الى ٧٥٠ ٠٠٠ . فتعاظم نفوذها وقوتها في كل مكان .

قيام النظام الشيوعي تدريجياً

في مثل هذا الجو تطور الوضع الداخلي في هـذه الدول : فقـد اشتد الصراع بين الاحزاب ، وافضى خطر انتهـاء السلطة مرة اخرى الى التأثيرات السابقة المعادية للاصلاحات ، الى تصلب الاحزاب الشيوعيـة والاتحـاد السوفياتي الراغب في ان لا يرى بعد اليوم على حدوده حكومات تناصبه العداء . ومنذ السنة ١٩٤٥ حتى السنة ١٩٤٨ ، وفي كل بلد من هذه البلدان ، اقصيت الاحزاب المعارضة تدريجيـاً وتحولت حكومة الاحزاب المتحدة الى نظام يكاد يكون بكليته تحت اشراف الشيوعيين . الا ان التشديد على الاصلاحات الاجتماعية الجذرية قد استتبع في البدء انقساماً في قلب كافـة الاحزاب الديموقراطية بين العناصر المتمسكة بالاصلاحات التي انجرّت الى اللحاق بالحزب الشيوعي ، والعناصر التي خشيت هذه الاصلاحات واتجهت شطر العناصر الرجعية : فتصدعت من ثم كافة الاحزاب القروية والديموقراطية . واقصي زعماء جناحها الايمن المعادي للاتحـاد . وعرفت الاحزاب الاشتراكية — الديموقراطية المصير نفسه . فان الفئـة العاطفة على الاحزاب الغربية التابعة للدولية الثانية والمنحرفة عن الماركسية ، قد اقصيت بينما الفت الاكثرية مـع

الحزب الشيوعي « جبهة ديموقراطية » . واضطر الزعماء المعتدلون اما الى الانسحاب واما الى مغادرة البلاد . ومنذ ذاك الحين ، وبعد ان احرزت «الجبهة الديموقراطية» النصر في الانتخابات اكملت الحكومة المنتصرة العمل الثوري ، فوسعت التأميمات والجزت تطهير العناصر المعادية . اما الاحزاب القروية والبورجوازية فقد انضمت الى معارضة اغضي عليها ولكنها اصبحت اكثر صعوبة يوماً بعد يوم . ومنذ اوائل السنة ١٩٤٨ ازيلت كل معارضة علنية في كافة بلدان اوروبا الشرقية ، بينما فر زعماء المعارضة او القي القبض عليهم .

الفت الجمهوريات الست ويوغوسلافيا جمهوريات شعبية . ففي تشيكوسلوفاكيا وبولونيا انتخب رئيس جمهورية يتمتع بصلاحيات واسعة . وفي البلدان الاخرى حل محل الملوك مجلس اعلى تنتخبه الجمعية من بين اعضائها ويمارس وظيفة رئيس الجمهورية جماعياً . واصبح لكل جمهورية مجلسها التشريعي المنتخب بالاقتراع العام ، باستثناء دولة يوغوسلافيا الاتحادية التي قام فيها مجلسان . وكانت المبادىء الاساسية واحدة في كافة البلدان : مساواة أمام القانون وفي الثقافة ، وحق في العمل والضمان الاجتماعي . وتولى الادارة المحلية هرم من المجالس شبيه به في الاتحاد السوفياتي ، وكان النظام القضائي كذلك شبيهاً به في الاتحاد السوفياتي ايضاً ، وهو الحزب الشيوعي ، المنظم على غرار الحزب البلشفيكي ، وفاقاً لمبدأ « المركزية الديموقراطية » ، ما كان القوام الاساسي للنظام .

الجمهورية الديموقراطية الألمانية

اختلف وضع القطاع السوفياتي في المانيا، حيث يقيم زهاء ١٧ مليون الماني ، اختلافاً ملموساً عنه في تحليلنا اعلاه ؛ فان هذا القطاع ، الذي خربته الحرب والغارات الجوية كما خربت بولونيا تقريباً ، قد اخضع لاحتلال صارم . فقد وضع السوفيات يدهم فيه ، بحجة التعويضات ، على اجهزة كثيرة حصلوا عليها بتفكيك آلات المصانع ، وعلى كميات كبرى من السلع واعداد وفيرة من المواشي ؛ وأسسوا شركات سوفياتية مساهمة — اكثر من ٢٠٠ شركة استثمرت عدداً من المصانع والصناعات الرئيسية ، وقدرت ارباحها بين السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٨ بـ ٢٥ بالمائة من مجموع انتاج القطاع السوفياتي . وبالرغم من ذلك ، تحقق الاصلاح الزراعي ، وتناول تأميم المشاريع الصناعية على انواعها ، في السنة ١٩٤٨ ، ٣٥ — ٤٠ بالمائة من مجموع المصانع ، ومثلت الشركات السوفياتية المساهمة ٢٥ — ٣٠ بالمائة ، والصناعة الخاصة ٣٠ — ٣٥ بالمائة .

وتألف بالمقابلة ، على الصعيد السياسي ، في السنة ١٩٤٦ ، الحزب الاشتراكي الموحد بانصهار الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي ، والاتحاد المسيحي الديموقراطي ، وحزب ديموقراطي حر ؛ وسمحت السلطة العسكرية السوفياتية بالانتخابات في البلديات ، ثم في البلاد كلها في السنة ١٩٥٠ . ومنذ السنة ١٩٤٧ انعقدت في كل سنة « مؤتمرات الشعب » التي تمثل مختلف الاتجاهات في القطاع . وانسمت الهوة تدريجياً بين الألمانيتين ، فقوبل كل تدبير غربي لتنظيم المانيا الغربية على نحو استقلال ذاتي بتدبير مماثل له في الشرق . وفي تشرين الاول ١٩٤٩ ، اخيراً ، أعلنت

الجمهورية الديموقراطية الالمانية التي اعادت لها السلطات السوفياتية الشركات المساهمة السوفياتية الثلاث والثلاثين الاخيرة التي كانت قد احتفظت بها ، وتخلت لها عن صلاحياتها للحكومة في السنة ١٩٥٣ . فبات منذ ذلك الحين دخول الكتلة الشرقية امراً ميسوراً ، وقد تحقق بسرعة .

الا ان الجمهورية الديموقراطية الألمانية لم تسر ، على الصعيد السياسي ، في طريق تطور الجمهوريات الديموقراطية الشعبية نفسه : فقد جرى الانتخاب في ظل نظام القائمة الواحدة ، ولكن مبدأ تعدد الاحزاب ما زال سائداً . فقد تعاون حزب الاتحاد الديموقراطي المسيحي والحزب الحر الديمقراطي مع الحزب الاشتراكي الموحد ، وقامت في البلاد احزاب اخرى كالحزب الوطني الديموقراطي والحزب القروي الديموقراطي .

الاصلاح الزراعي في الديموقراطيات الشعبية

اخذ الاقتصاد يستعيد بعض نشاطه في الوقت نفسه الذي يوشر فيه اجراء اصلاحات عميقة في النظام ، وفي الدرجة الاولى الاصلاح الزراعي الذي طالما طولب به ، والذي ارجيء ابداً او تحقق تحققاً جزئياً فقط . وقد قطع الاصلاح المراحل التي قطعها في الاتحاد السوفياتي تقريباً : توزيع الارض على الفلاحين ، وضع نظام للمقايضات بين المدن والقرى بواسطة تحديد الرسوم وانشاء مخازن تعاونية رسمية وتعيين نسبة المواد المفروض تسليمها ، تصفية الدوكولاك وتأميم الزراعة . وقد بلغ مجموع الاراضي المستملكة ٢٠ مليون هكتار وزع ١٢ مليوناً منها على اكثر من ٣ ملايين عائلة قروية .

وانما كانت المسألة على مزيد من الصعوبة والالحاح في هنغاريا حيث لم ينفذ اي إصلاح حقيقي بين الحربين . فمنذ السنة ١٩٤٥ بلغت الاملاك التي لم تجاوز ٨ هكتارات ٦٥ بالمائة من الارض الزراعية (مقابل ٣٢ بالمائة في السنة ١٩٣٥) ، وفي السنة ١٩٤٧ ، انجز الاصلاح ، وجاوزت الاراضي المصادرة مساحة ٣ ملايين هكتار . فاحتفظت الدولة بالغابات والمراعي ، ووُزِّعَ ما تبقى على ٦٤٢ ٠٠٠ عائلة . وبالرغم من ان منطقة الاملاك الكبرى في بولونيا قد ضمت الى الاتحاد السوفياتي ، فقد صودر ٣ ملايين هكتار في السنة ١٩٤٧ في بولونيا الوسطى والغربية . فاحتفظت الدولة بمليون هكتار من الغابات ووزعت الباقي على ٤٠٠ ٠٠٠ شخص من صغار الفلاحين . واذا ما اخذنا بعين الاعتبار اراضي الولايات الغربية الجديدة ، يكون هناك مليون فلاح قد استفادوا من توزيع ٦ ملايين هكتار . ووزعت اراضي المليوني الماني المقصين عن تشيكوسلوفاكيا واراضي الهنغاريين والالمان والتعاونيين السلوفاكيين في سلوفاكيا على ٢٥٠ ٠٠٠ مالك جديد . وفي البانيا حيث كان ثلث الاراضي الخصبة ، قبل السنة ١٩٤٠ ، من ملك ٢٠٠ شخص من كبار الملاكين ، وزعت منذ السنة ١٩٤٥ كافة الاملاك التي تجاوز ٢٠ هكتاراً (او ٤٠ هكتاراً اذا ما اعتمدت فيها طرائق «تقدمية») . وفي رومانيا انتزع ١ ٤٤٠ ٠٠٠ هكتار من طبقة كبار الملاكين التي برزت مرة اخرى الى الوجود بعد اصلاح السنة ١٩٢١ ، ووزعت على ٦٠٨ ٠٠٠ فلاح . وفي يوغوسلافيا ، وزع الـ ٤٠٠ ٠٠٠ هكتار المصادرة من الاقلية الالمانية

في فوجفودينا وسلوفينيا على ٥٠ ٠٠٠ فـــلاح من المناطق المتخربة ، كما ورع مليون هكتار مستملك على ٢٦٠ ٠٠٠ عائلة اخرى . وفي بلغاريا ، حيث كانت الاملاك الصغرى واسعـــة الانتشار ، وُزّع الـ ٢٣٠ ٠٠٠ هكتار ، التي انتزعت في السنـة ١٩٤٨ من الكنائس والاديرة والاملاك التي تجاوز ٢٠ هكتاراً ، على ١٢٨ ٠٠٠ عامل زراعي . وفي المانيا الشرقية اخيراً ، حيث بلغت الاملاك الكبرى ٣٦ بالمائة من الارض الزراعية ، صودرت كافة ممتلكات النازيين ومجرمي الحرب والاملاك التي تجاوز ١٠٠ هكتار . فوزع اكثر من مليوني هكتار تمثـــل ٢٣ بالمائة من المساحة الزراعية ، على ٥٤٤ ٠٠٠ فلاح .

وجملة القول ان طبقة الاشراف الريفيين قد صفيت نهائياً وما عادت لتلعب الدور السياسي الذي لعبته حتى ذاك التاريخ .

التأميمات

في البلدان التي احتلها الالمان او تحالفت معهم ، وضـع المحتلون يدهم على المشاريع والمؤسسات الهامـــة ، اما مباشرة بمصادرة ممتلكات الدولة (البولونية ، التشيكية) واليهود ، واما بصورة غير مباشرة بواسطة شركات المانية . ومنـذ التحرير ، انتزعت هذه المشاريع من واضعي يدهم عليها ، بدون اي تعويض ، ثم سنّت قوانين نظمت ووسعت التدابير المعدة لوضع مفاتيح الاقتصاد تحت اشراف الدولة . فمنذ السنة ١٩٤٥ أممت تشيكوسلوفاكيا المصارف وشركات الضمان والمناجم ومصانع الاسلحة والذخائر ومعظم الصناعات الحديدية والكيميائية وكافة المؤسسات التي يعمل فيهـا اكثر من ٤٠٠ شخص . وفي السنة ١٩٤٨ ، خفض هذا العدد الاخير الى الـ ٥٠ . وشمل القانون البولوني الصادر في السنـــة ١٩٤٦ كافة الممتلكات الالمانية دونما نظر الى اهميتها وطبيعتهـــا ، وكافة مؤسسات المناجم ، والمواصلات، والطاقة ، والتسلح ، والسكر ، والنسيج، والطحانة ، وكافة المؤسسات التي يعمل فيها اكثر من ٥٠ شخصاً ، باستثناء صناعات البناء . فبقي في اواخر السنة ١٩٤٨ ، ٦ بالمائة من الصناعات في ايدي المؤسسات الخاصة . وفي يوغوسلافيا اممّت منـذ السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٦ المؤسسات التي عملت لصلحة الالمان ، اي كافة المؤسسات تقريباً . اما في البلدان العدوة القديمة ، حيث استولى السوفيات على الممتلكات الالمانية ، فقد تقررت التأميمات تدريجياً في عهد اكثر تـــأخراً . ففي هنغاريا اممّت المناجم منـــذ السنة ١٩٤٦ ، ثم المؤسسات الكبرى لاستخراج المعادن ، وفي السنة ١٩٤٨ امت المصارف وكافة المؤسسات التي يعمـل فيها اكثر من ١٠٠ شخص . وفي رومانيا سن قانون في حزيران ١٩٤٨ امت بموجبه كافـة المؤسسات المرتدية طابعاً على بعض الاهمية . وفي بلغاريا امت منذ السنة ١٩٤٦ شركات الضمان ، والمناجم الهامة وصناعة وتجارة التبغ والكحول بالجملة، وفي السنة ١٩٤٧ اخيراً،امت عملياً كافة المؤسسات، باستثناء مؤسسات الصناعة اليدوية . وفي المانيا الشرقية ، اتخذت تدابير متوالية امم بموجبهـا ٧٧ بالمائة من الانتاج الصناعي .

وهكذا لم تكن الصناعات والمصارف مؤممة وحدها في اواخر السنة ١٩٤٨ ، بـل التجارة

ايضاً ، اذ ان التجارة بالمجمل كانت مرتبطة بمخازن الدولة او التعاونيات التي تشرف عليهـــا الدولة وتراقبها . ففي بولونيا لم يبق سوى ٥ر٢ بالمائة من التجارة في ايدي المؤسسات الخاصة ، وكانت التجارة بالمفرق نفسها آخذة في التقهقر بسرعة . وقد ادرت كل هـذه المؤسسات وفاقاً لمبدأ الاستقلال الاداري المعمول به عند السوفيات .

الشروع في التخطيط

ان الاصلاحات الزراعية والتأميمات ، بقلبها نظـــام الاقتصاد رأساً على عقب ، شقت الطريق امام تخطيط من شأنه اتاحة توجيه كل النشاط توجيهاً عاماً وفاقاً للمثل الذي اعطاه الاتحاد السوفياتي منذ السنة ١٩٢٩ . الا ان الخطط الاولى اختلفت عنها في الاتحاد السوفياتي لان العملات لما تعرف الاستقرار ؛ فلم يكن المقصود بعد تحويل النظم الاقتصادية والاجتماعية تحويلاً كلياً ، بل في الدرجـــة الاولى الانتاج بسرعة واعادة البناء وبلوغ مستوى ما قبل الحرب في اقرب وقت ممكن ، دونما اهتمام بالدخول . وكانت هذه الخطط برامج انتاج وتوظيف اموال ، لا خططاً اقتصادية حقيقية . زد على ذلك من جهة ثانية ان كل بلاد تصرفت بمعزل عن غيرها قبل « منعطف » السنة ١٩٤٨ ، وهذا ما يعرف بعهد الخطط القصيرة الاجـــل : سنتان في تشيكوسلوفاكيا وبلغاريا ، ثلاث سنوات في بولونيا وهنغاريا . وهي يوغوسلافيا وحدها ما وضعت في السنة ١٩٤٧ خطة لمـدة خمس سنوات . وحتى السنة ١٩٤٨ في المانيا الشرقية ، والسنة ١٩٥٠ في رومانيا ، لم توضع في هذين البلدين سوى خطط سنوية او نصف سنوية ذات طابع تقني بحت . ووظفت كافة البلدان اموالها في الصناعة واعادة بناء المساكن بنسبة اعلى منها في الزراعة الى حد بعيد : ٣٦ و ٣٥ ٪ مقابل ٧ ٪ في تشيكوسلوفاكيا ، ٣٩ و ١٨ ٪ مقابل ١٣ ٪ في بولونيا ، ٣٢ و ٢٢ ٪ مقابل ٩ ٪ في هنغاريا ، ٤٥ و ٢٨ ٪ مقابل ٦ ٪ في بلغاريا . ووظف القليل الباقي في وسائل النقـــل . فكانت التضحية المطلوبة من السكان عظيمة جداً ، وكان معدل الاموال الموظفة اعلى منه في اوروبا بشكل ملموس . وقد قدر في بولونيا بـ ٢٠ بالمائة من الدخل القومي غير الصافي ، وبـ ١٦ بالمائة في تشيكوسلوفاكيا ، و ٩ بالمائة في هنغاريا ، و ٧ بالمائة من الدخـــل القومي الصافي في بلغاريا . وتقدم انتاج مواد التجهيز على انتاج مواد الاستهلاك ، وكلما كانت البلاد اكثر تخلفاً كان الفارق كبيراً بين الانتاجين .

من الطبيعي ان نجاح هذه الخطط لم يكن متساوياً . فان الخطة الهنغارية الثلاثية قد تحققت كلياً ، وتحققت الخطة البولونية بنسبة ٨٥ بالمائة ، والخطة البلغارية كلياً في المنتجات الصناعية ، وبنسبة ٧٠ بالمائة فقط في الزراعة ، والخطة التشيكوسلوفاكية بنسبة ادنى بقليل . اما الخطة اليوغوسلافية التي كانت اكثر طموحاً ، فربما لم تبلغ ٥٠ بالمائة من اهدافها وقد انتهت ابحاث جان ماركزفسكي الى الاستنتاج ان الاستهلاك الخاص الاجمالي في هنغاريا في السنة ١٩٤٩ ، الذي كان ادنى منه بعض الشيء في السنة ١٩٣٨ ، قد كان مع ذلك اعلى بنسبة ٥٠ بالمائة منـــه في السنة ١٩٤٦ — ١٩٤٧ ، وانه جـــاوز في بولونيا استهلاك السنة ١٩٣٨ ، وزاد عنه بصورة

ملموسة في تشيكوسلوفاكيا وبلغاريا . وكلها نتائج جديرة بالملاحظة اذا ما فكرنا بان الاحداث السياسية قد حرمت هذه البلدان من القروض الاجنبية التي كانت معتمدة عليها ، وان الظروف الجوية كانت معاكسة في السنة ١٩٤٧ ، وان تأميم الزراعة قد استتبع تأخراً في الانتاج ، وان يوغوسلافيا اخضعت لحصار اقتصادي مكدر منذ السنة ١٩٤٨ .

توحد الديموقراطيات الشعبية

رأينا أعلاه ان التأميمات قد امتدت اكثر فاكثر خلال السنتين ١٩٤٦ — ١٩٤٧ ، بموازاة تبدل انظمة الحكم وتعاظم نفوذ الاحزاب الشيوعية الوطنية : وذلك نتيجة للمنطق الضمني للثورات الاجتماعية التي لا يمكن ان تنجح بدون دكتاتورية ، ونتيجة كذلك لتأزم العلائق الدولية الذي تجلى في الحرب الباردة ، وبصورة خاصة لرفض الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية لمشروع مارشال .

كانت الولايات المتحدة الدولة الوحيدة المنصرفة في اعتمادات مالية وفيرة ، فعرضت تقديمها للدول الاوروبية شريطة وضع برنامج اقتصادي عام تراقبه لجنة ادارية يسند اليها امر توزيع الاعتمادات . الا ان الاتحاد السوفياتي اعتبر هذا المشروع محاولة تهدف الى عزله واستمالة الدول الفقيرة الآخذة في النهوض في اوروبا الوسطى الى المعسكر الاميركي بغية فرض رقابة اقتصادية عليها تحول دون استمرار الثورة القائمة . فرفضت يوغوسلافيا وبلغاريا العرض الاميركي . ثم حذت حذوهما الديموقراطيات الشعبية الاخرى في شهر تموز من السنة ١٩٤٧ حين اتضح عداء الاتحاد السوفياتي للمشروع .

ولكن تكوين كتلة اقتصادية غربية من المنضمين الى مشروع مارشال قد هدّد بعزل الديموقراطيات الشعبية التي تستلزم اعادة بنائها وتصنيعها واردات كبرى وتعجز هي عن تأمين الاموال اللازمة لها الا بصادراتها والقروض الاجنبية . ففي سبيل دفع هذا الخطر قوبل مشروع مارشال بمشروع مولوتوف ؛ ووقع الاتحاد السوفياتي مع هذه البلدان المختلفة اتفاقات تجارية طويلة الاجل استكملت بمعاهدات تجارة وملاحة ، ومنح قروض ، وتقديم خرائط ومشاريع واجهزة ، وارسال فنيين . وكما تأسس الكومنفورم بغية تنسيق النشاط السياسي بين الديموقراطيات الشعبية والاتحاد السوفياتي ، تنظم في كانون الثاني ١٩٤٩ مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة ، الـ « كوميكون » الذي اسند اليه امر تنسيق سياساتها الاقتصادية ؛ وفي السنة ١٩٥٠ انضمت اليه الجمهورية الديموقراطية الالمانية بينما بقيت يوغوسلافيا على حدة ، بعد ان ابتعدت عنها الديموقراطيات الشعبية الاخرى في حزيران ١٩٤٨ . فسوف تتيح هذه الاتفاقات والكوميكون وضع خطط طويلة الاجل في كل بلاد وتناسقاً بين الاقتصادات وتعاوناً اكمل فيما بينها وتوحداً يجعلها اوثق تضامناً بعضها بالبعض الآخر . الا ان ما تنبأ به مولوتوف حين عرض مشروع مارشال ، اي انقسام شطري اوروبا ، قد اصبح اكثر عمقاً من اي وقت

مضى . فقد نشبت حرب اقتصادية ادت الى ايقاف المبادلات ايقافاً يكاد يكون كلياً بين بلدان الشرق وبلدان الغرب . وتمتع رئيس الولايات المتحدة بحق مطلق في رقابة الصادرات لاسباب تتعلق بالامن ، وكان باستطاعة ادارة مشروع مارشال حظر تصدير بعض المواد الاوليـــة الى البلدان الغربية حين يمكن تحويلها الى بعض الادوات التي قد ترسل الى احدى الدول الشرقية . وفي شهر كانون الاول ١٩٥١ نشرت لائحة بعدة مئات من المواد الاولية والمنتجات الستراتيجية المحظر تصديرها الى البلدان الشرقية . ومن الطبيعي ان الاقراض قد حظر على المصرف الدولي لاعادة البناء والتنميـــة ومصرف الاستيراد والتصدير . وبالمقابلة تعززت العلائق التجـــارية بين الديموقراطيات الشعبية ، واصبح نصيب الاتحاد السوفيـــاتي ، الذي شكـّل « سوقـــاً واسعة تكاد تكون مسعورة » ، عظيماً جداً ، شبيهاً بنصيب المانيـــا في اوروبا الشرقية قبل السنـــة ١٩٤٠ .

الخطط الطويلة الأجل وتوطيد الكتلة الشيوعيـــة

لقد استحال ، والحالة هذه ، وضع خطط طويلة الاجل . ولمـــا كان قـــد تحقق انهاض بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ، بوشر فيهما تنفيذ بعض الخطط منذ السنة ١٩٤٩ ، ثم في بولونيـــا وهنغاريا ورومانيا في السنة ١٩٥٠ ، وفي المانيا الشرقية في السنة ١٩٥١ . وكانت هذه الخطط خمسية في كل مكان باستثناء بولونيا حيث كانت ستّية . وقد وضعت خلال السنوات ١٩٤٩ — ١٩٥١ التي ازدادت خلالها حدة الحرب الباردة . فاعدت في كل بلاد على ضوء اختبار التخطيط السوفياتي ، واعاد النظر فيها خبراء روس ساعدوا على تنسيقها . وعين هؤلاء للزراعة معـــدل زيادة سنوية يفوق اعلى المعدلات المعروفة من ذي قبل : ٨ بالمائة في بولونيا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا ، و ١١ بالمائة في بلغاريا. وكذلك في الصناعة حيث عين لبولونيا ورومانيا وبلغاريا معدل ١٧ بالمائة ، ولتشيكوسلوفاكيا ١٤,٦ بالمائة ، ولهنغاريا ٢٦ بالمائة . وقد شكلت الاعتمادات المخصصة لهـذه الغاية ، والتي بلغت ٢٣ بالمائة من الدخل القومي غير الصافي ، عبئاً ثقيلاً جداً ، اذ ان دولاً قليلة ، كالنروبج والسويد ، قد حققت معدلات اكثر ارتفاعاً. وهي الصناعات الاستخراجية والفولاذية والميكانيكية مـــا احتلت المركز الاول وابتلعت معظم الاعتمادات ، وتأتي بعدهـــا الصناعات الكيميائية . وتأتي الصناعة الخفيفة والزراعة بعيداً وراء الصناعة الثقيلة .

الا ان دولة واحدة من هذه الدول ما كانت لتستطيع — على غرار الاتحـــاد السوفياتي أو الولايات المتحدة — ان تكتفي نفسها بنفسها . ولذلك فقد استتبع التوفيق بين الخطط توسعاً عظيماً في المقايضات بينها وبين الاتحاد السوفياتي ؛ وهكذا توطدت كتـــلة الديموقراطيات الشعبية . فمنذ قبل السنة ١٩٤٨ ، كانت تجارة الاتحاد السوفياتي الخارجية مع رومانيا وبلغاريا واسعة جداً . ثم جاءت المعاهدات الموقعة في السنة ١٩٤٨ تزيد من نصيبه ؛ ولكن خـير مثل تقدمه لنـــا تشيكوسلوفاكيا التي كانت تصدر سلعها في النصف الاول من السنة ١٩٤٧ الى سويسرا والسويد وهولندا في الدرجة الاولى ، ولا يحتل الاتحاد السوفياتي سوى المرتبة الرابعة

بين زبائنها ، بينما كانت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وسويسرا مائراتهـــا الرئيسيات . ومنذ توقيع معاهدة التجارة في شهر كانون الاول ١٩٤٧ ، جهزها الاتحاد السوفياتي بالحبوب والخامات والقروض التي اتاحت لتشيكوسلوفاكيا شراء خامات اضافية : استورد منها الآلات والمـواد الكيميائية والالبسة والسكر . فارتفع نصيب الاتحـاد السوفياتي من التجـــارة التشيكوسلوفاكية بنسبة ١١ — ١٦ بالمائة . وحدث الشيء نفسه في بولونيا التي منحها الاتحـاد السوفياتي قرضاً بقيمة ٤٥٠ مليون دولار اتاح لها شراء تجهيزات الصناعات الفولاذية والنسيجية والكيميائية. فارتفعت المبادلات من ثم ارتفاعاً عظيماً : ارتفعت من ١٧ بالمائة في السنة ١٩٤٨ مع بولونيا الى ٣٣٫٢ بالمائة في السنة ١٩٥١ ، و ٦٧٫٥ بالمائة في السنة ١٩٥٢ . ومن ١٥ بالمائة مع تشيكوسلوفاكيا في السنة ١٩٤٨ الى ٣٢ بالمائة و ٧٢ بالمائة . ومن ١٨ بالمائة مع هنغاريا الى ٣٨ و ٧٢ بالمائة . ومن ٢٢ بالمائة مع بلغاريا الى ٣٤ و ٨٩ بالمائة . ومن ٣٣ بالمائة مع رومانيا الى ٨٢ بالمائة في السنة ١٩٥٢ . ومن ٤٠ بالمائة في السنة ١٩٤٩ مع المانيا الشرقية الى ٨٦ بالمائة في السنة ١٩٥٢ . والحال ، زادت تجارة كافة هذه البلدان زيادة كبرى ، ربمـا باستثناء تجـارة رومانيا : مرتين بين ١٩٣٨ و ١٩٥٢ في بولونيا ، ومرة ونصف المرة في تشيكوسلوفاكيا . وبالمقابلة تدنت نسبة المبادلات التجارية بالدول الغربية تدنياً سريعاً بعد السنة ١٩٤٨ ، ولن تعود الى الارتفاع الا في السنة ١٩٥٤ .

يتضح من ثم ان حصار المواد الستراتيجية الذي ضربته الولايات المتحدة ، والحاجة الى المال للمبادلة ، لم يحولا دون تصنيع هذه البلدان ، ولكنهما ارغماها على ان تنتج بسعر مرتفع جداً مواد التجهيز التي كان من الطبيعي ان تستوردها في الظروف الطبيعية ، وذلك على حساب مستوى معيشة السكان .

المجتمع الجديد

كانت نتيجة الاصلاحات الزراعية والتأميمات القضاء على قوة الطبقات الحاكمة السابقة اقتصادياً وسياسياً : الاشراف الريفيين ، كبـــار الملاكين ، الصناعيين ، التجار الماليين . وأدت الخطط الخمسية الى تبديلات أخرى في نظام المجتمع القديم .

الفلاحون

في كافة هذه البلدان تدنى معدل السكان الريفيين بالنسبة للسكان العاملين من الذكور . وقد هبط هذا التدني في بولونيا من ٥٣ بالمائة في السنة ١٩٣١ الى ٤٩ بالمائة في السنة ١٩٥٣ ، وفي تشيكوسلوفاكيا من ٣٣٫١ بالمائة في السنة ١٩٤٠ الى ٢٨ بالمائة في السنة ١٩٥٣ ، وفي هنغاريا من ٥١ بالمائة الى ٤٤ بالمائة ، وفي يوغوسلافيا من ٧٦ بالمائة الى ٦٦ بالمائة وفي رومانيا من ٧٨ بالمائة الى ٧٢ بالمائة (في السنة ١٩٥٠) . ولكن حياة الارياف بصورة خاصة قـــد انقلبت رأساً على عقب بزوال الاملاك الاقطاعية الكبرى وبقسمة الاراضي بين صغار الفلاحين الذين لا يملكون ارضاً ، وفاقاً للمبدأ القائل ان « الارض ملك يمين من يحرثها » . وقد أدت هذه الاصلاحات الى توزع الارض املاكاً

صغيرة جداً (اقل من ٥ هكتارات) ، عادمة الدخول اقتصادياً وتقنياً ، استحال معها تجديد الزراعة على مستوى الفرد وتحسين الانتاج . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان الفلاح قد بقي فقيراً جداً ، فعجز مرة اخرى عن تعاطي زراعة مجدية وكان معرضاً لان يخضع لفلاحين ميسورين عليه ان يستعير منهم الماشية وادوات العمل . فاذا اراد المسؤولون تجنب زوال هذه الاملاك الصغيرة بسرعة ، كما حدث ذلك بعد اصلاحات العشرينيات ، وتحسين حال الفلاحين، وجب عليهم وضع المعدات تحت تصرفهم ، وتنظيم عملهم وتعليمهم طرائق فعالة . فمنحت قروض مختلفة الاجل من اجل بناء وتحسين أبنية الاستثمار او تأمين سير العمل الزراعي ، ووزعت مزارع الدولة البذار المنتقى ، واحدثت محطات آلات وجرارات ، وادخلت زراعات جديدة ، ولا سيما بعض الزراعات الصناعية . وتأسست بصورة خاصة تعاونيات مختلفة الانواع، ابتداء من الشكل البدائي ، حيث تنظم الحراثة والزراعة وحدهما بالاشتراك ، حتى المزرعة التعاونية حيث تجري قسمة المحاصيل بحسب كمية عمل كل شخص . ولكن ملكية الارض تبقى خاصة في كافة الحالات ، وغالباً ما يحافظ على نظام المساحة القديم . الا ان هذه التعاونيات ، التي تستفيد من القروض ، وهبات الحيوانات والمعدات ، والمستشارين الزراعيين الملحقين بمجموعة من القرى ، قد باشرت نشاطها على نطاق ضيق ، اي في مساحة محصورة وبعدد محدود من الاعضاء . ثم تقدم الاستثمار الجماعي واتسعت المساحات المستثمرة بفضل تأسيس محطات الآلات والجرارات ، وتعميم الطرائق التقدمية بواسطة مزارع الدولة . ففي تشيكوسلوفاكيا مثلاً انشئت في السنة ١٩٥٠ اربعة انواع من التعاونيات التي طبق فيها استثمار جماعي متزايد : استخدام اليد العاملة والآلات والحيوانات بالاشتراك للاعمال الموسمية الهامة ، ثم زراعة الارض بالاشتراك وقسمة المحاصيل بنسبة الاراضي المزروعة ، وفي مرحلة ثالثة تربية الماشية بالاشتراك وقسمة المحاصيل بنسبة كمية ونوعية العمل المؤدي . وفي مرحلة اخيرة مكافأة العمل وحده .

اصطدمت حركة تأميم الزراعة بتمسك الفلاحين بتقاليدهم الفردية ، وفي معظم الاحيان بجهلهم وعدم خبرتهم في ادارة التعاونيات ، بحيث كان تقدمها بطيئاً نسبياً واضطرت الحكومات في السنة ١٩٥٣ الى كبح الاندفاع ، الطائش احياناً ، الذي كان يدفع الى ابتكارات سابقة لأوانها ، بتشديدها على الطابع الطوعي الذي يجب ان يكون شاملاً . ففي السنة ١٩٥٥ شمل قطاع الاستثمار المشترك (املاك الدولة والتعاونيات) ٣٠ بالمئة من المساحات الزراعية ، وفي بولونيا لم تضم التعاونيات سوى ٢٠٠ ٠٠٠ عضو يستثمرون ١ ٨٠٠ ٠٠٠ هكتار ، اي ١٠٫٦ بالمائة تقريباً من المساحة الزراعية ، فلم يشمل قطاع الاستثمار المشترك من ثم ، مع مزارع الدولة ، سوى ٢٠ بالمائة فقط من هذه المساحة ؛ وفي تشيكوسلوفاكيا ، كان الاستثمار المشترك اكثر تقدماً وضم اكثر من ٧٠٠٠ تعاونية ، فشمل زهاء ٣٠ بالمائة من الاراضي الزراعية . وفي بلغاريا شمل التأميم ٦١ بالمائة من الاستثمارات و٦٠ بالمائة من الاراضي الزراعية ؛ وكان في

رومانيا ، في التاريخ نفسه ، ٢٠٠٠ تعاونية تضم ١٨٠ ٠٠٠ عائلة وتشمل ٩٫٤ بالمائة فقط من الاراضي الزراعية . وفي المانيا الشرقية ، حيث بوشر تنفيذ التأميم في النصف الثاني من السنة ١٩٥٢ ، ادارت ٥٠٠٠ تعاونية ٣٠ بالمائة من مجموع الاراضي الزراعية .

قلبت هذه التغييرات حياة الفلاحين بالذات ، الذين لم يأتوا من قبل عملا كافياً ، واقاموا في مزارع لم تكفهم لتأمين معيشتهم ، فكانوا مرغمين على البحث عن موارد اضافية في اعمال غير ثابتة وزهيدة الاجور . ولنتذكر هنا التشريع الهنغاري واليوغوسلافي الذي عمل به حتى السنة ١٩٤٥ ومنع استخدام الآلة الحاصدة والرابطة « بغية توفير العمل للحصادين » . او لم يقدر بعضهم ان « ١٨ بالمائة من الفلاحين البلغاريين ، و٢٠ بالمائة من الفلاحين الرومانيين ، و٢٤ بالمائة من الفلاحين البولونيين ، و٢٨ بالمائة من الفلاحين البلغاريين ، و٣٥ بالمائة من الفلاحين اليوغوسلافيين ، و٥٠ بالمائة من الفلاحين السلوفاكيين ، وحتى ٨٦ بالمائة من الفلاحين الروتينيين ، لم يجدوا لهم عملا في قراهم ؟ لقد شاهد الناس فجأة معدات عصرية حين انشئت محطات الآلات . فأوحت لهم هذه المشاهدة عالماً جديداً تعبر عنه هذه الملاحظة التي ابداها لـ « رنيه ديمون » فلاح سلوفاكي استخدم آلة حاصدة للمرة الاولى : « لو اشتريتها قبل عشر سنوات لطال عمري عشر سنوات ، ولشعرت باني في مقتبل العمر ، ولكنت تمكنت من الشرب حين اكون ظمئاً ... هؤلاء الشبان سوف يستخدمون هذه الآلات بينما عملت ابداً بساعدي : ليس ذلك عدلاً » . الا ان هذه الآلات التي وفرت المشقة على الناس قد اثارت بمزيد من الالحاح مسألة اكتظاظ الارياف بالسكان التي لم يكن لها من حل سوى التصنيع . فنقلت منذئذ جماهير ريفية كبيرة الى القطاع الصناعي ، مما استنزف احتياطي اليد العاملة الزراعية في بعض الاماكن. ولكن الفلاحين ، في مرحلة الانتقال هذه ، كانوا « الضحايا المؤقتة لهذا التوزيع الاجتماعي الجديد » : فقد توجب بناء المصانع دون التمكن في الوقت نفسه من بناء المساكن اللازمة ، ولم ينقل كذلك الى الصناعة عدد اكثر فاكثر اهمية من الفلاحين الا بصورة تدريجية . وفي هذه الاثناء ، بقي انتاج الحبوب متدنياً بسبب افتقار الاستثمارات الى التجهيزات وتقسيمها الى اجزاء صغرى ، مما حال دون سرعة ادخال الزراعات الصناعية الجديدة وتنمية تربية المواشي . فتأخر من ثم تحسين مستوى المعيشة وتزايد التفاوت بين الصناعة الآخذة في الاتساع وبين الركود الزراعي . وهكذا فقد زال العمال الزراعيون ... وتمثل اجراء الدولة بعمال المصانع بوضعهم الاجتماعي . فليس في الارياف بعد اليوم سوى ملاكين ينضم صغارهم الى التعاونيات .

العمال

كانت نتيجة تحول هذه البلدان الزراعية الى بلدان صناعية ارتفاعاً كبيراً في عدد العمال . فباتت الطبقة المحتقرة والمريبة في نظام الحكم السابق قوّة كبرى وطبقة موجهة في نظام الحكم الجديد . وقد بلغت زيادة عددهم نسبة عالية : ففي هنغاريا تضاعف عددهم بين السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٥١ ، وجاوز المليون . وفي بولونيا ارتفع عددهم من ٩١٣ ٠٠٠ في السنة ١٩٣٨ الى ٤ ٢٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٥٢ . وفي رومانيا بلغ

١٨٠٠٠٠٠ مقابل ٥٠٠٠٠٠٠ في احسن احوال مـــا قبل الحرب ، وبالرغم من ذلك مست الحاجة بالحاح الى اليد العاملة في هذه البلدان التي كانت في مـــا مضى مكتظة بالسكان . وهم العمال الاختصاصيون من مست الحاجة اليهم بصورة خاصة لان الكثيرين منهم قد استخـدموا في المصالح الادارية او السياسية بسبب الثقة التي اوحوهـــا لنظام الحكم . فتوجب اتخاذ بعض التدابير في تشيكوسلوفاكيا وهنغاريا لتشجيع النسل وتوسيع التعليم التقني . واتخذت تدابير مماثلة لها في الاتحاد السوفياتي تهدف الى زيادة الانتاج: منافسة بين المصانع من اجل خير انتاج، لقب « عامل الاصطدام » او « بطل العمل » ، اعزاز العمال الستاكانوفيين الذين يسهمون بلنشاط في زيادة الانتاج وتبسيط العمل ، اوسمة ، مكافآت مالية ، التخصص في انتـاج القطع ، اجور مرتفعة جداً للساعات الاضافية ... تحديد الاجور بالاستناد الى الاهليـة ، اللجوء المتزايد الى اليد العاملة النسائية ، نظام مشدد للعمل بغية مقاومة عدم الثبات والتغيب .

من اجل هذه الجماهير الفقروية والعمالية ، البائسة والاميـة بنسبة مرتفعة احياناً (٢٣ بالمائة في رومانيا وبولونيا ، ٣٢ بالمائة في بلغاريا ، ٤٥ بالمائة في يوغوسلافيا ، ٦٥ بالمائة في البانيا) ، لحظت الخطط مجهودا كبيرا للتجهيز الصحي وبناء مؤسسات مدرسية كثيرة لكافـة الاعمار ، ودور كتب ، الخ ... فألغي كل « عدد مقفل » وزيد عدد التلامـــذة والطلاب زيادة كبرى ، واستقبلت مدارس المشاريع والمدارس التقنية وكليات العمل والعمال والفلاحين الذين تعـذر عليهم في صباهم تحصيل العلم اللازم لشغل وظائف قيادية .

الحل المعتمد للمسائل الوطنية

رأينا ان احدى نقاط الضعف في دول اوروبا الوسطى والشرقية قبل السنة ١٩٤٥ كانت انعدام التجانس العنصري والمنازعات القائمة بين الاقليات القومية والاكثرية المسيطرة . فنجم عن هـــذا الوضع قلق عميق في نفس كل شخص ، وحين تولت النازية الحـــكم في المانيا ، خلق هـــذا الوضع جو حرب اهلية قابله تصلب البلدان المهزومة السابقة .

اختلف وجه الدول التي اعيد النظر في حدودها بعد النصر الحليف اختلافاً كبيراً جداً عنه في السابق ، لا من حيث الشكل الجغرافي فحسب ، بل من حيـــث الشكل العنصري ايضاً ، بفعل انغلال او نقل الاقليات العنصرية . وحيث ما زالت هنـــاك عناصر مختلفة ، اعتمد التنظيم الاتحادي — كما في يوغوسلافيا الجديدة مثلاً — او منحت منطقة الاقليات بعض الاستقلال الذاتي الاداري : كما حدث لسلوفاكيا داخل الدولة التشيكوسلوفاكية . أما في الدول الاخرى فقـد حلت المسألة بسهولة اذ ان الاقليات الباقية في هذه الدول كانت ابعد من ان تمثل الكتل المتراصة الكثيرة العدد التي كانت موجودة فيها قبل الحرب. فلم يقف في تشيكوسلوفاكيا سوى بضعة مئات الالوف من الالمان والهنغاريين بين سكان البلاد البالغين ١٢ مليون نسمة. وفي بولونيا وهنغاريا لم تجاوز الاقليات العنصرية نسبة الـ ٥٪ . وكانت اقل الدول تجانساً رومانيا التي ليست رومانيـة الا بنسبة ٨٥٫٧٪ بسبب ضمها ٩٫٤٪ من الهنغاريين و ٢٫٢٪ من الالمان وأقليات عنصرية اخرى.

وكان الحل الذي اعتمد في هذه البلاد حكومة مركزية ووضع اللغات على قدم المساواة في الادارة والمدارس الوطنية حيث توجد الاقليات في البلاد. أما الادارات المحلية فقد تألفت من الهنغاريين في الاقاليم الهنغارية ومن ممثلين عن القوميتين في الاقاليم المختلطة . وللمرة الاولى في التاريخ قامت في « كلوج » جامعتان احداهما هنغارية والثانية رومانية .

التنظيم المدني الجديد

على غرار ما حدث في الاتحاد السوفياتي ، ادت الظروف الاقتصادية والاجتماعية الجديدة الى قيام تنظيم مدني جديد : زالت الطبقية وزال معها التمييز الاجتماعي ، « فامتصت المدينة ضواحيها » . زال الدخل العقاري ، فامكن تشييد المزيد من الابنية في المساحات المتوفرة ، وتشييد مجموعات كبرى تحيط بها مساحات واسعة خضراء . فأطلت بيوت كل مجموعة على ساحات كبرى اعدت فيها اقسام خضراء وحدائق للاطفال ؛ وتألفت وحدة الاقامة الرئيسية من مجموعات سكنية متقاربة توفر فيها كل ما هو ضروري لـ ١٠ ٠٠٠ او ١٥ ٠٠٠ شخص الذين يقيمون في دائرة شعاعها ٥٠٠ متر تقريباً : مدارس ، مخازن ، مستوصفات ، سينما ، منتديات ... وشيدت في الحي — مجموعة من وحدات الاقامة — ابنية عامة من الدرجة العليا : مؤسسات التعليم التقني والثانوي ، المستشفيات ، مراكز الادارات ... فعلى هذا الشكل شيدت المدن الجديدة ، كـ « نوفاهوتا » التي نشأت قرب كراكوفيا وبلغ عدد سكانها ٦٥ ٠٠٠ نسمة في السنة ١٩٥٤ ولم يلبثوا ان بلغوا ١٥٠ ٠٠٠ ؛ وعلى هذا الشكل اعيد بناء المدن القديمة كفرصوفيا وبودابست حيث شيدت ، الى جانب الاحياء القديمة التي رممت بحسب النمط التقليدي ، احياء جديدة تتميز بشوارعها العريضة وحدائقها الكبرى وساحاتها العامة .

عاربة المعارضة

ان عملية الاقصاء التدريجي التي تناولت معارضي تطور الحكم الجديد نحو الشيوعية قد انتهت في السنة ١٩٤٨ ؛ فبعد هذا التاريخ لم يبق من مكان لمعارضة شرعية قادرة على إعادة النظر في الاصلاحات الزراعية والتأميمات . ولم يبق للطبقات الموجهة القديمة من امل الا في النشاط السري والتدخل الاجنبي . فتوجه انصار نظام الحكم السابق بأنظارهم الى المؤسسة القائمة الوحيدة ، اعني بها الكنيسة الكاثوليكية ، « لا سيما وان الكاثوليكية غالباً ما ارتدت شكل اكليروسية على ارتباط وثيق بالارستوقراطية العقارية في هذه البلدان التي سيطر عليها اقتصاد زراعي ونظام متخلف » (م. دوفرجيه) . فان كبار رجال الاكليروس المنتسب بعضهم الى الطبقات الممتازة — والمتضامن معها — قد كانت اقوى سند لحكم الاميرال « هورتي » في هنغاريا وحكومة الكولونيلات في بولونيا والملوك الدكتاتوريين في يوغوسلافيا ورومانيا ؛ وكانوا حريصين على الاحتفاظ باملاكهم الواسعة واحتكارهم المدرسي .

ومنذ السنة ١٩٣٩ ، بصورة خاصة « ايدت الكنيسة انفصال سلوفاكيا وبوهيميا الذي حققه المطران « تيزو » بعد اجتماع مونيخ ، وأيد رئيس اساقفة « زغرب » ، المطران « ستيبيناك »

نظام الحكم الذي اقامه « انتي بافليك » في كرواتيا ؛ فان هذا النظام الاخير « قد مثل بأجلى صورة وطنية الاكليروس الكرواتي المتطرفة التي لم تسلم بقيام الدولة اليوغوسلافية » (فختو). وفي السنة ١٩٤٥ ، اعترض الكردينال « مندزنتي » على اعلان الجمهورية الهنغـــارية « المخالف للدستور الهنغاري الالفي » . وحين ادخلت الدساتير الجديـــدة ، المتبناة بعد السنة ١٩٤٥ ، الاصلاحات التي اقرتها دساتير الدول الغربية منذ زمن بعيد : فصل الكنيسة عن الدولة ، الحالة المدنية والزواج المدني ، اعلن الاحبار معارضة شديدة جديدة تميزت بمزيد من القوة عندمـــا طبق الاصلاح الزراعي على املاك الكنيسة . فاحتج الكردينال مندزنتي ورئيس اساقفة براغ ، « بيران » ، ورئيس اساقفة بولونيا الجديد ، « وسترنسكي » ، ورفض الفاتيكان كل تنـازل . وكما اوضح ذلك « فرنسوا فختو » .

« كسبت الكنيسة ،بموقفها هذا المعادي للشيوعية مزيداً من الشعبية ... فاصبحت الكنيسة محط شكاوي وآمال الملاكين الذين سلبت املاكهم والموظفين الذين عزلوا من وظائفهم ، وصغار البورجوازيين الذين سيطر عليهم الخوف، والفلاحين الذين شعروا بالخطر يهدد املاكهم ... وقد شجعت هذه الشعبية الفاتيكان وحملت الاساقفة على الوقوف موقفاً متزايد الحزم يوماً بعد يوم . »

الا ان بعض الكهنة انتظموا في جمعيات رغبت في الاتفـــاق مع الحكومات وعطفت على الاصلاحات الاقتصادية المحققة . فكان الوضع شبيهاً بذاك الذي تسبب في ايام الثورة الفرنسية بنزاع خطير بين الحكومة والكنيسة وبانشقاق في داخل الكنيسة نفسها . وفي السنة ١٩٤٨ ، كانت علمنة المدارس وتأميم ممتلكات الاكليروس (الذي اعطي مرتباً بالمقابـــلة) في هنغاريا وبولونيا بمثابة اعلان حرب . فاوقف الكردينال مندزنتي وحكم عليه بالسجن المؤبد في السنة ١٩٤٩ . ثم جاء دور رئيس اساقفة براغ في تشيكوسلوفاكيا الذي حرم جمعية الكهنة المتعاونين مع الحكومة . وفي السنة ١٩٥١ اوقف خليفة مندزنتي ايضاً مع عدد من الأساقفة والكهنة . وقطعت المفاوضات بين السلطات الكنسية والحكومات البولونية والهنغارية والتشيكوسلوفاكية وذلك ، كما يبدو ، تحت ضغط الكرسي الرسولي الذي تميز موقفه المعادي للشيوعية بمزيد من الحزم (اعلن الحرم في شهر تموز ١٩٤٩) . بيد ان هذه المفاوضات انتهت في السنـة ١٩٥٠ الى اتفاق مع بولونيا حيث استاء السكان، بالرغم من ايمانهم العميق ، من استمرار البابوية في رفض الاعتراف بالحدود الغربية الجديدة المعينة لبولونيا .

تحول السنة ١٩٥٣

اعطت سنوات تنفيذ الخطط الاولى النتائج المرتقبة . فان الاهـداف المحددة للصناعات الثقيلة قد تخطيت الى حدّ بعيد ، ومعـــدل زيادة الدخل القومي قد بقي مرتفعاً جداً : ٩٫٥ بالمائة في تشيكوسلوفاكيا ، ١٠٫٢ في المانيا الشرقية ، ١٢٫٢ في بلغاريا ، ١٢٫٦ في بولونيا ، ١١ في هنغاريا ، اي انه جاوز معدل الارتفاع الطبيعي في عدد السكان مجاوزة كبرى . فللمرة الاولى نجحت الحكومات الجديـدة في اوروبا الوسطى والشرقية ، حيث اخفقت حكومات النظام السابق ، في التغلب على عـدم التناسب بين ازدياد

السكان وازدياد الموارد . فان هذه الاخيرة ستزداد بعد اليوم اكثر من السكان .

ولكن تقدم الصناعة الثقيلة على انتاج المواد الاستهلاكية والزراعة قد افقـــد التوازن بين الانتاج الصنـاعي الذي تضاعف في خمس سنوات (١٩٤٨ – ١٩٥٣) وبين الانتاج الزراعي الذي لم يجاوز مستواه في السنة ١٩٤٠ الا بنسبة ١٠ – ٣٠ بالمائة . ويرد ذلـك الى ان الانتاج الزراعي قد تدنى بنسبة تجاوز الـ ١٠ بالمائة . وقد افضى نزوح الشبان الى المدينة ، وهم اكثر السكان انتاجية ، قبـــل ان يعاض منه بمعدات آلية كافية ، الى نقصان وسائل الانتاج في الارياف وزيادة طلب المنتجات الزراعية والمساكن في الاوساط المدنية والصناعيـة . فنجمت عن ذلك صعوبات في تموين المدن بالمواد الغذائية والمواد الاولية الزراعية المنشأ اثارت الاستياء وازّمت العلائق بين العمال والفلاحين .

يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان نقص انتاج المواد الاستهلاكية شجع السوق السوداء واخمد نشاط الفلاح الذي بات عاجزاً عن تأمين المنتجات التي يحتاج اليها . وتأمنت الأموال اخيراً في هذه البلدان المفتقرة الى رؤوس الأموال عن طريق الاقراض الذي جعلها تسير بخطى سريعـة نحو التضخم المالي . وعبثاً حاولت بعض الاصلاحات النقدية اصلاح الحال ، فان الاجور الحقيقية قد تدنت تدنياً محسوساً بصورة عامة بالنسبة لمستواها في السنة ١٩٥٠ . فكانت من ثم نتيجة الخطط المفرطة الطموح والمفتقرة الى الدرس ، والاموال غير الكافية الموظفة في الزراعـــة ، وسياسة الاسعار التي ضحت بالزراعة ، وتدني مستوى المعيشة ، قلقاً عُبّر عنه في ١٧ حزيران ١٩٥٣ ، في برلين الشرقية وبعض المدن الصناعية في الجمهورية الديموقراطية الالمانيـة ، بثورة عمال مستائين من الازمة الغذائية وقوانين العمل المتزايدة التي قيّدوا بها .

ومن جهة ثانية ، ارتدى التشديد المفروض على الاقتصاد اخطر طابع في البلدان الزراعية التي خضعت لتصليع قوي وسريع . وفي بولونيا كما في هنغاريا ، كان عبء الاموال الموظفـة (وقد خصص معظمها للصناعة الثقيلة) ثقيلاً جداً . فان بولونيا قد كرست لهـا ١٩٫٤ بالمائة من الدخل القومي في السنة ١٩٥٣ ، وهنغـــاريا ٢٤٫٥ بالمائة (مقابل ٨٫٨ بالمائة في الجمهورية الديموقراطية الالمانية) ، اي اكثر بما استطاع الاتحاد السوفياتي تكريسه لها في خطته الخمسية الاولى . وفي سبيل وضع حد لهذا القلق ، حدث حينذاك تبـدل في السياسة الاقتصادية ، وذلك بالعودة الى مبادىء السياسة الاقتصادية الجديدة ، اي الى اقتصاد انتقـــالي . فمنذئذ – ودون اهمـــال اولوية الصناعة الثقيلة – زيد نصيب المواد الاستهلاكية وانتجت بمزيد من السرعة . انه لاتجاه جديد تأيد بخطب مالنكوف وخروتشوف وميكويان في السنـة ١٩٥٣ والسنة ١٩٥٤ ، وتجلى في الديموقراطيات الشعبية بعدم زيادة الاعتمادات المخصصة للصناعة الثقيلة وزيادة الاعتمادات المخصصة لصناعة المواد الاستهلاكية والبناء والزراعة ، ورفع الاجور الحقيقية ، وتشجيع الزراعة : ازالة التمييز تدريجياً بين التعاونيات والاستثمارات الفردية ، رفـــع قيمة مكافآت الانتاج ، تخفيض الضرائب ، تخفيض التسليمات الالزامية .

ازمة تشرين الاول ١٩٥٦ في بولونيا وهنغاريا

ان هذه المقررات، التي رافقتها بعض التدابير السياسية، واصلاح القضاء والشرطة ، وتخفيف الانظمة الادارية ، وإعادة الاعتبار لضحايا الحكومات « الستالينية » ، واصلاح البيروقراطية ، وتخفيف وطأة التخطيط العقائدي في المجال الفكري ، قد اتاحت لمختلف البلدان الشيوعية تحسين وضعها الاقتصادي وتدشين عهد نظام حر شامل . ففي تشيكوسلوفاكيا وجمهورية المانيا الديموقراطية ، اللتين كانتا اكثر البلدان تطوراً ، كما في رومانيا وبلغاريا اللتين كانت اقلها تطوراً ، امكن حل مسائل التكيف بسهولة نسبية . اما بولونيا وهنغاريا فقد كانتا مسرح احداث مؤثرة . فهنا لم تفض التدابير المتخذة الى ازالة كل عدم توازن اقتصادي ، لا سيما وان التعديلات المتكررة المدخلة على الخطط قد زادت مظاهر فقدان التوازن بروزاً ؛ ولم تفض كذلك الى تخفيف حدة الاستياء الشعبي . ويرد هذا الاخير الى اسباب عديدة ؛ فهناك ، بالاضافة الى مستوى المعيشة المتدني جداً ، حذر الجماهير التي حيرتها ترددات قادة الحكم الجديد وانقسامهم الى « ستالينيين » و « مطالبين باعادة النظر » في السياسة السابقة ، والتي لم تتعود الانضباط وحياة المصنع، كما هي حال مئات الوف العمال الجدد المنتسبين اما الى طبقة صغار البورجوازيين وصغار التجار والصناعيين اليدويين ، واما الى طبقة الفلاحين . ويجب ان يؤخذ بعين الاعتبار كذلك هزال الاحزاب الشيوعية التي يفسر نموها العظيم باقبال الاعضاء الجدد (ارتفع عدد اعضاء الحزب الهنغاري من عدة آلاف الى ٩٠٠ ٠٠٠) الذين كان بعضهم « طلاب وظائف » ، او انتهازيين، او عناصر غير وطيدة العقيدة، وتضعضع المسؤولين امام بيروقراطية غير ذات جدوى وحكم مستضعف سائر في طريق الانحلال، واخيراً نفوذ الكنيسة الكاثوليكية وتأثير العداء التقليدي للروس الذين كان احتلالهم ثقيل الوطأة . فبدأ الانفجار الشعبي في بولونيا في شهر حزيران ١٩٥٦ بالاضرابات الدامية التي اعلنت في بوزنان ، والهجمات على الابنية العامة ، وبوادر العداء العنيف للجيوش السوفياتية والاتحاد السوفياتي ، ولكن زعيماً شيوعياً كبيراً ، هو « غومولكا » ، لم يلبث ان ألف منذ تشرين الاول حكومة وطنية بولونية ايدتها انتخابات ظافرة في كانون الثاني ١٩٥٧ ، ونجح في اقناع الاتحاد السوفياتي بسحب جيوشه وأعاد الهدوء الى البلاد .

اما الازمة الهنغارية فكانت اكثر خطورة الى حد بعيد : كانت حرب الشوارع عنيفة جداً ، واغتيل عدد كبير من المدافعين عن نظام الحكم ، وتألفت وزارة برئاسة « ناجي » حولتها التعديلات المدخلة عليها شيئاً فشيئاً الى حكومة بحسب صيغة السنة ١٩٤٥ . فحلت مقرراتها الاولى التعاونيات الزراعية واعادت المشاريع الخاصة في التجارة الصغرى والصناعة الصغرى ، واعلنت حياد البلاد ، وتركت انطباعاً بأن الحركة الشعبية والعمالية اخذت في الانهيار اكثر فأكثر امام العناصر المقصاة منذ السنة ١٩٤٧ وامام انصار الحكم السابق ؛ فجاء التدخل السوفياتي حينذاك يسحق الثورة .

في اعقاب هذه الاحداث الجسيمة ، تبنت البلدان تدابير تكاد تكون متماثلة : التخلي عن

تأميم الزراعـــة ، وفي هنغاريا ، الحرية في شراء الاراضي (٢٫٥ هكتار) مباشرة ، تخصيص الفلاحين بمزيد من الآلات ومواد البناء ، الغاء النظام القاضي بتسليم الدولة جزءاً من منتجاتهم ، زيادة الطاقة الصناعية (يجعل المشاريع القائمة عصرية ، واستحداث مشاريع جديدة احياناً) . اما نظام ادارة الاعمال فقد عدّل باخضاع الاقتصاد للامركزية شبيهة ، الى حد ما ، بتلك التي تحققت في الوقت نفسه في الاتحـــاد السوفياتي : فأعطى مزيداً من الاستقلال للمشاريع الاشتراكية ، تاركاً لها حرية اختيار اساليب ووسائل تحقيق الاهداف الاساسية التي لم تحدد الخطة العامة سواها . والغيت في هنغاريا المجالس العمالية المقتبسة عن المجالس اليوغوسلافية ، بحجة ارتدائها طابعاً سياسياً في الدرجة الاولى ؛ اما في بولونيا فقد ابقي على هـــذه المجالس ، ولكن صلاحياتها قد قيّدت في شهر نيسان ١٩٥٨ بالتدبير الذي ضمها ، مع الممثلين النقابيين وخلية الحزب ، الى « مؤتمر الاستقلال العمالي » الذي يمارس نوعاً من الشراكة في ادارة الاعمال مع رؤساء المشروع . وفي البـــلدان الاخرى ، لم يتوقف تأميم الاراضي قط ؛ ففي السنة ١٩٥٩ بلغ ما تناوله ٩٥ ٪ من الاراضي الزراعية في بلغاريا ، و ٨٢ ٪ في تشيكوسلوفاكيا ، و ٧٥ ٪ في البانيا ، و ٦٤ ٪ في رومانيا ، و ٤٧ ٪ في الجمهورية الديموقراطية الالمانية . ثم عمل به ثانية في هنغاريا (حيث تناول ٣٠ ٪) ، وبصورة بطيئة جداً في بولونيا ، بواسطة الجمعيات الزراعية (الضامة ٦٠٠ ٠٠٠ فلاح ـ اي مزارع واحدمن اصل ٦ ـ في شهر كانون الاول ١٩٥٩) ، التي تتلقى المساعدات المالية وتتمتع بحق الاولوية في شراء المعدات الزراعية .

فبصورة عامة – اذا ما استثنينا بولونيا ، نرى ان كافة الديموقراطيات الشعبية ذهبت بعيداً في تأميم الاراضي وشرعت في جميع الاستثمارات الصغرى المتوسطة في وحدات زراعية كبرى وفرت لها تدريجياً كافة التجهيزات العصرية .

الوضع في السنة ١٩٦٦

بعد خضوعها عشرين سنة للنفوذ الشيوعي ، تطورت بلدان اوروبا الوسطى والشرقية من ثم تطوراً عميقاً . فهي مع محافظتها على وحدة المبادىء الماركسية سلكت « الطرق المختلفة نحو الاشتراكية » التي توافق حاجاتهـا الخاصة المميزة . فبلغ اقتصادها في كل مكان معدلات مرتفعة جداً : بلغ الانتـــاج الصناعي في تشيكوسلوفاكيا ثلاثة اضعافه بالنسبة الى انتاج ما قبل الحرب، وفي بولونيا بلغ في السنة ١٩٦٣ تسعة اضعافه بالنسبة الى انتاج السنة ١٩٣٨ واربعة اضعافه بالنسبة الى انتاج السنة ١٩٥٠ ؛ وفي الجمهورية الديموقراطية الالمانية تضاعف هذا الانتاج وبلغ معدل الزيادة ١١٫٧ بالمائة بـين السنة ١٩٥٠ والسنة ١٩٥٧ ، وحق ١٢٫٣ بالمائة في السنة ١٩٥٩ . فغدت بولونيا الدولة الصناعيـــة الخامسة في اوروبا منذ الاكتشاف الذي اتاح لها تحويل « ذهبهـا القاتم » ، اي الفحم الحجري غير المتكامل المتوفر لديها بكميات كبرى ، الى وقود لتنقية المعادن (١٩٥١) . وان هـــذه البلدان التي عرفت قبل السنة ١٩٣٩ بطالة أليمة ومهاجرة واسعـــة في صفوف العمال ، عانت آنذاك من حاجة حقيقية الى اليد العاملة ، باستثناء بولونيا حيث عمل معظم الفلاحين في املاكهم

الصغرى . أما الأمية فقد قهرت عملياً والكفاءة المهنية تحسنت . وعرفت رومانيـــا في السنة ١٩٦٤ اعلى نسبة في ارتفاع عدد السكان (٨ بالمائة) ، وتجاوز الدخل القومي ضعفه (٢٫٧ بالمائة) في السنة ١٩٣٨ . وعلى الرغم من ان نجاحات الزراعة — على غرارها في الاتحـــاد السوفياتي — قد بقيت دون نجاحات الصناعة بشكل ظاهر ، فان مستوى المعيشة قد تحسن تحسناً ملموساً في رومانيا ، وفي الجمهورية الديموقراطية الالمانية ، ولا سيما عند سكان الارياف ، وفي بولونيا حيث لم يعد استهلاك المواد الغذائية دون اعلى المستويات في اوروبا الا بنسبة ١٠ — ٢٠ بالمائة. ووفرت السياسة الاقتصادية والاجتماعية التي انتهجتها الجمهوريات الشعبية لكل مواطن ولوج ابواب العلم والارتقاء الاجتماعي وآفاق تقدم عظيم . فأسهمت من ثم في « ازالة معظم الفوارق الاجتماعيـة القديمة والعميقة ، ولكن الاولوية المعطاة للانتاج الصناعي وضآلة انتاجية العمل قد أخرتا تحقق تقدم يفي بالحاجات » .

الا ان خموداً في التقدم ، شبيهاً به في الاتحاد السوفياتي ، قد برز منـــذ السنة ١٩٦٣ . ومرد ذلك الى ان سير التخطيط والتوزيع لم يعد هنا ليوافق متطلبات الاقتصادات المعقـــدة التي اخذت تواجه مسائل الاعتماد والانتاج المنوّع . وهـــذا ما يفسر اصلاحات ادارة الاعمال والتخطيط ، وليونة الرقابة الحكومية ، والاعتراف للمشاريع بتحقيق الارباح ومطابقـــة برنامجها على طلب الزبائن .

الكوميكون

ومن جهة ثانية ، تم تصنيع الديموقراطيات الشعبية ، منذ السنة ١٩٤٥ ، بصورة فوضوية في اطار كل دولة ، على الطريقة السوفياتيـــة ، اي باعطاء الاولوية للصناعة الثقيلة . ففي كل بلاد وجدت من ثم مصانع يفوق انتاجها حاجـــات البلاد وطاقاتها الحقيقية وتنتج دون اي اعتبار للدخول التي يجب ان توفرها . وهو لعمري وضع محال وخطر في ظل نظام الحصار الذي فرضته الولايات المتحدة على المواد الستراتيجيـة اثناء الحرب الكورية والذي بقي معمولاً به جزئياً .

وحين تأسس في السنة ١٩٤٩ ، رداً شرقياً على مشروع مارشال ، مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة (كوميكون) ، لم يلعب لمدة طويلة سوى دور محـــدود في درس مشاريع التنسيق وخطط مطابقة الانتاج ؛ فهو الاتحاد السوفياتي ما منح القروض ، وسهـل بين الديموقراطيات الشعبية المبادلات التي تمت بشكل اتفاقات ثنائية على مقايضات يحدّد اجلها بسنة واحدة . الا ان ازمة السنة ١٩٥٦ في بولونيا وهنغاريا ، وتوقيع معاهدة روما في شهر آذار ١٩٥٧ ، الذي جعل من المجلس الاقتصادي الاوروبي حقيقة راهنة ، ابرزا الحاجـــة الملحة الى اعتماد تدابير حسية . فتقرر منذ السنة ١٩٥٨ مد انابيب لنقـــل البترول بين الاتحاد السوفياتي وبولونيـــا وتشيكوسلوفاكيا والجمهورية الديموقراطية الالمانية ، وتنسيق وتوحيد انتاج بعض المصنوعـات الكيميائية والصفائح المعدنية والأنابيب ؛ وفي السنة ١٩٥٩ تم الاتفاق نفسه حول تجارة القطن والفواكه والبقول ؛ وفي السنة ١٩٦٠ ، تم الاتفاق بين بولونيا والجمهورية الديموقراطية الالمانية

من اجل زيادة انتاج الفحم الحجري البولوني ، وبين تشيكوسلوفاكيا ورومانيا من اجل بنـــاء معمل لانتاج الطاقة الكهربائية يغذيه الغاز الطبيعي الروماني ، وتوحيد بعض شبكات توزيع الطاقة وجعل مركز تنظيم التوزيع في براغ ، الخ . وفي السنـــة ١٩٦٢ قطع مؤتمر موسكو المرحلة الحاسمة بتقريره تنسيق الخطط الطويلة الاجل والتوفيق بين السياسات الوطنية على اساس « التقسيم الاشتراكي الدولي للعمل » . فاستلزم التنظيم لجاناً دائمة ، ودائرة تخطيط، وامانة سر، ولجنة تنفيذية يكون كل عضو فيها متحكماً بالقرار المطلوب اتخاذه ، لأنه يتمتع بحق النقض . وجلي ان تحقيق مثل هذه الوحدة قد اثار صعوبات جمـــة : صعوبات تنسيق شتى السياسات الزراعية والخطط المختلفة الآجال والافتقار الى النقد القابل التحويل ، الـخ . وشعرت بعض الدول بصعوبة الخروج من قومية ضيقة (بولونيا ، ولا سيما رومانيا) ، فرفضت التضحيـــة ببعض الصناعات التي اوجب التخصيص التضحية بهـــا ، وأسفت على هذا الارتباط الالزامي بالدول الاشتراكية الاخرى ، وطالبت بحرية كاملة في الاتجار مع الدول الغربية ، وتمنت ان تعمل الوحدة « لا ككل تنصهر فيه الاجزاء ، بل كمجموعة اقتصادات وطنية مستقلة » . وانما على الرغم من هذه الاختلافات ، سار التعاون في طريقه : ففي السنة ١٩٦٤ تأسس مصرف على مثال « الاتحاد الاوروبي للمدفوعات » اسندت اليه مهمة تمويل مجموعـات المشاريع الكبرى ؛ وبعد مرور اشهر معدودة ، أسست تشيكوسلوفاكيا وبولونيا وهنغاريا ، التي انضمت اليهـــا بلغاريا والجمهورية الديموقراطية الالمانية والاتحاد السوفياتي ، جهاز « المعادن المشتركة » الذي ارتدى طابع التخصص في انتاج الانابيب والمصنوعات الفولاذية الاخرى ، واستهـدف تنسيق الدروس والمبادلات وبرمجة الانتاج ، اللذين سيتيح تحقيقها تنسيق التجارة الخارجيـة وتأسيس مشاريع مشتركة . ويجب الاشارة كذلك الى سلسلة التدابير المتخذة منذ السنة ١٩٦٣ لتنسيق النقل في مختلف البلدان بغية تجنب انزال وتحميل البضائع (الداخلة الى الاتحـاد السوفياتي او الخارجة منه) ، وانشاء استثمار محطة دولية لشاحنات البضائع ، وإقرار مشروع ضخم لاستثمار الدانوب الاسفل ابتداء من الحدود النمساوية – التشيكية بواسطة ١١ محطة لتوليـــد الكهرباء تبلغ طاقتها ٢٧ ٠٠٠ ٠٠٠ كيلوات في الساعة ، تتيح بالاضافة الى إنتاج الكهرباء ري ٥٠ ٠٠٠ كيلومتر مربع وجعل معدل عمق النهر ٣٫٦٥ م .

عمل الكوميكون بعـــد المجلس الاقتصادي الاوروبي وقصد تحقيق اهـــداف تختلف كل الاختلاف عن اهدافه ، واستخدم اساليب ووسائل مختلفة . ولكنه استوحى الحرص نفسه على التوحيد والتنظيم . وحقق نتائج ذات قيمة في كافة الحقول ما عدا الحقل الزراعي . وباستطاعته اليوم الاسهام اسهاماً فعالاً في اعادة الوحدة الى الكتلة الشيوعية بعـد ان زعزعها النزاع الصيني السوفياتي .

الفصل الثالث

يوغوسلافيا

ان الظروف التي عاشت فيها يوغوسلافيا اثناء الحرب تفسر طابع تطورها الخاص في المرحلة التي عقبتها . فالبلاد حققت ثورتها ابان الصراع بالذات ؛ ولذلك كانت ثورتهـا امراً واقعاً حين توقفت الاعمال الحربية ـ في الوقت الذي بدأت فيه في بلدان اوروبا الوسطى والبلقانية الاخرى. وكان لدى تيتو جيش شعبي كثير العدد تعود الحرب وخضع لنظام سياسي مرن وقوي، وحظي بنفوذ وشعبية كبيرين حصل عليهما في المعركة من اجـــل تحرير البلاد الذي كان لليوغوسلافيين انفسهم اليد الطولى في تحقيقه . ولكن عداء حكومة المنفى في لندن ، والجنرال ميخالوفيتش ممثلها في البلاد ، الذي لم يتعاون مع الايطاليين والالمان فحسب ، بل اعلن الحرب على الانصـار ايضاً ، قد اعطى المعركة من اجل التحرير طابع صراع ثوري ضد ممثلي الطبقات الحاكمة القديمة والحكومة الملكية .

النظام السياسي الجديد

تكونت الدولة الجديدة اثنـــاء الحرب بالذات . فمنذ اواخر السنة ١٩٤٢ ، مثّل جيش تيتو أقوى قوة محاربة والقوة الفعالة الوحيدة في الصراع ضد الغازي ؛ وفي كل مكان ـ حتى في المناطق المحتلة ـ تألفت لجان شعبية للتحرير من ممثلين انتخبتهم الفئات الوطنية المحلية استلمت زمام السلطة فور انسحاب الالمـان . وفي تشرين الثاني ١٩٤٢، التأمت جمعية ثورية تضم الممثلين المنتخبين المنتسبين الى كافة المعتقدات والاديان والاحزاب والفئات المعادية للفاشستية ، عرفت بـ « المجلس المعادي للفاشستية لتحرير يوغوسلافيا الوطني »، الذي كان الجهـــاز الموجه للصراع ،دون ان يكون برلماناً او حكومة ؛ فاختارت المجلس الذي اسندت اليه السلطة التنفيذية ومهمة البت بالمسائل الاقتصادية والسياسية. الا ان الدولة لما تنظم تنظيماً جديداً ، بناء على اشارة صريحة من الاتحاد السوفياتي الذي خشي من ان يخلق اعتماد التدابير الثورية بعض المتاعب مع الحلفاء الغربيين . وفي السنة ١٩٤٣ قرر مجلس التحرير ، الذي اصبح « الممثل الاعلى للسيادة اليوغوسلافية » ، ان البـــلاد سوف تنظم تنظيماً اتحادياً يجمع بين الشعوب المتساوية في الحقوق في صربيا وكرواتيا وسلوفينيا وبوسنيا ـ

– هرزيغوفينا والجبل الاسود . واقر بالتصويت القوانين الدستورية الثورية الاولى التى انتزعت كل سلطة من الملك الموجود في المنفى واعدت قيام الجمهوريات الشعبيـــة الست التي سيؤلف اتحادها الدولة اليوغوسلافية . ولم يتخذ أي تدبير شامل بصدد القاعدة الاقتصادية المقبلة التي ستتمشى عليها البلاد . ولم تقرر مصادرة المصانع والاملاك ، حين قررت ، الا اذا كانت هذه المصانع والاملاك ملك الغازي او المتعاونين معه . الا ان المساحة القصوى للأملاك ، في الحقل الزراعي ، قد حددت بـ ٢٥ هكتاراً ، باعتبار ان حركة التحرير قد ارتكزت في جوهرها على طبقة صغار الفلاحين الفقراء. وفي كانون الثاني ١٩٤٦ ، أعلنت الجمهورية الاتحادية اليوغوسلافية بواسطة الجمعية التأسيسية التي فازت الجبهة الشعبية فيها بـ٠٠٠ ٧٢٥ ٦ صوت مقابل ٠٠٠ ٧٠٧ للمعارضة . وهكذا ازيلت الملكية الصربية المنشأ التي كانت منذ السنة ١٩١٩ العقبة الرئيسية في سبيل المساواة بين القوميات والتي ساندت على الدوام اقوى العناصر نزعة محافظة في المجتمع السابق . وقد اعطيت الدولة الجديدة دستوراً اتحادياً : ست جمهوريات شعبية ، وفي اطـــار جمهورية صربيا اقليمان مستقلان استقلالاً ذاتياً توجـــد فيهما اقليات قومية : فوجفودينا التي يستوطنها الهنغـاريون والسلوفينيون والرومانيون ، وكيروفو – ميتوهيجا التي يستوطنهـا الالبانيون . وكان لكل جمهورية جمعيتها ودستورها . واحتفظت الحكومة الاتحادية بالدفاع الوطني والسياسة الخارجية والمالية الاتحادية والخطط الاقتصادية العـــامة والعلائق التجارية والمواصلات . وتألفت « الجمعية الشعبية » ، كما هي الحال في كل نظام اتحادي ، من مجلسين هما « المجلس الشعبي » المنتخب على أساس ممثل لكل ٠٠٠ ٥٠ نسمة ، و « مجلس القوميات » الذي تنتخبه الجمهوريات والاقاليم والمناطق . وتنتخب الجمعية الشعبية مجلساً اعلى يمارس رئاسة جماعية ومجلساً تنفيذياً .

النهضة المادية

تركت الحرب البلاد مخربة تخريباً كاملاً ، وأفقدتها زهاء مليوني نسمة لاقوا حتفهم وزهـــاء ٠٠٠ ٦٠٠ من العناصر الغريبة ، ولا سيما من الالمان ؛ وقد هلك ١/١٠ السكان القرويين . وقـــدرت الاضرار بـ٠٠٠ ٥٠ ١ مليون دولار (١٩٣٨) تكاد تمثل زهاء اربعة اضعاف الدخل القومي في هذه السنة . وانتشرت المجاعة لا في المناطق الجبلية الجنوبيـــة الغربية التي لم تنتج قط مواد غذائية كافية لسد حاجاتها فحسب ، بل في اغنى مناطق سلوفينيا وصربيـا الشمالية ايضاً . فتوجب على منظمة اغـــاثة اللاجئين تغذية اكثر من ثلث السكان ، وقدمت لهذه الغاية اكثر من ٠٠٠ ٦٠٠ طن من المواد الغذائية .

كما حدث في الديموقراطيات الشعبية الاخرى ، تحقق اصلاح زراعي صادر في السنة ١٩٤٥ ، لقاء دفع تعويض ، تناول كافة الاملاك التي تزيد مساحتها عن ٣٥ هكتاراً من الاراضي الزراعية . فباتت الاملاك التي لا تبلغ مساحتها ٥ هكتارات تمثل ٧٥ ٪ من مساحة البلاد ، وتلـــك التي تتراوح مساحتها بين ٥ و ١٥ هكتاراً تمثل ٢٢ ٪ ، والاملاك التي تتجاوز ١٥ هكتاراً ٣ ٪ فقط . ومن جهة ثانية صدر في السنة ١٩٤٦ قانون سوف يعـــدل في السنة ١٩٤٨ أمت

بموجبه كافة فروع النشاط الصناعي ، والموارد المنجمية ، ومصادر الطاقة . وامتد كذلك التجارة الخارجية ، ثم ٨٨ ٪ من التجارة التفصيلية ، وامتد الـ ١٢ ٪ الباقية بدورها في السنة ١٩٤٨ . ولكن نهضة الصناعة تقدمت تقدماً بطيئاً جداً . ففي السنة ١٩٤٦ لم يبلغ الانتاج سوى ٥٠ ٪ من انتاج ما قبل الحرب .

وخلافاً لما حدث في الديموقراطيات الشعبية الاخرى التي لما تضع سوى خطط لسنتين او ثلاث سنوات ، بوشر في السنة ١٩٤٧ تنفيذ خطة خمسية (١٩٤٧ – ١٩٥١) . فقد نهضت يوغوسلافيا من ثم على الفور بخطة طويلة الاجل ممدة لانهاض المناطق المتخلفة : الجبل الاسود ، بوسنيا ، مقدونيا ، بغية الحد من التفاوت الاقتصادي بينها وبين الجمهوريات الاخرى. وكان المقصود تحقيق تنمية سريعة للطاقة الصناعية التي يجب ان تبلغ خمسة اضعافها بمعدل زيادة سنوية خيالية يجب ان يبلغ ٣٧ ٪ ، خصوصاً في انتاج المناجم وانتاج الطاقة الكهربائية والصناعة الثقيلة .

يجب ان تكون الاعتمادات الملحوظة مرتفعة جداً : في السنة ١٩٥١ بلغت ٢٧,١٥ ٪ من الدخل القومي السنوي . ويجب ان يتضاعف عدد العمال الصناعيين ويصبح ٧٥٠ ٠٠٠ . اما نجاح هذه الخطة التي استلزمت اموالاً طائلة بسبب كلفة تجهيز المناطق المتخلفة ، فكان رهين استيراد بعض المصنوعات الجاهزة وبعض الخامات : آلات وتجهيزات مختلفة للصناعة ، تجهيزات كهربائية ، فحم حجري ، بترول ، منسوجات ، مطاط ... واقتصرت الصادرات على المعادن والمنتجات الزراعية .

الا ان الخطة اليوغوسلافية كانت اقل الخطط نجاحاً في الديموقراطيات الشعبية . فان معدل الزيادة المقرر لم يتحقق في يوم من الايام : في الحقل الزراعي انتهت الخطة الى فشل ذريع ، وفي الصناعة لم تبلغ سوى ٥٠ ٪ من اهدافها فقط .

اما اسباب هذا الفشل فعديدة : الحاجة الى اصحاب الكفاءات لادارة كافة المشاريع المؤممة ، الحاجة الى اليد العاملة الاختصاصية في الصناعة ، بطء انتشار التعاونيات : ١٣٠٠ في السنة ١٩٤٨ تعمل في ٣٫٨ ٪ فقط من المساحة الزراعية ، استياء الفلاحين العاجزين عن الحصول على المصنوعات التي يحتاجون اليها . ويجب القول بصورة خاصة ان المصانع الكبرى ، ومحطات انتاج الطاقة الكهربائية التي انجزت ، وطرق المواصلات التي حسنت شبكتها ، لم تستخدم استخداماً يتناسب وطاقتها الانتاجية ، لان الخامات الضرورية لاستخدامها قد انتجت او استوردت بكميات ضئيلة بسبب قلة التصدير .

عزلة يوغوسلافيا

وهكذا كانت الخطة في طريقها الى الفشل حين حدثت القطيعة بين يوغوسلافيا وبين الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية الاخرى ، وحين اقصيت يوغوسلافيا عن الكومنفورم . اما الحجج التي استند اليها لتبرير هذا القرار فكانت الاتجاه القومي العام ، والموقف المعادي للسوفيات ، والتنظيم البيروقراطي

للحزب الشيوعي اليوغوسلافي الذي لا يقوم سوى بدور ثانوي الى جانب الجبهة الشعبية المؤلفة من عناصر غير متجانسة ، وخصوصاً السياسة الاقتصادية غير المعتدلة التي تسرعت في تأميم الصناعة والتجارة المتوسطتين وتصفية العناصر الرأسمالية في طبقة الفلاحين ، فعرضت النجاح للخطر وشقّت « الجبهة الاشتراكية الموحدة ضد النوسعية » . وعقب قطع العلائق الاقتصادية القطيعة السياسية ، واستتبع تغييرات عميقة في تطور الخطة الخمسية المترددة منذ قبل القطيعة . لقد عوقبت يوغوسلافيا بسبب عدم انقيادها الذي عزلها في « الشرق » ، فقطع عنها البترول الالباني والروماني والآلات التشيكية ، وفي السنة ١٩٤٩ هبطت مبادلاتها مع الاتحاد السوفياتي الى ثمنها في السنة السابقة . وكانت يوغوسلافيا مصممة على متابعة تنفيذ خطتها ، فطلبت حكومتها من الدول الغربية المعدات التي تحتاج اليها . ولكن تجارتها الخارجية شلت شللاً تاماً بسبب هبوط صادراتها التي كان تصريفها في الغرب اصعب منه في الشرق ، وتوقف استيراداتهامن الفحم الحجري والاسمدة والبترول والحديد المصبوب ومعدات التجهيز . أضف الى ذلك من جهة ثانية ان البلاد اخذت تنتج المزيد من الاسلحة (ابتلعت ميزانية الحرب ٢٠٪ من الدخل القومي) . وقد قال « ف. برّو » عن الخطة اليوغوسلافية : « خطة لا يمكن، في احسن الاحوال ، الا ان تكون فشلاً محدوداً ، انتهت الى فشل ذريع » . الا ان التأميمات تواصلت بين السنة ١٩٤٨ والسنة ١٩٥٠ ، بموجب قانون اقر في السنة ١٩٤٨ ، واسرع في وضع وسائل الانتاج والمقايضة في خدمة الجماعة ، فارتفع عدد التعاونيات من ١٣٠٠ في السنة ١٩٤٨ الى ٧٢٦٢ في السنة ١٩٥١ استثمرت ٢٥٪ من الاراضي الزراعية .

ثم ان يوغوسلافيا التي تقرّبت من جيرانها الجنوبيين وعقدت معاهدات دفاع متبادل مع اليونان وتركيا قد عدلت سياستها . فتوقفت عن تقديم المساعدة لعصابات « ماركوس » و« الاس »التي لم تلبث انهزمت هزيمة منكرة امام الجيوش الملكيةاليونانية، وتقربت من الدول الغربية ، التي فتحت لها اعتمادات انقاذ ووسعت علائقها التجارية معها . وفي خريف السنة ١٩٥٠ ، اخذت يوغوسلافيا ، بفضل الاعتمادات الغربية ، تحوّل تجارتها الخارجية . ففي السنة ١٩٥١ ، اشترت الولايات المتحدة وكندا ١٥٪ من صادراتها مقابل ٢٪ في السنه ١٩٤٦ ، وباعت منها ٣٩٪ من وارداتها مقابل ٣٪ فقط قبل خمس سنوات خلت . الا ان الصعوبات الاقتصادية ما زالت على جانب كبير من الخطورة، فاعادت الحكومة النظر في سياستها الزراعية ، وغضت الطرف عن ارتفاع الاسعار ، بينما ابقت الاجور على حالها تقريباً ، ولكن الانتاج لم يسجل ارتفاعاً يذكر بالنسبة لمستواه قبل الحرب الا في الصناعة الثقيلة . وبعد سنوات التكيف العسير بين السنة ١٩٥٠ والسنة ١٩٥٢ ، لم يبلغ مستوى انتاج السنة ١٩٤٩ الا في السنة ١٩٥٤ ولم يجاوز الا في السنة ١٩٥٥ .

الطريقة اليوغوسلافية

ابتداء من السنة ١٩٥٠ ، اخذ يبرز الى الوجود تنظيم سياسي مميز ، شيوعي وماركسي في جوهره ، مختلف عن النظام السوفياتي . فان الحاجة الى تغيير نظام اقتصادي مشوّش والنزاع المتمادي مع الاتحاد السوفياتي قد دفعا بالحزب الشيوعي اليوغوسلافي ، خلال فترة الانتقـــال ، الى ايجاد طريقة جديدة لتطبيق الماركسية تختلف اختلافاً كلياً عن طريقة حلفائه السابقين .

كان الهدف من هذه الطريقة ازالة رأسمالية الدولة والبيروقراطية التي ترافقهـــا ، واشراك الجماهير اشراكاً دائماً في « بناء الاشتراكية » ، ونقل مهام الدولة — في بلاد غير متجانسة آخذة في تكوين وحدتها — الى اجهزة مستقلة استقلالاً ذاتياً . فلم تحتفظ الدولة الا بالشؤون الخارجية ، والجيش وامن الدولة . وانتقل كل ما تبقى من الادارة الى اجهزة منتخبـــة في كل جمهورية اتحادية ، والى لجان شعبية في التقسيمات الادارية الصغرى تتخذ القرارات وتراقب الادارة بحصر المعنى . وانما تستثبت السلطة المركزية شرعية اعمال هذه الاجهزة واللجان ، دونما اهتمام للاءمتها ودون ان تكون موافقتها المسبقة ضرورية .

وتقرر الشيء نفسه في الحقل الاقتصادي : اسندت ادارة المشاريع الى مجالس عمالية ينتخبها المستخدمون وتعين لجنة ادارة . وقد ألفت مشاريع عديـــدة « تجمعاً اقتصادياً اعلى » تختار ادارته ، التي تعينها الدولة ، مدراء كل مشروع . ويهتم المجلس المالي « لجنة الادارة بحماية العمل وتطبيق الخطة ، وميزان الدخل ، والتدابير الآئلة الى تحسين الانتاج . وهي « لجنـة الاقتصاد الوطني » ، التي تألفت بموجب دستور السنة ١٩٥٣ ، ما تضع « الخطط العامـــة » التي ترسم الخطوط الكبرى التي تضع لجان الادارة والتجمع ، بحرية ، خطط وحـــداتها بالاستناد اليها . وتوزع ارباح المشروع الصافية (اي الدخـــل غير الصافي بعد ان تحسم منه الضريبة والأجور والأموال المستهلكة والفوائد) بين الدائرة الصغرى (الضريبة العقارية) والجمهورية والاتحـــاد (الضريبة على الارباح) و« صندوق العمل » الذي يمنـــح العمال علاوة على أجورهم . فليس استقلال المشاريع من ثم مقيداً إلا بالرقابة على شرعية اعمالها والرقابة الجبائية ورقابة المصرف الدائن . ولا تشترك الدولة لا في تحديد الأجور ولا في مراقبة تنفيذ الخطة .

يتضح من ثم ان دستور السنة ١٩٥٣ المعدّل قد حدّ ، ما امكن الحد ، من تدخل السلطة المركزية باقراره « حكماً ذاتياً » ادارياً حقيقياً على مستوى الدائرة الصغرى والقضاء والجمهورية المتحدة التي يدير مصالحها الجماعية الشعب نفسه ، وحكماً ذاتياً اجتماعياً اذ ان المنتجين يديرون مشاريعهم . وقد ادخل على دستور السنة ١٩٤٦ تعديل واحـــد هام : ضم مجلس القوميات الى المجلس الشعبي واحلّت محله جمعية المنتجين التي تنتخبها الفئتان الكبريان : العمال والفلاحون ، بنسب غير متساوية على كل حال (ممثل لكل ٣٠ ٠٠٠ عامل ، وممثل لكل ١٥٠ ٠٠٠ فلاح). وهناك ، تحت هذه المجالس ، بضع مئات من اللجان الشعبية في الاقضية والمدن ، التي تنتخب بالتصويت العام ، وبضعة الوف من المجالس التي ينتخبها عمال المشاريع الصناعية والتجارية ، وعمال التعاونيات الزراعية ، وتؤلف كلها شبكة ادارية لامركزية واسعة تضمن البروليتاريا لها فيها مركزاً

مسيطراً . ونص دستور السنة ١٩٦٣ على ان واحداً – باستثناء المارشال تيتو – لا يمكن اعادة انتخابه مرتين متواليتين للمركز الواحد ، مما يفرض حركة دورية سريعة في كافة اجهزة الدولة .

تحول الحزب الشيوعي في السنة ١٩٥٢ الى « عصبة الشيوعيين » ، والجبهة الشعبية الى « التحالف الاشتراكي للشعب العامل » ؛ فاصبحت مهمة الحزب منذئذ لا التدخل في تفاصيل النشاط السياسي والاقتصادي (الذي انيط بالتحالف) بل اعطاء التوجيهات وتسيير هذا النشاط بتثقيف الجماهير الشعبية .

الازمة الاقتصادية الراهنة

ان تأخر النمو الاقتصادي الذي لوحظ منذ السنة ١٩٦١ قد افسح المجال لتحسن ملموس في اواخر السنة ١٩٦٢ وفي السنة ١٩٦٣ (ارتفع معدل النمو العام من ٥ بالمائة الى ١٢ بالمائة تقريبا) . ولذلك فقد بوشر تنفيذ الخطة السبعية الجديدة (١٩٦٤) في جو من التفاؤل ايدته زيادة الانتاج الصناعي وازدهار المشاريع ، ولكنها لم تلبث ان تعرضت لخطر تضخم مالي سريع الخطى وارتفاع مفرط في الاسعار . ويفسر هذا الوضع فقدان التوازن بين الصادرات والواردات ، وتزايد الاموال الموظفة بسرعة وعلى غير انتظام ، وتزايد الاستهلاك الداخلي بفعل ارتفاع الاجور والرواتب والشراء بالدين. الا ان الافتقار الى النقود النادرة اللازمة لتأمين الاستيرادات الضرورية من الخامات والمصنوعات قد ارغم الحكومة على تجميد الاسعار في شهر آذار ١٩٦٥ وتخفيض قيمة الدينار في شهر تموز ، اي على انتهاج سياسة تقشفية تهدف الى اكراه المشاريع على اعادة تنظيمها وزيادة انتاجيتها والاستغناء عن الاعانات المالية التي تدفعها الدولة (باستثناء المناطق الفقيرة كمقدونيا والجبل الأسود) بغية جعل الانتاج قادراً على مزاحمة غيره في الأسواق الدولية . فلم تستلزم الازمة من ثم تدخل الدولة بشدة مرة اخرى ، وانما اتجه الاصلاح الى تطبيق قوانين اقتصاد الاسواق تطبيقاً فعالاً .

في الحقل الزراعي شمل قطاع الملكية الاجتماعية ١١٨٠٠٠٠ هكتار ، اي ١١٫٤ بالمائة فقط من المجموع. وقد تألف من مزارع وطنية في الاستثمارات الكبرى التي صودرت ، ومزارع عمل (موازية للمزارع التعاونية السوفياتية) ، وتعاونيات زراعية من الطراز العام ، هبط عددها من ٧٢٦٢ في السنة ١٩٥٠ الى ١٢٠٠ في السنة ١٩٥٤ ، ثم عاد فارتفع الى ٢٢٠٠ وحدة في السنة ١٩٦٣ ضمت ١٣٠٠٠٠٠ عضو . اما القطاع الخاص ، فقد تألف من استثمارات صغرى – حددت الاملاك الفردية بـ ١٠ هكتارات بغية الحؤول دون ظهور الكولاك مرة اخرى – يبلغ معدل مساحتها ٤٫٢ هكتارات في الوحدة ، ولم يجاوز اكثر من ثلثها الهكتارين وجلي انه نظام لا يساعد على تحقيق الاصلاح العصري ، وقد زاد من سوئه اكتظاظ الارياف بالسكان الذي استتبع بطالة ريفية حقيقية متفاوتة الظهور احياناً ، بالرغم من هجرة ريفية هامة . فنجم عن ذلك انتاجية متدنية واستهلاك ذاتي مرتفع (٣/٤ الانتاج الزراعي) ، وهكذا كانت

معظم الاراضي خاضعاً لنظام زراعي قديم جداً في بلاد تشكو من العجز في منتجات اساسية كثيرة .

هنالك من ثم ، والحق يقال ، « طريق يوغوسلافية » نحو الشيوعية هي نظام تسوية بين التخطيط المركزي والمفصل الشبيه بالمثال السوفياتي ، وبين اللامركزية الفعلية المتحققة بالادارة الصناعية الذاتية و « المزاحمة الاشتراكية » مع توزيع الارباح والابقاء على الدخل العقاري .

انه لعمري « نظام شيوعي حر » مميز ، اعاد منذ وفاة ستالين الملائق التجاربة بالديموقراطيات الشعبية ، شريكاته الطبيعيات في التجارة . فيوغسلافيا دولة شيوعية تخلت عن مبادىء الاقتصاد والديموقراطية الحرة ، ولكنها ترفض الانضمام مرة اخرى الى الكتلة التي يؤلف الاتحاد السوفياتي عنصرها الموجه ، وتنتهج سياسة « حيادية » تتمتع بنفوذ حقيقي في دول آسيا وافريقيا الحديثة الاستقلال ، وقد تكون ـ بحسب الظروف ـ موافقة للكتلة الشرقية حينا والكتلة الغربية حينا آخر .

الفصل الرابع

الصين تمسي شيوعية

انتقلت الصين الى المعسكر الشيوعي في السنة ١٩٤٩ ، ولكن انقلاب التوازن بين الكومنتانغ والحزب الشيوعي الصيني ، الذي سوف يؤمن نصر هذا الاخير ، قد حدث اثناء الحرب بالذات .

الحرب الاهلية

في السنة ١٩٢٠ ، كانت الصين غارقة في فوضى هائلة شبهها بعضهم بالفوضى التي عرفتها فرنسا في ايام الشركات الكبرى . فقد كانت البلاد فريسة الـ « توكيون » ، اسياد الحرب ، الذين تصرفوا في كل ولاية تصرف الملوك المستقلين ، وحاول كل منهم تعزيز جيشه وموارده ، وحالف جيرانه تارة وخاصمهم تارة اخرى ؛ وكانوا كلهم على علاقة بالحكومات الاجنبية التي منحوها شتى الامتيازات ، واحتفظوا لأنفسهم بحصيلة الضرائب في ولايتهم ، وأودعوا ارباحهم بعض المصارف الاجنبية احتياطاً لادبار الزمان بهم ؛ فكانت حكومة بكين وحكومة كانتون ، والحالة هذه ، مفتقرتين الى القوة والموارد .

كانت نتيجة ذلك عدم امن وبؤساً شاملين – الا في الامتيازات الاجنبية ، ملاجىء الطمأنينة الاخيرة – أدّيا الى نقص عام في نسبة الولادات وزيادة هائلة في نسبة الوفيات بين الاطفال . فانتقلت القرى الى المواقع الدفاعية ، وتوقفت اعمال صيانة سدود « يانغ – تسي » و « هان » والقناة الامبراطورية و « هوانغ – هو » ، فانهارت السدود وغمرت بالمياه مساحات كبرى من الاراضي الزراعية . وجاءت البلبلة التي احدثتها الحرب الاهلية تضيف نتائجها الى نتائج علتين تقليديتين هما بؤس البلاد واكتظاظها بالأهالي : تقسيم الارض المفرط ، ازدياد وطأة الدخل المدفوع لكبار الملاكين ، استحالة استخدام كل هذه اليد العاملة في صناعات المدن . فنزح العديد من الفلاحين الى منشوريا . وأمست الهجرة نهائية بعد ان كانت موسمية . وكان عدد المهاجرين ٤٠٠ ٠٠٠ في السنة قبل السنة ١٩٢٦ ، فبلغ المليون في السنة ١٩٢٧ ، و ٥٤٦ ٠٠٠ في السنة ١٩٢٨ ... وقد ذهب سوادهم سيراً على الاقدام ناقلين ما يملكونه على العربات ، فكان زوحهم مسيرة مجاعة يموت فيها الكثيرون على قارعة الطريق . فكان ان

عدد سكان منشوريا قد ارتفع ، بين السنة ١٩٢٢ والسنة ١٩٣٠ ، من ٢٢ مليون نسمة الى ٣٠ مليوناً . وطلب غيرهم العمل في مفارس ماليزيا واستثماراتها المنجمية . وقد بلغ عدد المهاجرين ٣ ملايين بين السنة ١٩١١ والسنة ١٩٢٧ ، استقر نصفهم في ماليزيا .

الصين الجديدة

العمال

الا ان الصين الاقطاعية القديمة ، صين اسياد الحرب ، مع جماهيرها القروية الخاضعة لسيطرة الملاكين العقاريين ، كانت آخذة في التحول . فان صناعات جديدة قد نمت في ظل الحرب ، كالصناعة الثقيلة ، واستفادت الصناعات القديمة (قطنيات ، مطاحن ، تبغ ، اسمنت) من تدني اجور اليد العاملة . وتأسست مدن جديدة . وغدت هانكيو وشنغاي وتيانتسين مراكز صناعية كبرى ، وضمت طبقة عمالية متجانسة ، قد تبلغ المليوني شخص ، عاشت فيها حياة مختلفة عن حياة الفلاحين ، ولكنها حافظت على علائق وثيقة بطبقة الفلاحين . وكانت الاجور متدنية ويوم العمل طويلا (١٢ – ١٥ ساعة) ، وعدد النساء والاولاد المستخدمين مرتفعاً ، ووضعهم شبيهاً بوضع البروليتاريا البريطانية والفرنسية في الربع الثاني من القرن التاسع عشر ، وقد ساعد على قيام منظمات عمالية ، قامت باضرابات متادية ومتكاثرة ، وبلغ عدد المسجل منها رسمياً في شنغاي ٤٧ منظمة .

البورجوازية الوطنية

غالباً ما حظيت هذه الاضرابات بمساعدة ومساندة البورجوازية الوطنية – التجار وصغار الصناعيين – التي كانت هي ايضاً ضحية امتيازات الاجانب . فان رؤوس الاموال التي جمعها التجار بوفرة في المرافىء ودخول الملاكين العقاريين قد ساعدت نمو صناعات ومصارف صينية بحصر المعنى . ومنذ السنة ١٩١٩ ، جاوز عدد صنانير الحياكة القطنية في المصانع الصينية عدد الصنانير نفسها في المصانع الاجنبية . اجل لقد بقي الاميركيون والاوروبيون واليابانيون اسياد الصناعة الثقيلة ، ولكن رؤوس الاموال الصينية قد حققت السيطرة في الصناعات الخفيفة . وكانت هذه الرأسمالية الوطنية بحاجة الى النظام وتوحيد البلاد والى اصلاح اداري وقضائي على الطريقة الغربية ، واستلزمت وضع حدّ للامتيازات التي يفيد منها الاجانب بالاستناد الى « معاهدات غير متساوية » . ولذلك فهي قد اسهمت في حركة الاستقلال الوطني الموجهة ضد الـ « توكيون » والتجار الاجانب . واستخدمت الموجة الوطنية التي حركت الفلاحين والعمال ، متقربة في الوقت نفسه من الملاكين العقاريين ، وحتى من الاوروبيين والاميركيين حين تنطوي الموجة القروية او العمالية على خطر محدق (في كانتون في السنة ١٩٢٤ ، وفي شنغاي في السنة ١٩٢٧) .

الثورة الثقافية

يعتبر المثقفون القوة المحركة لتطور الصين . فقد نمت بينهم ، كما نمت بين العملة ، وطنية صينية حية كانوا هم دعاتها النشاط . لقد ولد تعليم ديموقراطي على كافة المستويات : تعددت الجامعات ، وازال اصلاح اللغة والكتابة العراقيل

التي كانت تعترض تثقيف الجماهير الشعبية . هذا هو « اصلاح اللغـــة العامية » ، « الـ باي – هوا » وقد اصبح الزامياً في السنة ١٩٢٠ – الذي اعرض عن اللغة الادبية الكلاسيكية واعتمد اللغة اليومية ، المستعملة منذ قبل ذلك في ادب المهازل والروايات المألوف ، بعد ان اعطاهـــا شكلاً كتابياً . وفي الوقت نفسه ، اتاحت « طريق الالف حرف » ، المبنية على استخدام اكثر الحروف استعمالاً ، التغلب على اهم الصعوبات التي انطوت عليها الكتابة الصينية وتعليم القراءة بسرعة . ثم جاء النجاح كاملاً حين نشر كتاب « هو – شو » ، « موجـــز في تاريخ الفلسفة الصينية » ، الذي اثبت امكانية استعمال الاسلوب الجديد في المناقشات المجردة .

مهدت هذه الاصلاحات السبيل لثورة ثقافيـــة كانت بمثابة نهضة حقيقية . فقد نشرت ترجمات عديدة مؤلفات الغرب الكبرى ومكتشفاته العلمية ، وهاجمت روايات واقعية ومؤلفات انتقادية النظام السياسي والاجتماعي السابق . كما هاجمت تنظيـم العـــائلة البطريركية ، والمعتقدات الدينية ، ولا سيما الكونفوشيوسية « غير الصالحة للحياة العصرية » و « المنافيـة للجمهورية » ، والمسيحية .

الحركة الوطنية

ان الحركة الوطنية التي ارادت استقلال البـــلاد ووحدتها وتجديدها العصري قد ضمت في عمل مشترك العناصر الناشطة في المجتمع الجديد : البورجوازية الرأسمالية ، البروليتاريا العمالية ، المثقفين . هـذه هي « حركة الرابع من نوار » (١٩١٩) – يوم اعتراض الطلاب من معاهدات الصلح – التي كانت اعلاناً للثورة الوطنيـة . وكان تأثير الثورة الروسية عظيماً جداً على كل حـــال ، بالمثل الذي اعطته ، وبتعليمها ان على الصين ، اذا ارادت التقدم ، القضاء على الرأسمالية الاجنبية ، وبالمساعدة الفعـالة المباشرة التي قدمتها . وبالرغم من انه لم يتعصب للشيوعية ، فان سن – يات – شن ، الذي اعـاد تنظيم الكومنتانغ ، قد اوفد تشانغ – كاي – شك الى موسكو للاشتراك في دورة تدريبية ، وتعاون مع الحزب الشيوعي الصيني . ووقع على اتفاقات تتخلى روسيا بموجبها عن المعاهدات غـير المتساوية وترسل الى الصين مدربين عسكريين ومنظمين سياسيين . وانما نجح الكومنتانغ في استعادة الصين الشمالية وهزم اسياد الحرب بواسطة الجيش الذي دربوه وتولى قيادته الضباط الذين اعدوهم .

وقفت الحركة الوطنية الصينية بحزم في وجه الدول الاوروبية التي اثبتت ، في السنة ١٩١٩ في فرساي ، وفي ١٩٢٠ – ١٩٢١ في واشنطن ، انها لا تريد لا مساعدة الصينيين على بناء صين مستقلة سياسياً واقتصادياً ، ولا التخلي عن امتيازات المعاهدات غير المتساوية . وحين تعددت الاحداث الدامية في مراكز الامتيازات ، رد الصينيون بمقاطعة التجارة البريطانيـة . فاضطر المرسلون والتجار الانكليز – وقـــد كانوا اكثر الاجانب تعرضاً للخطر لأن مصالح انكلترا الاقتصادية والسياسية في الصين كانت اعظم شأناً من مصالح سواها – الى الجـلاء عن الداخل نحو المرافىء .

١٧ — مركز روكفلر في نيويورك .

١٨ – الباخرة فرنسا التي انزلت الى البحر في السنة ١٩٦٠ .

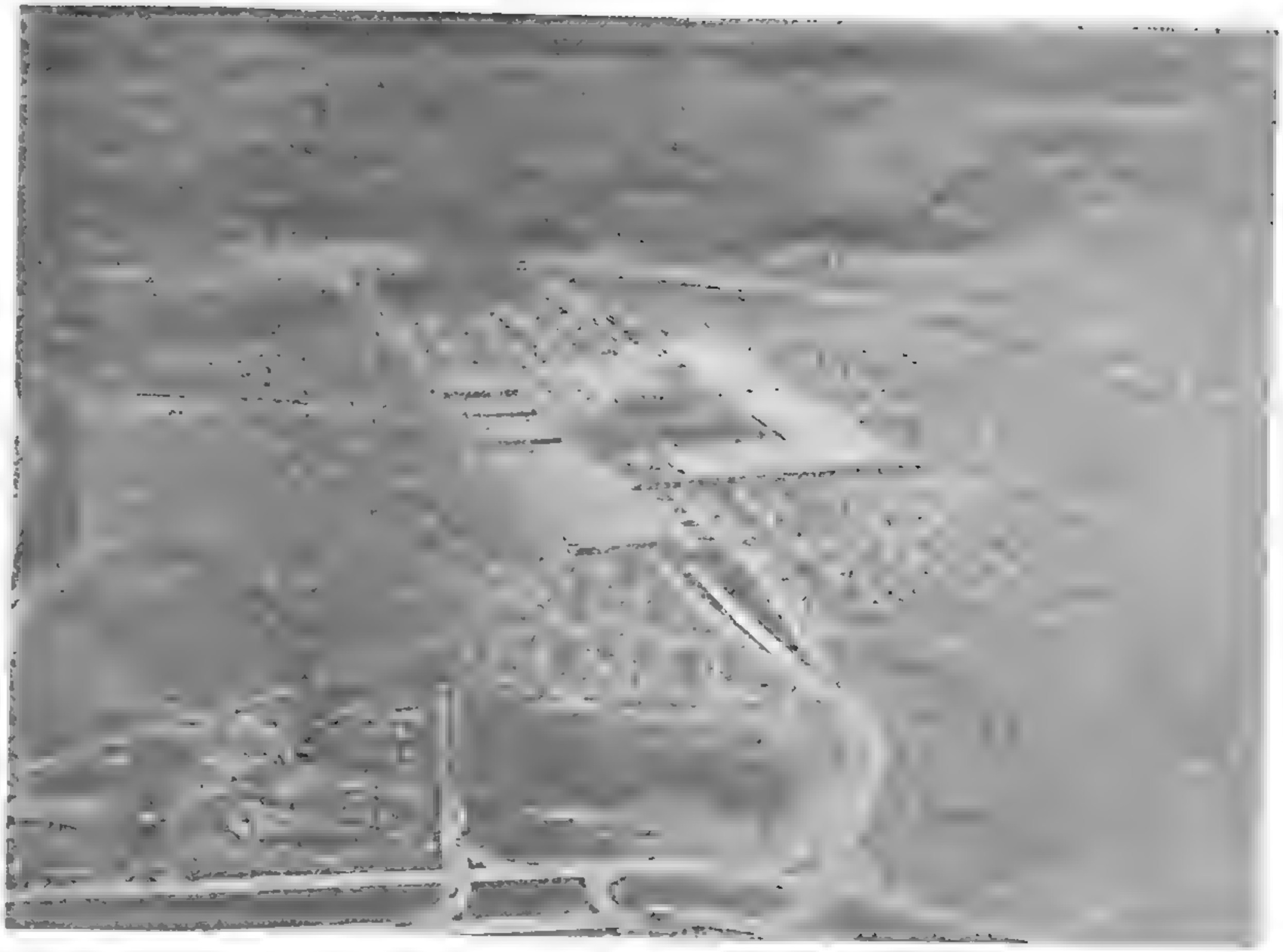

١٩ – مخزن اميركي كبير على مقربة من « دترويت »

٢٠ – شبكة طرقات عصرية في لوس انجلوس : هاربور فريواي .

٢١ ــ الساحة الحمراء في موسكو ١٩٥٤ . في الوسط ضريح لينين .

٢٢ – جامعة موسكو . منظر لموسكو التي يشرف عليها بناء الجامعة الرائع .

٢٣ ـ مجاعة ١٩٥٣ في الهند .

٢٤ – المهاتما غاندي يحيط به تلاميذه .

٢٥ – ماوتسي – توابع يخطف في جيبوت

٢٦ – شنغاى : مدرسة فى الهواء الطلق . الحزب والشيخة .

٢٧ عرض الجماهير امام الامبراطور ليدن نهاية رأس السنة

٢٨ – عيد الحصاد في مزرعة جماعية .

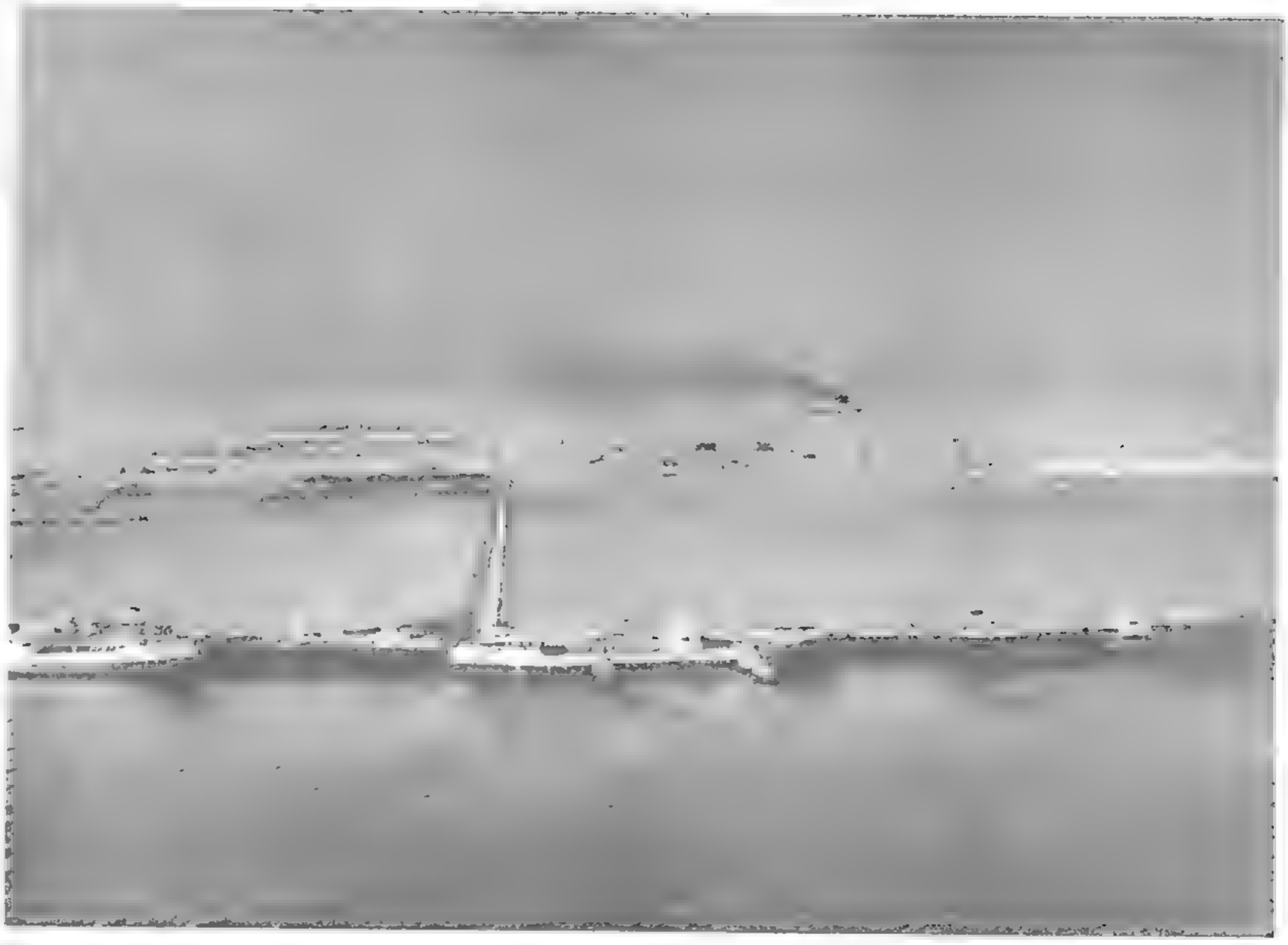

٢٩ – مرفأ بترولي في العراق .

٣٠ – رباط : المدينة الاوروبية والمدينة البلدية .

٣١ – ارلكين و كولومبين ، بريشة بابلو بيكاسو . متحف لينينغراد .

٣٢ – تلامذة في « طوغو » . التعليم مفتاح التقدم .

ارتبطت الحركة المعادية للمسيحية ارتباطاً وثيقاً بهذه الحركة الوطنية . فبينما كانت هذه الحركة من قبل وقفاً على القوى

ارتداوها طابع العداء للمسيحية

المحافظة التقليدية ، قادتها آنذاك العناصر الثورية والوطنية ، اي الطلاب والعمال . لقد فُرّق حتى ذاك التاريخ بين المسيحية كدين وبين المرسلين حملة « الغزو الثقافي » . وان عمل المرسلين ، الذي غالباً ما ارتبط في الماضي بالتدخلات المسلحة الاجنبية ، قد اعتبر منذئذ لا كـ « طليعة التوسعية » فحسب ، بل كدعاوة لافكار باطلة مناهضة للتقدم ايضاً . وطولب بارجاع « حق التعليم » الذي يجب ان يعاد للصينيين. فوضعت الحكومة في السنة ١٩٢٦ ، رغبة منها في تحقيق هذه الامنية ، مدارس المرسلين تحت إشراف حكومي ، وقررت الا يكون المديرون اجانب بعد اليوم وان يكون التعليم الديني اختيارياً . وفي اثناء المظاهرات خرّبت املاك الارساليات واعتدي على المرسلين بالجرح والقتل ، فاضطر عدّة آلاف منهم الى الجلاء عن داخل البلاد ؛ فكان الرد على هذه الاصطدامات « سياسة السفن الحربية » التي اطلقت نيران مدافعها على مدن الساحل انتقاماً . وقد صادفت الحركة في الزمن فترة التحالف بين الكومنتانغ والحزب الشيوعي ؛ الا ان عنفها قد تضاءل حين اتجه تشانغ اتجاهاً يمينياً وانفصل عن العناصر العمالية والشيوعية .

اصلاحات الكومنتانغ

بعد وفاة سن – يات – سن ، في السنة ١٩٢٥ ، انتهت حكومة الكومنتانغ ، التي استعادت سيطرتها على كافة اجزاء الصين تقريباً ، الى منابذة الحزب الشيوعي الذي كان يطالب باصلاح زراعي عميق والذي اقضت نجاحاته مضاجع جامعي الثروات من التجار . وكان ان جناح الكومنتانغ الايمن الذي كان لصهري تشانغ ، « ت. ف. سونغ » و « هـ. كونغ » ، تأثير كبير عليه ، والذي حظي بتأييد الجيش الظافر ، قد تقرب من الاجانب في شنغاي . فحرّم الحزب الشيوعي وقتل اعضاؤه المقبوض عليهم بعشرات الالوف ، ولاذ المستشارون الروس بالفرار . واستولى تشانغ على هان – يانغ و هانكيو ؛ فبدا الحزب الشيوعي وكأنه قضي عليه قضاء تاماً .

اعترفت الدول الكبرى بتشانغ وساندته انكلترا والولايات المتحدة ، فتولى القيام بعمل عظيم تناول التصنيع وتجديد الاقتصاد والادارة بحسب مقتضيات العصر : احداث الطرق والسكك الحديدية ، تنمية الصناعات ؛ ولكنه لم يحاول اي اصلاح اجتماعي . واعلن ابطال المعاهدات القديمة عند انتهاء مدة العمل بها . فتخلت بلجيكا وايطاليا والدانمارك والبرتغال واسبانيا عن امتيازاتها كما تخلى عنها مهزومو السنة ١٩١٨ بين ١٩٢١ و ١٩٢٥ . واسترد استقلاله الجمركي والرقابة على مصلحة الجمارك البحرية والضريبة على الملح . وفي السنة ١٩٣٠ تخلت انكلترا عن اقليم واي – هاي – واي . الا ان محاولة إعادة التنظيم هذه قد اعاقها التدخل الياباني من اجل احتلال الصين قطعة وراء قطعة .

١ – مصير الكومنتانغ

حكومة تشانغ كاي ـ شك
منذ السنة ١٩٣٧

الا ان وحدة المقاومة الصينية ضد الياباني قد تحققت مرة اخرى في السنة ١٩٣٦ . فان الشيوعيين – بالرغم من الحرب التي شنها حكم الكومنتانغ عليهم طيلة اكثر من عشر سنوات – قد وقفوا الى جانب تشانغ كاي – شك حين توقيفه في « سيان » لانهم اعتبروه خير من يتولى مقاومة الغازي . ووافق تشانغ على الجبهة الموحدة التي عرضوها عليه ، واخذ على نفسه اعادة تنظيم الجيش الذي سوف تنضم اليه القوات الشيوعية ، والوقوف بعزم في وجه اليابان . فاعتمد الجيش فن الحرب الشيوعي : التخلي عن بعض الاراضي بغية كسب الوقت . واستمر الصراع بالرغم من استسلام مونيخ الذي قضى على الامل بتدخل اوروبا ، وبالرغم من الهزائم. فانتقلت الحكومة الى تشونغ – كنغ بعد انتقالها الى هانكيو . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان اليابان ، التي استمالت اليها رجال الاعمال وعدداً كبيراً من الوطنيين المعادين للبيض في الدرجة الاولى ، والتي الفت حكومة صينية صديقة في نانكين ، قد اعتبرت ، بين السنة ١٩٤١ والسنة ١٩٤٣ ، ان الولايات المتحدة هي عدوها الاول . واكتفت بالنقاط التي احتلتها ، ولم تقم ، ضد مقاومة بدت لها غير منظمة ، سوى بعمليات معدة لإشاعة الذعر : قصف جوي ، وغارات سريعة على ارض العدو تستهدف القتل والنهب .

ربما اسهم خمود الحرب اليابانية هذا في التبديل الذي طرأ على سياسة حكومة الكومنتانغ. فان هذه الحكومة التي اثبتت بين السنة ١٩٢٧ والسنة ١٩٣٧ «انها خير حكومة عصرية وأنافذة عرفتها الصين » قد ارتدت طابعاً آخر . لقد كانت في نانكين تحت تأثير التجار ورجال الاعمال في المرافىء ، المرتبطين ارتباطاً وثيقاً بكبار الملاكين العقاريين . فحافظت من ثم على النظام الاجتماعي القديم في الارياف دون ادخال اي تغيير عليه ، ولكنها حققت بعض الاصلاحات : نشر قانون جزائي ومدني جديد ، توحيد النقد ، اعادة تنظيم اعمال المصارف . وقد بذل مجهود كبير لاقامة حكومة عصرية موحدة . اجل لقد تحقق التجديد العصري لمصلحة الطبقة الوطنية العليا ، وانما اصبح هناك تجديد عصري . اما في تشونغ – كنغ ، اي في قلب احدى اكثر الولايات تخلفاً في البلاد ، فكان الجو مختلفاً . فان الحكومة هنا كانت بعيدة عن العناصر القوية التي من شأنها الضغط عليها : الجماهير الشعبية والطلاب . فليست السيطرة لنفوذ صيارفة شنغاي بعد اليوم، بل للملاك العقاري المحافظ الذي يفسر شعار الحرب مقاومة واعادة بناء، بأنه مقاومة للاصلاحات الاجتماعية وتدعيم لمركزه» (فيربانك). اما عناصر الاصلاح فقد شلت نشاطاتها، ولا سيما ان اكثرها نشاطاً كان على خط القتال. واقصي الاحرار والشيوعيون عن الادارة، وعطلت صحف المعارضة ، وراقبت قوى الامن عن كثب المثقفين والاحرار الذين هاجروا باعداد كبرى الى هونغ – كونغ وستنافوره او التحقوا بالجاليات الصينية في جنوبي شرقي آسيا . وقطعت

العلائق مع الشيوعيين ، ولم يُطوَ ذكر نجاحاتهم في الحرب ضـــد اليابان فحسب ، بل نظّم « حصار طبي » حول جيوشهم – الثامن والرابع – التي لم تستلم بعد ذلك معدات صحية ومواد صيدلية . وزال بصورة خاصة طابع القوة والعنف عن الحرب ضد اليابان. فلم يوضع اي مخطط لتعبئة طاقات البلاد ، ونقلت المصانع الى الداخل دون مخطط شامل ودون تنظيم عـام ، ولم تفرض رقابة على القطع والمؤسسات المالية ، فلم يلبث التضخم المالي ان ظهر بمظهر الكارثـة ، واطلق العنان للمضاربة في المواد النادرة غير المحددة .

ورافق الفساد التهـاون والتقصير . وتسبب التبذير وسوء الادارة في موت ملايين البشر في الجيوش المفتقرة الى المؤن والملابس والعتـاد ، وفي السكان المدنيين الذين فتكت مجاعات السنة ١٩٤٣ بثلاثة ملايين منهم في هونان وكوانتونغ وشي - كيانغ . وزادت في الطين بـلة سرقة اموال الخزينة ، والمتاجرات التي استفاد منها القـادة العسكريون والموظفون والوزراء – وفي طليعتهم صهر القائد العام بالذات ، ت . ف . سونغ ، وزير المالية ، ثم وزير الشؤون الخارجية ورئيس مجلس الوزراء . فابتيعت العقارات المبلية في القطاعات الممنوحة للاجانب ، والاراضي و « القيم المضمونة » كالمواد الصيدلية ، والآلات ، والاقمشة ، ولم يبلـغ الجيش شيء من « المصنوعات المرسلة اليه (بموجب قانون « الاعارة والتأجير »). فكل هذه المصنوعات بيعت في طريقها الى الجيش بواسطة الوزراء وحكام الولايات او حتى الضباط انفسهم » . وقد ادانت الشهادات الاميركية والبريطانية نظام الحكم الذي شبهه الجنرال « ستيلوَل » بالنازية: «حكومة مماثلة .. ولصوصية مماثلة .. » ومال قادة الجيش طبعـاً الى الاحتفاظ بالاعتدة الحربية ... « يعدون بشن الهجوم ، ثم يتراجعون ؛ .. يصدرون الاوامر ، ثم يوعزون الى المرؤوسين بعدم تنفيذها » . « يدفع قادة الجيش مرتبات الجيوش كما يطيب لهم الدفـع .. ولا يُجنّد سوى المساكين المفتقرين الى المال او الى حماية النافذين » .

وفي الحقل العسكري شوهد الارتجال نفسه والفوضى نفسها . فالجيوش ضعيفة لأن الحكومة لا تريد تسليح الفلاحين خوفاً من الشيوعية ، والقيادات تسند الى العناصر المعروفة بميولهـا المحافظة ؛ وحدث ما هو ادهى من ذلك كله حين تجددت الحرب الاهلية في السنة ١٩٣٧ ؛ فمنذ السنة ١٩٤١ استبقى تشانغ ، بغية محاربة الشيوعيين ، العتـاد الحربي الحديث الذي شحنه اليه الحلفاء . وقام ما يشبه هدنة ضمنية مع اليابانيين وجرت اتصالات غير رسمية بين ممثلي تشانـغ وممثلي وانغ تشنغ واي ، رئيس الحكومة الموالية لليابان في نانكين ، وتوقفت محطتا الاذاعة عن التهاجم . ولم يواصل الحرب ضد اليابانيين ، بالاضافة الى الشيوعيين ، سوى الطيارين الاميركيين الذين ينطلقون من القواعد الصينية لالقاء القنابل على اليابان ، وهذا مـا حمل اليابانيين في السنة ١٩٤٤ على شن هجوم ادى الى الاستيلاء على هذه المطـارات ، وعلى التقدم في شي – كيانغ ، وهونان الغنية ، فتشتتت الجيوش مرة اخرى ، وكان الانحـدار العسكري تاماً . « فلم يبق من الصين الحكومية ، في اوائل السنة ١٩٤٥ ، سوى دولة اقطاعية صغرى » .

وضع الحزب الشيوعي بين ١٩٢٨ و ١٩٣٥

محق الحزب الشيوعي بعد مجازر كانتون وشنغـاي وهانكيو وحملات تشانغ في السنتين ١٩٢٧ و ١٩٢٨ ، فانصرف الى اعادة تنظيم صفوفه ببطء تحت اشراف ماو – تسي – تونغ و « شوته » في المعـاقل التي احتفظ فيها ببعض الجماعات المسلحة عند حدود هوبان وكيانغ – سي والى الجنوب من هانكيو. وفي اواخر السنة ١٩٢٩ ضم حوالي ٦٢ ٠٠٠ جندي زود ٤٠ ٠٠٠ منهم بأسلحة نارية . فأقصي جباة الضرائب وكبار الملاكين عن الاقالـــيم التي كان يحتلها الشيوعيون ووزعت الارض على الفلاحين . فوجه تشان كاي – شك ضد جيش الحزب الشيوعي سلسلة من « حـملات الابادة » التي تخللتها الهزائم والانتصارات غير الحاسمة . اما الحملة السادسة التي ضمت ٤٠٠ ٠٠٠ جندي و ٤٠٠ طائرة ، والتي اعدتها بعثة الجنرال فالكنهوزن الالمـانية ، فقد حققت في السنة ١٩٣٣ النتائج الهامة الاولى : في تشرين الاول ١٩٣٤ قررت الجيوش الشيوعية الجلاء عن كيانغ – سي والانسحاب غرباً الى « سو تشوان » . فبدأت حينذاك « المسيرة الطويلة » ، التي تعتبر اغرب احداث هذه الحرب : طيلة سنة كاملة ، انسحب ١٣٠ ٠٠٠ رجـل وامرأة وولد سيراً على الاقدام ، بمعدل ٤٠ كيلومترا في اليوم الواحد ، معرضين كل ساعة لغارات الطائرات ، مكثرين من المسيرات الليلية بغية النجاة من هذه الهجمات ، ومن المناورات الالهـــائية بغية التمكن من عبور الانهار ، تاركين وراءهم العتاد والمرضى والجرحى وضحايا البرد والجوع ، مقاتلين في سبيل اجتياز الخطوط المحصنة ، قاطعين سلاسل جبال يبلغ ارتفاعها ٥٠٠٠ متر (تاهسويه سان) . وفي ٢٠ تشرين الاول ١٩٣٥ اخيراً ، استقر الناجون الـ ٢٠ ٠٠٠ في شمالي شنسي حيث كانوا في مأمن من حصار كـــامل بسبب وجود الصحراء من ورائهم ، وحيث توجب عليهم تجديد كل شيء (الشكل ٢٧) .

« الديموقراطية الجديدة »

هنا ، في ينان ، وضع ماو تعاليم « ديموقراطية الصين الجديدة » التي نشرها في السنة ١٩٤٠ . وقد قـادته قوة العنصر القروي الصيني الى بناء الحركة الشيوعية على اساس قروي لا عمالي اسوة بالاحزاب الشيوعية الاوروبية. فسوف تكون المرحلة الاولى للثورة الشيوعية « الديموقراطية الجديدة » التي ستحول المجتمـــع القديم الاقطاعي الطابع ، بمساعدة الاتحاد السوفياتي ، الى مجتمع ديموقراطي مستقل . وسيحكم هذه الدولة تحالف عدة طبقـــات ثورية ، لأن البورجوازية الصينية ، على غرار البورجوازية الفرنسية في السنة ١٧٨٩ – كانت ثورية جزئياً . وخـلال فترة الانتقال هذه ، ستخضع الصين لنظام لن يكون لا بورجوازياً فحسب ، ولا بروليتارياً فحسب ، بل حكماً ديموقراطيا مركزيا مبنيا على انتخابات (يحق للجميع الاشتراك فيها) يختار بموجبها اعضاء سلسلة جمعيات شعبية ابتداء من جمعيـــات القرى حتى المؤتمر الوطني . وعملا بمقررات الكومنتانـــغ المتخذة في السنة ١٩٢٤ ، يتوجب على الدولـــة ، منـــذ هـــذه المرحلة الاولى ، ان تضـــع يدها على النشاطات الاحتكارية : المصارف الكبرى ، الصناعات الهامة ، وسائل النقل. وبغية

ستدراك محاولات الانتقام التي قد يقوم بها الرأسماليون وكبار الملاكين العقاريين، سوف تصادر املاك هؤلاء وتوزع على الفلاحين الذين يحرثونها . وقد اراد ماو ابداً ان يتصرف تصرف وريث مبادىء « سن » التي تخلى عنها نظام الكومنتانغ، ولم تكن فكرته من ثم مجرد انعكاس للفكرة السوفياتية ، بل اخذت بعين الاعتبار التقاليد الصينية ونظام المجتمع الصيني الخاص والظروف السياسية الراهنة .

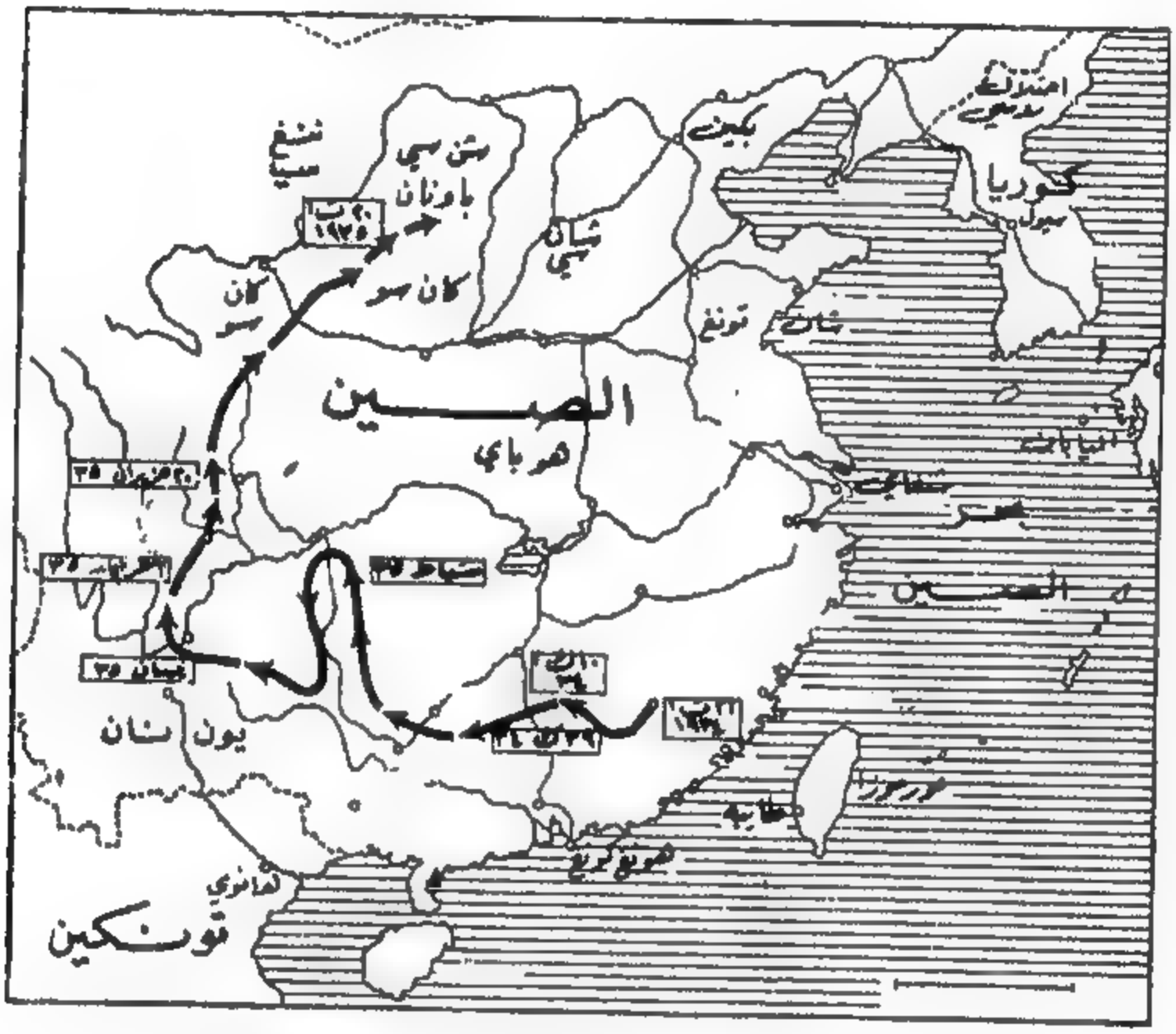

الشكل ٢٧ ـ مسيرة مارتسي ـ تونغ الطويلة (٢١ تشرين الاول ١٩٣٤ ـ ٢٠ تشرين الأول ١٩٣٥) .

في حرب الصينيين ضد اليابان ، اعتمد الشيوعيون فن حرب العصابات الخاص بهم ، واقاموا في الوقت نفسه حكومات ديموقراطية . ونُظّم الجيش (الجيش الثـــامن في منطقة شنسي و « الجيش الرابع الجـــديد » في منطقة يانغ – تسي الاسفل) تنظيماً ديموقراطياً ؛ فقبل كل معركة ، يُطلع الجنود على الوضع وهدف المناورة ، وبعد كل معركة يجري التعليق على العمليات العسكرية امامهم . وقد انشئت ، بالاضافة الى الجيش النظامي ، « فرق شعبية غير نظامية » ، بلغ عدد المنخرطين فيها زهاء المليونين ، حاربت بأزياء ريفية وبقذائف يدوية من صنع افرادها انفسهم . وكان الانضباط مثالياً ؛ فللمرة الاولى يجنـــد جيش صيني من غير سفلة السكان ،

ويتألف من جنود يساعدون الفلاحين الذين هم منهم ويعيشون فيما بينهم ، ويدفعون لهم ثمن ما يأخذونه منهم ، ولا يعتدون على ممتلكاتهم ولا يعاملونهم بفظاظة . فكانت النتيجة ان الجماهير الشعبية قد تأثرت للمرة الاولى بالدعاوة السياسية ، بعد ان كانت تقف في هـــذا الحقل موقفاً سلبياً تقليدياً .

وكانت النتيجة كذلك ان الوضع في الارياف اصبح اشد صعوبة على الفلاحين يوماً بعد يوم . ولم ينجم ذلك عن « ويلات الحرب » التي كانوا هم اولى ضحاياها : عنف واستلاب ، وتدمير وتقتيل فحسب ، بل عن التضخم المالي المفرط الذي استتبع انهيار النقـد . فكل من توفر له المال وبحث عن « قيم حقيقية » اخـــذ يشتري الاراضي ، حين اضطر الملاك الصغير المدن الى البيع ؛ وارتفع من ثم ثمن الارض ، فقفز معدل سعر ٧٫٥ آر في المرزات من ٤٥ دولاراً صينياً في السنة ١٩٣٧ الى ٢٥٠٠ في السنة ١٩٤١ ؛ وهكذا نشأت طبقـــة جديدة من كبار الملاكين العقاريين المضاربين الذين لا يكترثون حتى بزراعة الارض . وحذا حذوهم العديد من الاسياد الاقطاعيين ، بحيث تبسط النظـــام الاجتماعي في الارياف الصينية وبرز التضاد بين من يملكون الارض ومن يزرعونها دون ان يملكوها .

تخلت حكومة ينان مؤقتاً عن برنامج مصادرة الاراضي وعن الصراع الطبقي رغبة منها في ان تسهم الطبقات صاحبة الامتيازات في النضال الوطني. واكتفت بتخفيض قيمة ضمان الارض وفائدة الديون (١٠ ٪ كحد اقصى) ، وجعلت عقد الضمان إلزامياً ، وحدّدت الضريبة بحيث لا يتجاوز معدلها ١٥ ٪ من الريع . واستغنت عن المجالس بتنظيم انتخابات اكتفت فيها بثلث المقاعد . وشجعت قيام التعاونيات التي يعمل فيها الجنود والفلاحون معاً ، رغبة منهـــا في ان تسد كل منطقة حاجتها من المواد الغذائية ، ومن القطن اذا امكن ذلك . فقامت وحدة مطلقة بين الجيش والسكان الفلاحين . وأدى التعاون بين القرى المتجاورة في مقاومة غارات اليابانيين وفي الاعمال الزراعية الى تنمية روح التضامن وتولد وعي قومي تعزز يوماً بعد يوم . فكانت سياسة الحكومة ، بصورة عامة ، سياسة حريصة على المصالح الشعبية ، وانسانية حتى حيال الاسرى اليابانيين الذين يخلى سبيلهم او يهذبون تهذيباً جديداً على ايدي « عصبة تحرير الشعب الياباني » ، فاستهوت احراراً عديدين من اعضاء الحزب الشيوعي الصيني . ولم يجتذب التنظيم الشيوعي بفعاليته ونزاهته ونشاطه في محاربة العدو الياباني طبقة الفلاحين فحسب ، بل الطلاب ايضاً الذين تدفقوا كالسيل على جامعة ينان المعادية لليـــابان وانضموا الى الحزب الشيوعي ، والاحرار الذين ارغمهم نظام تشونغ – كنغ البوليسي على الفرار الى ما وراء البحار ايضاً . وقد ألف هؤلاء في هونغ – كونغ، في السنة ١٩٤١ ، « اتحاد الاحزاب الديموقراطية » الذي سيصبح « عصبة الصين الديموقراطية » في السنة ١٩٤٥ والذي تقرب من الحزب الشيوعي الصيني .

يتضح مما تقدم التضاد الكبير بين هذه « الجمهورية السبارتية » التي تحارب اليـــابانيين بعزم وبين حكومة تشونغ – كنغ المتميزة بضعفها وفسادها وجمودها .

الحرب الاهليـــة (١٩٤٥-١٩٤٩)

ان النزاع بين الحكومتين ، الذي نشب قبل نهاية الحرب بزمن بعيد ، قد شمل البلاد بأجمعها منذ توقيع الهدنة . وقـــد توخت كل منهما احتلال ما امكن من الاراضي ومن النقاط الستراتيجية . فتمكن الشيوعيون ، بفضل سيطرتهم على الصين الشمالية ، احتلال أهم منطقـة صناعية ، هي منشوريا غير البعيدة عنهم ، في ربيع السنة ١٩٤٦ . وتلقت حكومة تشونغ ـ كنغ المساعدة العسكرية والاقتصادية من الاميركيين الذين نقلت طائراتهم واسطولهم ثلاثة جيوش وطنيـة الى الشمال والشرق ، ومساعدة القادة والحكام والموظفين الذين كانوا قـد تعاونوا مع اليابانيين وحاربوا الشيوعيين تحت امرتهم . ولكن الجيوش الشيوعية التي لفتت الانظار بحسن قيادتها وتدريبها ، وتسلحت بعتاد الجيش الياباني وعتاد الجيوش الوطنية الذي استولت عليـــه ، اصبحت الآن قادرة على التخلي عن حرب العصابات والشروع بعمليات كبرى حتى ضد جيوش تفوقها عدداً وتسلحاً .

ساء وضع تشانغ اكثر فأكثر . فقد رفض القيام بالاصلاحات العميقة التي اشار عليه بهـا الاميركيون ، وتأثر اكثر فأكثر بنفوذ العناصر الرجعية . ثم تكاثرت الاعمال المغايرة للقانون، وتعرض الاحرار لقمع بوليسي متزايد العنف . ولعل السياسة المنتهجة حيال الولايات المتحدة كانت ، قبل تفاقم الحكم الدكتاتوري والفوضى الاقتصادية والبؤس الناجم عن التضخم المالي ـ كان الدولار الاميركي يعادل ٢٠ دولاراً صينياً في السنة ١٩٤١ ، فبات يعادل ١٢ مليوناً في السنة ١٩٤٨ ـ العامل الحاسم في انفراد القائد العام . فبموجب معاهدة « الصداقـة والتجارة والملاحة » الموقعة في ٩ كانون الاول ١٩٤٦ ، استفادت الولايات المتحـــدة من حق التوقف لجيوشها ، وقواعد بحرية وجوية ، وحق جنودهـــا وموظفيها بالتصرف وكأنهم في بلادهم ، والمساواة مع الصينيين لتجارها وصناعييها، وحق الاشراف على تعريفة الاسعار وتنظيم الجمارك، وامتيازات هامة جداً كشركة الطاقات الكهربائية في شنغاي ، والسكة الحديدية بين كانتون وهانكيو ، ومنـــاجم الفحم الحجري ، ومصانع السكر والاسمدة ... وعين مستشارون اميركيون في الوزارات المختلفة. لا بل اعطيت اللجنة الصينية الاميركية المختلطة لادارة صندوق التجهيز واعادة البناء ، في السنة ١٩٤٨ ، حق رقابة الصناعة والمناجم والمواصلات . فكان ذلك عودة النظام نصف الاستعماري الذي توحدت في وجهه الامة. ولم تعد الحرب ضد الوطنيين من ثم حرباً اهلية ، بل حرب تحرر وطني ، على غرار الحرب ضد الحكومات الموالية لليابانيين منذ السنة ١٩٣٩ .

ردّت الانتصارات الشيوعية الوطنيين الى الوراء : حملة سريعة ، « تجلية فريدة من نوعها في التاريخ العسكري العالمي » ، بدأت بسقوط « موكدن » (٨ تشرين الثاني ١٩٤٨) وانتهت بسقوط كانتون في ١٥ تشرين الاول ١٩٤٩ ، اي بمعـــدل ١٠ كلم في اليوم ، تستحق بعض معاركها ، « التي تعتبر نماذج حقيقية للستراتيجية والفن الحربي ... ان تدرس بعنـاية من قبل

ضباط الدول الغربية » (الجنرال شاسين) . انهـــارت مقاومة جيوش تشانغ في منشوريا ، فهرب الكثيرون من الجندية ، والتحقت فرق كاملة مع اسلحتها بالجيش الشيوعي الذي استولى على كميات كبرى من الذخائر والاعتدة الحربية وعلى مصانع كثيرة للسفن ، واستسلم العديـد من الحكام الوطنيين ، كحـاكم منطقة تيانتسين – بكين التي انضم ٢٥ فرقة منهـا الى الجيش الشعبي . ففي اواخر نيسان لم يعد هناك مقاومة وطنيـــة منسقة ، وفي تشرين الاول اعلنت الجمهورية الشعبية الصينية .

٢ – الصين الجديدة

النظام الاقتصادي الجديد

في هذه البلاد التي يبلغ سكانها (تقديرات السنة ١٩٥٨) ٦٥٦ مليون نسمة ، اي ربـــع سكان الكرة الارضية ، بينما لم يبلغوا في الارجح سوى ٤٧٥ مليوناً في السنة ١٩٣١ ، يعيش ٥٠٠ مليون (٧٧ ٪) من الزراعة ، ولا يتجاوز ٤١ ٪ منهم سن الثامنة عشرة . فيغلب من ثم طابع الشباب على السكان الذين يتزايدون تزايداً عظيماً (١٥ مليوناً في السنة). اما مستوى المعيشة فمتدن جداً. وبحسب مبادىء « الديموقراطية الجديدة » ، اعتمدت حكومة مـــاو ، حتى السنة ١٩٤٩ ، برنامجاً لم يكن شيوعياً بكليته في المناطق الواقعة تحت سلطته ؛ فـكان نظام الحكم انتقالياً : تحالف بين صغار الفلاحين والمثقفين والعمال وصغار الملاكين والبورجوازية الوطنية (التي لم تتعاون مـــع الكومنتانغ واليابانيين) ، وانتخابات بالاقتراع العـــام لمجالس البلديات والاقضية والاقاليم والمناطق ، واشتراك كافة الاحزاب والطبقات في الحكم ، واصلاح زراعي وتأميم النشاطات الرئيسية ، مع الاحتفاظ بقطاع حر كبير ، يُبقى فيـــه على كل مشروع لا يرتدي طابعاً احتكارياً . فهو في الاصل نظام اقتصاد مختلط يعمل فيه ، في آن واحد ، قطاع حر وقطاع اشتراكي التنظيم ، وقام فيه قطاع ثالث ، هو قطاع التعاونيات .

في المناطق المحررة تحققت الاصلاحات تدريجياً ؛ فقد جرت الانتخابات ، وعمل الحزب الشيوعي الصيني بفطنة : بالمثل والايحاء و « التفسير » . وهكذا فان الاصلاح الزراعي قـــد جرب في البدء على نطاق ضيق في بعض القرى ولم يشمل المناطق كلها الا بعد نجـاح التجربة . وقد اتاح النقد الذاتي ورقابة الصحافة اصلاح الاخطاء وتجنب الخرق . وعين مسؤولون لنشر التعليم في ادنى درجاته بكافة الوسائل ، وقد طلب احياناً الى المرسلين الاوروبيين تعليم الفلاحين الكتابة والقراءة والحساب . وفرض الشيوعيون انفسهم بالمثل اولاً : ببساطة الملبس ، والغذاء ، شرف الحياة الخاصة ، التأثير ، النزاهة ، قمع التجاوزات . « اجمع الاجانب المقيمون في الصين على اطراء سلوك الشيوعيين المثالي ... واثرت في نفسهم ببساطة الموظفين والجنود ونزاهتهم ... لقد زالت السرقات والمحسوبيات والاقتسارات التي رافقت ممارسة الادارة والقضاء منذ قرون طويلة » (بريو) .

الاصلاح الزراعي

ان اول اصلاح اساسي اجري في هـــذه البلاد التي تعتبر ، بفضل سكانها الريفيين ، الدولة الزراعية الاولى في العالم ، هو الاصلاح الزراعي الذي تناول مساحة توازي مساحة فرنسا مرة ونصف المرة . وقد افضى الى « اعظم عملية توزيـع زراعي في التاريخ » .

لم تستهدف التدابير المتخذة ابان الحرب سوى زيادة الانتاج وتحسين وضع الفلاحين دون ادخال اي تغيير على نظام الارض القانوني . ومنذ السنة ١٩٤٦ صودرت امـــلاك الاسياد والاملاك الفائضة عن حاجـة اثرياء الفلاحين ووزعت على الفلاحين ، وفي السنة ١٩٤٧ ، عمل بقانون زراعي في كافة المناطق التي يحتلها الشيوعيون . وبعد قيـــام الجمهورية الشعبية ، عمل بقانون ٢٨ حزيران ١٩٥٠ الذي اعطى مزيداً من الحريات لان الوضع الاقتصادي كان حرجاً . وقد ادت الحرب الاهلية ، وقنابل المدفعية ، والجماعات ، واعمال صيانة السدود الى تخفيض الانتاج تخفيضاً اثار القلق والذعر . وكان لزيادة الدخول القروية اهمية اولية اذ انها الشرط الاساسي لتحقيق التصنيـع : فان قدرة الفلاحين المتزايدة على الشراء سوف تفتح الاسواق امام الصناعة ، كما ان ادخاراتهم ، التي يسرها الغاء الكراءات المرتفعة ، سوف توظف اخيراً في الصناعة . وكذلك سوف يصدر فائض الانتاج الزراعي بغية الحصول على النقد النادر الذي يتيح شراء المعدات التجهيزية . فالواجب يقضي من ثم بحماية اقتصاد « الفـــلاح الثري » ، الذي ينتج للاسواق التجارية اكثر من سواه . وانطلاقاً من هـذا المبدأ ، لم تصادر منذئذ سوى ممتلكات الملاكين العقاريين في الارياف ، اي ممتلكات اولئك الذين يعيشون من عمل الاجـــراء او من فوائد كراءاتهم ، واراضي الجماعات الدينية والاوقاف التقوية التي تحملت الحكومة الاعباء الاجتماعية المطلوبة منها . فاحتفظ الفلاحون الاثرياء (الذين يحققون ٢٥ ٪ من دخولهم من « الاستثمار ») بالاراضي التي يزرعونها ، ولم يفقدوا سوى تلـك التي يؤجرونها . وبقيت الاحراج والبحيرات ومغارس الشاي الكبرى ، والمشاتل ، والمزارع النموذجية ، ملـكا للدولة . فكانت هـــذه التدابير مرحـــلة نحو النظام الشيوعي ، يجب ان تدوم طالما لا تستخدم الآلات في الزراعة استخداماً كافياً لاعتماد طرائق الاستثمار الجديدة على نطاق واسع . اما المستفيدون من الاصلاح فكانوا الفلاحين الفقراء ، والاجراء ، والفلاحين المتوسطين احياناً ، ولكن التوزيـع لم يكن متساوياً ، اذ ان مصالح الانتاج قد روعيت مراعاة كبرى . فان نصيب من يملـك المواشي والادوات ويحسن الزراعة كان اكبر من نصيب سواه .

التأميات

ان التصنيع ، شأنه في كافة البلدان المتخلفة ، هو شرط الاستقلال وتحســين مستوى المعيشة ، وهو حاجة اشد الحاحاً في بلاد مرتكزها الزراعة بفعل تزايد سكانها تزايداً مطرد السرعة . لقد أدى الحرص على تنمية الانتاج تنمية سريعة ، ومراعاة جانب « الرأسماليين الوطنيين » ، والافتقار الى مديري الاعمال والفنيين ، الى قيـــام اقتصاد مختلط واعتماد سياسة مصادرة وسائل الانتاج بصورة بطيئة وتدريجية ، وابقي على رأسمالية

خاصة معينة وغض الطرف عن « كسب عادل » . ولم تؤمم سوى المصارف والمشاريع الرئيسية التي كان معظمها ملك يمين رجال حكم الكومنتانغ ـ الم تشرف العائلات الاربع الكبرى، تشانغ، وكونغ ، وسونغ ، وشن ، على ٥٠ بالمائة من الصناعـــة النسجية ، و ٦٥ بالمائة من الكهرباء ، و ٣٥ بالمائة من استخراج الفحم الحجري والرصاص ؟ ولم يمثل القطـاع المؤمم في السنة ١٩٥٢ ، سوى ٥١ بالمائة من مجموع الانتـــاج الصناعي ، وفي النصف الاول من السنة ١٩٥٥ ، سوى ٦٢٫٣ بالمائة . فما زال هناك من ثم قطاع خاص في الصناعات الغذائيـة والنسجية ـ ١٣٠ ٠٠٠ مشروع تقريباً ـ مثل ، في السنة ١٩٥٢ ، ٤١ بالمائة من الانتاج ، وفي النصف الاول من السنة ١٩٥٥ ، ٢١٫٧ بالمائة . وما زال هناك اخيراً ، بالاضافة الى قطاع الصناعة اليدوية ، الذي ابقي عليه استدراكاً لكل بطالة ، والتعاونيات الريفية والقروية ، قطاع مشترك يسهم فيه الرأسمال الخاص والدولة ، بشكل كراء ابنية وثروات وطنيـــة ، كالمناجم والملاحات التي يستثمرها الملتزمون من بين الافراد بصورة عامة . أما التجارة ، فقد بلغ نصيب اجهزة الدولة والاجهزة التعاونية منها ٨٩ بالمائة بالنسبة لمجموع تجارة الجملة في السنة ١٩٥٥ ، وكانت التجارة الخارجية وقفاً على اثنتي عشرة شركة رسمية تشرف على الواردات والصادرات بواسطة الاجازات .

القطاع التعاوني

نما القطاع التعاوني نمواً كبيراً في الصناعة الصغرى والصناعة اليدوية ، وفي الزراعة ايضاً حيث يتوجب على التعاونيـــة ان تؤمن ، دون صعوبات ، انتقـــال الملكية الخاصة الى الملكيـــة الجماعيـــة . امـا الصيغ المعتمدة فكانت اكثر مرونة منها في ديموقراطيات اوروبا الشرقية : تتألف اولا فرق مساعدة متبادلة موسمية الاعمال المشتركة في مواعيد الحصاد والزرع ، ثم تصبح هـذه الفرق دائمة وتتحول الى تعاونيات انتاج . ولكنها « نصف اشتراكية » لان ايراد الارض عرف البقاء والدخل توزع بين كراء الارض المستثمرة والعمل . فهي تختلف عن المزارع التعاونية بهذا الفارق اولاً، وبأبعادها الصغرى ثانياً. فقد شملت التعاونيات الزراعية في اول عهدها ٦٠٠ هكتار من الارض الزراعية، اما هنا فلا تضم التعاونية سوى بعض العائلات ـ قرابة العشرين ـ وقدراً مماثلاً من الهكتارات، وتتيح من ثم اعتماد تقسيم العمل وتطبيق التقنيات العصرية تطبيقاً افضل، والاستفادة من ملايين الهكتارات التي تمثلها الطرائد الضيقة الفاصلة بين قطع الارض الفردية ، وتنشيط اعمال الري ، والسدود ... ، و « تلاشي الفردية في مستوى العمـــل اليومي وفي اطار محدود » ، وتؤلف مدرسة يتعلم فيها الفلاحون العمل الجماعي . فكانت النتائج المحققة مشجعة جداً ، اذ ارتفعت نسبة العائلات القروية في التعاونيات الى ٩٠ بالمائة في السنة ١٩٥٥ . وتعتبر التعاونية اشتراكية وتصبح مزرعة تعاونية حقيقية حين يزول الايراد العقاري وتوزع الارباح الصافية بنسبة العمل المؤدى فقط . ففي اواخر السنة ١٩٥٥ ، كان هناك ٢٦٠ ٠٠٠ تعاونية من هـذا الطراز ضمت ٥٦ بالمائة من العائلات القروية . وفي منتصف السنة ١٩٥٦ لم يبق سوى ١٠ ملايين عائلة قروية من اصل ١٢٠ مليوناً ، خـــارج النظام الجماعي . ومن المفروض ، في المستقبـــل ، ان تنمو

التعاونيات وتتسع بحيث تصبح مساحتها موافقة للعمل الآلي والجرارات . ولكن هذه الاخيرة لن تخرج من المصانع باعداد كبرى الا في المرحلة الاخيرة من الخطة الثانية . وهكذا . فان التعاونية ، على نقيضها في الديموقراطيات الشعبية الاخرى ، قد تقدمت الجرارات في هذه البلاد ، و « تقدم الاصلاح الاجتماعي الاصلاح التقني تقدماً كبيراً » (رنيه ديمون) . وقد ساعدت مزارع الدولة ، والمحطات الاختبارية ، ومراكز الابحاث الزراعية التي تعمم التقنيات العصرية ، وتأسيس مصرف الصين الزراعي (١٩٥٥) ، الذي وزع قروضاً لآجال قصيرة أو طويلة ، وتعاونيات الاقراض ، على تحسين الانتاج ورفع مستوى المعيشة. اضف الى ذلك الاعمال المائية : السدود التي تحمي من الفيضانات ، والتحريج الضروري لبلاد لا تبلغ مساحة احراجها سوى ٥ بالمائة من مساحة اراضيها ، واعمال الري ، واستصلاح ٣٠ مليون هكتار من الاراضي البائرة في الشمال الشرقي والشمال الغربي وجبال الجنوب الغربي .

تمارس الدولة رقابة تنسيقية على هذا الاقتصاد المركب المنطوي على اشكال نشاط مختلفة جداً . فمن حيث هي سيدة التجارة الخارجية ومالكة الصناعات الرئيسية ومصادر الطاقة ، تتوفر لديها وسائل عمل قوية تضاف اليها سياسة مالية تتيح لها التأثير بصورة فعالة على الاستهلاك والانتاج على السواء . وتستفيد اكثر الصناعات نفعاً من القروض وتخفيف الاعباء الجبائية وطلبيات الدولة . وتتوفر هذه الاخيرة بالتخطيط الطويل الأجل ايضاً . فان الخطة الخمسية الاولى قد استهدفت ، على غرارها في الديموقراطيات الشعبية الاخرى ، تحويل هذه البلاد الزراعية ، المتخلفة تقنياً ، الى بلاد صناعية ؛ وقد شددت من ثم على تنمية الصناعة الثقيلة والمواد الانتاجية : فحم حجري ، طاقة ، فولاذ ، آلات . وبالرغم من الحاجة الماسة الى الاختصاصيين على مختلف درجاتهم ، ومواجهة بعض الصعوبات (الحاجة الى الفحم الحجري بصورة خاصة) ، وقلة الاتاء والريع بسبب سوء الاحوال الجوية والفيضانات في السنة ١٩٥٦ ، فقد تخطيت الاهداف المرسومة لها . وان النجاحات المحققة في الصناعة ، ولا سيما الصناعة الفولاذية والكيميائية ، وسرعة نمو شبكة وسائل النقل (بفضل الجسر العظيم الذي يبني فوق الـ « يانغ – تسي » في ووهان واتسع لخط حديدي وطريق واسعة) والشروع في بناء سد « سانمن » الكبير (على الـ « هوانغ هو ») الذي سوف يضع حداً لفيضانات النهر ويزود بالطاقة المراكز الصناعية الكبرى في المنطقة الوسطى ، لشاهد على هذا التطور الذي جعل من الصين منذ اليوم الدولة الصناعية الثانية في آسيا ، بعد اليابان . واخيرا وزعت الخطة الصناعات توزيعاً اكثر صوابية من ذاك الذي اقامها ، تحت التأثير الاجنبي ، على مقربة من السواحل . فقد شرع جدّياً في اواخر السنوات الخمس بانشاء مراكز جديدة في جوار مصادر الطاقة والموارد المنجمية في الشمال والشمال الغربي والوسط : بارتوف ، ووهان ، شو ـ تشيو ، شونغ – ونغ ، لان – تشيو ، في مناطق شنسي ، ومنشوريا وشنيانغ ، و « انشان » بصورة خاصة .

ظروف الحياة الجديدة

أصبحت الصين بلاداً تكاثر فيها الاملاك القروية الصغيرة والمتوسطة . فبينما كان ١٠ ٪ من السكان يملكون من قبل ٧٠ – ٨٠ ٪ من الارض ، ارتفعت نسبة الملاكين اليوم الى ٨٠ ٪ من السكان في الشمال الشرقي ، و ٧٠ ٪ في الشمال . وقد استفاد ٧٠ مليون عائلة قروية من تقسيم ١١٠ ملايين هكتار (بمعـــدل ٣/٢ هكتار للعائلة الواحدة) . وقد ادى زوال الكراء والمرابحة ، وتخفيف عبء الضرائب الى زيادة قدرة الفلاحين الشرائية بنسبة ٥٠ ٪ . ولكن كثافة سكان الارياف مرتفعة جداً ، ولا مناص من نقل جزء من هؤلاء السكان الى قطاعات نشاط أخرى ، بعد اخذ استثمار الاراضي الجديدة بعين الاعتبـار . من جهة ثانية استتبع تقدم التصنيع منذئذ تأخر الصناعة اليدوية ، وخفضت انطلاقة تعاونيات الاستهلاك ، اكثر فأكثر ، عدد صغار تجار التفصيل . فتوجه فـائض السكان هذا نحو الصناعة والمدن . وارتفع سكان المـدن بنسبة ٤٠ ٪ بين السنة ١٩٥٠ والسنة ١٩٥٣ ، ولكن عددهم لم يبلغ آنذاك سوى ١٤،٢ ٪ من مجموع السكان . لقد تقدمت المـدن القديمة ، وبلغ عدد سكان بعض المراكز الصناعية ، شأن المدن السيبيرية ومدن الاورال ، ثلاثـــة اضعافه واربعة اضعافه خـــلال خمس سنوات ، اي بين السنة ١٩٤٨ والسنة ١٩٥٣ : قفـز في « فو – شون » من ٢٢٠ ٠٠٠ الى ٦٩٣ ٠٠٠ ، وفي انشان من ١٢٠ ٠٠٠ الى ٦٢٠ ٠٠٠ . وفي السنة ١٩٥٦ ، احصي في الصناعة زهاء ٢٤ مليون اجير . وتدخلت النقابات في تنظيم العمـل ، فوضع من ثم نظام ادارة مختلطة بفضل لجان المشاريع التي تعـاونت مع المديرين على التنظيم ، وبفضل العقود الجماعية ، وخفضت ساعات العمل من ١٤ او ١٦ الى ٨ او ١٠ ، ووضعت الجـــداول بالأجور بالاستناد الى اسعار السلع الضرورية (الذرة البيضاء في الصين الشمالية) . واخيراً اتاحت سياسة مالية حازمة التغلب على الازمة المالية التي خلقها حكم الكومنتانغ وتثبيت الاسعار . « بالنسبة الى الوضع في السنة ١٩٤٩ ، كان الاصلاح المالي نجاحاً كبيراً جداً » (ج. شاردونيه) .

بيد ان مستوى معيشة الفلاحين والعمال بقي متدنياً جداً ، والاجور قليلة الارتفاع ، وتقدم الانتاج الزراعي بالنسبة للسكان بطيئاً ومتواضعاً : اقل من ٢ ٪ في السنة . فنجم عن ذلك ان فلاحين كثيرين لم يجدوا لهم عملاً كافياً في الارياف نزحوا الى المدن المكتظة بالسكان . لقد ارتفع مستوى معيشة مجموع السكان بالنسبة للسنوات التي سبقت ١٩٤٩ : وقد تجلت البساطة بمثالة اللباس القطني الازرق الذي يرتديه الرجال والنساء ، ولكن البطالة توقفت ، وارتدى كافـــة السكان ثياباً محتشمة ؛ وخلا المجتمع من ملايين المعوزين والمتسولين والبغايا . وفي الوقت الذي اعلنت فيه الحرب على البؤس ، بذلت الجهود لتطوير الاخـلاق ، ولا سيما لتحرير المرأة – التي ربما كانت أكبر مستفيد من كافة التطورات التي شاهدناها في العـــالم كله – : مساواة تامة بين الزوجين ، وحدة زواج إلزامية ، انقلاب عظيم في العائلات بفضل ابطال العرف القاضي باخضاع الزوجة للحماة ، اعلان مساواة حقوق الجنسين في الدستور ، حق المرأة في التعليم الوسيط والعالي وفي تولي الوظائف ، رقابة النسل (منذ ١٩٥٥) . ولعل أكبر مجهود يلفت الانتبـــاه تنمية

التعليم العام في كافة درجاته (٥٧ مليون تلميذ في المدارس الابتدائية ، اي ، منذ الآن ، ٧٠ بالمائة من عدد الاولاد البالغين سن الدخول الى المدرسة) ، مع انه ما زال ابعد من ان يستجيب لشغف المعرفة النادر المتجلي في كافة انحاء البلاد ؛ وقد اتخذت بالموازاة بعض التدابير لتحسين الحالة الصحية وتخفيض نسبة الوفيات : حملات تلقيح حالت منذ السنة ١٩٥٠ دون انتشار اوبئة الجدري والتيفوس والطاعون ، حملة ناجحة على القذارة ، والذباب ، والبعوض ، والجرذان .

وحدة الصين

تخلصت الصين الشعبية ، بفعل الحرب ، من المعاهدات غير المتساوية ، واصبحت سيّدة على اراضيها البرية – باستثناء اقليم كو – لون البريطاني المواجه لهونغ – كونغ ، واقليم ماكاو البرتغالي – فأزالت النفوذ الاجنبي في الحقل الاقتصادي بتأميم الصناعات ، وفي الحقل الثقافي والروحي بطرد المرسلين الاجانب . وانتهجت سياسة مماثلة لسياسة الاتحاد السوفياتي حيال الاقليات القومية والدينية ، ولا سيما الاقليات الاسلامية ، التركية اللهجات ، المستوطنة سن – كيانغ ، وكان – تشيو ، وجزءاً من يونان : اسهمت في الاصلاح الزراعي واعتمد العديد من البدو الرحل الحياة الحضرية ، وبيعت اصوافها من « المخازن الشعبية » بدلا من التجار السابقين ، وصدرت صحف ومجلات باللغات المغولية والويغورية والقازاخستانية والتيبتية ، ووزعت المدارس التعليم على كافة درجاته باللغات نفسها ؛ وانشئت اخيرا بعض المناطق المستقلة استقلالاً اداريا : منغوليا الداخلية ، سن–كيانغ (ويغور) ، التيبت . فليست الجمهورية الصينية من ثم دولة اتحادية ، وبرلمانها يتألف من جمعية واحدة .

من الصعوبات الكبرى التي اصطدم بها النظام نقصان الموظفين المسؤولين والفنيين والمثقفين اللازمين لادارة هذا المشروع التجديدي والتطويري الكبير . وهذا هو سبب الاهمية الكبرى التي أعيرت تنمية التعليم في كافة درجاته ونشر المعارف التقنية والعلمية . وقد افضت الجهود المبذولة لتجديد اللغة ، في السنة ١٩٥٦ ، الى توحيد لغة الكلام ؛ واصبحت لهجة بكين (المندرينية) الواسعة الانتشار لغة التعليم في المدارس ، واستعملت في الاذاعات ، ومهّدت بعض الابحاث لتبسيط الكتابة بحيث ينخفض عدد الاحرف من ٤ – ٥ آلاف الى ٥٠٠ او ٦٠٠ حرف تقريباً ؛ ولحظ كذلك اعتماد الابجدية اللاتينية تدريجياً . فقد يُقضى بذلك على الامية خلال بضع سنوات .

توحد الكتلة الصينية ـ السوفياتية

بالرغم من خيبة الآمال التي عانتها الحكومة الاميركية على حكومة تشانغ كاي ـ شك ، أصرت الولايات المتحدة ، بعد هزيمة محميّها النكراء ، على مساندته في جزيرة فورموزا حيث يقيه الاسطول الاميركي من كل هجوم ، وفي منظمة الامم المتحدة حيث احتفظ نظام الحكم الساقط بمركز دائم في مجلس الامن . وقد حال رفض الحكومة الشيوعية الاعتراف بشرعية

التعهدات التي التزم بها تشانغ ، والسياسة الرادعة ، والحرب الكورية وما رافقها من تدابير حظر تناولت عدة مئات من المواد « الستراتيجية » ، دون قيام علائق اقتصادية طبيعية بين الصين ودول العالم الاخرى . الا ان الولايات المتحدة لم تستطع ان تفرض على حلفائها ضرب حصار شامل ؛ فمنذ السنة ١٩٥٠ ، اعترف الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية ، ثم بريطانيا العظمى وبورما والهند وباكستان بالنظام الجديد ، وسوف تعترف به فرنسا في السنة ١٩٦٤ . ولكن هذا الحظر قد أعاق اعادة بناء الاقتصاد الصيني اعاقة كبرى ؛ فولت الصين وجهها شطر الاتحاد السوفياتي الذي ربطتها به معاهدة صداقة ومساعدة متبادلة لمدة ثلاثين سنة ، بغية الحصول منه على القروض ، وخصوصاً على معدات التجهيز والفنيين . وتعززت كذلك العلائق التجارية بالجمهوريات الشعبية الاخرى . فقد اضطرت الصين والكتلة السوفياتية الى انتاج التجهيزات الواجب شراؤها مبدئياً من الخارج . ونمت العلائق التجارية بين الديموقراطيات الشعبية المختلفة بحيث امتصت العلائق التجارية بين دول الكتلة ٤/٥ مبادلاتها وهبطت نسبة اسهام هذه البلدان في التجارة الدولية الى ٢ بالمائة في السنة ١٩٥٢ . الا ان العلائق بالدول الآسيوية والافريقية كانت آخذة في النمو : فقد نافست القطنيات الصينية القطنيات الهندية واليابانية منافسة كبرى حتى في الشرق الاوسط . كما ان ارتخاء شدة الحصار والمخالفات المتزايدة للوائح المواد المحظرة قد اتاحت زيادة الكميات المشتراة من السويد وسويسرا وبريطانيا العظمى والمانيا الاتحادية وفرنسا .

« الطريقة الصينية »

قبل ان يسلم المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي بتعدد الطرق المؤدية الى الاشتراكية ، وقبل ان يلفت القلق الذي اثارته القطيعة بين الحكومة الهنغارية والشعب الهنغاري انتباهه الى ان « الخلافات مع العدو ، اي مع الرأسمالية » ليست هي الخلافات الوحيدة التي قد تقوم في النظام الشيوعي ، شعر الحزب الشيوعي الصيني بامكان قيام « خلافات داخل الشعب ايضاً » تجدر معالجتها . وعلى نقيض الطريقة التسلطية التي اعتمدتها الحكومة السوفياتية – اقله حتى وفاة ستالين – ، اراد « المذهب الصيني » التغلب على هذه الخلافات بالاقناع والتفهم قبل الاقتسار . وقد سبق ورأينا في سياق هذا البحث ان الطرائق الجديدة المعتمدة منذ قبل انتصار السنة ١٩٤٩ قد وفقت بين مبادىء ماركس ولينين والظروف الخاصة بالمجتمع الصيني وطبقتها بمنتهى المرونة بجنبة البلاد ، التي عانت ما عانت خلال نصف قرن من الحروب الاهلية والحروب ضد الاجانب ، الثمن الغالي الذي دفعته روسيا من اجل تطويرها . ففي رأي ماو ، كما اكد ذلك في خطاب ألقاه في ١٧ شباط ١٩٥٧ ، ان الفائدة كل الفائدة في استمرار « تفتح المائة زهرة في آن واحد » و « تنافس المائة مدرسة » ، ما دامت المقاييس الاساسية الستة مقبولا بها : وحدة القوميات الصينية ، تطوير المجتمع اشتراكيا ، الدكتاتورية الشعبية الديموقراطية ، المركزية الديموقراطية ، قيادة الحزب الشيوعي ، التضامن الاشتراكي الدولي .

القفزة الكبرى الى الامـــام

الا ان فترة الحرية هذه لم تدم طويلاً ، وفي السنة ١٩٥٧ بدأت مرحلة جديدة جذرية من مراحل السير نحو الشيوعية باختيار لا مثيـل له في تاريخ العالم . فان « حملة المائـــة زهرة » قد عقبتها حملة « تقويم » ضد « رجعية » و « اعتقادية » بعض المعارضين . وان العمل الحكومي الذي تميز ابداً حتى الآن باعتدال حقيقي وبمزيد من الفطنة ، قد انتقل فجأة الى التطرف : كان المقصود بلوغ الشيوعية وقطـع المرحلة الانتقالية بمنتهى السرعة ، وذلك بتعبئة الجماهير ، اي بالاستفادة ، ما امكنت الاستفادة ، من هذا الرأسمال البشري الكبير الذي يؤلفه الـ ٦٠٠ مليون صيني . وقـــد توجب « السير على القدمين » اي تأمين خير تناسق بين الانماء الزراعي والانماء الصناعي . فما هو سبب هذا التبدل يا ترى ؟ لا شك في ان سرعة زيادة السكان ، الذين هبطت نسبة الوفيـات بينهم ، منذ السنة ١٩٥٢ ، من ١٧ بالألف الى ١٢ بالألف ، قد استلزمت سرعة زيادة الانتـاج ، ولكن هذه المقررات تصادف في الزمن بداية فتور العلائق الودية بالاتحاد السوفياتي . ففي هذه الفترة اخذ هذا الاخير يقلل من ارسال المعدات الى الصين ويزيد من ارسالها الى الهند ، ورفض الوفاء بوعد قطعه في السنة ١٩٥٥ بايقاف حليفته على سر القنبلة النووية . ومنذئذ عدلت الصين عن الظهور بمظهر التلميذ المنقاد للسوفيات والمقتدي بهم ؛ وطاب لها التحدث عن طرافة حلولها ، بينما انتقد الاتحاد السوفياتي من جهته حركة التصنيع السريعة وانشاء الدوائر الريفية . وفي ربيع وصيف السنة ١٩٦٠ ادت حدة الخلاف الى نزوح ألوف المهندسين والفنيين السوفيات الذين استدعوا الى الاتحاد السوفياتي ، تاركين الاعمال المشروع فيها ومستصحبين التصاميم التي كانوا قد وضعوها . فهل اعتقدت الصين آنذاك بوجوب اعتمادها على نفسها فقط ، ورغبت في تقدم الاتحاد السوفياتي سرعة يا ترى ؟

ارتكزت « القفزة الكبرى الى الامام » — دونما نظر الى الانتـاجية — الى استخدام الثروة الكبرى التي تزخر بها الصين الحالية في اعمال تؤول للمصلحة العامة : اعني بها طاقة اليد العاملة التي لا تستخدم استخداماً كافياً في الارياف . اجل ان الافتقار الى رؤوس الأموال وعدم توفر الفنيين يحولان دون تصنيع سريع الخطى ، وانما يمكن تعبئة ملايين العمال مع ادواتهم المألوفة ، كالمجرفة ووعاء نقل الرمل... من اجل حفر الاقنية والاحواض ، وبناء السدود ، وشق الطرق ، وتنظيف الانهار والمستنقعات للحصول على السماد . وبناء على ذلك تمكن مليون فلاح ، في شتاء ١٩٥٧ — ١٩٥٨ ، من مضاعفة مساحة الاراضي المروية واتاحوا زيادة الانتاج زيادة كبرى . وفي سبيل استخدام موارد اليد العاملة هذه خير استخدام انشئت الدوائر الريفية الصغرى التي تضم زهاء ثلاثين تعـاونية قروية (٢٠٠٠ عائلة تقريباً ، اي حوالي ١٠ ٠٠٠ شخص) في تجمع لامركزي يتمتع بحرية مبادهة كبرى من اجل استخدام اليد العاملة والخامات جهد المستطاع ، وتحسين الانتاج ، وسد حاجاته الخاصة . فنظمت حياة جماعية وانشئت محلات لبيع المأكولات والمشروبات ، وحدائق وملاجيء نهارية للاطفال ، وحمامات عامة ، ومـآو للعجزة ، وذلك

بغية تخليص المرأة من اعبائها المنزلية واستخدامها في الاعمال الآئلة الى الخير الجماعي.ثم امتدت الحركة بسرعة مدهشة الى المدن حيث انشئت « دوائر مدنية صغرى » كان الهدف منها جمع الاشخاص البطالين ، وتنظيم الاستهلاك بواسطة محلات بيع المأكوت والمشروبات ، ومحاربة الاسراف . الا ان المشروع ، الذي ارتجل ارتجالا كما يبدو ، قد انتهى ، بعد ثلاث سنوات ، الى فشل ذريع .

منذ السنة ١٩٦٠ بدأ التراجع التدريجي : نزعت من الدوائر الصلاحيات الواسعة التي اعطيتها في السنة ١٩٥٨ ، وحلّت محلها الشراذم (٧٠٠ ٠٠٠) ، وهي دونها عدداً الى حد بعيد ، ثم « فرق الانتاج » (٤ ٢٠٠ ٠٠٠) التي اصبحت الوحدات الانتاجية الحقيقية . الا ان الحياة الخاصة لم تخضع قط لنظام جماعي (كما يشهد بذلك « جلبير اتيان » و « رنيه ديمون ») ، وليست منامات الرجال ومنامات النساء في ابنية مشتركة كبرى ، وتناول ٥٣٠ مليون صيني وجبات طعامهم في محلات بيع المأكولات ، وتربية الاطفال بعيداً عن والديهم في الملاجىء النهارية ، سوى من نسج الخيال ، ولكن سرعة هذا التنظيم الجماعي تطلبت من الجميع جهداً مفرطاً لم يلبث ان لاقى الحماس . وهو من ثم فتور الجهد ما ادى الى الفشل ؛ ويضاف الى ذلك ان الاختبار قد أفسد ببلايا طبيعية تمادت ثلاث سنوات (جفاف وفيضانات تسببت في ازمة غذائية كبرى وأوجبت تقنيناً صارماً) ، والافتقار الى مسؤولين ذوي خبرة ، وعدم أهلية اولئك الذين سلموا زمام ادارة المشروع . وقد أدت كافة هذه العوامل الى ابراز مساوىء الجهاز الاداري وتشويش الانتاج .

في الحقل الصناعي ايضاً اتصفت حركة الانتاج بسرعة محمومة : استمر انشاء الوحدات الصناعية الكبرى ، واكثر في الوقت نفسه ، في المناطق الريفية ، من المشاريع الصغرى المتوسطة التي لا تستلزم عدداً كبيراً من المسؤولين والفنيين ، والتي تستخدم محلياً اليد العاملة المتوفرة وتخفف من عبء وسائل النقل : مصانع احذية واسمدة واسمنت ، وخصوصاً استثمار مناجم الحديد والفحم الحجري الكثيرة غير المستثمرة ، وجمع نفايات الحديد واحداث اكثر من ١٣٠٠٠ فرن يتراوح ارتفاعها بين مترين وثمانية امتار . تلك هي حملة « الفولاذ الشعبي » التي انتجت كثيراً من الحديد المصبوب والفولاذ ، المتدني النوعية في اغلب الاحيان ، الذين كان ثمنها تبذيراً كثيراً في المعدن والطاقة . الا ان ميزان الحساب لم يكن سلبيا : فغالباً ما استبدلت هذه المصاهر الريفية بمصاهر عصرية صغرى ايقظت صناعة الآلات الزراعية الريفية ، واوجدت صناعات تستخدم الخامات المحلية دون غيرها ، وتمولها موارد الدائرة الاقليمية ، ويوفر العمل للفلاحين الكثيرين الذين لا عمل لهم . « لم يكن الفشل كلياً ، ولكن الفارق بين الاهداف والنتائج كان كبيراً » .

اذن توجبت العودة الى الاعتدال واعادة ضبط الاقتصاد بالاستفادة من الخبرة المكتسبة . الا ان الاقتصاد الصيني – الذي استعاد عافيته – بعد الاضطراب الناجم عن « القفزة الكبرى الى الامام » – ما زال بالرغم من ذلك اقتصاداً هشاً سريع العطب ، لانه سيبقى ، لمدة طويلة ، رهين الزراعة غير المنتظمة الانتاج تحت تأثير عوامل طبيعية كثيرة : جفاف ، فيضانات ، اعاصير ؛ فالى هذا يرد الاهتمام الذي اعيرته اعمال رقابة تصريف المياه والري ، واعادة التحريج ، واحياء الاراضي البائرة وان نقص الانتاج الزراعي في السنة ١٩٦٠ قد ارغم الصين على استيراد كميات كبرى من الحبوب باسعار مرتفعة ، ولكن كمية المواد الغذائية والمواد الاولية الزراعية المنشأ قد تزايدت منذ حصاد السنة ١٩٦٢ ، فالغي التقنين وتحسن تصدير الارز . وتوجب كذلك ايثار الاغناء الزراعي على الصناعة الثقيلة واحلال انتاج المواد الاستهلاكية في المرتبة الاولى . ويرد ذلك الى ان عدد السكان الذي ربما جاوز ، بحسب التقديرات ، ٧٠٠ مليون نسمة منذ السنة ١٩٦٢ ، وقد يبلغ المليار في السنة ١٩٨٠ ، يزداد بسرعة مطردة ، بالرغم من السياسة الهادفة الى تحديد النسل (عدم اعطاء اي تعويض عائلي ، واية فائدة اخرى بعد الولد الثالث ، اظهار مساوىء الزواجات المبكرة ، تشجيع وسائل منع الحمل) .

الميزان الاقتصادي والاجتماعي

تقدمت النهضة الصناعية تقدماً مستمراً . فان المصانع الصينية قادرة اليوم على انتاج معظم الآلات والتجهيزات الضرورية ، والمصنوعات الكيميائية الهامة ، وقد نشأت اخيراً صناعة نووية فجرت قنبلتها الاولى في تشرين الاول ١٩٦٤ . وان في ذلك لدليلاً واضحاً على ان الصين قد احتلت مكانها في الصف الاول بين الدول العظمى . فقد كتب « روبير غيلين » في السنة ١٩٦٤ ، بعد انقضاء تسع سنوات على رحلة رجع منها بانطباعات تشاؤمية نسبياً ، ما يلي : « انتصر النظام على كافة الآفات القديمة : فساد ، فوضى ، مرض » ، وارسخ « التغييرات الخارقة » المحققة منذ السنة ١٩٥٥ : وحدة الصين ، تربية ، نزاهة ، اخلاق ، صحة (الاذبة لم تعد) ، والصينيون « يأكلون اليوم حين يجوعون » ؛ وانتصر على المعارضة (او اقنعها) « بخلقه سبعماية مليون مطيع » !

ان طرافة هذه الطريق الصينية نحو الشيوعية ، ومدى تحقيقاتها ، وسرعة تحول هذه الامبراطورية الآسيوية المستضعفة والمذلة الى دولة صناعية عصرية كبرى ، بفضل جهود وتضحيات عسيرة طلبها من شعب نشيط وصبور وحاذق زعماء يتحلون «باخلاق نادرة ، وذكاء ، وواقعية» وتصلب ومرونة معاً » (ج. ايتان) ، لتضفي على مثلها اهمية ثورية دونها اهمية مثل الاتحاد السوفياتي .

الخلاصة

ان المجال البري والاقتصادي والسياسي العظيم ، الذي قُدّر للنشاطات المخطط في الديموقراطيات الشعبية المختلفة ان تتنسق فيه ، والذي يضم ثلث سكان الكرة الارضية ، قد رأى وحدته العقائدية تتصدع بفعل الانشقاق الكبير الذي ما زال يباعد منذ السنة ١٩٦٠ بين الاتحاد السوفياتي والصين . وكانت النتيجة تراخياً في الروابط التي قامت بين الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية الاوروبية وتشوشاً في الاحزاب الشيوعية المختلفة المنتشرة في العالم . ولكن ذلك لم يمنع العالم الشيوعي من استهواء شطر كبير من الطبقات العمالية في الغرب، والبلدان الآسيوية والافريقية . فقد اخذ الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية تخرج من عزلتها وتقدم للدول غير النامية مساعدتها التقنية والمالية ؛ وان الشروط التي تضعها لذلك تفضل شروط الدول الاطلسية التي لا تبحث شركاتها ، الحريصة على تحقيق كسب جزيل وفوري ، الا عن استثمار المناجم والبترول ، وشروط « مصرف التصدير والاستيراد » الذي لا يمنح قروضاً لا فائدة منها للصناعة والتجارة الاميركيتين . وكان المثل الصيني بصورة خاصة جليل الفائدة بالنسبة لهذه الدول ؛ فلا الدول الاستعمارية القديمة التي رفضت ان تطبق في ما وراء البحار مبادئها الحرة ، ولا الولايات المتحدة التي لم يأت نظامها الاقتصادي الحر بجديد من اجل رفع مستوى معيشة الجماهير الآسيوية ، والتي تطمع في ان تفرض عليها مرة اخرى حكومات عاجزة وفاسدة في اغلب الاحيان ، ولا الاشتراكية الغربية التي لم تسلك سلوكاً يختلف عن سلوك الاحزاب الاوروبية الاخرى في ماليزيا او الهند الصينية ، اوحت لها بالثقة . وهذا هو ما يفسر عظمة نفوذ الصين في آسيا وفي كافة البلدان التابعة ، بالرغم من الانشقاق الذي شطر العالم الشيوعي شطرين . فالصين قدوة وهداية لشعوب العالم الثالث التي تعاني من التأخر الذي تعيض هي منه . وكل يوم تقصدها وفود آسيوية وافريقية واميركية – جنوبية بغية درس منجزاتها محلياً ، ويختلف الى جامعاتها طلاب افريقيون وآسيون بغية تعلم طرائقها ؛ وتنتشر بعثاتها الدبلوماسية والتجارية في العالم اجمع . ومنذ اليوم تستفيد من مساعدتها الاقتصادية او قروضها او هباتها الجمهوريات الجديدة في افريقيا السوداء ، ومعظم دول جنوبي شرقي آسيا الحيادية ، ودول الشرق الادنى ، وكوبا والبانيا . وتحاول بعض البلدان : غينيا ، ومالي ، وحتى الهند – بالرغم من النزاع الدبلوماسي والعسكري الحاد بينها وبين الصين – التمثل بتعبئة الجماهير المنظمة في الصين من اجل تنفيذ اعمال تقتضيها المصلحة العامة .

الكتاب الرابع

حول البلدان التابعة والبلدان الخاضعة للاستعمار

الفروق الاجتماعية لم تكن بالمساوىء الوحيدة التي عيل صبر الناس بها ، فقد برموا بالأكثر من الفروق العرقية والعنصرية اذ استأثرت قلة من العنصر الابيض ، في اوروبا واميركا بخيرات الارض واختصتها بنفسها . فقد اخذت جماهير الشعوب الملونة ، او المتخلفة التطور التي تؤلف الشطر الاكبر من البشرية — اسوة بالطبقات العمالية والفلاحيـــة — تخرج من سلبيتها وللتدمر لوضعها ، اذ قد هبت على العالم اجمع حركة تحرر تمطت في ثنايا شعوب اميركا وآسيا وافريقيا ، المستعمرة منها او المستقلة مبدئياً ، وأخذت تشرئب بنفوسها الى الحرية والاستقلال .

الفصل الأول

أقطار أميركا اللاتينية

فقد نأت بعيداً ، في نصف القرن الاخير ، اقطار اميركا الجنوبية واقطار اميركا الوسطى بهذه الازمة الاقتصادية التي رزحت تحتها وقلبت ظهراً لبطن اوضاعها الاقتصادية والسياسية وهي لا تدري من اسبابها ومسبباتها شيئاً . فقد اتخذت المشكلات الخاصة بالبلدان المتخلفة اقتصادياً طابعاً حاداً في اعقاب حربين عالميتين وضائقة اقتصادية اخذت بخناقها . وقد ازدادت بؤساً وشقاءً من جراء الازدهار الديموغرافي الذي سجل فيها اكبر معدل عرفه العالم من قبل ، والبنيان الاجتماعي البدائي الذي قام فيها . وتفاقم الوضع وزاد حرجاً من جراء العراقيل والصعوبات التي لقيتها في استثمار خيراتها لافتقارها لرؤوس الاموال اللازمة ولليد العاملة الصالحة مما زادها تبعية وارتباطاً بعجلة الدول المستعمرة الكبرى في نصف الارض الغربي .. فقد حيل بين هذه الاقطار عام ١٩٤٠ كما حيل بينها عام ١٩١٤ ، والى حد ما عام ١٩٣٠ ، كلياً او جزئياً ، بين زبائنها وعمولييها من هذه الدول الاوروبية . فقد اضطرت للإتكال على نفسها او التعويل على دول جديدة في ما يساعدها على تأمين حاجاتها او تطوير انتاجها تأميناً لمقتضيات الحرب ومتطلباتها . وهكذا خضع التطور الاجتماعي فيها لتغييرات جذرية ، اذ ظهرت عندها طبقة صناعية جديدة ، كما اخذت طبقة العمال العاملة في الصناعة الكبرى تزداد اهمية وشأناً مما ادى الى المزيد من الضغط الاجتماعي والعرقي واخذت تبرز بصورة اشد وأعنف روح التمرد على السيادة الاجنبية . وبالرغم من هذا كله ، فقد بقيت الاقطار الواقعة الى الجنوب من نهر ريو غراندي في اميركا اللاتينية ، في وضع نصف استعماري ، بالرغم من كل الجهود التي بذلتها والنتائج الطيبة التي حققتها .

١ – المشكلات الاجتماعية والاقتصادية

المشكلات السكانية والتمدينية

شهدت القارة الاميركية الجنوبية ، اكثر من اي قارة اخرى في العالم ، اكبر زيادة في السكان تمت في أي بلد آخر ، اذ ارتفع عدد السكان منذ عام ١٩٢٠ من ٩٤ مليون نسمة الى ١٣٤ ٥٠٠ ٠٠٠ عام ١٩٣٧ ،

ليبلغ ، عام ١٩٦٣ ، اكثر من ٢٠٠ مليون . وكانت نسبة الزيادة ٣٨٫٥ ٪ في السنوات الخمس عشر الاخيرة ، وارتفع هذا المعدل الى ٥٢ ٪ في فنزويلا والى ٤٥ ٪ في المكسيك . وهو أكبر من اي معدل سجل في اي بلد آخر في اي من القارات الخمس (مصر ٣٣٫٧ ٪ ؛ كندا ٣١ ٪ ، البلاد الواطئة ٢٠٫٥ ٪ – وهو أعلى معدل سجلته اوروبا – ، والهند اقل من ٢٠ ٪) . ويأتي البرازيل في الطليعة اذ بلغ عدد سكانه ٤١ ٢٣٥ ٠٠٠ نسمة في احصاء عام ١٩٤٠ ، و ٦٥٫٧ مليون ، في احصاء عام ١٩٦٠ . وبذلك زاد عدد سكانه ٢٥ مليون نسمة في ٢٠ سنة ، مع الهجرة الى البلاد بين ١٩٤٥ – ١٩٥٠ ، كانت في حكم العدم ، واقتصرت على بضعة آلاف بين ١٩٤٥–١٩٥٠ . وفي الارجنتين ، ارتفع عدد السكان من ١٣ ٥٠٠ ٠٠٠ عام ١٩٣٧ الى ٢٠ مليون ، عام ١٩٢٠ ، كما ان عدد سكان المكسيك بلغ ٢٢ مليون ، بعد ان كان عددهم ١٩ ٦٠٠ ٠٠٠ عام ١٩٣٩ ، وجاء معدل الزيادة في كل من الشيلي وجزر البحر الكريبي على هذه النسبة . ومع ذلك فقد بقيت كثافة السكان في القارة متدنية جداً اذ لا تزيد على ٧ في مجموع القارة ، وهي في حدود ٦ في البرازيل ، و ٨ في الشيلي ، و ١٢ في الاوريغواي ، و ٢٫٣ في بوليفيا ، كما ان الواحات السكانية متفرقة جداً . ففي المكسيك ، نرى ١٤ مليون نسمة اي نصف سكان البلاد ، يقطنون رقعة من الارض حول العاصمة ، شعاعها اقل من ٣٠٠ كلم ، كما ان اكثر من نصف سكان البرازيل يتمركزون جنوبي خط العرض العشرين ، في ١/٦ مساحة البلاد ، كما ان الولايات المركزية الثلاث في الشيلي تحتفظ بـ ٤٥ ٪ من مجموع السكان الذين يحتلون ٤ ٪ فقط من مساحة البلاد . وفي الارجنتين ، نرى ٧٣ ٪ من مجموع السكان يعيشون في ربع مساحة البلاد ؛ وفي فنزويلا نرى ٦٠ ٪ من مساحة حوض نهر الاورينوك ، لا يتعدى عدد السكان فيها ٧ ٪ من المجموع . وهكذا نرى ان السكان يتوزعون رقعاً محدودة ، في قارة تشكو من قلة وسائل الاتصال ومعظم اراضيها موات لا تزرع . وتيارات الهجرة في الداخل تحفز سكان الريف على النزوح من القرى الى المدن او تجتذبها مقاطعة معينة دون اخرى ، كما ان سكان المناطق شبه الصحراوية الواقعة الى الشمال الشرقي او في وسط البرازيل ينزحون بالأكثر نحو ولاية ساوباولو اي الى الغرب البرازيلي ، والى « المقاطعة الرائدة » حيث تزدهر مزدرعات القطن وقصب السكر وتنشط تربية الماشية . في كل مكان تسجل حركة الاسكان في المدن ازدياداً مطرداً . ففي المكسيك ، هبطت نسبة السكان في الريف من ٩٠ بالمائة في عام ١٩٠٠ ، الى ٥٤٫٧ بالمائة عام ١٩٤٠ ، وقد تضاعف سكان مكسيكو العاصمة في عشرين سنة . وبينما ازداد عدد السكان العام في البرازيل بمعدل ٢٨ بالمائة بين ١٩٤٠ – ١٩٥٠ ، ازدادت نسبة السكان في المدن ٤٩ بالمائة . ان نصف سكان المدن يقطنون ١٤ مدينة ، كما يقوم ثلث سكان هذه المدن في اثنتين منها هما الريو وساوباولو ، فازداد عدد سكان الريو ٣٦ بالمائة في ١٠ سنوات ، كما ازداد سكان ساوباولو ٦٠ بالمائة وبذلك بزّت العاصمة الريو ، اذ بلغ عدد سكانها ٣ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة .

وفي الارجنتين كان ٥٧٫٣ بالمائة من مجموع سكان البـــلاد من سكان المدن عام ١٩١٤ ، فارتفعت النسبة ، عام ١٩٥٩ ، الى ٧٠ بالمائة . وبونس ايريس التي تعد ٣ ٥٠٠ ٠٠٠ نسمة تقع في قلب منطقة يزيد عدد سكانها على ٥ ٦٠٠ ٠٠٠ نسمة وفيها يحتشد اكـثر من ربع سكان هذه الجمهورية . وفي عام ١٩٦٣ ، نرى ٤٦ بالمائة من الاهلين يعيشون في المدن ، بينما ٢٦ بالمائة يعيشون في تحشدات تعد ١ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة ، كما ان ثلثي سكان الشيلي يقطنون المدن .

تتكدس هذه الجماهير في مساكن يخيم عليها البؤس والشقاء ويحتشدون في احياء تفتقر اصلا الى الشوارع ومصلحة الطرقات والوسائل الصحية ، اذ اعداد كبيرة من الاولاد والنساء والرجال يعتمدون التسول ويعيشون على الصدقات والحرف الصغيرة النقالة . والنقص في التغذية هي من الامور العادية والشقاء فيها مع ذلك اخف وطأة مما هم عليه الفلاحون والمزارعون .

الملكيات الكبرى

الملكية العقارية الضخمة هي القاعدة . ففي هذه القارة ، نرى ٥٠ ٪ من الاراضي الزراعية تقع ضمن ملكيات تزيد مساحة الواحدة منهـا على ٦٠٠٠ هكتار وتعود ملكيتها لـ ١٫٥ ٪ من كبـــار الملاكين . وفي الشيلي ان ٨٩ ٪ من الاراضي يملكها ٥٩٣٦ ملاك لاغير ، كما ان ما لا يقل عن نصف المساحات تتكون من عقارات تزيد مساحة الواحد منها على ١٢ ٠٠٠ هكتار . وفي الارجنتين نرى ١٪ ولاية بونس ايريس وهي اغنى ولايات الارجنتين على الاطلاق تعود ملكيتها لـ ٢٢١ شخصاً ولـ ٥١ شركة عقارية . و« في « الاراضي الوطنية » يملك ١٨٠٤ شخصاً املاكاً يساوي مجموعها مجموع مساحة بلجيكا وهولندا والدانمارك » ، وملكت عشر شركات لوحدها من الاراضي ما يوازي مساحة بلجيكا وسويسرا مجتمعين » . وتمثل الممتلكات التي تزيد مساحة الواحدة منها على ١٠٠ ٠٠٠ هكتار في الاورغواي ، ٤٣ ٪ من مساحة البلاد ، وهنالك عقارات يبلغ مساحتها معاً ٢ ٥٠٠ ٠٠٠ هكتار ، كما ان ٩٨٫٦ بالمائة من الممتلكات تمثل ٧ بالمائة من مساحة الارض فيها. وفي فنزويلا ، ان ٨٤ بالمائة من الاراضي في المقاطعة الاتحادية ، تعود ملكيتها لـ ١٩ شخصاً ، وان ١ بالمائة من السكان يملكون ٥٦ بالمائة من مجموع الاراضي الزراعية في البلاد . وفي كولمبيا ، يملـــك ٨١٢٣ من اصحاب الاملاك العقارية اكثر من ٣٣ بالمائة من الاراضي الزراعية ، بينما تتقاسم ٥٠٠ ٠٠٠ عائلة ٣٫٥ بالمائة من مساحة الارض ، كما ان مليونين من العـــمال الذين يعملون في الزراعة لا يملك الواحـــد منهم اية قطعة ارض . وعلى مثـــل هذا الوضع نرى جمهوريات الاكوادور والبيرو وبوليفيا . وفي غواتيمالا ، يعود ثلث مساحة الارض الزراعيـة ، لبعض كبار الملاكين . ومزروعات البن وقصب السكر الكبيرة في كوبا تعود ملكيتها لملاكين اجانب عن البلاد ؛ وفي نيكاراغوا وهوندوراس تعود ملكية هـــذه الاراضي الزراعية للشركات الثمانية الكبرى وهي ايضاً غريبة عن البلاد . وفي المكسيك ما قبل الاصلاح الزراعي ، كان ٤٩ بالمائة من الاراضي تتكون من املاك تزيد مساحة الواحدة منها على ٥٠٠٠ هكتار ، كما ان ٣٠٠٠ اسرة كانت تملك اكثر من نصف مساحة البلاد ، وبضع مئات من الافـراد كان

يملكون كامل اراضي ولاية تشيهواهوا ، وكان الجنرال طرازاز يملك لوحده ستة ملايين هكتار كما ان شركة الخط الحديدي الغربي كانت تملك ٩٨٨ ٠٠٠ هكتار ، ويملك هيرست ٥٠٧ ٠٠٠ هكتار . أما في ولاية سان لويس دي بوتوسي فكان ٩٦ بالمائة من العمال العاملين في الشؤون الزراعية لا املاك لهم . وفي جمهورية الدومنيك كان الدكتاتور تروخيلو قبل ان تخلعه الثورة ، عام ١٩٦١ قد تمكن من تحويل ٦٠ بالمائة من الاراضي الزراعية في البلاد ، الى ملكية اسرته . والملكية الصغيرة لا وجود لها الا في بعض المناطق : في جنوبي البرازيل وفي جمهورية كوستاريكا .

وفي نظام عقاري على هذا الشكل ينقسم المجتمع الريفي الى طبقتين تتباينان في كل شيء : اقلية من كبار الملاكين من اصل اوروبي او من الخلاسيين ، وسكان الريف الذين يتألف معظمهم من الهنود الحمر ، ومن مهاجرين وضعهم وضع العبيد يعيشون في وضع زري من العبودية ويرسفون في البؤس والشقاء . ويخضع هذا المجتمع لنظام بطريركي في اطار الملكيات الكبيرة ، صاحبها يكون على الغالب بعيداً عنها ، ويترك امر العناية بها لوكيله . فكل العاملين في الزراعة ، سواءاً في البرازيل او الشيلي هم في وضع ارقاء الارض . فالمزارع يرتبط بالارض ارتباطاً وثيقاً اثناء ثلثي السنة . ويترتب عليه وعلى افراد عائلته ان يعملوا لصاحب الارض لقاء لقمتهم بحديقة صغيرة تقوم امام زريبته او كوخه المصنوع من الدلفان ، ولقاء بعض المحاصيل الزراعية التي تعطى له خلال فصل العمل في الارض . ويقدم صاحب الارض عادة للمزارع سلفة من الدراهم والمواد الغذائية الذي لا يستطيع تغيير عمله قبل ان يسدد دينه . ولما كانت الاجور واطية جداً ، فقد يستحيل عليه وفاء دينه الذي ينتقل عند وفاته ، الى اولاده . ففي ظروف كهذه ، ليس من الغريب قط ان يتردى الوضع الاقتصادي في البلاد ، اذ لا يخطر قط على بال هذا الملاك الامي المهمل ان يدخل اي تحسين فني او تقني على وسائل استثمار ارضه . فهو يمارس زراعة صنف واحد ويبقي جانباً كبيراً من ارضه مهملاً . وهكذا نرى ان ١٫٤٤ بالمائة من الاراضي الزراعية في هذه القارة هي قيد الاستثمار (٧٫٥ بالمائة في البرازيل ، و ٧٫٨ بالمائة في الارجنتين) . والحصاد يتم بالمنجل ، والفلة هي من الفقر بحيث ان بعض هذه الاقطار التي لا يستثمر القسم الاكبر منها ، تضطر لاستيراد موادها الغذائية من الخارج .

مشكلة الهنود الحمر

هذان العالمان العائشان معاً جنباً الى جنب يتفاوتان تفاوتاً عظيماً من جهة العرق والاصل : العالم الاوروبي او المتحضر اوروبياً (الهجناء) ، فالارستوقراطية : ارفع أسر ليما الخمس والعشرون ، وكبار الملاكين العقاريين والأثرياء المحدثون الذين تمت لهم النعمة منذ منتصف القرن التاسع عشر ، أمثال سيموز باتينيو هذا المعدّن الهندي الذي اصبح ملك القصدير واغنى اغنياء اميركا الجنوبية على الاطلاق، واصحاب الانوار في المكسيك ، وغيرهم الذين تتألف منهم الطبقة العليا وينعمون وحدهم بنعم وخيرات حضارة العصر ، يعتمدون على كنيسة ثرية ، غنية ، بالرغم من قلة عدد رجال

الأكليروس الغريب ، وبالرغم من عدم وجود اكليروس وطني في بعض البلدان ، كما هي الحال مثلاً في البرازيل . فهذه الطبقة تستأثر بالسلطة السياسية وتمارسها لما يؤمن مصالحها .

ويلي هذه الطبقة العالم الهندي الذي اهمل شأنه تماماً ، ومنهـا يتألف السواد الاكبر من الشعب ، يزيد عددها كثيراً عن الارقام الرسمية التي توفرها الاحصاءات مصدر معلوماتنا عن العرق او الاصل بالاستناد الى اللغة او اللسان اذ ان عدداً كبيراً من اهل البـلاد لم يعودوا يتكلمون لهجتهم الخاصة . فالهنود الخُلَّص او الهجناء يؤلفون ، بلا ريب ، اكثرية السكان في المكسيك (٥٠٪ ، وفي فنزويلا ٣٪) ، وفي البيرو وبوليفيا (لا تزيد نسبة البيض في هذين البلدين عن ٨ بالمائة) وفي جمهورية الاكوادور (٥ بالمائة من البيض) وفي كولومبيا والبـاراغواي حيث ٩٠ بالمائة من الاهـالي هم من دم غواراني وحيث الجميع يتكلمون اللغـة غواراني ، وفي الفواتيمالا ، والسلفادور ، وغيرها . وهنالك مجتمعات اخرى في البرازيل مثلاً حيث تمثل ٢٠ بالمائة من مجموع السكان .

فحروب الاستقلال والثورات المتعاقبة التي انفجرت تباعاً في القرن التاسع عشر لم تدخـل اي تحسين قط على وضعهم . فهم يعيشون في شبه عزلة بعد ان ارغموا على السكن في مناطق غير صالحة للسكن ، كما يبدو ، تقوم فيها الغابات الظليلة ، او الاغوار المرتفعة ، يعيشون من نتاج الارض الزراعية او من العمل في المناجم التي يستغلهـا البيض او الخلاسيون فيشترون محاصيلهم الزراعية بأبخس الاثمان ويدفعون لهم اجوراً لا تذكر . وقد منعهم ما هم عليه من فقر مدقع من استهلاك المحاصيل المستوردة وحتى تلك التي تؤمنها بعض المصانع المحلية ، فيعتمدون في معايشهم مما يشبع جوعهم من الذرة والفاصوليا ، عرضة للنسبة عاليـة من الوفيات ، ولذا بقوا ابداً على هامش الحياة القومية وقلما استبدلوا سيداً بآخر . فهنود المكسيك وحدهم توصلوا ليلعبوا دوراً بارزاً في حياة البلاد ، كما ان قسماً منهم يسام فعلاً بتطوير حضارة البلاد . اما في البيرو وبوليفيا وفي الاكوادور ، وفي الجمهوريات الاخرى الواقعة بين جبـال الاندس او في اميركا الوسطى .

« فقد اصبح الهندي في هذه الأقطار منطوياً على نفسه ، سكوتاً خشناً يوحي الرعب ، هو في منتصف الطريق بين الانسان والحيوان ، ينفر من كل اتصال بأي عرق آخر ، يتمسكع في جهل مطبق وقد بلد عقله لادمانه الحكوكا والمشروبات الروحية ، لا يتذكر شيئاً عن هذا التراث المجيد الذي تركه له آباؤه الأقدمون » .

مشكلة الزنوج

هنالك الى جانب الهنود مشكلة الملونـين او الزنوج تفرض نفسها في جزر بحر الكرايبي حيث حل الزنوج محل سكان البلاد الاصليين بعد ان تم افناؤهم (فهايتي هي دولة من الزنوج) ، أو في جمهوريات اميـركا الوسطى ، لا سيما في نيكاراغوي ١٠٪ ولا سيما في البلدان الواقعة في المناطق المدارية في اميركا الجنوبية : الغويّان وفنزويلا ١٠٪ وفي الشمال الشرقي من البرازيل . ومع ان هجرة البيض وعملية التهجين ساعدتا كثيراً على « تبييض » السكان تدريجيـاً بحيث نرى بينهم كل فوارق اللون الابيض والاسود ،

فهنالك ، مع ذلك ، ما لا يقل عن ١٥ مليون من الزنوج ومن المجنأة يمكن تمييزهم بسهولة . اما مستواهم الحضاري فمتدنّ جداً ، على الاجمال . فسمات افريقيا تبرز في امور الدين والفولكلور الشعبي والاقاصيص الشعبية ويتبين العلماء الاجتماعيون، بيسر، تحت اسماء القديسين الكاثوليك، اسماء قدامى الآلهة والمراسيم الدينية المعمول بها عنـــد الداهوميين واليوروبا ، إذ انتقلت من السلف الى الخلف ، عبر الاجيال بصورة غامضة . كذلك اخذت تبدو لدى بعض رجال الفكر من الملونين معالم المذهب الطبيعي للفرد الاميركي .

فالنخبة التي طلعت من بين الهنود الحمر والزنوج هي من القلة والضعف بحيث لا تصلح بعد اساساً لشد الروابط بين العروق والحضارة اسوة بما يجري في البلدان المستعمرة . ومن جهـــة اخرى اخذت الخصومات والمفارقات تخف وتلين بفضل التهجين وبفضل تأثير الثقافة الاسبانية . التي اخذت تؤثر منذ القرن السادس عشر على سكان البلاد الأصليين وعلى الملونين، بحيث تنامى كثيرون لغتهم الام . ومع ذلك هنالك بوادر يقظـــة تلتمع في الافق يخشى معهـــا من احتدام التوتر .

الطبقات الاجتماعية الجديدة

هذه اليقظة التي نشاهد ظهورها في اوساط الهنود والزنوج ليست بالاشارة الوحيدة لهذا التغيير الآخذ به المجتمع. فالنمو الديموغرافي هو مظهر آخر من مظاهر هذا التبدل . فالإقبال على التصنيع ، والبؤس المسيطر على الريف اللذان ادّيا بسرعة الى حركة التحضر هذه، ساعدا كثيراً على تطوير الطبقات الاجتماعية الجديدة التي اخذت تطل على البلاد في السنوات التي سبقت الحرب العالميـــة الأولى مباشرة . ففي كل مكان ، ساعدت حركة التصنيع على بروز نخبة بين البورجوازية ، وزادت من نطاق رجـــال الصناعة ومن التجار ، كما زادت من عدد التقنيين والمهندسين ومن العاملين في المهن الحرة او في الادارة العامة او في مصالح الجيش .

في هذه الاقطار التي تنطبع مدنيتها بالنشاط الزراعي ، نرى ابنـاء الطبقة الوسطى التي تتألف من رجال الفكر من ذراري المهاجرين او من التجار ، يعملون ضباطاً في صفوف الجيش ويؤلفون العناصر التقدمية اذ لا مكان لهم في المجتمـــع التقليدي . فهم يطمحون في تجريد ارستوقراطية كبار الملاكين من استئثارها السلطة واحتكارها لها ، تجيش فيهم الروح القومية وينفرون من الرأسمالية الاجنبية ، ولا سيما الرأسمالية الاميركيـــة التي تستثمر لحسابها الخـــاص ولمنفعتها موارد البلاد الطبيعية وثرواتها ، هذه الرأسمالية التي تعـــارض قيام صناعات كبرى في البلاد وتتحالف دوماً مع الطبقات الموجهة فيها . فالمركز الستراتيجي ، الذي يتمتعون به في المدن يوليهم نفوذاً ويعطيهم شأناً لا يتفق قـــط وعددهم الضئيل . الا انهم يتعذر عليهم استلام السلطة عن طريق الاكثرية بعد ان يتحكم الاشراف بالانتخابات ويفرون الجماهير الشعبية على الاقبال عليها لمصلحتهم ، فطريقهم الوحيد الى السلطة قيام دكتاتورية مصلحة تمهـــد لهم الوسائل المؤدية الى السلطة هذه الطبقة بعينها تلعب دوراً يبرز أثره يومـــاً بعد يوم ، في هذه الانتفاضات

السياسية التي وقعت منذ عام ١٩٤٣ . فهي النواة ونقطـــة الدائرة في الحزب المعروف بحزب *Apriste* في البيرو ، وحزب استنسورو في بوليفيا الذي ساند الانقلاب الذي قـام به بتنكور في فنزويلا ، عام ١٩٤٤ ، والانقلاب الذي قام به فرغاس في البرازيل ... وهذه النخبة تطالب بتشريع خاص ينتظم العمل ، ويطور التربية والتعليم في البلاد ، ويكفل الازدهـــار لحركة التصنيع بحيث يرتفع مستوى الحياة في البلاد ، وينقذ الأمة والشعب من الروابط التي تشدهما الى الاستعمار الاقتصادي . فالبرنامج الذي تطالب به هو برنامج اصلاحي ليبرالي، معتدل، مناهض للشيوعية ، وهذا ما يفسر لنا إحجامها عن معالجة الاصلاح الزراعي والتعرض للبنيان الاجتماعي، وكلاهما من مشكلات البلاد الاساسية . وأهمها يبرز جلياً في هذه الدساتير الجديدة التي تطـــل علينا والتي تشهد حالياً ، على اقدار متفاوتة ، على شدة اهتمامهـا بالمشكلات الاجتماعية من خلال هذه التشريعات الجديدة المتعلقة بالعمل .

والعمال الذين يتسكعون « في اشق بؤس عرفه العالم» كما يؤكد لمبرت ، أخذوا يؤلفون بالفعل بروليتاريا استفاقت على ذاتها وادركت ما لها من شأن واخذت تطالب بتأليف نقابات لها. فقبل عام ١٩٤٠ ، لم نر اثراً لهذه النقابات الا في بعض البلدان كالمكسيك والارجنتين والشيلي وكوبا وبعض قطاعات خاصة من قطاعات الصناعة : كالبحرية التجارية، والسكك الحديدية وصناعات التبريد ، والصناعات الاستخراجية. اما بعد عام ١٩٤٤ ، فقد ظهرت النقابات في كل مكان بعد ان شجعها على ذلك تطور الصناعة والاتفاق الذي يشد بعضاً الى بعض احزاب اليسار كالشيوعيين والاشتراكيين ، فنجاح الحركة النقابية في بلدان اميركا الشمالية . وتمثل تجمع القوى العمالية عندما تألف اتحاد العمال في اميركا اللاتينية (*C.T.A.L.*) بزعامة فيسانته لمبردو تولقدونو ، وهو اتحاد عدّ عقم ١٩١٦ ، خمسة ملايين عضو منتسب . والتدابير المضادة للشيوعية التي اتخذت ضـــد الحركة بايعاز من الولايات المتحدة بعد عام ١٩٤٧ ، ادت الى انشقاق الحلف في السنة التالية ؛ فقد انشق عن هذا الاتحاد المعروف بنزعته نحو الشيوعية نقابات عدة تشكل منهـــا منظمة جديدة عرفت « بالمنظمة الاقليمية لعـــمال اميركا اللاتينية » *O.R.I.T.* التي اوحت بتشكيلها وساعدت على قيامها المنظمات *C.I.O.* و *A.F.L.* وانضمت الى اتحاد النقابات الحر الذي كان بعد عام ١٩٥٥ حوالي عشرة ملايين عضو ..

ويؤلف العمال ، مع ذلك ، اقلية محظوظة بالنسبة الى هذه الدهماء التي تتألف منها اكثرية السكان ، ومن هؤلاء الجياع الذين يؤلفون ٢٠ بالمائة من الجماهير الريفية ، الذين يحملهم تـكاثر السكان في الريف على النزوح ، منذ ٢٥ سنة ، الى المدن ليضخموا عدد الزرائب والاكواخ في المخيمات القائمة في ضواحيها . فالشركات الاجنبية العاملة في البلاد تدفـــع لهم عـادة اجوراً اعلى بكثير من المألوف ، الامر الذي يباعد بينهم وبين الفلاحين ويجعلهم يعرضون عن مواجهة المشكلة الاجتماعية الاساسية ، مشكلة الارض . ومن جهة اخرى ، فالبيروقراطية النقابية لا تتورع قط ، كما هو شأنها في الولايات المتحدة الاميركية ، عن اللجـــوء الى الاغراء والافساد

والتواطؤ مع ارباب الاعمال ومنظمي الانقلابات السياسية ، فيبيع زعماؤها « الاضرابات » بما تيسر ويعيشون برخاء على شاكلة ارباب الاعمال ، ويتعاونون مع الحكومات .

الصراع الطبقي والعنصري

ومن الملاحظ ان هوة تأخذ بالظهور بين هذين المجتمعين كما يأخذ التوازن بالاختلال في هذه المناطق والاقاليم التي تعتنق اسباب الحياة الاقتصادية الحديثة ، والمناطق المتخلفة القابعة في ريفيتها ، وبعبارة اخرى ، بين المناطق المنفتحة على اقتصاد اساسه التبادل والمقايضة والمناطق الاخرى التي تشد بنواجذها على اقتصاد حياتي بدائي . وهذا التفاوت يبدو على اشده ويبرز على ابشع صوره في كل الحاء القارة كما يصفه لنا جاك لمبرت : بين البرازيل الاستوائي الاطلسي بمنزله المبني بالحجـــارة والاسمنت ، وبين برازيل الامازون او برازيل الشمال الشرقي بمنزله المتخذة مواده مما تيسر منها في المنطقة او من اللبن المجبول على لوح خشب او من الخيزران . في هذه المناطق التي لم تخرج عن عزلتها والتي لا تزال مستمسكة بهذه الاطر التقليدية التي كـــانت في عهد الاستعمار ، والتي يقوم فيهـــا ، جنباً الى جنب ، مجتمع أبوي على رأسه طبقة من الاشراف يصدرون الاوامر من عُلّ ويحيون حياة بذخ واسراف ، وفي الحضيض شعب رازح ، مقعد ، من ابناء البلاد المقدمين او من الملونين ، يتسكع في الجهل والجهالة ، بائس ساء غذاؤه واخشوشن ، مستوى العيش عنده اشبه بأحط مستوى للعيش في اكثر البلدان تخلفاً كمصر والهند مثلاً . وعلى ذلك هذه المناطق التي استقبلت وفود النازحين من الاوروبيين حاملين معهم تقنياتهم وطرق معايشهم الجديدة ، التي عرفت ان تنشىء صناعات كبيرة بفضل ما تم لها من رؤوس اموال حاشدة ومن تطوير لوسائل النقـــل فيها وتجد فيها طبقة وسطى ومزارعين ينعمون باستقلالهم ، وبروليتارية مدنية يحيشون جميعاً بالعداء لحكومة المتسلطين من النبلاء . وهذه الهوة تقوم كذلك بين منطقة بونس ايرس والريف في داخل البلاد حيث تعيش الارستوقراطية ناعمة البال ، قريرة العين بين عمال ينآكلهم البؤس ويقليهم الجوع ، وعلى هذا النحو في البرازيل بين المنطقة الشمالية الشرقية والمنطقة الشرقية من ساو باولو ؛ وكذلـــك قل عن الشيلي ، بين المناطق الصناعية والتمدينية والمدن الكبرى ، والمنطقة التي ترسف في تقاليدها الزراعية البالية مع مزارعيها الخانعين .

حق في المكسيك الذي بذل جهوداً مشكورة لتحسين اوضاع العمال والفلاحـــين وحيث يلعب قسم من الهنود دوراً يزداد شأنه في حياة البلاد الوطنية ، فالجماهير الريفية لا تزال تحيـــا حياة نباتية وترسف في بؤس مخيف ، تشكو دوماً من نقص مزمن في اسباب التغذية ، وتعمل في تربة ممسكة تضن بالعطاء ، وتزاول خلفاً عن سلف صناعات عائلية بوسائل واعتدة بدائية .

فالتفاوت الاجتماعي يبدو على اشده . ففي البرازيل ٢٫٥ بالمائة من السكان العاملين يصيبهم ٣٠ بالمائة من الدخل العام في البلاد ، كما يروح اكثر من نصف هـــذا الدخل الى ٥ بالمائة من السكان . وعمال المدن المسجلة اسماؤهم لدى مختلف صناديق الضمان الاجتماعي ، والذين يمثلون ٢٤ بالمائة من مجموع اليد العاملة في البلاد ، يتناولون ٢٠ بالمائة من الدخل العام . وما تبقى من

اصحاب الاجور : كصغار المزارعين والمرابعين والعمال الزراعيين ، اي مـــا يوازي ٧١ بالمائة من مجموع السكان ، فلم يكن ليصيبهم ، عام ١٩٤٤، سوى ٣٠ بالمائة من الدخل الوطني العام. كل هـــذا يساعدنا على تفهم الضغط او التوتر الاجتماعي الذي كثيراً ما ارتدى طابعـاً عنصرياً او عرقياً .

وفي كل مكان ينزع عامل العنصر بما له من شأن ، باعتباره دليلاً اجتماعياً، الى تقوية التفرقة العنصرية ، التي لم تكن ، في هذا الوقت بالذات الذي كان فيه الزنوج من طبقة الفقراء ، لتعتـبر من الامور الموجبة ، اخذت تبرز اكثر فاكثر للعيان . اذ « بنسبة مـــا يتمكن معها الزنوج والخلاسيون من تحسين اوضاعهم الاقتصادية وتحسين وسائل التربية والتعليم لديهم ، ترى الطبقـة البيضاء المسيطرة ، الخطر يتهددها اكثر فاكثر » ، كلما ان المضي في عملية التمدين من شأنـــه ان يولد الاواصر بين هذه الطبقات ويساعد على توعية الزنجي والهندي على الوضع الزري الذي يحتله في السلم الاجتماعي . لم تصل البلاد بعد الى التمييز العنصري في المدرسة او في الحياة العامة كما انها لم تصل بعد الى حظر عقود الزواج المختلط . ومسألة اللون ليست بعد من هذه القضايا التي تقيم الولايات المتحدة وتقعدها ، مع العلم ان « اللون الضارب الى السمرة يؤلف عائقاً او حائلاً دون الترقي في السلم الاجتماعي » ، واخذت تظهر في البلاد اجراءات تمييزية الامر الذي حمـــل مجلس الكونغرس في البرازيل على اصدار تشريع خاص يعتبر مثل هـذا التصرف من الجنح . وهكذا نرى ان فارق او عامل العنصر اخذ يزداد شأناً ويتخذ اهمية في المجـال الاجتماعي ، في الوقت الذي اخذ التوتر بين مختلف الفئات واجراءات التمييز العنصري تهدد بالاشتداد والاحتدام .

الحركة الوطنية

مشكلة الهنود الحمر مشكلة طرحتها على بساط البحث منـــذ اواخر القرن التاسع عشر ، الحركة الهندية التي سجلت نجاحاتهـــا الكبرى الاولى في المكسيك والتي كان روادها الاوائل من البيرو . فقد راح مانويل غونزالس برادا يرفع عقيرته احتجاجاً ، بالشعر تارة والنثر طوراً ، ضد الاضطهادات التي يتعرض لها الهندي الأحمر. ثم آلت حركة الدفاع عن الهنود الى الزعيم هايا دي لاتوريه ، المؤسس الحقيقي لحزب *Apriste* الذي تختصر حروفه ، الاسم الذي عرف به وهو : الاتحاد الشعبي للثورة الاميركيـة ، والذي وضع نصب عينيه العمل على توحيد الفلاحين ورجال الفكر والعمال حول برنامج سياسي جـاء مزيجاً من الاشتراكية الزراعية والروح القومية الهنـــدية الاميركية ، وعمل على نشر الحزب والترويج له : سيرو اليغريا ، والشاعر خوسيه سنتوس كوكانو ، والفيلسوف خوسيـه كارلوس ماريانيغي الذي اسس عام ١٩٢٨ ، الحزب الشيوعي في البيرو ، وفريق من علمـــاء السلالات البشرية والمؤرخين . وتحت تأثير هذا الفريق من الدعاة والانصار ، لم تلبث الحركة الهندية التي اقتصرت في بدء امرها على حركة من سكان البلاد الاصليين، ان تحولت الى حركة اصلاحية كبرى تناضل في سبيل تحسين اوضاع البؤس والشقاء والجهل التي تتلكع فيها جماهـير الشعب الهندي . وقد تباينت الحركة اصالة وعقلنة بتباين المناطق والاقاليم المختلفة . فقد برزت حيناً

كحركة حضارية ، واحياناً كحركة سياسية ، مناهضة لاوروبا وللرأسمالية . وقد حققت لها شعبية كبرى في كل من البيرو والمكسيك والاكوادور وبوليفيا . وراحت تلوح بوجه الاستعمار الاسباني الذي جردته من كل قيمة وبوجه الحضارة الاوروبية بالصفات السامية التي تطبع الحضارات الوطنية ، كما افسحت في برنامجها ، مجالاً واسعاً ، لبعث الحضارات الوطنية التي سبقت مجيء كولمبوس ، واقتباس الوسائل التقنية والعلمية التي توفرها الحضارة الغربية ، بعد تجريدها تماماً من روحها . فالحركة حركة سلبية في الكثير من مظاهرها ، وكثيراً ما بدت خيالية ، عندما فكرت ببعث المنظمات المجتمعية القديمة (*L'ayllu*) عن طريق الجمعيات الحرفية او المهنية ، والتي راحت تحاول ، انقاذ العرق الهندي من الفناء والاضمحلال الذي يتهدده ، بتحسين مستوى العيش عنده ، وبنشر التربية الشعبية بين افراده ، وتحقيق الوحدة بين كل دول القارة .

الاندفاع نحو التصنيع

كان من بعض نتائج الحرب العالمية الثانية الحد من استيراد المحاصيل الصناعية ، ولا سيما المصنوعات الاوروبية ، وبالمقابل نشطت حركة التصدير بالرغم من ندورة وسائل الشحن ، كما انه جرى التوسع في تصدير بعض المحاصيل الأخرى . وقد طلعت في البلاد مصانع جديدة لابد منها لتأمين المعدات اللازمة للزراعة وللخطوط الحديدية ، ومصانع التحرير ، واخرى لصنع الترابة والاسمنت ، ومصانع النسيج والحياكة ، ومصانع الورق والزجاج ، وأطر السيارات والاسمدة لتأمين حاجة البلاد من المواد والاصناف التي توقف استيرادها . وقد انصرف الحلفاء من جهتهم ، ولا سيما الاميركيون ، منذ عام ١٩٤١ ، الى انشاء نظام اقتصادي يؤمن لهم ما كانوا بحاجة اليه . وتأسست عام ١٩٣٩ ، اللجنة الاستشارية المالية والاقتصادية المشتركة بين الدول الاميركية ، كما انشئت ، في كل جمهورية من الجمهوريات الاميركية ، لجان خاصة تعمل على تطوير وتحسين وسائل انتاج الخامات والمواد الاولية : كالمطاط والنحاس ، والفلزات النادرة الوجود مثل : التنغستين والفاناديوم والمولبدين والقصدير ، وانشأت معامل جديدة بمؤازرة التسهيلات المالية التي امنها قانون : الايجار والتأجير ومصرف الاستيراد والتصدير والشركة المالية للتعمير .

وهذا الدفع الاقتصادي توليه الحرب جاء حاسماً ويختلف اصلاً عن الدفع الذي احدثته الحرب العالمية الاولى ، اذ اقتصرت الحركة ، اذ ذاك ، على تأمين الخامات والمواد الاستهلاكية ، بينما استهدف الجهد في هذه المرة ، انشاء صناعات ضخمة ، واعطاء الاقتصاد تركيباً عصرياً ، ونشطت وسائل الانتاج وتنوعت . واستأثر الامر باهتمام الحكومات كما وقع موقع الرضى من الخاصة الذين أثروا وجمعوا ثروات طائلة ، بفضل هذا النزاع الدامي ، كيف لا يثرون ويكدسون الثروات بعد ان ضاعفوا من صادراتهم وخففوا من استيرادهم ، وتجمع في صناديقهم مقادير هائلة ومبالغ طائلة من القطع والاصفر الرنان ، وظفوا جانباً منها في صناعات جديدة . وبذلك تمكن المكسيك من رفع طاقته الصناعية ٣٠ ٪ لا سيما في الصناعات النسيجية والكيميائية ،

كما ان البرازيل زاد من طاقته على استثمار موارده الطائلة من الحرير والبوكسيت ، واستطاعت الشركة الوطنية للصناعات الحديدية ان تشيد المجمّع الصناعي الضخم في فولتا ريدوندا وزادت من طاقتها الانتاجية في الصناعة ثلاثة اضعاف ، كما زادت اربعة اضعاف من انتاجها للخامات الاولية . والانتاج الصناعي الذي لم يكن ليمثل ، عام ١٩٣٠ سوى عشر الدخل القومي، اصبح يمثل نصف هذا الدخل عام ١٩٥٥ ، والصناعة القطنية التي انتقلت الى طور التصدير ، اخذت تستثمر القسم الاكبر من محصول القطن في البلاد . وضاعفت جمهورية الارجنتين بين ١٩٤٠ — ١٩٤٥ ، عدد قبارکها الصناعية واخذت حركة التصنيع بعد عام ١٩٤٣ ، بتأثير من الجنرال بيرون ، تعم جميع اطراف البلاد . وقد ارتفع معدل اليد العاملة في الصناعة من ١٢٫٨ ٪ عام ١٩٣٩ ، الى ما يزيد على ٢٠ ٪ منذ عام ١٩٤٥ .وراحت كولمبيا من جهتهاتنشىء،هي الاخرى، مجموعة متناسقة من معامل صناعة الحديد ، في باز دل ريو ، بمساعدة رؤوس الاموال والصناعة الفرنسية . ودليل التجارة في الارجنتين ، ارتفع من ١٠٠ عام ١٩٣٧ الى ١٦٢ ، عام ١٩٤٧ ، وفي الشيلي الى ١٤٨ ، وفي المكسيك الى ١٤٣ .

٢ – الحياة السياسية

عدم الاستقرار السياسي

ان التركيب الاجتماعي المتناهض اصلاً للنظام الديموقراطي ، والتفاوت العظيم بين اوضاع البلاد ، وعدم توفر طبقة متوسطة كبيرة العدد ، والبؤس الذي تتسكع فيه الجماهير البدائية التي لا تزال ترسف في دياجير الجهل ، كل ذلك وما اليه يساعد على تكوين حالة من عدم الاستقرار السياسي في البلاد ، كما يساعد على تغلغل النفوذ الاجنبي وتسربه اليها . فبالرغم من اقرار مبدأ الاقتراع العام ، فالنظام المعمول به هو قيام حكومات من الاقلية بين اصحاب الاملاك . وكثيراً ما أدى انقسام هذه الاقلية وانشقاقها على نفسها الى حدوث ازمات سياسية كان يوضع حداً لها قيام دكتاتوريات عابرة . والنزعات الاقليمية حتى وهذه الخصوصيات التي كان يزيد من حدتها قلة طرق المواصلات ، وتفاوت كثافة السكان واختلاف التطور الاقتصادي بين مقاطعات واقاليم الدولة الواحدة ولدت فيها نزعات انفصالية هددت الدولة بالانحلال والزوال . وكثيراً ما كان الدكتاتور يعتمد في بقاء نظامه ، على الجيش والبوليس ، ولذا كانت سلطته دوماً سلطة مزعزعة يتهددها الخطر باستمرار، مصيرها متوقف دوماً على هذه الاقليات وعلىالمصالح الاجنبية تؤثر عليها المظاهرات غير المنتظمة التي تقوم بها الجماهير المهتاجة ، التي لم تكن تتحرك دوماً من تلقاء ذاتها وبصورة مستقلة ، بل بدافع وبتحريض من الطبقات الجديدة المتوسطة الناشطة والمغامرة ، هذه الطبقات التي ظهرت للوجود ، مع التطور الذي خضعت له المدن وحركة العصرنة التي أخذت بأسبابها . ولذا تكاثرت الازمات في البلاد وكثيراً ما أخذ بعضها برقاب البعض تعبيراً عن توق الجماهير

الى تحقيق التوازن بين التركيب الاقتصادي والاجتماعي الجديد وبين الوضع الاقتصادي القائم من قبل . فالمجتمع القديم الذي يشد من ازره المصالح الاجنبية في البلاد يحاول — واحياناً باللجوء ، اذا ما اقتضت الحاجة ، لدكتاتورية من الطراز التقليدي المعروف — ان تحتفظ او ان تعيد الى الوجود ، انظمة ودساتير تخفي وراء ستار مزعوم من الحرية والليبرالية ، كياناً اجتماعياً مناهضاً للديموقراطية وفي وجه حكومة من الاعيان او في وجه نظام ديموقراطي تمثيلي مسخته عمليـــة مزدوجة من التزوير والمصانعة وقعت فريسة لها ، هذه الجماهير الفقيرة الجاهلة . تحاول الطبقات المتوسطة ، ولو بأساليب غير شرعية ولا قانونية كانقلابات عسكرية او دكتاتوريات شخصية ، ان تقيم في البلاد حكومات تولي المزيد من اهتمامها مصالح الطبقات الشعبية والدفـــاع عن استقلال البلاد . والى جانب دكتاتوريات محافظة ترعى مصالح الاميركيين ، كثيراً ما وقعت دكتاتوريات تأخذ على نفسها تأديب العناصر المعادية لواشنطن ، بعد ان تكون هذه الطريقة الاسلوب الوحيد « لتحطيم سلطة النبلاء ولتفادي لعبـــة الاكثرية المزورة التي تصانع الماضي وتبسم له » .

وهكذا نرى ان الاوضاع والظروف التي تكتنف النشاط السياسي في هذه البلدان لم تكن لتساعد على توطيد وترسيخ الافكار الاقتصادية فيها . فالحياة السياسية تبقى فيهـــا وقفاً على اقلية ناشطة متحركة بينما تبقى جماهير الشعب قابعة في سلبية سادرة . فأينما أجلنا النظر نرى مستوى العيش متدنياً للغاية كما ان مستوى الفكر يتردى في حالة مزرية ، فالمجتمع المديني الجديد يفتقر للكثرة والعدد ، ولا يزال مشتتاً ليلعب الدور الرئيسي الذي يلعبه في الغرب . فالأميـــة تسيطر في كل مكان باستثناء الارجنتين التي تعرف اقل نسبة من الاميين ، ١٠ بالمائة ، اما النسبة في غير هـــذه الدولة فتبقى عالية جداً : ٩٢ بالمائة في هايتي ، و ٧٩ بالمائة في سلفادور ، و ٧٠ بالمائة في نيكاراغوى ، و ٦٧ بالمائة في غواتيمالا وفي جمهورية الدومنيك ، وأعلى من ٥٧ بالمائة في البرازيل ، و ٥٠ بالمائة في المكسيك ، و ٤٨ بالمائة في هوندوراس ، و ٤٠ بالمائة في كوبا ، و ٣٥ بالمائة في بناما ... ولذا كانت المساهمة بنشاط البلاد السياسي ضعيفة اما لأن الاميين هم مستثنون من حق الاقتراع واما زهداً وعدم اكـــتراث . ففي المكسيك ٥ ملايين ناخب من اصل ٢٨ مليون نسمة ، وفي البرازيل كان عـام ١٩٦٠ عدد الذين يتمتعون بحق الاقتراع ١٦ ٠٠٠ ٠٠٠ من اصل ٣١ مليون هم في سن الاقتراع ، بينما يشترك بعملية الاقتراع فعـلاً منهم ٨ ٢٥٢ ٠٠٠ لا غير ، اي اقل من ١٧ ٪ من مجموع السكان . وفي الشيلي كان عدد من يتمتعون بحق الاقتراع ٥٩٢ ٠٠٠ عام ١٩٤٩ من بين ٧٦٥ ٠٠٠ نسمة ، وفي عام ١٩٤٧ ، اشترك في عملية الاقتراع ٣٥ بالمائة من الرجال و ٩ بالمائة من النساء . وفي بوليفيا ، جرى انتخـاب الرئيس هرزوخ عام ١٩٤٧ بـ ٤٠ ٠٠٠ صوت لا غير ، كما ان عدد البوليفيين الذي كانوا يتمتعون بالمواطنية الكاملة ، لم يزد عام ١٩٥١ ، على ١٥٠ ٠٠٠ .

الازمة وتأثيرها على الحياة السياسيـــة

عندما انفجرت الازمة الاقتصادية ، كان الوضع الاقتصادي في دول اميركا اللاتينية من التبعية للدول الكبرى والارتباط بها بحيث كان لا بد له من ان يتأثر عميقاً بالأزمة ونتائجها الموهنة الامر الذي جلب عليها انهيار العملة الوطنية. وأدى الى هبوط ذريع في اسعار المواد الزراعية . والمواد الغذائية (كالحبوب والبن والماشية) والمواد المعدنية التي سببت هبوطاً ذريعاً في التجارية الخارجية . كما احدث قلقاً وتشويشاً في موازنة هذه البلدان انخفاض الاستثمارات الاستخراجية المالدة للشركات الاجنبية او توقفها . واستتبع هذا الوضع ، اتخاذ اجراءات عدة منها مراقبة النقد ، والتوقف عن دفع فوائد الديون ناهيك عن موجـــة جديدة من البؤس والشقاء وفقدان المنتوجات الصناعية المستوردة من الخارج . واذ ذاك ، اخذت الحكومة تبحث عن وسيـــلة تؤمن التوازن في المجال الزراعي ، وذلك بفرض تنويع طبيعـــة المحاصيل الزراعية ، فعمدت الحكومة في الارجنتين الى الاكثار من زراعة النباتات الزيتية والكرمة والاشجـــار المثمرة كما عمدت البرازيل على تشجيع زراعة القطن بعد ان تعذر على رجال الصناعة تأمين العملات الصعبة لشرائه من الخارج . ولم تلبث هذه البلدان ان تبينت ما هو عليه نظامها من وضع حرج سريع العطب ، وشدة تبعيتها وارتباطها بالخارج . ان تخلف المشترين الاميركيين والاوروبيين لمنتوجاتهم ايقظ فيهم روحاً قومية اقتصادية كما اثار نقمة الشعب ضد الطبقات الموجهـــة التي كثيراً ما تتواطأ مع الرأسمال الاجنبي . ووقع اذ ذاك « جائحة من الثورات والانقلابات » ، جاء بعضها بوحي من الانظمة الفاشية ، في هذه البلدان التي تكاثر فيها عناصر الهجرة الايطالية والالمانية ، حيث تلقى قادة الحرب وكبار ضباط الجيش تدريبهم العسكري في المانيا ، وحيث يشتد ويظهر نفوذ اسبانيا الجنرال فرنكو .

ففي كوبا حيث جيراردو ميشادو سيد هذه الجزيرة غير المنازع منذ عام ١٩٢١ ، هوى الى الحضيض ، عام ١٩٣١ ، تعاقب على رئاسة البلادستة رؤساء خلال ٢٢ شهراً ، وتمكن الكولونيل باتيستا من إقامة دكتاتورية على غرار دكتاتورية موسوليني ، وفي البيرو ، سقط حـــكم الرئيس ليغويا عام ١٩٣٠ ، على يد الكولونيل تشيرو. وسيلس الذي سيطر على بوليفيا منذ عام ١٩٢٦ ، خر صريعاً تحت ضربات الكولونيل فورو الذي لم يلبث ان اخلى محـــله لبوش . وفي فنزويلا غوميز ، وفي هـــايتي الجنرال تراخولو ، وفي غواتيمالا أوبيكو ، وفي هوندوراس كارياس ، وفي سلفادور مارتنيز ، انشأوا حكماً دكتاتورياً في بلادهم . وفي الاكوادور تعاقب على اريكـــة الرئاسة ١١ رئيساً بين ١٩٣١ و ١٩٣٩ ؛وفي الارجنتين عاد المحافظون الى الحكم بفضل الانقلاب الذي قام به الجنرال اوريبورا ، وفي الاوريغواي قامت دكتاتورية دي تر"ا التي زادها احتداما وعنفا وصول الجنرال بلدومير الى الحكم ، وفي البراغواي ، قامت الدكتاتورية على يد الكولونيل فرنكو الذي لم يلبث ان خلعه عن الحكم الجنرال استيفاريبيا ، عام ١٩٣٩ ، وايبانيز في الشيلي طرد من الحكم عام ١٩٣١ ، ليتعـــاقب على كرسي الحكم ، من بعده ثمانية رؤساء في عشر

سنوات . وبعد المناداة بجمهورية اشتراكية استمرت ١٢ يوماً ، عاد الى استلام الحكم الرئيس القديم أيسلندرو ، بعد ان تحالف مع حزب المحافظين ، الى ان امنت انتخابات سنة ١٩٣٨ ، فوز الجبهة الشعبية التي وضعت للبلاد تشريعاً اشتراكياً كان من اكثر التشريعات تقدمية في العالم اجمع ، اذ نص على حد ادنى للاجور وعلى معاش تقاعدي لمن هم في سن الشيخوخة ، والبطالة ، والضمان ضد حوادث العمل ، والتعويضات العائلية .

ففي كل اميركا اللاتينية ، كان يوجد عام ١٩٣٩ ، اربع جمهوريات لا غير تتمتع بنظام ديموقراطي ثابت : الشيلي التي تخضع لحكومة إئتلافية برئاسة الجبهة الشعبية ، والمكسيك حيث اوشك الرئيس كردیناس بلوغ نهاية ولايته ، وكوستاريكا وكولمبيا التي تقوم عليها حكومة محافظة بالاشتراك مع الاحرار . أما في ما عدا ذلك ، فدكتاتوريات مستترة .

الحياة السياسية وارضاعها الجديدة

واستفحل عدم الاستقرار في هذه البلدان ، خلال الحرب العالمية الثانية والفترة التي تلت الحرب مباشرة . فالبنيان الاقتصادي في كل من هذه الجمهوريات ، ارتكز أصلاً على تصدير صنف او صنفين من انتاجها للخارج ، وبذلك ارتبطت حياتها السياسية وتبعيتها بالمشترين في الخارج : فاذا ما تأخروا أو تلكأوا – وهو امر بيد الزبون الرئيسي اي بيد الولايات المتحدة – هبطت الاسعار وكشرت الجماعة عن أنيابها ولاح في الافق شبح التضخم النقدي . وبعبارة اخرى، شبح الفوضى وسقوط الحكومة .

وهكذا يبدو ، كما يلاحظ جاك لمبرت ، ان التخلف الاقتصادي الذي تتسكع فيه دول هذه القارة ، وبروز طبقات اجتماعية جديدة في حياة البلاد السياسية هما وراء عدم استقرار الاوضاع في هذه البلدان . فالنقص العددي وانتفاء التجانس بين الطبقات الوسطى والطبقة العمالية ، جعل واهياً كل تحالف تعقدانه لهذا التناقض بين رغبات كلا الجانبين في مجال التصنيع وعجزهما عن تحقيق شيء من هذا كله دون اللجوء الى رؤوس اموال اجنبية ، التي لا يمكن ان تأتي الا من بلدان اميركا الشمالية ودولها على اساس ضمانات اقتصادية وسياسية لا يمكن ان يرضى بها او يستأنس لها الوطنيون في هذه البلاد . ومن جهة اخرى ، فالنفوذ العظيم الذي حققته الطبقة العاملة وضعف امكاناتها الشرائية زاد من مطالبها كما زاد من صلابتها . فالقطيعة تأتي سريعاً عندما يجري قمع الاضطرابات العمالية وكبح الاضرابات والحد منها ، وبذلك تمهد الطريق امام المناضلين عن البنيان التقليدي ، لاستلام الحكم في البلاد او للوقوف في وجه اي محاولة اصلاحية فيها ، فهياج الطلاب ومشاغباتهم التي لا ينكر احد اهميتها في الحياة السياسية ، تبقى عديمة الاثر ، ولا طائل تحتها . وبالفعل ، فالطلاب الذين ينتمي معظمهم ، هنا او في الشرق الادنى او في اقطار آسيا الشرقية ، الى الطبقة البورجوازية الصغرى ، والذي يفتح التعليم الجامعي امامهم امكانات الرقي والتطور في السلم الاجتماعي ، في مجتمع اساسه التسلسل ،

هم التعبير البليغ والعنيف لهـــذه القومية التي لا تصانع ولهذا الصراع ضد النخبـــة التقليدية في البلاد .

دور الجيش

ومن العوامل الاساسية في الحياة السياسية ، في هذه البلدان ، الجيش. والجديد هنا ليس في تدخل الجيش في الامور السياسية وهو تدخل حصل باستمرار منذ ان نالت هذه البلدان استقلالها الناجز ، بل الجديد هو في هـذا الطابع الذي اخذ يطبع تدخـــل الجيش منذ مطلع القرن العشرين . فالجيش في هذه الجمهورية هو جيش محترف ، وصغار الضباط فيه اخذ يقل انتسابهم الى الارستوقراطية العقارية (باستثناء البحرية). فهم من ابناء رجال الادارة والصناعة والتجار الذين يرون في البزة العسكرية علامة من علامات التصعيد الاجتماعي. وقد تلقوا في الاكاديميات الحربية التي خرّجتهم تدريباً تقنياً يشعرون عميقاً بتفوقه في بلدان اميركا اللاتينية . ولما كانوا على شيء محترم من الثقافـــة ، وأعدوا لحياة زاخرة بالنشاط مع انها اقصرت بالفعل على شبه عطالة لخلو اوضاع البـــلاد من مشاكل الدفاع ، أو على القيام بأعمال ، كالمحافظة على النظام ، فهم يتوقون من كل جوارحهم الى تصنيـع الاقتصاد والى تأمين استقلالها والمحافظة عليه ، فيشق عليهم ويشعرون بشيء من الخزي والعار من جراء مساعدة الولايات المتحدة المالية ومن تدخلهـــا في شؤونهم السياسية . فهم يكنّون العداء لهذه الاوليغارشية القديمة ولهذه الدكتاتوريات من الجنس البالي التي طالما ساندها اسلافهم ووقفوا الى جانبها، بعد ان عرف عنها مآلأتها المصالح المالية الاجنبية ولسياسة الاجنبي في البلاد ، ولذا نراهم يحبذون اي اصلاح اجتماعي يعود بالخير واليمن على الطبقـــات الوسطى والسفلى معاً .

وهكذا يتدخل الجيش في الازمات الاجتماعية والاقتصادية التي تنزل بالبلاد، بصفته عاملاً من عوامل النظام والانضباط ، او عندما تبرهن مؤسسات الدولة عن عجزها التام وقصورها ، فيصبح الجيش الحـكم الفصل في الحياة السياسية . ليس من طائل قط في بحث هذه التدخلات والتفصيل المسهب في قضاياها . فبينما كان في القارة عام ١٩٢٨ ، ست جمهوريات تخضع لنظام عسكري من اصل ٢٠ جمهورية، فقد ارتفع هذا العدد الى عشر عام ١٩٣٩ والى١٣ عام ١٩٦٤. وبين ١٩٣٠ – ١٩٥٧ ، تولى ٥٦ عسكرياً رئاسة الدولة في مختلف جمهوريات اميركا اللاتينية، استمر ١١ منهم في الحـكم لاكثر من سنة . وهذا التدخل لم يجر دوماً لصالح الجـــاه معين او نزعة محددة ، فقد استجاب الجيش ، تارة لنداء جـــاءه من الطبقات الممتازة لتأمين استمرار الوضع القائم (في الارجنتين عام ١٩٣٠ ، وفي البيرو ، عام ١٩٤٨) وطوراً لمساندة ثورة معينة (في فنزويلا ، عام ١٩٤٥) وآونة كحكم للفصل في نزاع لا نهاية له بين حزبين : بين الاحرار والمحافظين في كولمبيا ، (عام ١٩٥٢) .

ومع ذلك فهذا التدخل له طابعان متناقضان . هناك ، ولا شك ، طابع إصلاحي ، يرمي

إلى عصرنة البلاد ، يعطف على تأمين مساواة اجتماعية اكبر ، وتأمين اكبر قدر من التقدم المادي ، وهكذا يمكن ان نجعل في عداد الخدمات التي أدى اليها تدخل الجيش وضع حد لحكم استبدادي ظالم (فرغاس – بيرون) . الا ان هنالك طابعاً آخر يتسم بالسلبية ، عندما تظهر محدودية هذه الرغبات التقدمية حتى في هذه الحالات بالذات التي تمت فيهـــا محاولات اصلاح وعصرنة للبـــلاد ، فالجيش يبقى دوماً فوق القانون ويشكل دولة في الدولة ويولي نفسه حق التدخل لالغاء نتائج الانتخابات مثلاً ، او لفرض اصلاحات مالية او لزيادة الاعتمادات الحربية . والغالب ، بعد كل هذا ولا سيما بعد ١٩٣٠ ، هو ان صغار الضباط الذين يتطلعون الى الشهرة ، ينزعون دوماً ليس للوقوف الى جانب النظم الدكتاتورية والقوى المحبذة للركود الاجتماعي فحسب ، بل ايضاً ، الى جانب الولايات المتحدة « المدافعة عن العالم الحر » والتي تجود بمساعدات حربية سخية . فالجيش يكبح التطور الاجتماعي اكثر من ان ينشطه . فهو يعمل عادة في اتجاه الاصلاح ، انما يقف مكتوف اليدين امام تغيير أو مس الاوضاع الزراعيـــة التي هي محور كل الاوضاع . ومهما يكن ، لا بد من ان نلاحظ هنا ان البـــلدان الثلاثة التي امكن فيها تحقيق اصلاح زراعي (المكسيك منذ عام ١٩١٤ ، وبوليفيا منذ ١٩٥٢ ، وكوبا منذ ١٩٥٩–١٩٦١) ، هي هذه البلدان بالذات التي جاء الجيش بضباطه النابعين من الطبقة الوسطى او الطبقة العليـــا ، جرى الغاؤها بصورة جذرية من قبل ثورة شعبية .

الحياة السياسية منذ عام ١٩٤٠

وهكذا فعدم التوازن القائم بين الطبقات ، والسرعة التي يتم فيها التطور الاجتماعي ، هما من القوة والعنف بحيث ان بقاء استمرار القوى الاقطاعية القديمة امام تطور البورجوازية والبروليتاريا يجعل من المستحيل تحقيق « اصلاحات ثورية جذرية مستعجلة » .

ومثل هذا الوضع يتوفر في البلدان الآخذة بالتطور حيث تستدعي الحاجة غالباً الى سلطات استثنائية . غير ان تاريخ اميركا اللاتينية المضطربة يدلنا بصورة نهائية انه بقطع النظر عن بعض الدول الصغيرة فيها ذات التركيب الاجتماعي البالي والتي تعيش باستمرار تحت نظـــام دكتاتوري وحيث « تحول الوضع فيهـــا الى نظام كيفي ظالم » فالنظام الدكتاتوري ليس سوى أسلوب سياسي لا يلجأ اليه الا في الازمات الاقتصادية الحـــادة . فالسواد الاعظم من الدول اللاتينية يحتضن نظاماً رئاسياً تشبل فيه سلطة الرئيس مستوحى من نظام الولايات المتحدة ، انما يختلف معه اختلافاً بيناً في الروح ، إذ تنقصه عادة الهيئات القائمة في هذه الولايات والتي تؤمن التوازن في سلطات الرئيس . فالمجالس والهيئات البرلمانية ، كما يلاحظ جاك لمبرت بحق ، لا تلعب سوى دور مغمور وتبقى سلطات الرئيس عملياً دونما رقيب او حسيب ، لا حدود لمداهـــا الا بانتهاء ولايته الذي يضع حداً لسلطاته الكيفية .

ففي السنوات الاولى من الحرب ، نرى الحكومات « تجمد » في سلطاتهـــا ، ثم يأخذ الجليد بالذوبان بعد عام ١٩٤٣ ، عندما أخذ يشتد نفوذ الطبقـــة المتوسطة : ففي حزيران تنشب في

الارجنتين ثورة الزعماء الموالية للنازية ؛ وفي بوليفيا ، يقوم في كانون الأول قدماء المحاربين في حرب تشاكو الى جانب فاشيين يساعدهم مدنيون من « الحركة الوطنية الثورية » بقيادة بار أستنسورو ، باعلان دكتاتورية لم تعمر قط ، من برنامجها تأميم الخطوط الحديدية في البلاد ، والكهرباء ، والدخول في صراع مع فئة كبار الملاكين لمناجم القصدير. وفي ايار ١٩٤٤ ، نشبت في جمهورية الاكوادور ثورة حملت الى كرسي الرئاسة فيلاسكو ايبارا الذي وضع مشروع دستور جديد للبلاد ، وضاعف ٥٠ بالمائة عدد العمال الزراعيين الذين يعملون في المزدرعات الكبيرة ، كما يقوم بمحاولة اصلاح زراعي ، ويقرر الضمان الاجتماعي الالزامي وخطط لاصلاح زراعي مع تمثيل العمال في المجلس النيابي ، وفي عام ١٩٤٥ ، قام البيرو بانقلاب ابيض تسلمت معه الجبهة الديموقراطية التي يرئسها مؤسس الحزب *A. P. R. A.* الذي غير اسمه في السنة التالية وعرف باسم حزب الشعب ، يستلم دفة الحكم ، على شاكلة الاشتراكي روملو بيتانكور في فنزويلا . وفي عام ١٩٤٦ ، يعهد الرئيس فيدلا بثلاث وزارات الى الشيوعيين بينهم وزارة الزراعة .

واشتد الضغط الاميركي كما اشتدت الحاجة الى رؤوس اموال لا مندوحة عنها وقد أدى انهزام دول المحور الى سقوط عدد من الحكومات في البلدان الاميركية الجنوبية : في غواتيمالا وفنزويلا والبرازيل وبوليفيا . وقد تجاهلت الحكومة في فنزويلا مشروعات التأميم ، كما لم تلبث حكومة الشيلي ان حلت الحزب الشيوعي واعلنته غير شرعي ، وجرى قلب استنسورو في بوليفيا ، كما ان المكسيك تخلت تدريجياً بعد انتخاب كاماكو للرئاسة عام ١٩٤٠ ، عن السياسة الاصلاحية التي تمشى عليها الرئيس كردیناس،أقرت سياسة عدم التأميم اجتذاباً لرؤوس الأموال الاجنبية . وفي عام ١٩٤٦ ، تحول « الحزب الشيوعي المكسيكاني » بعد ان تجرد من كل نزعة ثورية الى « الحزب الدستوري الثوري » ، واستمر الرئيس ألمَان في سياسة حسن العلاقات مع الولايات المتحدة والتقرب من الكنيسة .

ووقعت انقلابات دبرها كبار الملاكين العقاريين بمساعدة الجنرال اودريا في البيرو والباراغواي وفنزويلا حيث حل الجنرال شلبو محل بيتانكور . وظهرت ردود فعل ومقاومة قوية ، في الاكوادور اعرب الرئيس الذي تم انتخابه عام ١٩٤٨ عن رغبته القيام باصلاحات تكون في صالح الهنود الحمر ، وصمد بنجاح في وجه عدة محاولات للاطاحة به ؛ وفي بناما جرى عام ١٩٥١ قلب الحكومة التي تمثل « الحزب الثوري الاصيل » المعروفة بعدائها الشديد لاميركا، وفي بوليفيا قام فريق بمحاولة الانتخابات التي أمنت اكثرية في المجلس التمثيلي لباز استنسورو، الذي تغلب على المحاولة وقام بثورة فعلية كان من بعض اهدافها : تأميم مناجم القصدير وتوسيع التعليم وتطويره ، والاصلاح الزراعي الذين بوشر به عام ١٩٥٣ وهدف للقضاء على وضع الاراضي الزراعية الواسعة التي لا تستثمر او انها تستثمر بشكل لا يفي بالغرض . وفي غواتيمالا ، قام الكولونيل اربنز ، عام ١٩٥٢ ، باصلاح زراعي من اهدافه توزيع المزارع الضخمة، منها مزرعة تخص شركة الفاكهة الاميركية مساحتها ٨٣٠٠ هكتار وهي شركة تملك ١/٠ مساحة

البلاد . وتسجل الاحزاب الاصلاحية نجاحات باهرة منهـا الحزب الزراعي العمالي الذي يرأسه الجنرال ايبانيز في الشيلي عام ١٩٥٢ ، وانتخاب الرئيس فيغيراس رئيساً لكوستاريكا ١٩٥٣ .

وليس بغريب قط ان تصمد المصالح المهددة في وجه هذه المحاولات وتدافـــع عن نفسها . ففي عام ١٩٥٤ ، قامت بعض عصابات من المهـــاجرين ، مزودة بالاسلحة اللازمة وبطائرات مقاتلة اميركية بمهاجمة غواتيمالا بينما فرض الاميركيون حصاراً على مرافىء البلاد لمنـع وصول الاسلحة التي اوصت عليها الحكومة . وقد ارغم اربنز على التخلي عن الحكم كما ان خلفه ألغى الاصلاح الزراعي الذي كان بوشر به . وفي سنة ١٩٥٥ ، جـــاء دور الرئيس فيغوراس الذي ضاعف الضريبة المفروضة على الشركة الاميركية للفـاكهة . وجرى اسقاطه من الحكم على يد « جيش التحرير » تم تدريبه في نيكاراغوي وزود بقاذفـــات اميركية ... فأصحاب هذه المصالح القوية ينجحون في قلب الاوضاع القائمـــة في اكبر دولتين بين دول اميركا اللاتينية : ارجنتين بيرون ، وبرازيل قرغاس .

دور الاحزاب الشيوعية

فالشيوعية المحظورة تقريباً في كل مكان ، باستثناء بعض فترات قصيرة ، هي دوماً عرضة لمطاردة الحكومات ومحاربتها . ومع ذلك فليس من ينكر او يشك بالنفوذ القوي الذي تتمتع به في الخفـــاء وان كان من الصعب تقييمه على وجهه الصحيح . ففي سنة ١٩٥٥ جرى الغاء الحزب وحظره في ١٣ بلداً ، وسمح له بالبقاء والعمل ضمن تقييدات شديدة في خمس منهـــا ، واطلقت له الحرية التامة في بوليفيا وحدها . فهو يجتذب بعض كبار المفكرين اليه امثال كارلوس برستس رئيس الحزب الشيوعي البرازيلي وهو ضابط كبير وكاتب معروف ، والشاعر الكوبي غوبليان ، والشاعر الشيلي بابلو نرودا ، ويرسخ بشكل قوي في البلدان التي تقوم فيها صناعات حديثة ويعتمد فيها على الطبقـة العمالية وينشط للعمل بين النقابات ، وفي البرازيل حيث نال الحزب في انتخابات عـــام ١٩٤٥ ؛ اكثر من ٥٧٠ ٠٠٠ صوت ، يأتي الحزب في المرتبة الرابعة بين الاحزاب ، كما يبدو نشاطه في كل من المكسيك ، والشيلي حيث آزر ايبانيز على انتخابه رئيساً ، وكوبا وغواتيمالا . فليس في مقدوره ان يلعب بعد ، دوراً حاسماً في اي من هذه الاقطار ، ويراعى جانبه في كل مكان لموازرته قيام الدكتاتوريات التي يعتمد برنامجاً اصلاحياً وتعمل على مناهضة النفـــوذ الاميركي. الا ان انتصار الكاسترية في كوبا الذي الهب عداء العناصر المحافظة في هذه الجمهورية بدّل كثيراً من اوضاع نشاطه وظروف عمله .

٣ – الصراع في سبيل الاستقلال

التبعية الاقتصادية والمالية

بالرغم من الازدهار الاقتصادي الذي عرفته خـــلال الحرب ، ومن دفع قسم من ديونها للدول الاوروبية الدائنة ، بقيت دول اميركا اللاتينية تعـــاني من تبعيتها وترابطها . فقد بقيت ، مدة طويلة مسرحاً لصراع عنيف

أحتدم بين رجال المال البريطانيين وبين المولين الاميركيين ، وهو صراع شالت كفته لصالح الفريق الاخير منذ عام ١٩٢٨ . ففي هذا التاريخ بالذات بلغت رؤوس الاموال البريطانيـــة الموظفة في هذه الاقطار ، ١٢٠٠ مليون ليرة انكليزية ، منها ٣/٤ هـــذا المبلغ قدمت قروضاً للدولة ولشبكة الخطوط الحديدية في حـــين انطلقت حركة الانكماش من بيع بعض المصالح العامة لفرقاء يشرف عليهم ممولون اميركيون . ومنذ ذلك التاريخ ، وبالرغم من محافظة الدول الاوروبية على مراكزها القوية في كل من الارجنتين والبرازيل والمكسيك والشيلي ، فرؤوس الاموال الاميركية ، اخذت تبرز بشدة وتحاول السيطرة جلياً : فهي تمثل ٢٠ ٪ من ديون البرازيل الخارجية . والمال الاميركي يوظف في مشاريع استثمار المناجم والصناعة والمزدرعات الواسعة النطاق ، كما انها توزع سلفات لبعض الزعماء ، وتعمل على توثيق ارتباطها مـــع بعض الاقليات المسيطرة على السلطة في البلاد . وفي الوقت ذاته ، زادت حصة الولايات المتحـدة في تجارة هذه البلدان مع الخارج بصورة محسوسة (فبلغت ٣٨ ٪ من مجموع استيراد الدول اللاتينية لقاء ١٥ ٪ منها لانكلترا) .

والضائقة المالية الكبرى والحرب العالمية الثانية اللتان عملتا كثيراً على التخفيف من روابط هذه الدول الاقتصادية باوروبا ، لم تخففا قط من تبعيتها وارتباطها بالخـــارج . وعلى عكس ذلك تماماً ، فقد ادت الحرب الى توثيق قبضة الولايات المتحدة . وهـــذه القبضة تبرز على الاخص في المجال الاقتصادي : فالمبادلات مع الولايات المتحدة هي اقوى من اي وقت مضى اذ ارتفعت الواردات من ٣٢ ٪ والصادرات من ٣٨ ٪ ، عـام ١٩٣٨ ، الى ٥٥ بالمائة و٥٨ بالمائة عام ١٩٥٢ ، وفي المكسيك ٩٠ بالمائة من الواردات و ٧٥ بالمائة من الصادرات ، وفي الشيلي ٤٢ و ٥٣ بالمائة ، وفي البرازيل ٥٨ و ٤٦ بالمائة ، وفي فنزويلا ٥٠ و ٢٥ بالمائة ، وفي كولمبيا ٥٠ و ٦٦ بالمائة وباستثناء الارجنتين والاوريغواي ، تحتل الولايات المتحدة ، المرتبة الاولى في تجارة هذه الدول مع الخارج ، وتمارس نحوها بالفعل « سياسة خنق » (فرنسوا بيرّو) ، والوضع الاقتصادي في كل من هذه الجمهوريات سريع العطب كما هو سريع النيل منه ، اذ بدلاً من ان تعمل على تنويع تجارتها الخارجية ، فهي ترتبط ، اكثر فاكثر ، بعدد من اصناف الانتاج آخذ بالتناقص ، اسعارها تحدد في الخارج بمعزل عنها في الاسواق العالمية (النترات ، النحاس ، البن ، السكر ، البترول ، القمح ، الصوف) بينما ما يشكو الفائض او التخمة ، بينما يشتد فيها الطلب على المنتوجات الغذائية والمحروقات . ومن جهة اخرى ، فرؤوس الاموال نادرة هي والتوفير ضعيف للغاية والضرائب قليلة المردود اذ ان المواد التي تصيبها الضرائب قليلة ، وفائدة التسليف عالية ٨ بالمائة للقروض التي تعقدها الدولة ، واعلى من ذلك في القروض الخاصة .

ثم ان الولايات المتحدة لا توظف اموالها الا في البلدان التي تسودها « ظروف سياسية مؤاتية وتتمتع باستقرار اقتصادي وتطمع بمعاملة عادلة سوية تتيح لها توزيع ارباح عادلة على اصحاب الاسهم » . فهي لا توظف اموالهـا في الصناعـات « الـتي تسهم في تطوير البـلاد الاقتصادي

والاجتماعي » ، بل في المجالات التي تنعم بأسواق قريبة مربحة ، اي في هذه الاقطار التي حقق قسم من سكانها مستوى رفيعاً من العيش اللائق ، وهذا الشرط لا يتوفر كثيراً في بلدان تتسكع في البؤس والشقاء كهذه الاقطار الواقعة في قلب منطقة جبال الاندس او في اميركا الوسطى حيث تشتد الحاجة الى مثل هذه الاستثمارات .

وهكذا نرى ان رؤوس الاموال الاميركية حلت محل رؤوس الاموال الاوروبية . فمنذ ١٩٤٣ ، ان نصف استثمارات الولايات المتحدة ، في الخارج ، تتركز على الارجنتين ، وفنزويلا والشيلي والبرازيل . وبعد عام ١٩٤٥ يرتفع هذا الرقم من ٤٣٠١ مليون دولار الى ما يقرب من ٨ مليارات دولار عام ١٩٥٣ ، تنال ست دول منهـــا ، هي فنزويلا والبرازيل ، والشيـــلي والارجنتين ، وكولمبيا والبيرو ثلثي هذا المبلغ الضخم ، ويذهب نصف هـــذا المبلغ للبرازيل وحدها . وهذه الاستثمارات يطلب اليها ، قبل اي شيء آخر ، تأمين المزيد من الخامات والمواد الاولية اللازمة للحرب . وقد حدث بعد الهدنة رأساً هبوط بالاسعار أثار أزمة . وقد وجب ، عام ١٩٥٠ ، العودة الى انتاج المواد الستراتيجية مما ادى الى ارتفاع الاسعار ، وبعـــد انتهاء الاعمال الحربية في كوريا ، أدى المخزون من المواد الاولية غير المبيعة الى اثارة ازمـــة اخرى في البلاد .

وريع هذه الاستثمارات الجسيم الذي يعادل ١١،٢٪ من قيمة رأس المال الأسمي الموظف عام ١٩٤٥ ، و ٢٠،٥٪ من المبالغ الموظفة عام ١٩٥١ ، و ٣٠٪ من الاستثمارات البترولية ، يرسل قسم كبير منه خارج البلاد وقلما يعود اليها للاستثمار فيها ، ولذا يبقى مستوى العيش فيها متدنياً جداً ، لا بل ينخفض معدله بالنسبة للضغط الديموغرافي الناجم عن ازدياد عدد السكان .

فمنذ عام ١٩٤٠ ، لم تعد بلدان اميركا الجنوبية سوى دولة واحدة . فهي بحاجـــة ماسة للعون المالي الاميركي ولاميركا بالذات كزبون لا بد منه ولا ندحة عنه ليس لتحسين الاوضاع التي ترسفون فيها بل ايضاً منعاً للتدهور الى ما هو اسوأ ، اذ ان عدد السكان يتزايد باسرع من تزايد الانتاج الوطني فيها . ولذا رأت نفسها دوماً بحاجة ماسة لرؤوس أموال أجنبية .

وهذا التغلغل الاقتصادي يصحبه إنشاء شبكة واسعة من الخطوط الجوية (كالبان اميركان والبان اغرا) ، وخطوط الملاحة البحرية ، وكلها تستدعي وجود فنيين واخصائيين بأعـــداد تتزايد يوماً بعد يوم ، وانشاء مؤسسات تعليمية وبعثات دراسية الى الولايات المتحدة يتابعون فيهـــا تحصيلهم الجامعي ، والاكثار من مكاتب الاستعلامات ومن الجرائد التي تتلقى الوحي والالهام من مصادر اميركية ، واستيراد كميات هائلة من الافلام السينمائية (٨٠٪ من مبيعـات هذه الافلام في الخارج) التي من اهداف الترويج لنمط العيش الاميركي في طول البلاد وعرضها .

التبعيـــة السياسيـــة

تمتد سيطرة الولايات المتحـــدة الى كل اطراف نصف الارض الغربي . فسياسة العصا الغريض التي رسمهـــا الجمهوريون مع تيودور روزفلت منذ منتصف القرن العشرين تجاه « اللاتين المنحطين » و « اذناب الكلاب » ،

بقيت جارية المفعول، ومطبقة لاسيما في منطقة البحر الكاريبي حيث اخذت مصالح الولايات المتحدة الستراتيجية والاقتصادية تزداد شأناً وخطورة. فالمصالح الكبرى تحرص حرصاً شديداً على قيام حكومات طيّعة ، سلسة الانقياد تاركها وشأنها لتتصرف كما تريد مع انها تلاقي نفوراً وكرهاً لها لدى الشعوب ، وعرضة للخطر والتهديد . ولذا توجب مساعدة هذه الحكومات عن طريق القروض التي تنفق على تقوية تشكيلات الجيش والأمن العام او مؤازرتها عند الاقتضاء بالسلاح . والطريقة التي تعتمدها الدبلوماسية الاميركية عـــادة هي الحصول على تنازلات جمركية او في شبكة الخطوط الحديدية وتنازلات عن منافع اخرى متنوعة تأتي على غرار الاساليب والخطط التي ركنت اليهـا الدول الاوروبية ، في توطيد حمايتهـا على ما تبقى من الدول المستقـلة في القارة الافريقية .

ففي منطقة جزر البحر الكاريبي جاء التدخل العسكري في سلسلة متصلة الحلقات . ففي كوبا حيث أرسل عام ١٩٢٠ الجنرال كرودر للفصل في قضايا انتخابية واشترط تحقيق بعض الاصلاحات المالية قبل عقد اي قرض مالي، وفي نيكاراغواي التي جرى احتلالها من سنة ١٩٠٩ الى ١٩٢٩ ، حيث تتمركز القواعد العسكرية الاميركية في خليج فونسا كا ، ولن تلبث مصلحة الجمارك والخطوط الحـديدية ان وقعت تحت اشراف الاميركيين ، وفي هوندوراس التي تضطر للتخلي عن مراقبة جماركها ، وفي هايتي ، في سان دومنيك بالذات ، حيث يتسلم ادارة الشؤون المالية خبراء اميركيون . كما ان الحكومة الوطنية في سان دومنيك تستبدل لمدة اربع سنوات بحكومة عسكرية تحت اشراف البحرية الاميركية ، ومنـــذ عام ١٩٢٣ ، ما من دولة من دول هذه المنطقة تعقد قرضاً مالياً خارج الولايات المتحدة، وتنهال عليها رؤوس الاموال الاميركية، لا سيما بعد هبوط الاسعار عام ١٩٢٠ وخلال السنوات التي تم فيها الاحتلال العسكري الذي اتاح لهم حيازة عدد كبير من الاراضي . وفي كوبا تملك شركات السكر خمس مساحة الجزيرة و ٦٠ ٪ من معامل تكرير السكر بينما ٨٠ ٪ من المعامل الاخرى تعيش على السلفات المالية التي تقدمها لها المصارف الاميركية ؛ فالمصارف وشركات التأمين الاميركية ، يقيمون بالفعـــل احتكاراً كاملاً للجزيرة . اما على القـــارة ، فنحن امام « امبراطورية الموز » بملكة الشركة الاميركية الأثمار التي تملك ، في سنة ١٩٣٠ ، مزدرعات شاسعة ، لقصب السكر والكاكاو ، واسطولاً من ١٠٠ سفينة (الاسطول الابيض الكبير) ، وتشرف على ١٦٠٠ ميل من الخطوط الحديدية والخطوط البرقية ، التي تكون ، على الغالب ، الوحيدة في هذا البلد الذي تعمل فيـــه الشركة. وهذه الشركة بما لها من سفن تعمل في نقل الثمار والركاب ومن ارصفة واسعة في المرافىء، ومن فنادق ومعامل تكرير ، ومصانع ضخمة ومن مدن عمـــالية هي اليوم من أهم الشركات الكبرى في العالم ، شبيهة من نواح كثـــيرة بستاندرد اويل. فهي تشرف مباشرة او بواسطة فروعها العديدة على مساحة ثلاثة ملايين هكتار من المزدرعات (اي ما يزيد على مساحة بلجيكا)، ولها في ولاية كوستاريكا وحدها ١٠٧٠٠ هكتار من الاراضي المزروعـــة شجر الكاكاو ،

و ٧٠٠٠ هكتار من حقول الموز ، ويستغل فرعهـــا في غواتيمالا ، المعروف بشركة غواتيمالا الزراعية ٥٠٠ ٠٠٠ ٤ قطعة موز من مزدرعات للموز مساحتها ٠٠٠ ١٢١ هكتار ، اي مـــا يوازي كل انتاج الجزر الخضراء او كناري . ويعمل في استثمار هـذه المزارع جيش من العمال ، يؤتى بهم من سكان جامايكا ومقاطعة الاندلس في اسبانيا وجزر الكناري ومن الهنود الحمر ، والصين. وهي تتحكم بهؤلاء المزارعين المعزولين الذين يضطرون للتعاقد معها بعقود بيع ويتخلون لها عن جميع الارباح التي تجنيها من اعمال التسويق .

فالسكان يبقون عاجزين تماماً في وجه احتكار هـذا الانتاج الضخم وهذه التجارة الواسعة بحيث تبقى الحكومات حيالها مستكينة ضعيفة ، لا تبدي ولا تعيد امام ما لهـذه الشركات من غنى وثراء وحول وطول ، والتي باستطاعتها ان ترفع الدكتاتوريات وتخفضهـا كما تريد ، وان تفسد ضمائر الموظفين ورجال السياسة ، وتتلاعب بالمنافسة السياسية وتهيىء الانقلابات السياسية والثورات . والترابط الشديد بين مصالح مزارعي الموز والخطوط الحديدية ، وسيلة من وسائل الضغط والاكراه الفعالة تزرع كل من لا يقف الى جانبها . والنشاط الاناني الذي تبـــذله هذه الشركة يتعارض كل المعارضة مع مصالح السكان ، اذ انها تعتمد على الزراعة الاحادية اي زراعة الصنف الواحد الذي يؤلف خطراً حقيقياً على اقتصاد هذه البلدان ، وتهمـل جانباً قسماً كبيراً من الاراضي الصالحة لاعطاء المواد الغذائية اللازمة . كذلـك هي ضد كل اصلاح اجتماعي الذي يقوي جانب العامل ويحرره من ربقة هذه الشركة ويجعله اقل طواعية لها .

وهكذا فالولايات المتحدة التي لا تمارس الاستعمار بمدلوله المتعـــارف ، خلقت في اميركا اللاتينية محميات خفية او مستترة كوضع اليد الكامل على جمهورية سان دومنيك او بمراقبتهـــا الحياة الاقتصادية والمالية للبلاد كما يجري الامر تماماً مـــع الشركة الاميركية للاثمار في غواتيمالا .

في سبيل التحرر

وقامت في البلاد حركة تسعى لنزع سيطرة الاجنبي وعبثه بمواردهـــا الوطنية ، حاولت اشراك العمال وابناء الطبقة الوسطى فيها للاسهام معاً في انجاح هذه الحركة . وهذه الجبهة وقفت في وجه الولايات المتحدة والحكومـــات الوطنية الخاضعة لسيطرتها التي لا تستمر في الحكم الا بدعم منها . واتخذت المعـارضة اشكالاً مختلفة من المقاومة والصمود وارتدت طابعاً عنيفاً في هذه البلدان التي تم فيهـــا تدخل عسكري : في نيكاراغواي ، اصلى سنديتو الاميركيين» سلسلة من المناوشات والحروب دامت اكثر من ست سنوات . وظهر في هايتي وفي سان دومنيك « عصابات » ، منها العصابة التي ألفهـــا الهايتي بيرالت ووجدت تجاوباً في الاوساط الشعبية وشنت سلسلة من الهجمات ضد المحتلين والحكومات المتواطئة معهم ، واضطرت الحكومة لشن حرب فعلية للتغلب عليهـــا استمرت سنتين . وفي كولمبيا قام العاملون في زراعة الموز بأضراب عنيفة أودى بحياة الف واحـــد منهم . ان نفور الشعب من هذه الاستملاكات ، والحقد الذي واجهت به كل اميركا اللاتينية الاساليب التي تلجأ

اليها المفارز الاميركية ، اجبر حكومة الرئيسين هاردنغ وكولدج على تصفية هـذه الممتلكات وعلى انتهاج سياسة جديدة من « حسن الجوار » . وهـذا النفور من الاميركيين الذي كان تجلى في مؤتمر الجامعة الاميركية في سنتياغو ، عام ١٩٢٣ ، بلغ من العنف في المؤتمر الخامس لهذه الجامعة الذي عقد في هافانا ، عام ١٩٢٨ ، بحيث اضطر وزير خـــارجية اميركا للتمييز بين « التداخل » *Interposition* ، و « التدخل » *Intervention* . وعندما أقر مجلس الكونغرس ، عام ١٩٢٩ ، اتفاق كيلوغ الذي ينص على عدم اللجوء للحرب اضطر للتخلي عن الملحق الذي وضعه روزفلت الذي كان ينص على ان للولايات المتحـــدة ، في نصف الارض الغربي ، سلطة « بوليس دولي » .

ومنذ ذلك الحين اخذت بعض الحكومات تنهج لها سياسة استقلالية جديدة سواء في مجال سياستها الخارجية كالارجنتين مثلاً التي عقدت علاقات تجارية مع الاتحـاد السوفياتي كما عقدت معاهدات تحالف مع الدول المجاورة لها ، او في مجال سياستها الاقتصادية بانشائها صناعة وطنية ثقيلة ، وبالحد من مكاسب شركات الاستثمار الاجنبية وارباحهـا ، عن طريق مشروعات الاصلاح الزراعي كزيادة التعويضات التي يتوجب عليها دفعها ورسوم جديدة واجبارها على دفع اجور اكبر للعمال الذين تستخدمهم ، او عن طريق سياسة التأميم التي انتهجتها حكومات المكسيك وبوليفيا وفنزويلا وغواتيمالا وكوستاريكا والبرازيل . وقـد اضطرت جميع هذه الدول في نهاية الامـر للتقيد بسياسة الولايات المتحدة . فالمحاولات التي قامت بها لسن تشريعات عمالية او لوضع خطة لتطوير اقتصادياتها ، دونما نظر الى مصالح الاستثمارات الاجنبية هوجمت بعنف . وقد تمكنت « سياسة حسن الجوار » التي سارت عليها اميركا في الثلاثينيات الى تهدئة الخواطر وازالة سوء الظن في السياسة الاميركية بعد ان كانت اوحت « بالعصا الكبيرة » . وساعدت الحرب في اعقاب ١٩٣٩ ، على تقوية النهج الاميركي الجديد الذي قام على التعاون والتشاور ، مما حمل دول اميركا اللاتينية على الاتجاه من الولايات المتحدة للحصول منها على عون اقتصادي ومالي . وقد تغير الوضع بعد وفاة ف. د. روزفلت . وقد امتعضت بعض الجمهوريات في اميركا اللاتينية من المداخلات المكشوفة التي اخذ يقوم بها فريق ممثلي اميركا الدبلوماسيين ، منها مثلاً تدخل السفير الاميركي برادن ضد الجنرال بيرون ، في انتخابات عام ١٩٤٦ ، كما ساءها جداً المطالب الملحفة التي تنهال عليها والضغط الذي تتعرض له من قبل هؤلاء الممثلين وفي مجال العلاقات الدولية بين الاميركتين ، رات ان قضيـة الأمن التي تتذرع بها الولايات المتحدة والتي طالما اثارتهـا في مؤتمر شابولتبيك (١٩٤٥) وفي مؤتمر بوغوتا (١٩٤٨) لا تتعلق بها كثيراً وان تقوية امور الدفـــاع عن نصف الكرة الغربي تعود بالنفع على الولايات المتحدة بالأكثر . ولذا فقد أبت التسليم بمبدأ مراقبة أدق للعلاقات الدوليـة التي تنوي وضعه موضع التنفيذ . كما نفرت من الالتزامات الحربية والمالية التي تقـع عليها من جراء هذه السياسة ، وأعربت من جهة ثانيـــة عن امتعاضها الشديد للاعتمادات القليلة التي

يلاحظها مشروع مارشال ، اذا ما قورنت بما يخصص من هذه الاعتمادات والمساعدات للبلدان العدوة من قبل ، ولكيفية تطبيق النقطة الرابعة . فلم تنل جمهوريات اميركا الوسطى المتخلفة والجمهوريات الاخرى الواقعة في جبال الاندس سوى ١ – ٦ ٪ من مجموع السلفات التي وزّعت على العالم وبلدان الشرق الادنى وافريقيا ولا سيما اوروبا الغربيـــة لأسباب سياسية لا تخفى على احد .

ولذا برزت في جميع المجالات ردة فعل عدائية ، ضد السياسة الاميركية ، ففي هـــذه الآثار الفكرية والادبية التي اخذت تمجد ماضي الهنود التي جـاد بها الكاتب البوليفي شيرو اليغريا ، والكاتب الآخر الشيلي غبريل مسترال ، والشاعر بابلو نيرودا اشهر شعراء اميركا في وقتنا هذا ، مع الشاعر البوليفي فلنسيا فيرغا والشاعر دانيال فلكرسيل البوليفي الذين اخذوا ينادون بثورة عارمة تؤمن الاستقلال التام لحوكل نفوذ اجنبي . والكاتب ميكل انجـــلو استدرياس الذي تصف لنا مؤلفاته جهاد المواطنين في غواتيمالا وصراعهم الدامي ضد شركات الاحتكار ورجال الاعمال التي يوجهونها الذين يستثمرون دونما شفقة او رحمة سكان هذه البلاد الفقراء (قصة : البابا الاخضر . وعيون سكان القبور) وظهرت هذه المشاعر على الاخص في المؤتمرات الاميركية الدولية ، في واشنطون عام ١٩٥٤ ، وفي كراكاس ، عام ١٩٥٤ ، ولا سيما بعد وصول الحزب الجمهوري الى الحـكم اذ اخذ يهدد اصحـاب رؤوس الاموال بالرجوع الى سياسة التدخل .

النزعة الاميركية الاسبانية

وتفتح الشخصية الاميركية ووقوفها في وجه اوروبا ولا سيما في وجه الدول الانكلوسكسونية ، هذه الحركة التي انطلقت من المكسيك ، لم تلبث ان عمت كل اقطار اميركا الجنوبية . وقد وجدت تعبيرها في هـذه النوعية التي تغلغلت في العنصر القومي الاصيل ، وفي هذه الردة التي تطالب باحيـــاء الحضارة الاميركية الاسبانية الغابرة . وقد عبرت هذه الحركة عن الروح الجياشة التي تململت فيها ، بهـذا الادب الاميركي الاصيل الذي اخذ يعالج المشكلات القومية في بلدان اميركا اللاتينية والف سداً يقف في وجه المملاق المنتصب في الشطر الشمالي من القارة . وهذه الوحدة او الاتحـــاد السهلة التحقيق في المجال الثقافي او الفكري ، كان من العسير جـداً تحقيقها او الوصول اليهـــا في المجالات السياسية والاقتصادية . فقد اتخذت الحكومات المعنية موقفاً متبايناً بعضها من بعض ، بالنسبة لموقعها الجغرافي ولما هي عليه من يسر وبسطة عيش وبنسبة العلاقات الـــتي تشدها من الولايات المتحدة . فمن منها شدها الى اميركا وشائج وثيقة واواصر متينة ، كالارجنتين مثلاً ، انست من نفسها حرية اكبر وقدرة اشد للحد من النفوذ الاميركي ، بينما بقيت الجمهورية الاميركية الاخرى تحت تأثير الحزب الاميركي ، عاجزة عن كل مقاومـــة ، ليس من حليف يقف الى جانبهـــا للشد من أزرها . والضغط الاميركي شق طريقه الى هـــذه الجمهورية ، عن طريق الانقسامات التي مكر جيداً في تغذيتها ، والّبها بعضاً في وجـــه البعض الآخر . فقد نجحت

أربع دول منهـــا ، على أقدار متفاوتة ، في توطيـــد استقلالها ، هي المكسيك والأرجنتين والبرازيل وكوبا .

ثورة المكسيك

فالمكسيك ، وحدها بين هذه الدول ، قامت بالفعل، بثورة اجتماعية. فالعمل البنّاء فيها يؤشر به ، عام ١٩٢٠ ، عندمـــا وضعت الحرب الاهلية اوزارها بعد ان الحقت الخراب والدمار بالبلاد ، وهي حركة تميزت بوضع حد للسلطات الواسعة التي تمتعت بها الكنيسة في تلك البلاد ، مما أدى الى حركات عصيان وتمرد غذتها مرويات عن ظهورات عجائبية للعذراء مريم . والى اضرابات قام بها رجـال الاكليروس فامتنعوا عن ممارسة واجباتهم الدينية لمدة ثلاث سنوات ، وحروب عصابات نظمها « الناصريون » وتطبيق اهم مواد الدستور الاساسي التي تنص على امكان مصادرة امـــلاك الكنيسة ، وبعث الممتلكات الجماعية للمجتمعات القروية بعد ان نُزعت منها في الماضي ، والغاء الديون المترتبة على المزارعين وانشاء نقابات للعمل والاصلاح الزراعي الذي تمهـــل بتطبيقه رؤساء الجمهورية الثلاثة : كارانزا واوبريغون وكالاس ، ادى بالرغم من هذا التباطؤ في وضعه موضع التنفيذ ، الى توزيع ٤ ملايين هكتار من الاراضي على الاهلين ، كما ادى الى انشاء مصارف زراعية في البلاد ؛ الا انه لا يزال في البلاد ، عام ١٩٣٠ اكثر من ١٢٠ مليون هكتار من الاراضي تنتظر من يوزعها على مليون من الاسر المكسيكية لا املاك لها . وتوقف المشروع الاصلاحي ، عند هذا الحد ، كما لم تطبق ، كما يجب ، سياسة تأميم الصناعاتِ الاستخراجية . والمادة ٢٧ من دستور البـــلاد التي تعلن باطن الارض ملكية لا يمكن التصرف بها ، اعتبرت لا مفعول رجعي لها . والانجازات المهمة بالفعل والتي كان لها تأثير بعيد ، هي الـــتي تمت على يد وزير التربيـــة والتعليم خوسيه فاسكونسلـــوس الذي انشأ عدداً كبيراً من المدارس في القرى وقام بمجهود ضخم في سبيل تعميم التربية الشعبية . ومع ان الثورة تعـــثرت في سيرها ، فقد سجلت ، مع ذلك ، حدثاً بارزاً في تاريخ القـــارة الاميركية. ولأول مرة في تاريخ هذه القارة قامت ثورة زراعية عضدتها الجماهيرالشعبية وهدفت للعمل في ما يؤول لخيرها ، وخرجت عن كونها مجرد تغيير فريق ليحل محـــله فريق آخر . وتمكن الفائزون في هذه الثورة من تقليم اظافر هذه الاقلية الاقطاعية التي طالما عبثت بمقدرات البلاد وعرفوا كيف يصمدون بنجاح في وجه ضغط المصالح الاجنبية .

وهذه الحركة الاصلاحية لقيت دفعاً اكبر ابان اشتداد الازمة المالية عندما انتخب كردیناس رئيساً للبلاد . فبين ادارته والخطة الجديدة التي وضعها ف. د. روزفلت اكثر من شبه واحد ، فقد وقف كردیناس الى جانب الفلاحين والمزارعين ، واولى اهتماماً صادقاً حركة بعث البـــلاد وتجديدها عن طريق تأمين الاستقلال الاقتصادي للبلاد وتحقيق الاشتراكية العمالية والزراعيـــة وهي المطالب التي جاش بها وتبناها الجناح اليساري للحزب الوطني الثوري(*P. N. R.*) وأخذ تحت رعايته وتوجيهه تنظيم الجبهة الوطنية المكسيكانية التي لم تلبث ان اصبحت الحزب الثوري المكسيكاني ، الذي جمع حوله الجنـــاح اليساري لحزب الاحرار وعـــدداً كبيراً من المنظمات

الصغيرة ، والاتحاد المكسيكاني للعمال الذي اسسه لمباردو توليدانو ، عام ١٩٣٦ والاتحاد الوطني الريفي (C. N. C.) . واعيد العمل بمشروع توزيع الاراضي وجرى تنفيذه بسرعة لم نعهدها من قبل . فقد جرى توزيع ٢٠ مليون هكتار ، عام ١٩٤٠ على ٧٧٤ ٠٠٠ اسرة . وقد وُزّعت هذه الاراضي على اصحابها ، كعقارات شخصية او فردية ، بينما حاولت الحكومة — خلافاً لما جرت عليه الحكومات السابقة التي هدفت لجعل هذه الاراضي الموزعة مرحلة يتهيأ معها الهنود ليصبحوا من صغار الملاكين ان تجعل منها مزارع تعاونية مجهزة تجهيزاً حديثاً . وقد تولى كردیناس بنفسه تنفيذ هذه العملية في قضاء لاغونا ، حيث الفت ٣٩ ٠٠٠ اسرة من ٢٨٠ ٠٠٠ هكتار اقطعت لها ، مزارع تعاونية ، كان لها من النجاح والازدهار ما شجع على توسيع هذا الاختبار ، الى مقاطعات يوكاتان وسونورا .

وبتأثير من المنظمات العمالية التي اخذت تطالب بأجور أعلى ، ورغبة منه بتأمين موارد جديدة للبلاد ، وعملاً بالسياسة العامة التي اعتمدها والتي رمى من ورائها للاحتفاظ بموارد البلاد للبلاد عملاً بالشعار : « المكسيك للمكسيكيين » ، راح الرئيس كردیناس يطبق قانون التأميم الذي صدر عام ١٩٣٦ ، لارغام ارباب العمل على القبول بعقود جماعية . وسنَد بتنفوذه حركة الاضرابات وصادر الاستثمارات الاجنبية وحولها الى تعاونيات . فقد أمم ، عام ١٩٣٧ ، الخطوط الحديدية (وهي بريطانية في معظمها) ، كما أمم عام ١٩٣٩ ، شركات البترول التي يعود معظمها للأميركيين بعد أن تأزمت العلاقات بين اصحابها والنقابات العمالية . الا ان خلفاءه تراجعوا عن هذه السياسة من بعدها ؛ عام ١٩٤٠ امام الشركات التي اخذت تعرقل بيع البترول المكسيكاني وتسببت بنشوب ازمة مالية في البلاد .

وبعد ان غطت الثورة المكسيكانية في نموها بين ١٩٢٩ — ١٩٣٤ ولا سيما بعد ١٩٤٠ ، فقد برهنت عن حيوية زاخرة ونشاط عارم ببعث الفن الوطني الاصيل في البلاد فسجلت بذلك عملاً ندر مثيله في عصرنا هذا ، إذ افرغت هذا الفن في حياة المجتمع المكسيكاني : فالرسامون والنقاشون والحفارون المكسيكيون يعملون وثيقاً مع الجماهير الشعبية ، وبذلك بعثوا من جديد التقاليد الاصيلة التي سارت عليها البلاد من قبل وترسمتها ، فجاءت بذلك دليلاً على المثل العالية التي جاشت بها الثورة ، فعبروا بالآثار الفنية التي وضعوها على الآلام والمصائب التي انهالت على الشعب المكسيكاني . فن قاس ، خشن ، بليغ هذا الفن ، الا انه فن ، النبل والاباء ملء وفاضه ، يزخر بالقوة مع اوروزكو وريفيرا وسيكويروس . الا ان الثورة تخلت ، على ما يبدو عن الصورة التي تمثلتها لديموقراطية عمالية زراعية . وبالرغم من الاسم الذي عرف به الحزب الحاكم وهو : الحزب الثوري المكسيكاني ، الذي كان الجهاز الممثل الطبقات الوسطى في المدن ، فقد اصدر تشريعات اخذت تمالىء ، اكثر فاكثر ، قيام العقارات الكبرى وتراعي جانب الكنيسة الكاثوليكية . فالبطالة والحاجة الى الارض والتضخم المالي المتصاعد كل ذلك

وجد له صمّام امان في الهجرة الجماهيرية المتسارعة غالباً ، والبائسة دوماً ، باتجاه الولايات المتحدة الاميركية .

ارجنتين بيرون

فالامثولة البليغة التي نستمدها من سلوك الدولتـــين الكبريين في اميركا اللاتينيـــة تدل بوضوح ، بالرغم من الارتجاجات وحركة النكوص التي ارتسمت عليها ، على عمق التطور الذي وقع منذ نصف قرن في هذه البلدان وسيرها الحثيث نحو تحقيق استقلال اكبر .

ولما كانت الارجنتين مرتبطة الى حد بعيد ببريطانيا العظمى من الوجهة الاقتصادية، فقـــد تأثرت بعيداً بالازمة الاقتصادية الكبرى واصبحت على حافة كارثة مـــالية تهددها لا سيما بعد اتفاقات اوتاوا حيث نالت منافستاها الكبيرتان : كندا واوستراليا ، من المنافع والامتيازات ، في الاسواق البريطانية ، ما كانت تتمنى ان تنال منه نزراً يسيراً . ولذا اخذت هـــذه الاقلية الصغيرة ، الميّالة للانكليز والتي تطالب بتنشيط انتاج الحبوب في البلاد والتوسع في تربية الماشية ، والتي استطاعت ان تسقط الراديكاليين وتبعدهم عن الحكم ، تثير معارضة التجـار وسكان المدن المعروفين بعدائهم لسياسة تغليب الزراعة في البـلاد التي من بعض نتائجها تعزيز استيراد المواد المشغولة واجتذاب رؤوس الاموال البريطانية . وقد راح الحزب الراديـــكالي المحافظ ينحى باللائمة على كبار الملاكـــين العقاريين المتولين الحكم في البلاد ، بعرقلة الازدهار الاقتصادي فيها واخذوا يطالبون بسياسة أشد واقوى تأخذ على نفسها تصنيع البلاد وتعمل على تنويع الاقتصاد وتلوينه بحيث تتوفر ليس ظروف الكسب والربح امام الصناعيين وزبائنهم من التجار فحسب ، بل ايضاً اجتذاباً للمهاجرين ولليد العاملة . ان سياسة توسيع المزارع وايجـاد الالوف من صغار الملاكين ، من شأنه ان يخلق في الداخل سوقاً لا بد منها لتصريف الانتاج الصناعي ، كما انهم — يحبّذون من جهة اخرى بـأن يساهموا مساهمة اكبر بسياسة الجامعة الاميركية بحيث تتأمن مصالح البلاد العليا ، وتستقيم المنافسة الانكلو الاميركية . وأدت المضاربات ، خـــلال الحرب والعسر المالي الذي عانت منه البلاد الى ارتفاع الاسعار والى المزيد من الاستياء العام بين الاهلين ، وفي الرابع من حزيران ، أدت « حركة زعماء الجيش » الى قلب الحكومة . فنحن ليس امام انقلاب عسكري تقليدي من النوع المعروف . فالضباط الذين هيأوها استجابوا بالأكثر لروح التقـاليد الارجنتينية كما ظهرت عبر الاجيال وللروح الكاثوليكية المحافظة التي اثارها رجـــال الدين المعجبون بفرنكو ، كما استجابوا للمشاعر المضادة للديموقراطية وللسامية التي جاش بها الجيش ، واعجابها بالجيش الالماني وبغضها لكل ما هو اجنبي ولكل ما ينسجم مع رسالة الارجنتين المقدسة التي تعمل في سبيل وحدة اميركا الاسبانية ، وللدعـــاية الفاشية وللنازية والفرنكوية . فنحن هنا امام مزيج من نوع خاص تـــألفت عناصره من رجعة كلاسيكية ومن روح قومية ثورية حديثة شاعت بين الطبقات المفكرة والضبـاط وشبيبة الطبقة المتوسطة عدوة الرأسمالية والليبرالية والديموقراطية التي ترغب بأن يوضع حد نهائي للفساد في البلاد والى عجز الحكام الذين

اخذوا ينظرون اليهم نظرهم الى عمـلاء الرأسماليين الاجانب ، ولا سيما عملاء البريطانيين وراح الضباط الشبان ذوو النزعة النازية يُنحُّون جانبـاً الجنرالات ذوي الميول الرجعية والمشاعر التقليدية ، ويطبقون برنامجهم : فالوصول الى مركز القيادة في اميركا الجنوبية يقتضي له صناعة قوية تستطيع إن تؤمن للجيش الوسائل التي تساعده على تعادل ما للبرازيل ، الجارة المنافسة الكبرى التي تساندها الولايات المتحدة ، من صناعة قوية ومن قوة حربية . والنظام الجديد ينسج على منوال الفاشية : تقوية قوى الأمن العام (وجعلها من القوة والبطش في بونس آيرس كما هي في نيويورك التي تزيدها اتساعاً ثلاثة اضعاف) ، وانشاء « مصلحة خاصة » تكون نسخة طبق الاصل من الغستابو الالماني ويلجأ الى الاساليب ذاتها ويقوم بعمليات مذابح بالجملة بين احياء اليهود في المدن ، ويضع تحت اشرافه الصحافة والاذاعة ، والمراقبة وحل الكونغرس ، ومراقبة التعليم الديني وينشر المبادىء التي تقول بهـا الدكتاتورية وتعلم ، والتدريب العسكري لكلا الجنسين من سن ١٢ سنة فصاعداً ، ومضاعفة خمسة اضعاف ميزانية الدفاع والحربية .

ولكي تعترف بها الامم المتحدة ، اضطرت الحكومة للاعتراف بالاحزاب ، حتى بالحزب الشيوعي ، انما تخضعها لمراقبة دقيقة وتخضع الانتخابات التي تقوم بهـا الإرهاب . وجرى ترسيخ النظام الجديد على يد بيرون الذي دخل الحكومة عام ١٩٤٥ وقد أنيطت بـه وزارة العمل والضمان الاجتماعي وقام فيها باصلاحات أمنت له شعبية جنونيـة ، اذ أدت الى زيادة محسوسة في اجور العمل ، وتثبيت اسعار المواد الغذائية ، وتحديد حد أدنى للعمال الزراعيين ، وظهر للجميع بأنه الشخص الوحيد الذي يستطيع الوقوف في وجه الاستثمار الاجنبي البغيض وان يضع حداً للبؤس والشقاء المسيطرين على المدينة والريف معاً . واصحاب القمصان السوداء كلهم يتهالكون في خدمته ويتدخلون لمصلحته بتنظيم مظاهرات ضخمة هـادرة تأييداً له كلما كانت سيطرته أو نفوذه في خطر .

« العدلانية »

فهو صاحب « النظام العدلاني » ، وهو نظام دكتاتوري يؤلف حلقة ثالثة في سلسلة هذه الانظمة الجماعية ، ينبذ على السواء الرأسمالية والشيوعية. ويعرف هذا النظام بكونه « نظاماً فلسفياً في جوهره ، يتميز عن الفردانية الرأسماليـة كما يختلف عن الجماعية من جميع الوجوه » . و « النظام العدلاني » هذا مستوحى في اصوله العامة من انظمة موسوليني وسالازار وكدرياتو ، ولذا فهو يمت الى الفاشية بسبب وثيق . فهو كمثاله المحتذى ، يشدد على الاستقلال الاقتصادي ، وعلى العدالة الاجتماعية والسيادة الوطنية دون أي رغبـة في تحقيق الدولة الحرفية او المهنية وبدون ان يولي النقـابات اية وظيفة عامة . واسوة بالنظم الفاشية ، فقد علل النفس بالقضاء على الصراع الطبقي واستبداله بالتعاون المتبادل فيما بـين الطبقـات . اما القومية عنـده فأساسها العُرق دون الفكرة البيولوجيـة ، « فهي نظرية روحية محض » .

والنقابات التي تعين الحكومة رؤساءهـا ، تضم طبقة عمالية يغدق عليها النظام عوارفـه :

كالعقود الاجماعية ، ومرتب شهر اضافي في آخر السنة والضمان الاجتماعي الالزامي والمشاركة في الارباح ، وقوانين مضادة للتكتلات الاحتكارية .

وقد صدر في البلاد ، عام ١٩٤٩ ، دستور جديد شدد كثيراً من جانب السلطة التنفيذية ، يضمن حقوق العمال الاجتماعية ، وأشار من طرف خفي على « ان الملكية الاجتماعية » ستأتي بديلاً للملكية الفردية . وإيفا بيرون « سيدة الامل » أخـذت على نفسها تأسيس منظمة خيرية تمد يداً مسعفة للشيوخ وللأولاد وللنساء ، وتؤمن النظام القائم شعبية واسعة . من مفـارقات هذا النظام هُو انه في الوقت الذي برز فيه نصيراً للطبقات الرازحة والمضطهدة يبعث فيهـا الشعور الطبقي المبني على البروليتاريا العمالية او الـ *Negada* (طبقة الصماليـك) ، راح يشدد من جانب القوى الرجعية في البلاد : كالجيش والبوليس والاكليروس . وقنـع بأن يجنّد الاسر القديمة ويراعي جانبها بعد ان امتنع من تطبيق القانون بحقها ، هذا القانون الذي يجيز له مصادرة املاكها الواسعة وتوزيعها على الشعب .

والمجازانه الاقتصادية لم تأت اقل شأناً وقدراً . ولكي يحرر البلاد من وصاية الاجنبي عليها، كان لا بد من انشاء صناعة وطنية قوية . ولذا سار على سياسة الاقتصاد الموجه والتأميم ، هـذه السياسة التي تضع بين ايدي الدولة القطاعات الرئيسية في الاقتصاد الوطني . وعلى هذا الاساس جرى تأميم البنك الاهلي وفرض الرقابة على كل مؤسسات التسليف، وانشأ اسطولاً تجارياً ملكاً للدولة كما عهد الى شركات وطنية باستثمار ثروات البلاد من البترول والفحم الحجري . أمـا الصناعات الاخرى ، فعملت الدولة على تشجيعها وسهلت لها وسائل النهوض بالخطة الاقتصادية التي وضعتها ، وذلك عن طريق تسهيلات مالية واعفائها من الضرائب ، ومعدل قطع تفضيلي .. وتمويل مشروع تصنيع البلاد يجب ان تؤمنه الزراعة . فعلى مكتب تأمـين النقد النـادر ان يشتري محاصيل البلاد بالعملة الوطنية (البيزوس)من المنتجين لها ، على ان يبيعها للخارج بأعلى سعر ممكن تأمينه بالليرات الانكليزية . وهكذا دخلت الخطـة الخماسيـة الأولى (١٩٤٧ — ١٩٥١) دور التنفيذ ، وجاءت نتائج الانتاج الوطني مرضية متفقة تماماً مع التصميم الموضوع حتى عام ١٩٤٨ ؛ الا انه حدث بعد هذا التاريخ ركود عام في الخطة . والتأميمات الوحيدة التي اجريت انحصرت في شراء شبكة الخطوط الحديدية من الشركات الفرنسية والانكليزية ، وشراء شبكة التلفون من الشركة الاميركية بل محتكرة هذه الشبكة . ومن الواضح ان هـذه الخطة الجديدةالواسعة لم يكن من الممكن تطبيقها لعدم توفر رؤوس الاموال اللازمة في البلاد، وللبلبلة القائمة بين التوسع الصناعي وركود الزراعة. وقد حدث بالفعل تأخر ملحوظ في المجال الزراعي ومن جراء نقص في اليد العاملة التي مالت للعمل في المصانع ، وللتفاوت العظيم بين اسعار المواد الزراعية والمنتوجات الصناعية ، وهو سعر متدن جداً تدفعه الحكومة كان من بعض نتائجـه تناقص الاراضي المزروعة قمحاً وبالتالي نقص يلحق التصدير . وقبل انجاز الخطة الموضوعـة ، عام ١٩٤٩ ، كان لا بد من « قلب البخار» وانتهاج سياسة تعمل على تشجيع الزراعة في البلاد.

وعصر النفقات العامة . وارتفاع حركة التصدير التي نتجت عن التسلح الاميركي واشتباكها بحرب كوريا افسدها ارتفاع الاسعار العالمية فزادت من كلفة الاستيراد بحيث انخفضت جداً القدرة الشرائية في البلاد وعمد كثيرون من رجال الصناعة والتجارة الى التخفيف من نشاطهم وعادت البطالة تكشر عن انيابها ، عام ١٩٥٠ و ١٩٥١ ، وزاد التضخم المالي في البلاد . ومع ذلك فقد اعطت الانتخابات العامة الجنرال بيرون ، عام ١٩٥١ اكثرية اقوى من التي تمت له عام ١٩٤٠ .

وجاءت الخطة الخمسية الثانية ١٩٥٣ — ١٩٥٧ تختلف تماماً عن سابقتها . فقد حلت فيها لزراعة وتربية الماشية المرتبة الاولى من العناية ، وُوضع للتصنيع برنامج متواضع جداً كان لا بد للنهوض به ، من الاعتماد على رؤوس الاموال الاجنبية . وحاول بيرون ان يستدرج المتمولين الاميركيين ، واضطر في هذا السبيل لتوقيع اتفاقات مع شركة ستاندرد اويل . وقد بعثت هذه المصاعب التي لقيها المعارضة من مكمنها مع انها لم تلق سلاحها . وقام في البلاد حلف ضم كبار الملاكين العقاريين بعد ان كان بيرون راعى جانبهم وابقاهم دوماً تحت التهديد ، والتجار والطبقات المتوسطة ، والطلاب ورجال الفكر الذين استهدفوا للاضطهاد ، والكنيسة التي اقلقها انشاء اتحاد بيروني ضم الطلاب والجيش والبحرية ، واسقط من الحكم في ايلول عام ١٩٥٥ .

ان مقاومته العنيفة للولايات المتحدة الاميركية ، والدور الذي لعبه كالمدافع الاكبر عن اميركا اللاتينية ضد خصم عنيد بطاش ، اكسبه نفوذاً كبيراً . فالنجاحات التي حققتها انجازاته في الحقل الاجتماعي ، بعد عام ١٩٤٥ ، والجهود التي بذلها لبعث ثورة سياسية واقتصادية تعم اميركا اللاتينية بطولها ، ضد الاميركيين ، قوبلت بدوي عظيم تجاوبت ارجاؤه في كل جمهوريات هذه القارة ، وامنت له العديد من الانصار والمريدين ولم تلبث ان استوثقت علاقاته بكثير من الدول في الخارج ولا سيما مع الفئات العسكرية والمدنية التي جاشت مثله بالامماني نفسها ، وراح « الملحقون التجاريون » في سفارات الارجنتين في الخارج ومفوضياتها يبثون تعاليمه ومبادئه العدلانية . وقد قام بعد عام ١٩٤٣ ، في طول البلاد وعرضها زملاء او رصفاء لبيرون ، او الثورة التي اندلعت نيرانها في بوليفيا ، والانقلابات المتتالية التي وقعت تباعاً في باراغواي ، وانتخاب فيلاسكو ايبارا في الاكوادور ، وباز استنسورو في بوليفيا ، والجنرال إيبانيز في الشيلي الذين وقفوا موقفاً استقلالياً شديداً من الاحتكارات الاميركية وقاموا بحركات تأميم في بلادهم . وعقدت معاهدات تجارية رمت كلها الى تأمين التعاون بين النظم الاقتصادية المعمول بها في هذه الدول وراح كل منهم يقف موقفاً استقلالياً باتجاه الولايات المتحدة . ولذا جاء هبوطه انتقاماً ثأرياً اعدته الاحزاب القديمة والطبقات الموجهة التقليدية ، كما ساهمت في احكامه المصالح الاجنبية التي وجدت في وضع الارجنتين المالي الصعب ، فرصة لها سانحة لاستعادة ما خسرته في هذا المجال .

برازيل فرغاس

تأثرت البرازيل التي شدتها الى الولايات المتحدة روابط اقتصادية متينة ، الى حد بعيد من الانهيار المالي الذي اصاب الولايات المتحدة وخلخل اقتصادها ، عام ١٩٢٩ ، اذ انخفضت الاسعار فيها ٢/٣ قيمتها ، وافلس عدد كبير من اصحاب الامـــلاك العقارية فآلت املاكهم فجـأة الى ايدي ممثلي البورجوازية . والثورة العسكرية التي وقعت عام ١٩٣٠ ، ورفعت فرغاس الى السلطة ، وضعت حداً لسيطرة الأ'طر التقليدية وجلبت الى الحكم عناصر جديدة عمادها الطبقات المتوسطة في البلاد ، وخلقت الدولة الجديـــدة : قومية اصلاحية . وتمكن فرغاس من التغلب على العراقيل والصعوبات التي اثارها في وجه الحزب الفاشي ، وتحطيم المقاومات المحلية والحركة الانفصالية التي ظهرت في ولاية ساوبالو ، عـــام ١٩٣٢ . ووطد سلطته عام ١٩٣٧ ، بوضعه دستوراً جديداً اعترف له بحق تجديد ولايته ؛ بحيث بقيت دكتاتوريته قـائمة حتى سنة ١٩٤٥ . وقوى من سلطات الحكومة الاتحادية ، وألغى الجيوش المحلية ، وانتهج سياسة اصلاحية انتهازية استهدفت تحسين وضع الفلاح والخلاسي والملونين ، عن طريق تحديد ساعات العمل في اليوم . وقد حاربته النخبة الفكرية المتحررة في البلاد ، كما لقي حرباً عواناً من قبل المجتمـــع القديم ، المؤلف من الأسر القديمة والارستوقراطية العقارية ، والاعيان ، بعد ان خلخل ما كان لهم من شأن ونفوذ ، كما ان استئثار الطبقـــات الوسطى بالسلطة حرمهم من وسائل العمل والتأثير في البلاد .

وقد احتفظ بمقاليد السلطة حتى عام ١٩٤٥ بفضل الشعبية التي تمتع بهـــا والتي اعادته الى مركز السلطة والقيادة عام ١٩٥٠ ، في اعقاب الفترة الدستورية التي شغلها الجـــنرال دوترا ، واحتفظ بها حتى وافاه الاجل المحتوم ، عام ١٩٥٤ . وعلى شاكلة « العدلانية » ، التي اسسهـا بيرون ، فالـ « *Gélutisme* » التي اقامها فرغاس ، قامت مع محاربتها الشيوعية ، بجهود طائلة لتحسين اوضاع الفلاحين والعمال في البلاد . وتولى وضع تشريع اجتماعي لم يعرف مثله الى ذلك الحين اقتصر اثره على المدن الا انه ترك حـــالة من البؤس والشقاء وعـــدم المساواة في المجتمع البرازيلي ، وجمع حوله العناصر الشعبية ، كما ان السياسة التي انتهجها في تصنيع البـلاد اكسبته عطف رجال الاعمال بعد ان غض النظام النظر عن الارباح الطائلة التي كانوا يجنونها . فدكتاتورية من هذه الدكتاتوريات الانتهازية « الاكثر فطنة والاقل وحشية .. لا عنف فيهـا ولا مبادىء لها » . وفرغاس لا يفي بوعوده ، الا انه يتدبر الامر في ارضاء الجميع ، فقد غض النظر عـــن تعدد الاحزاب في البلاد ، وحرية الصحافة لا أثر لها في عهده ، ومع ذلك فحرية الكلام تبقى كاملة غير منقوصة . فالاحزاب الجماعية التي ظهرت قبل عام ١٩٤٠ والشيوعية تكافح وتعتـبر غير شرعية الا انه يحافظ على علاقاته مع زعمائها . فبعد ان عبر عن مشاعرها نحو دول المحور ، عاد وتحالف مع الولايات المتحدة الاميركية وارسل حملة تشترك بالحرب في ايطاليا . ومع انـه يعتمد على الروح الوطنية في البرازيل المعروفة بعدائها للاميركيين ، فقـــد استخدم الاعتمادات الطائلة التي وضعتها الولايات المتحدة تحت تصرفه ، لتشجيع حركة التصنيع في البلاد ، من جميع

وجوهها . ووضع عام ١٩٤٥ خطته الانمائية لتطوير البلاد المعروفة S. A. L. T. E. (الصحة العامة – التغذية – النقل والطاقة) ، وهو برنامج رمى من ورائه الى رفع مستوى العيش بين العمال . وبعبارة اخرى : الانتاج ووسائل النقل ومصادر الطاقة التي تكون الاعمدة الاساسية لكل تطوير في الزراعة والصناعة . وادى انتصار الحلفاء على المانيا، هنا كما في اي مكان آخر من بلدان اميركا اللاتينية الى زوال النظم الدكتاتورية . فقد اجبر الجنرال دوتروا ، فرغاس على التخلي عن الحكم وأقر دستور جديد للبلاد عمل بموجبه ابتداء من عام ١٩٤٦ .

وفي خلال خمس سنوات تولى الحكم في البرازيل حكومة منبثقة عن تحالف بين الكاثوليك والحافظين ، زاد خلالها التضخم المالي من جراء الازمة الاقتصادية التي عقبت الحرب، وارتفعت الاسعار اكثر مما ارتفعت الاجور . وكشف الاثراء الهائل المتجمع في ايدي قلة من الناس البؤس المدقع والشقاء المسيطر على البلاد . واعادت انتخابات عام ١٩٥٠ فرغاس الى كرسي الرئاسة ومعه برنامج اجتماعي اجرأ من اي وقت سبق . وفي ايار ١٩٥٤ ، رفع الاجور ١٠٠٪ وانشأ الـ *Petrobas* الذي هو عبارة عن احتكار الدولة للبترول ، كما انشأ *l'Electrobas* الذي لم يكن حتى ذلك التاريخ سوى بناء مركز ضخم لتوليد الطاقة الكهربائية تابع للدولة الا انه يؤلف بالفعل تهديداً لرؤوس الاموال الاجنبية التي وظفت في البلاد قبل عام ١٩٤٥ ، واذ ذاك حدث انقلاب عسكري دعاه للتنازل والانسحاب . فانتحاره المؤثر ووصيته البليغة قوت شعبيته ، وقام حزبه اي الحزب العمالي بانتخاب الرئيس بوبتشيك لتولي مهام الرئاسة الاولى ، كما انتخب نائباً له ج. غولار، وزير الاشغال العامة في عهد فرغاس. وانتصار الـ *Gétulisme* انما يعني انتصار حزب اليسار. وقد نصح الحزب الشيوعي الممنوع في البلاد التصويت الى جانبه ، وهو بالحقيقة فوز العناصر التي تهتم بتطوير الصناعة بين الشعب البرازيلي ، وتقوية السوق الداخلية ، والتجارة مع جميع الاقطار في وجه الطبقات الموجهة القديمة المتحالفة مع الرأسمال الاجنبي . بينما الطبقات الشعبية لم تكن حتى الآن سوى عنصر تكميلي ليس الا .

قام النظامان البيروني والجيتولي على التباس : هو محاولة تحويل انتفاضات الجماهير عن الاجنبي ... فقد احترما الامتيازات التي نعمت بها الاقليات القديمة وحافظا عليها ، لا سيما الارستوقراطية العقارية القديمة وشركات الاستثمار الخاصة في الوقت الذي جهدتا للعمل في سبيل تحسين ظروف العيش بين الجماهير والنهوض بالتصنيع الذي هو أساس كل استقلال اقتصادي . وقد رفضا كلاهما الاخذ باصلاحات جذرية او المس بأرباح رأس المال، مؤثرين اللجوء الى التضخم المالي لمواجهة متطلبات الاستثمارات والنفقات الاجتماعية . وهكذا تسببا في رفع الاسعار وزادا الوضع تشويشاً بزيادة اختلال التوازن في الميزان التجاري . فلم يكن من العسير على هذه الاوليغارشيات ، والحالة هذه ، ان تزيحهما معاً بمؤازرة المصالح الكبرى العائدة لدول اميركا الشمالية .

٤ – وضع القارة بعد ثورة كوبا

اثار الفوز الذي حققه رجال المقاومة (*Maquisards*) على دكتاتورية باتيستا الداميـة ، في كانون الثاني ١٩٥٩ ، في الحياة الدولية ، ازمة حادة في العلاقات الدولية بين الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي عن طريق احتمال المجـابهة المسلحة بين القوتين العملاقتين ؛ كما ساعدت على احداث تغيير جذري في اوضاع القارة من الوجهتين السياسية والاجتماعية .

الثورة الكوبية ونتائجها

فقد كانت كوبا بالفعل مستعمرة للولايات المتحـدة تستثمرها وتمتص خيراتها عن طريق الشركات الضخمة التي كانت تتصرف بممتلكات شاسعة يزيد بعضها على نصف مساحة محافظـة من المحافظات الفرنسية ، وبواسطة مصانع هامة كانت جميعها تتحكم بجميع مرافق النشاط الاقتصادي في الجزيرة . وقـد باشرت كوبا ،منذ سقوط حكومة باتيستا الاخذ بسلسلة من الاصلاحات رمت الى تحسين مستوى العيش بين الجماهير الكادحة : كتخفيض الاجور ، وتحويل المزارع الكبرى الى تعاونيات زراعيـة ، ومكافحة الامية في البلاد ، وتسليح الميليشيا الشعبية . وقد استهدفت هذه التدابير الاصلاحيـة لمقاومة كبار الملاكين ولرجال الاعمال ، كما واجهت عقوبات صارمة من قبل الولايات المتحدة ، ونالت اكتمالها بالقانون الزراعي الذي صدر في ١٧ ايار ١٩٥٩ . وعندما قررت اميركا عام ١٩٦٠ ، ادخال تعديلات على الحصص المسموح استيرادها من السكر ، تحول الصراع الى صراع مكشوف. فحاولت اميركا من جهتها ، انشاء جيش لغزو كوبا يتألف من المهاجرين الكوبيين عندهـا ، وفرض الحظر على التصدير لكوبا بجميع اشكاله كما ردت كوبا من جهتها على هـذه التدابير باتفاق عقدته مع الاتحاد السوفياتي تعهد معه شراء السكر والفاكهة والغزول النباتية ، وتقديم مساعدات مالية ، كما صادرت الشركات الاميركية العاملة في الجزيرة (معامل السكر ومصافي البترول ، ومعامل توليد الكهرباء والتلفون) ، وتأميم المصارف في البلاد ، والوقوف سياسياً الى جانب الاتحاد السوفياتي . وكلها تدابير واجراءات جذرية مضادة لبعضها من كلا الجانبـين ، وانتهت في كانون الثاني ١٩٦١ الى قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، والى محـاولة فاشلة بانزال المهاجرين على شواطىء الجزيرة في خليج كوشون ، وهي محـاولة دبرتها السلطـات الاميركية .

المشكلة الزراعيـة

فالنجاح الذي حققته الثورة في كوبا وعجز الولايات المتحدة في الوقوف في وجه الاصلاحات التي قام بهـا فيدل كاسترو ، وهي دندنة عرفت عنهم وعمدوا اليها في كل مكان آخر ، أثارت في البلدان التي تتململ من تابعيتها للولايات المتحدة ، آمالاً عراضاً ، كما أثارت فيها الرغبة بالسير على منوالهـا . والقضاء على الجيش الذي اوفدته الدكتاتورية كان الفضل فيه للفلاحين والمزارعين . فأثار هـذا الدرس البليغ تعطيه المقاومـة الكوبية حركة اهتياج في كل مكان: وظهرت في جميع هذه الدول تكتلات زراعية ، واحتلال

للاراضي من قبل الفلاحين في المقاطعات الواقعة الى الشمال الشرقي من البرازيل وولاية ريو غراندية في الجنوب ، واضطرابات المزارعين في البيرو ، وفي الاكوادور وكولمبيا وفنزويلا وغيرهـا . ومرد ذلك يعود الى تطور وسائل الاعلام والاتصال ، كما ان تغلغل الصحافة والراديو وضع هذا العالم الريفي على اتصال بالعالم اجمع ، فأخذ يعي نفسه ويعي حاجاته وما فيـــه من قوى وامكانات .

ولذا راحت الحكومات تتخذ من التدابير والاجراءات ما يحول دون امتـــداد العدوى الثورية وانتشارها . ولذا نرى ان من النتائج الاولى للثورة الكوبية جعل الرأي العـــام يشعر بضرورة القيام باصلاحات زراعية هي الاساس لكل تطور جذري يراد ادخاله على هذه البلدان والدفع الديموغرافي المنيف الذي يفجر الانتاج عن متابعته واللحاق به (المعدل السنوي للانتاج بالنسبة للفرد الذي كان يزداد بمعدل ٣،٣٪ عام ١٩٤٥ ، لم يعد ليزداد ، عام ١٩٦٣ ، سوى ١٪) وحركة النزوح بالجملة للجماهير من الريف الى المدينة التي الحقت الخلل بالاقتصاد اكثر فاكثر كل ذلك قضى بزوال السلطة المطلقة التي اعتادت ممارستها السلطات التقليدية على سكان الريف ، اذ ان نظام المزارع الواسعة الذي تعتمده من شأنه ان يؤخر تطور الانتاج الزراعي في البلاد ، كما يعيق ازدهار القطاع الصناعي فيها ، ويبقى خارج الاسواق ، في نظام اقتصادي أساسه الاستهلاك ، جانباً مهماً من السكان ، كما يترك دونمـــا استثمار او استغلال مساحات زراعية شاسعة بينما هنالك العديد من العمال الذين لا عمل لهم . في هـــذا الوقت بالذات الذي سجل انتاج اميركا الجنوبية للمحاصيل الزراعية نسبة اقل من عام ١٩٣٩ بالنظر للفرد .

وهكذا نرى بين السنوات ١٩٥٩ – ١٩٦٣ ، تطل علينا قوانين زراعية ومشاريع قوانين عديدة في الاكوادور (العمل عام ١٩٥٩ بمشروع قانون بقي حرفا جامداً منذ عام ١٩٥٤) ، وفي فنزويلا ، عام ١٩٦٠ ، وسان سلفادور وكوستاريكا ، عام ١٩٦١ ، وبناما والبيرو ، وكولمبيا والشيلي والبرازيل وجمهورية الدومينيك وهايتي وهوندوراس ، عـــام ١٩٦٢ . وقد لقيت هذه التشريعات ، في كل مكان مقاومة يائسة انما ناجحة للآن ، من قبل الملاكين . وهذا الوضع أدى الى نشوب ثورة في البرازيل في ربيع ١٩٦٤ أدت الى سقوط الرئيس غولار عندما اراد ان يطبق القانون الذي اصدره عام ١٩٦٢ ، الرئيس كوادروس ، وهذا ما يفسر لنا ايضاً الثورة التي قامت عـــام ١٩٦٥ بمساعـــدة الجنود الاميركيين في جمهورية دومينيك وقلبت الحكومة الدستورية القائمة فيهـــا التي اظهرت استعدادها لتطبيق قانون اعده معهد الاصلاح الزراعي فيها .

وفي اربعة بلدان لا غير ، تحقق اصلاح زراعي له شأنه أو هو في طريقه الى التطبيق الفعلي . فالمكسيك الذي كان رائداً في هذا المجال منذ عام ١٩١٠ والذي جاء فيه الاصلاح على مراحل ، لاسيما في الحقبة الواقعة بين ١٩٢٠ – ١٩٢٨ ، والحقبة الاخرى الواقعـــة بين ١٩٣٤ – ١٩٤٠ ، وفي عهد رئاسة الرئيس ادولفو لوبير متيوس . وعمـــدت بوليفيا ، تطبيقـــاً

منها لقانون اقرته عام١٩٥٣ الحركة الوطنية الثورية (*M. N. R.*) برئاسة فكتور باز استنسورو الى مصادرة الاراضي الزراعية التي كانت في وضع « نصف اقطاعي » ، وذلك عقب احتلال الهنود المفاجيء للاراضي . وبعض الاحيـــان الى مصادرة بعض الاطيـــان ، اذا ما تجاوزت مساحتها حداً معيناً ، التي يطبق في استثمارها الوسائل والاعتدة الحديثـــة وبالرغم من قـــلة الاشخاص المؤهلين وافتقار البلاد للاعتمادات اللازمة ، فقد خضع عام ١٩٦٣ ، نحـــو ٤٠٪ من مجموع الاراضي الزراعية التي اصابها الاصلاح (٣ ٤٠٠ ٠٠٠ هكتار) للتوزيع ووزعت بالفعل عـــلى ١٤٥ ٠٠٠ مزارع . وفي فنزويلا حيث العمل الديموقراطي وهو حزب الرئيس روموللو بيتانكور كان وزع الاراضي المصادرة (والتي امر الدكتاتور بيريس خيمنس بإعادتهـا الى اصحابها ، عام ١٩٤٨) ، فقد صدر عام ١٩٦٠ قانون في البلاد وزع الممتلكات الكبرى الواقعة في قلب المنطقة الشمالية ، حيث يشتد الضغط الديموغرافي . وفي عام ١٩٦٤ ، نال اكـــثر من ١٠٠ ٠٠٠ أسرة حصصاً وزعت عليها . وقد جاءت عملية الاصلاح هنا اقل جذرية وشمولاً اذ تعلق الامر على الاخص بتعمير الارض واحيائها . وفي كوبا وحدهـــا جاء الاصلاح الزراعي الذي تم عام ١٩٥٩ اكـــل ما يكون . فقد وزعت فيها المزارع التي تزيد مساحتها على ٤٠٠ هكتار بين الفلاحين الذين لا ارض لهم ولا مزارع . وهو اصلاح وضع اسسه : المعهـد الوطني للاصلاح الزراعي ونظمه على اساس تعاونيات استحالت ، عام ١٩٦٢ ، الى مزارع للدولة ، وتحتل ٨٠٪ من مجموع الاراضي الزراعية .

سياسة الولايات المتحدة الاميركية

ونفور دول اميركا اللاتينية من الولايات المتحدة الاميركية كما تجلت مظاهره الواسعة ، عام ١٩٥٨ ، خلال الرحلة التي قام بها نائب رئيس الجمهورية السيد نيكسون، وفشلها في القضاء على نظام كاسترو ، هذه العوامل وما اليها أحدثت فيها ردات فعل متناقضة . فقد قامت من جهة بعرض مساعدات ضخمـــة على هذه الدول ، فأنشأت في هذا السبيل مشروعاً مشتركاً للمساعدات لتطوير الاوضاع الاجتماعية فيها وفتحت لها اعتمادات لتحسين الاوضاع الاقتصادية في هذه الجمهوريات. ومنذ انتخاب الرئيس كنيدي، فقد لوّح بفكرة لم تلبث ان اصبحت مشروعاً عُرِف بمشروع بوغتا دل استيه أوضحه عام ١٩٦١ ، وأصبح وثيقـــة التحالف في سبيل التطور ، رمى من ورائـــه الى حل المشكلة الاقتصادية في القارة الاميركية (وأهمها التخلف الاقتصادي، ونقص الاحتياطي والقطع النادر). وفرضت الوثيقة على الدولة التي تفيد من هذه الخطة التعهد بالقيام باصلاح زراعي . ورفع الدخل وزيادة الانتاج الاجمالي وتأمين توزيع الدخل القومي بصورة اقرب للعدالة والانصاف والنهوض بعملية التصنيع . وتتعهد الولايات المتحدة من جهتهـــا بتقديم عون مالي ووضع تحت تصرف الدولة المعنية سلفات ومساعدات مالية جسيمة . الا ان بنود هذا الاتفاق بقيت بالفعل حـــبراً على ورق اذ ان مجلس الكونغرس لم يصادق ، متأخراً جداً ، الا على اعتمادات أقـــل بكثير مما كان اقترحه المشروع المذكور ، وهذه التسهيلات لم يقدمها البنك الدولي للتطوير الاقتصادي

الذي يعود ١٤٢٪ بالمائة من رأس ماله للولايات المتحدة التي تهيمن على الجانب الاكبر من ادارته ، الا وفقاً لما تراه . ولم يلبث ان ساء الوضع الاقتصادي في هذه البلدان ، كما ان فشل المشروع زاد الدول الاميركية نقمة وكرهاً كما تجلى ذلك في مؤتمر الدول الاميركية الذي عقد في مدينة ساو باولو في تشرين الثاني ١٩٦٣ ، الامر الذي زاد في الاضطرابات والقلاقل . ناهيك عن ان ضعف النتائج أوجد خيبة أمل بين الاميركيين أنفسهم .

وقد ردّ الاميركيون على هذه المشاعر خلال رئاسة الرئيس ليندون جونسون وادارته بالرجوع الى سياسة « العصا الكبيرة » ، وأخذوا يتهمون المصلحين الاحرار المعروفين مع ذلك باعتدالهم بالماركسية والشيوعية ، وزادوا من حدة الحصار البحري على كوبا . كما ضغطوا على الدول الاخرى لكي تتقيد بهذا الحصار وتساهم به بصورة فعالة، وبذلوا مساعدات سخية لهذه الدكتاتوريات التي لا يمكن الدفاع عنها ، كالدكتاتورية التي يقوم بها قرنسوا دوفالييه في هايتي ، وتشجيعهم الانقلاب العسكري الذي اطاح بالرئيس غولار في البرازيل ، عام ١٩٦٤ . والتدخل العسكري المكشوف في جمهورية الدومنيك لمساندة الانقلاب العسكري ضد الحكومة الشرعية والاشتراك الفعلي بالحرب الاهلية الدامية التي نشبت في البلاد في اعقاب هذا الانقلاب .

فشل الحركة الليبرالية

وحركة الاستقلال الوطني التي قامت في وجه هذه الدكتاتوريات التي تؤيد مصالح اميركا الاقتصادية ، استطاعت ان تؤمن ، خلال السنوات العشر الاخيرة ، نظاماً ديموقراطياً قام في اعقاب انتخابات قانونية وبمشاركة الاحزاب القائمة . وهكذا تم انتخاب جوسلينو كوبتشيك رئيس حزب العمال ، رئيساً للجمهورية في البرازيل ، اثر وفاة ج. فرغاس (١٩٥٥) ، كما ان النظام العسكري الذي انشأه الجنرال اودريا جرت تصفيته على يد الحزب *A.P.R.A.* الذي اتصف بالشرعية عام ١٩٥٦ ، كما اسقط في كولمبيا النظام الدكتاتوري الذي اعلنه الجنرال روخاس بنيلا ، في ١٩٥٧ ، كما ان الجنرال ايديغوراس فوانتس فاز في الانتخابات التي جرت في غواتيمالا بفضل عدائه المكشوف للشركة التابعة لأميركا الشمالية . وفي فنزويلا ادى اتحاد احزاب المعارضة فيها الى سقوط بيريس خيملس (كانون الثاني ١٩٥٨) ، وانتخب لمركز الرئاسة رومولو بيتانكور . وفي الارجنتين تم انتخاب الدكتور فروندیزي بفوز عظيم ، لموقفه المعروف الى جانب البترول واخيراً في كوبا ، انتصار حركة ٢٦ تموز على الرئيس باتيستا بفضل « اصحاب اللحى » التابعين لفيدل كاسترو .

جاء معظم هذه الانتصارات عابراً ولفترة وجيزة ، اذ يسود هذه البلدان اقتصاد مفكك نجد فيه جنباً الى جنب قطاعات حديثة التنظيم وقطاعات مهملة القوام والتركيب ، حيث الانتاج ضعيف ورؤوس الاموال الوطنية لا تتدخل الا في المضاربات العقارية وفي القمار بدلاً من ان يوظفها اصحابها بشكل معقول ، وحيث وجدت الحكومات الليبرالية نفسها عاجزة عند

لحدوث اول ازمة تصيب صادراتها ، نتيجة محتومة لهذه النكسة التي وقعت ، عام ١٩٥٨ ، في البلدان الرأسمالية . وقد وجدت نفسها عاجزة تماماً عن النهوض باصلاحات جذرية : من اصلاح زراعي ، وتخطيط اقتصادي ، وتحديد ارباح الشركات الاجنبية ، والبورجوازية الكبرى المسيطرة على مرافق التصدير وكبار الملاكين العقاريين . وتتطور الامور في مثل هذا الوضع ، وفقاً للأعراف المألوفة التي تتسم عادة بأزمة مالية وتفتت قيمة النقد وارتفاع اسعار الحاجيات والاجور ، والبطالة وتخفيض قيمة النقد . اما علاج هذا كله فقد قام بالرجوع الى الليبرالية الاقتصادية ، وسياسة التقشف ، اي تثبيت الاجور الذي كان يتم عن طريق زيادة محسوسة في الاسعار ، والعدول عن سياسة تأميم مصادر الثروة في البلاد والتسليم بامتيازات جديدة للمتمولين الاجانب استدناه لهم . والاضطرابات الاجتماعية التي كانت تؤدي اليها هذه السياسة ، كثيراً ما سممت علاقات الحكومة مع النقابات والاحرار الذين اوصلوهم الى الحكم ، وعلى التعاون مع الطبقات صاحبة الامتيازات للبحث عن اعتمادات مالية لدى المصارف الاميركية . وهذه هي السياسة التي سار عليها فروندیزي في الارجنتين الذي امر فاعاد الى القطاع الخاص شركتي الكهرباء والتبريد الوطنيتين التي سبق للدولة ان امتهما في عهد الرئيس كوبتشيك بعد ان عجز عن مداواة المجاعة الهائلة التي حملت عشرات الالوف من البائسين على مغادرة اراضيهم المنهوكة الواقعة الى الشمال الشرقي من البرازيل الذين اخذوا يقضون جوعاً في منطقة واسعة ٤/٣ مساحتها تعود الى ٨ بالمائة من كبار الملاكين .

وهذا العجز والشعور القوي بالحرمان الذي جاش في صدر النخبة التي صدمها الفشل بتحقيق امانيها ، يفسر لنا ازدياد تفتح الوعي بين افراد الشعب وادراكهم انه لا سبيل للخروج من الحلقة المفرغة التي يتخبطون فيها والتي تجعل من المستحيل تحقيق اي اصلاح جذري ، ما لم يتخذوا تدابير حاسمة دون ان تؤدي الى القطيعة مع اصحاب المصالح الخاصة التي تعيش في شبه نظام اقطاعي ، ومع اصحاب رؤوس الاموال الاجانب . وفي هذا الاتجاه الصريح ، سارت بوليفيا عندما راحت تؤمم مناجم القصدير التابعة لشركات باتينيو وهوبشيلد وارامايو ، واقرار الاقتراع العام ، والغاء الجيش وتسليح الميليشيا العمالية والفلاحية ، وجاء ذلك مقدمة يمهد بها لاصلاح زراعي يجب ان يؤدي الى زيادة القوة الشرائية لدى الجماهير الشعبية ، وتنويع الانتاج الزراعي ، و « تحطيم احتكار التصدير » وهو الوسيلة الوحيدة لفتح السوق الداخلية امام الصناعة الوطنية . وهذا هو السبيل الذي سار عليه رئيس فنزويلا ، بيتانكور ، الذي قام في البلاد باصلاح زراعي ولا سيما باصلاح ضرائبي فحدد كثيراً من ارباح شركات البترول الاجنبية .

وضع القارة عام ١٩٦٦

وقد طرأ على الوضع العام بعض التحسين منذ عام ١٩٦٠ اذ لم يعد قائماً في طول القارة وعرضها سوى اربع دكتاتوريات هي براغواي ونيكاراغواي وجمهورية الدومنيك وهايتي . وقد وقعت منذ عام ١٩٦١ ، عدة انقلابات عسكرية على اقدار متفاوتة من النجاح والفشل ، في جمهوريات البيرو والاكوادور

وغواتيمالا وسان سلفادور والأرجنتين ، والبرازيل وبوليفيا وجمهورية الدومنيك . ونرى في كولمبيا والبيرو وفي فنزويلا الجيش يقوم بمناوشات متصلة مع معارضة كبيرة قوية الجانب . وبقيت الارجنتين يسودها الاضطراب من جراء سيطرة العسكريين على الحكومة المستضعفة التي اقامها الرئيس ايليا ، ومن جراء الشعبية القوية التي لا يزال بيرون وانصاره يتمتعون بها في طول البلاد ، اذ كان حزبه لا يزال اقوى حزب من حيث العدد والنفوذ . وبعد ان استقر الامر للعسكريين في البرازيل ، فقد عجزوا عن تأمين الاستقرار لنظام هزيل ضعيف . والديموقراطية المثالية التي كانت تتمثل بالفعل في جمهورية الاوريغواي ، رأت الاستقرار فيها والازدهار الاقتصادي يتعرضان لخطر مداهم من جراء تدهور الوضع الاقتصادي فيها (تخفيض متكرر لسعر البيزو فاصبح يساوي جزءاً من عشرين من الدولار، وهبطت الصادرات الى ٥٠٪ من قيمتها وزادت تكاليف الحياة فيها ضعفين بين ١٩٥٩ – ١٩٦١) .

فبين الدكتاتوريات شبه المتخفية والديموقراطية الشعبية القائمة في كوبا التي عرفت بأصالتها ، تبرز الحكومات الاصلاحية ممثلة بفنزويلا الاشتراكية المعروفة بموقفها العدائي من كوبا والتي كانت تتربص بحرب اهلية فعلية ضد احزاب اليسار ، وبالشيلي حيث تسلم الحكم لاول مرة في اميركا اللاتينية الحزب الديموقراطي المسيحي الذي تغلب في الانتخابات على اتحاد احزاب اليسار وأسس حكومة باسم جبهة العمل الشعبية . وقد وضع الرئيس ادوارد فراي مشروع قانون حول مساهمة العمال بملكية الاستثمار وادارته ، كما وضع مشروع اصلاح زراعي . وقد حمل الكتلة القوية التي تتألف من الشركات الاميركية المحتكرة للنحاس التي رأت نفسها مهددة بالتأميم ، على تشكيل شركة اقتصادية مختلطة تصيب الدولة ٥١ ٪ من اسهمها وفي المجال السياسي اتخذت الشيلي موقفاً معادياً لكوبا ، وقررت انشاء علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، كما هدفت من جهة اخرى الى انجاح مشروع اقتصادي ضخم يقضي بدمج ٢٠ جمهورية في السوق المشتركة الاميركية اللاتينية ، هذا المشروع الذي وضعت خطوطه الكبرى في معاهدة مونتفيديو ، عام ١٩٦٠ . وهذه الحركة الاصلاحية التي لقيت معارضة قوية من قبل احزاب اليمين الحريصة على امتيازاتها ، ومن احزاب اليسار ، هل يمكن لها ان تنعم طويلاً بالحياد ، بدون معاضة وزارة الشؤون الخارجية الاميركية؟ فاذا جاء الجواب بالايجاب وقدر لهذه المشاريع الاصلاحية النجاح المرتجى ، شكلت هذه المحاولة الجريئة تحدياً للكستروية وادت بالتالي الى احداث تغيير عميق في تطوير القارة بأجمعها .

الرصين الشاباني

ثورة الشعوب المستعبدة

هـ اطلعت الأخ الدكتور السيد الحسن البيطري الخبير في هذا المجال الاقتصادي الذي ترأس حلب الشهباء حتى اليوم ...

[illegible]

لم يتصور المشاهد المطلع الذي سيطلقه حركة المقاومة سلاح المقاومة الأخيرة على أنها كالأسباب وحدها. وإنما يجب النظر مقياساً في العالم أجمع، ترى الشعور الوطني والإرادة القومية تجتاح في صدور الشعوب المقهورة التي ترست تطالب بالاستقلال. فإذا ما ألقت نظرة عميقة على خريطة آسيا والشرق الأوسط عموماً ٦٩ حزيران ٦ ترى عبر الأبعاد وإيلاند للتسامي بالاستقلال والسيادة – فيتنام وصف الصين المتشكلة بالشرق الأوسط وطناً: و انتصاراتهم عبر المكافحة وعلى هذه الخريطة عام ١٩٦٥ ، يمكن أن نحكم على هوه. مع هذه المشاعر الاستقلالية وصحبته المتصاعدة الداعر التي حققتها. فقد اعتقد الاستعمار حماني من أزمة خانقة ، ويطلبت ان تقوم على أنقاض هذه الإمبراطوريات الاستعمارية التي استأثر روم الشريعة في أوربا وآسيا صبحات مستقلة وتعلم ان اصبحت دولاً عصرية. وهكذا فهي قادرة على التطلع الاستعمار في التقدم وحيث لا يتطور ما بقي منها خائفاً بالمرض والوفاق. فهو في سبيل الزوال ، بدأ يطل علينا بطور جديد من الاستعمار من الصعب تحديده الآن.

دائر الطرب الحقد الأبدي

كان العرب أكثر بالمع وأدوي عميق من الشعوب. اند حضوره أمة عمداً كتب الحقب بأحمال دهر عن طريق ... في أرجاء المجتمع والعمل لي الأمس القم للانتهاك بالحرب او «العمل في مصالحهم» عندهم بالعمل وسع استعمار ... الفرد سبباً «الانكليز» أما هي طريق الاستعباد بعد ان طلب اليه تقديم المزيد والشعوبات للأرض لمزيد الأقطان. أكثر مع بالأحمال الزراعية والأخذ بأسباب التصنيع وقد تتبع هذه الشعوب ان لا بعد غير كثيره ، وروما مستقلة بحرب أهله قاسية ، وتتصدع فرقاً فيها

بسبب وتطلعاتهن ، بعد أن كانت مباهجهن في مظهرهن ، قوى كل سلك ومظهر ، وكثيراً ما تزعمت حول الأناقة في هذه الأيام عند الشعوب والبلاد المستعمرة عادتي التحرر والنشق ، و عندما يتوصون لتقليد بعارج صور وقد هم المعاريسون ، هذا كي تأتي سعوب او يوا بالتعاريب أصل بسام مخارج وضع حديد يتسم بالدقة والروح الاساسه للسعد

وضع هناك فقد بقيت اخطاء الأوروبية تتبع سحر وتظره عظيمين وبعد بعد الجميع اشكال الفور وفي المستعمرات وسوريا ، أقاما ما رحت دول الأنثى تطبق عناصر ، حرية والتشر التي طالما تمسكت عالماً بالشباع عبيه الا ان ٣ منعبر في نظر التشرير جاني يطابع النفسه ، وحقيقته نفسه بتعطيس يزيد من الأسيرات وعناصل لتعود راصبارات وتتنازلات جديده ، كما فاد تكافأ في استقرار عده الحروب واقواره الطبقة التي تحتب الراصب ، وهكذا اطل علب في مستعمرات وضع يبدو الاستعمار نفسه من وجوده عده يبدو الوضع الذي حاط بالمستعمرات الصناعة في تطورها الحاضر خلال القرن التاسع عشر ان زال ابتداء المستعمرات منزلة البرونتاريا في الصناعة الحديثي ، اصبح من الامور العادية عبدلة في نظر علماء الاقتصاد والفلاسفة الاجتماعيين ، فالعلاقة بين استعمره والبلد الام لا يختلف البتة عن العلاقة بين رأس المال والعمل ، كما يؤكد ضنون

« فالاستعمار هو الخروج في كل الوجوه من الذي يتجرد كل امتياز الذي يتكون من كل حقوق سلطة التقدمية وتعميم وضع « طبقة مستغلة مرتفعة »

وقد عمد الدول المستعمرة فيما بعد الحرب العالمية الى استغلال المستعمرات واستنزاف ثرواتها الاولية الطبيعية بالاحتجاج لتعاونها وتقدم تقدم عديده ، هذا ما دعي الدول الأوربي وعجز سكان البلاد الاصليين عن حكم انفسهم وانهيار نظامهم وتدهور اقتصادهم فاقد تقسيم ، وضرورة المحافظ على سلام السير وتنظيمهم ، والحكم منها كانت ، وضرورة لاستثمار ثروات المستعمرات هو مطلب واسع ، وللتمويل الأهلة الصحية من سكانها البلاد الاصليين ، في وضع « الآلة حياتية » و مستلتب اهلها فر وإدارة ، لا تعود عليها سوى جور « ملاحظ بكثير امر

وقد عانت آسيا بوجه خاص في هذه المستعمرات من هذه السياسة وفقدت كل ثقة هم بهذه الدور التي طالما قامت بها الدول الغربية مواجهة امام انظارها بمظاهر باهرة والتقدم ، وبالاحت كل امكانات التعاون مع اوروبا ، ولا يبدو ان اصبح اعتداء اوروبا وخصوصي الاعتداء ، والعاطفي على سحب حضارتي والتفوق بدأ حالة فالخوف من اوروبا و خلق على الغرب قويهم ، كثير جاكثر من بعاد الرجل والمستعمرين بتعاليم القرون وظروفه ، وأخيت آسيا والغرب في كل مكان فقد اشارت حقيقة بطالب بالاستقلال والتحصت في وجه استعمري الذي يريد دائم التبشير بمحض انتصارات وهكذا اجبرت هذه الضغوط البريطاني على التسليم بالمطالب جهة ، وصارت على الطريق جانب مصر والصين ،

بالرغم من الحرب الأهلية التي تلتها فيه

وبعد التقارب الإسلامي بتنديده من روابطه وبوائل من حرب التشاد التي لقد مستعجد بمفهوم إلى بعض واستطاعت في كل مكان « عدم الحياد، ت التاشاد تو تسطيعا الد .بولة ست الخضي الاتحاد في قلب للتقدم وللاعتدال بحساب الحضارة والرقي للعدد من سخرة الأسبي القائم وتسطيع التبطء لتنامي والساده الكتابة سلامها وكتيو ما تسطيعه عدد خركلد الوطنه عركات لو عناصر عرقه تحيل الخضي و عدد الملابس « الذي بستأثر بحير . التلاقه وبأحد سب حصة الأسد

عبقة الأنساب

كان الرئيس رحسون والرأي لقد الأمريكي مناهضة الباكورة الأشهير في الأنساب « وقد لقد تستعجم الأمريكيالر التوجاسيس والفرنسيين الذين يتقدم بسطاً إلى بعض مواليي الجنوب أيا بعد بعيد عدة ساعد . هاتفاظه ليس على مستعمرتهم السابقة عيسى ما اعلنه « وسع وعده عد . عدد مستعمرات عن طريق صنع للتشرد عد الأنانية المتحدة الولايات التي متطلبت من المنطقة السلاسة ومكذا اطلقت عدد صبة جديدة لو مصطلح جديد لمايطلقه حدد تم تصنعه عد سأله . يلاحق سحر التعديلات في النظام الخارج عو الأنساب الذي اتخذ منه عدد ال حضر « ونص على اعتبر .عاب الدول الكبرى و الأعضاء في عصبة الأمم على عدد الاعتدات الإلغاء والفارك القديمة التدريجا تحسم المنطقة سيو من تأتي التربة المصنع لاستعلام و عدد عدد تمركماً للاستقلال التميز « على من تشرد جد عاصيه فيه تصيد الأمم على الطرفاء في تحقق يو الدولة التنمية « تهيئه فوكولة لنب عدد خلل الوقت في نظر الرئاسات لتحدد عدد التركيل التي تحتو عن كل احد في نظر الدول لسنة « عدد الأنساب « و يو عاصمة « ولو تقوم عدد تقلبه كثير؟ تم يصر سيو التربة في ميدان عدد البلاد لتنمية وتشير للاستقلال قد سرائي وسعد بعد عبده البلاد على منكلاه عام ١٩٣٠ دولي ان تلقي في مشكلة من مشكلاته السياسية والاجتماعية الكبرى حتى ما تحمي لمعالجة الدول « ساعدت حمال عد . الاستعانات حتى ان البلاد والدعاء سويي اوحلها التشريع و الدول مأي اشترط عن قبل التنظيم

التربة والتأثير الدولي

وتمكنه ولي نصب ان الدولة و الاستهزاء القديم على غالباً عبر مناقوس والد يطلبت قبلاتك خالصة او التابعة عرضه كما في السابق « التصرفات الذي الأ التكشفه وانتظر الذي على تواريخها عد عدد عذاب لو حال الأحسي وعلى لمعاهدة عد « الدلاء ستي واختصادهم الا سي التباعد مرتبط لو تاكثر وسو تو الدول الآثار تطور؟ وتقدماً ان قصد اصابهم توطني على التصدير كان من يحمي لتأسيه عد الدولة عقد في لو عادت الصداقة الظاهر بالذي في محتوى الس وعن سها الله كان تستعد « ١٠ أموال لاجنبة على البلاد للاتصال بتاجر عد حضارتي عدم مكسو حر وستاجر او حليم عاد. مكاد البلاد لاستعد « وتحليل عد السر عدم

وتقسر على الأسر الاجتماعية [illegible] في البلاد كي تقسر على تحطيم التقليدي [illegible]
عبر الأجيال [illegible] للنفع والترفيه فيها

وقد [illegible] حضارة الغرب [illegible] مفاهيم الاجتماعي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الوطنية [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وكما [illegible] الغرب على [illegible] بأفكار [illegible]
[illegible] النظام الاقتصادي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الوطنية في البلاد [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الكلاسيكي ... على قاعدة ان كل شيء يتقلب على تطوير الاقتصاديات بحسب قوانين وتيارات
عالمية متعددة عن طريق التنظيم الاقتصادي والتنسيق بين القوى المنتجة ، وقدرتها وحدود
الاستثمارات التي يجب ان تكون الهدف الوقوف عند اعتبارات الانتاج اعتبار التقريب ، وقدرة
ان تتطور من قطاع الخاص الى قطاع عام بتقدمها في حركة الاستثمار عنده ، ووجوب مراقبة
هذه الاستمارات وتأمين التمويل الذي قد يجب ، مراعاة للمصلحة العامة وتخير المشروع ، وتحديد
حق استيراد المواد او المصنوعات حتى الضرورية لانتظام الحياة في البلاد ، ومراقبة اصدار
الاسهم والسندات ... على الدولة ان تتولى هي نفسها مباشرة الاستثمارات الكبرى ... من معدن
وأقمشة وطرقات وخطوط حديدية ، كما عليها ان تستثمر ثروات الارض الطبيعية كالمناجم
والغابات ... فالدولة في كل كيان اعتمدت تنمية عوامل والمبادلات فباعته بالتسويق والجودة
والتكثير والتحسين في انحاء وفي انتاجه ... مصانع تلائم حاجة البلاد من الاجهزة الزراعية
والاجهزة الكهربية والادوات الصناعية ، ومصانع للمواد والصلب ... كذلك على الدولة التشجيع
ان تشجيع الصناعات الناشئة وتحميها مثلاً من الخراب ، وتقديم لها ما يجب من التعليم الفني
لتأمين استيراد المواد والاجهزة التي هي بحاجة ماسة اليها ... وتسعى في كل مكان من اقطار
البلاد غير تلك اقتصادية متشابكة بين ابناء البلاد والاجانب ... كما ان حواجز الحماية
الجمركية المعقولة في كل من الهند والفلبين ... اصبحت هي ما تحتاج اليه من السلاح والمعتقد
النسبي ، ومراقبة الطبقة الفقيرة ... على كل حدود الدول المجاورة ان تحمي طريقها بحراسة والقيام
بحملات واسالب تختلف كثيراً عن الاساليب التي طالما جرت عليها ، فتتحول الى أعمال الاجنبي
دون ان تخطط الى اشارات معروفة تخطط لها ، راقي هي ، بحاجة او ان تكون السبيل الوحيد
الى الاسواق الكبيرة المتحدة

آسيا الجنوبية وجنوب شرق الأقصى

عاصرت تلك الفترة التي جاءت بين هذه الشعوب تعتمد إلى حد كبير على الأجنبي، لكنها
بالنجاح بسرعة لم تكن لتتوقعه حيث الأعداد الضخمة التي تنتمي من سنوات إيران الحرة، إلى
عهد الجديد. مرقاً، هي كثر بلدان العالم من جهة التغيير في طرأت خطب بعد حرب
الحلفاء وبريطانيا واستقلال الهند عام ١٩٤٧ م. وخلال الجيل عما من هذه الحدثان المتزامنة
هذه، وهما ان تغيراً جذرياً في ميزان العلاقات الدولية، تحولاً عظيماً في نظام الحال القديم
الهند الآن خروج الاستراليين على آسيا من بعد أوروبا والولايات المتحدة. وكل هذه الأسطار الراقصة
فمن هذا المدى الفسيح. هذه البلاد التي كانت مستقلة - بالك او حققت استقلالها السامي
بعد ان كانت من قبل مستعمرات الاستغلال والقرن. ورحنا نطبع هذه
الاستقلال بسم خاص بأكمله «استقلالاً الاقتصادي»

١ - الهند

حققت الهند استقلالاً بعد جهود جبارة وتضحيات عزيزة في
ظروف اجتماعية معقدة. فمن الحركة الوطنية فيها منذ عام
١٩٠٩ حزب المؤتمر، هذا الحزب الذي تأسس عام ١٨٨٥ بمرافقة الحكومة البريطانية، لتمثل
سياسيين والعناصر الوطنية، وهو العناصر المتطرفة، والتقدم برنامج حزب المعتدلين، حتى
تلك التواريخ على أمين، مساعدة كامل الجماهير الهندية حقيقة السياسة بعد الحرب العالمية الأولى،
وهي حركة تفرعت الحزب عن موقفه المتأرجح بين الأحمي وبين جماهير الشعب التي اتخذت
موقف الثورية عليها خطراً. وبعد ان حاول حزب التعاون مع الحكومة. مال حتى بعد ان
صدمه وتخلى عن موقف إلى جانب الجماهير الهندية يتصدى رسمياً ضد السلطة القائمة العابسة
بالقدر القبلاء.

وقام الوضع وساء ضد الحرب مع شخصية جياتا غاندي أكثر من التزعت التي حفا

الوزارة الائتلافية الثانية لرامزي ماكدونالد

وقد تألفت هذه الوزارة من أعضاء حزب العمال وبعض الأحرار الذين انشقوا على حزبهم وانضموا إلى ماكدونالد، وبعض المحافظين الذين انشقوا على حزبهم وانضموا إلى ماكدونالد في سنة ١٩٣١.

نتج عن انتخاب مجلس العموم الذي جدد في أكتوبر سنة ١٩٣١ أن أصبح حزب المحافظين هو الحزب الأكثر عددا في المجلس، وأن أصبح زعيمه بالدوين رئيسا للوزارة. وقد تألفت هذه الوزارة من أعضاء حزب المحافظين ومن أعضاء حزب العمال الذين انشقوا على حزبهم وانضموا إلى ماكدونالد، ومن بعض الأحرار الذين انشقوا على حزبهم وانضموا إلى ماكدونالد. وقد تألفت هذه الوزارة من ٢٢ عضوا، منهم ١٠ من المحافظين، و٤ من العمال المنشقين، و٤ من الأحرار المنشقين، و٤ من المحافظين الذين انشقوا على حزبهم وانضموا إلى ماكدونالد. وقد تألفت هذه الوزارة من ٢٢ عضوا، منهم ١٠ من المحافظين، و٤ من العمال المنشقين، و٤ من الأحرار المنشقين، و٤ من المحافظين الذين انشقوا على حزبهم وانضموا إلى ماكدونالد.

وفي أول عهد الوزارة الجديدة بدأت بعض الأحزاب تعمل على إعادة تنظيم صفوفها. فقد عقد حزب العمال مؤتمره في أكتوبر سنة ١٩٣١، وقرر أن يعيد تنظيم صفوفه. وقد عقد حزب الأحرار مؤتمره في نوفمبر سنة ١٩٣١، وقرر أن يعيد تنظيم صفوفه. وقد عقد حزب المحافظين مؤتمره في نوفمبر سنة ١٩٣١، وقرر أن يعيد تنظيم صفوفه.

وقد قامت الوزارة الجديدة بعدة إصلاحات هامة، منها إصلاح نظام الانتخاب، وإصلاح نظام الضرائب، وإصلاح نظام التعليم، وإصلاح نظام الصحة العامة، وإصلاح نظام الإسكان، وإصلاح نظام المواصلات، وإصلاح نظام الزراعة، وإصلاح نظام الصناعة، وإصلاح نظام التجارة، وإصلاح نظام المالية، وإصلاح نظام الجيش، وإصلاح نظام البحرية، وإصلاح نظام الطيران، وإصلاح نظام المستعمرات، وإصلاح نظام الدومينيون، وإصلاح نظام الهند، وإصلاح نظام مصر، وإصلاح نظام السودان، وإصلاح نظام فلسطين، وإصلاح نظام العراق، وإصلاح نظام إيران، وإصلاح نظام أفغانستان، وإصلاح نظام الصين، وإصلاح نظام اليابان، وإصلاح نظام الولايات المتحدة، وإصلاح نظام فرنسا، وإصلاح نظام ألمانيا، وإصلاح نظام إيطاليا، وإصلاح نظام روسيا، وإصلاح نظام تركيا، وإصلاح نظام اليونان، وإصلاح نظام بلجيكا، وإصلاح نظام هولندا، وإصلاح نظام السويد، وإصلاح نظام النرويج، وإصلاح نظام الدانمرك، وإصلاح نظام سويسرا، وإصلاح نظام النمسا، وإصلاح نظام المجر، وإصلاح نظام تشيكوسلوفاكيا، وإصلاح نظام بولندا، وإصلاح نظام رومانيا، وإصلاح نظام يوغوسلافيا، وإصلاح نظام بلغاريا، وإصلاح نظام ألبانيا، وإصلاح نظام اليونان، وإصلاح نظام تركيا، وإصلاح نظام إيران، وإصلاح نظام العراق، وإصلاح نظام سوريا، وإصلاح نظام لبنان، وإصلاح نظام فلسطين، وإصلاح نظام الأردن، وإصلاح نظام السعودية، وإصلاح نظام اليمن، وإصلاح نظام عمان، وإصلاح نظام الإمارات، وإصلاح نظام قطر، وإصلاح نظام البحرين، وإصلاح نظام الكويت، وإصلاح نظام العراق، وإصلاح نظام إيران، وإصلاح نظام أفغانستان، وإصلاح نظام باكستان، وإصلاح نظام الهند، وإصلاح نظام نيبال، وإصلاح نظام بوتان، وإصلاح نظام بنغلاديش، وإصلاح نظام سريلانكا، وإصلاح نظام جزر المالديف، وإصلاح نظام ميانمار، وإصلاح نظام تايلاند، وإصلاح نظام لاوس، وإصلاح نظام كمبوديا، وإصلاح نظام فيتنام، وإصلاح نظام ماليزيا، وإصلاح نظام سنغافورة، وإصلاح نظام إندونيسيا، وإصلاح نظام بروناي، وإصلاح نظام الفلبين، وإصلاح نظام اليابان، وإصلاح نظام كوريا الجنوبية، وإصلاح نظام كوريا الشمالية، وإصلاح نظام منغوليا، وإصلاح نظام الصين، وإصلاح نظام تايوان، وإصلاح نظام هونغ كونغ، وإصلاح نظام ماكاو، وإصلاح نظام أستراليا، وإصلاح نظام نيوزيلندا، وإصلاح نظام بابوا غينيا الجديدة، وإصلاح نظام فيجي، وإصلاح نظام جزر سليمان، وإصلاح نظام فانواتو، وإصلاح نظام ناورو، وإصلاح نظام كيريباتي، وإصلاح نظام توفالو، وإصلاح نظام ساموا، وإصلاح نظام تونغا، وإصلاح نظام جزر كوك، وإصلاح نظام نيوي، وإصلاح نظام توكيلاو، وإصلاح نظام جزر مارشال، وإصلاح نظام ميكرونيزيا، وإصلاح نظام بالاو، وإصلاح نظام جزر ماريانا الشمالية، وإصلاح نظام غوام، وإصلاح نظام جزر ويك، وإصلاح نظام جزر ميدواي، وإصلاح نظام جزر هاواي، وإصلاح نظام ألاسكا، وإصلاح نظام الولايات المتحدة.

الانتخابات العامة

انتخابات سنة ١٩٣١

انتخابات سنة ١٩٣٥

... والمقاطعة في القسم من السكان ... يسكنون في وضع الفصل ... في ٣٣١ كيلو ... ٤ من عدد السكان لا ... سنوي في ... في ... في ...

استقلال الهند واقتصادها

القيصرت الحرب واشتد التمثيل والتسلط مشيئة حالياً على الدستور الانجليزي الجديد الذي اعلن العام ١٩٣٥ ، كما

النصح من الدور الذي حققه حزب كونغرس في انتخابات ١٩٣٧ اعلن فيها ... من الاصوات وحصد ... النائب بطلاق بعض ... ١٩٣٩ ... في ... النصب بالهند بعد الحرب ، وسقط قرار الدفاع عن هند كل السلطات ، فهم عنهم قرار استقالتهم ، كما منع حزب الكونغرس من التدريب في صفوف الجيش ... و الاعتقال على اساس قانون الطوارئ فقد وقفت الحكومة البريطانية عقبة في تنفيذ الاستقلال ، فالكتلة كل معارضة ... وعدد من القسط ... وحزب توسع كثير من ... منهم ... عضو من ... البرلمان ، بينهم ... ورئيساً ... وكل عام ... عن ... صفوف ... وفي هذه ... وقعت ... سد ... حزب كونغرس ... وسافر ... الى ... وقاطع حزب ... هند ... استقلال هند ... وبعد الحرب ... الانكليز ... هند ... مفاوضات لاعطاء ... وطبقاً ... الى جانب ... اليابان في حرب

وفي عام ١٩٤٥ ... حكومة العمل ... الى حزب ... في ... الانتخابات ... الحكومات التي ... في كل من مصر وفلسطين وسائر ... هند ... حدث ... الحرب ... الاستقلال ... الهند ... وسرعان ... الهند ... والتجارة في الهند ... والاسعار ... والبطالة ... التي عم ... مرتفعة ... وقد ... الحكومة البريطانية ... في كل ... هندية ... راديكالي ... في هند ... الانكليز ... حينما ... قرية ... كان ... في ... الماضي ... الهند ... قاسية ... على هند ... في ... ١٩٣٩ ... كانت ... مع هند ... الهند ... الى النار ... ، كما ... في ... حرب ... ، فقد ... هند ... الى ... وفي هند ... الاستقلال ... كما ... عام ١٩٤٥ ... حرب ... والاستقلال ... في ... حركات ... الهند ... الى ... الحرب ... في كل من ... في ... ، ... ان ... حكومة ... تألفت ... الكتلة ... تسهل ... لتشريعات ... الهند ... وفي ... ١٩٤٦ ... الى ... في ... ، ... في ... ، ... الهند ... الى ... الهند ... ، ... في ... ، ... في ... ، ... الهند ... ، ... في ... ، ... في ... ، ... الهند ... ، ... في ... ، ... في ... ،

الطبقة الوحيدة التي تملك الأرض هي طبقة الإقطاعيين الذين يشكلون نسبة ٢٪ من مجموع السكان، وتملك هذه الطبقة ٦٠٪ من الأراضي الزراعية في البلاد. وهذه الطبقة تتألف من الملاك الكبار الذين يعيشون في المدن ويتركون أراضيهم لوكلاء يديرونها لحسابهم. وهذه الطبقة تشكل في الوقت الحاضر قوة سياسية كبيرة في البلاد، وتسيطر على الحكم بشكل مباشر أو غير مباشر. وهي تعارض أي إصلاح زراعي يمس مصالحها.

وتأتي الطبقة الثانية من حيث الأهمية طبقة كبار الملاك الذين يملكون ما بين ٥٠ و ٢٠٠ فدان، وهي تشكل ٣٪ من السكان وتملك ٢٠٪ من الأراضي الزراعية. وهذه الطبقة تتمتع بنفوذ كبير في الريف، وتستخدم هذا النفوذ للحصول على مكاسب سياسية واقتصادية. وهي تعارض الإصلاح الزراعي لأنه يحد من سلطتها على الفلاحين.

أما الطبقة الثالثة فهي طبقة صغار الملاك الذين يملكون ما بين ٥ و ٥٠ فدانا، وهم يشكلون ٥٪ من السكان ويملكون ١٠٪ من الأراضي الزراعية. وهذه الطبقة تعاني من ضغوط كبار الملاك والحكومة، وتطالب بإصلاح زراعي يحد من سلطة الإقطاعيين.

وتأتي بعد ذلك طبقة الفلاحين الذين يشكلون ٦٠٪ من السكان ولا يملكون سوى ١٠٪ من الأراضي الزراعية. وهذه الطبقة تعاني من الفقر والجهل والمرض، وتعيش في ظروف سيئة للغاية. وهي تطالب بإصلاح زراعي يمنحها الأرض التي تزرعها.

وأخيراً تأتي طبقة العمال الزراعيين الذين يشكلون ١٠٪ من السكان ولا يملكون شيئاً. وهذه الطبقة تعمل في مزارع الإقطاعيين وكبار الملاك، وتتقاضى أجوراً زهيدة. وهي تطالب بتحسين ظروف عملها وزيادة أجورها.

هذه هي الطبقات الاجتماعية في مصر قبل ثورة ١٩٥٢، وهذا هو الوضع الذي أراد الإصلاح الزراعي تغييره.

الإصلاح الزراعي عام ١٩٥٢

كان من أهم أهداف الإصلاح الزراعي الذي قامت به الثورة عام ١٩٥٢ هو القضاء على الإقطاع وتحديد الملكية الزراعية. وقد صدر قانون الإصلاح الزراعي الأول في ٩ سبتمبر ١٩٥٢، وحدد الحد الأقصى للملكية بـ ٢٠٠ فدان للأسرة الواحدة و ٣٠٠ فدان للعائلة التي تزيد عن خمسة أفراد. وقد أدى هذا القانون إلى توزيع مساحة كبيرة من الأراضي على الفلاحين.

وقد تم تعديل قانون الإصلاح الزراعي عدة مرات، حيث صدر التعديل الثاني في ١٩٥٨، والثالث في ١٩٦١، والرابع في ١٩٦٩، والخامس في ١٩٧٠. وقد أدت هذه التعديلات إلى تخفيض الحد الأقصى للملكية إلى ١٠٠ فدان للأسرة و ١٥٠ فدان للعائلة.

وقد أدى الإصلاح الزراعي إلى تغيير جذري في البنية الاجتماعية والاقتصادية في الريف المصري. فقد تم القضاء على طبقة الإقطاعيين كطبقة مسيطرة، وحل محلها طبقة جديدة من كبار الملاك والفلاحين الأغنياء. كما تم توزيع مساحات كبيرة من الأراضي على صغار الفلاحين، وارتفع عدد الملاك الصغار بشكل كبير.

ومن أهم نتائج الإصلاح الزراعي القضاء على نظام الإيجار الذي كان سائداً قبل الثورة، حيث كان الفلاح يدفع إيجاراً مرتفعاً للأرض التي يزرعها. وقد أدى إلغاء هذا النظام إلى تحسين أحوال الفلاحين المعيشية بشكل كبير.

كما أدى الإصلاح الزراعي إلى تغيير في التركيب الاجتماعي للريف المصري. فقد ظهرت طبقة جديدة من الفلاحين الأغنياء الذين حلوا محل الإقطاعيين في السيطرة على الريف. وقد أدى هذا التغيير إلى ظهور صراعات جديدة بين الفلاحين الأغنياء والفلاحين الفقراء.

ورصد النظام بعد القمي سطر على السلام لم يكن كه سبباً فقد قرض عام ١٩٨٩ على كبار الأكبر التاريخي في الف السنة الفترة احتلاساً ر. هاً عارضو عرضه من قبل بالمنصب التنبيه اد حدد ملك ٢ اضي ز اضا د وه هكتار ٥ وحضور التقصد من خصاه الفرنسيين ويشر فاتورياً لأ ره حدد قبه حظوى غرائ وسجيع على حد م التسل بالرقم من معارضة السلف كذلك نجيع الشهور الاقتصادي في بلاده ، اد حدد سكان بلدة فيه فحطيق في خلال عشر سنوات مع ان التطبيع سطر على السكان نسبب هو التطبيع الرعي ٨ م ورصد النسر السري الزراعة حد مع ال حد اد يرد على ٩ بلاله بد ، بلغت الزراعة في السكان ٢٥ بلاله ، ويمكن ناصر الضروي على تقرب على حدله في مصوى صدق الغابة ، والمو د الاعظم من التاس سيرين في حالة نظم ، سيا ترتفع الأسعة الز ٥٨ بالمائة ، و ٩ مئاته من جيم م السكان الموم نم مد عاصفة التبر ، وحدد الذي يحتسبون الى اعلى في الرصد ، مع جا ٢٩٦ ، ٢ ، ملايين سمة عشايين ٥ ملايين في عام ٩٦ وحدد مستقل الأرض بلا روح بعد هكتار ، حد في الا اصي الزراعة في الما كسمان القريبة و ٤٢ من الهكتور في الباكستان السرقية

اما اصلاح الاصور ، اصطبه دات بالعصر الدم حد ان سطر في حسبه الذي كسر بالانقلاب العسكري ان عمل الديوغرافيه الحالة عبوده ، وهي التصير الوطني اسي انتلاحي الذي أ حضور سطر الم حد سيم على توجه الصحة او حر ه ترتضو بدلاً جيداء بديوم طبه ٢ ، ٥ ، ٥ ، ٥

التمثيل النوعي له وتقوم هذه على أساس أن الأجر الذي يحصل عليه أكثر العمال الاستغلال هي حوالي ٩٤٥ إلى ٩٥٠ جنيه سنويا من غير العمال في حدود ٣٠٠ جنيه سنويا، وفي حدود الأجور التي تزيد على ٣٠٠ جنيه سنويا أو ٢٥ جنيه شهريا تتناقص نسبة العمال الذين يتمتعون بهذه الخدمات بالتدريج حتى تصل إلى ٢٥ في المائة في حدود ٥٠٠ جنيه سنويا، وتنخفض إلى ١٠ في المائة في حدود ١٠٠٠ جنيه سنويا، وتكاد تختفي في الأجور التي تزيد على ذلك. ويتضح من الجدول المرفق أن التمثيل النوعي يختلف من قطاع إلى آخر، وتختلف أيضا من منطقة إلى أخرى.

الخدمات الاجتماعية

يعد التأمين الشامل ضمن الضمان الاجتماعي في الدولة حيث يشمل جميع أفراد المجتمع، وتعد الأسواق من أهم الخدمات التي يحتاج إليها الأفراد يوميا أو بصفة دورية.

ويقدر عدد السكان في مصر في منتصف عام ١٩٦٠ بحوالي ٢٦٫٥ مليون نسمة، ويقدر عدد سكان الحضر بحوالي ٩٫٥ مليون نسمة، أي ما يمثل ٣٦ في المائة من جملة السكان، وقد بلغ عدد سكان الحضر في عام ١٩٤٧ حوالي ٦٫٥ مليون نسمة، أي ما يمثل ٣٣ في المائة من جملة السكان، ويتضح من ذلك أن معدل الزيادة السنوية في سكان الحضر خلال الفترة ١٩٤٧-١٩٦٠ بلغ حوالي ٢٫٥ في المائة، وهو معدل يزيد على معدل الزيادة السنوية في سكان الريف خلال نفس الفترة والتي بلغت حوالي ١٫٥ في المائة، ويرجع ذلك إلى أن الهجرة من الريف إلى الحضر تعتبر من أهم العوامل التي تؤثر على معدل الزيادة السنوية في سكان الحضر، وقد بلغ عدد المهاجرين من الريف إلى الحضر خلال الفترة ١٩٤٧-١٩٦٠ حوالي ١٫٥ مليون نسمة، أي ما يمثل ٢٣ في المائة من جملة الزيادة في سكان الحضر خلال هذه الفترة، وقد بلغ عدد المهاجرين من الريف إلى الحضر خلال الفترة ١٩٥٥-١٩٦٠ حوالي ٩٠٠ ألف نسمة، أي ما يمثل ٦٠ في المائة من جملة الزيادة في سكان الحضر خلال هذه الفترة، ويتضح من ذلك أن الهجرة من الريف إلى الحضر تعتبر من أهم العوامل التي تؤثر على معدل الزيادة السنوية في سكان الحضر

[illegible] في [illegible] ، على حين ما [illegible] [illegible] [illegible]

الاستعمار بين الغرب من أجل في الشرق ، أي بين الرأسمالية المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ، كل منهما يرمي إلى جذب أكبر عدد من الشعوب وراءه لتأييده في الحرب الباردة التي تدور رحاها بينهما ، فالشيوعية تكسب أنصاراً جديداً مع كل انتصار

أما الاتحاد السوفيتي فيتصارع من جانبه على الشرق الأوسط مع الدول الغربية ، بمختلف أنواع النفوذ السياسية والاقتصادية والثقافية ، وفي هذا السبيل عقدت في كراتشي ، منذ عام ١٩٤٩ ، عدة مؤتمرات ثقافية سوفيتية لجذب الشعوب الإسلامية ، فرغم اختلاف العقائد والمذاهب بين الشعوب الإسلامية ، والعقائد الشيوعية الملحدة ، فإن هذه العقائد مع كل ذلك ، ترحب بالشيوعية ، وتعتنقها في تلك المؤتمرات المشبوهة ، التي عقد أحدها في طشقند عاصمة أوزبكستان السوفيتي مع أحد عشر مندوباً كبيراً جداً من الصين لا يمتون من قريب أو بعيد إلى الشعوب الإسلامية

ويذهب بعض الذين حضروا هذه المؤتمرات السوفيتية ، إلى أن الاتحاد السوفيتي يسعى ، قريباً من أجل ، استقطاب الشرق الأوسط كله ، فيسيطر على كل ثروته الهائلة ، ويستخدمه بمختلف الأسلحة ، وفي الشرق الأوسط من الأهمية في مختلف الأغراض العالمية ، ما يجعله مطمعاً للاتحاد السوفيتي ، وهو كثير من أجزاء الشرق ، من أجل الثروة الهائلة التي تكمن في باطن أرضه ، وهو كثير من أجزاء العالم ، من أجل الموقع الذي تتوسط فيه الشرق الأوسط ، وتشرف على ثلاث قارات ، وتتحكم في أهم الممرات المائية التي تصل بين أجزاء العالم ، وتسيطر على مواصلاته في البر والبحر

لا بد لنا من أن نشير في إيجاز إلى عرضنا لهذا الموضوع ، إلى أن الشرق الأوسط الذي نتحدث عنه في هذه الدراسة ، لا يشمل جميع الأقطار العربية ، فهو لا يشمل مصر والسودان وليبيا ، ولا يشمل الشطر الشرقي من الجزائر ، ولا الشطر الشرقي من المغرب الأقصى ، ولا يشمل كذلك اليمن ، لأن هذه الأقطار لا تدخل في نطاق الشرق الأوسط ، وإن كانت تدخل في نطاق الكتلة الدولية الشرقية ، وتخضع لنفوذ الاتحاد السوفيتي ، أو لنفوذ الكتلة الشرقية ، أو لنفوذ الصين الشيوعية ، وهو نفوذ يتسع يوماً بعد يوم ، ويشمل كل أنحاء العالم ، ولا يقتصر على الشرق الأوسط وحده ، ولكن الشرق الأوسط يظل مع ذلك هو الهدف الأكبر من الاتحاد السوفيتي ، والشيوعية العالمية ، لأن الاتحاد السوفيتي يرى أن السيطرة على الشرق الأوسط ، تعني السيطرة على العالم كله ، وهو يعلم أن الشرق الأوسط هو مفتاح العالم ، وأن من يملك مفتاح العالم ، يملك العالم كله ، ولذلك فإن الشرق الأوسط هو الهدف الأكبر من الاتحاد السوفيتي ، والشيوعية العالمية ، ولذلك فكرنا في أن نخصص دراساتنا عن الشرق الأوسط وحده ، بشطره الأوسط

وكان الرئيس الذي يجيئ الشيوعيون بها يعتبر عادة الحكومة رجل محافظ ، الذي يحاول الشيوعيون أن يظهروا بمظهر الشرعية بالسير جنبا إلى جنب مع الأحزاب الديمقراطية ، وفي الوقت نفسه يعملون على تقوية مراكزهم في الجيش والبوليس والحكومة ، وفي الوقت المناسب يستولون على السلطة بالقوة . وقد حدث هذا في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٤٨ ، وكان الشيوعيون يأملون أن يحدث في فرنسا وإيطاليا عام ١٩٤٧ ، ولكن لم يحدث شيء من هذا القبيل . وفي فرنسا وإيطاليا كان الشيوعيون يشتركون في الحكومة ، ولكن بعد أن أخرجوا من الحكومة في عام ١٩٤٧ ، أخذوا يعملون على تقويض الحكومة ، وفي فرنسا كانوا يحاولون ذلك عن طريق الإضرابات ، وفي إيطاليا عن طريق الانتخابات . وفي كلتا الحالتين فشلوا فشلا ذريعا .

٢ — الحياة الاقتصادية في فرنسا

الفوضى في الاقتصاد

كانت فرنسا في الحرب العالمية الثانية قد أصيبت بأضرار جسيمة ، وكان الاقتصاد الفرنسي في حالة فوضى . وكان من الصعب على الحكومة أن تعالج هذه الفوضى ، لأن الأحزاب السياسية كانت تختلف في الرأي اختلافا كبيرا . فالشيوعيون كانوا يريدون أن تؤمم جميع المصانع الكبرى ، وأن تدار بواسطة لجان من العمال ، وأن تكون الدولة هي المالكة لجميع وسائل النقل ، وأن تؤمم البنوك ، وأن تكون الدولة هي التي تتولى توزيع الأرباح . وكان الاشتراكيون يريدون أن تؤمم بعض الصناعات الكبرى ، وأن تكون الدولة هي المالكة لها ، ولكنهم كانوا يريدون أن تترك الصناعات الأخرى في أيدي أصحابها . وكان الراديكاليون يريدون أن تترك جميع الصناعات في أيدي أصحابها ، وأن تكون الدولة هي المالكة لوسائل النقل فقط . وكان الجمهوريون الشعبيون يريدون أن تترك جميع الصناعات في أيدي أصحابها ، وأن تكون الدولة هي المالكة لوسائل النقل فقط . وكان الديجوليون يريدون أن تترك جميع الصناعات في أيدي أصحابها ، وأن تكون الدولة هي المالكة لوسائل النقل فقط .

وقد أدى هذا الخلاف بين الأحزاب إلى أن الحكومة لم تستطع أن تعالج الفوضى الاقتصادية بطريقة حاسمة . وكان الشيوعيون يعارضون كل محاولة لإعادة الاستقرار إلى الاقتصاد ، لأنهم كانوا يعتقدون أن الفوضى تساعدهم على الوصول إلى السلطة . وكان الاشتراكيون والراديكاليون يعارضون كل محاولة لإعادة الاستقرار إلى الاقتصاد ، لأنهم كانوا يعتقدون أن الفوضى تساعدهم على الوصول إلى السلطة . وكان الجمهوريون الشعبيون والديجوليون يعارضون كل محاولة لإعادة الاستقرار إلى الاقتصاد ، لأنهم كانوا يعتقدون أن الفوضى تساعدهم على الوصول إلى السلطة .

وقد أدى هذا الخلاف بين الأحزاب إلى أن الحكومة لم تستطع أن تعالج الفوضى الاقتصادية بطريقة حاسمة . وكان الشيوعيون يعارضون كل محاولة لإعادة الاستقرار إلى الاقتصاد ، لأنهم كانوا يعتقدون أن الفوضى تساعدهم على الوصول إلى السلطة . وكان الاشتراكيون والراديكاليون يعارضون كل محاولة لإعادة الاستقرار إلى الاقتصاد ، لأنهم كانوا يعتقدون أن الفوضى تساعدهم على الوصول إلى السلطة . وكان الجمهوريون الشعبيون والديجوليون يعارضون كل محاولة لإعادة الاستقرار إلى الاقتصاد ، لأنهم كانوا يعتقدون أن الفوضى تساعدهم على الوصول إلى السلطة .

التنمية

وانتهجت الولايات المتحدة في الفلبين إثر استقلالها عام ١٩٤٦ سياسة تجارية حماية شديدة في مبادلاتها مع بلاد العالم الخارجي. فقد قام في تلك البلاد مجلس قومي للتجارة والصناعة عام ١٩٤٦ بمقتضى تشريع سنّه الكونجرس الأمريكي عام ١٩٤٦ وأصبح هذا المجلس بعد ذلك يتألف من ٢٤ عضواً منتخبين و ٢ معينين. ومن مجلس النواب جميع أعضاء منتخبون، على أن الرئيس الأمريكي يعين عادة ممثلاً للتجارة ومجلس الشؤون الأمريكي. على كل القوانين التي يقرها المجلس التشريعي الجديد في الفلبين أن تستقل بها حكومة الفلبين الوطنية. وقد أنشئ في البلاد، وعدده عام ١٩٤٥، ٩٠ مصرفاً من بينها مصرف مركزي للتسليف والتوفير، الذي تأثر، إلى حد بعيد، بسياسة خاصة للتسليف اتبعتها حكومات الولايات المتحدة قبل استقلال البلاد.

وبالرغم من جميع هذه الجهود التي بذلت، فإن حركة التصدير في الفلبين تعاني بعض المشاكل. فقد كانت الفلبين في الماضي تعتمد على الولايات المتحدة الأمريكية في استيراد ٧٥٪ من وارداتها، ولكن هذه النسبة انخفضت إلى ٦٠٪ في عام ١٩٥٠، وهي آخذة في الانخفاض بسرعة. وقد أدى هذا الانخفاض إلى تقليل الطلب على الصادرات الفلبينية، وبالتالي إلى تقليل الدخل القومي. وقد حاولت الفلبين تعويض هذا النقص عن طريق زيادة صادراتها إلى بلدان أخرى، ولكن هذه المحاولات لم تكن ناجحة إلى حد كبير.

وتعتبر الزراعة في الفلبين هي العمود الفقري للاقتصاد الوطني، حيث يعمل في الزراعة حوالي ٦٠٪ من السكان. وتشكل الصادرات الزراعية حوالي ٧٠٪ من إجمالي الصادرات الفلبينية. وتعتبر جوز الهند والسكر والتبغ والأرز والذرة من أهم المحاصيل الزراعية. وتعتبر الفلبين من أكبر منتجي جوز الهند في العالم، حيث تنتج حوالي ٣٠٪ من الإنتاج العالمي. وتعتبر السكر من أهم الصادرات الفلبينية، حيث تنتج الفلبين حوالي ٤٪ من إنتاج السكر العالمي. وتعتبر التبغ من المحاصيل الهامة في الفلبين، حيث تنتج حوالي ٢٪ من إنتاج التبغ العالمي. وتعتبر الأرز والذرة من المحاصيل الغذائية الهامة في الفلبين، حيث تنتج حوالي ١٪ من إنتاج الأرز العالمي و ٢٪ من إنتاج الذرة العالمي.

وتعتبر الصناعة في الفلبين في مرحلة النمو، حيث تساهم بحوالي ٢٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي. وتعتبر الصناعات الغذائية والمشروبات والتبغ والمنسوجات والأحذية والورق والطباعة والكيماويات والمعادن والآلات والمعدات الكهربائية والنقل من أهم الصناعات في الفلبين. وتعتبر الصناعات الغذائية والمشروبات والتبغ من أكبر الصناعات في الفلبين، حيث تساهم بحوالي ٤٠٪ من إجمالي الإنتاج الصناعي. وتعتبر المنسوجات والأحذية والورق والطباعة والكيماويات والمعادن والآلات والمعدات الكهربائية والنقل من الصناعات الناشئة في الفلبين، حيث تساهم بحوالي ٦٠٪ من إجمالي الإنتاج الصناعي.

الاستقلال الجديد

مع انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١، أصبحت الجمهورية الجديدة بقيادة ستانكوفيتش إلى الرأسمالية. فتحت الحدود أمام التجارة والاستثمار، وتدفقت رؤوس الأموال الغربية إلى البلاد. وسرعان ما ظهرت طبقة جديدة من رجال الأعمال الأثرياء، بينما عانى الملايين من البطالة والفقر. وقد أدى هذا التحول السريع إلى اضطرابات اجتماعية واسعة النطاق، وأثار تساؤلات حول مستقبل الديمقراطية في البلاد.

مستقطبة الى مرجع بين ٢ و ٧ مليارات نزعمه الدول ان التعاونات الزراعية وضع هذه الفئات الى الخارجين على هذه البلاد التي يزيد عدد سكانها على ٣ ملايين نسمة ، منهم ٦٦ بالمائة يعيشون في الجبال الوعرة ، ويكتفي السكان لا يحدى ٢٨ نسمة في الكيلومتر المربع ولا يزال معظم كبير من الاراضي القابلة للزراعة غير مستثمر حتى . وهكذا فالمشكلة الزراعية هي في طريقها الى الحل المنشود . وأسس في القاهرة عام ١٩٥٠ ، شركة اقتصادية مختلطة برأس مال مدفوع قدره ٢٠ مليون جنيه ، نصفه في المائة في الخارج والشركات المحروسة التي كانت تعمل في مجال الاستثمار الحر . وكان من وظائف هذه الشركة المختلطة ، بالاضافة الى الاستثمار الذي تقوم به ، تشجيع الاستثمار الاجنبي في مصر . وقد اعلن الرئيس جمال عبد الناصر في خطاب له في ٢٥ يوليو ١٩٥٦ ، بمناسبة الذكرى الرابعة لقيام الثورة ، عن تأميم قناة السويس ، وذلك بعد ان سحبت الحكومة البريطانية والبنك الدولي للانشاء والتعمير عرضهما بتمويل السد العالي . وقد تم تأميم القناة في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، وبدأ العمل في بناء السد العالي في يناير ١٩٦٠ ، وانتهى في يوليو ١٩٦٧ .

ماليزيا

ماليزيا واحدة من الامثلة الرئيسية في الدول الآسيوية التي وقفت في وجه الاوروبيين بحزم وحزم بعد حركات التحرير التي جاءت بها الحرب العالمية الثانية . والتي جعلت من تطور الاحداث العالمية عاجزة عن التصدي لهذين النظريتين المتعارضتين في تناقضات العالم اليوم .

فماليزيا هي القطر الآسيوي الوحيد الذي استطاعت بريطانيا ان تلزم استقلاله عليها الى عام ١٩٥٧ ، بالرغم من انها حرمت له من حكم ذاتي عام ١٩٥٥ ، بعد حرب شاملة كلفتها غالية .

كانت ماليزيا على عهد البرتغاليين عرضة لغارات الهولنديين ، الذين تنافست شركاتهم التجارية التي عملت لا سيما في القرن السابع عشر ، على احتكار تجارة التوابل . وقد استطاعت الشركة الهولندية الشرقية الهندية ان تطرد البرتغاليين من ملقا عام ١٦٤١ ، وان تحتكر تجارة التوابل . وقد استمر هذا الاحتكار حتى القرن التاسع عشر ، حين بدأت بريطانيا تحل محل هولندا في الشرق الاقصى . وقد ساعد على ذلك ان بريطانيا كانت قد احتلت سنغافورة عام ١٨١٩ ، وان الهولنديين كانوا قد تخلوا عن ملقا لبريطانيا عام ١٨٢٤ ، مقابل تخلي بريطانيا عن بنكولن في سومطرة . وقد ادى هذا التبادل الى تقسيم الجزر الاندونيسية بين الدولتين الاستعماريتين ، وجعل ماليزيا من نصيب بريطانيا .

وقد بدأت بريطانيا تهتم بماليزيا منذ ان اكتشف الانجليز ان القصدير يوجد بكميات كبيرة في بعض ولايات شبه جزيرة ملقا . وقد ادى ذلك الى تدفق المهاجرين الصينيين على ماليزيا ، حتى اصبحوا يشكلون ٤٠ بالمائة من مجموع السكان . وقد ادى ذلك الى ان يصبح القصدير والمطاط اهم منتجات ماليزيا ، وان تصبح سنغافورة ميناء التصدير الرئيسي لهذين المنتجين . وقد ادى ذلك الى ان تصبح سنغافورة مركزا تجاريا وماليا هاما ، وان تصبح ماليزيا من اكبر مناطق الانتاج في العالم .

التنظيف من عرفها اطلاق البلاد حالة الطوارئ وتشكيل قوى دفاع شعبية احتياطية لمواجهة الأزمة. وكانت السنة التي تعرضت له من قبل الروس والانجليز خرجت التي حررت لنجيب فقد ضمنت كل هذه تو ..الل من القضاء على حركة المقاومة التي جرت كثيراً في إنتاج نظام والتصاريح وسا ... من تصديرها ... وبدائل مطاعم من ربط ... سلاً من الدراسات وهذه ما بعد ... في عام العدد الذي الظهور ربطه في تخطيط على مواقعي ومركزها في هذه البلاد التي تتراجع خاصة من بينه من الذي جاء الأوى لها وفي هذا السبيل استقدمت عدد راد تحديد أكثر من ٣٠ عضواً من الجزر الوطني ملازمة الخط سيران الأرجنتيني والشرق بالأندي الموقوف في وجه نضج الآلاف من حوالي القاومة لبيس من مثل الى القضاء عليهم. وقد الاحت هذه الحرب الأهلية غير أن يوجه الوعود بوضع حاصد ... و حلو رس الوزراء في حكومة الاتحاد في الجزائر ٩٥٥ يوم بإعطاء الاد ... مقاطعة ناصة عام ... ل البلاد استقلالاً تاماً في آخر المفاوضات لإدارة جديده التي. في آب ٩٥٧ ، بعد أن وصلوا إلى حد انتهاء ، كي حرى في ... ساعة ، حقد بعد أن ... استعمره وفي الطبقة عرضوا ... حصلت بريطانيا عدة مواقعها الحربية

وتكاثرت بطانيا من أن جنوده في مدرده في عدد منطقة هات الأحمر، تحريره العصة ... ، عندما انتشار في يناير ٩٦٣ ، انتصار، حل ، تألف من الانحياز الشرقي "البري الذي انضمت إليه سيطاريوه حا... ٩٦ ومن ملاحظة... سر والا وجرحي وصاح القسم الشمالي من يوريو ... قد ما حدثت لجاسوسي في عدد صغير خاد خلف جنوده ، فظلت الجزيرة الجنوب عن فطانها لكنوفه له ... ت إليه حرب فط... سطرت حب ابطاله ... في كلية ساحته في سعفوره التي صافة من ٢٥ سنتي ، وهي أم جامعة ... في الضطر فندي راجاوي الا ان الضال سعافوره الحديث عن عد الاحداد ٩٦٣ ، نصعب كثيراً من جانب الدولة خديده ، وطرح من جديد ، على ساعد البحث توازنة القوى في هذه منطقة والمنقل مساعيه بريطانيا استراتيجية في عدد شهر من البلاد

لقد كانت الصدمة التي حدثت طبيعي فرنسا في اشد الصعبة ... تمس و عناصر رمت الى صميم هذه البلاد امتداداً ، القرب في آسف الا ان المستقبل الاجتماعي للفلاحين انفرد ... والرطنه والفلاحين الاقتصاديين الصعب بهذا ، عاما جنباً الى جنب ... عون في تداخل ... نماذج قبل بنيتي ... العناصر الأوروبية وفي قلب الفي من خلاصين ومن فضة من الجنائيين والفلاحين، وكانت جزء الأنفار رلا سيما جنوده وبديشتري و يزاولون ، في سنة ٩٦٣ موزي إطار صنعي تألف من ... ، نسمة منهم ... ٣ من المسلمين ، معظمهم من السنان ، كثر توح الجزائر من الـ ... ٣٠ سنة ، كان من تصليح مازيوس غير متزوجين من هذه الكتلة فتشكل الجمع الاستعماري ، بعضه ، وحسال الجيش ومن بعض موظفي الادارة ، ومن

هذا وقد نشطت في هذه الفترة الحركة الثقافية في مصر نشاطاً كبيراً، فظهرت في عام ١٩٢٥ م مجلة «الثقافة» لأحمد السيد، ومجلة «الرسالة» لأحمد حسن الزيات، ومجلة «الهلال» لمحمد زكي مبارك، ومجلة «الكشكول» لصاحبها محمد عبد الله عنان، ومجلة «الكتاب» لمحمد سعيد العريان، ومجلة «المقتطف» لفارس نمر، ومجلة «المقتطف» لفارس نمر، ومجلة «المقتطف» لفارس نمر

التوصل إلى السر

الجماعات الإسلامية في الشرق
وشعاب الغريب

ان ال ٢ مليوناً من المسلمين عام ١٩٢٠ في هذه البلدان التي تمتد من الطرف الأقصى حتى حدود ألمانيا والنمسا وفيلندا ، فريضة هي أصعب حالات الغرب للعلماء الآخرين. فقد اعتبر جميع شعائر الغرب وكل مرجعيه الغربية والأعمال الغريبة عند المسلمين و كيف برنامج التبشير الذي وضعه المتقدمون والذي عمد عليه بحرية كل مسيحي أن تحمل نفسه كما يريد ويجيء له في جميع أطراف العالم الإسلامي ليتنظر تحقيقه في سنة ١٩٢٠ وقد بلغ عدد سكانه ايضاً أنه في الوقت الذي فقدت فيه العالم الإسلامي مثل هذه الوهم الكبير اعتبر هذه مساحات مربعة تحت على اقتسام بقدر الشرق الأدنى كما في مركز البلاد في بريطانيا وفرنسا الأسواق الى تحت سيطرة ايران بعد أن صحبي المسيحي في سبيل ارضاء البلاد وحولتها ابكاظر الى تحت عليه كما فجر الأسواق الى جنوبي مصر وتحتم و كما وتحتم ، ووضع تحت الوصاية ، يعني من دون اسلامه مستقلة بعد شبه الأمل والبأس الذي انتابه من تحت الوهم الاطلاعة ، وفي هذا العالم الإسلامي شب محمولاً سلماً الى الثورة وهو يحمي هنيئاً ما يهدم مثالية سامية تحت بين الانكليز والفرنسيين اعتبر هذه وضعها مقاومة اطلاقاً وتأثر لكموفيه للمسيحيين في الحرب ، وهذه القيم شدت الله ، التصادر من المغرب الشيوعي الذي تسعى للانتعاش على الأصعدة ، وسيحيط الأحزاب الا لا ، على و سبيع ، حسب أشركات التجارية في الأقطار التي وجه ، هذه حركات التي تدت مظاهرها الأولى قبل ١٩٢٠ وهذه حركة الثورة لزدادت اتساعاً وعنفاً و تدت طابع الحرب إبتداء من ١٩٢٠ ، في الوقت الحاضر التي عمت حرب لمدة الثانية حتى هي اتحاد الإسلامية بأسباب التطور الأخير ، وهكذا كلما كانت ما زاعت معي حتى ما العلاقات بين السيد والسيد

السيد العربي

وقد وجدت الكتومة الحرية التطرق امامها عبد الله البيك العربي الذي تبدأ حياته في الربع الأخير من القرن التاسع عشر في هذه الحركة التحررية التي قادت بها جمال الدين الأفغاني المتوفى عام ١٩٦٧ ، تلميذه محمد عبده

وحضاري كامل. وقد أطلقه من كانت عنده طاقة كبيرة في مجال الإبداع والتجديد في مختلف ميادين الفكر والعلم، فأخذ يتحرر من سيطرة الأفكار القديمة، ويتخلص من تعصباته، ويسير بخطى واسعة في طريق التقدم والازدهار. وسيطرة روح الاستكشاف والمغامرة على الأوروبيين، وبخاصة سكان القارة الغربية وبخاصة الأقطار الواقعة على المحيط الأطلسي، أمر معروف. وهذه الروح هي التي دفعت بكولومبوس إلى اكتشاف أمريكا، وبفاسكو دي جاما إلى الدوران حول أفريقيا والوصول إلى الهند، وبماجلان إلى القيام بأول رحلة حول العالم. وهذه الروح هي التي دفعت بالأوروبيين إلى الهجرة إلى أمريكا وأستراليا وغيرهما من أنحاء العالم، وإلى استعمار كثير من بلاد العالم وشعوبه. وهذه الروح هي التي دفعت بالعلماء والمفكرين إلى البحث والتجربة والاختراع والابتكار في مختلف العلوم والمعارف. وهذه الروح هي التي دفعت بالأدباء والشعراء والفنانين إلى التجديد والابتكار في آثارهم الأدبية والفنية. وهذه الروح هي التي دفعت بالمصلحين الاجتماعيين والسياسيين إلى الثورة على النظم القديمة والمطالبة بالحرية والمساواة والإخاء بين الناس جميعا.

وقد كان لهذه الروح الجديدة أثرها في الحياة الدينية في أوروبا. فقد أدت إلى ظهور حركة الإصلاح الديني التي قام بها مارتن لوثر وكالفن وغيرهما، والتي انتهت بانفصال كثير من الشعوب الأوروبية عن الكنيسة الكاثوليكية، وبتكوين الكنائس البروتستانتية. وهذه الروح هي التي دفعت بالكنيسة الكاثوليكية إلى القيام بحركة واسعة للإصلاح الديني، وإلى عقد مجمع الفاتيكان الذي انعقد في أواخر القرن الماضي، وأدخل على الكنيسة إصلاحات كثيرة.

وقد أدت هذه الروح الجديدة إلى ظهور الفلسفة الحديثة، وإلى ظهور العلم الحديث، وإلى ظهور الآداب والفنون الحديثة في أوروبا. وهذه الروح هي التي دفعت بالأوروبيين إلى الاختراعات والاكتشافات العلمية الكثيرة التي غيرت وجه الحياة في العالم، وجعلت أوروبا تتفوق على سائر أنحاء العالم في مختلف ميادين الحياة.

وقد كان لهذه الروح الجديدة أثرها في الحياة السياسية والاجتماعية في أوروبا. فقد أدت إلى ظهور الديمقراطية، وإلى ظهور الاشتراكية، وإلى ظهور الشيوعية، وإلى ظهور الفاشية والنازية، وإلى ظهور الحركات الثورية المختلفة التي تهدف إلى تغيير النظم القائمة وإقامة نظم جديدة.

وقد كان لهذه الروح الجديدة أثرها في العلاقات الدولية. فقد أدت إلى ظهور الاستعمار الحديث، وإلى ظهور الحروب الاستعمارية، وإلى ظهور الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، وإلى ظهور الأمم المتحدة، وإلى ظهور المشكلات الدولية المختلفة التي تهدد السلام العالمي.

وقد كان لهذه الروح الجديدة أثرها في الحياة الاقتصادية. فقد أدت إلى ظهور الرأسمالية الحديثة، وإلى ظهور الشركات الكبرى، وإلى ظهور البنوك الكبرى، وإلى ظهور الأزمات الاقتصادية، وإلى ظهور الكساد العالمي، وإلى ظهور البطالة، وإلى ظهور الفقر في وسط الثراء.

وقد كان لهذه الروح الجديدة أثرها في الحياة الاجتماعية. فقد أدت إلى ظهور الطبقات الاجتماعية الحديثة، وإلى ظهور الصراع الطبقي، وإلى ظهور الثورات الاجتماعية، وإلى ظهور الحركات النسائية، وإلى ظهور الحركات العمالية، وإلى ظهور الحركات الشبابية.

وقد كان لهذه الروح الجديدة أثرها في الحياة الثقافية. فقد أدت إلى ظهور الثقافة الحديثة، وإلى ظهور الفكر الحديث، وإلى ظهور الأدب الحديث، وإلى ظهور الفن الحديث، وإلى ظهور الموسيقى الحديثة، وإلى ظهور المسرح الحديث، وإلى ظهور السينما، وإلى ظهور الإذاعة، وإلى ظهور التلفزيون، وإلى ظهور الصحافة الحديثة، وإلى ظهور النشر الحديث، وإلى ظهور المكتبات الحديثة، وإلى ظهور المتاحف الحديثة، وإلى ظهور المعارض الحديثة، وإلى ظهور المسارح الحديثة، وإلى ظهور دور الأوبرا الحديثة، وإلى ظهور دور السينما الحديثة، وإلى ظهور دور الإذاعة الحديثة، وإلى ظهور دور التلفزيون الحديثة، وإلى ظهور دور الصحافة الحديثة، وإلى ظهور دور النشر الحديثة، وإلى ظهور المكتبات الحديثة، وإلى ظهور المتاحف الحديثة، وإلى ظهور المعارض الحديثة، وإلى ظهور المسارح الحديثة، وإلى ظهور دور الأوبرا الحديثة.

وقد كان لهذه الروح الجديدة أثرها في الحياة العلمية. فقد أدت إلى ظهور العلم الحديث، وإلى ظهور المنهج العلمي، وإلى ظهور التجربة العلمية، وإلى ظهور الاختراعات العلمية، وإلى ظهور الاكتشافات العلمية، وإلى ظهور النظريات العلمية، وإلى ظهور القوانين العلمية، وإلى ظهور المعادلات العلمية، وإلى ظهور الرموز العلمية، وإلى ظهور المختبرات العلمية، وإلى ظهور المعامل العلمية، وإلى ظهور المراصد العلمية، وإلى ظهور المتاحف العلمية، وإلى ظهور المعارض العلمية، وإلى ظهور المسارح العلمية، وإلى ظهور دور الأوبرا العلمية.

وقد كان لهذه الروح الجديدة أثرها في الحياة الفلسفية. فقد أدت إلى ظهور الفلسفة الحديثة، وإلى ظهور الفكر الحديث، وإلى ظهور المنهج الفلسفي، وإلى ظهور التجربة الفلسفية، وإلى ظهور النظريات الفلسفية، وإلى ظهور القوانين الفلسفية، وإلى ظهور المعادلات الفلسفية، وإلى ظهور الرموز الفلسفية، وإلى ظهور المختبرات الفلسفية، وإلى ظهور المعامل الفلسفية، وإلى ظهور المراصد الفلسفية، وإلى ظهور المتاحف الفلسفية، وإلى ظهور المعارض الفلسفية، وإلى ظهور المسارح الفلسفية، وإلى ظهور دور الأوبرا الفلسفية.

وقد كان لهذه الروح الجديدة أثرها في الحياة الدينية. فقد أدت إلى ظهور الإصلاح الديني، وإلى ظهور الحركات الإصلاحية، وإلى ظهور الكنائس البروتستانتية، وإلى ظهور الكنيسة الكاثوليكية الحديثة، وإلى ظهور مجمع الفاتيكان، وإلى ظهور الإصلاحات الدينية، وإلى ظهور الحركات الدينية الحديثة، وإلى ظهور المدارس الدينية الحديثة، وإلى ظهور المعاهد الدينية الحديثة، وإلى ظهور الجامعات الدينية الحديثة، وإلى ظهور المكتبات الدينية الحديثة، وإلى ظهور المتاحف الدينية الحديثة، وإلى ظهور المعارض الدينية الحديثة، وإلى ظهور المسارح الدينية الحديثة، وإلى ظهور دور الأوبرا الدينية الحديثة.

وقد كان لهذه الروح الجديدة أثرها في الحياة الأدبية. فقد أدت إلى ظهور الأدب الحديث، وإلى ظهور الشعر الحديث، وإلى ظهور النثر الحديث، وإلى ظهور المسرح الحديث، وإلى ظهور الرواية الحديثة، وإلى ظهور القصة القصيرة الحديثة، وإلى ظهور المقالة الحديثة، وإلى ظهور النقد الحديث، وإلى ظهور البلاغة الحديثة، وإلى ظهور الأسلوب الحديث، وإلى ظهور اللغة الحديثة، وإلى ظهور المعجم الحديث، وإلى ظهور الموسوعة الحديثة، وإلى ظهور المكتبة الحديثة، وإلى ظهور المتحف الحديث، وإلى ظهور المعرض الحديث، وإلى ظهور المسرح الحديث، وإلى ظهور دار الأوبرا الحديثة.

وقد كان لهذه الروح الجديدة أثرها في الحياة الفنية. فقد أدت إلى ظهور الفن الحديث، وإلى ظهور الرسم الحديث، وإلى ظهور النحت الحديث، وإلى ظهور العمارة الحديثة، وإلى ظهور الموسيقى الحديثة، وإلى ظهور الغناء الحديث، وإلى ظهور الرقص الحديث، وإلى ظهور المسرح الحديث، وإلى ظهور السينما الحديثة، وإلى ظهور التلفزيون الحديث، وإلى ظهور الإذاعة الحديثة، وإلى ظهور الصحافة الحديثة، وإلى ظهور النشر الحديث، وإلى ظهور المكتبة الحديثة، وإلى ظهور المتحف الحديث، وإلى ظهور المعرض الحديث، وإلى ظهور المسرح الحديث، وإلى ظهور دار الأوبرا الحديثة.

وقد كان لهذه الروح الجديدة أثرها في الحياة العلمية. فقد أدت إلى ظهور العلم الحديث، وإلى ظهور المنهج العلمي، وإلى ظهور التجربة العلمية، وإلى ظهور الاختراعات العلمية، وإلى ظهور الاكتشافات العلمية، وإلى ظهور النظريات العلمية، وإلى ظهور القوانين العلمية، وإلى ظهور المعادلات العلمية، وإلى ظهور الرموز العلمية، وإلى ظهور المختبرات العلمية، وإلى ظهور المعامل العلمية، وإلى ظهور المراصد العلمية، وإلى ظهور المتاحف العلمية، وإلى ظهور المعارض العلمية، وإلى ظهور المسارح العلمية، وإلى ظهور دور الأوبرا العلمية.

وقد كان لهذه الروح الجديدة أثرها في الحياة الفلسفية. فقد أدت إلى ظهور الفلسفة الحديثة، وإلى ظهور الفكر الحديث، وإلى ظهور المنهج الفلسفي، وإلى ظهور التجربة الفلسفية، وإلى ظهور النظريات الفلسفية، وإلى ظهور القوانين الفلسفية، وإلى ظهور المعادلات الفلسفية، وإلى ظهور الرموز الفلسفية، وإلى ظهور المختبرات الفلسفية، وإلى ظهور المعامل الفلسفية، وإلى ظهور المراصد الفلسفية، وإلى ظهور المتاحف الفلسفية، وإلى ظهور المعارض الفلسفية، وإلى ظهور المسارح الفلسفية، وإلى ظهور دور الأوبرا الفلسفية.

وقد كان لهذه الروح الجديدة أثرها في الحياة الدينية. فقد أدت إلى ظهور الإصلاح الديني، وإلى ظهور الحركات الإصلاحية، وإلى ظهور الكنائس البروتستانتية، وإلى ظهور الكنيسة الكاثوليكية الحديثة، وإلى ظهور مجمع الفاتيكان، وإلى ظهور الإصلاحات الدينية، وإلى ظهور الحركات الدينية الحديثة، وإلى ظهور المدارس الدينية الحديثة، وإلى ظهور المعاهد الدينية الحديثة، وإلى ظهور الجامعات الدينية الحديثة، وإلى ظهور المكتبات الدينية الحديثة، وإلى ظهور المتاحف الدينية الحديثة، وإلى ظهور المعارض الدينية الحديثة، وإلى ظهور المسارح الدينية الحديثة، وإلى ظهور دور الأوبرا الدينية الحديثة.

وقد كان لهذه الروح الجديدة أثرها في الحياة الأدبية. فقد أدت إلى ظهور الأدب الحديث، وإلى ظهور الشعر الحديث، وإلى ظهور النثر الحديث، وإلى ظهور المسرح الحديث، وإلى ظهور الرواية الحديثة، وإلى ظهور القصة القصيرة الحديثة، وإلى ظهور المقالة الحديثة، وإلى ظهور النقد الحديث، وإلى ظهور البلاغة الحديثة، وإلى ظهور الأسلوب الحديث، وإلى ظهور اللغة الحديثة، وإلى ظهور المعجم الحديث، وإلى ظهور الموسوعة الحديثة، وإلى ظهور المكتبة الحديثة، وإلى ظهور المتحف الحديث، وإلى ظهور المعرض الحديث، وإلى ظهور المسرح الحديث، وإلى ظهور دار الأوبرا الحديثة.

وقد كان لهذه الروح الجديدة أثرها في الحياة الفنية. فقد أدت إلى ظهور الفن الحديث، وإلى ظهور الرسم الحديث، وإلى ظهور النحت الحديث، وإلى ظهور العمارة الحديثة، وإلى ظهور الموسيقى الحديثة، وإلى ظهور الغناء الحديث، وإلى ظهور الرقص الحديث، وإلى ظهور المسرح الحديث، وإلى ظهور السينما الحديثة، وإلى ظهور التلفزيون الحديث، وإلى ظهور الإذاعة الحديثة، وإلى ظهور الصحافة الحديثة، وإلى ظهور النشر الحديث، وإلى ظهور المكتبة الحديثة، وإلى ظهور المتحف الحديث، وإلى ظهور المعرض الحديث، وإلى ظهور المسرح الحديث، وإلى ظهور دار الأوبرا الحديثة.

العلوم الحديثة والتشريع والدخيل محمد الذي القاهرة وكل ما يتعلق بالشيعة والمذاهب الإسلامية المختلفة. إلا أن عبده المصري فسر عبده أنت مقارنة عقد ومقارنة أخرى من عمل هذا الدين الإصلاحي، المستنكر، المذهب الرجعية المحدث، الذي راسخ بالضرورة من عناصر التيار الإصلاحي محمد الذي ازال الذي طالب بتحليل أمور الدين من أمور الدنيا، ويمثل الشيخ محمد أبي زيد الذي وضع التفسير القرآن بمعنى عبده على موضوعه العلم الحديث، كما ساوى أولوف في وجود جهد عناصر المذاهب الإسلامية فاشتهر في رأيهم من شكوك. لا أن حياة الشيعة لم تأثر كثيراً بهذه الحركة الرجعية، لأن هذه المذاهب والأماني التي الغرب في نفوس الشيعة جديد المدارس الأوروبية والتعليم الجامعي الذي يؤمنه عنده من الجامعات. نشأت في القاهرة الكاثوليكي على غرار الجامعات الأوروبية، حققت الجامعة الأزهرية والمعاهد الدينية الأخرى على إصلاح مناهج التعليم التي تسع طلب وعلى الدين العلوم الحديثة وإعداد مدرسي في التدريس ولا سيما العلوم الحديثة. هذه الأشكال. تجديدية، متأثرة بما سوى فقد من التعصب بين المفكرين بالمثقفين، من يعتبرون المثل حكماً وسائط للمثقفين الإنكليزي من كل مفكري الإسلام وحملة العلم سهم مصر تصميم في ذات الوضع الذي احتفظ بحيلة المفكر في الغرب في القرن الثامن عشر بالنسبة للعقيدة المسيحية. والرغم من مواقف العقيدة المسيحية، وعلى أن التقدم العلمي غير في أصول الدين لم يسلم به في أي فقط من الأحوال الأشياء معه، فالتفكير الديني عند مفكر ويتمسك بأحكام الدعاة بتصوره الإسلام يقصدون على وسائط البحث والتحليل ويعتبرونه التشريع والنقد للتصور. سيرى الدين الإسلامي وقواعده، وحضر بمعتقدون في حضارة الغربي، من الإسلام معقولاً جديدة معه من على الأشخاص بتكامل القرآن رصيفه مقابل الفساد والتشريف الذي اعتمل على الكتب اليهودية والإسلامية، وبحوث مقتضية الرسوب الغربي.

وفي هذه سمت المعلم الديني خاصي على الطبقة الأوروبي يجري الأخذ به عند عبده محمد لأوروبي المتقدمات المتجددة إلى حد بعيد فيعتبر الانطلاق وتفكارهم ولا سيما في الكتب الفيلسوف الذي اصطحب محمد عبده عام ٩٢ عند أصبح جبا إلى عبده الدرس الفلسفة وعلوم الحديث، وحث حركة عبده الإسلام رافدين مع محمد يقدم ب والمأثم تعرفها الشرق الأدنى.

اختيار الإسلام غلوب على أمره، يعتقد على هذه التيار وعدم المختلف ارتباطاً بتيار نهضة، يشير في الصحيح حضارته وتحاول ساعياً الذي وجدته وحاسمت الجامعة الإسلامية التي مع عبده. إن التيار الثاني الشيوخ عبده الوجدة محمد عام ٩٠، أثر على الأحسن حركة الجامعة المربية الشرك المعاصرة في تركيا الوحدة يطلب، والمطلوب حركة مطلوب عربي. طلب ب وفي ب سي سلامي جسد إن معه يوم فالإسلام لا زال عبده حدا ينتقد ب ب ولا بعد والموضوع الذي مين المذهبات الكاثوليكي الذي كان توضح انتشاراً من في دعوة عربي عند غرب المعاصرة الأول

وكان له أكبر عدد بين المتعرب بوصوفة السادسة في عدد الناطق ما بين المدار الاستوائي وخط الاستواء وهو في حساب كل الاحيان يوصوفه فيما تقريب وهذا التوسع الذهني يوسع كثيراً لاستمرار الفئة العربية وهكذا تتسع جسة الاسلام في التشرق الاسلامي ، واحدة رحبة لجنات في الهدى الأقربي وهكذا رابح ، دارو ، ملوك مصغيرا ملاسط يسمى بلات النظر ، انه أيها الفتى الاسلام والمسلمة وجباً توجه مجيل الأوان عشر ، اتحادات مقابل رد حد يسمى للسبحيه ويضعه ، وسير مثل على ذلك ما يلغ قل يوم في يوم ارتفع استانبكا والكاميرون والكونغو والاسلام يتسع ناقص مركز الصبح بالفصل فين للفكرة الافريقية ،

فهو يعين ان الباعة ريسه اعضاؤنا في الحقوق والنسر والطبقات ويسمت بين الباعة سعود عملاً الأسعد والتقدمين ، توسيع القزال دائم القديم الحد . ويعتقد بصداقة الهيئة موقد ان يفرض عليهم عقائد وعواصم معتقده عالميهم الجديد نمره الاسلام عن كل الثاني او تواعاؤ مع الحضارة الاوروبية كما يجد فيه اعتقاد درج له عنه من التفوق الاوروبي فالاسلام يحصل في نظرهم سخيفاً ثقافة ساخرة ، دون ان يكون له من الجدارة الغربية عن أو هذا الدعامات والاعتراف التواريخ ابدا عن حد وجب الواقع تعدو على أنه في مصر حيث تحدد بالدرس القرآنية الصفاء من ابناء الأقباط اذا ، فعلاقتهم للاسلام يصح اعلامهم ايراد الطبقات الطب وحث الأوروب من اطفال الاقباط ، يحسنون تقدم هو ٧٠ سلاً مع كبيرهم

وخير دعاة للاسلام هم مؤلاء التجار وعلاء الجيوب وهذه جمعيات الدعوة التنصر في الصين تألفت عام ١٩٠٠ في مصر ، وهذه كل الحروب الاسلامية في الهند والمقاطعات التي تقوم بين طوائف الأهلية والمحمدية الذين يقومون بتسلط و مع في جيوش الشر الاسلامي في كل من الغرب والصين ، والشمال والجنوب راسم كما حدث في دروب مستحيلين على ذلك حتى بالاسالة التي يعمد اليها البشرون المسجون ، ساعين في المسجد هائلة الاجانب ، وخاصة في الاستعمار الاوروبي يمناً للحروب المجيبة اقسم بقه خمراك التي مخزن سيبه فاتها الى الكتدى التشرس عاد ، ، ، بدخون للصين اليه ؟

٩ الفترة ما بين الحربين

وبعد التشرق الأعلى للقمه بعد الحرب العالمية الاولى ، عودها الى قيام الاسلامي فيزاً ربحه مطلبي كلهم ، وفقاً الاتفاقات مايكن بيكو فقد اعطت حصة الاسد فرنسا لانتداب على سوريا وبلبنان كما ربت انكلترا الانتداب على فلسطين بعد ان اعطي بلفور في حكومته بكلاير وعد هو سمة الهيود وعلى شرقي الاردن وعلى العراق ومن هذه الوعود التي عطيها لبريطانيون العرب ، تحقيق سوى استقلال الجزيرة

العربية النسبي . فالوضع في العالم الاسلامي ينم عن حدة التخلف . فمنه قطع تتمتع رسمياً بالاستقلال هي تركيا وايران وافغانستان والجزيرة العربية واليمن ، الا انها تخضع جميعاً للسيطرة والوصاية غير المباشرة ، [illegible] أما ما تبقى فيخضع للسيطرة الاوروبية . ففرنسا تبسط حمايتها على تونس والمغرب الاقصى وتحتل الجزائر وافريقيا السوداء الاسلامية ، كما تبسط انكلترا [illegible] سيطرتها على مصر وفلسطين وشرق الاردن والعراق وعلى مشيخات الخليج العربي ، وعلى الهند وماليزيا . وتتحكم هولندا باندونيسيا . وايطاليا بليبيا والاريتريا وبلاد الصومال ، واسبانيا بشمال المغرب الاقصى ، والاتحاد السوفياتي بالقوقاز [illegible] [illegible] مراكز الاسلام الكبرى [illegible] الاقطار الاخرى [illegible] من التصلح والتخلف ، وخاضعة للسيطرة الاجنبية عليها .

حركة الاسلام في تركيا

كانت تركيا [illegible] ، في [illegible] الحرب العالمية الاولى [illegible] بالاسلام ، [illegible] حركة [illegible] على الطراز الغربي .

[illegible] معاهدة [illegible] ٩٢ [illegible] الى [illegible] [illegible] الاستانة [illegible] الوطنية التي [illegible] العثماني [illegible] [illegible] المجلس الوطني [illegible] .

[illegible] عام ٩٢٣ [illegible] [illegible] وفي عام [illegible] معاهدة [illegible] تركيا [illegible] [illegible] ، [illegible] عام ٩٢٥ .

[illegible] مصطفى كمال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الجمهورية [illegible] الجمهورية ، [illegible] الخلافة الاسلامية عام ٩٢٤ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

لم تكن نتائج عقد الجهود في عام ١٩٢٩ مهما سنة الدمار الموصوفون او غيره تتوافر
وجهودهم في البلاد ، واصحاب رؤوس الأموال الخيبي يتحفظون جداً كبار ان عدم توافر
الرغبة في الاستثمارات وضعف الوفر ، كل ذلك بعد كثيراً من قدرة البلاد على التطور خصوصاً
الأسيوي في تركيا بروبوا لا يقل عن ٩٩٪ ما عدا في تركيا آسيا بين الرجال ، و ٩٢ و
بين النساء ، وكان عدد الخريجين الزراعيين سنة في طور البلاد وعربي ٢ دينار ، ٢١٠
عمرات من حديد الله ١٣٠ عمر ت شتى والعجز في الصيرات التجاري لا يزال في
حدود ٢٥٪ وعدم المبادرة الاحتفاظ بعد خليفاً ، إذ ان فئة عشرة من السكان هرعت عن
تستخدم من الجهود التي بذلتها حكومة وهي جهود انصرفت على مجال الصناعي وخصوصاً
مرد اعمال الزراعي والتوسع الأفقي بصورة في عظم رحمي في العالم الإسلامي حيث الأرض
صلاحيته للمشاهدة ، سقيطة الرصيد ، والمرتبس التي كانت وتركيا الكثافة غير بالمثل يجب
الاعتماد ، ذا والتوسع على مواقع بعد الجهود المنظمة التي يمكن أن تتطلع الطرق التي سريعة حركة
الكثافة في المغرب

تعتبر مظهر خاص ومقام عظيم في العالم الإسلامي [illegible] عن مدخل الوافدات
السابق في عدد في القاهرة يبقى مع ذلك مرتفعاً ٢٥٠ ، الأمر الذي الجمع
زيادة في السكان في الفقر ١٤ مختصاً في اليوم ، إلى جعل خطة من الأمور الزراعية
أضف إلى المصرف فيه ، وحد يوفر السكان عمل لا من ، في العام غلاسد ، ب وعدم
٢٢٥ ، عام ٩٢ ، بين ٩٤ مليون نسمة م مكان السلاد كم يكونوا ٥٣ من
القوة العاملة في عدد البلاد ، وكان عدد من الفرنسيين والانكليز يشتغلون في الادوار مناصب
عالية الليس مقربة لعد الله بعض ابناء البلاد من بعض الأحيان فيها ، وهي مركز الشهادة
العربية الأصيلة والفكرية وباعثة الروح الإسلامية جرت على محور الحرب الشديد سماح
تعيش الأسكندرية ترضى ، وعدد غريبة أدوار من ١٩٠٠ اختصاره خصوصاً من التسع والقطن ،
كما تعرضت كثيراً من تعلن الأحكام العرفية ، ابرز اعلان عالية البريطانية في السلاك في
كانون الأول ، ٩ ، ١ بعد تحويل الاحتلال الذي وقع سنة ٨٨٢ ، لل عام موصول من
غربية ، الليس من عصب من التقلص للتشجر الخصوصاً غريب والتي تظاهرات الشديدة
عام ١٨ ، ١٩

فالتقدم الصناعي والكفاح ضد الاحتلال البريطاني الخصم على الأخص في جزء صغير من
الجسم المصري ، وهذه الجهود من عناصر الشعب التي ترجب مطلبي في تحويل الباقي ، م
تكن تأثرت بهذه الأفكار جديدة على كبار الملاك بعض المفكرين التي شيعت بأسباب
الحديثة حديثة ، وتأثرت في القاهرة ، كم عدد القاهرة الأفريقية ، طبقة وبطن الدور خاصة

ملكاً عربياً ... ان معظمها عرب التي انشئت بمقتضى الاتفاقيات السرية المعاهدة عام ١٩١٦ ،
وتوفرت في وجه ذلك فصل وحصاد ... على عرب بن مدين ، الحج لانكلترا الفرصة التي
ملكاً على العراق ، وتنصيب نجيه عبدالله أميراً على شرقي الاردن ، ويعتبر ذلك كومت
اسطاسيين كما مورد مالية في ولا سيوش لتقوم على مراسيمها ، ولا مواشاته فيها ، وجعلت
تحت الانتداب البريطاني ، حذت الوثائق الكثيرة فيها بمرافقين بريطانيين ، فالجيش العربي
الاردني بقيادة الضابط البريطاني جلوب باشا ، اما فيما يتعلق بالعراق ، وبالعراق
البحر الابيض المتوسط ، وخط انابيب النفط الذي يمتد من الموصل الى البصرة ، وقد ذكل فصل ،
عام ١٩٣٠ معاهدة التحالف البريطانية ، استقلال العراق ، بعد ان عقد مع بريطانيا معاهداً
عسكرياً يجول بريطانيا استعمال وسائل النقل ومطارات البلاد.

اما في جزيرة العربية فلم تتلاق ... ٤ البريطانية من عهد التوفيق ، فابناء ابن السعود ،
ملك الوهابيين ، والمدعو فيلبي ، الذي يعتبر مخابرات بريطانيا ، استطاع ان يؤلف
له جيشاً قوياً ، الاحوال تأكد معظمه من البدو ، خصوصاً ... وسط عام ١٩٢٤ الذي يسمى
تنعطاً على المدن الاساسية للحجاز مكة والمدينة وان ... ادى به ملك على حساب رفيقه ، حيث
السعودي ، هذا كما في الحين ، تحضيراً في حال التسليم ... ان الملكة الوراثية التي قامت على حسن
مبنية كانت تلقى في وجه كل فكرة حضرية في البلاد.

ومن مراقبة القوة في الحجاز في ... ٤ الدولة ... ساعدت بريطانيا ... ان تفرض البلاد على
القبائل المتناحرة بعضي بعض خاصة ، عصر الاحتلال فيصلة التي كانت لتوجه ولا سيما
بفضل فريق من مشايخ العشائر حيث الفئة العربية كأبناء آخر حيز بالصاعات والتحالف
غرب الذي القبائل الحرب ، كل حاجز الى حد ما ... وجه سلطة ... الملك والحيث يهب
ان هذا الملك قوي للطراز الملكي ... ان يكفي ان نطلق بعض ... أسبوعي في
عدة صحافات قوى الوحدات العسكرية الاسبوعية حتى عودة السلام الى نصابه ويرتفع
الجيش اليهود.

في فلسطين تأسد اليهود بسطح رسمي القومي ، احتدم بعد التصريح الذي اطلقه اللورد
بالفور عام ١٩١٧ ... ان الجيوش ... الاحتلال الذي قام بعد هذا التصريح ، حتى على كل ...
البلاد حوالب وحدة ... فيتا ... اج البريطانيون بإقامة ... ان هذا التصريح ... بمن موكز اتساع
مجتمع حضاري ينتمي استقلاله الاداري ... اج هذا ... فركا الصهيونية وتجتمر ... ان ... لاستقلال
دولة يهودية فيه.

ان الصهيونية ... ان هذه الفئة الثورة التي تحس فيها الجيوش والتي تتألف
من البدو ... لتتاح البحر الاحمر ، وتمت اقطار مكانيا ... مسعود بعد
ظاهر الاستقلال ... ست الامم أتاح الفلسطين في عهد المنطقة وغيرها ... الفلسطين ، انهيار
على سؤال تركيا ... في جوهر حضرية بلاهي ، عدد السنين التي انتهجها ... حصلاهم الامت

حرف الصانع لتطوره تكنولوجياً وثقافياً الا انها تصطدم بالتقاليد العتيقة التي تمسك بها الملاك الذين يستغلون في سبيلها عمل وجهدهم

فالتصنيع الذي وقع قد رسماً باسم ايران الا في سنة ١٩٣٥ تعرضت خلال اخر الاحتلال من قبل الروس والانكليز لعملية في ماض من المصاعب فالمشاكل التي سببتها هذه الحرب كانت الروس يتصيدون منها جيد ومنهم الكثير و ... حتى فرض عليهم الانكليز هايتهم الفعلية عليه وكان من شدة عنف الشعب ضد الصناعة في قيام حد ضابط انجليزي يدعى ... خان بانقلاب عسكري عام ٩٢٠ حكم في ... ة الامر الى سيد الدرس في عام ١٩٢١ فجاء سيد ... خان بيادي الذي اسبح ... ة زمني ١١ عصرية البلاد على مرار ما تم في تركيا عاصر أصح فكرة ان في معاصر الامم الحديثة كما قال عدد بعض الفاتح الرسمي في البلاد وتطويرها وبعد من المكتسبات الصناعية وتظلم الذي من الظلام كان الاكيد المقاربة وامة البلاد بحاجة حقيقية وقعت أن تعاونه عد الى امد الاستيراد الاجنبية في البلاد عام ١٩٢٨ كما ذلك عام باصلاح في ي السكان ، اد الذي نس الطروم فرض رئيس الكابينة القضاء واعطى جنس مطلب عدد) ، و مسكان نفس جاد الاصلاح الشهم الثاني وانشاء سكة حديدية من خطوط الحدودية وقطرات عدده والاكسة مالية الري ، وتأسيس المصانع والرض على الشركة الانجليزية القاريسة الى ... قبول شروطاً الفصل ستفادت منهب صراعات البلاد

أن في الافغانستان عالصلولة التي قام بها الملك ... ن الذي عرف كرسي الملك عام ١٩٢٩ ، ماست بالفشل فجند حربه الناجحة ضد الانكليز سيرة نفسه من السوط والقرض عليه بحصر علاقات العامة في خارج مع حكومة ضد الانكليزية ، وتسمي علاقات عربية مع القوى الاخرى ، وفرض على مكاتب العامة كلوب نصر الري الاوروبي و مسكان مسقص الجهاد الفني من الاجانب وحظر عام ١٩٢٨ تصدير الزوجة الفرجنين وعدم فتاتها بالسفور وطرح فيها ، الاتاوة م ضغيب عيشر ١٩٢٩ ، على يد ... امير شنار وتوقفت عندئذ عجلة عصرية البلاد

تأثير الازمة الاقتصادية العالمية

مما هيئت الازمة الاقتصادية التي اطلت عام ١٩٢٩ والنظم الدكتاتورية التي طهرت عنه وهناك على تطوير الحركات

القوى في بلاد الشرق الاوسط وبهذه حرب فالمشكلات الاقتصادية التي عثار من الازمة اعد أثر في حلقة مجتمع درس في سبيل ، كما ان حكام البلاد لاقتناعه الجرائد ، ووسعه بهب جواً لانتشار النظريات والانظمة القاء ... العسكرية فالتي الفني تركيا الكثير ، عند الطبال الذي عرف ان يصمه نجاح وبقد في وحده او ... الذي حقق عدة خوبة مهمة لنجاح ، فحمله فاطمة وبرهان ساطع على امكانية قيام الوحدة خوبة لتجمع والاستقلال الناجز في منة وجيزة ... ان التطور السطح الذي اعد بأسبابه الوطني القومي البهدفي في الشطحي حيث

وقد اليهود في السودان مأخذاً صعباً حدثت بالطرق العناصر العربية في تحررها ، الأمر صاحباً هماً بين سكان البلاد ورواج الكتاب العربي لمطبوعاته عام ١٩٣٠، يرضي بوعظ عجرة البيروتية ورواج بستنبول الشعور الإسلامي

ب خلال بضع سنوات التسعة عام ١٩٣٥ تكتل حظراً متناهياً على الدول العظمى وروجد نفوذ الغرب الا كتاتوري وبعض فهم الشعور الذي في الصدر الي دكتاتورية اذ تحقق كل ما رقصت الحضارة الألمانية والفاشية عند عند الأمن كل شيء وحسن المآل مالو في بيت عند عام ١٩٣٥ صداعة تبدلة اعداء البلاد كما ان الاتجاه مع الأحلاف وقفت الى جانب العراق في حصة الامير عبد الاكبلر عام ١٩٣٠ والي جانب سوريه عند فرنسه ، عام ١٩٣٦ وحققت القضية العربية عند الصهيونية وخارج الاتفاق عديد للمساعدة العرب في أوروبا عند الانكليز في فلسطين و حاضر يجتذبون الى جامعاتهم عدداً كبيراً من الطلاب في الدول الواقعة في الشرق الأدنى كما اتاح الجو الى فرانكو من جيشه يؤازر الحركة الفرنسية التي بنى بها البعد عند الطرائق الطريس بعد بقاربة والشكلات في جميع ذلك الشرق حسنات وهبات نظامية مواتيها السلب ، فما بدأوها وربما وتنظيماتها بعد العبكرية خاصة سب مثلاً وعدم الثقة ، بقلوبهم الشراء تحت اشراف مؤسس حركة الرشيد عند عبدين ، و حزب الرطني السوري ، والكتلة الوطنية و حزبي العربي في العراق وعبرت وحدة الاعتبارات التي وقعت في مصر عام ١٩٣٦ الحكومة مصرية على تقديم استقلالها والكتلت من حمل البريطانيين على بدء مفاوضات انت بها الى الاعتراف من جديد باستقلال مصر وفي سوريا وقعت مظاهرات عنيفة و حوادث اضرابات حادة ادت في اقبال الاحوال و بالكتلة التجارية ٩ كانون من شهر عين يوسفاً ، كما ان الاتحاد كانت القاسية بين جوي الأمن للتظاهرين في مدينتي وعبرهم من المدن السورية الكبيرى ، كل ذلك ادى الى عقد معاهدة مع فرنسه وعدت البلاد بالاستقلال الناجز وفي فلسطين حمل الانفجار الرطني العنيف ، الانكليز البحث عن حل سريع للمشكلة الصهيونية ، وان تبديل محرري في مساعيهم في هذه البلاد

٢ ـ نتائج الحرب العالمية الثانية

كان للحرب العالمية الثانية تأثير عاجل على التطور الذي حدد الشرق الأدنى بأسبابه فالروح القومية التي كانت ، حتى ذاك ، وقفاً على قسم من الطبقات الوسيطة ، عمت الأوساط الشعبية وكبيرت بها الشاعر والأحاسيس في عدد الوقت بالعادات التي عند فيه بالمثل الغربي والمشكلة كما ، وعود ما حرى في كل البلاد الزراعية تحت السلطة الأجنبية فقد وعمت الطبقة المفكرة كل تغلب وروح في الحركة القومية التي جاءت بها البلاء وذلك فعلاً منها التحررات و عندها التقدات المصرية عند ان صافت الصين بدء الاقتصاد التطلع الذي كانت

استثمر من هذه الشكل في قطر من القطار الشرق. فقد كان في خدمتي كثير من ٧٠ موظف وكانت المعاشات والرواتب التي تدفع لموظفي الوظائف صغيرة جداً في حياة البلاد المالية. فالخط الوصول الذي تسرعت عليه دون الأمر وخاصة دون في إيران، سيكون مركزاً هاماً للمصلحة البريطانية في إيران، وقد كنت أعتبر أن الخط الذي في هذه البلاد مفيداً حقيقياً، لا سيما إذا ما عرفت أن الرسوم التي تدفعها الشركة والأجور. وفي الأمر نفسه، خاصة التي تتقاضاها من البلاد لا إيران في من القسم الثاني، وهو سير، وهذه هذه ٣٢ مليون طن من البضائع الذي استخرجه وتصدر المخارج، والذي تصدر من إيران الفترة الواقعة بين القيود التجارية في البلاد وعندما تم تعيين رئيس و. إيران عام ١٩٠٩، تأسس الشركة وموضوعها، فشكل قرر رحلات تحركت مباشراً من الشركة الخاطئ عليها. ووضع عليه على البلاد الأمر بي الذي استحوذ الشركة بالضغط على والضغط على الشركة الأجنبية كما حتى لا أقول عن الشركة البريطانية الأولية. وحدث في خبر خطيرة، وفي الوقت نفسه أوقد اطاحت دشكلوها الوطنية. ٠. وحاولت أن حكم سكوتية عليه استخدمها لإقامة الأمور في إيران

وفي هذه المنطقة التي وقعت عام ١٩٠٩، ٠. حدث يهدد في الصميم بتكاليف الخط الذي تحب هذه الشركات. الخط بالاتفاق بين رئاسي بالقاني سالفي من الشركتين مع ب وبين مجلس شركتي تحاسبتي. هذه الشركة الوطنية الأولى لهذه البلاد والشركة الوطنية الوطنية الذين تقاسمنا عقد القيس مجلس ورئيس مجلس مقاولين التي كان تسير ٠. وكان هو مجموع الدولة ١ بل ٢٥ ١٠٥ وفي شرط في صالح الدين استنفاذ الخطوط بالأجور كما والشركة لا تدفع أيام هذه الدولة بالأخذ مثل هذا الاتفاق الشرعي والقانون في مقابل التأجير

حين في هذه الخلاف التي استخدمت هي المقاولين و ضائع المصلحة لتحسين توضيح هذه البلاد، فيجدر أن أقول التي تحظى فعلاً، على هذه استحقات والأسبقيات التي تم تم الجبال بتحضير ورقة مطلوبة بمطلوب مطلوبة في القيم والمصلحة دون أن يكون على كبير الرأي أسبق وصالح البلاد الاقتصادية، مع مستوى الذي يجب أن تراعى الجانب. أن مشاريع في خيال الأخص الخوف البلاد لتطلعه بيع الأسعار. التقدم على الإنماء الوطني والقوي لتعيين الرسوم على التسعير من التجارة، الأجنبية، لا سيما وأن جديدة أن هذه الخوف التي تمنع بها على هذا المشكل والتي تحتل على تأسيس مقابل الاستيراد والقيد على استغلالها يجب أن تحصين في سبل

والسكان جزائر جديدة مأسرع ما أوجد موارد الري ووسائل النقل في البلاد في رقعة
بحر
الشكك دون
الصحة م الا
الصحة
الصحراء
الري
الري
الري

الحكومات العربية وعصرها ، ادت الى اختفاءات سياسية وثورات وقلل عدد من الانقلابات في كثير من الدول العربية . فما يبين في كل هذه الدول العربية من الدور خلال هذه الجمهوريات المختلفة . ففي عام ١٩٤٩ ، قتل احمد حسن البكر على الفاسد حاتم حسن ، وفي عام ١٩٦٩ وعلى يد ضربة خنجر كل من الفلسطيني ماما والاعداء يحيى عدم السن . وفي عام ١٩٦٩ قلوم الزعيم حسني الزعيم بانقلاب عسكري . يقتل الخط هو الآخر وقتل بانقلاب عسكري قام به اللواء الشيشكلي . وفي عام ١٩٥٩ ، قتل الملك عبد الله ، ملك الاردن ، بيد ما عرف من بركاته فيرجلها انهم بمباركة القضية العربية . في عام ١٩٥٢ قام بطل حرب فلسطين الزعيم المصري جيش ابو كان المصري ، بانقلاب عسكري ضد الملك فاروق الذي اشير مسؤولاً عن الفساد والقرصنة الاجتماعية في مصر ، وهي العجز الذي تكلمت عنه الجيش المصري

وفي هذه الفترة ، الفترة التي تلت حرب الجيش الكبير الذي يزيد تعريضاً ، اطلت هذه طبقات اجتماعية جديدة تألفت من التجار ورجال الفكر والمثقفين ورجال الخط استطاعت تطالب باعطاء الغلاء فعالة وحق سادت جديدة وضد حد تعبد الفساد والقهر الذي وضع فيه اقوام زعمائهم والذين حد حطيرة ، آمالهم من هذه الثقافة الوطنية التي طوح بها ، صوت العرب من القاهرة ، وقدمت في العربة السوفيتية اجراءات وحواجز تخريب ادت الى توقف هذه من كل . هذه الظاهرة التي تعد الاهتمام بالنسبة لهم ، وم تكن من كل الشيء هذه من بعض تجمعات و تنظيمات الفعالة التي عشت تعمل في الخفاء وهي تتألف بتعدادين من بعض الشرعيين هي البلاد وناشيين في الخارج ، في دمشق حيث تأسست الجبهة السعودية الاصلاحية ، وغادر هي تجار الى القاهرة ومصر الأخرة . وفي عدن او القاهرة من هناك عراقي في الخريف و تردد ومرسلت قلين الشعر حول حرب السنين الاخيرة .

تأخذ الدول العربية ، على الاحتمال ، بالتأخير الذي اصطلحت لتكافح خلال الحرب التي برمزح فيه من سوريا تعاد وحدة الا مطلقة . ويعقبها في انقلاب عام ١٩٤٩ والانسحابات المؤسفة التي صاحب الجيش الثامن قبره من الحصر على كل سيناء لتشرق الاعمى . وعقب بذلك على كل التشرق و بعد الجامعة العربية التي اسرعت على حياتها والتي تشكلت بتاريخ عام ١٩٤٥ تكلمت هي ، رة عراقية بعد ان اعطيت حلب من خلفه والرعاية ما اعتدت الا ان معاهدته بعد الدولة و المتكلمة . التي لبست بسبب بعد حرب مستقبل السوداء وحرب ضاة الحرير مست كثير من هذه وتنظيمات حرب حرجة ، ماضية في قصة النظام المصري الذي جدته وقصة التي اقتنعتها في هذه المنطقة ، حتى في تملكه الاربعة صحيح التي القصة عبر راسيا في عام ١٩٥٦ بكمل حتى ، خوال حلب ما تواصل نفس الاردني وتحدث الثورة تجمع في حرب حتى داخل المحرين . وتحدث للظاهرات العدالة

في سلسلة التاريخ والفكر السياسي الإسلامي، وهي السلسلة التي أصدرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وقد صدر منها حتى الآن ثلاثة كتب، وهي تتناول بالدراسة والتحليل فكر ثلاثة من كبار المفكرين السياسيين في الإسلام، وهم على التوالي: الماوردي، وابن خلدون، وابن تيمية.

وقد أشار الدكتور عبد الحميد متولي في مقدمته لكتابه عن الماوردي إلى أن الفكر السياسي الإسلامي قد مر بمراحل متعددة، وأن الماوردي يمثل المرحلة الأولى من مراحل تطور هذا الفكر، وهي المرحلة التي تأثر فيها الفكر السياسي بالواقع السياسي المعاصر له تأثرا كبيرا، وذلك لأن الماوردي عاش في عصر كان الخليفة العباسي فيه مجرد اسم بلا سلطان حقيقي، وكان السلطان الفعلي في يد البويهيين الذين استولوا على بغداد عام ٣٣٤هـ، وظلوا يحكمون باسم الخليفة العباسي حتى عام ٤٤٧هـ، حين استولى السلاجقة على بغداد وأنهوا حكم البويهيين.

وقد كان الماوردي يعيش في ظل هذا الواقع السياسي المتردي، ويشهد بعينيه ما يحدث من صراع بين البويهيين والخلفاء العباسيين، ومن هنا كان طبيعيا أن يتأثر فكره السياسي بهذا الواقع الذي يعيشه، وأن يحاول أن يجد له حلا أو مخرجا.

وقد أشار الدكتور عبد الحميد متولي إلى أن الماوردي قد تأثر في فكره السياسي بالواقع الذي يعيشه، وبالتراث الفكري الذي ورثه عن السابقين عليه، وأنه حاول أن يوفق بين هذين المصدرين في نظريته السياسية، وأن هذه النظرية تعكس هذا التوفيق بين الواقع والتراث.

ويرى الدكتور عبد الحميد متولي أن الماوردي قد تأثر في فكره السياسي بعدة عوامل، منها: الواقع السياسي المعاصر له، والتراث الفكري السابق عليه، والبيئة الاجتماعية التي عاش فيها، والظروف الاقتصادية التي مر بها المجتمع في عصره، وأن هذه العوامل مجتمعة قد أثرت في تفكيره السياسي تأثيرا واضحا.

ويشير الدكتور عبد الحميد متولي إلى أن الماوردي قد حاول في نظريته السياسية أن يوفق بين مبدأ الشرعية الذي يقوم على أساس اختيار الأمة للحاكم، وبين الواقع السياسي الذي يقوم على أساس الغلبة والقوة، وأن هذا التوفيق يتمثل في نظرية الإمامة التي وضعها الماوردي، والتي جعل فيها للخليفة سلطات واسعة، ولكنه قيدها بشروط معينة.

ويرى الدكتور عبد الحميد متولي أن الماوردي قد تأثر في نظرية الإمامة بالواقع السياسي المعاصر له، وأنه حاول أن يجد له مخرجا شرعيا، وأن هذه النظرية تعكس هذا التأثر بوضوح.

ويشير الدكتور عبد الحميد متولي إلى أن الماوردي قد تأثر في فكره السياسي بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وأن هذا التأثر واضح في استشهاداته الكثيرة بالآيات والأحاديث في مؤلفاته السياسية، وأن هذه الاستشهادات تدل على أن الماوردي كان يحرص على أن يجعل لأفكاره السياسية سندا شرعيا من القرآن والسنة.

ويرى الدكتور عبد الحميد متولي أن الماوردي قد تأثر في فكره السياسي بالفقه الإسلامي، وأن هذا التأثر واضح في تعريفه للإمامة، وفي شروط الإمام، وفي واجباته وحقوقه، وأن الماوردي قد استمد هذه الأفكار من المذاهب الفقهية المختلفة، وأن هذا يدل على سعة اطلاعه وعمق ثقافته.

ويشير الدكتور عبد الحميد متولي إلى أن الماوردي قد تأثر في فكره السياسي بالفكر اليوناني، وأن هذا التأثر واضح في تقسيمه للعلوم، وفي تعريفه للسياسة، وأن الماوردي قد استمد هذه الأفكار من الفلاسفة اليونانيين، وأن هذا يدل على أن الماوردي كان على علم بالفكر اليوناني، وأنه حاول أن يستفيد منه في بناء نظريته السياسية.

ويرى الدكتور عبد الحميد متولي أن الماوردي قد تأثر في فكره السياسي بالفكر الفارسي، وأن هذا التأثر واضح في تقسيمه للعلوم، وفي تعريفه للسياسة، وأن الماوردي قد استمد هذه الأفكار من الفرس، وأن هذا يدل على أن الماوردي كان على علم بالفكر الفارسي، وأنه حاول أن يستفيد منه في بناء نظريته السياسية.

ويشير الدكتور عبد الحميد متولي إلى أن الماوردي قد تأثر في فكره السياسي بالفكر الهندي، وأن هذا التأثر واضح في تقسيمه للعلوم، وفي تعريفه للسياسة، وأن الماوردي قد استمد هذه الأفكار من الهنود، وأن هذا يدل على أن الماوردي كان على علم بالفكر الهندي، وأنه حاول أن يستفيد منه في بناء نظريته السياسية.

ويرى الدكتور عبد الحميد متولي أن الماوردي قد تأثر في فكره السياسي بالفكر الفارسي، وأن هذا التأثر واضح في تقسيمه للعلوم، وفي تعريفه للسياسة، وأن الماوردي قد استمد هذه الأفكار من الفرس، وأن هذا يدل على أن الماوردي كان على علم بالفكر الفارسي، وأنه حاول أن يستفيد منه في بناء نظريته السياسية.

ويشير الدكتور عبد الحميد متولي إلى أن الماوردي قد تأثر في فكره السياسي بالفكر الهندي، وأن هذا التأثر واضح في تقسيمه للعلوم، وفي تعريفه للسياسة، وأن الماوردي قد استمد هذه الأفكار من الهنود، وأن هذا يدل على أن الماوردي كان على علم بالفكر الهندي، وأنه حاول أن يستفيد منه في بناء نظريته السياسية.

ويرى الدكتور عبد الحميد متولي أن الماوردي قد تأثر في فكره السياسي بالفكر الفارسي، وأن هذا التأثر واضح في تقسيمه للعلوم، وفي تعريفه للسياسة، وأن الماوردي قد استمد هذه الأفكار من الفرس، وأن هذا يدل على أن الماوردي كان على علم بالفكر الفارسي، وأنه حاول أن يستفيد منه في بناء نظريته السياسية.

ويشير الدكتور عبد الحميد متولي إلى أن الماوردي قد تأثر في فكره السياسي بالفكر الهندي، وأن هذا التأثر واضح في تقسيمه للعلوم، وفي تعريفه للسياسة، وأن الماوردي قد استمد هذه الأفكار من الهنود، وأن هذا يدل على أن الماوردي كان على علم بالفكر الهندي، وأنه حاول أن يستفيد منه في بناء نظريته السياسية.

منذ بعيد ... قامت في العالم الإسلامي حركات عديدة كانت تأخذ طابعاً دينياً من أجل النهضة ... مثل حركة محمد بن عبد الوهاب في نجد ... وحركة الإخوان المسلمين ... وحركة السنوسي في ليبيا ... والأحزاب الإسلامية في إندونيسيا ... وغيرها كثير في أنحاء العالم الإسلامي ... وكلها تنادي بالعودة إلى الإسلام ... وتطالب بتطبيق الشريعة ... وتعتبر أن الإسلام هو الحل لكل مشاكل المجتمع ... وهذه الحركات ... على اختلاف أسمائها ... وأساليبها ... تشترك في أمر واحد ... هو أنها تعتبر أن الإسلام ... ليس مجرد عقيدة ... وليس مجرد عبادات ... وليس مجرد أخلاق ... بل هو نظام شامل للحياة ... يشمل السياسة والاقتصاد والاجتماع والتعليم والقضاء ... وكل مجالات الحياة ... وأن المسلمين لن يعودوا أقوياء ... ولن يستعيدوا مكانتهم بين الأمم ... إلا إذا عادوا إلى الإسلام ... وطبقوه في حياتهم ... وجعلوه هو المرجع الأساسي في كل شؤونهم ...

ولكن ... ما هو الإسلام الذي تدعو إليه هذه الحركات ... وما هو الإسلام الذي تريد أن تعيد المجتمع إليه ... إن الإسلام الذي تتحدث عنه هذه الحركات ... ليس هو الإسلام الذي عاشه المسلمون الأوائل ... ولا هو الإسلام الذي نزل به القرآن ... وإنما هو إسلام مشوه ... إسلام مختزل ... إسلام مبتور ... إسلام تم تفريغه من محتواه الحقيقي ... وتم حشوه بأفكار غريبة عنه ... وبتفسيرات خاطئة ... وبممارسات لا علاقة لها بالإسلام ... وهذا الإسلام المشوه ... هو الذي أدى إلى ظهور الجماعات المتطرفة ... التي ترفع شعار الإسلام ... وتقوم بأعمال إرهابية ... وتسفك دماء الأبرياء ... وتدمر الممتلكات العامة والخاصة ... وتسيء إلى صورة الإسلام في العالم ... وتعطي للأعداء الفرصة للهجوم على الإسلام ... وعلى المسلمين ... وهذه الجماعات ... على اختلاف مسمياتها ... وأساليبها ... تشترك في أمر واحد ... هو أنها تعتبر أن الإسلام ... ليس مجرد عقيدة ... وليس مجرد عبادات ... وليس مجرد أخلاق ... بل هو نظام شامل للحياة ... يشمل السياسة والاقتصاد والاجتماع والتعليم والقضاء ... وكل مجالات الحياة ... وأن المسلمين لن يعودوا أقوياء ... ولن يستعيدوا مكانتهم بين الأمم ... إلا إذا عادوا إلى الإسلام ... وطبقوه في حياتهم ... وجعلوه هو المرجع الأساسي في كل شؤونهم ...

ولكن ... ما هو الإسلام الذي تدعو إليه هذه الجماعات المتطرفة ... وما هو الإسلام الذي تريد أن تعيد المجتمع إليه ... إن الإسلام الذي تتحدث عنه هذه الجماعات المتطرفة ... ليس هو الإسلام الذي عاشه المسلمون الأوائل ... ولا هو الإسلام الذي نزل به القرآن ... وإنما هو إسلام مشوه ... إسلام مختزل ... إسلام مبتور ... إسلام تم تفريغه من محتواه الحقيقي ... وتم حشوه بأفكار غريبة عنه ... وبتفسيرات خاطئة ... وبممارسات لا علاقة لها بالإسلام ... وهذا الإسلام المشوه ... هو الذي أدى إلى ظهور الجماعات المتطرفة ... التي ترفع شعار الإسلام ... وتقوم بأعمال إرهابية ... وتسفك دماء الأبرياء ... وتدمر الممتلكات العامة والخاصة ... وتسيء إلى صورة الإسلام في العالم ... وتعطي للأعداء الفرصة للهجوم على الإسلام ... وعلى المسلمين ... وهذه الجماعات ... على اختلاف مسمياتها ... وأساليبها ... تشترك في أمر واحد ... هو أنها تعتبر أن الإسلام ... ليس مجرد عقيدة ... وليس مجرد عبادات ... وليس مجرد أخلاق ... بل هو نظام شامل للحياة ... يشمل السياسة والاقتصاد والاجتماع والتعليم والقضاء ... وكل مجالات الحياة ... وأن المسلمين لن يعودوا أقوياء ... ولن يستعيدوا مكانتهم بين الأمم ... إلا إذا عادوا إلى الإسلام ... وطبقوه في حياتهم ... وجعلوه هو المرجع الأساسي في كل شؤونهم ...

ولكن ... ما هو الإسلام الذي تدعو إليه هذه الجماعات المتطرفة ... وما هو الإسلام الذي تريد أن تعيد المجتمع إليه ... إن الإسلام الذي تتحدث عنه هذه الجماعات المتطرفة ... ليس هو الإسلام الذي عاشه المسلمون الأوائل ... ولا هو الإسلام الذي نزل به القرآن ... وإنما هو إسلام مشوه ... إسلام مختزل ... إسلام مبتور ... إسلام تم تفريغه من محتواه الحقيقي ... وتم حشوه بأفكار غريبة عنه ... وبتفسيرات خاطئة ... وبممارسات لا علاقة لها بالإسلام ... وهذا الإسلام المشوه ... هو الذي أدى إلى ظهور الجماعات المتطرفة ... التي ترفع شعار الإسلام ... وتقوم بأعمال إرهابية ... وتسفك دماء الأبرياء ... وتدمر الممتلكات العامة والخاصة ... وتسيء إلى صورة الإسلام في العالم ... وتعطي للأعداء الفرصة للهجوم على الإسلام ... وعلى المسلمين ... وهذه الجماعات ... على اختلاف مسمياتها ... وأساليبها ... تشترك في أمر واحد ... هو أنها تعتبر أن الإسلام ... ليس مجرد عقيدة ... وليس مجرد عبادات ... وليس مجرد أخلاق ... بل هو نظام شامل للحياة ... يشمل السياسة والاقتصاد والاجتماع والتعليم والقضاء ... وكل مجالات الحياة ... وأن المسلمين لن يعودوا أقوياء ... ولن يستعيدوا مكانتهم بين الأمم ... إلا إذا عادوا إلى الإسلام ... وطبقوه في حياتهم ... وجعلوه هو المرجع الأساسي في كل شؤونهم ...

[illegible] من أوائل الدول التي أعلنت عن مشروع [illegible] الأمريكية [illegible] عام ١٩٥٤ [illegible] الأمريكية [illegible] عسكرياً [illegible] على رؤوس الأموال الأجنبية

[illegible] الاقتصادية [illegible] على رؤوس الأموال الأجنبية [illegible] في الحروب الصليبية في غربي أوروبا، ولا سيما في إيطاليا

[illegible] والاقتصادية، مع الإفادة من هذه الامتيازات السابقة التي قدمها

[illegible]

كان من [illegible] وقد [illegible] ألفاً من العمال الذين سيعملون [illegible] في عام ١٩٥٦ ومع ذلك فالبرنامج لا يزيد على بعض ما في البلاد [illegible] وبعد الانتهاء من العمل، [illegible] في مقدور [illegible] كبير جداً في [illegible] ٢٢ ويزيد العمل في [illegible] أضعاف

وبعد الثورة الأسبانية عند عام ١٩٣٦ التي شاهد فيها مصير بلدي الأمر الذي [illegible] الجيش فاشيتي هو الذي [illegible] الرئيسي من أجل [illegible] الاشتراكية وبعدما [illegible] والاستيلاء كان [illegible] مصير [illegible] وهو [illegible] والذي يرتبط [illegible] مركز [illegible] ومواردي، يحتل مركز [illegible] في [illegible] الاقتصادية [illegible] الثمار [illegible] الاقطاع [illegible] كل [illegible] [illegible] [illegible]

٣ – إسرائيل [illegible]

[illegible] المسيطرة على المنطقة ، تتمثل بنشوء دولة إسرائيل.

من الوطن القومي إلى دولة [illegible]

[illegible]

[illegible] الاستعمار الإنكليزي الأميركي في الشرق [illegible]

يعتبر في مصر ت ر ع كما كان معروفا الفكرة سائدة بين سكان وحوادث أهمها
وبطبيعة الحال تربة الصحراء تعتمد على رفيه من حياة الأرض عالما ع الوصر بلده في بيا ،
فالأرض الصحراوية تحتاج إلى الماء لكي تصبح صالحة للزراعة كما هو معروف للكثير
أحدثي التجارب التي أجريت في الزراعة ، اشتري منه أنواع الأسمدة كما وضحنا في الفصول
الضرورية لتحسين التربة ، تعاقب طلبة الكلية ، وبعض جيرانه ، حضروا ورأوا بأعينهم
وطلائعي الخير ساعدوا في تعريب ، العمل كمواطنين في الأماكن المختلفة ، ما على راعي الشاربات
والنقابات المهالية

إن الميزان الاستراتيجي الزراعي وتطوره يتوقف أساسا على كل شيء على عمال الري في الأراضي حتى
تتعدد قسم منها في وادي النيل. وفي الجنوب تحديدا تعرضت لمشروعات ، والذي قد أفرج تتبع
أثناء نصل بين الصحراء الأبيض المتوسط وجزء الصحراء ، وهو مشروع يمكن مساعدته لتوفيره
طاقة كهربائية هائلة ، وقد درست مساحة الأرض المزروعة في السنة كلها من منتهاها فضلا

إن عملية تفريغ السكان وتصريفهم في وظائف وخدمة وظيفة هذه العناصر المتباينة في مواقف
متباينة مختلفة ، تحدد إمكان التطبيق ، وبعد التنمية ، فالوسط الجغرافي لو خاصتي عند
كما في الولايات المتحدة مثلا يجب أن تحدد بعناية في ضوء التجارب ، وتحديد وتحقيقه في المجتمع الأمريكي
كما قد تبين ، وخاصة العسكرية في بعض الولايات المتحدة تحدد أوجه وأشكال متنوعة للتعبير
الاجتماعي ، أما الشعب المصري فيه هو ، خلق حسي حسي في كل مواطن وخلق نفس
مواطن من أي جنسية ، وهو سحر يمكن تنميته ، الشعب أن يحدد الأكبر ، وبواسطة تحقيق الثقة
الزوجية ، وتعريض التربة عروض التربة خاصة ، التي تعطي الجديد ، كما يتطلب مرور أمهة
أو عرضه لوجه مهنة معاش معينة تحدد بأوجه خاصة في مصر ، الثقة عامل مساعد في تحقيق
التوسع والتصدير ، تصنيع من تصدير التجربة ، وتجريب بشكل من بيئتهم الزراعي
جهود الأساتذة ، يعبر عن مشروعات التعريض هذه الفترة ، التلقيب بي المهنة في ساعات فراغهم
كما تتصدى كل أسبوع ، ساعة أو ، عن من وجه ، عن تعليم التجربة لتتحقق ، التعليم أو
التعريض بعض الفئات ، أما بعد التعليم ، وبعد التعاقب الوطني ، بشكل من الزراعة وتطوير من
فئة متعلم عاملي ، هو أعضاء الجيوش العربية لأسرائيل

وتوجد سرائيل عدة هي الوسيلة بين جيوش التسرب الأوسط التي تشمل فيها الصناعة على
الإطلاق ، فالملك طلب وجد بكثير ، لم شخصاً من سكان البلاد ، كما قد تعددت مختلف الفترة
الواسعة ، هو ، فرأى في القمة فهي في مدة ، هو ارتفاعه ، هوم على توجد
التقنيات سريعة المطلب ، ولا سيما الأ ، فضل ، فإن ، أسير ، من وقاء ، ر ، سوال ، ر طلب
من الخارج ، ، ،

[illegible]

٤ – البلدان الاسلامية [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والرغم من هذا العصر العربي ومن انتشار الدين على يد هذه الأمة العربية العظيمة ، وتطور الذي طرأ على مستوى الأدب وأسلوب الكتابة ، وكيف الفكر ، والانتقال على رأسه العصر وتركيب الجمل ، والانتقال على عصور السنة ، فالظاهر الشرق على الناس على عربية كما هي مستمر أنه لا ... ، ومع ذلك فإن طريق المحافظة والتمسك بالأصول هذه الاختراعات ووسائل الاتصال الحديثة التي انطلقت بين سكان المغرب الأقصى مع التيسير الثقافي والفكرة العربية والتعريف التي قام بها جهد الذين انتشر الإسلام من الشوائب التي علقت به منتيجة لمجاورته الصحاب والأسود. الطبيعية ثم تحدث عن سعة هذه ... والتعصب من أصحابها الذين رغم هذه في هذه الظروف الصعب العصر الذي عربي في الغرض ... حافظت فيها على اللغة خصوصا وبنيه جعله وزير ... كما نشأت ... ب ... آمنة ... واستطاع أكثر أن ... المحافظة ... الأقصى في الغرب ... وبعد هذا المغرب سعر ... المكانة لجهود جبه ... وإنه لا يزال مصروفاً عن ... في العام ... العلمي ... هذا الغرب الوطنية التي ... للأحداث المحافظة ... الى الظاهرة المتطورة ... العربي ... ، رغم الظاهرة المحافظة ... هذه اللغة ... على البلاد.

نجاح الحركات الوطنية

والنتيجة الجزائر وتونس الذي تم منذ عهد ... بعد ... انتهى في المغرب ، عام ١٩٣٤ ، فمنذ عام ١٩١٤ ، لم يضطرب الأمن في هذه البلاد بصورة ... خطر الاحتلال الغرب الذي سبق ... الغرب ... الكتاب ... هذه البلاد ... ، مرحلة ... عام ١٩٢٥ ... وقع ... الخطير ... وطني في هذه البلاد عام ١٩٣٠ ... هذه ... الشيخ السوسي ... الذي ... في ... الوطني العام الإسلامي ... لتحرير المغرب من الاستعمار الذي ... ومنذ ... الحركة التحريرية التي تقوم الكتابية الكفاح ... في هذه المنطقة.

وفي هذه الوقت الحاضر ... فيه ... وحدات ... الوطنية الثلاث التي ... جامعات بمصر ... في الظاهر ... هذه ... من جراء هذه المؤامرات الأجنبية التي ... المنطقة الشرقية في البلاد ... وقع ... الحاضرة ... المغرب ... وطنية ... وطنية ... الحركة ... الحركة الوطنية ... المغرب ... الحركة ... الحركة الوطنية ... الحركة ... الحركة الوطنية ... الحركة ... الحركة الوطنية

ورأى بعض المثقفين الاستقلالية وسلموا بالاصلاح ،
استقلال تونس والمغرب و خرجوا للحرية السياسية ، في العام الذي ارخه كاتب السير و توفيق
والتجار وعدد ، التنمية ، التي لا تقصد منه هنا ، تمس بالدرجة الاولى مركز الرئيس في
الاسرة و نشاط الاقتصادي مع اشارة مواقف ، فرحات عباس ، التجار في الاحداث الاول
وعدا من المسرحين عند التشديد ، الذين يستفادون بخبرة قد السنة ، وكبار ، توفيق الذي
استثمر اموال الاجانب التي لا يرغب طلبه كما الغير ، الروح الاوربية العامة ، التي لا تتصل
بالاقتصاد ، و ، وعلاقة السن الصغار ، المشتغلين بمصير توفيق ، ومستخدمين الذين يتبعه جداً
الاحتفاظ وضع الفوضى بعد تجنيبهم وتجنيد سنة الاولاد الذي لا شك في القرائن السري ، وعندما
، والسن نفسه كبير ، التي عرفاتها عدة ، خروجه من قبل ، اشتر عندما ، التي عرض لها التجربة
المغرب ، واختلاف شهوب ، بالأوربيين ، صارع الاصلاحية ، وعدد كان عدد الشعر التي ، المحافظة
على النظام ، التي الاستعانة بالتدخير المسكرة ، وغير ، ، والقتل الذي سنة ، ، فرحات
سنة عام ١٩٥٢ ، و توفيق دوزي عام ١٩٥٤ ، وعدد التنمية في ، ، التعديل الذي حسب
، النظام الأساسي الذي وضع عام ، ، عدد الر وعدد جديد سيد الشأن ، في التطبيق
التحرير بأن ، وجود الاصلاح التي تضمنت غير ما هي وجود ، ، ولا أن غير في الاعتماد على
فرنسا

وجد هذه الموقف عند الفرد ، ، في الدول الوطنية ، ، ، في القرن الماضي ، في الرأي
العام الفرنسي ، وبعد الرعية في الجزائر ، في جانب الوجود ، المخطط الوطني ، مدت ، المكونات
الذين ، وتحميل ، على ، ، في بداية الأمر ، المكان ، فضلت ، حال ، ، الأولاد ، و
، ، ،

تطور افريقيا السوداء

تخطو هذه القسم من القرن الواقع جنوبي الصحراء ، هي الآخر لتطورات عميقة ترتسم معالمها في الأفق خلال السنوات الخمس والعشرين الأخيرة . وذلك بتأثير مزدوج من الأزمة الاقتصادية التي ورثت بمثابة لقب على البلدان ذات الاقتصاد الضعيف ، ومن الحرب العالمية الثانية ، فجرت أرصاص ودمارات من فرنسا وبريطانيا وبلجيكا فيها توفراً متنامياً اشتد بين الدول المستعمرة والبلدان الخاضعة للاستعمار التي رحبت لتطلع الى الحرية والاستقلال. فأثار ذلك امام الأولى هذه مشكلات وعصاب جديدة ، كان من الصعب عليها بعد ان اعتادت ان تنسى امامها من بلدان تستثمرها وتحتل ضوائها سوى القارة الافريقية

١ – تطور الاقتصاد والمجتمع

والسرعة التي تعالجت فيها هذه المواقف يجب ان تعزى الى الفرق الأدنى الى حدة التفاوت الاقتصادي بين الدول الأوروبية على استعمار جزيرات اجتماعاوروبي الاستعمارية وغير ذلك الضعيفة ، وان استطاع الرحالة التي أمست على سكانها الأصليين قد تمثل جانباً من هذه الأموال التي كانت تستثمر من قبل في أمة الجنوب الغربية في افريقيا ، واشتد الى الماء الاتصالات بين الأوروبيين وسكان البلاد الأصليين

بسرعة هذه الاتصالات وأنت بعد ان تكاثر عدد الأوروبيين الذين استقروا عبر البحار مع انسه يبقى ضعيفاً نسبياً . ففي جنوب افريقيا ٣ ٪ وفي افريقيا الشرقية الانكليزية ٣ ٪ وفي افريقيا الشرقية الفرنسية ٦ ٪ وفي الكونغو البلجيكي ٧ ٪ وفي افريقيا الغربية الفرنسية والفولتا ١ ٪ وفي روديسيا الجنوبية ٦ ٪ وفي افريقيا البرتغالية ٢ ٪ كذلك ساهم في هذا اليسر تجنيد عدد كبير من ابناء هذه البلاد واستخدامهم في الأعمال المربحة التي دارت رحاها في الجنوب وشمالي افريقيا وفي فرنسا واوروبا . وتعتقد ان ازدياد عدد الوطنيين يوماً بعد يوم الذين تضطرهم

بعض عناصر الاقتصاد الحديث في مزرعة الغربية والمشاكل التي تواجهها

في مزرعة الغربية تتوافر عناصر الإنتاج الحديث بصورة تسمح للغربية أن تكون مثالاً يحتذى لكثير من المزارع في مصر. فالأرض والعمل والإدارة والتنظيم كلها عناصر متوافرة في الغربية، ولكن هذه العناصر لا تعمل في فراغ، بل تعمل في إطار اقتصادي وسياسي واجتماعي معين. وهذا الإطار يحدد إلى حد كبير طريقة استخدام هذه العناصر ومدى كفايتها. فالاقتصاد الذي يعتمد على الزراعة وحدها، والذي يعاني من ضعف الطلب الداخلي والخارجي على منتجاته، والذي تسيطر عليه طبقة من كبار الملاك الغائبين، والذي تتحكم في سياسته الحكومة، كل هذه عوامل تؤثر في الغربية وفي غيرها من المزارع تأثيراً كبيراً.

وسنحاول في هذا الفصل أن نبين كيف تستخدم الغربية عناصر الإنتاج المتوافرة لها، وما هي المشاكل التي تواجهها في استخدام هذه العناصر، وما هي الحلول التي يمكن أن تقترح لهذه المشاكل. ولكن قبل أن نبدأ هذا البحث يجب أن نعرف شيئاً عن تاريخ الغربية وعن تطورها في الماضي القريب.

تاريخ الغربية

كانت الغربية في الأصل جزءاً من أملاك الخاصة الملكية، ثم أصبحت ملكاً لأحد أفراد الأسرة المالكة، ثم آلت إلى الخزينة المصرية. وفي سنة ١٩٤٩ اشترتها شركة مساهمة مصرية، وهي الشركة التي تملكها الآن. وقد اشترت الشركة الغربية بمبلغ ٢٠٠ ألف جنيه، وهو مبلغ يقل كثيراً عن قيمتها الحقيقية في ذلك الوقت. وكان الغرض من هذا البيع أن تكون الغربية مثالاً يحتذى للمزارع الخاصة في مصر، وأن تكون مزرعة نموذجية تعمل على تحسين الزراعة المصرية بوجه عام.

وقد كانت الغربية في أيام الخاصة الملكية مزرعة نموذجية بالفعل، وكانت تعتبر من أحسن المزارع في مصر. ولكن بعد أن آلت إلى الخزينة المصرية أهملت إهمالاً كبيراً، وأصبحت مزرعة سيئة لا تختلف عن غيرها من المزارع الخاصة. وعندما اشترتها الشركة الحالية كانت في حالة سيئة جداً، وكان يلزم إنفاق مبالغ كبيرة لإعادتها إلى سابق عهدها.

وقد بدأت الشركة عملها في الغربية في سنة ١٩٤٩، وهي السنة التي اشترت فيها المزرعة. وكان أول عمل قامت به الشركة هو إعادة تنظيم المزرعة وتحسينها. وقد استغرق هذا العمل عدة سنوات، وكلف مبالغ طائلة. وقد أنفقت الشركة في سنة ١٩٥٠ وحدها مبلغ ٢٠٠ ألف جنيه، وهو مبلغ يساوي ثمن المزرعة نفسها. وقد أنفقت الشركة في السنوات التالية مبالغ أخرى كبيرة، وبلغ مجموع ما أنفقته حتى سنة ١٩٥٥ مبلغ ٥٠٠ ألف جنيه.

وقد أنفقت هذه المبالغ الطائلة في سبيل تحسين المزرعة وإعادتها إلى سابق عهدها. وقد تم هذا التحسين بالفعل، وأصبحت الغربية الآن مزرعة نموذجية بالفعل، وتعتبر من أحسن المزارع في مصر. ولكن هذا التحسين لم يتم بدون أن تتحمل الشركة خسائر كبيرة في سنواتها الأولى. فقد بلغت خسارة الشركة في سنة ١٩٥٠ مبلغ ٢٠٠ ألف جنيه، وهو مبلغ يساوي ثمن المزرعة نفسها. وقد استمرت الشركة تخسر في السنوات التالية، وبلغت خسارتها في سنة ١٩٥٥ مبلغ ٢٠٠ ألف جنيه.

وقد كانت هذه الخسائر الكبيرة التي تحملتها الشركة في سنواتها الأولى سبباً في أن الشركة لم تستطع أن تدفع للمساهمين أي أرباح في السنوات الأولى. وقد بلغت خسارة الشركة في سنة ١٩٥٠ مبلغ ٢٠٠ ألف جنيه، وهو مبلغ يساوي ثمن المزرعة نفسها. وقد استمرت الشركة تخسر في السنوات التالية، وبلغت خسارتها في سنة ١٩٥٥ مبلغ ٢٠٠ ألف جنيه.

وقد كانت هذه الخسائر الكبيرة التي تحملتها الشركة في سنواتها الأولى سبباً في أن الشركة لم تستطع أن تدفع للمساهمين أي أرباح في السنوات الأولى. وقد بلغت خسارة الشركة في سنة ١٩٥٠ مبلغ ٢٠٠ ألف جنيه، وهو مبلغ يساوي ثمن المزرعة نفسها. وقد استمرت الشركة تخسر في السنوات التالية، وبلغت خسارتها في سنة ١٩٥٥ مبلغ ٢٠٠ ألف جنيه.

التربة في مناطقه ورخا وكبير والتوسع في ... مع مصر المحتل في السنوات الذي جعل الأراضي غير صالحة للتطهير بشكل محدد ، كما ... التحويل على الجار... التي أقيمت الفريد خصوصاً في منطقة الأهرام العجيلي، حيث التربة ... وتحسينها. فأخراج الصخور ... وتقليب الأراضي المحولة وتركيم القنوات الأحرج و... المنتشرة كل ذلك تطلب من زيد سعيدي سنوياً، في طليعة الصيغ الأخر... فقد ... وهاجر ترعت بيجالية الذي امتد بحلول عام ١٩٥٠ في المنطقة المحصورة بين والمحوطة ... الأولى في عدد القسم من المزارع الفرنسية القديمة والتي ... لأول مرة على ذلك المخصص ... تعرض في نفس الوقت ... ما ... عن موت النباتات وفي الزمن القريب ... المنطقة. ... الذي ... على مساحة ... وقدرها ٨٥ هكتار، حيث تمثل النباتات القريبة إلى الجنوب وإلى الشرق مكتشف المنطقة الصخرية وقد تحررت من الرمل وحسنت

نظام الأراضي المحررة

ويزداد وضع أبناء البلاد سوءاً على سواء من حيث نظام الأرض المحررة والامتيازات الممنوحة للأوروبيين. فقد ورحت في كتابه عام ١٩٥٠ على ٣٤٢ مصري أوروبي ، ٤٧٤ كيلومتراً جريح من الخصب الأراضي و... بعدها بقاي ٣٤٣ من أبناء البلاد الأصليين يحتشدون في ٨٠٤ كلم جريح من الأراضي المحررة، منها ... الذي ... وبذلك ... للمصري الأوروبي ٣٤ هكتاراً من الأراضي الخصبة ، مهيئة طرق الاتصال بها ومهيئة بيوتاً ليس تحت تصرف ربع هائلة من أبناء البلاد سوى ٣ هكتارات من الأراضي المتوسطة الإنتاج في ... الجنوب بدأ ٦٥ من الأوروبيين ٤٥٥ كيلومتراً جريح بدءاً ... ١٩٥٠ من أبناء البلاد سوى ٥٤ كيلومتراً جريح وفي كفافنا جبير... السكان من أبناء البلاد في هذه المساحة البلاد ... في الكونغو البلجيكي ، نرى أنها تضم ... شركات متعددة منها ، مثل شركة ... الكونغو البلجيكية ومركز الكونغو الكبير ، تشرف الأوروبيون من الكلكتارات من الأراضي الزراعية الخصبة

والقصد من نظام الأراضي المحررة ، توفير اليد العاملة للأسواق ... خاص بالمكان الذي هو محاسبة الزراعة كانت ، ... يضطرون الى دفع ما يترتب عليهم من رسوم كلما أرادوا عليهم ان يعملوا في المزارع ... أوروبية. فمنذ عام ... وقد ... في الأراضي الواقعة تحت تصرف الجماعات المحلية ... وقد بالأدوات ... حتى عام ١٩٥٠ ... عندما كان عدد السكان ... مليون نسمة

... الفرنسي ... في السهول الرسمية لأخذ ... البلاد في معاهدة الأمم المتحدة ... في عام ... في الرسمية ... مع مندوب ... الذي ... تصريحاً سيتم توفير الأيدي العاملة في البلاد وتحسين الأجور ... في هذه الأجور من ... تحسين الظروف ... من ... تكون لأبناء البلاد مع التمييز الذي يقوم الأوروبيا عليهم بأقل مقدار من العمل ».

وتشمل الأجنبي ... هذا القول عدة الفرض ... ... واجبات مفروضة ، الفرض منها

التدريب على العمل الزراعي، كما هي الحال في الفرنسة الأسوأ الفرنسة ، أو رسم الفرنسة ، كما هي الحال في الكونغو البلجيكي عام ١٩٣٥ ، أو أن تعلن ستار مصادرة وتصفية من مثل الأفكار تأمين القضاء بسبب الانتخابات العامة من طرق وتعطيل عضوية المحاكم الدائمة حرمانها مباشرة مهامها حسب المفروض عام ١٩٣٠ حتى أن الفرض حين تأجيلها لمصلحة القضاء الأعلى ليبدأ المباشرة والمنتظر الذي سيأخذ حسبه قبل وضعها موضع التنفيذ وذلك صدرت بها ١٩٣٠ ١٩٣٥ في كل من مقاطعة الفرنك الفرنسة وفي مقاطعة الفرنك الأسوأ الفرنسة عدة قوانين تحد من استغلال السعر الذي تباع به السلع ، كما يرى مقاطعة حسب الفرض رسم سجل حتى لم يكن كما كان يعلن نصا في الكونغو البلجيكي في مستشفى ، فما تعمل فرنسة حسب المفروض في سنة ١٩٤٩ خط أنابيب النفط الأسعار الذي يصورة بالغة في المستشفى الفرنسة الذي أعد الأخذ بهذه الطريقة التي جاريا في المستشفى الفرنسة ، وتجاهد حسب الفرنسة ولم يصورة غير حاضرة

خلال شكك

هذه الأرقام بجديدة التي ضمنه الحياة الاقتصادية في هذه الحالة من دوام جاء التعبير في الحقد الاقتصاد الوطنية ، من غير في الفترة التعبير الحضري التي طرأ على توزيع السكان الذي سيما حركة توطين و تعبير واسعة النطاق من جراء الانهيار السريع التي حسب الجنسيات الفترة الحالة عند القوة العام الأسود في التعبير الذكاري كما في الفترة الفرنسة وبالحب سوء ، فالذي الحالي سيئ الفترة سريعا حركة وانتقال ، فتتجدد في جوانب وتعريب الخاطف ، سريعا من قبول و الجمال التنشئة الفرنسة أسلوب في تأمين من كل مجاورة أو ملاحظة ، التوضح أسلوبها ، كان أو تحد حتى مكافأة مستحق للموظفين ، وهذا النظام هو توضح فعالي وهذه الفترة على سنوات ري أوروبي وحدوده جوزيفاب ، وحد أن أصبح الأسكان ، منذ عام ١٩٠٩ ، فأنه وحدات المقاطعة ، مزودة بالآلية الجديدة ، منذ التعبير ، الفرع والذي من وراءها ، و سيوفيه حياة العمر فاستكشاف واستثمار واستأنس التي دور أكبر الأمة ، وهناك الخطوة كل سلطة غير على الأوروبي أو الدور التي اقترا السلطة عليهم

وفي جهة أخرى ، فالسكان أحد صعوبة بالغة ، والانتظام وأن لم تستطيع أصبح الشيء و الفصل بالطبع الطبيعية ، أن الفقر أسلوب الأسود التي على به الفقه فستور والباب ، فكان من طرق التوجه على أشكالها ، و الخصبة والصلب والفرس والوجود الأخير ومرض الدور والرئيسي الأسبوع ، والتي التعبير ، والتعبيرات الشيء وراء الأسكان ستورا ، أن أن جاداً كبير من هؤلاء ، فسكان بتكوين من مع التنفيذ ويضرهم في الثاني التعبير الشيء ، أو أن تعبيره الشيء سيم بعبر جداً التعبير سنة الوالد مع أنهم أن سند الوصاية في جاداً من سرد ذلك سنن الأمراض الزراعية والأمراض الزراعية ، وبن سنده الأمة في شكاوى ، وسع التنفيذ ، وتكمن الوجه الشيء ، ومع ذلك تعبير ذلك الدور الوسط الزوجة في الفوائد الثانية ، التي

الأمر الذي استمر معه جانب من السكان للانتقال الى حيث يستطيعون تأمين ما يلزم. أو هم وهكذا نرى أن هي كمية من حركة التنقل والانتقال بين المهن قد تكون التصور في هذه المناطق المحرومة التي جعلت الحاجة ماسة لتحسين وضعها. وليس هناك مضطرون لإحداث تغيير من حيث الأراضي التابعة للمصير او بحصر في عدد من الأماكن الفارغة او بقصور على مقربة من المدن المجتمعة او بتحويل العمل في هذه الوحدات الثلاثة في المدن. فالمقاومة الاقتصادية الكبرى كمنع التشريع خصوصاً أي في بعض الأحيان ، الى حالة مماثلة بأكثر قسماء حظ الكونغرس - المجلس التشريعي للولاية ، بين ٩٢٠ و ٩٤٠ من ٢٠ و ٣٠ عاملاً ، والتعهدات التي أبرمت التقصي لتقبل معظم سكان المدن من ٢٠ ، سنة حتى انهم تقاعدوا مع عمال اوائل يوم من بعضهم.

هناك مهاجرون وفئة او جماعة من الحالات التي تدفع جزءاً الطلب عن استمرارات الفقيرة الى المقاطعات الانكليزية في المناطق النحيلي وفي مستويات ومن التقارير تجد عند الأساتيا ان كلاً من معظم سكان الدنمور في فلوريدا و كلاً في مقاطعة فلاغلر، التقشي، وكان الزوج يقترحون بالألوف من اهل من الكونغرس البلجيكي تعمقوا. فالأ في روديسيا او في الريفيا جنوبية وكثيرون من السكان ، جزء قد هاجروا منهم للخدمة العسكرية التي كان عليهم ان يؤدوها ، من المقاطعات الفقيرة في المقاطعات الانكليزية حيث لا خدمة عسكرية مفروضة وحركة التنقل هذه سجلت علمت وعدت الهجرة من العمل في المدن اذ كانت تتسع الأسرة فرصاً للظهور والتطور جيداً ، وهي فرصة في نفس الشاب ساعة هم التخلص من هذا الوضع التاريخي الذي كثير ما أقصر حلمه في سرعة او التخلص من سطوة وابسته رئيس القبيلة وعدوين الذي عند المالدوم و المعنيون على بعض الجنود و بعض الشبان الذين الأقارب المتعلقين به فريسة هناك هي التنقل (حسناً) بالطبع ، فبدلاً من ان يتحرر في عواطفهم ، كما في الماضي ، فهم مشدودون على مقربة من الطرق بحيث يسهل عليهم الانتزاع في الحياة الاقتصادية الجديدة.

الخروج من الريف والاتجاه الى المدن — من نتائج هذه الحركة المتزايدة ، إفقار الريف اقتصادياً فهناك في كثير من كثيرة خطيرة في الفلاحة في الكونغرس وأنت من الوجود غير انهيار الأمر الى نضج واحد او حدة كوارث فهم معروفة الى التسابق ، معظمهم حدوث كأنه هناك. جيوفه ، لا تقطع المجتمعات الى الجنوب الأعلى الشمال والشرق والأولاد ، فاستطاعت ميزان خمس وتقلب هذه السنة على عدد الرجال ، ناتج من حدة حركة النزوح من الريف في السكان ، حتى اصبح سكان المدن هي ٥٠ من اصل ٥٠ من سكان الريف وفي مقاطعات الكونغرس الأخرى ، السكان مشحون في المدن وفي الكنت ٢٨ آلاف منهم يسكنون المدن وفي المناطق الريفي ، ملايين و تجرد الريف من سكانه في هذه كثير من

موضوع [illegible] في [illegible] القصة التي كتبت عن [illegible] وهو [illegible] الأطفال [illegible] وهو [illegible] في [illegible] الأطفال [illegible] القصة التي [illegible] في [illegible] الأطفال [illegible] الأطفال [illegible] في [illegible] الأطفال [illegible] القصة

عدد كبير منهم ... في ٢٩ ٪ من بيوت السكن تضم أقل من أربعة أشخاص ، و ٤٣ ٪ من عدد الغرف يحتل الواحد منها من ٦ ـ ٥ أشخاص ، في ٥ ٪ من عدد المنازل يزيد عدد الساكنة على ١٠ أشخاص ، وكان الشخص الواحد

هناك نسبة كبيرة من السكان لا تأتي عادة ... والتي استغلالاً هناك العديد من الفنادق في جميع أنحاء أفريقيا وتزيد الوضع بؤساً وسوءاً ... مصدوماً ، ولم تجد أن في البحث عن عمل في مرتبة ... أو تعيين يعمل ٧ يستطيع التهرب من واجب الضيافة هذه في المستقبل ... من الحصول ... ٥٠٠ من سكان المدينة ... ٥٠٠ منهم فقط لهم عمل في الصناعة ... في الكونغو الأوسط ٪ يعمل بصورة ...

٢ ـ الثورة الاجتماعية

... السود الذين يشكلون الغالبية في هذه البلدان ... الشعوب المستعمرة ، وبطبيعة الحال ... الروح الاستقلالية فيهم ، أثار فيهم مطالب جديدة وحساسة من النوع المختلف ... وقدر ما ضاقت هذه الأطر على المستعمرات ... ضاقت بقدر ما سيجد أبناء مستعمر الأمس ... في فرنسا أو في سبيل التأهيل والاختصاص ، كما هي الحال مثلاً في أفريقيا الجنوبية ، في كل ... وبالتالي ... الوضع الذي يشعر عليه في هذه المستعمرات الأمريكية حيث يؤلف البيض أقلية ... المستعمرة يتمتعون ... في النوع من المستعمرات على الأخص مبان مطلقهم حزب ... عضو السن في ٢٥ سنة رئيسه الرئيس البيض الى النساء ٢٠٠ رجلاً الى ... امرأة من البيض ... يحتلون هم من الوظائف ... الأعلى والى ... من العسكريين وموظفين ومستخدمين في الشركات الخاصة ، وحال رجال الدين الذين يرون في السنين في مستعمرة مصدر ... يشعرون أن الأمام من بقائهم في يدهم الأم يشرعون أن ... يتحدد هذه الأوضاع ... لا تكون من أصل اجتماعي واحد ، حيث يحصون بالوجود عامة أهم وأرقى ... رحبت بناء هم الرصيل بسهولة كبار الموظفين ... ورجال الدين ... يملكون جزءاً من البيض هو في السنة الأم ... حظ أبناء الطبقات ... كما يزيد بوجه موجبة في هذا المجتمع ... الاستعماري ... تشهد سائر الفرنسيين الطبقة ، وتصبح خريجو الجامعة جنباً بجنب هذا كله في البلاد الأم ويسند التمسك ... ايديك ... جميع ... مناقلة يوحدة مصالح الواحدة ... والرغبة في الحفاظ على ... هذه الأوضاع ... هذا التفوق الذي يشتمل على الأشياء في سطوح ... صار البيض ، موظفين من الدرجات العليا ... عالياً جداً موصولين أو يرون أنفسهم عرضة لمزاحمة الجديد فهم ... الذين يرحبون أمراً من تصاعد السود الذين كثيراً ما يتواجهون جداً ويجيداً وكفاءة ... أنهم يكونون أنواع الاستغناء فيها ... كثر ... وحبيبه

وخصوصية ، لا يسرح الخشب

بالمشاريع الأولية بمقاومة الأمراض الفتاكة، والمطبوعات الكونية والخيرات الفطرية، وبمراقبة المال في تركيبة استعمال الأجهزة، وإنشاء المشروعات الواعدة، وتطوير انشاء مستوصفات صحية وإدارية، وتحسين الصرف الصحي والأحياء وهي مستوى أعلى، أنشئت، في المقاطعات الجزيرية خلال السنوات في كل قضاء تشارك في نجاح العمل والسير على راحة المجتمع وفي التفكير البيئي ولا سيما في مقاطعة واحد وبرنامج يوم عمل، ومنظمة رقابة على المواطن، التي حسنت وتدير وتعطي كل الوسائل المكلفة بأعباء عامة واحد خرجت في الخط الريفي للأعمال الأدبية، وفي المقاطعات الفرنسية عامة، التنمية. لتحديد الرقابة العامة من أعباء البلاد، في مقدمتها، والخدمات الجزيرية والمقاطعات حضرة الرواد، وغير ذلك من هذه الأجهزات التي أعطت العمل في هذا المجال

في كل مكان استشاري، جرى المشي هذه الأساليب والعمل يعيد التعاون بعطيه وبتحويه كله، بالنظر تجيز الاجتهاد الجيولوجا لم تعد تزوده بالكفاءة، ولا سيما وأنها تعتمد الجيش والإدارات هذه المشروعات لم تعد رصدها فيها لم التشكك هذا الشأن

تقلص الاستيراد لزيد و حدة التنمية

تواجه على الأرجح، منذ ١٩٤٥، من رؤوس أموال الاستثمار والتقشف وبتعبئة الجهود حصر الموارد، الذي سيكون منه في منطقة الفرنك وفي منطقة الدولار، من طريق تشجيع الانتاج في مستعمر تهيئة كاف، و عدد من الحصول من الأقطار الأخرى كالمعادن غير الحديدية والزيت، والقطن وغير ذلك من الحاصلات الأولية وغير ذلك الجهود هذه بالمستعمرات الفرنسية والخطوط الحديدية والطرقات، وإذا يرجع اهتمامها أكثر الذي ان يسير الاعمال لتحسين على وجه أصعب والتنمية و سد الحاجات عند في هذه المستعمرات بتشجيع وتوزيع الانتاج الزراعي والمعدني عموماً. كل هذا كان موضوع مباشرة خاصة لتخطيط مواسائل خصوصه العدد والأجهزة التي من شأنها ان تساعد على التشجيع بعض الحاصلات الزراعية، وتسهيل بعض الثقافات الحديثة، وتنمية الموارد والثروة وتوسيع شبكة وري، وتوسيع الطرق الكبيرة، و إنشاء بعض المنشآت الحديثة، وطرق المواصلات عند عام ١٩٤٠ أقر المجلس العام في رئاسته مؤتمر لوين خطة التنمية الاقتصادية للمستعمرات، خلال ١٩٤٠ و ١٩٤٠ لم أن الحكومة الموافقة تقرر تحسن الوفاء عند الحد سنة ١٩٤٢ انتهأت في سنة ١٩٤٠، بعد التحرير، إلى أني عدت بعد من مدى ... سابقاً المساعدة في عدد مقاطعات، ومن عدد الفرنسي. عندما الخطر المشار عند ١٩٤٩ التي عدت على عدد مستعمرى الأسباب التطور الاقتصادي والاجتماعي في الأقطار الواقعة غير البحار تغطيه الدولة الفرنسية لمخصصات، ١ جهد الله بتحويل المشاريع غير مشروعة الكافي في

[illegible]

اشياء وقد كد ... وعيسا ايضاً

[illegible] الاقليم [illegible] الذي تؤكد عليه [illegible] في الشرق الاوسط [illegible] الحقيقة [illegible] الحقيقة [illegible] [illegible] القسم والكاتب الذي يؤكد هو الآخر الاستمرار [illegible] [illegible] [illegible]

الانفصال ٣ هي و حدة اق حد ته ه كا ماكا كة ع ع الاقتصادي
و لاتساع الاقتصادي الذي يجار أشر كت ك ه ه ر ٩٢٩ الى ٣٦ ه م
٩٢٥ و ٣٥ ٩٥ و معدل الصادرات ٥٠ الاقتصادية في البلاد ه ه ه ن
الاوروبي مرة أخرى ، وعصر ، ساس ه ، الاقتصادية في البلاد ه ه ه ن
ع ه ه ه

التاسع عشر. لا يقدر بثروة طبيعية حل الخلاف بين الخليج وشط العلاميين الفلسطيني في الجزائر والأمة. ويعد ان تم التوصل الدبلوماسي الافريقي بالقاء علاقات متوترة مع الفيتوهيين، ليس سابقة مماثلة طبيعية في كتب مختلف الأمور، لا بد بالتقارب من الشرائط مع فريق من دور الوسط. وقرار السلام الذي عقده في يونيو من العام ١٩٨٣، الفارح الثانية، جمهورية رسمية فاطمة الشعر (، اي الفارح بأنه شعر الله، وعلى الاجمال، فالاحزاب الافريقية على خلاف تعارض كلي مساعدة التسلل التي لم تعد تكن «الفرنسي» في نظرهم، لا تعارض فكرة الثورة الشريكان. في المطالب، مدونة مسكنة في قلب الجزيرة العربية. يومن مختلف فرجان يتساقى مون ان يضطروا الى استغلال الصنف.

وفي خصوصه ماله، خدمت الاحزاب لجميع معنوياً وتتصور بحقيقة في معنى وزارتي كفر فاكثر طالبياً الفرنك فتاب من التشكلات و فضاء السامة في الـ .ـ الاولي ما كتبا في جبهة الامر. وعدا الاتحاد الوسط عبر و الأفريقية دبور في اتصال نفر كما الشعبية اذ ان التقنين الى تحضرت ٣ ٢ ٢ سكان غير العباد عرف بـ ٢ ٢ ٢ والاعضاء المتحدين الى الاتحاد العدي ٢ ٢ ٢ ٢ القرار الافريقية الافريقي لمنال الوسين المخدم رأساً الى الاقتصاد الغربي لتقاطف الجنسية

لا الاستقلال. ان قريب محصور مستمر من الجزيرة في الفرنك القرن على مستلقاة، و المؤمن من مساكن خوادث في افريقيا السوداء، لا استقلتهم جوانب الحد فنصبة الفرنك الشمالية، خلت الجزائر الفرنسي على من عاصرة ملاك وغانيون موفور في ٣٣ جزائر ٩٥٦ تتصل عوضه عن مساعة التسلل و ورد جلاحسك و مصنه للجنسية الحر الشرعية. مصنف في كل مقاطعة فيها تسع مقاطعة الشرعية و لها اجازات تنسقية خاصة. عالمي الحكام. تنتخب من قبل على القاطعة رئاسة الحاكم العام، المصير الرجعة للأشهر من خارج مقاطعة فيكا بالصاح الاداء. هيمنة الفرنسي حيث مقت خيكار وتقتصد من ايمان الملاك حرى التعليم والقانون. للملاك لم شكال الدم مقاماً لامر حضر و واسعاً و مستقلاً دائماً يجد يكون كاملاً ٧٠ ١٠ اعتبر في نظر عدد كبير من الافريقي مقطعه بداية و مقط حظان محو تسكل الماء لمصنعات. متكلل الجماعات مصرفاً الرئيسة صناعات متصنع قد بعد مرأة تنفاذ مع شهوريه الفرنسي في الاقتصاد الفرنسي والتقاسم عاده مصالح الشركة مع حكومة باريس. والقرن في الاسباب الذي سقط التصنع الديموقراطي الافريقي

D.S. في مقطع لمقاطعة الغرب. والاسرة لوطنه في مدغشقر و غرب الباحثين فلاحة لاحد التوجي في التوجي في انتخابات سنغال بعد ٦٩ و سنغر الاصطر نبك الدائب في مقاطعة سنغ الحرية في الكاميرون. تحت تأثير الحاد الشعوب الكاميرونية التي سنين في لك. ومعارضة لك التسل التوجي في الكاميرون فما لتنظم لا مالك حاد رجاءاً على ان حلم الفرنسيات لم تكن مرحلة نحو الاستقلال.

الاستقلال ... [illegible] ... من ... [illegible] ... عام ... [illegible] ... نظام الأسرة ... [illegible] ... الذي ... [illegible] ... من ... [illegible] ... دستور الجمهورية ... [illegible] ... وعلاقات ... [illegible] ... في ... [illegible] ... الرئاسي ... [illegible] ... وحق ... [illegible] ... الاقتصادي ... [illegible] ... الاجتماعي ... [illegible] ... وحق ... [illegible] ... الاضراب ... [illegible] ... وحرية ... [illegible] ... وحق ... [illegible] ... المظاهرات ... [illegible] ... وحق ... [illegible] ... المظاهرات ... [illegible] ... وحق ... [illegible] ... وحق ... [illegible] ... وحق

البلاد على حساب التحسن التصوري ومكان ثالث نيجيريا استقلالها في تشرين الأول ١٩٦٠
اما السيراليون وغينيا فقد نالت كل منهما عام ١٩٥٨ و١٩٦١ دستوراً سار بها نحو حكومة
مسؤولة عام ١٩٦٢ و١٩٦٣

انتهت بريطانيا منذ عام ١٩٤٥ بسياسة « تخلي خلاق » تقوم على « الرحيل في سبيل تأمين
البقاء » فالمؤسسات السياسية كانت كلب ثاني على الطابع الاتكليزي « بما من رغم مسؤول
يطالب بالتسهيل للقنصل البريطانيين من اتمام اعمال ضد الملاقات مع بريطانيا العظمى « بينما تبقى
الروابط الاقتصادية اقوى من اي وقت مضى والاستثمار يتجاوز بكثير مستوى عدد القاطنات»
والقرض بطابع من التساهل النسبي لقد ايلول ١٩٥٤ « لا يزال حكم هذه البلاد في يد اوربي
وزراء تشكلت برمتها من اوربيين طيرت في افريقيا الغربية وفي اذار ١٩٥٧ عندما نالت
غانا وعدها الى خلا للسنة « شكلت عدد طريق الاستقلال الناجح امام كل الاقطار الواقعة في عقد
الناحية من القارة

الزعامات وجهاً لوجه

الزعيم الاقتصادي عقد عام ١٩٦٠ « تتمتع كل افريقيا الغربية والوسطى باستقلال
تام « بعد ان اصبحت عرفة نيجيريا الفدرالية الجمهورية
الساحة في السكرمونوث البريطاني كذلك نالت الكاميرون البريطانية « في افريقيا الغربية
استقلالها هي الاخرى يوغندا عام ١٩٦٢ ثم كينيا وزنجبار في النصف في نيسان ١٩٦٤ مع
تنغانيكا فتزانيا بعد فترات « رسميا بلاد اصبحت ملاوي في تموز كما استقلت روديسيا الشمالية
لحقت اسم زامبيا

ولكن الى جنوب من حدود رهيبي بالشيء الغريب من شمالي اسولا الى جنوب من روديسيا
الشمالية سطرين الفتوح آخر قلعه استمر فيها سطر فلت من الاتساع مجاورة شاسعة من غنى مناطق
القارة الافريقية رغم ان كانت قريبة على مدى التساهل وحدات نصف اخرى بادرة الكونغو
والنفتيز والسحر حرمات ما من النبع والشاي « وقد كانت بيها حركة اشكال من الى بعض
كبيرة من ٣٠٠ يعودون اصولهم الى منتصف القرن السابع عشر « القرن من
اقدم غزوهن رجال الصابا « وقد ظل الجزء الاكبر من سطر البيض يتشبثون
كثيرا البيض في مطلب وهران وباب الواد او مكان الولايات المتحدة الجنوبية الشمالية
القصب و٣٠٠ الاستوائية الغربية في المستعمرات البرتغالية وروديسيا الجنوبية والبعد جنوبي
افريقيا

وفي القطر الاخير من هذه الاقطار يستقطع سياسة التمييز العنصري والتمييز فيها. ان سطرة
البيض على الزنوج بين البيض على الاسود وانهاء الافريكندر بالفعل للقضي جدا بالترتيب
على سياسة التمييز العنصري من تاريخهم على هذه السياسة هنالك ٢٦٤ الصحة أو سطاقة محفوظة عند

الانضمام الى الحلف سنويي افريقيا

كانت في منتصف الخمسينات الماضية حرب العصابات التي تصدى فرنسيون من سكان الجزائر المولودين هناك لقوات الجيش الفرنسي النظامي. وقد ردت الحكومة الفرنسية على هذه الحرب بسن قوانين استثنائية تعطي السلطات العسكرية في الجزائر كثيراً من الحقوق والسلطات التي كانت تتمتع بها الحكومة المدنية. وقد أدت هذه الحرب إلى مئات الآلاف من الأهلين على الجانبين والسجن الى مئات الألوف غيرهم بالجزائر.

كل هذه الصعوبات التي يواجهها الرئيس ديغول في الجزائر لم تستطع على ما يبدو أن تحد من نشاطه في الشؤون الخارجية. وفي أواخر شهر آذار الماضي قام بزيارة رسمية لكل من السنغال وساحل العاج وتشاد والكاميرون وداهومي. وهذه هي الزيارة الثالثة التي يقوم بها رئيس فرنسي لهذه البلاد منذ استقلالها عن فرنسا في أوائل الستينات.

الحلف الفرنسي في افريقيا

لقد أعطت فرنسا استقلال هذه البلاد بعد حرب طويلة مع الحركات القومية التي كانت تطالب بالاستقلال. وقد أبقت فرنسا على الكثير من مصالحها الاقتصادية والثقافية في هذه البلاد. وتعتبر هذه المصالح من الناحية الاقتصادية ذات أهمية كبيرة لفرنسا. فالمستعمرات الفرنسية السابقة في افريقيا تزود فرنسا بالمواد الخام اللازمة لصناعتها وتشتري منها كميات كبيرة من منتجاتها الصناعية. وتستثمر فرنسا أموالاً كبيرة في هذه البلاد. وتعتبر هذه الاستثمارات مربحة جداً لفرنسا.

ولكن الأهمية الكبرى لهذه المستعمرات بالنسبة لفرنسا هي أنها تعطي فرنسا مركزاً ممتازاً في الأمم المتحدة. فهذه المستعمرات تؤلف كتلة كبيرة من الأصوات التي تؤيد فرنسا في كل ما تقوم به من أعمال في الأمم المتحدة. وقد أدى هذا التأييد في كثير من الأحيان إلى إنقاذ فرنسا من مآزق كبيرة.

الحلف الفرنسي في افريقيا

وقد أدى هذا التأييد الذي تلقاه فرنسا من مستعمراتها السابقة إلى أن تطلق عليها الصحف الفرنسية اسم «الحلف الفرنسي في افريقيا». وقد أدى هذا الحلف دوراً هاماً في السياسة الفرنسية. فقد أيدت هذه المستعمرات فرنسا في أزمة السويس عام ١٩٥٦. وأيدت فرنسا في أزمة برلين عام ١٩٦١. وأيدت فرنسا في أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢. وأيدت فرنسا في أزمة الكونغو عام ١٩٦٠. وأيدت فرنسا في أزمة الجزائر عام ١٩٦٢. وأيدت فرنسا في أزمة فيتنام عام ١٩٦٥. وأيدت فرنسا في أزمة الشرق الأوسط عام ١٩٦٧. وأيدت فرنسا في أزمة تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨. وأيدت فرنسا في أزمة بولندا عام ١٩٧٠. وأيدت فرنسا في أزمة أفغانستان عام ١٩٧٩. وأيدت فرنسا في أزمة بولندا عام ١٩٨١. وأيدت فرنسا في أزمة أفغانستان عام ١٩٨٩. وأيدت فرنسا في أزمة الخليج عام ١٩٩٠. وأيدت فرنسا في أزمة يوغوسلافيا عام ١٩٩١. وأيدت فرنسا في أزمة رواندا عام ١٩٩٤. وأيدت فرنسا في أزمة زائير عام ١٩٩٦. وأيدت فرنسا في أزمة كوسوفو عام ١٩٩٩. وأيدت فرنسا في أزمة أفغانستان عام ٢٠٠١. وأيدت فرنسا في أزمة العراق عام ٢٠٠٣.

تورط بالاشتراك في معارك حربية واذ يؤمن له في كل من اوروبا واسيا كما مؤازرة بعض العناصر المحافظة الاقصائية ، ثم من مكاتب معارضة قام بقطع علاقة وسب الطلاق في الولايات المتحدة صاحبة من تسرعي « كدر رهم مباشر السرعة ومن حضار العرب في كل انحاء العالم الا ان تدخل « اكثر الزعماء والتابعين الأمم المتحدة رضع في نهاية الأمر حداً لهذا الانفصال غير ان الصراعي في ساحتها الدين الغربية المتنافسة على احتلال والترضات الانفصالية ، مثلت حالة من التوتر والقلق الى عهد قد سنة قل اثر وصالة التسكرة م كرية من ايلول ٩٩ الى آب ١٩٩٠ وقد انطلت ولاية كاسي بسبب مزاولة كما تعلن مضاعفات كل من ولاية كما وكانت النبالة وكوبر كما ب انصار ومرشد الجمهور في سانتشيلا بسبب عود رهبتهم وانتشار في حيناً حاول هنا مساعدة الشرطة ن تقديم الحالة والقاس ، واخلال النصاعيد الشلاء ، والضباء الجامع الذي تعلق بين خواطي الساسيين والاديريين راد حضر من ضحور حالة في الشلاء ، وبن حدوث الجمهور رة بة في وشدد الشر كان الكبيري الذي شرعت الشرطة في مراقبة الوضع رضت بن الحكم موجز سومي عراقة الولايات المتحدة وشمالها وروحانت الشلبي وقد حاول د يجمع جوه حاسة م الوضع ان يعد الى الوحدة الولايات التي انطلت انفصالها عنه ، الا ستمر ر الاضطر ر حكم الرئيس كالمانوبرين ليعاده على الشرط ، واخير مكن الخبير ال حويرين من قرض ، كنالورية عسكرية على البلاد الشرين الثاني ١٩٩

الغرب المتحد بلا حدود

تحد قرس الريف حدوث القرية التقليع والتي يسبب الخوف للتعصب الريف مستقلة و يقرأ: الى ٥٠ حيلة تم تحويرها على اشكال متنافرة بينما جاء تقرير ما الماضي على وتيرة واحدة تقريباً مطر الفصل الثاني

ولم تلبث ان برزت خطاء هذه النباتة كتجاهل لحد ابع بعد الاعداد التي تتوفر فيه الر والخلفية الأوكوبية المتصدر في الماضي والذ والتكاكو في ماضي المستقبل ، وبين الاعداد الكثير الشجر و ضاعفت بين زمنا الحرب والطلاق اختراقه بين الرحلة والاخوى عليه قد الاقتصاد الصربي الذي قامت به الدين استمرت طب ، وضرورة تأمين التوازن ورسائل التي تعداد مصر مساعة و غلبة الكاتن لتنظيم جديداً في سرعي للصرير التحلف الاقتصادي او يسمح على تم القضائي وحلك الاحاديين من الحلف ارج والخلوات المتبدة خاصة الاستعمار ولو مصرة عبر صاغرا عشر الاقريقيون بهذه الاحطار والصبر ما أصبح من يتجدد وحضور ن تطاوعها واد مصطر على هذه التي فت ، وطالبة خاصا ولو يتكافل مر يصرفه كفاتر الى الاحتمام جداً ان التأكيد على بخصبة خصبا امريكة تمد في جزءا قد البلاد وحضارتها عبر الحاجة التقنية ، و ما من طريق امر ح الصوت جديداً في وحضارت وسع رقعة

الأدب والمجتمع في الجزائر

الأدب والمجتمع

لقد كان الأدب في كل العصور التي خلت في سبيل الجميع القليل، وهي حقيقة تشمل العالم أجمع. وهذا ما أكده الدكتور طه حسين في الفصل الذي خصصه لهذا الموضوع في كتابه "في الأدب الجاهلي" حيث يقول: "إن الأدب في أول نشأته كان يعبر عن حياة القبيلة وعن أحوالها وأهوائها، وكان يتغنى بأمجادها ويرثي موتاها ويهجو أعداءها ويمدح سادتها وزعماءها، ثم تطور الأدب مع تطور الحياة السياسية والاجتماعية، فأصبح يعبر عن حياة الأمة بأكملها، وعن أحوالها وأهوائها، وعن أمجادها وآلامها، وعن آمالها وطموحاتها."

الأدب والمجتمع في الجزائر

وفي الجزائر، كان الأدب دائماً مرآة صادقة لحياة الشعب، يعكس آلامه وآماله، ويعبر عن تطلعاته وكفاحه. فمنذ الفتح الإسلامي وحتى العصر الحديث، ظل الأدب الجزائري وثيق الصلة بالمجتمع، يتأثر به ويؤثر فيه.

وقد ازدهر الأدب الجزائري في العصر الوسيط، حيث برز فيه شعراء وكتاب كبار، كان لهم دور كبير في الحياة الثقافية والسياسية. ومن أبرز هؤلاء: ابن حمادوش، والمقري، وابن مرزوق، وغيرهم كثير.

وفي العصر الحديث، تأثر الأدب الجزائري بالاستعمار الفرنسي، فظهر أدب المقاومة الذي عبر عن رفض الشعب للاحتلال، وعن تمسكه بهويته العربية والإسلامية. ومن أبرز أعلام هذا الأدب: مفدي زكريا، ومحمد العيد آل خليفة، وأبو القاسم سعد الله، وغيرهم.

الأدب والثورة التحريرية

وقد بلغ الأدب الجزائري ذروة ازدهاره خلال الثورة التحريرية (1954-1962)، حيث كان سلاحاً من أسلحة الكفاح ضد المستعمر. فقد عبر الشعراء والكتاب عن بطولات الشعب، ومآسيه، وآماله في الحرية والاستقلال. ومن أبرز الأعمال التي ظهرت في هذه الفترة: "نشيد الجزائر" لمفدي زكريا، و"قسماً" لمحمد العيد آل خليفة، و"الأفيون والعصا" لمالك حداد، و"ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة.

الأدب والمجتمع بعد الاستقلال

وبعد الاستقلال، استمر الأدب الجزائري في التعبير عن قضايا المجتمع وهمومه، وعن تطلعاته نحو التقدم والحداثة. وظهرت أجيال جديدة من الكتاب والشعراء، تأثرت بالمدارس الأدبية الحديثة، وحاولت التجديد في الشكل والمضمون. ومن أبرز هؤلاء: الطاهر وطار، ورشيد بوجدرة، وواسيني الأعرج، وأحلام مستغانمي، وغيرهم كثير.

ورغم ما سبق فإن المفكرين والمثقفين في الجزائر ، في هذه الفترة ، لم يكونوا أقل وطنية من غيرهم ، بل إن الكثير منهم كان يعتبر نفسه أداة في خدمة الثورة ، ويسعى إلى أن يقوم بدور ما في تحقيق أهدافها . وقد عبر عن هذا الشعور الكثير من المفكرين والمثقفين الذين التقيت بهم ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الأستاذ مالك بن نبي ، الذي قال لي في أحد لقاءاتي معه في القاهرة عام ١٩٦٠ : « إن الثورة الجزائرية هي التي أعادت لي ثقتي بنفسي وبقدرتي على العطاء ، فقد كنت قبل اندلاعها أشعر بأنني أعيش في عالم ميت ، وأن كل ما أكتبه لا يجد من يقرأه ، ولكن الثورة بعثت في نفوس الجزائريين روح الحياة من جديد ، وأصبح الجميع يتطلعون إلى ما أكتبه ، وأنا أشعر الآن بأنني أعيش من جديد » .

وقد كان لهذا الشعور بالمسؤولية أثره الكبير في نفوس المفكرين والمثقفين الجزائريين ، فقد أدركوا أن الثورة لا تحتاج إلى السلاح فقط ، وإنما تحتاج إلى الفكر والثقافة أيضاً ، ولذلك فقد حرص الكثيرون منهم على أن يقدموا للثورة ما يستطيعون تقديمه من خلال مواقعهم المختلفة ، وبالوسائل المتاحة لهم .

وقد كان من أبرز هؤلاء المفكرين الذين التقيت بهم في القاهرة الأستاذ محمد الميلي ، الذي كان يشغل منصب مدير التعليم العربي في جبهة التحرير الوطني ، وقد أتيحت لي فرصة لقاء معه في مكتبه بالقاهرة في أواخر عام ١٩٥٩ ، وكان يتحدث بحماس شديد عن الدور الذي يقوم به المعلمون والمدرسون في خدمة الثورة ، وعن التضحيات الكبيرة التي يقدمونها في سبيل نشر التعليم العربي بين أبناء الشعب الجزائري ، الذي كان محروماً من التعليم العربي طوال فترة الاحتلال الفرنسي ، التي استمرت أكثر من قرن كامل .

وقد أشار الأستاذ الميلي إلى أن عدد المعلمين والمدرسين الذين يعملون في مختلف مناطق الجزائر قد بلغ في ذلك الوقت حوالي ٣٠٠٠ معلم ومدرس ، وأن هذا العدد كان يتزايد باستمرار ، حيث كان يتم تجنيد عدد جديد منهم كل عام ، وأن الجبهة كانت تخصص ميزانية كبيرة لدفع رواتبهم ، وتوفير الوسائل التعليمية اللازمة لهم ، وأن هذه الميزانية كانت تأتي من التبرعات التي يقدمها الجزائريون المقيمون في الخارج ، والتي تقدر بمئات الملايين من الفرنكات القديمة سنوياً ، وأن هذه التبرعات كانت تجمع عن طريق لجان سرية منظمة في جميع أنحاء العالم تقريباً ، حيث كان يوجد في كل بلد عربي تقريباً عدد من الجزائريين المقيمين ، الذين كانوا يتبرعون بجزء من رواتبهم لدعم الثورة .

وقد أشار الأستاذ الميلي إلى أن عدد الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون في الجامعات المصرية وحدها في ذلك الوقت كان يزيد على ٣٠٠ طالب ، وأن هؤلاء الطلبة كانوا يشكلون نواة مهمة لإطارات الدولة الجزائرية المستقبلية ، وأن الجبهة كانت تولي اهتماماً خاصاً بتعليمهم وتدريبهم ، لأنها كانت تعتبرهم استثماراً حقيقياً للمستقبل .

وقد أكد لي الأستاذ الميلي أن الجبهة كانت تعتبر أن المعركة الثقافية لا تقل أهمية عن المعركة العسكرية ، وأن النصر النهائي لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تحقق النصر في كلتا المعركتين معاً ، وأن الشعب الجزائري لن يستطيع بناء دولته الحديثة إلا إذا امتلك الأدوات الثقافية والفكرية اللازمة لذلك .

وقد التقيت في القاهرة أيضاً بالأستاذ أحمد توفيق المدني ، الذي كان يشغل منصب وزير الشؤون الخارجية في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ، وقد أتيحت لي فرصة لقاء معه في مكتبه بالقاهرة في أواخر عام ١٩٥٩ ، وكان يتحدث بحماس شديد عن الدور الذي يقوم به المعلمون والمدرسون في خدمة الثورة ، وعن التضحيات الكبيرة التي يقدمونها في سبيل نشر التعليم العربي بين أبناء الشعب الجزائري ، الذي كان محروماً من التعليم العربي طوال فترة الاحتلال الفرنسي ، التي استمرت أكثر من قرن كامل .

وقد أشار الأستاذ المدني إلى أن عدد المعلمين والمدرسين الذين يعملون في مختلف مناطق الجزائر قد بلغ في ذلك الوقت حوالي ٣٠٠٠ معلم ومدرس ، وأن هذا العدد كان يتزايد باستمرار ، حيث كان يتم تجنيد عدد جديد منهم كل عام ، وأن الجبهة كانت تخصص ميزانية كبيرة لدفع رواتبهم ، وتوفير الوسائل التعليمية اللازمة لهم ، وأن هذه الميزانية كانت تأتي من التبرعات التي يقدمها الجزائريون المقيمون في الخارج ، والتي تقدر بمئات الملايين من الفرنكات القديمة سنوياً ، وأن هذه التبرعات كانت تجمع عن طريق لجان سرية منظمة في جميع أنحاء العالم تقريباً ، حيث كان يوجد في كل بلد عربي تقريباً عدد من الجزائريين المقيمين ، الذين كانوا يتبرعون بجزء من رواتبهم لدعم الثورة .

وقد أشار الأستاذ المدني إلى أن عدد الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون في الجامعات المصرية وحدها في ذلك الوقت كان يزيد على ٣٠٠ طالب ، وأن هؤلاء الطلبة كانوا يشكلون نواة مهمة لإطارات الدولة الجزائرية المستقبلية ، وأن الجبهة كانت تولي اهتماماً خاصاً بتعليمهم وتدريبهم ، لأنها كانت تعتبرهم استثماراً حقيقياً للمستقبل .

وقد أكد لي الأستاذ المدني أن الجبهة كانت تعتبر أن المعركة الثقافية لا تقل أهمية عن المعركة العسكرية ، وأن النصر النهائي لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تحقق النصر في كلتا المعركتين معاً ، وأن الشعب الجزائري لن يستطيع بناء دولته الحديثة إلا إذا امتلك الأدوات الثقافية والفكرية اللازمة لذلك .

فالفرنسي [illegible] وفرنك [illegible] هو عبارة عن نظام استعماري وتعاوني تسيطر عليه [illegible]
[illegible] الفرنسي [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] للاستثمارات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الولايات المتحدة لافريقيا اللاتينية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التي [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] الفرنسي [illegible] من اراضي الجزائر

وفي عام ١٩٦٠ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاتحاد الاوربي [illegible] [illegible] الاقتصادي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] البريطانية في افريقيا [illegible] فالاتحاد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ١٩٦٢ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] عام ١٩٦٢ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ١٩٦٣ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الوحدة الافريقية التي [illegible] [illegible] [illegible] عام ١٩٦٣ في اديس ابابا [illegible] [illegible] [illegible]

وفي [illegible] [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ١٩٦٠ [illegible] الاستعمار [illegible]

ادت الى ظهور الزعماء القوميين والقوميين من الشعوب الافريقية الى ان يصبح الدور الافريقي في الحرب الباردة بين الزعماء الشيوعيين والكوشتويين، كما ان يصبح الدور الافريقي في الحرب والسياسة الدولية وتخطيطها يحتم حتى مقاومات الدول المجاورة لها ، وتحذرها الوجود في وسطها. المحاولات الجدية لمساعدة الجيش على تبدأ المحافظة على استقلال الدول والحكام والشعوب، قد يكون عند خيانة للسلام وقد يكون تكم بما توقع تلك الدول الافريقية التي اصبحت تقليدياً كما حدثت في جزائر نيامي ، عام ١٩٦٩ ، مع دول اخرى كالاتيشة وقد يكون هذا ايضاً لتحفظ الخلافي بمنطقة الريفية جسمه اذا ان ظهور منظمة الانحياز الافريقي ، في هذا الوقت بالذات لتتوى بعض المنازعات التي نشبت بين الدول الافريقية الجديدة الى حد نعته ، تصريح موازي افريقي ، من شأنه ان يبعد عن القارة كل قيود الحياتي .

الفصل الثاني

أمام الاستعمار والإستعمار الجديد

« لقد ترك الغرب الأكثر وعياً للتضييع الذي لن يلحظ فيه أن تتمثل لقدري الذي « تعني الاستقلال » هي سيرورة مصيرها ... إن الحفاظ بالقوة والسيطرة بالوسائل التي تضمن له ذلك »

ر. مارون

من كتابه « الجزائر والتصيرانية » ص ٤٠٣

يحمل الدعاء الاستعمار مجدداً تأكيد البيانات المتضمنة مضامين تسهم كيفما وقائع بالتركيز المتعاقبة في النظام وذلك بالتعرف التقنيات حياتنا اليومي وبوسائل المتقدمة »

فرنسوا بيرو

اقتصاد القرن الثاني »

الفصل الأستعمار

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية برزت التناقضات السياسة والتقليدية المتشددة لتحقيق ارتفاع التصويب المستمر » يتوالى خلف والبعد الذي من القرون السحيقة » وكذا صعوبات اعتماد الدول تعظم قدرتها بعد الآن » على تحسين الأهداف الكثيفة » سريعة كانت » مالية » التي الجذب ما سطرته المأثورة الطرق التقليدية التي حاربت طويلاً من جهة » ومن جهة أخرى » كذا صعوبات يطمئن الأمكنة والنظرات التحررية التي جاءت جذب القرون التي توسعت الحدة سعر الأسعار فاتحة أجنب النظر طالمات » سعر ذا الاستعمار » تظهر بوضوح مع تغيير الأنماط والمصطلحات بعد أن سقط شيئاً فشيئاً من الاستعمال: كلمة « امبراطورية » وكلمة « مستعمرة » لتحل محل كلمة « ملاطفة » وكلمة « كومنولث » وكلمة « رابطة » فالامبراطورية البريطانية الأسعارية أصبحت بعد الآن « الولايات المرتبطة سعر البحار » في دستور الجمهورية

مؤتمر الصلح

وعقد المؤتمر الذي تحدثنا عنه في العدد الماضي من «المقتطف» في قصر الشيرة بفيينا في ٢٣ من شهر تشرين الأول سنة ١٨١٤ وانتظم عقد أعضائه في ثلاثة أقسام. فالقسم الأول منهم كان يتألف من أصحاب الجلالة الملوك والأمراء الذين حضروا المؤتمر بأنفسهم. والقسم الثاني كان يتألف من وزرائهم وسفرائهم. والقسم الثالث كان يتألف من أعضاء الوفود التي أرسلتها الدول الصغيرة التي لم يكن لها سفراء في فيينا. وكان عدد الأعضاء الذين حضروا المؤتمر بأنفسهم أو بوكلائهم نحو مائتين وستين عضواً. وكان عدد الوفود التي حضرت المؤتمر نحو مائتين وثلاثين وفداً. وكان عدد الدول التي أرسلت هذه الوفود نحو مائتين وثلاثين دولة. وكان عدد الأعضاء الذين حضروا المؤتمر بأنفسهم أو بوكلائهم نحو مائتين وستين عضواً. وكان عدد الوفود التي حضرت المؤتمر نحو مائتين وثلاثين وفداً. وكان عدد الدول التي أرسلت هذه الوفود نحو مائتين وثلاثين دولة.

وقد كان المؤتمر الذي نحن بصدده الآن مؤلفاً من ممثلي الدول الكبرى التي اشتركت في الحرب العظمى التي انتهت بهزيمة نابليون الأول وبنفيه إلى جزيرة سانت هيلانة. وكان الغرض الأصلي من عقد هذا المؤتمر هو تقرير مصير أوروبا بعد زوال سلطان نابليون عنها. وكان من أهم المسائل التي بحثها المؤتمر مسألة تقسيم أراضي الدولة العثمانية بين الدول الكبرى. وكان من أهم المسائل التي بحثها المؤتمر أيضاً مسألة تحديد حدود فرنسا. وكان من أهم المسائل التي بحثها المؤتمر أيضاً مسألة تحديد حدود بلجيكا. وكان من أهم المسائل التي بحثها المؤتمر أيضاً مسألة تحديد حدود هولندا. وكان من أهم المسائل التي بحثها المؤتمر أيضاً مسألة تحديد حدود ألمانيا. وكان من أهم المسائل التي بحثها المؤتمر أيضاً مسألة تحديد حدود النمسا. وكان من أهم المسائل التي بحثها المؤتمر أيضاً مسألة تحديد حدود روسيا.

وقد كان المؤتمر الذي نحن بصدده الآن مؤلفاً من ممثلي الدول الكبرى التي اشتركت في الحرب العظمى التي انتهت بهزيمة نابليون الأول وبنفيه إلى جزيرة سانت هيلانة. وكان الغرض الأصلي من عقد هذا المؤتمر هو تقرير مصير أوروبا بعد زوال سلطان نابليون عنها. وكان من أهم المسائل التي بحثها المؤتمر مسألة تقسيم أراضي الدولة العثمانية بين الدول الكبرى. وكان من أهم المسائل التي بحثها المؤتمر أيضاً مسألة تحديد حدود فرنسا. وكان من أهم المسائل التي بحثها المؤتمر أيضاً مسألة تحديد حدود بلجيكا. وكان من أهم المسائل التي بحثها المؤتمر أيضاً مسألة تحديد حدود هولندا. وكان من أهم المسائل التي بحثها المؤتمر أيضاً مسألة تحديد حدود ألمانيا. وكان من أهم المسائل التي بحثها المؤتمر أيضاً مسألة تحديد حدود النمسا. وكان من أهم المسائل التي بحثها المؤتمر أيضاً مسألة تحديد حدود روسيا.

حق العصر ، ومن في [illegible] عظيم الترابط بين الأسعار والاحتياجات [illegible] ٢ [illegible] كل ما يتصل بالطاقة ، الاقتصادية والاجتماعية ، وقد عبر كذلك عن المبادىء الأساسية التي تتعلق بكل [illegible] استقلاله في المجال الاقتصادي لنضع حداً لسيطرة [illegible] الأبيض [illegible] الاقتصادي عن الشعوب الآسيوية والافريقية في كل ما يتصل بالسيادة الكاملة والدائمة والتصحيح على ثرواتها ومنشآتها الوطنية ، وتحويل [illegible] الأوضاع التي كانت تتسم حتى الآن بالخضوع لاستعمار [illegible] الأسواق العربية [illegible] مصارف وطنية [illegible] الاحتكار الثقيل الذي تتحكم به الدول الاستعمارية في الغرب .

عند [illegible] في [illegible] العربي [illegible] والتهديد [illegible] الغرب [illegible] الوقت الذي [illegible] الشرق الأقصى [illegible] الأطلسي [illegible] الغرب [illegible] O T H S E [illegible] الغرب من قبل [illegible] العسكري [illegible] الكبيرين في [illegible] في هذا الوضع السياسي [illegible] على [illegible] الشعوب الآسيوية والافريقية التي [illegible] الشعوب التي [illegible]

[illegible]

كل هذه المبادىء [illegible] بشكل [illegible] في المؤتمرات [illegible] التي عقدت في [illegible] في [illegible] ١٩٥٥ [illegible] وفي كوناكري في [illegible] ١٩٦ [illegible] الشعوب الافريقية [illegible] الآسيوية بل [illegible] من [illegible] والقرارات [illegible] التي [illegible] المؤتمرات الافريقية [illegible] عام ١٩٦ [illegible] الاقتصادية [illegible] الشعوب [illegible] مشكلات [illegible]

[illegible]

[illegible]

في كل [illegible]

[illegible]

وحركات الردة قامت بها الحزام الكاثوليك والملكيون، ولا كثير في بورما، وتلك الحركات التي قامت تأمر في جمهوريات مستقلة في جنوب غرب آسيا، كما في جزيرة العرب، ومثل هذه الصراع يقوم في أفريقيا حيث وجد نفسه مجتمعاً جديداً في الشرق، والأمر في الشرق، والخلاف في الشمال، وفي كفاحي في الجزائر القائم بين القوة والقوة، وفي روديسيا بعد فترة من الاستقلال التدريجي حيث ذهب الرجل الفني، وتبعه الفنيون والفنيات من عناصر من عوامل التفرقة هناك أكثر من ٢٠ ألفاً يرحلون في الخوف لتقاسم سكان هذه القارة، و ٥ آلاف في الشمال و٢٠ ألفاً في أنجولا، و ٦ آلاف في غينيا، وحوالي خمسة عشر ألفاً بين مر السكان، وتكمل بمرور جداً العدد الذي تبعت ما غادرته الجزائر في حرب ١٩٦٥، في جنوب الهند، حيث سكنوه، الهند الجنوبية،

كذلك عندما ان الحب سبب الصلات لمناسبة الشركة عن الموسم المسجد والأكراد الإسلامية في الفرنجا وسائر في الحب، والموجود في المنزل والمدرسة في مالي والمقاطعة والمقاطعات في ساحل العاج، وفي الكاميرون، والجزيرة في جنوب الشمال والمدينين الموجودين والكفار في مستعمرة، وهم في المقاطعات الجنوبية في حدود حرب وفروع من الخصوم والمقاومة المسلحة، فالانتقال من جزء يجد ما وصاحبي، الدين، والفاصل بين الكاثوليك والحب الإسلامية والمنتمون، والأوب بين هذا والتوجه، ومعارضة الأسد والرهبان البوذيين والفرنسيين الذين كثيراً ما وقفوا ضد الإسلاميين، وقد أدت هذه الأسوأ حالة الفقه في آسيا الذي كوطنه خلوه، كذلك نرى، خلقه وين في الخرطوم السودان، ولا سيما في عدم التقاعد في استخدام كل الوسائل في الاحتفاظ بسلطته وخوفه،

ميز الاحتفال التي قدمها الغرب

الذي عدم استقلال نظام مصالح نظر وغير عدم سيطرتها الأوضاع، وأنه حريصة عدم كثافة موظفي الإدارة، عبالستثناء بعض الملكيات البريطانية، حيث كانت السلطات تستمر بعد حصت الحكم من أيدي الملاء، أعني بمعنى الوظيفة بحسب، بل حقاً لأن موظفي البعثة الوطني والجيش حقاً، لا سيما في الجيش وسيلة وكسباً، لقد جرى استبدال موظفي الاستعمار جيباً، بموظفي سلدوم لتوفر قد لكفاءة و تقدير، وقدرة على التعامل الناس و شؤونهم، و سيجد ثم من خلال خاصم بداية أسد ٤ لقد حقاً معنى للكفاءة في الأصوات التي تطوب، ولم تحت ان عاصمة في الملاء طلب من تعني الحاسمة، يسهم في الضرورة الأولى أن يصبح الرأس حد من الوظائف لو كونه فيه، ويقرر بالأمر، والاحتمال، والإضافة، وتحديد الوظيفة بحسب وزن سلطة الل مرتفع، وقد في أي ترتيب الوظيفة لمكونة لتصحيح جداً لما يجري في عهد الاستعمار، من سعي المقاطعة كالقطاع الاقتصادي مثلاً تطور بسلطات وتحتكر الوظائف فيها موظفون من الأقليات الأجنبية، من عرف، تصنيف وتصاريح وتحديد بعد وزوره من الحساب الأشخاص لو من الحساب رؤوس الأموال، فالوظيفة والسياسة هي ممتلكات الرجال،

الانقلابات العسكرية

شكلي الرئيس هو التأثير الغير بين احتمالي عشر عسكريين من اصل ٦٠ مليون؟ ، في ا... الاقتصاد المتزايد الاحتياجات البشرية في سكوته يؤدي الى اكثر تأثيراً في او غير صفة ١٩٩٤ ، كثير كليم عسكريين

وعندما لا تتحول هذه الثورة ش غير الانتقالات العسكرية الى حكم دكتاتوري ، فهي تكون على الغالب ، الى نظام جديد لا يسير كثير ولا يختلف عن عدد النظم التي نشأت في بلدان اخرى صورة غريبة ، قد تكون نظاماً للحد على شاكلة الكمالية في تركيا مرحلي غير البيروقراطية التي عرفت بهيار كلية ان فازع بين الفصائل السلطات تعاونية ، لتزعم بعض الحزب غير الراغب موقف القدرة وتصبح او كما يقول برنامان بعيد نسبي ان السلطة السياسية مستقلة استقلالية ويعطي على الاحيان خط مطلق طرف اخر ، كما تنص مؤسسة الرئاسة امام المجلس التشريعي وعدد المحصلة التي تعطي السلطة واقع نسبة في الظهور الصور الغريبة للأقوياء نوعي حزب ، هي ظاهر عامة للسكان وجود ناجز الرئيس وعدد حزب الذي صدر من يسمح نوعه وطبقة تحكم نفسه ، أمس خاصة . وصورته الاولى للكاريزما في شخص فرح عناصر الامة في موقفه رئيسه هي راقب مباشرة الطبقة المتعلمة وبجميع السكان ، بمثل السلطة ابراهيمات يعيد الى بدأ الثقة الرئاسة كما هي الاشكال هذا وعدد التنسيق فلا كانت على كل مستويات ونأمين مراقب الرأي العام ورئيس الحزب الواحد الذي بكل السلطة قد يطلع سلطاً من بين الأحزار التقليدية ، كما هدد عبيد على ساكة هو عدد براسي ، وبومدين وأوردوغ ، ا من علاقة سكتيب ، هو ساكة سكوتوره او الامير سيافوك ، والامير موفاة غوما في الكاميرون

ان تركيز السلطة كلية بيد الزعيم يعطي الى التصنيف ان لم نقل ان الحد فاريت السلطة لا يعني الى الغاء المؤسسات الدستورية والصحافة . حب و يجري كتب ، التكتلات حولها، الزعيم الاحترازي والسجن التعسفي ، والتكلم عن الأحرار ، وتعطيل قانون الطوارئ، الذي يعطي البوليس سلطات واسعة تجري تعبئة بمبادرته بصورة خاصة ، والقيد عناصر او بمصاعب او يوضعي في حالة تري يعني معه عناصره قاد عن العمل بالطرق الشرعية بعض انتظاهر بالنظام الانتخابي ، لا سيما عن طريق العمل بنظام الأكثرية ، على صور لائحة واحدة مرشحة او عن طريق الضغط الاداري

مشكلة الاستقرار الاقتصادي

من الممكن ملاحظات الدول الاستعمارية ان الامن مضمون في البلاد ليس فقط سياسياً واداريا ، بل ايضا لا سيما ، اقتصادياً الى حين وسائل النقل كالخطوط الحديدية والطرقات والمرافئ ، وتوسعة الدوار والشركات التجارية التي تم

تتطلب في المقابل رأساً المال، ث في جانب السياسة المالية والاقتصادية التي يتحبب
المستثمر أن يكون من شأنها تشجيع الأنشطة الخاصة ، كما أن البلدان الواقعة تحت الاستعمار
تقوم في وجه صعوبات وعراقيل كثيرة تحد من سير تطور ه نحو نظام اقتصادي
مستقل بينما أن تكون هذه ، مصادر حساسة لتقلبات حادة مفاجئة في أسعار
السلع، وعدم توفر الاحتياطي والنقد العملة الصعبة وبالتالي اضطرارها إلى الاستدانة بشروط
قاسية وفقاً لحالات من شبه خطيرة ، حالة جو مطلق حاسب لا يمكن استغلاله أو استخدامه
الا بحذر كبيرة ومشروعات ضخمة الأمر الذي يحتاج الرغبة في الوطنيين والاختصاصيين
الوطنيين على المطالبة برفع مرتباتهم لتشجيعهم كما يرد في كلمة إعداد الأخيرة للكاتب العام
لإدارة الشؤون في مستقبل والتجار الثانوي في مصر، كما تكاثف للآخرين هذه محل الفرد في خلق
البلاء مرتفعاً في الولايات المتحدة الأمريكية والتضليل خاصة من المثال أن حد اصطدام
كثافته في أوروبا

ومن جهة أخرى الاكتشاف الذهبي الفعلي من خلفاء السيد الاستعماري) وارتباطاً
للمستعمرات الحديثة بالظروف المتحكمة أصبح في وضع غير ملائم فهي تتنافس عضواً أو يمنع
الحاصل انهيار أسعارها عرضة للتأثير على وسعوراً تي للهبوط ، وكان له معظم هذه الدلال
والحاصل تتأثر بسبب النقص وانعدامها وخط إلى حد كبير بالدين التجاري الذي
اختار من بينها ما تشق معظمها بين الزوجة هذه الدور الكساد والأسعار التي لا تفي فيه
الدول الحديثة أصبح ، فهي قرى بأسعار مصدرة و كان ارتباطاً بأسوالها من ارتباط هذه الأسواق
بتقلبات تجارية ، فالكاميرون الفرنسي صدر عام ١٩٥٩ ، نحو ٥٣ طن من الكاكاو بقيمة
٩ ، ٤ مليون فرنك تعرفك للمستهلك ، ويصدر من عبد الصمد ، عام ١٩٦٦ حوالي ٦١
برامة عن ذلك الكمية ، أي ٥٩ طن بقيمة تجاري حوالي ٠ ، ٤ مليون فرنك ، وانخفاض
أن هبوط بالنسبة حد الماضيين الحد التصدير ، يكلفي الأقل الماضيين تقريباً ، سنة أو
عدم سوات

تحمت تصوره عامة عبء من الهبوط أو النزول في شروط المبادلة على حساب البلدان
المصدرة للإنتاج الزراعي والمنتجات المواد الصناعية ، وسبب ذلك هو أن معظم المواصلات
الأساسية تخضع مراقبة مراكز الاحتكار والشركات الموجودة التي تنتمي إلى حد كبير ، كما يقول
فرنسوا بيرو احتياجات المنتج ، كالآلات الخام في الدول المتقدمة في أسواق المنتجين في أسواق
البرجوازية ، وأولئك في الكاميرون ، والتي كانت الظروف في الدول الأوسط مثلاً ، وهي
الدول الكبرى التي تشارك فيها دون منتجة حركة الرئيسي في حدى الدول الصناعية
الكبرى ، باستطاعتها أن تجبار على استثمارات مهمة جداً في البلدان التي كانت من مثل
مستعمرات لها ، أما أولئك رأساً المال الخاص في الاقتصاد الغربي ، فهي فرصة كل ما لها من
شأن بالمساعدة المالية التي تتسبب في حدة البلدان ، دون أن تكون لها في حالاتها أو ارتباط

بالانتماء الحقيقي، فهي رافد الانتاج وتتحكم به ... التحول مع القوى الأخرى في مجتمع ... ورد في كلمة ... في الدعم ... الطبقة ... وخاصة خاصة ... كما يظل تحديد ... الرئيسي الذي ترتبط به الأستاذ

فليس من الصعب ... أن نقارن ... الجزائر ... التحرير ... في مجتمع ... كفاحاً مسلحاً ... والمعنوية ... وهي التي ... مجهودات ... أن تخطيط ... من حيث التحليل الاقتصادي ... التي تكلم في ... الأوضاع التي كانت ... في جهد ... لاستعمار ... واحد ... تتوين ... وأنه ... فيه ... الاستعمار في ... وإذا ... فيكون ... وراءه ... فيه ... الجزائر ... الاستعمار ... وإذا ... فيكون

في الكتب تحصيلها في عدد الجزء الأخير عام ١٩٦٩ وعدد فرنسا كبيرة من ٢٠ من
عشر في ان عدد السكان عددهم هي ماس التحسين الفني ، سيم الى المغرب وعدد

فإذا ما تم عدد من الدول لتطوره في عدد ساعدته على نمو مظاهره ، فإنه في
الغرب العربي أكثر في عدد فعال هي الولاء. تتجه من جهة والاتجاه السوفياتي والصين ،
من جهة أخرى. فالأجهزة التي تستخدم الرادار التحسين الاستخبار والأمر الآخر أقل
الأثر على عدد يسير. هي تتوزع على عدد كبير من البلدان . أعلى في الدرجة الأولى الأهمية
الدفاعية ، وقد يبدو حيناً ، أن به تتصدر الصدارة في ما ، تستحوذ بل على الغالب في
مصر مواد توجيهية بنسبة بنسبة منها على ٦ مصر تستحوذ الطبقة توجيهية في الـ ٨٠٪ ،
الأمر الذي ربما يعبر الاستيلاء بالكاد فاستوعبه والشروعة ، هي على هكذا فالمهمة
أكثر تعقيداً وله الأمر فإن الرادار طاقم عدد من هي عروض طويلة الأمن من ٦٢
إلى ٧٥ سنتيمتر بالتأكيد تستطيع من ٣٠ إلى ٣٥ مع تزويد تستخدمها الصلات
تتطلب عودة من كل التشويش والتقليل و يتم تستخدم عوضه ٦ بين الرادار عملية بين أنهم
مصدرها أحد طويل. تستعمل عدد الكثير على عروض أن يكون عدد عراض تجارية والتخصص لأسباب
حسابات عدد عدد ، أنواع مدارج عدد الغرب من الثانية ، الدولة تستخدمه من أكثر من عروض
هي تعتمد من قبل الأعداد السوفياتي وعدد الفروض التي تكلف أقل بكثير ما تكلفه
الفروض الأخرى. تعتبر أكثر تحرك في الطائرة يظهر أنه الناس بارد ح ، على الرسوم
نفسه الرسوم الذي تتخذه الصيد ، فهو الذي تخلى تواجدت أكثر وأكثر من مرة الاتجاهات
المتحصلة عليه. فالفرنسيون المصريون مؤمنون بالتقدم يتمتع بتقصد كسكان البلاء الوطنيين فهم
كان استعمالاً يوم رأكل نظيفاً ، ويصبحون رحمة الصيد في الظروف التي تحدث بالصيد عام
١٩٤٩ والظروف التي تعاني منه الدول تحديده فهم من هي فالتحديد عام والتوقيت
الذي كانت و الصيف تحديد .

اتفاقات تتحدد الأطراف
فر ب ن

وعلى يمكن من الأمر ، الأمور التي سقطت استقلالها سابقاً ،
تحصل عقد موقتي معاهدة الأطراف ، على الاتفاق لمناقشة
الأعداد ، سعى من عدد الدول التي تتم توضح بالرأي
هم سمح ضد ان تتطلب بين التشريع والعرب سابقة مراحله و تاريخ ان و سع حقه
توفر تحديد فلسطين في مأمن من محيط الدولة تستطيع التي يتعرضون فيها عضاء
التي ملايين بيت تعبر كتب في عدد الصيد ، وقد يتم يوضع تعبير التي في الاتفاقات
التشاور والخلافات في الـ سيارات التي كانت تتحد سي عقاب متفاوتة البلاد الدولة تستعمر
أن تستعمر الكتب الـ ـ عدد عام لا زال عدد بطاقة وتتطلب تحدد و تعبر ان
الاتفاقات التي عدد تستطيع عرضاً هي التي . حتى سيتم ان تتطلب من ٥ عام ١٩٤٩م
التي تمكن ها الأعضاء التابعة عن الأعداد عدد ان تكون ٥ بل ٤ الرئيسة الجمعية

الوحدة. في هذا الميدان لا تزال هناك عوائق كبيرة تعترض سبيل التقدم، ولكن الفرص التي تعرضها هذه المنطقة للتنمية جديرة بالتقدير والتفكير. ويكفي أن نعلم أن الدخل القومي لهذه المنطقة يبلغ حوالي ٤٠ مليار دولار سنوياً، أي ما يعادل تقريباً ما تنتجه فرنسا وحدها. وقد بدأت الدول الأعضاء في السوق الأوروبية المشتركة، منذ عام ١٩٦٠، تعاوناً وثيقاً في مجال التطور الاقتصادي في أوروبا. وهذا التعاون الذي يفتح الطريق أمام التعاون الأوروبي، أي عام دمج مختلف الطرق، يمكن أن يكون الاقتصادية بالشبكة الاقتصادية للشرق الأوسط. ويمكن أن تفتح هذه الدول أسواقها لتبادل منتجاتها وثرواتها، وتتيح للبلدان الأفريقية بأسعار مربحة. إلا أن هذا المشروع قد يصطدم بالاقتصاد الأمريكي الذي يتطلع بالنظر الكبير العالمي في الأوضاع الاقتصادية من ثلاثينيات القرن، وهذه طريقة، في رفع الديون وتسوية الخلافات وتوفير العدالة. وبالتالي يؤدي إلى ما بعد ذلك، تعمل الدول الأعضاء في السوق على أن تكون أكثر تعاوناً مع دول أفريقيا، فتخضع لسيطرة أوروبا أكثر. ومن شأن هذا الوضع أن يجعل، إلى حد كبير، تلك الدول تخضع لسيطرة أوروبا أكثر. قد تكون هذه النتيجة مرضية للمصالح الأوروبية، كما يقول سيكولوريه، ولكنها لا تمثل الحل الأمثل بالنسبة للأفارقة. والصورة الأوضح للمستقبل غامضة.

النتيجة

من هذه الحلول الثلاثة الممكنة، الحل الثالث هو الذي من شأنه أن يؤدي سريعاً إلى التقدم، والحل الثاني، الاستقلال الاقتصادي لهذه الدول، خطير، أما الحل الأول، الاكتفاء الذاتي، فيجب استبعاده وعدم اعتماده جاداً بالنسبة لها. لا يمكن للمنطقة أن تعتمد على نفسها. وهي ليست بحاجة إلى التخطيط من النوع الاشتراكي، مهما كانت أو صيغته، وهي ليست بحاجة إلى الحكومات المركزية، وبخاصة الحل الثالث أو الأخير، وهو التوحيد الذي يتصور بعضهم في أفريقيا. في الصومال، أقليمية كبيرة، في هذا الاتجاه قصير كما نعلم. وإن جمهورية الدول الأفريقية المتحدة، وهذا ما توحد عام ١٩٥٨، لا يزال يرزح تحت مؤثر الخلافات التي تعرقل، بالرغم من ٢٠ اتفاقية، الاتحادات المتعددة التي أعلنت بين مصر والأردن، وسوريا وتركيا، والعراق وإيران، وأفغانستان وباكستان، والمغرب وتونس، والجزائر الفتية، والمغرب والصومال، وتونس وجامعة العربية، والكاميرون وبوليفيا، الخ. هذا الروح الذي تجلى بشكل واضح خلال أزمة السويس عام ١٩٥٦، وبعد التصديق أن مصيره الغرب على أنه أفريقيا، لا يمكن فيما، من الآن فصاعداً، أن تستمر إن لم تقم على طويلاً حتى لا تزال الأمة.

فالقوانين الدينية والعصرية، الأطماع التي يقدمها رجل هذه الدولة أو تلك، والأطماع المتزايدة للغرب أو للشرق، أو الصين، وأي قسم من هذا الحساب الإجمالي الذي يحسبون هذه حالياً في كل مكان، قد تضعف كثيراً الروابط التي عقدت العلاقات الأفرو-آسيوية، هذه العلاقات التي تربط

هذه الخلافات والتي من شأنها ان تلعب دورا حاسما في المستقبل ، هو موقف ان الاتحاد السوفياتي كتلة متجانسة فالحروب بين الباكستان والاتحاد الهندي والاختلافات الظاهرة بين الصين والاتحاد السوفياتي من جانب آخر ، كل هذه الاختلافات التي تبدو بين هذه الدول ومن جهة اخرى ، بالاضافة الى مؤتمر بانديونغ ومنذ عام الاعلان عن ما يسمى بالمجد الاوروبي والمجد الاستعماري الذي لا يزال نشطاً ، ومحور الدول الافرو آسيوية تتجه نحو التوقف في وجه الاستعمار الاقتصادي الجديد فمنذ ان وضع حد للغرب للاستعمار السياسي ، فان التحرر للاستعمار ، يعرف كثير من المشكلات يجدر الاشارة كذلك بان الدول المتخلفة اقتصاديا في العالم الثالث مقاومة الاستعمار الاقتصادي يجب ان يتم عن طريق تصحيح التصنيع والاصلاح الزراعي ، لان الصلاح والذي تسعى كتلة الدول الافرو آسيوية الى التوسع والاستعداد لحمايتها سيخضعون امر كما الاتحاد الذي كانت تعني به في الماضي ابعاد مثلثين عنهما الى ، مؤتمر بانديونغ الثاني ، الذي عقد في جزيران ١٩٦٥ ، في الجزائر والمتضمن ، ان الدول المتخلفة اقتصادياً تتأثر بالوضع الدولي والتشريع ، فمن بين كتلتين او بين خمس دول تبدي الاتحاد السوفياتي والصين والولايات المتحدة الامريكية ، وبريطانيا وفرنسا ، فهي كلها تشعر بالحاجة للقوة خاصة التي تتعارض فيما بينها ، ان كرامات سراديب وجيوبها الخاصة ومن هنا في تحرير مقتطفاتي التي لا زال توسع تحت بند الاستعمار الا ان مؤتمر القارات الاستعمارات الذي انعقد في هافانا في عام ١٩٦٦ والذي حضره اكثر من ممثلاً منتدب بثلاثين حكومات او حركات الثورة والذي كان من المتوقع ان يكون حدث يركز على الناس كلها ولا سيما تجسيد قوى حركات المقاومة ، حتى بمنظمة حيث تقوم به الدول المحكومة ، في وجه الاستعمار الجديد

القسم الرابع

انطلاقة العلوم والتقنيات

لقد حققت الثورة العلمية التي شهدها القرن العشرون في مختلف ميادين المعرفة، وبخاصة في مجالات الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا، تقدماً مذهلاً في مجال السيطرة على الطبيعة، وأدت إلى تغيير جذري في ظروف الحياة البشرية. وهذا التقدم العلمي والتقني الذي يتسارع بوتيرة متزايدة، يطرح على الإنسان المعاصر تحديات كبرى، ويفتح أمامه آفاقاً واسعة للتطور والرقي.

ولكن هذا التقدم العلمي والتقني، الذي يعد بالكثير من الخير، يحمل في طياته أيضاً مخاطر جسيمة، تهدد مستقبل البشرية ووجودها على هذا الكوكب. فالتلوث البيئي، والاستنزاف المفرط للموارد الطبيعية، والتهديد النووي، كلها أمور تستدعي منا وقفة تأمل ومراجعة لمسيرة العلم والتكنولوجيا.

إن الإنسان المعاصر يقف اليوم أمام مفترق طرق حاسم، فإما أن يستخدم العلم والتقنية لخدمة الإنسانية وتحقيق السلام والازدهار، وإما أن يسخرهما لتدمير نفسه وكوكبه. وهذا الخيار يتطلب منا جميعاً، كأفراد ومجتمعات ودول، أن نتحلى بالحكمة والمسؤولية، وأن نضع القيم الإنسانية والأخلاقية في صلب أولوياتنا.

فالعلم والتقنية ليسا غاية في حد ذاتهما، بل هما وسيلة لتحقيق غاية أسمى، ألا وهي رفاهية الإنسان وسعادته. ولذلك، فإن على العلماء والمهندسين والتقنيين أن يكونوا على وعي تام بالآثار الاجتماعية والبيئية لأعمالهم، وأن يلتزموا بأعلى معايير الأخلاق المهنية في ممارستهم لعملهم.

كما أن على الحكومات والمؤسسات أن تضع السياسات والتشريعات اللازمة لضمان استخدام العلم والتقنية بطريقة مسؤولة ومستدامة، تحترم حقوق الإنسان وتحافظ على البيئة للأجيال القادمة.

وفي هذا الإطار، تبرز أهمية التربية والتعليم في نشر الوعي العلمي والأخلاقي بين أفراد المجتمع، وتنمية روح النقد والتساؤل والبحث لدى الشباب، ليكونوا قادرين على المشاركة الفاعلة في صنع القرار المتعلق بالعلم والتقنية.

ثانية ، اقلا وأعم عند الآس في أفق السرعن الخلق لور علمه وكلمة حديـــدة بفضل غو الطاقة الحرارية ؟

الانبه انتقال العم ، وما بحياة الانسان

انب عند السير منتظم الذي ساوله مصـــارف البشرية والمجتمعات التقنية عند رقابي في الزمان الانتقالات العالمة الكبرى التي تشكلهـــا الحروب والأزمات الاقتصادية في عدد الحقب الأخيرة ؛ وهي أعـــد اسيست ليب لا يتحـــدث التصور قحط ... ن الظروف الجديدة الى العالم الذي فرضتـــه نظريا وعمليا فيجب بتذكر المقالم بعصره ، فانما هو رفض العلم جمل غرب لانه تحـــــه مسؤولية كلة للمصائب الراهنة . في نظرة التقائل الى المستقبل تستند الى الخـــاع هن العلم والتقدم التقني . ان العلم سوف صاحب على كاهة مصائب الانسانية . وعلى الرغم من ما حدثت قبل الأزمة الكبرى وقائع العلماء الأكاد حدد الطبقة رفظروف مناوئة الى مصير الانسان ، بينما ترتبط الطبقة الثالثة بمجموعة انسانية الجنب كلية نفسي ، ومبتغي غير كل خلق مشالميزلي يتصل بسر العلم الطبقي الذي يعتر فاعليه العمل فيجري رمعر الانسان ويضع في حروفه ومالـــن تحسبه طروف سلفه ، وسي مدلها ، تحسناً نعلماً ، والتخلص من حطر الرس ، ويتسع لكل فرد تتيه مجتمعه حتى الحس حضره النـــه . ولكن الشر نسعر له بالخلق وعدم الاطمئنان ، لا بالطبقة الثالثة ، لان اشعار الطريق الحاضرين والازمة الكبرى له جعل الحساسة الشريه تظهر وكأنه مهدد ليدا بتجاوزت العالم بالذات . لا يزال ان العلوم المكرسة المحافظ على الحـــاء تبدو هي نفسها بحمة الأسال ومنطقة المزائم وفي مضمار آخر ، وتعم اليوم في عالم العمال ، رحة عمل هو حقيقة ، ما زيادة الوضوح يوما بعد يوم ، هذه التحسنات التقنية الأخيرة واختبار البطالة الجديد. الحدة بجماهير العمال المتحكي الاستقلال. تجميع بعد اليوم بجانب حـــلال الآلات عليهم . ومن هذه الزاوية ، يجب ان نظر الى مسؤولية العلم والحضارة ومعاناة العالم الأخيرة في العصر البشري . والظروف مارتبطان رابطاً لا يفصل الانفصال . فان موضوع ديمة التحـــلم الطريقة والعملة لا ينفصل بعد اليوم عن موضوع مصير الانسان وحياته

ثورة العلوم الطبيعية

الظروف الطبيعية لبحث العلمي والتطور

الركن الجديد العلم والتقنية في حياة المجتمع

ان الثورة العلمية التي حدثت في النصف الأول من القرن العشرين لتعد عاشر لعلوم والتقنية ، ولا سيما في المجال الفيزيائي والكيميائي ، أثرت من جميع مستويات العيش بعد أن أصبح بمقدور جهاز عتاده وموظفين فنيين بكرسون كافة أوقاتهم للبحث ، وسواء في البلدان الاشتراكية ، حيث يمضي سنويا الاكتشافات العلمية وراء الفاصلة الغربية الاقتصادي ، أم في البلدان الرأسمالية ، حيث تدعم الكفاية الوظيفة ، ولا سيما الكفاية الفردية ، بصورة خاصة ، فإن تحسين المنتوجات وطرائق الانتاج تحسنا مستمرا ، وان التقدم العلمي يتجه عموما منحرك في جوهره بجميع النتائج على التقدم دائم ، ويتقدم هو نفسه بقدر ما التقدم العلمي يحمي نفسه

وبالمثل ان الأجهزة التقنية والعدد الهائل من الاختراعات الجديدة التي سمحت بها الثورة العلمية في التاريخ العلمي توظيف بحيث ان تأثير العلم الذي على بعض فروع النشاط ، يعد الأثر المباشر للتقدم التقني المشترك على انتاج كبير العدد ، بقدر ما يعمل على تأليف الحاجات التي تضمن للمنتجين استثمار أحدى الأسواق ، وليس من باب الاتفاق ان توسع بعض الشركات الكبرى أنشطتها العلمية على نطاق واسع

يعمل التوتر الحربي على تقريب الصلة عاشر وعلى ذلك بالتجديد التقني . فقد أدت الحرب من أجل التقدم إلى تدمير المدن ، فحيث تأثر هذا البحث للتدمير الحكومات كبار التأثير ، ولا سيما بعد الحرب ، في تنظيم ورقابة البحث العلمي ، وبتمويل مخابر البحث العسكرية بقسم هام من الأموال المكرسة للبحث

أخيرا ، ولا بد من عد بداية الحرب العامة الثانية ، التعب في وجه السلام الغربي ، الذي

بعض عسوري يعتمد مرافق [illegible] من أكثر الأقطار تطلعاً إلى [illegible] الحديث
[illegible] العرب من [illegible] تحت [illegible] في مختلف مناحي العلم والوعي القومي والاجتماعي الذي [illegible] العرب [illegible] الجديدة [illegible]
[illegible] الإنسانية [illegible] التي [illegible] المراحل الخطيرة التي [illegible]

ويكون العلم والتقانة التي [illegible] على [illegible] المجتمع بصورة [illegible] [illegible] [illegible] يعطيه [illegible] المجتمع [illegible] في [illegible] الأكثر [illegible] التي [illegible] في كل [illegible] العلمي ، لذلك [illegible] الأخيرة [illegible] كل [illegible] الإمكانات التي [illegible] في [illegible] الذي [illegible] [illegible] العلم [illegible] والذي [illegible] في [illegible] مستقبل الحضارة العلمية

استقلال العلم

لقد [illegible] مثال العلم [illegible] العلم [illegible] فإن التطورات [illegible] العلمي [illegible] البحث [illegible] [illegible] في [illegible] مختلفة [illegible] طابعاً خاصاً [illegible] [illegible] في [illegible] العرب [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] على الأقل [illegible] كل من [illegible] خارج [illegible] [illegible] مع [illegible] الحرب العالمية الثانية إلى [illegible] كبرى في [illegible] داخل [illegible] [illegible] التخصص

ومن [illegible] الاقتصادي والاجتماعي [illegible] في [illegible] الأولى [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] الأموال [illegible] الدولة [illegible] ، ويمكن [illegible] في [illegible] كذلك [illegible] [illegible] ١٩٤ [illegible] الحكومات [illegible] في إطار [illegible] [illegible] العلمي العسكري [illegible] ذلك [illegible] [illegible] في [illegible] الحكومات في [illegible] الحرب [illegible] والقلق الذي [illegible]

الأعمدة التي يطرح هل تلك قصة مظروف حسب الشعب الذي ... في مسائل سوف توفي مستقبل كاملاً ، ويتصل مسائل الأبنية التي يوضح عنه طرحها على نفسه مكاناً سيجد يوماً بعد يوم في افتكاره لأنه لا يستطيع بعد البرء الوقوف موقف أعمالاً من الاستكشافات العلمية التي قام بها اكتشافات النظرية انه توضيح مشجع حقاً يقرر مثل البحر يشتاق الذي أوضح المتوازن الناجم كبير والعمل مقتطف هي صنع الفتية الذرة موقوفاً من ان يصنعوا الذريون قيمتهم ، ولكنك نقطب متضعضع ، وكذلك قال مظاهر الماء الأغذية عن اعتبر في الأبحاث الذرية او الأسئلة المتعلقة بموجة القذائف ، التي نظم الأمير كمرفد من جهة والموجات عن حيث الذرة ، وقال الشخص عليهم وارتاعهم على مواصلة ابتسامتهم خطاب فيصري ، الخبر جميع كذلك على الاستشهاد الذي يعده السعت والفكر ، كاستظهار الملاحظات الجموعة خلال الأسئلة القضائية التي قام بها كوبر ، كرواه واثر به أعداد عسكرية او اقلة لاعتقاده استطاعة ،

٢ ـ ثورة العلوم الطبيعية

بينما كان علم الحياة موكز المناقشات الكبرى في القرن التاسع عشر ومحور؟ أهم النظريات طلعاً وربما اكتشفت أهم التمهيدات خلال القرن العشرين ، في حقل العلوم الطبيعية فلي سنوات قليلة جرت ، تحت تأثير اكتشافات براغم القرن السابق ، طفرة قلب هواعد المعرفة رأساً على عقب . ويفصل ثورة القرن هذه ، تعددت العلائق بين العلوم المتخصصة والمتميزة بشكل واضح حتى ذلك التاريخ ، وزال التشعب الدقيق الى ميدان وكسداء وعلم ذلك ، او بالأحرى ، يجب عليه الا الاعتبارات الدقيقة . وتوحدت وحدة العلم التي كان التخصص يمحص الاختصاص ، فكل هذه العلوم تتكون في الواقع الجامد نفسه ، في آن واحد ، وفي الوقت نفسه أثبت وحدة العلم والتقنية كثيراً وتوثيقاً يوماً بعد يوم .

النظريات النسبية جديدة

برزت الى الوجود نظريات جديدة استطاعت ان تلا اكتشافات او يحدث على الحساب ثم تأييد بالاختبار ، فقدت لمدى التعقيد الكبير الذي

ذلك هي النظرية النسبية لاينشتاين ونظريته ، نظرية النسبية ، لماكس بلانك والنظرية الموجية للضوء لدي برويل ، فمار حسارت ميكانيكا وموجي ١٨٨٢ ، الم الجهد الى التخلي عن النظرية القائلة بوجود الاثير مادي ، قد حدث ابتشاين على اسم يسلم في ، نظرية النسبية الخصوصية ، ١٩٠٥ ، بأن الوقت لا يرتكز طابع المطلق ، اذ انه ، يجري السرعة نفسي سوف كان في الجانب سوفيت من مراقب سرعة كبرى ، ويأتي الاقتصاد عن اسم حسنة سبب ، في نظرية النسبة العامة ، ١٩١٥ ، التي عرض فيها ، اخرجت التأثير قد السرعة ، خفيف الى الضوء الجاذبية ، ج الجاذبة G ، فان جسم ينتج طاقة متقدمة من جسمه ، وقد أدى ، لهذه من تم باعطائي الطاقة ، اما الذرة فلست سوى طاقة متكاثفة في مكان صغير جداً ، وفي غاية التسرب الى صوء او حرارة ، واعتماد النظر

كذلك في سنة ١٩٠٥ برهن أينشتين على أن الضوء مكون من جزيئات الأجسام أو قنبلة ، ويرد بذلك النظرية الكهرومغناطيسية عبر الأثير ، وفسر بعض ظواهر الضوء كالتأثير الكهروضوئي وغيره وحين أن الجو الـ من نجوم غالبة ورد فيزيائي حيث تكلم الفيزيائي

ماكسويل نظرية ، الجزيئات ، ، في السنة ١٩٠٥ ، بعد الكشف عن مالك التاريخ في عالم ، في سنة ، كاستمر ، نائبه والكهرباء الطاقة فتح سيادة غير متواصل متصل حساب لو ، حرفيات ، الطاقة نسبي ، سلاك لو الأشياع ، وهكذا لان الطاقة مركبة من حبيبات على هذا الفيزيائه فرضيته من مدرك ، والكهرباء ، فرك من كيوت وبالفيزياء عد النظرية نظرية الجو الموجة فرنكلوا على الاستمرار . ولكن لورنس في بروبل طلع سنة أسبة ٩٢ الآن الموجة ، لو ، يجد لكهربي لتناقض ، حسن لموجة ، فيزيائي المصير ، في السنة ١٩٠٩ ، الشك ، بروه لحير الآن الموجة التي قال بها في بروبل والآن ، فرضية أي ، ، ،

نظام شمسي بحيث أن كل كهرب في مدار خاص به ، ولا تتكون الأشعة إلا حين ينتقل من مدار قوي الطاقة إلى مدار أخفض قوة . فأمكن من ثم معرفة عدد الكهربات التي تحتوي عليها [illegible] وكل مركب [illegible] يمكن أن يوجد في حالات كثيرة وبمستويات [illegible] مختلفة . وقد أمكن معرفة اختلافات الطاقة بين الحالات [illegible] الضوء المنبعث [illegible] . [illegible] مختلفة [illegible] الأجسام [illegible] . ولما كان بعض هذه الأجسام [illegible] والبعض الآخر [illegible] إلى عدد كهرباتها [illegible] الأجسام التي [illegible] وتقريب [illegible] الأجسام [illegible] 92 [illegible] ابتداء من [illegible] والتي [illegible] .

[illegible] الكشف في [illegible] الطبيعي [illegible] [illegible] بواسطة [illegible] . [illegible] تدور حول [illegible] مركز النظام [illegible] ، [illegible] الاكتشافات [illegible] التحولات الذرية [illegible] [illegible] الكهربائي [illegible] سنة 1930 [illegible] سنة 1932 [illegible] بواسطة [illegible] الكهرب الإيجابي [illegible] في سنة 1932 [illegible] الذي كان قد [illegible] بين الأجسام [illegible] الأعداد [illegible] التي [illegible] الأشعة الكونية [illegible] لا تزال [illegible] في تركيب المادة .

[illegible] الاكتشافات [illegible] بين سنة 1932 وسنة 1939 [illegible] كل [illegible] الذرات [illegible] [illegible] الكهرب [illegible] 1939 [illegible] في سنة 1938 [illegible] .

ولم يكن الكشف الكبير الوحيد الذي قدمه سيدني تشابمن في مجال الكيمياء الأرضية. فقد أضاف إلى المعلومات التي استخلصت في دراسة تركيب جسيمات الهالة الشمسية والأشعة الشفقية، مراقبة الكسوف الكبير لعام ١٩٢٧، وهو الذي أتاح للكثيرين، وليس أقلهم أينشتاين، الفرصة التي كانت كلب درس حركات الجسيمات والتموجات، وحساب تواترها. وهكذا قدم الفيزيائي الشاب رأسمال في السنة ١٩٢٨، قبل أن يبلغ الثلاثين، وأحاط معرفة الأرض الجديدة بتفسير الكيمياء الشمسية الجديد. وتفسير خاصيات الأجسام المركبة وأسباب تكونها، وهي مطاريح الكيمياء الصخرية، ما جعلت الى اليوم أكثر في التطرق الى الكيمياتية بالخاصيتين الجامعتين لجميع العناصر القديمة والجديدة، أي خاصيات تجدد بعض الكيميات التي مرت عليه بالجزء، وتصدق الكثير من الكيميات، وتحير عناصر لا تتقاطع مع الكيميات، وتلاقح عندما تكون هي حالات في تواتف المعدن وغير المعدن.

لنسي تحليل الجزء الذي سطع به كل ولادة الكيمياء الأرضية التي أتاحت لنا أن نربح عناصر الجوالد، و عناصر المظام من عالم الى آخر. الذي في العالم الشمسي، والذي كذلك للتم خاصيات اتحادات الطبيعة، ومن ثم معرفة طريقة معالجتها بصورة فطرية، و بصفتها أصعب الصناعة أقل حضارية، و أكثر حقيقة للعقل.

مسيرة الهلة الشمسية الأرض

وقع بعد الحملات الى الأمام بفضل علم بلد المعدن، حين كان استخدامات الأحماء من عام ١٩٠٠ الى ١٩٢٠ الذي الحرية وحراثي التصوير التصوري والتناصر الذي هو بين مختلف البلدان من اجل انتماء مراقد جلاء هذا الفن يوما بعد يوم. كالرصيد الذي تم التحدث الشكل الحالي بطرده ١٩٠٩ م الذي أتاح في السنة ١٩٢٩ الى سبيل ١٥ وتحرك حول بالمدار كالكوبرنيا التالع بطرده خمسة ... ... الهي ك. في مكان في السنة ١٩٠٧. وتحرك في كالكتة الالكتروني الذي تنتمي في السنة ١٩٣٥. وكذا حاصل الرافعة فرضه د. بحلة. وتقلبه الأسير لتنظيمات من صور ريم والحجر صناعية ١٩٠٧، وبتحطيم اصطدام ... ... التصويري الصناعي في الكواكب. فعرفت الكثير كلب والطبيعات الفضائية بسبب الأشعة غزوية واصطدام بخاصة و والكوكب كلب الذي للريح ١٩٠٧ بالرصيد، وحتى للتاريخ. الفقر والعالم التصوي معرفة قصور. وهكذا، ولقد عرفنا الهلك التي لم تكتشف بجزيرة والوصف، بل انتقلت الى موجد التقصير

منذ السنة ١٩١٨، كتشف ان الجمهرة شكل اصطاد تتحدى على رصد اربعمائة مقياس كوكب. وفي السنة ١٩٢٥ ، كشف ان هذه الانظومات تحرك على نسب حركة تجمعت للدور ١٩٠٠ كاملة كل ٢٠٠ مليون سنة. ويعتبر جامعة الاحداث فلك وفر مراقبة الجمعيات دوس السحب النجوم القرائية الموجودة خارج المجرة. وتحصين كون هذه السحب بأسبوع جزيرات اخرى مماثلة للمجرة الى الأرض ، ٨ سنة ضوئية ، و جيداً ممكن التحقيق في السنة ١٩٢٩ ان كل هذه السحب تتباعد بسرعة مطرداً. وممكنة عن الكون الكوانتم من ملايين السحب هذه

الفصل الثاني

توسع خام نحياة وثورة الطب

ان مواضيع التي يتناولها علم الحياة كانت تمتد الى عدد من المواضيع التي تتناولها الفيزياء ، فالعلم الحديث قد ارتقى عديداً جانب اكثر من الاحوال تشبيهاً الاخرى ، وبالتالي طابعه سهل تقليل ، وبالذي بالنسبة لكل جعلت طابعاً كثير تخصصاً لذلك فان في النصف الاول من القرن العشرين تكاثر فروعه وتكاثر المؤلفات العلمية التي تجمع تتطلب دوراً التخصص الاحصائية ، الفيزياء الاحصائية ، علم تركيب الخلايا وتركيبها ، الخ . وقد حدثت كتشافات الأرمنة الماضية ، في مجموعه ، انقلاب في العلم الاحصائي والتطبيقات المترتبة عنه طب ، علم حفظ الصحة ، الخ) ولكن كلا منه جزئي ولم يؤد الى ذلك الانقلاب النظرية التي حدثت للفيزياء في الأونة نفسها . فقد اجريت تقدمات كبرى ولكن استمرارها لا يسمح بتحديد معالم الاساسية . يضاف الى ذلك ان الاكتشاف هو في صلب الاحداث اقرب ملاحظات طويلة ، واختبارات كثيرة تجري طبقة سنوات عديدة ، مما يستحيل معه عملياً تعيين تاريخ عملي للمعارف الاحصائية .

الا ان علم الحياة مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتوسع العلوم الأخرى ولا سيما الفيزياء والكيمياء ، والكهرباء ، وعلم الاجسام الحية ، من جهة ، وبحدث التاريخ العام التكنيكي من جهة ثانية . فهي الأزمة الكبرى ما نهضت الامم المتطلبة بالتنمية والصناعات ، وهي الحرب العالمية الثانية ما دعت الى انتاج السلاح وما ساعدت على المواصلات البرية والبحرية .

الطب

علم الحياة الاجتماعي

القرن العلم الاجتماعي اعوان وطرائق مماثلة مواضيع مواضيعه مواضيع مواضيعه مساعدة الفيزيائي والكيميائي ، اما بالنسبة للمناهج فلا يجب ، واما باستخدامه كشفاتها من اجل تطوير ادواته . وهكذا ، لان الجهاز الالكتروني الذي اسمكه « كترل » ، « روركا » ، في السنة ١٩٣٢ عد جعل من الجزاء

الجسم البشري ، التي الفكرة الأساسية من قبل ما عناصر ، ركب التكامل في ، والفنية معوضاً ، كما سبق من الثقافة و ه كما لا ، ه الخ ، وفنياً معوضاً جداً ، ومكامل تصوير الفنانين فيه ، ويرى تصوير الفنان معبر عناصر ، تركيب الثقافة ، في تكون معروفة من خلال ، وفي الرصد الذي ، ر يعتمد فيه فنانا ساعة الفكر ، استعملت عوامل العمل والفنانين معظم دقيقا الفنية ، الجسد سنين الأسير الفنان الفنية وفي سير ، ملاحظات جثته في الجسد ، ، ،

التعقد والتنوع للذرات تعقد الى الذرات حقيقة ذو المعادلات التي يبدو ان عددها كبير جداً بل الى تعقيد عدد كبير من الأجسام المتماسكة. الضرورية لتطور هذه الجزيئات والبلورات في طبيعتها وتحولها على سبيل المثال وبشكل مبسط جداً على مدى في كل تطور. لتحليل هذه الخصائص ، وتحليل كل منها في مرحلة خاصة معقداً للغاية سيراً منها والإضافة الى التوازنات الكونية المعادلات حل سبعة معادلة من عاشر هذا وتبدو الذهني كم وبع ، معقد ملايين الخلايا العصبي الجزيئات جزيئات كثيرة في سلسلة التفاعلات التي يتكون التطور. الماء اما لخلايا الضرورية للحياة تتوحد في اجزاء بسيطة ، آلاف ، تحتوي بسيطة ، العناصر الخلية ، من في عمل ، ويتكيف ضرورية جداً فان الكونات في ربما مراحي نشأة قد سبب في تنظم الاكتشاف ، العناصر الخلية ، من تم اعضاء اوعية في معالجة معقدة لأمراض ، وفي انتاج نظام صور وتدمير كامل لورم وحقيقة في الأزاحة

هذا مواد جيرة ضرورية العضاء ، كثيرات في القرن المشترى ، سوف يكون هذا شأن عملي كبير قد مساء ، ويبدو ب لنص على ما ، وفكر ، ع ، اذا ان سطح سطح التركيب سيداً ، كالقدماء بل في أخرى على ، ا سطحه على الأقل ، وسط مال التعقيد ، في القرن التاسع عشر الى الاعتقاد بأن كل مرض جرثومي ناشئاً خاصة ورجل النوع مرة فشرى فكرة مرض لتسبب عن النقص والخصائص ، داء خلية ، داء البقرة ، فرنسا ، تركيبات في الجسم ، التفاعلات الضرورية لمعالجة على الأمراض وفي الوقت نفسه الاعتقاد معرفة التفاعلات تسمح بظاء عدائي سكتور ، وقد وقف حكومات الدول لتجاربها ، انتشار ، حرب لتحقيق الأدلة ، تأمين التفاعلات الضرورية للإنكليز ، توفير استعداد لورم ، لتفاعل الكيميائية الأزمة ، تمكن يرتطاب ، حالة معقدة من ، سالتيم التجسيد في بلاد ، ما فعل الحرب

ولكن جسم في تحتاج ذلك ، الأعضاء الى عمر ، التي يحتاج في التبديد ، التي ذلك التي اعضاء حسام حيوي ، آلي مواد جزيئي مكتسب هو نفسه والسلطة الجديدة الجديد التي ، ن تعرف وتحتاج حتى القرن العشرين ، اعني ب الأوتار الجورجيوات ، فان الأنسجة التي أعيد الأوتار ، في حد كبير ، لم الخصائص عناصر ، أن ، ن ما يشير في معظم الحالات التي يوجد لها كنسج حيوانات والنباتات ، في عمل الأعضاء ، ظهورها حد فقد الأعضاء اثبتت التشابه في عظم آخر ، كما في حالة الأوتار التي نظر ، ة التنسج ، تسبب يستعيده الأوتار ، الكهربي ، ، والأعراقين ، والأسوني لسكر بني ، والأوتار المرتبطة ، ويتضح في ما يعتمد وم الجور التكتم الذي الوتر ، ب الأوتار خاصة في تحديد ، جزئية الثانوية عند الحيوانات والتشريح بين الأجهزة التفاعلية ، وفي جانب الأوتار الحيوانية ، ، ويعتمد الأوتار التي تؤثر في ، ن التفاعلات ، وقد ، ، وصل التعقيد بعد الى تركيب الأوتار ، الثانية او الحيوانية ، خاصة ، بعد الامكان عند الرجوع ، ن تنسج من خصائصه تحدث مفاصل كسائط بالثقة ، وأحد في تطلعات معينة

هذه الزراعة. ويقع الحرم من سرعتنا التحرر الذي أراد التخلص في جسم الانسان الذي يقدر بالملايين التي يتجدد عنه بسبب كيميائية

[illegible] هذه الأنسجة [illegible] وظائف [illegible] في جسم الحي ويتكون من تركيب هذه الجزيئات الكبيرة بصورة منتظمة بحيث يمكنه بعد ذلك بالأحرى [illegible]

وقد عمل مرسى هذه في الخلايا من أن في جسم [illegible] وكان [illegible] الخلايا [illegible] في [illegible] الذي [illegible] الكائن الذي الانسان [illegible] أحد [illegible] كبير [illegible] هذه [illegible] وأن [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]

الحلة مرتفعة بالفعل بأخيرة حتة دنا وفر فاقده مدماً بعض الاصداد بعضي والسنين الثالثة الأولى التي ما عاصد في تستطيع التصوير

قد دور حده الأخيرة تأخذ الصيا وتتطور، ان الكهيئات نظاماً يا ، وهم تكون التصوير والتحسين ، فقد إذا ما تحسنت بعض شروط ظهور الحساب . كبير ورزه وسوء بعض الر كسنت الكهربية مثلاً ، وشرائح ظهرت لتستو ربح وشرطه لتكون الأخيرة الحلة الأول كنظريي الأمكنتري ، ج ب س ماكاي ، في نسبة ١٩٢٩ و آسبر كي ، اوارى ، في نسبة ١٩٣٤

بالإضافة الى الأصدة التي ه سطوي عليها - حد المستخبر - عرض عدد التألقات الخيرة الأولى لنسمة لتكون سبب صد ، و ه وتسمة خل سوزي سادة بغداد البيرية ، فرضيته معرفة الأجوبة حدة المعقرى ، سد اليوم ، المكاسات عاف عي مع سنها الأمر عن جرعة بفضل كشاف اهو ، عارية حر سه الذي الحب . اعمر الله تاج التألقم من أمل الا ، بعض الأمراض ، وتكون التشف تصو من و سة نوع ، ف الب في ه حل حده تريخر والتحف عليها بواسطة ماده كسا سا حج سير بعض فتطلق نرأ ، في السة ١٩٣٢ على بد ، موسالو ، الكتشاف للر كنت التصوير الأ . وف والكهربية التي لا تقبل خراشم بل تحول دون الكاثوحة ، م كتشاف التصوير مستخرج من نوع من الفطر ، الذي لاحظه العالم الانكليزي ، فلمنج ، عند السنة ١٩٢٨ ، وم سنة عه طبقا عشر سوات . استيز رأى ، الفوري ، و ، دلسي ، وتلاحظ الأبحاث في سعيد تركيبور . فلاح ام كانت التصوير الأروتة والكهربية . صور في السنة ١٩٣٤ أبحاث منطقة فاوت اهو عتربه الخراطيم سنة من نوع الفطر وتعتبر الى ملاحظة ، الفلمنج ، وفي السنة ١٩٤٢ . حكثر الفلاح وتحو با ، سه الصابين الكتاب التحليل ثم نتيج التسابين صحف سه مالك التربيع ، و كشفت بعد ذلك ، على يد دو كس ، مصورة خاصة . الحدة كبيرة من أهمية عارية الخراطيم استخرجه كثيب من طرقات مختلفة سكر بوسمين ١٩٢١ وروبيسي ، كلوروبيسي

الاصد للخلة في الجهاز على الأم

سهدي كشافاتي الكهيئة الأسماك خلال القرن الماضي في القدم عارف في حد الخلل معطل عوط الكهيئة الخليجة التي وحدت الب وحدة ساعة بين الخلايا التي وصنعت . ولكن كشاف الحلة ، تنظم حركا الدم ، والخفيف الشرياني ، و حراره . قد حل على الغير ان كل ما في جهاز الحي مترابط ، وان تغير جزئياً ستتبع قصيراً في مجموع . فاطلاقاً من دلك ، وخصوصاً منذ عرف الخلية الأولى . وحدت الاتصالات الحديثة الخبرات الخراصات ، وظروف الحلة عن العالم التي ارجعتي بالنسبة للعصر . أو اعد تصديه حوله الأسباب على مقاومة الضغوط والشرعة والا تتوج في الحو ، ومكافأ الطيرات الحياة ، مالكين ، الأب ، و عالمي ، الآن في استكثر . التي استطيع فيه حصة الأخر كأرب صحي ، فيرس مشهور

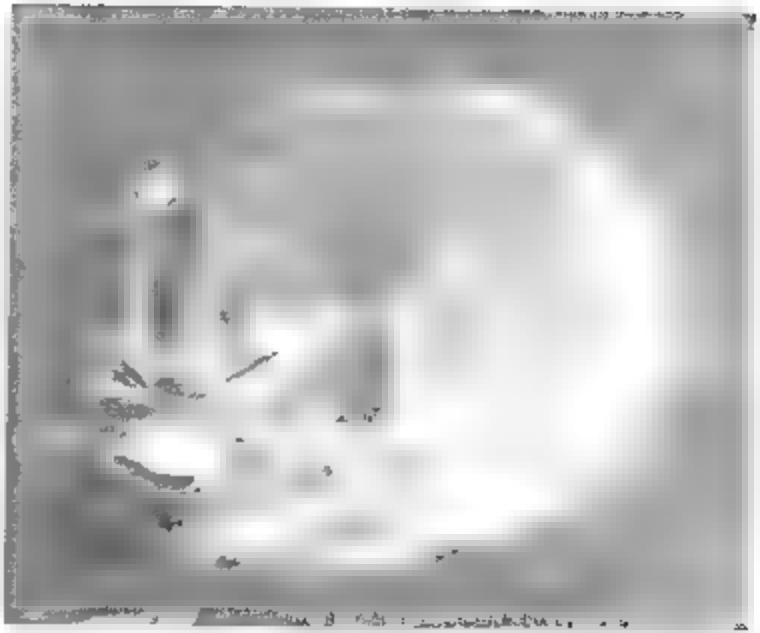

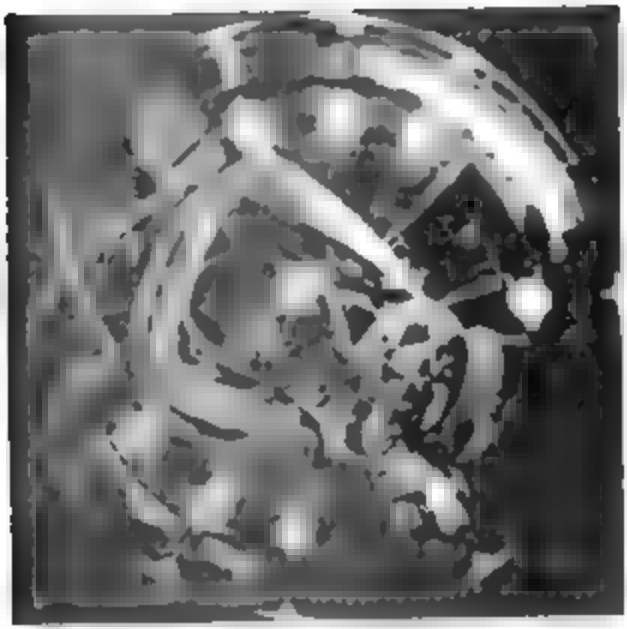

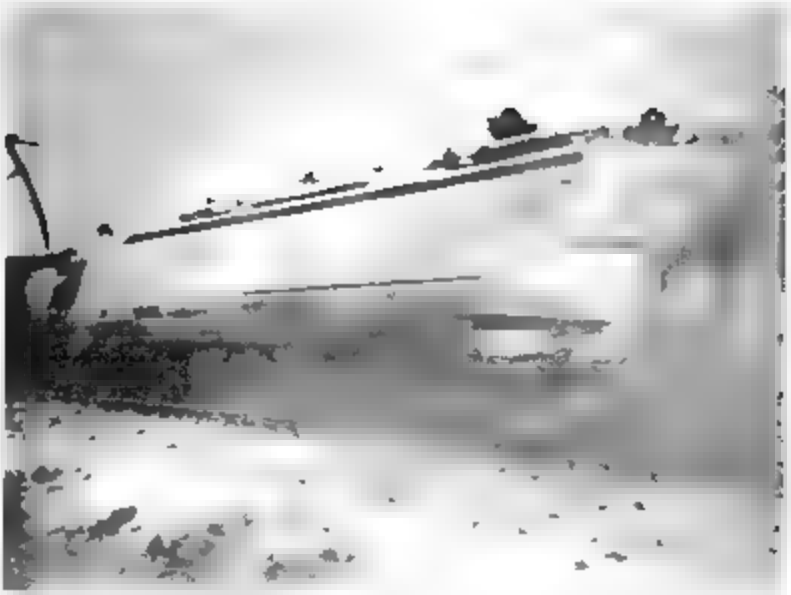

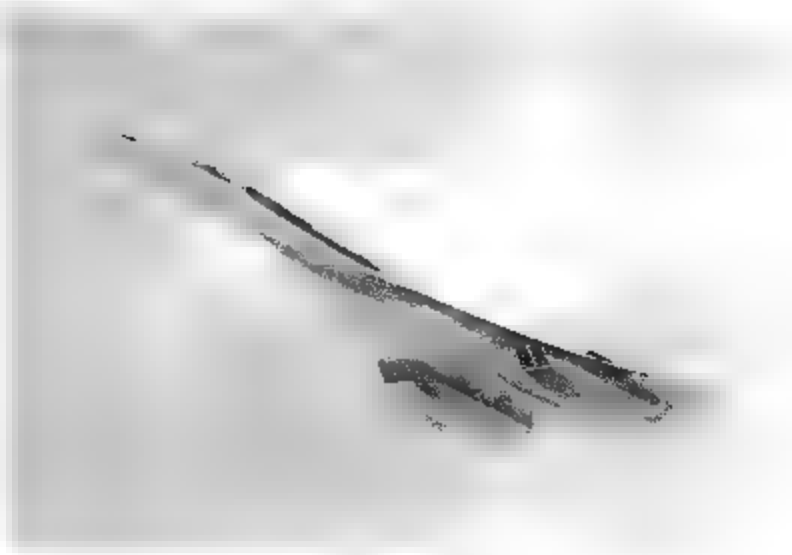

٤ تصميم طائرة الأخوين رايت .

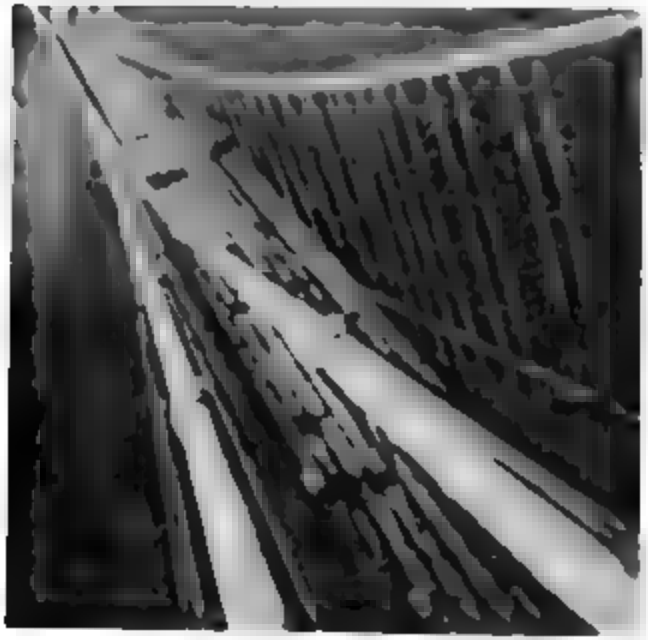

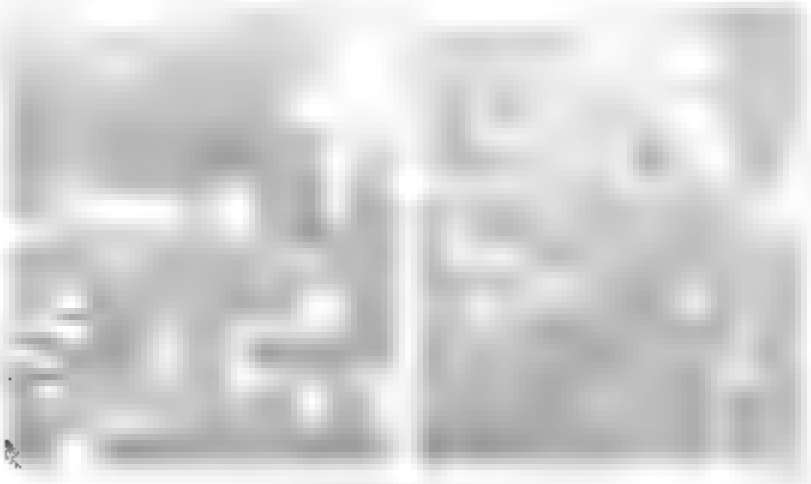

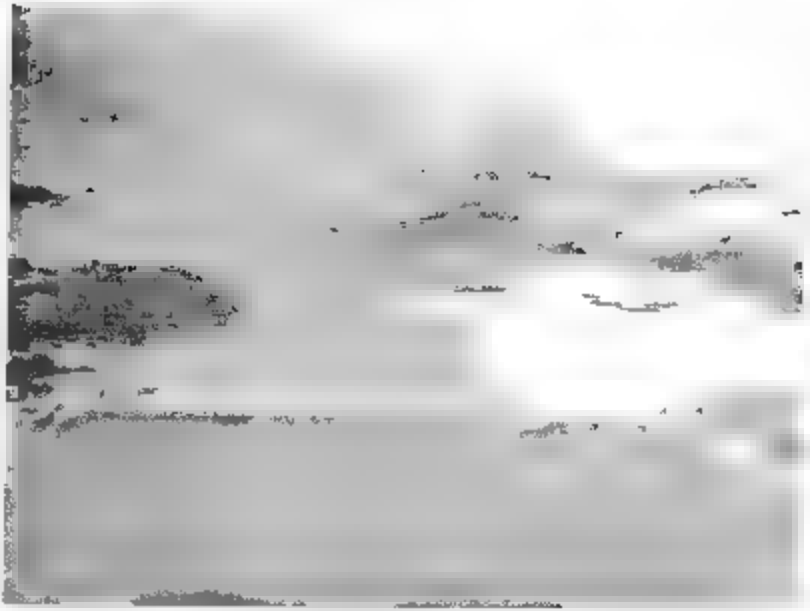

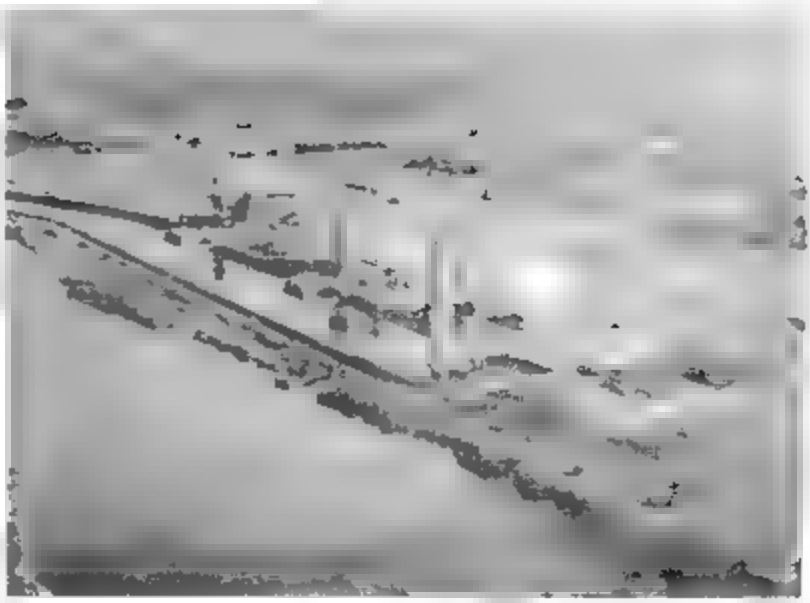

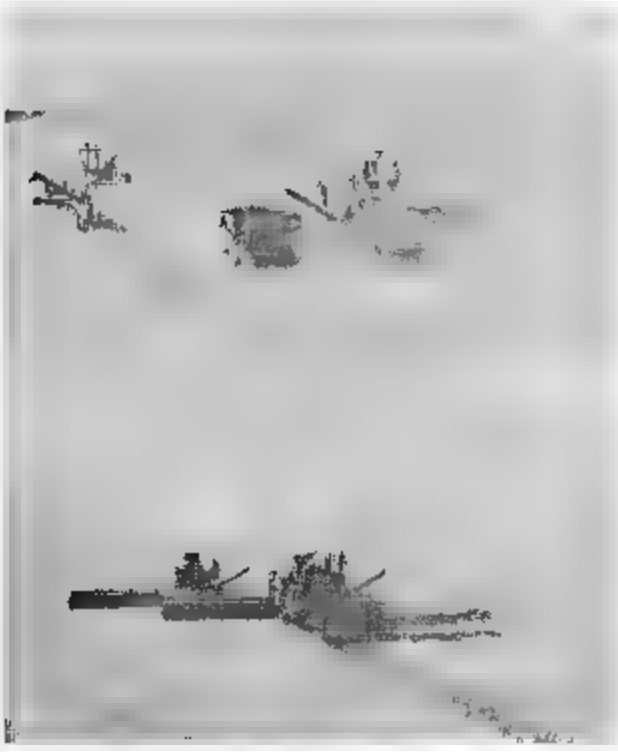

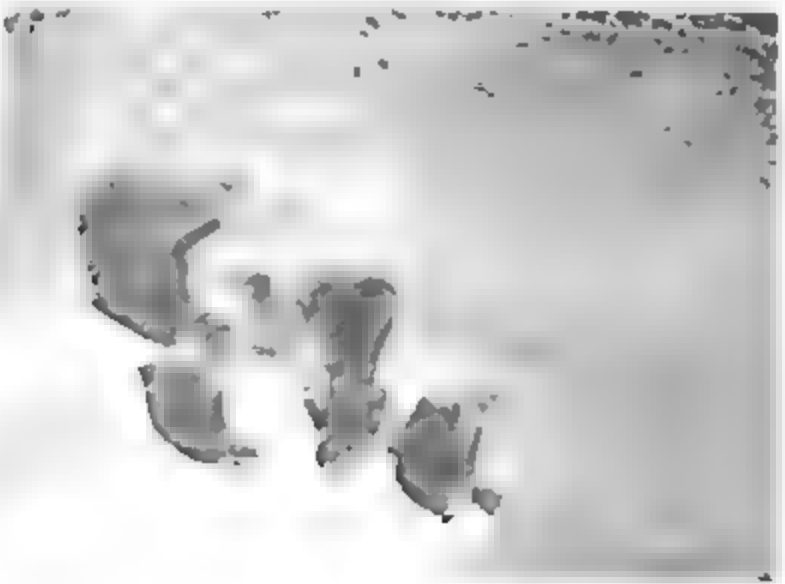

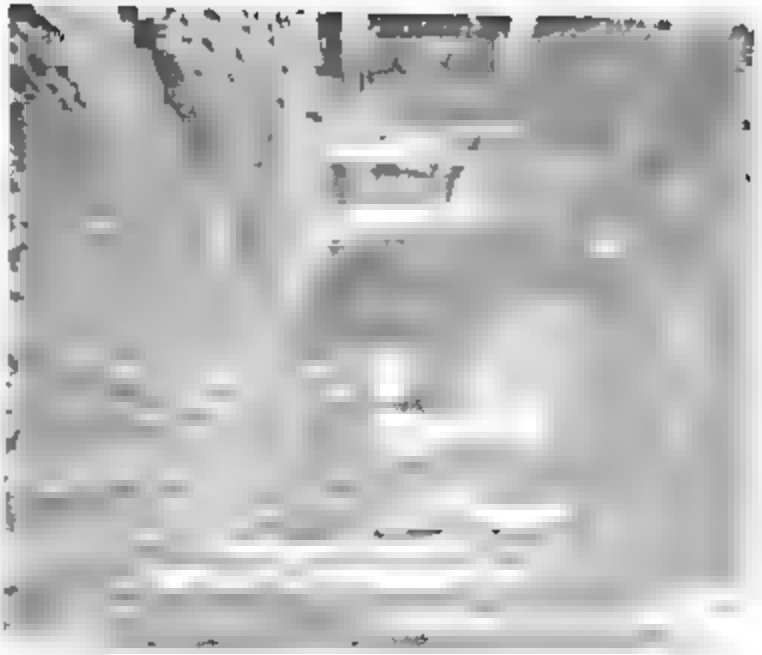

الأدلة على الوراثة في الإنسان السوفيتي قد سلك في الغالب طريقاً غير ، كثير جداً منها غير
الأمم لكن تجريبية بحتة ، فقد كان ، حتى عشاء ، رأيت في كتب الغرب الدرجة جاهلة جاهلة
صفة من هذا الوراثة . فعب في ذلك ان علم الوراثة الروسي لا يربط جوهر تفكيري الأدب ،
ادان ، مخلوقين ، قد أقره منذ السنة ١٩٣٥ الاختبار جماعية على النباتات ، ولا سيما على
الأسمدة المشهورة التي حسب زعم ع اصحابها بالتجربة ، لإدارة ، يتضمنه لاحظ ان الخواص طرائقه
مرتبط جديدة النباتات لتحدوثة التأثير بن تجاربه وان الفسيلة وان المرتبط ، مثل هذه الخواص
من الغير ، الكبير ، من نسبي العالم الاجتماعي السوفياتي ، ستكون ، آثر ، مكتسبة ، بن ، وتحصل
تجاربه وتعرف على تجريب هذه الحصول على حصائد بمدة موضوع ، عن الخصائص الموروثة ،
والتفكير بالتمكن ، فيتناقض بن التناقض الحقيقة ال طريق وراثة جديدة ، ما هذا ان نسي هناك من
يرجع توجيه ، التوقعات ، ا وسلم ، متحكمين ، وجوه خلافات بين أفراد ، الخاصة ، لجماعة
ونحصله بأن ان الوراثة لا تتحكم في أي حظ خاص ، لا في جوهر . ولا في الخاصة الجديدة ،
وانها انما تتحكم في الجسم نكشف ، فاليأ بالنسبة للنباتات لا أقل ، أن ، عن النمو ، بالنسبة
للحيوانات ، ، غلاف على ، مجيء بلا مرء ، ، غلاف الذي يلعب كذلك دوره في الوراثة ، عن
جماعتنا التقال بعض السمات المكتسبة

انطلاقاً من هذه النظرية الوراثية ، انكرت النظرية السوفياتية ، مبدأ الانتقاء الذي
قال به الفيزيولوجي الداروينيون جميعاً في التحولات وتخاصيها ، وجزت البيئة دور حاسماً
في رأي الفلاسفة السوفيت ان التحولات الناجمة عنه لكون مكتسب مفيدة وراثية . ولكن هذه
النظرية تنطوي كذلك على صعوبات نظرية كثيرة .

و نذكر جيداً ان الحاجة ، حصائد سو ، وتلاميذه ، بحصائد تحولات في عبارات النمط
الجرعية ، سوف تجيء نظرية ، جديدة ، و ، ما هو عادي ، واحية جديدة ، ورغم كانت من شأنه
التطبيع بعلم الوراثة على الأمم ، قاعدة سماحياً

ورد قد

حدثت سرعة مذهلة ، وارتفع عدد الكتابات ، ارتفاعاً كبيراً مطرداً ،
مما جعل تعليمهم بقدر ان ، تقدم الطالب عدد السنة ٩٢٣ يقول التعليم عدد هذه
العام ، قد أدخلت تعديلات جذرية على الكتب ، بعد مواد ، ولكن موجودة في النفسة ،
والكتب قادر على التأثير على سلس الأمر من تأثير وحياً ، وانتباهه عن علم خاص آراء جديدة
حول علمنا الأساسي ، ما حضر الطلب ، وريش ، تقرير ، ان يقضي مهني من الأساليب
الأيديولوجية بعد تواتي جمالي ما توالى التحليل مهنة ،

ان التغيرات حدثت ، وتكاثر ، مناقب البحث والأعمال ، ذ ، وصحت في حصة
الطلب ، وسائل تعليمي لتربيتي تعليم محققاً كان منتظر من مهني قبل ، وفي الوقت نفسه أتاح
الاختبار على الحيوانات الذي اجريه عالماً ، عرض عالم خواص في هذه الفروض ، وذلك
والاستفادة من ذلك في معالجة الأمراض ، وفرضه نتائج هذه العملية ، ، ذلك التنظيم البدائي

الالتهاب في المفاصل [illegible] ويزيد من [illegible] مركب [illegible] عمل الجسم والتي [illegible] عن طريق مراقبة الجسم بعد [illegible] الكورتيزون [illegible] استعمل بصورة خاصة في معالجة الأمراض المختلفة [illegible] الكيمياوية التي استعملها [illegible] من الأمراض الروماتيزمية والأمراض الجلدية المختلفة [illegible] بعض الآلام [illegible] الجهاز العصبي [illegible] ومعالجة بعض الأمراض [illegible] وإزالة الأنسجة [illegible] الطبيعية [illegible] طريقة علاجية أخرى وجدت في السنة ١٩٤٩ [illegible] بعد السنة ١٩٥٠ [illegible] في معالجة [illegible] [illegible] الخ.

والنوع من [illegible] عدد من الأمراض الخطيرة الناتجة عن [illegible] الجسم [illegible] في المختلفة في [illegible] على السنة ١٩٢٢ [illegible] الأنسولين [illegible] في معالجة الداء السكري [illegible] في السنة ١٩٣٠ [illegible] الغدة الكظرية [illegible] وفي السنة ١٩٤٩ [illegible] الغدة الكظرية [illegible] A C T H [illegible] الكورتيزون ١٩٤٦ [illegible] A C T H [illegible] الأمراض التي تنتج عن نقص [illegible] في [illegible] [illegible] C [illegible] بالفيتامين D [illegible] بالفيتامين B.

مكافحة الأمراض المعدية — كانت معظم الأمراض المعدية [illegible] في [illegible] [illegible]

[illegible] الأمراض [illegible] [illegible] المكافحة [illegible] الأوبئة.

عند اكتشاف العلاج ضد التهاب على يد [illegible] وإطلاقه على يد الطبيب [illegible] في السنة ١٩٢٩، وإلى وباء التهاب عديد من البلدان المتطورة، ما الأوبئة الأخرى كالحمى الصفراء [illegible] منذ السنة ١٩٢٧. [illegible] والتشرح الحديثي، والمقاومة [illegible] والتدرن الرئوي، والكزاز، الفسفاط والسوء الذي يزيد البعض الأسيوي السنة بعد هو أول ضحايا كسيوي في الجيش الإيطالي، والسعال الديكي، لقد كوفحت كلها بنجاح واسطة التلقيح، رغم أنه يكتشف حتى الآن لعلاج فعال ضد الحصبة، فقد أمكن تأمين وقاية مؤقتة على الأقل لو تخفيف الداء في حال إصابته. وشفي من التهاب السحايا التدرني بسببه [illegible] إلى [illegible] بالمائة بفضل حقن [illegible] الطبيب فيلان ١٩١٦ بالـ [illegible] الذي استعمالاً مع أمصار مختصين، وشفي من الحمى الراجعة بواسطة الكلورو كيين، والستافيلوكوكين الذي كشف في السنة [illegible]، والملاريين الذي استعمل في السنة ١٩٤٥. وفي السنة ١٩٦٣، أمكن إبعاد ثلاثة أطباء سويسريين، بفضل أحد مشتقات الـ [illegible] الملاريين، إلى إحكام وسيلة الشفاء من داء البلهارسيا التشوي في كافة المناطق خطرة.

كوفيت الأمراض فلسفة عن سراديم أو أقل شأ بفضل بواسطة المركبات الكيميائية واعرية مكافحة الجراثيم المتسببة الأوبئة من الجرب والتهاب الرئة، والتهاب السحايا، والأمراض المتسببة عن حرارة السلالي، والبرص، والحمى الثانية التي تظهر على الشعب على عكس الالتهابات الصلبة، والسل، والتيفوس، تبقى الدم، والتيفوئيد، الحمى النفاسية، فمع ذلك فإن مقاومة الجراثيم الناتجة عن [illegible] تبقى [illegible] لا سيما بالنسبة للتدرن الرئوي الذي صعب مقاومته أسهائي، فقد أدخلت على استعمال جديد الأخير مع الـ [illegible] P A S.

استخدمت مع المضادات والأدوية المضادة مواد تساعد القضاء على إفرازات الجراثيم المرضية للجسم في حالات كثيرة. وبألمي في طليطلة، منذ السنة ١٩٣٣، ساعد [illegible] التي كشف الطبيب السويسري [illegible] مور.

[illegible] جراحيا [illegible] على عرقلة الطب، من كانسية الأعوام ومن الأعضاء التي تجرى الفرض بعد إجراء العملية، لا سيما بعد السنة ١٩٣٣. لكن كون كل عملية جراحية تحدث في جسم يحمل فطائف مادات اختلالاً وردود فعل غير مرتقبة فالباً ما تكون بسبب وفاة المريض. لقد حل الجراحيون على كامل العملية بمعظم من الاحتياطات التي تفاديها أو تلبيها. بعد إزالة الأسنان، والتنبيه إلى مضاعفاتها، وتأكيد وجود فيروس وبجرثومة على أن لا تتعطى عدوته احتمال جسمه. استعمال مكثفات أو مطاط جهاز يتنبه مطاعمه مع الأم كسيجين. على الأرجح يوجه تزويل كل نقص حصلي، منع حركة شعب الرئتين والجهاز الهاضم، رحمي توقيف التنفس مؤقتاً وتحجير الجهاز التنفسي، التخدير، قبل وبعد العملية، أعباني إصابة دقل الدم. وقد انتشرت هذه الطريقة الأخيرة انتشاراً عظيماً، وبالت تستعمل على نطاق [illegible] جرعة الدم من [illegible] واختباريين جسداء، أو

حتى من جثث الموتى في بعض البلدان ، بعد ان اكتشف ، جورجيو ، فاللوبي ، بعد ثلاثة ارباع ، الثاني عشرة ساعة بعد الوفاة وانه يمكن حقنه في اوردة الاعضاء كما ان اكتشاف فيلانوف بتعلق بحافظ للاعضاء والانسجة الجثث في مكان بارد قد سهل شتى انواع الابحاث مع استخدام الاعضاء والانسجة المأخوذة من الكائنات الحية فاكتشافات من م الى ، مصارف الدم ، ، مصارف العين ، ، وعظام ، وانسجة ، وشرايين ، الخ.

واخيراً وسعت ابحاث مختلفي الذي شمل كافة الاعضاء وابحاث في بعض عضلات غايا في الجمجمة في الرئتين ، والمعاء ، والقلب ، والشرايين ، والعروق ، وانهيار العضلي ، والمفاصل المرنة ، والعظم

ان هذه الاكتشافات ، وتحديدها النقنيات الجراحية ، والتعليم ، وسائل النقل الذي اتاح التعليم بسرعة ، وتقدم الدواء ، وكشف الامراض ، وتحكم الام المرض وتحسن مصير ملايين البشر فحسب ، بل ان اضافة اطالة معدل عمر الانسان وبسبب من هم ارتفاع سكان الكرة الارضية ارتفاعاً كبيراً

المكتبة والتقنيات

إن كلمة « التقنية » المرتبطة تقليدياً بالآلة، قد دلت منذ القرن العشرين على جانب حتى يشمل النظم العلائقية البشرية « العامة والثقافية والاقتصادية معاً » والمقصود بذلك « إن لم يكن مكتبه العام » تنظيم المشاريع الاستثمارية على الأقل. فهناك تقنيات الإعلان والدعاية، كما أن هناك تقنيات تتعلق بالنظام الاجتماعي للمشاريع الاقتصادية « والتنسيق » خصائص يختلفون الاختلاف في الوسيلة. ومن ذلك سوى جملة واسعة التخصص الصناعي والتنظيم شأنه التنظيم عبئي الذين عن الاستعداد البشري الى حقول لا يتعدى حدودها اختصاصه الخاص الجاور « ونتيجة اندماج التقنيات المتقنة في الحقل الصناعي الصانعاً عربياً ايضاً

التقنيات الصناعية

التقنى العلم والتقنية في الجمع بين تعمقه عند ارتباطاً وثيقاً وحيث كرست الصناعة اعتمادات ضخمة لتنمية البحث بمشتقات الأحماض ومستخلصها الكيميائي. وقد قام بإنجاز هذا مطرداً « التقدم العلم التقنية فيه وتأخر فيها فيه خبري. ولكن بمجاهدات استمر الطلب كانت شرطاً لتجديدات الحقل الآخر. وبصور عامة تأثرت التقنيات الصناعة بالاكتشافات التي قلبت المعارف المتعلقة على الطبيعة، المادة، وبتطلبات الاقتصاد أيضاً. وغالباً ما كانت ظروف الحرب والأزمة والكساد دافعاً للاستخدامات الجديدة في الحقل التقني وتقدمه. وهكذا فإن « اختفاء » مواد النحاس التي سادت سلعة معدنية على الصعيد التقني لم تعرف بعد معرفة جيدة على الصعيد العلمي.

وإذا كان التقنية عبء على اقتناء انتاج المصنوعات دائماً، وتطوير استمرار تكلفتها بالقياس سعيهم النهايات من استخدام مشتقات المادة المصنوعة « وزيادة انتاج المال بالكتلة والحركة الفائقة وتصاعد الانتباه عن الصناعات التي لم تحدث عن الاكتشافات الجديدة نمواً سريعاً. فالرجل

يتكون من عدة أجزاء منفصلة يمكن تركيبها بسهولة. وتتميز هذه الآلات بأنها تعمل بالكهرباء، مما يجعلها أكثر كفاءة وأقل تلوثاً من الآلات التي تعمل بالبخار أو الفحم. وقد أدى هذا التطور إلى زيادة كبيرة في إنتاج الورق، حيث أصبح من الممكن إنتاج أطنان من الورق في اليوم الواحد، بينما كان إنتاج الآلات القديمة لا يتجاوز بضعة أطنان في الأسبوع.

وقد أدى هذا التطور إلى انخفاض كبير في أسعار الورق، مما جعله في متناول جميع الطبقات الاجتماعية. وأصبح الورق يستخدم في الكتابة والطباعة والتغليف، وفي العديد من الاستخدامات الأخرى التي لم تكن معروفة من قبل. وقد ساهم هذا التطور في انتشار التعليم والثقافة، حيث أصبح من الممكن طباعة الكتب والصحف بأعداد كبيرة وبأسعار معقولة.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الآلات الحديثة قد أثرت بشكل كبير على صناعة الورق في جميع أنحاء العالم. فقد أدى إدخالها إلى تغيير جذري في طريقة إنتاج الورق، حيث أصبح الإنتاج يعتمد على الآلات بدلاً من العمل اليدوي. وقد أدى هذا التغيير إلى زيادة كبيرة في الإنتاج، وإلى انخفاض كبير في التكاليف. وقد أدى هذا التطور إلى جعل الورق في متناول الجميع، وإلى تحقيق ثورة في مجال التعليم والثقافة.

وفي الختام، يمكن القول إن هذه الآلات الحديثة قد أحدثت ثورة حقيقية في صناعة الورق، وأدت إلى تغيير جذري في طريقة إنتاج الورق واستخدامه. وقد ساهمت هذه الآلات في زيادة الإنتاج، وفي انخفاض الأسعار، وفي انتشار التعليم والثقافة. وهي تعتبر من أهم الاختراعات التي ظهرت في القرن التاسع عشر، وقد أثرت بشكل كبير على حياة الناس في جميع أنحاء العالم.

السنة ١٩٣٣ ، قد بلغت ٩٥٥ كم في السنة في ٩٢٠ وهي كانت الآلة الطائرة ولا سيما الطائرة الكبيرة بالنسبة للقطار مع سرعة ٣٠ كم في الساعة في السنة ١٩٣٣ وسرعة ٣٣٠ كم في الساعة في السنة ٩٥٥ ، في حين ان وزنه تطور من عشرة وخمسة اطنان متري ؟

الا ان الطيران هو ما عرف اعظم تقدم ٢١٦ كم في السنة ١٩١٩ ، و ٣٣٠ عند السنة ١٩٢٠ ، و ٤ كلم في السنة ١٩٢٣ ، و ٤٤٠ كلم في السنة ١٩٢٤ ، و ٥٤٥ كلم في السنة ٩٣ ، و ٩٠ بطائرة عادية في السنة ١٩٣٤ ، و ٣٥٥ بطائرة من طراز عسكري في السنة ٩٣٦ ، وقد تحققت هذه السرعة بزيادة قوة المحرك من ٣٠ حصان بخاري في السنة ٩٠٩ الى ٦٣٠ في السنة ٩٣٥ ، و ٦٠٠ في السنة ١٩٣٤ ، ثم وفي الوقت عينه اصبح ممكنا الطيران من غير توقف طائرة المحركات على فصل غير قارة والقارة الواحدة في اخر السنة ١٩٣٥ ، و وتحققت قام الا لمسافة ٥٠٠ كم في السنة ٩١٩ الى في السنة ١٩٢٠ و ١٧٠٠ في السنة ١٩٣٠

وهكذا تمكن الطيران من تحقيق سرعة بين القارات المختلفة بين الارض تضيق بالامور ثم بين الارض المجمد ويرتفاع السطحي ، عند سير بعد ٩٠٩ ، يتم تشويه وربح في جانبهم في السنة ١٩٢٠ وفي السنة ١٩٣٥ تغير عمل السروج الاطلسي السطحي بين بيونوس ايرس في ٥٠ ساعة على طائرة ذهاب كم ٢٢ متصدياً في السنة ١٩٢٥ ، حسابات الاطلسي السطحي من الشرق الى الغرب في ٣٠ ساعة ، طائرة من طراز سير كير وتكرر من بعد طائرة الرحلات غير الاطلسي في السنة ١٩٣٥ ، اصبحت طائرة القاعة السطحية بين بوانس وبيونوس ايرس وباباً وفي السنة ١٩٣٦ انعقد المحطة السطحية بعد سافة فرنسيسكو وهونولو وفي السنة ١٩٣٦ انعقدت الخطوة حول العالم في اربعة ايام وتحققت ايرفد والطيران التجاري فوق البحار والقارات من ٢ كلم في السنة ٩٢ الى ٣٣٦٠ في السنة ١٩٢٦ ، و ٢٩٠٠ في السنة ١٩٣٠ ، و ٥٥٠٠ في السنة ١٩٣٥

حين التحسب الرسمة والسلامة سريعتين ، أفح تماثلهم حجم الطائرات واستخدام محركين أقل وزناً وأكثر طاقة يرجعه سعة وزن صغير الطائرة الصغيرة الحديثة الصغيرة اصغيراً سريعاً فعمه من استحالت لنقل الوحدة المسافة لنقل المسلح والمسافرين وأصبحت الطائرة منتظمة بين سنة الكبرى ١٩٢٩ لسنة فرنس ١٩٣ وفرنسا كاربالاسكا وسنة السنة ١٩٣٠ ، نكن ٤٠٠ مسافر و ، هي من البعد عن طريق غير الى الرائحة المتحدة

ان السنة من مزيد من السرعة الحسن مباني الطائرات هو التفكير الفسح السكسي الى الامام الذي يعني من مزيد ازيد من جمال الحسن مباشرة وسنة السنة ١٩٣٦ ، حكم عرف يعشت هذا ، و السرعة ومدى بالطائرة متكاملاً الى الامام بوسطة متحدية خلفية ومزدوجة ، وتكون الطيار الثاني متحدث حركاً يعلم بالطائرة متكاملاً الى الامام بوسطة

الأدوات البسيطة الأولى القديمة ، تختلف عن مكائن ، تعمل ، للأدوات المتصلة المكائن الحركية كما أني بعض الآلات والأقمشة في آن واحد ، والتي سوف تُدرَّس سيتم تنظيم الجسم الرئيسي كما ان الآلات في أحد التوصيف ، الفوى المحرك ، والوردة ، وإيصال المنتج والصناعي ، والتصنيع الخ ، ورد أن جعله أصبح الآلات

٢ التطورات الزراعية

ان ظروف الانتاج الزراعي ، على عرار ظروف الانتاج الصناعي ، تخضعه بالتبدل تحت تأثير العلم الحديث

الآلات والمركبات : تعدلت الآلات والمركبات ، بجوار زادة تقدم الصناعات التكميلية وعلم الحياة ، وجه خاص في هذا خلال الـ ٥٠ سنة الأخيرة . وأحدث التطور الذي تخطو واسعة بعد الآن بدأ يشمل محرك الانتباه ، الذي أصبح أهم جزء من ، و المحرك الكهربائي الذي وفرت مرونته وسهولة استعماله امكانيته تماماً مختلفة وقد خدمة كثيرة في أعمال المزرعة . فأصبحت جزء من مصانع وأدوات آلية ، ومنشآت ثابتة ، والمحلات الكبيرة ، والمخازن ، أصبح ، الذي يحرك الحلاجات ، و الخلط بواسطة الكهرباء ، الخ . وأضيفت الى المخارث والآلات الخاصة ، و معدات تحلب الاصطناعي والآلات لنظر ، الآلات التي تجمع السابق وتدبي حبث محصول ، آلات تجمع ، حراثة الثمار ، والمزارع ، وتزرع البطاطا وتكلبها وتقلبها وتضعها في كيس ، وآلات حرق القش المنتشر وتطفه . وكنتيجة هذه الحركة تطهير الحرارة التي تختلفت تماماً عن اختلاف طبيعة الأرض والتربة ومساحات الاشجارات ، وهي الآلة والطائرة حتى ، ما وصلت الأحمة وعرض هواء إدارة الطيران ومكافحة الآفات الخطيرة في المكروم والحشائش ، وخلوص والتاجات الطائرة ، كذلك ، مستخدم الهواء في مساحات واسعة وفي وقت قصير جداً ، واستخدام الأسمدة الاصطناعية ، شغر ، في السنة ١٩٦ . وفحص الآلة لم توفر كسباً في الوقت والنفقات في العمل الفعلي فحسب ، بل انطباعاً ومرفقاً في فصل نفسها ، أ مكنت من توسيع حقول الزروعات في النفقات جديد . فمن السنة ٩٣ والسنة ١٩٣٥ ارتفع عدد الجرارات الى الثلاثة أضعافه في العالم في الولايات المتحدة ، ٥ ملايين مقارن مليون بين ٩٣٠ ، ١٩٤ في بريطانيا العظمى ، ٤ بدلاً ، ٣ في ١٩٣٠ و ٦ في ١٩٣٩ في الاتحاد الاشتراكية ، ٣٠ مقابل ٣ في ١٩٣٩ في تركيا ، ١ مقابل في ١٩٣٩ وارتفع عدد الآلات الأخرى ، ولا سيما الآلات الخاصة الحاصدة ارتفاعاً كبير جداً أيضاً . وهكذا فقد معظم الأعمال الزراعية في الحقول التي تحتاج لمكننة ، فقد حلت بريطانيا الآلات ٩٥ ٪ من حيوب في الولايات المتحدة تجمع بواسطة الآلات الخاصة الثلاثة و ٣

التربة الصالحة لزراعته القاطنات الآلية ، ، القطن في بحر شاطئ وفي الولايات المتحدة الا في الاجزاء الوسطى بعد الجزء الجبلي مقر الله وخوارزم وفي ربعه جديده، تحلب بالآلة كلها الا بعض ثلاثين

الكبيسة في الجنوب وصنع خيله

اصبح استخدام الآلات الحديثة الكبيسة عملاً سهلاً ت الكثافة ، صوبر فيرمنت فيرجنيا ، الاستعداد غركسا ، يزرع الرواس والقطن بطور والأرض حسب جنسه التربة و الظاهر وأصبح عاماً كذلك استخدام بعض مواد التشجير والجور الغير زيادة من مقاومة لاستجار لشجره قبره ، والزنك وأوصلت الرجس الذين مستعملان بجزء الآخر ، وحسنات الضغوط الحمالة ، الاعداد ت ، التي التي اقر حلت وليست لو ترب لو عني بالمقابلة على السوق في مناطق واسعة من بورات المناطق الجارة وهم علم الز الة المصري ، الهم الخصوص على و م اشتقاقه من سيالة سيطرة سيداً قادره على الحياة عدد أدبي من نظر ، الوتر الشمسي ، وعلى تحسين تصور مطارقة ت سعة ، وعلى الإثار في حصن سقف تصير جدة ضحت بذلك الحة هـ مناطق خاصة من الأراضي الشمالية السرد في كندا وروسيا وسيبريا ، وتحمل التهجير ، خلقت مناطق جديدة خلقية ، ويقصد الاحصاب الاستقاعي مكين الاكثار من آ سال القسل الز حد والخصوص على انسال فرقر صحة

النتائج الاقتصادية

يتصدد هذه الحراثق خيمة على جدار ربح الآلي الولايات المتحدة وكندا والاتحاد السوفياتي وبعض مناطق اوروبا فوجوجوكا واوستراليا

ولا يزال كثير من مدير فلاح يتصورون الحرثي التقليدية ، ولكن هذه الاعتقادات ، حسن منذ راضين الآن جهة وحظه الله العامة الزعة وعلت الى الشعبي عن التربح الاصناف الموروثة والاكتفاء بزراعة صنف واحد

لقد وقعت الأنباء ضلت مناسبة العامل الاصركي اكثر من ثلاثة فيما بعد السنة ١٩٤٠ ، وبلغت محصولها في اوسع الدورية جدد سنوات ٣٠ سنة ، وبلغت سنة الزراعي ، بالذات في تاريخ سنة السنة ١٩٣٩ والاعتماد به عاملة وغيره ، وهو الباحث الندوي ، بصورة عامة ، ما نفت عنه الآلة في بعض مناطق الاستغلال الصحراوي ، بتوزيع الولايات المتحدة ، الغنم ، ركب ، وهم الموزعون عرد والتركمان من تصرير ، لان استخدام العمال الأجورين استخدام مناطق قليل كثافة ، وتحسب العامل الزراعي ، حسب استغلالي الى عصر الآلات لا يحتاج الى جهد وراحة كبرى كما في الماضي ، وكان لا يتبع من عناصل الصنع ، وفي بلدان الاقتصاد الرأسمالي ، خصصت الاستهلاك الصغير الذي يراه او عوامل ابراه ، كما في سطوت الآلة ، وهناك ما تخصصت الاستخدامات والاستغلال لان ، والاستغلال الكبيرة وحدها تكون في وضع ملائم النسبة للآلة ، فرنسا ، فيرتفع متوسط مساحة مزرعة الأسرة من ٥٠ هكتاراً في السنة ١٩٤٩ الى ٩ هكتار في السنة ١٩٥٥ ، وانخفاض الفلاح اصبح أقل

تأثر بالظروف الجوية وقلل عناء يعمل مضرباً وعسى ان حدث ان لا يقدم بالقرب من مشاتره
خلفه ان اكثر تأثراً بالحرب ، الزكيمة والعروسة ، وداني الآخرين من جوانب كلفه الارصاد
وهو قد اعتبر ، يفعل مشاغله متعمداً في ناحراً مضطراً لان يخضع للتخطيط ، وان يتحمل
من اجل من قرضيته لتخطيطها

زادت الكثافة من ارتباط الزراعة بالصناعة والخطاطات الاخرى عبر اقتصاديه في الاقتصاد
التي توفر لها اجراءات والوقود و كسبت القطاع الزراعي مساحته و سعة خصصت من قبل
الزراعات الكثيفة الضرورية عبولاته اجر ، وتخصصت مبادئ الزراعات التجارية ، فارتفع من
اجل الانتاج الزراعي ، والفرت الاحمال يزيد من الدورة ، فالمساح ذلك ، طبقة ايام السنة ،
باستخدام الآلات وبدأ عامة عن هامة صبيب-وي مناطق عندرد الامريكي السودة الشرسة ،
الالسنة للكثافة للزراع ، المتنقل ، من يأتي بآلاته ويزاول عني الحراثة والبذر في الخريف ولا
يعود الا في الصيف التالي مع آلته المخصصة ، الدالة لجمع الحصاد ، وحست ظروف العمل
الزراعي الفني بذلك. فقل العدد واعلالاً فان استخدام الطاقة الآلية او كبيرة الارض والخاتم ،
والبذور ، قد قلت احتمال الزيادة راساً على عقب وخصوصاً في التربيب ظروف سنة السلام
من ظروف سنة ابن الحديثة

على خلص ذلك زادت بكثافة من خطورة المزرعي في الضمان عبر الناتجة التي تتعثر فيها
البطالة ولا يتوفر فيه العمل الزراعي خلال ايام السنة فالبطالة الاضافي ، اذ ان العمال الموسمي
بسبب من ميل العيش يجدر عملاً لهم في مناطق الاخرى ، فلم يستند منه سوى كبار
الملاكين وكبار الزراعيين ، القادرين وحدهم على اقتناء المعدات الجديدة ، و كانت النتيجة
اتساع الهوة بين الاثرياء والفقراء وصوصه في ذلك جيداً في الشرق الاوسط

٣ ـ النتائج الاجتماعية

تطور في ... الحد ... اب زيادة الايرادات التي بالت تمكنه بتطور الصناعات الاشتراكية ، فقد
تدالت ظروف معيشة الانسان بعناصر تدريجياً فضلاً عن تحسنها على الصعيد
اليومية على السواء.

حدثت الآلات من بقرب التطبيق لتقدمها الاهمال الريفية الاكثر ... صورت ، من جهة ثانية ،
كما سبق ورأينا ، خطر كبيراً من البطالة الحادة ، اي انها خلقت ظروفاً مؤاتية لتخفيض حجم
العمال ، فاستخدمت الآلات الثالثة حركة في مصانع الورد تخفيض البطالة العمال بنسبة ٩٠ ٪
ومضاعفة الانتاج ، وقد ساعدت لسهل في البوم ومن الضروري ان التحقيقات العمالية سعت وراء
فرص هذا العامل الاخير ، بالتفضيل على تخفيض عدد العمال تخفيضاً كبيراً ، اي على ابطالهم فان
اصبوح لتمرين ساعة ، التي اعتمد اعتماداً شبه شامل في الصناعة الاوروبية حوالي السنة ٩٠ ،

مع بعض الاختلافات. محمد الذي قد هبط الى ١٨ ساعة في ٩٢ و ٥ ساعة في ٩٣٧
قد هبط يوم ١٥ الخامس من ٥٠ ساعة في ٩٣٥ الى ٩٣٥ ساعة في ١٩٣٧. الآن
الآلة قد هبطت عند ٥٠ ساعة. وبعد تحركا مناسبا بطيئا ٤٠ ساعة في ٩٤٤ و ٤٢ في
١٩٤٣ و ٩٦ في ٩٥٧ و ٤٢ و ٥٠ ساعة في ١٩٣٥ و ٩٣٥ و ٩٣٥ و

بسبب الزوغ والتقاعد المبكر والأمراض . يضاف إلى ذلك من جانب آخر أن [illegible] في بعض القطاعات الأخرى مثل [illegible] [illegible] للكمبيوتر [illegible] الاحتياجات والحلول للمطورين . [illegible] الالكتروني [illegible] لأن الأمر في وقت قصير جداً . [illegible] معلومات [illegible] البترول وفي المصارف وشركات الطيران [illegible] المتخصصة الكبرى . [illegible] استخدمت الأجهزة الالكترونية استخداماً واسعاً .

ويجدر بنا أن نشير إلى خطر البطالة [illegible] التي [illegible] مثلاً ، زوال [illegible] التي كانت [illegible] الأجهزة الالكترونية التي [illegible] [illegible] يتقاضون أجوراً مرتفعة ولكن ارتفاع كلفة الآلات [illegible] ساعة [illegible] [illegible] على [illegible] العمل [illegible] [illegible] أقل [illegible] على [illegible]

[illegible] الآلي [illegible] [illegible] الآلي [illegible] [illegible] الآلات الالكترونية من أجل [illegible] [illegible] الأشكال [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] من ذلك في [illegible] [illegible] [illegible] بنسبة كبيرة [illegible] في سنة ١٩٦٠ [illegible] ١٩٣٣ – ١٩٣٦ [illegible] سنة ١٩٤٤ [illegible] الارتفاع [illegible] [illegible] الأجور [illegible] أجور [illegible] [illegible] مستوى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في أي [illegible]

[illegible] كانت [illegible] الشعب [illegible] [illegible] [illegible]

يجب ان نوجه الاستعمال الآلات لا لالات تقتل ، كما كتب كارل ماركس ، والنظـــام الرأسمالي ، الى التنمية الكاملة لكل فرد ، فالتقدم التقني يمكن ان يقلل ساعات العمل ، ويكثر الفرص للاستمتاع بالحياة ، ويتيح لجماهير الشعب الفرصة للمشاركة الواعية في الأعمال التي تصنع مصيرهم ، وان يمنح جميع الأفراد فرصة متساوية ، فلماذا لا يستغل هذا التقدم بدلا من أن يستغل ؟

مسألة القرن العشرين الكبرى
تغذية سكان يتزايدون تزايداً سريعاً

ان التقدم المدهش الذي أحرزته العلوم والتقنيات والذي نرصد له في القسم الثاني من هذا الكتاب لم يسر ، منذ القرن التاسع عشر ، وتيرة واحدة في جميع أنحاء العالم ولم تعم ثماره جميع السكان . وكانت هذه الثمار التي نتمتع بها اليوم ، نحن سكان البلدان الصناعية ، ثمرة تطور طويل استغرق عدة أجيال . وهي لم تعم بعد الشعوب التي تعيش في أنحاء أخرى من العالم . فالكثير من هذه الشعوب لا يزال يعاني الفقر الأكبر من أي وقت مضى ، وهي تعيش في ظروف صحية سيئة ، وتعاني من الجهل ، وتعاني أكثر ما تعاني من الجوع . وهذا التباين بين شعوب غنية وشعوب فقيرة ، لم يبدأ في القرن العشرين بل يعود إلى أقدم العصور ، ولكنه لم يكن قط بهذا الاتساع الذي بلغه في أيامنا هذه .

لقد تضاعف عدد سكان الكرة الأرضية مرتين على الأقل منذ بداية التاريخ المدون . وقد قدر بعض الباحثين عدد سكان العالم في منتصف القرن السابع عشر بـ ٥٠٠ مليون نسمة ، وفي منتصف القرن التاسع عشر بـ ١٠٠٠ مليون ، أي أنه تضاعف في مدة ٢٠٠ سنة . وقدر آخرون عدد السكان في منتصف القرن السابع عشر بـ ٤٥٠ مليوناً ، وفي منتصف القرن التاسع عشر بـ ٨٥٠ مليوناً ، أي أنه تضاعف في مدة ٢٠٠ سنة أيضاً . وقد قدر عدد السكان في سنة ١٩٥٠ بـ ٢٤٠٠ مليون نسمة ، أي أن عدد السكان قد تضاعف في مدة ١٥٠ سنة فقط . وهذا يعني أن معدل الزيادة السنوية قد ارتفع من ٠,٥ في المائة في القرن السابع عشر إلى ٠,٨ في المائة في القرن التاسع عشر ، ثم إلى ١,٥ في المائة في القرن العشرين . وهذا يعني أن عدد السكان قد تضاعف خلال ثلاثة قرون ، أو ٣٦٥ مليوناً في ٢٦٢ سنة ، وسوف يبلغ ٣٣ مليون نسمة سنوياً في السنة ١٠٠٠ . وهذه الزيادة تعد هي نفسها الزيادة في آسيا التي تقدر أن عدد سكانها ربما ارتفع من ٣٠ مليون إلى ٢٤٨٣ مليوناً ، بينما يقدر أن عدد سكان أوروبا قد ارتفع إلى خمسة أضعافه ، أو بحدث القدوم الأسرع كما هو طبيعي ، أعظم زيادة . أن عدد سكان أمريكا الشمالية ارتفع من ٦ ملايين تقريباً فحسب عندما بلغ ٢ ملايين ، وارتفع عدد سكان أمريكا الجنوبية إلى ٦٠ مليون . وقد حققت معدل الزيادة عملاقاً كبيراً في الزمان والمكان ، وهو معدل الاختلاف وحسب السرعة في الزيادة في بعض أجزاء الكرة الأرضية ما خفضنا التوازن السكاني والاقتصادي في العالم وجعلا الأمم المتقدمة تتسع وتتعاظم .

ان أوروبا هي القارة التي بلغ عدد سكانها أعظم ارتفاع خلال القرن التاسع عشر ، ولكن

الطاقة الكهربائية من مصادر متجددة في شمال القارة الأسيوية

يمتلك القارة الأسيوية كمية هائلة من الطاقة الكهربائية المتجددة، وفي المقدمة الطاقة التي تنتج من تساقط المياه في شمال القارة، حيث تمتلك أكبر عدد من المحطات الكهرومائية في العالم، وتعتبر هذه المحطات من أهم مصادر الطاقة الكهربائية في شمال القارة، حيث تساهم بنسبة كبيرة في تلبية احتياجات السكان من الطاقة الكهربائية

الـ « ملاقا » وقريبا مدا « كرنكورنيه » في الجنوب وبعد سكوبادي في الشمال ، لتنقسم البوكسيت الغني والاوروبي وهكذا استطاعت تتوفر كافة الظروف التي سوف تتيح وضع كافة موارده الكبرة الأرضية في خدمة البشرية وهكذا سوف تزول الندوة الاقتصادي المتفاوت في مناطق العالم المختلفة ويزداد معه عدم التوازن في علاقات القوة الذي القمي كل وجوده سالد وسوده

الخلاصة

ولا في حضارات الماضي الجماعية ، ولا في هيكل النظام الذي لم يكن البشر أحراراً حقاً فيه ، لم يكن النظام الذي نتصوره جيداً الذي يلائم البشر فعلياً ، لم نكن يوماً حتى الآن من نكان العالم الذي نعرفه نظرية نظرية في الجانب الاقتصادي . انظر في كتابنا عن : تحرير الاقتصاد ، الاقتصاد ، ١٩٦٢ .

ان تعقد الفكر قد غلب نظام المراتب بين القادة والمقودين وجعله جداً صعباً ، وجعله السياسة والاقتصاد إلا أن هذه الأخيرة ، بالرغم على التعقد العقلي ، وعملة العمالة ، وتركزها الرأسمالي ، لا تصلح الأفكار ، وتكاثر الفن ، لا تزال الأمر الذي يجب أن يلتصق به ، وبالتالي في عقل الحس الا اكتشاف الحياة خلاق لم ستتردد ، وليست للمراكبين الحاليين التي تجاري في القرن الأخير من الأفكار الأزمنة ، موى ابتداء ، ومراحلات ، مناطق ، وهذه وتلك هذه المراكز تسوحب وتلتقي من خراطيها وجمعتان حين عندهم ، أضاف الى ذلك ان الناس ، وهم ، لم يكونوا كسلة للأشياء كتلك مثلاً ، وبرودة المشاة ، وبعد نصف القرن عن كذلك نظام الأشياء والجمعيات نفسه ، وجدد هناك ، العالم ، والذي وطرح كلمة المناقص تقريباً يصدرات جديدة ، ورثت بذلك في الأجيال التي بلغت سن الرشد بعد الحرب ، شعور ، أصبحاً بعدم الاطمئنان ويقرب بهذا العالم عن عجزه العلاجه من الأداء ، وحال الموقف معاصرين في تصرفاتهم الاستراتيجية

لقد تولت الاقتصاد الكلاسيكي القديم اصدار حسيبه ، وهدمت الى اعتقاد من هذه أسباب جزءاً كبيراً من الفكرة الأرضية ، وأكثر من ذلك ، كان الفن انقسم الى الكتابة السيئة حتى لم يعد الانتاج خاصعاً لسنة الكسب بل حفظ تخطيطاً كلياً ، أضاف الى ذلك انه توقعت تشريعاً تخطيطاً ، حيث لم يزل من النظام السائد في الأجزاء الأخرى من العالم ، فان تحريرها من التوازن بين الانتاج والاستهلاك ، وانعدام الأسواق لتصريف المنتج حادم النظام ، وصنع حاسات ، فاخترع اختلفته في وقت واحد والتوقيعات الفجائية التي تحدث عن في الاقتصاد ، جعلت التدخل

ان تدخل الجيش في الحياة السياسية والاقتصادية في تركيا ليس ظاهرة جديدة في تاريخ الجمهورية التركية، فقد سبق للجيش أن قام بانقلابات عسكرية عديدة، وكان يعتبر نفسه الحامي الأول للعلمانية التي أرساها مؤسس الجمهورية مصطفى كمال أتاتورك. وقد كان الجيش يتدخل في الحياة السياسية كلما شعر أن هذه العلمانية مهددة، أو أن الحكومة المدنية غير قادرة على حماية النظام العام. وقد قام الجيش بانقلابه الأول عام ١٩٦٠، وكان الانقلاب الثاني عام ١٩٧١، أما الانقلاب الثالث فقد وقع عام ١٩٨٠، وكان الانقلاب الأكثر دموية في تاريخ تركيا الحديث، حيث سقط خلاله أكثر من خمسة آلاف قتيل، وأكثر من مائة ألف معتقل سياسي.

وقد كان الانقلاب الأخير الذي قام به الجيش في ٢٨ شباط ١٩٩٧ مختلفاً عن الانقلابات السابقة، فهو لم يكن انقلاباً عسكرياً بالمعنى الحرفي للكلمة، بل كان انقلاباً ناعماً، أو ما يسمى بالانقلاب الأبيض، حيث لم يتم فيه استخدام القوة العسكرية، ولم يسقط فيه أي قتيل، ولم يتم فيه تعطيل الدستور أو حل البرلمان. وقد اكتفى الجيش بإصدار بيان عسكري يطالب فيه الحكومة بالاستقالة، وهو ما حدث بالفعل، حيث استقال رئيس الوزراء نجم الدين أربكان في ٣٠ حزيران ١٩٩٧، وتم تشكيل حكومة ائتلافية جديدة برئاسة مسعود يلماز.

ولكن على الرغم من أن الانقلاب الأخير كان ناعماً، إلا أنه كان فعالاً جداً، حيث تمكن من تحقيق أهدافه بالكامل، وهي إزاحة حزب الرفاه الإسلامي عن السلطة، ومنع أربكان من العودة إلى رئاسة الوزراء، وتشكيل حكومة ائتلافية جديدة تكون أكثر انسجاماً مع توجهات الجيش العلمانية. وقد نجح الجيش في تحقيق هذه الأهداف بالكامل، حيث تم حل حزب الرفاه، ومنع أربكان من ممارسة العمل السياسي لمدة خمس سنوات، وتشكيل حكومة ائتلافية جديدة برئاسة يلماز.

تشكل ام فكر الاساسي لدور الفرد في التاريخ ، وما الى العصر الحاضر فانها ، ولكنها ترتدي اشكالا أقل سفاطة ؟ موريس دوفرجيه

*

[illegible] في البلدان التي تسطر عليها كالسد الاكبر العربية [illegible] واصدرت اجتماعية الطابع من اجيال الأخيرة الفصل بين فروع الانتاج والتوزيع واحلال التصنيع الرأسمالي والفكر التقدم على اجور الطبقة العاملة في [illegible] الأجنبية ، وفي [illegible] الذي يقوم بتأميم [illegible] الاجتماعي هيكله بتطور عميق ، سواء ملتصلا من الخارج الى [illegible] حلا مرحلة النظام الحر ، فان التيار الاجتماعي الذي حركه و [illegible] الأمر في كافة البلدان ، فقد فيض سياسة الدولة ، و [illegible] تصحب عادة [illegible] في البلدان المتخلفة ازاء [illegible] عديدة تعترف [illegible] الثورة الفاسدة او اقله بعض [illegible] وسيئ ، مصدر التبرعات وتجار عديدة ، التعامل [illegible] في كافة بلدان العالم [illegible] ومنشأة التصنيع [illegible] بالكثير [illegible] طريقة واحدة السلبي ، والتوزيع غير العادل ، ومنشأة التصنيع [illegible] لتشجيع صناعاته ، والاستعانة بخبرات [illegible] تأثير التصنيع ، والاعتماد الاستثماراته في الضرائب [illegible] خاطئة [illegible] ، وتعتبر [illegible] الدولة ، التي تزيد كثيرا عن المثل الاعلى للاستعانة الغرب الخاص عشر وصلاتهم في القرن التاسع عشر أحيانا في القرن [illegible] وتحد من تطوره هذه [illegible] عوامل [illegible] الاقتصاد ، التفكير ، [illegible] الضبط الكفء في [illegible] الصناعي الكبير ، الذي [illegible] . كما [illegible] وضعه [illegible] الضغوط عديدة متناقضة ، في [illegible] يعتقد بعض [illegible] ان [illegible] في [illegible] بأن التضال السياسي وحده كاف [illegible] حاجاته ، [illegible] الضغط الخارجي والمطلوب [illegible] من اجل [illegible] النظام الحر الذي تقابل الضغوط . أصحاب الكلاسيكة [illegible] النظام الحر ، الذي [illegible] التي كان عليه [illegible] ، على خلاف [illegible] ، والذي يستفيد منه [illegible] كاملة دون نظر وعدد من القيود ، هو ناقد الذي استفاد من امتياز الدور

*

[illegible] [illegible] ، وان [illegible] ، كما كان في [illegible] التاريخ ، قد [illegible] الضغط الفردي تخلفا تاما [illegible] على [illegible] الوحدة الفكرية و [illegible] ، التي فرضتها [illegible] وروبا القضاء [illegible] [illegible] [illegible] الزراعي و [illegible] الشرعي [illegible] على الأرض [illegible] وحرية [illegible] ، [illegible] التي يتميز عن هذه الاوضاع الاساسي [illegible] وتحليل [illegible] في الحقل السياسي والاقتصادي ، وعن [illegible] من عوامل كانت [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]

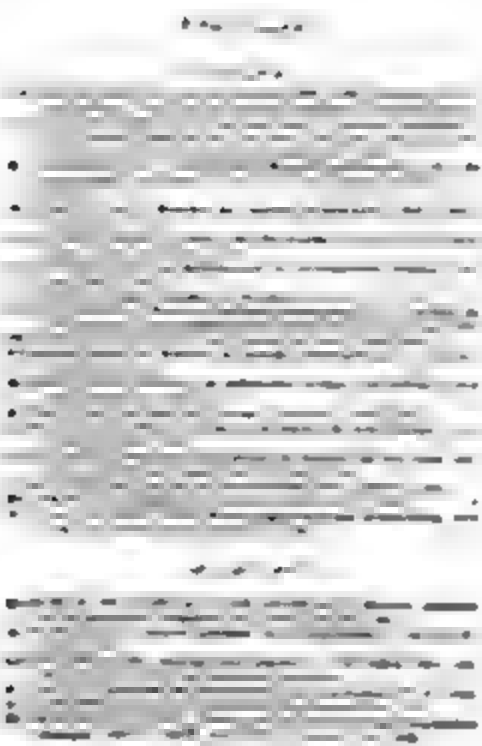

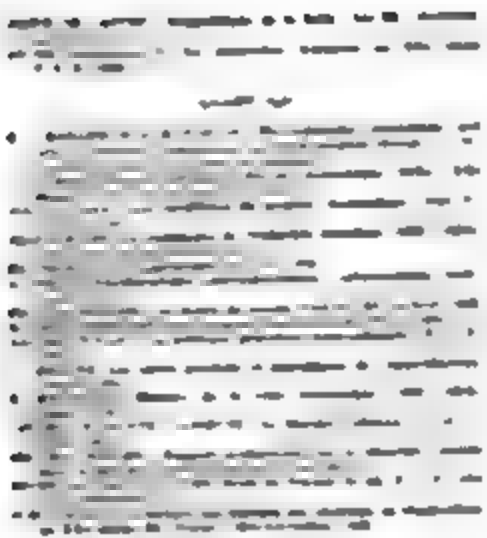

A. LAVERGNE et A. SIEGFRIED, Les Grandes puissances et la vie politique (1931)

[illegible] Histoire du siècle français, 1848-1900

Yves DANIEL et Marcel [illegible] Géologie régionale et notions générales. Actes du IVe Congrès International (1963) 1965

P. [illegible] Le commerce de la [illegible] 1914

André [illegible] Manuel atlas des colonies, Paris et Lyon. Ouvrage de la [illegible] 1931

Antoine [illegible] Atlas du monde chrétien. Ed. Chrétien 1964

R. [illegible] Histoire générale du protestantisme. 1 [illegible] et compagnie (1971) 3e édition P. F. 1964

Pierre [illegible] Textes et vies, petites leçons, politiques contrôlés, Librairie générale de Paris (Poche Pluriel) 1994.

الجزائر

Frantz [illegible] La Transmission des intermédiaires. Genève [illegible] 1963

R. [illegible] La presse dans le contact contemporaines, Lille, 1968 [illegible]

Albert [illegible], Genève, La genèse et la naissance d'une littérature. Ed. [illegible]

المغرب

J. F. O. [illegible] La conquête de la guerre de 1900 à nos jours. Payot, [illegible]

R. [illegible] Histoire mondiale de la stratégie. Ed. par [illegible] Perrin Paris 1993

Jean [illegible] Les civilisations de la guerre moderne (1900 - 1945)) Ed. Paris 1963

R. [illegible] et C. [illegible] La puissance navale dans l'histoire t. III De 1815 à 1914 Ed. maritimes et d'outre mer 1965

Général [illegible] Histoire de la guerre aéronavale, l'aéronautique 1964

المغرب العربي الأول

P. [illegible] Chronologie de la guerre mondiale, du Danube à Versailles (28 juin 1914-28 juin 1919) Payot 1964

Général Yvon [illegible] La Russie dans la guerre mondiale, 1914-1917

[illegible] Le triomphe des forces économiques, Société d'histoire économiques maritimes et coloniales 1964

E. T. [illegible] Les dessous de la défaite, Ed. Payot 1930

R. [illegible] La guerre sous les mers, Hachette 1964

Jacques [illegible] et Annie [illegible] Vie et mort du Français 1900 - 1964 Hachette 1990

المغرب العربي الثاني

Mario [illegible] L'énergie atomique, Développement dans le Monde, avec 66. A. [illegible] 1957

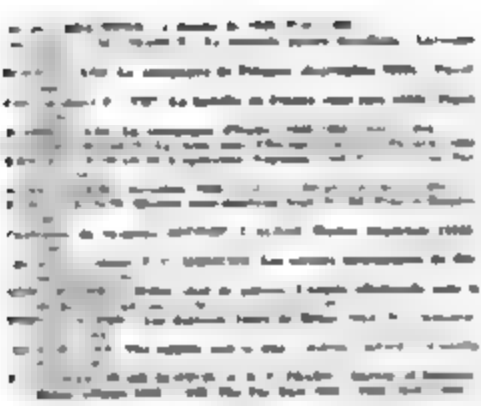

PIERRE ramadier L'anneau de [illegible]. Ma 64 P U F 196
[illegible] Le Russie et ses voisins. Trad fr Payot 1964
JEAN BRUHAT Histoire du [illegible]. P U F 3e ed 1964
[illegible] Avec documents [illegible]
E. WALTER ELLE L'évolution de la pédagogie soviétique. Trad fr [illegible] 1964
PIERRE [illegible] La société soviétique (1917 1964). A. Colin 1964
COMTE [illegible] La vie religieuse en [illegible]. Plon 1961

أوروبا الوسطى والشرقية

EDGAR [illegible] WATKINS Eastern Europe between the wars 1918 1941 [illegible] Press 1945
JACQUES [illegible] L'Europe centrale. Evolution de l'idée de «Mitteleuropa» P [illegible]
A [illegible] La Russie de Pierre [illegible]
L [illegible] La [illegible]
[illegible] [illegible] WATKINS The East european revolution. [illegible]
P [illegible] Les démocraties populaires [illegible]
C [illegible] La Yougoslavie socialiste [illegible]
[illegible] Le Marché Commun [illegible] Principaux [illegible] problèmes de l'Europe [illegible]

أمريكا اللاتينية

[illegible] AUBERT Amérique latine P U F [illegible] coll «Thémis»
[illegible] [illegible] Amérique [illegible] P U F [illegible]
[illegible] [illegible] Brésil structures sociales et institutions politiques [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] La République Argentine P U F 1964
[illegible] [illegible] [illegible]

مسائل التحرر في آسيا وإفريقيا

[illegible] [illegible] Le monde des colonisations. A Peyret 1964
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] Peuples et [illegible] Afrique, Asie du Sud [illegible] [illegible] politiques économiques [illegible]
PA [illegible] Le destin du Vietnam [illegible] Fondation [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
RENE [illegible] La fin de l'empire colonial français [illegible]
[illegible] [illegible] La Communauté internationale face [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

مسائل البلدان الاسلامية

LOTHROP STODDARD. Le nouveau monde de l'Islam, Payot, 1929 ; 1949.

JACQUES BERQUE. Les Arabes d'hier et de demain, Ed. du Seuil, 1960.

GIBB, Les tendances modernes de l'Islam, trad. fr., Maisonneuve, 1949.

WILFRED CANTWELL SMITH. L'Islam dans le monde moderne, trad. par A. Guimpretière, Payot, 1962.

الشرق الأدنى

SIR READER BULLARD, The Middle East, a political and economical survey, 3e éd. Londres, Oxford University Press, 1958.

P. HELLER, La question arabe, P.U.F., 1948.

P. MONTAGNE, La civilisation du désert, Hachette, 1947.

M. CLERGET, Le Turquie, passé et présent, Colin, 1947.

MARCEL COLOMBE, L'évolution de l'Egypte (1924-1950), Maisonneuve, 1951.

PERCY SMOOTT, L'Iran devant le progrès, P.U.F., 1964 (coll. «Tiers Monde»).

شمال افريقيا

ANDRE PALK, Israël, terre deux fois promise, Ed. du Seuil, 1964.

ARTHUR KOESTLER. Analyse d'un miracle, trad. fr. Calmann Lévy, 1949.

افريقيا الشمالية

DESPOIS, L'Afrique du Nord, 3e éd., P.U.F., 1964.

CH. A. JULIEN, Maroc et Tunisie. Le problème du protectorat, cahier no. 2 de la Nef, mars, 1953.

NORBERT MONTAGNE, Révolution au Maroc, Ed. France Empire, 1953.

CHARLES HENRI FAVROD, Le F.L.N. et l'Algérie, Plon, 1962.

ANDRE MOUSCHI, La naissance du nationalisme algérien (1914-1954), Ed. de Minuit, 1962.

THOMAS OPPERMANN, Le problème algérien, Maspero, 1963.

YVES-MAXIME DARAN, La vie politique à Alger de 1945 à 1962, Lib. Gén. de droit et de jurisprudence, 1963.

افريقيا السوداء

ROBERT et Bd COSNEVIN, Histoire de l'Afrique, Petite Bibliothèque Payot, 1964.

JEAN SURET CANALE, Afrique Noire, t. II, l'ère coloniale (1900-1945), Ed. Sociales, 1964.

JACQUES WEULERSSE, Noirs et blancs, Colin, 1964.

MICHEL DEBORAMPS, Les institutions politiques de l'Afrique noire, coll. «Que sais-je?», P.U.F., 1965.

H. HOLAS, Le péril racisme religieux en Afrique Noire, P.U.F., 1965.

GEORGE PADMORE, Panafricanisme ou communisme, trad. de l'anglais, Présence africaine, 1956.

MAHADOU DIA. Démocratie africaine. Etudes et problèmes contemporains. Dakar, 1957
J. BOYON, Naissance d'un Etat africain. La Ghana, s. Orsin. 1960
HUBERT DESCHAMPS, Histoire de Madagascar. Berger Levrault, 1961.
LEO KUPER, The pluralism of South Africa. 2e ed. Londres. Oxford Univ. Press, 1962.

الشرق الأقصى

F. HENGOUWIN, La question d'Extrême Orient, Hachette 3e ed. 1956.
PIERRE FRANCE, Le revolt de l'Extrême Orient. Gallimard et révolutions. 1954 1964 Les Presses de Versailles. 1964
W. MACMAHON BALL, Nationalism and communism in East Asia, Melbourne U. Press Univ. Press 1952
HELENE CARRERE D'ENCAUSSE et STUART SCHRAM, Le marxisme et l'Asie (1853-1964). A. Colin. 1965

الصين

GEORGES MASPERO, La chine. t. II. Delagrave. 1926
J. J. SHIEUK, La Chine du nationalisme au communisme. Ed. du Seuil, 1960
H. Z. HSIUNG, L'économie de la Chine par l'Occident, trad. fr. Ibid. 1955
YACQUES GUILLERMAZ, La Chine populaire. Paris. P. U. F. 1964.
HENRI DUMONT, Révolution dans les campagnes chinoises, Ed. du Seuil. 1974
TIBOR MENDE, La Chine et son ombre trad. fr. Ed. du Seuil 1960

اليابان

AYABORI OKABAKI, Histoire du japon. l'économie et le peuple. Mém. Cahier 32 de l'Institut national d'Etudes démographiques. P. U. F. 1956
ROBERT GUILLAIN, Le peuple japonais et la guerre. Chaque vous (1938) 1945 (Albin). 1949
J. P. BARRET, L'évolution du capitalisme japonais. 1 vol. Ed. sociales. 1948 1957
JOHN M. MAKI, Government and politics in Japan. The road to democracy. New York. Praeger. 1962

الهند

LE THANH KHOI, Le Viet-Nam. Histoire et civilisation. t. Ed. de Seuil. 1955
JULES ROY, La bataille de Dien-Bien-Phu, Julliard. 1963
JEAN LACOUTURE, Le Viet-Nam entre deux paix. Ed du Seuil 1966

عام

MARIE HENRIE PERROT, L'économie du Tiers. P. U. F. nouv. ed. 1964

ETIENNE GILBERT, L'Inde, Genève, Droz, 1956.
CHARLES BETTELHEIM, L'Inde indépendante, Colin, 1962.

سياسة الهند الخارجية

TIBOR MENDE, L'Asie du Sud face contre deux mondes, Ed. du Seuil, 1954
PIERRE FISTIE, Singapour et la Malaisie, P. U. F. 1961
GEORGE MCTURNAN KAHIN, Government and politics of South East Asia, Cornell (U.P.), 1955
CLAUDE ALBERT COLLIARD, La question d'Indonésie, Lib. Gén. de Droit et de Jurisprudence 1950
W F WERTHEIM Indonesian society in transition. La Haye. W. Van Hoeve. 1958

مراجع عربية

هذه قائمة بالمراجع العربية التي استعان بها مؤلف هذه الموسوعة في إعدادها. وقد حاول أن تكون هذه القائمة شاملة لكل المراجع التي استعان بها المؤلف، ولكن قد يكون قد فاته ذكر بعض المراجع. وقد قام بمراجعة هذه القائمة الدكتور [illegible] الأستاذ بجامعة [illegible] وقد أفاد من هذه القائمة الكثير من الباحثين في الدراسات التاريخية العالمية لما تحتويه من مراجع قيمة في التاريخ العام.

نعتذر إلى كل الباحثين في هذه الموسوعة لعدم ذكر أسمائهم في هذه القائمة.

الناشر

الحرب العالمية

الحرب الأوروبية ١٩١٤ - ١٩١٨

توماس لوثل - نورالس في بلاد العرب. تعريب كامل محمد محمد عويضة. الشركة العامة لمطبعة الكتاب الوطنية ١٩٣٧، ٢٦٢ ص - صور - خرائط.

الدباغ، عمر محمد. الحرب العظمى الأولى. بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦١، ٥٧٦ ص - خرائط - صور.

لوتون، فرنسواز. الحرب الأوروبية. ترجمة نبيل رياض. القاهرة، مطبعة الهلال، ١٩٦٦، ١٨٤ ص.

المقدسي، جرجس كنوري - أعظم حرب في التاريخ وكيف حرب أيامنا. بيروت، المطبعة العلمية، ١٩٢٧، ١٢٨ ص.

بيتون، حاي. مواقف الحرب العالمية في الشرق الأدنى. موجز لتاريخ حادث المدينة في هذا الشرق. وضعه الجزء الخاص بالدورة - بيروت، مطبعة الكشاف، ١٩٠٦، ١٤٩ ص.

روالتس، كوري نطرس. أعمال الرأفة في الحرب الكبرى. بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٣، ٥٢٠ ص.

جيش العالم الفرنسي للسودان الغربي في الحرب ـ باريس ، ليرو ، ١٩١٤ ، ص ٣٨٩

حسين فاضل محاضرات عن مؤتمر برلين وآثاره في البلاد العربية القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالمية ، ١٩٥٨ ، ص ٢ ـ ٣

منير ، امري النتائج السياسية للحرب العظمى ، ترجمة محمد عبدالله ـ القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٩ ، ص ٣٢٥

حرب بين بريطانيا العظمى وملكة والمكتب الاسبق الانكليزي وهو يتضمن اهم سلات الانكليزية الى عهد الدبلوماسية والسياسة قبل وقوع الحرب بسبب اختلاف وجهات القاهرة ، دار المعارف ، ، ١٩

تاريخ الحرب العظمى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، ج ٢ ، بيروت ، المكتبة الاهلية ١٩٣٨ مجلدان صور ـ خرائط

جورج ، احمد كيف دخلت تركيا الحرب العالمية الحرب فؤاد صدقي ، بيروت ، ١٩٣٣ ، ص ٨٤

جزير بك سوريا ولبنان في الحرب العالمية ترجمة فؤاد صدقي بيروت ، ١٩٣٠ ، ص ٣٨٤

الحسني ، قابز ، مذكراتي عن الثورة العربية دمشق ، مطبعة ابن زيدون ، ١٩٣٩ ، ص ٣٢٢

الحمد ، نوري محاضرات عن حركات المقاومة العربي في عهد الحكم العربي في عهد الحكم ١٩١٦ ـ ١٩١٨ بغداد ، مطبعة الجيش ، ١٩٦٧ ، ١٨٠ ورقة . خرائط

الخاص العربي الكتاب الاسود يحتوي على مناقشة ابن السعود مع الانكليز ومضاربه ابن الرشيد ابن السعود من اجل ذلك ، ١٩١٥ ، ص ٣٩

دوغمي ، سليمان الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى عمان ، دار الفتح والتوزيع ، ١٩٥٢ ، ص ٢٦٣ صور خرائط

العمري ، محمد امين ، تاريخ حرب العراق خلال الحرب العظمى سنة ١٩١٤ ، ٩٠٨ بغداد ، المطبعة العربية ، ١٩٣٥ ، ٣٠ اجزاء ـ خرائط

غدير ، شكري محمود الجيش الرومي في حرب العراق ، ١٩١٤ ـ ١٩١٨ بغداد ، ١٩٦٢ ، ص ٤٩ ـ خرائط

القرداغي ، يشار اربيل في حرب بروكا مطبعة حيدري ، ١٩٣٦ ، ص ٨٣ ،

ماضي ، احمد خليل ، تاريخ الحرب الكبرى شعره القاهرة ، مطبعة الهلال ، ١٩١٩ ، ص ٦١٢

أنطونيوس ، جورج ـ يقظة العرب ، ترجمة كمال سمدر ، الزكاني ، دمشق ، مطبعة الترقي ، ١٩٤٦ ، ص ٤٦٣

بسط ، نجيب محمد ـ سراج الشرق العربية التكويني وتأثيره الشريف حسين ـ بيروت ، دار الكتاب العربي ، ص ٣٩٩

الشرتوني ، يوسف . تشرشل يتكلم عن نفسه ، القاهرة ، مكتبة بيروت ، ٩٥ ، ص ٩٥

حرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥

فرج الله ـ عبد الغني ـ القاهرة ، مطبعة التوكل ، ١٩٤٥ ، ص ٤

كار ، اديثرة مالكت ، دعائم السلام ، ترجمة محمد فريد ابو حديد ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ص ٢ ، ٢

فرج الله ـ حرب الصحراء المصرية ، مجلة المغرب في مصر وشمالي افريقيا ، يونيو ٩٤ ، ديسمبر ٤٧ ، القاهر ، مطبعة المغرب ، ١٩٥٤ ، ص ١٢٦ ـ حوائط

كارلسه ريون ، الحرب العالمية الثانية ، ج ٤ ، سبيل حسنة والحرب مسعود ، بيروت دار مسعود ، اول الطباعة ، ١٩٤٦

لاوند ، رمضان ، الحرب العامة الثامنة ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٦ ، ص ٥٩٢ صور

عمر ، حسين ، الاقتصاد القومي في حرب السلم ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٦ ، ٢٣٠ ص

نصر ، صلاح ، الحرب النفسية ، معركة الكلمة والعقيدة ، القاهرة ، دار القاهرة للطباعة والنشر ، ١٩٦٦

الحرب الأهلية العربية

حرب ١٩١٨

الخطيب ، محمد ، الجذور التاريخية والتكوية فلسطين ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٧ ، ٣٦٨ ص ، صور

ابو فاس ، عبد الله ، حرب فلسطين ، م لاند ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ٩٥٣ ، ص ٩٤ ، صور

مونتغومري ، فيكونت ، مذكرات المارشال مونتغومري ، فيكونت العلمين ، ترجمة عبود سيار ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٢ ، ٣٧٨ ص

القصيري ، محمد فايز ـ الصراع السياسي بين السوفيت والعرب القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٦٠ ، ج ١ ، ٢٢٢ ص ، خرائط

عبد الناصر ، خالد فيصل ـ سيرة ١٩٦٨ تقديم انس صقور القاهر ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٨ ، ص ٢٠٢ ، صور ، خرائط

غالي ، محمد فاضل ـ دكريات وعبر كارثة فلسطين وأثرها في الواقع العربي بيروت ، مجلة الرى ، ١٩٦١ ، ص ٢٤٧ طبعة جديدة ١٩٦٥ ، ص ٢٧٢

النل ، عبدالله ـ كارثة فلسطين مذكرات عبدالله التل القاهر معركة القدس القاهرة ، دار القلم ١٩٥٩ ، ج ٢ ـ خرائط ـ وثائق مصورة

الافريقي ، محمد طاري الجهاد في سبيل فلسطين ، ١٩٤٨ دمشق ، دار الفكر العربية ١٩٥١ ، ٨٠ ص صور

إتفاقيات الهدنة العربية الاسرائيلية ، بيلط ـ دور ١٩٤٩ ، بصوص الامم المتحدة وملحقاتها بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٦٩ ، ٩١ ص خرائط

ابو النصر ، امر معركة العرب خلال الاستعمار والصهيونية ١٩٤٨ ـ ١٩٦٢ بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٢٩٦ صور ، خريطة

البيطار ، لبنى من التكتة الى الثورة بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٨ ، ص ٣٠٣

سامائي ، هدي جماهير وكونغرس بيروت ، المدوس ، ١٩٦٨ ، ص ٣١

حسونة ، ابصل ـ حرب فلسطين معركة فلسطين حربياً بغداد ، دار الجمهورية ، ١٩٦٢ ، ص ٨ صور ـ خريطة

حسين ، طلال حديث مع سرائيل بيروت ، دار النهار للنشر ، ١٩٦٨ ص ١٢٨

الخوند ، ابراهيم ـ حرب ٥ حزيران كما رواها رؤساء الدول بيروت ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٨ ، ص ٢٠٨

خطاب ، محمد شيت ـ الايام الحاسمة قبل معركة التحرير بغداد ، وزارة الثقافة والارشاد ، ١٩٦٢ ، ص ١٦٧ خريطة

سجل الأزمة حول الوقائع المتعلقة في البلاد العربية الحرب العربية الاسرائيلية ، بيروت ، دار الانجاد ، ١٩٦٧ ، ج ١

عاصي جبران مراحل قضية وتطوراتها بيروت ، دار الانجاد والنصر ١٩٦٨ ، ص ١٢٣

المعلم ، ماجد جلال ـ النقد الذاتي بعد الهزيمة بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٨ ص ١٧٣

الشابي، أبو القاسم. هوامش على دفتر النكبة. قصيدة طويلة. بيروت، ١٩٦٨، ٣٠ ص.

الشاعر، فؤاد. أسرار حرب حزيران. مصر: مكتبة مدبولي، ١٩٦٧، ٢٠٠ ص.

شرف، عبد العزيز. مع عمرات الصور والقاذورات والقنابل. بيروت: لا ن، ١٩٦٧، ٢٠ ص.

شلبي، صلاح الدين. أحمد الشكعة: بحث علمي في سحاب مخربة. حزيران. بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٧، ٢٠٠ ص.

شعر: أدب النكبة والنكسة والنكبة والمقاومة التي مات أن المعركة. بيروت: دار الكاتب العربي، ١٩٦٨، ٢٠٠ ص.

العالم العربي

تونس

دار الكتب المصرية. مائة عام بالكتب والمراجع عن تونس. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٨٦، ٣٥ + ٤٣ ص.

البشبلي، عمر بن عبد الله. تونس الجديدة. تونس: مكتب المغرب العربي، ١٩٥٥، ١٩٥٥، ٢٠٠ ص.

البشراوي، خيرات. ومضى الدم في المغرب العربي. بيروت: مطبعة دار الكاتب، لا ت، ٤٠ ص. صور، خريطة.

حلي، إسماعيل. تونس العربية. بيروت: دار الثقافة، لا ت، ٣ + صفحة صور.

درموله، برنار. تونس بين الاتجاهات. القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٥٣، ٩٠ + ٢٠٠ ص.

درموله، برنار. تونس بين الحرية والاستقلال. القاهرة: مكتب النيل، ١٩٥٤، ٢٠٠ ص.

أبو كباني، عمر. مختصر تاريخ الحركة الوطنية في تونس. تونس: مطبعة العمل، لا ت، ٥٧ ص.

بلاشة، غولا حسن. تونس في عهد الحماية، ١٨٨١-١٩٥٦. محاضرات. القاهرة: معهد الدراسات العربية العالمية، ١٩٦٣، ٢٠٠ ص.

الجمهورية التونسية. تونس اليوم. تونس، ١٩٦٤، ٣٠ ص. خرائط. صور.

الجزائر

الشابي، أحمد. دفاعا عن فلسطين والجزائر. تعريب شبري حماد. بيروت: المكتب التجاري، ١٩٦٢، ٢٤٠ ص. صور.

البجاوي ، محمد الشريف : الجزائر والكفاح ، ترجمة عن الفرنسية ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٦٥ ، ٤٤٢ ص

بوعزيز ، يحيى : بطل التحرير الأمير عبد القادر الجزائري ، عام ١٩٥٣ . — تونس ، الشركة التونسية ، ١٣٧٩ هـ ، ٣٦٢ ص — صور

بوعزيز ، يحيى : الوسيط في تاريخ الجزائر ومراجعه ، الجزائر ، المطبوعات الوطنية ، الجزائر ، ١٩٦٥ ، ج ٢

البشاري ، عبد الله : وصف المغرب في المغرب العربي ، بيروت ، مطبعة دار الكتب ، لا ت ، ٤٠١ ص ، صور — خريطة

بوزياني ، محمود مجاهد — تاريخ الجزائر — القدس ، مطابع دار الأيتام الإسلامية ، ١٩٦٥ ، ٢٨٣ ص ، صور — خريطة

جلال ، عبد الحاكم : فرنسا في الجزائر ، القاهرة ، مطبعة الدار للطبع والنشر ، ١٩٥٩ ، ٤٤٤ ص ، صور

جنسي ، جوان : الجزائر الثائرة ، ترجمة شبلي حنه ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦١ ، ٢٣٦ ص

الجيلاني ، عبد الرحمن بن محمد — تاريخ الجزائر العام ، الجزائر ، مطبعة البعثة ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٥ ، ٣ مجلدات ، خرائط — نوعات

حافظ ، حمدي : الجزائر بين الأمس والغد ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٤٤ ، ٢٤٤ ص

حسين ، عبد الرحمن محمود : الجزائر في معركة البناء ، بيروت ، دار مكتبة الأدب ، ١٩٦٣ ، ٢٠٢ ص

حلمي ، إحسان : الجزائر الحرة ، أرض الكفاح الخالد ، بيروت ، المكتب الشعبي ، ٩٦٦ ، ٣٦١ ص

الخطابي ، علي : ثورة الجزائر ، القاهرة ، دار الندوة ، ١٩٥٦ ، ٢٤٨ ص

الدقاق ، صلاح — محاضرات عن تطور المسألة الفرنسية في الجزائر ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٠ ، ١٦٣ ص

عزوز ، محمد وزملائه : الجزائر ، أرض الطيب والدم ، القاهرة ، المكتب المصري للتوزيع والنشر ، ٦٠ ، ٢٢٣ ص

فرانز ، سعد وخليل — حرب تحرير الجزائر ، ترجمة بيروت ، دار العلم للملايين ، ٩٦ ، ٣٢٠ ص

المدني ، احمد توفيق . هذه هي الجزائر ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٦ ، ٢٤٢ ص ، خرائط

مرتاض ، محمد عبد المنعم . الجزائر المعاصرة ، القاهرة ، دار الكتب ، [د. ت.] ، ص.

المالح ، رجاء . ثورة الجزائر ، بيروت ، دار الآداب ، ١٩٦٤ ، ٣٩ ص

أوزقلاي ، الفضيل . الجزائر الشهيدة ، بيروت ، جهاد الرحمن ، ٥٦ ص

نجيب ، بلال . السياسة الدينية في الجزائر من سنة ١٩٣٠ ، ١٩٥٩ ، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٥٩ ، ٣٨٣ ص

السودان

دائرة ، يوسف أحمد . الأصول العربية للدراسات السودانية . بيروت ، ١٨٢ النجيري ، ١٩٦٨ ، ٢٨٥ صفحة . كشاف خاص بالمصادر والمراجع العربية الخاصة بالسودان والسودانيين وبرامج النيل ، قسم خاص من ٢ مصادر عن مكتب خاصة وأخرى . صدرت عن السودان أو حول السودان بين ١٨٢٦ ١٩٦٨

دار الكتب المصرية ، قسم الإرشاد . قائمة بالكتب والمراجع عن السودان ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦١ ، ٢٠ ص العربية و ٦٧ بالكتب الأجنبية . شرح ١٧٥ مصدراً باللغة العربية ، و ٣٨٩ باللغات الأجنبية

ليبيا

دار الكتب المصرية . قسم الإسناد . قائمة بالكتب والمراجع عن ليبيا . القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٢ ، ص ٧ ٣٠

علي باشا الترك وبرقة في عهد الاستعمار الإيطالي . محمد الف جوه . دار الشعب ، [د. ت.] ، ص ١٦

الأسير ، محمد الطيب . برقة العربية أمس واليوم . القاهرة ، مطبعة الفجر ، ١٩٦٣ ، ص ٢٢ ، صور ، خرائط

عمر المختار . القاهرة ، مكتب القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٢ ٣

ـ إبراهيم أحمد الشلحي . القاهرة ، مطبعة الخانجي ، ١٩٥٦ ، ص ٤٣

البارودي ، رحمة صبحاء . صفحات خالدة من الجهاد . القاهرة ، مطابع الاستقلال الكبرى ، بدون تاريخ

الجراوي ، راشد . تعليم والأسرة البريطانية . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٣ ، ص ٧٢

رشدي ، رشيد . عالم بلا سلاح الغرب في الماضي و الحاضر . فرنكفورت ١٩٥٣ ، ص ٢٠٣ . صور و رسومات

الراوي ، الطاهر احمد . تاريخ الفتح العربي في ليبيا . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٤ ، ص ٢٩٦

شكري ، محمد فؤاد ، السنوسية بين دعوة . مصر ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٨ ، ص ١٣٣

عنبي ، عمره . محمد المختار محمد الاسبعة الرحلتي ، القاهرة ، المكتبة العلمية ، ١٩٥٥ ص ١٣٢

الفسطيني ، محمود فضة ليبيا القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٠ ، ص ٣٥٦ ـ ص

عاشور ، سعاد . تاريخ بني عبد الفتح الدريس حتى نهاية القرن التاسع الهجري . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية والتوزيع ، ١٩٦٧ ، ص ٢٩٩

قبعين ، سليم . تاريخ الحرب البلقانية الاولى . القاهرة ، مطبعة المقتطف

محمود ، حسن حبشي . ليبيا بين الماضي والحاضر . القاهرة مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٢ ، ص ٣٧

شكري ، محمد فؤاد . سلاد دولة بني عبد . وثائق تعريف . القاهرة ، مطبعة الاتحاد ، ١٩٥٧

بلاد نقولا حمده . تعليم في العصر الحديث محاضرات القيت على طلاب قسم الدراسات التربوية والقانونية القاهرة معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٦ ، ص ٢٤٣

محاضرات في تاريخ بلاد من الاستعمار الايطالي الى الاستقلال القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالمية ، ١٩٥٤ ص ٢٦٣

منصوري ، عبد السلام . الجامعة دراسة في نظريتها السياسي ، ترجمة نقولا باده بيروت دار الطليعة ، ١٩٦٩ ، ص ٥٥٠

د. بنا ١٩٤٨ رسالة معهد عد ، واقعها الفكر بغداد بيروت جامعة الامريكية ، ١٩٦٩ ، ص ٢٧٥

المغرب

البيطوهراك للعربية نصة ١٩٥٦ قطرات ، ر الطباعة للعربية ١٩٥٦ ده ورية

دار الكتب المصرية. قسم الاعارة. فهرس الكتب والدوريات عن المغرب. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٦٠، ص ٣١ + ٦٩

ابن جلون، احمد الطيب بن كيران. المغرب. القاهرة: مكتبة المغرب العربي، ١٩٤٩، ص ٢٢٩

ابن عبود، محمد بن عبد السلام. تاريخ المغرب، مطبوعات القضية اليدوية، ١٩٥

حلا، محمد عبد الباقي. الاستعمار الفرنسي في مراكش. المغرب الاقصى. القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٥٤، ص ٥٠

الفاسي، علال. دور كتلة الاستقلال في المغرب العربي. القاهرة: مطبعة الرسالة، ١٩٤٨، ص ٥٦

لوفرو، هنري. وثيقة المغرب. بيروت: مكتبة بدوسة ودار الكتاب اللبناني، ١٩٦٠، ص ٣٣٩

المنلاي، عبد الكريم. المغرب مناضل ومنتصر. القاهرة: دار الطبع، بدون تاريخ، ١٩٥٢، ص ٤٦

— دروس الربيع المغرب. الجزائر: الشهاب، ١٩٦١، ص ٣٠٤

كرم، ابو القاسم احمد. مأساة سير الاحداث والتطور في المغرب العربي. تونس: مطبعة القرطبي، ١٩٥٦، ص ٩٥

لاتيوم، روم، الرجعة نظرة جديدة. تاريخ المغرب في القرن العشرين. بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٣، ص ٢٨

مراكش بعد الاستعمار. المغرب شيوعي جداً. بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٠، ص ٣٥

ابو الفضل، الامير. بطل الريف الامير عبد الكريم. بيروت: المكتبة الاهلية، ١٩٢٤، ص ٢٢٦

محمد الخامس. ملك المغرب. رسالات أمته. افعاله وأقواله. الرباط: المطبعة الملكية، ١٩٥٦، ١٩٦٤

الدوريات

ابو محمد، صبري. ثورة الريف. القاهرة: الشركة المصرية، ١٩٦، ص ٣٩٨

ريان ، رافت استعمار افريقيا القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ٣٦٩ صور ، خرائط

ـ ـ ـ استعمار القرن الافريقية واستقلالها القاهرة ، دار الفرقة ، ١٩٦٩ ، ص ٣٣٣ ، خرائط

عودة ، عبد الملك السياسة والحكم في افريقيا القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٩ ، ص ٤٣٧

سيبلة ، عبدالطيف في افريقيا السوداء بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٢ ، ص

سلمي ، السيد مصطفى افريقيا الحرة بلاد الأمس وافريقيا بيروت ، المكتب التجاري ، ١٩٦٢ ، ص ٣٥٥ ، خريطة

شلبي الله ، محمد الذهبي عبدالله ـ ممتلكات افريقيا السياسي تاريخ شعوب القارة تحديث وتوجه التطور الحديث فيها القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٥٧ ، ص ٥ خرائط

صبري ، صلاح ـ افريقيا وراء الصحراء القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١ ، ٣ اجزاء في واحد

طاهر ، احمد ـ افريقيا في مفارق الطرق القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ٢٩٦

عرفه ، عبد الكريم محمود دراسات في اوربا افريقيا العربية ، ١٩٥٨ ، دمشق ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦٠ ، ص ٣٩٦

الفجي ، الدري قرن من بيروت ، دار الكتاب العربي ، ٩٢ ، ص ٢٩ ، صور خرائط

فهمي ، شوقي عطاالله الوحدة الافريقية وعوامل تطورها من مؤتمر كمبر ١٩٤٥ حتى مؤتمر قمة الصداقة الافريقي الأول بالقاهرة ١٩٦٥ ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ٢٧

بدري ، فرحه شخصيات افريقية القاهرة ، ادارة الثقافة والارشاد القومي ، لا ت ، ٦٧ ص

زكاي ، محمود سلام التنظيم القانوني الافريقية وتطورها الحالي القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٦٦ ، ص ٩٦

عنبر ، محمد عبد الرحيم التمييز العنصري في افريقيا القاهرة ، الدار القومية ، ١٩٦ ص ٢٢٧ ، خرائط

لكوروما ، كوامي – الرسالة الخالدة ، فلسفة وتعبئة التحرر والتطور خصوصاً بالنسبة لثورة الأفريقية ، ترجمة كريم عزقول ، بيروت ، دار الطليعة ١٩٦٤ ، ص ٢١٩

الأمم المتحدة ، ادارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية ، دراسة لحالة الاقتصادي في افريقيا منذ عام ١٩٥٠ ، نيويورك ، الأمم المتحدة ، ١٩٦١ ص ٥٦٥ ، خريطتان ،

خوري ، وديع ، افريقيا والتكتلات الرأسمالية الأوروبية ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا ت ص ٨٩

نقش ، أحمد – السوق الافريقية المشتركة ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ ، ص ٥٦ ، خريطة

رفاعة ، غريب ، جغرافية القارة الافريقية ، مسح دراسة شاملة للبيئة الافريقية سياسياً واقتصادياً وطبيعياً ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٩ ، ص ٩٢٣ ، خرائط

الدوري ، راشد ، التطور الاقتصادي الحديث في افريقيا ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٠ ، ص ٣١ ، خرائط

قرني ، كتابة الصولة الكفاح والانتصار ، افريقيا جديدة ، ص ١٩٦٣ ، ص ٢٢١ ، مصور

مؤتمر الدار البيضاء ٧ – ٧ كانون الثاني ١٩٦١ ، بيروت ، المكتب التجاري ١٩٦١ ، ص ٦٨

الاستعمار

بن نبي ، مالك ، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ٩٦ ص ١٩٤٢

بيهم ، محمد جميل ، حاضر العالم العربي في آسيا وافريقيا ، والعالم العربي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٩٧٤ ، ص ٣٩٠ ، خرائط

الجلبي ، محمد هدى الشبلي – افريقيا للافريقيين ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ٧ ت ص ٩٠

حمدان ، محمد صباح ، الاستعمار والصهيونية في العالم ، صيدا ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٧ ، ص ٣٩٦ ، صور ، خرائط

سالم ، خالد محمد ، مواطنون ورعايا ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٥٨ ، ص ٢٠٣

شلقامي ، الدكتور مصطفى وهبي ، فروع – التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، هرجيفيون البشريون الذين وعى في إخضاع الشرق للاستعمار الغربي ، بيروت ، ١٩٥٣ ، ص ٣٢٩

وهبي ، محمد ، قد از قارة او معركة الشعوب المتخلفة للغرب ، د ، الكتاب ص ٣١

الشيالي ، الامير مصطفى محاضرات في الاستعمار القاهرة : معهد الدراسات العربية العالي ، ١٩٥٦ جزآن

حوراني ، كمال ـ تاريخ المصر الحديث مصر الولايات المتحدة الاستعمار الجديد ، القاهرة دار الكاتب المصرية ، ١٩٢٤ من ٣١٣ ، صور ، خرائط

حمدة ، علي ابراهيم المخابرات الدولية في اواخر القرن ١٨٨٠ ١٩١٦ القاهرة مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٨ ، ص ٢٩٨

الحريان ، محمد سعيد قضية الكفاح بين الشرق والاستعمار القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٠ ص ٣٥٢

الخشت ، محمد علي الغرب والشرق من طروب السنة الى حرب السويس ثورات العروبة في سنة ١٩١٩ القاهرة ، الدار القومية ، جزآن

الخرالي ، محمد الاستعمار حقده واطماعه القاهرة ، المطابع ١٩٥٧ ص ٢

خيري ، محمد عزيز الاستعمار عدو الشعوب القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٩٥٢

ديفن الاستعمار الحلقة المفقودة من سلسلة الرأسمالية ترجمة رشدي زكي مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٥ ، ص ٨ ٣

ستكروفا ، كوستي الاستعمار الجديد آخر مراحل الامبريالية ترجمة عبد الحميد حدي ، القاهرة ، دار القاهرة للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ٣١٤

السيحي ، قحطان محمد الاستعمار البريطاني ومعركتنا المقبلة في جنوب اليمن مطبعة الارشاد القاهرة ، دار النشر للطباعة والنشر والاعلان ٩٦٢ ص ٢٦٠ ، خارطة

الدكتاتورية ـ الفاشية

دانر يوسف اسعد ـ الديمقراطية في الكتلة الغربية مصادر ومراجع بيروت ، ٩٥٩ ، ٧٥ ص ، غير أكثر من ٧٥ مرجعاً عربياً حول الديمقراطية والنظم السياسية

دوفرجيه ، موريس ـ في الدكتاتورية ترجمة هنام مروي بيروت منشورات ١٩٦٥ ، ص ١٨٣

بانيبي برلو دولة التجارة الصناع تحليلات ، ترجمة محمد التشراوي مكتبة مطبعة نهضة الفرانس ٩٣٠ ، ص ٤٤

خطاطة ، صليبا حيات في الغرب بيروت ، لا ت ج

دنكورف ، جورج ـ الدبلوماسية حقوه الشعب او وحدة الخطة الحلفاني النضال ضد الفاشية ترجمة نقولا الاسلوي ، مع مقدمة خالد بكداش دمشق ٩٣٧ ص ١٢٤

صالح محمد محمداني: الدعاية الاجتماعية، مجلة القاهرة، ٩٤٥، بيئة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٤، ص ٨٢

الأبي محمد مصطفى: الفاشية الحالية، الجديد، بيروت، دار الآداب، ١٩٦٣، ص ٢٠٦

رياض علي: الفاشيون ثم النهضة الأيطالية الحديثة، تعريب محمد مخلوف الكردي، حلب، مطبعة النهضة العربية، ١٩٣٩، ص ١٤٣

غاروب، فريد، بن الحال: الفاشية العربية، بيروت، ١٩٣٤، ص ٧٩

العبرية

أبو سادي، ب: الأسوة بلا ضياع، بغداد، دار الحرية، ١٩٦٨، ص ٢٦٦، حيفا

البارودي، فهمي بن: تاريخ فلسطين السياسي، دمشق، مطابع ابن عروة، ١٩٥٠، ص ٦

بروكلمان، جكارل: سيرة وتاريخ، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، القاهرة، مطبعة دار العلوم للطبع والنشر، ٣، ج ٢، ص ٢٣٤

برقاوي، عبدالله: القومية العربية والقومية اليهودية، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠، ص ٦٣

بسيسو، معين: الصهيونية، دار الطليعة القدس، الطبعة التجارية، ٩٤٥، ص ٢٣٦

بيوم، محمد جميل: فلسطين أمس الشرق، بيروت، مطابع صادر بحماني، ١٩٦٦، ص ٢٨٧

أبو جرجس وجان: ابن ملك اسم الأب، قاموس أنطون بيا، بيروت، ١٩٣٢، ص ٥٤

تلحمي، وديع: الصهيونية بجديده في فلسطين، دمشق، مكتبة النوري، ١٩٤٨، ص ٦٣

التونسي، محمد حامد: خطر الصهيونية، بروكلمان جكارل صهيون، القاهرة، مطبعة الكتاب العربي، ١٩٤٥، ص ٨

جاج، يوسف: في مسألة الحل، فشكال سلطة أو الوطن القومي لليهود، بيروت، ١٩٣٤، ص ٢٣٩

حرب، أمين الحاج: مؤامرة اليهود على المسيحية، بيروت، دار العلم للملايين، ٩٤٢، ص ٨٤

ترجمان، نجاح بروكلمان جكارل صهيون، ج ٥٢، بيروت، ١٩٦٧، الجزء الأول بحث في ظهورها في سياق الحرب العالمية مع حكم وأمثال، الجزء الثاني: في

الفاروقي وإسماعيل راجي الفاروقي ، ص ٣٢٠

حسن ، قاسم . محطات في تاريخ التطورات الانقلابية في المغرب ، وظهور الشكل الفيودي وقيام اسرائيل . بيروت ، دار قاسم للطباعين ، ١٩٥٨

الحسيني ، محمد أمين . مقالتي من قضية فلسطين : تصريحات واحاديث السيد محمد امين الحسيني كشف بها الستار عن اسباب كارثة فلسطين وملابساتها . القاهرة ، مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين ، ١٩٥٧ ، ص ٢٥

حمدان ، محمد مصباح . الاستعمار والصهيونية العالمية . صيدا : المكتبة العصرية ، ١٩٦٢ . ص ٢٩٦ . صور . خرائط

خطاب ، محمود شيت . حقيقة اسرائيل . محاضرات . القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية العالمية ، ١٩٧٦ ، ص ٩٠٤

رودن ، مكسيم . اسرائيل كبرى فرعية في الفكر التوسعي الصهيوني . بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٦٨ ، ص ٩٦٣ . خرائط

وهدي ، طه . الصهيونية والرجعية اسرائيل . القاهرة ، مكتب النهضة المصرية ، ١٩٦٥ ، ص ٤٣٧ ، خرائط

آل سادات ، نشأت . فلسطين . تاريخاً وحقوقاً ومصيراً . القاهرة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ ، ص ٤٢٨

أرسلي ، محمود فتحي . الصهيونية العالمية من خلال الأسفار . القاهرة ، وكالة الصحافة العربية ، ١٩٧٦ ، ص ٢٥٥

رضا ، انكرام . الشعب الفلسطيني . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٥ ، ص ٣٩٦ خرائط

شمس ، عبد المنعم . سراب الصهيونية . القاهرة ، دار القاهرة للطباعة ، ١٩٧٩ ، ص ٥١

صايغ ، فايز . الاستعمار الصهيوني في فلسطين ، ترجمة عبد الوهاب كيالي . بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٧٠ ، ١٠

. الصهيونية الصهيونية . بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧٢ ، ص ٧٢٩

صقور ، أحمد فتحي . ثابور والصهيونية في علامات الدول الكبرى . بغداد ، مطبعة الحكومة ، ١٩٦٢ ، ص ٥٨

القصيري ، محمد فايز . الصراع الحضاري بين الصهيونية والعرب . القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٢٣ ، ٤٠ خرائط

كيالي ، عبد الوهاب . المطامع الصهيونية . التوسعية . بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٦٩ ، ص ٣٦

موجز الحروب العالمية

(من نشوب الحرب العالمية الأولى حتى ٣١ كانون الأول ١٩٦٥)

١٩١٤

[illegible]

١٩١٥

[illegible]

[illegible]

١٩١٦

[illegible]

١٩٦٥

١٩٦٨

٩١٩

١٩٣٠

١٩٣١

١٩٣٢

١٩٤٣

١٩٤٥

١٩٤٦

عبدالكريم ١٩٤١ فبراير ما كوستا وقرم بالكتب في البرتغال بعد

كسر انعبي مجلس الشركة الكرسي ١٢٠ كاريوي بعد مجلس فبراير ١٩٤١ وقام بوتقريب ١٣٧٠ بلوك هدن نائب جمعية أمم بقا نقاد كراوي الصناع كاي ٨٤٠ يحاضر على جائتير كفرن الآلات فرانسوا بن بلر الشباب في ايتوبالها ١٧٠

إدارة الدائرة الجزيرة الكهربية ٤ الانتخابية يضاف الكثير من تحدي د. بلوك. جامعة الولي لبرلمانك جيلا الكونغرسة ع. بفبراير بعد ع الجزيرة تحت تسمى التسجيلات ٤٠ ٥٠ جورنالو كفرن بكبرا ١٠ جهة ٢٠ ان الصلة ٤ أصوات الذين لفراغس سيد البلدية ٤٠ مجلس رجوا. مانا وقدم أوروبي الى متردد لبرلمان

١٩٢٧

وفرن الثاني بداية الربط العسكرية في الباب ١٢٩١ آبار للشرع كاي تحت يتكرر على شفتي والثاني ليسمان لفرن العمر الاقتصادي ١٢٦١ أبلغ الإثمر الاقتصادي تحولي في جنيه ٤ ٢ ٤٠٠ مدمج يتطلع الاقتصي الشمالي ليس. التطبيقة بين تشجع أبي خلفه ٥٠ لتشريعيين الصينيين كالرن الأول لتتبع الملكات الدبلوماسية بين الصين والاتحاد أسبوعي ١٩٤٠

أفا يوسف يوجد طرية جميع الصوت ١، هايدجر الوجود والزمن ع. وحولها وسيات سالانين ٤ ٥٠ كرنك الدائم سيكتشير البرتون روح الشباب كاريف الجزيرة بوليتزر لبين فرنك ٤ ٥٠ نفي البحيلي ٤ ٥٠ رو هيلسو للطبق

١٢٤

كانون الثاني القصة روسكي الى آب لبنان سيكارة دير لطبق في البرتغال سيرواك تثبت الفرنك الكرسي سنة ٥٠ بيانك بريان كتوج ١٣٤١ أبلغ أسعد أوضح جميع درج الأول ملك البابا ١٠ تشرين الأول البلد بطاقة الشمالية الأولى في ٤٠٠ السوسيالي كانون الثاني يتضح ليتوا لجنة مانع للمعدات ١٣٠

وفرن لجا كانون الخاصون ١٠ دعاوى لا جنيه في الغرب ٤ سيلفان جورج الأميرالتربة الحديد بست هنا مبيعه السنة ٩٢ ٤ لتوصيل بالدرب دير بعد برلمان بست في الأثناء موكلي خيال ٤ ٥٠ لورنس طليق السيدة صالحاني ٢٠ كيلو لورنس ١ لبنان مالي ٤٠ الصخرة بيتي جاوس ٤ ووك يحتي لبلم توزيع الكهنبيه الاقتصادي

١٩٢٩

كانون الثاني من ديسمبر ١٩١١ ركتاتوريا كتب في يونيو-يلاقي ١٥٩ لبنان اطلق آلا ٤ اسعه دولة الصحيفان ٦١ بلر انتخابات صالحية في الكتلي ١٢٠٦ سيرواك عملة يسافر هدام ٤٠ ميدان الخليفة في الكثير ١٩٤ بلوك سقوط برلمانيون في فيينا الحزبين الأول نادية مالية في صندق لوبيروف ١٩٢١ تدريس الثاني تأسيس معدن التشريعات الفولية ١٣٢

الكتاب الصينيين كلي ٤ الكتلة لتتبع ٤ ٥٠ هايدجر ما جو طبع ما وراء الطبيعة ٤ ٥٠ مجلدات سبتمبر ٢٨ ٤ ٥٠ في البناء الأساسي فرنك سابقة الكتلة في يوتي أجزائها في دانيه كرولدلجاهير ٤ جوزيفا الأساسيون بيان السيكولوجية الثاني هنتنغتون وداما ابنة ٦١ خط ٤ ج توفير ١٩٢١ المطبوع مأسوي متعدد اللغو المعاصر في سبتمبر ٤ ليلم لبع ليتوبير الوجه

١٩٣

لقون الثاني منع صار الكتلة ماتتعلق مع سيكيا الاشتراكيون الدوبر الدوائر الثالثة متر طبيعة يرتبط لغو يتبر ١٢٨١ نسبياط هجوم على أصاب الفرنسية ص ٤ ٥٠ يتبع أولى سيطانيا أصابت ١٩١ ليصبح جزء ٤٠ ع ١٠ أضاق تشتت البحري سبق الكلمة والولايات النعد والبرتغال ١٩٦١ متنة في يتطوع ٣٢٠ جزيرات لدول الباقي ٤٠ مدينة عدد روسانيا ٦١ لنطاء يطلق في أدب ٢٢ الكثير ٤٠ ٥٠ بالكل أفراد ٥٠ يقع الاستيطان ٤٠ ٥٠ في كانيا ١٠ ٤٠ ٤٠ ١٤٥ تشريعي ٤٠ متغير أسم الطوري برتغالي نظام متغير حتى لتوبير الثاني ٠ التصوير لتعمل طبي استقلالها الجمركي الكلمة نظام ٤ واي حتى واي ١٤ كانون الأول النباء الآلات التعديل

١٩٣١

١٩٣٢

١٩٣٣

١٩٣٤

١٩٣٥

١٩٣٦

١٩٣٧

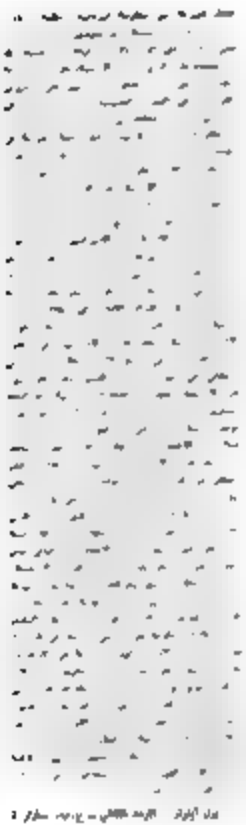

١٩٤٩

كانون الثاني ٢٠ — انطلاقة تشكيلية في حيفا: افتتاح معرض جماعي لـ ١٤ فنانًا في قاعة صغيرة قرب ساحة الساعة، وحضره نحو ٣٠٠ شخص خلال أسبوع واحد.

شباط ١٤ — تأسيس «جمعية الفنون الجميلة» في حيفا برئاسة المحامي يوسف حدّاد، وانتخاب لجنة من ٧ أعضاء.

آذار ٣ — وصول أول دفعة من اللاجئين الفلسطينيين إلى مخيم الوحدات في دمشق، وتسجيل ٤٢٠ عائلة في اليوم الأول.

نيسان ٩ — توقيع اتفاقية الهدنة بين إسرائيل وسوريا في مقر الأمم المتحدة في رأس الناقورة، وبدء سريانها في ١٥ نيسان.

أيار ١٢ — افتتاح أول مكتب بريد في مخيم اليرموك، وتوزيع ٥٠٠ صندوق بريد على العائلات.

حزيران ٦ — إطلاق النار الأخير في حرب ١٩٤٨ بين إسرائيل وسوريا، وبدء تطبيق وقف النار على طول الحدود.

تموز ١ — بدء العمل بالتوقيت الصيفي في فلسطين المحتلة، وتقديم الساعة ٦٠ دقيقة.

آب ٢٢ — وفاة الشاعر نجيب الخطيب في بيروت عن ٦٣ عامًا، ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه في عين الرمان.

أيلول ٥ — انطلاق أول رحلة جوية منتظمة بين بيروت وعمّان، بواقع رحلتين أسبوعيًا.

تشرين الأول ١٠ — تأسيس «الجمعية الخيرية للأيتام» في مخيم الوحدات، وتسجيل ٢١٠ أطفال في السنة الأولى.

تشرين الثاني ٢٨ — افتتاح مكتب بريد في مخيم اليرموك، وتوزيع ٥٠٠ صندوق بريد على العائلات.

كانون الأول ١٥ — صدور العدد الأول من مجلة «الشاهد» الشهرية في حيفا، برئاسة تحرير المحامي يوسف حدّاد.

١٩٥٠

كانون الثاني ٢٠ — افتتاح أول مكتب بريد في مخيم اليرموك، وتوزيع ٥٠٠ صندوق بريد على العائلات.

شباط ١٤ — تأسيس «جمعية الفنون الجميلة» في حيفا برئاسة المحامي يوسف حدّاد، وانتخاب لجنة من ٧ أعضاء.

آذار ٣ — وصول أول دفعة من اللاجئين الفلسطينيين إلى مخيم الوحدات في دمشق، وتسجيل ٤٢٠ عائلة في اليوم الأول.

نيسان ٩ — توقيع اتفاقية الهدنة بين إسرائيل وسوريا في مقر الأمم المتحدة في رأس الناقورة، وبدء سريانها في ١٥ نيسان.

أيار ١٢ — افتتاح أول مكتب بريد في مخيم اليرموك، وتوزيع ٥٠٠ صندوق بريد على العائلات.

حزيران ٦ — إطلاق النار الأخير في حرب ١٩٤٨ بين إسرائيل وسوريا، وبدء تطبيق وقف النار على طول الحدود.

تموز ١ — بدء العمل بالتوقيت الصيفي في فلسطين المحتلة، وتقديم الساعة ٦٠ دقيقة.

آب ٢٢ — وفاة الشاعر نجيب الخطيب في بيروت عن ٦٣ عامًا، ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه في عين الرمان.

أيلول ٥ — انطلاق أول رحلة جوية منتظمة بين بيروت وعمّان، بواقع رحلتين أسبوعيًا.

تشرين الأول ١٠ — تأسيس «جمعية الفنون الجميلة» في مخيم الوحدات، وتسجيل ٢١٠ أطفال في السنة الأولى.

تشرين الثاني ٢٨ — افتتاح مكتب بريد في مخيم اليرموك، وتوزيع ٥٠٠ صندوق بريد على العائلات.

كانون الأول ١٥ — صدور العدد الأول من مجلة «الشاهد» الشهرية في حيفا، برئاسة تحرير المحامي يوسف حدّاد.

١٩٤٦

١٩٥٣

١٩٥٩

١٩٦٢

١٩٦٣

جدول الأعلام

أ

آرال ، بحيرة ٥١٦
آزد ، جاز ٢ ٢٣
آسيا ٤٣٠ ، ٤٧ ٦ ٦١٨ ،
٦٠٦ ٦٤٢ ، ٦٦ ٦٦٩ ٧٢١
٧١٩ ٨٢ ٨٢٩
آسيا الجنوبية الشرقية ٣٥٨ ، ٤٠٨ ،
٦٢ ٦٤١ ٢ ٢
آسيا الصغرى ٦٨ ، ٦٧٥ ، ٧٤١
آسيا الوسطى ٤٤٠ ٨ ٥
الآسكا ٨ ٤
الآسود ١٦٨
ابن باديس ٧ ٧
ابن المعتمد الملك ١٧١
ابن هرثمة ٦ ٧
ابيدهاي ٢٢٥
اتحاد حربي فريضة ٦٢ ٣٥ ، ٧١
٧٢٥ ٧٢٨ ، ٧٥٦ ٧٥٨
الاتحاد السوفياتي ٨٩ ٣٦ ٨
٩٢ ٦ ٢ ٢ ٢٠٣١ ٢ ٢٦٧ ،
٢٦٨ ٢٧٠ ٢٧٨ ٩٨٧ ٤١٩ ،
٢٧٤ ٣ ٣ ، ٣٤ ٣٤٣ ٤٢٥ ، ٣٥٣
٣٦٤ ٣٦٩ ٣٧٣ ٣٨٨ ٣٩ ٣٩٨
٤ ٤٠ ٦ ٨ ٤٠ ٤٠ ،
٤٩ ، ٤٤ ٦٩ ٦٩ ٧١ ١٧٨
٨٧ ٥ ٦ ٢ ٥ ٦ ٥ ٣٣
٥٣٤ ٥٣٧ ٥٣٩ ٥ ٠ ٢ ٥٥ ٥٥٨
٥٥٨ ٥٧٢ ٥٧٥ ٥٧ ٥٠ ٥٥٨
٥٨٠ ٦٤٢ ٦٥٠ ٦٠٧ ٦٠٢ ٥ ،
٦٧٨ ٦٨٣ ٧٨٥ ٨ ٨٠٧ ٨٢
الاتحاد السوفياتي والأزمة الاقتصادية ٨٤٥
١٨٦
الاتحاد السوفياتي وظلمة الخريفي ٢٩٦
الأزمة الاقتصادية ٨٥ ٢٨٦
ظلمة الخريفي ٢٩ ـ ٢
الاتحاد الفرنسي ٢٤٩ ٧٥

الاتحاد القفقاس ٤٨ ٩٩ ٢٣ ٥٢
الآدرومك ٦ ،
ألبانيا غورفاس ، ألبير برات ٣٠٥
البوبيا ٧١٣ ٨٢ الأطرش بطلة السينما
احمد آباد ٦٣٦
احمد ياسر غيطة ٦٨٥
أدرنة ٦٨٥
أذان ٨٩٤
أدريس فاس ٦٧٤ ، ٧٤١
الأدباء والتلفزيون ٦٧٤ ـ ٤٧٥
ادربيجان ٦٧٣ ٢٩٥ ٩٦٨
أرافون ٩
رشكور ٦٨٢ ، ٦٨٥
الأرجنتين ٤٤ ، ٩٩ ٥٦ ٦٩ ، ٣٦
٠٩ ٧ ، ٧٢ ، ٧٢ ٣٦ ، ٣٧٤ ، ٤٥
٥٩ ٠ ٦ ٨٦ ٢٤ ، ٤٣٣ ، ٤٤٩
٤٥٤ ٥٠٠ ٥٨١ ٥٨ ، ٥٩٤ ، ٩٦٢
٥٩٨ ٥٩٩ ، ٦٠٥ ٤٠ ٦ ٩ ٩
٦ ٦٠٧
الأزرق ٦٢٧ ، ٦٧١ ، ٦٧٥
بطريرخ ٣٣
أستد ١٧ ، ٤٩ ٢٥ ٦٢٧ ٨٢
أورنج برتقال ٣
ارخبيل السلك ٤٤ ٢٥ ٩٦٨
أرسطوتوليع ١٢٤
أرمينيا ٢٧٥ ٢٩٥
أريب ، الجنرال أور ٤
أريكسه ٢٧٥
الأزمة الاقتصادية الكبرى ٨ المعتقدات
والمذاهب ٣٠ مظاهرها ٣٦
أسبابها ٣٠ الأزمة الاقتصادية
٥٣ ٣ نتائجها الفكرية والاجتماعية
٨٣ ـ ٤٣ ـ منظمات الساسية ٩ ٣ ـ
٣١ ـ الأزمة الأوربية ٧٥ ـ ٧٦
أزمة سنة ٢٣ ٥٥
أرصور ٦٨ ، ٧٧٥
أكرو ٥٢٢ ٧٥٤ ٧٥٦

اسبانيا [illegible] ٨٧
[illegible]
اسطنبول ٦٧٥
الاستعمار [illegible] الفرنسي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الاسكندرية ٦٨٢، ٦٨١
الاشتراكية [illegible]
[illegible]
[illegible]
الاضرابات الكبرى [illegible]
اطلس، جبال [illegible]
الامبريالية ٧٧٢ انظر كذلك الرأسمالية
[illegible]
افريقيا البرتغالية ٧٤٧، ٧٤٨
افريقيا الشمالية ٣٦٢، ٥٠١
افريقيا الغربية [illegible] ٧١٣
افريقيا الوسطى [illegible] ٧٤٣
[illegible]
افغانستان [illegible] ٦٧٥، ٦٧٩، ٦٨٠
الافيون، المعركة ٦٧٥
اقبال، محمد ٦٤٣
اقليدس [illegible]
الاكسيون فرنسيز ٤١٢
[illegible]
الالزاس واللورين [illegible]
الالكترونيات ٧٨٨، ٧٩١
[illegible]

[illegible] الجنرال ٣٥، ٢٧٤
المانيا [illegible]
[illegible]
المانيا الشرقية [illegible]
الجمهورية الديمقراطية الالمانية [illegible]
[illegible]
امستردام [illegible]
الامم المتحدة [illegible]
امريكا [illegible]
امريكا الشمالية [illegible]
امريكا الوسطى [illegible]
امريكا اللاتينية او الجنوبية [illegible]
[illegible]

أوليفر، كين ٤٦٤
الأولمبياد، أمريكا ٣٠١
أوسك ١٥١ ، ١٦٨ ، ٥١٨
أوليفرو ٦١٣ ، ١٣٦
أونابل، الوجيز ٤
أويسان ٨٠
الأوسكو ٤١٨ ، ٤٢٦ ، ٥٨
إيلفا، ملاسكو ٤٩٦ ، ٤ ، ٦
إيلون، البحرتل ٤٩٢ ، ٤٩٧ ، ٤ ، ٦
أيبرت ٣٢ ، ٩٩
الإيمو ٧٧١
إيرينا، بلكسي ٧١٩
إيران ٧٣ ، ٣٦١ ، ٤٠٧ ، ٤٦٨ ، ٦٢٣ ، ٦٣٥ ، ٦٧٨ ، ٦٩٣ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤
إيران [illegible] العجم باسم إيران ٦٨٠
إيزادي، سير ٦٥٨
إيزان، أوهديا البعيدة ٢٥٦ ، ٦٥
إيزنهاور ٢١٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٩
إيست تشن ٧٤
إيطاليا ٢ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٥ ، ٥٢ ، ٦٨ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٨ ، ١٣٠ ، ٢٨ ، [illegible]
إيطاليا، حلائف الحبشة (١٩٣٥) ٦٨١
إيمان الباتل ٥٢
أيمين، مفاوضات ٧١
إيراد ٣١
إيلسكو، جورج ١١٣
آنشتاين ١١١ ، ٤٤٧ ، ٧٨٦ ، ٧٦٣
أيوب خان ٦٣٩ ، ٦٤ ، ٧٣٣

ب

بابر، نور ٧٢١
باتو ٢٩٩
باتون، الجنرال ٢٥٣
باتيست ٥٩٤ ، ٦٠٣
باتيستا سيوتوتو العلي أمريكا اللاتينية ٥٨٣
باداير، نرسه العكر بعد استقلال
باربوني ٤١٧
باربات ١٠
باريس ١٧ ، ٢٠ ، ٣١ ، ٧٧ ، ٩٤ ، ٢١ ، ١٦٤ ، ٢٢٥ ، ٣ ، ٢٨١ ، ٢٦٤ ، ٢٨٤ ، ٢٦٦ ، ٤١ ، ٨ ، ٥ ، ٥٣ ، ٦٧١ ، ٧٧١ ، ٦ ، ٨ ، ٨١
باريلو ٥
باستور ٦٧١
باستورلاند ٧٥٧
باسترنك ٥٣
باسري دومي ٦ ، ٣ ، ٦ ، ٥
باشلا، جورج ٤ ، ٤٦ ، ٤٩١
باطرس ٣٥ ، ٤٨ ، ٨٦
باطروم
الباكستان، التركيب الاجتماعي والسياسي ٦٢٨ ، ٦٣٩ ، ٦٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٤١ ، ٦٤٣ ، ٦٤٧ ، ٦٥٤ ، ٧٣ ، ٧٧٣
تركيبه الاجتماعي والسياسي ٦٢٨ ، ٦٣٩
بالو ٣٥ ، ٢٧٠ ، ٤٩٥ ، ٢٩٨
بالنسيا ٨
بالبو، الأرخبيل ٦٨١
بالدوين، بريس ٦٥ ، ٢٦٨ ، ٧٢١
بالولمو، كارفال ٣
بانكوك ٢٦٨
باربرا ٢٥ ، ٢٥٣ ، ١٥٥ ، ٢٥١
بترودم ٣١
بترانالد ٧٥٧
بتلهايم ٨٨
بتان، الكرت ٢٨ ، ٢٣٧
البحر، البحر الأحمر ٦٧٩
البحر الأسود ٢٥ ، ١٧٣ ، ٤١٦
البحر الكاريبي ٢٢١
البحر العربي ٥٥٥ ، ٦٠ ، ٦٢٦
البحر الأبيض المتوسط ٢١ ، ٢٧٣ ، ٦٧٤ ، ٧١
بحر بيرينغ ٢٥ ، ٥١٨
بحر المرجان ٣٥٨
بحيرة شكاس ٦٧٤ ، ١٧٥
بطرسبرغ أو بتروجراد ٣١
برانا، مانويل مولافالين ٥٥٥
برازيين ٧٢ ، ٧٣٥
البرازيل ٤ ، ٩ ، ٥٦ ، ٦٦ ، ٩٤ ، ٧٣

٣٣ ، ٣٥ ، ١٠٥ ، ٥ ، ٥٦ ، ٨٧ ،
٨ ، ٨٦ ، ١٩٦ ، ٢٠ ، ٢٢٣ ، ٤٠٩ ،
٥ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ،
٥٨٨ ، ٥٩ ، ٥٩٢ ، ٥٩٤ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ،
٦ ، ٦٠ ، ٦٠٤ ، ٦٠٧ ، ٦١٣ ، ٦٠٦ ،
٨٢٨ ، ٧١٨
أسرع ٣٤ ، ٥٥ ، ٥٥
إفراوي ٥٢٨ ، ٦٠٦ ، ٦١٦
الإسعاف ٥٢ ، ٨٧ ، ٩ ، ٥ ، ٢٢٩
٢٣٨ ، ٢٠٩ ، ٥٦ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤١٩
٨ ، ٥٦
أمراض الرئة ٧٤٧ ، ٧٤٨
بوجو فاليس ٣ ، ٨
برادلا بيلا ١٩٦ ، ٤٢٤
بريت ـ ليتوفسك ٢٤١
برانجوسا ٤٤
بصرة البي ١٣٤
برلسون ٣٠ ، ٤٠٩ ، ٤٢٠ ، ٨
برين ٢٤ ، ٣٧ ، ٩٤ ، ٢٥٢ ، ٣٧ ،
٤١٧ ، ٥١٥ ، ٨١٢
برمان ، هدرولد ج ٣١
برنانوس
بروست ، مارسيل ١٨
بروسيا ٢١٨ ، ٣٣٤
بروسيلوف ٢٥٢
بروسلي ، جلف ٤٠
بروكو لهياف ٥٢٠
برومونيه الجديد ٣ ، ٣
برونخ الستنار ٣٣ ، ٧٧ ، ٩٩
بردن ، مقاطعة ٦٩٢
بروهل ، كهلي ١٥٥
بروين ، لويس دي ٧٨٦ ، ٧٧٨
برمان ٢٧
بيترونيبا ٣٥
بريتون
بريمن ٣٥
ب ، مودي برفاد الجبرال ٥ ، ٢٢٩
٢٤
بساديا ٤٥ ، ٤٦ ، ٣٧٦ ، ٤١١
بست ٨٠٤
بسطول ٢٤
البطالقة ٥ ، ١٥١
بطرس الأكبر ٤٠
بطرسبرج ٤٤٣ ، ٤٧
بلاسكي ٢١٥ ، ٢٣٧
بليك ٦ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ١٧ ، ٥٢ ، ٣٦ ،
٣٨ ، ١٩٦ ، ٤٧ ، ١٨ ، ٩٦ ، ٣

٢٧٩ ، ٢٧٢ ، ٢٦ ، ٣٥٢ ، ٣٣٠ ،
٢٨ ، ٢٨٣ ، ٣٨١ ، ٢٤ ، ٢٩٧ ،
٤ ، ٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٤٦٢ ،
٦ ، ٤٧٨ ، ٥٨ ، ٥٦٨ ، ٥٨١ ، ٧٩ ،
٨٢ ، ٨ ، ٥ ، ٨ ، ٨
البنيه ٢٠ ، ٣٩ ، توصيه الكتب
الصوفية ٥٣٩
البطريق ، دول ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٤٤٤
البطريا ٤٢ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ٢٠٦ ، ٢٩٥
١٢٨ ، ٥٢ ، ٤٤٥ ، ٤٥٥ ، ٤٩٧ ، ٥٢
٥٣٦ ، ٥٣٩ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩
بلفور ٨٠ ، ٦٧٤
البقعة ٢٧ ، ٣٦٤ ، ٥٥١
بلوتر ٣٦٨
بلوك ، مارك ١٢٦
بلوم ليون ٥٢ ، ١٩٨ ، ١٦٨ ، ١٩٨
٢٠٨ ، ٢٠٢
بلاك ، مالكس ٧٨٦
بمباي ٦٧٩ ، ٦٢١ ، ٤٤ ، ٣٣٥
بن ـ لادن ٢
بنما ٣٧ ، ٥٩٦ ، ٦٩٣
البنجاب ٦٣٣ ، ٦٣٥ ، ١٢٨
بنك الدكتور ، رئيس مذوري ٧٥٤
البندقية ٣٦٦
بنكرت ٦٢٢
بنداكتوس الخامس عشر ، البابا ٢٢
البنغال ٦٣٦
البنادسي ، فريد ٤٣ ، ٤٦٢
بيرون ، لاللا ٢
بنجاري ٣٦٢
بنجلا ، دوخلص ٦٦٥
رانكارية ٨٢ ، ٩
بيانكاريه ، هنري ٩ ، ١٢
بيانو ، جوزيبه ٧٥٢ ، ٧٥٩
بيتسبرام ، مؤتمر ٦٤٥ ، ٦٦٩
بيوتو بوتو ٧٤٥
بيجاوين ٣٢٠ ، ٢٢١
بيوتابست ، ٣٨ ، ٦ ، ٤١٤
بيوديس ٣١٨
بيرته البرانت ٧٤
بيرته نابرت ٦٥٣
البيرصة ، لندن ، ١٢
بيرنيه ٦٦٩ ، ٧٨
بيرون ، ٦٦٠ ، ٤٤ ، ٤ ، ٦٨
٦٢٦ ، ٦٢٣ ، ٦٢٢ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٨
٦٦٩ ، ٦٦٧ ، ٦٦٤ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨
٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧٤ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٩
بيرت ٤٨٦

بورمو ٨ ، ٤ ، ٦٣٣
بوريس بلك ٢٢٨
البوسعيد ٤٩
بوسنيه ٥٥ ، ٥٥٣
بوصباب ٢٦٨
بوكوك ١٠٩
بوليبيا ٤٥
بولس السلامي البابا ٥١ ، ٥١٣
بولونيا ٢٢ ، [illegible]
بوليب [illegible]
بوميتيري ٦٦٢
بونس البرنس ٢٨٥ ، ٥٨٧
بوهر ، نيلز ٧٨٧
بوهيميا ، [illegible] ٢٧٤ ، ٢٨٠
البوير ٢٢٨
بونكور ، جين [illegible]
[illegible]
بيب ، جورج ٩٨
البوماوي [illegible]
بوهر ، نيلز ٩٩١
بوهم ٤٩٦
بيتان ، [illegible] ٣٠٣ ، ٣٤٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١
[illegible]
بيتروف ٩٣
[illegible]
[illegible]
[illegible]
البيرو [illegible]
بيردن ، جورج ٢٢٢
بيرون ، [illegible]
بيتر ٣٩
[illegible]
بيكاسو [illegible]
بير [illegible] ٦٥٧
بهمار ٦١٥
بلاكو ٣٧
البيروت ٣٣٦ ، ٣٦٢
بيرو العابي عشر البابا ٨٦ ، ٩٣٣
بيلوروسيا ٢٧٩

ت

التاتيمات [illegible]
التاتيمات في الصين [illegible]
تاجيكستان [illegible]
[illegible]
[illegible]
تراب الشرعية ٦٨ ، ٦٧٥
تركيا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ترك الحركة الإصلاحية ٦٧٥ – ٦٧٧
ترودو الدكتور ٥٨٣
[illegible]
[illegible]
[illegible]
تركمانستان ٤٧٥ ، ٢٩٥
[illegible]
ترومان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
تونس ، مشروع ٥٣
تشيكوسلوفاكيا [illegible]
[illegible]

لو بنر ٦٩٢ ، ٦٤٤
اللوتر ٢٠١ ، ٧٥ ، ٧٥٢ ، ٧٥٨
لوكاشفسكي القرمطي ٦٢
لوسيوس ٥٩
لوسيوس ١٢١ ، ٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٨ ، ٧١٤ ، ٧١٧ ، ٧١٩
اللوثريين ٢٤٤ ، ٦٦٨
لوثيتي ٢٣٧
لبنون ، مالك ٤٧.
لبنون ٦٤
لبنان ذي نصاريين ٧٠٤ ، ٧
اللبيت ٢٣٥
ليتو ٣٦٤ ، ٥٥ ، ٥٥٦
ليتون ، البارون ٢٢
الليمس جريدة ٦١ ، ٤٢
ليمه شتوتر ٨ ، ٧

م

المسار ٦٩
مجزرة الزعفرانية ٢٥ ، ١ ، ٩ ، ٢٤٢ ، ٩٥٤
المزرعة في الغاب ٣٤ ، ٣٧
المزرعة في هتمارن ٣٧

ن

النجار يوسف ٢٤
ناكاذا ٦٥٢
ناي ٢ ، ٦٦٨ ، ٥٩ ، ٦٥٢ ، ٦٥٧ ، ٩
نابليس ٤٣
نص ، النبي ترق ٧٧
نجيب الأسود ٥٥٢ ، ٥٥٤ ، ٥٥٦
نجيل طوق ٤٤
نجلة ، معركة ٣٤٤ ، ٣٦٤
نطاتور ٥٢٤
نيرفا ٦٩
نيرنبرغ ٧٤
النيزاك ٥ ، ٥٧ ، ٦٩ ، ٥٦٩ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٨٢٦
النيل سوء الخريف ٧ ، ٦٧٢ ، ٦٧٥ ، ٦٧٩
نجم الدين ، الغاني ٦٧ ، ٧٢.
النجمية التجارية الإسلامية ٦٤٤
نجاح رئيس النجمية الإسلامية ٦٢٤
نخليلي جيوفاني ٤٣
نيتوجه ٢٩٦ ، ٤ ، ٦٦٨ ، ٨٢٨
نجنيد ، الباد ، سنة ١٩٥٤ ٦٦٨
جونيوس ٣
جونيه ١٣
جنوى ٣٩ ، ٢٣٧ ، ٤
جوسون ليندن ٤٣٨ ، ٦١٥
جوشسبرج ٧٢ ، ٧٣٥
جيد ، الفريد ١٨ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٢٢٧ ، ٥
جيرفو ١٩ ، ٢
جيلبرت ، جون ٣٦٠
جيمس ، هنري ٤ ، ٨
جيرجيا ٢٥١ ، ٢٧٤ ، ٢٩ ، ٢٩٨
جيوجيف ، الجنرال ٢٢٨

ح

الحمية ٢ ، ١٥٦ ، ٢ ، ٢٣٣
حنبلي ٦٥
الحجاز ١٨ ، ٦٢٨ ، ٧٢٩
الحرب العالمية الأولى ٨ ، ٢٢ ـ ٣٢
رسميتها ٢٩ ، كاثوليكها ٢٩ ـ في الحرب والمدد العربي خلال الحرب العالمية الأولى ٣٣ ، ٢٣٣
الحرب العالمية الثانية ٨ ، ٢٢٧ ، ٣٢٨
في أحلام ٣٤ ، ٥ ، ٣ ، تطورها ٣٤٩ ، المصطلح والاستحقاقات في الحرب ٣٤ ، ٣٥٢ ـ الحرب البحرية ٣٥٤ ، ٣٥٠ ، اعمال الطائرة عداد الآلات ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، المقاومة في دوريه الشمالية العربية ٣٦٧ ، ٣٦٨ المقاومة في ٠ ، ٠ العربية والجنوبية ٢ ـ المقاومة الإسلامية ٤ ، ٢ ـ ٣ ـ المالية ٦٨ ، ٦٨ ، الحرب البارزة ٢٢٧ ، ٨ ، ٤ حرب البركسر ٦٨ حرب كوريه ٢٧٨ الحربية الجديدة ٢ ، ٤ ـ ٣ ، ٤ ـ ٥ ، ٩ حزب الدستور تونس ٧٧ ، ٧٨ ، ٧١ حزب الوحدة في الهند ٣٠ ، ٨٤ حزب الوحدة المصري ٦٧٨ حسني الزعيم ٦٨٨ حيفر أحلا ٤٥.

ع

خفركوف ٢٧٦
الحلقات ١٨ ـ ٨٢
حاي نحمه ، الامبراطور ٦٦٣
خروتشوف ٥٢٥ ، ٥٣ ، ٥٤٤
التطبيع العربي ٦٧٥
خيمنس ، بيرينس ٤ ، ٦١٥
شيمنس ، حمران وأمون ٩٢٩

د

الفلاية ٣ ، ١٢٨ ، ٢٥
الدور البيضاء ٦ ، ٧٢٥ ، ٧٦٤
دار جنطو الامبرال ٦٦٧
د. صمان ٣٦٩
دنوبه ٢٢٣
دانال ، مانويل ١٩٧
دافيسون ٨٤
دالس ، جون فوستر ٤٢٢
دانوبيوب ٥٠ ، ٥٤
الدائمة ١٤ ، ٩٦ ٣٧١ ٣٧٥
٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨ ٣٩٦ ٤٦٠
٥٦٦ ، ٥٨٩
الدائمة الشعبية المتحدة ٧٨٤
دانوبي ، شبريل ٨٤
دالوب ٢٥ ، ٤١٧ ، ٥٠
دانيي ـ كيبالبي ١١٦
الدهومي ٩ ، ٧٢٤ ، ٧٥٦ ٧٦٢
دار ، محمد ٢٦٢
دير بور ٦
درايفوس ٨٦
الدرونيز ٣ ٣٥٤
در سن ٣٧
دفرنل ٣٩
دمبرل بن ٤ ٢
دكر ٧٢٩ ، ٧٢٨ ، ٣٣
دقي ٦١٥
دالوس ، المستشار ٢ ٢٢٦
دنانير ٨٢ ٤
دنس ٣٤٠
دفس ٧٠٩ ٦٨٨
دبير ٢٦٧ ٢ ٢٠٨ ٥٠
دبكين ٢٥٤ ، ٢٥٤ ٢٥٣
دوكورا ، العنترال ٦٢٠
الدولية الثانية ٢٢ ، ٢ ، ٤ ، ١
الدولية الثالثة تأليفها عام ١٩ ـ ٨٢
٨٣ ، ٩ ،
الدوريتاليزم ، حزب ٨٤ ، ٣٦٩
دوركهايم ٥ ، ٦
دوسابوف ٢
دوشار ٨٨ ، سهيل ٢٧
دور نافيهه ، فرانسوا ٦١٥
دوبر ٦٦٣
د. برج ٦٧٠ ٢٥٢
دولار ،
الدومينيك ٨٣ ، ٥٩ ٦ ٢ ٦
م ٩ ، ٦١٧ ، ٦١٦
الدومينون ٢ ٧ ٤١ ٥٣
الدون ، لين ٥١٨
درهيم ، جيرج ٣ ٤ ٢ ٤
دبن بياتي ٥٠ ٦٦٨
دبي عربي ٨٠
دبيب ٣٥٢
دبكو ، الاسم ال ٦٦٦
الديمقراطية الرسمية في أوروبا الوسطى
٢ ١ الديمقراطيات الشعبية
٣ ٣ ـ ٤ ٢ الديمقراطيات الشعبية في
وروبا الوسطى والشرقية ٥٢١ ٥٤
توحيد الديمقراطيات الشعبية ٥٢٨ ـ ٥٣٩
الديموغرافيه العركية ٨٣ ـ ٨٨
د ٨٢
٨٣
بن المسجون ٢٨
ذي بروسل ٩
ديبوسي ٢٢٤
بتروت ٢٣٨ ،
ذي غر المبرد الكونوبول ٣٣٢
ذي مون ٣٤٤ ، ٣٩٦
ذ. فلا الوسيقار ٢٢٩
ذي لاتور فون ٢ ٤
ذي ماد ، عمري ٩٧ ٦٨ ، ٩٤
دمشق ٦٨

ر

ر ني العام والانتخابات ٩ ٩٦
ر مالو ، حامد ٤٢ ٢٩
ر سياسية متاحتها ٦ ٨٥
الرابطة الاسلامية في الهند ٦٤٤ ، ٦٣٧ ،
٢٨
راكينوفيتش ٢٩
رفدات ٢٢٩

انجيل ٢٥٣
رائل ١٢٤
رابرت ٨٠٥
رولدي أوريلي ٥٢ ، ٧٣١ ، ٧٣٤
رالف ، رشرد ١ ، ٢
الرياط ، مدينة ٧٠٩
الرأســـديع مجلس ٢٨
رستوف ٥١٨
رشيد رضا ، محمد ٦٧٢
رضا خان بهلوي ٦٨
رواليندز ١٣١
روبلنو ، جيل ٣٤
روترفام ٣٩
رودولف ٧٨٢ ، ٧٨٨
رودريس الشمالية ٣٠٧ ، ٧٠٩ ، ٧٢ ،
٧٣٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٩ ، ٧٣٣ ، ٧٣٧
٧٤ ، ٧٤٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٩ ، ٧٦٦
رودريس الجنوبية ٧١٢ ، ٧٣٤ ، ٧٣٩ ،
٧٤ ، ٧٥٧ ، ٧٦٧
روجر الكسيدريج ٣٧
روي فلنت الرابع ٩ ، ١٤٨ ، ١٤٩
٩٣ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٢ ، ١٧ ، ٥ ، ٤
٤٢ ، ٢١٤ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨
٤٤٣ ، ٥٩٩ ، ٦٤٤
روركا ٢٩٤
رودريرج ٢٩ ، ٤٤٢ ، ٤٧٣
روستوف ٣٩٦
روسي ٢٣٤
روسنكيع ٣٧٥
روسو ، جين جاك ٣٩٩
روسيا ٢ ، ٣ ، ٢٢ ، ٦٥ ، ٧٨ ، ٣٠ ،
٣٣ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٦ ، ٤٤ ، ٥٤ ، ٤٩ ،
٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٧٤ ، ٨٦
٤١ ، ٢٢٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥١
٢٣٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩
٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٧٢
٣٧٩ ، ٣٤٤ ، ٥١١ ، ٥٣ ، ٥٣٣ ، ٥٦٠
٥٧٤ ، ٦٤١
روميو البيضاء جمهورية ٢٦٥ ، ٣٧٢
٣٨ ، ٤٤٤
روسيل ٢٤
روظفر ٩٤
روما ٨٩ ، ٢١٦ ، ٥٣٥ ، ٦٣٤
روحان جول ٢ ، ٣
رومن رولان ١٦ ، ١٩٩
روسيا ٤٩ ، ٨٦ ، ١ ، ٦
٣٤ ، ٣٧ ، ٤٦ ، ١٧٥ ، ٢٢٥ ، ٢٣٦
٣٧٨ ، ٤ ، ٣١٥ ، ٥٣٣ ، ٥٣٥ ، ٥٣٥
٥٣٦ ، ٥٤٧ ، ٥١٩ ، ٨ ، ٤
روسل ٣٩٢ ، ٣ ، ٤٨٢
روسو ، ج ج ٢٩٢ ، ٢٩٣
الروس ٣٧ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٥ ، ٨٠٨ ، ١
روم ٢٢٥
ريدا ٤٤ ، ٢٥١
الريف ٦ ، ٥
ريكماس ٧٤٤
ريكوف ٣٢٠
ريمارك ٢٣٧
الرين ، نهر ٤٥ ، ٥ ، ٣٥ ، ٥٤٤ ، ٥٥٤
ريتر برل ٦٨ ، ٦٩
ريتوديل ٣ ، ١ ، ٦٨
الريح ١٨٦ ، ٥٨ ، ٢ ، ٨

زار ، مدينة ٥
وردماس ٣٦٥
زلطون بالت ٦٨٨
زمستوف اتحاد ٣٣
زميا ٧٥٦
زمبير ٧٥١
الزنجية ٧٦٠ — ٧٦٢
زولا ١١٦
زيرواله ٣٣
زيتونيات ٣٠٩ ، ٣٤

س

سالي ، اربله ١٢٤
السلو ٣٧ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٦٥ ، ٦٧
سالزاتوف ٥١٨
سافرن ٢ ، ٢٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٢ ، ٤٩٤
٤٩٦
سالفية سيدي يوسف ٧١
السالكن ٣٥ ، ٣٧
سالزكو ٨٧ ، ٢ ، ٢٣٨ ، ٦٠٧
سالزبو ٣٦
سالو ، حكومة ٣٦٦
سمولوا ٣٥
سانت البين ٢٤
سانت اكسوبري ٤ ، ١
سن جرمنت ٣٩٩

سانت لويس ، مدينة ٧٢٥
سير سيلفادور ٥٨٥ ، ٦١٣ ، ٦١٧
سان فرنسيسكو ١٧ ، ٣ ، ٥ ، ٦٨٢
ساو باولو ٦٨٦ ، ٥٨١ ، ٥٨٧ ، ٦١ ، ٦ ، ٥
صاليون ٦٦٨
سايكس ، بيكو الاتفاق ٦٧٤
سيركلوس بونك ٣٢
سيك ، ١٩٤ ، ٤٦٢
سبنسر ، هربرت ٢
سفاندنفي ٢١٢
ستالين ٧٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ١٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣١٠ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٤٠٧ ، ٤٢١ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٩٤
ستالينغراد ٥ ، ٣ ، ٣٦١ ، ٣٢٧ ، ٣٧٥ ، ٤ ، ٤٢٩ ، ٥٢٩
ستانكيفيتش ٢٧٤ ، ٢٧١
ستراسبورغ ٣٩٩ ، ٤٦٢
ستراسمان ٧٨٨
ستراتسمكر ١٣٤ ، ٤٩٥
ستوب ١٥٩
ستودارد ، دون لوثروب ٦٨
ستوشنيغ ، الكونت يوليوس ٤ ، ٤
ستيوارت ، هوستن ٣٢٢
ستوكهولم ٥ ، ٣
سنجلس شتاندرورد ٦٣٣ ، ٦٣٩
سراتوف ، جيوركيه ٣٤٤ ، ٣٦٦
سرواك ، مقاطعة ٦٦٤
سردينيا ٣٦٦
سلوفاكيا ٨١٨
سمورنا ، أو ازمير ٢٢٤ ، ٣٩٦
سكندينافية ، الجزيرة ٢١ ، ١٤٢ ، ٢٨٠ ، ٤٨ ، ٤٩٤
سكودا ، معامل ٢٨٠
سلوفينيا ٥ ، ٥٠١ ، ٥٠٢
سليزيا ، جزيرة ٦٥٣
سمارت ، وندر ٨٩
سليمان ، جزر ٣٦ ، ٤٠٨
سيراكيوز ٦٩٨ ، ٥١٧
سمكس ، الجنرال ٢١٥ ، ٦٢
سنغافورة ٥ ، ٦٠٦
سنغافورة ٦٢٢ ، ٦٥٣ ، ٦٨٥ ، ٦٦٣ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢
السنغال ٧٣٤ ، ٧٥٠
السودان جمهورية ٢ ، ١٧٨ ، ١٨٨ ، ٧٣٢ ، ٧٥٨

سورية ٥٣ ، ٢٨١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٥ ، ٦٨٨
السويد ٦٥ ، ٢١ ، ١٤ ، ٥٩ ، ٦ ، ٤ ، ١٧ ، ١٧٥ ، ١٨٣ ، ١٩٦ ، ٣٧٥ ، ٤٢٢ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦٦ ، ٤٦٣ ، ٤٧٠ ، ٥٣٩ ، ٥٧١ ، ٨٤
سنتمان ري ٦٢٩ ، ٧١٥
مسور ليبوكسين ٧٥٢ ، ٧٥٩ ، ٧٦١
س بيك ب سن ٥٦ ، ٥٦١
سنكر ٢
سنودن ٢٣ ، ٤ ، ١ ، ٦٥
سوأسيون ٣٤
السويد ٤ ، ٢
سوراكارتا ٦٤٨
سورنرلف ٥٢١
سوريكين ٥١٥ ، ٤٦٢ ، ٤٩٣
سوق الاحراس ٧١
السوق الاوروبية المشتركة بموجب معاهدة روما ١٨٧ ، ٤٦٥ ، ٤٤٩
سيوكارنو ٦٦١ ، ٦٢٨ ، ٦٣٨ ، ٥١ ، ٦٥١
سومطرة ٦٥٣
السويس ، قناة ١٨ ، ٢٤١
سويسرا ١٦ ، ٣٢ ، ٤٨ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ١٣١ ، ٢٧ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ١٥٦ ، ١٨٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٦ ، ٢١ ، ٢١٤ ، ٢٥٧ ، ٤٨٨ ، ٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٥ ، ٤٧ ، ٤٨٢ ، ٤ ، ٥ ، ٥٧٤ ، ٨٢
سيبيريا ٢ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٢٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٦٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٨ ، ٩
سيتروين ٦٥
سيدي براني ٦١٢ ، ٦٦٩
سير ليون ٦٣٧ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥
سيزان ٤٣٧
سيطوطرة ٩٢
سيفر ، معاهدة ٦٧٥
سيكوتوريه الرئيس ٧٥٩
سيمونوف ٥٢١
سيمبسان ، فرسوا ٤٩٦
السينما ٦٩ ، ٤٢١ ، السينما الصمت
العرب المالية الثانية ٤٩٣ ، ٤٩٥
سيلا ٦٢٨
سيليزيا ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٢٧٥

ش

شاهت ، الدكتور ١٨١

شارل ، ريشة ٤٢١
شاريت ، الرحال ٧٧٣
الشاطيء الذهبي ٧٩٦ ، ٧٤١ ، ٧٣٥ ،
٧٦٩ ، ٧٣ ، ٧٣١ ، ٧٤٢ ، ٧٣٧ ، ٧٤٨
٧٥ ، ٧٥ ، ٧٥٢ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٦١
شاطيء العاج ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣
شاهالي ، ملك ٢
شانغ كاي ــ شك ٩٥ ، ٢٩ ، ٤٢
٦ ، ٥ ، ٢٩ ، حكومته مدة ٩٣٧
٥٦٣ ، ٤٦٤ ، ٥٦٧ ، ٥٧١ ، ٦٣٩
شتقلر ، أوبر كـ ٨١ ، ٢٤٨ ، ٢٢٣
شجاتيك ٢
شرمنان
شتراتفير ، ٣٧
الشرق الأدنى ١٨ ، ٤٩ ، ٤٧٢ ، ٤٩٤ ،
٦٧ ، ٦٧١ ، ٦٧٨ ، ٦٨١ ، ٦٨٦ ، ٧٩١
الشرق الأوسط ٤١ ، ٣ ، ٦٤٩ ،
٦٨٣
الشرق الأقصى ٦ ، ٦٨ ، ٥٣ ، ٦٢٥ ،
٧٤١ ، ٨٢٥ ، ٨٣٦
الشركة الأمريكية للأسعار ٦ ، ٦٠
شرودس ٧٨٧
الشريف حسين ٦٧٨
شبا ٢٧٥
شيفر ٤٤
شلاي ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦٧
شهرير ٦٥١
شوتز ١٢
شولوكوف ٥٢٥
شومان ، خطة ١٦٢
شوبرج ٩٢٥
شوتان ١٦٩
شوطنيج ٢٤٦ ، ٢٣٣
شوبلر ١٢١
شيانو ٤
شيرــ وكي ٨٠١
الشيكلي ٦٨٨
شيكاغو ٤٩٣
الشيلي ١٩ ، ٧٣ ، ٤٧٣ ، ٤٥٦ ، ٧٥ ،
١٧٩ ، ٩٦ ، ٢٤١ ، ٤٣٣ ، ٤٤١ ، ٥٨١
٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٩ ، ٥٤٤ ، ٥٤٩ ، ٥١٧
٥٦٨ ، ٥٤٤ ، ٦ ، ٦٠٣ ، ٦٣٧
الشيوعية ، ضعف أحزابها ٢ ، ١ ، ٨ ،
تسربها ١٩٥ ــ ٩٢ ، الشيوعية العربية
والسياسية ٢٥٤ ــ الحرب الشيوعي في
روسيا ١ ، ٢ ــ ٣ ، ٣ تطور الأحزاب
الشيوعية ٥٢٣ ، قيام النظام الشيوعي

٥٣٣ ، ٤٣٦ ، نموه في أميركا اللاتينية
٥٩٧

ص

صباح ، مقاطعة ٦٦٤
الصحافة ٦ ، ٦٤ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ــ ٦٧٤
صربيا ٢٨ ، ٢٨٨ ، ١ ، ٤ ، ٥٥٠ ، ٥٥٦
صقلية ٣٥ ، ٢٥٣ ، ٣١ ، ٣٦٣ ، ٣٦
صون يات سن ٢ ، ٤٥٣
الصين ١٧ ، ٨ ، تصبح لاسوايل أوروبا
٧ ، ٨١ ، ٢٦ ، ١٧ ، ٦٢ ، ٧١ ، ١٤
٥٥٤ ، ٥٧ ، ١٣٣ ، ٢٤ ، ١٨٠ ، ٨٢
٣٥٣ ، ٤٤٣ ، ٦٠ ، ٤٠٨ ، ٤٠٦ ، ٤١٨
٢ ، ١٤٧ ، ٤٣٩ ، ٤٦٨ ، ٦ ، ٥ ، الصين
تصبح شيوعية ٥٥٨ ، ٥٦٨ ، الصين
الشيوعية الصينية ٥٦١ ــ ٥٦٦ ــ الحرب
الأهلية بها ٥٤٥ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ،
الصين الجديدة ٥٦٨ ، وسماتها ، ٥٧٣
٥٧١ ، الزرقة الصينية ٥٧٤ ، ٥٧٥ ،
٥٧٣ ، ٥٧٨ ، ٨ ، ٦ ، ٦١٩ ، ٦٠٥ ، ٦٢٦
٦٢٠ ، ٦٢٣ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٦ ، ٦٦٧
٦٦٨ ، ٦٧ ، ٦٧١ ، ٧٥٩ ، ٨٢٦ ، ٨٢٨

ط

طبرق ٣٦٣
طرازار ، الجنرال ٥٨٢
طرابلس الغرب ١٥
طشقند ٢٧٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩٨ ، ٥٥٧
طلباني ٤ ، ١
طنجة ٤ ، ١ ، ٢
طوابي ، بيب ٤٢٤
طهران ٦٨١
طوكيو ٣٠ ، ٤ ، ٣٧ ، ٨١٣

ع

عبد الحميد ، السلطان ٦٧٢
عبد الخالق الطريفي ٦٨
عبد الكريم ٧٠٧
عبد الله بن الحسين ، الأمير ٦٧٩ ، ٦٨٨
عبده محمد ٦٧ ، ٦٧٢
عبود ، اللواء ٧٣٢

حلف ٦٨٨
الشمالية أو الحلف الشمالي ٦٠٧ — ٦٠٨ ؛ ٦
العراق ٣٥ ؛ ٣٤٣ ؛ ٦٤٧ ؛ ٦٧٥ ؛ ٦٧٨ ؛ ٦٧٩ ؛ ٦٨١ ؛ ٦٨٤
الملايين ٣٦٢
المال والعمال اضطرابات ٢٨ — ٣٩ ؛ حرب العمال في الكلستر ٣ ؛ ٥ ؛ م ١٣٨ — ١٣٩ الحركات والاضطرابات العمالية ٩ ؛ ١٩٣ ؛ العمل الاوتوماتي في الحرب الحالية ٣٨٠ — ٣٨٥ ؛ قصة الطبقة العمالية في الولايات المتحدة الاميركية ٤٣٣ ؛ ٤٣٤
مقالة ٦٠٧
المتصرفية ٨٥ ؛ ٨٦ ؛ ٣٧١ — ٣٧٤

ع

الفابيون ٧١٩ ؛ ٧٣٣ ؛ ٧٣٥ ؛ ٧٣٦ ؛ ٧٣٠ ؛ ٧٦٠
عاصب ؛ فريدريكو ٣٣٩
العاقلون ٨١٣
عاصري ٦٩٢ ؛ ٦٧٥
عالم ؛ الكويت ٣ ؛ ٤
عام ٦٥٤ ؛ دساتيرها الحديثة ٦٥٥ ؛ ٦٥٦ ؛ ٦٥٨ ؛ ٦٥٩ ؛ ٦٦٢ ؛ ٦٦٧ ؛ ٧٧١
عرشتي ٤ ؛ ١ ؛ ٢٣٤
عالمي ٣ ؛ ١٩٩ ؛ ٦٢١ ؛ ٦٢٢ ؛ ٦٣٧ ؛ ٦٣٨ ؛ ٦٤٦ ؛ ٤
عراقي ١ ؛ ٤
عروبوس ؛ دوكتور ١٩٥
عرفان ؛ جورج ١٤١
عريطر ٣٤٢
عستيكار ٥ ؛ ٤
عسكوني ؛ داهيد ٢٠١
العلوم بالنسبة ٦٩٩
عمية ٣٣٤ ؛ ٣٣٧ ؛ ٧٥٤
عوانيسيان ٢٥٦ ؛ ٤٨٢ ؛ ٥٨٥ ؛ ٥٩٠ ؛ ٥٩٦ ؛ ٦٠٦ ؛ ٦٠٢ ؛ ٦٠٦ ؛ ٦١٧
عوام ٨ ؛ ٤
عوبلر ٣٦٨ ؛ ٣٧٤ ؛ ٣٨٦
العوديون ٣٤٢
عويدي ٣٤٢
عوركي ٩ ؛ ٣٠ ؛ ٣١
عوله دوتر ؛ بلجي ٤٣٨
عولمر ٦١ ؛ ٦١٥
عومولكا ٥٤٢

الغربان ٥٨٥ ٦٢٢
غرنج ١٥١ ؛ ٩٢٢ ؛ ١٩٣ ؛ ٤
رفوفير دي كرسنا ٦١٥
غيرلرد ٦٦٤
غيانت ؛ دوبرت ٥٢٧
الغينيه ٧٥٠ ؛ ٧٥٩ ؛ ٧٦١
الغينيه البرتغالية ٧٣٤
غينيا الغينيه ؛ أو ايزبان ٤٩ ؛ ٢٠٨ ؛ ٥٧٨ ؛ ٦٥٢ ؛ ٧١٤

ف

الفابيكان ٨ ؛ ٤ ؛ المجمع الفاتيكاني ٥١ ؛ ٥ ؛ ٢ ؛ ٥
فارس الملك ٦٨٨
فارس الكسندر ٦٦٥
فاس ؛ مدينة ٦ ؛ ٧
فاسكو دموس ٤ ؛ ٦٠
الفاشية ٨ ؛ ٩٨ ؛ ٩٩ ؛ ١٩٥ ؛ ١٩٦ ؛ ٢٠٦ ؛ الفاشوربيات الفاشية ٢٣٥ — ٢٤٠ ؛ ٤ ؛ الموسيليسم ٢٥٥ ؛ القوى ٢١٦ ؛ الفروف وصوب للحكم ٢١٩ ؛ مقيدها ٩ ؛ ٢٢ ؛ التجارية الفاشية الايطالية ٢٣ — نفوذها ٢٢٩ ؛ ٢٣٢ — الاحزاب الفاشية في اوروبا ٢٣٦ ؛ النظام السوفياتي والفاشية ٣١٢ ؛ ٤ ؛ ٢ ؛ ٤ ؛ ٦٦٤
الفاشلة ؛ جزر ٣٥٥
الفاشيين ٢٣٦
فالو ؛ جورج جمعيته ؛ ٢٢٩
فالبري ؛ بول ٥٩ ؛ ٢ ؛ ٤ ؛ ٢٩٥
فان در روه ٥٤٥
فان فن برولك ؛ مزر ٨٤ ؛ ٢٢٢ ؛ ٢٢٣
فس بلاند ٢٩
فان فرغ ٢٢٧
فانير ستون ٩٤
فتح جوائد سكوت ١٩
فجيدوس ٢٢
فراي ؛ الويسيس انوراد ٦١٧
فرانك حاكم عام بولونيا ٥ ؛ ٤
فرانكفورت ٣٥٢
فرجينيا ١١٩
فرذان ٢٩ ؛ ٣٢٦ ؛ ٣٢٨
فرحات حشاس ٦٢١ ؛ ٧٠٨
فرسوفيا ٢٩٤ ؛ ١٦٠ ؛ ٢٥٤ ؛ ٣٦٤ ؛ ٥٢٤
فرنانس ٦٦٠ ؛ ٦٦١
فرنسي ٧٨٨ ؛ ٧٢٩

قرمسة ٩٥ ، ٦٤ ، ٢ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٩٩ ، ٣٠ ، ٣٠ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٩٩ ، ٧ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩ ، ٩٥ ، ٧ ، ٣ ، ١٠٠ ، ٢ ، ٢٨ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٤٩ ، ١٤٢ ، ٥ ، ١٩٦ ، ٩٥ ، ١٦٥ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩ ، ١٩٦ ، ١٧٦ ، ١٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٩٨ ، ٩٦ ، ٢ ، ٤ ، ٢ ، ١٩٣ ، ٢٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٦ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥١٠ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٣٠ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٨ ، ٥٦٠ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٨ ، ٦٠٠ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٨ ، ٦١٠ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٨ ، ٦٢٠ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٨ ، ٦٣٠ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٨ ، ٦٤٠ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٨ ، ٦٥٠ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٨ ، ٦٦٠ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٨ ، ٦٧٠ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٨ ، ٧٠٠ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٨ ، ٧١٠ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٨ ، ٧٢٠ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٨ ، ٧٣٠ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٨ ، ٧٤٠ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٨ ، ٧٥٠ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٨ ، ٧٦٠ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٨ ، ٧٧٠ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٨ ، ٨٠٠ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٨ ، ٨١٠ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٨ ، ٨٢٠ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٨ ، ٨٣٠ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٨ ، ٨٤٠ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٨ ، ٨٥٠ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٨ ، ٨٦٠ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٨ ، ٨٧٠ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٨ ، ٩٠٠ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٨ ، ٩١٠ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٨ ، ٩٢٠ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٨ ، ٩٣٠ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٨ ، ٩٤٠ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٨ ، ٩٥٠ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٨ ، ٩٦٠ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٨ ، ٩٧٠ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٨ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٨ ، ١٠١٠ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٨ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٨ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٨ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٨ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٨ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٨ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٨ ، ١١٠٠ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٨ ، ١١١٠ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٨ ، ١١٢٠ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٨ ، ١١٣٠ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٨ ، ١١٤٠ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٨ ، ١١٥٠ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٨ ، ١١٦٠ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٨ ، ١١٧٠ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٨ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٨ ، ١٢١٠ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٨ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٨ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٨ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٨ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٨ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٨ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٨ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٨ ، ١٣١٠ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٨ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٨ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٨ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٨ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٨ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٨ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٨ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٨ ، ١٤١٠ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٨ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٨ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٦ ، ١٤٣٨ ، ١٤٤٠ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٨ ، ١٤٥٠ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٨ ، ١٤٦٠ ، ١٤٦٤ ، ١٤٦٥ ، ١٤٦٦ ، ١٤٦٨ ، ١٤٧٠ ، ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ ، ١٤٧٦ ، ١٤٧٨ ، ١٤٧٩ ، ١٤٨٠ ، ١٤٨٤ ، ١٤٨٥ ، ١٤٨٦ ، ١٤٨٧ ، ١٤٨٨ ، ١٤٨٩ ، ١٤٩٠ ، ١٤٩٤ ، ١٤٩٥ ، ١٤٩٦ ، ١٤٩٨ ، ١٥٠٠ ، ١٥٠٤ ، ١٥٠٥ ، ١٥٠٦ ، ١٥٠٨ ، ١٥١٠ ، ١٥١٤ ، ١٥١٥ ، ١٥١٦ ، ١٥١٨ ، ١٥٢٠ ، ١٥٢٤ ، ١٥٢٥ ، ١٥٢٦ ، ١٥٢٨ ، ١٥٣٠ ، ١٥٣٤ ، ١٥٣٥ ، ١٥٣٦ ، ١٥٣٨ ، ١٥٤٠ ، ١٥٤٤ ، ١٥٤٥ ، ١٥٤٦ ، ١٥٤٨ ، ١٥٥٠ ، ١٥٥٤ ، ١٥٥٥ ، ١٥٥٦ ، ١٥٥٨ ، ١٥٦٠ ، ١٥٦٤ ، ١٥٦٥ ، ١٥٦٦ ، ١٥٦٨ ، ١٥٧٠ ، ١٥٧٤ ، ١٥٧٥ ، ١٥٧٦ ، ١٥٧٨ ، ١٥٧٩ ، ١٥٨٠ ، ١٥٨٤ ، ١٥٨٥ ، ١٥٨٦ ، ١٥٨٧ ، ١٥٨٨ ، ١٥٨٩ ، ١٥٩٠ ، ١٥٩٤ ، ١٥٩٥ ، ١٥٩٦ ، ١٥٩٨ ، ١٦٠٠ ، ١٦٠٤ ، ١٦٠٥ ، ١٦٠٦ ، ١٦٠٨ ، ١٦١٠ ، ١٦١٤ ، ١٦١٥ ، ١٦١٦ ، ١٦١٨ ، ١٦٢٠ ، ١٦٢٤ ، ١٦٢٥ ، ١٦٢٦ ، ١٦٢٨ ، ١٦٣٠ ، ١٦٣٤ ، ١٦٣٥ ، ١٦٣٦ ، ١٦٣٨ ، ١٦٤٠ ، ١٦٤٤ ، ١٦٤٥ ، ١٦٤٦ ، ١٦٤٨ ، ١٦٥٠ ، ١٦٥٤ ، ١٦٥٥ ، ١٦٥٦ ، ١٦٥٨ ، ١٦٦٠ ، ١٦٦٤ ، ١٦٦٥ ، ١٦٦٦ ، ١٦٦٨ ، ١٦٧٠ ، ١٦٧٤ ، ١٦٧٥ ، ١٦٧٦ ، ١٦٧٨ ، ١٦٧٩ ، ١٦٨٠ ، ١٦٨٤ ، ١٦٨٥ ، ١٦٨٦ ، ١٦٨٧ ، ١٦٨٨ ، ١٦٨٩ ، ١٦٩٠ ، ١٦٩٤ ، ١٦٩٥ ، ١٦٩٦ ، ١٦٩٨ ، ١٧٠٠ ، ١٧٠٤ ، ١٧٠٥ ، ١٧٠٦ ، ١٧٠٨ ، ١٧١٠ ، ١٧١٤ ، ١٧١٥ ، ١٧١٦ ، ١٧١٨ ، ١٧٢٠ ، ١٧٢٤ ، ١٧٢٥ ، ١٧٢٦ ، ١٧٢٨ ، ١٧٣٠ ، ١٧٣٤ ، ١٧٣٥ ، ١٧٣٦ ، ١٧٣٨ ، ١٧٤٠ ، ١٧٤٤ ، ١٧٤٥ ، ١٧٤٦ ، ١٧٤٨ ، ١٧٥٠ ، ١٧٥٤ ، ١٧٥٥ ، ١٧٥٦ ، ١٧٥٨ ، ١٧٦٠ ، ١٧٦٤ ، ١٧٦٥ ، ١٧٦٦ ، ١٧٦٨ ، ١٧٧٠ ، ١٧٧٤ ، ١٧٧٥ ، ١٧٧٦ ، ١٧٧٨ ، ١٧٧٩ ، ١٧٨٠ ، ١٧٨٤ ، ١٧٨٥ ، ١٧٨٦ ، ١٧٨٧ ، ١٧٨٨ ، ١٧٨٩ ، ١٧٩٠ ، ١٧٩٤ ، ١٧٩٥ ، ١٧٩٦ ، ١٧٩٨ ، ١٨٠٠ ، ١٨٠٤ ، ١٨٠٥ ، ١٨٠٦ ، ١٨٠٨ ، ١٨١٠ ، ١٨١٤ ، ١٨١٥ ، ١٨١٦ ، ١٨١٨ ، ١٨٢٠ ، ١٨٢٤ ، ١٨٢٥ ، ١٨٢٦ ، ١٨٢٨ ، ١٨٣٠ ، ١٨٣٤ ، ١٨٣٥ ، ١٨٣٦ ، ١٨٣٨ ، ١٨٤٠ ، ١٨٤٤ ، ١٨٤٥ ، ١٨٤٦ ، ١٨٤٨ ، ١٨٥٠ ، ١٨٥٤ ، ١٨٥٥ ، ١٨٥٦ ، ١٨٥٨ ، ١٨٦٠ ، ١٨٦٤ ، ١٨٦٥ ، ١٨٦٦ ، ١٨٦٨ ، ١٨٧٠ ، ١٨٧٤ ، ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ ، ١٨٧٨ ، ١٨٧٩ ، ١٨٨٠ ، ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ ، ١٨٨٦ ، ١٨٨٧ ، ١٨٨٨ ، ١٨٨٩ ، ١٨٩٠ ، ١٨٩٤ ، ١٨٩٥ ، ١٨٩٦ ، ١٨٩٨ ، ١٩٠٠ ، ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ ، ١٩٠٦ ، ١٩٠٨ ، ١٩١٠ ، ١٩١٤ ، ١٩١٥ ، ١٩١٦ ، ١٩١٨ ، ١٩٢٠ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٨ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٨ ، ١٩٤٠ ، ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ ، ١٩٤٨ ، ١٩٥٠ ، ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٠ ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٨ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ ، ١٩٧٨ ، ١٩٧٩ ، ١٩٨٠ ، ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ ، ١٩٨٦ ، ١٩٨٧ ، ١٩٨٨ ، ١٩٨٩ ، ١٩٩٠ ، ١٩٩٤ ، ١٩٩٥ ، ١٩٩٦ ، ١٩٩٨ ، ٢٠٠٠ ، ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٥ ، ٢٠٠٦ ، ٢٠٠٨ ، ٢٠١٠ ، ٢٠١٤ ، ٢٠١٥ ، ٢٠١٦ ، ٢٠١٨ ، ٢٠٢٠ ، ٢٠٢٤ ، ٢٠٢٥ ، ٢٠٢٦ ، ٢٠٢٨ ، ٢٠٣٠ ، ٢٠٣٤ ، ٢٠٣٥ ، ٢٠٣٦ ، ٢٠٣٨ ، ٢٠٤٠ ، ٢٠٤٤ ، ٢٠٤٥ ، ٢٠٤٦ ، ٢٠٤٨ ، ٢٠٥٠ ، ٢٠٥٤ ، ٢٠٥٥ ، ٢٠٥٦ ، ٢٠٥٨ ، ٢٠٦٠ ، ٢٠٦٤ ، ٢٠٦٥ ، ٢٠٦٦ ، ٢٠٦٨ ، ٢٠٧٠ ، ٢٠٧٤ ، ٢٠٧٥ ، ٢٠٧٦ ، ٢٠٧٨ ، ٢٠٧٩ ، ٢٠٨٠ ، ٢٠٨٤ ، ٢٠٨٥ ، ٢٠٨٦ ، ٢٠٨٧ ، ٢٠٨٨ ، ٢٠٨٩ ، ٢٠٩٠ ، ٢٠٩٤ ، ٢٠٩٥ ، ٢٠٩٦ ، ٢٠٩٨ ، ٢١٠٠ ، ٢١٠٤ ، ٢١٠٥ ، ٢١٠٦ ، ٢١٠٨ ، ٢١١٠ ، ٢١١٤ ، ٢١١٥ ، ٢١١٦ ، ٢١١٨ ، ٢١٢٠ ، ٢١٢٤ ، ٢١٢٥ ، ٢١٢٦ ، ٢١٢٨ ، ٢١٣٠ ، ٢١٣٤ ، ٢١٣٥ ، ٢١٣٦ ، ٢١٣٨ ، ٢١٤٠ ، ٢١٤٤ ، ٢١٤٥ ، ٢١٤٦ ، ٢١٤٨ ، ٢١٥٠ ، ٢١٥٤ ، ٢١٥٥ ، ٢١٥٦ ، ٢١٥٨ ، ٢١٦٠ ، ٢١٦٤ ، ٢١٦٥ ، ٢١٦٦ ، ٢١٦٨ ، ٢١٧٠ ، ٢١٧٤ ، ٢١٧٥ ، ٢١٧٦ ، ٢١٧٨ ، ٢١٧٩ ، ٢١٨٠ ، ٢١٨٤ ، ٢١٨٥ ، ٢١٨٦ ، ٢١٨٧ ، ٢١٨٨ ، ٢١٨٩ ، ٢١٩٠ ، ٢١٩٤ ، ٢١٩٥ ، ٢١٩٦ ، ٢١٩٨ ، ٢٢٠٠ ، ٢٢٠٤ ، ٢٢٠٥ ، ٢٢٠٦ ، ٢٢٠٨ ، ٢٢١٠ ، ٢٢١٤ ، ٢٢١٥ ، ٢٢١٦ ، ٢٢١٨ ، ٢٢٢٠ ، ٢٢٢٤ ، ٢٢٢٥ ، ٢٢٢٦ ، ٢٢٢٨ ، ٢٢٣٠ ، ٢٢٣٤ ، ٢٢٣٥ ، ٢٢٣٦ ، ٢٢٣٨ ، ٢٢٤٠ ، ٢٢٤٤ ، ٢٢٤٥ ، ٢٢٤٦ ، ٢٢٤٨ ، ٢٢٥٠ ، ٢٢٥٤ ، ٢٢٥٥ ، ٢٢٥٦ ، ٢٢٥٨ ، ٢٢٦٠ ، ٢٢٦٤ ، ٢٢٦٥ ، ٢٢٦٦ ، ٢٢٦٨ ، ٢٢٧٠ ، ٢٢٧٤ ، ٢٢٧٥ ، ٢٢٧٦ ، ٢٢٧٨ ، ٢٢٧٩ ، ٢٢٨٠ ، ٢٢٨٤ ، ٢٢٨٥ ، ٢٢٨٦ ، ٢٢٨٧ ، ٢٢٨٨ ، ٢٢٨٩ ، ٢٢٩٠ ، ٢٢٩٤ ، ٢٢٩٥ ، ٢٢٩٦ ، ٢٢٩٨ ، ٢٣٠٠ ، ٢٣٠٤ ، ٢٣٠٥ ، ٢٣٠٦ ، ٢٣٠٨ ، ٢٣١٠ ، ٢٣١٤ ، ٢٣١٥ ، ٢٣١٦ ، ٢٣١٨ ، ٢٣٢٠ ، ٢٣٢٤ ، ٢٣٢٥ ، ٢٣٢٦ ، ٢٣٢٨ ، ٢٣٣٠ ، ٢٣٣٤ ، ٢٣٣٥ ، ٢٣٣٦ ، ٢٣٣٨ ، ٢٣٤٠ ، ٢٣٤٤ ، ٢٣٤٥ ، ٢٣٤٦ ، ٢٣٤٨ ، ٢٣٥٠ ، ٢٣٥٤ ، ٢٣٥٥ ، ٢٣٥٦ ، ٢٣٥٨ ، ٢٣٦٠ ، ٢٣٦٤ ، ٢٣٦٥ ، ٢٣٦٦ ، ٢٣٦٨ ، ٢٣٧٠ ، ٢٣٧٤ ، ٢٣٧٥ ، ٢٣٧٦ ، ٢٣٧٨ ، ٢٣٧٩ ، ٢٣٨٠ ، ٢٣٨٤ ، ٢٣٨٥ ، ٢٣٨٦ ، ٢٣٨٧ ، ٢٣٨٨ ، ٢٣٨٩ ، ٢٣٩٠ ، ٢٣٩٤ ، ٢٣٩٥ ، ٢٣٩٦ ، ٢٣٩٨ ، ٢٤٠٠ ، ٢٤٠٤ ، ٢٤٠٥ ، ٢٤٠٦ ، ٢٤٠٨ ، ٢٤١٠ ، ٢٤١٤ ، ٢٤١٥ ، ٢٤١٦ ، ٢٤١٨ ، ٢٤٢٠ ، ٢٤٢٤ ، ٢٤٢٥ ، ٢٤٢٦ ، ٢٤٢٨ ، ٢٤٣٠ ، ٢٤٣٤ ، ٢٤٣٥ ، ٢٤٣٦ ، ٢٤٣٨ ، ٢٤٤٠ ، ٢٤٤٤ ، ٢٤٤٥ ، ٢٤٤٦ ، ٢٤٤٨ ، ٢٤٥٠ ، ٢٤٥٤ ، ٢٤٥٥ ، ٢٤٥٦ ، ٢٤٥٨ ، ٢٤٦٠ ، ٢٤٦٤ ، ٢٤٦٥ ، ٢٤٦٦ ، ٢٤٦٨ ، ٢٤٧٠ ، ٢٤٧٤ ، ٢٤٧٥ ، ٢٤٧٦ ، ٢٤٧٨ ، ٢٤٧٩ ، ٢٤٨٠ ، ٢٤٨٤ ، ٢٤٨٥ ، ٢٤٨٦ ، ٢٤٨٧ ، ٢٤٨٨ ، ٢٤٨٩ ، ٢٤٩٠ ، ٢٤٩٤ ، ٢٤٩٥ ، ٢٤٩٦ ، ٢٤٩٨ ، ٢٥٠٠ ، ٢٥٠٤ ، ٢٥٠٥ ، ٢٥٠٦ ، ٢٥٠٨ ، ٢٥١٠ ، ٢٥١٤ ، ٢٥١٥ ، ٢٥١٦ ، ٢٥١٨ ، ٢٥٢٠ ، ٢٥٢٤ ، ٢٥٢٥ ، ٢٥٢٦ ، ٢٥٢٨ ، ٢٥٣٠ ، ٢٥٣٤ ، ٢٥٣٥ ، ٢٥٣٦ ، ٢٥٣٨ ، ٢٥٤٠ ، ٢٥٤٤ ، ٢٥٤٥ ، ٢٥٤٦ ، ٢٥٤٨ ، ٢٥٥٠ ، ٢٥٥٤ ، ٢٥٥٥ ، ٢٥٥٦ ، ٢٥٥٨ ، ٢٥٦٠ ، ٢٥٦٤ ، ٢٥٦٥ ، ٢٥٦٦ ، ٢٥٦٨ ، ٢٥٧٠ ، ٢٥٧٤ ، ٢٥٧٥ ، ٢٥٧٦ ، ٢٥٧٨ ، ٢٥٧٩ ، ٢٥٨٠ ، ٢٥٨٤ ، ٢٥٨٥ ، ٢٥٨٦ ، ٢٥٨٧ ، ٢٥٨٨ ، ٢٥٨٩ ، ٢٥٩٠ ، ٢٥٩٤ ، ٢٥٩٥ ، ٢٥٩٦ ، ٢٥٩٨ ، ٢٦٠٠ ، ٢٦٠٤ ، ٢٦٠٥ ، ٢٦٠٦ ، ٢٦٠٨ ، ٢٦١٠ ، ٢٦١٤ ، ٢٦١٥ ، ٢٦١٦ ، ٢٦١٨ ، ٢٦٢٠ ، ٢٦٢٤ ، ٢٦٢٥ ، ٢٦٢٦ ، ٢٦٢٨ ، ٢٦٣٠ ، ٢٦٣٤ ، ٢٦٣٥ ، ٢٦٣٦ ، ٢٦٣٨ ، ٢٦٤٠ ، ٢٦٤٤ ، ٢٦٤٥ ، ٢٦٤٦ ، ٢٦٤٨ ، ٢٦٥٠ ، ٢٦٥٤ ، ٢٦٥٥ ، ٢٦٥٦ ، ٢٦٥٨ ، ٢٦٦٠ ، ٢٦٦٤ ، ٢٦٦٥ ، ٢٦٦٦ ، ٢٦٦٨ ، ٢٦٧٠ ، ٢٦٧٤ ، ٢٦٧٥ ، ٢٦٧٦ ، ٢٦٧٨ ، ٢٦٧٩ ، ٢٦٨٠ ، ٢٦٨٤ ، ٢٦٨٥ ، ٢٦٨٦ ، ٢٦٨٧ ، ٢٦٨٨ ، ٢٦٨٩ ، ٢٦٩٠ ، ٢٦٩٤ ، ٢٦٩٥ ، ٢٦٩٦ ، ٢٦٩٨ ، ٢٧٠٠ ، ٢٧٠٤ ، ٢٧٠٥ ، ٢٧٠٦ ، ٢٧٠٨ ، ٢٧١٠ ، ٢٧١٤ ، ٢٧١٥ ، ٢٧١٦ ، ٢٧١٨ ، ٢٧٢٠ ، ٢٧٢٤ ، ٢٧٢٥ ، ٢٧٢٦ ، ٢٧٢٨ ، ٢٧٣٠ ، ٢٧٣٤ ، ٢٧٣٥ ، ٢٧٣٦ ، ٢٧٣٨ ، ٢٧٤٠ ، ٢٧٤٤ ، ٢٧٤٥ ، ٢٧٤٦ ، ٢٧٤٨ ، ٢٧٥٠ ، ٢٧٥٤ ، ٢٧٥٥ ، ٢٧٥٦ ، ٢٧٥٨ ، ٢٧٦٠ ، ٢٧٦٤ ، ٢٧٦٥ ، ٢٧٦٦ ، ٢٧٦٨ ، ٢٧٧٠ ، ٢٧٧٤ ، ٢٧٧٥ ، ٢٧٧٦ ، ٢٧٧٨ ، ٢٧٧٩ ، ٢٧٨٠ ، ٢٧٨٤ ، ٢٧٨٥ ، ٢٧٨٦ ، ٢٧٨٧ ، ٢٧٨٨ ، ٢٧٨٩ ، ٢٧٩٠ ، ٢٧٩٤ ، ٢٧٩٥ ، ٢٧٩٦ ، ٢٧٩٨ ، ٢٨٠٠ ، ٢٨٠٤ ، ٢٨٠٥ ، ٢٨٠٦ ، ٢٨٠٨ ، ٢٨١٠ ، ٢٨١٤ ، ٢٨١٥ ، ٢٨١٦ ، ٢٨١٨ ، ٢٨٢٠ ، ٢٨٢٤ ، ٢٨٢٥ ، ٢٨٢٦ ، ٢٨٢٨ ، ٢٨٣٠ ، ٢٨٣٤ ، ٢٨٣٥ ، ٢٨٣٦ ، ٢٨٣٨ ، ٢٨٤٠ ، ٢٨٤٤ ، ٢٨٤٥ ، ٢٨٤٦ ، ٢٨٤٨ ، ٢٨٥٠ ، ٢٨٥٤ ، ٢٨٥٥ ، ٢٨٥٦ ، ٢٨٥٨ ، ٢٨٦٠ ، ٢٨٦٤ ، ٢٨٦٥ ، ٢٨٦٦ ، ٢٨٦٨ ، ٢٨٧٠ ، ٢٨٧٤ ، ٢٨٧٥ ، ٢٨٧٦ ، ٢٨٧٨ ، ٢٨٧٩ ، ٢٨٨٠ ، ٢٨٨٤ ، ٢٨٨٥ ، ٢٨٨٦ ، ٢٨٨٧ ، ٢٨٨

كلمون ٦٨
كلدرون ، البحر الـ ٥ ، ٢ ، ٢٣٨
كالفنا ٦١٤ ، ٦ ، ٧٦٠ ، ٧٣ ، ٧٠٦
٧٥٧ ، ٧٥٩ ، ٧٦
كليوفي ، الكاريت ٣٣ ، ٣٧
كاساتوبو ٢٦
كاساي ، دراجته ٧١٥ ، ٧٤٦
كاستور ، فيدال ٦١٢
كانون ٢١
الكاثية العركة ٣٢٦
الكاثوك ٣٧٢
كاستيلان ٣١٩ ، ٣٢١
كانزي ، جزر ٣ ، ٤
كانتون ٦٩٤
كانو ١٩ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥٥
كانوسا ٥٠٢
كاوتف ، كينيت ٧٥٦
كاير ٣٤ ، ٤ ، ٢
كانوبا ٤٤ ، ١٨٧ ، ٢٤ ، ٣٤٤
كراكشي ٣٠٦ ، ٦٤٢
كراسنوبودسك ٥٨٨
كراكاس ٣ ، ٦
الكربات ٤٠٦
كرنش ، شبه جزيرة ٢٧١
كرديناس ٤ ، ٥ ، ٦
الكرهير ٢٧٣
كركيلز ، جمهورية ٣٩٥
كرسنكي ٢٤٨
كردانيا ٥١٥ ، ٥٥١
كوكلنيه ٢٣٤
كرت ، جزيرة ٢٥٣ ، ٢٥٤
كشمير ٦٤٧
كفاحي كتاب ٨٤ ، ١٩٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٣٧١
كلكوف ٦٣٦
كنوديس ١٢
كارتصنصو ٢٢
الكمرون ٦٧١ ، ٧٢٥ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥٣
كمبرلي ٥٤
الكمبلجية العركة ٧٣٥ ، ٧٣٦
كمبرس ، الجنرال ١٢٧
كنك ٤٣
كنتون ٦٦٦
كنفا ٢٧ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٣٩ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٧٧ ، ١٦١ ، ١٩٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣ ، ٥٨٠ ، ٦٠٩ ، ٨١٧ ، ٨٢٤ ، ٨٢٨
كندي بالريس ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٦٤٤
كنغي ، بيرغريف ١٦٩
الكنائس السوداء ٧٣٤ ـ ٧٣٦
الكنيسة الاوربية الارثوذكسية ٧٦٩
الكنيسة الكاثوليكية ٥٢٩
الكنائس الانجيلية الصهيونية ٧١٩
كنيسة القلب المقدس ٧٢٩
كنيسة البرج ٧٣٦
كنيتان ، جورج ٧٤٧
كولمبس ، كريستوفر ٢٣٨
كلوفاتريم ٣١٦
كوبا ٦٠ ، ٩٦ ، ٢٤٢ ، ٥٧٨ ، ٥٨٢ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦
كوبرمان ٦ ، ٦١٧
كوهن ٥٧٣
كوبلدميك ٦١٥
كوخ ، آرثر ٣٧٢ ، ٣٧٤
كورادبلي ٤٣
كوربوريه ١٢٥ ، ١٢٦
كورت انستر ٢٥ ، ٣٧
كوديون ، الفريد ٦٧٩
كوريمك ٢٧١
كوريكا ٣٩٩
كوريلوف ٢٥
كوريو ٣٦٦
كوري ، بيير ، ماري ٦١١ ، ٧٨٨
كوريا ٩ ، ٤٢ ، ٤٢١ ، ٥٨٩ ، ٦٢٥ ، ٦٧٣
ـ حرب كوريا ٦٧٦ ـ ٦٢
كورياس ٥١٧
كوستاريكا ٦٩٦ ، ٥٨٣ ، ٥٩٣ ، ٦٠٠ ، ٦٠٢ ، ٦٤٣
كوسون ٢١
الكوشتين ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٨
كوكتر ١١٨ ، ١٢
كوكوبي تلان ٨٢
كوكوشكا ، الرسام ٢ ، ٢٢٧
كوك ، نسبه جزيرة ٢٧٦
كولدج ، فنر ليمس ٦٠٢
كولالة ٣١٩
كولشاك ٢٥٣
كولمبو ، مشروع ٧٣١ ، ٧٣٢ ـ ٧٣٨
كولمبوس ١١٦ ، ٨٨٩
كوليميا ٤٩ ، ٢٤١ ، ٥٨٨ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٦٠١ ، ٦١٢ ، ٦٥١

الكوميكون ٥٣٨، ٥٩٩
الكومنتانغ ٥٨٥، ٥٦، ٥٦٢، اصلاحاتها ٥٦٤، ٥٦٢، مصيرها ٥٦٩، ٥٦٤، ٥٦٨، ٥٧٣
الكومنترن ١٩٦
الكومنتورم ٥٣٨
كويت ١١
الكوميسومول ٢٠٣، ٣٦٥
كوبتو سيتي الاولمبي و البيسبولي ٦٨٨، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٥، ٦٨٨، ٦٧٦، ٧٢، ٧٣٠، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٨، ٧٤٧، ٧٤٦، ٧٥٨، ٧٥٩ ـ ٧٦٠، ٧٦٢، ٧٦٦، ٧٧٢
كوبتو ليوبولدفيل ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦٢
كوخلا ٨٠
الكويت ٦٨٥
كوتسيغ ٤، ٣٨٨، ٤٠٤
كيبو كلولو ١١، ٣٠، ٥٩٤
كينغل ٥، ٤٠
كيبرون ٢، ٣٠٣، ٣٢٤
كيلوغ ، اتفاق ٦٠٢
كيلي ، ج. ٢١٤، ٤٥٠، ٩٦٢، ٩٦٦
كينيا ٩٤٥، ٧١٢، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٤، ٧١، ٧٢١، ٧٥٤
كينشاسا ، جمعية ٧٥٩
كييف ٢٥٤، ٩٧، ٢٤١، ٣٢٣
كيوبن ، مرقاة ٣٥

ل

لبنان ٦٨٥، ٦٨٤، ٦٨٨
لتوبا ٤٩، ٨٦، ٢٣٨
لتسيرنة ٢٥٥، ٨، ٢٥٧
لتوف ، الأمير ٢٤٨
لتفسينوف ٣٨، ٦٧، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٩٣
لجنة ، مؤتمر ٥٨٦
لتغراد ٥١٢
لبرات ، جاك ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٩٣، ٥٩٥
لتدن ، جاك ٢١٤
لتدن ٦، ٦٩، ٧١، ١٦٩، ١٨٥، ١٨٤، ٣١٤، ٣١٦، ٤٣، ٣٢٦، ٣٢٤
٨، ٢
لريكيه ٣٥، ٣٧
لوتو سي ، كيفل ٦٠

لوخلنسون ق. ٢٢٤، ٢٤٦، ٣
لوزانس ٦٧٨
لوزكا ، فريدريكو غارسيا ٣٠، ٢٣٩
لوزان ٥١٤
لوسون ، جيزيره ٦٥٧
لوسيس ٢١
لوبين ، جامعة ٥٣، ٧٤٦
لوكارنو ، اتفاق ٢٦٢
لوموند ، تاريس ٧٥٥، ٧٠
لوميس ، بنيامين ٩
لوبيز ٧٦
لاوريه ، صلاحي ٥٨٨
لاخوس ٧٦٢
لاوس ٧٧٢
لاهاي ٨٣٨
لاهور ، مؤتمر ٦٢٤
لويد جورج ٢٥، ٢٤، ٨٩، ٩٤، ٩٥
ليبنخت ٢٢، ٣٧
ليبزيغ ٣٤
ليبيك ، وثن ٦، ١
ليبيا ٢٩٦، ٦٧٥
ليجيونير ٦، ٢، ٧٣
ليتوانيا ٤٥، ٤٩، ٤٦، ٢٨
ليخنس ، مجزرة ٤٠٢
ليتين ٩٢، ١٩٢، ٢٤٨، ٢٥٢، ٩٥٤، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٨٧، ٢٨٧، ٢٨، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠

م

ماكيفرن ، اتفاقات ١٩٣٦، ١٩٨
ماكيوني ٤، ٢٤٤ ـ ٢٤٥
ماكيس ٢٠٩
ماكور ٦٤٨، ٦٥٢
مدن ذي خط ، توجيه ١١٩، ١، ٩
مدريد ، شيرين ٢، ٩
مدغشقر ، جزر ٢٦٠
مرسال ، مفروع ٢١٩، ٢٢، ٢٤٩، ٣٢٠، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٨٦، ٥٢٨، ٥٣١، ٥٤٩

مسرحيات كلاسيكية ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥
المكتبة الوطنية ٢٠١
مناظر طبيعية ٥٥٤
مهرجان ١٩٨٤
النادي ٣٤٤
مواعيد ٣٦٠
ميكانيكا ٥٧٣
ميلاد كلاسيكي ١٢٩
ميلانكوفيتش ٣٠٧، ٣١٠، ٣١٢
مياه ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠
ميكانيكا الكم ٣٢٤
ميلانكوفيتش ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠
ميلانكوفيتش ٦٢، ٦٤٤، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٧٥
ميلان ٨٦
مدن ٤ أوبرا ٢٤٧
ميلانكوفيتش ٦٢٦
ميزهام ٢٤٩
ماء نهر يونغ ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٧٤، ٦٦٢
الماء ٣ سعرة ٧٤٢، ٧٤٣
ميكانيكي ٢٠٨، ٢١٠
ميكروبيولوجيا ٥٨
متحف الفيزياء ٣٥٠، ٣٥٩
متحف الحفل ٤٥٨
متشردين ٨٠٢
مجد يوم ٣٧
مجلس الأمن ٨، ٤
محمد بن يوسف السلطان ٦، ٧
المحيط الأطلسي ٣٥٦، الشمال الأطلسي ٦٤، ٦٥٢
المحيط الهادي ٦٨، ٣٥٠، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٩، ٣٧٣، ٦٢٤، ٦٦٩
المحيط الهندي ٦٦٣، ٦٧٩
مخدرات ٦٢٥، ٦٣٦، ٦٤٢
مدريد ٢٤
هدفشتر فو ملاشاتي ٢٠٨، ٢١٠، ٢٧٥
مدواي ٧٤٨، ٧٥٠، ٨٢٨
مدواي ٣٥٨، ٣٦٠، ٤٨
برسيليوس ٣٩
موتي ٢١
مستر آل، شيرلوك ٣، ٤
المسكونية ٥١٤، التحركة ٥١٦

مصدق ٦٨٤
مسرح ١٨، ٧٣، ٤، ٦٥، ٣٥٢، ٦٧٣، ٢٥، ٦٢٢، ٩٧، ٥٨، ٦، ٤، ٦٧١، ٦٧٥، ٦٧٧، ٦٨٠، ٦٨١، ٨٢٤، ٧٣١، ٦٨٦
مصطفى كامل ٦٧٢، ٦٧٥
معاهدات ٩٠، ٩٩٢، ٤٣ – ٤٤، ٩٥٣، ٥٢
معاهدة برست ليتوفسك ٢٤٩
معاهدة قرطاج ٢٢٣
معاهدة وفاطر ٤٢٩، ٢٦١
معاهدة دينية ٨٦ – ٨٧
المورد ٦٨٠، ٧، ٧، ٧، ٨، ٧، ٧٠٩
معدوسه ٦٨، ٤٤٥، ٤٥٢، ٥٥٦، ٤
مقدونيا ٢٢، ٤، ٤٥، ٦٨، ٤
القسطيلة ٥٦، ٩٤، ١٩٦، ٢٤، ٥٨٩، ٥٨٣، ٥٨١، ٥٨٦، ٥٩٣، ٥٩٥، ٦، ٤، ٥٩٨
مكسيكو ٨٩١
مكة والمدينة ٦٧٩
مقر ٤ الثورة ٦٧٨
المنار ٤ مجلة ٦٧٢
منتالبون ٢٩٨
مندس فرانس ١٨٣، ٧٠
مندوي ٤ الكرديتال ٥١٥
منصف ٢٩٧
منيتو ٥٧٤
مطبوعة او مطبوعو ٥٥٢، ١٧٤، ١٨٠، ٢٥٣، ٣٣، ٦، ٤، ٦، ٥٥٨، ٤، ٥٥٩، ٥٦٢
منظمة التحرير الاقتصادي الأوروبي ٤٢٩
منقوب الداخلية ٥٧٢
المهاجرة ٦٤٧
موريتو الجنرال ٧٦٠
موراسي ٤ كيفيل ٢٢٨
موريطانيا ٨
موريشيوس ٣، ٤٥، ٣، ٢٧٦
موزمبيق ٤ توسوه ٦١٩
موزيتاليو ٧٠٨، ٧٢٩، ٧٤٨
موزيو ٤٠ ب ٩
الموديستي ٤ ٧٠٧، ٧٤٧، ٧٤٨
موسى ٥٠ ٤ ٢٩٢
موسكو ١٥، ٢٥، ٢٥٥، ٣٥٤، ٣٦، ٢٩٨، ٢٧١، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٩٥، ٤٠٣، ٥٢٤، ٥٣٦، ٥٣٤، ٥٦، ٦٢٢
موسيقى ٢٣٤

موسوليني ٨٤٤ ، ٩٩٤ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ٥٠٤ ، ٧٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٣ ، ٤٣٠ ، ٢٨٤
موسيو ٣٩
مؤتمرات جنيف ٩٤٣ ، ٥٩
مؤتمرات جنيف الدولية ١٩٢٧ ، ٥
مؤتمرات جنيف ١٩٥٤ ، ٢٣
مؤتمرات روما ١٩٤١ ، ٢٠٦
مؤتمرات لندن ١٩٣٠ ، ٨٨٤
مؤتمرات واشنطون ٤٦ ، ٤٧
مؤتمرات سان فرنسيسكو ١٩٤٥ ، ١٧ ، ٥٧٧
مولدن ٢٧٧
مولتكه ٢٣
مولي ، آدم ٤٠٢
مولوتوف ٤١٦ ، ٥٢٨
مولوسيك ، جزيرة ٧٣٠
مونتاغو ٦٣٣
مونتران ، هنري دي ٩١٨
مونتغيمبو ٦١٧
مونروفيا ٣٠٣
موريح ٤٣ ، ١٩٨ ، ٣٧
موية ، جان ٦٩
مويز ، ديفيد ٩
ميكادو القصر ٣٩٥ ، ٤ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥
ميرهايم ٢٣
ميرون ، كريستيان ، البطريرك ٤٢٨
ميشلدو ، جيرارد ٥٩٤
الميكونغ ، نهر ٦٦٨
ميكونيلي ٣٣٣ ، ٥٤٦
ميلر ، هنري ١١٦
ميلانو ٣١ ، ٢٦٢ ، ١ ، ٤ ، ٨٥٥

ن

نابولي ٣٩
نابوليون ٣٦٩
نادو خان ٦٨٠
نادي الجنرال ٣٨٨ ، ١ ، ٤
نازية ، و النهضة ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، حزب النازية والسامية ٢٢٦ ، ٢١٧ ، النازية والحياة الفكرية ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٨٦ ، ٣٧٤ سياسة الإبادة فيها ٣٢٥ ، ٣٧٦ ، محاربتها ٤٨٨
ناغازاكي ٢٦ ، ٣٧ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦
ناتكي ٥٩٤ ، ٥٦٥ ، ٥٩٧
النرويج ٢٢ ، ٢٥ ، ٤ ، ٥ ، ٩٦ ، ٢٥٦ ، ٧٢١ ، ٣٧٥ ، ٣٨٢ ، ٤ ، ٤٦٥ ، ٩١ ، ٥٣٦ ، ٨٣
نغرين اي كو ٦٩٠ ، ٦٦٢
نهر ٥٠٥ سيم ٦٦٧
النقابيه ٢٣ ، ٩٣١
الهتلر ، ملي هيرطه ٥٦ ـ فصحه ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ١٢٥
النصراني بالف ٦٨٨
النقطة ظرائية ، مشروع ٣٦٨ ، ٧٩٨
نكرما ٦٢ ، ٢٢٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٨
النمسا ٤٥ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢١ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ٩ ، ٢١ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦٥ ، ٤١٧ ، ٥٤٥
النمسا ـ المجر ٩٨ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٤٤ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٢٤٣
نهرو ، ٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩
نورنكليف ، بيرثاه ٩٠ ، ٩٣
نوت ميرغ ، فرانتس ٢٦٤ ، ٢٧٥
نوفمبر ، ٣٥٣ ، ٣٥١ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ ، ٥ ، ٤
نوري السعيد ٦٢٦
نيكولاد أو سلاوي ٦١ ، ٧٢١ ، ٧٢٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٦٢
نيتشه ١٩ ، ٢٣
نيجر ، ٧٢٠ ، ٧٥٥
نيجيريا ٦٢٧ ، ٦٧٤ ، ٦٧٦ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٨ ، ٦٧٧ ، ٦٧٧ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٧٧
نيرون ٣٣٧
نيكولايف ، ٦٧٧
نيل ، انجرال ٦٤
نيقولا الثاني ، الامبراطور ٢٤٧
نيكولايفي ٨٨٤ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٠٦
نيكسون ، ريتشارد ، لامبركا الكاثوليكية ٦٤٤
نيوتن ٩١٢
نيورمبلاند ٦٣ ، ٨٥ ، ٢٥ ، ١٩
نيويورك ٥ ، ٦ ، ٨١ ، ١٢ ، ٢٢
١٢٥ ، ٣٩٦ ، ٦٠٧ ، ٨٢

هـ

هادريان ، فرنسس ٢ ، ٦
هارفرد ٢٨
هاريمان ٤

حلفاء ٢١٦
حالمين ٢٩٩ ، ٨
حسان ٢٨٨
حاشى ، الان ١٦٢
حبائر ٨٠٥ ، ٨٦١ ، ٨٦٠ ، ٨١٣
حاسي ٨٨٥ ، ٨٩ ، ٦ ، ٩ ، ٣ ، ٦
٦١٩ ، ٦
حاضلي ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٨٩ ، ٤٨٩
حلم ٢ ، ٩٣٠ ، ٦ ، ٥ ، ٠ ، ٢ ، ٢١
٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٠ ، ٢٣٥ صفحه ٢٢٦
٢٢ ، ٢٤٣ ، ٢٨٦ ، ٣٢٢ ، ٣٧٥
حضاصه للفرنسال بيند لي موتور ٣٩
٤ ، ٤ ، ١ ، ٤ ، ٤٥ ، ٦٨٩
الحمرة ، بشرة ١٩٥ ، ٩٧
الحمرة بغرائب في دورنا ٦٧ ، ٦١ ،
١٨٦ — ١٨٨ التوصيات البشرية في
اوديما ٢٤٤ ، ٤٤٨
حرير ٩٨
حكمتي ، الدوس ١٤٨ ، ٤٠١
حيدرج ٣٥ ، ٥ ، ١
حفر ٢٢٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٤ ، ٤٠٥
حضنوائي ٩٩ ، ١ ، ٤٢ ، ٥
الجد السينية ٢ ، ٦ ، ٨ ، ٥ ، ٩٠ ، ١
١٤١ ، ١٦٦ ، ٢٧٨ ، ٦ ، ٦٢٥ ، ٦٩٨
٥٩ ، ٦٦ ، ٦٦٦ ، ٦٦٦ ، ٦٢ ، ٨١٩
الجنة ٢ ، ٦ ، ٩٢ ، ٢ ، ٤٢٥ ، ٢٩
٤٧ ، ٦٥ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٨٩ ، ٩
٢٤٤ ، ٢٥ ، ٢٩١ ، ٤٤٢ ، ٤٨٤ ، ٥٠٦
٩٨ ، ٢ ، ٥٧٠ ، ٦٤٢ ، ٦٧٥ ، ٦٩٨
٦٣ ، ١٢ الحركة الوطنية فيها ٦٢٠ ،
٤٣ الحشيش الاستشفي ٦٣٤ ، ٦٣٧
استقلالي ٦٣٧ ، ٦٣٦ — حشكلاتها ٦٤
، جبرة الجنة ٦٤ ، ٦٤٥ ، ٦٠٨
٦٤٤ ، ٦٤ ، ٦٧١ ، ٦٧٥ ، ٦٣٠ ، ٨٢٦
٨ ، ٩
حشروع ٩٩ ، ١ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣١
حصدر ٢٨ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٦ ، ٨٢
٧ ، ٣٧ ، ٤٦ ، ٧٥ ، ١٩٠
١٢٦ ، ١٢٤ ، ١٥٠ ، ٢٨٤ ، ٤١ ، ٤
٥ ، ٩٢ ، ٥ ، ٥٠ ، ٥٣٠ ، ٤٢٥
٥ ، ٥٤ ، ٧٠ ، ٥٢٩
حوادق و حدير ٧١
حوادم ، الحدود ٤ ، ٤
حوكم ، حكري ٥
حوسس ، ٢٢٤
حورس ، الامير ال ٢٨ ، ٤٤
حوشر ٢ ، ١

حوشر ، الرئيس ٩٤ ، ٩٣ ، ٦١ ، ٤٣٠
حوشة ٦ ، ٢ ، ٢٨ ، ٤١ ، ١٧
٨ ، ١٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨
٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢ ، ٥ ، ٤ ، ٦ ، ٩
٤٤ ، ٩ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٩٠
٤٨٢ ، ٦٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥٢ ، ٦٤ ، ٦٣٥ ،
٨٢٥
حولبوود ٦٩٨
هوستر ٩٦٤
حوشوراس ٨٨٢ ، ٥٤٤ ، ٦ ، ٩١٢
هوتع كونج ٨ ، ٤ ، ٨٦٢ ، ٨٢٣
هواج ، ٥٨٨ ، ٥٩١
هيرة شب القه القصه الهيرة عليها ٩
٨ ، ١٤٤٥ ، ٣٩ ، ٣٧ ، ٧٨٥
٧٨٦
هير سرع ٩ ، ٧٨٧ ، ٧٨٦
هيرسب ٩٣

و

واسرمان ٩٢٢
واطسون ٨٠
واشنطون ١٧٥ ، ٥٢١ ، ٥٦٠
وايتر ، كورت ٦٩٤
الوجوبة ٦٣ ، ٢ ، ٢ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩
الوراثة (علم ٨٠٤ ، ٨٠٥
وبر ، بروس ٢٣٧
وكي ، نصر ٢١٤
وسط ، الرئيس ٣٩ ، ٣٨ ، ٤٢ ، صباط،
الوريعة عشر ٤٣ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٤٦٥ ،
٦٢
وعر ، ٥ ، ٧
الولايات المتحدة الامريكية ٧ ، ٩ ، ٤ ،
٥ ، ٦ ، ٩ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٤٣
٤٣ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ — زيد مصرف
٤٩ ، ٦ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٨ ،
٩٩ ، ٧ ، ٣ ، ٧٣ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ،
٧٦ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٤ ،
٥ ، ٩٣ ، ٣ ، ٩٣ ،
٩٦ ، ٩٣ ، ١٣٨ ، ١ ، ٤٣ ،
١ ، ٥ ، ١٤٨ ، ٤٩ ، ٥ ، ١٥١ ،
١٥٢ ، ١٥٦ ، ٩ النظار لسنة ١٩٦ ،
٦٥ ، ٩٩ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ٣٦ ، ١٧٣ ،
١٨ ، ١٨٦ ، ١٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨٨ ، ١٨٩ ،
٩ ، ٩ ، ١٩٣ ، ٩٥ ، ٦ ، ١٠٦ ،
٢ ، ٢٤٠ ، ٢١٤ ، ٢٦٨ ، ١٩٦ ، ٣٧

فهرست الصور

١ – لينين يتكلم الى الشعب في ١٩١٧ من على صدر مقام في ساحة بتروغراد
٢ خندق في ١٩١٧
٣ مدفع الفئة المسماة كاسا في برلين في السنة ١٩٠٨
٤ الوقيع معاهدة أريس مع الدانما في قصر فرساي ، في ٢٨ حزيران ١٩١٩
٥ – دهاليز باريس جلسة السوق البورصة للاموال المتفرقة
٦ – بيكاسو « غرنيكا »
٧ – مهرجان آزي في نورمبرغ مؤتمر الحزب الوطني في ١٩٣٨
٨ – مارسال من الدار « الملا » في روما يخرج من الزوج المسكرة التي خلفتها الفاشية في ايطاليا
٩ – مسكر الابادة في « بركنوفلد » ، كتلة الجثوث المختلفة الظاهرة
١٠ – ابرة الفاشي الايطالي الجيوش في « الزوسلتي »
١١ – الدبابات الالمانية تهاجم استعداد مدرعا للقاذفة مطوقة في منطقة « ستالينغراد » في آب ١٩٤٢
١٢ – مرفأ « نابلس » الذي دمرته الغارات الجوية في ١٩٤٤
١٣ – تحرير باريس آب ١٩٤٤
١٤ – مؤتمر يالطا روزفلت ، وتشرشل ، وستالين ، مجتمعون في القرم ، في ١١ شباط ١٩٤٥
١٥ – الاقتصاد قبلة مدمرة في ستالينغراد حزيران ١٩٤٦
١٦ – قصر منظمة الامم المتحدة في مانهاتن نيويورك
١٧ – مركز « كابيتول » في نيويورك
١٨ – الباخرة فرنسا التي انزلت الى البحر في السنة ١٩٦٠
١٩ – غواصة اميركي كبير على مقربة من « بالرويت »
٢٠ مبنكة طرقات مصرية في أوس الخنوس « مارون » غربي
٢١ القاعة الحمراء في موسكو ١٩٥٩ في الوسط ضريح لينين
٢٢ جامعة موسكو منظر غرستكر التي يشرف عليها بناء جامعة الرابع

٢٣ – جماعة ١٩٧٣ في الهند

٢٤ – اغتيال خليفي يتسبب به تلاميذه

٢٥ – ماوتسي تونغ يخطب في جيوش

٢٦ – شنغهاي مدمرة في أثناء القتال بالمرب والتنيه

٢٧ – عرض الجنرال أمام ضباط طوكيو الياباني جناسة رأس الدولة

٢٨ – عدد الجنود في مزرعة جماعية

٢٩ – حرفاً يابوني في العراق

٣٠ – رواد الطبيعة الأوروبية و مدرسة الطبيعة

٣١ – اريكين وكوفوسين ، جريمة بابو بيكاسو متحف لينينغراد

٣٢ – الأعضاء في « طوطو » التطلع متتاح التقدم

٣٣ – برازيليا الجنس الأعلى

٣٤ – جيرون وبوشاطين، كوبا كبابا

٣٥ – البنتاجون في مكتبه في جامعة برستون ، أجمل وقائعه

٣٦ – قمة موسكو حيرن بالرمان في الولايات المتحدة

٣٧ – بانوراما كهربائية عرسيه الغرب رفساً قياسياً عالمياً في مرحلة السير على الخط المتعدد

٣٨ – طيران وليور رايت في معسكر دفور في ١٩٠٨

٣٩ – مطار مان فرنسيسكو

٤٠ – تصميم طائرة الـ « كونكورد »

٤١ – جسر جورج واشنطن في نيويورك

٤٢ – التقدم العلمي الآلة أهل على الانسان

٤٣ – مصنع الـ « راشس » لاستثمار طاقة المد والجزر

٤٤ – مصانع ستورن الخروبة

٤٥ – سعاد الخطة في احدى مزارع الغرب الاميركي الاربعة حدى المزارع الثمانونية المتوقفة

٤٦ – سعاد الارز في كمبوديا

٤٧ – بحر الثالثكتاك الثاني

٤٨ – الخبار جيمس الاميركي احدى ابرز شخصيات يشي في الفضاء

فهرست الخرائط والتصاميم

١	الحدود الجديدة والمقاطعات المتنازع عليها بعد الحرب العالمية الأولى	٤ — ٤٠
٢	— مراكز البطالة في انكلترا سنة ١٩٢٦	٣٩
٣	— عدد ممثلي الأحزاب في مجلس الريشستاغ	٤٠
٤	الانتاج الصناعي والبطالة في العالم بين ١٩٢٩ ١٩٣٤	٤٤
٥	— سعر الاستثمار وسعر المقاسمة في المانيا بين ١٩٢٨ ١٩٣٩	٤٤٢
٦	— التغيرات الطارئة على حركة البطالة في بريطانيا بين ١٩٢٠ ٩٠٠	٠٩٢
٧	— الدخل الفردي الحر في مملكة البلجيك ، المانيا ، فرنسا ، السويد ، الولايات المتحدة	٠٧٠
٨	كشف بياني مقارن بارتفاع وانحطار الحزب الوطني الاشتراكي الالماني مع تطورات الأزمة الاقتصادية مما كبر عنه ارقام البطالة	٣٠٨
٩	— تورط الالمان في الشكوسلوفاكيا بين ١٩٣٨ و ١٩٣٩	٣٣١
١٠	التغيرات الاقليمية في اوروبا بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩	٣٣٣
١١	— الجبهة الشرقية ، ١٩١٤ — ١٩١٨	٣٣٥
١٢	— الجبهة الغربية بين ١٩١٥ ١٩١٨	٣٤١
١٣	الحرب في الغرب في السنة ١٩٤٠	٣٤٩
١٤	— الحرب في الغرب ، سوريا ، ١٩٤٤ الخ ١٩٤٥	٣٥٠ ٣٦١
١٥	— تقويم السفن التجارية المغرقة في الاطلسي	٣٧٦ — ٣٧٧
٦	— مناطق تحت سيطرة المحاصات وراء الجبرش الالمانية	٣٨١
١٢	الحرب في الشرق ١٩٤٤ ٩٠٥	٣٨٦ ٣٨٧
١٨	اهم التغيرات الاقليمية الطارئة بين ايلول ١٩٣٩ و ١٩٤٠	٣٩٢ ٣٩٣
١٩	— اوروبا الشرقية	٣٩٨ — ٣٩٩
٢٠	— الحرب في الشرق الاقصى	٤٠٦ ٤٠٧
٢١	اوروبا في السنة ١٩٤٥	٤١٠ ٤١١
٢٢	— اوروبا الجديدة	٤١٩

٢٣ . التوترات الأوروبية بين ١٩١٨ و ١٩٥٠ ١٤٦ ٩٤٧
٢٤ ـ خريطة الاتفاقات الغربية لتسوية المعاهدة النمساوية في السنة ١٩٥٥ ١٨١ ـ ١٨٥
٢٥ ـ أفريقيا في الأعماق السوفياتي ٩٣٦ ـ ١٩٥٩ ٥٢٢ ٥٢٣
٢٦ ـ انتاج الفولاذ (طن) في الاتحاد السوفياتي وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة بين ٩٠٣ و ١٩٥٥ ٥٢٥
٢٧ ـ سير ماوكنزي لتوسيع الطريق ٢ تشرين الأول ١٩٣٤ ـ ٧٠ تشرين الأول ١٩٣٥ ٥٦٠

فهرست

مدخل ٧

القسم الأول

أوروبا

الكتاب الأول

أوروبا تفقد وضعها العالمي

الفصل الأول ـ السيطرة الأوروبية قبيل الحرب العالمية الأولى ١

تضخم السكان في أوروبا ـ عوامل أوروبا الاقتصادية والتجارية ـ عوامل أوروبا الأولية ـ أوروبا وآسيا ـ أوروبا السيدة ـ العالم الواقع تحت السيطرة الأوروبية ـ الجيش الأوروبي ـ أسلحة الحرب الحديثة ـ المستعمرات الأوروبية ـ الهند ـ أوروبا في العالم والعالم ـ الانتشار الأوروبي ـ الحياة السياسية الأوروبية ـ الحرب الأوروبية ـ الانتشار الاجتماعي

الفصل الثاني ـ الحرب العظمى الأولى وتوزيع الثروات بين الشعوب ٢٣

تنظيم الاقتصاد الحربي ٢٤

مشكلة النقد ـ التزييف الحربي للأسعار والاقتصاد الحربي ـ مشكلة النقد بعد الحرب ـ الحرب تلتهم الثروة ـ تأثير الحرب على الاقتصاد الوطني ـ المشاكل المالية ـ مشكلة الديون

٢ ـ المشكلات السياسية والاجتماعية خلال الحرب ٢٨

الاتحاد القومي ـ الثورة ـ تعبئة الجماهير العامة ـ نهاية الاتحاد المقدس ـ الحرب الأهلية ـ روح الكراهية

الفصل الثالث ـ صنع السلام وتوزيع الثروات ٩٠ ـ ٩٩٠ ٣٦

٦ ـ الاضطراب السياسي والاحتلال العسكري الجديد ٣٦

الثورة في ألمانيا ـ الثورة في هنغاريا ـ الاضطرابات الاجتماعية ـ التدخل في روسيا

٣ ـ اتفاقات السلام ٤٢

الشروط المالية ـ معاهدتي ٩٠ ـ ٩٢ ـ نصب الأمم ـ حالة الأقليات ـ المؤتمرات

٣ ـ إعادة النظام الإصلاحات السياسية والاجتماعية ٤٧
الإصلاحات السياسية الإصلاحات الاجتماعية الإصلاح الزراعي في أوروبا الوسطى أزمة الثورات
٤ ـ رحلة عذاب ٤٩
خيال الفيزيوقراطية تحول القصد الأول لأزمة الدراسة أزمة الاجتهاد والتقدم في أوروبا الوسطى أسباب ازدهار الولايات المتحدة الأمريكية الثورة الروسية تداعي المؤسسات الاقتصادية حقيقة الديمقراطية الاجتماعية والسياسية
الفصل الرابع ـ المثل العليا لإعادة الاستثمار الاقتصادي ٥٥
١ ـ أزمة عام ١٩٢٠ والتجارب النقدية ٥٥
أزمة عام ٢٠ التضخم المالي والفرض النقدي التضخم المالي وتقلص المدخرات
٢ ـ ازدهار الثروة الزراعية عبر العصور ٥٩
الولايات المتحدة الأمريكية اليابان الصين الهند
٣ ـ الثورة الصناعية الثانية والتطور الاقتصادي ٦٢
الكهرباء وعوامل الاستثمار الداخلي التطورات الاقتصادية بين العالم والقطبية ـ الاتفاقات الوطنية والدولية التقارب في الاتفاق
٤ ـ بقية الاقتصاد العالمي ٦٧
مشكلات التبادل واستغلال البحار في الصين بين الحرب الأهلية وقف الحرب الى ... موارد البحار المراحيل في حرب التجاذب التجاري الغرب الاقتصادية الجديدة في القرن الرابع الاستثمار في المشاريع اتجاهات الاستثمار الجديدة
٧٣
٥ ـ الضبط المصغر
الكتلة النظم الاجتماعية مثل المثل الأعلى الزواج الإنتاج الرعاية الخاصة عن فيه عاملة ـ عمل النظام الاقتصادي
الفصل الخامس ـ البحث السياسي والاجتماعي ٨١
١ ـ القوى الحاسمة ٨١
أثر الثورة الروسية الثورة القومية الجمهورية والشركة دور الكنائس أثر الفيزيوقراطية الجديدة نظرية خلوين الضرورات التكنولوجية الأثر العام نظرية التعاقد الرأي الجماعي وتصحيحها في الولايات المتحدة في ... يطالب كل عربة يطالب بمعدات شرعية في الثانية الأمة الفيزيوقراطية في أوروبا الوسطى والجديدة الشرقية
٢ ـ ضعف الاستيراد الأمة صعبة والسوق المحرضة ٩٠٢
في تجار الاحتراف الكلية الأخرى الشروط الاقتصاد الخاص المنظمات الدولية ـ خلاصة
الفصل السادس ـ بعض المبادئ الفكرية والفنية ١١٦
٩١٣
٥٨. البيت الخاص

١ ـ أبو التفكير الجديد ... ١١٣
التحرر في العلوم الطبيعية ـ الثورة في الفلسفة ـ هابرماس ـ أزمة نظام البشرية ـ البيكولوجيا وعلم الاجتماع

٢ ـ الثورة الأدبية والفنية ... ١١٦
اتباع جديد ـ المغرب بوما بعد الحرب ـ عند الناشرين ـ المسرح ـ سوق الفنانية ـ السوريالية ـ وضع الأدب لدى المثقفين حل أدونو ـ الرسم التجريدي ـ الفلسفة الجديدة ـ السينما ـ والتلفزيون ـ الاقتصاد والثقافة ـ بعض الاتجاهات الحالية

الكتاب الثاني

الانهيار الاقتصادي ونتائجه

الفصل الأول ـ الانهيار الاقتصادي ١٢٠

١ ـ الفيضان الأولى وامتدادها الى القرن العشرين ١٢٠
دورة الازمات الاقتصادية ـ الأزمة ١٩٢٩ ـ من الاتساع والتصدير ما قبل الى منافسة ـ تحليل الظروف الأزمة ـ الرأيات المتحدة ـ الأزمة تبلغ أوروبا ـ كل شيء تقريبا ـ الأزمة في العالم الجديد

٢ ـ مظاهر الأزمة ١٣٦
الأزمة المستقبلة ـ الزراعيون والرقم الفني البطيء ـ أجور ـ بطالة ـ الجرائم الشديد ـ الانتحار ـ المثقفون يشتكون في كل مكان

الفصل الثاني ـ تدخل الدولة ونتائج الأزمة الاقتصادية ١٤١

تدخل الدولة بأشكال مختلفة ـ سياسة الدولة الجمركية ـ سياسة الاستيراد المالي ـ عجز الميزانيات ـ المشروعات في المباني العامة ـ سياسة النقد والتوظيف ـ مطالب المذكورة يمكن الاستعمار والأجور ـ حماية البطالة ـ تنامي الاقتصاد ـ تغيير الطباع العام ـ سياسة الاقتصاد المالي ـ التجارب الخارجية في البلدان المتحدة ـ بلد الاقتصاد المالي ـ تركيز الاستيراد ـ وبسببها النتائج

الفصل الثالث ـ الدول وجهاً لوجه مع الأزمة ١٦٢

١ ـ انهيار الوطنية الحقيقية ١٦٢
الرأيات المتحدة الأميركية ـ النظام الجديد ـ النازي ـ بريطانيا العظمى ـ فرنسا الجبهة الشعبية ـ الثانية ـ الثالثة ـ البلدان خارج الاقتصاد الرأسمالي

٢ ـ الوضع الاقتصادي بين ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩ ـ ١٨٦
صعب ٦٠ خلل يومه الكتب الشيخ الكتاب، قبالي الحق الذي يطلب ٢٠ يقبل على الاطلاق فتالي المسة ورده تصدر المكتب بالأسواق التجارية القديمة

الفصل الرابع الأزمة وتناقضها الفكرية و٧ سياسية ٨٣

١ ـ نتائج الديمقراطية ١٨٣
السيئون غير فتحيين الأجانب ـ عيادة مركزية الذين ـ الصحراء

٢ ـ تأثير الأزمة في البنيان الاجتماعي ١٨٥
بين طبقات عليا وطبقات عليا ـ بين الرأسمالين والعمال

٣ ـ الحركات والأحزاب السياسية ١٩٠
الحركات خلال الأزمة الداخلية للحزب الاشتراكي ـ في أوروبا ـ مناضلو الرأسمالية الحرب الأهلية الاشتراكية والشيوعية والشعب الجمهوري ـ الحزب الاشتراكي الوطني

٤ ـ الأزمة الاقتصادية وتأثيرها على الفكر ١٩٩
أجور الحديد الفرنسية الأمريكية وتأثيرها على الفكر ـ تجديد الطلاب نقد العلم والفكر الغربي الحرب ـ يجب تحديد الحرب ـ إعادة النظر في الأيديولوجيا الاقتصادية ـ في كتب ـ العرض الأدبي لبعض الكتاب الجرائد الكاثوليكية

الفصل الخامس الأزمة وتناقضها السياسية ٢٠٩

١ ـ التيار الديمقراطية وأزمة الديمقراطية البرلمانية ٢٠٩
الثورة عدم الرغبة في الدفاع للنفس الاشتراكية ـ في برلمانية المجلس في عرض الحرب الجرائد الأخرى

٢ ـ الدكتاتوريات الفاشية ٢١٥
الفاشية أصولها الفرق الاختلاف وتطورها وصولها للحكم الجمعية الحزب ودوره الرئيسي الحكم ـ التعبئة جوهب الأفراد هتلر وتطوراته صورة الدولة النظام الحزب الترجمة ـ الزعيم ـ الدعاية والجمعية الفاشية الحكومة المبدأ الاقتصادي طبقة الملاكين الصناعة التجارية الفاشية الايطالي الثورة الفاشية السياسة الاقتصادية والاجتماعية ـ ـ الفاشية ـ الفاشية والمقاومة في بلدان أخرى.

٣ ـ انتشار الأنظمة الدكتاتورية في الخمسة أوروبا ٢٣٥
في أوروبا الجنوبية الأحزاب ـ الفاشي الدكتاتوري في النمسا ـ في بولونيا ـ منتقلون في أوروبا الجنوبية الشرقية النظام في ـ ـ البلقان ـ الأقليات ـ في بلدان البلقان

المصير الرأسمالي عشية ١٩٣٩ ٢٤٣
الثورة الفاشية أو ثورة أوروبية

القسم الثاني

العالم السوفياتي

الفصل الأول : الثورة البلشفية ٢٤٧

١ ـ الثورة في البيت ٢٤٧

المقاومة الاجتماعية والقومية للحكومة البلشفية والبورجوازية ـ طليعة العمال الحكم البلشفي ـ بداية التدخل الأجنبي ـ الحكومات المنافسة للحكومة البلشفية ـ فشل التدخل ـ هزيمة الثورة المضادة ـ نتائج التدخل على الشعوب الأجنبية

٢ ـ الشيوعية الحربية والسياسة الاقتصادية الجديدة ١٩٢٤ ـ ١٩٢١ ٢٥١

صعوبة الأشكال التي تتخذها الاشتراكية ـ الشيوعية الحربية ـ السياسة الاقتصادية الجديدة ـ النتائج الإيجابية والنقص ـ السياسة الاقتصادية الجديدة ـ الديمقراطية الحقيقية ـ السياسة الاقتصادية الجديدة

الفصل الثاني : الارتقاء في مضمار القوى الاقتصادية الكبرى ـ الاشتراكية والتنظيم الاقتصادي الجديد ٢٦٩

١ ـ التخطيط الجديد ٢٦٩

إعداد الخطة الخطة الخمسية الأولى ١٩٢٨ ـ ١٩٣٢ ـ التخطيط الاشتراكي الشيوعي الخاتمة الثالثة للخطة في السنة ٤ ـ الصعوبات الجديدة أمام الاتحاد السوفياتي

٢ ـ الثورة الزراعية ٢٧٥

الاشتراكية الزراعية في المدن ـ سكان الريف السكان الأعداء ـ الثورة في الريف ـ النظام الجماعي ـ الثورة في الإنتاج ـ الثورة الثقافية ـ الإرهاب الستاليني

الفصل الثالث : قلب الأنظمة ٢٨٢

١ ـ النظام الاقتصادي الجديد ٢٨٢

المنافسة الاشتراكية ـ الأساليب الجديدة ـ تنظيم الصناعيين ـ التنظيم الصناعي ـ إعداد الخطة ـ عمل الخطة التنظيم الإجباري للعمل الاختيار ـ الثورة الثقافية ـ صعوبات التكوين ـ الاتحاد السوفياتي في الأزمة الاقتصادية العالمية ـ سهم الفلاح ـ التدخل الحربي

٢ ـ النظام الاجتماعي الجديد ٢٨٧

تحديد الأجور ـ تحاشي الأجور ـ التأمين الاجتماعي ـ مصروفات الحكومة

الفصل الرابع : النظام السياسي الجديد ٢٩٤

الإطار السياسي ٢٩٤

الفكرة الشيوعية عن الدولة الحالية وتكوينها على أساس الوحدة الديمقراطية ـ السوفيت ـ سير الآلة الاستبدادية للحزب ـ النظام السياسي ـ الحزب الشيوعي ـ التنظيم ـ الكومسومول والنوادي

٢ – ١ الانسانى أجزاء وأحوال ٣٠٥
قسمة الجند ـ الحالة الصرر الحرك التعبير ـ الكتلة الجديدة الرائعة الاشتراكية الاقتصاد
٣ – الديمقراطية الحرة والديمقراطية السوفياتية ٣١٦
الرأي الحر والنظام السوفياتي ـ النظام السوفياتي والفاشية ـ الديمقراطية السوفياتية
٤ عودة النظام والمدرعة ٣١٦
الانسان الجديد الجيش الأحمر ـ الشركة والقسم السياسي ـ المدرعة المقاتلة في داخل الجيش المقاومة البطيئة والهزيمة ـ الخداعي (أكتوبر ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨)
الخلاصة ٣٢٣

القسم الثالث

العالم المنقسم

نتائج الديمقراطيات الاستعمارية

الكتاب الأول

حرب العشية الثانية ٣٢٧

الفصل الأول ـ الحربان العالميتان ٣٢٩
١ ـ فن الحرب والقائد العربية خلال الحرب العالمية الأولى ٣٣٠
مفهوم الحركة في القتال ١ ـ قواعد استخدام الجنود المقاتلة في أربع الأفكار التكتيكية الجديد للحرب في الحرب الثاني مقولات الهجوم في الحرب في السنوات ١٩١٤ و ١٩١٥ ـ القادة الأعلى الجديد معركة السوم ١٩١٦
٢ ـ الخلافي الدبلوماسية وأن الحرب الثانية الحرب العالمية الثانية ٣٤٢
التحالف الستراتيجية بين الحربين التحالف الفرنسي التحالف الألماني ـ المفهوم الفرنسي لاستخدام الاحتياطي الغزو الحقيقي في أيار ٤٠
٣ ـ تطور التسليح والاستعدادات في عن الحرب ٣٤٥
تطور الأسلحة الحقائق ـ الدبابة ـ الطيران ـ الطائرات الحربية الدبابة ـ الطيران التكتيكي الجيوش المقاتلة بدءاً ـ الإمكانية الثانية الاندفاع ـ الحرب البحرية منذ ١٩١٨ حتى ١٩٣٩ معركة الأطلسي الحركة في البحر الحاسم الحليفان البريطانية تقلي الجيوش الروسية حرب الشتاء في البلقان وتركيا في روسيا في فرنسا أيتالب الحرب والروسية ـ بعض مظاهر الحرب الخاصة الحرب في روسيا في الشرق الأقصى الحرب ضد المدنيين

الفصل الثاني - النظام الاوروبي والأسيوي الجديد ٣٧١

١ - النظام الآسيوي الجديد ٣٧١

النظام الجديد - جاذب الشخصية - تحولات ١٩٨٩ - ١٩٩٢ - مستقبل الحرب - استقرار الجبهات الثلاث - المساعدة الاستراتيجية - الشيوعية - رقابة الروابط - العمل الاقتصادي - الاستثمار الغربي - الحكومات الثلاث المتعاونة - فرنسا الجديدة - الثورة الروسية - تطور النظام الروسي وأهدافه الأخيرة

٢ - الفارمات ٣٩٤

الفارمات - حكومات الثلاثي - الخلافات في أوروبا الشمالية الغربية - في أوروبا الشرقية والجنوبية الشرقية - الفارمة الإيطالية - الفارمة الألمانية - الفارمة الأمريكية - الفارمة الأسيوية

٣ - النظام الياباني الجديد ٤٠٩

النظام الياباني الجديد - أحزاب اليابان الكبرى - مستقبل الحزب الحاكم - الفارمة - الفارمة الصينية

الخلاصة ٤٠٣

الكتاب الثاني

العالم الحر الجديد

الفصل الأول - القسم العام وانحلال توازنه ٤١٩

الخلل الكامن في الحلف - تأسيس الأمم المتحدة - الحرب الباردة - الميثاق الأطلسي - مبدأ الحرب الباردة - الأسباب العميقة لنزاع الحرب الباردة - اشتداد الحرب الباردة - انحلال التوازن الاقتصادي والسياسي في العالم

الفصل الثاني - الولايات المتحدة ٤٣٥

واجب الاتحاد - العودة إلى سياسة ما قبل الحرب - عصر الأزمة ١٩٤٩ - التضخم المتفاقم - الانكماش - التوسع الاجتماعي - مشروع مارشال - الأزمة الزراعية - تدخل الدولة - الكونغرس - نظام المجتمع - قسمة الطبقة العليا - أمريكا الأخرى - التطور الخلاق الكونغرس - السياسة السياسية - الخيط الاقتصادي الأخير - التوسع الجديد

الفصل الثالث - أوروبا الغربية والياباني ٤١٢

الملامح المتماثلة

١ التطور الاجتماعي ٤٤

/ الأحزاب الشيوعية في أوروبا - مسألة ألمانيا - الديموقراطية - النظام الاجتماعي المتلائم - التضامن الثاني والمتلائم

٢ التطور الاقتصادي ٤٥٣

التطور العام - الموارد الجديدة - الطاقة الذرية - تحسين الانتاج الصناعي - الوضع الزراعي - الاستهلاك - الأبحاث العلمية - دور الدولار - استراتيجية وحيد الروبية الغربية - خطة شومان - السوق المشتركة والأوروبي

٢ ـ توابع الفيزيائية الكلاسيكية ٩٦٥

المصانع الجديدة ـ الساع دور الدولة في المجتمع الاقتصادي ـ التشييد ـ الضغط ـ توظيف الأموال ـ مثل موسير ـ اتساع عرقلة الفقد ـ تدخل الدولة في المجال الاجتماعي ـ سياسة الأسعار والمنافسة ـ التجار ـ شروط نشر الفكر والأحداث وكلاهن الأحلام الاشتراكية والفكر ـ الحرية على الأنبي ـ رجحان كفة المالكين ـ تطور الفاشية ـ أزمة النظام الحر ـ سلطة الاجتماعيين ـ انتشار ـ تعالي الرقابة البرلمانية أسس السلطة

الفـــلاسفة ٩٨٦

الفصل الرابع الفكر والفن والحياة الجماعية في فترة ما بعد الحرب العالمية ٩٨٨

١ ـ التفكير والفن الأدب ٩٨٨

ج. ب. شارو ـ التنسيب والمثال ـ التقليد في لغة الجنسية ـ التقاليد بالمذهب ـ مع الاختراع ـ السيكولوجيا و د الثلاثي البشري ـ التجارب الجديدة للإبداع الفني ـ الفنون التصويرية الرسوم ـ السينما بعد الحرب ـ القصة في فرنسا ـ القصة الأمريكية ـ القصة الإيطالية ـ التكنيك وعناصر التجديد في الفن ـ الاتجاه الكلاسيكي ـ الفاشية

٢ ـ الحياة الجديدة ٥٠٤

انتشار التعليم ـ التعليم التكنيكي ـ التعليم والمجتمع ـ الجامعة الجديدة ـ جمع المعلومات الثاني ـ الميدان الفيزيوستاتيكية ـ الحركة الميكروبية

الكتاب الثالث

العالم الشيوعي

الفصل الأول ـ الاتحاد السوفياتي ٥١٦

الحرب الأهلية والانطلاقة الاقتصادي ـ الضغط الخارجي الأزمة ـ الحرب ـ الثورة البلشفية والميدان الزراعية ـ الحياة الفكرية ـ الاتحاد السوفياتي منذ الثورة الدستورية الإصلاحات ـ إصلاح الاقتصاد ـ الخطة الخمسية ١٩٢٨ ـ ١٩٣٥)

الفصل الثاني الشيوعيات الشعبية في أوروبا الوسطى والشرقية ٥٣٠

البرلمان في سنة ١٩٤٥ ـ سكرتارية الأحزاب الشيوعية ـ قيام النظام الشيوعي تصفية ـ البلوريا الفيوزوسلافية الألبانية الإصلاح الزراعي في البلقان الجنسية التشييد ـ التدرج في التخطيط توسعة الشيوعيات الجنسية الخطة الخمسية الأولى وتوطيد الدكتاتورية البرلمانية المجتمع الجديد الفلاحون العمال الفن والمثقفون الرقابة التعليم الجديد تحرير المرأة ـ الأزمة الدولية سنة ١٩٤٨ في يوغوسلافيا وتطورها الجديد في سنة ١٩٤٩ الكومينكومون

الفصل الثالث ـ بريطانيا ٥٥١

النظام السياسي الجديد ـ البيئة الثقافية ـ مزاة بريطانيا ـ الظروف البريطانية ـ الثورة الاقتصادية الراهنة

الفصل الرابع ـ الصين الشعبية العملاقة ٥٥٨

الحرب الأهلية ـ الصين الجديدة ـ المجال الجيوستراتيجي الثورة الثقافية ـ الحركة الوطنية ـ ارتداداتها طابع الحزب السياسية ـ استراتيجي الكومنتانغ

١ ـ مصير الكومنتانغ ٥٦٢

حكومة نانكنغ تلي تشانغ كاي شك ١٩٢٧ ـ وضع الحزب الشيوعي بين ١٩٢٨ و ١٩٣٥ ـ الجمهورية الصينية الجديدة ـ الحرب الأهلية ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩

٢ ـ الصين الجديدة ٥٦٨

هشاشة الاقتصادي للجيش الاصلاح الزراعي التشكيلي الصناع الصيني الحرب الصناعة الجديدة ـ رصد الصين ترصد الكتلة السوفياتية ـ الطريقة الصينية ـ الثورة الكبرى في الأمم الميزان الاقتصادي والاجتماعي

الخلاصة ٥٧٨

الكتاب الرابع

حروب البلدان النامية والبلدان المتقدمة للاستعمار

الفصل الأول ـ الجزائر نموذجا للاستعمار ٥٨١

١ ـ المشكلات الاجتماعية والاقتصادية ٥٨٢

المشكلات السكانية والحديثة ـ الاكتشافات الكبرى ـ مشكلة الفقر ـ مشكلة الزراع ـ البلدان الأجنبية الجديدة الصراع الطبقي والتصوري ـ الفكرة الرأسمالية ـ الانتاج غير التصنيعي

٢ ـ الحياة السياسية ٥٩٠

عهد الاستقرار السياسي الأزمة بالقوى على الحياة السياسية القوة السياسية والوعي الجديدة عودة الجيش الحياة السياسية عند ١٩٤٤ دور الأحزاب الشيوعية

٣ ـ الصراع في سبيل الاستقلال ٥٩٧

النخبة الاقتصادية والنخبة السياسية ـ في بيان الثورة ـ الثورة الديمقراطية الاشتراكية ـ ثورة التحرير الوطني ـ الصدامات ـ الحرب الثورية ـ استراتيجية الثورة

٤ ـ وضع الثورة بعد قرن كوبا ٦٤٣

الثورة الكوبية وتناقضاتها التشكيلة الزراعية سياسة الرأسمال الشركة الأميركية الحكومة الكوبية وضع الثورة عام ١٩٦٤

الخلاصة ٦٥٠

الفصل الثاني ـ ثورة الشعوب المستعمرة ٩١٨

تأثير الحرب العالمية الأولى ـ صيحة الانتصاب ـ الحرب والتأثير الثوري ـ الحرب العالمية الثانية وأزمة أوروبا وتحويلة القصد منذ ١٩٤٥ أوروبا والاقتصاد العالمي ـ مكاسب الحركات القومية والعالمي ـ مصدقي الدول المستعمرة ـ تأثير حرب كوريا ـ سياسة التدخل لدى الدول الجديدة

الفصل الثالث ـ نحو الديمقراطية وآسيا الشرق الأقصى ٦٣١

ـ الهند ٦٣٢

الحركة الوطنية في الهند ـ التطور الداخلي ـ مساهمة الكفاح الجامع الشعبي ـ بوس والكونغرس ـ وشخصية الزعيم ـ استقلال الهند والمسلمون ـ التركيب الاجتماعي والسياسي في باكستان ـ الانقلاب العسكري عام ١٩٥٨ ـ الأحلاف الشعبي وصعوباته ـ المشكلات الاقتصادية جذور المشكلة ـ الاضطراب الاجتماعي وحلقاته ـ الهند اليوم دور الجيش الكبير

٢ ـ آسيا الجنوبية الشرقية ٦٤٨

سوء التصوير ـ التركيب الاجتماعي ـ الحركة القومية ـ سلامة النظام ـ الاستقلال ـ مشاكل الحدود في عهد الاستقلال الجديد ـ المشاكل الجديدة بورما ـ ماليزيا تشكل الدولات الفيدرالية في آسيا سنغافورة في طريقه الهند الصينية الفرنسية قبل ١٩٤٥ ـ الوضع الراهن والغد ـ الحركة القومية ـ تأثير الفتح الياباني المقاومة الشعبية ـ الساح الحلفاء الغرب ـ نظام الحكم

الفصل الرابع ـ البلدان الاسلامية في الشرق وشمالي افريقيا ٦٧٦

البعد الديني ـ حضارة الاسلام ـ الانتشار الاسلام

١ ـ قارة ما بعد الحروب ٦٧٤

العالم الاسلامي بعد ١٩٤٥ ـ الحركة الاسلامية في تركيا ـ تغيير الوضع الاقتصادي ـ مصر ـ البحر البريطانية في الشرق الاوسط ـ ايران وافغانستان ـ تأثير الازمة الاقتصادية الكبرى

٢ ـ نتائج الحرب العالمية الثانية ٦٨١

انحطاط دائرة ـ نظام الكتلتين الكبيرتين والتوازن الاجتماعي في الشرق ـ العالم الاجتماعي والتناقض السياسية الجهد الفكر الديني ـ تطور المجتمع الاسلامي الحركة القومية ـ سياسة الدولة الكمالية في تركيا ـ حكم الجمهورية في مصر الشرق منذ ١٩٤٥ ـ مشاكل الشرق الاوسط

٣ ـ المستقبل المنظور ٦٩٦

من الوطن الشرقي الى حياة ذلك يأتي ـ الحركة الشعبية الجديدة التطور الاجتماعي في البلدان

الخاتمة الاسلام والعالم الحاضر ٧٠٠

المجتمعات التجارية ـ المجتمع الاوروبي ـ المجتمع الوطني ـ المشكلة الديموغرافية والتكنولوجيا ـ الثورة في بناء البلاد ـ التخطيط الاجتماعية الجديدة ـ وظائف الدولة نجاح الحركات الوطنية استقلال فرنسا والغرب ـ الغرب الشعوب منذ الاستقلال

الفصل الخامس ـ تطور أوربا السوداء ٢١٣

١ ـ التطور الاقتصادي والمجتمع ٢١٣

طرق المواصلات والحرف ـ الاقتصاد الذاتي من الداخل ـ الأرض وسيد الإقطاع ـ نظام الأراضي المفتوحة والحقل الإجباري ـ تكافل السكان ـ التفرج عن الموسم والإعفاء الحر ـ علامة الترتيب الاجتماعي القديم ـ المجتمع الجديد ـ الفلاحون ـ بورجوازية المدن

٢ ـ التطور الاستهلاكي ٢٢٩

١ ـ المجتمع الاقتصادي ـ ١ ـ موظفو المستعمرين ـ رجال الدين ـ رجال الحرب ـ الطبقة الوسطى والامتيازات ـ تزايد عدد الكنائس ـ رجال الدين الجدد ـ بؤس الأسقف ـ والمسيحية الكاثوليكية السوداء.

٣ ـ المساهمات الاستهلاكية المشابهة الأخرى ٢٣٧

سيخدان بريطانيان ـ الحرب الشرعية البريطانية ـ الكونغو البلجيكي ـ نظام الوكالة ـ الفشل الذريع لأوربا الوكالة ـ فرنسة في أوربا ـ الدول الفرنسية وأوربا الاستوائية ـ وصدمتها الأخلاقية ـ الحركات الوطنية ـ بلاء الاستقلال ـ أوربا الغربية البريطانية

الرجلان رجلاً لوسه ٢٥٦

أوربا الاستعمارية ـ الحلة البلجيكية لدى عدد الدول المستقلة ـ كونغو ليوبولدفيل ـ أوربا المستقلة ميالة ـ عقوبات التجييع والإفراج

الفصل السادس ـ ألفاء الاستعمار والاستعمار الجديد ٢٦٤

ألفاء الاستعمار ٢٦٤

السياسة الاستعمارية الجديدة ـ الخطة الفرنسية ومساعدة الدول المتخلفة ـ مشروع كولمبو ـ مؤتمر باندونغ

التطور الثاني الذي اجتذب بأسباب الدول الجديدة ٢٦٩

شكلا البيع بالامتياز ـ ميز الاحتكارات التي تدعى الغرب ـ الروح الأوربية ـ الأنظمة الجديدة

شبكة الاستغلال الاقتصادي ٢٧٤

روابط التبعية ـ الاستعمار الجديد ـ التكاتف متعدد الأطراف الفرانكفونية

الخاتمة ٢٧٩

القسم الرابع

انطلاقة العلوم والتقنيات

الفصل الاول ـ ثورة العلوم الطبيعية ٧٨٣

ـ الكون المتسع للبحث العلمي والنظري ٧٨٣

المراكز الجديدة التي واكبت في حياة المجتمع اختيار العلم

٢ ـ ثورة العلوم الطبيعية ٧٨٦

التطورات الزيولوجية الجديدة انطلاقة الفيزياء الذرية الوجه والقلب الالكتروني لمجد الكيمياء ـ الزيولوجيا الثالث والفيزياء الارض

الفصل الثاني توسع علم الحياة وثورة الطب ٧٩٤

علماء الذرة علم الاحياء الجزيئي علم عناصر الحياة الحياة في الاعماق الحياة الاجنبية الطب العلمي الاعضاء المنقذة والاعضاء التي تعمل عمل الورثة ورد الطب القلبي التقنيات الطبية الجديدة مستلزمات الانعاش المتبدئ ـ معجزات ام اخراعة

الفصل الثالث ـ الانطلاقة التقنية ٨٠٢

التقنيات الصناعية ٨٠٢

الصناعة التركيبية المواد التجميعية الصناعات التجميعية ـ زيادة سرعة وسائل النقل منتجة السيارة المعاصرة مكانتها وحركتها داخل

٢ ـ التقنيات الزراعية ٨١٦

الآلات والمركبات التكييف الزراعية رهن الحياة النتائج الاقتصادية

٣ ـ النتائج الاجتماعية ٨١٨

تغير طريق السكن النتائج الاجتماعية للتغير الآلي تطور الحياة الجماعية الخلاص

الفصل الرابع مسألة القرن العشرين الكبرى تضخم سكان يتزايدون تزايداً سريعاً ٨٢

الثورة الديموغرافية في القرن العشرين انطلاقة عدد السكان عدم التوازن نتائج حد التوقف في نمو التنمية سوء التغذية التي تنتشر الثورات بمستويات التنمية مكافحة تضخم التوازن الجديد المتناسب الجديد

خلاصة ٨٣٥

التوجيه البيبليوغرافي ٨٤٣

مراجع عربية ٨٥٥
موجز لغويات قديمة ٨٦٩
جدول الأعلام ٨٨٩
فهرست السور ٩٠٨
فهرست الشواهد والشعراء ٩١
فهرست عام ٩٢٣

انتهى المجلد السابع والأخير

HISTOIRE GÉNÉRALE DES CIVILISATIONS

publiée sous la direction de
MAURICE CROUZET
Inspecteur général de l'Instruction publique

TOME VII

L'ÉPOQUE CONTEMPORAINE

A LA RECHERCHE D'UNE CIVILISATION NOUVELLE

(deuxième édition revue et augmentée)

par

MAURICE CROUZET
Inspecteur général de l'Instruction publique

Texte traduit en arabe
Par
Youssef A. DAGHER & Farid M. DAGHER

EDITIONS OUEIDAT
Beyrouth Paris